

تاريخ السودان

القديم والجدد

وجغرافيته

(في ثلاثة أجزاء)

لؤلفه

نعوم بك بشقير

رئيس قلم ، وكالة حكومة السودان بمصر

THE
HISTORY & GEOGRAPHY OF THE SUDAN

(IN THREE VOLUMES)

BY

NAUM SHOUCAIR BEY B. A.

Chef-de-Bureau, Agent General's office S.G. Cairo

ALL RIGHTS RESERVED

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

تقدمة الكتاب

بإذن خاص

الى عطوفة الماجور جنرال (الفريق) السرفرنسيس رجينلد ونجت باشا

حامل نشان الحمام ونشان القديسين ميخائيل وجورج ونشان الامتياز الخ

سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام

(اعجاباً)

بما أثره الحسان في استرجاع السودان وقد كللت بنصرته على الخليفة عبد الله

تلك النصره الباهرة التي ضربت الضربة الاخيرة للقاضية على المهدي ورجالها

واعدت البلاد الرائعة الآن في حكمه السعيد لمستقبل سام مجيد

(واشعاراً)

بجميل عنايته التي شمل بها مؤلف هذا الكتاب

« نعوم شقير »

اكتوبر سنة ١٩٠٣

١٩٠٣ م
١٣٢١ هـ

S 54 C 1872

لتقرير، نعويم
لأريخ السودان :

Vol. 1-3+ Suppl. in C.3



2252768-30

SH

2252768-30



تاريخ السودان

القديم والجدد

وجغرافيته

(في ثلاثة اجزاء)

لمؤلفه

نعوم بك شقير

رئيس قلم ، وكالة حكومة السودان بمصر

THE HISTORY & GEOGRAPHY OF THE SUDAN

(IN THREE VOLUMES)

BY

NAUM SHOUCAIR BEY B. A.

Chef-de-Bureau, Agent General's office S.G. Cairo

ALL RIGHTS RESERVED

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

مطبعة المعارف * نجيب متري بمصر



S54C 1372

1-3 + Suppl.

C.3

~~Vol 51~~

~~1-3~~

~~1-3~~

~~2nd 1/2~~

تقدمة الكتاب

بإذن خاص

الى عطوفة الماجور جنرال (الفريق) السرفرنسيس رجينلد ونجت باشا

حامل نشان الحمام ونشان القديسين ميخائيل وجورج ونشان الامتياز الخ

سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام

﴿ اعجاباً ﴾

بآثره الحسان في استرجاع السودان وقد كللت بنصرته على الخليفة عبد الله
تلك النصره الباهرة التي ضربت الضربة الاخيرة القاضية على المهديه ورجالها
واعدت البلاد الرائعة الآن في حكمه السعيد لمستقبل سام مجيد

﴿ واشعاراً ﴾

بجميل عنايته التي شمل بها مؤلف هذا الكتاب

« نعوم شقير »

اكتوبر سنة ١٩٠٣

THIS WORK IS
DEDICATED

(by permission)

to

Major-General (El-Ferik) Sir Francis Reginald Wingate Pasha,

K. C. B., K. C. M. G., D. S. O., &c &c,

Sirdar of the Egyptian army and Governor General of the Sudan

in token

of admiration of the heroic feats achieved by him in the recovery of the Sudan, crowned by his brilliant victory over the Khalifa Abdulla which dealt the last decisive blow to Mahdism and prepared the country, now under His Excellency's happy rule, for a glorious and prosperous future.

and

of deep gratitude for his unfailing kindness to the author.

Cairo 27th October 1903.

NAUM SHOUCAIR



PHOTO. BY J. COKE, EDINBURGH.

Major-General (El-Ferik) Sir Francis Reginald Wingate Pasha,

K. C. B., K. C. M. G., D. S. O., &c &c,

Sirdar of the Egyptian army and Governor General of the Sudan

فهرس الكتاب

صفحة

على ترتيب الابواب والفصول

دياجة الكتاب

مستندات الكتاب

الجزء الأول

في جغرافية السودان

٩

الباب الاول جغرافية السودان الطبيعية

٩

الفصل الاول حدود السودان

١٠

« الثاني نيلها

٢١

« الثالث اراضيها

٢٣

« الرابع معادنها

٢٥

« الخامس هواؤها

٢٩

« السادس نباتاتها

٣٨

« السابع حيواناتها

٤٥

« الثامن سكانها

٦٥

الباب الثاني جغرافية السودان الادارية

٦٥

الفصل الاول مديريات السودان ومأمورياتها

٧٣

« الثاني مدن مديريات السودان وآثارها

الحزب الثالث

❦ في تاريخ السودان الحديث ❦

صفحة

١	❦ الباب الاول ❦ تاريخ الفتح المصري للسودان ١٨٢١ : ١٨٨١ م
١	الفصل الاول حملة اسماعيل باشا على سنار
١٢	« الثاني حملة الدفتردار على كردوفان
١٣	« الثالث في غدر الملك نمر وقتل اسماعيل باشا
١٧	« الرابع ولاية السودان في الفتح الاول وهم ٢٤ والياً
١٠٩	❦ الباب الثاني ❦ تاريخ الثورة المهدية
١٠٩	الفصل الاول اسباب الثورة المهدية واسباب نجاحها
١١٤	« الثاني بدء سيرة محمد احمد واسباب دعواه المهدية
١٢٧	« الثالث وقائع المهدي في جزيرة أبا سنة ١٨٨١
١٣٠	« الرابع وقائع المهدي في جبل قدير سنة ١ : ١٨٨٢
١٤١	« الخامس وقائع الثورة في جزيرة سنار سنة ٢ : ١٨٨٣
١٥٢	« السادس وقائع الثورة في كردوفان سنة ١٨٨٢
١٥٥	« السابع وقائع المهدي في كردوفان سنة ٢ : ١٨٨٣
١٧٤	« الثامن حملة هكس باشا على المهدي في كردوفان
١٨٥	« التاسع وقائع الثورة في دارفور سنة ٢ : ١٨٨٤
١٩٢	« العاشر وقائع الثورة في بحر الغزال سنة ٢ : ١٨٨٤

صفحة

٢٠٠	عثمان دقنه والثورة في سواكن سنة ٣ : ١٨٨٤	الفصل الحادي عشر
٢١٣	غوردن باشا وحصار الخرطوم سنة ١٨٨٤	« الثاني عشر
٢٣٣	وقائع الثورة في بربر سنة ١٨٨٤	« الثالث عشر
٢٣٨	وقائع الثورة في دنقلة سنة ١٨٨٤	« الرابع عشر
٢٤١	عود الى وقائع الثورة في سنار ٣ : ١٨٨٤	« الخامس عشر
٢٤٤	عود الى غوردن وحصار الخرطوم ١٨٨٤	« السادس عشر
٢٦٨	تاريخ الحملة الانكليزية سنة ٤ : ١٨٨٥	« السابع عشر
٢٨٠	عود ثان الى غوردن وحصار الخرطوم ٤ : ١٨٨٥	« الثامن عشر
٣٠٢	عود الى تاريخ الحملة الانكليزية سنة ١٨٨٥	« التاسع عشر
٣٢٠	عود الى عثمان دقنه والثورة في سواكن ١٨٨٥	« العشرون
٣٢٤	تاريخ الثورة في بلاد كسله ٨٤ : ١٨٨٥	« الحادي والعشرون
٣٤٣	المهدي بعد سقوط الخرطوم سنة ١٨٨٥	« الثاني والعشرون
٣٥٨	وفاة المهدي وصفاته وتعاليمه	« الثالث والعشرون

﴿ الباب الثالث ﴾ خلافة عبد الله التعايشي

٣٩٢	مبايعة عبد الله التعايشي	الفصل الاول
٣٩٨	عود الى حصار حامية كسله سنة ١٨٨٥	« الثاني
٤٠٢	عود الى حصار حامية سنار سنة ٤ : ١٨٨٥	« الثالث
٤١١	وقائع الحدود وام درمان سنة ٥ : ١٨٨٦	« الرابع
٤٢١	كتب التعايشي الى خارج السودان ٦ : ١٨٨٨	« الخامس

صفحة

٤٤٩	الفصل السادس وقائع السودان الغربي سنة ٨٥ : ١٨٩١
٤٦٥	« السابع وقائع السودان الشرقي ٨٥ : ١٨٩١
٤٩٣	« الثامن وقائع الثورة في خط الاستواء ٧٩ : ١٨٨٩
٥٠٥	« التاسع وقائع الحدود ودنقله سنة ٨٦ : ١٨٨٩
٥٢٨	« العاشر وقائع أم درمان وسائر السودان ٨٦ : ١٨٨٩

٥٣٨ ﴿ الباب الرابع ﴾ استرجاع السودان

٥٣٨ الفصل الاول استرجاع طوكر سنة ١٨٩١

٥٤٣ « الثاني استرجاع كسله عن يد التليان سنة ١٨٩٤

٥٤٦ « الثالث وقائع السودان الغربي في عمالة محمود احمد ١ : ١٨٩٦

٥٤٩ « الرابع وقائع ام درمان سنة ١ : ١٨٩٦

٥٦٧ « الخامس استرجاع دنقله سنة ١٨٩٦

٥٩٦ « السادس استرجاع بربر سنة ٧ : ١٨٩٨

٦٠٥ « السابع صفات الخليفة عبد الله واخلاقه وحكومته

٦٣٣ « الثامن استرجاع الخرطوم وسائر السودان سنة ١٨٩٨

٦٧٣ ﴿ الباب الخامس ﴾ خاتمة في السودان المصري والانكازي ٩٨ : ١٩٠٤

٦٨٩ ﴿ ملحق ﴾ تاريخ السودان وجغرافيته

﴿ فهرس الكتاب ﴾ مرتبة فيه المواضيع والوقائع على حروف الهجاء ٧٠٥

— الخريط والاختام والرسوم —

١ . الرسوم

صدر الكتاب	الملاجر جنرال الفريق السر رجينلد ونجت باشا
ص ج	مردار الجيش المصري وحاكم السودان العام
١ ١٦٦	الكونت كليخن
١ ٢٠٢	جمال السودان . حلي السودان
١ ٢٤٤	عادات السود
٢ ١٠٧	محمد بك الملك من سلالة ملوك ارقو
٢ ١١١	الامير عبد الحميد نجل السلطان ابراهيم
٢ ١٣٤	الشيخ الطيب ١٣٥ : ٢ * الخبير علي
٢ ١٤٨	اجناس الايثوبيين على الآثار المصرية
٣ ١	محمد علي باشا مؤسس العائلة المحمدية العلوية
٣ ١١	ملك فازوغي سنة ١٨٢١
٣ ٢٨	ابراهيم باشا ٢٧ : ٣ * عباس باشا
٣ ٣٠	سعيد باشا
٣ ٣٩	اسماعيل باشا الخديوي الاسبق
٣ ٥٣	السر صموئيل باكر واللاادي باكر * والسر صموئيل باكر بلباسه الرسمي
٣ ٦٠	الزير رحمت باشا
٣ ١٠٤	توفيق باشا الخديوي السابق
٣ ١٤٤	عبد القادر باشا حلمي
٣ ١٦٥	الشيخ المضوي ١٤٥ : ٣ * جورجى اسطمبولية
٣ ٢١٣	هكس باشا ١٧٤ : ٣ * غوردن باشا
٣ ٢٤٧	ربال الخلفية * نجمة غوردن . وورق البون في حصار الخرطوم

- ح -

- الجنرال غرنفيل سردار الجيش المصري الاسبق ٣ ٥٢١
- الماجور ونجت مدير قلم المخابرات الحربية سابقاً ٣ ٥٣٩
- سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام الحالي ٣ ٥٤٣
- عباس باشا حلمي الثاني خديوي مصر المعظم ٣ ٥٦٨
- اللورد كتنشر اوف خرطوم سردار الجيش المصري السابق ٣ ٥٧٦
- هنتر باشا * رندل باشا ٣ ٥٧٧
- صعود الوابور فوق الشلال الثاني ٣ ٦٤١
- واقعة ام درمان وهجوم الدراويش على الزريبة ٣ ٦٤٣
- واقعة فركة ٥٧٩ : ٣ * واقعة ام درمان . الهجوم الثاني ٣ ٦٠٧
- الامير محمود اسيراً ٦٠٤ : ٣ * اولاد المهدي والخليفة ٣ ٦٤٧
- رسم قبة المهدي ٣ ٦٧٢
- سراي الخرطوم سنة ١٩٠٢ ٣ ٦٧٥
- عباس باشا حلمي الخديوي الحالي والماجور جنرال الفريق السر { رجينلد ونجت باشا يخطبان امام سراي غوردن في الخرطوم } ٣ ٦٧٦
- اللورد كتنشر اوف خرطوم يفتتح كلية غوردن ٣ ٦٧٧
- اللورد كرومر معتمد دولة انكلترا السياسي وقنصلها الجنرال في مصر ٣ ٢٤٨
- ٢ ١٤٨ ختم السلطان حسين . دارفور
- ٢ ١٤٨ ختم السلطان يوسف . وداي
- ٣ ٢٤٧ اختتام المهدي والخليفة والامير محمود وعثمان دقنه
- ٣ ٢١٣ خارطة الخرطوم وام درمان
- آخر الكتاب خارطة السودان والحبشة

٠٢ . الاختتام

٠٣ . الخرط

دياجمة الكتاب

سبب تأليفه قدّر الله سبحانه لي السفر الى هذا القطر السعيد بعد انطفاء الثورة
العراية فيه واشتعال الثورة المهدية في السودان في اواخر سنة ١٨٨٤ . وكان الانكليز
قد جرّوا حملة بقيادة اللورد ولسلي لاتقاذ الجنرال غوردن من حصار الخرطوم .
وكنت قد اتممت دروسي العلمية في المدرسة الكلية الانجيلية السورية في بيروت وانا
اذ ذاك في عنفوان الشباب ويلد لي اقتحام الاخطار فانتظمت في قلم المخبرات ورافقت
الحملة الى كورتي وآبار الجكدول وعدت الى مصر بجمعية اللورد ولسلي في اوائل سنة
١٨٨٥ . ثم دُعيت الى مكتب قومندانة الجيش الانكليزي في اسوان فقضيت
فيه سنتين ورجعت عند رجوع هذا الجيش من الحدود سنة ١٨٨٧ . وبقيت الى
ان دخلت قلم مخبرات الجيش المصري بالقاهرة سنة ١٨٨٩ فصحبته لاسترجاع طوكر
سنة ١٨٩١ . ثم لاسترجاع دقلة سنة ١٨٩٦ . ثم لاسترجاع الخرطوم سنة ١٨٩٨
وشهدت معه جميع الوقائع التي حصلت في هذه الفتوحات كما بينته في مواضعه
فشوقني ذلك كله الى معرفة تاريخ السودان وجغرافيته معرفة وافية فتصفحت
كتب التاريخ والسياحات التي تبحث في السودان صريحا او عرضا من قديمة
وحديثة افرنجية وعربية مطبوعة وغير مطبوعة . ومازجت الاهلين على اختلاف
طبقاتهم واجناسهم في مصر والسودان فاخترت عاداتهم واخلاقهم واخذت عن
ثقافتهم ما علموه من تاريخ بلادهم مما خبروه بانفسهم او حفظوه عن آباءهم حتى انه
لم يكذبني اثار عن السودان في ذاكرة اهله او في الكتب الا اطلعت عليه واثبتته
في محفوظاتي الخاصة . فاجتمع عندي مطول ضخمة جامع كل ما ترام معرفته عن احوال
السودان مما لا يوجد في كتاب واحد من الكتب العربية او الافرنجية بل ليس
منه في العربية الا رسائل متفرقة او نبذ خاصة من مباحث التاريخ او الجغرافية
هذا ولما كان للسودان العلاقة الشديدة بمصر وكان له معها شأن في كل دور

من ادوار التاريخ حتى انه لا يتم تاريخ مصر الا باتمام تاريخ السودان . وقد دخل السودان الآن في طور جديد تحفّق فوقه الرايتان الانكليزية والمصرية وتولاه حكومة منظمة قوية باسم « السودان الانكليزي المصري » . واهتم الكثير من سكان هذا القطر وغيره للوقوف على حقيقة حال السودان بقصد المهاجرة اليه او المتاجرة فيه . وكان لادباء السودان واع شديد في حفظ آثارهم والوقوف على تاريخ بلادهم ولم يتسنّ لاحد منهم ادراك هذه الامنية — لذلك كله رأيت ان اخلص مما جمعت كتاباً وافياً في تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ومما تهتم الجمهور معرفته ويجمل بالمدارس اقتناؤه

﴿ اجزاؤه ﴾ فاغتنتمت فرص الفراغ الثمينة ووضعت هذا الكتاب في ٣ اجزاء :

﴿ الجزء الاول ﴾ في جغرافية السودان الطبيعية . والادارية . والمدنية . مع ذكر عادات اهلهم واخلاقهم وخرافاتهم . كل موضوع في باب

﴿ الجزء الثاني ﴾ في تاريخ السودان القديم ويشمل تاريخ اثيوبيا . والنوبة . والبجة . وسنار . ودارفور . كل تاريخ في باب

﴿ الجزء الثالث ﴾ في تاريخ السودان الحديث ويشمل تاريخ الفتح المصري . والثورة المهدية . واسترجاع السودان . كل تاريخ في باب (اما الحبشة فقد افردت لها مؤلفاً برأسه) وقد جعلت تحت كل باب فصولاً وتحت كل فصل بنوداً وعينت عناية تامة بترتيب الابواب والفصول والبنود وتنسيق الوقائع والمواضيع فيها على نسق خاص وافى حتى انه لم يبق مطلب من مطالب التاريخ والجغرافية الا اتيت على ذكره في محله اجمالاً او تفصيلاً حسبما اقتضاه المقام . واما وقائع التاريخ فقد اتيت على ذكرها عصرًا عصرًا في حلقات متصلة كأنها سلسلة واحدة من اول عهد التاريخ الى اليوم ﴿ مستنداته ﴾ وقد بذلت اقصى الجهد في تحري الحقيقة وتقرير الواقع في كل ما كتبت فلم اثبت خبراً او امراً الا كنت قد شهدت بعيني او خبرته بنفسى او اخذته عن اثر او تاريخ من الآثار والتواريخ المشهورة او عن ثقة او اكثر من الثقات المعروفين من اهل السودان او ممن عاشوا في السودان زماناً طويلاً

أما التاريخ القديم فقد اقتطفته نبذة نبذة أو جملة جملة من كتب المؤرخين القدماء والمحدثين الذين اعتمدوا في ما كتبوه على الآثار القديمة . ما عدا تاريخ دارفور القديم فاني اخذته برأيه عن بعض ثقاتها * وأما التاريخ الحديث والجغرافية فقد اعتمدت في معظم ما كتبت على محفوظاتي الخاصة واستقصائي الشخصي من ثقات يعدون بالمئات . وكنت اذا اختلف الرواة في امر ما اجمعهم في مكان واحد واستقصي الحقيقة منهم جميعاً وكثيراً ما اجتمع عندي لحادثة واحدة بعضة عشر رجلاً من روايتها حتى اذا ما قضوا اياماً متوالية في المحاورة والمذاكرة تدبرت ما اجمعوا عليه فاذا لم يتفق مع ما ثبت لي من الحقائق او لم يطابق احكام العقل والعادة استأنفت البحث مع جماعة آخرين حتى اظفر بالحقيقة فاثبتها . وقد تحدت هذه الخطة منذ عقدت النية على اصدار هذا الكتاب قبيل حملة دنقلة سنة ١٨٩٦ . واتفق اني بعد ان عانيت المشاق في تحرري الحقائق على النمط المشار اليه ظفرت « بسيرة المهدي » للشيخ اسماعيل عبدالقادر الذي تحرري الوقائع في السودان كما تحررتها في مصر . ثم شهدت واقعة ام درمان وفزت بكتب المهدي والخليفة وامرائها فتصفحتهما كتاباً كتاباً فاذا هي والسيرة مصدقتان لما اثبتته من حقائق الثورة كل التصديق * وفي ذيل هذه الديباجة بيان في اشهر المستندات واعظم الثقات الذين اخذت عنهم في اسلوبه ولقته * وقد وضعت الكتاب على اسلوب مجمل سهل العبارة جزلها تفهمه العامة وترضى به الخاصة وضمنته الكثير من النوادر واللائف التاريخية والتقليدية لتحسن مطالعته ويسهل حفظه

(الرسوم والخرط والاختام) وحليته برسوم المشاهير من اهل السودان وغيرهم ممن لهم علاقة بالسودان . مع اختتام بعضهم . وصور بعض الوقائع والامكنة الشهيرة . وخارطة عامة شاملة لاهم البلاد المذكورة في التاريخ والجغرافية مع ما حولها من البلاد المجاورة لها كالحبشة وبلاد العرب وسورية والعراق ووداي وولاية الكونغو الحرة (فهرسه) وجعلت للكتاب فهرسين فهرساً في اوله ذكرت فيه المواضع والوقائع حسب ابوابها وفصولها مع ذيل في اسماء الخرط والرسوم والاختام . وفهرساً

في آخره ذكرت فيه المواضيع والوقائع والاعلام على ترتيب حروف الهجاء
﴿ اسمه ﴾ وبعد ان تم على هذا المنوال سميت باسم موضوعه اي :
﴿ تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ﴾ فجاء بعونه تعالى كتاباً عاماً ومعجماً
وافياً فيه كل ما تلد مطالعته وتهتم معرفته عن احوال السودان من تاريخ وجغرافية
 وآداب وفكاهة ورياضة مما يناسب الخاصة والعامة المدارس والجمهور

﴿ مغزاه ﴾ وقد جاء في تاريخه من المواقظ والعبر للامة والافراد ما يرى في
تاريخ كل بلاد اشتهر امرها وقدم عهدا وهو : ان الجهل وتفرق الكلمة من اكبر
دواعي الضعف والانحلال . وان العدل قوام الملك ولن يثبت ملك مؤسس على
الظلم والفساد . وان الباطل لا يدوم مع الزمان ولا يدوم مع الزمان الا الحق * بل
ترى فيه هذه المواقظ والعبر بابلغ معانيها واعظم صورها ولا سيما في الثورة المهدية
﴿ تقدمته ﴾ هذا ولما كان الفضل الاعظم في حصولي على الكثير من حقائق
هذا الكتاب عائداً الى قلم مخبرات الجيش المصري في عهد مديره السابق الماجور
ونجت وهو الماجور جنرال الفريق السررجينلد ونجت باشا سردار الجيش المصري
وحاكم السودان العام الحالي وكان لهذا النابغة المآثر الحسان في استرجاع السودان
وله فيه الآراء السديدة والتأليف العديدة وقد شملني بعنايته الشريفة فسهّل عليّ
عناء التأليف — رأيت ان اجعل كتابي هذا مقدمة له اشعاراً بجميل عنايته واعجاباً
بحسن ما أثره فاستأذنته في ذلك فتكرم بقبول المقدمة بعبارة هذه ترجمتها :

« يسرّني جداً ان اقبل مقدمة هذا الكتاب الذي لا اشك في انه سيكون
تحفة سنية للمعارف السودانية » * فعسى انه يحقق ظنه الكريم به ويقع لدى جميع
اهل الادب ونحبي الحقيقة موقع القبول

﴿ ختام ورجاء ﴾ وفي الختام اسأل حضرات المطلعين عليه الكرام ان ينبهوني
الى اي خطأ يرونه فيه لاصححه في طبعة ثانية فاني لست اضمن نفسي من الخطاء
ولو اني بذلت في ضبطه وتصحيح روايته جهدي فان العصمة لله وحده وهو المتفرد
بالعلم والكمال

« نعوم شقير »

مصر القاهرة في ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٠٣



مستندات الكتاب



مستندات تاريخ ايثيوبيا : الجزء الثاني الباب الاول

﴿ التوراة ﴾ وا قدم اسفارها اسفار موسى الخمسة التي كتبت في القرن ال ١٥ ق م
﴿ تاريخ هيرودوتس ﴾ المؤرخ اليوناني الشهير الذي عاش في القرن الخامس ق م
﴿ تاريخ ديودورس الصقلي ﴾ من اهالي سيسيليا الذي زار مصر سنة ٥٧ ق م
﴿ مؤلف سترابو الروماني ﴾ وهو اشهر علماء الجغرافية الاقدمين . ولد سنة

٥٤ ق م وتوفي سنة ٢٤ ب م

﴿ تاريخ يوسفوس ﴾ المؤرخ اليوناني المعروف الذي ظهر سنة ٧٤ ب م
﴿ الدكتور ريتشارد ليسيوس ﴾ السائح الالماني الذي ارسله الملك فردريك
الرابع سنة ١٨٤٢ ب م في ارسالية علمية في النيل فهد سفرته الى ما وراء سنار
﴿ التاريخ العام . بالانكليزية ﴾ ألفته لجنة من العلماء سنة ١٧٤٩ معتمدة في
مصادرها على المؤرخين القدماء مثل هيرودوتس وسترابو وبليني وبروكوبيوس وغيرهم
﴿ تاريخ مصر . بالانكليزية ﴾ سنة ١٨٥٩ للمؤرخ الانكليزي المدقق المستر
صموئيل شارب وقد اعتمد في كتاباته على المؤرخين القدماء والآثار المصرية
﴿ العقد الثمين . بالعربية ﴾ سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٢ م للاديب احمد بك كمال
سكرتير الاثنيكخانة الخديوية وقد اعتمد فيما كتبه على الآثار المصرية واشهر مؤلفي العصر
﴿ فجر العمران ﴾ سنة ١٨٩٤ للموسيو مسبرو الاثري الفرنسي الشهير وقد
اعتمد في كل ما كتبه على الآثار المصرية

﴿ دليل مصر . بالانكليزية ﴾ سنة ١٨٩٦ للمستر مري السائح المصري الانكليزي
﴿ الانسكلوبيديا البريطانية ﴾ الحديثة

مستندات تاريخ النوبة والبجة : الجزء الثاني الباب الثاني والثالث

﴿ تاريخ المسعودي ﴾ هو ابو الحسن علي بن حسين المسعودي توفي سنة
٣٤٦ هـ ٩٥٨ م . كان مقامه ببغداد واقام بمصر زمناً

﴿ تاريخ بديع الزمان الهمذاني ﴾ المشهور توفي سنة ٣٩٩ هـ ١٠٠٩ م
 ﴿ تاريخ ابن الاثير ﴾ المؤرخ العربي الشهير الذي ولد سنة ٥٥٥ هـ بجزيرة
 ابن عمر بالعراق وتوفي سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٣ م بالموصل واسم تاريخه الكامل
 ﴿ تاريخ ابي الفداء ﴾ صاحب حماه ولد سنة ٦٧٢ هـ وتوفي سنة ٧٢٣ هـ ١٣٢٤ م
 ﴿ تاريخ ابن خلدون ﴾ المشهور ولد ٧٣٢ هـ وتوفي في تونس ٨٠٨ هـ ١٤٠٦ م
 ﴿ تاريخ المقرئزي ﴾ لاحمد بن عبد الصمد تقي الدين المقرئزي ولد سنة ٧٦٦ هـ
 وتوفي سنة ٨٤٥ هـ ١٤٤٢ م وهو بعلبكي الاصل واسم كتابه المواعظ والاعتبار بذكر
 الخطط والآثار في مصر القاهرة والنيل وقد نقل اكثر اخباره في النوبة والبجة عن
 كتاب المؤرخ عبدالله بن سليم الاسواني المفقود
 ﴿ تاريخ مصر لابن اياس ﴾ وهو العلامة المؤرخ محمد بن احمد بن اياس
 الحنفي المصري وقد وصل في تاريخه المشهور « بدائع الزهور في تاريخ الدهور »
 الى سنة ٩٢٨ هـ ١٥٢٢ م وتوفي سنة ٩٣٠ هـ تقريباً

﴿ مستندات تاريخ سنار القديم والفتح المصري : الجزء الثاني الباب الرابع ﴾
 ﴿ الجزء الثالث الباب الاول ﴾

﴿ تاريخ عبد الدافع . خط ﴾ ويشمل تاريخ سنار القديم والفتح المصري ومؤلفه
 ابراهيم عبد الدافع من الفتيحاب الجعليين توفي في حصار الخرطوم سنة ١٨٨٤ وعاش
 مئة سنة واكثر . وقد عاصر آخر ملوك سنار وكتب عن اختبار
 ﴿ تاريخ الزبير ود ضوؤه . خط ﴾ ويشمل تاريخ سنار القديم والفتح المصري
 والمؤلف من اهل الخرطوم وقد ألف كتابه بعد اطلاعه على تاريخ عبد الدافع
 واهتديت على النسخة الاصلية بعد فتح ام درمان سنة ١٨٩٨
 ﴿ رحلة بورخارت . الطبعة الانكليزية ﴾ هو السائح الالماني المشهور الذي ساح
 في بلاد النوبة وسنار سنة ١٨١٣ : ١٨١٤ م
 ﴿ رحلة الموسيو كايو . بالفرنسية ﴾ هو السائح الفرنسي الذي رافق اسماعيل
 باشا لفتح سنار سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢١ م

﴿ سيرة السرموئيل باكر . بالانكليزية ﴾ وقد كتب سيرته صديقان له ١٨٩٥ م
 ﴿ الزير رحمت باشا ﴾ فاتح بحر الغزال ودارفور وقد اخذت عنه سيرته بنفسه ١٩٠٠ م
 مستندات تاريخ دارفور القديم : الجزء الثاني الباب الخامس

﴿ تاريخ دارفور . بالفرنسية ﴾ للدكتور برون المطبوع سنة ١٨٣٢ م عن تاريخ
 الشيخ محمد عمر التونسي الذي زار دارفور سنة ١٢١٨ هـ ١٨٠٤ و اقام فيها ٨ سنوات
 ﴿ الشيخ محمد الطيب ﴾ ابن الشيخ الامام محمد بن التنبكي الملاوي من اعيان
 دارفور الذين أتى بهم الى مصر بعد الفتح سنة ١٩٠٣
 ﴿ علي بك الخبير ﴾ من اعيان تجار دارفور . وقد عاصر بعض سلاطين الفور المتأخرين

مستندات تاريخ الثورة المهدية : الجزء الثالث الباب الثاني
 ﴿ تاريخ الحملة النيلية . بالانكليزية ﴾ للكولونل كولفل الذي رافق الحملة النيلية و ألف
 فيها كتاباً بمجلدين طبع سنة ١٨٨٩ م
 ﴿ تاريخ مصر الحديث ﴾ لمؤلفه المؤرخ المصري جورج افندي زيدان صاحب
 مجلة الهلال الذي رافق الحملة النيلية الى التمة وشهد واقعة ابي طليح ونشر تاريخه ١٨٨٩
 ﴿ تاريخ الحملة السودانية ﴾ لمؤلفه النبيل جبرائيل بك حداد وفيه تاريخ الثورة
 السودانية الى واقعة طوشي سنة ١٨٨٩

﴿ تاريخ المهديّة والسودان المصري . بالانكليزية ﴾ سنة ١٨٩١ للماجور ونجت مدير
 قلم المخابرات (سردار الجيش المصري و حاكم السودان العام الآن) وهو تاريخ
 نفيس استند مؤلفه فيه الى المحررات الرسمية واختباره الشخصي لانه حضر جميع
 الوقائع التي جرت بين الجيش المصري والدراويز و وصفها وصفاً حرياً دقيقاً
 ﴿ كتاب أسرار سنين في معسكر المهدي ﴾ وهو سيرة الاب اوهرولدر من خيار
 المسلمين النمساويين في السودان وحبرها بالانكليزية للماجور ونجت المنوّه به سنة ١٨٩٢
 ﴿ كتاب النار والسيوف في السودان ﴾ وهو سيرة السر رودلف سلاطين باشا الشهير
 في السودان . دّبجها بالانكليزية للماجور ونجت المشار اليه سنة ١٨٩٦
 ﴿ كتاب المستهدي الى سيرة الامام المهدي . خط ﴾ للشيخ اسماعيل عبد القادر

الكردوفاني وقد ذكرت السيرة ومؤلفها في موضعها من الكتاب وهي من انفس السير
 ﴿ كتب الخليفة والمهدي ﴾ التي ظفرت بها في أم درمان بعد فتحها سنة ١٨٩٨
 ﴿ كتاب السودان بين يدي غوردن وكتشتر ﴾ سنة ١٩٠٢ لابراهيم باشا فوزي
 ﴿ عبد القادر باشا حلمي ﴾ الشهير وهو الثالث والعشرون من ولاية الفتح الاول
 ﴿ محمد نصحي باشا المصري ﴾ من كبار ضباط حصار الخرطوم سنة ٤ : ١٨٨٥
 ﴿ خشم الموس باشا الشاقي ﴾ من رجال حصار الخرطوم الباشوزق سنة ٤ : ١٨٨٥
 ﴿ محمد بك السيد الشاقي ﴾ الذي اشتهر في حصار انقلابات سنة ٤ : ١٨٨٥
 ﴿ عثمان بك لطيف ﴾ وكيل خط الاستواء الذي حضر الى مصر مع ستلي ١٨٨٩
 ﴿ البكباشي احمد افندي سليمان ﴾ من رجال جيش دنقله الذين خدموا في الحملة النيلية
 ﴿ محمود افندي المحلاوي ﴾ جعفري من بلاد اسنا لجأ الى السودان فراراً من
 العسكرية ثم لحق بأولاد الملك نمر على حدود الحبشة ثم بالنهضة في كردوفان وبقي
 الى ان سمي ناظرًا لمنع الرقيق في بحر الغزال حيث وقع في اسر الدراويش وأتى الى
 الخرطوم ففر منها الى مصر سنة ١٨٩١ وتوفي في دنقله سنة ١٨٩٧

﴿ الشيخ محمد شريف باشا ﴾ استاذ المهدي وقد قابلته مرتين بعد الفتح الاخير
 ﴿ الشيخ المضوي عبد الرحمن ﴾ من ذرية الشيخ ادريس ومن تلامذة الازهر
 النابغين وقد كان في جملة من حصر غوردن في الخرطوم ثم نجابنفسه الى مصر ١٨٨٩
 ﴿ الشيخ محمد خدام ﴾ شيخ الحمر من اسراء واقعة طوشكي سنة ١٨٨٩
 ﴿ السيد اسماعيل الازهري ﴾ نجل السيد احمد الازهري الكردوفاني سنة
 ١٨٩٨ * ومئات غيرهم من الثقات من اهل السودان أو ممن عاشوا فيه زماناً طويلاً

مستندات الجغرافية : الجزء الاول

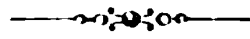
﴿ جغرافية محمد امين فكري بك ﴾ بالعربية وهي جغرافية نفيسة للقطر المصري •
 طبعت في مصر سنة ١٢٩٦ هـ ١٨٧٩ م
 ﴿ جغرافية ركلي ﴾ بالفرنسية وهو من اشهر جغرافيين هذا العصر وقد طبعت
 جغرافيته سنة ١٨٨٥ م * ومئات من ثقات اهل السودان اهمهم من ذكرنا قبل *

جغرافيا السودان

في

جغرافية السودان

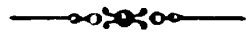
(وفيه اربعة ابواب)



VOLUME I

THE GEOGRAPHY OF THE SUDAN

(IN FOUR PARTS)



الباب الأول

في

جغرافية السودان الطبيعية

...

الفصل الأول

في

حدود السودان

السودان في اللغة السود ويطلق ايضاً على بلاد السود . وقد اطلقه العرب بعد الاسلام على الممالك الافريقية الاسلامية الواقعة في المنطقة المتوسطة التي الى جنوب الصحراء الكبرى و صحراء نوبيا فيما بين الحبشة وسنغميا . وتشمل ممالك سنار ودارفور ووداي وياجري وكانم وبرنو وسوكوتو وملي من الشرق الى الغرب اما السودان الذي فيه كلامنا فهو السودان المصري المعروف الآن بالسودان الانكليزي المصري * وحدته من الشمال خط ٢٢° من خطوط العرض الشمالي الى الشمال من حلفا . ومن الجنوب بلاد اوغندا التابعة لانكلترا على خط ٥° من خطوط العرض الشمالي تقريباً . ومن الشرق البحر الاحمر وبلاد الاثريا وبلاد الحبشة . ومن الغرب والجنوب الغربي الصحراء الكبرى وبلاد وداي والجبال المتوسطة بين نهر الكونغو وبحر الغزال . وهو على شكل غير منتظم طوله من الشمال الى الجنوب نحو ١٢٠٠ ميل ومعظم عرضه من الشرق الى الغرب نحو ١٠٠٠ ميل

الفصل الثاني

في

﴿ نيلها ﴾

﴿ النيل الايض ﴾ ويخترق هذه البلاد من الجنوب الى الشمال نهر النيل العظيم وله مصادر كثيرة أهمها مصدران النيل الايض والنيل الازرق . اما النيل الايض فيخرج من بحيرات ثلاث في اواسط القارة اكبرها بحيرة فكتوريا نيانزا عند خط الاستواء فيخرج منها نهرٌ ويجري الى الشمال الغربي متعرجاً نحو ٢٩٠ ميلاً فيصب في بحيرة ألبرت نيانزا في شماليها . ويصب في جنوبها نهرٌ آخر آتٍ من بحيرة ألبرت ادوارد نيانزا طوله ١٨٠ ميلاً . ثم يخرج النيل من بحيرة ألبرت نيانزا ويجري شمالاً في بلاد خط الاستواء باسم بحر الجبل أو بحر الرّجاف مسافة ٤٧٠ ميلاً فيتفرّع منه بحرٌ يُعرف ببحر الزراف ويسير البجران شمالاً منفرجين الى ان يبلغا عرض ٩° ويكون الرّجاف على نحو ٢٠٠ ميل من نقطة انفراج الزراف عنه فيلتقي ببحر الغزال وهو بحرٌ كبيرٌ آتٍ من الجنوب الغربي مؤلفٌ من عدّة ابحرٍ اشهرها بحر العرب . ثم يسير النيل شرقاً مسافة ٤٥ ميلاً فيقترن ببحر الزراف ويسير ٢٥ ميلاً اخرى فيقترن ببحر سُبت الآتي من الجنوب الشرقي . ثم يجري النيل الايض شمالاً ٥٠٠ ميل ونيف من مصب نهر سُبت و ١٥٣٠ ميلاً او حواليها من مخرجه الاول من بحيرة فكتوريا فيلتقي بالنيل الازرق عند مدينة الخرطوم

﴿ النيل الازرق ﴾ اما النيل الازرق فيخرج من بحيرة تسانا في وسط الحبشة ويجري منها الى الجنوب حتى يكون على عرض ٤٠° ٩° فينقلب نحو الشمال الغربي الى ان يدخل بلاد سنار ويكون على ١٦٠ ميلاً من الخرطوم فيصب فيه نهر الدّرّندر . ثم يسير ٢٠ ميلاً فيصب فيه نهر الرّهد . وكلاهما يأتيانه من جبال غربي الحبشة ويجفّان في الصيف . ويسير النيل الازرق الى ان يلتقي بالنيل الايض عند الخرطوم بعد مسيرة ٨٤٦ ميلاً من بحيرة تسانا التي خرج منها

﴿ النيل الكبير ﴾ ثم يسير النيل الكبير الى اب ينتهي الى قرية الدامر على ١٨٠ ميلاً من الخرطوم فيلتقي بنهر الاتبرا وهو نهر غزير سريع الجري مؤلف من عدة نهيرات آتية من جبال الحبشة الشمالية ويجف بهبوط النيل مدة ستة اشهر . ومن هناك يجري النيل شمالاً في بلاد لا يصيبها المطر الا نادراً فلا يصادف نهراً أو جدولاً معروفاً الى ان يصب في البحر المتوسط . وعند وصوله الى بلدة ابي حمد بعد مسيرة ١٤٠ ميلاً او نحوها من مصب الاتبرا ينعطف نحو الجنوب الغربي الى جهة مخرجه كأنه يحن الى اصله ويسير كذلك متعرجاً مسافة نحو ١٩٤ ميلاً فيصل بلدة الدبة . ثم يستأنف السير شمالاً على تعرجه مسافة ٥٨٥ ميلاً من الدبة ويدخل مصر عند مدينة اسوان

﴿ الدلتا ﴾ ويجري النيل في ارض مصر حتى ينتهي الى مكان يقال له بطن البقرة على بعد ١٥ ميلاً من القاهرة و ٦٠٥ اميال من اسوان فينقسم شطرين احدهما يميل نحو الشرق فيصب في البحر المتوسط بقرب مدينة دمياط والآخر يميل نحو الغرب فيصب فيه عند مدينة رشيد . ويتكوّن من هذين الشطرين مع البحر مثلث سماه اليونان الدلتا لمشابهته لحرف الذال عندهم وسماه العرب روضة البحرين لكثرة خصبه . وطول قاعدة هذا المثلث نحو ٨٥ ميلاً وعلوه ٩٠ ميلاً وطول احد شطريه نحو ٩٩ ميلاً * فيكون طول النيل على وجه التقريب من مصدره من بحيرة فكتوريا نيانزا الى مصبه في البحر المتوسط ٣٣٣٣ ميلاً وهو اطول انهار الدنيا الا نهر امازون في امريكا الجنوبية فانه اطول من النيل بنحو ٦٦٧ ميلاً الا ان النيل الذي تاريخاً واقدام آثاراً واعظم شأنًا من نهر امازون بل من جميع انهار الدنيا

﴿ فيضان النيل ﴾ ويفيض النيل ثم يهبط ثم يعود الى الفيض كل سنة في اوقات معلومة . وسبب فيضه نزول الامطار الغزيرة على الجبال المجاورة لمصادره . وبدأ النيل الايض بالفيض قبل النيل الازرق فيظهر الفيض فيه عند الخرطوم في اواخر مايو ولكن لا يبلغ معظمه الا في اوائل سبتمبر . واما النيل الازرق

فيظهر الفيض فيه عند الخرطوم في اواخر يونيو وكذلك الاتبرا ويبلغ معظم الفيض في اواخر اغسطس . واما النيل الكبير فيظهر الفيض فيه عند حلفا في اوائل يونيو ويصل الى معظم الفيض في اوائل سبتمبر ثم يعود الى النقصان فينقص تدريجاً كما ارتفع الى اوائل يونيو فيعود الى الزيادة وهكذا على توالي السنين . ومعدل زيادة النيل في السنة نحو ٢٦ قدماً فاذا زاد عن ذلك الى ٢٨ قدماً سبب غرقاً واذا قصر عنه الى ٢٢ قدماً سبب جوعاً . وعند آخر حده في النقصان يخضر ماؤه ويتغير طعمه فيقرب من طعم الماء المستنقع . وقد قدروا ان الباقي فيه من الماء اذ ذاك لا يزيد على $\frac{1}{4}$ مما يكون فيه عند معظم الفيض

﴿مقاييس النيل﴾ وقد جعلوا للنيل منذ القديم مقاييس في اماكن خاصة في مجراه لمعرفة مقدار الزيادة والنقصان فيه على مدار السنة . واشهر هذه المقاييس : «مقياس الروضة» في جزيرة الروضة تجاه مصر القديمة وهو مقياس قديم من عهد الخلفاء الامويين وانما رُمم في هذا العهد

«ومقياس اسوان» في الجانب الشرقي من جزيرة ألفتين تجاه مدينة اسوان وهو قديم العهد ايضاً وينسب الى زمن البطالسة اي منذ الف سنة ونيف هجر مدة من الزمان ثم جدد سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٧٠ م) في ايام المغفور له اسماعيل باشا الخديوي الاسبق بهمة المرحوم محمود باشا الفلكي . وقد رأيت هناك اياتاً منقوشة على حجر في الحائط تدل على تاريخ هذا العمل وهي :

حق على اسوان تبدي شكرها	لمليك مصر الداوري اسماعيل
أحيا بها المقياس بعد ذهابه	بتجدد التقسيم والتفصيل
من بعد الف وهو في حجب الثرى	أبدى معالمة بخير دليل
الماهر الفلكي محمود الذي	جلت معارفه عن التمثيل
أبقى التقاسيم التي وجدت به	وبغيرها حلا للتعديل
قالت له اسوان في تاريخها	أرقت بالمقياس بحر النيل

«ومقياس حلفا» على شاطئ النيل الشرقي في معسكر حلفا وهو حديث النشأة

بناهُ ودهوس باشا اذ كان محافظاً للحدود سنة ١٨٨٩ م بارشاد من المستر ولكوكس من رجال الري بمصر . وقد رأيتُه حديثاً فاذا هو عبارة عن سلمٍ عادي قائم بين حائطين من الحجارة المنحوتة وفي رأس السلم حجر من الرخام منقوش عليه تاريخ انشاء المقياس واسم منشئه * وبعد الفتح الاخير للسودان انشأت الحكومة عدة مقاييس وقيّة في جهات مختلفة على النيل الكبير والنيلين الايض والازرق اهمها : «مقياس بربر» على النيل الكبير . «ومقياس ام درمان» على النيل الايض . «ومقياس الخرطوم» تحت سراي الخرطوم على النيل الازرق . ولا بد من ابدال هذه المقاييس بمقاييس ثابتة قريباً لشدة لزومها

﴿ سرعة النيل ﴾ اما سرعة مجرى النيل فتختلف فيه وفي فرعيه بالنسبة الى درجة الفيض . فهو يزداد سرعة كلما ازداد فيضاً . ففي الساعة الواحدة يجري النيل الازرق ٣ اميال في زمن التحريق وستة اميال أو أكثر في زمن الفيض . والنيل الايض ميلاً واحداً أو اقل في التحريق وميلين ونصف ميل في الفيض . والنيل الكبير ميلاً ونصف ميل في التحريق و ٣ اميال أو أكثر في الفيض . فيكون النيل الازرق اسرع جرياً من النيل الايض والنيل الكبير لان بحيرة تسانا التي يخرج منها النيل الازرق تعلو ٥٨٠٠ قدم عن سطح البحر مع ان أعلى بحيرات النيل الايض التي هي بحيرة فكتوريا نيانزا لا يزيد علوها عن ٣٩٠٠ قدم عن سطح البحر . والنيل الازرق يحرف في طريقه التراب الذي تتكون منه ارض مصر

﴿ اتساع النيل ﴾ واما اتساع النيل في معظم الفيض فيختلف باختلاف الاماكن فتوسط اتساع النيل الازرق ٥٥٠ يرداً ولا يزيد عن ٧٧٠ يرداً في أي مكان كان . ومتوسط اتساع النيل الايض ١٨٦٠ يرداً وهو في اماكن كثيرة ٣٨٠٠ يرد ونيف فتراهُ أشبه بالبحيرة منه بالنهر . اما النيل الكبير فيختلف اتساعه من ٥٠٠ يرد (وهو اتساعه عند كوبري قصر النيل) الى ١٠٠٠ يرد بل قد يضيق في بعض الاماكن حتى لا يزيد اتساعه عن ٢٠٠ يرد

﴿ ضفتا النيل ﴾ واما ضفتا النيل الازرق فتوسط ارتفاعها من ٣٠ : ٣٥ قدماً

عن سطح الماء في ابان التحاريق . والفرق بينه وهو في أعلى ارتفاعه وبينه وهو في اشد انخفاضه نحو ٢٢ قدماً حتى لقد يصبح في زمن التحاريق سلسلة من البرك متصلة بعضها ببعض بماء ضحاح لا تكاد أصغر المراكب تمر عليها . واما ضفتا النيل الايض ولاسيما الغربية منهما فعلى غاية الانخفاض اذ لا يزيد متوسط ارتفاعها على مترين ونصف متر الى ٣ امتار عن سطح الماء في ابان التحاريق ولذلك فمأوه في زمن الفيض يغمر ضفتيه الى مسافة بعيدة يميناً وشمالاً في البر ولا يمكن ادناء السفن من ضفتيه والنزول عليها الا في اماكن معلومة تعرف بالمشارع لأن الماء ضحاح فيها والفرق بينه وهو في أعلى ارتفاعه وبينه وهو في اشد انخفاضه ٦ اقدام . واما ضفتا النيل الكبير من الخرطوم الى اسوان فمرتفعتان فلا يعلوهما النيل مهما اشتد فيضه الا في بعض المواضع في بلاد بربر ودقلا . لذلك لا يحتاج اهله الى عمل السدود كما في مصر

﴿ ماء النيل ﴾ وقاس لينان مقدار ما ينصب من مياه النيل عند الخرطوم في الثانية فوجد انه ينصب من مياه النيل الازرق ١٥٩ متراً مكعباً في ايام تحاريقه و ١٦٠٤ امتار مكعبة في ايام فيضانه . وينصب من مياه النيل الايض ٢٧٩ متراً مكعباً في ايام تحاريقه و ٥٩٠٧ امتار مكعبة في ايام فيضانه . وعليه تكون مياه النيل الايض أغزر في التحاريق وأقل في الفيضان من مياه النيل الازرق وتكون أكثر مياه النيل الكبير من النيل الايض كما ان أكثر تربته التي تتكون منها ارض مصر هي من النيل الازرق . هذا ولون ماء النيل قبل اقترانه بنهر سبت اخضر مائل الى السمرة . ثم يقترب بماء سبت الاصفر اللون فيصبح لونه من سبت فنازلاً أبيض ضارب الى الصفرة ولذلك سموه النيل الايض . واما ماء النيل الازرق فهو اسمر خمرى في زمن الفيض وازرق سماوي في زمن التحاريق فلذلك سمي النيل الازرق . ثم ان ماء النيل الايض غير صالح للشرب كما النيل الازرق بالنسبة لما فيه من المواد النباتية المستنقعة التي تسبب الديزنتاريا والحيات . ولذلك فان اهل النيل الايض قلما يشربون منه فهم يحفرون الابار ويشربون منها

﴿شلالات النيل﴾ ويمر النيل في سيره من الجنوب الى اسوان بعدة جنادل تُعرف بالشلالات وهي مجتمع صخور كبيرة وجزر صغيرة تعترض مجراه . والشلالات نوعان اما صغيرة يغمرها النيل عند فيضيه فتسير السفن من فوقها مدة الفيض حتى اذا ما نزل النيل وانكشفت الشلالات مرّت السفن من مضائق معلومة فيها تُعرف بالابواب . واما كبيرة لا يغمرها النيل كلها مهما اشتدّ فيضهُ فتمرّ السفن في ابوابها وذلك في ايام معدودة في معظم الفيض فاذا انقضت تلك الايام انحصرت السفن بين الشلالات . والشلالات الكبيرة من اصوان الى الخرطوم ستة بينها عدة شلالات صغيرة وهي :

الاول «شلال اسوان» عند مدينة اسوان طوله ستة اميال وربع ميل
الثاني «شلال حلفا» عند قرية حلفا على نحو ٢٢٦ ميلاً من الشلال الاول .
طوله ١٤ ميلاً وهو اصعب شلالات النيل

الثالث «شلال حنك» عند قرية حنك وعلى بعد ٢٤١ ميلاً من الشلال الثاني وطوله ٣ اميال . وبين الشلال الثاني والثالث عدة شلالات صغيرة وهي من الشمال الى الجنوب معتوقه وسمنه وامبقول وتنجور وعككه وعكاشه ودال وعماره وخير . طول الواحد منها من ميل الى اربعة اميال والبعد بينها من ١٠ اميال الى ٦٠ ميلاً

الرابع «شلال الادرمية» في بلاد الشايقية على بعد ٢٥٠ ميلاً من الشلال الثالث الخامس «شلال وادي الحمار» الواقع على بعد ١٦٧ ميلاً من الشلال الرابع قيل سمي شلال وادي الحمار لان في شرقيه وادياً ينتابه حمار الوحش . وبين الشلال الرابع والخامس عدة شلالات صغيرة صعبة أهمها شلالات كعب العبد والمسحاني وأم حبوبة والرّخمة في آخر بلاد الشايقية . ورقبة الجمل وابوسيال في بلاد المناصير . ومقرات وابو هشيم والباكير في بلاد الرباطاب .

السادس «شلال السبلوقة» بين شندي والخرطوم على بعد ١٩٤ ميلاً من الشلال الخامس وطوله عشرة اميال وهو متحدّر للغاية واتساع النيل عند مدخله .

٢٠٠ يرد وينحدر الماء منه انحداراً ظاهراً كأنحداره من ميزاب كبير ومن ذلك اسمه

اذ السبلوقة في لفظ عرب السودان بمعنى الميزاب

ثم ان في النيل الازرق شلالاً كبيراً يُعرف « بشلال الرصيرص » أو بالشلال السابع يبدأ عند قرية الرصيرص على ٤٢٦ ميلاً من الخرطوم ويمتد جنوباً نحو ٤٠ ميلاً * وفي اعالي النيل الايض في بحر الرجاف سلسلة من الشلالات تمتد من بلدة الرجاف الى الجنوب نحو ١٠٠ ميل أصعبها شلالاً في آخرها يُعرف « بشلال الفوله » أو بالشلال الثامن ويبعد نحو ١١٠٠ ميل من الخرطوم

﴿ جزائر النيل ﴾ وفي نيل السودان جزائر شتى متفاوتة في الكبر منها ما يغمرها النيل عند الفيض ومنها ما لا يغمرها مها اشتد فيضهُ وكلها صالحة للزراعة وتأتي بغلال كثيرة . واشهر هذه الجزائر :

« جزيرة أبا » في النيل الايض على ١٥٠ ميلاً من الخرطوم طولها ٢٨ ميلاً وقد اشتهرت بظهور محمد احمد المتشهدي فيها كما سيحي.

« وجزيرة توتي » تجاه الخرطوم وهي مشهورة بجودة تربتها وطيب هوائها « وجزيرة مقرات » تجاه ابي حمد وهي جزيرة كبيرة تخترقها عدة تلال صخرية « وجزيرة ارقو » الى جنوبي شلال حنك وطولها ٢٠ ميلاً وهي اشهر جزائر النيل وفيها خرائب من زمن مملكة ايثيوبيا تدل على قدمها وعظم اهميتها . وفي ايام نزول النيل تجف ذراعه اليمنى فتصل الجزيرة بالبر الشرقي وربما لم تكن اكبر من جزيرة مقرات لكنها اخصب منها

« وجزيرة ساي » وهي ثاني جزيرة ارقو في الاتساع والشهرة وفيها خرائب طاية قديمة من ايام السلطان سليم الفاتح

« وجزيرة الفتين » عند الشلال الاول تجاه اصوان وهي شهيرة في تاريخ مصر ﴿ السفر في النيل ﴾ وهذه الجزر والشلالات مع ما يتكون في مجرى النيل من وقت الى آخر من « الدبور » الرملية تقف عوائق في وجه السفن وتزيد السفر في النيل مشقةً وخطراً بخلاف نيل مصر من اصوان فانزالاً شمالاً فان الشلالات والجزر

تقطع منه ويسهل السفر فيه بالسفن الشراعية والبخارية من اقصى البلاد الى اقصاها . وهذا الذي جعل مصر منذ القديم بلاداً واحدة حدّها الطبيعي اسوان . وآخر حد السفن في النيل الازرق شلال الرصيرص وفي النيل الايض شلال الفوله . وفي بحر الغزال مشرع الريك على نحو ١٣٠ ميلاً من مصبه بالنيل الايض و ٧٢٥ ميلاً من الخرطوم . وفي بحر سُبت نقطة الناصر على ١٧٠ ميلاً من مصبه بالنيل الايض . ثم ان النيل الازرق لا يصلح للملاحة الا في زمن الفيض فاذا جاء زمن التحريق قلّ ماؤه واقطع سير السفن فيه بخلاف النيل الايض فانه صالح لسير السفن على مدار السنة

﴿ السد في النيل الايض ﴾ الا ان في النيل الايض عائقاً آخر للسفن وهو السد . وذلك ان النيل الايض من نقطة افتراق بحر الزراف عن بحر الجبل الى مصب نهر سُبت يسير سيراً بطيئاً جداً ويتسع مجراه حتى لا يرى المسافر احياناً الا الماء من كل الجهات ولا سيما عند ملتقى بحر الرّجاف ببحر الغزال اذ يتكوّن من القائما بحيرة واسعة تُعرف بحيرة «نو» فيتكوّن في مجراه سدود نباتية عظيمة تطفو على وجه الماء والنيل يسير من تحتها . ونباتات هذه السدود على ثلاثة انواع نوعٌ تبلغ جذوره الارض وغالبه من البردي والعنبج ونوعٌ لا تبلغ جذوره الارض بل تبقى منتشرة في الماء ونوعٌ يطفو كله على وجه الماء والسد الحقيقي مؤلف من هذه الانواع الثلاثة . فالاول ينبت في الرّقارق حتى اذا غزر الماء وعلا عليه كثيراً اقلعه من جذوره وجرى به الى ان يصل الى رقارق آخر او الى منعطف في النهر فيقف وتصل اليه النباتات التي من النوع الثاني والثالث فتلتحم الانواع الثلاثة معاً ويتكوّن من مجموعها سدّ متين يعترض النيل من الشاطئ الواحد الى الشاطئ الآخر ويزيد طولاً باضافة نباتات جديدة اليه حتى يصير طوله عدة اميال وهو يسمك ويمتن حتى يُعبر عليه بالرجل فيبلغ سمكه الى متر ونصف متر او اكثر وتعلو نباتاته من ٥ اقدام الى ٣٠ قدماً فيجب السفن عن السير . وقد طالما منعت السدود المسافرين عن السير اياماً او اشهرًا الى ان يفتحوا طريقهم

بالقووس . ولا تتكوّن السدود من مصب نهر سبت فنازلاً شمالاً لان هذا النهر سريع الجري جداً فيندفع ماؤه بقوة في النيل الايض ويصدّ النباتات الآتية من الجنوب الى يساره .

﴿ اكتشاف مصادر النيل ﴾ وهذه الصعوبات في سفر النيل مع بعده السحيق والاضطراب الجمة في الطريق من الفرق والجوع والحرّ والبرد والامراض ومن الشعوب المعادية الممجية والحيوانات المفترسة والمفاوز البعيدة والصحارى المحرقة عن جانبي النيل هذه الصعوبات والاضطرابات كلها وقفت في سبيل العالم المتبدّن فصدّته عن الوصول الى مصادر النيل مدة النفي سنة مع انه لم تبق دولة من الدول التي ملكت مصر في تلك المدة الا اهتم ملوكها وعلمائها باكتشاف تلك المصادر ومعرفة اسباب الفيض فجرّدوا حملات عديدة وأمدّوها بالمعدّات القوية فذهبت اتعابهم سدّى وعادت الحملات كلها بالعجز والتقصير حتى لقد يتّس الاقدمون من النجاح وقالوا في الحجاز « ان الآلهة تريد اخفاء هذه المصادر عن اعين الناس لغرض في نفسها » وقال هوميروس الشاعر اليوناني المشهور « النيل سيل نازل من السماء » اما المصريون القدماء فقد رفعوه الى مقام الآلهة كما هو مشهور في تاريخهم

واشهر من كتب من العلماء الاقدمين في النيل نقلاً عن الرواة فاقترّب من الحقيقة هيرخس الفلكي اليوناني الذي عاش سنة ١٠٠ ق م فقال « النيل ينبع من ثلاث بحيرات في شمال خط الاستواء » . وجاء بعده بطليموس الكبير الذي عاش سنة ١٥٠ ب م فجعل منابع النيل في جبال القمر في جنوب خط الاستواء . ثم بعد ذلك بالف سنة ونيف اي سنة ١١٥٤ ب م قام الادريسي أشهر جغرافي العرب فجعل منابع النيل في جبال القمر في أواسط القارة وقال ان مياه الينابيع تجري من تلك الجبال الى بحيرتين واسعتين تصبان في بحيرة ثالثة منها ينبع النيل وهو كلام يقرب جداً من الحقيقة . ولكن علماء الافرنج لم يعتمدوا كلام الادريسي بل لم يكتفوا به فما زالوا يجدّون وراء الحقيقة ويجودون بالنفوس والاموال الى ان فازوا بالغرض المقصود . اما النيل الازرق فقد اكتشف مصادره السائح بروس الانكليزي سنة ١٧٧٢ م

ووصفها وصفاً دقيقاً وكان قد سبقه الى هذا الاكتشاف راهبان برتوغاليان وهما بايز ولوبو سنة ١٦١٨ م ولكنهما لم يوضحا الحقيقة كما اوضحها بروس فتفرد وحده بالشهرة * واما النيل الابيض فلم تعلم مصادره الا منذ عهد قريب جداً وذلك بمساعي الجمعية الجغرافية الانكليزية وهمة السياح الانكليز . اما فكتوريا نيانزا فقد اكتشفها الرحالتان الانكليزيان سبيك وغرانت فانهما سارا عن طريق زنجبار على نفقة الجمعية المذكورة فشاهدا النيل خارجاً من شمالها في ٢٨ يوليو سنة ١٨٦٢ وسمياها فكتوريا باسم ملكتهما . واما ألبرت نيانزا فقد اكتشفها السرصمويل باكر الانكليزي فانه سار اليها عن طريق الخرطوم فوصلها في ١٤ مارس سنة ١٨٦٤ وسمها ألبرت نيانزا باسم زوج ملكته . واما ألبرت أدوارد نيانزا فقد اكتشفها الرحالة ستني الانكليزي سنة ١٨٧٦ وسمها ألبرت ادوارد باسم ولي عهد انكلترا في ذلك العهد وهو ملكها الحالي . وعليه فالفضل الاعظم في اكتشاف منابع النيل للانكليز وقد شاركهم في هذا الفضل خديوي مصر العظام الذين فتحوا البلاد ومهدوا للسير صموئيل باكر وغيره سبل الاكتشاف

﴿ اسماك النيل ﴾ وفي النيل انواع شتى من السمك الا انها تفهية الطعم وأشهرها أو أعجبها «التمساح» و«فرس البحر» . اما التمساح فهو حيوان بهيئة السمك الا انه هائل الجثة قبيح المنظر وجلد ظهره شديد الصلابة لا يكاد يخرقه الرصاص وهو يعيش في الهواء فتبيض انثاه وتفرخ في جزر النهر فتطمر البيض في الرمل وتحرسه الى ان تنقف فتحضنه وتنزل به الى النهر وبلغ عدد بيضها بضع عشرة بيضة وحجم الواحدة منها بقدر حجم البرتقالة وقد يبلغ طول التمساح عشرة اذرع او اكثر ويعرف عندهم اذ ذاك بالعشاري * واما فرس البحر او جاموس البحر فهو في الخلقة بين الجاموس والخنزير فان جسمه كجسم الجاموس الا ان رأسه وذيله كراس الخنزير وذيله واما خفه فكخف الجمل . وهو يعيش في الهواء كالتمساح فيخرج الى شاطئ النهر ويمرح في الزرع فيأكل منه ويعيث فيه ثم يعود الى الماء ويعرف عندهم باسم العيسنت * وكان التمساح وفرس البحر كثيرين

في نيل مصر كما في نيل السودان الى عهد غير بعيد الا ان العمارة في مصر وكثرة خوض السفن في نيلها نفرتهما الى السودان . اما فرس البحر فقد اقتطع من مصر منذ القرن الثالث عشر للمسيح ولم يعد يُرى الا في أعالي النيل ويكثر جداً في بلاد خط الاستواء . واما التمساح فلا يُرى الآن في مصر الا نادراً واما في نيل السودان فلا يزال كثيراً في كل جهة

واهل السودان يصطادون التمساح وفرس البحر للانتفاع بهما . فالتمساح لاجل مسكه وجلده ولحمه اذ في كل تمساح اربع كتل مسكية كتلتان في ارييته الواحدة بقدر بيضة الدجاجة وكتلتان في ابطيه اصغر منهما ومسك التمساح اجود المسك واما جلده فيصنعون منه نوعاً من الدرق او التروس ولحمه تفه جداً لا يأكله الا الصيادون * واما فرس البحر فيصاد لاجل لحمه وجلده فهم يأكلون لحمه ويصنعون من جلده السياط . ويصطادونه بالبنادق وبنوع من الحراب يُسمى عندهم باديقه وهي حربة ماضية في رأسها شوكة على هيئة السنارة حتى اذا رشقت في الجسم تنشب فيه فاذا اريد اخراجها منه لا تخرج الا اذا مزقته ويربطون في الحربة حبلأ متيناً وفي رأس الحبل قارورة من القرع الاصم او العنبج حتى اذا غاص فرس البحر في الماء بعد نشب الحربة فيه تدل عليه القارورة التي تعوم على وجه الماء فيتبعه الصيادون بمراكبهم ويجذبونه بالحبل على قدر جهدهم وهو يجزئهم في النهر الى ان يكل فيدون منه ويرشقونه بالحراب حتى يقضوا عليه بعد جهاد طويل * وهم يصطادون التمساح ايضاً بهذه الآلة كما يصطادونه بالبنادق . على ان التمساح يصطاد الناس كما يصطادونه بل هو في صيدهم أبرع منهم في صيده فهو ينتاب موارد الناس ويترب انساناً حتى يرى منه غفلة فيشب عليه ويدفعه بذيله الى الماء ثم يحمله في فيه الى جهة بعيدة عن الناس فيخرج به الى الشاطئ ويمزقه بأنياه ارباً ويتلعه . وكثيراً ما يرى الصيادون اساور وجولاً وغيرها من حلى النساء في جوف التماسيح التي اصطادوها . وقد طالما سمعت في اثناء الحملات النيلية بافتراس التمساح للعساكر والتبع . هذا ما لزمنا الاشارة اليه في النيل

الفصل الثالث

في

﴿ اراضيها ﴾

﴿ وادي النيل ﴾ ويجري النيل في وادٍ ضيق لا يزيد عرضه عن اربعة اميال وقد يضيق في بعض الامكنة حتى لا يكون الا مضيقاً بين جبلين يمرُّ فيه النيل .
الا ان هذا الوادي على ضيقه خصب كوادي نيل مصر او اخصب ويزرع على السواقي والشواذيف

﴿ الجزيرة ﴾ وتُعرف البلاد الواقعة بين النيل الايض والنيل الازرق بالجزيرة على الاطلاق . وتُعرف ايضاً بجزيرة سنار وجزيرة الخرطوم نسبة الى سنار والخرطوم اللتين اشتهرتا فيها . واما تسميتها بالجزيرة ففيه تساهل لانها في الواقع شبه جزيرة وهي بلاد خصبة للغاية وتزرع على النيل والامطار وأكثر غلال السودان يأتي منها

﴿ البطانة ﴾ وعُرفت البلاد الواقعة بين النيل والاتبرا قديماً بجزيرة مروى لانهُ قام فيها مملكة اشتهرت في التاريخ بمملكة مروى كما سيجيء . واما الآن فتعرف بالبطانة ويُعرف القسم الجنوبي منها ببلاد القصارف وهذه البلاد مشهورة بالجودة والخصب حتى لقد سماها بعضهم أهراء السودان . وهي تزرع على الامطار

﴿ صحاريها وجبالها ﴾ ويكتنف وادي النيل من الخرطوم سلسلتان من الجبال القاحلة تراققانه الى مصر الواحدة الى الشرق وتليها الصحراء الشرقية التي تمتد الى البحر الاحمر والاخرى الى الغرب وتليها الصحراء الكبرى وصحراء كردوفان ودارفور . والصحاري الشمالية من خط بربر فنازلاً شمالاً رملية مجدبة لا نبات فيها ولا شجر الا ما ندر بل اكثرها مفازات طويلة لاماء فيها تُعرف « بالعقات » واما الصحاري الجنوبية فقابله للزراعة ويكثر فيها النبات والاشجار حتى يكون منها في بعض الجهات غابات عظيمة . وسبب ذلك ان الصحاري الشمالية لا يقع فيها

مطر الاً قليلاً او نادراً بخلاف الجنوبية التي هي في منطقة الامطار فانه يقع فيها
مطر غزير . ويتخلل تلك الصحارى جبال او تلال متفرقة لا ماء فيها ولا نبت ما
عدا جبل مرة في وسط دارفور وبعض جبال النوبة في جنوبي كردوفان فان
فيها الينابيع والاشجار

﴿ خيراتها ﴾ ويجري من جبالها الجنوبية في زمن الامطار سيولٌ عرمة تغور
في الرمال او تصب في النيل او البحر الاحمر تُعرف عندهم بالخيران وأشهرها :
« خور بركة » يأتيها من جبال شمالي الحبشة ويصب في البحر الاحمر بعد ان
يروى بلاد طوكر كلها فيزرع اهلها على رية

« وخور القاش » فانه يأتي ايضاً من شمالي الحبشة ويجري في بلاد كسلا فيرويه
ويغور في الرمال قبل ان يصل نهر الاتبرا

« وخور ابي جبل » يأتي من جبال النوبة الشمالية ويجري شرقاً مسافة ١٩٠
ميلاً فيغور في الرمال قريباً من النيل او يصل النيل عند جزيرة أبا

« وخور تندلي » وهو يخرج من جبال دارفور الشمالية ويجري جنوباً
فيخترق مدينة الفاشر وتصدّه تلالٌ رملية في جنوبها عن الجري فيغور تدريجاً
﴿ آبارها ﴾ وفي الصيف تجفّ هذه الخيران فيجفر في ارضها آبار صالحة
للشرب على عمق قامة او اكثر ويصبح اعتماد اهل البادية في الشمال والجنوب
على الآبار . واشهر هذه الآبار :

« آبار أحمر وأُنقات والطرفاوي والنُجيم » في الطريق التي بين اسوان وبربر
« وآبار المرات » في طريق الصحراء التي بين ابي حمد وكورسكو . وهي آبار
نبع اذا نزح الماء منها وتركت نحو ساعة عادت فامتلات . وماؤها صالح للشرب
الا انه سهل لغير المتعود عليه لاحتوائه على املاح المانيزه وهو مرّ الطعم
قليلاً ولذلك سميت الآبار بالمرات

« وآبار هندوب واوتاو وهمبوك ودس ابل وهراتري وكوكريب وارياب والباك »
في الطريق التي بين سواكن وبربر وفي هذه الآبار آثار تدلّ على قدمها

«آبار مغاغة والجكدول وابي طليح» في الطريق التي بين كورتى والتمّة
«آبار البيوضة» بين امبقول والشلال السادس وتبلغ سبعين بئراً وماؤها
قريب من سطح الارض. وتسمى الصحراء بين ام درمان والدبة وابي حمد باسمها
«آبار جبره» وتبلغ نحو المئة بئر بين الدبة وام درمان على ٥٠ ميلاً من
ام درمان و ٢٠٠ ميل من الدبة وماؤها غزير

«آبار كجمر والصفية والضباعي والشطير ومهتول» في الطريق بين الأبيّض والدبة
«آبار ام بدر وعين حامد» وغيرها في الطريق التي بين الفاشر ودقله
«وبئر النطرون» في شمالي دارفور «وواحة سليمة» تجاه عكاشه في طريق الاربعين
وبر السودان كبر مصر في غاية الانبساط والاستواء ولا يزيد ارتفاعه على
٦٥٠ قدماً عن سطح البحر ما عدا صحراء كردوفان ودارفور وبعض سواحل البحر
الاحمر فانها ترتفع الى ١٦٤٠ قدماً عن سطح البحر. ولذلك فان آبار هذه الجهات
العمق جداً من آبار غيرها حتى لقد يبلغ عمق البئر في صحراء كردوفان نحو ٣٠ قامة

الفصل الرابع

في

﴿ معادنها ﴾

واشهر معادن السودان : «الذهب» وهو يوجد تبراً في جبال بني شنقول
الى جنوبي سنّار ويُعرف بالذهب السنّاري. ويوجد على قلة في بعض جبال النوبة
كجبل تيرا وجبل شيون في غرب جبل قدير ويقال ان الذهب الشيبوني أفخر
الذهب. وذكر المؤرخون القدماء وجود الذهب في وادي العلاقي بين كورسكو
والبحر والاحمر ولكن انقطع وروده من هذه الجهة منذ زمانٍ طويل
«والزمرّد» وقد ذكر المقرئزي وجوده في الصحراء الشرقية « في مكان
يعرف بالخربة على سبعة ايام من قفط وقوص وغيرها من صعيد مصر »

«والنحاس» ومعدنه في حفرة النحاس الشهيرة في الشمال الغربي من بحر الغزال . ويظن وجوده أيضاً في جبال سواكن على طريق بربر

«والحديد» وهو كثير في كردوفان ودارفور وبحر الغزال ويوجد قطعاً في الرمال وهم يستخرجونه بجمع الرمال التي تشتمل عليه ووضعها في سويات من طين يوقدون تحتها النار حتى يظهر الحديد فيصفونه

«والرصاص» ويوجد في جبل الكُثم مسيرة يوم الى الشمال من كوبي بدارفور ولكن يقال ان الحصول عليه صعب

«والنطرون» وهو يستخرج من بئر النطرون المشار اليه أنفاً على طريق الاربعين

«والمالح» ويوجد ممزوجاً بالتراب السبخ في جميع الجهات وأكثره في جهات الاتبرة والدامر والبويضة وفي مكان يعرف باسم شرشار شمالي باره ويوجد قطعاً تحت الرمال في واحة سليمة وفي وادي الكعب غربي دقله

«وملح البارود» ويستخرج أكثره في جهات الخرطوم والفاشر وضواحيهما

«والشب» ويستخرج من واحة الشب في غرب حلفا على ثلاثة ايام منها

«والتريبة» وهي نوع من التراب يحتوي على كثير من المواد الملحية توجد في محلات معلومة في السودان وأكثرها في جهات بربر ويستعملونها دواء للزهري والحمى

«والانتيمون» او الكحل ويوجد كثيراً في جبل مرة

وفي جبالها «الحجر الرملي والغرانيت» وفي بعض جهاتها وعلى الخصوص في الضفة الغربية للنيل الازرق «حجارة كلسية» تحرق جيلاً . وقد رأيت في جهة الدبة وغيرها من الجهات القريبة من النيل قطعاً كثيرة من «الاشجار المتحجرة» ومعلوم ان اراضي السودان لم تكشف بعد حق الاكتشاف فاذا استخدمت فيها معدات هذا العصر فلا يبعد ان تظهر فيها معادن لم تُعرف بعد . وقد سنت حكومة السودان الجديدة قانوناً للبحث عن المعادن ونشرته سنة ١٨٩٩ وباشرت الشركات الاوربية البحث عن المعادن في اكثر انحاء السودان ولا سيما في الصحراء الشرقية والامل بنجاحها كثير ان شاء الله

الفصل الخامس

في

﴿ هوائها ﴾

﴿ فصولها ﴾ اما هوائها فيختلف باختلاف الجهات ولكنه بالاجمال جاف شديد الحر . وفي السودان ثلاثة فصول في كل فصل اربعة اشهر وهي :

« فصل الخريف » - من يوليو الى اكتوبر - وهو فصل الامطار وفيه يفيض النيل وتورق الاشجار ويزهر النبات وتُزرع الاراضي البعيدة عن النيل على المطر وفيه تتسلط الرياح الجنوبية فيبطل سير المراكب الشراعية في النيل لاجتماع التيسار والريح ضدها . واول هذا الفصل اي عند اول نزول الامطار يُعرف عندهم « بالرشاش » ثم عند اخضرار الارض بالنبات يعرف « بالربيع » وآخره اي عند ما يأخذ الزرع في النضج يعرف « بالدَّرت » وفيه يشتد الحر وتكثر الحميات والامراض « وفصل الشتاء » - من نوفمبر الى فبراير - وهو فصل البرد ولا ينزل فيه مطر كما في مصر والشام الا انه اطيب فصول السودان واصحها هواء وفيه تهب الرياح الشمالية فتعود المراكب الشراعية الى سيرها صُعُدًا في النيل وتلطّف الهواء فيشتد البرد في الصباح والمساء وفيه ينضج زرع الخريف ويُزرع غيره على ماء النيل . وهو اهم الفصول الزراعية الآتي بيانها

« وفصل الصيف » - من مارس الى يونيو - وهو فصل الحر وفيه تهب رياح السموم ويثور الغبار كما في ايام الخمسين في مصر وتُزرع ارض السواقي والجروف ﴿ امطارها ﴾ هذه هي فصول السودان في المنطقة المتوسطة او المنطقة الواقعة بين بربر وفاشودا اما المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية فتختلف فصولها عن فصول المنطقة المتوسطة بسبب الامطار فحد المطر المنطقي الشمالي في السودان خط ١٥° من العرض الشمالي الا ان المطر يمتد شمالاً الى بربر او حواليها فالمنطقة الشمالية من بربر فانزالاً شمالاً قلما يقع فيها مطر ولذلك ليس فيها الا فصلان الصيف والشتاء واما

المنطقة الجنوبية وهي منطقة بلاد فاشودا فيبدأ فيها المطر في مايو ويدوم نحو ستة أشهر الى أكتوبر فيكون فيها فصلان الصيف والخريف * ثم كلما صعدت جنوباً الى جهة خط الاستواء يمتدّ فصل الامطار ويكثر حتى يتعاقب المطر والصحو أو الصيف والخريف عند خط الاستواء كل ايام السنة . واما متوسط ما ينزل من المطر في السنة : ففي المنطقة الشمالية من عرض اسوان الى عرض بربر اقل من ١٠ قراريط وفي المنطقة المتوسطة من عرض بربر الى عرض فاشودا من ١٠ : ٢٠ قيراطاً وفي المنطقة الجنوبية من فاشودا الى خط الاستواء من ٢٠ : ٤٠ قيراطاً وتنصبّ الامطار في السودان صبيّاً كأنها من افواه القرب فلا يرافقها بردٌ لحرارة البلاد وانما يرافقها بروقٌ خاطفة ورجود قاصفة تسبقها رياحٌ شديدة وقد تنقضّ الصواعق فتقتل وتلف كل ما تصيبه

﴿ رياحها ﴾ وتعرف الرياح في السودان « بالهبوب » وهي تهبّ في الصيف بعنفٍ وشدةٍ فتثير الغبار والحصى وترمي بها الوجوه فتلذعها كأنها شرارٌ من نار وتزيد حرّ الصيف ضنكاً وشدةً . ويتولّد من الهبوب اعاصير شديدة تدور على نفسها وهي تزحف حاملةً التراب على شكل اسطوانة هائلة ذاهبة في الجو ولا تزال تشتدّ في الزحف وهي تدور على نفسها حتى تضمحلّ فيأتي غيرها وتسمى عندهم « بالعُصار » . وفي آخر الصيف واول الخريف اي في زمن الرشاش تهبّ الرياح اللواح فتثير الغبار امامها بهيئة هائلة فيظهر من بعيد كالسحاب المطبق عليه حمرة او سواد حتى اذا حلت السحابة في مكان حوّلت نوره الى ظلام واضطرت الذين داخل المنازل ان يقفلوا الابواب والنوافذ وينيروا المصابيح ولو في رابعة النهار حتى تنقشع عنهم . وتثور هذه الريح بشدةٍ وعنفٍ فتقتلع كل ما تمرّ عليه من الاشجار الشامخة والابنية الواهنة واذا هبت على النيل أغرقت ما تصادفه فيه من المراكب والوابورات ولذلك يتحوّط لها النوتية فاذا رأوا عجاجها من بعيد أسرعوا بسفنهم الى الشاطئ وربطوها حتى تمرّ وقد لا تمهلم ان يتحوّطوا لها فتغرقهم وسفنهم في النيل . وتعرف هذه العواصف عند البحرية « بالتلاقيح » وعند اهل البرّ « بالهباب »

﴿ حرارتها ﴾ وقد تبلغ درجة الحرارة في الخرطوم في اول الصيف فوق ١٠٠ ف في الظل . وتهبط في اول الخريف الى نحو ٦٠ ف . فيكون متوسط الحرارة السنوي فيها على التقريب ٨٠ ف . وهو يزيد في الجنوب ويقل في الشمال * اما اسباب ارتفاع الحرارة في السودان فأهمها مجاورتها لخط الاستواء واستواء ارضها وقلة ارتفاعها عن سطح البحر مع قلة جبالها وكثرة صحاريها

﴿ امراضها ﴾ ومع ذلك فهواء السودان لا بأس به ومن مزاياه عدا انه جاف ان القرع والرمد نادران فيه وامراضه قليلة بخلاف المشهور عنها واهمها: «الحُمى المَلارِيَّة» وتعرف عندهم بالورْدَة وهي تنفّس في الغالب في زمن الدَّارْت الذي هو آخر الخريف ويعالجونها بمنقوع القرظ ممزوجاً بشراب العسل او بمنقوع التمر الهندي او ثمر التبليدي

«والديزنتاريا» ويسمون بها العِسرَة ويعالجونها باللبن الرائب ممزوجاً بالحلبة او بمسحوق عروق السنط او بأقراص النبق

«والزُّهري» ويُعرف عندهم بالخلق أو الجُقَيْل ويعالجونه بالعشبة المعروفة او بالترْبِيَّة المتقدم ذكرها ويمنعون العليل عن اكل اللحم والملح الى ان يشفى «والسَّيْلان المَجري» ويُعرف بالْبَجَل ويعالجونه بالعشب المعروف عندهم بالرَّبع يدقون عروقه اليابسة ويمزجونها بالبوزة التي يستخرجونها من الذرة ويسقون العليل منها بدلاً من الماء الى ان يشفى . وانفع من ذلك شرب السمن البقري منقوعاً به الحنظل

«والدودة الوحيدة» ويعالجونها بشرب الحشيشة الحبشية ممزوجة باللبن

«والجدري» وقد يصير وبائياً فيعم البلاد كلها وهو أفتك بالسود منه بالعرب ويعالجون المصاب به بطعام البلح واللبن والبصل مع الذرة ويدهنون عينه بماء البصل ويمنعون عنه اللحم والاطعمة الحارة ويبعدون عنه الروائح الطيبة وربما دهنوا انفه بالقطران ليضعفوا فيه حاسة الشم

«والفرَنْتِيَّة» وهو من الامراض الخاصة بالسودان ولا سيما في دارفور وكردوفان وهو دودة معروفة عند الاطباء بدودة غينيا وهي تكون خراجاً تحت

الجلد وتظهر غالباً في ساق الرجل ويسبقها اكلاّن في الجسم كله يدوم ساعة او اكثر فاذا شقّ الخراج ظهر في وسطه عرق رفيع مرّن صدفى اللون وهو الدودة فلا يشفى المصاب الا اذا خرج هذا العرق من اصله . وسبب هذا المرض على ما رواه الاطباء حشرة ميكروسكوبية تتولد في فصل الامطار او بعده وتدخل في الجسم فتقيم تحت الجلد وتولد الفرنتيت والارجح انها تدخل الجلد من خوض الماء لا من شربه ويقال ان النظافة التامة تقي منها

«والكرّو» ويُعرف بقرحة اليمّن وهو آفة غنغرينية تحدث غالباً من خدش أو جرح في الساق فتلتهب وتتورّم ويظهر في وسط الالتهاب نقطة سوداء فيعالجونها بلبخ الدرة الفتريّة أو التمرالهندي حتى تزول فيظهر غورٌ قليل ويبدو اللحم الاحمر ثم يتعظم الغور حتى يصير كراحة اليد فيشعر المصاب بالآلام شديدة لا تطاق ولا ينفكون عن معالجته باللبخ الى ان يلتئم الغور ويشفى . وقد لا تزول النقطة السوداء باللبخ بل تبقى حتى ينخر العظم وتخرج منه شظايا وفي هذه الحالة ينتهي الامر غالباً بموت العليل وقد رأيت كثيرين ممن اصابوا بهذه القرحة فقالوا ان الجرح الذي اصابهم اولاً انما كان من عود نبات سامّ

«ومرض الدم» وهو مرض الالتهاب السحائي الشوكي الدماغى أعراضه الخارجية القيء وارتفاع حرارة الجسم وتصلب في العنق مع انحناء الرأس الى الوراء وألم في المخيخ والسلسلة الفقارية وقد يشتدّ الألم فيمنع المريض عن النوم اياماً ويعتريه هذيان تختلف مدته من يوم الى ثلاثة وقد يمتد الالتهاب الى مراكز البصر والشم والنطق فيعطلها تعطيلاً كلياً او جزئياً وفي الغالب ينتهي الحال بموت العليل . وفتكه بالسود اشد من فتكه بالبيض وهو في الصيف اشدّ وطأة منه في باقي الفصول . وقد انتشر هذا المرض في ام درمان بعد الفتح الاخير فمات به خلق كثير . وفيه مات محمد احمد المتهدي السوداني

«والجرب» وهم يحكوّن المصاب به يوماً بعد آخر بقطعة من الفخار حتى يسيل منه الدم فيغسلونه بالماء ولا يعرفون له علاجاً

«والبرص» وهو شائع بين السود والعرب على السواء وهم لا يعالجونه بشيء.
«والكوليرا» ويسمون بها الشوطة والقديف وهي تأتي السودان من الهند عن طريق الحجاز فتفتك بأهله فتكاً ذريعاً لأنهم لا يتحيطون لها ولا يعتنون بالنظافة هذه هي أشهر العلل في السودان وأكثرها عام في كل البلدان كما ترى *
وأهم ما يصاب به الاجنبي : الحمى والديزنتاريا وضربة الشمس ووجع المعدة والكبد والاضراس . وأشهر اسبابها شدة الحر والغبار وكثرة التغيرات الجوية وتعاقب الحر والبرد في فصل الشتاء مع كثرة المستنقعات وعدم مراعاة شروط النظافة في المأكل والمشرب والملبس . وأهم التحوطات التي يجب على الاجنبي اتخاذها للوقاية من هذه العلل ان يلف حول معدته حزام صوف لا ينزعه عنها ليلاً ولا نهاراً وان يرتب معيشته ويراعي شرائط الصحة التي اهمها النظافة والنوم الباكر والقيام الباكر مع تجنب المسكرات والأفراط في الشهوات فاذا فعل ذلك وبدل هواء البلاد شيئاً بعد آخر حتى يعتاده وجد السودان موطناً طيباً ومهجراً رحيماً كثير الخيرات وافر البركات لاسيما بعد ما صار اليه الآن من حسن الحال وانتظام الاحكام

الفصل السادس

في

نباتاتها *

﴿ اشجارها ﴾ أشهرها : «النخيل» وهي تكثر في بلاد النوبة بين الشلال الاول والرابع وتقل في جنوبي الشلال الرابع . واجودها نخل سكوت بين الشلال الثاني وجبل دوشه ثم نخل المحس بين جبل دوشه والشلال الثالث ثم نخل الشايقية في جنوبي دنقلة * والبلح انواع أشهرها البسموده وهو اخضرها ويؤكل رطباً وتمرّاً ويحفظ للهدايا . ثم القربانة ولا يؤكل الا رطباً . والسلطاني وهو مشهور بكبر حجمه وحسن منظره لا بجلاوة طعمه . والدقنه ويؤكل رطباً وتمرّاً ويباع للتداوي اذ يُظن انه نافع وللرمازم . ثم القنديله

والبركاوي وهما يؤكلان تمرًا ويدخلان في التجر * وهم يستخرجون من البلح النيذ والعرق والخل والعسل وذلك بالغلي على النار والتصفية على نحو ما يستخرجونها من العنب. ويصنعون منه بالتخمير مشروباً غير مسكر يسمونه الشربوت ومشروباً مسكراً يسمونه الدكاوي . ويسقفون بيوتهم بجذوع النخل وسعفه ويصنعون من سعفه أسرة للنوم ومن ليفه الحبال ومن ورقه البروش والمقطف وغيرها من آنية البيت «والدوم» وهو من اخص اشجار السودان ويغزر من حد الشلال الرابع فصاعداً جنوباً كما يغزر النخيل من هذا الشلال فانزالاً شمالاً . وللدوم شبه بالنخيل وثمره شبه بالكُمثري وهم يجففون ثمره ويدقونه ويستعملونه غذاءً ويسمونه العكا ويستخرجون منه عسلاً طيباً بالغلي على النار والتصفية . ويسقفون بيوتهم بجذوعه ويعملون من خوصه حصراً وآنية ل منازلهم كما من النخيل «والدليب» ويشبه الدوم الا انه املس ساقاً واكثر ارتفاعاً حتى لقد يبلغ ارتفاعه مئة قدم او اكثر وساقه صلبة اذا شقت وجوفت تستعمل قناة للماء وله ثمر كثر جوز الهند يؤكل وهو ذو رائحة طيبة «والعرديب» وهو شجر التمر الهندي ويبنى في فصل الخريف فيوضع في حياض ويهرس ثم يترك مدّة ويجعل اقراصاً مثقوبة او كتلاً ويدخل في التجر ويستعمل في جميع انحاء السودان مشروباً ملطفاً في الحيات والامراض الالتهابية «والسدر» وهو شجر النبق يكثر في كل الجهات الا في دقلة فهو قليل وهم يصنعون من ثمره اقراصاً كاقراص التمر الهندي يتناولونها غذاءً ويدخلونها في التجر . وخشبه متين لا يسطو عليه النمل الايض ويصنعون منه المراكب الصغيرة والاسرة ويسقفون المنازل بفروعه لمرونتها وصلابتها «والتبليدي» ويسمونه الحمر أيضاً وهو شجر هش عظيم الحجم يبلغ محيط جذعه من ٢٠ الى ٢٦ قدماً . وله ثمر يضي الشكل كثر جوز الهند يسمى «القنقليس» وهم يتناولونه غذاءً ومشروباً ملطفاً بوضعه في الماء او اللبن وهو مسهل مرو للظماء ومبرد في الحر والحيات والامراض الالتهابية . ويكثر هذا الشجر في

جاءت كردوفان والبحر الازرق وفي كردوفان يجوفونه ويخزنون فيه ماء المطر فيكون
عندهم شبه بصهاريج يشربون منها في الصيف . وتعرف الشجرة المجوفة لهذه
الغاية بالقلّة (ج قلت) . وفي لحائها ألياف جيدة جداً تصنع منها الحبال المتينة .
وحدة البلدي الشمالي خط ١٥ من العرض الشمالي وهو حدّ العرديب ايضاً
«والجوغان» وله ثمر كالنبق اصفر اللون لذيد الطعم يقرب من طعم الزبيب
وخشبه احر متين لين كالخيزران يصنعون منه خشب الاسلحة النارية وأقفاصاً
للاسد وأسرة للنوم وقد يصنعون منه المراكب

«والقُضيم» وله زهر ابيض جميل وثمر يؤكل وهم يقدّدونه ويدخلونه في
المشروبات المبرّدة ويزعمون انه نافع لمرض الدم
«والطنّوب» وهو نجم يشبه البلان في هيئته الا انه يعظم حتى يكون
محيطه عشرين متراً او أكثر ترعاه الجمال وله ثمر يؤكل وهو احر اللون في حجم
العنب يسمى الحنّبق وفروعه مستقيمة او معوجة فيصنعون من المستقيمة الغلايين
ويدخلونها في المتجر واما المعوجة فلا تصلح الا للوقود ولا تقوّم ولو كانت طرية
ومن ذلك قولهم «فلان عوج الطنّوب» اي انه لا يقوّم

«والاهليلج» ويسمونه الهليلج وثمره اللالوب وهو بهيئة ثمر النخل الا انه
مظف بقشرة وطعمه حلو مرّ كطعم خيار الشنبر واهل السودان يأكلونه ويستعملونه
سهلاً بنقه في الماء وشربه على الريق وهو كثير جداً في جميع انحاء السودان
الجنوبية ويعظم حجمه في بلاد كردوفان حتى لقد يبلغ محيط الشجرة الواحدة منه
ثلاثي اقدام ويستظل بظلها مئة شخص او أكثر وخشبه متين لا ينخره النمل الا يبيض
«والحميض» وهو شجر عظيم الحجم كشجر الاهليلج وثمره يشبه البرقوق
وله بزر كقلب اللوز يصنعون من خشبه سروجاً للدواب واقداحاً للطعام
والواحاً للكتابة لكنه لا يقيم طويلاً

«والجيز» وهو قليل وهم يأكلون ثمره ويصنعون منه القوارب والآنية
ليوت ولكن خشبه لين قريب الفناء

«وشجر اللآستك» وهو كثير في جهات خط الاستواء وبحر الغزال وفي جنوبي كردوفان وهو شجر كبير كشجر الجميز وله حب صغير لا يؤكل تُجرَح اغصانه الكبيرة بفأس فيخرج منها عصير لزج اذا تُرك لليوم التالي جف وهو اللآستك ويدخل في المتجر

«والهشاب» وهو من اشجار الصمغ ويكثر جداً في بادية كردوفان وصمغه اجود انواع الصمغ وخشبه يقيم طويلاً لا ينخره النمل الايض ويستخرج من لحائه ألياف متينة تُصنع منها الحبال

«واللبان» ينمو في اعالي النيل الازرق ويخرج منه صمغ كاللبان (البخور) «والسنط» وهو مشهور بمتانة خشبه وصلابته وثقله فمنه تُصنع المراكب الكبيرة وآلات السواقي وهو الخشب الوحيد الذي يصلح لعمل المراكب الكبيرة ويثبت على الزمان . وفي شجر السنط بزر يُعرف بالقرظ يستعملونه للدباغ ويخلطونه باللبن الرائب فيتخذونه لمنع الاسهال او يخلطونه بالعجين المخمر ويدهنون به جسد المحموم لتخفيف الحرارة . وينبت في اصل الشجرة عروق تسمى الطرطوس يدقونها ويستعملونها دواءً لمنع الاسهال وينقعون بها الاباريق الجلدية المعروفة عندهم بالركاوي (مفردها ركوة) لتقوية الجلد ووقايته من التشقق

«والسلم» وهم يدبغون بقشره ويتخذون فروعهُ عصياً

«والكثر» وفي لحائه ألياف جيدة تصنع منها الحبال

«والسيال» وهو والكثر والسلم والسنط من اشجار الصمغ ايضاً ولكن صمغها قليل رديء ولا يدخل في المتجر الا بقصد الغش

«والحرّاز» يشبه السنط وله ثمر كثمر الخرنوب لكنه تفه الطعم يصلح علفاً

للحيوانات وهم يصنعون من خشبه المراكب الصغيرة واقداح الطعام ولكنه سريع الزوال «والعرّاد» وله زهر طيب الرائحة وقشر يُدبغ به

«والمُدُس» وهو شجر كبير يتكوّن منه غابات عظيمة يؤخذ من قشره

احسن الدّباغ وأحسن الجلود هي الجلود المدبّوغة بقشر المدّس

«والأبنوس» وهو من أخص اشجار السودان ويكثر على النيل الأزرق وخور ابي جبل وهم يصنعون من خشبه العصي والكراسي والموائد والوسائد والصاديق والسبح ويدخلونه في المتجر ويستخرجون منه القطران فيداوون به البواسير ويقولون انه انجع دواء لهذا الداء

«والكاموت» وهو شجر شاخ مستقيم الجذع شبه السرو تسقف به المنازل الفاخرة وخشبه صلب تصنع منه الآنية وغيرها واذا جف طفا على وجه الماء «والاندراب» وهو شجر عظيم الحجم شبيه بالنسب ترعى ورقه الجمال ويصنع من خشبه الابواب والشبايك ومن فروع عصى الحراب وعصى الحمل وخشبه جيد متين خفيف سهل النشر واذا جف يطفو على وجه الماء

«والجبيل» وهم يستعملون خشبه في البناء ويصنعون منه قوائم الاسرة والكراسي وعيدان الفؤوس والنساء تتبخر به لطيب رائحته

«والبشم» وهو شجر البشام ساقه صقيلة ولون خشبه ابيض مصفر يصنعون من غليظ فروع انصبه للسكاكين ومن ربيعها النبال وعصى الحراب وعصيا للحمل معقوفة كالصولجان كثيرة الاستعمال في السودان

«والعشر» المعروف وهم يدخلون قشره في مواد البارود ويصنعون من خشبه اسرجة للحمير والواحا للكتابة وقوارب صغيرة وخشبه متين خفيف وفي سوقه ليف يصنعون منه الشباك وفي قشر ثمره زغب حريري يحشون به الوسائد «والاراك» المعروف يتسوكون بفروعه طرية او يابسة وياكلون ثمره المعروف عندهم بالشاو * ويؤتى من الحبشة بعشبة تعرف بشاو الحبش تستعمل سهلاً للدودة الوحيدة

«واللعت» يشبه شجر الليمون وشوكه حاد تتخذ اغصانه سوكا وأليافه حبلاً «والصباغ» واكثره في بلاد كردوفان والنيل الأزرق وهو مستقيم الساق مخروطي الشكل كقالب السكر تسقف به البيوت ومتى كبر تفرع منه فروع مستقيمة ايضاً يسقف بها وخشبه يعرف بالشاف وهو افضل ما تتبخر به النساء

«والكلّيت» وهو شجر كبير كالسنط تبخر النساء بخشبه كالشاف ولكنه
بعد الشاف في الجودة

«وشجرة اللولو» وهي من اشجار بحر الغزال تشبه شجر الجوز ولها ثمر في
داخله نواة قدر الكستنا يدقونها ويغلونها على النار مع الماء فيستخرجون منها دهناً
لطيفاً يستخدمونه في اطعمتهم بدل السمن

«وشجرة الحمرة» وهي ايضاً من اشجار بحر الغزال وتشبه شجرة الجيز تُجرَح
فروعها بفأس فيخرج منها عصير اذا ترك الى اليوم التالي صار خمرًا يشربونها
«والرُوم» ويكثر في بحر الغزال وخط الاستواء وهو شجر كبير يحمل ثمرًا
كسابل الذرة فيه مادة ناعمة بيضاء كالحرير يستعملونها حشواً للوسائد
«والسنّا» ويُعرف ايضاً بالسنا المكي وهو كثير في جهات البحر الازرق والصحراء
الشرقية يستعملون ورقه مسهلاً وحده او ممزوجاً بالتمر الهندي ويدخلونه في التجر
«والحناء» المعروف وهو كثير ويدخل في التجر

«والخروع» وهم يستخرجون منه زيتاً ويدهنون به رؤوسهم واجسادهم
«والحسكيت» وهو نبات بريّ برّيّ يكثر جداً في كردوفان وله حبّ
كحبّ الرشاد يُعرف بالكوريب يا كلونه في ايام المجاعات ممزوجاً بالذرة او مجرداً عنها
«والهيكيت» ويكثر في الجنوب وهو نجم شائك معترش يقال انه يُسمّ الجمل
«والحنظل» وهو معروف ويستخرجون منه زيتاً يدخلونه في عمل القطران
«وشجر السم» وهو نجم كشجر الصبّير تُغرّز فيه السهام وهي محمية فيسمّوها
«والسلّلع» من النباتات الالفة السامة المربعة الساق اذا التفّ على شجرة
أبسها . ومن امثالهم (فلان عرق سلّلع) اي انه شوئم على صاحبه

«والمرّخ» وهو نجم ينبسط ويرتفع في الجوّ حتى يُستظلّ به وليس له
ورق ولا شوك وقضبانة دقيقة خضراء كاغصان البان وهو من شجر النار سريع
الوري تاكله الجمل وينبت في الصحاري الرملية . ويستخرج منه ألياف دقيقة متينة
جداً تُصنع منها الشباك وقد يمكن استخراج ألياف منه صالحة للنسج فليتنبّه لذلك

«والحمريب» وهو نبت الإذخر طيب الرائحة يستعملونه لبناء الكواخ ويغنون قشهُ مع البلح فيستعملونه طباً

«والخلفاء» من اشهر نباتات السودان تاكلهُ الجمال والدواب وهم يجففونه ويجدلونه حبلاً متينة يشدُّون بها السواقي والاسرَّة

«والنجيلة والدرفرة والسَّعدة والحمرة» وهي من اجود الاعشاب التي ترعاها البهائم وافضلها النجيلة

«والطرفاء» يكثر على النيل الازرق وخشبه جيد يصنعون منه القوارب وامرجة للحمير ويستخدمونه في عمل البارود وله عَص يستعمل في الصباغة «والصفصاف» وهو ينبت على ضفاف النيل فيغمرهُ الماء غالباً وقت الفيضان وهم يدخلونه في مواد البارود ويصنعون من اغصانه السلال ومن ورقه صباغاً يصغون به خوص النخل الذي تُصنع منه الحصر

«والقنا» وهو قصب مصمت الساق يكثر في اعالي النيل الازرق وهم يأخذون منه عصي الحراب والدَّرَق ويسقفون به ويصنعون منه مغازل القطن «وقصب البردي» المعروف بالببيروس وقد كان قديماً منتشراً في جميع وادي النيل وكان المصريون القدماء يستعملونه ورقاً للكتابة كما هو مشهور ولكنه انقطع الآن من وادي النيل ولم يبقَ منه الا في اعالي النيل الابيض من فاشودا فصاعداً جنوباً «والعنبج» نبات كالقصب الا انه اخف من الفلين وهو يكثر في جهات خط الاستواء وبحر الغزال ويصنعون من سوقه أطواقاً يسمونها الطروز ويستعملونها لشحن الحبوب على اسلوب بسيط جداً فانهم بعد شحنها يدفعونها في وسط التيار فسير بقوة حتى تصل الى المكان المقصود فيوقفونها وهي آمنة من المراكب واكثر اشجار السودان واعظمها في المنطقة الجنوبية التي هي منطقة الامطار فيها غابات عظيمة واحراج متسعة غاصة بالحيوان والطير واهص اشجارها الهشاب والطلح والسنت والسلم والكثر والتبلدي والابنوس والسدر والعرديب والاندراب والمدس والكاكموت والطرفاء والقنا وغيرها من الاشجار المتقدم ذكرها

﴿مزروعاتها﴾ واهمّ مزروعات اهل السودان :

«الذرة» وأكثر زراعتها في بلاد النيل والسودان الشرقي وهي عندهم انواع اشهرها الفترية وتزرع في الجزيرة على المطر . والكركي ويزرع في السودان الشرقي . وام قرظ والصفرا وتزرعان على النيل الايض . والمقد ويسي عيش الجزائر لانه يزرع فيها وهو من اجود انواع الذرة ولا يقتنيه الا المتعمون . وعيش الريف وهو المعروف في مصر بالذرة الشامي وزرعهم له قليل وهم يزرعونه على السواقي . وعيش الطيف وهو اعزّ انواع الذرة وله فريك يُعرف بالشمشم وهو لا يخصب الا في القصارف واهلها يخزنونه ويرسلون منه هدايا الى كل جهات السودان

«والدخن» وهو اصغر حبا من الذرة ويُزرع في الاراضي الرملية وأكثر زرعه في كردوفان ودارفور حيث يزرع على المطر وعليه اعتماد اهلهما

ويستخرج من الذرة والدخن نوع من المسكر يسمونه البوزة او الماريسة وهو مشروبهم الخاص ويصنعون منها نوعاً من الخبز الرقيق يسمونه الابريه يبلونه بالماء مع السكر ويستعملونه شراباً

«والتيلبون» وهو اصغر حبا من الدخن يُزرع في بحر الغزال وخط الاستواء «والقمح» ويُزرع على قلة لان اكلم له قليل «والشعير» ويُزرع على قلة ايضاً لانهم يعلفون خيلهم الدخن او الذرة ولا يعلفونها شعيراً الا في دققة

«والسمسم» ويزرع بكثرة وأكثر زرعه على المطر في الجزيرة والقصارف وكردوفان وهم يستخرجون منه الزيت المعروف بالسيرج ويستعملونه غذاء ودهاناً «والقطن» وهو يوجد فيها . ويزرعون قطناً يسمونه قطن ممتاز نسبة الى ممتاز باشا الذي ادخل زراعته الى السودان ايام كان والياً عليها مدة الفتح الاول وبعد الفتح الاخير ادخل «السررجينولد ونجت باتا والي السودان الحالي» زراعة القطن الاشموني والميت عفيفي من مصر فلم تمض عليه مدة التجربة بعد . وهم يخلجون القطن بآلة تعرف بالغوغاية شبيهة بدولاب الخلاجة في مصر ويحوكون

منه قماشاً خشناً شبيهاً بالخام يُعرف بالدمشور وهو لبس عامتهم وقماشاً ارق منه يُعرف بالقنجة وهو لبس خاصتهم

«والدخان» ويسمونه التنباك وهو خشن رديء ولكن في الفتح الاول دخل بلاد القصارف نوع منه عُرف بالتنباك السوري فجاد حتى كان افخر من دخان مصر . وهم يشربون الدخان بالغليون المعروف عندهم بالكدوس وفي مصر بالشبُّك ولكن غالبهم يصفونه مضغاً باضافة قليل من النطرون اليه وهو المعروف عندهم بالسفّه . او يسحقون ورق الدخان ويضيفون اليه قليلاً من النطرون او الجردقه (نوع من التراب) فيستعملونه نشوقاً

ويزرعون من انواع «القطاني» الفول العادي . والفول الكرذوفاني المعروف في مصر بالفول السوداني ومنبته كرذوفان وهم يدخلونه في الحلويات بدل اللوز ويستخرجون منه زيتاً ياكلونه ويدهنون به . والحمص ويسمونه بكبيك . والعدس . والماش ويسمونه لوبيا عدس . والبازلا . والترمس

ويزرعون من «الخضراوات» : الباميا وقد تنبت لنفسها فتعرف عندهم بالويكه . واللوبيا ويسموننها في دققة كشرقيق واكثر مأكلهم من هذين الصنفين . والقرع ويصنعون منه آنية للشرب . والكوسى . والباذنجان . والطماطم . والملوخية . والسلق . والرجلة . والكرنب . واللفت . والجزر . والكزبرة . والبقدونس . والشمره . والفجل . والتوم . والبصل الا ان البصل غير معروف في بلاد السود . والحلبة وهم يمزجون دقيقها بدقيق القمح واللبن والسمن ويتخذونها مقويات ويمزجون حبها باللبن ويستعملونها مضاداً للاسهال . والبطاطا وهي تنبت لنفسها في السودان الجنوبي . والشطة وهي نوع من الفلفل الاحمر وأجود التوابل عندهم

ويزرعون من انواع «الفاكية» : البطيخ ويعظم هناك حجمه جداً ولكنه لا يكون حلواً كبطيخ يافا وفي بعض جهات كردوفان حيث تقل المياه في الصيف يستعيضون باكله عن شرب الماء . والجرم وهو نوع من البطيخ ياكلونه مسلوقاً ومشوياً وياكلون بزره محمصاً بالملح . والشمام . والخيار . والقثا . والعجور .

وقصب السكر ويستخرجون منه في بعض الجهات عسلاً . والعنكوليب وهو نوع من قصب السكر إلا أنه أقل حلاوة منه ويكثر في بلاد التاكا والمضارف . وهم يستخرجون منه عسلاً أيضاً . والموز وهو كثير في فروع النيل الأبيض خصوصاً في خط الإستواء وبحر الغزال ويكبر ثمره حتى تبلغ الموزة الواحدة قدر الساعد وهم يصنعون منه مشروبات روحية * وترى في مدن السودان جنائن فيها من انواع الفاكهة البرتقال . والليمون . والمان . والعنب . والتين . والقشطة وغيرها

الفصل السابع

في

حيواناتها *

﴿ حيواناتها البرية ﴾ وفي السودان كثير من الحيوانات البرية والليفة لكن البرية أكثر جداً من الليفة لكثرة الصحارى والغابات وأشهرها : «الأسد» ويسمونه الدابي ودود الخلا ويصطادونه صغيراً ويربونه أو يصطادونه كبيراً فيجعله ملوكهم على ابواب منازلهم ليزيدوها مهابة ووقاراً «والفيل» وهم يصطادونه لاجل سنه وجلده فيدخلون سنه في المتجر ويصنعون منه اساور ومكاحل واغطية للركاوي وكراسي للوسائد الخشبية ومقابض للمراوح والعصي . ويعملون من جلده الدرق . ولكنهم لا يدجنونه كما في الهند . وقد قدّر الباحثون ان الفيل ينقطع من افريقية بعد ١٥٠ الى ٢٠٠ سنة «ووحيد القرن» او الكركدن ويسمونه العنزة ام قرن ويصطادونه لاجل قرنه المعروف بالخرتيت فيصنعون منه كاسات وفناجين وانصبه للسكاكين «والزرافة» وهم يصنعون من جلدها نعالاً ودرقا ومن ذيلها منشآت ويستمرئون لحما جداً ويقددونه كما يقددون لحم البقر «والجاموس البري» وبقرا الوحش وهم يصطادونها ويصنعون من جلودها الدرق

«وحمار الوحش» ويسمونه حمار الخلا أو حمار الوادي وأكثره في الصحراء الشرقية وهم يصطادونه ويدجنونه

«والزبيهر» وتعرف خطأً عندهم بحمار الوحش
«والضبع» وتُعرف عندهم بالمرعيب أو المرفعين وهي كثيرة جداً حتى
لقد تدخل البلاد العامرة وتسطو على المواشي والاولاد

«والذئب . والنمر . والفهد . والنمس . والقنفذ . والثعلب» ويسمونه البعشوم
«والخنزير البري» ويسمونه الحلوف وهم يأكلون لحمه

«وابو اظلاف» وهو شبه الحلوف لكن له اظلاًفاً كاظلاف الغنم يحفر بها
وجاره ويعيش تحت الارض كالخلد * «والهر البري» ويسمونه كديس الخلا
«وهر الزباد» ويسمونه كديس الزباد ويصطادونه لاجل زباده ويتجرون به
«والثيتل» وهم يصنعون من قرونيه عصياً لطيفة

«والغزال» وهو انواع شتى تسرح في صحاريها اسراباً
وفي غاباتها كثير من انواع «القرود» بينها : الاوران اوتان وهو اشبهها
بالانسان ويُعرف عندهم بالبِعام

وهم يصطادون الكواسر بالبنادق والخيول والشراك . وابسط شراكهم حفرة
يحفرونها في طريق الكواسر على عمق خمسة امتار او اكثر ويفرزون في قعرها
اوتاداً متينة محددة الرؤوس ويسقفونها بالعيدان والبروش (الحصر) ثم يحثون
فوقها التراب ويجعلونها كالارض التي حولها حتى لا يبقى ما يدل عليها اذ الكواسر
ولا سيما الافيال شديدة النكر تتحرز من اقل شيء يوجب الاشتباه فاذا مر الكاسر
بالشرك هوى به فيحاول التخلص فتهشمه الاوتاد تهشياً ويموت قهراً في وسط الحفرة *
ومن شراكهم شرك الماعز وذلك انهم يربطون ماعزاً الى وتد ويحفرون حوله
خندقاً مستديراً بحيث يبقى الماعز قائماً على اسطوانة من الارض حول الخندق
ثم يوارون الخندق بالعيدان والتراب على نحو ما تقدم فيأتي الكاسر لاخطاف
الماعر فيهبوي في الشرك ويبقى الى ان يأتي الصياد فيرميه بالحراش حتى يقتله *

ومنها شرك الحبل وذلك انهم يربطون بطرف حبل خشبة كبيرة يطمرونها في طريق الكواسر ويحفرون بجانبها حفرة يعقدون فوقها الطرف الآخر من الحبل على شكل حباله ويغطونها فاذا مر الكاسر بها نشبت الحباله في رجله فيحاول الفرار منها فيتعثر بالخشبة التي في الطرف الآخر من الحبل ويصير كلما ركض يتعثر بها حتى تنحور قواه فيأتي الصياد ويرميه بالحراش حتى يقضي عليه.

حيواناتها الاليفة ﴿ واما الحيوانات الاليفة فهي الابل . والخيول . والحمر . والبغال . والبقر . والضأن . والمعزى . والكلاب . والهررة .

اما « الابل » فهي كثيرة في جميع بوادي السودان وأهلها يؤجرونها لتجار الحضر ويقتاتون بلحومها وألبانها وينتفعون بجلودها ويصنعون بعض خيامهم من اوبارها . وهي اما للحمل او للركوب . واشهر ابل الحمل ابل الهدندوة فانها اصبر على الجوع والعطش من سائر الابل ويهون على الهدندوي بيع كل عزيز لديه الا جملة . واما ابل الركوب او الهجن فاشهرها ابل البشاريه فهي اسرع جرياً واخف حركةً وألين ظهرًا من سائر الابل والابل اسهل مركبًا من الخيل وغيرها من الدواب ولا سيما في الاسفار الطويلة والمفاوز البعيدة . وهم يجعلون لها خزاناً في انفها فيكون لها كالشكيمة للفرس

واما « الخيل » في السودان فتلاثة اجناس اعزها الدقلاوية وهي رشقة القدطويلة الشعر ممشوقة القوائم ظريفة الرأس سريعة الجري الا انها قيحة الكفل . ومنها اصل من خيل جزيرة ارقو يعرف باصل (دونا) لهم فيه خرافة لطيفة قالوا : خرج من النيل الى هذه الجزيرة حصان من خيل البحر فعلا فرساً لملك الجزيرة فولدت منه اصل دوناً وهو عزيز جداً في دقله ولا يقتنيه الا كبرائهم * ثم الغرباوية اي خيل الغرب في كردوفان ودارفور وهي ليست ممشوقة كالخيل الدقلاوية الا انها اصبر منها على التعب والعطش * ثم المكادية اي خيل الحبشة وهي ارداد خيل السودان وتأتيها بطريق القلابات ولكن يأتي من بلاد القالا اصل كريم من الخيل يُعرف باصل (جنا فنجان) وهو عزيز عندهم ولا يقتنيه الا ملوكهم * واهل السودان

يتفخرون باقتناء الخيل ولا يعنون بشيء كعنايتهم بها فهم لا يستعملونها الا للركوب ولا يسقونها الماء الا بعد ترشيحه ويلفونها الشعر والذرة وفي الخريف يلفونها النجيلة وقد يسقونها بعد العلف اللبن ممزوجاً بالسكر لتقويتها وتسمينها ولكنهم لا ينعلوننها ولا يقصون شعرها . ولهم معرفة في طبها واعتبارات شتى من حيث كرامتها وقوتها وسعدها ونحسها كاهل مصر والشام الا ان هؤلاء اوسع بها خبرة

واما « الحمير » فمنها بلدي ويعرف عندهم بالعربي ويستعمل لحمل الاثقال ومنها مجلوب من مصر او مولد ويستعمل للركوب * واما « البغال » فغير مألوفة عندهم ولا يوجد منها الا القليل المجلوب من الحبشة

ومن الغريب ان الابل والخيل لم تكن معروفة عند المصريين القدماء ولم يسمع عن الخيل في مصر قبل القرن الثالث عشر قبل المسيح وسمع عن الابل بعد ذلك واما الآن فخذ الابل في السودان عند خط ١٣° من العرض الشمالي تقريباً فالى جنوبي هذا الخط لا تعيش الابل ولا الخيل ولا الحمير اذ تتسلط عليها ذبابة سامة تُعرف بالسَّروُوت فتقتلها

واما « البقر » فكثيرة في جميع جهات السودان الجنوبية وتدخل جلودها في التجر لكثرتها . وكانت الحكومة في الفتح الاول تجلب قطعاناً منها الى مصر كل سنة عن طريق دنقلة . وعرب السودان يستخدمون الثيران للركوب وحمل الاثقال فيجعلون لها سروجاً من قش واخزمة كاخزمة الابل ولكن غالب بقر السودان صغيرة الابدان دقيقة الاعضاء طويلة القرون لا تصلح للعمل الشاق . وينتاب البقر وباء يفتك بها فتكاً ذريعاً كما حدث في السنين الفائتة

واما « الغنم » فحجاء طويلة الذيل والقوائم « والمعزى » صغيرة الجسم نحيفة واما « الكلاب » فافضلها جنس يعرف بالسلوقي وهو من كلاب الصيد المشهورة وقد رأيت كلباً منها في برية دنقلة يطارد ارنبا فلم يلبث ان قبض عليه واتى به الى صاحبه . والارنب كثير في صحاري السودان وهم ياكلون لحمه ولكن قل من يدجنه (طيورها) وفي السودان اجناس شتى من الطير برية وأليفة * اما « الالفه »

فهي الدجاج البلدي ويقولون له الجداد وهو كثير جدًا ولا سيما في الجهات الجنوبية.
والدجاج الرومي . والبط . والاوز . والحمام على أنواعه.

وأما « البرية » فاشهرها « النعام » وهو كثير في جميع بوادي السودان
ويصطادونه لأجل ريشه الذي هو من أهم المواد التجارية عندهم وياكلون لحمه
وقد يربونه في زرائب خاصة للانتفاع به واشهر من ربي النعام عربان حمر في
غرب كردوفان * ويصاد النعام بالبندق والخيول أما صيده بالخيول فكما رواه لي
بعض صياديه ان الفارس يطارد النعام في فلاته فلا يولي النعام ظهره كما قد
يتبادر الى الذهن بل يولي جنبه ويعدو في دائرة متسعة فيتصدى له الفارس
محاولاً قطع طريقه في دائرة اضيق منها حتى يكل النعام فيدركه الفارس ويضربه
بالسوط على رأسه فيجندله ويرجع به غانماً

ومن الطيور البرية : « النسر . والعقاب . والصقر . والحدأة . والرّخم
والقطا . والسمانى . والحجل . والقمرى . والهدهد . والدجاج البري او « جداد الوادي »
ومنها « الدوري » الذي لا تخلو بلاد منه

« والحبارى » وهي شبه النعام وهم يصطادونها ويستمرئون لحما
« والبيغاء » ويسمونه الخضاري ويحبب منه كثير الى مصر
« والغراب » وهو دليل الشؤم . « والبوم » وهو اشأم منه
« وابو منجل » (Ibis) سمي بذلك لان هيئة عنقه ومنقاره تشبه المنجل وهو
الطائر الذي كان المصريون القدماء يجلونه ويحترمون احتراماً يقرب من العبادة
ومنها « البلبل . والهزار . والكروان » وغيرها من الطيور الجميلة المنظر
الحسنة الصوت * ومن هذه الطيور طائر يقال له « اب تكو » يشبه البيغاء في
لونه وحجمه الا انه اطول منقاراً واقصر ساقاً وهو مشهور بغيرته على انثاه
قليل انه لا يفارقها ليلاً ولا نهاراً حتى تأتي ايام حضانتها فيسد عليها العش بالطين
ويترك له ثقباً صغيراً يناولها منه الغذاء وتبقى كذلك الى ان تفرخ فيفتح لها الباب
ويلازمها . ومن امثالهم « فلان حكمه حكم اب تكو على امرأته »

واما «الطيور المائية» التي تعيش على الاسماك والنبات فاشهرها : جمل البحر .
وابوسعن . وابو مغازل . والغطاس البحري . والبط . والاوز . والسُّقْدَة وهو يشبه
الحمام . واللقلق ويسمونه السِّمْبَرِيَّة . والرَّهْو وهو الكُرْكِي وهم يصطادونه
ويستمرئون لحمه . والغرنوق وهو أطف الطيور المائية

﴿ زحافاتا وهوامها ﴾ وفيها من الزحافات : «السلحفاة» وهم ياكلون لحمها
ويضها ويصنعون من محارها الدَّرَق . «والورل والحرباء . والوزغة»

وفيها انواع شتى من «الثعابين» السامة وغير السامة أشهرها «الأصلة» وهي من
الثعابين غير السامة الا انها هائلة الحجم تبلغ من الطول اربعة امتار او اكثر وجسمها
كجسم الطفل مغطى بقشور سمكة يكثر وجودها في الغابات فتسكن تجاويف
الاشجار وتعيش على الحيوانات فتبتلعها ابتلاعا ثم تهضمها هضمًا تدريجيا . وهم يصطادونها
لاجل جلودها فانهم يعملون منه أحزمة واحجية وفي خرافاتهم ان الحامل اذا
تمنقت بجزام مصنوع من جلد الأصلة أمنت كل ضرر وان الحجاب الملفوف بجلد
الأصلة يقي حامله فعل الرصاص والعين . واما كيفية صيدها فهي انهم يزرعون لها
في المكان الذي تنتابه زَرْبًا متينًا ويجعلون داخله حيوانًا ضخمًا فتأتي الأصلة وتبتلعه
فتزح في مكانها فيوقدون النار اذ ذاك في الزَرْب فتتوت حرقًا واذا نجت قتلت
من تجده في طريقها شرًّا قتلة لا باللدغ لانها غير سامة كما مرّ بل بالتفافها عليه
وضغطها له ضغطًا شديدًا يزهق روحه

وفيها «العقرب» وهي سامة جدًا

«وابوشبت» وهو شبه الرتيلاء الا انه سام كالعقرب

وانجع علاج عندهم للذع الحيات والعقارب الكي بالنار وشرب التمر الهندي

مع الملح ونشارة الخريت مغلية بالماء

«والجراد» وهو يتكوّن فيها او تقذفه الرياح من الحبشة او الحجاز ويحيى

اسرابًا كثيفة حتى اذا طار حجب عين الشمس أو حلّ غطى وجه الارض وحيث حلّ

لا يبقى ولا يذر فيتلف المزروعات والاشجار اتلافًا تامًا ويعمّ بسببه الجوع . وقد بيض

وينقف فيشتدّ بلاؤه وهو شرُّ الآفات على السودان من خط الاستواء الى سواكن
«والفار» وقد يكثر جدًّا في بعض الجهات فيعيث في الزرع ويعظم شره
«والأرّضة» وهي نوعٌ من الذباب شبيهة بالنمل عظيمة الضرر تكره النور
فتكمن في التراب تحت وجه الارض حتى اذا وُضع عليه متاع من خشب او جلد او
نسيج علقته به في الحال وقرضته من اسفله وهرأته هراً. لذلك لا يترك اهل البلاد
امتعتهم على الارض بل يعلقونها في السقوف أو يضعونها على حجارة صلبة فانها لا
تسلق عليها الا بعد حين اذ تبني على نفسها أزجاً من التراب شبه دهليز تستر به
وتدب الى المتاع فتشب فيه وتلفه. وهي تكثر في بلاد دقلة وتقل في بربر
«والسرّوت» وهي ذبابة سامة قدر النحلة لها حمةٌ حادةٌ تلذع الانسان
والحيوان وتقتل من الحيوان الابل والخيول والحمر وتوجد في اعالي النيلين الايض
والازرق وتكثر في زمن الامطار

«والذباب العادي» وهو كثير جدًّا وشديد الوطأة
«والبعوض» او الناموس واكثره في اعالي النيلين الايض والازرق ومنه
نوع مشهور بنقل جراثيم الحمى الملارية وغيرها من الحيات
«والبق» ويسمونه المرقوت او المرقون * «والقمل» ويكثر في عامتهم
فيماً ثيابهم وفرشهم لكثرة اوساخهم * واما البرغوث فغير معروف عندهم
«والنحل» وهو كثير في كل جهة ولكنهم قلما يعنون بتربيته بل يجنون
الشهد من خلاياه التي يصنعها في الجبال والغابات
«والفراش» ويكثر جدًّا في زمن الامطار حتى يكون كالجراد المنتشر
«والنامش» وهو نوعٌ صغيرٌ جدًّا من الهوام يكثر بعد الغروب حتى يكاد
يطغى الانوار من شدّة تهافته عليها

هذا وفي السودان غير ما ذكر كثير من الطير والحيوان بما لا يعرف له اسم عندهم
او مما تختلف اسماؤه باختلاف البلدان. وقد وضعت حكومة السودان الجديدة
قانوناً منعت فيه صيد بعض الحيوان والطير وسحبت بصيد البعض الآخر برسم معلوم



رجال الشراك

الفصل الثامن

في

﴿ سكانها ﴾

« اصولهم . وقبائلهم . ومواطنهم »

اما سكان السودان فمن شعوب مختلفة وقبائل شتى تجمعهم خمسة اصول كبار وهي السود . وشبه السود . والبجة . والنوبة . والعرب . ما عدا الاجانب والمولدين ﴿ السود ﴾ اما السود ويُعرفون ايضا بالزنج والعبيد فهم سكان افريقيا الاصيلون ومن اصل قديم قبل التاريخ وهم في عرف علماء الطبيعة من السلالة الثالثة التي هي ادنى السلائل البشرية . وقد انحصروا الآن في افريقيا الجنوبية وفي اعالي النيلين الايض والازرق من بلاد السودان وهم منقسمون فيها الى قبائل شتى لكل قبيلة منهم لغة خاصة ومذهب خاص من الديانة القتشية او الطبيعية وعليها رئيس ديني وملك من جنسها . وكلهم حضر لا بادية فيهم ولكنهم ما زالوا على الفطرة الاصلية عراة الابدان لا مدنية لهم ولا علم ولا صناعة . ودأبهم الزراعة قدر كفايتهم وصيد السمك في النيل والحيوان في البرّ وغزو بعضهم لبعض . وهم يقتنون البقر والضأن والمغزى والدجاج والكلاب ويعنون بتربية الابقار عناية تقرب من العبادة . واشهر قبائل السود في اعالي النيل الايض :

« الشلك » وبلادهم غربي النيل الايض بين جزيرة أبا وبجيرة نو . وهي سلسلة من القرى متصلة بعضها ببعض على كل قرية شيخ وكل مجموع من القرى ناظر وعلى الكل ملك يقيم في فاشوده . وهم من اقوي قبائل السود واطولها قامة « والدنكا » ويسكنون شرقي النيل الايض تجاه الشلك وشمالى خط الاستواء وهم اشد قبائل السود سوادا ومن اجهلها شكلا

« والنوير » وهم بين بحر سبت وبحر الغزال وفي بلادهم يتسع النيل وتكثر

السدود والمستنقعات حتى ان بعضهم يسكنون الجزر فيعيشون على الاسماك والنباتات كالطيور المائية . «والبور . والشير» في شمالي خط الاستواء «والباري» وهم افرس قبائل السود واحسنهم خلقاً وابهاهم طلعةً واشهر محلاتهم كوندوكرو وباري

«والمادي» في جنوبيهم وهم يشبهونهم في الهيئة والاخلاق والعادات «والشلي» في رأس بحر الجبل شمالي بحيرة نيانزا وبين لغتهم ولغة الشلك مشابهة كلية حتى ظن بعضهم انهم والشلك من اصل واحد

«واللاتوكا» في شرق بحر الجبل وهم لا يشبهون جيرانهم السود في شيء ويختلفون عنهم في الهيئة والاخلاق والعادات كما يختلفون عنهم في اللغة وقد اجمع السياح الذين اجتابوا بلادهم انهم هم والقالا الذين في جنوبي الحبشة من اصل واحد . وهم في حروب مستمرة بعضهم ضد بعض ولولا ذلك لكانوا اقوى امم افريقيا «والمكارك» وبلادهم غربي بحر الجبل في جوار المادي وهم فروع من النيام نيام ويمتازون عن الامم المحيطة بهم بان انوفهم اقل فطساً وخدودهم اقل بروزاً وزاوية وجوههم اكثر انفراجاً وشعورهم اطول واسبط . وهذه القبائل الخمس الاخيرة واقعة وراء الحد الجنوبي للسودان الحالي

«والجانقي» وهم فرع عظيم من الدنكا واكبر قبائل بحر الغزال واشدهم بأساً واطولهم قاماً وسكناهم السهول الواطئة الشمالية

«والبنقو» ويسكنون السهول المرتفعة جنوبيهم وهم ارق قبائل بحر الغزال بل هم في رأي شوينفرث السائح الالماني الشهير ارق عقلاً من سائر قبائل السود ويمتازون عنهم بالوداعة ولين الجانب وحب العمل . والفرق بينهم وبين جيرانهم الدنكا في اللون كنسبة الفرق بين تربة القبيلة الواحدة وتربة الاخرى فتربة البنقو حمراء قائمة لما فيها من الحديد وتربة الدنكا سوداء اذ لا حديد فيها ولذلك ترى لون الدنكا اسود حالكاً ولون البنقو احمر قائماً وهم يستخرجون الحديد ويشتغلون به «والقولو» وهم في غرب البنقو ويشبهونهم في هيئاتهم واخلاقهم وعاداتهم

«والجور» وبلادهم بين الدنكا والبنقو وهم يرجعون في انسابهم الى الشلك ويتكلمون لغتهم ولا يعنون باقتناء الابقار كغيرهم من السود بل يعنون بالزراعة ويستغلون بالحديد ولهم معرفة بحفر الحشب وعمل التماثيل

«والأجار» على نهر الرول من فروع بحر الغزال وهم فرع من الدنكا وقد اشتهروا بالغدر والخيانة * «والمورو» على نهر ياي في جوار الأجار

«والديور» في غرب الدنكا وهم فرع من الشلك

«والشيري» وهم مجاورون للنيام نيام في اقصى بحر الغزال وقد اشتهروا بالقوة والنظافة والترتيب وحب العمل وسماحة الخلق مع القدرة على تحمل التعب والصبر على الجوع . وليس عندهم من الحيوانات والطيور الاليفة الا الدجاج

«والنيام نيام» الداخل بعضهم في كلامنا وقد اشتهروا باكل لحوم البشر

«والفرايت» في شمال بحر الغزال الغربي وجنوبي دارفور وهم قبائل شتى يدخل منها في كلامنا سبع وهي دتقو اهل حفرة النحاس . وكارا . وفنقرو . وبنه . وباه . وفروقي . وشالا

«والنوبة» ويسكنون الجبال التي الى جنوبي كردوفان المنسوبة اليهم وهم من ابنه قبائل السود واقلها سوادا قاماتهم متوسطة واجسامهم ممتلئة واخلاقهم رضية . ويرتاد العرب بلادهم في زمن الصيف طلبا للماء والكالا ولذلك ترى الكثيرين منهم يتكلمون العربية . وقد قدر عددهم قبل الثورة المهدية بنحو ٥٠٠٠٠ مقاتل ولكن الثورة المهدية اضعفتهم حتى لم يبق منهم الآن نصف هذا العدد واشهر قبائل السود في اعالي النيل الازرق في اقصى بلاد سنار وفازوغي :

«البرون» ويسكنون الجبال التي الى جنوب خور الدليب في اقصى جزيرة سنار وهم في غاية الهمجية * «والجبلايون» وهم سكان فامكه عاصمة فازوغي

«والقمز» في شرق فامكه * «واللائقسنه» في غربيها وهم لصوص قطاع طرق

«والبرته» وهم سكان بني شنقول الى جنوب فامكه التابعة الآن للحبشة هذه هي اشهر قبائل السود في بلاد السودان وقد كان العرب يغزونهم

فيأتون منهم بالرقيق فيأخذون منه كفايتهم ويرسلون ما فضل عنهم الى الجهات
للاتجار به ولكن الحكومة منعت ذلك منعاً قطعياً كما سيحي.

شبه السود ۞ واما شبه السود (Negroid) فهم من اقدم الاصول في
البلاد بعد السود ويُظنُّ انهم اولاد كوش بن حام الذين هاجروا الى السودان بعد
الطوفان وسكنوا الحضرة . ومنهم معظم سكان دارفور من بلاد السودان المصري
ومعظم سكان وداي وكانم وياجري وبرنو وسوكوتو وملي من السودان الغربي .
وهم اقل سواداً واوفر عقلاً وارقى حضارة من السود بل هم في الملامح والحضارة
اقرب الى العرب منهم الى السود . وقد كانوا على الديانة القتشية كالسود فهاجر
اليهم العرب بعد الاسلام وعلموهم الاسلام ففاقوهم في الائتار به والتمسك بفرائضه .
وهم يقتنون البقر والضان والمعزى والخيول والحير ويشغلون بالزراعة وصناعة الدَّرَق
وحياكة الدُمُور ويحبون العلم وينقسمون الى قبائل مختلفة لكل قبيلة منهم لغة
خاصة وملك من جنسها اشهرها :

«الفور» ومركزهم جبل مرّة وقد اختلط العرب بهم فأسسوا معهم مملكة
قوية في دارفور دامت من سنة ٨٤٨ هـ الى سنة ١٢٩١ هـ كما سيحي في التاريخ *
ومن فصائلهم الكُنْجَارَة وهم ملوكهم الاولون ويدعون النسبة الى بني العباس .
والمسبَّعات وقد حكموا في كردوفان . والتُّنْجَر ومركزهم جبل حُرَيْز على يومين
الى الشرق من جبل مرّة وشارتهم العمامة السوداء قيل انهم كانوا يملكون البلاد
قبل الكُنْجَارَة فاغتصب هؤلاء الملك منهم فلبسوا العمامة السوداء من ذلك الحين
حداداً عليه . والجبلانيون سكان جبل مُول في غربي البلاد

«والبرقد» ومركزهم جبل مُسكو بين جبل حُرَيْز وجبل مرّة قيل ان عندهم
الى الآن صنماً يعبدونه سراً . ومنهم فصيلة تُعرَف باب درق تعرّبت ونسبت لغتها
«والميمة» ومركزهم فافا ومنهم فصيلة في كردوفان تعرّبت ونسبت لغتها
«والمرايت» ومركزهم جَلِّي بين بكِّيَّة وكلُّكل وهم ايضاً تعرّبووا ونسوا لغتهم
«والموزة» وهم مجاورون للمرايت * «وكبقه» الى الشمال الغربي من جبل مرّة

«وكاجه البدو» وبلادهم الى الشمال الشرقي من ام شنتقه سموا بذلك تمييزاً لهم
 عن كاجه كتول في ارض كردوفان وقد اشتهروا جميعاً بصيد الزراف وصناعة الدَّرَق
 «والداجو» ومركزهم جبل داجو مسيرة يومين الى الغرب من داره قيل
 انهم ملكوا البلاد قبل التنجر وعندهم صنم من حجر يعبدونه سرّاً ويسمونه كَنَقَرَه
 «ورُنَق» الى الجنوب الغربي من الداجو * «واليقو» الى الجنوب من داره
 «والقمر» وتُعرف بلادهم بدار قمر ومركزهم ابو عَشَر مسيرة ثلاثة
 ايام الى الشمال من كلكل وملوكهم مصاهرون لسلطين الفور
 «وتامه» وهم مجاورون للقمر من جهة الغرب واضدادهم لهم
 «والمسالت» وهم مجاورون للقمر من جهة الجنوب
 «وسميار» ومركزهم سميار في جوار المسالت . قيل ولغات القمر
 والمسالت وسميار تقرب جداً بعضها من بعض حتى كأنها لغة واحدة بثلاث لهجات
 «والزغاوة» وهم فريقان زغاوة كُبا في شرق دار قمر وعندهم كثير من
 الخيل والحمر وزغاوة الدُّور مسيرة اربعة ايام الى الشمال من الفاشر . ومنهم فرع
 يقال لهم الكَمَلْت في بلاد دارا تعلموا اللغة العربية ونسوا لغتهم
 «والبرتي» وهم يتكلمون العربية مع لغتهم ومركزهم جبل تقابو مسيرة ثلاثة
 ايام الى الشمال من الفاشر وهم قبيلة جسيمة * «وأسمور» في اقصى الشمال الغربي
 «والميدوب» مركزهم جبل ميدوب على ٣ ايام الى الشمال الشرقي من
 تقابو وقبيلتهم الابل والخيل والضأن وهم في طريق الاربعين
 «والبديات» في غرب آبار النطرون وهم أهل بادية ولا زالوا على الفتشية
 ويعبدون الشجر مع أنهم محاطون بالمسلمين من كل جهة
 ﴿البجة﴾ واما البجة ويقال لهم البجاة والبيجة فهم بادية الصحراء الشرقية
 بين النيل والبحر الاحمر ومن بقايا الشعوب التي تألفت منها مملكة ايثيوبيا القديمة
 ويُظنُّ انهم من سلالة اولاد كوش بن حام الذين هاجروا الى السودان بعد الطوفان
 كما ظنَّ في شبه السود وسواء صحَّ هذا الظنُّ في هذين الشعبين او لم يصحَّ فمن

الثابت المقطوع به والمؤيد بالقرائن التاريخية والطبيعية انهما من سلالة غير سلالة
السود وانهما اقدم الشعوب في افريقيا بعد السود ولم ينشأ فيها بل هاجرا اليها من
آسيا عن طريق مصر او البحر الاحمر من عهد بعيد . وبقي البجة على الوثنية الى ان
كان الاسلام في جزيرة العرب وهاجر اليهم العرب المسلمون في القرن الاول للهجرة
فعلموهم الاسلام فاتحلوهم على ضعف لكنهم ما زالوا على لغتهم البيجاوية وحالهم
الاولى من البداوة والهمجية وهم يشبهون عرب البادية في الملامح والعادات الا انهم
اشد سمة واشكس اخلاقا . وقنيتهم الابل والغنم والمعزى . وهم منقسمون
الى عدة قبائل جسيمة في كل قبيلة عدة عمائر وبطون وافخاذ وفصائل وهي :
«العبادة» وينقسمون الى اربع عمائر تعرف بالبدنات وهي العشاباب وهم
منتشرون في الصحراء بين قنا وكورسكو ومركز شيخهم اصوان ومن آبارهم الشهيرة
أَحْمِر وأُنْقَات وأَبْرَق . والمليكاب بين دراو وبربر واشهر آبارهم آبار
المرآت ومركز شيخهم دراو شمالي اصوان . والفقراء وهم متفرقون في شرقي النيل
وغريه بين قنا وكورسكو ومركز شيخهم الرمادي قرب ادفو . والعبودين مع
السناتير شرقي النيل بين قنا وكورسكو ومركز شيخهم السيالة شمالي كورسكو
واكثرهم تابع لمصر وهم يخالطون الحضر على النيل فيأتون اسوان على الخصوص بما
عندهم من الابل والفحم والسنا وغيرها ويرجعون الى صحرائهم بالغلل والبضائع .
وفي تقاليدهم انهم قوم الزير بن العوام وهو احد القواد الاربعة الذين ارسلهم عمر
ابن الخطاب نجدة لعمر بن العاص اذ كان محاصرا المقوقس على جبل المقطم بمصر
وارسل معهم كتابا يقول فيه « اني قد أنفذت اليك اربعة آلاف على كل الف
منهم رجل بمقام الف » . ولعل قوم الزير بن العوام اختلطوا بهم فكانوا رؤوسهم
«والبشارين» او البشارية وهم ثلاث فرق فرقة على البحر الاحمر من القصير
فصاعدا جنوبا الى حدود سواكن وفرقة على الاتبره وفرقة في جزيرة عتباي بينهما
وفي كل فرقة عدة بدنات مشهورة

«والأمرأر» وهم قبيلة جسيمة في طريق بربر بين سواكن وبئر أرياب

وينقسمون الى بدناتٍ شتى اهمها الموساياب وهم شيوخ القبيلة ومركزهم أرياب «والهدندوه» وهم اقوى قبائل البجة واوفرهم عددًا قليل انهم يبلغون نصف مليون نفس او اكثر ويسكنون الصحراء الواقعة بين خور بركة والاتبرة وطريق بربر وسواكن وينقسمون الى بدنات شتى ذكروا لي منها ٣٠ بدنة اهمها الويل الياب وهم شيوخ القبيلة ومركزهم فليك الى الشمال من كسلا قليل ان اسمهم مشتق من هذا بمعنى اسود واندوه بمعنى القبيلة ومعناه القبيلة السوداء ومنهم من فسرهُ بغير ذلك «والحلانقه» ومركزهم كسلا وهم اضداد الهدندوة وموالون للحكومة «وبنو عامر» وهم في شرق خور بركة من عقيق الى سنهيت وقد قامت فيهم قديمًا مملكة خضعت لسنار وهم اميل الى السكينة من كل قبائل البجة . وتمتاز ابلهم بطول سنامها حتى ان سنام البعير منها يبلغ طوله مترًا او نحوه . وهم منقسمون الى ١٦ بدنة او اكثر اشهرها النابتاب وهم رؤوسهم وينتسبون للجعليين . ومنهم فصيلة تُعرف بالبجة اي باسم الجنس كله واخرى تعرف بالخاسة وهما محتقرتان عند عرب السودان ومن امثالهم «البجة والخاس ارخص الناس»

«والحباب» وهم في شرق بني عامر ويمتدون من رأس قصار الى مصوع وهم وبنو عامر مشتركون الآن بين حكومة السودان وحكومة الإثريا (النوبة) واما النوبة وهم المعروفون في مصر «بالبرابرة» فقد انحصروا في وادي النيل بين الشلال الاول والرابع وهم خليط من ثلاثة اجناس : النوبة الاصليون والعرب والأتراك . اما النوبة فهم كالبجة من بقايا الشعوب التي تألفت منها المملكة الاثيوبية القديمة وقد اختلف في اصلهم فمنهم من قال انهم والبجة من اصل واحد ومنهم من ألحقهم بالنوبة السود الذين الى جنوبي كردوفان ولكل من الفريقين اقوال تخمينية لا محل لذكرها هنا وهم الآن نفر قليل لا يزيد عددهم عن اربعمائة رجل . واما العرب فهم الذين استوطنوا البلاد بعد الاسلام وهم القسم الاكبر . واما الأتراك فهم الذين استوطنوها بعد ان فتحها السلطان سليم الفاتح سنة ١٥٢٠ م وهم اقل من العرب واكثر من النوبة * وقد كان النوبة الاصليون قديمًا على

الوثنية كالبجة فلما انتشرت النصرانية في مصر امتدت اليهم فاعتنقوها سنة ٥٤٥ م وبقوا الى ان تغلب العرب المسلمون سنة ١٣١٨ م فاعتنقوا الاسلام مضطرين ولكنهم بقوا محافظين على لغتهم واتخذ العرب الفاتحون لغة النوبة ونسوا لغتهم وكذلك فعل الاتراك . ولم يزالوا جميعهم يتكلمون لغة النوبة بلهجتين مختلفتين فلاهل المحس وسكوت لهجة ولاهل دققة في جنوبيهم والكنوز في شماليهم لهجة اخرى . ومن مخالطتهم العرب ترى اكثرهم يتكلمون العربية لكن رطانة الاعجمية ظاهرة في كلامهم * وكل من هذه الاجناس الثلاثة محافظ على جنسيته ويفتخر بالانتماء اليها واما في داخلية السودان فهم يعرفون باسماء بلادهم اي : «الداقلة» وهم سكان النيل بين الشلال الثالث والرابع وهم قبائل مختلفة اشهرها قبيلة الاشراف التي تدعي النسبة الى آل البيت ومنهم محمد احمد المتهمدي المشهور . وقام منهم قديماً ملوك في الدفار ودققة العجوز والخذق وجزيرة ارقو ولا تزال ذريتهم فيها الى اليوم

«والمحس» وبلادهم بين الشلال الثالث وجبل دوشه وهم يدعون النسبة الى عبيد بن كعب العباسي ويقولون انهم كانوا عند مجيئهم الى دار المحس سبعين الفا . وقد كان لهم قبل الفتح المصري ملك في جبل ساسي لا تزال ذريته مقيمة هناك الى اليوم

«واهل سكوت» ويسكنون بين جبل دوشه والشلال الثاني عند حلفا «واهل حلفا والدر» وهم بين حلفا والسبوع واكثرهم من ذرية الاتراك «والكنوز» قيل جاؤا من نجد والعراق وسكنوا بين السبوع والشلال الاول وقد يطلق عليهم جميعاً اسم الداقله . وهم في بلادهم يتعاطون الزراعة وحياسة الدمور ويقتنون البقر والضان والخيول فاذا خرجوا منها الى مصر كان صغارهم مساحي احذية وكبارهم بوايين وخداماً وسياساً واذا ذهبوا الى داخل السودان كانوا تجاراً وكتبه وفقهاء ونجارين يبنون المراكب . وقد اشتهروا في مصر بالنظافة وفي السودان بالكر والخديعة ومن امثال عرب السودان «الدقلاوي شيطان مجلد بجلد انسان»

﴿العرب﴾ واما العرب فهم معظم سكان السودان واكرمهم اصلاً واوفرهم عقلاً وارقام حضارة وقد هاجروا اليها بعد الاسلام عن طريق مصر او البحر الاحمر فاستولوا عليها تدريجاً وسكنوا اطيب بلادها واسسوا فيها عدّة ممالك سيأتي ذكرها .
 وهم اما حضر او بادية اما الحضر فاکثرهم على النيل الكبير والنيلين الازرق والايض وفي الجزيرة بينهما وهم يقتنون الخيل والبقر والحمر والضأن والمعزى والطيور الاليفة ويستغلون بالزراعة والصناعة والتجارة والعلم على ما سنبينه بالتفصيل . واما البادية فاکثرهم في البطانة وصحاري البسوطة وكردوفان ودارفور وهم يقتنون الابل او البقر ومعها الخيل والحمر والضأن والمعزى ودأبهم الصيد والقنص ورعي المواشي وارتباد مواقع الغيث ومنابت الكلاي والغزو بعضهم لبعض شأن بادية العرب في كل مكان .
 واسم العرب في السودان انما يُطلق على بادية العرب فقط واما حضرهم فيعرفون باسماء قبائلهم او باسماء البلاد التي يسكنونها . وهم يرجعون في انسابهم الى الصحابة وآل البيت وغيرهم من الاصول الشريفة كما سيجيء .
 واشهر قبائل العرب على النيل الكبير :

«الشايقية» وهم حضر وبادية وينقسمون الى عدة بدنات اشهرها : العادلاناب والسواراب والحنيكاب والعماراب وقد اشتهر لهم في ايام سلطنة الفونج مملكة قوية وحاربوا اسماعيل باشا وهو سائر لفتح سنار فغلبهم وجند نفراً منهم في جيشه وهم موصوفون بالشجاعة والكرم والضيافة وحب العلم والفقهاء وفقهاؤهم فريقان الدؤيبية والعونية اما الدؤيبية فمن ذرية عبد الرحمن ودحاج الذي جاء اليهم من مكة واشتهر بالصلاح والتقوى وله قبة في الدؤيم تزار بقرب مروي . واما العونية فكبيرهم الآن محمد بك السيد سر سوارى عساكر القلابات سابقاً ومعاون اول بمديرية الخرطوم في الوقت الحاضر

«والمناصير» وهم يسكنون بين الشلال الرابع وابي حمد . قيل ان اجدادهم قتلوا رجلاً في المنصورة بمصر ففرّوا الى هذه البلاد وذلك من عهد غير بعيد وهم ينقسمون الى خمس بدنات وهي الوهاباب والكبانة والسليمانية والكجواباب والخبراء

« والرباطاب » — في جنوبي المناصير وهم ثلاث بدنات وهي البديرية
والفرانيب والضعيفاب وقد اشتهروا بسرعة الخاطر والجواب الفهم وهم في
عُرف اهل السودان اصحاب ككر وطاقيّة اي اصحاب ملك اذ الككر عندهم
الكرسي الذي يجلس عليها ملوكهم والطاقيّة عبارة عن التاج وهي لباس للرأس لها قرنان
« والميرقاب » الى جنوبيهم ومركزهم بربر وينقسمون الى اربع بدنات وهي
الصيّام والمُصطفياب واللّيّاب والرّحّاب وهم اهل ككر وطاقيّة
« والجعليون » الى جنوبيهم وهم اشهر قبائل العرب في السودان وقد عُرفوا
منذ اول عهدهم بالشجاعة واقتحام الاخطار وحب الاسفار فتراهم منتشرين في جميع
اقطار السودان والحبشة وحيث يذهبون يستوطنون ويتوالدون وينشئون حلة تنسب
اليهم . وهم اهل ككر وطاقيّة وقد كان بينهم وبين الفونج وقائع معدودة وكانوا في
حروبٍ مستمرّة مع الشايقيّة واهل البادية المجاورين لهم كالشكرية والكواهلة . وقد
انقسموا الى اكثر من ثلاثين بدنةً اوخشم يبت منهم العمراب والمجازيب والعباسية
والرازقية وهم فقهاؤهم . والسعداب وهم ملوكهم ومنهم الملك نمر الذي غدر
باسماعيل باشا فاتح السودان فخرقه حياً والملك سعد اخوه الذي دفن ابن اخيه حياً
في التراب لانه اغتصب بنتاً من الاحرار . والعوضيّة واليهم ينتسب الهمج وزراء
الفونج . والنفيّعاب ومنهم علي ود سعد وعبدالله ود سعد والياس باشا ام بربر
الذين اشتهروا في تاريخ المهديّة . والنافعاب ومنهم ود النجومى المشهور . والمكابراب
وقد اشتهروا باللصوصيّة . والاتقريباب وهم ينتسبون الى العابدلاب الآتي ذكرهم
وكبيرهم الآن ابراهيم ود حمزة الذي اشتهر في حملة ام درمان الاخيرة . وقد
اطلق اسم الجعليين في مصر على جميع سكان النيل بين ابي احمد والخرطوم
ولكنهم في الواقع بين الدامر وعقبة قري
• « والجميعاب » وهم يسكنون النيل بين عقبة قرّي والشيخ الطيّب . ومنهم
الزبير باشا الذي اشتهر بحروبه في بحر الغزال ودارفور وهو اعظم رجل قام في
السودان الى اليوم . وسيأتي تفصيل خبره

«السروراب» الى جنوبي الجميعاب بين الشيخ الطيب وكرري شمالي ام درمان
«والعابدلاب» ومركزهم الحلفاية تجاه الخرطوم وهم فرع من القواسمة الآتي
ذكرهم وقد سمو بالعابدلاب نسبة الى كبيرهم عبد الله جماع الذي اسس مملكة
سار مع الفونج وقاسمهم اياها فاتخذ مركزه قري ولقب بالشيخ . ثم تقل خلفاؤه
المشيخة الى الحلفاية فبقيت الى الفتوح المصري وسيأتي تفصيل اخبارهم في التاريخ .
واما لفظ اب الذي ينتهي به اسم العابدلاب وغيرهم من القبائل العربية فهو
مأخوذ من البيجاوية ومعناه عائلة او قبيلة

واشهر قبائل العرب على النيلين الابيض والازرق والجزيرة بينهما :
«الجموعية» وهم يسكنون غربي النيل الابيض بين ام درمان والترعة الخضراء
وهم اهل ككر وطاكية ومن فروعهم الفتيحاب سكان ام درمان والخرطوم الاصيليون
هذا ويقول عرب الجموعية والسروراب والجميعاب والجعلين والميرقاب
والرباطاب والشايكية المتقدم ذكرهم ان جدّهم واحد وهو ابو مرخة المتصل نسبة
بالعباس ولهم في ذلك رواية خرافية قالوا : حضر والد ابي مرخة وعمه الى السودان
في زمن مهاجرة العباسيين اليها وكان ابو مرخة وحيداً لا يه ولعمه سبع بنات وكان
اهل السودان في ذلك الوقت من النوبة او البجة فلم يكن فيهم من هو اهل
لبنات عمه فتزوجهن الواحدة بعد الاخرى وولد من كل منهن ولداً اصبحت جدّاً
لكل من القبائل السبع المذكورة

«والحُسَنَات» في جنوبي الجموعية شرقي النيل وغريه ومركزهم القطينة
«ودُغيم» ومنهم علي ود حلو ثاني خلفاء محمد احمد المتهمدي
«وكِنانة» ابناء عم دُغيم ومركزهم جمعان . وكلاهما في جهة جزيرة
ابا شرقي النيل الابيض وغريه * «وسليم» في جنوبيهم

«والرفاعيون» ومركزهم الكاملين على النيل الازرق وهم ينتسبون الى جهينة
«والمسلمية» ومركزهم الحلة المعروفة باسمهم على النيل الازرق ومنهم الشيخ
العُيد الذي اشتهر في بدء الثورة المهدية وكان مركزه ام ضبان في صحراء المسلمية

«والحلاويون» ومركزهم في ظاهر المسلمية بالجزيرة وهم ينتسبون الى جهة
«والمديون» ومركزهم ود مدني المسماة باسم جدهم المدفون هناك
وله مقام يُزار الى اليوم

«والعراكيون» في بلاد ابي حراز وعبود وود مدني وهم يدعون النسبة الى
جعفر الطيار من آل البيت

«والخوالدة» واكثرهم في جهة عبود في باطن الجزيرة وهم ينتسبون الى جهة
«والكواهلة» في جهتي عبود وود مدني وينتسبون الى الزير بن العوام .
ومنهم بادية يسكنون غربي الرهد مع الحمدة الآتي ذكرهم . ومن فروعهم الشهيرة
الحسنات المار ذكرهم والشالبة وهم مشهورون بالغنى والتجارة وقد كان منهم مشيخة
في زمن الفونج ومركزهم المسلمية

«والشامباته» ومركزهم شمباته بين ود العباس وسنار واكثرهم تجار
«واليعقوباب» قيل يتصل نسبهم بالجليين وهم يسكنون جنوبي سنار
«وبقاره محارب» وهم منتشرون في الجزيرة بين سنار وجبلي سقدي ومويه
«والعقليون» واكثرهم بادية ويسكنون بين الدندر والنيل الازرق
«والحمدة» وهم حضر وبادية وقيمون بين الدندر والرهد ولهم مشيخان
مشيخة في دبركي على الدندر ومشيخة في دُنْكر في آخر حدود سنار من جهة الحبشة
«والقواسمه» وهم اشهر قبائل سنار ويسكنون شمالي سنار في شرقي النيل
وغريه وباديتهم تسكن غابة التريه جنوبي سنار . ومنهم العابدلاب المتقدم ذكرهم
والكماتير ويسكنون شرقي النيل الازرق بين رُتقه والرصيرص ومركزهم كركوج
وقد قام منهم في زمن الفونج مشيخة كبيرة

«واللحويون» واكثرهم بادية يسكنون في شرق النيل الايض بين البكوه
والجلين ويمتدون في داخل الجزيرة الى جبلي سقدي ومويه

«وبنو حسين» ويقال لهم اولاد ابوروف ومعظمهم بادية يمتدّون من جبلي
سقدي ومويه الى خور الدّليب آخر حدود سنار في الجزيرة . واشهر مراكزهم

ابو حجار قرب سيرو على النيل الازرق والمرقوم في باطن الجزيرة وهم قبيلة جسيمة
«والعلاطين» واكثرهم بادية يسكنون غرب النيل الازرق من الحدبات
الى مشرع توله * هذا وجميع القبائل الست الاخيرة تنسب الى جهينة ويقال
للمعدة والعقلين رفاة الشرق او جهينة الشرق وللقواسمة واللحويين وبني حسين
والعلاطين رفاة الهوي او جهينة الغرب ويعنون بالهوي شبه جزيرة سنار واما
رفاهه فهي اسم بلدة شهيرة على النيل الازرق

«والزبالعة» ويسكنون جزيرة سنار والبلاد التي بين الرهد والدندر
وبلقون نحو تسعة آلاف رجل وهم كسائر العرب في اخلاقهم وعاداتهم الا انهم
يمازرون عنهم بكونهم شيعة خاصة عرفت في السودان بالملة الخامسة وعندهم ان
مؤسس شيعتهم المسمى ابا جريد هو رسول الله فلا يعرفون نبيا آخر سواه وقد
اقاموا رمزا الى قبره في حلة بنزقا شرقي النيل الازرق بين كركوج والرصيرص
حيث يجتمعون للاذكار مساء كل احد وثلاثاء ويرددون قولهم «لا اله الا الله
ابو جريد نبي الله» وفي شهر صفر من كل سنة يعتزل مشائخهم الى الخلوات للرياضة
فيقيم كل منهم في خلوة ويجعل عليها الحراس لكي لا يدخل عليه احد مدة سبعة
ايام فاذا انتهت خرج من الخلوة ودعى رهطه من الرجال والنساء واقام حلقة للذكر .
قل انهم يستريحون العرض في هذه الاجتماعات فانهم بعد نهاية الذكر يقبلون يد
الشيخ رجلا ونساء فيختار الشيخ امرأة لنفسه ثم يحذو كل منهم حذوه وينصرفون .
ونساء الزبالعة من اجمل نساء السودان قيل ولون الكثيرات منهن ابيض مشرب
حمر . وكلهم اصحاب تنعم ورفاهة فترى الرجال يدهنون اجسادهم ويتطيبون
بالروائح العطرية كالنساء . وهم يتجنبون مصاهرة العرب كما ان العرب يتجنبون
مصاهرتهم ولكن العرب يستطبون منهم ويعتقدون فيهم السحر

«والفونج» وهم الذين اسسوا مملكة سنار القديمة مع العابدلاب وكان لهم
اعظم الشأن في السودان كما مر . وقد اختلف في اصلهم فمنهم من قال انهم عرب
ومنهم انهم سود وقد تعربوا وهو الأرجح اما هم فيدعون النسبة الى بني امية الذين

نجوا من اضطهاد بني العباس كما سيجي، في تاريخهم . وفي اقصى جنوب الجزيرة جبال تعرف باسمهم ومنهم بقية الآن تسكن رتقة من اعمال سنار ودبة دقلة «والهمج» وهم وزراء الفونج ايام دولتهم في سنار ويدعون النسبة الى العوضية الجعليين كما مرّ والارجح انهم سود متعربون وقد عرفت جبال الفونج المارّ ذكرها باسمهم ايضاً لانهم حكموها بعد الفتح المصري وكان اول من حكمها منهم الشيخ ادريس ولذلك سميت الجبال ايضاً بجبال ادريس ومركزهم جبل قلبي على ثلاثة ايام الى الجنوب من كركوج واشهر قبائل العرب البادية في البطانة :

«الشكرية» وهم قبيلة جسيمة من اكبر القبائل واقواها وفيها تسعون عميرة ونيف تنتسب الى جهينة وقد كان بينهم وبين الفونج وقائع مشهورة في التاريخ فلما كان الفتح المصري خضعوا لحكومة مصر واخلصوا لها . ثم كانت الثورة المهدية فلم يتلقوها كما شاء زعمائوها فنكلوا بهم تنكيلاً شديداً قيل كان عددهم قبل الثورة نحو نصف مليون نسمة واما الآن فلا يبلغون ربع ذلك . ومن مراكزهم الشهيرة رفاعه على النيل الازرق والفاشر على الاتبرا والقضارف والقلعة ارانج ويرريه وشق الواليه وابو دُليق في البطانة . وهم اضداد الهدندوه والكواهلة «والبطاحين» وهم الى شمال الشكرية وخصوم لهم وينتسبون الى الجعليين «والضباينة» وهم ينتسبون الى جهينة وينقسمون الى سبع عمائر كبيرة وقد كانوا في زمن الفونج في حرب دائمة مع الحمدّة فلما جاءت الحكومة المصرية انقطعت تلك الحرب وازدادت القبيلة عزّة ومناعة حتى بلغ عدد رجالها قبل الثورة نحو ٥٠ الفاً ولكن جارت المهدية عليها فسمحتها سمحاً . وهم ينزلون في الصيف بين بحر ستيت وباسلام من فروع الاتبرا وفي الخريف ينزحون الى البطانة . ومن اماكنهم الشهيرة التومات على الاتبرا والجيرة على بحر ستيت ودوكه في البطانة «والحمران» وهم قليلو العدد لكنهم من افرس قبائل العرب واعزهم شأنًا واعظمهم جرأة واقداماً . ونساؤهم من اجمل نساء السودان واشدهن تحصناً وعفافاً

خير تاجوج ومحلّق * ومنهنّ تاجوج بنت الشيخ أوكذ شيخ الحران التي
ظهرت في اواسط القرن الماضي وكانت ابرع نساء السودان قاطبة في الحسن
والجمال حتى كان الناس يفدون من كل صوب للتفرّج على جمالها . وقد تزوّجها
اولاً ابن عمّها لهما يسمى محلّقاً وكان يحبها محبةً شديدةً تقرب من العبادة فطلب اليها
ذات يوم ان تمشي امامه متجرّدةً فأبت فألحّ عليها فتكدّرت من الحاحه وقالت
اذا جيت الى طلبك فماذا تفعل قال كل ما تريدن قالت اقسم لي انك تبرّ بقولك
فأقسم لها فتجرّدت ومشت امامه ذهاباً واياباً الى ان قال كفى ثم قال فاطلي الآن
ما تريدن قالت « ان تطلقني في الحال » فطار صوابه من هذا الطلب ووقع على
قدميها يقبلها ويسألها العفو ولما اصرّت لم ير بداً من البرّ بقسمه فطلقها وهام
على وجهه ينشد في حبها الاشعار فحاكى فيها مجنون ليلي ومن اقواله المشهورة فيها

انا الجنب العيس سوّيت بايدي في كلمة مزاح قلّيت غمضي
فواطر ام قبيل ملح الرشيدي تاجوج ما اتلقت يا خمله زيدي
الجنب المشوم . وسويت بايدي جنيت على نفسي . والفواطر الثنايا . وام قبيل الجميلة . والجملة الهم . والمعنى ظاهر
ومنه : امسى الليل وانجمع الشمل وتالم الحيوان حتى النمل
راقداً رقاد الديك فوق الحبل يوم بلا تاجوج ما يينحمل
وقال : بعد الدلكه مثل الملاجيه وبعد العنقريب أب علجه
قل لنسيبتني ام فالجه راقداً فوق برش في الدلجه
الملاجه الملسة الناعمة . والعنقريب السرير . وأب علجه المفروش بالحري . والدلجه الارض

ثم ان تاجوج بعد ما طلقها محلّق تزوّجها شاب من وجهاء قبيلتها وكان محلّق
افرس منه فأخذ يتأثره وكان حيث يجده يسلبه ماله ثم يرجعه اليه اكراماً لتاجوج .
ونقي يتغنّى بذكرها ويتأسف على فقدها الى ان مات . قالوا ولما اشتدّ عليه المرض
اكثر من ذكر تاجوج والحنّ على اهله ان يمكنوه من رؤيتها قبل موته فذهبوا الى
تاجوج واخبروها بما صار اليه محلّق فرقت له وجاءت معهم وكان المكان غاصّاً بالنساء
الواتي كنّ ينددن بها ليصرفنّ قلب محلّق عنها فلما أطلّت لم يسهنّ الا الوقوف

احتراماً لها واعجاباً بجمالها واجلسنها الى جانب سرير مخلوق فلما رأتها على تلك الحال وقد
هزله المرض وأضناه الوجد تنهدت وقالت «ألى هذه الحال صرت يا عشاى وانا لا ادري،
ثم وضعت رأسه على ركبته وكان قد اغمي عليه فأفاق من اغمائه وشخص اليها وانشد

أتابى يا ام قبيلى الغي عبادى مسوحك بالعطر والناس مراضه
حسيسك فى الضمير قاطع الكبادى تقتلى الزول سريع قبل الشهاده

أتابى حقاً. والغى العشق. والحسيس الحب. والزول الرجل.

ثم شهق شهقة واسلم الروح فأخذت تاجوج والنساء حولها يبكين ويذرين التراب
على رؤوسهن ويندبنه الى ان دُفن * وقد انشد بعضهم معرّضاً بموته جوى قال

ادّيته (الهجين) علّق كبيت له عيش مو مسلّق
على شان القنص طلاً به حلق حساركم من قديم قاتل مخلّق

مومسلق اى بلا كيل. والقنص يكنى به عن المحبوب. وطلا به حلق حومواعليه. والحسار الجوى.

قليل وبعد موته غزا الهدندوة عرب الحمران ف وقعت تاجوج اسيرة بين ايديهم
فاختلفوا فيها اختلافاً كاد يفضي الى سفك الدماء اذ كل فريق منهم اراد ان
تكون تاجوج نصيبه فنهض احد مشايخهم ونادى تاجوج من خباها فلما اطلت طعنها
بجربة في صدرها فقتلها وحسم النزاع وماتت تاجوج مأسوفاً عليها من الجميع قالوا
فدفنت في مكان يقال له رأس الفيل بين قوز رجب وكسلا وقبرها ظاهر يُزار.

ولا يزال اهل السودان يضربون المثل بجمالها وعشق مخلق لها وينشدون اشعاره الى اليوم
هذه هي قبائل العرب فى البطانة واما الصحراء الشرقية المعروفة ايضاً بصحراء

البجه فليس فيها من بادية العرب الا «الرّشايده» وهم قريبو عهد بها وقد هاجروا اليها
من الحجاز سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م لقتال وقع بينهم وبين بعض القبائل هناك فعبروا
البحر الاحمر من جدّة ونزلوا فى ارض الحباب وكانوا نحو الف رجل ومعهم
اسلحتهم واولادهم وابلهم فاعترضهم الحباب وجرت بين الفريقين وقائع ادّت الى
سفك الدماء. وهم الآن فريقان احدهما تابع لحكومة السودان والاخر لحكومة الارثريا
واشهر قبائل العرب فى صحراء البيوضة :

«الحسانية» ومركزهم جبل الجلف في صحراء الجكدول وينتسبون الى الكواهلة
«والهواوير» قيل ان اصلهم من عرب الهوارة بصعيد مصر ويسكنون صحراء جبره
«والخواوير» وهم مجاورون للحسانية والهواوير
واشهر قبائل العرب في بلاد كردوفان :

«الجوامعه» وهم فريقان الحمران ومركزهم بارة والجميعية واكثرهم في الطيارة
«والبديرية» ومن اما كنهم خورسي والطيّاره قيل وفيهم نسب للجعليين
«والثمام» وهم يسكنون مع البديرية * «والغديّات» وأهم مراكزهم البركة
وهذه القبائل الاربع حضر وبقية سكان كردوفان بادية وهؤلاء اما بالة
وقنيتهم الابل وهم في الشمال واما بقارة وقنيتهم البقر وهم في الجنوب فالأ بالة :
«الكبايش» وهم اقوى بادية كردوفان وابلهم اشهر الابل ومن مراكزهم آبار
الصفية وكجمر وعين حامد وقد انقسموا الى عدة عمائر وافخاذ قيل كان يبلغ عددهم
نحو ربع مليون نفس فجاءت الثورة المهدية فنكلت بهم حتى لم يبق ربع هذا العدد
«ودارحامد» وهم مجاورون للكبايش واعدا لهم واهم مراكزهم باره وينقسمون
الى عدة عمائر اشهرها الجلّيدات والمجانين والمساعد والمرامرة والنواحية والعريفية
«وبنو جرّار» شرقي كردوفان وفي بلادهم يكثر النعام والغزلان
«وحمر» غربي كردوفان ومن مراكزهم ابو حراز والنهود . وفي بلادهم يكثر
شجر التلدي المار ذكره وهم يخزنون الماء فيه ويبيعونه للمسافرين بين كردوفان ودارفور
والبقاره : «الحوازمة» جنوبي كردوفان واهم مراكزهم البركة وفي زمن
الصيف يذهبون بماشيتهم الى جبال النوبة لارتياذ الماء والكلاب حتى اذا جاء اوان
المطر تركوا تلك الجبال فراراً من ذباب السروت وعادوا الى بلادهم
«والجمع» في الجنوب الشرقي ومركزهم شريكه قيل سمو بالجمع لانهم ليسوا
ابناء رجل واحد بل هم اخلاط من قبائل شتى واكثرهم من الجعليين
«والهبنانية» بين الحوازمة والجمع واهم مراكزهم شريكه ويكثر في بلادهم
السباع والفيلة . ومنهم الادلاء لجبال النوبة لانهم اعرف العرب بطرق تلك الجبال

«واولاد حميد» وهم مجاورون للهبانية واضداد لهم «والاحامدة» وهم في جوار الجمع
«والحمر» ومركزهم الأضية بين البركة وشكا «والمسيرية» في جوارهم
واشهر قبائل العرب في دارفور من الأباله :

«الزيادية» ومركزهم مليط وهم يتجرون في النطرون والملح وينتسبون الى
ابي زيد الهلالي من عرب نجد

«والماهرية» ومركزهم الدؤور قيل هم ينتسبون الى مهرة في جنوب اليمن وقيل
هم والرزيقات قبيلة واحدة فسكنوا هم في الشمال واقتنوا الابل وسكن الرزيقات
في الجنوب فاقتنوا البقر وهم حلفاء المحاميد واعدا الزيادة والبديات

«والعطيفات» ومركزهم انكا بالقرب من مليط بين الزيادة والماهرية

«والمعاليه» واكثرهم حضر ومن مراكزهم كركود شمالي الطويشه وقوز
المعاليه المنسوب اليهم . حلفاؤهم الرزيقات واخصامهم الحمر

«والعريقات» مركزهم كُتْم وَيُظَنُّ ان اصلهم من العليقات القاطنين على
النيل في فم وادي العلاقي شمالي كوروسكو

ومن البقارة : «الرزيقات» وهم اكبر قبائل دارفور ويسمون تراب الهين
(اي ملء الكفين) لكثرتهم ومركزهم شكا وهم ثلاث عمائر الماهرية وام احمد
والمحاميد واقوام المحاميد وحلفاؤهم الهبانية والمعالية وقد قاوموا سلاطين الفور ولم
يخضعوا لهم الخضوع التام ووقع لهم مع الزير وقائع مشهورة وفيهم حضر قليل
«والهبانية» من اهم بادية دارفور ومركزهم الكلاكة ومنهم في كردوفان كما مر
«والمسيرية» وقد ذكروا في كردوفان وهم اشداء مشهورون بالفروسية
خصماؤهم بنو هلبه وحلفاؤهم «بنو منصور» الذين هم في رأي البعض فرع منهم
«والتعايشه» الذين منهم عبدالله التعايشي خليفة المتهدي الاول ومركزهم مندوة
قرب الكلاكة وبلادهم مجاورة لبلاد الفراتيت وكان اكثر اشتغالهم في خطف الرقيق
ثم ان التعايشة والهبانية واولاد حميد وسليم هم اولاد حماد بن جنيد .
والحوازمة والحمر والمسيرية والرزيقات هم اولاد اخيه عطيه . والكل ينتسبون الى جهينة

«وبنو هلبه» ومركزهم بلبل غرب داره وهم قبيلة جسيمة وقد اشتهروا
بالمراوغة والتقلب واتباع الغالب ولذلك لم تضرهم المهديّة بشيء وكانوا اذا ضيقت
عليهم رحلوا الى دار سلا . حلفاؤهم الهبانية والرزيقات واضدادهم المسيرية وهم
يدعون النسبة الى جهينة عن غير جنيد وقيل انهم من الهوارة بمصر

«وعرب البشير» ومركزهم عريدة وهم قبيلة جسيمة لكن المهديّة اضعفتهم
«وبنو فضل» وهم اهل زراعة وينتسبون للزيادية . ومن مراكزهم ساني كرو
على يمين الى الجنوب الشرقي من الفاشر

«وبنوحسين والترجم وخزام والمهاري» وهم مجاورون للمساليت
«والكروبات» في شرق ككبكية واكثرهم تجار وفيهم علماء اجلاء
«والحوتية» في غرب ككبكية * «والبرياب» ومركزهم تولو واكثرهم تجار
«والخواير» ومركزهم ودعه وقنيتهم الابل والبقر والخيول وهم حضروبادية
هذه هي اشهر قبائل العرب في السودان من حضروبادية وقد تبين مما تقدم
ان اهمّ الاصول التي يرجعون اليها في انسابهم هي : بنو اميه وبنو العباس وجهينة
والزبير ابن العوام وجعفر الطيار وان معظمهم ينتسب الى جهينة وبنو العباس الا
ان المنتسبين الى جهينة اكثر . والمشهور في نسب جهينة أنهم بطن من قضاة وقيل في
قضاة أنهم لعدنان وقيل لحمير وهو الأرجح . واسم جهينة مأخوذ من الجهن وهو
غلظ الوجه . الا ان انتساب العرب الى هذه الاصول لا ثبت له عندهم الا ما حفظوه
او لفقوه من القصص التقليدية او الخرافة

﴿الاجانب﴾ اما الاجانب فيراد بهم الاقوام الذين هاجروا الى السودان
من مصر وغيرها من زمان غير بعيد ولم يفقدوا جنسياتهم ولغاتهم بعد واهمهم :
«الحضور» وهم نفر قليل من المصريين الذين هاجروا مصر قبل الفتح
الاول فسكنوا الخندق وشندي والمسلمية وغيرها من مدن النيل واشتغلوا بالتجارة
فاشتهروا في السودان بالوداعة ولين الجانب وحب السلام
«واولاد الريف» ويكنى بهم عن البيض عموماً من مصريين واثراك

ومغاربة وشوام واوريين وغيرهم وهم الذين دخلوا البلاد بعد الفتح الاول وقد اطلق عليهم هذا الاسم لان اكثرهم او كلهم دخلوا السودان من ريف مصر « والمكادة » وهم الاحباش النصارى « والجبرته » وهم الاحباش المسلمون « والتكارنة » وهم في التخصيص مهاجرو بلاد التكرور التي الى جنوبي برنو المعروفة الآن بالكتكو وفي التعميم يشملون سائر مهاجري السودان الغربي من فلاته وبرنو وباجرمي وغيرهم وهم متفرقون في جميع جهات السودان ولا سيما في دارفور وكردوفان وسنار وكسلا واكثرهم في القلابات من اعمال كسلا حيث كان يجتمع منهم في الرجبية نحو ٤٥٠٠٠ نسمة . وفي كردوفان في جهة ابي حراز حلال معروف بجلال الفلاته اتخذ اهلها العربية لغة لهم ونسوا لغتهم وتخلقوا باخلاق العرب وعاداتهم « والحلبة » وهم المعروفون في مصر بالغجر وفي الشام بالنور وهم في السودان كما في مصر والشام قوم رُحَّل يشتغل رجالهم بالحدادة والعب القروود ونسائهم بالوشم وتبصير البخت وخفض البنات وكلهم يتعاطون الشحاذة

﴿ المولدون ﴾ اما المولدون فاعني بهم الفروع الحلاسية التي تولدت من اختلاط هذه الاصول بعضها ببعض وهذا الاختلاط كثير جدًا في السودان لا سيما بين العرب والسود . ومما هو جدير بالاعتبار ان اكثر الممالك التي قامت في السودان كان ملوكها من المولدين فملوك الفونج ووزراءهم الهجج وسلاطين الفور المتقدم ذكرهم والوطاويط حكام البرته في فازغلي في الوقت الحاضر كلهم من مولدي العرب والسود . اما اسم المولدين في السودان فلا يشمل الا المولدين في هذا الجيل . واما المولدون قبل هذا الجيل فيندرجون تحت اسماء القبائل التي تولدوا منها

وقد قُدِّر عدد سكان السودان قبل الثورة المهدية في سنة ١٨٨١ بنحو عشرة ملايين نسمة واما الآن فلا يزيدون عن اربعة ملايين نسمة لما قاسوه من الحروب والمجاعات والامراض والمظالم في اثناء الثورة المهدية . والجنس الغالب فيهم العرب ثم السود ثم شبه السود ثم البجه ثم النوبة * هذا ما اقتضى المقام ذكره من اصول السكان وقبائلهم ومواطنهم وسنأتي على ذكر حضارتهم وعاداتهم ان شاء الله

الباب الثاني

في

جغرافية السودان الادارية

...

الفصل الاول

في

مديريات السودان ومحافظاتها ومأمورياتها

« تمهيد تاريخي »

﴿ ايثيوبيا ﴾ اول مملكة قامت في هذه البلاد هي مملكة ايثيوبيا امتدت من الشلال الاول عند اسوان الى اقاصي الحبشة شمالاً وجنوباً واتقسمت قسمين: ايثيوبيا العليا المعروفة الان بالحبشة وايثيوبيا السفلى في شمالها وعليها كلامنا. واشتهر لايثيوبيا السفلى عاصمتان: نبتة عند جبل البرقل قرب الشلال الرابع ومروي عند البجراوية في رأس جزيرة مروي قرب شندي * وكانت ايثيوبيا معاصرة للفراعنة والفرس والبطالسة والرومان الذين ملكوا مصر على التوالي وبقيت الى آخر عهد الرومان في مصر سنة ٦٤٠ ب. م فدالت دولتها

﴿ النوبة والبجة ﴾ وقام مكانها مملكتان مملكة النوبة على النيل بين الشلال الاول والحبشة ومملكة البجة في الصحراء الشرقية. وكان النوبة والبجة كما كان اهل ايثيوبيا وثنيين وديانتهم كديانة المصريين القدماء حتى ظهرت النصرانية في مصر فانتحلها النوبة في القرن السادس للمسيح وبقي البجة على الوثنية الى ان كان الاسلام في جزيرة العرب وفتح العرب مصر سنة ١٨ هـ ٦٤٠ م فخالطوا البجة وعلومهم الاسلام فاعتنقوه على ضعف كما مر * واشتهر للنوبة في النصرانية مملكتان: النوبة السفلى امتدت من الشلال الاول الى الشلال الرابع وعاصمتها دقلة العجوز والنوبة العليا وتسمى ايضاً مملكة علوه امتدت من الشلال الرابع الى

اعالي جزيرة سنار وعاصمتها سوبه عن يمين النيل الازرق على ١٥ ميلاً من الخرطوم
﴿ مملكة سنار ﴾ وما زال العرب المسلمون في مصر يوالون غزواتهم على النوبة
السفلى حتى فتحوها سنة ٧١٧ هـ ١٣١٨ م. وهاجر العرب افواجا من مصر والحجاز فاتحدوا
مع الفونج في جنوبي سنار ففتحوا النوبة العليا سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٥ م وأدخلوا اهلها في دين
الاسلام واسسوا مملكة في سنار امتدت شوكتها من الشلال الثالث الى جبال فازو غلي
شمالاً وجنوباً ومن سواكن ومصوع على البحر الاحمر الى النيل الايض شرقاً وغرباً
﴿ مملكة دارفور ﴾ واختلط العرب بالفور فاسسوا مملكة في دارفور امتدت
من بئر النرون في الصحراء الكبرى الى بحر الغزال شمالاً وجنوباً ومن النيل
الايض الى ترجة برقو شرقاً وغرباً

﴿ الكشف والدولة العلية ﴾ ثم ان السلطان سليم الفاتح لما فتح مصر أرسل
سرية من العساكر التركية الى النوبة السفلى سنة ١٥٢٠ م فأسسوا حاميات في
اسوان وابريم وجزيرة ساي وحكموا البلاد الى الشلال الثالث وعرفوا بالكشاف.
ومد السلطان سليم فتوحاته في البحر الاحمر فاحتل سواكن ومصوع وزيلع
وبربره وجعلها تحت حكم الحجاز. فاصبح في السودان الذي عليه كلامنا مملكتان
قويتان مملكة دارفور ومملكة سنار ومعهما حكم الكشاف الاتراك في النوبة السفلى
ثم حكم الدولة العلية في سواكن ومصوع وزيلع وبربره

﴿ الفتوح المصري ﴾ وبقيت هذه القوات سائدة في السودان الى ان تولى
مصر البطل الهمام الطيب الذكر المغفور له محمد علي باشا جد العائلة الخديوية
الكرمية فارسل ابنه اسماعيل باشا بجيش جرار الى السودان سنة ١٨٢٠ م ففتح النوبة
الشمالية من الكشاف ومملكة سنار (وتشمل بلاد دنقلة وبربر والخرطوم وسنار
وفازو غلي) من الفونج وارسل صهره الدفتردار الى كردوفان ففتحها وسلخها عن سلطنة
دارفور سنة ١٨٢١ م. ثم أتم خلفاؤه الفتح ففتحوا التاكا سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٤٠ م
ودارفور سنة ١٢٩١ هـ ١٨٧٤ م. ومدوا فتوحاتهم الى بلاد السود ففتحوا فاشودة
سنة ١٨٦٥ م وخط الاستواء سنة ١٨٧١ م وبحر الغزال سنة ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م

واخذوا بلاد هرر بعد ان كان يحكمها عائلة من اهلها سنة ١٨٧٤ م. وكان الباب العالي قد تنازل عن سواكن ومصوع سنة ١٨٦٦ م وتنازل عن زيلع وبربره سنة ١٨٧٥ م مقابل زيادة على ضريبة مصر السنوية. وبذلك امتدت البلاد من الشلال الاول عند اسوان الى بحيرة فكتوريا نيانزا شمالاً وجنوباً ومن البحر الاحمر الى حدود وداي شرقاً وغرباً وانقسمت الى عشر مديريات وهي دنقلة وبربر والخرطوم وسنار (وتشمل فازوغلي) وفاشوده وخط الاستواء وبحر الغزال ودارفور وكردوفان وكسلا وثلاث محافظات وهي سواكن ومصوع وهرر. واطلق عليها اسم «السودان المصري» وجعلت عاصمتها الخرطوم وحدتها الشمالي خور موسى باشا عند الشلال الثاني لا اسوان عند الشلال الاول كما كان قبل الفتح. واما البلاد بين الشلال الاول والثاني فقد ضمت الى مديرية اسنا آخر مديريات مصر الجنوبية (الثورة المهدية) وبقيت مصر سائدة على السودان الى ان كانت الثورة المهدية المشهورة سنة ١٨٨١ م فاضطرت ان تتقهقر سنة ١٨٨٥ الى حدتها الشمالي عند الشلال الثاني وسقطت البلاد كلها بيد المهدي ثم بيد خليفته من بعده الا «هرر» فانها اعيدت سنة ١٨٨٤ الى العائلة التي كانت تملكها قبل الفتح فأخذها الاحباش منها عنوة سنة ١٨٨٥ «وزيلع وبربره» فانهما سلمتا للانكايز في تلك السنة «ومحافظة مصوع» فانها سلمت للتليان سنة ١٨٨٦ «وسواكن» فان الثورة لم تقوَ عليها. وقسم الخليفة السودان الى عمالات بدل المديريات وجعل عاصمته ام درمان بدل الخرطوم وجعل مديريات الخرطوم وسنار وفاشوده عمالة واحدة تحت اسم عمالة الجزيرة وقسم كسلا الى عماليتين القلابات (او القصارف) وكسلا وجعل عمالة في طوكر فكانت عمالاته تسعاً وهي دنقلة وبربر وام درمان والجزيرة والقلابات ودارفور وكردوفان وبحر الغزال وخط الاستواء.

• (استرجاع السودان) وبقيت البلاد في يده الى ان عادت مصر فاسترجعتها بلاداً بعد بلاد برأي الانكايز ومعونتهم فبدأت بفتح طوكر في ١٩ فبراير سنة ١٨٩١ م وانتهت بقتل الخليفة في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩

﴿ السودان الانكليزي المصري ﴾ وانتقل السودان المصري بعد الفتح الاخير الى طور جديد فرُفعت فوقه الراية الانكليزية بجانب الراية المصرية وفُصل عن مصر فجعل له حكومة جديدة باسم «السودان الانكليزي المصري» يتولاهُ وال يختاره الانكليز ويؤيدهُ الجنب العالي الحديوي * وهو يشمل جميع بلاد السودان المصري الا ما تركته مصر بسبب الثورة المهدية (وقد تقدّم ذكره) «وبني شتقول» من اعمال فازوغي التي آلت الى الحبشة في آخر حكم التعايشي «والقسم الجنوبي من مديرية خط الاستواء» الذي الحق باوغندا التابعة للانكليز ومنهُ مقاطعة اللادو التي اعطيت لملك البلجيك مدة حياته على ان تعود للانكليز بعدها فاصبح الحد الجنوبي للسودان الجديد فامكه على النيل الازرق بدل فداسي . ومنجلا على النيل الايض عند خط ٥° من خطوط العرض تقريباً بدل بحيرة فكتوريا نيانزا ﴿ مديرية اسوان والحد الفاصل بين مصر والسودان ﴾ وكانت مصر عند رجوعها الى الحدود سنة ١٨٨٥ قد فصلت البلاد التي بين اسوان وحلفا عن مديرية اسنا وجعلتها محافظة قائمة بذاتها تحت الاحكام العسكرية وسمتها محافظة الحدود . ثم الغيت مديرية اسنا وضمت الى مديرية قنا فمدّت محافظة الحدود الى السباعية على ٨ اميال شمالي ادفو . وبعد فتح دنقلة سنة ١٨٩٦ بقيت هذه المحافظة على حدودها واحكامها ولكن بُدّل اسمها فسميت محافظة النوبة تساهلاً . ثم بعد فتح ام درمان وفصل السودان عن مصر في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ جعل الحد الفاصل بين القطرين خط ٢٢° من خطوط العرض الشمالي وجعل الحد على النيل بركة فرّص غرباً وبركة أدندان شرقاً بحيث صارت فرص تابعة للسودان وادندان لمصر ووضع عند كل بركة علامة مكتوبٌ على وجهتها الشمالية مصر والجنوبية السودان وسميت البلاد التي بين ادندان والسباعية بمديرية اسوان واصبحت وسطاً بين مصر والسودان فكانت تابعة للحرية في ادارة شؤونها واحكامها وللداخلية في ماليها الى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٩٠٠ فالحقت بالداخلية . ومع ذلك فهي تدخل في كلامنا بالنظر الى علاقتها الماضية بالسودان وسنأتي على ذكر مدنها وآثارها الشهيرة في الفصل التالي

وقسمت بلاد السودان الجديدة الى مديريات ومحافظات كما كانت في الفتح الاول مع بعض التحويل الذي اوجبه الاحوال في الحدود والعواصم والمأموريات والمراكز اهمه قسمة كل من مديرتي دنقلة والخرطوم الى مديرتين . وهذه هي :

﴿ مديريات ﴾

﴿ السودان الانكليزي المصري ﴾

﴿ ومحافظاتها وعواصمها وحدودها ومأمورياتها ومراكزها الآن ﴾

اسم المديرية او المحافظة	عاصمتها	حدودها	مأمورياتها	مراكز المأموريات
محافظة حلفا	حلفا	تمتد على النيل من بركة فرص قرب خط ٢٢ من العرض الشمالى الفاصل بين مصر والسودان الى عكاشه . ويحدها من الشرق طريق الصحراء التي بين كورسكو والمرات ومن الغرب طريق الاربعين وهي مشهورة بنخيلها والشلال الثاني المنسوب اليها وسكة الحديد المتفرعة عنها وجميع سكانها من النوبة وقد احصي عددهم بعد الفتح الاخير فبلغ نحو ١٤ الف نسمة	حلفا	حلفا
مديرية دنقلة	دنقلة (الاوردي)	تمتد على النيل من عكاشه الى حلة برتي عند الشلال الرابع . ويحدها من الشرق خط ممتد من حلة برتي الى آبار جيرة مار بآبار الجكدول ومن الجنوب خط يصل آبار جيرة بآبار عين حامد وهي مشهورة بكثرة نخيلها وخصب ارضها وهي المديرية الوحيدة في السودان الآن التي تزيد ايراداتها على مصروفاتها . وسكانها من النوبة والعرب وقد قدر عددهم قبل الثورة بنحو ٧٥ الف نسمة وبلغ بعد الفتح الاخير ٦٣ الف نسمة	سكوت والمحس ارقو دنقلة الخنديق الدبة كورتي مروي	دلغو ارقو دنقلة الخنديق الدبة كورتي صنم

اسم المديرية او المحافظة	عاصمتها	حدودها	مأمورياتها	مراكز المأموريات
مديرية بربر	بربر	تمتد على النيل من حنة برتي الى حجر العسل في رأس الشلال السادس ويحدها شمالاً في الصحراء عرض ٢٢ وشرقاً آبار كوكري في طريق سواكن وبربر وجنوباً ميتاتيب على الاتبرا وابو دليق في البطانة وغرباً دنقلة . وهي تمتاز بكثرة الدوم وعدد سكانها نحو ٥٠ ألفا من عرب وبجة	الرباطاب بربر الذيداب شندي	ابو حمد بربر الدامر شندي
مديرية مدينة الخرطوم	الخرطوم	وهي مدن الخرطوم وام درمان والحفاية تحيط بها دائرة نصف قطرها ١٠ اميال وهي مركز ادارة السودان وتجارتها . وسكانها عرب واخلاق من جميع الاجناس	الخرطوم ام درمان الحفاية	الخرطوم ام درمان الحفاية
مديرية جزيرة الخرطوم	الكاملين	وهي بالتقريب مديرية الخرطوم القديمة ما عدا مديرية مدينة الخرطوم المتقدم ذكرها وتمتد على النيل الكبير من حجر العسل الى الحفاية وعلى النيل الازرق من الخرطوم الى ابي حراز عند ملتقى الرهد بالنيل الازرق وعلى النيل الابيض من ام درمان الى الجباين . وتمتد شرقاً في البطانة الى ابي دليق وغرباً الى جبرة وهي اهم مديريات السودان واخصبها تربة . وسكانها عرب من حضر وبادية وبلغ عددهم بمدا الفتح الاخير نحو ٢٠٠ ألف نفساً	الكاملين المسلمية عُبود ابو حراز رفاعة الكوه	الكاملين المسلمية عُبود ابو حراز رفاعة الكوه
مديرية سنار ود مدني	ود مدني	وهي تمتد على النيل الازرق من مصب الرهد الى ما وراء فامكه على حدود الحبشة ويحدها من الشرق نهر الرهد والحبشة ومن الغرب جبل سجدى وجبل قلي وسكانها عرب من حضر وبادية وبينهم قليل من السود وقد احصي عددهم بمدا الفتح الاخير فكانوا نحو ١٤٠ ألف نسمة واهم معادها الذهب . واهم تجارتها الصمغ والريش والسن والذهب	ود مدني ود العباس سنار كر كوج الرصيرص دار الفونج	ود مدني ود العباس سنار كر كوج الرصيرص دار الفونج

اسم المديرية او المحافظة	عاصمتها	حدودها	مأمورياتها	مراكز المأموريات
محافظة فاشوده	فاشوده	وهي تمتد على النيل الابيض من الجباين الى بحيرة نو ومنها على بحر الجبل الى قرب اللادو على خط هـ من العرض الشمالي تقريباً . ويحدها من الشرق مديرية سنار والحبشة ومن الجنوب اوغندا ومن الغرب كردوفان وبحر الغزال وهي بلاد خصبة الى الغاية واهم حاصلاتها الذرة والسن والريش . ومعظم سكانها سود	فاشوده	فاشوده (مراكز) بوليس التوفيقية الناصر سبت
بحر الغزال	واو	وهي البلاد التي يرونها بحر الغزال وفروعه وحدها من الشمال بحر العرب وبحر الغزال الفاصلان بينها وبين دارفور وكردوفان . ومن الشرق بحر الجبل الفاصل بينها وبين فاشوده ومن الجنوب ولاية الكونغو الحرة ومن الغرب الجبال الفاصلة بينها وبين الكونغو الفرنسية . وهي تنقسم قسمين شمالي وهو سهول خصبة صالحة للزراعة تكثر فيها النباتات والحراج وجنوبي وهو قليل الخصب يرتفع تدريجاً حتى ينتهي الى الجبال الفاصلة بينها وبين نهر الكونغو وجميع سكانها من السود . وزراعتها الذرة والدخان والتيلبون والموز . واهم معادنها النحاس والحديد . ومحصولاتها التي تدخل في المتجر السن والخريت والريش والستك والعسل والشمع والتمرا الهندي والنحاس واهم ما يروج عندهم الخرز الملون وهم يتعاملون به وبالنحاس والحديد		
مديرية كسلا	كسلا	يحدها من الشمال خور الالقيوب وبئر تندرا ومن الجنوب حدود الحبشة بقرب القلابات ومن الشرق الارثريا والحبشة ومن الغرب مديرية الجزيرة وسنار وسكانها نحو ٤٣ الف من عرب وبجة	كسلا	كسلا القضارف القلابات

اسم المديرية او المحافظة	عاصمتها	حدودها	مأمورياتها	مراكز المأموريات
محافظة سواكن	سواكن	وهي تمتد على البحر الاحمر من راس عليه عند خط ٢٢ من العرض الشمالي الى رأس قصار . ويحدها من الجنوب الارثريا ومديرية كسلا ومن الغرب مديرية بربر وقد قدر سكانها بعد الفتح الاخير بنحو ١١٩ الف نسمة وكلهم من اصل البجة	سواكن طوكر	سواكن طوكر
مديرية كردوفان	الأبيض	يحدها من الشمال خط يمتد من جبره الى وادي الملح بقرب عين حامد ومن الجنوب بحر الغزال وبحر العرب ومن الشرق مديريتا الجزيرة وفاشودة ومن الغرب دارفور واهم حاصلاتها التجارية صمغ الهشاب والسن والريش والجلود وقد بلغ الوارد منها الى مصر سنة ١٨٧٨ نحو ١٣٢ الف وخمس مئة جنيه من الصمغ والريش والجلود غير المدبوغة * وسكانها عرب من حضر وبادية أبالة وبقارة وقد قدر عددهم سنة ١٨٧٥ بنحو ٢٨٠ الف نسمة واما الآن فالأرجح انهم لا يبلغون نصف ذلك واهم زراعتها الدخن يزرع على الامطار . ومن معادنها الحديد والذهب	الأبيض بارة الطيّارة خورسي الدويم كدارو السَّنوط	الأبيض بارة الطيّارة خورسي الدويم كدارو السَّنوط
دارفور	الفاشر	يحدها من الشمال بئر النرون في طريق الاربعين ومن الجنوب بحر العرب ومن الشرق كردوفان ومن الغرب وداي وهذه البلاد لم تدخل بعد تحت التقسيم الاداري الجديد والقائم بأمرها الآن الامير علي دينار بن الامير زكريا بن السلطان محمد الفضل على جزية يدفعها لحكومة السودان وسكانها ثلاثة اجناس السود وشبه السود والعرب من حضر وبادية . وقد قدر عددهم سنة ١٨٨١ بنحو مليون ومئة وخمسين الف نسمة النصف من السود وشبه السود والثلث من العرب والباقي من التكارنة وغيرهم واهم تجارتها السن والريش والجلود وزراعتها الدخن . ومن معادنها الرصاص		

الفصل الثاني

في

﴿ مدن السودان وآثارها ﴾

﴿ مدن مديرية اسوان «التابعة الآن لمصر» وآثارها ﴾

«اسوان» (ش) هي عاصمة المديرية واسمها في القبطية سوان فزاد العرب الالف عليها لعدم الابتداء بالسكان وهي واقعة في رأس الشلال الاول على ٥٩٠ ميلاً من القاهرة وفيها آثار كثيرة تدلُّ على قدمها وعظم اهميتها منها خرائب هيكل من ايام البطالسة . وذكر المؤرخون ان قد كان فيها بئرٌ عجيبه تقع فيها اشعة الشمس عمودية في المنقلب الصيفي حتى تضيء جميع جوانبها من الداخل ولكن لم يُهتد الى مكان هذه البئر بعد . والى الجنوب الشرقي من اسوان مقلع الغرانيت الصافي المشهور الذي أخذت منه مسلات الاقصر والمطرية والاسكندرية وبعض الحجارة الكبيرة في بعلبك وتدمر وجهات اخرى في الشرق ولا يزال فيه مسلة ضخمة غير مفصولة عن الطبقة الاصلية كأن لم يعد لاصحابها فرصة لقلعها الى المكان المدلها فبقيت بعدهم تنادي بلسان حالها :

مادري الناحتون من قبل نحتي قل من نال في الحياة مرامه

ان قصر الحياة يثنيه عنه وعلى قصرها بقيت علامه

وطول هذه المسلة نحو ٩٥ قدماً وعرضها يزيد عن ١١ قدماً . وبين هذا

المقلع واسوان مقبرة كبيرة فيها اضرحة مشايخ واولياء من المسلمين عليها كتابة بالقلم

الكوفي . وقد اقامت الحكومة حامية حصينة في اسوان مدة الثورة المهدية فرممت

لازدحام الناس فيها من ذلك الوقت . وشيد لها العساكر رصيفاً متيناً سنة ١٨٨٧

فبنى عليه اهلها الابنية الفاخرة وفي جملتها نزل كبير للسباح بناء المرحوم بطرس

بك سركيس من كبار تجارها الاقباط . وقد كانت اسوان ولا تزال مركزاً مهماً

للتجارة مع السودان ولها طريق مشهور منذ القديم في الصحراء الشرقية الى بربر
طوله ٤٧٣ ميلاً . وبينها وبين قدم الشلال سكة حديد طولها ٩ اميال مُدَّت سنة
١٨٧٤ . وقد كان يمرُّ بأسوان من البضائع في السنة قبل الثورة المهدية ما تقدَّر قيمته
بنحو ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه

وعدد سكان اسوان الآن نحو ٩٠٠٠ نسمة وهم اخلاط من اجناس مختلفة من
السود والنوبة والقبط والمصريين والأتراك (المتخلفين من عساكر السلطان سليم)
وبينهم تجار من الاروام والشوام وغيرهم ويظهر انها كانت قديماً اكبر كثيراً مما هي الآن
فقد ذكر مؤرّخو العرب انها رُزِئت في بعض السنين بالطاعون فمات من اهلها
٢٠٠٠٠ نفس * وقد ظهر في هذه المدينة العالم المؤرّخ الشهير سليم الاسواني
صاحب تاريخ النوبة والبجة الذي نقل عنه المقرئزي معظم اخباره عن النوبة والبجة
وقد بحث عن هذا التاريخ بحثاً دقيقاً فلم اقف له على اثر ويقول بورخارت السائح
الالماني الشهير انه بحث عنه في مكاتب مصر كلها فلم يجده * ونبع من اسوان
في هذا العصر العالم الفاضل والشاعر المطبوع الشيخ احمد الجداوي الازهري الذي
تولّى بعض مراكز القضاء في السودان ومصر فنال فيها شهرة طيبة وقد ألف ارجوزة في
الميراث طالعتها عليه فاذا هي اسهل ارجوزة رأيتها في هذا الباب وله قصائد تاريخية
شهيرة في مدح الحضرة الخديوية تشهد له بتوقّد الذكاء وسلامة الذوق وكانت
وفاته في شهر ابريل سنة ١٩٠٢ تغمّده الله برحمته ورضوانه واسكنه فسيح جنانه
وتجاه اسوان في البر الغربي اكمة مرتفعة على رأسها قبة غير بعيدة العهد تعرف
« بقبة الهواء » ولعلّها مدفن احد النساك . وتحت هذه القبة اطلال « دير » للاقباط
على شكل قلعة من بقايا القرن السادس او السابع للميلاد . وبجانبها في صدر الاكمة
« مدافن قديمة » منقورة في الصخر من عهد الدولة السادسة والدولة الثانية عشرة
المصرية وقد كانت مطمورة بالرمل التي تنسفها الرياح من الصحراء فكشفها
السر فرنسيس غرنفيل باشا السردار الاسبق سنة ١٨٨٧ بهمة وهداية مصطفى
بك شاكر وكيل قنصلاتو انكلترا في ذلك الحين واخرج منها موميات وتحفأشتي

وتجاه اسوان في النيل جزيرة «الفتين» المار ذكرها اتخذها ملوك الدولة الخامسة المصرية كرسياً لهم وبنى فيها الملك امنوفيس الثالث هيكلًا لا تزال آثاره ظاهرة الى الآن. وفيها المقياس الذي تقدم ذكره في الكلام على النيل وآثار اخرى قديمة العهد وفي منتصف الشلال الاول الواقع في جنوبيها جزيرة صغيرة تعرف «بجزيرة سهيل» وُجد فيها سنة ١٨٨٩ حجرٌ قديم مكتوبٌ عليه بالهيروغليفية ان قد حصل جوع شديد في مصر في ايام ملك من ملوك الدولة الثالثة المصرية دام سبع سنين وقد باشرت الحكومة المصرية منذ ثلاث سنين ونيّف بناء «خزان» كبير عند منتصف هذا الشلال شبه القناطر الخيرية شمالي مصر والقصد منه خزن بعض مياه الفيض للأمن من الشرق وتوسيع نطاق الري في البلاد ولا سيما في الوجه القبلي. والبناء الآن على وشك الانتهاء وهو اعظم عملٍ أنشئ في عصر خديونا الحالي المعظم بل هو من اعظم الاعمال التي أنشئت في وادي النيل من اول عهد التاريخ الى اليوم. والفضل الاعظم فيه كما في غيره من الاعمال الجليلة التي قامت في مصر منذ عشرين سنة الى الآن عائد الى دولة الوزير الخطير رجل الاصلاح الشهير التيكونت كرومر وكيل انكرا السياسي وقنصلها الجنرال في مصر الذي يجدر بمصر ان تشكر له هذه المآثر الفراء ابد الدهر. اما واضع مشروع الخزان فهو المستر ويلكوكس من رجال الري العظام وينتهي الشلال الاول عند جزيرة «فيلي» وهو الاسم الذي اطلقه عليها اليونان والرومان واما المصريون القدماء فقد سموها بما ترجمته «الحدود» وذلك لوقوعها في الطرف الجنوبي للشلال وهو الحد الطبيعي بين مصر والسودان. واهم ما في هذه الجزيرة الآن آثار هيكل جميل الصنعة من بناء البطالسة والرومان يسمى قصر انس الوجود اقاموه لعبادة الاله ايسس. وكان المصريون القدماء والاثيويون يحترمون هذه الجزيرة ويعبدونها من اقدس محلاتهم حتى انهم لم يسمحوا لاحد ان يسكنها الا الكهنة لانه يقال انها احدى مدافن الاله اوسيرس الذي لم يجسر احد ان يحلف باسمه باطلاً وقد استمرت عبادة هذا الاله في الجزيرة الى سنة ٤٥٣ م وذلك بعد منشور ثيودوسيوس (الذي اصدره ضد الديانة الوثنية) بسبعين سنة.

ولما زارها سترابو وجد سكانها من ايشويين ومصريين يعبدون الصقر قال «ولكن الصقر الذي يعبدونه أكبر من صقر بلادنا وصقر مصر ويختلف عنهما في لون ريشه وقد قيل لنا انه ايشوبي وانه عند موته او قبل موته بقليل يؤتى بغيره من ايشويا والصقر الذي شاهدناه كان مريضاً في حالة النزاع». وفي هذه الجزيرة مقياس قديم للنيل كالذي في جزيرة الفتين. وفي الطرف الشمالي منها آثار كنيسة للاقباط الاقدمين اما البلاد التي من جنوبي الشلال الاول الى حلفا فليس فيها الآن ما يستحق الذكر سوى آثارها واشهر هذه البلاد :

«دبود» (غ) على بعد $10\frac{1}{4}$ ميل من جزيرة فيلي وهي قرية صغيرة فيها خرائب هيكل للملك اذخرآمن من ملوك ايشويا الذي حكم في اواسط القرن الثالث قبل المسيح ويُظنُّ انها كانت في بعض العصور الحد الفاصل بين مصر وايشويا. والى الغرب من دبود على يومين منها واحة «كركر» وهي واحة صغيرة فيها نخيل وآبار ولكنها غير مسكونة

«وكلابشه» (غ) على بعد $28\frac{3}{4}$ ميل من دبود وهي بلدة صغيرة واقعة على خط السرطان تماماً وفيها هيكلان قديمان احدهما أكبر الهياكل في بلاد النوبة أسسه طوطمس الثالث سنة ١٦٠٠ ق. م فهدم فبنى فوقه البطالسة والرومان الهيكل الباقية آثاره الى الآن. ولما انتحل النوبيون الديانة النصرانية طلوا جدرانهم بالطين وحولوه كنيسة لهم والهيكل الآخر من آثار رعمسيس الثاني ثاني ملوك الدولة التاسعة عشرة المصرية نحت في الصخر وجعله تذكاراً لنصرته على الايشويين وسيأتي ذكره «ودكّا» (غ) على بعد $32\frac{1}{4}$ ميل من كلابشه وفيها هيكل اسسه ارجميس احد ملوك ايشويا وأتمه وزخرفه البطالسة والقياصرة.

«وكوبان» تجاه دكّا في رأس وادي العلاقي وفيها آثار قلعة حصينة قيل ان رعمسيس الثاني بناها لحماية الطريق المؤدية الى معادن الذهب والزمرد في الصحراء الشرقية «والحرقة» (غ) على بعد $7\frac{1}{4}$ ميل من دكا وقد كانت آخر حد اليونان والرومان الجنوبي في بلاد النوبة. وهناك هيكل من آثار البطالسة والقياصرة حوله

النصارى الاولون الى كنيسة كغيره من هياكل النوبة كما هو ظاهر الى الآن «السبوع» (غ) على ٢٠ ميلاً من المحرقة وفيها هيكل جميل من بناء رعمسيس الثاني وسيأتي ذكره في تاريخ ايشويا . قيل سميت الحلة بالسبوع لان الداخل الى هيكلها كان يمشي بين صفين من تماثيل السباع الرابضة التي لا يزال بعضها باقياً الى اليوم

«وكورسكو» (ش) وهي بلدة صغيرة على ١٢ ½ ميل من السبوع وهي اقرب نقطة في نيل مصر الى ابي حمد و بينهما طريق تجارية شهيرة طولها نحو ٢٤٠ ميلاً تمر بأبار المرات المار ذكرها . وقد اتخذت الحكومة هذه البلدة مركزاً من المراكز العسكرية في الحدود مدة الثورة المهدية و بنت فيها ثكنات للعساكر فزهت ولكن فقدت اهميتها الآن لا سيما بعد انشاء سكة الحديد من حلغا الى ابي حمد واصبحت مخزن فحم للوابورات التي بين اسوان وحلغا

«عمدة» (غ) على ٧ ½ ميل من كورسكو وفيها هيكل صغير من عهد الدولة الثانية عشرة المصرية وهو اقدم هياكل النوبة وأجملها

«الدر» (ش) على ٤ اميال من عمده وفيها هيكل صغير منحوت في الصخر أقامه رعمسيس الثاني لعبادة آمّن رع وكان اسمها في القديم ما ترجمته مدينة هيكل الشمس . وكانت مركز الكشاف الذين حكموا النوبة منذ ايام السلطان سليم وبقيت كذلك الى الفتح المصري سنة ١٨٢٠ فدخلت في حوزة مصر ولا يزيد عدد سكانها الآن عن الالف نسمة واكثرهم من سلالة الكشاف

«ابریم» (ش) على بعد ١٣ ميلاً من الدر وهي قرية صغيرة في مكان برعيس القديمة وفيها آثار من ايام الدولة الحادية عشرة المصرية فلما بعدها ومنها آثار قلعة من عهد الرومان مبنية بحجارة اقدم من ذلك العهد وعلى احد تلك الحجارة اسم طهرق الذي ملك ايشويا ومصر سنة ٧٠٠ ق م . وهي احدى الحاميات الثلاث التي اقامها السلطان سليم في بلاد النوبة وبقيت ذرية عساكر السلطان سليم فيها الى ان طردهم الغزّ (الماليك) منها سنة ١٨١١ وهم فارّون من وجه محمد علي باشا الى سنار

«وابوسمبل» (غ) على ٣٤ ميلاً من ابريم وفيها هيكل منحوت في الصخر في منحدر تلة تطل على النيل من بناء رعمسيس الثاني وهو اعظم الهياكل في بلاد النوبة واجملها وسياًتي وصفه في تاريخ ايشويا

«وفرّيج» (ش) تجاه ابي سمبل وفيها هيكل صغير منحوت في الصخر لا منحوتب الثالث اتخذه نصارى النوبة كنيسة لهم في اول عهد النصرانية عندهم وفيه الى الآن صورة للمسيح وهناك كتابة ١٤ سطراً بأحرف قبطية و لغة غير مفهومة سماها بعضهم اللغة الايشوبية المسيحية . وفي التلة القائمة عليها قلعة ابريم حجر عليه كتابة بهذه اللغة «وطوشكي» (غ) وقد اشتهرت حديثاً للواقعة التي حصلت فيها سنة ١٨٨٩ بين الجيش المصري بقيادة غرنفيل باشا السردار الاسبق وجيش الدراويش بقيادة عبد الرحمن التجومي المشهور وقد اقيم في مكان الواقعة حجر تذكاري لها

✠ مدن محافظة حلفا وآثارها ✠

« فرص » وهي اول محافظة حلفا وحد السودان الشمالي على النيل كما مرّ وفيها اطلال مدينة قديمة يظن انها من عهد الرومان وخرائب اقدم من هذا العهد وفي الشلال التي الى غربها ثلاثة اضرحة قديمة منحوتة في الصخر حول نصارى النوبة احدها الى كنيسة وغشوا جدرانها بكتابات قبطية بينها كثير من آيات التوراة والمواعظ . وتجاه فرص في الشرق « برية ادندن » التي هي آخر حد مصر الجنوبي « وحلفا » (ش) وهي قرية صغيرة على ٢٢٦ ميلاً من الشلال الاول وفي عرض شمالي ٢١ ٥٥ وطول شرقي ١٩ ٣١ . والى جانبها قشلاق حصين اقام فيه الجيش المصري ايام الثورة المهدية محافظاً على الحدود وبنى فيه اسبتيالية عسكرية وسجناً حربياً . ومنه تبتدى السكة الحديد فتفرع فرعين فرعاً يحازي النيل الى الكرمة وفرعاً يقطع الصحراء الى ابي حمد والخرطوم و سياًتي الكلام عليهما . وفيه معمل لصب الحديد والنحاس على شبه عنابر بولاق ومخازن لادوات سكة الحديد ووابورات النيل . وفيه مركز المحافظة والقومندانة وجامع قديم والى شماليه على نحو ميلين منه بلدة «التوفيقية» التي كانت تعرف قديماً بدروسه

ففيها المغفور له توفيق باشا الحديوي السابق جامعاً فسميت باسمه وقد اجتمع اليها التجار فاقاموا فيها بندراً من اهم البنادر التجارية في الحدود

وبين التوفيقية وفرص آثار جمّة من عهد الفراعنة والرومان ونصاري النوبة وتجاه حلفا في البر الغربي بقايا هيكلين قديمين احدهما من بناء اوسرتسن الاول من ملوك الدولة الثانية عشرة المصرية وقد وُجد في احدى غرفه المعروفة بقدس الاقداس حجر عليه صورته وصور رؤوس القبائل التي تغلب عليها فنقل الحجر الى فلورنسا بايطاليا . وثانيهما من بناء طوطمس الثاني والثالث من ملوك الدولة الثامنة عشرة المصرية وفيه اخبار انتصار طوطمس الثالث على الليبيين والفينيقين وغيرها واسماء بعض امراء كوش من ايام الدولة التاسعة عشرة والعشرين .

والى الجنوب من حلفا على بعد ميلين منها يتدّى الشلال الثاني المنسوب اليها والى الجانب الغربي منه على بعد خمسة اميال من حلفا حجر عظيم مشرف على الشلال يعرف « بحجر ابي صير » يقصده السياح للتفرج على الشلال من اعلاه وقد اعتادوا ان ينقشوا اسماءهم عليه تذكراً لزيارتهم الشلال فحذا هذه العادة لواقصرت على مثل هذا الحجر فان نقش الاسماء على حجر « غشيم » اثر تاريخي جميل لكنك قلما تزور اثرًا من الآثار البديعة التي تركها لنا الاولون الا وتجذب جدران مشوهة باسماء السياح والزوار الذين ينتابونه وقد ترى في بعض الآثار كتابة تاريخية او نقشاً بديعاً من اجمل ما صنعت يد انسان وبجانب تلك الكتابة او النقش اوفي وسطهما اسم شخص منقوش اقبح نقش بأحرف كبيرة كأن صاحبه يريد ان نغاض اسم جنابه عن زخرف ذلك الأثر المفيد وبهائه . والله في خلقه آيات

وتجاه ابي صير في البر الشرقي خور موسى باشا الذي تقدم انه كان الحد بين مصر والسودان مدة الفتح المصري الاول . اما موسى باشا المنتسب اليه هذا الخور فهو احد ولاة السودان الذي تولى سنة ١٢٨١ هـ ١٨٧٩ م وفي ايامه تمرد جماعة من عساكر الارناؤط وفرّوا من الخرطوم وهو اذ ذاك في مصر فخرج للقائهم ببعض الجند فاتقاهم وقهرهم عند هذا الخور فسمي باسمه

«وقلعة معتوقة» (غ) على بُعد ٣ أميال من أبي صير وهي مبنية بناءً متينا بالطوب النيّ والى جنوبها هيكل صغير وكلاهما من بناء اوسرتسن الثالث خامس ملوك الدولة الثانية عشرة المصرية . وهناك خرائب مدينة قديمة

«وسمنه» (ش) وهي حلة صغيرة على ١٣ ميلاً من سرس جعلها اوسرتسن الثالث الحد الفاصل بين مصر السودان وبجانبها الشلال المنسوب اليها

«وسرس» (ش) وهي قرية صغيرة على بُعد ٣٣ ميلاً من حلفا وقد مُدَّت اليها سكة الحديد من حلفا في الفتح الاول واشتهرت في الثورة السودانية اذ اتخذها الدراويش النقطة الامامية لهم في حملتهم المشهورة على مصر فطردهم الجيش المصري منها وبنى طاية على راس راية هناك وعزّزها بالمدافع والعساكر وبقيت الحامية الى ان كانت الحملة لغزوح دنقلة سنة ١٨٩٦ فهجرت

«وعكاشه» (ش) وهي بلدة صغيرة على ٣٩ ميلاً من سمنه بطريق النيل وفيها قبة تزار للشيخ عكاشه الذي تسمت البلدة باسمه واهل هذه الجهة يعتقدون انه عكاشه الصحابي ولهم فيه رواية تقليدية لطيفة قالوا انه جاء مع جيش المسلمين في ايام عمرو ابن العاص لغزو دنقلة وفيما هو راجع التقاه اهل سكوت وكانوا اذ ذاك على النصرانية فحاربوه وقتلوه ثم قطعوا رأسه ورموه في النيل فطاف الرأس على وجه الماء حتى وصل تجاه هذه البلدة فصعد من نفسه الى البر الشرقي وحلّ على صخرة هناك فخرج منه نور رآه اهل الشرق والغرب فاجتمعوا حوله متعجبين منه واراد اهل كل جهة ان يأخذوه اليهم للتبرك به واشتد اللجاج بينهم حتى كاد يفضي الى سفك الدماء وفيما هم كذلك اذا بالصخرة قد انشقت واندفن الرأس فيها فبنوا فوقه قبة تزار الى اليوم . على ان مؤرخي الاسلام يثبتون ان عكاشة الصحابي قتل في حرب اليمامة يوم قتل مسيلمة الكذاب في خلافة ابي بكر الصديق وعليه فاما ان تكون هذه القبة مجرد مقام لعكاشه الصحابي أو ان تكون قبة شيخ آخر سمي بهذا الاسم وتجاه عكاشه في الغرب بانحراف قليل الى الشمال نبع ماء حار قريب من النيل يستحم به اهل البلاد ويعتقدون انه نافع للأمراض الجلدية والباطنية

مدن مديرية دنقلة وآثارها

«فركه» (ش) وهي قرية صغيرة بينها وبين عكاشه عقبة طولها نحو ١٥ ميلاً وقد اتخذها الدراويش مركزاً لهم في حملتهم على مصر ووقفوا فيها لصد الجيش المصري عن التقدم الى دنقلة في ٧ يونيو سنة ١٨٩٦ فكانت هناك واقعة شهيرة عرفت بواقعة فركة * وتعرف البلاد التي بينها وبين حلفا ببلاد بطن الحجر لكثرة العقبات في برها والشلالات والجزر في نيلها

«وكوشه» (ش) وتبعد نحو ٧ اميال عن فركة وقد اتخذها الجيش مركزاً له في حملته على دنقلة سنة ١٨٩٦ وهناك طابية من عهد الحملة النيلية

«وجنس» (ش) على نحو ٣ اميال من كوشه اشتهرت في الثورة المهدية بواقعة جرت فيها بين الدراويش والجيش الانكليزي المصري سنة ١٨٨٥ ونسبت اليها «وعماره» (ش) جنوبي جنس وبجانبها هيكل قديم من آثار الاثيوبيين «وعبري» (ش) جنوبي عماره على نحو ٥ اميال منها وقد كانت مركز بلاد سكوت مدة الفتح الاول وتجاهها في الغرب «ساقية العبد» وهي واقعة في فم مفازة طولها ٥٨ ميلاً تؤدي الى «واحة سليمة»

«وكويكه» (ش) على ٧ اميال من عبري وفيها قبة تزار للشيخ ادريس محبوب جد الشيخ ادريس محبوب كبير الطريقة المرغنية في بلاد سكوت الان وتجاه كويكه في النيل «جزيرة ساي» المار ذكرها وهناك خرائب قلعة قديمة من عهد السلطان سليم الفاتح أو من قبله

«وساردة» (ش) على ٨ اميال من كويكه اتخذها الدراويش النقطة الامامية لهم بعد ما طردهم الجيش من سرس فبقوا حتى اخرجهم منها ايضاً بعد واقعة فركة «وقبة سليم» (غ) تجاه سواردة وهي قبة تزار لولي من اولياءهم يعرف بهذا الاسم. ومما يروى عن كراماته انه اخذ بيده رحماً طويلاً ونزل في قارب الى وسط النيل تجاه القبة فركز الرمح في قعره وقال فليكن جزيرة فكانت «جزيرة قبة سليم» الى اليوم. وبجانب القبة بلدة صغيرة تعرف باسمها * والى جنوبها جبل

دوشه وهو آخر حدود بلاد سكوت • ويليه بلاد المحس الممتدة الى شلال حنك كما مر
« وِصْلُب » (غ) وهي حلة كبيرة على نحو ٨ اميال من قبة سليم • وبقرها
آثار هيكل فخيم من بناء الايثيوبين * « وكويه » (غ) على ١٢ ميلاً منها
« وتَنَرَة » (ش) على نحو ٦ اميال من كويه وهي حلة كبيرة وفيها آثار قديمة
« وابوصاري » (ش) على نحو ٥ اميال من تنرة وبينها وبين كوشه مفازة
طولها ٣٦ ميلاً تعرف بعقبة ابي صاري

« ودلقو » (ش) على نحو ١٦ ميلاً من ابي صاري وهي مركز المحس الآن •
وقد رأيت فيها اطلال قلعة قديمة لها برج يصعد اليه بسلم لولبي ويحيط بها سور متين
عرضه من اسفله نحو ٨ اقدام * وتجاهها « جبل ساسي » الذي كان عاصمة ملوك المحس
قبل الفتح المصري وعلى رأسه الآن كرسي من حجر كانوا يجلسون عليه عند تنويمهم
« وكوكي » (غ) جنوبي جبل ساسي وقد كانت مركز المحس مدة الفتح المصري
« وكدين » (ش) وهي واقعة في رأس شلال خير وفيها خرائب قلعة قديمة
« وفرّيج » (ش) وهي بلدة طويلة عامرة على ١٨ ميلاً من دلقو

« وجزيرة اردوان » وهي جزيرة كبيرة يخترقها تلال صخرية • وفيها نخيل
واشجار • وبينها وبين كويه مفازة تعرف بعقبة كويه طولها نحو ٣٦ ميلاً
« وقبة ابي فاطمة » (ش) وهي قبة تزار لشيخ معروف بهذا الاسم واقعة
في قدم شلال حنك وفي فم عقبة تؤدي الى فريج طولها نحو ٢٠ ميلاً

وتجاه القبة في النيل « جزيرة طُنْبُس » من جزائر شلال حنك التي اشتهرت في
تاريخ ايثيوبيا • وفيها آثار قديمة من ذلك العهد وقصر كبير للملك محمد ودطنبل من
ملوك ارقو السابقين وهو مدفون فيه * واما بلدة حنك التي ينسب اليها الشلال
الثالث فهي بلدة كبيرة في رأس هذا الشلال غرب النيل

« والكرمة » (ش) جنوبي ابي فاطمة وعندها ينتهي خط سكة الحديد
الممتد من حلغا وطوله ٢٠٣ اميال * والنيل منها فصاعداً الى الشلال الرابع لا شلال
فيه يصلح لسير السفن كل ايام السنة * وعلى ٦ اميال منها الى الجنوب جزيرة

ارفو المار ذكرها وقد كانت قبل الفتح المصري مركز مملكة من اشهر ممالك دقلة «والحفير» (غ) تجاه الكرمة وقد تحصن بها الدراويش ايام زحف الجيش لفتح دقلة سنة ١٨٩٦ وجرت فيها واقعة عرفت باسمها

«ودقلة» (غ) وهي عاصمة مديرية دقلة على ٢٥٩ ميلاً من حلفا وفي طول ٢٩ - ٣٠ وعرض ١٠ - ١٩ ويقال لها دقلة الجديدة تميزاً لها عن دقلة العجوز التي كانت عاصمة النوبة السفلى وتسمى ايضاً الاوردي أو العرضي لان اسماعيل باشا بعد فتح السودان اختارها عاصمة للبلاد بدل دقلة العجوز فوضع فيها اوردياً (أي فلقاً من العساكر) فاطلق عليها اسم الاوردي وحرف الى العرضي . وقد كان عدد سكانها في بدء الثورة المهدية نحو خمسة آلاف نسمة وكان فيها ديوان للمديرية وثكنة للعساكر ومكتب للتلغراف فاخذتها الحكومة المصرية بسبب الثورة في سنة ١٨٨٥ فسقطت بيد الدراويش فحربوها وعمرها «ديماً» على بعد ٦ اميال منها وجعلوه مركز المديرية الى ان عادت الحكومة فاسترجعتها من الدراويش عنوة في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٦ وخرّبته وعمرت المدينة ثانية في مكانها الاول . ومن دقلة طريق تجارية الى الفاشر وطريق الى الابيض . وفي شاليها « حلة مرّاعة » وهي من بناء المالك الذين فرّوا من وجه محمد علي باشا كما سيجيء

«والخناق» (غ) وهي حلة صغيرة على ١٢ ميلاً من دقلة وقد كانت قديماً مركز مملكة من ممالك دقلة التي اشتهرت قبل الفتح المصري وبقرها آثار قصر جميل يقال له قصر الملك ودنير وهو احد ملوكها الاقدمين وبجانبها قبب للاشراف الدناقلة «وحلة الصحابة» (غ) على ٣ اميال من الخناق وهي حلة كبيرة في ظاهرها قبب قديمة قيل انها مدافن الصحابة الذين رافقوا جيش المسلمين لفتح دقله ولكن مؤرخي الاسلام لا يعتمدون ذلك

«وحلة ساتي بشير» (غ) على نحو ٦ اميال منها وفيها قبة تزار لشيخ معروف بهذا الاسم . وتجاهها في النيل مجموع جزائر ثلاث تسمى جزائر الاشراف اشهرها جزيرة ضرار التي ولد فيها محمد احمد المتهمدي

« والخذق » (غ) وتبعد ٤٤ ميلاً عن دقله الاوردي وهي بلدة عامرة مبنية على مرتفع يشرف على النيل وفيها ٣ جوامع احدها قائم على آثار هيكل قديم من عهد الايثيوبين وقد كانت بعد الفتح الاسلامي للنوبة كرسي مملكة من ممالك دقله وهي الآن مركز مأمورية وفي وسطها قلعة قديمة مبنية بالآجر

وفي الصحراء الغربية على محاذة البلاد التي بين دقله الجديدة والخذق وادٍ رمليٌّ طوله نحو ٦٣ ميلاً وعرضه نحو خمسة اميال يُسمى « وادي الكعب » يسكنه فصيلة من عرب الكبايش وفيه نخيل وآبار كثيرة اشهرها بئر السواني على ٢٤ ميلاً من دقله وبئر المرقوم على ٢١ ميلاً من الخندق . وهو طيب الهواء والماء واهل البلاد يقصدونه افواجا في كل صيف في شهر مسرى للتعلل بهوائه والاستحمام برماله وذلك ان الواحد منهم يحفر حفرة في الرمال على قدره ويضطلع فيها ثم يحثو الرمال فوقه الى الرقبة ويجعل له خيمة من الجريد تظله من الشمس ويبقى كذلك من نصف ساعة الى ساعة حتى يسيل العرق منه صيباً فيخرج من الحفرة كأنه قد غسل بجمام ماء حارّ وهم يعتقدون انه نافع للامراض العصبية والباطنية والحميات

« وناوي » (ش) على نحو ٢٢ ميلاً من الخندق وفي جوارها ترب قديمة وقبب تزار قيل انها قبور الصحابة

« ودقله العجوز » (ش) قائمة فوق تلة على شاطئ النيل الشرقي على نحو ٢٢ ميلاً من ناوي و ٨٨ ميلاً من دقله الجديدة وقد كانت قديماً كرسي مملكة النوبة السفلى في زمن النصرانية وبقيت يدهم الى ان فتحها المسلمون سنة ٧١٧ هـ كما مرّ ثم دخلت في حكم ملوك سنار وهاجمها الشايقية في اواسط القرن الثامن عشر للمسيح فحربوها وقتلوا اهلها فانحطت اهميتها من ذلك الوقت . وهي الآن حلة صغيرة وفيها جامعان احدهما قائم على اطلال كنيسة قديمة للنصارى كان في صدره حجر منقوش عليه تاريخ الفتح الاسلامي لدقله . وفيها مقامات قيل انها للصحابة وان منها مقاماً لعبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق . وفي طرف البلدة خرائب قلعة قديمة تدل آثارها على انها كانت حصينة جداً . وفي جنوبها جزيرة شهيرة تعرف بجزيرة « حمور » وهي في غاية الخصب

« وابوقس » (غ) على ٤٢ ميلاً من الخندق وهي بلدة صغيرة فيها سوق عامة تفتح كل يوم خميس . ومنها طريق تجارية للابيض طولها ٣٥٠ ميلاً وطريق للفاشر طولها ٥٩٢ ميلاً . وفي جوارها قبة حاج سالا وهي قبة تزار « والدّبه » (ش) على نحو ١٦ ميلاً من ابي قس و ١٠٤ اميال من دقله وهي حلة صغيرة قائمة على تلة صغيرة في رأس كوع النيل واقرب نقطة الى ام درمان بينهما طريق شهيرة في الصحراء مارة بأبار جبرة طولها ٢١٤ ميلاً ومنها طريق تجارية الى الايض والفاشر وسوقها يوما الاثنين والجمعة وقد جرت فيها في بدء الثورة المهدية واقعة شهيرة . وفيها بقايا طاية حصينة تسع نحو الف رجل * وفي اراضيها كثير من الاخشاب المتحجرة * والى شمالها على بعد ميل منها بلدة تعرف بالكرد عسكر فيها الانكليز مدة الحملة النيلية وبنوا فيها منازل من طوب باقية الى اليوم « ودبة الفقراء » على نحو ٤ اميال من الدّبة وفيها قبب تزار للدوايب الدناقلة وفي جنوبها « جزيرة تنقيسي » يسكنها بقية من الفوج الذين اتوا من سنار « وابودوم قشابي » وهي بلدة كبيرة في اول بلاد الشايقية التي تمتد الى

الشلال الرابع وتبعد نحو ٨ اميال من ابي دوم قشابي

« والدفار » عن يمين النيل وتبعد نحو ٩ اميال عن ابي دوم قشابي ويزعم اهل دقله انها بلدة نمرود ابن كنعان وان الملك موسى سكنها بعد الاسلام واسس فيها مملكة دامت الى ما قبل الفتح المصري فخرّبها الشايقية على ما سيحيى وهي الآن حلة صغيرة وفيها قلعة خربة قائمة على صخرة كبيرة . وبقرها جزيرة عامرة تسمى قانتى يسكنها ذرية ملوك الدفار مع الشايقية وفيها آثار قديمة وجامعان ومسجدان « والحتاني » على $3\frac{1}{4}$ ميل من الدفار وهي حلة صغيرة نزل في جوارها العساكر الانكليزية مدة الحملة النيلية وبنوا منازل من الطوب لا تزال قائمة الى اليوم . وبقرها خرائب قلعة قديمة متينة تنسب اليها وهي قائمة على صخرة بينها وبين النيل طريق حرجة الى الغاية . وبين الدفار والحتاني قبة تزار لاحمد وديلي من فقهاء العونية الشايقية المتقدم ذكرهم . وهناك خرائب بناء قديم بعيد عن النيل يعرف

«بحوش بابا» بناء بشاره قبله جد اسماعيل الولي الكردوفاني المشهور قيل انه كان ذا غنى فاحش فاستخدم في بنائه البنات الابكار وانفق عليه مالا لا يحصى
«وامبقول» عن يسار النيل على ٣٢ ميلاً من الدبة ومنها طريق تمر بآبار البيوضة الى وادي بشاره طولها ١٥٣ ميلاً وطريق تمر بآبار الجكدول الى المتمة طولها ١٧٦ ميلاً

«وكورتي» عن يسار النيل على بعد $\frac{1}{4}$ ٣ من امبقول وهي حلة صغيرة اشتهرت في الفتح المصري لواقعة جرت في جوارها بين اسماعيل باشا والشايقية في بدء الفتح الاول وواقعة أخرى بين مصطفى باشا مدير دقله والدرأويش في بدء الثورة المهدية. وقد جعلها اللورد ولسلي قائد الحملة النيلية سنة ١٨٨٤ و ١٨٨٥ مركز اركان حربه. ومنها طريق الى المتمة تمر بالجكدول طولها ١٧٦ ميلاً

«وَحَنَك» وهي بلدة كبيرة عن يمين النيل تبعد ٢٠ ميلاً عن كورتي وهي مركز ملوك الشايقية الحنكباب والآن مركز مأمورية تعرف باسمها. وبين حنك وكورتي جزيرة مساوي وهي جزيرة عامرة سكن فيها المرحوم محمد عثمان المرغني الشهير فولد فيها ابنه السيد علي المرغني الآتي ذكره

«وتنقاسي» عن يسار النيل وتبعد ٤ اميال عن حنك وهي بلدة كبيرة عامرة وفيها سوق من اشهر اسواق دقله تفتح يوم الثلاثاء من كل اسبوع وتأتيها التجار من دقله وبربر والخرطوم بيضائع السودان ومصر. وهي في رأس عقبة تعرف بعقبة العريان فيها محل خرب يسمى الحوش الابيض قيل كان مركز ملوك الشايقية في اول سلطنة الفونج فجرت فيه بين الحنكباب والسوراب وقائع دموية فخر

«ومرووي» وهي من اشهر قرى دقله واكبرها واقعة عن يمين النيل على ١١ ميلاً من حنك وهي مركز ملوك الشايقية العادلاناب. ومنها طريق في صحراء النوبة الى دقله الاوردي وهي معطشة وعرة طولها ١٠٣ اميال

«وَصَنَم» تجاهها عن يسار النيل وهي حلة كبيرة وفيها آثار تدل على قدمها واهميتها ومنها طريق الى بربر تمر بآبار السواني طولها نحو ١٦٠ ميلاً وطريق الى

التمت بآبار الجكدول طولها نحو ١٨٠ ميلاً * وعلى مسافة ٧ اميال منها في الصحراء بئر شهيرة معروفة ببئر الغزالي مأوها عذب لا ينقطع . وهناك خرائب دير من عهد النصرانية في النوبة . وبقر به آثار مدافن عليها كتابات باليونانية والقبطية . وكانت صنم في الفتح الاول مركزاً للتلغراف الذي يصلها ببربر بطريق الصحراء وبني الانكليز فيها سنة ١٨٨٥ طاية تهدمت . وامر التعايشي بعدهم ببناء جامع فيها فبنى وترك بلا سقف ثم اتخذها السردار سنة ١٨٩٧ مركزاً للحملة على ببربر

« والدويم » على ٣ اميال من صنم وفيها قبة كبيرة تزار للشيخ عبد الرحمن ودحاج كبير الدويحية المار ذكره وهي القبة الوحيدة المبيضة في السودان ولذلك تسمى بالقبة البيضاء . وفيها جامع كبير ومسجد لتعليم القرآن تأتيه الطلبة من جهات بعيدة « والبرقل » وهي حلة عامرة عن يمين النيل على بعد $7\frac{1}{4}$ ميل من مروي وهي في مكان نبتة القديمة عاصمة ايثيوبيا وبجانبها جبل البرقل المشهور وفيه آثار جليلة من الهياكل والاهرام الآتي ذكرها في تاريخ ايثيوبيا

« ونوري » تجاه البرقل وهي حلة كبيرة وبجانبها ١١ هرمًا من اهرام نبتة « والبلل » وهي حلة كبيرة عامرة بقرب نوري وبينهما مقام للنبي عزير على تلة فوق النيل يزوره اهل البلاد للتبرك به . قيل ولم يكن نبياً بل كان ولياً صالحاً « والدقايات » عن يسار النيل على نحو ٨ اميال من البرقل وهي حلة طويلة وفيها طريق شهيرة الى ببربر بآبار السواني طولها ١٤٦ ميلاً . وتكثر جداً الجزر والشلالات في النيل من البلل فصاعداً الى ابي حمد فقد عدوا الجزر منها الى الدقايات فقط فكانت نحواً من ٩٠ جزيرة * وعلى نحو ٢٠ ميلاً منها الشلال الرابع

مدن مديرية ببربر وآثارها

« حلة برتي » على نحو ١٩ ميلاً من الشلال الرابع وهي حلة طويلة عن يسار النيل في اول حدود ببربر النيلية

« وحلة كركبان » على ١٦ ميلاً من برتي وقد اشتهرت للواقعة التي جرت فيها بين الجيش الانكليزي والدرأويش في الحملة النيلية سنة ١٨٨٥

« والسلامات » على ١٩ ميلاً من كربكان وهي مركز بلاد المناصير . وعمار هذه البلاد كله عن يسار النيل واما عن يمين النيل فخراب لا يسكنه الا بعض العرب المتبدية * وفيها قلعة الكرمل وهي في ظن الموسيو كايثو انها القلعة التي التجأت اليها كنداكة عند فرارها من وجه بطليموس سنة ٢٣ ق . م

« وحلة ابي حمد » وهي حلة صغيرة واقعة عن يمين النيل في رأس كوع له في عرض شمالي ٣١ ١٩ ° وطول شرقي ٢١ ٣٣ ° وعلى ٥٥ ميلاً من السلامة و ١٣١ ميلاً من بربر وقد اشتهرت لوقوعها في اول الطريق التجارية المؤدية الى كورسكو المتقدم ذكرها وهي منسوبة الى شيخ مدفون فيها وقبره يزار . وقد اعتاد التجار ان يودعوه ما لا يحتاجونه من امتعتهم في سفر الصحراء قالوا فبقى هناك بحماية الشيخ لا يمسيها احد حتى يعودوا من السفر . وقد اشتهرت ابو حمد مدة الثورة المهدية فاتخذها الدراويش حامية لهم وعززوها بالطواشي والمدافع وبقوا الى ان اخرجهم الجيش المصري منها سنة ١٨٩٧ بعد واقعة عنيفة عرفت باسمها * وتجاهها جزيرة مقرات المار ذكرها « و بربر » وهي عاصمة مديرية بربر على ٤٣٧ ميلاً من دقله الاوردي

و ١٩٦ ميلاً من الخرطوم في عرض ١ ١٨ ° وطول شرقي ٤ ٣٤ ° قيل سميت بربر لانه كان يحكمها في القديم امرأة تسمى بربرة . وتسمى المخيرف ايضاً قالوا وهي مشتقة من الخريف لانها من اطيب بلاد السودان هواء . وقد كانت بربر في عهد مملكة سنار كرسي مملكة الميرقاب وسلمت لاسماعيل باشا فاتح السودان بلا قتال وزادت شهرتها بعد الفتح المصري حتى فاقت شهرة شندي واخذت مركزها في التجارة فصارت ترد اليها البضائع من مصر والحجاز والهند عن طريق النيل والبحر الاحمر واشهر طرقها التجارية : طريق الى اسوان طولها ٤٧٣ ميلاً وقد مر ذكرها وطريق الى كورسكو تمر بابي حمد طولها ٣٦٦ ميلاً وطريق الى سواكن طولها ٢٤٥ ميلاً وطريق الى مصوع تمر بكسلة طولها ٥٤٣ ميلاً . ووقعت بربر بيد الدراويش في سنة ١٨٨٤ فخربوها وبنوا ديماً في شمالها فلما عادت الحكومة اليها بعد الفتح الاخير سنة ١٨٩٧ جعلت هذا الديم مركزاً مؤقتاً لها ولكنها ستعود قريباً الى المركز القديم .

وفي بربر قبة تزار للشيخ زين العابدين المنتسب الى بني أمية قيل انه جاءها من شنقيط
ببلاد المغرب وتوفي فيها سنة ١٢٨٣ هـ وكان على الطريقة الجيلانية الكتبية ؟ * وبين
بربر وابي حمد عدة بلاد للميرقاب والرباطاب منها « الفريخة » على ١٢ ميلاً من
بربر قيل سميت بذلك لانه كان يحكمها فريخة او جارية صغيرة تحت يد بربرة التي
حكمت بربر . وبجانبها اطلال بلدة قديمة تعرف الآن بالداقل . « والعبيدية » على
١٨ ميلاً من بربر وقد اتخذها الجيش مركزاً له في واقعة الاتبرة وبني فيها ثلاث
بواخر حربية . « والباوقة » في شمالي العبيدية غربي النيل وقد كانت مركز ملك
من ملوك الميرقاب

« والغبش » (غ) تجاه بربر وقد كانت فيها عند فتح اسماعيل باشا لسنار
مدرسة شهيرة لتعليم القرآن وآداب العربية وهي المدرسة التي تفقه فيها محمد احمد
التمهدي قبل ادعائه المهدي . والى جنوبي الغبش على نحو ٣ اميال منها جبل شاهق
بني عليه محوبك احد ولاة السودان قصراً فخراً

« والدامر » (ش) وهي بلدة عامرة على ٧ اميال من مصب الاتبرة بالنيل
و ٣١ ميلاً من بربر وهي مركز المجاذيب فقهاء الجعليين المار ذكرهم ولهم فيها مدرسة
قديمة مشهورة لتعليم القرآن . وسوقها يوم الجمعة

« والجراوية » (ش) وهي حلة صغيرة على ٤٨ ميلاً من مصب الاتبرة قائمة
على اطلال مدينة مروي القديمة . وعلى التلال المجاورة لها مجموعان من الاهرام في احدهما
١١ اهرماً وفي الآخر ثلاث اهرام . والى شمالها جبل صغير يعرف « بجبيل ام علي »
سمي بذلك نسبة الى امرأة دفنت في رأسه تعرف بهذا الاسم وقد صعدت الى
اعلى الجبل فلم أجد للقبر اثرًا سوى حجرين قيل انها دفنت هناك بنحسب وصيتها .
وبجانب الجبل حلة صغيرة فيها اربع قبب للشيخ حامد ابو عصاية من العمراب
الجعليين ؟ واولاده . وتجاهه في النيل جزيرة الشيلية وهي من اكبر جزر النيل

« وشندي » (ش) على نحو ٢٣ ميلاً من الجراوية ١٠٤ اميال من
الخرطوم وقد كانت مركز مملكة الجعليين في عهد مملكة سنار وكانت اذ ذاك من اهم

مراكز التجارة في السودان فخر بها الدفتردار في بدء الفتح الاول لغدر ملكها الملك نمر
باسماعيل باشا ثم عمرت ولكنها لم تعد الى اهميتها التجارية بعد وسوقها يومي الاثنين والخميس
« والمتممة » (غ) تجاء شندی وقد اشتهرت في آخر مملكة سنار واثورة
المهدية وخر بها الامير محمود احد امراء التعايشي في ١ يوليو سنة ١٨٩٧ تخريباً تاماً
ولكنها عادت بعد الفتح الاخير فعمرت . وقد كانت مشهورة قديماً في حياكة الدُمُور ولا
سيما النوع المعروف بالمرقعات وهو نسيج « رفيع » له حاشية من حرير ملون تلبسه النساء .
والى جنوبها حلة صغيرة تسمى « ابا خروق » باسم شيخ مدفون هناك منذ عهد مملكة
سنار وله مقام يزار وقد عسكر فيها الانكليز مدة الحملة النيلية سنة ١٨٨٥ كما سيجي

عن مدن مديرية الخرطوم وآنارها

« الخرطوم » هي عاصمة المديرية المنسوبة اليها وعاصمة السودان عموماً وهي
واقعة على يسار النيل الازرق عند التقائه بالنيل الابيض في عرض شمالي ١٥°٣٦'٣٨"
وطول شرقي ٣٢°٣١'٤٠" وعلى بعد ١٠٧٥ ميلاً من اسوان بطريق النيل
وعلو ١٢٧٠ قدماً عن سطح البحر . وقد سميت بالخرطوم لانها واقعة على لسان
داخل بين النيلين يشبه خرطوم الفيل . وكانت قبل الفتح المصري حلة صغيرة
فاتخذها عثمان بك اول ولاية الفتح الاول مركزاً عاماً للسودان لحسن موقعها
فتمت حتى بلغ عدد سكانها سنة ١٨٨٢ نحو ٠٠٠ و ٧٠ نسمة من جميع اجناس
السودان والاجانب من افرنج ومصريين وسوريين واحباش ويهود وغيرهم . وكان
فيها ابنية عظيمة مبنية بالحجر أو بالطوب المشوي أو النني واهمها سراي حكامدار
السودان اسسها ممتاز باشا تاسع عشر ولاية السودان في الفتح الاول ودار الحكومة
واسبتالية واشوان ووكالات وزوايا وقب ومقامات تزار وجامع بمأذنة عظيمة
ومدرسة لتعليم القرآن والعلوم العربية وكنيسة فخيمة متينة البناء للرسالة الكاثوليكية
النمساوية وترساة لاصلاح الواورات وبناء المراكب يتخللها حدائق غناء من النخيل
 واشجار الفاكة . وكانت مركز تجارة السودان وفي اسواقها جميع اصناف البضائع
السودانية والافرنجية والحجازية والهندية والمصرية حتى جرى على ألسنتهم قولهم

«إيش معدوم في سوق الخرطوم» الا ان اثنان الملبوسات والمفروشات كانت اضعاف
اثنائها في مصر. وكان فيها من قناصل الدول قنصل لدولة انكلترا وقنصل لدولة النمسا
وقنصل لدولة اليونان * و بقيت الى ان كانت الثورة المهدية فسقطت بيد المهدي في
٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ فخر بها هو وخليفته من بعده تخريباً تاماً وبنيا بأخشابها مدينة
ام درمان ولم يبق فيها قائماً الا ترسانتها وجنائنها * وما زالت الى ان استرجعها السر
هربرت كتشنر باشا سردار الجيوش المصرية والانكليزية في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨
بعد واقعة عنيفة في البر والبحر فشرع في بنائها توّاً بعد الفتح وما كان الا قليلاً حتى
نذبت حكومة الى حرب الترنسفال وخلفه في مركزه سرداراً على الجيش وحاكماً عاماً
على السودان «الفريق السر رجينولد ونجت باشا» فشرع بهمة العالية المعهودة في تنظيم
المدينة وتوسيع نطاقها فسارت في اقل من سنتين شوطاً لم يكن ينتظر لها في عدة
سنين . ولما ذهبت الى الخرطوم ايام تشریف الجنب العالي الخديوي لها في الشتاء
الغابر دهشت اذ رأيت في مكان تلك الاطلال الدارسة التي شهدتها بعد واقعة
ام درمان قصوراً شاهقة وأبنية فخيمة وثكنات حصينة وشوارع متسعة وحدائق
غناء واسواقاً تجارية غنية بجميع اصناف البضائع والمأكولات . وأهم ما رأيت فيها
سراي الحاكم العام التي تضاهي اجمل السرايات في مصر وهي قائمة على اطلال
السراي القديمة مع زيادة في بنائها وتحسين في زخرفها . ودار الحكومة بجانب السراي
وفيهما جميع اقسام الحكومة السودانية ورئاسة الجيش . ومدرسة غوردون وهي
بناء عظيم في الطرف الشرقي من البلدة اقامها المحسنون الانكليز تذكراً لغوردون
باشا الذي قتل في سقوط الخرطوم وسيأتي ذكرها . وجامع فخيم جميل البناء في وسط
المدينة . ولوكندة للسياح في غربيها . واما شوارعها الكبرى فسمي احدها باسم
فكتوريا وآخر باسم محمد علي وآخر باسم الخديوي وآخر باسم السردار . وقد شرعت
الحكومة حديثاً في بناء رصيف متسع متين على النيل فزاد في بهاء المدينة ورواقها .
والبناء الآن قائم فيها على قدم وساق . وموقعها الطبيعي الجميل يساعد على انماءها
وقد انتهت اليها سكة الحديد من حلغا في اول يناير سنة ١٩٠٠ فتمت تجارتها نمواً

سريعاً وبلغ عدد سكانها الآن نحو ٧٠٠٠ نسمة ما عدا العساكر ولكن هذا العدد في ازدياد كل يوم والدلائل كثيرة على انه لا يطول الوقت حتى تعود الى عزها القديم قبل الثورة ثم تتدرج في سلم الارتقاء حتى تصبح جنة من جنات الارض ان شاء الله « وام درمان » تجاه الخرطوم وغرب النيل الايض في عرض شمالي ٣٨° ١٥' وطول شرقي ٢٩° ٣٢' وقد كانت قبلاً حلة صغيرة قائمة في سهل فسيح رملي لا شجر فيه وكانت محطة لرحال تجار الغرب قبل دخولهم الخرطوم فبنت الحكومة فيها مدة الثورة المهدية طاية استولى عليها المهدي في ٥ يناير سنة ١٨٨٥ واحتل البلدة بانصاره الى ان مات فدفن فيها فبنى خليفته التعايشي قبة عظيمة فوق قبره جعلها مزاراً وجعل ام درمان عاصمة للملك وسماها بقعة المهدي وفرض على كل امير من امرائه وكل وجيه من وجهاء السودان بناء منزل فيها فاتسعت اتساعاً عظيماً حتى اصبح طولها ستة اميال أو أكثر وعرضها ميلاً الى ٣ اميال . وبلغ عدد سكانها نحو اربع مئة الف نسمة من جميع شعوب السودان وقبائلها وفيهم جيش الخليفة الذي بلغ خمسين الف رجل . وابنية المدينة بالطوب النيّ أو بالحجارة الغشيمة والطين وبعضها بالطوب الاحمر وجميع دورها طبقة واحدة الا منزل الخليفة الذي بجوار قبة المهدي فان فيه عليّة فوق احدى غرفه . والابنية اما مر بعة مستوية السطوح أو مستديرة مخروطية السقوف . وآبار المدينة تختلف في العمق من ٣٠ : ٩٠ قدماً وهي اصلح للشرب من ماء النيل الايض . واكثر شوارعها ضيقة قدرة ولكن فتح التعايشي فيها اربعة شوارع متسعة شارعاً ينتهي الى ساحة العرضة في غرب المدينة وشارعاً الى الهجرة الشمالية وشارعاً الى الهجرة الجنوبية وشارعاً الى المشرع الذي يُعبّر منه الى الخرطوم . وفتح سوقاً عظيمة بقرب القبة حيث كانت تباع جميع البضائع الاوربية والمصرية والهندية والحجازية التي كانت تأتيها عن طريق اسوان وسواكن ومصوع . واقام بجانب منزله الى جهة الغرب جامعاً للصلاة وهو « حوش » كبير محاط بسور مربع مستطيل من الطوب الاحمر طوله ٤٦٠ يرداً وعرضه ٣٥٠ يرداً وله اربعة ابواب ومحراب يحيط به درابزون من الحديد ويليه صف من « الرواكب » (المظال)

قائمة على عمد من خشب ومسقوفة بالحصر و باقي ارض الجامع مكشوف غير مسقف . وبنى في وسط المدينة سوراً عظيماً منيعاً احاط به منزله ومنازل عساكره الجهادية والسجن . وجعل الطابية القديمة ثكنة لعساكر الحكومة السود الذين وقعوا في اسره وسماها الكاره . وجعل ذخائره الحربية في بيت كبير بقرب منزله احاطه بسور من الحجر سماه بيت الامانة . وبنى بناءً كبيراً غير مسور لبيت المال على شاطئ النيل جعل فيه مخازن للذرة والصمغ والسن واما كن للضربخانة ومطبعة الحجر والعاديات والدفاتر والاوراق . ومد خط التلغراف بينها وبين الخرطوم للمخابرة مع عمال الترسانة . وبقي حتى كانت واقعة ام درمان ففر جنوباً فاحتلها الجيش مؤقتاً وجعل فيها مركز حكومة السودان ثم نقله الى الخرطوم . ورجع الكثير من سكان ام درمان الى اوطانهم وقتل منهم جم غفير في الواقعة فلم يبق فيها الآن سوى ٢٥٠٠٠ نسمة . اما قبة المهدي فقد هدمتها القنابل في اثناء الواقعة وبعدها

وبين الخرطوم وام درمان « جزيرة توتي » المار ذكرها في الكلام على النيل وهي جزيرة كبيرة جيدة التربة حسنة الهواء يحيط بها النيل الازرق من الجنوب والشرق جعل فيها غودرون ايام حصار الخرطوم حامية وجعلها التعايشي مخزناً للبارود وتجاه توتي والخرطوم عن يمين النيل الازرق « قبة الشيخ خوجلي » وهي قبة تزار لفقهاء من فقهاء المحس هجر بلاده في اوائل القرن الماضي وسكن جزيرة توتي حيث اشتهر بالصالح والتقوى ومات في الجزيرة فنقل الى البر الشرقي ودفن هناك . وقبرها قبة اخرى للشيخ حمد ود ام مريوم

« والحفاية » على نحو ٧ اميال من قبة الشيخ خوجلي وهي مركز مشايخ العبدلاب الذين اشتهروا في مملكة سنار وكان لهم المقام الاول بعد ملوك الفونج وقد انتقلوا اليها من جبل قري في شماليها وهو جبل مشهور وفيه ضريح عبد الله ودعجيب المانجلك مؤسس هذه المشيخة يزوره الهمج وغيرهم ويقدمون له النذور

وفي البطانة على ٦٠ ميلاً شرق الحفاية قبة تزار « للشيخ حسن ود حسونة » الذي ظهر في ايام الملك عبد القادر سابع ملوك سنار وسيأتي ذكره * والى شمالي

الحلفاية « قبة الشيخ ابراهيم الكباشي » قيل وهو من الاولياء الصالحين وليس من الكبايش كما يستفاد من اسمه بل هو من المحس توفي سنة ١٢٨٢ هـ م وكان على الطريقة السمانية القادرية * والى شمالي هذه القبة « التمانيات » وفيها ابعديا للحكومة زرعت في الفتح الاول بالنيلة فنجحت زراعتها * وتجاه التمانيات في غرب النيل « قبة الشيخ الطيب » مؤسس الطريقة السمانية في السودان وهي قبة تزار واقعة في سفح جبل صغير يعرف بجبل ام مَرَّحي الملقب بجبل السلطان نسبة اليه * والى شمالي التمانيات « حلة الجاليلي » وفيها منزل فخيم للزير بناه بعد الفتح الاخير * والى شمالي هذه الحلة جزيرة واوسى وهي مسقط رأس الزير

حـ مدن مديرية الجزيرة وآثارها حـ

« حلة سوبه » (ش) وهي حلة صغيرة على ١٥ ميلاً من الخرطوم وفي جوارها اطلال سوبه القديمة عاصمة مملكة علوه المار ذكرها وقد كانت فيها قصور شائخة وكنائس فخيمة وبساتين زاهرة * وهم يزعمون انها من بنا سبأ ابن نوح « والعيلفون » (ش) وهي حلة عامرة على ٦ اميال من سوبه * وفيها قبة تزار « للشيخ ادريس » الذي ظهر في ايام الملك عدلان ودأبه ثامن ملوك سنار وسيأتي ذكره والى الجنوب منها « حلة مسجد ود عيسى » وفي مسجد ها تلقى محمد احمد المتحمدي بعض دروسه « والكاملين » (غ) وهي حلة كبيرة على نحو ٤٠ ميلاً من العيلفون وقد جربت فيها زراعة النيلة سابقاً فنجحت ولا يزال فيها آثار حياض النيلة الى اليوم * واكثر سكان المدينة اخلاط من الدناقلة والجلعبين * وفي النية الآن جعلها مركزاً لمديرية الجزيرة وبينها وبين العيلفون في الجزيرة قبة تزار « للشيخ حمد ود الترابي » الذي ظهر في ايام الملك بادى الثالث وهو الثالث عشر من ملوك سنار وسيأتي تفصيل خبره « ورفاعة » (ش) بلدة كبيرة على نحو ٣٥ ميلاً من الكاملين ولاهلها زراعة واسعة « والمسلمية » (غ) على ١١ ميلاً من رفاعة و ٣ اميال من ضفة النيل الى داخل الجزيرة * وعدد سكانها نحو ٨٠٠٠ نسمة وارضها الزراعية واسعة تمتد الى قرب النيل الايض * ومنها طريق الى الكوة على النيل الايض تمر « بعبود ومعنوق » وهما

أم مدن الجزيرة * وإلى شمالها خرائب « أريجى » الشهيرة التي خربت في عهد الملك
عبدان الثاني تاسع عشر ملوك سنار كما سيجيئ * وإلى جنوبها « حلة فداسي » التي
حوصر فيها صالح الملك الشايقي في بدء الثورة المهدية

« وأبو حراز » (ش) وهي بلدة كبيرة على ١٤ ميلاً من المسلمية وفي جنوبها يصب
نهر الرهد بالنيل الأزرق . ومنها طريق شهيرة تؤدي إلى القضايف والقلابات وكساة .
ولهذه المديرية مدن على النيل الأبيض يأتي ذكرها بعد الفراغ من النيل الأزرق
(مدن مديرية سنار وآثارها)

« ود مدني » (غ) على نحو ٣ أميال من أبي حراز و ١٢٤ ميلاً من الخرطوم
قائمة على هضبة عالية من الرمل والحصى تحتها صخور جيرية وهي اصح مدن الجزيرة
هواء وقد اتخذها اسماعيل باشا فاتح سنار مركزاً لعساكره بعد سنار وبنى فيها طابية
منيفة لا تزال آثارها إلى اليوم . وهي الآن مركز مديرية سنار وأكبر مدن النيل الأزرق
وعدد سكانها نحو ٢٠ ألفاً أكثرهم من المدنيين والكواهلة وبينهم اخلاط من الجعليين
والشايقية والداقلة والمصريين وغيرهم . وسوقها يومي الاثنين والخميس يتقاطر إليها
الناس من كل صوب ويبيع فيها أنواع الحبوب والخضر والسمغ والمنسوجات القطنية
من وارد منشستر والسكر والتبغ والخرز وادوات القطع . ويصنع فيها الصابون والسيرج
ولاهلها مهارة في صناعة الجلد . وإلى شمالها خرائب جامع بناءه باني المدينة وخرابة المهدي
« وسنار » (غ) على ٨٣ ميلاً من ود مدني و ٢٠٧ أميال من الخرطوم وهي
من أشهر مدن السودان وأقدمها أسسها الفونج سنة ٩١٠ هـ وأقاموا فيها مملكة دامت
إلى سنة ١٢٣٦ هـ فاستولت عليها مصر كما مر وجعلتها مركزاً لمديرية سنار وبنيت فيها
ديواناً للمديرية وثكنة للعساكر وجامعاً للصلاة . وقد بلغ عدد سكانها سنة ١٨٨٢ نحو
٧٠٠٠ نسمة من اخلاط العرب والفونج والهميج وغيرهم . وكانت مركز تجارة الجزيرة
وقازو غلي وسوقها يومي الاثنين والخميس . وقد جعلتها حكومة مصر في بدء الفتح الأول
مقراً واليهما نفي إبراهيم باشا سنة ١٨٤٠ م سبعة وأربعين رجلاً من أمراء لبنان ومشاغبه
ووجهائه من النصاري والدروز الذين حافظوا على ولاء الدولة العلية عند دخوله

سوريا منهم ٤ من الامراء الشهابيين و ٤ من الامراء المعيين و ٣ من المشايخ
النكديين والشيخ نقولا من المشايخ الخازنيين والباقون من وجهاء البلاد بينهم اربعة
من وجهاء الشويفات وهم : « حنا الخوري » جد الشاعر المشهور خليل افندي
الخوري مدير الامور الاجنبية في ولاية سوريا « ولحود شقير » جد النابغة الشهير
اسبر افندي شقير كنشليز قنصلاتو انكاترا الجزالية في بيروت « ومغامس شقير »
ابو الشاعر الالمعي فارس بك شقير قائم مقام قضا الكورة بجبل لبنان « وعوكر شقير »
ابو سعاده افندي شقير . فطلبت الدولة الانكليزية ارجاعهم في الحال وurst عمارتها
في الاسكندرية تنتظرهم الى ان رجعوا من سنار فأوصلتهم الى بلادهم وكانت مدة
اقامتهم في سنار ثلاثة اشهر

وبقيت سنار بيد مصر الى ان كانت الثورة المهدية فقسطت بيد الدراويش
سنة ١٨٨٥ بعد حصار شديد دام عدة شهور فأمر التعايشي فخر بت خراباً تاماً وهجرت
الى ان عاد الجيش اليها بعد الفتح الاخير سنة ١٨٩٨ فلم يجد فيها قائماً الا مأذنة
جامعها وقد كتب على الخشبة التي فوق بابها هذه العبارة : « بسم الله الرحمن الرحيم
نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا محمد بالجنة . باني هذا الجامع خورشيد
بك بأمر حضرة الحاج محمد علي باشا والي مصر تاريخ عام سنة ١٢٥٠ هـ . » فجددت
الحكومة السودانية بناءها وجعلتها مركزاً لمديرية سنار مدة ثم رأت ما رآه اسماعيل
باشا فاتحها الاول ان هواء ود مدني اصح من هوائها فنقلت مركز المديرية الى ود مدني
ومن سنار الى النيل الايض طريقان مشهورتان طريق الى مشرع ابي زيد في
جنوبي جزيرة أبا وطريق الى الكوه طولها ١٠٠ ميل تمر بجبلي سجدي ومويه وهما
جبلان مشهوران بالفرانيت الجيد بل الفرانيت الاحمر في جبل سجدي هو من اجمل
انواع الفرانيت واجود من حجر اسوان . ويبعد جبل مويه ٢٣ ميلاً عن سنار ويعلو
١٢٠٠ قدماً عن سطح الارض التي حوله واما جبل سجدي فأقل منه علواً ويبعد
٣٨ ميلاً عن سنار . وفي سنار قبب ومقامات كثيرة للذين اشتهروا بالصالح والتقوى
منها الى الشمال قبة ود العباس ومقام هجو ومقام عابدين

«ورُتقه» (ش) على نحو ٤٠ ميلاً من سنار وهي حلة الملك تاي الدين من بقية الفونج وقد قتل في حصار سنار سنة ١٨٨٥ * وسنجه (غ) جنوبها وفيها منجرة للمراكب «وكر كوج» (غ) على ٦٩ ميلاً من سنار وهي مركز تجاري بعد سنار في الاهمية. والى غربها على نهر الدندر «حلة دبركي» مركز الحمدة. ومن كركوج فصاعداً يكثر ذباب السّروت وتقوم الحمير والبقر مقام الابل والخيول

«والرّصيرص» (ش) على ١٠٤ اميال من كركوج في رأس شلال الرصيرص. والى غربي البلاد التي بين كركوج والرصيرص «جبال الفونج» المار ذكرها وهي تشمل جبال البرون التي اشتهرت في تاريخ سنار

«وفامكه» (غ) على ٥٥ ميلاً من الرصيرص و ٤٣٥ ميلاً من الخرطوم بناها محمد علي باشا سنة ١٨٤٠ وجعلها عاصمة ادارة فازو غلي. وبنى على نحو خمسة اميال منها جنوباً قصرًا جميلًا ومعملًا لاستخراج الذهب مازالت اثارها باقية الى الآن. وسكان فامكه الجبلانيون من افضل السود خَلْقًا واشهرهم في النظافة والطبخ وفازو غلي بلاد جبلية قليل ان فيها ٩٩ جبلًا اشهرها :

«جبل فازو غلي» على ضفة النيل الغربية تجاه فامكه وهو يعلو ٢٦٥٩ قدمًا عن سطح النيل. وفي سفحه حلة منسوبة اليه كانت عاصمة البلاد قبل الفتح المصري وعليها الآن ملك من ذرية ملوكها الاقدمين * «وجبل تاي» غربيها وهو موطن اللقسنه «وجبل قبا» شرقي فامكه ولاهله القُمز مهارة في صنع الاسرة والكراسي واساور العاج وعليهم ملك يدعي النسبة الى الفونج

«وجبل ابورمله» شماليه وعليه ملك يدعي هذه النسبة واهله همج وعرب وعبيد «وجبال بني شنقول» على ٧٥ ميلاً من جبل تاي وفيها الذهب وهي جبال البرة والطاويط المار ذكرهم وقد استقلوا بها مدة الثورة المهدية الى ما قبل الفتح الاخير بقليل قالت الى الاحباش ولا تزال بيدهم الى الآن. وفي اقصى هذه الجبال «جبل فداسي» المشهور. وفي سفحه بلدة تجارية تسمى باسمه تباع فيها بضائع السودان والحشة وقد كانت آخر حد السودان المصري الجنوبي على النيل الازرق كما مر

✽ مدن النيل الايض التابعة الى مديرية الجزيرة ✽

« قيزان الملك ابراهيم » (غ) على نحو ١٨ ميلاً من الخرطوم وهي مركز مملكة
الجموعية التي اشتهرت في زمن الفونج
« وود جار النبي » (ش) على ٢٥ ميلاً من الخرطوم . والى شمالها على اربعة
اميال منها « جبل أولي » المشهور . والى جنوبها على مثل ذلك « حلة المحمودية » احد
مراكز الاستاذ محمد شريف ابن الشيخ الطيب استاذ المهدي
« والقطينة » (ش) وهي بلدة حسنة الموقع قائمة على تلة مرتفعة على ٢٤
ميلاً من وود جار النبي وهي اكبر بلاد النيل الايض وفيها مسجد ومرسى للسفن
واتساع النيل عندها ٦٠٠ يرداً فقط

« وود شلعي » (ش) على ١٨ ميلاً من القطينة وهي مرسى جيد للسفن
« والدويم » (غ) على ٤٣ ميلاً من وود شلعي وفيها احسن مرسى للسفن .
ومنها الى الايض طريقان شهيرتان طريق تمر ببارة وهي معطشة طولها ١٧٦ ميلاً
وطريق تمر بنحور ابي حبل طولها ٢٦١ ميلاً وهي الطريق التي سلكها هكس باشا في
حملته على المهدي في كردوفان . وقد كان فيها مدة الفتح الاول شونة كبيرة . واكثر
سكانها جعافرة ومصريون وحسانية

والى شمالها التربة الخضراء والى غربها على نحو ١٥ ميلاً منهل شات وهو مركز مهم
لتجارة الصمغ والریش والجلود . على ان شات والدويم تابعتان الآن في ادارتهما لكردوفان
✽ مدن محافظة فاشودة وآثارها ✽

« الكوة » (غ) وهي حلة كبيرة على ٢١ ميلاً من الدويم وسكانها اخلاط
من الحسانية والجعلبين والداقلة وفيها طاية من ايام الثورة المهدية . والى جنوبها على
بضعة اميال منها تبتدى جزيرة أبا المار ذكرها * وجنوبي هذه الجزيرة على ١٧٥
ميلاً من الخرطوم « قوز ابو جمعه » وهي الآن مركز مأمورية في مديرية الجزيرة *
والى ١٤ ميلاً منها مخاضة ابي زيد وهي المخاضة الوحيدة التي يُعبر بها النيل الايض
خوضاً بالرجل في زمن التحريق . ومنها تبتدى بلاد الشلك ويُرى قصب البايروس

وتبدو الاعشاب الآتية من السدّ طافية على وجه الماء وتكثر الآجام والمستنقعات على ضفتي النيل فيصعب النزول الى البر بسببهما .

« والجليلين » (ش) على ٩١ ميلاً من الكوة . وهناك جبلان متجاوران يطلان على النيل شبه قلعة ومنهما اسمها . ومنها فصاعداً يظهر ذباب السروت ويكثر البعوض حتى لا يكاد يطاق

« وحلة الرنق » (ش) على نحو ٥٩ ميلاً من الجبلين و٣ اميال من ضفة النيل « وجبل احمد اغا » (ش) وهو اكمة كسنام البعير على ٥٩ ميلاً من الرنق علوه ٤٠٠ قدم وهو منسوب الى احمد اغا العنبلي من مشاهير الفتح الاول

« وكاكا » (غ) وهي مجموع من قرى الشلك على ٥٦ ميلاً من جبل احمد اغا « وفاشوده » (غ) عاصمة ملك الشلك ومركز المديرية على ٧٣ ميلاً من كاكا و٤٦٩ ميلاً من الخرطوم وفي عرض شمالي ٢٠° ٥٥' وطول شرقي ٣٢° ٦' احتلتها مصر رسمياً سنة ١٨٧١ م فأقامت فيها طاية بأربعة ابراج وعززتها بالعساكر والمدافع وبقيت الى سنة ١٨٨٣ اذ اضطرت ان تخرج منها بسبب الثورة المهدية فادت الى ملوكها الاصليين فاستقلوا على جزية يدفعونها للدراويش او لا يدفعونها . سنة ١٨٩٨ جاءها مرشان عن طريق الكونغو وبحر الغزال فعقد مع ملكها محالفة وفيه وبني فيها طاية حصينة فهاجمه الدراويش فيها فردّهم خاسرين وبقي حتى اقبل السردار بفصيلة من جيشه بعد فتح ام درمان فخرج منها بأمر دولته سنة ١٨٩٩ « والتوفيقية » (غ) قرب مصب نهر سبت بالنيل الايض على ١٦ ميلاً من فاشوده وهي نقطة عسكرية انشاها غوردون باشا لمقاومة تجار الرقيق

« وسبت » نقطة على ضفة نهر سبت الغربية عند مصبه في النيل الايض « والناصر » (ش) على ١٧٠ ميلاً من مصب نهر سبت وهي آخر نقطة نصل اليها السفن . وفي كل من النقط الثلاث الاخيرة نفر من البوليس لحفظ النظام . ومن سبت فصاعداً جنوباً يبدأ السد فيمتد الى مفرق بحر الزراف عن بحر الجبل كما مرّ وليس هناك ما يستحق الذكر سوى بعض المرافئ التي ترسو فيها السفن لجمع الوقود

«وشامبي» على بحر الجبل وهي مرفأ حسن للسفن على ٢٣٠ ميلاً من بحيرة نو و ٨٤٢ ميلاً من الخرطوم * «وبور» على ١٣٠ ميلاً من شامبي * «والكنيسة» بينهما بناها المرسلون الكاثوليك النمساويون في اواسط القرن الماضي وهي الآن خراب «ومنجالا» (ش) وهي آخر حد السودان الجديد الجنوبي كما مرّ وعلى نحو ١٠٥٧ ميلاً من الخرطوم * هذا ومن بلاد خط الاستواء التي كانت تابعة قبلاً للسودان المصري فألحقت بمقاطعتي اللادو واوغنده :

«اللاو» (غ) على ١٠٧٢ ميلاً من الخرطوم وهي مركز مقاطعة اللادو التابعة لملك البلجيك وقد كانت مركز حكومة خط الاستواء قبل الثورة المهدية «وكوندوكرو» (ش) على ٩ اميال من اللادو اسسها السرصمويل باكر سنة ١٨٧١ وسماها بالاسماعيلية على اسم الحديوي الاسبق وجعلها عاصمة البلاد «وجبل الرجاف» (غ) على ١٠ اميال من كوندوكرو و ١٠٩١ ميلاً من الخرطوم. وفي سفحه مدينة كانت مركز حكومة خط الاستواء مدة الفتح الاول واتخذها الدراويش مركز حكومتهم مدة احتلالهم لتلك البلاد وبقوا الى ان طردهم البلجيك منها في ١٧ فبراير سنة ١٨٩٧ . قيل وقد سمي الجبل بالرجاف لان قمته ترتجف احياناً ولعل سبب ارتجافه الزلازل التي تحدث في تلك الجهات ومنه يسمى النيل الذي يجري في خط الاستواء بحر الرجاف وبحر الجبل * ومن تلك البلاد : بادين وكيري وموجي واللابوريه والدفاي وودلاي ومهاجي الواقعة على بحيرة البرت نيانزا وفي جميعها آثار طواب وغيرها من عهد الاحتلال المصري

✽ مدن بحر الغزال وآثارها ✽

«واو» على نحو ١١٤ ميلاً من مشرع الريك وهي عاصمة البلاد بعد الفتح الاخير «وديم الزير» اوديم سليمان على نحو ١٠٠ ميل من واو وهي عاصمة البلاد في الفتح الاول وقد كانت مركز الزير باشا في عهد استيلاءه على بحر الغزال ثم مركز ابنه سليمان من بعده ولذلك سميت باسمهما. ومن اماكن بحر الغزال الشهيرة : لفي الذي فيه حفرة النحاس وبكو وقنده وجور غطاس وجوق الحسن وصبي وفوه

مدن مديرية كسله وآثارها

« كسله » عاصمة المديرية وهي شرقي خور القاش في طول شرقي ٢٤ - ٣٦ عرض شمالي ٢٨ - ١٥ وفي سفح جبال الحبشة الشمالية الداخلة الآن في الارثريا ومنها يمتد السهل شمالاً وغرباً الى مسافة بعيدة ولذلك فهي من أهم مراكز السودان الحرة. وقد احتلتها حكومة مصر سنة ١٨٤٠ م كما مرّ واقامت فيها حامية قوية احاطتها بخندق وسور عظيمين فاجتمع اليها التجار والمتسبّبون من كل الجهات وزهت حتى صارت من اشهر مدن السودان واكبرها وبلغ عدد سكانها سنة ١٨٨٣ نحو ٢٠٠٠٠ نسمة من الجعليين والدناقلة والتكارنة وغيرهم وبينهم نفر من تجار الافرنج والشوام والمصريين والهنود والحجازيين . وفي سنة ١٨٨٥ سلمت للدراويش بعد حصار شديد فخرّبوها تخريباً وكان في شرقيها محلجة قطن بخارية لتاجر ارناؤطي يسمى عمر أغا فاتخذوها « ديمًا » لهم واقاموا فيه الى ان اخرجهم التليان منه واحتلوه بعدهم سنة ١٨٩٤ فسوّروه وحصنوه بالطوابي وبقوا فيه حتى سلموه لحكومة السودان سنة ١٨٩٧ فشرعت في تعمير المدينة داخل السور القديم فبنت فيه داراً للمديرية ومنازل للمدير والمفتشين واسبتالية ملكية . والبناء قائم هناك الان على قدم وساق داخل السور وخارجه وقد اجتمع اليها اهلبا الاولون وغيرهم فبلغ عدد سكانها الان نحو ١٠٠٠٠ نسمة

والى الجنوب الشرقي من كسله جبل شهير منسوب اليها يعلو ٢٣٠٠ قدماً عنها و ٣٩٦٠ قدماً عن سطح البحر . وفي سفحه « حلة الخاتمية » وهي حلة السيد حسن المرغني كبير الطريقة المرغنية في السودان وقد مات ودفن فيها سنة ١٢٨٦ هـ فبني فوق قبره قبة هدمها الدراويش . وبعد الفتح الاخير شرع في ترميمها حفيده السيد علي المرغني كبير المرغنية في السودان الآن وبنى لنفسه منزلاً في كسله ومنزلاً في الخرطوم ولكسله عدة طرق شهيرة منها : طريق تجارية الى مصوع تمرّ بسبدرات وانغوزدت وسنيت طولها ٢٣٧ ميلاً وهي طريق سهلة متوفر فيها الماء . وطريق الى سواكن تمرّ بفلّك وخور بركة وطوكر طولها ٢٧٤ ميلاً . وطريق الى بربر تمرّ

بقوز رجب وأدْرأَمه طولها ٢٧٢ ميلاً • وطريق الى الخرطوم تمر بقوز رجب وآبار رَيره وابو دُليق وود حسونة طولها ٣٨٠ ميلاً

« والقضارف » وتطلق على القسم الشمالي من البلاد التي بين الرهد والاتبرا وهي مشهورة بالخصب وجودة الحاصلات كما مرّ ومركزها « سوق ابي سن » على نحو ١٤٦ ميلاً من ابي حراز و ١٤٢ من كسله و ٩٤ ميلاً من القلابات وتعرف ايضاً بالقضارف اي باسم البلاد كلها وفيها سوق من اشهر اسواق السودان تأوي اليها التجار من اهل السودان ومصر والحجاز والهند والحبشة واوربا ويبيع فيها جميع اصناف الحبوب والماشية والصمغ والريش • وابو سن المنتسبة اليه السوق هو كبير الشكرية في اوائل القرن الماضي • وقد كانت القضارف في الفتح الاول تابعة للخرطوم فاستولى عليها الدراويش في بدء الثورة المهدية فكانت من اهم مراكزهم في السودان الشرقي وبقوا الى ان اخرجهم الجيش منها عنوة سنة ١٨٩٨ • ومن مراكز القضارف الشهيرة القلعة ارنج على ٤٠ ميلاً الى الشمال الغربي من سوق ابي سن • وحلة الشيخ شريف قرب النيل الازرق

« والقلابات » وهي القسم الجنوبي من البلاد التي بين الرهد والاتبرا ومركزها « المّمة » المعروفة ايضاً بالقلابات وهي قائمة على خور ابي نخيرة في سفح جبال الحبشة الشمالية الشرقية ولذلك فهي بوغاز مهم على حدود الحبشة • واول من سكن هذه البلاد الكنجارة وهم العبيد الآبقون من اسيادهم • ثم سكنها التكرانة ومعظمهم من متخلفي حجاج الغرب وقد تكاثروا فيها حتى بلغوا ٤٥٠٠٠ نسمة • واحتلت مصر القلابات رسمياً سنة ١٨٦٢ ثم اضطرت الى اخلاءها سنة ١٨٨٥ بسبب الثورة المهدية فسقطت يد الدراويش فأقاموا فيها حامية كبيرة وكان بينهم وبين الاحباش وقائع مشهورة قتل في احداها النجاشي يوحنا سنة ١٨٨٩ وظلت يد الدراويش الى ان ان استرجعتها مصر بعد فتح ام درمان سنة ١٨٩٨ • وفيها الآن كما كان قبل الفتح سوق شهيرة تفتح يومي الثلاثاء والاربعاء وتعرض فيها جميع بضائع السودان والحبشة • ومن اماكن القلابات المشهورة : قَدَبي وصَرْف عرديبه ومريود ودوكة وزُرقة

✽ مدن محافظة سواكن وآثارها ✽

« سواكن » عاصمة المحافظة وهي واقعة على البحر الاحمر في عرض شمالي ١٩٦٧ وطول شرقي ٢٠ - ٣٧ وعلى نحو ٧٢٠ ميلاً من السويس و ٢٨٥ ميلاً من مصوع و ٢٠٠ ميلاً من جدّة بير الحجاز * وهي عبارة عن جزيرة محيطةها ميل ونصف ميل وبندر امامها يقال له القيف بينهما في البحر مسافة ٤٠ مترًا كان الناس يجازونها بالزوارق حتى جاء غوردون باشا سنة ١٨٧٩ فوصل بينهما بجسر (كوبري) عرضه نحو ٨ امتار وبنى عند طرفه مما يلي الجزيرة قنطرة حسنة * وابنية المدينة من الحجر المرجاني الكلبي المستخرج من قعر البحر وهي مبنية على الاسلوب الشرقي المشهور برُتج وُشرف خشبية واكثرها ذو طبقتين أو ثلاث بخلاف الابنية في داخلية السودان كما سيحيى * وفي الجزيرة دار للمحافظة وجمرك ومحكمة شرعية ومكتب للتغراف وجامعان * وفي القيف جامعان آخران ومدرسة اميرية وسجن ومحل للضابطة وافران كافران مصر * وهي محاطة بسور منيع معرّز بالطواحي من عهد الثورة المهدية * ومينائها امين للسفن لكنه ضيق قليل الغور وستشرع حكومة السودان قريباً في توسيعه * وفي مياه هذا الميناء مواد فصفورية وفيه انواع من السمك تفهه الطعم ومنها نوع يقال له الارش يصطادون صغيره واما كبيره فيصطادهم * وهواء سواكن حار في الصيف ورطب في الشتاء وظهرها قبل ظهر مصر بعشرين دقيقة * ويطل عليها من بعيد جبال سنكات واركويت التي تعلو ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر * وليس في سواكن نبع ولا نهر وانما يشرب اهلياً ماء المطر * وقد كانوا قديماً يخزنونه في صهريج كبير في مكان جنوبي القيف يعرف بالفوله فبنى لهم ممتاز باشا سدًا من التراب على ميل من القيف لحبس مياه الامطار من الجبال المطلة على سواكن فاستغنوا به عن الفوله وعُرف مكان السد بالشاطه * ولما كثرت العساكر في سواكن مدة الثورة المهدية لم تعد مياه الشاطه تكفيهم فأتت حكومتها بآلة بخارية لتقطير مياه البحر تعرف بالكندسة وجعلت توزع منها الماء على الجيش والاهالي حتى انتهت الثورة المهدية وهرح الجيش سواكن فابطلتها واقتصر الاهالي على الاستقاء من الشاطه * وكانت

الكندنة موضوعة في شبه جزيرة شمالي سواكن تعرف بجزيرة الشيخ عبد الله وهو من اولياء سواكن المدفونين فيها وله قبة تزار . وفي هذه الجزيرة مستشفى يديره من عهد طويل الحاذق النشيط الدكتور يوسف بك شدياق * والى شماليها مقام شهير للشيخ برغوت اعتاد التجارة كلما مرّوا بمقامه ان يلقوا دلوًا من مائهم في البحر «سلامًا» له واذا لم يفعلوا ذلك تشاءموا من سفر البحر

وسواكن مدينة تجارية قديمة العهد فهي تربط السودان بالحجاز والهند ومصر ويربطها بالسودان طريق بربر المار ذكرها . وعما قليل تشرع الحكومة في مدّ خط حديدي منها الى بربر فتتمو بذلك تجارتها نموًا عظيمًا . وفيها الآن سوق تجارية كبيرة تباع فيها جميع بضائع السودان ومصر والحجاز والهند واوروبا . ومما يزيدها اهمية انها في طريق الحجاج المسلمين من جميع بلاد السودان الى مكة وقد شرعت الحكومة حديثًا في بناء محجر صحي فيها ليلجأ اليه الحجاج السودانيون اذا دهمهم الوباء بدل ذهابهم الى محجر الطور المتحرف جدًّا عن طريقهم كما هي الحال الآن

ولا اهل سواكن خرافة في اصل تأسيسها قالوا : كان لبعض ملوك الحبشة الاقدمين مودة واتصال باحد قياصرة الرومان فأرسل اليه سبعة من الابكار الحسان هدية فأقلعن في زورق وجئن الى سواكن وكان فيها سبعة من الجن فتصدوا لهنّ ومنعهنّ عن السفر ثم تزوجوا بهنّ واولدوهنّ اولادًا عمرت بهم المدينة فسميت سبع جن ثم حُرقت الى سواكن ثم الى سواكن . وفي الواقع لا يعلم زمن تأسيسها ولكن التاريخ يدلنا انها كانت مركزًا تجاريًا مهمًا منذ عهد البطالسة على مصر وان بطليموس فيلادلفوس جعلها مخزنًا لسن الفيل . وقد ذكرها ابو الحسن المسعودي في تاريخه قال «جزيرة سواكن اقل من ميل في ميل وبينها وبين البر الحبشي بحر قصير يخاض واهلها طائفة من البجة . تسمى الخاسة وهم مسلمون ولهم بها ملك »

وافتح السلطان سليم العثماني سواكن سنة ١٥٢٠م فظلت تابعة للدولة العلية يتولاها حكام من قبل والى الحجاز الى ان تنازل الباب العالي عنها لمصر سنة ١٨٦٦ كما مرّ وفي اثناء الثورة المهدية خرج رجل من اهلها يسمى عثمان دقنه وانضم الى المهدي

فكان نصيره في السودان الشرقي وكان له مع الجيوش المصرية والانكليزية من
الشان ما سنذكره بالتفصيل ان شاء الله

اما سكان سواكن فيبلغون الآن نحو ٥٠٠٠ نسمة الربع من اهل البلاد
الاصليين والباقيون من الاجانب . والسكان الاصليون اخلاط من البجة الحاسة
والارتيقة والاشراف واقوام الارتيقة وقد كانوا الى عهد غير بعيد امراء المدينة
واسيادها ولا تضرب النقارة (الطبل) لفرح أو لاحتفال الا بأمرهم وكبيرهم الآن
الشيخ محمود بك ارتيقة وهو من خيار الرجال . وكلهم يتكلمون البيجاوية في منازلهم
ومجالسهم الخاصة ولكنهم في المجالس العامة يتكلمون العربية * واما الاجانب فاکثرهم
من الاتراك الذين تخلفوا فيها بعد الفتح العثماني ثم من المصريين والهنود والمجازيين
الذين دخلوا البلاد بقصد الاتجار . والهنود فريقان مسلمون ووثنيون وهؤلاء من
طائفة مشهورة في الهند يقال لها البنيان ولهم اعتقادات وثنية حسنة منها انهم يحرمون
اكل اللحوم وقتل اية نفس حية فاذا رأوا احدا يذبح طائرا اسرعوا اليه وبذلوا
الجد في تخليصه ولو بفدية باهظة . وهم يلبسون مئزرا يشدونهُ حول احقائهم وهو
كل ما يلبسونه رجالا ونساء ونساءهم يتزينن بالاساور والخلاخل الضخمة والاقراط
من الذهب والفضة * ومن اماكن سواكن الشهيرة على البحر الاحمر :

« نقطة حلايب » عند حد السودان الشمالي على البحر الاحمر

« ونقطة محمد قول » على نحو ١٣٠ ميلا شمالي سواكن . وبقر بها ملاحه شهيرة

تعرف بملاحه رواية ويظن انها في مكان عذاب المشهورة في توارينج العرب

« ومأمورية عقيق » على نحو ٨٥ ميلا من سواكن وهي تمتد جنوبا الى رأس

فصار الفاصل بين سواكن ومصوع واكثر اهلها من الحاسة التابعين لبني عامر . والغرض
من هذه النقط ضم كلمة البادية ومنع تهريب الرقيق من داخلية البلاد الى الحجاز

« ومأمورية طوكر » ومركزها طوكر على ٥٦ ميلا الى الجنوب من سواكن

ومناؤها الترنكتات بين سواكن وعقيق . وقد بنت الحكومة قديما في طوكر دارا

للمأمورية بطبقتين فسقطت بيد الدراويش سنة ١٨٨٤ فهدموها الى الارض وعمرها

ديماً على ٧ أميال جنوبياً عرف بديم عفافيت ثم استرجعتها الحكومة بعد واقعة شديدة في ١٩ فبراير سنة ١٨٩١ واحتلت عفافيت فسمتها طوكر و بنت فيها طاية حصينة وبين طوكر وترنكتات « آبار التيب » التي اشتهرت في الثورة السودانية لما حصل فيها من المعارك الشديدة بين الدراويش والجيوش المصرية والانكليزية والى غربي سواكن على ٤٠ ميلاً منها بلاد سنكات وقد كانت في الفتح الاول مركز مأمورية وكان فيها حديقة زاهية واما الآن فقد هجرت وانصرفت العناية الى تعمير جبال اركويت التي جعلت مصيفاً لمركز المحافظة العام

﴿ محافظة مصوع ﴾ واما محافظة مصوع التي كانت قبلاً تابعة للسودان واصبحت الآن بيد التليان فقد امتدت على البحر الاحمر من رأس قصار حيث تنتهي محافظة سواكن الى حلة رهيفة عند بوزاز باب المندب وامتدت غرباً في البر الى سنهيت . وقد سميت الآن « بالارثريا » وامتدت غرباً الى سبدرات قرب كسله . ومركزها مصوع في عرض شمالي ٣٧ ° ١٥ وطول شرقي ٢٧ ° ٣٩ وهي جزيرة في البحر طولها نحو ميل وعرضها زهاء ٤٠٠ يرد . وبين البر جزيرة صغيرة تعرف بطالوت كان الناس يعبرون منها الى البر بالزوارق الى سنة ١٢٩٠ هـ فشيدهم . ونسجرباشا جسراً ضيقاً من خشب اقامه على عمد من حجر جاعلاً طالوت وصلة فيه

وقرب مصوع « جزائر دهلوك » التي يستخرج منها اللؤلؤ والصدف والظفر وفيها آثار قديمة عليها كتابة قيل انها من عهد الفرس . وتجاه مصوع في البر ثلاث قرى صغيرة حريققو وحطملو وام كلثو وهي لها كالقيف لسواكن . ومنها طريق تجارية الى عدوه في الحبشة وطريق الى كسله في السودان وقد مر ذكرها . والى جنوبها مينازولا المشهور قديماً باسم أدولس وفيه آثار من عهد البطالسة . ويقال في هواء مصوع ومياها وابنيها ومينائها وتجارها ما قيل في سواكن . وقد اقام التليان فيها ابنة فاخرة فزهت حتى صارت من افر مدن البحر الاحمر

﴿ محافظة هرر ﴾ واما محافظة هرر التي انسلخت ايضاً عن السودان فآلت عاصمتها هرر الى الاحباش وفرضتها زيلع وبربره الى الانكليز فسيأتي الكلام عليها في تاريخ الحبشة

مدن مديرية كردوفان واثارها

« الأيَّض » عاصمة المديرية ومن اشهر مدن السودان التجارية واقدمها وهي واقعة في سهل فسيح على ٢٩٢ ميلاً من الخرطوم و٤٤٦ ميلاً من الفاشر و١٩٢٠ قدماً عن سطح البحر . وقد كانت زاهية في عهد سلطنة الفور فزادت بعد الفتح المصري زهاءً وبنت الحكومة فيها داراً للمديرية وثكنة للعساكر وشونة ومستشفى وكان فيها جامع ومدرسة ابتدائية وسوق تجارية شهيرة تباع فيها جميع اصناف البضائع التي تباع في السودان . وقد بلغ عدد سكانها قبل الثورة نحو ٥٠٠٠٠ نسمة بينهم كثير من تجار الجعليين والدناقلة والبعض من تجار الشام ومصر والحجاز والهند واوربا . وسقطت بيد المهدي في ١٩ يناير سنة ١٨٨٣ بعد حصار طويل فخرَّبها وبني « ديمًا » بجانبها وبقيت الى ان عادت الحكومة اليها بعد واقعة أم درمان فشرعت في تجديد بنائها وستعود الى سابق عزَّها عن قريب ان شاء الله

« وباره » على ٤٠ ميلاً الى الشمال من الايَّض وهي بلدة حسنة البناء جيدة التربة غزيرة المياه وفيها نبع ماء لا ينقطع يسمى العاديك يخرج منه العلق . وكان فيها حدائق غناء تضاهي حدائق مصر زاهية بانواع الفاكهة . وقد سقطت بيد المهدي قبل الايَّض بقليل وعادت الحكومة اليها عند عودها الى الايَّض وهي الآن تدرج في النماء كغيرها من مدن السودان

« والطياره » على ٣٥ ميلاً الى الشرق من الايَّض وهي من اهم المراكز التي يجمع فيها الصمغ ولها سوق عظيمة يباع فيها الصمغ والدخن . واكثر اهلها جوامعة « وابو حراز » على ٣٠ ميلاً الى الجنوب الغربي من الايَّض وهي بلدة متسعة قائمة على خور عظيم تحفر فيه الابار في زمن الصيف . وفي فلاتها كثير من النعام « وخورسي » الى الشمال الغربي من الايَّض مسيرة يوم منها وفي بعض جهاتها فلاة يقال لها العطاش ينقطع منها الماء في الصيف ولكن يكثر البطيخ فمن مائه يشربون ويسقون غنهم فتراهم في تلك المدة هزلي ضعافاً كأنهم قريبو عهد بمرض ولكنهم لما يقعون على هذا الضيق ابتغاء جمع الهشاب الذي يكثر هناك عند انحباس المطر

« والسنوط » وهي حلة صغيرة في طريق الطويشه من اعمال دارفور اتخذتها حكومة السودان مركزاً للمأمورية في اقصى غرب الايض

﴿ جبال النوبة ﴾ هي عدة جبال الى جنوبي كردوفان قيل ان عددها ٩٩ جبلاً وهي تمتد جنوباً وشرقاً الى النيل الايض وغرباً الى دارفور وفي كثير منها ينابيع واشجار يتخللها سهول خصيبة تقوم فيها الغابات من اشجار السنط والعريدي والتبلدي وغيرها. وسكانها قبائل شتى من النوبة وفي الصيف يرتاد سهولها كثير من بادية العرب كما مرّ وعلى كل جبل أو مجموع جبال منها ملك. ومن هذه الجبال ما دخل في طاعة مصر في الفتح الاول ومنها ما لم يدخل واشهر الجبال التي دخلت في الطاعة :

« جبل الدائر » أو جبل الضباب وهو جبل حصين شاخ كثير الاشجار والينابيع مسيرة يومين من الايض. وقد عصى المهدي وكانت بينه وبين رجاله وقائع مشهورة « وجبل كدارو » الى الجنوب الغربي من الدائر وعلى مسيرة يوم منه وقد اتخذته الحكومة الجديدة مركزاً للمأمورية جبال النوبة

« وجبل الدلن » وهو جبل صغير مسيرة ثلاثة ايام من الايض اشتهر في الفتح الاول وكان فيه للرسالة النمساوية الكاثوليكية مدرسة علمية صناعية بادارة الورع النبيل الاب اوهرولدر المشهور الذي وقع في اسر المهدي كما سيجي
« وجبال تقلي » وهي مجموع جبال منيعة يحكمها عائلة تدعي النسبة الى ملوك الفونج ومن ملوكها الملك ناصر الذي اشتهر في الفتح الاول وكان مركزه جبل طاسين. والملك آدم ودام دباله الذي اشتهر في زمن المهدي وكان مركزه جبل كرايه. ومن تلك الجبال جبل الدؤري وهو مركز قبيلة الثمام

« وجبل قدير » على نحو ١٦٠ ميلاً من الايض و ٨٠ ميلاً من فاشوده وهو الجبل الذي هاجر اليه محمد احمد التمهدي من جزيرة أبا عند اول ظهوره بالمهدية. قيل وبلصقه جبل صغير يسمى جبل ماسه ولعل محمد احمد اطلق عليه هذا الاسم ليتم له ما قيل في بعض الاحاديث من ان المهدي يخرج من جبل ماسه بالغرب وقد اختلف المحققون في اصل تسمية تلك الجبال بجبال النوبة فمن قائل انه

اسمها القديم وان النوبة الذين يسكنونها هم اصل للنوبة الذين على نيل دنقلة بدليل ما وجدوه من التشابه بين لغة القومين وعدم اشتقاق لغة النوبة الذين على النيل من لغات الساميين الذين هاجروا الى افريقية من اسيا . ومن قائل انها سميت كذلك لان النوبة الذين على النيل ملكوها وادخلوا اليها لغتهم كما جرى لاهل النوبة العليا مع المسلمين . ورأى البعض الآخر انها سميت باسم النوبة الذين فرؤوا اليها من دنقلا وسوبه بعد خرابهما كما مر . وقد حدثني تاجر من الاقباط الذين كانوا يترددون الى جبال النوبة قال ان اهل تلك الجبال اذا ولد لهم ولد وكان عمره اربعين يوماً اخذته أمه الى الكجور وهو رئيس ديانتهم وسألته ان يخرج منه الارواح النجسة فيعطسه بالماء ويدفعه الى امه قال وذلك من التقاليد المحفوظة عن النصرانية والله اعلم

✽ مدن دارفور وآثارها ✽

« الفاشر » بلدة متسعة قائمة على تلين عظيمين يعلاوان ٢٣٥٠ قدماً عن سطح البحر ويحترقها خور تندلي المار ذكره . اسمها السلطان عبد الرحمن الذي تولى دارفور سنة ١٢٠١ : ١٢١٥ هـ وجعلها عاصمة ملكه فصارت كرسي سلطنة الفور الى اليوم . وقد دخلت في حوزة الحكومة المصرية عن يد الزبير سنة ١٢٩١ هـ فبنت فيها داراً للمديرية واستحكاماً منيعاً للعساكر ثم سقطت بيد الدراويش سنة ١٨٨٤م وبقيت الى ان كانت واقعة ام درمان سنة ١٨٩٨ فرجع اليها من الواقعة الامير علي دينار من سلالة سلاطين الفور فتولاها على جزية يدفعها لحكومة السودان

« جبل مرّة » في وسط دارفور وهو جبل مرتفع حصين طوله من الشمال الى الجنوب نحو ١٠٠ ميل وعرضه من الشرق الى الغرب نحو ٦٠ ميلاً وارتفاع أعلى قمته نحو ١٥٠٠ قدم عن الارض المجاورة له ونحو ٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر وهو وافر الخصب والينابيع وفيه كثير من اشجار الفاكهة والحبوب مما ليس في غيره من اعمال دارفور . ومن اشهر قممه « جبل طرّه » الذي كان مركز سلاطين الفور قبل انتقالهم الى الفاشر وفيه مدفن السلاطين الخاص وجامع كبير قديم ومن جبال دارفور الشهيرة الميدوب وتقابو وحريز المار ذكرها . ومن مدنها :

« داره » وقد كانت مركز دار الصعيد وهي ثانية الفاشر في الاهمية وفيها استحكام منيع من عهد الفتح الاول . وقد اضطرت ان تسلم الى المهدويين سنة ١٨٨٤ بعد كفاح شديد وحرب عوان اثارها عليهم الشهم الهمام السر رودلف سلاطين باشا حكمدار دارفور في ذلك الحين والمفتش العام للسودان الآن

« وكوبى » وهي اشهر مراكزها التجارية ومنها تقوم القوافل في طريق الاربعين الى مصر . وهي موطن محمد امام الخبير سر تجار دارفور سابقاً وعلي بك الخبير المشهور « ومنواشي » وهي بعد كوبى في اهميتها التجارية وقد اشتهرت للواقعة التي كانت بين الزبير باشا والسلطان ابراهيم آخر سلاطين الفور فانجلت عن قتل السلطان ابراهيم ودخول سلطنة الفور في حوزة الحكومة المصرية

« وام شنقة » وهي في طريق القوافل الآتية من كردوفان ودقلة

« والطويشة » وهي في ملتقى الطرق بين شكا والفاشر وداره والايتض

« وشكا » وقد كانت قبلاً من اهم مراكز تجارة الرقيق

« وتولو » وهي مركز تجارة البرياب « وكريو » وقد كانت قديماً مركز دار الصباح

« ومليط » وقد كانت قديماً مركز دار الرّيح « الشمال » وفيها نخيل كثير

« وكلكل » وقد كانت مركز ادارة في الفتح الاول « وكبكيه » بينها وبين

الفاشر وقد كانت مركز الادارة قبلها « وأب بشر » من مراكز المسيرية

« وودعه وبلبل وكشم والدور وفافا والكلكة » وقد مر ذكرها

« وجمعان » من مراكز البديرية « ورأس الفيل وشعيرية » بين داره والفاشر

هذا ولا بدّ من تنبيه انقارئ الكريم الى ان المسافات التي اتينا عليها في هذا

الفصل والفصول التي تقدمته اكثرها تقريبية لا يمكن القطع بصحتها الآن اذ البلاد

لم تمسح كلها مسحاً علمياً صحيحاً بعد وربما استغرق مسحها هذا عدة سنين نظراً

لاتساعها ووعورة مسالكها وطول مفازاتها وقد تولى هذا العمل الخطير الآن الشريف

الكولونل تلبوت من مهندسي الانكليز العظام وعلمائهم الاجلاء فشرع في عمل

خريطة عامة صحيحة للبلاد وهو باذل الجهد في انجازها بأقرب وقت ممكن وفقه الله

البنائات

في

حضارة السودان

الفصل الاول

في

لغات اهل السودان

اللغة العربية يعلم القارئ مما تقدم ان في السودان لغات شتى اشهرها العربية وهي اللغة الغالبة وليس في السودان لغة تكتب غيرها وهم يتكلمونها ب لهجة حنة تختلف قليلاً عن لهجتي مصر والشام ولكنهم يلفظون احرفهم كأهل الشام يلفظون الجيم خفيفة والذال زايًا والثاء تاءً أو سينًا إلا القاف فانهم يلفظونها كالجيم المصرية. ثم ان لكل قبيلة من العرب لهجة خاصة افصحها لهجات الحضر على النيل فلهجات البادية في جنوبي السودان الشرقي فلهجات البقارة في جنوبي السودان الغربي ولعرب السودان الفاظ كثيرة غير مألوفة عند اهل مصر والشام وبعضها مأخوذ عن الاعاجم المجاورين لهم كالنوبة والبيجة والسود وشبه السود والحبشة ففي « اسماء الجهات » يسمون الشمال بالسافل او الرّيح والجنوب بالصعيد والشرق بالصباح أو الشرق * واما اسماء « الشهور القمرية » فهي عندهم هكذا على الترتيب : الضحية العقاية . الوحيد . الكرامة الاولانية . الكرامة الثانية . الكرامة الثالثة : سابق الكرامات . رجب . قصير . رمضان . الفطر الاول . الفطر الثاني . الضحية الاولانية * وهذه بعض الالفاظ الكثيرة الدوران في سنتهم :

العربي السوداني	العربي الفصح	العربي السوداني	العربي الفصح
اسمك منو	ما اسمك	سميح بالخيال	طيب جدًا
ارجاني	انتظري	شال المكان	ذهب اليه
الأضينه	الجبان	الصريف	مكان مسور بالخصوص
البقه	العاصمة	الطرايل	الاهرام
البكا	الماتم	العمور - المفازة * العد - البئر	
بري	حاشا	العوين	الاولاد
البوغاز	الثغر	العنكريب	السريير
التكل	الكوخ	العرضه • الطر	الاستعراض
تدورشنو	ماذا تريد	القلعة	الهضبة
الجلابة	التجار • القافلة	الكفريات	العاديئات
جت براها	جاءت من نفسها	الكاره	الثكنة
جنب ساكت	استرح	كعب	بطل
الجنى	الولد	كوراك	رفع صوته
الحلة	القرية	كيفنك	كيف انت
الحوش	المكان المسور بحجروطين	الملقة	مسيرة ساعة
الحبوبة	الجدة	المشرع	المرفأ
حبابك عشره	مرحبا بك	متين عرست	متى تزوجت
الدبة	التلة	ما بنخبر	لا اعلم
الديم	المعسكر	نضم	تكلم
الزول	الرجل	هسع	هذه الساعة
الزربية	المكان المسور بشوك	الهوي	شبه جزيرة
السرف	نبع ماء جار	هوي - اداة نداء * ود - ابن	
سوط المطر	قوس القزح	الوطا	الارض

وما يحسن ذكره مثلاً للغة العامية السودانية كتاب ارسله عبد الله التعايشي الى الامير عبد الرؤوف من امراء الجانقي بتاريخ ٣ ذي العقدة سنة ١٣٠٤ هـ بدعوه فيه الى ام درمان وهذه صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى الامير عبد الرؤوف ولد يوق هداه الله آمين بعد السلام عليك كان انت حضرت عند المهدي وعندنا في الرهد بقيت سمح بالحيل . بعدين كتبنا الورقة اليك تمشي تجيب جانقي ووليداتك وتجي قوام لي بكان المهدي السمع وتمشي في الجنة بكان الهدوم السمحات والحرير والراحة والاكل السمع الحلو . انا بسأل منك كثير انت ما جبت الكلام الليلك واما سمح اسمع الكلام الليل الورقة دي احضر قوام مع اهلك ووليداتك ونسوانك ما تقعد في دارجانقي القعاد بطل كثير . الكلام الليل العرب ما تسمعه بلباصين يسووك اراج ما تقعد في الدار انت طيب . الكلام الليل محمد الهاشمي أسمعته أحضر قوام ما تقعد تبقوا من اهل النار بكان ابليس والشیطان والكفار . النار حارّه بالحيل التعب فيها كثير الجنزير كثير القيد كثير الجوع والعطش كثير . ان حضرت عندنا بعدين وكت تموت تمشي بكان النبي بكان المهدي أخير ليك تجي ما تقعد في الدار القعاد وكعب . اسمع كلامي تعال قوام قوام . تحشية جانقي ان كان جيتوا سمعتوا الكلام الليلنا تمشوا الجنة بكان الخير الكثير واللباس كثير والنسوان السمحات كثار أخير من نسوانكم ديل هدومهن سمحات الا كل كثير العسل كثير اللبن كثير العطش ما فيش الجوع ما فيش الورده ما فيش الموت ما فيش السيوت كبار سمحات أحضروا قوام قوام أخير لكم »

ومن ذلك ما كتبه التعايشي للملك الجبوري احد ملوك النوبة يحثه على الجهاد « الزول اگان شاف الشغل ال في الآخرة يوم واحد ما يخلي الجهاد في شان الله والرسول والمهدي . الزول اگان جنب في البيت ساكت يموت ساكت مثل موت العوين . واما اگان مات في الجهاد الله يرضى عليه والرسول والمهدي ويلقى الخير الكثير »

﴿ الامثال ﴾ وعند عرب السودان امثال حسنة اكثرها مرادف لامثال مصر والشام منها :

ان كثرت عليك الهموم ارقد نوم	الابره ما بتشيل خيطين والقلب مايسع
ان لقيت راجل رخيص اشتريه يمكن	اثنين
بعدين ما تلقاه	احترام النسب عند اللثام اربعين سنه
ايد الميري طويلة	وعند الكرام الى يوم القيامة
بيت الشوره ما خرب	الاخ واحد من اليمين
بيت عمال ولا بيت مال	اخذ الثار ينفي العار
البيت يشيل مئة راجل ما يشيل امرأتين	اربط اصبعك صحيح لا يدمي ولا يقيح
بركة الكلام في قلته	ارقد دافي تقوم متعافي
بعد امك وابوك الاهل جيران	الاصبع الواحد ما يغطي الوجه
البلد ما يقتلها الا ولدها	اصل الجود جهينه واصل الملك سنار
تاجران لا يربحان تاجر الهف (الحنطة)	واصل العز جمل
وتاجر الكف (الريق)	اعمل معروف واديه البحر
تربي هزيل الجمال ينفعك تربي هزيل	اللي تقوم ذقنه قبل شواربه شاور المره
الرجال يقلعك	ولا تشاوره
تزوجوا فقرا يغنيكم الله وسافروا مرضى	اللي عنده الدقيق ما يعدم النار
يشفيكم الله	اللي ما فيها شق ما بتقول طق
الحته العفنه في اللحم تعفنه كله	اللي ما يبلع ريق على ريق ما يمسك رفيق
الحسنات في الرجال قرض	اللي ما يجيب ثاره الحمار خاله
الحق مر * الحمار شكروه رقد	اللي ما يستحمل الشر ما يستحمل الخير
خصام الرجل الدكر ولا صحبة الرجل الاضنه	اللي وراه المشي اخير له الجري
الخيل ظهورها عز و بطونها كنز	امسك في الكذب لما يوصلك الصبح
الدّين ولو درهمين يسود الخدّين	ان شاء الله ما يجينا من الريف الا القماش

رفيق اثنين كذاب وركاب سرجين وقاع
 وماسك درين دهاب
 زي الحمار الي مات في السمسم ان تركوه
 عفن وان جرّوه كسر
 شراب الماء على الريق يقصر العمر الوثيق
 السوق شاكره راجه
 صاحبك ان اباك قلل عليه الحوم • وباطنك
 ان وجعت كتر عليه الصوم
 ضاعت قوم لا سفينة فيها
 الطبع جبل لا يتحوّل
 الطول فاقه والقصر عاقه
 ظم البهايم حرام
 العزّة تسمّح المشي
 الغائب ورا شجرة • الغرض مرض
 عصاة العز لا تضرب بها تنكسر
 الفنى في القناعة والحرب صبر ساعة
 الفاس ما بتقطع عودها
 فكّة الريق اخير من راس رقيق
 فحان قهوه يقضي الشهوة
 القلب يرى قبل العين
 القمر ان ضوى لا فايده في النجوم
 كثرة الطلّ ترخص اعزّ خلق الله
 كل وسط ونم طرف
 الكاب لما يسعر اول ما يعضّ اهل بيته
 الماء ما بتروب والفاجره ما بتتوب
 مائة صاحب ولا عدو واحد
 مثيلك من الريف ياتي لك
 المجنون يضحك على طبيبه
 المره مكسوره جناح
 المرض ما يقتل يقتل الاجل
 مر عفبين قتلوا الاسد
 المريض يكره دواه
 من جرّب المجرب حاطت به الندامه
 لمن خلص دينه نامت عينه
 ناسب احسن منك وعاشر احسن منك
 الميتة ولا شماتة الاعداء
 وجوه الرجال خناجر
 لا قيني ولا تغديني
 يا حافر حفرة السوء وسّع مراقدها
 يد الحرّ ميزان

ومن اقوالهم « اطلب الشيء بثلاثة : باللين فاذا لم تظفر به فبالمال • فاذا لم تفلح
 بالحرب • فاذا لم تستطع الحرب وعدمت المال فعد الى اللين فانه ميسور لكل انسان •
 فاذا لم تنجح فدع ما انت طال به »
 ومن اراد المزيد من امثالهم فعليه بكتابنا « امثال العوام في مصر والسودان والشام »

﴿ الاحاجي والالغاز ﴾ هذا وفي كلامهم من الاحاجي والالغاز ما في كلام

اهل مصر والشام منها :

ازرق كحيل راكب على ثلاثة خيل	ج	القدير (موضوعة على ثلاث اثافي)
ترن ترن عند البحر حرن	ج	الحذاء (فانه يُخلع قبل الخوض في الماء)
دخل في القش ما قال كش	ج	الظل
سوط الملك وقع مين يشيله	ج	الثعبان
ضله في بطنه	ج	الحفرة
ظريف وطفيلي	ج	ظل الانسان
عنيزته ماسكها من دنيها وهي ترعى	ج	الموسى
في البلاد خضراء وفي البيت حمراء	ج	البطيخ
فيلاً ميّت في الحلا ميّت	ج	البيت
مطمورة ابو زيد ملانه ييض	ج	الفم والاسنان
ممسحه بلا مسح وتمشي بلا روح	ج	السفينة
هو بارك وفي السماء يعارك	ج	المدخنة

﴿ الشعر والغناء ﴾ اما الشعر عندهم فهو « كالمعنى » عند اهل لبنان « والزجل »

عند اهل مصر الا انه دونهما فصاحة ولا ينظمونه الا للغناء والغناء عندهم انواع وهي :

« غناء النّم » وهو غناؤهم على ظهور الابل واكثره تشيب بالنساء وحدا

للابل لانها تحمل الحب الى حبيته . وقد تعودت ابل السودان هذا الحدا حتى

صار يروق لها ويمسح به سيرها . من ذلك ما قاله عبد الله ابو سن احد كبار الشكرية

في محبوبته « نجوم » :

اسم ام شلخ نجوم نزلته في اليوميه	بتحصن به في الاوقات صباح وعشيه
كل من جاب سلامك يلقي عندي هدية	لكون الجمال عند الله له مزيه
معدومة النظير في الدنيا بالكلية	يتك لي جنه وحضرتك حوريه
الستات بلاك يا ماهرة العونيّه	بقيا لي مساخ ما عندي فيهن نيه

ومنه: دردرني الفقر وحماني قط ما عيش
 اهلي ما يفتقدوني ان بقيت ما عيش
 ومنه: ال بريدك ما جفاك
 ان اكلت ما بقول كفاك
 بالزينة يرقع في قفاك
 يا اخواني اصل الريده هاك
 « وغناء المطرق » سمي بذلك لان المغني به ويعرف باللييب أو الغنّاي
 يضرب الارض بالمطرق (اي بعصا صغيرة) وهو يغني وقد خص هذا الغناء
 بمدح الملوك واکابر القوم أو رثائهم . ولكل رجل شهير في السودان لييب ينظم له
 القول في المدح والفخر والحماسة

ومن هذا الغناء ما قالته بنت مسيمس المسلمية في مدح الزبير باشا :
 العيال يجالسوا المعزى معزى الدرا وانت تجالس بقر الليوث في الخلا
 وقت الشوف يشوف ما هو الاضينة جرى يحرن في العقاب ويشيل النبا
 ومنه ما قالته في محمد المقدم ابن احمد شرفي احد رجال المهديّة :
 محمد المقدم حافره قط ما جكّ الفارس المقيم بالالف واللاك
 وقت الشوف يشوف والحديث ينلاك دور خشمه كك ومقبوضه ما ينفك
 ومنه لبعض العبادّة :

ما يطارّد كلام الزلّة وفوق البشاوات هو معلّى
 يأمر بالشنق والحلّة وما شوف كيفه حاشا وكلّا
 « وغناء الدلوكة » وهو خاص بالنساء يغنيهن على آلة شبه الدربكة (يأتي وصفها)
 مدحا للرجال بالشجاعة والفروسية والكرم وما اشبه ووصفا للنساء بالجمال والصيانة
 وكرم الاصل وعلو الحسب . ومن هذا الغناء :

لييكن ديمّا حاس بحساس بالصافيات تبر مو نحاس
 اذا بي ال في الضلع غواص دواي غلب الحكيم يا ناس
 ومنه : الله ليّه الهرّد كلانا بالحسار والشوق شوانا
 يا ام ضمير النوم جفانا دُرنا شوف العين كفانا

« وغناء الجردقة » وهو خاص بالبقارة ويغنونه على ظهور الخيل وكله اغاني
حماسية ومنه :

اكلنا بيله ورقادنا قش من خشش خشش لمن الفقر ينقش
« وغناء الطنبورة » وهي من اشهر آلاتهم الموسيقية وسيأتي وصفها . ومن
هذا الغناء :

الحكيم عاين لي وراح قال لي يازول ما فيك جراح
آفتك التلتينه شلاخ . مسكة الكتف مع الباح
« وغناء الرابة » المعروفة وهو خاص ببلاد النوبة

« وغناء الطار » ويقال له ايضا « غناء المديح » اما نسبته الى الطار (الدف)
فلأنه يغنى به على الطار واما نسبته الى المديح فلأنه في مدح النبي (صلعم) .
ففي السودان شعراء يُعرفون بالمداحين ينظمون القصائد في مدح النبي ويعلمونها
لتلامذتهم المعروفين بالزمال فيطوفون في البلاد اثنين اثنين أو أكثر وبأيديهم
الطارات ينشدون تلك القصائد في الافراح وبيوت الكبراء فيجتمع الناس حولهم
حلقة فيأخذ احدهم طاراً يُعرف بالام وآخر طاراً اصغر منه يعرف بالشتم ويشعر
حامل الام بالغناء مبتدأ بالشيلة (اللازمة) فيعيدها الجمهور بعده وهو يكررها لهم حتى
يحفظوها ثم يشعر في القصيدة فيلقبها هو وحامل الشتم يتنا يتنا على ضرب الطار
والحضور يعيدون الشيلة بعد كل بيت وهكذا الى ان تنتهي القصيدة . واهل السودان
يكرمون هؤلاء المداح اكراماً للممدوح ويذبحون لهم الذبائح ويمجزلون لهم العطاء .
ولا ينخرط في هذا السلك الا اصحاب الصوت الجميل وهم في الغالب حسان الصورة
نظيفو الثياب . ومن هذا الغناء ما قاله المادح ود تميم من اهل الجزيرة :

الشيلة : قبراُ بُناه في المدينة	لا متين اراه (متى اراه)
ومنه الشيلة : شاشت (اشتقت) لنور الله	الساد (الذي ساد) رسل الله
القصيده : يالى ست الجنه	من الجحيم الجنه (الستر)
مشغوفك حن وجن	وعوديه ليلك جن (اظلم)

ومنه ماقاله في رثاء المتهدي شاعره احمد ود التويم من الجعلين العوضيه :
يا الطاهر دمك انا برجز نمك يا مهدي الله دوب لي قول فمك
عبدك يتهمك مشغول بهمك قال يا سيد عمك متى المالك
يا ال ما بتعوق انا ليك متشوق جاهك يحوق نعمة المتطوق
قول من ال علقوا فيك من يوم خلقوا دربك لا يطلقوا بري من ال زلقوا
سريرتك صافيه مع رب العافيه بطنك مي جافيه للحسد نافيه
يا طيب الاسما ويا سمح البسمه في العمل ابو سمه لا تكون لي قسمه
صل يا خالقنا على أب جبارقنا سيد عثمان دقنا ال عليه اشتقنا
عبدك عافيه من الله ال فيه ابن تويم اشفيه لا تهمل فيه
هذا واكثر اغاني المديح والمطرق والدلوكة والطنبورة على النيل بين الشايقية
والجعلين . واكثر غناء النمل في البادية الشرقية والجزيرة بين الشكرية ورفاعة الهوي
ومن لغات السودان المشهورة :

« لغة النوبة » أو لغة البرابرة في بلاد دنقلة واسوان

« ولغة البجة » وهي لغة بادية الصحراء الشرقية

« ولغات السود » في فاشودة وبحر الغزال * « ولغات شبه السود » في دارفور

وقد سبقت الاشارة اليها كلها . وبحث علماء الافرنج في كثير منها والى بعضهم كتباً
في صرفها ونحوها ومفرداتها فمن اراد التوسع فليطالعها

هذا والكثير من النوبة والبجة والسود وشبه السود المترجين بالعرب يتكلمون
العربية على لحن ظاهر في رطانتهم كما ان العرب المترجين بهؤلاء الاجناس يتكلمون
لغاتهم على لحن ايضاً

ولا هل كل لغة من هذه اللغات اغاني كالعرب . وقد سممت بعض اهالي النوبة
يفني اغنية بلحن شجي مزيج فسألته عما يقول فترجمه لي هكذا :

هلا هيل انت لا تذهبي الاوردي	هلا هيل انت لا تخرجي من البيت
هلا هيل وانت لا تخرجي من البيت	هلا هيل اسهر الليل كله على شانك

الفصل الثاني

في

﴿ اديانهم ﴾

﴿ الاسلام ﴾

تقدم ان جميع اهل السودان على اختلاف اجناسهم يدينون بالاسلام ما عدا السود فانهم يدينون بالفتشية . وقد كان للاسلام الشأن الاعظم في السودان حتى انه ليتعذر فهم تاريخ هذه البلاد فهما صحيحاً الا بفهم الاسلام نفسه . ولذلك رأيت ان آتي هنا على مجمل سهل جلي في ماهية الاسلام ومذاهب المسلمين وعقائدهم واعيادهم وحكوماتهم وفي ما عليه اهل السودان من ذلك كله ليكون تمهيداً لما سيجيء في تاريخ السودان بعد الاسلام وعلى الخصوص في تاريخ المهديّة فأقول :

﴿ الاسلام والايمان ﴾ الدين عند المسلمين الاسلام والايمان اما « الاسلام » فأركانه خمسة وهي شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله واقامة الصلاة (وهي الصلوات الخمس اليومية في اوقاتها فذاً أو جماعة) وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً

واما « الايمان » فهو ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . فمن انكر شيئاً منها فهو كافر ومن استجمعها وانكر غيرها كانكاره للمهديّة مثلاً لم يعد كافراً ومن اظهر الاسلام واخفى الكفر فهو منافق

﴿ الشيعة واهل السنة ﴾ ثم ان المسلمين من حيث المذهب طائفتان كبيرتان الشيعة واهل السنة . اما « الشيعة » فهم القائلون بأن الامام علياً هو وصي النبي على لامة وهو الاولى بالخلافة بعده مباشرة ولذلك فهم يرفضون الخلفاء الثلاثة الذين تقدموه وهم ابو بكر الصديق وعمر ابن الخطاب وعثمان ابن عفان ويعتبرونهم متعدّين على حقوق علي في الخلافة ويعتقدون ان الامام علياً وان لم يكن الخليفة ظاهراً فهو الخليفة باطناً منذ وفاة النبي وهم يعتبرون هذه الخلافة الباطنية في ذريته

من بعده الى الامام الثاني عشر الذي يزعمون انه لا يزال حيًّا وانه المهدي المنتظر على ماسيجي . وهم مذاهب شتى لا حاجة بنا الى تفصيلها لان ليس لهم اثر في السودان الذي اصل كلامنا فيه وانما معظمهم في بلاد العجم ومنهم قليل في الهند وفي شمالي سوريا * واما « اهل السنة » وهم السواد الاعظم من المسلمين فيقولون ان ترتيب الخلافة الذي حصل هو الصواب وعندهم ان الخلفاء خمسة لان النبي (صلعم) قال « الخلافة بعدي ثلاثون ثم تصير ملكاً عضوداً » فالذين حكموا في الثلاثين سنة بعد وفاته هم : ابو بكر الصديق . وعمر بن الخطاب ويلقب بالفاروق وعثمان بن عفان ويلقب بذي النورين . وعلي بن أبي طالب ويلقب بالكرار . والحسن ابنه قبل تنازله لمعاوية

❦ الهدية في الاسلام ❦

واعلم ان المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على ممرّ الاعصار انه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولى على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال (وما بعده من اشراط الساعة الثابتة في الصحيح) على أثره وان عيسى ينزل بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله ويأتمّ بالمهدي في صلاته (اه عن ابن خلدون)

❦ مهدي اهل السنة ❦ ويحتج اهل السنة في الباب بأحاديث خرّجها بعض أئمتهم منهم الترمذي وابو داود والبزار وابن ماجه . واسندوها الى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمرو وطحمة وابن مسعود وابي هريرة وأنس وأبي سعد الخدري وابي جعفر وام سلمة وغيرهم

فمن ذلك ما جاء في كتاب الامام القرطبي : وفي حديث ابي داود « لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يبعث الله تعالى فيه رجلاً مني أو من اهل بيتي يواطى اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي » وفي رواية له ايضاً « لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يليهم رجل من اهل

يأتي تكون الملائكة بين يديه ويظهر الاسلام ويكثر فيه المال ويأتيه الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيحني له في ثوبه ما استطاع ان يحمله * وعن ابي سعد الخدري ان رسول الله (صلعم) قال ليصين هذه الأمة بلاء حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم فيبعث الله تعالى رجلاً من عترتي (اهل بيتي) يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض لا تدع السماء من قطرها شيئاً الا صبته مدراراً ولا تدع الارض من نباتها شيئاً الا اخرجته حتى يتمنى الاحياء العيش . يمكث على ذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين * وروى انه يخرج من اقصى المغرب يمشي النصر بين يديه اربعين ميلاً راياته بيض وصفر فيها رقوم وفيها اسم الله الاعظم مكتوب فيها فلا تهزم له راية . وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له ماسه من جبل المغرب فيبعث هذه الرايات مع قوم قد اخذ الله تعالى لهم ميثاق النصر والظفر

وقال صاحب « نور الابصار » : ان السنة من سني المهدي مقدار عشر سنين ثم لاخير في العيش بعده . وقال ان سلطانه يبلغ المشرق والمغرب وتظهر له الكنوز ولا يبقى في الارض خراب الا عمره . وهذه علامات قيام القائم مروية عن أبي جعفر (رضه) قال : اذا تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وربكت النساء السروج وأمات الناس الصلوات واتبعوا الشهوات واستخفوا بالدماء وتعاملوا بالربا وتظاهروا بالزنا وشيدوا البناء واستحلوا الكذب واخذوا الرشى واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا وقطعوا الارحام وضنوا بالطعام وكان الحلم ضعفاً والظلم فخراً والامراء فجرة والوزراء كذبة والامناء خونة والاعوان ظلمة والقرءاء فسقة وظهر الجور وكثر الطلاق وبدا الفجور وقبلت شهادة الزور وشرب الخمر واتخذ الفئ مغناً والصدقة مغماً واتقى الاشرار مخافة السنتهم وخرج السفلياني من الشام والياني من اليمن وخسف بالبيداء بين مكة والمدينة وقتل غلام من آل محمد (صلعم) بين الركن والمقام وصاح صائح من السماء بأن الحق معه ومع اتباعه قال فاذا خرج اسند ظهره الى الكعبة واجتمع اليه ثلثماية وثلاثة عشر رجلاً من اتباعه فأول ما ينطق به هذه الآية « بقية الله خير لكم

ان كنتم مؤمنين « ثم يقول انا بقية الله وخليفته وحجته عليكم فلا يسلم عليه احد الا قال السلام عليك يا بقية الله في الارض فاذا اجتمع عنده العقد عشرة الاف رجل فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا احد ممن يعبد غير الله تعالى الا آمن به وصدقه وتكون الملة واحدة ملة الاسلام وكل من كان في الارض من معبود سوى الله تعالى تنزل عليه نار من السماء فتحرقه والله اعلم اه

هذه هي بعض احاديث القائلين بالمهدية من السنة وعندهم ان المهدي يجيء من بني فاطمة (قلت ولذلك يعرف ايضا في كتبهم بالفاطمي) وانه يولد بالمدينة المنورة لانه من اهلها . وقالوا في صفته انه شاب افرق الثنايا واسع الجبهة اكحل العينين أزج الحاجبين اقنى الأنف كث اللحية على خده الأيمن خال . وجهه كالكوكب الذي اللون لون عربي والجسم جسم اسراييلي (اي طويل)

(مهدي الشيعة) واما الشيعة من المسلمين فيعتقدون ان المهدي قد ظهر في اواخر القرن الثالث للهجرة في شخص محمد بن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو آخر أئمتهم الاثني عشر . وكنيته ابو القاسم ولقبه الامامية بالحجة والمهدي والخلف الصالح والقائم المنتظر صاحب الزمان واشهرها المهدي . قالوا وكان شابا مرفوع القامة حسن الوجه والشعر . بسل شعره على منكبيه اقنى الأنف أجلى الجبهة

وفي تاريخ ابن الوردي : ولد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين . وتزعم الشيعة انه دخل السرداب في دار ابيه « بسر من رأى » وأمه نظر اليه فلم يعد اليها وكان عمره تسع سنين وذلك في سنة مئتين وخمس وستين على خلاف فيه . وهم يعتقدون انه لا يزال حيا وانه لا بد من ظهوره بعلامات خاصة في آخر الزمان . وكان على هذا المذهب السيد الحميري وله من ايات :

امام المهدي قل لي متى أنت آيب فمن علينا يا امام برجة
ملنا وطال الانتظار فجد لنا بحمك يا قطب الوجود بزورة

فأنت لهذا الامر قدماً معيناً كذلك قال الله انت خليفتي اه
ويظهر ان الشيعة كلهم متفقون على الاعتقاد بالمهدي واما اهل السنة فعلماءهم
على خلاف في شأنه وذلك لان الاحاديث التي خرجها علماءهم والتي تقدم لنا ذكر
بعضها على شهرتها وكثرتها لم يرد منها شيء في الصحيحين . (اي صحيح الامام
البخاري الذي ولد في بخارى سنة ١٩٤ هـ وتوفي في بغداد سنة ٢٥٦ هـ . وصحيح
الامام مسلم الذي توفي في نيسابور سنة ٢٦١ هـ) . والمعلوم ان الصحيحين عند اهل
السنة مقدمان على سائر كتب الاحاديث فكما جاء فيها لزيمهم قبوله والعمل به
بخلاف الاحاديث التي لم ترد فيها فانه لا يلزمهم قبولها بل هم مخبرون بين القبول
والرد لذلك ولما كانت جميع الاحاديث المروية بشأن المهدي مروية في غير
الصحيحين اختلف علماء السنة فيه فمنهم من اعتمد تلك الاحاديث فانتظر ظهور
المهدي ومنهم من لم يعتمد ذلك فلم ينتظر ظهوره . وفي هذا الباب بحث طويل في
مقدمة ابن خلدون في كلامه عن الفاطمي وما يذهب اليه الناس فمن اراد
الاسهاب فليراجعه هناك

على ان هذا الخلاف بين علماء السنة لم يؤثر شيئاً في اعتقاد الجمهور في ظهور
المهدي وقد ظهر بين المسلمين من اهل السنة والشيعة في كل العصور رجال ادعوا
المهدية فحامت حولهم الانصار فمنهم من ساعدتهم الاقدار والاحوال فأسسوا دولاً
عظيمة دامت زماناً طويلاً ومنهم وهم الاكثر لم يكادوا يظهرون بدعواهم حتى طوى
الزمان ذكرهم لان الاحوال لم تكن معدة لتجاحهم

﴿ مدعو المهدية في الاسلام ﴾ واشهر الذين ادعوا المهدية من اول الاسلام الى الآن:
« محمد بن عبد الله » الملقب بالنفس الزكية ظهر في المدينة سنة ١٤٥ هـ في عهد
الخليفة المنصور ثاني الخلفاء العباسيين فدعا الناس اليه وكان له اخ اسمه ابراهيم
ففسره ففتح البصرة والاهواز وفارس ومكة والمدينة وبعث عماله الى اليمن وغيرها
وكان ذلك في زمن الامام مالك فأفتى له وشد ازره فكثرت دعائه حتى كاد يذهب
بالدولة العباسية لو لم يستدرك المنصور امره ويتغلب عليه ويقتله

«وعبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق» مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب التي فتحت في الديار المصرية في اواسط القرن الرابع للهجرة وبنيت مدينة القاهرة على يد القائد جوهر وقد اتسعت دولة الفاطميين وامتدت سلطتهم وطالت ايام حكمهم كما هو مشهور

«ومحمد بن عبد الله بن تومرت» المعروف بالمهدي الهرعي ويكنى أبا عبد الله اصله من جبل السوس في اقصى بلاد المغرب رحل الى المشرق حتى انتهى الى العراق واجتمع بأبي حامد الغزالي وغيره فأخذ العلم عنهم واشتهر بالصلاح والتقوى وساح في الحجاز وجاء مصر ثم سار الى الغرب واقام بمراكش وغيرها وتأسست على يده دولة عظيمة في اوائل القرن السادس للهجرة هي دولة بني عبد المؤمن «والعباس الفاطمي» ظهر بالمغرب في آخر المائة السابعة للهجرة وادعى المهدية فكاثف الناس حوله وعظمت شوكته حتى دخل مدينة فاس عنوة واحرق اسواقها وبث العمال الى الانحاء لكنه قتل غيلة فاتقضى اجله وسقطت دعوته

«والسيد احمد» ظهر في اوائل القرن التاسع عشر للميلاد في جهات الهند وحارب الاسياخ على حدود بنجاب الشمالية الغربية سنة ١٨٢٦ م ولم تقم له قائمة «ومحمد احمد الدنقلوي» الذي ظهر في سنة ١٨٨١ م واضطر الحكومة المصرية الى الخروج من السودان كما هو مشهور عند جميع القراء وسنأتي على تاريخه واسباب ظهوره بالتفصيل ان شاء الله

«ومهدي السومال» المعروف بالملأ المقتون الذي قام بعد محمد احمد في بلاد السومال فجرّد عليه الانكليز الحملة بعد الحملة حتى مزقوا شمله وقلّوا شوكته وهم الآن يطاردونه في المفاوز والقفار ولا يرجعون عنه حتى يقضوا عليه وعهد ذلك قريب ومن اراد التوسع في هذا البحث أو في اي بحث من ابحاث التاريخ الاسلامي فليح بالكتب المتقن والمؤرخ الذكي «جورج افندي زيدان» صاحب تاريخ مصر الحديث ومجلة الهلال الغراء وتاريخ التمدن الاسلامي فانه يعدّ للطبع كتاباً وافياً في تاريخ الاسلام العام على اسلوب جديد جلي قريب المأخذ سهل المنال

﴿ محمد المهدي السنوسي ﴾ ومنهم من يعدّ محمد المهدي السنوسي الذي يحارب
الفرنساويين الآن في بلاد كانم في مصاف المدعين المهديّة ولهذا الرجل صيت واسع
في الشرق والغرب وقد كان له شأن في تاريخ المهديّة ويُتَوَقَّع ان يكون له شأن
عظيم في مستقبل الايام لذلك رأيت ان آتي على تاريخه ببعض الاسهاب فأقول :
« ان محمداً المهدي السنوسي هذا هو نجل الاستاذ الشهير محمد بن علي السنوسي من
ذرية الحسن بن الامام علي بن أبي طالب (رضه) ولد ابوه سنة اربع أو خمس
بعد المئتين والالف بصحراء مستغانم من اعمال الجزائر ونشأ فيها وطلب العلم
بمدينة فاس واشتغل بالطريقة الدرقاوية . ثم رحل الى مكة المشرفة فلقى بها
الاستاذ احمد بن ادريس الشريف الفاسي المشهور بالعلم والصلاح واخذ عنه الطريقة
الصوفية من فرع الشاذلية فبرع فيها فأحبه استاذهُ المذكور وخلفه واذن له
في اعطاء العهود وتلقين الذكر فبنى زاوية بجبل أبي قيس بمكة . ثم رحل الى الجبل
الاخضر من ارض طرابلس الغرب سنة ١٢٥٥ هـ وبني في تلك الجهات عدة زوايا
واقام حتى رزق ولديه السيد محمداً المهدي الذي فيه كلامنا سنة ١٢٦١ هـ والسيد
محمداً الشريف سنة ١٢٦٣ هـ . وفي تلك السنة عاد الى جبل أبي قيس بمكة فأقام فيه
نحو سبع سنين مشغلاً باقراء الحديث والفقهِ فشاع صيته وهرع اليه الناس للتلقّي عنه .
وتوفي الاستاذ السيد احمد بن ادريس في اليمن وله هناك قبة تزار وكان السنوسي
قد صحبه الى اليمن فعاد بعد وفاته الى مكة . وحدث في تلك الاثناء ان الشريف
عبد المطلب شريف مكة عصى الدولة فاتهم السنوسي بمشايعة على ذلك سرّاً
فخاف من الاقامة بمكة بعد هذه التهمة فرحل منها عائداً الى الجبل الاخضر عن
طريق مصر وكان على مصر المغفور له عباس باشا فاكرم وفادته وبني له زاوية
بمخارج القاهرة عند الشيخ القللي بجهة باب الحديد فلم ينزل بها وانما نزل في ناحية
كرداسة بالجيزة فبرع الناس لزيارته والتبرك به . ثم سار الى الجبل الاخضر فنزل
بجبل عرف بالغزيات وهو قصر قديم فرمه واصلحه وسماه الغزيات واقام به سنين
يثث طريقته فلما كثر مريدوه في صحراء ليبيا اراد ان يسكن بينهم ويعتزل عن

مواطن الحكومات فسألهم عن مكان فيه ماء فدلوه على الجغبوب وهي على مسافة عشرة أيام من العزيات وثلاثة أيام من سيوه فرحل إليها سنة ١٢٧٣ هـ وبني زاوية واقام فيها ينشر طريقته بين عرب البادية الى ان توفي في ٩ صفر سنة ١٢٧٦ هـ ودفن هناك . وله مؤلفات كثيرة منها ايقاظ الوسنان في العمل بالسنة والقرآن . والسبيل المعين في الطريق الاربعين . والمنهل الرائق في الاسانيد والطرائق . والشموس الشارقة في سماء مشايخ المغاربة والمشاركة

وقام بعده بنشر طريقته وتربية مريديه ولده وخليفته « الاستاذ السيد محمد المهدي السنوسي » الذي فيه كلامنا يعضده اخوه السيد محمد الشريف السنوسي فزاد عدد المريدين للسنوسية في عهده اضعافاً كثيرة وزادت طريقته انتشاراً في الصحراء الكبرى وامتدت الى بلاد وداي وكانم وباجرمي ودارفور . وله الآن في تلك البلاد كلها وفي مصر والحجاز نحو ٣٠٠ زاوية وفي كل زاوية خليفة من قبله يدير شؤونها ويبيع الناس فيها بدلاً عنه ومدرسة لتعليم القرآن ومبادئ العلوم . وكل خليفة ينشي له زرعاً بمساعدة السالكين عنه الطريق ويقتني الماشية فينفق من ربحها على الزاوية وما فضل يرسله الى شيخه السنوسي حتى أصبح السنوسي شبه بملك يجي اليه الخراج ومقامه عند اهل طريقته اعظم من مقام الملوك واهل الصحراء الكبرى لا يعرفون حاكماً غيره ولا يخضعون للحكام الا بواسطته بل هم يعتقدون انه المهدي المنتظر وقد قاموا معه في الحرب الحاضرة على الفرنسيين حاسبين ان هذا وقت ظهوره وانهم الآن يجاهدون في سبيل الله ومهديه

ولما قام محمد احمد بدعوى المهدي في السودان بعث الى السنوسي بكتاب يدعوه فيه ان يكون خليفته الثالث أي في مقام الخليفة عثمان بن عفان فرفض الدعوة باحتقار ولم يرد الكتاب وقيل انه قال للرسول اخبروا محمد احمد اننا لا نساوي التراب الذي كان يطأه عثمان . وقد اوعز الى ملك وداي ان لا يحرك ساكناً مع محمد احمد فلا ينصره ولا يجاربه الا اذا جاءه محارباً فليجاربه . قيل وقد ارادت الدولة العلية منذ بضع سنين ان تستدعي السنوسي الى الاستانة ليقم في حماها فلما شعر بذلك رحل

من جغبوب ونزل في واحة الكفرة وبنى له هناك زاوية سماها زاوية التاج فاجتمع اليه الطلبة من تونس ومصر والشام وبادية الغرب . ثم ارتحل منها الى قرو وهي واحة بين الكفرة وعاصمة وداي ولم يزل مقياً فيها يدير الحرب التي اشهرها قريباً على الفرنسيين لانهم دخلوا البلاد التي يعدها ضمن سلطانه * والمشهور عنه انه يريد تقويم الدين الاسلامي واعادته الى اصله القديم ومقاومة كل ما جد من زخرف الملك وزينة الدنيا . ومن عاداته ان لا يكتب احداً من غير طريقته ولا يجاب احداً على خطابه الا اذا كان الخطاب من مسند رسمي فانه يجيب عليه جواباً رسمياً وهو لا يحب ان يداخل احد من الاجانب في شأنه ولا يسمح للنصارى ان يطأوا زاويته بل يكره تجولهم في الصحراء بين زواياه . وله الآن بين الحجاز وواحة قرو مراكز للبريد في جده والسويس وكرداسه وسيوه وجغبوب والكفرة وله في كل مركز وكيل مسئول عن ائصال الكتب من مركزه الى المركز الذي يليه وهو يوصي مريد به بالمبالغة في حفظ الاسرار وضم الكلمة . هذا ما وصل اليه من امر السنوسي والله اعلم

﴿ أئمة المسلمين ﴾

ثم ان ائمة الدين عند اهل السنة ثلاث فرق وهي :

﴿ ائمة علم التوحيد ﴾ وهم الذين بحثوا عن وجود الحق جل جلاله وصفاته وأسمائه وافعاله وعن ملائكته وانبيائه وكتبه ورساله واليوم الآخر وهم كثيرون وانما الذين اشتهر مذهبهم واستمر الى الآن اثنان وهما الامام ابو الحسن الاشعري والامام ابو منصور الماتريدي وبينهما اختلاف طفيف في مسائل منها مسألة عدد صفات الله وحدوث صفات الافعال أو قدمها فالامام الاشعري يعتبر صفات الله سبحانه سبعا وهي القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام . والامام الماتريدي يعتبرها ثمانياً بزيادة صفة التكوين . واما من قبيل صفات الافعال مثل الخلق والرزق والاحياء والاماتة ونحو ذلك فالذي عليه الاشعري انها حادثة عند حدوث متعلقها المخلوق . واما الماتريدي فيقول انها قديمة لانها تفاصيل الصفة القديمة عنده التي هي التكوين فانقسم المسلمون بهذين الامامين في عقائدهم

التوحيدية الى قسمين قسم اتبع الماتريدي وهم الحنفية والباقون على مذهب الاشعري
 ﴿ وأئمة الفقه ﴾ وهم يبحثون في الاحكام الشرعية التي تتعلق بالمعاملات
 كالبيع والشراء والعبادات البدنية كالصلاة والزكاة والحج . وماخذ هذه الاحكام
 عندهم اربعة هي اصول الفقه وهي الكتاب والسنة والاجماع والقياس المستنبط منها .
 وذلك أنهم كانوا اذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال أو حرام فزعوا الى
 الاجتهاد وابتدأوا بالكتاب فان وجدوا فيه نصاً تمسكوا به والا فزعوا الى السنة
 أي الحديث فان رأوا في ذلك خبراً نزلوا على حكمه والا فزعوا الى اجماع الصحابة
 لانهم راشدون فلا يجتمعون على ضلال فان عثروا على ما يناسب مطلوبهم حكموا
 بالحادثة على مقتضاه والا فزعوا الى القياس لان الحوادث والوقائع غير متناهية
 والنصوص متناهية فلا يتطابقان فقالوا قطعاً ان القياس واجب الاعتبار ليكون بصدد
 كل حادثة شرعية اجتهاد قياسي فالاجتهاد عندهم هو استنباط الاحكام الفرعية
 من الاصول الاربعة المتقدم ذكرها . وكان الائمة المجتهدون في صدر الاسلام كثاراً
 ولكن الذين تدونت مذاهبهم وبقيت الى الآن قفيل بعدهم باب الاجتهاد اربعة وهم :
 « الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت » ولد بالكوفة سنة ٨٠ هـ وتوفي ببغداد
 سنة ١٥٠ هـ على الاصح

« الامام ابو عبد الله مالك ابن أنس ابن مالك » ولد بالمدينة سنة ٩٥ هـ وتوفي
 فيها سنة ١٩٧ هـ تقريباً

« الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي » ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ
 وتوفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ

« الامام ابو عبد الله احمد بن حنبل » ولد في بغداد في الاربع سنة ١٦٤ هـ
 وتوفي فيها سنة ٢٤١ هـ

فانقسم المسلمون بهؤلاء الائمة الى اربعة مذاهب الحنفي والمالكي والشافعي
 والحنبلي فغلب الحنفي في سوريا والعراق والشافعي في مصر والمالكي في المغرب
 والسودان والحنبلي في الكوفة ونجد وهو اقلها انتشاراً

وأساس الاختلاف بين هؤلاء الائمة هو اختلافهم في النظر الى اصول الفقه
الاربعة والاخذ عنها . فالامام أبو حنيفة شديد التمسك بالقياس وربما يقدم القياس
الجلي على اخبار الاحاد . اما الائمة مالك والشافعي وابن حنبل فانهم لا يرجعون الى
القياس الجلي أو الخفي ما وجدوا خبراً أو امرأ حتى لقد سمي الشهرستاني الحنفية
بأصحاب الرأي وسمى المذاهب الاخرى بأصحاب الحديث . ثم ان الشافعي أشد
تمسكاً بالحديث الصحيح من الجميع وقد قال « ما صح من الحديث فهو مذهبي » .
وأما مالك فانه شديد التمسك بعمل اهل المدينة لان اهل المدينة رأوا النبي واعماله
في آخر عمره وهم مقلدون فأعمالهم مؤسسة على رؤية وهي عنده مقدمة على خبر
الواحد . ثم ان احد هؤلاء الائمة قد يصح عنده من الاحاديث ما لا يصح عند
الآخر فيحكم به فيخالف غيره . وفوق ذلك فان العربية لغة الكتاب والسنة قابلة التأويل
في ألفاظها فكان كل منهم يحملها على ما يراه اولى عنده ومن ذلك كله حصل الخلاف .
وكلهم يبحثون في افعال المكلفين واقوالهم وقد قسموها الى خمسة اقسام وهي :
« الواجب » وهو الذي يثاب على فعله ويعاقب على تركه كالصلاة
« والحرام » وهو الذي يعاقب على فعله ويثاب على تركه كالسرقة
« والمندوب » وهو الذي يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه كالصيام في غير رمضان
« والمكروه » وهو الذي يثاب على تركه ولا يعاقب على فعله
« والمباح » وهو الذي لا يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه
﴿ وأئمة الصوفية ﴾ وهم يشتغلون بالتخلي عن العالم الدنيوي والاشتغال بما يقرب
من الحق عز وجل ويؤدي الى مشاهدته ولذا قيل التصوف هو الجد في السلوك
الى ملك الملوك وان يكون العبد في كل وقت مشغولاً بما هو اولى في الوقت .
وأساس طريقتهم ستة امور : تقليل الطعام وتقليل الكلام وتقليل المنام واعتزال
الانام والذكر المدام والفكر التام أي التفكير في مصنوعات الله تعالى بصفاء قلب .
وعندهم ان ذلك يؤدي الى نفي مساوي الاخلاق والتخلي بمكارمها وانجلاء الظلمات
الدنيوية عن القلب وتجلي الحق فيه

﴿الذكر﴾ والمراد بالذكر المدام ترديد اسم من اسماء الله تعالى مراراً عديدة
بجهر أو بلا حصر حتى يستولي معنى الاسم على ضمير الذاكر وهو اجسه بحيث
لا يكون له شعور بالعالم الحسي . وهم يستعينون على العد بالمسابع المعروفة . وقد حدد
الصوفية درجة الكثرة في الذكر المشار إليها بالآية « واذكروا الله كثيراً لعلمكم
تقلحون » فقالوا ان تكرار الاسم ٣٠٠ مرة هو أول حد الكثرة . واسماء الله سبحانه
كثيرة وجاء في الحديث ان لله تسعة وتسعين اسماً من احصاها دخل الجنة . ثم
ان الذكر عند اهل الطرائق على نوعين فاما ان يردد الذاكر اسماً من اسماء الله تعالى
وحده سرّاً أو جهرّاً أو ان يردده كذلك مع جمهور من الناس في مجلس خاص
يسمى حلقة الذكر . هذا ولكل حلقة شيخ يرئسها أو تقيب يفتح الذكر فيفتح
التقيب الذكر بكلمة التوحيد وهي لا اله الا الله فيكرر الجمهور معه هذه الكلمة مراراً
معلومة حتى لقد يقتصرون عليها في الجلسة أو ينتقلون منها الى اسم من اسماء الله
كقولهم الله حي قيوم أو غير ذلك . ومما جرت به العادة عند اهل الطرائق ان
يكون للحلقة منشد ايضاً يسمعون من كلام الصوفية ما ينشطهم فيلقي المنشد
والناس يذكرون مقاطع منها قول الشيخ علي وفا عن لسان الحق عز وجل يخاطب
السالك (المريد)

اطع امرنا نرفع لأجلك حجبنا	فانّا خصصنا بالرضى من احبنا
وسلم إلينا الأمر في كل ما جرى	فما القرب والابعاد الاّ بأمرنا
ولا تعترضنا في الامور فكل من	اردناه أحييناه حتى احبنا
وسرّحونا لا تخش في الليل وحشة	وكن ذاكرًا فالانس في طيب ذكرنا
وعن ذكرنا لا يشغلنك شاغل	ولا تنسنا واقصد بفعلك وجهنا
ولا تنسى ميثاقاً اخذناه اولاً	عليك باقرار كتبناه عندنا

وللذكر المشروع عند اهل الطرائق شروط اهمها ان يكون بخشية وحضور أي ان
يبد الله كأنه يراه وان لا يأتي بحركة في حالة الذكر الا ان يهز رأسه هزاً لطيفاً .
واما ما نراه من فعل بعض المتصوفين في حلقات الذكر من الرقص والتصفيق وهز

الرأس والعنق فانه مخالف للصوفية وينكره جميع علماء المسلمين وقد قال الاخضري في منظومته في آداب الذكر يندد على المتطفلين على الصوفية :

والرقص والصراخ والتصفيقُ عمداً بذكر الله لا يليقُ

﴿ الراتب ﴾ ثم ان لكل طريقة ادعية مأخوذة من الاحاديث أو من كلام بعض الاولياء تتضمن الاستعاذة من كل شر والسؤال لكل خير وقد يكون مع تلك الادعية بعض آيات قرآنية واذكار في التسبيح والتحميد والتهليل والصلوة على النبي والاستغفار تجمع في كتاب خاص يسمونه « الراتب » وذلك لان شيخ الطريقة يرتب قراءته على تلامذته صباحاً ومساءً على انفراد أو اجتماع . والعادة عندهم بعد قراءة هذا الراتب في الاجتماع انهم يقرأون الفاتحة ويهدون ثوابها للنبي (صلعم) ومشايخ طريقتهم على الترتيب فيقول القيب بعد الفراغ من الراتب الفاتحة لروح النبي ويرفع كفيه ونظره الى السماء فيقرأ الفاتحة ويقرأ الجلوس معه ثم يقول الفاتحة لشيخ الطريقة الاكبر ثم من بعده على الترتيب الاكبر فالاكبر ثم يتصافحون وينصرفون ولمشاىخ الطرق اعتبار عند مريديهم يقرب من العبادة وكلما اشتهر شيخ طريقة في جهة واستقل من هذه الدنيا بنواله قبة ومزاراً وزاروه في المواسم والاعياد تبركاً وقرأوا الفاتحة لروحه واهدوه ثوابها

واما « ائمة الصوفية » فكثيرون لا عدَّ لهم والمشهور منهم سبعة وهم :

« الامام عبد القادر الجيلاني » ولد سنة ٥٤٧٠ هـ وتوفي ٥٦١ هـ وله مقام في بغداد

« والسيد احمد الرفاعي » توفي سنة ٥٧٨ هـ وله مقام في ام عبيدة بالعراق

« والسيد ابراهيم الدسوقي » ولد ٦٣٣ هـ وتوفي ٦٧٦ هـ وله مقام في دسوق بمصر

« والسيد احمد البدوي » ولد ٥٩٦ هـ وتوفي ٦٧٥ هـ وله مقام مشهور في طنطا بمصر

« والشيخ ابو حسن الشاذلي » توفي سنة ٦٥٦ هـ وله مقام بصحراء عذاب

« والشيخ محمد الخلوقي » * « والشيخ عبد الله النقشبندي » وله مقام في الهند

ورئيسهم الاعظم « الامام الجنيد البغدادي » توفي سنة ٢٩٧ هـ وله مقام في بغداد

فاشهر الطرق المنتشرة الآن في العالم الاسلامي تنسب الى هؤلاء الرؤوس

أما إلى واحد منهم أو إلى أكثر من واحد • ولكل شيخ طريقة خرقة أو عمامة خاصة يعرف بها هو وخلفاؤه • يلبسونها على الرأس وهذه الخرق هي بحسب ألوانها أربع :

«الخضراء» وهي خرقة الشيخ عبد القادر الجيلاني

«والسوداء» وهي خرقة السيد أحمد الرفاعي

«والصفراء» وهي خرقة السيد إبراهيم الدسوقي

«والحمراء» وهي خرقة السيد أحمد البدوي

ولكل منهم راية من لون الخرقة وأما أصحاب الطرق الأخرى فهم مقلدون هؤلاء في لون الخرق والرايات • ويكتبون على الراية هكذا : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وهذه الجملة لا بد منها على كل راية ثم تزيد كل طريقة عليها ما يحسن لها من آية قرآنية أو شيء من الحديث أو اسم شيخ الطريقة ونحو ذلك

وقد اختلف الباحثون في أصل الصوفية فمنهم من قال إنها مأخوذة عن نساك الهند ومنهم من قال إنها عن نساك اليونان والمشهور أنها مأثورة عن رئيسهم الأعظم الإمام الجنيد البغدادي الذي أخذها عن خاله السري السقطي عن معروف الكرخي عن داود بن نصير الطائي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي بن أبي طالب عن النبي (صلعم)

واختلفوا في سبب تسميتهم بالصوفية فقال بعضهم سموا بذلك للبسهم الصوف وقيل لصفاء قلوبهم • وقيل لأن أول من ظهر بمثل حالهم هم أهل الصفة وهي بناء في آخريات المسجد النبوي بالمدينة كان يسكنه الزهاد من المسلمين للعبادة • وقيل هي مأخوذة من صوفية باليونانية ومعناها الحكمة والله أعلم

✽ أعياد المسلمين ومواسمهم ✽

وأما أعياد المسلمين فهي :

« عيد رمضان » يعيدونه بعد صيام رمضان ويسمونهُ عيد الفطر وهو اليوم الأول من شهر شوال وفي صبحيته يخرج الناس زكاة الفطر ويصلون صلاة العيد • وقد جرت العادة على جعل هذا العيد ثلاثة أيام

« وعيد الضحية » وهو يبدأ من عاشر الحجة من كل سنة ويدوم أربعة أيام ويسمونه عيد النحر وعيد الحج . أما تسميته بعيد الحج فلأنه يكون في موسم الحج وأما تسميته بعيد النحر فلأنهم ينحرون فيه الضحايا . وقد يسمونه العيد الكبير ويسمون عيد رمضان العيد الصغير وليس للمسلمين إلا هذان العيدان * وأما مواسمهم التي اعتادوها بعد الصدر الأول في الاسلام وليست مما اوجبه الشرع فهي :

« يوم عاشوراء » وهو اليوم العاشر من شهر محرم من كل سنة . قيل هو اليوم الذي استوت فيه السفينة على جبل الجودي بالهند
« ومولد النبي » ليلة ١٢ ربيع أول وهي الليلة التي ولد فيها النبي (صلعم) على المشهور وهم يحتفلون بها احتفالاً عاماً ويتخذونها عيداً ويجمعون لقراءة المولد الشريف

« وليلة المعراج » وهي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب في الأرجح كان فيها الاسراء بالنبي من مكة الى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس والمعراج الى السماء وفيها يحتفلون بالاجتماع في المساجد الشهيرة لقراءة قصة المعراج
« وليلة نصف شعبان » وهي الليلة التي يحتفلون فيها بالاجتماع في المساجد للعبادة كالدعاء وقراءة القرآن ويصومون نهارها

« وليلة القدر » وهي في المشهور ليلة ٢٧ رمضان وتعرف عندهم أيضاً بالليلة المباركة وهم يحيونها بقراءة الادعية الى الصباح املاً بأن يتجلى لهم الحق سبحانه وتعالى ويحيب دعاءهم . ومما جاء في فضل هذه الليلة في القرآن الكريم « ليلة القدر خير من الف شهر »

« ويوم الجمعة » عندهم كيوم الاحد عند النصارى والسبت عند اليهود لكن الشغل فيه غير محظور عليهم الا مدة الصلوة وهذا نص الآية القرآنية في هذا اليوم : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة فانثشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون »

﴿ الزواج في الاسلام ﴾

والرجل ان يتزوج بواحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع من النساء وان خاف ان لا يعدل فواحدة . • وله ان يطلق زوجته فان طلقها وهو كاره لها لزمه المهر كاملاً ان دخل بها وان لم يدخل بها فنصفه يدفعه لها أو لوليها . وان كانت الكراهة من المرأة واراقت فإلها ان تفتدى منه بمال ترضيه به ويوضع الطلاق على ذلك وبسعى في الشرع خلاصاً . وان طلق امرأته ثلاثاً لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره وعقد النكاح المستوفي المشروط يكون بولي وصدّاق (أي مهر) وشاهدي عدل . فالولي من قبل الزوجة وهو من له ولاية عليها بملك أو أبوة أو إيصاء أو تعصيب أو كفالة أو سلطنة أو اسلام . واما الصدّاق فأدناه ربع دينار من الذهب أو ثلاثة دارهم من الفضة أو ما هو قيمة أحدهما من العروض وأكثره لا حد له فلا يصح النكاح شرعاً بدونه لان هذا القدر عندهم حق لله تعالى وللادمي فلا بد منه وما زاد على ذلك حق للمرأة فلها ان ترضى باسقاطه .

وشرط الرجل ان يكون مسلماً ذكراً مميزاً عاقلاً . وشرط المرأة ان تكون خلة من الموانع التي تقتضي تحريمها من نسب وصهارة ورضاع وهذا نصّ الآية « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ فان لم تكونوا دخلتم بهنّ فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلا بكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفوراً رحيماً »

ولا يجوز نكاح المعتدة الا ان تستوفي ايام العدة وعدة الطلاق لذات الحيض ثلاثة قروء وللأيسة ثلاثة اشهر وللحامل وضع حملها . وعدة الوفاة اربعة اشهر وعشرة ايام في الميراث ﴿ ومما جاء في الميراث : « ان امرءاً هلك وليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلها الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الانثيين » الآية

﴿ حكومة الاسلام ﴾

﴿ الوظائف الدينية ﴾ والحكومة الاسلامية في زمن الخلفاء الراشدين هي الخلافة عن النبي (صلعم) فيلقبون ابا بكر بخليفة رسول الله ويقتدون به في جميع شعائهم الاسلامية يأخذون عنه احكامهم الدينية فهو الامام والمفتي والقاضي والمنفذ للاحكام وكذلك عمر وهو اول من لُقّب بأمر المؤمنين ثم عثمان ثم علي وانتهت الخلافة بتنازل الحسن السبط لمعاوية فصارت ملكاً عضوداً وتقلب الملك في بني امية فالعباسيين فالفاطميين فالسلطين حتى انتهى الى سلاطين آل عثمان منذ القرن الثالث عشر للمسيح • ويلقب السلطان بخليفة رسول الله وأمر المؤمنين فهو الحاكم السياسي الديني فيتولى بنفسه الاحكام السياسية والادارية ويندب العلماء الصالحين للنيابة عنه في النظر في القضايا الدينية فيولي عالماً يفصل القضايا بين المسلمين في الحاكم الشرعية ويسمى « قاضي الاسلام » • وعالماً يستفتى في مسائلهم الحالية فيفتي حسباً تدون في كتبهم الشرعية ويسمى « مفتي الاسلام » • وعالماً يراعي شأن العلماء بحسب درجاتهم واستحقاقهم ولياقتهم وينظر في جميع المسائل المتعلقة بهم كالعزل والتولية والايقاف ويسمى « شيخ الاسلام » • وعالماً يراعي مشائخ الطرق الصوفية بحسب درجاتهم واستحقاقهم ولياقتهم وغير ذلك من الامور المتعلقة بهم كالعزل والتولية والايقاف ويسمى « شيخ مشائخ الطرق » أو شيخ السجادات • وعالماً شريعاف يراعي شأن الاشراف المتصل نسبهم بآل البيت من جهة اثبات نسبهم أو نفيه ويسمى « تقيب الاشراف » • ويشترط في هذا ان يكون شريعافاً من ذرية فاطمة بنت النبي (صلعم) أو من ذرية عميه الحمزة والعباس وفي الحديث « الشرف لي ولعمي الحمزة والعباس »

والآن في كل حكومة اسلامية منظمة قاضٍ ومفتٍ وشيخ للإسلام وشيخ للطرق وتقيب للأشراف عام أو خاص • ويشترط في الجميع اللياقة والاهلية والمعرفة والتفطن لدقائق الامور شرعاً وسياسة • وأهم هذه الوظائف القضاء والافتاء وهما لا يجتمعان في رجل واحد اذ لا يجوز الافتاء سياسة للقاضي ولا القضاء للمفتي

﴿ الزكاة ﴾ ويؤخذ من المسلمين بحسب الشرع زكاة الاموال عيناً أو حرثاً

أوماشية إذا بلغت النصاب • أما « نصاب العين » فذهباً عشرون ديناراً وفضة مئتا درهم
وأما « نصاب الحرث » فهو العشر إذا زرع على المطر ونصف العشر إذا زرع بآلة
وأما « نصاب الماشية » فأوله في الأبل خمس وعليه شاة وتمامه خمس وعشرون
ونعامة في البقر ثلاثون وفي الغنم أربعون • وكذلك زكاة الأبدان وهي زكاة الفطر
التي تؤخذ بعد صيام رمضان وأما غير المسلمين فتؤخذ منهم الجزية

بيت المال • وكان جميع ما يحصل من الزكاة والجزية يجمع في بيت مال
المسلمين فينفق منه على الجند والفقراء واحتياجات المسلمين كافة

الغنيمة • ثم ما يؤخذ في الحرب من الغنائم فخمسة لأهل بيت النبي والباقي يوزع
على المحاربين بدليل قوله « واعلموا أننا غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول » الآية
والفئ • وأما الفئ فهو ما كسبه من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال
أما الجلاء أو بالمصالحة على جزية أو غيرها وهذا نص الآية بشأنه: « وما آفأ الله على
رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »
العقوبات • ومما جاء في عقاب السارق « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما
جزاء بما كسبا نكالا من الله » الآية • وفي عقاب الزاني « الزانية والزاني فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة » الآية هذا إذا كان عزباً وأما المتزوج فعقابه الرجم •
وعقاب كل من القاذف وشارب الخمر ثمانون جلدة • وأما عقاب القاتل فالقتل •
وإنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يُقتلوا
أو يُصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض » الآية
ولكل من زكاة الأموال وزكاة الأبدان والجزية من غير المسلمين والغنائم
والفئ والعقوبات باب في كتب الفقه مفصل في شروطها وكيفيةها ومقدارها فلتراجع
هذا الذي كان عليه أهل الإسلام في مبدأ أمرهم وهو لا يزال متبعاً في الممالك
الإسلامية التي لم يتسع فيها نطاق الحضارة بعد • أما ممالك الدولة العلية التي اتسع
فيها نطاق الحضارة فقد تركت مادة الزكاة لأربابها يؤدونها حسب مقتضى ذمتهم

وسنت قانوناً للضرائب تجمعها من الرعية لحفظ الجند وحماية البلاد وقانوناً للتجارة وقانوناً للمعاملات وغيرها من القوانين التي استلزمها تغير الزمان والاحوال وهي مؤسسة على كتب الفقه الاربعة وموافقة لها في الكليات والمبادئ واساسها كلها العدل

هذه هي خلاصة مذاهب المسلمين وعقائدهم وأئمتهم وطريقهم واعبادهم وحكومتهم لخصتها عن اشهر كتبهم واجل علمائهم وعرضتها على سيادة الاستاذ الاعظم والعلامة البشهم « الشيخ محمد عبده » مفتي افندي الديار المصرية فصدقها فأهل السودان المسلمون عموماً من سواكن ومصوع على سواحل البحر الاحمر الى سنيغال على شطوط الاوقيانوس الاتلانتيكي هم في المذهب سنيون وفي العقائد التوحيدية على مذهب الامام الاشعري . وفي الفقه على مذهب الامام مالك . وهم يشتركون مع العالم الاسلامي في الاعتقاد بالمهدية بل لم يقيم بينهم شيخ اشتهر بالعبادة والتقوى الا ظنوه المهدي المنتظر . واما في الصوفية فلهم طرق مختلفة اشتهرها :

﴿ الطريقة القادرية أو الجيلانية ﴾ وهي أول طريقة اشتهرت في السودان علمها تاج الدين البهاري في اوائل سلطنة الفونج فسلك على يده الكثير من الوجاه وعمت جميع بلاد سنار . ومن اشتهر من مشايخ هذه الطريقة قديماً الشيخ ادريس ود أرباب في العيلفون والشيخ عبد الله العركي في أبي حراز واشتهر حديثاً في اواخر الفتح المصري الشيخ العبيد ود بدر في أم ضبان (ذبان) والشيخ المضوي عبد الرحمن من ذرية الشيخ ادريس وكلهم على النيل الازرق

﴿ والطريقة القادرية السمانية ﴾ وهي الطريقة الجيلانية القادرية عن فرع الشيخ محمد السماني المدفون بالمدينة وقد دخلت بلاد سنار في آخر سلطنة الفونج عن يد السيد احمد الطيب ود البشير من اهل المدينة المنورة الذي توفي في ٢٧ رجب سنة ١٢٣٩ هـ ودفن في سفح جبل ام مريح كما مر . فصارت القادرية الجيلانية في السودان فرعين فرعاً ينتسب الى عبد القادر الجيلاني بواسطة تاج الدين البهاري المتقدم ذكره وفرعاً ينتسب اليه بواسطة السماني . وكان محمد احمد المتهدي على هذه الطريقة وقد أخذها عن الاستاذ محمد شريف نور الدائم ابن الشيخ الطيب المذكور كما سيبي

﴿ والطريقة الشاذلية ﴾ دخلت بعد الطريقة القادرية فاشتهرت عند المجاذيب
الجليلين في بربر وكبيرها الشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين بن الشيخ احمد بن
لمجذوب الذي توفي ودفن بالدامر سنة ١٢٤٧ هـ

﴿ والطريقة المرغنية ﴾ وهي مأخوذة عن النقشبندية والشاذلية معاً وقد دخلت
السودان في آخر سلطنة الفونج على يد السيد محمد عثمان المرغني فاشتهرت في التاكا
بين الخلاقة وبني عامر والحباب وفي دقلة بين البرابرة والشايقية وبعض الكبايش
والشارين والعبادة. وكان منها في كل بلاد في السودان نفر قليل. اما مؤسس هذه
الطريقة فقد ولد ودفن في مكة وله فيها قبة تزار وهو يرجع في نسبه الى النبي

﴿ والطريقة الاسماعيليه ﴾ وهي فرع من الطريقة المرغنية وقد انتشرت في
كردوفان على يد مؤسسها الشيخ اسماعيل الولي ابن عبد الله الكردوفاني حفيد
الغرباوي صاحب الحوش الذي ذكرناه بدقلة وقد جاء أبوه عبد الله بتجارة الى
كردوفان فتوطن فيها فرزق ابنه اسماعيل هناك فنشأ مشغلاً بالديانة فدرس القرآن
صغيراً قبل البلوغ وتلقى العلوم الاسلاميه وأخذ يعلمها لاولاد المسلمين الى ان حضر
السيد محمد عثمان المرغني بكردوفان فأخذ عنه الطريق فصار من اكابر الاولياء وتفرّد
منها فرع خاص عرف بالطريقة الاسماعيليه وهو لا يختلف عن الطريقة الاصلية
شيئاً الا باختصار بعض الاذكار وتطويل بعضها. قيل وقد دوّن الشيخ اسماعيل
نحو خمسة واربعين كتاباً في فنون الشريعة والحقيقة اودعها علوماً جليلة لم يسبقه
اليها احد وقد نوّه بذلك قاضي مديرية كردوفان في قصيدة مدحه بها فقال :

فاذا سطوت فلا معارض ينتمي واذا رحمت فأنت اسماعيل
وابديت ما لم يبد منه من قد مضى يا من يزين لكفك التقيل

وتوفي بالايّض في ١٦ رجب سنة ١٢٨٠ هـ فدفن بمسجده هناك وبني فوق
قبره قبة تزار الى الآن

﴿ والطريقة التيجانية ﴾ وهي فرع من الخلوتية ومؤسسها الشيخ احمد التيجاني
الشهور المدفون بفاس من اعمال مراکش وطريقته ممتدة في وداي وبرنو وغيرها

من غرب السودان الاقصى وقد دخلت السودان النيل في اواخر الفتح المصري
ومن خلفائها الشيخ عبد الماجد ابن اخ محمد الخير المقيم الآن في بربر
والطريقة الاحمدية والطريقة الرفاعية وهما حديثان في السودان واتباعهما قليلون
ولا اهل السودان في الديانة كثير من الاوهام الفاسدة والاعتقادات الباطلة
كالتكهن والتطير والعزائم السحرية والطلاسم ونحو ذلك مما لا ينطبق على الكتاب
والسنة ولا يسلم به المسلمون الاحرار وسيأتي الكلام عليه في خرافاتهم

الفصل الثالث

في

﴿ معارفهم ﴾

اما المعارف في السودان فقليلة جداً ويندر وجود المدارس في غير المدن
والقرى الكبيرة والمدارس اما اهلية او اميرية والاهلية نوعان : مدارس القرآن
ومدارس العلم

اما « مدارس القرآن » فيدرس فيها القرآن فقط وهي اما ان ينشئها رجل
من حفظة القرآن في بيته فيدرس فيها بنفسه وينفق عليه من عنده لوجه الله تعالى .
واما ان ينشئها رجل من اهل اليسار في بيته فيؤجر فقيهاً براتب معلوم وينفق عليه
وعلى التلامذة . واما ان يشترك في انشائها والأئفاق عليها اهل البلدة جميعاً فيجعلون
المدرسة اذ ذاك في غرفة بلصق الجامع . ويسمى المدرس في مدارس القرآن الفقي
(تحريف فقيه) والتلميذ حواراً (ج . حيران) والمدرسة خلوة . ويدرس الفقيه
القرآن بأن يكتبه لتلامذته اجزاء على الواح من خشب العُشر وغيره حتى اذا
استظهروا جزءاً محاهُ وكتب لهم غيره مما يليه . وهو يقسم القرآن اقساماً فكلماً اتقن
التلميذ قسماً زوَّق لوجهه وكتب عليه الآية الاولى من القسم الثاني فيحمله التلميذ الى اهله
دلالة على انه حفظ قسماً من القرآن فيرسلون معه الى الفقيه هدية تسمى « حق الشرافة »
وفي كل اربعا يأتي كل تلميذ بقليل من الذرة فيسلقونها بالماء ويأكلونها مع الفقيه

ويأخذون شيئاً منها الى بيوتهم تبركاً وتسمى كرامة الاربعاء . وهم ينقطعون عن المدرسة يومي الخميس والجمعة بأجازة من الفقيه تعرف بالمساحة ولهم في كل عيد أو موسم مساحة يدعوهم العريف قبل ابتدائها ويطلب « حق المساحة » للفقيه فيأتي كل منهم بشيء من الدراهم على قدر طاقته ودرجته في حفظ القرآن * وهم يحفظون القرآن ويرتلونه على القراءة المشهورة بالورث في دقله والسودان الغربي وعلى رواية أبي عمر في باقي السودان * ومتى ختم التلميذ القرآن صنع له أهله في الخلوة حذاقاً أي ولية سروراً به واعطوا الفقيه كساء من الدمور أو الدبلان وجانباً من النقود وبدأ التدريس عندهم من الثلث الاخير من الليل فيدرس التلامذة على نار الحطب الى ما بعد الضحى ثم ينصرفون الى بيوتهم للغداء ويرجعون عند الظهر فيدرسون الى ما بعد العصر فينصرفون للعشاء ويعودون الى الخلوة فيدرسون على نار الحطب الى العشاء ثم ينامون الى الثلث الاخير من الليل فيعودون الى الدرس وهكذا . واما الحطب فهم يأتون به من بيوتهم أو يخرجون يوماً كل اسبوع فيحطبون كفايتهم ويسمونهُ يوم بالفرعة

واما « مدارس العلم » فتنشأ كمدارس القرآن ولا تكون الا في المدن الكبيرة فاعلم فيها اجل علمائهم العلوم العربية كمبادي الصرف والنحو وعلم التوحيد وعلم التفسير وعلم الفقه على مذهب الامام مالك وشيء من علم التصوف

ولا اهل السودان رغبة شديدة في تحصيل العلوم العربية حتى لقد يقصد بعضهم الازهر الشريف في مصر ويقضي السنين الطوال في تحصيلها وقد أنشئ لهم رواق في الازهر منذ عهد طويل يعرف برواق السنار بين واشهر من تخرج منهم في الازهر : الشيخ احمد ود عيسى صاحب مسجد ود عيسى المشهور بالجزيرة . والسيد احمد الازهري بن الشيخ اسماعيل الولي الكردفاني المار ذكره . والشيخ اسماعيل القادر بن اخته . والشيخ عبد الرحمن المضوي . والشيخ الحسين ابراهيم الزهراء من اهل الجزيرة وكلهم عادوا الى السودان فانشأوا فيها مدارس للعلم . وعاد السيد احمد الازهري سنة ١٢٨٩ هـ الى الابيض وبني فيها جامعاً ومنازل لطلبة العلم وخلوة

للقرآن فوفد اليه الطلبة من كل الاقطار فتخرج على يده عدة تلامذة انتشروا في السودان يثون ما تلقوه عليه من العلوم وهذه هي العلوم التي علمها تلامذته على الترتيب: النحو والصرف والتلخيص فجمع الجوامع مفردات اللغة فالمعاني والبيان والبديع فالعروض والقوافي بمتن الكافي والخزرجية فالمنطق فعلم التوحيد فعلم التفسير والحديث فعلم الفقه فعلم التصوف فعلم الجبر والمقابلة * ومن تلامذته الذين تلقوا عليه هذه العلوم كلها ابنه السيد اسماعيل وقد حضر الى مصر سنة ١٩٠٠م واطلع شيخ الازهر على معارفه فشهد له بوزارة التحصيل واجازته بالفتوى والتعليم لاحكام الشرع وقد عينته حكومة السودان الجديدة قاضياً على كردوفان فكان من اجل قضايتها

هذا واهل السودان يهتمون بنسخ الكتب العربية لعدم وجود المطابع عندهم فاكثر كتبهم خطية وخطهم جميل نظيف. وهم يكتبون بمداد من «السجم» (الكتن) والصمغ في دويات من فخار واقلام من البوص

هذا بشأن المدارس الاهلية في السودان واما المدارس الاميرية فسيأتي الكلام عليها

الفصل الرابع

في

زراعتهم

﴿الاراضي الزراعية﴾ تقدم لنا في باب الجغرافية الوصفية ذكر انواع المزروعات في السودان وغرضنا الآن الكلام على الاراضي الزراعية وكيفية زرعها. اما الاراضي الزراعية فنوعان مطرية وبحرية

اما «المطرية» فهي الاراضي التي تروىها الامطار وتشمل جزيرة سنار والقضارف وكردوفان ودارفور واكثر اعتماد اهل السودان في زراعتهم عليها اذ فيها يزرع الدخن والذرة الكرجي والذرة القترية والسسم والعنكوليب والقطن والتبغ وهي اشهر مزروعات السودان. وعليه فالسنة التي يقل فيها المطر تكون سنة جدد وغلاء واما «البحرية» فهي الاراضي التي يروىها النيل وهي اربعة انواع :

« ارض السواقي » وهي البرّ الثابت عن ضفتي النيل والجزائر التي لا يغمرها النيل مهما اشتد فيضهُ وهي تسقى بالسواقي والشواذيف

« وارض الجروف » وهي جروف الجزائر وجرفا النيل شرقاً وغرباً

« وارض الكروّة » وهي منخفضات في البرّ الثابت اشبه بترع يغمرها النيل عند اشتداد فيضه . وارض الكروّة وارض الجروف لا تحتاجان الى سقى وتزرعان بالسلوكة الآتي يانها

« وارض المترة » وهي الارض التي تسقى بماء المترة وهي حفرة واسعة تحفر بعيداً عن النيل فيرشح اليها ماءهُ وتركب عليها السواقي فتروى بها الارض التي حولها ولكن هذه الامتار لا تحفر الا في بلاد يدي دقله وبربر حيث يقل نزول الامطار . الفصول الزراعية : اما الفصول الزراعية فالاراضي المطرية ليس لها الا فصل واحد وهو فصل الامطار . واما البحرية فلها ثلاثة فصول تحسب بالاشهر القبطية وهي : « الدميرة » وهو فصل الفيض ويبدأ من اواسط بؤنه ويدوم ٣ اشهر وتزرع فيه ارض السواقي فقط ومن زراعته الذرة الشامي والذرة المقد والقطن والعنكوليب « والشتوي » وهو فصل نزول النيل فيبدأ من اواسط توت ويدوم ستة اشهر وهو اهم الفصول الزراعية وفيه تزرع ارض السواقي بعد حصد زراعة الدميرة وتزرع الجروف والجزائر التي يغمرها النيل وارض الكروّة وارض الامتار . ومن مزروعات الذرة الشامي والمقد والعنكوليب وقصب السكر والدخن والبول السوداني والقمح والترمس وجميع انواع الخضر والفاكهة المتقدم ذكرها

« والصيفي » وهو فصل التحاريق ومدته ثلاثة اشهر من اواسط برمهات الى اواسط بؤنة وتزرع فيه ارض السواقي والجروف ببعض انواع الخضر والفاكهة وبالذرة ايضاً ولكنها تحصد قبل اوانها فيجعلونها علناً للبهائم وذلك لكي يعدّوا الارض لزراعة الدميرة ثم ان لكل نوع من الزرع ارضاً يجود فيها فالدخن يجود في الارض الرملية والذرة في الارض التي يكثر فيها الماء والبطيخ في ارض الجروف الرملية والخضر في ارض الجروف غير الرملية

﴿ الآلات الزراعية ﴾ اما الآلات الزراعية عندهم فبسيطة جداً وقليلة وهي :
 « السواقي والشواذيف » وهي كما في صعيد مصر إلا أنها أضخم حجماً وأبطأ
 حركة . وقد استعملوا بعد الفتح الأخير السواقي الحديدية الجديدة من اختراع
 الذكي النشيط الخواجه اسكندر نصره فنجحت نجاحاً عظيماً

« والمحراث » واستعماله قليل بل لم يكن معروفاً عندهم قبل الفتح المصري
 « والطورية » وهي كالطورية المصرية وهم يستعملونها لقلب الأرض التي
 تسقى بالسواقي والشواذيف

« والسلوكة » وهي آلة خاصة بالسودان وتزرع بها الحبوب في الأراضي اللينة
 أي في الجروف والأراضي الرملية وهي عصا طويلة معقوفة كالصولجان ولها رأس
 عريض محدد فيه وتد طوله نحو شبر . وأما كيفية استعمالها فهي أن الزارع يغرزها في
 الأرض ويدوس برجله على التود ثم يرفعها فيصنع بها صفوفاً من الحفر الصغيرة
 بعضها بجانب بعض ويتبعه آخر فيبدر الحب المعروف عندهم بالثيراب وفي مصر
 بالتقاوي . وفي السودان الغربي آلة تشبه السلوكة تعرف بالكدقة

« والواسوق » وهي عصا طويلة في رأسها لوح عريض مثقوب من طرفيه
 وفي كل ثقب حبل تستخدم لشق الاتلام والجداول بعد حرث الأرض ويعمل بها
 رجلان أو ثلاثة معاً فرجل يغرز اللوح في الأرض وواحد أو اثنان يشدان بالحبلين تجاهه
 « والملودة » وهي عصا معقوفة لها في رأسها حديدة كحديدة الفاس تستعمل
 للحرث في جهات خط الاستواء . هذه هي آلات الزراعة وأما آلات الحصاد فهي :
 « النورج » وهو كالنورج المصري المعروف

« والمنجل » وهو مسنن كالمنشار يستعمل لقطع سنابل الذرة وغيرها
 « والمنتباب » وهي آلة كالقاس إلا أن حديدتها داخل في النصاب وليس النصاب
 داخل في الحديد كما في القاس وهي تستعمل لحصد سوق الذرة بعد قطف سنابلها
 « والحشاشة » وهي تشبه القاس أيضاً إلا أن حديدتها مركب في رأسها عامودياً
 لا أفقياً كما في القاس وهي من آلات السودان الغربي وتستعمل للحش ذهاباً وإياباً

﴿ مخازن الحبوب ﴾ وهم يخزنون الذرة أو الدخن في ازيار كبيرة مصنوعة من طين تعرف بالسويات أو في مطامير تحت الارض وهي حفر واسعة يفرشون ارضها وجوانبها بالطين ويملاؤها حبوباً ثم يحثون التراب فوقها على شكل قبة حتى اذا اصابها الامطار سالت عن جوانبها ولم تنفذ اليها وهي شبيهة بالآبار التي تخزن فيها الغلال في بلاد حوران وشمالى سورية

﴿ مساح الاراضي ﴾ وفي السودان لا تقاس الاطيان بالفدان كما في مصر بل بالسواقي والجدعات . اما الساقية فهي عبارة عن ثمانية افدنة في الجزر وعشرة في البرّ الثابت . واما الجدعة فسيأتي بيانها

﴿ تربية المواشي ﴾ وهم يربون الخيل والابل والبقر والغنم والمعزى كما قدمنا وينتفعون بنتاجها وسمنها وصوفها وجلودها ويدخلونها في التجارة

... ❦ ...

الفصل الخامس

في

﴿ صنائعهم ﴾

وعند اهل السودان من الصنائع ما يكفي لسد حاجاتهم الضرورية فمن صنائعهم : ﴿ الحدادون ﴾ وهم يستخرجون الحديد من الارض ويصنعون منه الحراب والسكاكين والفؤوس والآلات الزراعية . واما سيوفهم وبنادقهم ورماسهم فيجلبونها من الخارج وسيأتي الكلام عليها

﴿ والصاغة ﴾ وهم يصوغون الحلى والآنية من الذهب والفضة على الطراز المعروف بالشتشي والسناري واشهر ما يصنعونه من الحلى الاقراط والخزائم والاساور والمجول ومن الآنية الصواني والمباخر وظروف الفناجين . ومنهم من يحسن خراط الفاج والخزيت فيصنع منهما الاسورة والفناجين ومن الخزيت الاقداح التي يعتقدون ان الشرب بها نافع للمسمومين

﴿ والحاكة ﴾ ويعرفون بالنساجين أو القزازين وهم يحوكون نسيجاً ثخيناً من

القطن يشبه الخام يسمونه «الدمور» وهو لباس عامتهم ويصنعون منه أيضاً نسيجاً دقيقاً له حاشية حرير ملونة تلبسه النساء ويعرف بالمرقعات * والحياكة خاصة بالرجال اما الغزل فعمل النساء وقد يشاركن فيه الرجال وذلك من اقبح علامات الكسل . وهم يحوكون من الصوف شملات طول الواحدة منها خمس اذرع الى ست وعرضها ثلاث اذرع الى اربع يتدثرون بها ولا سيما عند التدخين وهي عادة يأتي ذكرها . ويصنع النساء العراقي والمناديل المطرزة . وبعد الفتح المصري تعلن التطريز على المنسج بالحرير والقصب . ويصنع الجواري والنساء المعوزات البروش والاطباق والمقاطف والمكبات وغيرها من آنية البيت ملونة أو غير ملونة يصنعنها من سف الدوم والتخيل وسوق القمح

﴿ والدباغون ﴾ وهم يدبغون جلود البقر والغنم والابل لصنع الاحذية والاجربة وغيرها . واحسن الجلود عندهم المدبوغة بالمدس والعرد

﴿ والبنائون ﴾ وهم يبنون المنازل من طوب أو حجر وطين ولهم معرفة بصنع الجير وعمل الطوب الاحمر ولكنهم قلما يستعملونها في سوى المدن الكبيرة

﴿ والتجارون ﴾ وهم يصنعون الابواب والشبايك والكراسي الضخمة وخشب سروج الحمير والابل والخيول والاسرة المعروفة بالعنكريات واقداح الطعام والسواقي . ولبعضهم مهارة في بناء المراكب وعندهم اخشاب كثيرة تصلح لعمل المراكب اصلحها كلها خشب السنط كما مر . ومراكبهم ثلاثة انواع : النقورة (م تقر) وهي اكبرها ويستخدمونها لنقل الفلال والبضائع . والمعديات وهي اصغرها . والقياسات (م . قياسية) وهي وسط بين النقورة والمعديات وتستعمل لنقل البضائع عند نزول النيل . وبعد الفتح المصري تعلموا صنع الذهبيات . هذا ومراكب السودان أضخم من مراكب مصر الا انها اشد وأمتن وقد رأيت في بلاد النوبة مراكب لها شرع مستطيلة الشكل لا مثلتها كما في مصر والسودان الجنوبي فسألتهن عن ذلك فقالوا انها هكذا اصلح للسير بين الشلالات من السفن المثثة الشرع

﴿ والسكافون ﴾ وهم يصنعون الاحذية على قوالب تشبه القوالب المصرية الا

انها معروفة الرؤوس كذب العقرب • ويجلدون اغماد السيوف والسكاكين وسروج
الحبر والابل والخليل ويصنعون الدرق من جلود الجاموس والزرافة وفرس البحر
والفيل والسياط من جلد فرس البحر • ويصنعون من لحى الشجر الحبال والشباك
والقفان « اللحاوي » التي تستعمل لنقل الصمغ

والخزافون • وهم يصنعون الازيار والقلل والبرام وهي قدور للطبخ وتقل الماء
والدوكلات (على شكل الصيجان) للخبز • وفي اكثر المدن يستخرجون الشيرج من
السسم بمعاصر كمعاصر اهل الشام ومصر • وبعد الفتح المصري تعلموا عمل الصابون
فصنوه على ضعف • ولهم معرفة بصنع الفحم والبارود

هؤلاء هم صنّاع السودان وهذا كل ما يصنعونه • واما التجارون والحدادون
والهندسون وغيرهم من الصناع الذين تحتاج اليهم حكومة السودان الآن لاشغالها
الخاصة فتأتي بهم من مصر أو من بلاد الانكليز

الفصل السادس

في

تجارتهم

الوارد من السودان • اهم ما في السودان تجارتها واهم ما يرد منها :
« الصمغ » وهو انواع اجوده صمغ الهشاب واكثره من كردوفان وصمغ الطلح
واكثره من الجزيرة

« وسن الفيل » واكثر وروده من بحر الغزال وخط الاستواء وهو يختلف في
الجودة بحسب كبره وسلامته من التشقق • وسن الانثى اطرى واجود من سن الذكر
« وریش النعام » واكثره من اواسط السودان وهو انواع اجودها الریش
الايض ثم الاسود وكلاهما ریش الذكر ثم الربدہ ولونه رمادي وهو ریش الانثى
« والبلح » يأتي من مديرية دتقلا من بلاد سكوت والمحس والشايقية
« والتمر الهندي » ويسمونه العرديب واكثره من دارفور وكردوفان

« والسَّنا » وأكثره من جزيرة سنار . « والخريت » وأكثره من بحر الغزال
 « واللاستك » ويرد من بحر الغزال وخط الاستواء . « وجلود البقر » وأكثر
 ورودها من كردوفان . « وجلود فرس البحر » التي تصنع منها السياط . « والسياط »
 « والذهب السناري » « والابنوس والنعام الحي والقرود والبيغاء » وواردها قليل
 « والششم » ويعرف هناك بالحبة السوداء أو حبة العين وهو بقدر حب العدس
 وشكله . ولونه أسود لامع يرد من دارفور فيسحقونه ويستعملونه كحلاً للرمد
 « والعسل والشمع » ويؤتى بهما من خلايا النحل البرية
 وكان « الرقيق » من أهم واردات السودان فمنعت الحكومة تجارتها قطعاً منذ
 الفتح الاول ولكن النخاسين لا يزالون يهربونه (على قلة) بطريق سواحل البحر
 الأحمر رغماً عن التحولات الشديدة التي تتخذها الحكومة لمنع
 الصادرات الى السودان . ويصدر الى السودان كثير من بضائع أوربا ومصر
 والحجاز والهند والشام عن طريق النيل وسواكن ومصوع
 فمن « أوربا » الدبلان الأبيض والمصبوغ أسود وأزرق . والحام الأبيض
 والمصبوغ أسود وأزرق . والشاش الأبيض والأحمر . والشيت والغزل . والصوف
 المحلول الأحمر والأسود لصنع حواشي المنسوجات . والحرير والقيطان . والشمسيات .
 وورق السكاير . والابر . والمبارد . والصفيح . والزجاج . والفناجين . والنشادر
 والقصدير والقفونية . وأنواع الخرز والسوميت والمرجان والكهرمان . وورق الكتابة
 وأكثره من المعروف « بأوشباك » وهو الثخين الاسمر يستعملونه لنسخ الكتب .
 وسلك النحاس الأصفر الثخين . والكحل . واساور النحاس والاقراط . والسنبل وارد
 ترياسته ترش به أكفان الموتى ويتخذ أيضاً للدهان . والاجراس الصغيرة تعلق في
 ارسنة الابل والبقر والخيول . والمرايا الصغيرة المربعة والمستديرة . وزيت النفط
 يغشون به العطور . وازرار الصدف وقد تتخذ النساء حلي . والريال النمساوي
 ومن « الهند » عنكريات صاج . وثياب سرتي . وقرون خمري حرير . والجلاد
 (صرة المسك) وعطر الصندل . وعطر فنتة محلية المعروف بعطر شاه يضاء .

وعطر فنته سرّته احمر • وعطر قرنفل ويسمى مجموع • والقرنفل • والظفر وهو نوع من الصدف يدق ويجعل في الروائح العطرية • والمحلب • وخشب الصندل ومن « الحجاز » وغيرها من بلاد تركيا في اسيا : عنا كريب حُق • واللبان (البخور) • واحقاق للروائح العطرية • والمحلب الاسلامبولي • والشببة الازميرية • والرسين وهو حب الآس يستعمل في الطبخ والدلكة • وجلود « المرعز » وارد الاناضول يستعمله الخاصة فراء لخميرهم وجمالهم • وسبح الصدف من القدس • وسبح الكوك من الاستانة • وسبح اليسر من جدة تتحلّى بها النساء • والشاي • والسجاجيد من بلاد العجم • والطرايش الافرنجية تقليد المغربي والطرايش الاسلامبولية

ومن « مصر » المسمار البلدي اللازم لبناء المراكب والسواقي • وقرون فوط عاده خيط وسبح بقس وبرصه ملاية حرير والسكر والصابون على اجناسه والعدس والنحاس والسيوف والبنادق * ومن وارد الشام عن طريق مصر قمر الدين واللوز والبنق والجوز والتين والخروب والزبيب والزيتون

الاسواق التجارية * ثم ان لكل بلدة شهيرة في السودان سوقا تجارية عامة تفتح في يوم معين من الاسبوع فيجتمع اليها التجار والمتسبون لبيع ما عندهم من السلع والمواشي والحبوب وشراء ما يحتاجون اليه وذلك على مثال الاسواق في مصر والشام والمعارض في اوربا واميركا • واشهر اسواق السودان التجارية : اسواق الاوردي والي قسّ والدبه وتنقاسي وبربر وشندي والخراطوم والمسلمية وود مدني وسنار والايض و باره والفاشر والقلابات والقضارف وكسلة وسواكن

الاسواق العادية * واما اسواق البلاد العادية فيباع فيها : لحم البقر والابل وقليل من لحم الغنم • واللبن الحليب والرائب والزبدة والسمن والشيرج • وانواع القطن كالذرة والحمص والفل والتمر والتمرس • والخضر كالبااميا الخضراء والمقدّدة والملوخية والبصل • والفاكهة كاللوز والبلح والنبق واقراصه والعرديب (التمر الهندي) واللؤلؤ (ثمر الاهليلج) والعكا (تمر اللوز مدقوقا) • والبهارات كالشطة والفلفل الاحمر والقرقة • والروائح العطرية • والنظرون والملح والحنة والششم والتريبة والنعال والجربان وغيرها

﴿الدوَّارون﴾ ومن المتسبين من يحمل بضاعته من عطور وبهارات وغيرها في خرج كبير على حمار ويطوف بها في القرى والدساكر متنقلاً من سوق الى سوق . وبعض النساء يحملن الثمار والبقول وغيرها من المأكولات في مقاطف على رؤوسهن ويطفن على البيوت وهن ينادين الى شرائها بتكرار اسمها هكذا : «الدوم يا شاري الدوم» «الملوخية يا شاري الملوخية»

وتباع الاشياء في السودان كما في مصر والشام بالمساومة الا ان البائع في السودان قلما يعين ثمناً لسلعته بل يقول للشاري عند سؤاله عن الثمن «تكلم» فاذا دفع له ثمناً لم يعجبه قال له «يفتح الله» ولا يزال يكرر قوله هذا حتى يرضيه الثمن المدفوع فيقول «مبارك»

﴿الطرق التجارية﴾ وللسودان طرق تجارية داخلية وخارجية اما الخارجية فاشهرها: طريق بربر الى سواكن ٢٤٥ ميلاً . وطريق كسله الى مصوع ٢٣٧ ميلاً وطريق بربر الى اسوان ٤٧٣ ميلاً . وطريق ابي حمد الى كورسكو ٢٣٠ ميلاً وطريق الفاشر الى اسيوط المعروفة بطريق الاربعين لانها مسيرة اربعين يوماً وقد تقدم ذكرها مع ذكر الطرق الداخلية في الكلام على المدن والعواصم فلترجع اما « طريق النيل » فقلم استعملت في التجارة الخارجية لطولها وكثرة نفقاتها . والتجارة بالطبع تتخير اخصر الطرق واقلها نفقةً

﴿ادلاء الطرق﴾ وللنيل منذ القديم ادلاء ، يقودون السفن فيه للنجاة من اخطاره التي اهمها الجزر والدبور الرملية والشلالات والعواصف . واكثرهم من البرابرة وكذلك لكل طريق من طرق البر ادلاء ، لا تسير القوافل الا بهم وقد كان لبعضهم عادة غريبة مع المسافرين يقتضون بها الجمالة فوق الاجرة المعتادة وذلك انهم كانوا اذا وصلوا الى معطشة اوقفوا القافلة وشرعوا في البكاء منادين «الدائم الله في امر الله في سبيل الله» كأنهم يندبون ميتاً ويوعزون الى رئيس القافلة ان يعطيهم الجمالة المعروفة عندهم «بالعادة» فان ابي رسموا له قبراً في الرمل وبكوا فوقه الى ان يدفعها لهم . روى بور خارت انه لما كان مسافراً في عقبة البنات في بلاد سكوت طلب دليله منه العادة فدفعها ثم اتى الى عقبة اخرى فطلبها منه فأبى فرسم له قبراً

واخذ بيكي عليه هو ورفاقه فنزل بورخارت اذ ذاك عن دابته ورسم قبراً للدليل
وطبق بيكي عليه فضحك الجميع وعادوا الى المسير . وكان شيخ الطرق بين بربر
والنيل في الفتح الاول حسين باشا خليفة كبير العباددة المليكاب

﴿وسائط النقل﴾ اما وسائط النقل « في البر » فهي الابل والحمر والبقر
ولكن لا يستعمل منها في التجارة الا الابل أو الحمر مع الابل . وحمل الجمل المعتاد
٣٦٠ رطلاً مصرياً يحزم في عدلين وسيره في اليوم من ١٢ : ١٨ ساعة بحسب
كثرة المياه أو قلتها في الطريق . واكثر سير القوافل ليلاً فهي تقوم في الغالب في
الثلاث الاخير من الليل فتسير الى الضحى وتقف للعقل الى العصر ثم تستطرد المسير
الى العشا فتقف للمبيت وهكذا تكفي شدة الحر والعطش

واما وسائط النقل « في البحر » فهي المراكب الشراعية والاطواف المصنوعة
من الغننج المتقدم وصفها . ومن وسائط عبور النيل عندهم القرب المنفوخة والقرع
اليابس وجذوع النخل والدوم والارمات الشبيهة بأرماث المصريين القدماء ونحو ذلك
ومن وسائل النقل المستحدثة « السفن البخارية » وقد دخلت السودان منذ الفتح
الاول . « والسكك الحديدية » التي انشئت في الفتح الاخير فأبطلت اكثر طرق
الصحراء القديمة . وسيأتي الكلام عليها بالتفصيل

﴿ النقود ﴾ واهم اصناف النقود الرائجة في السودان الآن :

« ريال ابو طيره » وهو ريال ماريّا تاريخاً النمساوي المشهور وقد سمي بذلك
لان على احد وجهيه صورة نسرين . ويقال له القوشلي ايضاً وهي لفظة تركية بمعنى
ابو طيره . ويسمى ابو نقطة لان على وجهه الثاني نجمة . وهو رائج في جميع بلاد
السودان الشرقي والحبشة . وقد دخل السودان قبل الفتح المصري
« والريال المجيدي » وهو رائج في السودان الغربي منذ الفتح المصري
« والمقاطع » وهي قطع من الخام طول الواحدة منها ٢٤ يرداً ووزنها رطلان
مصريان وقد دخلت بلاد دارفور بعد الفتح المصري فاستعملت مع قطع الامور التي
كانت رائجة قبلاً في جميع بلاد السودان كما سيجي

« واسلاك النحاس والخرز الملون والاجراس » وهي رائجة في بلاد العيد .
« والنقود المصرية الجديدة » التي دخلت بعد الفتح الاخير فراجت في جميع
بلاد النيل والمدن الكبيرة وستعم بلاد السودان كلها . هذا وفي الفتح الاول راجت
العملة المصرية القديمة . وفي زمن المهدي راجت النقود التي ضربها المهدي وخليفته
وكان اكثرها مزيفاً فأبطلت هذه وتلك كلها

﴿ التاريخ ﴾ واما التاريخ المستعمل في التجارة منذ القديم فهو التاريخ القمري
الهجري ثم استعمل بعد الفتح الاول التاريخ الشمسي المسيحي . وهاك معادلة بسيطة
تحوّل بها سنو التاريخ الهجري الى المسيحي وبالعكس :

$$م = هـ - \frac{٥}{٣٣} + ٦٢٢ \quad هـ = م - ٦٢٢ + \frac{٣٢}{٣٣}$$

وهم يعينون الظهر بوقوع الشمس فوق سمت الرأس . والعصر بوقوعها تجاه
الجهة اذ يكون ظل الانسان بطول قامته . والعشا بغياب الشفق الاحمر

﴿ المقاييس والمكايل والاوزان ﴾ واما المقاييس والمكايل والاوزان المستعملة
في السودان الآن فهي المقاييس والمكايل والاوزان المصرية بعينها

اما « المقاييس القديمة » فهي الذراع . والقبضة . والعمامة وهي القبضة برفع
الابهام ويقال لها قبضة وشنب . والخبطة وهي الساعد من رأس السبابة الى الكوع .
والعود وهو ٣ خبطات . والحبل وهو ٣ اذرع وقبضة وعمامة . والجدعة المشار اليها
آنفاً وهي ثلاثة حبال ونصف حبل وهم يستعملونها في قياس الاراضي الزراعية
واما « المكايل القديمة » فهي : السلقة وهي ملء الكف الواحدة . والمين وهو
الحفنة . والطاسة وهي سلتان . والمد وهو اربع طاسات . والربع أو البرمه وهو اربعة
امداد . والوية وهي ربعان أو برمتان . والاردب وهو اربع ويات ونصف .
والرّحل وهو حمل جمل أو نحو اردبين

واما « الاوزان القديمة » فأوزان الذهب : الاوقية . ونصفها . والمثقال وهو ربعها .
والقسيمة وهي نصف المثقال . والقيراط وهو نصف القسيمة . والحبة وهي جزء من
عشرين جزء من القيراط . والعتيسة وهي نصف الحبة . والخروبة وهي نصف العتيسة

(تجار السودان) واشهر تجار السودان الآن في « سواكن » :

عوض الكريم بك شناوي (حجازي) سر تجار * ومحمد افندي الكابلي (سوداني)
وعبد الله افندي مسلم (») والشيخ عبد العزيز احمد يحيى (حجازي)
وعلي افندي جاويش (») والسيد محمد دين (وطني)
ومصطفى افندي جيلاني (») والخواجه لوسن (هندي بنياني)
وفي « اسوان » :

مصطفى بك منصور حماده سر تجار والشيخ عبد السلام الشامي
ومحمد بك خليل
والخواجه اراكيل سر كيس (قبضي) اخو المرحوم بطرس بك سر كيس
وفي « حلفا » :

عمر افندي فخري سر تجار والشيخ علي الشامي
والسيد خالد باشات
وفي « بربر » :

السيد محمود علي الضوي سر تجار وحسن افندي السليني
وفي « الخرطوم » :

محمد بك حسن سر تجار (مصري) وعلي بك الخبير وهو تاجر قديم شهير
والحاج احمد الدابي * ويوسف كورتي ورضوان الحاج عثمان الطوبجي
والحاج محمد مكينة * ومحمد صالح البغدادى وعبد الرحمن منصور واخوه محمد
وسيد احمد سوار الذهب وبشير عامر * والسيد عمر الصافي
وعبد الله جيلي * والبلال ود الاسيدة والخواجه عزيز كفوري
والخواجه خضر داود والخواجه قحي

وجرجي بك بغدادى * وابراهيم بك خليل وبولس بك صليب * وعثمان بك مكوار

والخواجا جرجس استمبوليه (حلي) والخواجا سوريال سعد واخوه انطونيوس
والخواجا نعيم عيجي والخواجا اسكندر يغمور
والخواجات لويزو • وكباتو • وكفادياس • وجريفا • ولوقا • وسنجر • ونظارت •
وكسترو • وجلبنج خنيان • وناتان وهم من التجار الافرنج العظام
ومن تجار « الخرطوم » السابقين المشهورين :

المرحوم الجزولي بك بن الحاج محمد التلب (من المسلمية) والمرحوم اخوه حمد بك
والشيخ سليمان بك الدراوي الذي عين سر تجار الخرطوم في حصار الخرطوم
والمرحوم محمد باشا حسن الذي عين مأمورًا لمالية السودان في حصار الخرطوم
والمرحوم التخلي فخري (مصري) والمرحوم سليمان عويس (مصري)
وقناوي بك ابو عموري (مصري) وحسن بك عبد المنعم (مصري)
المرحوم عبد المسيح حبشي ومحمد ابو حسان (جعفري)
والخواجا عبد المسيح جرجس سعد ومحجوب البصيلي
ومحمد عبد الرحمن البشير والمرحوم ابو بكر الجركوك
وزنوبة الميناوية والخواجا بطرس بولس

وفي « الخرطوم » الآن فرع من البنك المصري وفرع من البنك الاهلي
وفي « الابيض » :

الشيخ تقي احمد سر تجار والخواجا حسيب ادلي (لبناني)
ومن اشهر تجار « الابيض » السابقين :

المرحوم الياس باشا ام برير (جعلي) والمرحوم محمد بن ود العريق (جعلي)
والمرحوم محمد الحاج بان النقاد ومحمد (رازقي) والمرحوم احمد بك دفع الله (جعلي)
وفي « ود مدني » : وفي « كسله » :

عثمان الزين سر تجار والشيخ فتح الرحمن محمد عثمان سر تجار
هذا وفي مصر الآن تجار كثيرون يتجرون مع السودان وقد اسسوا فيه
محلات تجارية واشهرهم :

الخواجه جرجس براهيمشا (حلي) والخواجه الياس دباس (سوري)
 والخواجه شمعون اريب (اسرائيلي) والخواجه الياس عجوري (حلي)
 والحاج ابراهيم بك وفا (شامي) والخواجهات اخوان باحكيم (حضارمة)
 والحاج عبد المجيد حسن غريب والخواجهات اخوان يغمور (حلي)
 والسيد محمد زين (جعلي) وسوريال افندي سعد (قبطي)
 والسيد عبد الله الكحال (شامي) وله ايضا تجارة واسعة مع ودّاي والسودان الغربي
 ومن تجار مصر الذين لهم محلات مشهورة في بيروت ويتجرون مع السودان :
 الخواجهات فرعون وعيسى وشركاهم والخواجهات صهيون ومنسى وشركاهم
 والخواجهات حبيب غبريل وشركاه

هذا ومن اشتهر من تجار مصر في الفتح الاول بالتجارة مع السودان وكان
 لاكثرهم « مشارع » في بحر الغزال

الخواجه حبيب لطف الله من اعيان تجار بيروت وكبير طائفة الروم الارثوذكس في مصر
 والمرحوم فرج الله الموصلي (حلي) والمرحوم رزق الله الجدّ (حلي)
 والخواجه نعيم سكر (») والخواجه جرجي الجويجاتي (»)
 والخواجهات سياهو عدس (») والخواجهات كبريت وغاصين (»)
 والمرحوم السيد محمد باشات (حمصي) والسيد عبد القادر طه (شامي)
 والمرحوم الحاج سعد الله حلاّ به (شامي) والسيد رضوان القربي (حلي)
 والحاج عمر وعثمان اغا الارناؤوط والحاج محمد الحبابي (مغربي)
 والحاج محمد الحلو (مغربي) والمرحوم السيد عبد الغني التازي (مغربي)
 والمرحومون السيد محمود السيوفي واخواه محمد باشا واحمد باشا السيوفي (مصريون)
 والمرحوم السيد موسى العقاد وهو اقدم التجار المصريين الذين اتجروا مع السودان
 والسيد حسن موسى العقاد ابنه * والمرحوم السيد احمد العقاد شريكه في الخرطوم
 وهذه هي قيمة الصادر الى السودان والوارد منه من سنة ١٨٩٢ الى غاية ١٨٩٩ :

الصادر ١٨٩٦ ٤٧٧ ج ٠ م والوارد ٤٥١ ٣٩٧ ج ٠ م

الفصل السابع

في

﴿ حكومة السودان ﴾

﴿ قبل الفتح الاول ﴾

كانت حكومة السودان في عهد مملكتي سنار ودارفور على مثال الحكومات
الاسلامية في صدر الاسلام

﴿ حكومتها في الفتح الاول ﴾

ثم كان الفتح المصري فأصبحت حكومتها في يد ولاية الامور في مصر وكثيراً
ما غيروا تقسيمها الاداري فجعلوها تارة حكمدارية واحدة وتارة اقاليم كل منها تابع
مباشرة لمصر حتى اتفقوا اخيراً على جعلها حكمدارية واحدة تحت حاكم عام يرجع في
احكامه الى نظارة الداخلية بمصر ويقيم في الخرطوم حيث بنوا له قصرًا جميلًا خاصًا به
وقد جعلوا في كل مديرية مديرًا يحكمها تحت ادارة الحاكم العام وكان الحكم
والمديرون يرسلون اليها من مصر فيديرون احكامها على منوال ادارة الحكومة
المصرية . وقد جعلوا مع كل مدير وكيلًا له وعدة معاونين وكتاب وقاضياً ووكيل
قاض ومفتياً ومجلساً اهلياً وضابطة . وجعلوا في كل قسم ناظرًا ومعاون ناظر وكاتبين
وصرافًا * وعهدوا في تحصيل الضرائب الى النظار ومشايخ البلاد والجند . وكان في كل
مديرية حامية عسكرية * وكان الجند على نوعين جهادية وباشبوزق . اما الجهادية فهم
العساكر المنظمة من البيادة والطوبجية فالبيادة مصريون وسود والطوبجية مصريون
فقط . واما الباشبوزق فهم العساكر غير المنظمة وهم اما مشاة أو فرسان يركبون الخيل
أو الهجن واكثرهم من الشايقية من اهل البلاد والاتراك والمغاربة أو مواليدهم .
وكان دخل السودان في اواخر الفتح الاول نحو ٧٠ الف كيس ونفقته مثل
ذلك أو ازيد . وكان اكثر دخله من الضرائب والجمارك والملاحات التي على البحر
الاحمر وابار النظرون والويركو على التجار وارباب الصنائع والعقب على المراكب .

أما الضرائب فعلى العرب البادية بحسب عدد ماشيتهم من الابل والبقر والغنم وعلى
الحضر بحسب عدد سواقيهم ونخيلهم. وأما الجمارك البحرية فعلى حسب العهود الدولية
حكومتها في المهديّة

ثم لما سقطت البلاد بيد التمهدي ويد خليفته التعايشي من بعده جعلها حكومتها
على مثال الحكومة الاسلامية في صدر الاسلام فألغى الضرائب وجمع الزكاة والفطرة
وأقام بيت مال المسلمين ولما انتهى الحكم الى التعايشي حكمها حكماً عسكرياً فقسّمها
الى عمالات كما مرّ وأقام على كل عمالة عاملاً فوّض اليه السلطة العسكرية والادارية
وجعل معه وكيلاً له وقاضياً ونائب قاضٍ وكتّاباً. وجعل ام درمان عاصمة ملكه ولكنه
اماء الادارة وخط بين الملك والخلافة فطغى وبغى وظلم الرعية وعظمت منه البلية
حكومة السودان الحاضرة

فنهضت مصر برأي الانكليز ومعونتهم واسترجعت البلاد منه مديرية بعد
مديرية وكانت كلما استرجعت مديرية ولّت عليها مديراً عسكرياً الى ان كانت
واقعة ام درمان واصبح السودان كله في قبضة يدها فعقدت وفاقاً مع الحكومة
الانكليزية في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ هذا نصه :

وفاق

بين حكومة جلالة ملكة الانكليز وحكومة الجنب العالي خديو مصر
بشأن ادارة السودان في المستقبل

حيث ان بعض اقاليم السودان التي خرجت عن طاعة الحضرة الفخيمة
الخديوية قد صار افتتاحها بالوسائل الحربية والمالية التي بذلتها بالاتحاد حكومتا جلالة
ملكة الانكليز والجنب العالي الخديوي * وحيث قد اصبح من الضروري وضع
نظام مخصوص لاجل ادارة الاقاليم المفتحة المذكورة وسنّ القوانين اللازمة لها بمراعاة
ما هو عليه الجنب العظيم من تلك الاقاليم من التأخر وعدم الاستقرار على حال الى
الآن وما تستلزمه حالة كل جهة من الاحتياجات المتنوعة * وحيث انه من المقتضى
التصريح بمطالب حكومة جلالة الملكة المترتبة على ما لها من حق الفتح وذلك بأن

تشارك في وضع النظام الاداري والقانوني الآنف ذكره وفي اجراء تنفيذ مفعوله وتوسيع نطاقه في المستقبل * وحيث انه تراءى من جملة وجوه أصوية الحاق وادي حلفا وسواكن اداريًا بالاقاليم المفتحة المجاورة لهما * فلذلك قد صار الاتفاق والاقرار فيما بين الموقعين على هذا بما لهما من التفويض اللازم بهذا الشأن على ما يأتي وهو :
(المادة الاولى) تطلق لفظة السودان في هذا الوفاق على جميع الاراضي

الكائنة الى جنوبي الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض وهي :
اولاً الاراضي التي لم تخلها قط الجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢ أو
ثانياً الاراضي التي كانت تحت ادارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان
الاخيرة وفقدت منها وقتياً ثم افتحتها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة
المصرية بالاتحاد أو

ثالثاً الاراضي التي قد تفتحتها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن فصاعداً
(المادة الثانية) يستعمل العلم البريطاني والعلم المصري معاً في البر والبحر بجميع
انحاء السودان ما عدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها الا العلم المصري فقط
(المادة الثالثة) تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية في السودان الى موظف
واحد يلقب (حاكم عموم السودان) ويكون تعيينه بأمر عال خديوي بناءً على طلب
حكومة جلالة الملكة ولا يفصل عن وظيفته الا بأمر عال خديوي يصدر برضاء
الحكومة البريطانية

(المادة الرابعة) القوانين وكافة الاوامر واللوائح التي يكون لها قوة القانون
المعمول به والتي من شأنها تحسين ادارة حكومة السودان أو تقرير حقوق الملكية فيه
بجميع انواعها وكيفية ايلولتها والتصرف فيها يجوز سنها أو تحويرها أو نسخها من وقت
الى آخر بمنشور من الحاكم العام وهذه القوانين والاورام واللوائح يجوز ان يسري
مفعولها على جميع انحاء السودان أو على جزء معلوم منه ويجوز أن يترتب عليها
صراحة أو ضمناً تحوير أو نسخ أي قانون أو اية لائحة من القوانين أو اللوائح الموجودة
وعلى الحاكم العام أن يبلغ على الفور جميع المنشورات التي يصدرها من هذا

القيلى الى وكيل وقنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة والى رئيس مجلس نظار
الجناب العالى الخديوي

(المادة الخامسة) لا يسري على السودان أو على جزء منه شيء ما من
القوانين أو الأوامر العالية أو القرارات الوزارية المصرية التي تصدر من الآن فصاعدًا
إلا ما يصدر بإجرائه منها منشور من الحاكم العام بالكيفية السالف بيانها
(المادة السادسة) المنشور الذي يصدر من حاكم عموم السودان ببيان الشروط
التي بموجبها يصرح للأوروبيين من أية جنسية كانت بحرية التجارة أو السكنى
بالسودان أو تملك ملك كائن ضمن حدوده لا يشمل امتيازات خصوصية لرعايا
أية دولة أو دول

(المادة السابعة) لا تدفع رسوم الواردات على البضائع الآتية من الأراضي
المصرية حين دخولها الى السودان ولكنه يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة
على البضائع القادمة من غير الأراضي المصرية إلا أنه في حالة ما إذا كانت تلك
البضائع آتية الى السودان عن طريق سواكن أو أية ميناء أخرى من موانئ ساحل
البحر الأحمر لا يجوز أن تزيد الرسوم التي تحصل عليها عن القيمة الجارية تحصيلها
حينئذ على مثلها من البضائع الواردة الى البلاد المصرية من الخارج . ويجوز أن
تقرر عوائد على البضائع التي تخرج من السودان بحسب ما يقدره الحاكم العام من
وقت الى آخر بالمنشورات التي يصدرها بهذا الشأن

(المادة الثامنة) فيما عدا مدينة سواكن لا تمتد سلطة الحاكم المختاطة على أية
جهة من جهات السودان ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوه .

(المادة التاسعة) يعتبر السودان بأجمعه ما عدا مدينة سواكن تحت الأحكام
العرفية ويبقى كذلك الى ان يتقرر خلاف ذلك بمنشور من الحاكم العام

(المادة العاشرة) لا يجوز تعيين قناصل أو وكلاء قناصل أو مأموري قنصلات
بالسودان ولا يصرح لهم بالاقامة قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية
(المادة الحادية عشرة) ممنوع منعاً مطلقاً ادخال الرقيق الى السودان أو تصديره

منه وسيصدر منشور بالاجراءات اللازم اتخاذها للتنفيذ بهذا الشأن
(المادة الثانية عشرة) قد حصل الاتفاق بين الحكومتين على وجوب المحافظة
منهما على تنفيذ مفعول معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢ يولييه سنة ١٨٩٠ فيما يتعلق
بادخال الاسلحة النارية والذخائر الحربية والاشربة المقطرة أو الروحية وبيعها أو تشغيلها
تحريراً بالقاهرة في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩

الامضاءات (كرومر) (بطرس غالي)

وفي يوم تاريخ هذا الوفاق عُين اللورد كتشنر اوف خرطوم سردار الجيش
المصري حاكماً عاماً للسودان مع بقاء وظيفة السردارية في يده واعلن فتح السودان
للتجارة في ١٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ولم يكن الا ايام معدودة حتى ندب لحرب الترنسفال

ولاية

الفريق السر رجينلد ونجت باشا

ياور جلالة الملك

سرداراً على الجيش المصري وحاكماً عاماً على السودان

وفي ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ عُهد في وظيفة سردار الجيش المصري وحاكم
السودان العام الى رب السيف والقلم « الفريق السر رجينلد ونجت باشا » الذي
ضرب الضربة الاخيرة القاضية على التعايشي والمهدية وقد كان من قبل مديراً عاماً
لقلم مخابرات الجيش المصري ثم ادجوتانت جنرال وكان له اليد الطولى في استرجاع
السودان فاستبشر الجيش المصري واهل السودان كافة بهذا التعيين الذي لقي اهله
وحل محله لانهم عرفوا في حاكمهم الجديد همة شماء لا تعرف الملل وقلباً كبيراً محباً
لا يعرف الاذى وعقلاً نيراً ورأياً صائباً ولطفاً ودعةً وائناً وامل الجميع انه لا يطول
الزمان حتى تصبح حكومة السودان من اصلح حكومات الدنيا وارقاها ويرتع اهلهما
في بجموحة الامن والراحة والسلام الى ما شاء الله

وكان فاتحة اعماله في السودان انه اذاع المنشور الآتي معرباً فيه عن سياسته
وشدة رغبته في خير العباد واصلاح البلاد

﴿ منشور ﴾

« لخاصة السودان وعامتهم »

الحمد لله المحيط علماً بكل شيء وبعد فان سمو الامير خديوي مصر « عباس
باشا حلمي الثاني » حرسه الله قد اختارني لان اكون سرداراً لجيشه وحاكماً عاماً
للاقطار السودانية بعد اتفائه مع دولة بريطانيا العظمى على ذلك فعهد اليّ في رئاسة
الجيش وادارة شؤونه السودان وساكنيه فليت الدعوة الشريفة وحمدت الله
على حسن عنايته والامير على حسن ظنه وجميل ثقته وعاهدت الخالق الذي بيده
نفسي ونفوسكم ان اراقبه فيكم وانصح في خدمة الامير ولا اترك باباً يأتيكم منه الخير
الا فتحة ولا منفذاً يأتيكم منه الشر الا سدده وان اشيد بيدي اركان العدل
بينكم وانشرلوا الانصاف فوق رؤوسكم واسأل الله ان يلهمني الصواب في اعماله
ويعصمني من الخطأ والزلل ويرشدني الى انتقاء الامناء من العمال والحكام لتم
رغائبي في الاصلاح ورغائبكم في النجاح

ولما كان من الفروض الاولى ان ابلغكم ارادتي وانشر بينكم رغبتى عمدت
الى اذاعة هذا المنشور فجعلته باكورة اعمالى لتعلموا منه الغرض الذي ارمي اليه
والطريق التي اريد ان تسلكوا فيها

اعلموا ان اساس الملك هو العدل ولهذا لم تقم للسودان قائمة لان ملكه تأسس
على الجور والاعتساف واغتصاب الحقوق وظلم الرعية وانحراف الحكام عن جادة
العدل واتباعهم طرق الغواية والضلال وعدم مراقبة الله وترك الرفق بالعمل
فأراد الله ان يسبغ عليكم رحمته بعد ذلك العذاب فأزال اولئك الظلام ومحا
اثمهم وقرض ملكهم فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم وخلف بعدهم رجالاً ملاً قلوبهم
رحمة وعدلاً وهم حكامكم الآن . فأخلصوا لهم الطاعة ليخلصوا لكم العمل وتيقنوا انكم
كالجسد وهم كالرأس فلا يصلح الجسد الا بصلاح الرأس ولا يصلح الرأس الا بصلاح الجسد

ولقد صرفت عنايتي الى انتخاب الحكام الاكفاء وامرتهم بالرفق وتنفيذ الاوامر العادلة التي اصدرها لخيركم وخير بلادكم فعليكم بطاعتهم لأن طاعتهم هي طاعتي ومن عصاهم فقد عصاني ومن عصاني فقد عصي اولي الامر ومن فعل ذلك فقد اغضب الله واني اشهد الله ان من رأيت به اعوجاجاً من هؤلاء الحكام قومته بسيف العدل كما اني اشهد الله ان من رأيت منكم مخالفاً أو مخاصماً من غير حق رميت به الى اقصى درجات العقاب ليصلح الرأس والجسد معاً

ولقد بدأت بتشيد مساجدكم واقامة شعائر دينكم المقدسة وتسهيل طريق الحج الى بيت الله الحرام بعد ان حال بينكم وبينه اولئك الطغاة العصاة الذين استأصل الله شأفتهم فاذا تم ذلك عمدت الى التجارة فأوسعت لكم ميدانها واجريت لكم سيول خيراتها وارضعتكم لبان ربجها وفعلت كل ما تسمح به حالة الحكومة من تعديل ضرائبها وضرائب الاطيان واجر النقل في السكك الحديدية والمراسلات البريدية والتلغرافية هذا مع السعي في توسيع نطاق ثروتكم لترتعوا في بحبوحة الراحة والامن وتذوقوا حلاوة العدل وتنسوا مرارة الظلم السابق

فاياكم ومخالفتي ومخالفة حكامكم واعلموا اني بقدر ما اكون شفوفاً لينا مع ذي الاستقامة منكم اكون صارماً شديداً على من يخالف اوامري ويعمل على ابطالها فطهروا قلوبكم واخلصوا سرائركم وضعوا ثقتكم بي وبالحكام الذين وليتهم عليكم وانزعوا من نفوسكم الغل والضغائن وابذوا كل من كان مفسداً للعقائد عاملاً على خراب البلاد مثيراً للفتن مسبباً للقلقل فلقد بينت لكم طريق الهدى

والله المسؤول ان يكون لي عوناً على تنفيذ ارادة سمو الخديوي المعظم وان يتمتعكم بالراحة والامن والسعادة في ظل سموه . هذا وقد صفحت الحكومتان المصرية والانكليزية وصفح سموه وصفحت عن سالف اعمالكم فلا تؤاخذكم بما فات ولي الامل الوطيد ان لا يفرط منكم بعد ما فرط من قبل والسلام الختم (ونجت)

تحريراً في أم درمان في ٢٨ فبراير سنة ١٩٠٠ سردار الجيش المصري

الموافق ٢٨ شوال سنة ١٣١٧ وحاكم السودان العام

{ الادارة المركزية } ثم شرع في تنظيم حكومة البلاد وسن قوانينها فجعل مركز حكومة الخرطوم كما كانت في الفتح الاول وعهد برئاسة مصالحها الى كبار رجاله العسكريين الانكليز فعين رئيساً للادارة العمومية وسماه « السكرتين الملكي » ورئيساً للادارة المالية وسماه « السكرتير المالي » ورئيساً للادارة القضائية وسماه « السكرتير القضائي » . ورئيساً لكل من مصالح المساحة وسكة الحديد والتلغراف والبوسطة والوابورات والمخازن والمعارف والسجون والغابات وصيد الحيوانات . وهذه هي مصالح الادارة المركزية واسماء رؤسائها الحاليين ١٩٠٢ مجردين عن الالقاب الا الالقاب العسكرية :

حاكم السودان العام	« الفريق السرف . رجيند ونجت باشا السردار »
السكرتير الملكي	اللوا ف . ج . ناسون باشا
مساعد السكرتير الملكي	الشريف البكاشي ث . جيمس
« «	البكاشي ا . س . باركر
السكرتير المالي	الميرالاي ا . ا . برنارد بك
مساعد السكرتير المالي	القائمقام و . س . ر . ماي بك
مفتش في المالية	المسترو . درمندهاي
السكرتير القضائي	المسترا . بونهام كارتر
قاض مدني	المسترج . ف . كارشو
«	المستر ويسى ستاري
مدير المساحة	الشريف اللوا . ح تلبوت باشا
مساعد	القائمقام ث . و . جوين بك
مدير السكة الحديد	الميرالاي ج . ب مكولي بك
مساعدوه :	القائمقام ا . ك . مدونتر بك
البكاشي و . ا . لونجفيلد	* البكاشي م . ا . م سوربي
« س . ف . نيوكومب »	* « ب . ث . لورد »
مدير التلغراف والبوسطة	القائمقام ج . س . ليدل بك

مساعد مدير التلغراف والبوسطة	البكباشي ا . ج . ميرك
ملاحظ التلغراف والبوسطة	الصاغ و . ا . دال
مدير الواحورات والمراكب	القائم مقام ا . ا . بوند بك
مراقب المخازن	الميرالاي و . ه . دريج بك
مساعد	البكباشي م . كوتس
مدير المعارف	المستر جيمس كري
مدير الاحراش والغابات	المستر ا . س . بتلر
﴿ المدير يات ﴾ وجعل في كل مديرية مديراً عسكرياً انكليزياً ومقتشاً او اكثر من الانكليز العسكرية او الملكية ومأمورين من الضباط المصريين الاكفاء وقضاة وكتاباً وضابطة من المصريين . وهؤلاء هم المديرون والمحافظون الحاليون في السودان	
محافظ حلفا	القائم مقام هايس سدلر بك
مدير دنقله	اللوا جاكسون باشا
مدير بربر	الميرالاي مكرل بك
مدير الخرطوم	الميرالاي ستاتون بك
مدير الجزيرة	الميرالاي بلوت بك
مدير سنار	الميرالاي جورج بك
محافظ فاشوده	القائم مقام ماثيوس بك
مدير كسله	اللوا هنري باشا
محافظ سواكن	القائم مقام بلايفير بك
مدير كردوفان	اللوا ماهون باشا
قومندان قوة احتلال بحر الغزال	اللوا سباركس باشا
﴿ مقتش السودان العام ﴾ وجعل على المفتشين الملكيين والعسكريين مقتشاً عسكرياً عاماً وهو السر رودلف سلاطين باشا الشهير	
وكاهم من خيرة الرجال المشهود لهم بحسن الادارة وحب العدل والحرية	

وقد وقفوا الى نخبه من الموظفين المصريين والسوريين الذين خدموا الجيش
في السلم والحرب قبل انتقالهم الى حكومة السودان خدمات جليلة اخص بالذكر منهم :
« سعيد بك شقير »
مدير حسابات السودان (حامل المتمايزة)

وشاهين بك جرجس
سكرتير عربي سعادة افندم السردار
وحاكم السودان العام

وطونس بك شحاده
كبير موظفي ادارة المخابرات في الخرطوم

وابراهيم افندي ديميري
سكرتير عربي مقتش السودان العام

ورؤفائل افندي خليل
باشكاتب مراقب المخازن في الخرطوم

« « «
مديرية الخرطوم

« « «
مديرية سنار

« « «
مديرية دنقلة

ومنهم : حسين بك رفعت * ونحله افندي تادرس * وواصف افندي جرجس *

وسليم افندي شميل من موظفي السكرتير المالي * واحمد افندي توفيق من موظفي

وكالة حكومة السودان بمصر

ومن موظفي الادارة المركزية الذين دخلوا الخدمة حديثاً فامتازوا فيها :

الشيخ محمد شاكر
قاضي قضاة السودان

والشيخ محمد هارون
مقتش المحاكم الشرعية في السودان

واحمد افندي هدايت
سكرتير مدير المعارف في الخرطوم

ونسيب افندي فيليديس
سكرتير السكرتير القضائي في الخرطوم

وبعقوب افندي بلاتنر
باشكاتب مصلحتي البوسطة والتلغراف

ونسيب افندي بدر
باشكاتب مديرية حلفا

ونجيب افندي كاتبة
سكرتير مدير السكة الحديد السودانية

وسليم افندي مشعلاني
باشمقتش سكة الحديد

وموئيل افندي عطية
من موظفي المخابرات

﴿ وكالة حكومة السودان ﴾ هذا وقد جعل لحكومة السودان في مصر وكالة عامة ولج ادارتها الى حضرة الامير الخطير صاحب الشرف الباذخ والمجد الاثيل الكولونل الكونت جلايخن من سلالة العائلة المالوكية الانكليزية . وقد ولجها معها ادارة المخابرات في مصر والسودان وعين لمساعدته ضابطين من اجل الضباط الانكليز علماً واعلامهم شأنًا وهما :

الكبتن ه . ه . س . مورانت في مخابرات الخرطوم
والكبتن ه . ف . س . امري في مخابرات مصر

﴿ الجيش المصري ﴾ هذا وقد نظم الجيش المصري ووزعه على مصر والسودان حسبما اقتضته حالة البلادين فجعل مركز رئاسته مصر القاهرة وقسم البلادين الى اقسام عسكرية جعل في كل قسم منها حامية او اكثر وجعل في مدينة الخرطوم حامية من العساكر الانكليزية ايضا وهذه هي الاقسام : المحروسة وحلفا ودنقله وبربر والخرطوم وسنار وكسله وسواكن وكردوفان

واما اقسام الجيش نفسه ومصالحه ورؤداؤه في الوقت الحاضر فكما يأتي :

﴿ الحضرة الفخيمة الخديوية ﴾

سر ياور الحضرة الفخيمة الخديوية	الفريق احمد باشا زكي
ياور اول خديوي	اللوا يوسف باشا ضيا
ياور خديوي	الميرالاي حسين بك محرم
« «	القائم مقام السيد بك ماجد
« «	« حسن بك صادق
رئيس اركان حرب المعية السنية	الميرالاي حسين بك رمزي
اركان حرب	القائم مقام محمد بك ياور
قومندان الحرس الخديوي والموسيقى الخديوية	الميرالاي ابراهيم بك رفعت



﴿ الكونت كليخن ﴾

﴿ نظارة الحرية ﴾

عطفلو ناظر الحرية	محمد باشا العباني
ياور	الصاغقول اغاسي محمد افندي خسرو
سعادة وكيل الحرية	اللوا السير ادوارد زهراب باشا

﴿ اركان حرب رئاسة الجيش ﴾

﴿ السردار ﴾

« الفريق السيرف . رجينلد ونجت باشا . حاكم السودان العام »

البكباشي ر . ا . ا . ماركهام	ياوران
اليوز باشي حسين افندي وهي	
اليوز باشي امين افندي همين	
الميرالاي اللورد ا . ه . سسل بك	كاتم اسرار حرية
اللواش . فرغوسن باشا	ادجوتانت جنرال

اللوا محمد باشا زهري	مساعدا ادجوتانت جنرال
الميرالاي ج . ج . أسر بك	
القائمقام ج . ك . وطن بك	
» ب . ر . فيس بك	
» ل . ا . فترم . ستاك بك	

القائمقام احمد بك زكي	نواب مساعدي ادجوتانت جنرال
البكباشي و . ا . يلي . وهو ايضا السكرتير	
الخاص لحاكم السودان العام	
» ا . س . جاكسون	

✂ اورط الجيش ✂

الميرالاي و . ه . برسي بك	قومندان السواري
الميرالاي م . ييك بك	قومندان ومدير الطوبجية
القائمقام ا . ب . ولكنسون بك	» الهجانة
» ج . ت . ييكوك بك	» الاورطة الاولى
» ب . ر . وود بك	» » الثانية
» ه . روس جونسون بك	» » الثالثة
» ك . نوربري بك	» » الرابعة
» محمد بك عاطف	» » الخامسة
» ابراهيم بك صبري	» » السادسة
» محمد بك رأفت	» » السابعة
» محمود بك حسني	» » الثامنة
» ا . س . هربرت بك	» » التاسعة
» س . ج . هوكر بك	» » العاشرة
» ه . د . بالمر بك	» » الحادية عشرة
» ا . ا . ديكنسن بك	» » الثانية عشرة
» ا . ب . ستركلند بك	» » الثالثة عشرة
» السير ه . ب . هل بارونت بك	» » الخامسة عشرة
الميرالاي ه . ف . ريفنسكرونت بك	» » السادسة عشرة

✂ مصالح الجيش ✂

القائمقام ب . ج . الجود بك	السكرتير المالي
البكباشي ث . س . ويموث	مساعد السكرتير المالي
الميرالاي ر . ه . بنتون بك	حكيمباشي الجيش
» سليم بك موصلي	اقدام اطباء الجيش

الميرالاي ج . ر . جرفث بك
 » ل . ب . فرند بك
 » ك . ا . ج . بلنت بك
 اللوا اسماعيل باشا سرهنك
 الميرالاي ر . ج . متشت بك
 الميرالاي ابراهيم بك فتحي قومندان
 الاورطة السابعة سابقاً

الميرالاي عبد الغني بك فؤاد قومندان
 الاورطة الثامنة سابقاً
 القائمقام حامد بك مختار اركان حرب
 الطوبجية سابقاً

ومجموع الجيش الآن ٧٦٣ ظابطاً و ١٧٦٠٩ جنود اشتهر كثيرون منهم بوقائع
 الثورة المهدية والفتح الاخير على ما سيجيئ . وفيه نحو ٤٠٠ موظف ملكي امتاز
 فريق منهم بالخدم الجليلة في السلم والحرب اخص بالذكر :

سكرتير عربي سعادة السردار
 ناظر ادارة السكرتير المالي
 سكرتير عطوفة ناظر الحرية
 رئيس قلم في مكتب الادجوتانت جنرال
 وكيل قلم في مكتب سكرتير مالي الحرية
 باشكاتب ادارة التعيينات
 باشكاتب قسم رابع في مكتب الادجوتانت
 وكيل قلم في ادارة المهات
 سكرتير حكيمباشي الجيش
 ناظر ورش الحرية بالقلعة

حكيمباشي يطري الجيش
 مدير الاشغال والمهات
 مدير التعينات
 ناظر المدرسة الحرية
 قومندان المدرسة الحرية
 الفرقة العسكرية

رئيس المجلس العسكري المستديم
 قومندان شبه جزيرة سيناء

« ملعم بك شكور »
 مارك بك يالوبس
 عبد الله بك عازوري
 سليمان بك ناصيف
 ميزار بك روزنسوايك
 يوسف بك حسب الله
 حسن بك فخري
 محمد بك مصطفى
 عبد العال افندي حلمي
 جورج افندي مشعلاني

قوانين حكومة السودان

ثم وجه اهتمامه الى القضاء وسن القوانين فعين لكل مديرية قاضياً عاماً شرعياً وعين الشيخ محمد شاكر من متخرجي الازهر النابغين قاضياً لقضاة السودان والشيخ محمد هارون من نوابغ الازهر ايضاً مقتشاً عاماً للمحاكم الشرعية والشيخ الطيب الهاشمي مفتياً للسودان وامرهم بان يحكموا في المسائل الشرعية بما يقضي به الشرع الشريف. وشرع في سن القوانين المدنية والجنائية والتجارية الملازمة لحال البلاد مستعيناً بسكرتيره القضائي الاصولي المستر بونهام كارترفتم من القوانين الى الآن ما يأتي :

قانون حماية الحيوانات البرية ويلغي قانونين صدر اقبله سنة ١٩٠٠ و ١٩٠١	قانون حجج الاراضي سنة ١٨٩٩م
المعديات العمومية سنة ١٩٠٠ ويلغي قانون سنة ١٨٩٩	قانون ضرائب الاراضي سنة ١٨٩٩
اراضي مدن الخرطوم وبربر ودقله سنة ١٩٠١ ويلغي قانون سنة ١٨٩٩	ويناير سنة ١٩٠١
مشروع القانون المتعلق بتنفيذ الاحكام المصرية في السودان سنة ١٩٠١	عوائد الصمغ والریش والعاج
قانون الجزية (على القبائل) سنة ١٩٠١	واللاستك سنة ١٨٩٩ و ١٩٠١
عوائد الحيوانات سنة ١٩٠١ ويلغي قانون عوائد القطعان سنة ١٨٩٩	حمل الاسلحة النارية سنة ١٨٩٩
الاحراش والغابات سنة ١٩٠١	رخص المشروبات الروحية سنة ١٨٩٩
القضاة المدنيين سنة ١٩٠١	عوائد الاملاك سنة ١٨٩٩
تلافي الطاعون البقري سنة ١٩٠١	عوائد الابنية سنة ١٨٩٩
المجالس البلدية في السودان سنة ١٩٠١	عوائد المراكب سنة ١٨٩٩
البضائع المهربة الى السودان سنة ١٩٠١	رخص الدلائل والدوائر سنة ١٨٩٩
المحاكم الشرعية السودانية سنة ١٩٠٢	القانون العام لوادي حلفاوسواكن سنة ١٨٩٩
	قانون رخص البحث عن المعادن سنة ١٨٩٩
	العقوبات السودانية اكتوبر سنة ١٨٩٩
	١٨٩٩ وفبراير سنة ١٩٠١
	السودان المدني ابريل سنة ١٩٠٠
	وفبراير سنة ١٩٠١

وقد عُرضت هذه القوانين كلها على جناب الفيكونت كرومر وكيل دولة بريطانيا العظمى وقنصلها الجنرال في مصر وعلى مجلس نظار الجناب العالي الخديوي بموجب الوفاق العام المار ذكره فصدقوها ونشرت تباعاً في الغازية السودانية فأصبحت قوانين نافذة مرعية الاجراء يتولى تنفيذها قضاة عسكريون وملكيون من الانكليز والمصريين * وهناك لجنة من العلماء برئاسة الشيخ محمد البدوي عينها الحاكم العام للنظر فيما يُعرض عليها من المسائل الاجتماعية الاهلية

المدارس الاميرية في السودان

المدارس الاميرية القديمة * اهتمت الحكومة المصرية مدة الفتح الاول بنشر المعارف في السودان فانشأت مدرسة ابتدائية في الخرطوم برئاسة رفاعة بك وذلك في ايام عبد اللطيف باشا فدامت الى ان قامت الثورة المهدية فتعطلت وامر المهدي فاقفلت مدارس العلم كلها واحرق جميع الكتب الا القرآن وجمع خليفته التعايشي العلماء في ام درمان فحظر عليهم تدريس العلم فلم يبق في السودان الا خلوات القرآن . وكان في الخرطوم مطبعة حجر للحكومة فاستخدمها المهدي لطبع منشيره ثم استخدمها خليفته من بعده لهذه الغاية وبقيت حتى استرجعتها الحكومة بفتح ام درمان

كلية غوردون * ولما عاد اللورد كتشنر اوف خرطوم من الفتح الاخير الى بلاد الانكليز اقترح على قومه انشاء مدرسة كلية في الخرطوم باسم غوردون تعلم فيها العلوم واللغة العربية تخليداً لذكر غوردون في السودان وفتح اكتاباً لجمع المال اللازم لبناء المدرسة والقيام بنفقاتها فتلقي الشعب الانكليزي هذا الاقتراح بمزيد الارتياح واقبلوا على الاكتاب فيه من جميع اطراف الممالك البريطانية من انكلترا واستراليا وكندا ونيوزيلند وراس الرجا الصالح ومصر والهند فجمع الى الآن ١٢٣ الف جنيه ونيف . واقترح اللورد كرومر ان يُقرن اسم الكولونل ستيورت باسم غوردون لانه رفيق في حصار الخرطوم وذلك بان يجعل في المدرسة تلمذة خاصة باسم ستيورت فأجيب اقتراحه وجمع الى الآن ٥٠٠ جنيه لهذه الغاية . وقد وُضع الحجر الاساسي لكلية غوردون في ٥ يناير سنة ١٨٩٩ باحتفال باهر حضره اللورد كتشنر وجمهور

كبير من اعيان السودان ورأسه اللورد كرومر فصرَّح بمبدال المدرسة فقال « ستكون هذه المدرسة مدرسة عمومية اصلاحية غير مختصة بطائفة دون اخرى ويكون التدريس فيها على قدر الامكان باللغة العربية » . والمدرسة الآن على وشك الانتهاء . ويؤمل ان يبدأ التدريس فيها اواخر سنة ١٩٠٣ . وتقدر نفقات بنائها وفرشها بنحو ٣٠ الف جنيه . وقد اهدي اليها معمل كيماوي ومرصد فلكي وادوات فاخرة متنوعة لتعليم الصنائع اليدوية * هذا وقد ألفت لها لجنة من كبار الانكليز واعيانهم لادارة شؤونها العامة ومراقبة حساباتها وهم :

الشريف اللورد هلندون	الشريف اللورد كتشنر اوف خرطوم
الشريف اللورد فليستوك	الفريق السير رجينلد ونجت باشا
السرارنست كسل	حاكم السودان العام
المستر هغ كولن سميث	المستر اوغسطوس بريفوست
المستر هنري ت. نرتون مستشار شرف	مدير البنك الانكليزي
المستر جيرار فان ده لند وابنه	المشريف اللورد كرومر
مراقبا شرف للحسابات	الشريف اللورد روتشيلد

المدارس الاميرية الجديدة * ولما تولى الفريق السير رجينلد ونجت باشا منصبة الاحكام في السودان سنة ١٨٩٩ وجه الكثير من عنايته الى المعارف فعين المستر جيمس كري من فضلاء الانكليز مديراً عاماً للمعارف في السودان ورئيساً لكلية غوردون فشرع في الاعمال بما يُعهد فيه من الدربة والنشاط فأتى في سنتين ما لم يكن يؤمل اتمامه في عدة سنين وانشأ عدة مدارس منها اعدادية لمدرسة غوردون ومنها لحساب حكومة السودان وهي هذه :

- مدرسة ابتدائية في الخرطوم وهي اعدادية لمدرسة غوردون وفيها ١٠٠ تلميذ
- ابتدائية في أم درمان وفيها ٢٠٠ تلميذ
- في أم درمان للمعلمين المراد تمرينهم على التعليم وفيها ١٤ تلميذاً
- صناعية في أم درمان اعدادية لمدرسة غوردون فيها ٦٠ تلميذاً

مدرسة ابتدائية في حلفا فيها ٨٠ تلميذا * ومدرسة ابتدائية في سواكن فيها ٥٠ تلميذا
• وطنية في دقله • ومدرسة وطنية في بربر

اما مدرستا حلفا وسواكن فقد انشأتهما نظارة المعارف المصرية في زمن الثورة
المهدية وانتقلتا الى ادارة معارف السودان في بدء هذه السنة * وستنشأ الحكومة مدارس
وطنية في كسله والقضارف والايّض وفاشوده وغيرها من المدن الكبيرة اذ النية
منفذة على تعميم المعارف في السودان كله لتتوير اذهان الشبان في مباني العلوم
والصنائع واعدادهم الى وظائف الحكومة الابتدائية

وفي أم درمان والخرطوم غير المدارس الاميرية : مدرسة صبيان وبنات للاقباط •
ومدرسة صبيان وبنات للمرسلين النمساويين • ومدرسة صبيان للانجيليين الامريكان
✽ وابورات السودان ✽

في السودان الآن عشرون وابورا بعضها من عهد الفتح الاول وبعضها بُني
في الخرطوم في اثناء الحصار سنة ١٨٨٤ والباقي جدّا في الحملة النيلية سنة ١٨٨٥ والفتح
الاخير سنة ١٨٩٦ — ١٨٩٨ وهي من حيث بناؤها ومحمولها وسرعتها على انواع :
١ « السلطان • والملك • والشيخ » وهي مدرعات قوية بنيت في اثناء الحملة على
الخرطوم سنة ١٨٩٨ • ومتوسط سيرها نحو ستة اميال في الساعة وتقوم على قدمين من الماء
٢ « الظافر • والناصر • والفتح » وهي المدرعات التي بنيت في اثناء الحملة على
دقله سنة ١٨٩٦ ومتوسط سيرها عشرة اميال في الساعة

٣ « طماي • والحفير • وابوطليح • والمتمة » وهي على شكل وابورات النوع
الثاني الا انها اصغر حجما وتسير ٨ اميال في الساعة وهي من عهد الحملة النيلية
٤ « دال • وخير • وعكمة • وعمارة » وهي من النوع الثالث الا انها
اصغر حجما واقل سرعة

٥ « الجديد » وهو وابور صغير بُني بعد الفتح الاخير وسرعته ٦ اميال في الساعة
٦ « بوردين • والصفية » وهما من الطرز القديم جدّا من عهد الفتح الاول
وسرعتهم نحو ٦ اميال في الساعة

٧ « ألفن • والطاهرة • والتوفيقية » وهي وابورات صغيرة • اما الطاهرة فقد بناه غوردون في حصار الخرطوم وسماه الزير فركب فيه المتمهدي بعد فتح المدينة وسماه الطاهرة • واما التوفيقية فمن عهد الفتح الاول اخذه الى الخرطوم عبد الحليم باشا عند ذهابه الى السودان سنة ١٢٧١ هـ • واما ألفن فانه من وابورات الفتح الاول ولكنه رمم بعد الفتح الاخير

هذا ومن الوابورات المشهورة التي دخلت في الفتح الاول فتعطلت أو غرقت :
« تل حوين » غرق في شلال السبلوكة مع السر تشارلس ولسن في اثناء الحملة النيلية
« وشبين • والمسلمية » تعطلا في عهد الدراويش لقدمهما وعدم الاعتناء بهما
« وامبابة » غرق في شلال السبلوكة قبل ظهور المتمهدي بقليل
« والمنصورة » ارسله غوردون مع نصحي باشا لملاقاة الانكليز الآتين لاقتاده من حصار الخرطوم فغرق في المسكتاب شمالي شندي

« والفاشر » وسماه الدراويش المنصورة غرق معهم في السد
« والاسماعيلية » غرق معهم في خور شمبات قبل فتح ام درمان بثلاثة ايام
« ونيانزة » غرق في بحر الجبل في اثناء الثورة المهدية
« والخديوي » وهو وابور صغير غرق في بحيرة البرت نيانزة في اثناء الثورة المهدية
« والجيزة » دخل في الحملة النيلية فغرق في شلال تتجور
ومن الوابورات التي بنيت في الخرطوم من الحصار فتعطلت أو غرقت :
« عباس » غرق مع ستيورت باشا في ود قمر وهو يحاول الوصول الى مصر في اثناء حصار الخرطوم

« وحسن زهران » أو الحسنية غرقه الدراويش بقنابلهم اثناء محاصرتهم للخرطوم
« ومحمد علي » وقد سمي كاكوا بالنسبة الى صوته غرق مع الدراويش في السد
هذا والحكومة السودانية ساعية الآن في زيادة عدد الوابورات وتوسيع نطاق الملاحة في النيل ما امكن • ولها في ام درمان ورشة عظيمة لبناء الوابورات والمراكب واصلاح ما تعطل منها • وعندها عدا الوابورات المار ذكرها عدة نقورة وقياسات

ومراكب. وقد أصبحت مصلحة الواحورات والمراكب في السودان بهمة مديرها الحاذق القائم بوند بك من أهم المصالح وافضلها انتظاماً فانه اصلح شؤونها ورتب اعمالها ووزع الواحورات بين الشلالات فجعل بعضها في حلقة بين الشلال الاول والثاني وبعضها في دققة بين الشلال الثالث والرابع والباقي في الخرطوم للاشتغال في النيلين الايض والازرق وهو يستخدمها لنقل الركاب والبوسطة وشحن البضائع والمهمات وفي عهده ايضاً وابور « مخبر » في البحر الاحمر بين السويس وسواكن

سكة الحديد في السودان

ان صعوبات النقل وخطارته برّاً وبحراً كما بينها في الفصل السابق حملت الحكومة المصرية منذ الفتح الاول على الاهتمام بانشاء سكة حديدية الى داخل السودان لتسهيل طرق المواصلات بينها وبين مصر وانما تجارتها . وكان اول من اهتم في ذلك المغفور له سعيد باشا ولكنه ما درس المشروع حتى عدل عنه لكثرة نقاته . واهتم بذلك بعده اسماعيل باشا وارسل المهندسين فرادوا البلاد من اسوان الى الخرطوم سنة ١٨٦٥ ثم في سنة ١٨٧١ ارسل مهندسين آخرين فدرسوا الطريق من حلقة الى شندي فالخرطوم ولكن لم تنتج هذه الاهتمامات كلها الا سكة حديد من اسوان الى قدم الشلال الاول سنة ١٨٧٤ م طولها ٩ اميال . وسكة حديد اخرى من حلقة الى سرس طولها ٣٣ ميلاً

هذا وفي اثناء الحملة النيلية مدّ الجيش الانكليزي خط حلقة وسرس الى عكاشة فخره الدراويش بعد اخلاء السودان وبقي طريق الصحراء هو المعول عليه وكانت الحرية المصرية قد باشرت مد خط حديدي من كورسكو الى المرات سنة ١٨٩٥ وذلك قبل تصميم الحكومة على استرجاع السودان فلما صممت على استرجاعه اوقفت العمل في هذا الجهة وشرع الجيش في مد خط من سرس جنوباً الى الكرمة قائمه في سنة ١٨٩٧ وكان طوله ٢٠٣ اميال وهذه هي محطاته الرئيسية : حلقة . سرس . عكاشة . كوشه . ابي صاري . دلقو . الكرمة

وقبل ان يتم هذا الخط بدأ الجيش بمد خط حديدي يخترق الصحراء من حلقة

الى ابي حمد ثم مدّه على محازاة النيل الى الاتبره فبنى عليه جسراً من حديد على يد
شركة امريكية كان افتتاحه في ٢٦ اوجسطس سنة ١٨٩٩ . ثم مدّ الخط جنوباً
فوصل الخرطوم في ١ يناير سنة ١٩٠٠ وكان طوله ٥٧٥ ميلاً وهذه هي محطة
الرئيسية : خلفاء . نمره ٦ . ابو حمد . العبيدية . بربر . الاتبره . الدامر . الديداب .
الكبوشية . شندي . ود رملي . الحلفاية

هذا وكان خط سكة الحديد من اسيوط الى اسوان قد تمّ قبل ذلك بقليل
فأصبحت سكة الحديد ممتدة من الاسكندرية الى الخرطوم بلا فاصل الا بين
اسوان وحلفاء . وقد صممت حكومة السودان الحاضرة على انشاء خط حديدي من
بربر الى موانكن وستشرع فيه قريباً . وهي تفكر الآن في انشاء خطين الدويم
والايبض وخط بين الخرطوم والقضارف عن طريق ابي حراز . وقد ولّجت ادارة
السكك الحديدية كلها الى رجلها الهام القائم مقام مكولي بك واعوانه الاكفاء والامل
بالنجاح على يدهم وطيد

تلفراف السودان

مدت خطوط التلفراف في السودان المصري في الفتح الاول كما يأتي :

١ مصر . دنقلة . بربر . الخرطوم	٥ ابو حراز . القضارف . كسله . سنهيت . مصوع
٢ الخرطوم . ابو قراد . الايبض . فوجه	٦ كسله . قوز رجب . بربر ٧ سواكن . كسله
٣ الخرطوم . ابو حراز . المسامية . سنار . فاروغي	٨ القضارف . دوكة . القلابات
٤ المسامية . الكوة	٩ القضارف . الجيرة على نهر ستيت

ومركزها العام الخرطوم . فعطلت الثورة المهدية هذه الخطوط كلها ولم يبق الا
نخط اقامه التعايشي بين ام درمان والخرطوم كما مرّ

ثم لما بدى باسترجاع السودان بوشر مد تلفراف مع الحملة وكان كلما تقدمت الحملة
يتقدم معها حتى وصل الى الخرطوم بعد فتحها بقليل ثم مدّ جنوباً على النيل الايبض
الى الدويم فالرنق ومن الدويم الى الايبض ومد على النيل الازرق الى الوصيرص
وسعيد على النيل الازرق الى فامكه وعلى النيل الايبض الى آخر حدود السودان

وهذه هي خطوط التلغراف التي مدت الى الان :

١ حلفا . كوشه . الكرمة . دنقلة . الدّبة . مروي	٤ الخرطوم . ود مدني . سنار . سنجه .
٢ حلفا . ابو حمد (بطريق الصحراء)	الرصيرص
العبيدية . بربر . شندي . الحلفاية .	٥ أم درمان . الدويم . الايض
الخرطوم . ام درمان	٦ سنار . قوز ابو جمعه (بطريق الجزيرة)
٣ بربر . سواكن . طوكر . كسله .	الرنق
القضارف . ود مدني	

ومركزها العام الخرطوم والاساس حلفا

وكان التليان بعد فتح كسله قد مدوا الخط اليها من مصوع فلم يزل هذا الخط

باقيا الى الآن

✧ بريد السودان ✧

كان في السودان مدة الفتح الاول بريد منظم يحمل على الهجن ومركزه الخرطوم فيرسل مرة في الاسبوع الى مصر وجميع المديرات . وكان له في كل طريق محطات معلومة لراحة الهجن أو ابدالها

وعلى نحو ذلك كان نظام البريد في زمن الدراويش وكان التعايشي يهتم كثيرا بسرعه وانتظام سيره وقد انتقى جماعة من امنائه الاختصاص فجعلهم رسلا للبريد بينه وبين امرائه في الجهات وكان يقاص من يتعرض لهم بسوء أو يعوقهم عن الميعاد بقطع يده ورجله من خلاف ولكنه حصر البريد في نفسه فلم يجعل للرعية فيه اقل نصيب

اما الحكومة الحاضرة فقد نظمت للبريد مصلحة عامة تحاكي في انتظامها برود اوربا وجعلت مركزها العام الحلفاية ثم الخرطوم وفتحت له مكاتب في جميع العواصم والمدن الشهيرة وهي الآن هكذا :

« على النيل الكبير » : حلفا . سرس . كوشه . دلقو . الكرمة . دنقلة .
الدّبة . كورتى . مروي . ابو حمد . بربر . الدامر . شندي

« وعلى النيل الازرق » : الخرطوم • رفاعه • ود مدني • سنار • كركوج •
سنجه • الرصيرص

« وعلى النيل الايض » : ام درمان • القطينة • الدويم • قوز ابو جمعه • الكوة
الرنق • فاشوده • سُبت

« وفي السودان الشرقي » : سواكن • طوكر • كسله • قوز رجب على الاتبره
« وفي السودان الغربي » : الايض • بارة

واكثر هذه المكاتب تقبل الاجوبة والرزم والدرهم مسجلة الى اية جهة في
السودان وخارجيه بل المكاتب التي في العواصم تقبل الدرهم وترسلها حوالا تلغرافية
ويحمل البريد الآن على الواورات في جميع بلاد النيل واما في السودان
الشرقي والغربي فلا يزال يحمل على الهجن الى ان يتم ما عقدت النية عليه من انشاء
خطوط السكك الحديدية في جميع انحاء السودان • ويحمل البريد بين سواكن
والسويس في واورات الشركة الخديوية مرة في كل اسبوعين كما كان قبل الفتح
وقد اتخذت هذه المصلحة في بدء الفتح طوابع البريد المصرية مبصوما عليها
كلمة « السودان » فاستعملتها الى اول مارس سنة ١٨٩٨ ثم ابدلتها بأوراق خاصة
اكبر منها وعليها صورة هجان راكبا هجينا في الصحراء • على ان في النية ابدالها بصورة
اخرى ألطف منها

هذا وقد جعلت الحكومة السودانية مصلحة التلغراف والبريد مصلحة واحدة
وولجتها الى رجالها الهام القائمين لذل بك الذي لا يزال يدأب في تحسينها وتوسيع
نطاقها الى الحد المقصود

❧ مالية السودان ❧

اما مالية السودان فلا تزال تشكو العجز ومالية مصر تتحمله حتى يقوى السودان
على سده • على ان السودان لم يكن في عصر من عصور التاريخ قادرا على القيام بأود
حكومة منظمة مرتقية مثل الحكومة الحاضرة وربما كان عصر المهدي الاخير اشأم
عصر مر عليه فخرّعه كؤوس المظالم واثقل كاهله بأرزاء الحروب فاستنزف منابع ثروته

وأدى نحو ثلثي اهله وصير اراضيه قفارا ودياره بلاقع . وعلى هذه الحالة المشومة والازنة المحزنة دخلت الحكومة الحاضرة . لذلك كان أهم ما وجه اليه الحاكم العام اهتمامه اصلاح حالة البلاد العمومية بتقليل ضرائبها وتكثير منابع ثروتها وتوطيد اركان العدل والامن في جميع انحاءها حتى اذا ما نهضت من عسرها المالي واصبحت كفوءا للقيام بأود حكومتها تدرج بها في معارج التقدم والنجاح الى الحد المستطاع وهذه هي غاية جميع رجاله ورؤساء مصالحه وعلى الخصوص سكرتيه المالي الهام « الميرالاي برنارد بك » الذي يشاطره المسؤولية في ماليتها ويدأب الليل والنهار في تعديل دخلها وخرجها حتى لا ينفق درهما الا كان انفاقه لازما مفيدا ولا يفوته درهم كان من الممكن اقتصاده او اكتسابه الا اقتصده أو اكتسبه وقد وفق الى رجال اكفاء اولى دربة وذكاء يقاسمون السعي وراء هذه الغاية الجميلة وفي مقدمتهم مساعده الشهم النبيل « القائم مقام ماي بك » . والحاذق النشيط « المستر درموندهاي » نجل السياسي المحنك المستر درموندهاي قنصل انكلترا الجنرال في سوريا الذي تمرن على التجارة النظرية والعملية في اشهر بيوت مرسيليا التجارية ثم دخل قضايا وانكلترا فيها فعين نائب قنصل وتدرّب على الاشغال السياسية والادارية وعنده الشاب الاديب المتوقد الذهن الذكي الفؤاد « سعيد بك شقير » من نوابغ المدرسة الكلية السورية في بيروت ومن افراد اللبنانيين المعدودين في مصر وقد مارس الاشغال المالية والادارية في سواكن حيث قضى تسع سنين متوالية سكرتيرا للمحافظة اظهر فيها من الدربة والنشاط وحسن الادارة ما استوجب اجمل الثناء من جميع المحافظين الذين حكموا سواكن في عهده . لذلك لما ارادت حكومة السودان تشكيل قلم الحسابات لمالياتها لم تر بدا من نقله من سواكن والقاء عهدة القلم اليه فظهر فيه من التفنن والبراعة والهمة ما كان يؤمل منه وازيد وقد رقي الى رتبة التمايز ولقب « بمدير حسابات السودان » . وبذلك كله تمكن السكرتير المالي على حداثة عهد الفتح واضطراب احوال الدّخل والخرج من عمل ميزانية تضاهي في نظامها وترتيبها ميزانية مصر . وهالك خلاصتها عن سنة ١٩٠١ كما نشرت بالامس :

جنيه مصري	مليم	المصروفات (الخرج)
١٧٨٦٠	١٧٦	المصلحة الملكية
٨٧٤٥	٣٠٣	المصلحة المالية
٥٧٧٩	٦٤٠	المصلحة القضائية
١٣٦٥٢	٠٠٠	قلم مراقب المخازن
١٤٢١	٤٠٢	مصلحة المعارف العمومية
١١٨١	٥٧١	مصلحة الغابات والاحراش
١٠٨٩٧	٢٥٥	السجون
٥١٧٥	٥٠٧	الاستباليات
٨٦٠	٩٧١	مصلحة وقاية الحيوانات البرية
٥١٤٩٧	٠٥٩	المديريات (مراكز الرئاسة) والمأموريات
١٩٤٦٨	٣٦٩	البوليس
٣٩٩٥	٩٨٥	الوابورات والمراكب
١١١٩	٠٠٠	الجمارك
١٠١١٤	٥٣٤	تعيينات وعلائق
٢٦٩٤٦	٩٥٩	الاشغال العمومية في الخرطوم والمديريات
٤٠٧٧	٤٠٥	بدل سفرية ونقلات ومعاشات ومكافآت
٣٢١	٢٥٢	مصروفات الجوامع
٥٠٢٠	٩٢٦	مصروفات صحية وملافاة وبأ المواشي
١٩٩	٩٩٣	مصروفات لجان الاراضي
٦٨٤	٣٢٦	مصروفات المطبعة الاميرية
٣٢٧٦	٠٤٢	مصروفات مصلحة المساحة
٤٣٨٦	١٠١	مصروفات اسرى الدراويش ونقط الصحراء
٣٨١٠١	٢١٢	مصروفات نثرية وسرية ومهاجرين
٨٥٨٦	٨٦٦	البوستة
١٥٩٦٤	٧٤٠	التلفرافات
١٤٨٠٠٠	٠٠٠	السكة الحديد
٤٠٧٣٣٤	٥٩٤	الجملة
٢٩٥١٩	١٤٧	زيادة في الايرادات عن الوارد بالميزانية
٤٣٦٨٥٣	٧٤١	المجموع العمومي

بأمر الحاكم العام

مصر في ٢١ ابريل سنة ١٩٠٢
 الامضا ٠١٠١ برنارد - ميرالاي
 سكرتير مالي حكومة السودان

جنيه مصري	مليم	الايرادات (الدخل)
٢٨٢٨٧	٨٣١	اموال اطيان
١٣٨٥٤	٠٧٥	عوائد نخيل
٣٧٢	٧٣٦	عوائد ابنة
٩٣٣	١٢٢	عوائد مراكب
٦٤٣١	٩٤٨	عوائد حيوانات
٥١٦٣	٥٩١	جزية من القبائل
٣٢٧٦٣	٦٠٠	دخوليات الصمغ
١٧٥٤	١٣٣	» الريش
١٩٩٥	٥٨٠	» العاج (سن الفيل)
٢٢٩١	٣٦٣	» الاصناف الاخرى
٦١٠١	١٧٠	جراك
١٥٩٨٧	٣٢٣	بيع املاك وارض اميرية وخلافها وايرادات مختلفة
١٦٩٩	٤٤٥	ايرادات المحاكم الشرعية
٣٧١٦	٨٧١	ايراد المعديات
٦١٢	١١٣	» صيد الاسماك
١٧٠٧	٠٠٣	» ورق التمغه
٣٧٨٢	٥٦٦	تضارح الشروبات الروحية والاسلحة النارية والدلالة والمتسبين
		والصيد والبحث عن المعادن
٥٩٨٨	٣٣٦	عوائد السلخانات والاسواق
٢٦٠٩	٩٢٦	رسوم مجالس وتسجيل اراض وغرامات
٣٢٤	٧٧٦	ايرادات الاستباليات
٧٥	٩٥٠	ايرادات الواورات والمراكب الاميرية
٩٧٥	٥٢٣	إيجارات اطيان الحكومة
٢٥٢	٤٩٣	ايرادات الحوالات التلغرافية
١٢١١	١١٦	مستقطع لاجل المعاش
١٥٤٩٢	٨٨٠	عشور نقدية
٤٣٢٩	٧١٤	بيع طوابع بوسنة ورسوم حوالات
٤٦٨٤	٨٣٢	بيع طوابع تلفراف
٧٥٨٠٨	٧٢٥	مكة الحديد
٢٤٢٣٠٨	٧٤١	مجموع الايرادات
١٩٤٥٤٥	٠٠٠	اعتماد الحكومة المصرية لسد عجز السودان
٤٣٦٨٥٣	٧٤١	المجموع العمومي

وهناك بيان مصروفات هذه السنة أى سنة ١٩٠١ وإيراداتها على صورة أخرى :

المصروفات	مليم	جنيه مصري	الإيرادات	مليم	جنيه مصري
الخرطوم	٩٩٣	٢٣٥٩٧	الخرطوم	٥٩	٥٢٣٥٩
بربر	١٤	١٢٨١٩	بربر	٢٧٩	١١٧٠١
دنقلة	٢٣٤	١٤٥٦٥	دنقلة	٣٤٠	٢٩٦٤٦
سنار	٩٧	١٢١٠٣	سنار	١٧٢	١١٠٤٠
كسلا	٩٦	٩٩٦٤	كسلا	٤٧٧	٥٢١٧
سواكن	٣١٤	١٤٥٢٢	سواكن	٨٩٨	١١٣٤١
حلفا	٤٠٦	١٦٨٢	حلفا	٩٨٨	٥١٧٧
فشوده	٧٨٩	٣٣٨٥	فشوده	٣٢٤	٢٤٥
كردوفان	٨٦٤	٩٨١٣	كردوفان	١٧	١٩٢٠
الإدارة العمومية	١٨١	٩٨٦٧٧	الإدارة العمومية	٣٣٥	١٧٢٦٤
الخازن	٠٠٠	١٣٦٥٢	الخازن	١٧٣	٨٩٩٠
البوستان	٨٦٦	٨٥٨٦	البوستان	٥٢٣	٥١٣١
التلفرات	٧٤٠	١٥٩٦٤	التلفرات	٦٧	٤٧٦٨
سكة الحديد	٠٠٠	١٤٨٠٠٠	سكة الحديد	٨٩	٧٦٥٠٥
الاشغال العمومية	٠٠٠	٢٠٠٠٠			
جمله المصروفات	٥٩٤	٤٠٧٣٣٤	جمله الإيرادات	٧٤١	٢٤٢٣٠٨
زيادة في الإيراد عن الوارد في الميزانية	١٤٧	٢٩٥١٩	اعتماد الحكومة المصرية لسد عجز السودان		١٩٤٥٤٥
المجموع العمومي	٧٤١	٤٣٦٨٥٣	المجموع العمومي	٧٤١	٤٣٦٨٥٣

بأمر الحاكم العام (الامضا) ٠١٠١ برنارد - ميرالاي
مصر في ٢١ ابريل سنة ١٩٠٢
سكرتير مالي حكومة السودان
استعمار السودان

هذا والحكومة السودانية الآن باذلة الجهد في استعمار السودان وتسهيل طرق الاستيطان لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم واجناسهم وحرفهم . وقد بدأت بالرفق بالسودانيين الذين هجروا البلاد بسبب الثورة فأرجعتهم الى اوطانهم مجانا واعانتهم على زراعة ارضهم وتعمير بلادهم
ورفق سعادة السردار وحاكم السودان العام الجديد برجال الفتح الاول الذين كانوا في اسر الدراويش من ملكيين وعسكريين سودانيين ومصريين فسعى لهم لدى الحكومة المصرية فوزعت عليهم ٢٥ الف جنيه . واوصى بالبعض الذين امتازوا

في الخدمة واشتهروا بالولاء فأجرت لهم معاشات تنقدهم اياها شهرياً مدى الحياة ورفق بالموظفين الملكيين فجعل رواتبهم في السودان ارقى منها في مصر بدرجة كلمة فالكاتب في مصر من الدرجة الثانية مثلاً يُنقد في السودان راتب كاتب من الدرجة الاولى وهكذا ولم يحرم رجال العسكرية هذا الالتفات بل رقى ايضاً رواتبهم بنسبة عادلة. وجدّد زيادة معلومة سماها « بدل مناخ » تمنح في الصيف لمن يخدم في جهات السودان البعيدة كفاشودة وبجر الغزال وكردوفان وكسله وسنار. وبذلك هوّن الخدمة في السودان ان صار الكثيرون ولا سيما العزّاب يفضلونها على الخدمة في مصر * وقد اتقى العساكر الذين لم تعد القوانين العسكرية تسمح ببقائهم في الجيش فأقطعهم اراضي على النيل الازرق جنوبي سنار وعلى النيل الايض جنوبي الجبلين واعطاهم ادوات وتقايي للزراعة فاسسوا عدة مستعمرات جميلة وعاشوا فيها بأرغد عيش وانعم بال وأهم ما تعنى به الحكومة الآن تنشيط اهل الزراعة من مصر وغيرها الى الاستيطان في السودان فانها تنقلهم على نفقتها الخاصة وتعطيهم الارض مجاناً أو بثمن بخس جداً ونساعدهم على نقل ادواتهم الزراعية مجاناً أو بأجرة زهيدة وقد تعطيهم التقايي لزراعة الارض في بادىء الرأي. ولكنها انما تخصّ بهذه العناية من وثقت بكفاءته وحسن اخلاقه وصدق عزمه على الاستيطان * وطالب الزراعة في السودان يجد من فقراء السكان والعييد الآبقين من اسيادهم من يساعده على الزرع ولكن لا بدّ له من ان يأتي بمن يعتمد عليه في الاعمال الزراعية لان فلاحى السودان قليلو الخبرة جداً بها كما مرّ هذا ويجد التجار والصناع وارباب المشروعات مجالاً واسعاً في السودان لتقدم اشغالهم اذ البلاد في اشد الحاجة اليهم والحكومة مستعدة لتنشيطهم وتسهيل طرق الرزق لهم واذا ارادوا البناء اعطتهم الارض بثمن زهيد على ان يعمروها لا ان يتجروا بها وبذلك اصبحت السودان من اهم البلاد التي يجدر بطالبي الرزق والساعين وراء المستقبل ان يحلوها محل النظر والاعتبار. وقد تقدم لنا ان هواءها لا بأس به والعيش فيها ميسور قليل النفقة والسفر اليها اصبحت الآن بعد انشاء سكة الحديد وانتظام مصلحة الوايورات من اسهل الامور وايسرها. وهذه هي أجر النقل من شلال اسوان الى

الكرمة والخرطوم وآخر حد النيلين الازرق والايض حسب التعريفة الحاضرة:

الطريق	المسافة بالاميال	درجة اولى غ . ص	درجة ثانية غ . ص	درجة ثالثة غ . ص
من الشلال الى حلفا	٢٢٦	٤٠٠	٢٠٠	٤٠
من حلفا الى الكرمة	٢٠٣		١٠٢	٤١
من حلفا الى الخرطوم	٥٧٥		٢٨٨	١١٥
من الخرطوم الى الرصيرص	٣٨٠	١٠٢٦	٥٣٢	١٢٦
من الخرطوم الى مشرع الريك	٧٤٠	١٩٩٨	١٠٣٦	٢٤٦
من الخرطوم الى كوندوكرو	١٠٨١	٢٩١٨	١٥١٣	٣٦٠

وفي فصل السياح الذي هو فصل الشتاء تضيف مصلحة سكة الحديد عربات خاصة الى قطاراتها للنوم وتجعل الاجرة على الشخص الواحد من حلفا الى الخرطوم ١٦ جنيهاً ذهاباً واياباً ما عدا الاكل وبين اسوان وحلفا ١٧ جنيهاً ذهاباً واياباً مع الاكل * ويجد المسافرون في كل من مدن اسوان وحلفا والخرطوم لو كندة جميلة للاكل والنم * ومن رام السفر في شرقي السودان وغريه يجد قدر ما يشاء من الايل والحمير الجم بأجرة ثمانية الى اثني عشر غرشاً والحمار بخمسة غروش في اليوم . ويجد المسافر الى سواكن محلاً على وابورات الشركة الحديوية التي تسافر من السويس مرتين في الشهر اي في الاول والخامس عشر وتعود في نحو العاشر والرابع والعشرين من كل شهر بالاجرة الآتية : ٨ جنيهاً و ٢٥٠ مليماً في الدرجة الاولى و ٦ جنيهاً و ٢٥٠ مليماً من الدرجة الثانية و ٣ جنيهاً بلا طعام في الدرجة الثالثة ويمكن استئجار السفن الشراعية لوسق البضائع التجارية في النيل على نسبة خمسة جنيهاً في الشهر لكل سفينة وسقها تسعة طنات . واما السفن البخارية فكلها للحكومة كما مر ولا تنقل البضائع التجارية الا اذا سمحت حالة البضائع والذخائر الاميرية واما بشأن سفر السودانين الى خارج مصر والسودان فقد تقرر انه اذا كان السفر من احد موالي السودان فعلى المسافر ان يأخذ جوازاً من الحكومة المحلية واذا كان من احد المواني المصرية فالحكومة المصرية لا تعطيه جواز السفر الا اذا كان مصحوباً بجواز من المديرية او المحافظة التابع لها او من مخابرات مصر او الخرطوم

الباب الرابع

في

﴿ اخلاق اهل السودان وعاداتهم وخرافاتهم ﴾

...~*~*~...

الفصل الاول

في

﴿ اخلاق السود وعاداتهم وخرافاتهم ﴾

تقدم ان الاصول التي يتألف منها اهل السودان تنحصر في خمسة وهي السود وشبه السود والنوبة أو البرابرة والبجة والعرب . وغرضنا الآن الكلام على اخلاق كل شعب وعاداته مبتدئين بأقدمهم وهم السود

﴿ اوصافهم الخلقية ﴾ يختص السود بسواد اللون وقطط الشعر وفطس الانف ونخم خنائبه واتساع الشدق وبرطمة الشفتين وبروز الفك وضيق القحف وصلابة عظامه وطول اليدين بالنسبة اليهما في البيض واعوجاج الساقين وقلة لحمهما . وهم في الغالب طوال القامة ولكن قد يوجد بينهم اقزام كقبيلة قروقرو في الجنوب الغربي من بلاد خط الاستواء . واما قواهم العقلية فقاصرة جداً وترقيهم محدود وهيئتهم تؤذن بالهجيّة . ولا قدرة لهم على تحمل المرض فاذا مرض احدهم رزح تحت مرضه الى ان يموت واكثر امراضهم الحمى والجدرى والجذام والزهري

هذا وليس في بلادهم حيوان للحمل اذ الابل والخيل والبغال والحمير لاتعيش فيها بسبب ذباب السروت كما مرّ وبقريهم عزيزة جداً لديهم فلا يهينونها بحمل الاثقال وافيالهم كلها بريّة فلا يدجنونها كما في الهند ولذلك فحمل الاثقال كله منوط بالرجال ويحمل الواحد منهم من ٤٥ : ٥٥ أقة يحملها على رأسه فيسير ١٤ ميلاً في اليوم أو ميلين الى ثلاثة اميال في الساعة

﴿ اخلاقهم ﴾ واسوأ ما في اخلاقهم للعناد وجفاء الطبع وقلة التدبر والحزم .
 وافضل ما فيها حب الطرب والخزية وبساطة القلب وعدم حب الذات . وهم اصلح
 البشر للجندية لما فيهم من ثبات الجأش وعدم المبالاة بالموت . وقد ادركت مصر
 ذلك منذ القديم فلم يمر عليها عصر من ايام الفراعنة الى اليوم الا جندت بعضهم في
 جيشها . وفي الجيش المصري الآن عدة اورط منهم اي من الاورطة التاسعة فصاعداً
 واكثرهم من النوبة والشلك والدنكا . وهم ينضمون تحت كل لواء ويصدقونه ما دام
 يحسن سياستهم ويراعي اميالهم اذ هم شديداً الشهوات الجسدية ومولعون جداً
 بالنساء وشرب الخمر وليس لهم صبر على الجوع فأبى سلطان اجرى لهم الزاد واطلق
 حرية الزواج وشرب الخمر انضموا تحت لوائه وحاربوا له فاذا انكسر ووقعوا في
 أسر عدوه فأحسن العدو سياستهم صدقوه وحاربوا سلطانهم الاول .
 ﴿ رقيقهم ﴾ هذا بشأن السود الاحرار . واما الرقيق فقد اشتهر رقيق الدنكا
 بالصدق والولاء وتحمل التعب ورقيق الفور بالكذب والسرقة والنهم ورقيق النوبة
 بالغدر والخيانة والجحد مع تحمل المشاق ورقيق الشلك بالكسل والتواني وضعفه الهمة
 فهو لذلك احط اجناس الرقيق واعلاها رقيق الحبشة الذي لا يدخل في كلامنا هنا .
 ويسوس العرب الرقيق بالقسوة والشدة لزعمهم انه لا يصلح الا بهما ومن اقوالهم :
 « لا تأمن العبد اضربه واطعمه ترى الحاجة مقضية » . « والعبد اشقى واملاً كرشه »
 يطلع خيره » . ومنه قول المتنبي :
 لا تشتري العبد الا والعصا معه ان العبد لا نجاس .
 ﴿ ملابسهم ﴾ والسود في بلادهم عراة الابدان او يسترون عوراتهم بمئزر من
 ورق الشجر او جلد الحيوان ويتزينون بعقود من الخرز الملون او الصدف واسلور
 وحجول من النحاس والعاج والحديد رجالاً ونساء . ومن خصائصهم ان رجالهم
 يحبون التزين اكثر من نسايتهم . ولبعض السود لاسياء المشك تقفن غريب في
 لبس الشعر وضمفره على اشكال شتى تشبه قبيرة الديك أو البرنيطة الافرنجية أو
 المروحة أو الاكليل وهم يعالجونه بطلاء من الرماد وروث البقر وبوله ممزوجاً بالفراء

• ويلونونها بالحرز والرايش • ويدهنون اجسادهم بالشحم والزيت ويشربون
جلبهم واجسادهم ويلونونها ببعض الالوان قصد الزينة • وبعض النساء يثقبن
الشفة السفلى أو الانف ويدخلن في الثقب خشبة يكبرنها تدريجاً حتى لقد تبلغ حجم
الجنه أو تزيد وذلك من انواع الزين عندهم • وقد امتاز الشلك وبعض الدنكا بهتم
اسنانهم السفلى • والشلي والشيري بتحديد ثناياهم بمبرد حتى تشبه المنشار • وبعض
السود يبرد الثنتين حتى يشبهان رقم السبعة الهندي • وامتاز المكارك بالختان ولذلك
فالعرب المسلمون يفضلونهم على جميع السود

• سلاحهم • ولا يخرج السود من منازلهم في الحرب أو في السلم الا مسلحين •
• سلاحهم الحراب والسكاكين والفؤوس والنبايت والقسي والدرق • ودرقهم اما
المربعة الشكل مستطيلة كدرق الموبوتو أو بيضوية كدرق المكارك
• مساكنهم • وهم يسكنون القرى في طقلات أو اكواخ اسطوانية من الطين
عليها قبب مخروطية من القصب والقش ويمتسونها للغاية بحيث تتحمل المطر
الشديد الذي يكثر وقوعه في بلادهم • ولكل قبيلة منهم شكل خاص تبنى عليه
اكواخها • وفي بعض الجهات يرفعون الاكواخ عن الارض بشعب متينة لمنع الرطوبة
وتوقي الفيضان والزحافات • وهم يبلطون ارضها بتراب اذا عولج بالماء وروث البقر
وعصير بعض الشجر اصبح كالجر • ويفرشونها بجلود البقر أو الصيد ويصغرون
ابوابها حتى لا يزيد علوها على قدمين ونصف قدم الا نادراً ولا يمكن الدخول منها
الا زحفاً • ويتألف المنزل الواحد من طقل واحد أو عدة طقلات محاطة بزرب متين •
وفي بعض الجهات يحيطون القرية كلها بسور مرتفع ويضيقون شوارعها جداً بحيث
لا تسع الا شخصاً واحداً يمر فيها في وقت واحد • ولكنهم يجعلون في وسطها مساحة
كبيرة يجتمعون اليها للرقص والغناء

• اثاثهم • واشهر اثاثهم : مخدات صغيرة من خشب على شكل هلال
قائم على قاعدة • وقصع للطعام من خشب كالقصع المصرية • وآنية للشرب من
القرع • وآلة لطحن الحب مؤلفة من حجرين احدهما اكبر من الآخر تعرف بالمرحكة

وسياقي وصفها • وأوعية خزفية للطبخ • وغلايين لشرب الدخان • وسلال ومقاطف
﴿ طعامهم ﴾ وطعامهم الذرة أو التيلبون يأكلونها مسلوقة أو يطحنونها
بالمرحاة ويصنعون من دقيقها عصيدة على النار ثم يجعلونها في قدح ويضعون فوقها
الادام من اللبن أو المرق واللحم ويجلسون القرفصاء حول القدح نساء ورجالا
ويأكلون بأصابعهم • وهم يقدّون اللحم ويخزنونه ويصطادون السمك من
النيل في الصيف ويقدّونه للشتاء • ويجمعون العسل من خلايا النحل الكثير
جدّا في بلادهم • ومن ما كلهم الفول السوداني والبامية واللوبيا والملوخية والبطاطا
الحلوة والاهليلج • ومنهم من يأكل الضفادع والحيات والعقارب • وكلهم يفضلون
لحم القروود والكلاب على لحم الضأن فاذا ضافهم شخص وارادوا اكرامه ذبحوا له
قردا أو كلبا ولا يتباعه رأسا من الضأن أو الماعز • وهم يعتاضون الرماد عن الملح لعدم
وجود الملح في بلادهم

﴿ شرابهم ﴾ وشرابهم البوزة مستخرجة من الذرة وهم مولعون بها ولما شديدا
حتى لقد تراه في غالب الاحيان سكارى • ويشربون الدخان بغلايين كبيرة
شبه « الجوزة » وقد يخلطون الدخان برماد زبل البقر ويمضغونه مضغاً

﴿ افراحهم ﴾ وسن الزواج عندهم من ١٥ سنة فصاعداً مع ان سن البلوغ قبل
ذلك • ويتزوج الرجل قدر ما يشاء من النساء أو قدر ما تسمح له حاله المالية • ولا
بدّ له اولاً من استرضاء الفتاة التي يقع اختياره عليها فاذا رضيت تقد اباهاً مهراً
من البقر والحراب والخرز على قدر طاقته واخذها • واذا رفض الاب اختطفها وفرّ
بها الى بلاد بعيدة • وعند بعض القبائل يسكن العريس مع عروسه في بيت ابيها
فلا يأتي بها الى بيته الا اذا ولدت واذا لم تحمل منه في مدة سنة حق له ان يطلقها
ويسترد المهر • والعروس قبل ان تلد تتمتع براحة تامة ويقوم كل من في البيت بخدمتها
فمتى ولدت بطل كل ذلك واصبحت كالامة تسعى في جلب الماء والخطب وتقوم بتدبير
المنزل والفلاحة والحصاد • وهي ترضع طفلها سنتين في الغالب اذا لم تغل وتصنع له
ارجوحة تعلقها بمنكبيها فاذا ذهبت لعملها علقها في شجرة

وبعض السود ولا سيما المورو يكرمون نساءهم ويشركوهن في الرأي
ويعنون بترية اولادهم فلا يسمحون للولد ان يتكلم في حضرة من هو اكبر منه
أو ان يجلس امامه بغير احترام. ويعلمونهم الرقص واستعمال الاسلحة منذ الصغر وقد
يأخذ الاب ابنه الى غابة ويتركه فيها وحده ليهتدي الى البيت من نفسه. ويرث
الرجل نساء ابيه كما يرث امتعته واملاكه بل له ان يتخذهن زوجات اذا شاء
(آلاتهم الموسيقية) واشهر آلاتهم الموسيقية :

«الطنبورة» وهي قذح يضوي من خشب مغشى بجلد غزال له خمسة اوتار
تضرب بعود فتوقع بها الحان بسيطة جداً وهم يعلقون بها اشياء شتى من الخرز
والودع وحوافر الغنم ونحوها بقصد الزينة . ومن آلاتهم الموسيقية الخاصة ببلوكهم :
« النقارة » وهي طبل الحرب والرقص بل هي طبلان الواحد اصغر من الآخر
يصنعان من قطع مجوفة من الشجر على شكل مخروطي مقطوع ويجلدان من الطرفين
بجلد بقر فينقرهما رجل واحد بقضيبين في يديه

« والامباية » وهي سن فيل صغير طولها نحو متر تثقب ثقباً واحداً من رأسها
وتضرب للدلالة على خروج الملك من منزله لغزو أو لحرب أو نحوها
« والقرن » وهو قرن الوعل مثقوباً ثقباً واحداً من رأسه كالامباية يضرب
في زمن الحرب والرقص وله صوت مزعج قوي
« والمندكولة » وهي جرسان من النحاس أو الحديد يُقرعان امام الجنود في
ساحة القتال على الحان يتحمس لها السود كثيراً

« والبيدي » وهي قطعة مجوفة من الشجر ومجلدة من الطرفين كأصغر طبلي
النقارة تعلق بجبل في العنق وتضرب بالكفين من الجانبين

« والبخسة » وهي قرعة يابسة توضع فيها الحصى وتضرب بهزها رواحاً ومجياً
« والصفارة » وهي قرن الوعل مثقوباً خمسة ثقوب ثقب في رأسه واربعة في
اسفله يُصفر بها كالفلوت مع البيدي والبخسة . ومن اربع صفارات وبخسة وبيدي
يتألف « طاقم » كامل يضرب في زمن الحرب أو الافراح بأمر الملك

﴿ رقصهم ﴾ وهم مولعون بالرقص ولما شديدًا ولكل قبيلة منهم رقصة خاصة ترقصها الرجال والنساء على اصوات الآلات الموسيقية . وقد رأيت جماعة رجال الشلك يرقصون رقصة حربية في الخرطوم ايام تشریف الجناب الخديوي لها وقد لبسوا شعورهم على اشكال غريبة شتى كما تقدم الوصف وزينوا بالريش والخرز وصبغوا جفونهم بصباغ ابيض مشرب حمرة ولبسوا اساور الف والنحاس في ايديهم والجلود أو الخرق في اصابهم وحملوا الحراب والنباييت . فـ في رقصهم واقعة حربية وقفوا فيها صفين يهاجم احدهما الآخر وكانوا يقفرون كالقرو ويصيحون كالذئاب وهم يهزون رماحهم ونباييتهم فوق رؤوسهم ويغنون لا تلحين فيها ويصوتون بالقرون اصواتاً مزعجة تصم لها الآذان وبلا جمال لهم في رقصهم شيء من الطرب بل دل على تمام الهمجية ومنتهى الحشونة .

﴿ ماتمهم ﴾ ولما تمهم ضجة عظيمة واحتفالات تدوم عدة اسابيع فيجبون فيها للذين ويشربون الخمر ويرقصون حول القبر نساء ورجالاً رقصاً محزنًا . قيل ان بعض كائوبة والجائقي والباري والشلي يدفنون الميت امام منزله وهو قاعد القرفصاء ويد مطبقتان ومضمومتان الى صدره ويدفنون معه غليونته ودرقته وحرابه ويلطون قبره بحجر فوق رأسه . وبعضهم كالجور والبنقو يدفنون الميت وهو واقف خشبة بين فخذه ويرفعون ابطيه بخشبتين اخريين تحت كل ابط خشبة ولا يصنعون طعاماً على ايام معدودة ويضعونه عند القبر لئلا كلة الطير أو المارة .

﴿ سلامهم ﴾ وسلامهم المصافحة باليد ولكن بعضهم كالاجار والدنكايسا بدفع اليد مبسوطة في وجه المسلم عليه . وبعضهم كالشلي يظهرون اودهم لضرب بالبصق في كفه أو بعمل اشارة البصق .

﴿ جلوسهم ﴾ وقد اعتادوا كلهم جلوس القرفصاء كما اعتاد العرب الاخر والتربيع . وبعضهم كالباري لا يجلسون الا على كرسي صغيرة خشبية واطئة جد ومن عادة الدنكا في الوقوف ان يتكى الواحد على حربه ويقف على رجله اليسرى واضعاً عليها اليمنى وضعا اقليمياً .

(١٩١) واشهر علائم التعهد عندهم مض للدم فاذا تعاهد اثنان على امر
 فصلت كل منهما يده بوجه من دم رفيقه . وبعض السود كالجاني يحلفون بوضع
 ايديهم فوق النار . وبعضهم بلحس خرقته . وبعضهم بأخذ شيء من تراب الارض
 ووضعوه في فيه أو مسه بلسانه . وبعضهم بضرب فخذهم بكفه وقوله وحياة كراعي
 الأبقار كذا وهو من اعظم الاقسام عندهم .
 (١٩٢) ملكهم وملكهم وراثي الا اذا كان الوارث ضعيفا غير كفوء للاحكام فيملك
 الاقوى من رجال العائلة المالكة . ولكل ملك منهم تقارة يضربها وقت الحرب أو
 الرقص فاذا فاجأه عدو ضربها وأوقد النيران على رؤوس التلال وارسل
 الرسل الى قومه بسرعة البرق . وفي بعض البلاد يقيمون في العاصمة بوجا تحرسه
 الحراس للانذار اذا فاجأهم العدو .
 ويتخذ الملك شارة الملك بين قومه بريشة يجعلها في رأسه ويجعل في يده ترسا
 وعلى منكبيه جلد غرور في ساقيه وذراعيه عدة اسورة من النحاس والعاج ولا يدنو
 احدهم الا حثوا على الركب ولا يكلمه الا وهو مطرق . وهو مطلق التصرف في
 قومه فيحكم بالعرف والعادة . ومن احكامهم في قصاص السارق والزاني والقاتل
 القتل لو طاب الدية من القاتل من بقروسن ونحوهما .
 (١٩٣) قيودهم واشهر انواع القيود المستعملة عندهم : الشعبة والمكية والعصا
 «الشعبة» فهي عود طويل له في احد طرفيه شعبتان يوضع عنق الجاني بينهما
 بحيث يبرزان من مؤخر العنق ثم يوصل بين طرفيهما بحبل متين فيصبح العنق محصورا
 في الوسط وعصا الشعبة على ثقلها بارزة امام وجهه . وقد يربطون يده اليمنى بها
 لزيادة التحفظ عليه . وهذا القيد انما يثقل به الجاني عند نقله من مكان الى آخر
 «المكية» فهي ساق من حديد طولها نحو شبر ونصف شبر ولها في كل طرف
 حلقة تقيد بهما الرجلان وذلك بأن تفتح الحلقتان فتوضع كل رجل في حلقة بحيث
 تكون ساق القيد بين الرجلين ثم تقفل الحلقتان فلا يمكن المقيد المشي الا بكل صعوبة
 ويطى وقد يقيدون الجاني بمكيتين أو اكثر لتعذيبه وزيادة التحفظ عليه

﴿ خرافاتهم واديانهم ﴾ تقدم ان السود لا دين لهم أو يدينون بالفتشية فيتقربون الى بعض انواع الحيوان أو الشجر أو الجماد أو الظواهر الجوية التي تتخذ رمزاً الى القوة أو العظمة أو الحكمة أو غير ذلك من الصفات التي تخص بها الخالق جل جلاله ويحترمونها بذاتها الى درجة العبادة على نحو ما كان عليه عامة المصريين القدماء . فالدنكامثلاً يتخذون البقر رمزاً الى القوة والغنى ويعدون لها اقدس المخلوقات فيعنون بها عناية تقرب من العبادة ويفضلونها على نسايتهم واولادهم ولا يذبحونها الا نادراً وهم يأتون بها الى ساحات الرقص فيعلقون بقرونها واعناقها الاجراس ويرقصونها معهم . وترى الرجل يلقب بالثور والمرأة بالبقرة (قلت وقد كان الثور اعظم لقب لملوك مصر وايتيوييا الاقدمين) واكثر حديثهم وغنائهم يدور على ذكر البقر وافضل مقيل لهم مراتبها واذكى الروائح رائحة ارواثها وهم يحففونها ويحرقونها في المرايض لطرد البعوض ويتمرغون برمادها ويزعمون ان لها قوة سحرية على شفاء الجروح . واما بولها فيفضلونه على الماء الزلال وبه يغتسلون ويغسلون آنيتهم ويعطرون سمنهم . قيل والباري يتعبدون للحية ويقدمون لها القرابين من لبن واطعمة ويعدون قتلها جريمة كبيرة وهم يربونها في منازلهم ويسمون بها باسماء تعرف كما نربي القطط في بلادنا ويعتقدون ان اجدادهم كانوا يصعدون الى السماء بجبل معقود بالنجوم واما الآن فقد انقطع الجبل لكثرة الشر في العالم . وقد سمعت بعض السود من اهل بحر الغزال القاطنين مصر يغني اغنية شجية محزنة فسألته عما يغنيه فدل من الترجمة ان قومه يتعبدون للرعد ويشكرون له انزال المطر في بلادهم واحياء مزروعاتهم وهم في حيرة وغم لانهم لا يعلمون من اين يجيء . ويظهر ان الشك يقدسون النيل ويتوسلون اليه قيل ولا يتكلمون عن ارواح الموتى الا بكل خوف ويعتقدون انها متطايرة في الهواء فتسكن تجاويف الاشجار وتقمص اجسام الحيوانات . ويعتقد البنقوان ارواح الفواجر تنتقل الى الضباع ولذلك لا يقتلونها خوفاً من ان تكون فيها ارواح قرائبهم وهم يصنعون حول مقابرهم تماثيل خشبية تشبه آلهة جزائر اوستراليا قيل وهي ليست بآلهة بل هي رموز عن الموتى قائمين من قبورهم

ولكل قبيلة رئيس ديني كما مرّ يعرف عند النوبة « بالكجور » وعند الشلك والدنكا « بنوكاما » ولهذا الرئيس احترام عظيم عندهم حتى ان الملك لا يقدم على حرب أو يحجم عنها الاّ بمشورته ورأيه وهم يعتقدون فيه السحر والقدرة على انزال المطر أو حبسه حسب مقتضيات احوالهم ويدعى هؤلاء الرؤساء ان السلاح لا يؤثر في اجسامهم وانهم يرقون الواحد حتى لا يؤثر السلاح في جسمه • وهم يتعاطون علم الرمل فيتنبؤون به عن المستقبل ويستخدمونه لكشف المخبات ومعرفة ما يصيب الانسان من خير أو شر • ولبعضهم مهارة في الجراحة وطب الاعشاب هذا ما اقتضى المقام ذكره من اخلاق السود وعاداتهم وخرافاتهم على وجه الاجمال ومن اراد التفصيل فعليه بكتب سياح الافرنج الذين جابوا بلادهم وخبروا احوالهم وكتبوا عنهم المجلدات الكبار واهمهم السائحان الالمانيان شوينفرت وينكر

الفصل الثاني

في

﴿ اخلاق شبه السود وعاداتهم وخرافاتهم ﴾

﴿ اخلاقهم ﴾ اما شبه السود فلا يشبهون السود الا في اللون وفيما سوى ذلك فهم اقرب الى العرب البدو منهم الى السود • واشهر ما في اخلاقهم التدخين أو التعصب في الدين

﴿ ملابسهم ﴾ وهم يلبسون قميصاً واسع الاردان مقفول الصدر على سراويل ضيق قصير ويلبسون نعلاً في ارجلهم وطواقي على رؤوسهم أو يمشون حفاة عراة الرأس وهم يخلقون شعور رؤوسهم ويرخون لحاهم وشواربهم ويتختمون بخواتم من النحاس أو الفضة بفضوص من العقيق أو الفيروز • وتلبس النساء « القرباب » (لباس للحقوين) تحت « شقة » من الدمور يشتملن بها اشتمال الصماء فيجلان الاكتاف والابدان • وهن يمشطن شعورهن جدائل دقيقة جداً على اشكال شتى اذ لنساء كل قبيلة جدلة خاصة ويتحلين بالاساور والحجول والاقراط والاخزمة والخواتم من النحاس والفضة والذهب والحديد

﴿ سلاحهم ﴾ وسلاحهم الحراب والسيوف المستقيمة والفؤوس والسكاكين والنبائيت والدرق ودرقهم اما مستديرة أو يضيوية كدرق السود . وسلاح فارسهم في الحرب « السيف » يعلقه في مقدم السرج تحت فخذ اليسرى بحيث تكون قبضته على عنق الفرس « والفرارة » (الفأس) في مقدم السرج الى الجانب الايمن « والكبس » (حربة كبيرة) يحملة يده اليمنى ويلقيه على كتفه « والتركاش » (الجعبة) وفيه الطبايق (الحراب) من ٣ : ١٢ حربة في مؤخر السرج . وسلاح راجلهم الطبايق في التركاش يعلقه في رقبته فيتدلى من تحت ابطه اليسر والدرقة في يده اليسرى وكبس أو فرار أو نبوت في يده اليمنى ومنهم من يحمل القوس والنشاب بدل الحراب يجعل النشاب في الجعبة ويحمل القوس باليد اليمنى مع الكبس أو يعلقه في عنقه ﴿ مساكنهم ﴾ وهم يسكنون في اكواخ هرمية كاكواخ السود أو في اخصاص كظهر الثور ينونها بالبوص واغصان الشجر . وفي بعض المدن ينون بيوتا مربعة السقوف من الطوب الني أو المحرق

﴿ طعامهم ﴾ وطعامهم الدخن يطحنونه بالمرحاة ويعملون منه العصيدة ويجعلون عليها اللد من اللبن أو السمسم بالسمن أو البامية باللحم المقدد أو الطري ونحو ذلك . وهم يصطادون الارانب والغزلان والدجاج البري ويستمرئون لحما ﴿ شرابهم ﴾ وشرابهم ماء الآبار أو ماء الينابيع وهم مولعون بشرب البوزة كالسود الا ان فقهاءهم يحرمونها تحريماً شديداً فيمتنع الكثيرون منهم عن شربها تدبناً ﴿ افراحهم ﴾ وهم يحبون الزواج الباكر ويتزوجون امرأة الى اربع نساء على حدّ الشرع . قيل ومن عادة بعض القبائل المتطرفة في غرب دارفور كالقمر والتامة والمساليت الذي لم يتمكنوا من الاسلام ان يسرح شبانهم وشاباتهم بمواشيهم في الخلا فينون قرى صغيرة ويعيشون بها ازواجاً سنة أو حوالها فمن حملت زوجته منه كتبوا عليها كتابه والا فصلوها عنه ليقترن بغيرها في سنة تالية . وما ذكره سلاطين باشا في كتابه « السيف والنار في السودان » عن عادات البديات الذين لا يزالون على الفتشية ويعبدون الشجر انه عند موت والد فيهم يحملة اولاده

وأهل إلى المقبرة خارج البلدة وبعد دفنه يقف أولاده صفًا ثم تعطي لهم إشارة فينطلقون نحو البيت عدوًا فمن وصله وغرز رمحه فيه أولاً ورث والده واستولى على جميع أمواله حتى على نسائه • وإذا أرادوا الحلف اتوا برمح وسرج فرس ونار في وعاء فيقدم صاحب القسم ويرفع يده فوقها ويقول لا تمس فخذي السرج العمر كله ويطعن جسدي بالحرب واحرق بالنار ان حنثت بجلفي هذا اه • وهم يحتفلون بالأفراح بذبج الذبائح وشرب البوزة والغناء والرقص على الآلات الموسيقية

﴿آلاتهم الموسيقية﴾ أما آلاتهم الموسيقية فهي آلات السود بعينها ﴿رقصهم﴾ ولكل قبيلة منهم رقصة خاصة والبرقد رقصة تسمى «التنديقة» يشترك فيها النساء والرجال على مثال رقص الأفرنج فيرقصون زوجًا زوجًا شابًا وشابة فيطوق الشاب ظهر الشابة يده اليسرى ويأخذ في يده اليمنى سيفًا يلعب به وتطوق الشابة ظهر الشاب يدها اليمنى وتطلق يدها اليسرى ويسير الاثنان رويدًا وهما يرقصان على صوت الطبل إلى ان يتعبا فينضمنا إلى حلقة المتفرجين وقد رأيت هذا الرقص في الخرطوم فوجدته رقصًا لا بأس به بل وجدته أوفر حشمة من كثير من أنواع الرقص في البلاد المتقدمة

﴿مآتمهم﴾ ولما تمهم جلبة عظيمة لا سيما عند النساء فانهن يحثن التراب على رؤوسهن ويسودن وجوههن «بالسجم» والرماد ويندبن الميت بالصراخ ولطم الخدود وإذا كان الميت فارسًا تركب إحدى جواريه فرسه وتقلد عدة حربه ويركب معها بعض الجواري فيجتمع النساء حولهن ويطنن البلدة بالزراغيت والندب وتودم مآتمهم من ثلاثة أيام إلى أربعين يومًا وحدادهم سنة كاملة يمتنعون فيها عن التطيب ولبس فاخر الثياب والحلي وملوكهم تحكمهم بالعرف والعادة كما سيجيء في التاريخ ﴿سلامهم﴾ وسلامهم المصافحة باليد • وهم يركبون الأبل والحمر والثيران ويحملونها الأثقال وأما الخيل فلا يستعملونها إلا للركوب كما مر

﴿حلفهم﴾ وحلفهم على المصحف الشريف وهم يحفظونه غيبًا مع انهم اعاجم ﴿خرافاتهم﴾ وهم يعتقدون السحر وبلادهم مملوءة بالدجالين وخرافاتهم شتى

الفصل الثالث

في

﴿ اخلاق البرابرة وعاداتهم وخرافاتهم ﴾

﴿ اوصافهم الخلقية ﴾ تقدم ان البرابرة القاطنين بين الشلال الاول والرابع هم خليط من ثلاثة اجناس وهي النوبة الاصليون والعرب والاتراك . اما النوبة الاصليون فهم مربوعو القامة شديدو السمرة جدًا واما العرب فهم اطول قامة واقل سمرة واما الاتراك فهم اطول قامة واقل سمرة من الجميع

﴿ اخلاقهم ﴾ وهم يختلفون في الاخلاق اختلافهم في الاصول ولكنهم فقدوا اجل الصفات التي امتازت بها اصولهم فما ترى فيهم شجاعة النوبي ولا مروءة العربي ولا شهامة التركي بل هم من الجبن والكذب والكسل والجهل وشكاسة الاخلاق على جانب عظيم . واذا اجتمعوا للحديث قامت لهم جلبة عظيمة حتى ضرب بهم المثل : « عشرة يتكلمون وواحد يسمع » . وقد قيل ان البرابرة الذين اخذهم ابراهيم باشا في جيشه الى سوريا لما احسوا بالبرد احرقوا اخشاب بنادقهم وتدفأوا بها . على ان البرابرة لم يزلوا حافظين من اخلاقهم الاصلية حب الضيافة وصيانة العرض . وقد اشتهر الذين اتوا منهم للخدمة في مصر بالنظافة والامانة واما الذين توغلوا في السودان فقد اشتهروا بالمكر والخديعة كما مر . وهم امهر سكان السودان في ملاحه النيل وخبرة الشلالات ومنهم معظم رؤساء المراكب والوابورات في مصر والسودان

﴿ ملابسهم ﴾ وهم ينسجون الدمور ويتخذون منه سراويل « وشقة » يرتدون بها فوقه ويمشون حفاة عراة الرأس الا كبارهم فانهم يلبسون طواقي من الدمور واحذية من جلد البقر ويحلقون شعور رؤوسهم ويرخون لحاهم وعولمضهم . ويشتمل نساؤهم بشقة من الدمور ويجدان الشعر صفائر دقيقة جدًا يرخينها الى الوراء وعلى الاصداع ونساء البلاد بين الشلال الاول والثاني يرخين الجدائل ايضا على الجباه ويدهن اطرافها واطراف الجدائل المرخية على الاصداع

بمجنون امر فأتح كالدلغان فتظهر كان قد عُلق فيها مواسير من القصب الدقيق
 (سلاحهم) وسلاحهم القديم الحراب والسيوف والنبات والقسيّ وأما الآن
 قد تركوا الحراب والقسيّ واعتاضوا عنها الاسلحة النارية
 (مساكنهم) وهم يسكنون في بيوت حقيرة من الطوب النيّ أو الحجر والطين
 ويستقونها بخشب النخل وكانوا قديماً يضيقون ابوابها جداً ولا يجعلون لها شبايك
 أما الآن فقد وسعوا ابوابها وجعلوا لها الشبايك وكل منازلهم طبقة واحدة
 (طعامهم) وطعامهم الذرة يطحنونها « بالجاروش » المعروف أو المرحاكة
 ويخزونها على « الدوكة » وهي شبه الصاج فيصنعون منها اقراصاً من الخبز رقيقة أو
 سمكة . وعندهم من الخضر البامية واللوييا والبصل يطبخونها بلحم البقر أو الماعز في
 قدر من الفخار ويجعلونها في اقداح من الخشب ويأكلون بأصابعهم
 (شربهم) وشربهم ماء النيل بلا تقطير فاذا قُطّر لا يستعذبونه . وهم
 مولعون بشرب البوزة ويصنعونها من الذرة والقمح ويصنعون من البلح النبيذ
 والعرق والدكاي المار ذكره

(افراحهم) وهم يحبون الزواج الباكر ولا بدّ للشاب من رؤية الفتاة التي يروم
 خطبتها واسترضاء امها قبل ان يخطبها من أبيها فاذا تمّ الاتفاق على الصداق أو المهر
 دعى اهل العريس والعروس اقاربهم ومن راموا حضوره من اهل البلدة فيحضر
 المدعوون فرساناً ومشاة رجالاً ونساءً ويزفون العريس الى بيت العروس راكباً
 فرساً فيسير الفرسان امامه والنساء وراءه وهنّ يزرنّغتن ويغنّين حتى يصل الموكب
 الى بيت العروس فيولم لهم اهلها وليمة ويكتبون الكتاب . ثم يأتون بالعريس الى غرفة
 العروس فيجد الباب مقفلاً وامامه رجل ممسك بقفله فلا يدعه يدخل حتى ينقده
 شيئاً من المال (قلت وقد رأيت مثل ذلك في بعض افراح القاهرة) وعند فتح الباب
 يدخل العريس ورفاقه فترشهم امرأة من اهل العروسة بقرعة ماء . ويصلي العريس
 ركعتين ثم يتقدم الى العروس فيلمس جبهتها بيده ويقبل يده ويجلس بجانبها نحو ربع
 ساعة . ثم تأخذ النساء العروس الى غرفة اخرى ويبيت العريس وحده الى الفجر

فينزل الى النيل مصباحاً اياه ويعود ومعه غصن اخضر من الذرة أو نحوها فيدخل الى غرفة العروس ويضربها به ثم يرجع الى غرفته حيث يجتمع اليه بعض اقاربه من نساء ورجال ويستمر على ذلك سبعة ايام الا انه بعد الليلة الثانية يستدعي بعض اقارب العروس فيأتون بها الى غرفته ليلاً ثم يرجعونها الى غرفتها حتى تنتهي السبعة ايام فيولم اهل العروس وليلة لاهل البلدة ثم يزفون العروس ويأتون بها رسمياً الى غرفة العريس وعند وصولها يناولها العريس شيئاً من الفضة أو الذهب في يدها وهو مما يسمى « فتح اليد » ثم يأتون بشيء من الحب فيضعونه في كف احدها فيضعه في كف الآخر وهكذا يتناوبان اعطاءه احدهما للآخر سبع مرّات فمن حازه في يده آخر مرة رمى به وجه الآخر وهم في الغالب يعطونه العروس أولاً حتى ينتهي اخيراً الى يدها فتضرب به العريس . هذا في جهة سكوت والمحس واما في جهة حلفا فانه بعد دخول العريس الى غرفة العروس يمكث معها نحو ثلاث ساعات ثم يذهبان مع اهلها الى النيل فيغسلان وجهيهما ثم يرش احدهما الآخر بالماء ويرجعان الى البيت . ويبقى العريس في بيت عروسته شهراً أو اكثر حسب الاتفاق ثم يسي في الذهاب مع عروسته الى بيته . والزوجة لا تنطق باسم زوجها الى ان تموت . وهم يختنون صبيانهم الحتان المشروع به في الاسلام ويحتفلون به احتفالهم بالاعراس . ويختنون بناتهم ختان فرعون وهو من افطع العادات البربرية وسيأتي الكلام عليه ﴿ آلاتهم الموسيقية ﴾ واشهر آلاتهم الموسيقية :

« الرّابة » وهي تشبه طنبورة السود الا ان قدح ربابتهم مستدير الشكل وتحرك اوتارها بقدة من جلد * « والطبله » وهي طبل صغير تضربه النساء واما الرّابة فتضربها الرجال والنساء ولكل من الطبله والرّابة رقص معلوم

﴿ رقصهم ﴾ والرقص عندهم خاص بالنساء الفتيات فاذا برزن للرقص وقف الشبان حولهنّ حلقة يصفقون لهنّ ويضربون الارض بأرجلهم على ضرب الرّابة أو الطبله واما كبارهم وشيوخهم فقد يحضرون حفلات الرقص ولكنهم لا يشاركون الشبان فيه لان ذلك عار عندهم

﴿مآتمهم﴾ ولما تم ضجة عظيمة فاذا مات احدهم دعوا اهل بلدته والبلاد المجاورة لها واقاموا المآتم بالبكاء والصراخ والرقص المحزن ثم يجهزون الميت ويدفونه ويرجعون الى منزله فيجدون الندب والبكاء ويقيمون على ذلك اربعين يوماً فيأتهم المعزون من جهات بعيدة فمنهم من يعود في الحال ومنهم من يقيم يوماً أو أكثر بحسب درجة القرابة ويقوم اهل بلدة الميت بتقديم الطعام للمعزين حتى ينتهي المآتم ويحد أقارب الميت سنة يمتنعون فيها عن الافراح والتطيب ولبس فاخر الثياب والحلى ﴿سلامهم﴾ واما سلامهم فالرجال يتغاثقون ثم يتصافحون والنساء يتصافحون بالوجه ثم باليد واما سلام النساء على الرجال فبالمصافحة باليد واذا سلمت المرأة على قريب لها دون البلوغ قبلته في جبهته ﴿خرافاتهم﴾ واما خرافاتهم فكثيرة لا طائل تحتها وعندهم السحرة والدجالون

الفصل الرابع

في

﴿اخلاق البجة وعاداتهم وخرافاتهم﴾

﴿اخلاقهم﴾ اما البجة فلونهم بني قاتم ويشبهون بدو العرب جداً في الملامح والاخلاق الا انهم اشكس اخلاقاً وافظ طباعاً وهم في قتال دائم بعضهم مع بعض ومع العرب المجاورين لهم بل المرأة في خصام مستمر مع رجلها وجاراتها . ولكن روى العارفون عنهم اخباراً تدل على كرم الاخلاق وطيب النفس منها : ان رجلاً من الهدندوة من بدنة الباشكاب يدعى محمداً عبد الله جاء الى بدنة القلابنيب الهدندوة يسألهم الصفح عن قتل اهل من رجالها فطعنه واحد منهم بحربة في جنبه لينعه التوسط في الصلح فلم يلتفت الى الطاعن بل لم يزل يرجو الغفر والكف عن طلب الثار والدم يسيل من جنبه فلما رأى القلابنيب انه صابر على الضيم الى هذا الحد حباً بحقن الدماء تنازلوا عن ثارهم اكراماً له واحلوه عندهم اياماً على الرحب والسعة . وامثال ذلك كثيرة

وكلهم بادية لا حضر فيهم لكن بعضهم يخالطون الحضر فيأتون سواكن ومصوع وكسله وبربر بالقر والغنم والابل والسمن واللبن والجلود والدوم والسناء ويعودون بالذرة والدمور والديبلان والانسجة المصرية والهندية للبسهم ولبس نساؤهم ﴿ ملابسهم ﴾ ولبسهم شقة من الدمور او الديبلان يرتدون بها بلا سراويل وهم ارشق من العرب في لبسها واكثر تشميراً والذين لم يزلوا على الحال الفطرية يلبسون الفراء في اصلابهم ويمشون حفاة او يلبسون نعلاً وكلهم عراة الرأس ولكنهم يتركون « كشة » في اعلاه على هيئة الطاقة ويدهنونها بالشحم او زيت الخروع ويمشطونها بمسواك من السن او الخشب فاذا فرغوا من التمشيط غرزوه في الكشة . وكلهم يرخون لحاهم وبعضهم لا سيما البشارين يخلقون عوارضهم وعثانينهم . وهم يتختمون بخواتم من الفضة او الذهب بفصوص من « حجارة الدم » او العقيق او الفيروز . ونساؤهم يلبسن الشقة وحدها او مع « القرباب » او يلبسن الفراء في اصلابهن . ويجدln شعورهن جدائل دقيقة جداً او يرخينها على الصدغين والعنق ويتحلين بالآخزما والاسورة والحجول والخلاخل والعقود والاقراس من الفضة والذهب كسائر نساء السودان . ﴿ سلاحهم ﴾ ولا يخرج الواحد منهم الا وفي يده قطعة او اكثر من السلاح . وسلاحهم الحراب والسيوف المستقيمة والسكاكين المتجلية ذات الحدين والدرق المستديرة . وسلاح فارسهم السيف يعلقه في مقدم السرج ويجعله تحت فخذه اليسرى . وسلاح راجلهم الحربه والسيف والدرقة والسكين يعلقها في وسطه بسير من جلاء . ﴿ مساكنهم ﴾ وهم يسكنون خياماً يصنعونها من البروش (الحصر) على هيئة ظه الثور والبروش تصنعها نساؤهم من سعف الدوم الكثير جداً في بلادهم . وهم يقتنزون الاسرة وهي شعب قصيرة تفرز في الارض على شكل مربع مستطيل وتوصل بقضبان دقيقة متقاربة وتفرش بحصر غليظة من ورق الدوم وتستعمل للجلوس والنام . وهم يقسمون خيامهم قسمين بستر من الصوف تنسجها نساؤهم على مثال نسي الحصر في مصر فيضعون السرير في قسم منها ويجعلونه خباء ويجعلون القسم الثالث لاستقبال الضيوف وجلس الرجال

﴿طعامهم﴾ وطعامهم الذرة يطحنونها بالمرحاة ويعجنونها بها ويصنعون منها عصيدة بقدر من الفخار فيأكلونها باللبن الحليب أو الرائب ويأكلون اللحم مسلوقة أو مشوية والدوم طرية أو ناشفاً مدقوقة وهذا جل طعامهم وأما مشايخهم الذين يحاطون الحضر فيصنعون اطعمة كأطعمة الحضر

﴿شرايبهم﴾ وشرايبهم ماء الآبار أو الخيران • والبوزة يصنعونها من الذرة • والدخان يشربونه في غلايين صغيرة من الطين وهم يتكلمون ويطبقون والغلايين في أفواههم

﴿أفراحهم﴾ وعادة البجة كمادة بعض السود في أن العريس يسكن مع أهل عروسه حتى تلد فيأتي بها إلى أهله • ومن عاداتهم أن يخص أبو العريس ابنه بشيء من ماله فيخص أبو العروس بنته بمثل على الأقل • والمرأة تنسج الحصر وتحوك ثملات الصوف وترعى الأبل ولكن يعاب عليها غسل الثياب ولا سيما ثياب زوجها فالزوج يغسل ثيابه وثياب زوجته أو يستأجر من يغسلها له • وهم إنما يقيمون النساء أحياناً على رعاية الأبل قصد حمايتها لأن الغزاة لا يهاجمونها ما دامت في عهدة النساء خوفاً من التعبير

﴿آلاتهم الموسيقية﴾ ولكل قبيلة منهم تقارة تضرب في الأفراح والمآتم كما تقرب في وقت الحرب وليس عندهم من الآلات الموسيقية إلا « الربابة » ولكن لكل قبيلة نغمة خاصة توقعها عليها وتحمس لها وعندهم الشعراء ينظمون لهم القصائد في مدح النساء والرجال فيغنونها على الربابة أو على ظهور الأبل

﴿مآتمهم﴾ ومآتمهم جلبة عظيمة إلا أن رجالهم لا يستسلمون للعواطف استسلام النساء بل يضع الرجل طرف ثوبه فيه ويعدد الميت بما ترجمته : وإخلاي • واتعبي بعدك • وأوحدتي • وأخلو ظهري • الليلة يا ضوبيتي • الليلة يا جملي • الليلة يا ذخرينا يا خريفاً يا ظلنا يا حبيب قسانا ونحو ذلك • ومآتمهم تدوم من ٣ : ٤٠ يوماً وحدادهم سنة كاملة يمتنعون فيها عن التطيب ولبس الحلى

﴿سلامهم﴾ وسلامهم المصافحة باليد • وخرافاتهم « شتى

الفصل الخامس

في

﴿ اخلاق عرب السودان وعاداتهم وخرافاتهم ﴾

﴿ اوصافهم الخلقية ﴾ لعرب السودان الاوصاف الخلقية المشهورة للعرب في كل زمان ومكان الا انهم اشد سمة واقسى شعراً من عرب الشام ومصر لشدة حرارة بلادهم وكثرة تسريهم من النوبة والسود . واما نساؤهم فيغلب فيهن اللون القمحي أو اللون الضارب الى الصفرة كلون تمثال الملكة « آمن ريتس » الاثيوبية في متحف الآثار المصرية بالجيزة

﴿ التشليخ ﴾ ثم ان الشايقية والجعلبين والعابدلاب من حضر العرب يشلخون وجوههم بقصد الزينة ولكل قبيلة منهم شلوخ معلومة فللشايقية ثلاثة شلوخ اقية على كل خد وللجعلبين ثلاثة شلوخ عمودية على كل خد وللعابدلاب على كل خد ثلاثة شلوخ عمودية تحتها شلخ افقي يسمى بالعارض . ومن كان وجهه عريضاً جعلوا له على كل خد اربعة شلوخ بدل الثلاثة والمرأة التي لا يعيش لها اولاد تشلخ وجنتهم ايضاً شلوخاً دقيقة كرجل الطير . ومن القبائل التي تتبع هذه العادة فتقلد بها القبائل الثلاثة المذكورة : النوبة البرابرة واهل بربر من الحضر والشكرية والضبانية والكبايش من البادية . اما زمن التشليخ فهو زمن الطفولية للذكور والاناث غير ان الذكور قد لا تُشَلَّخ وجوههم واما الاناث فلا بد من تشليخ وجوههن اذ الشلوخ في الوجه والوشم في الفم معدودان عندهم من الجمال

« فالشاب الجميل » في عرفهم هو من كان مربع القامة قمحي اللون واسع الصدر مجدول الخصر والذراعين طويل العنق منخفض الكتفين مشلخ الخدين صقيل الانف افلج الثنايا ادعج العينين مفتوح الحاجبين باسم الثغر نير الوجه شريف الخصال « والمرأة الجميلة » هي من كانت مربوعة القامة مع الميل الى الطول صفراء اللون طويلة الشعر غزيرة واسعة الجبين زجاء الحاجبين دعجاء العينين سادة

الاهذاب قنفاء الانف مع الميل الى التحدب لا كبيرة الفم ولا صغيرة عريضة الشفة السفلى موشومتها وموشومة اللثة مفلجة الاسنان بيضاءها مشلخة الخدين محفوفة الذقن طويلة العنق منخفضة الكتفين واسعة الصدر ناهدة الثديين رقيقة الخصر قصيرة الظهر مجدولة الساعد والساق رقيقة الاصابع بارزة الردين مجموعتهما صغيرة القدم رشيقة الحركة لينة الاعطاف اذا رقصت اثنت الى الوراء حتى يصل رأسها الى قدمها واذا مشت تمايلت كالغصن اذا حرّكه النسيم خفيفة الروح باسممة الثغر طلبة الحيا مصونة الحجاب جميلة الحركة اقبلت أو ادبرت

واجمل نساء السودان نساء الجزيرة روى لي بعض الادباء ان فقيهاً من اهل كردوفان بسمي عبد العزيز سمع بكرم الزير في بحر الغزال فقصده يريد منه نوالاً فأمر له الزير بجارية فلم تعجبه وقال « اني قصدتك لجارية عنقها طويل وردفها ثقيل وشعرها غزير وبطنها ضمير وسنّها كالجير وعينها كتب الغدير اذا مشت كأنها امير واذا وقفت نجب هذا الفقير » وأشار الى نفسه . فقال له الزير « عليّ الطلاق ان هذه الصفات لا توجد حتى في بنات الجزيرة » ثم نادي احد غلمانه وقال ائتوه بزيتونة فأتوه بها وكانت جارية جميلة فأعجبه فقال « قبلت زيتونة الصادقة المأمونة اللهم اجعلها كزيتونة المفتونة » فقال الزير خذها وخذ الاولى جارية لها فازداد عبد العزيز طمعا بكرم الزير وكان يده ركوة (ابريق ماء من جلد) فقال وهذه الركوة من يحملها لي فدعا الزير احد عبيده وقال احمل هذه الركوة لسيدك فحملها وذهب الفقيه بالثلاثة شاكرًا مسرورًا

﴿ اخلاقهم ﴾ اما اخلاق عرب السودان فهي ايضا الاخلاق المشهورة للعرب في كل زمان ومكان وهي حب الضيافة والكرم والمرؤة والشهامة وحب الغزو والتجدة والاخذ بالثأر ومراعاة الجار واحترام العرض والافتخار بالنسب ولكنهم اكتسبوا من جيرانهم السود العناد واحتقار الموت والصبر على مضض الايام مع شيء من بلاد الطبع ومن غريب اخلاقهم : انه اذا اتى الجذب واشتد الجوع اغلق الواحد منهم بابه على نفسه واولاده وانتظر الموت جوعاً ولم يسأل احداً خوفاً من التعبير بذل

السؤال . والمريض مها اشتدَّ ألمه لا ينطق بكلمة تدل على تألمه . وكذلك المضروب لا يدي أقل توجع مها اشتد عليه الضرب . والمسوق الى القتل لا يدي أقل جزع أو خوف . وإذا اظهر المريض أقل تألم أو المضروب أقل توجع أو المسوق الى القتل أقل جزع أو خوف عيروه وعيروا اولاده من بعده الى متهى الذرية . ومن هذا القبيل انه اذا كان احدهم سائرًا في الطريق وحدث خلفه غوغاء فلا يلتفت برأسه الى الوراء كمن دُعر ليرى ما الخبر بل يتحول بجميع جسمه دفعة واحدة وإذا تعرّض له كلب فنهشه من الوراء فلا يردّه عن نفسه بل يصبر على نهشه حتى تراه المارة فترده عنه .

ومن اكبر العيوب عندهم الفرار من القتل فاذا ارتكب احدهم جناية تستوجب القتل وقف في مكانه ينتظره بالتسليم وكامل الصبر . من ذلك ما روي ان رجلاً من الضبانية يدعى عبد الرسول كان متزوجاً بامرأة يحبها جداً وهي تكره احد اخواله فأوغرت صدره عليه فأخذ خنجره وقصد خاله فوجده يحلب بقرته فشرع في طعنه بالخنجر حتى قتله فامسك برجله اذ ذاك ومكث ينتظر القتل فحضر اخوة القتل وبكوه ولم يتعرضوا لابن اختهم اذ من العار عندهم ان يثار الرجل من ابن اخته أو يمسه بسوء فلما حضرت اختهم والدة عبد الرسول صاحت وولولت وحشت التراب على رأسها حزناً على اخيها ونادت بابنها قائلة ان كنت ابني وابن ابيك فلا تعش بعد قتل خالك فقال عبد الرسول لـ اخواله اقتلوني بثار اخيكم ولما أبوا اخذ خنجره وطعن به نفسه فوق ميتاً الى جانب خاله فهزّت امه يدها فوقه ارتياحاً وقالت حقاً انك ابني وابن ابيك ثم حملوا القتيلين ودفنوهما في حفرة واحدة . قلت وهذا الخلق اي عدم الفرار من القتل مروي عن الاثيوبيين القدماء كما سيجي في التاريخ

هذا ومن المعاييب عندهم الفرار من ساحة القتال جبنًا أو خوفاً فاذا دخل فارسهم ساحة القتال فقتل فرسه وانكسر قومه فهو لا يقاتل مستقلاً كمن وقع في فشل أو دعر من الخوف بل يفترش فروته ويجلس عليها الى ان يأتي العدو فيقتله أو يأسره . وهذا الخلق انما نراه في عرب النيل وشرق السودان وامثله في

التاريخ كثيرة اما عرب غربي السودان ففارسهم يقاتل حتى يقتل أو يفر
ومما هو مشهور من اخلاقهم فيدل على التبعة واحترام العرض انه اذا قصدت
امراة سيدا منهم فكشفت عن رأسها وتشفت له بأمرٍ وجب عليه قضاء ذلك
الامر أو بذل اقصى الجهد في قضائه مهما كلفه ذلك من المشقة والعناء
ومما يدل على حبهم للضيافة ان لهم في كل بلدة منزلاً خاصاً بالضيوف يسمونه
«الحلوة» فاذا نزل فيها ضيوف طبخت كل ربة بيت طعاماً وارسلته اليهم وذهب الرجال
لترتيبهم وتناول الطعام معهم . ذلك في الجزيرة وشرق السودان واما في غرب
السودان فكل منزل معد لقبول الضيوف واقرائهم من طعامه الخاص كثروا أو قلوا
وهم يتبارون في افراحهم على الخيل أو الهجن و يرفع السيف بالاصابع الثلاث
الاولى وذلك بوضع قبضته بين السبابة والوسطى والضغط على رأسها بالابهام ورفع
السيف اقباء وتري لهم في ساحة كل بلد حجراً يعرف بحجر الصبيان يتناظر الشبان
في رفعه بكليتي اليدين الى الصدر أو الكتف أو فوق الرأس ونحو ذلك من المناظرات
الرائجة في مصر والشام

﴿البطان﴾ ومن اشهر عاداتهم التي اصبحت خلقاً لهم عادة «البطان» وهي من
نوع الدوالو عند الافرنج فاذا تنافر شابان لسبب من الاسباب طلب احدهما الآخر
للبطان فان أبى عد جباناً ورفضت البنات زواجه واذا رضي اخذ كل منهما سوطاً
وعدا الى عنقريب (سرير) جعلوه بينهما ووقف الواحد تجاه الآخر ثم خلع كل
منهما ثوبه وتجرد الى وسطه واجتمع الناس للشهادة فيبدأ احدهما بجلد الآخر سوطاً
على ظهره ثم يصبر فيجلده رفيقه سوطاً وهكذا يتناوبان ضرب السياط وهما لا يتحركان
من مكانيهما بل لا يحركان كتفاً أو جفناً الى ان يقع احدهما من شدة الضرب
فيجعله اقاربه الى بيته فيزوره مصارعه ويصالحه . وهي من عوائد العامة فلا
تشارك فيها الخاصة ثم هي محصورة في اولاد ابي مرخة دون غيرهم من عرب السودان
ولكن تناول رفيقهم هذه العادة ففاقهم فيها . واهم اسبابها النساء فاذا احب شاب
فتاة فزاحمه آخر عليها طلبه للبطان واخذها الغالب

وقد يكون البطان لمجرد المباهاة بالقوة والجلد على الضرب فيدخل فيه اذ ذاك اكثر من اثنين ويكون على ضرب الدلوكة فكل من اراد البطان يأتي الى النساء اللواتي يضربن الدلوكة فيهرز سوطه فوق رؤوسهن ويقول « ابشرن بالخير انا اخو البنات عشرة » ويقف الكل صفًا واحدًا ثم يبرز احدهم فيضرب كل من في الصف سوطًا ويرمي السوط ويعود الى الصف فيبرز آخر فيتناول السوط ويفعل فعل الاول وهكذا حتى يأخذ كل منهم نصيبه ضاربًا ومضروبًا

واذا اعجبت فتاة بشاب من الحضور ووقع حبه في قلبها نزعت من معصمها سوارًا وألبسته اياه فأخذ الشاب اذ ذاك سوطه ويهرزه فوق رأسها ويقول « ابشري بالخير انا اخو البنات عشرة » فاذا كان له بين الحضور منظر في حب الفتاة ورأى سوارها في يده انبرى له وطلب مبارزته فيقف له حامل السوار واضعًا يده اليمنى فوق رأسه فيجلده بسوطه الى ان يكل فيرمي السوط فيجلده حامل السوار في نوبته بما اعطي من القوة ويقف المضروب في حالة الضرب جامدًا لا يتحرك ولا يطفئ له جفن كأنه صخر اصم ومن بدت عليه ظواهر التألم بل من بدت منه اقل حركة كهز الكتف أو طرف الجفن لبس العار ولم يعد له من البنات نصيب واذا احب شاب فتاة ولحظ من احد الحضور ميلاً اليها تأخذه الغيرة فيستل سكينه من ذراعه ويأتي الى حبيته ويهرز السكين فوق رأسها وينادي « ابشري بالخير انا اخو البنات عشرة » ثم يشرع في تشريط ساعده وصدره الى ان يقطع رأسها وثيابها بالدم فيأتي احد الحضور ويمعنه من ذلك ويأخذ النساء من دمه فيلطخن به جبين حبيته وهي تتمايل تيهًا ودلالاً معجبة باستهلاك حبيبها في حبها فتصدق الحب ولا تعود تلتفت الى احد سواه . وقد رأيت الكثيرين من الشبان مجرحي السواعد والصدور بسبب هذا الحب البربري . قيل وعشاق البادية لا يأكلون لحم الغزلان لانهم يشبهون حبيباتهم بها فلا يطيقون ذبحها أو تعذيبها واذا رأوا غزالة في يد صياد افتدوها بالمال واطلقوا سراحها . وفارسهم يتكنى باسم حبيته ويتباهى بحبها وعند اللقاء في الحرب يقتحم غمرات الموت بجواده وسيفه مسلول في يده وهو

بنادي « لعيني فلانة » على ما هو مشهور عند اهل بادية الشام
وعرب السودان شجعان في الحرب اشداء لا يهابون الموت ولكن شجاعتهم همجية
قل فيها التدبر والحكمة كاسلافهم الايثيوبين . ومن جملة اغانيهم التي تدل على
شجاعتهم واحتقارهم الموت :

غني شكره يا جدي بوحات بلال ود علي اسد الخلا القنات
وقت الموت يحى ال فوق السريرموات مرحوم ال يموت فوق كوكب الدركات
ومن قول بعض نسايمهم :

والله ان شردتوا يا رفاقنا ادونا الدرق وهاكم رهاطتنا

هذه هي اشهر اخلاق العرب في السودان وقد اثرت فيهم المظالم التي قاسوها
في زمن المهدي وقبلة فتخلق الكثير منهم بالمرء والخداع والتلميق والكذب والنميمة
والغدر والخيانة والانشقاق وغيرها من الصفات المشينة التي لا بد من تركها الآن
في حكم العدالة والشرع . هذا والعرب والسود متضادان في الطباع لا يمتزجان كالحل
والزيت . وقد اشتهر عن العرب الخلدص احتقار الصناعة والزراعة وعن السود
عدم العمل الا عند الاضطرار وعن الخلاسين المولدين بينهما الكسل وكره العمل
ملابسهم وهم يلبسون سراويل ضيقة ويشتملون فوقه بثوب من الدمور
او الدبلان اشمال الصماء او يلبسون قميصاً طويل الاكمام يعرف بالعري . وفي الافراح
والاعباد يلبس كبارهم القفاطين والجبب كاهل مصر . وهم يحلقون شعور رؤوسهم
ويدورون لحام ويخففون شعور عوارضهم ويتعممون بعمامة بيضاء فوق طاقة من
الدبلان او يلبسون الطاقة بلا عمامة واما كبارهم فيلقون العمامة على طربوش مغربي
او مكاوية . ويلبسون احذية من جلد اسود او احمر على قالب خاص شبيه بالقالب
المصري كما مر . ويتختمون بخواتم من الفضة او الذهب بفصوص من العقيق او
الفيروز او « حجر الدم » ويفضلون العقيق على الفيروز لانهم يعتقدون انه يقطع
الزحاف ولبسهم للذهب نادر . وقلما يخرج الواحد منهم الا وفي يده عصاً وسكين
واشهر عصيمهم عصي قصيرة دقيقة معكوفة كالصولجان تؤخذ من السلم او البشم

او غيرهما كما مرّ وقد تُثقب من طرفها المستقيم وتعلّق باليد اليمنى . واما سكاكينهم فهي قصيرة مستقيمة ذات حدين تعلّق في الساعد بسير من جلد

هذا لبس الحضرة واما اهل البادية فبادية الشرق عموماً يلبسون الثوب بسرّاويل من تحته او بلا سرّاويل وهو الاغلب ويلبسون نعلاً في ارجلهم او يمشون حفاة عراة الرأس ولا يخلقون شعور رؤوسهم بل يجدلون ضفائر ثخينة ويرمونها الى الوراء ويتركون شعر الناصية منفوشاً كالكشة فيغرزون فيها عوداً من العاج او الخشب لاجل مشطها وحك الرأس . ويدهنون شعور رؤوسهم بالشحم والزيت ويحملون العصي في ايديهم والسكاكين في اوساطهم وسكاكينهم معقوفة من وسطها كالمنجل . واما بادية الغرب فالبقارة يلبسون قمصة واسعة الاكمام جداً مقفلة الصدر بلا سرّاويلات ويتخزمون بسيور من جلد ويمشون حفاة عراة الرأس او يلبسون نعلاً في ارجلهم ويجدلون شعور رؤوسهم ضفائر كضفائر النساء الا انها اثنى ولا يتركون كشة كبادية الشرق لكنهم يدهنون شعور رؤوسهم بالشحم والزيت مثلهم . ولا يخرج الواحد منهم الا وفي يده حربة كبيرة تسمى كبساً او أم كريشة يلقها على كتفه وقد يحمل معها بعض الحراب الصغيرة المعروفة « بالطبايق » يضعها في كيس من جلد يسمى « بالتركاش » ويعلقها في كتفه . واما الأتالة فيلبسون الثوب بسرّاويل او بلا سرّاويل ويلبس مشائخهم القمصان الواسعة الا ان قمصانهم اقل اتساعاً من قمصان البقارة وانظف . وهم يجدلون شعور رؤوسهم ضفيرتين فقط ولا يتركون لها كشة في الناصية . اما مشائخ البادية الذين يخالطون الحضرة في الشرق والغرب فانهم يخلقون شعور رؤوسهم ويلبسون القفاطين والجلب والعائم ويتخمون بخواتم من الفضة بفصوص من العقيق أو الفيروز او « حجر الدم »

هذا لبس الرجال واما الاطفال ذكوراً واناثاً فانهم يبقون عرايا لا يسترهم شيء الى نحو سن الخمسة فتستر البنت اذ ذاك نفسها « بالرهط » . وهو سير من جلد يعقد حول الخصر تتدلى منه قدد دقيقة الى ما فوق الركبتين . وقد تلبس فوقه « شقة » من الدمر أو تبقى عارية لا يسترها الا الرهط الى ان تتزوج فتخلع

وتلبس بدلا منه فوطة كفوطة الحمام تعرف « بالقرباب » وفوقها شقة أكبر منها قليلا بجواش من حرير تعرف « بالقرن » وفوقها « ثوب » من الدمور أو الدبلان أو الشاش تشتمل به اشتمال الصماء وتستتر رأسها حتى لا يظهر منها إلا عيناها. والمقتدرات منهن يلبسن فوق الثوب « فركة » أو « برصة » من الحرير الملون

ونساء العرب من حضر وبادية يضفرب الشعر صفائر دقيقة ترخي على الصدغين والعنق كسائر نساء السودان ولكن للفتيات المتبرجات من نساء الحضر عادة في لبس الشعر تعرف « بالرشّة » وذلك بأن يرسلن أطراف الصفائر ويدهننها بالصمغ والشحم ويتركنها الى ان تجف فتقف حول رؤوسهن « كالكشّة » وهنّ بعدنّ لبسها في كل شهر . والنساء القصيرات الشعر يلبسن شعرا مستعارا من شعر الماعز أو غيره

ويلبس النساء الاحذية والنعال كالرجال إلا ان نعال النساء ادق واجمل ومنها نعال تسمى بالمُدُس أو المحبوكة وقد سميت بالمدس لانها تصبغ بقشره وهي عبارة عن سبع نعال مطرزة الحواشي مرصوفة بعضها فوق بعض ولها سيور من جلد منقوشة نقشاً جميلاً تشدُّ بها

واشهر حلّي النساء : الخواتم والاساور والحجول والعقود والاقراص والخزائم والعصائب والاقراط من الذهب والفضة والخرز . اما خواتمهنّ فاكثرها من الذهب أو الفضة محبوب عدسية أو مخروطية واما اساورهنّ فمن الفضة أو العاج أو المرجان أو السوميت والاساور الفضية أو العاجية عريضة جدّا وعليها نقوش بسيطة ولبعض الفضية منها حبوب مخروطية الشكل تزيد في ضخامتها . واما حجولهنّ فاكثرها من المرجان أو الفضة اما الفضية فضخمة للغاية وهي اما مجوفة توضع فيها الحصى ليسمع لها زنين عند المشي أو مصمتة وقد يبلغ وزن الواحدة منها نحو ٢٠ ريال فضة أو أكثر . وزني اساورهنّ وحجولهنّ كزني الاساور والحجول في تمثال الملكة « آمن ريتس » الاثينوية في متحف الآثار المصرية بالجيزة بل هنّ في لبس الشعر بزني الرشّة ويلبس الحجول والاساور ونعال المدس على ما تقدم وصفها يمثلن لبس نساء المصريين

القدماء تمام التمثيل . واما عقودهن فمن الذهب وحده تصاغ من قطع مرعبة صغيرة
أو من السوميت والذهب أو من الخرز الملون أو اليسر أو المرجان . واقراصهن
طاسات صغيرة من الذهب تلبس في قمة الرأس وتتدلى منها خيوط ذهبية على
الصدغين . وخزائمهن حلقات كبيرة من الذهب يلبسها في الخنابة اليمنى وقد يجعلن
لها أزيمة من الذهب تشد الى الاذن لرفع ثقل الخزامة عن الانف . واما عصائهن
وهي حلى الجباه فأشهرها نوعان الشريف والارملي . اما الشريف فهو عبارة عن ست
قطع مستديرة محببة من الذهب الواحدة منها في حجم الجنيه الا فرنجي منظومة في
سلك وفي وسطها « ودعة » من الذهب بهيئة رجل الطائر تتدلى بين الحاجبين .
واما الارملي فهو سلسلة من خيوط ذهبية في وسطها قطعة محببة من الذهب كالتى في
الشريف . واما اقراطهن فمن الذهب والفضة ومنها نوع يعرف بالسكسي مؤلف
من حلقة كبيرة واربع حلقات صغيرة

ومن حلى النساء : « الحقو » وهو سير دقيق من جلد منظوم فيه خرز من
الكهرباء والعقيق الاحمر والسوميت يلبس تحت القرباب حول الحقوين وفي كل حقو
كرتان مجوفتان من الفضة أو الذهب توضع فيهما حصى صغيرة ليسمع لهما رنين عند
الحركة وهو الغرض الاول من لبس الحقو الذي لا بد منه لكل امرأة متعة
« والحجاب » وهو عود مجوف من العُشَر يوضع فيه حجاب ويشد من طرفيه
بسير من جلد ويعلق في الرقبة فيتدلى الى ما فوق الركبتين . ونساء الخاصة يجعلنه
بالذهب والفضة ويجعلن له سلسلة من فضة فيسمى اذ ذاك بالحجاب الهيكلي .
والغرض الاصلي منه منع الثوب من الالتصاق بالجسم اذا هبت الريح . واما تعليق
الاحجية فيه فالتبرك ودرء العين . ونساء الجزيرة يستغنين عن عود العشر فيعلقن
في رقابهن مجموعة من الاحجية شبه العقود تسمى الرّبيجة تتدلى الى ما فوق
الركبتين . هذا ويحظر على البنات لبس الاخزامة ووشم الشفاه حتى يتزوجن
﴿ الروائح العطرية ﴾ وعرب السودان عموماً نساء ورجالا حضراً وبادية
يدهنون رؤوسهم واجسادهم بالشحم والسيرج لتخفيف وطأة الحرّ ويتطيّبون بالروائح

العطرية واشهر هذه الروائح عندهم : المسك والزباد والجلاد والمحلب والظفر والسنبل والقرنفل والصندل . واحب المركبات العطرية اليهم مركب سائل يسمى الخُمرة مؤلف من مقادير معينة من المسك والجلاد والزباد والقرنفل تذاب بماء خشب الصندل وتخمّر وتحفظ في احقاق هندية محكمة الغطاء . اما الصابون فقلّ من يستعمله ولا سيما من اهل البادية فان اهل البادية الشرقية يغسلون ثيابهم ببول البقر واهل البادية الغربية يغسلونها بقشر الاهليج

﴿ الدلكة ﴾ ومن اشهر عاداتهم « الدلكة » وهي بمثابة الدلك في الحمامات التركية فهم يأخذون شيئاً من عجينة الذرة فيدوفونه بالماء حتى يصير كالصعيدة ويجمدونه قليلاً بوضعه على الدوكة فوق النار ثم يجعلونه في قدر ويوقدون ناراً من خشب الطلح والشاف والكليت في قدر آخر ويكفأون القدر التي فيها العصيدة على القدر الموقدة فيها النار حتى تجف العصيدة وتتدخن برائحة الاخشاب المذكورة فيعجنونها بمعجون الدلكة ثم يقرصونها كتلاً صغيرة ويدلكون بها . اما معجون الدلكة فهو مؤلف من دقيق القرنفل والمحلب وخشب الصندل والظفر ويعرف بالمربوع ويضيفون اليه اللبان أو السنبل فيسمى بالمخموس . ويضيف الخاصة اليه الجلاد والزباد والمسك ويعرف بمعجون الخاصة . وهم يدلكون اجسادهم في كل صباح ومساء قبل النوم وبعده ثم يتطيّبون « بالخمرة »

وذكر بعض الاطباء عدة فوائد صحية للدلكة منها انها تقوي الاعصاب وتقلل الافراز الجلدي وتزيل شعر الجسم وتكسبه ملاسة وبالنتيجة ترطبه وتخفف حرارته لان الاجسام السوداء شديدة القابلية لامتصاص الحرارة فتمتد عكست اشعة الشمس وقلت قابليتها لامتصاص الحرارة

ومن قبيل الدلكة « التعصير » وهو غمز الجسم باليدين بلا دلك فهو مختصر الدلكة . اما عمل الدلك والتعصير للنساء والرجال فمنوط بالجواري

﴿ التدخين ﴾ ومما اختص بالنساء دون الرجال « التدخين » وهو بمثابة الحمام لهن وهذا الحمام عبارة عن غرفة كثيرة النوافذ في وسطها حفرة صغيرة والى احد جوانبها

دكة عالية فاذا ارادت المرأة التدخين اوقدت في الحفرة ناراً من خشب الطلح او الشاف او الكليت او غيره من الاخشاب الطيبة الرائحة وسدّت نوافذ الغرفة نافذة واحدة لخروج الدخان ثم تجرد من ثيابها وتمسح جسمها بالسيرج وتشتمل بشملة من الصوف وتجلس على حافة الحفرة ورجلاها ممدودتان على عود فوق الحفرة وتبقى على ذلك الى ان تنطفئ النار فيجى جسمها ويتحلب العرق منه صيياً فتقوم وهي لا تزال مشتملة بشملتها فتستلقى على الدكة وتفتح النوافذ واحدة بعد الاخرى حتى يخرج الدخان ويجفّ العرق تدريجاً فتأتي احدى الجواري وتلكها وتطيبها بالخمرة . ومن خصائص التدخين انه يكسب المتدخنة لونا اصفر ورائحة عطرية مستحبين جداً عند عرب السودان وهو نافع بنوع خاص لمرض المفاصل والامراض العصبية

﴿ سلاحهم ﴾ وسلاحهم السيوف والحراب والفؤوس والدرق وبعض انواع الاسلحة النارية . اما سيوفهم فمستقيمة ذات حدين وكلها جلب من الخارج وعلى بعضها ايات من الشعر اكثرها من البردة . وقد ظفرت في واقعة ام درمان بسيفين جميلين مكتوب على احدهما البيت الآتي :

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الاطم
وعلى الآخر هذان البيتان :

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقاً فما تفرّق بين الهم والبهم
ومن تك برسول الله نصرته ان تلقه الاسد في آجامها تجم
اما تاريخ السيف الاول فهو سنة ١٣٠٣ هـ وعليه اسم احمد حسين الفيل واما تاريخ الثاني فظاهر الكتابة يدل على انه سنة ١٢٣ هـ ولكن الأرجح انه سنة ١٢٠٣ هـ على ان في السودان سيوفاً كثيرة يدعي اصحابها انها من ايام الصحابة او اقدم ومنها سيف للملك آدم احد ملوك جبال تقلي الاقدمين ادّعى انه سيف الزبير ابن العوام . وعند اولاد حمور من اهالي دقلة العجوز سيف ادعوا انه من زمن المسيح . وقد رأيت بين غنائم الجيش في فرقة سنة ١٨٩٧ سيفاً مكتوباً عليه هذان البيتان :

دهر ذمهم الحاليتين فلا به حرّ سوى هذا بن بادي محمد
دفع الخطوب عن الانام بعزمه ورعى العباد بمقلة لا ترقد
وتاريخه سنة ١٢٠٥ هـ واما بادي المذكور فهو احد ملوك سنار الاقدمين الذي ملك
في سنة ١٢٠٥ هـ كما سيحي

اما « حراهم » فهي عصي طويلة من خشب القنا أو السلم أو الاندراب أو
البشم ذات نصال حادة تصنع في جميع البنادر على اشكال شتى يجمعها شكلان
المسطح اليبضوي والمستدير المسنن ومنها الكبير ويسمى الكبس والصغير ويسمى
الطبايق وهي تحمل في جعبة تسمى التركاش وكلها من سلاح البادية

« ودرهم » اما مستديرة وتستعمل في السودان الشرقي أو يبضوية وتستعمل في
السودان الغربي وهي تصنع من جلد فرس البحر أو جلد الفيل أو الزراف أو الجاموس البري
واما « الاسلحة النارية » فلم يكن منها في السودان قبل الفتح المصري الا القليل
واكثره من الطرز القديم « بزناد وشطفة » المعروف بالارشليك . وبعد الفتح المصري
اقتنى العرب البنادق « البيادة » من طرز بندق ابرهيم باشا . والبنادق « الخشخان »
الكبيرة التي عرفت عندهم برفع مدفع وقد استخدموها لصيد الافال . وفي الثورة المهدية
وقع في يدهم كثير من المدافع والسواريج والبنادق الرمتون و بعض بنادق مرتين
ولكن الحكومة الجديدة استرجعتها منهم

اما « القسي والنبال » فلا يستعملها العرب لكنهم يصنعونها في بنادرهم للاتجار
بها فيصنعون القسي من خشب الزان أو الحديد المرن والنبال من اغصان
السلم أو البشم لصلابتها ومرونتها ويجعلون لها نصالاً يسمونها بعصير بعض النباتات
السامة المار ذكرها

وهم في الحرب يركبون الخيل والهجن بسروج تختلف عن سروج الخيل والهجن
في مصر والشام وسيأتي وصفها . وسلاح هجانهم السيف يعلقه في مقدم السرج عن
الشمال والدرقة عن اليمين . وسلاح فارسهم السيف يعلقه في مقدم السرج عن
الشمال والفرار عن اليمين والكبس يلقيه على كتفه والطبايق في التركاش يعلقها في

مؤخر السرج ويلبس درعاً أو قميصاً من الزرد المنضد فوق اثوابه وفوقه « شاية » أي
 « مضرية » محشوة قطناً وخوذة من الحديد على رأسه لها « تلي » أي عذبة من
 الوراء تستر العنق « وسن » من الامام يقي الوجه . وجريدتين (قفازين) من الجلد
 والزرديلبسهما يديه ويلبس فرسه اللبوس وهو مضرية محشوة قطناً تسترهُ من
 رأسه الى ركبهِ حتى لا يظهر من وجهه الا عيناهُ ومن قوائمه الا ما بين الركب
 والحوافر . وسلاح راجلهم السيف والدرة في الحضر والحراب والدرة في البادية
 ﴿ مساكنهم ﴾ واكثر ابنية الحضر بالطوب النيّ أو بالطين المعروف عندهم
 بالجالوس وقل من يبنى بالطوب المحرق وغالب بيوتهم مربعة الشكل مسطحة
 السقوف يسقفونها بخشب النخل أو الدوم أو السنط أو الطرفا أو الصباغ ويجعلون
 فوقها شبكة من حبال الشعر أو الحبال المصنوعة من دقيق الدوم مصبوغة اسود ثم
 يغطونها بالبروش ويضعون فوقها « المطارق » أي العصي والييس ثم الطين المصنوع
 من الزبل والتراب على نسبة الثلثين من الزبل والثلث من التراب يوضع فيه الماء
 عدة ايام حتى يخمر فيطينون به السقف والجدران الاربعة لمنع الوكف ووقايتهم من
 الامطار . وفي دقلة حيث يقل وقوع المطر لا يطينون السقوف ولا الجدران
 ولكنهم يرفعون السقوف برمتها على حجارة نحو شبر لوقايتهم من الارضة . وكلهم يطينون
 اراضي منازلهم بالطين والرمل أو لا يطينونها ويبيضون جدرانها أو لا يبيضونها وهو
 الغالب . وجميع منازلهم سفلية فلا يبنون دوراً عالية ولا مآذن لجوامعهم الا في النادر
 ولا يتخذون كنفاً الا في المدن الكبيرة . ولكنهم يحيطون بيوتهم في الغالب بجدار
 من شوك فيسمونه زريبة أو من خوص فيسمونه صريفاً أو من طين أو طوب نيّ
 فيسمونه حوشاً والحوش لا يكون الا مربعاً أو مربعاً مستطيلاً . فاذا اراد احدهم من
 ذوي اليسار ان يبنى منزلاً تاماً لنفسه يعمد الى قطعة مربعة من الارض فيحيطها
 بحوش علوه نحو قامة ويجعل له باباً واحداً ثم يقيم في وسطه حائطاً فيجعله حوشين
 حوشاً للنساء وهو الحوش الداخلي وحوشاً للرجال وهو الحوش الخارجي ويفتح في
 الحائط باباً صغيراً يدخل منه الحوش النساء حيث يبنى منازل لنسائه وجواربه

واسطلاً لركائبه ومخزناً للحبوب ومطبخاً وبيت خلاء ويبنى عند الباب غرفة لجلوس
الخصيان تسمى بالدهليز الدخلائي وغرفة بالقرب منها لجلوسه مع نسائه . ويبنى
في حوش الرجال عند الباب غرفة لجلوس العبيد الخدم تسمى بالدهليز البراني وفي
صدر الحوش ديواناً لجلوسه مع زائريه له دكة من طين يفرشها بالبرش والسجاد
وعن جانبي الديوان غرفاً يضع فيها بضائعه ان كان تاجراً ويجعل امام الديوان
« راكوبة » لجلوسه مع زائريه في الصيف وعلى جوانب الحوش من داخل منازل
للضيوف وبيت خلاء وعلى دائره من الخارج غرفاً لعبيده . وقد يبنى صفاً من
الغرف بقرب المنزل فيجعلها خلوة للضيوف . وهذا غاية ما يبلغه منزل الحضري
العربي في السودان

هذا بشأن المنازل المربعة السقوف المبنية من طوب أو من حجر وطين
وكما على النيل الكبير واما اهل النيل الاعلى ومعظم اهل السودان الشرقي والغربي
فان اكثر منازلهم اكواخ مخروطية الشكل كاكواخ السود لانها هكذا امنن واقدر
على تحمل المطر الذي يكثر وقوعه في بلادهم وهم يصنعونها من اليبس والطين فمنها ما
دائره من طين وقبته من ييبس وهو الدُرْدُر ومنها ما دائره من ييبس وقبته من
يبس وهو القطية ومنها ما يستخدم للطبخ ويسمى طقل وقد يطلق الطقل على كل كوخ *
ومن اكواخهم ما يسمى ظهر الثور أو الكرنك يبنونه من اليبس والبروش على شبه
ظهر الثور أو القبوة . ومنها ما يسمى الراكوبة وهي بناء مربع مستطيل من اليبس
والحطب له سقف مسطح وثلاثة حيطان * اما اليبس الذي يستعملونه للبناء فهو ييبس
اللدرة والحريب والحلفا المتقدم ذكرها . والنال وهو شبه الحريب الا انه اشد ياباً
ولا رائحة له . والشمام والتبس وهما يشبهان سوق القمح . والصميمة وهي تشبه الحلفا
هذا كله في مساكن الحضرة واما اهل البادية فانهم يسكنون خياماً من الشعر
والبروش اكثرها على هيئة ظهر الثور
* اثاثهم * اما اثاثهم فأشهره :

« العنكريات » مفردها عنكريب وهي اسرة من خشب مشدودة قوائها

الارباع بسيور من جلد البقر أو بجمال من سعف النخل أو اللوم تفرش بالسجاد أو البروش وتستعمل للجلوس والنام وقد يصنع لها كلة من نسيج الخوص لائقا، البعوض تعرف « بالكجرة »

« والبنابر » مفردا بنبر وهي كراسي صغيرة واطئة تشبه الكراسي المستعملة في قهاوي مصر والشام

« والكراسي » وهي بنابر بمسندين لليدين ومسند للظهر على نحو الكراسي الافرنجية تصنع من خشب الجوغان أو السنط

« والككر » وهو الكرسي الذي يجلس عليه ملوكهم اخذوه عن السود وهو عبارة عن قطعة من جذع شجرة متينة الخشب محفورة من أعلى ومن أسفل بحيث يكون لها مسندان لليدين من أعلى وقاعدتان من أسفل

« والاجربة » من جلود الماعز والضأن والابقار والغزلان تحفظ فيها الحبوب ولا سيما في الاسفار ويعرف الجراب الصغير بالقفل ويستعمل للثياب والدرهم

« والقرب » من جلود الماعز تستعمل لنقل الماء كما في مصر . وقد تصنع من جلود البقر وتعرف بالسقا أو الراوية اما القربة الصغيرة فتعرف بالسعن

« والرحاية » وهي رحي اليد ولكنها قلما تستعمل في غير بلاد دقلة « والمرحاة » وهي آلة للطحن خاصة بالسودان وقد تقدمت الإشارة اليها

وهي حجر اسود مسطح طوله نحو ذراع وعرضه نصف ذلك ومعه حجران يضاوبا الشكل يقال للواحد الجراش وللآخر الرداد طول الواحد منها نحو شبر اما الرداد

فتخنه بثخن الساعد والجراش اثخن منه قليلاً . واما كيفية الطحن بها فهي ان يوضع الحجر الكبير على سطح مائل وفي اسفله قدح فتركع الجارية عند طرفه

الأعلى وعن يمينها الحب المراد طحنه وفي يدها الجراش فتأخذ من الحب شيئاً فشيئاً وتلقيه على الحجر الكبير وتسحقه بالجراش صعوداً ونزلاً فيسقط في القدح دقيقتاً

فتبله بالماء وتعود فتطحنه بالرداد الى ان ينعم جيداً فتجعلهُ على النار وتعملهُ عصيدة كما سيجي

« والدوكة » وهي آلة للخبز شبه الصاج تصنع من حجر الهمر الكثير الوجود في السودان وهو حجر هش كالخفان يسحقونه دقيقاً ثم يعجنونه بالماء ويجعلون منه أقراصاً مستديرة شبه الصاج ويتركونها حتى تجف ثم يجعلون في كل قرص قطعة من الدهن ويضعونه على النار نحو ساعة حتى يتشرب الدهن كله فيتركونه يبرد ثم يعيدون ذلك ثلاث مرات فيمتن الحجر ويملس ويصبح صالحاً للخبز فيخبز عليه كما يخبز على الصاج

« والاقداح » الحشبيّة وهي آنية للطعام والعجن ونحوها وقد تقدم ذكرها « والمكبّات » وهي اغطية الاقداح تصنع من سوق القمح على شكل مخروطي وتلّون وتزين بالجلود المدبوغة

« والاطباق » تصنع من سعف الدوم ويوضع عليها الخبز والوان الاطعمة « والبروش » تصنع من سعف النخل والدوم وتستعمل بدل الحصر عندنا « والفندق » وهو هاون كبير من خشب يدي من خشب تدق به الحبوب لخراج نخالتها . « وحجر الرائحة » أو « حجر الدلكة » وهو هاون صغير من حجر يدي من حجر تدق به الروائح العطرية ومركبات الدلكة . « والمدق » وهو هاون من خشب يدي من حجر يدق به البن

« والجبنة » وهي ابريق من فخار تغلى به القهوة « والشرعرع » وهو فنجان مربع من خشب يرافق الجبنة له يد يمسك بها وفم تصب منه القهوة اما قهوة الجبنة فتصنع هكذا : يحمص البن بتحريكه في قدح مع الجمر ويدق في هاون الى ان ينعم وفي اثناء ذلك يغلى الماء في الجبنة فيوضع البن فيها الى ان يفور فيسكب في الشرعرع ثم يعاد اليها ويوضع على النار مع قليل من الماء حتى يفور ثانية وهكذا على ثلاث مرّات فتسكب في فناجين كبيرة تعرف باليشة وهي من الدّ انواع القهوة

« والكبايات والفناجين » من قرن الخريت وهم يزعمون ان الفنجان المصنوع منه كاشف للسم فاذا سكبت القهوة فيه طفي السم على وجهه

« والقرع اليابس » تقطع القرعة فلتين بعد قطع عنقها فتجعل كل فلة منها اناءً للشرب • أو تترك على حالها ويثقب عنقها من اعلاه فتستعمل آنية للسمن أو اللبن وتسمى « البُخْسة »

« والبرم » مفردھا بُرمة وتشبه البلاص المصري الا ان فيها اوسع
« والكتوش » أو دوكة الملاح وهو قدر من فخار للطبخ وهم يستعملون ايضاً
قدور النحاس المصرية

« والجُرُّ » وهو الزير ومنه نوع كبير يخزن فيه الذرة يسمى « القوسية »
« وغلايين الدخان » وقد تكون كلها من حجر أو تصنع رؤوسها من حجر
وعيدانها من فروع بعض الشجر

« والسروج » اي سروج الخيل والابل والحمر وهي تختلف قليلاً عن السروج
المصرية والشامية • اما سروج الحمر فكل منها قربوسان عريضان أو مسندان في
شكل واحد يوضع على وسادة من بيس النال مما يلي ظهر الدابة وتشد اليه وسادة
من قطن وفوقها فروة من جلد الضأن • واما سروج الخيل فتصنع من خشب الجوغان
أو الاندراب ويجعل لها قربوس من امام ومسند من وراء وتلبس بجلد العرد
وتزين بالفضة والذهب وتجعل لها رُكْب ضيقة حتى لا يدخل فيها الا ابهام الرجل
وسبابتها • واما سروج الابل فسروج الحمل منها كالسروج المصرية واما سروج الركوب
فيعرف واحدها بالمخلوفة وله مقعد مقعر من خشب الجوغان أو الاندراب وقربوسان
في مقدمه ومؤخره وله وسادتان مما يلي ظهر الحمل وفروة من جلد الضأن توضع
عليه عند الركوب • اما سروج الثيران فهي عبارة عن اكياس محشوة بالبيس
مصنوعة على هيئة السرج

﴿ طعامهم ﴾ وطعامهم الذرة والدخن وقلما يأكلون الرز والقمح اما الدخن فهو
طعام اهل السودان الغربي واما الذرة فالفترية طعام اهل الجزيرة والكرجي طعام
اهل السودان الشرقي والمُقْدُ أو عيش السواقي طعام اهل بربر وكل قوم يطعمون
بهاثمهم الحب الذي يأكلونه الا في دقلة فانهم يأكلون القمح ويطعمون خيلهم الشعير

وهم يطحنون الحبوب بالمرحاة أو يبلونها ويعجنونها بها ويصنعون من دقيقها « العصيدة » ومن عجينة « اللقمة » هكذا : يغنون الماء في قدر على النار ويلقون الدقيق فيه شيئاً فشيئاً ويحركونه بمسواط حتى ينضج فيكون منه العصيدة • ويدوفون العجين بالماء ويصبونه في الدوكة فوق النار ويحركونه حتى يجمد فيكون منه اللقمة • أو يدقون الحبوب بالفندق ويلقونها في الماء فتطفو النخالة ويرسب الدقيق فيعملون منه عصيدة على النار تعرف « باللقمة الجيرية »

وهم يخبزون عجينة المرحاة على الدوكة أرغفة سمكة تعرف « بالقراصة » وقد يطعمونها في الرماد بعد خبزها فتعرف « بالمطالة » • وفي الاسفار والافراح يخبزون أرغفة كبيرة يقال لها « الرضاف » : يجعلون مقداراً كبيراً من الدقيق في قدح ويسكبون عليه الماء شيئاً فشيئاً وهم يدوفونه بمسواط حتى « يخرج عرقه » ثم يوقدون حطباً كثيراً في بقعة رملية ويتركونه حتى يصير جمرًا فيفصلون بين الجمر والرماد ويضعون العجين في الوسط ثم يغطونه بالرماد ويغطون الرماد بالجرم ويتركونه قليلاً فيخرج رغيفاً نظيفاً يستمرئون أكله وهم يكبرونه أو يصغرونه حسب المطلوب وقد يكفي الرغيف الواحد من الرضاف مئة نفس أو أكثر • وهم يصنعون الشعيرية من عجينة المرحاة فيجيدون صنعها جداً ويستعملونها بدل الرز

وأكثر أكلهم من الخضر البامية والويكة واللويا والبصل والملوخية ومن اللحم لحم البقر ثم لحم الابل وأكلهم للحم الضأن قليل ومنهم من يأكل لحم الهرة ويعتقد أنه يظل عمل السحر • وهم يشرّحون اللحم شرائح طويلة رقيقة ويقددونها ويخزنونها للطبخ ويسمون « الشرموط » • ويستخدمون للطبخ السمن والسيرج أو زيت السمسم • ويأكلون اللحم نيئاً ومشوياً وأشهر ما فيه عندهم الكبد ولا سيما كبدة الابل • قال موسى باشا أحد ولاة السودان السابقين « فواكه السودان ثلاث : الدلكة والعصيدة الجيرية وكبد الابل »

وأشهر بهاراتهم وأشهاها اليهم « الشطة » وهي قرون صغيرة حمراء تشبه قرون الفليفلة الحمراء في اللون والطعم وتزرع في كل جهات السودان • والشيبة وهي نبات

الافستين يؤتي بها من بلاد الهند والحجاز ممزوجة بورق كورق الريحان يعرف بالمرسين • ومن بهاراتهم الكمون والكزبرة والشمر وهي تزرع عندهم والفلفل والقرقة والزنجبيل وجوز الطيب والخولنجان وكلها جلب من الخارج • وعندهم مركب من البهارات كثير الاستعمال يعرف بالدوا مؤلف من الشببة والمرسين والكمون والكزبرة واشهر انواع الادم عندهم : « ملاح الثقيلة » أو « ملاح أم دقوقة » وهو

طعام من لحم طري أو مقدّد وبامية مقددة وبصل مقلية بالسمن أو السيرج . « وملاح الشرموط » وهو طعام من لحم مقدّد وبامية مقددة وبصل مقلية بالدهن . « والسلات » وهي لحمة محمرة على الدوكة بالملح والشطة والدوا على شبه الكباب

المصري وهي من اشهى الاطعمة اليهم ولا سيما الى شاربى الحمرة « وطبيخ البامية أو اللويا أو البصل » وهو لحمة طرية بالبامية أو اللويا أو البصل مقلية بالسمن • ومن ادامهم اللبن حلياً أو رائباً والسمن وحده أو ممزوجاً بالسكر وهم يجعلون العصيدة أو اللقمة أو الكسرة أو القراصة في قدح من خشب ويسكبون فوقها نوعاً من الادم ويضعون القدح على برش في الارض ويجلسون حوله القرفصاء أو مربعين أو على ركبة واحدة ويأكلون بالاصابع الثلث الاولى ويدعون المارة في الطريق الى الطعام اذ يعاب على الرجل ان يأكل طعامه وحده كما يعاب على من يأكل في الشارع أو في السوق

ووجبات الاكل عندهم ثلاث : « الفطور » يتناولونه عند شروق الشمس « والغداء » من الضحى الاعلى الى الظهر « والعشاء » عند الغروب • وأهم ما يتناولونه في الفطور العصيدة أو اللقمة عليها اللبن حلياً أو رائباً أو السمن والعسل أو السمن والسكر أو الشعيرية مطبوخة بالحليب أو بالسمن والسكر ومنهم من لا يتناول في الصباح الا طعاماً لم تمسه النار كالبلح والحليب ومن اقوالهم « من فطر طعاماً بلا نار كفاه الله شرّ ذاك النهار » على ان غالبهم لا يعتني بأكل الصباح بل يأكل في الضحى الاعلى ثم في الغروب • وأهم ما يتناولونه في الغدا العصيدة أو اللقمة أو الكسرة أو القراصة وعليها الادم . وفي العشاء الكسرة مع الادم

وهم يقدحون النار بجك خشبة على خشبة اخرى أو بضرب قطعة من الفولاذ على حجر أو بضرب حجر عليها ويتلقونها في الاحوال الثلاث بقطعة من الصوفان أولب الخوص أو خرقة ملوثة بالرماد أو البارود

﴿شراهم﴾ وهم يشربون ماء النيل والآبار كما هي بلا تصفية ويشربون الشاي والقهوة وافضلها قهوة الجبنة المتقدم وصفها

ويشربون الدخان بغلايين طويلة أو قصيرة أو يعضغونه مضغاً بعد اضافة قليل من النطرون اليه وهو المعروف عندهم « بالسففة » فيضع الواحد منهم سفة تحت لسانه ويشرع في البصاق حتى يملأ الارض من حوله • ويسحقون ورق الدخان ويضيفون اليه شيئاً من النطرون أو الجردقة ويستعملونه نشوقاً

وهم كسائر اهل السودان مغرمون بشرب الحمرة إلا ان الكثير منهم يمتنع من شربها تديناً • وهي تستخرج من البلح والذرة والدخن وتخمر بواسطة الزراع • اما الزراع فهو الذرة تُنشر على برش في الشمس وترش بالماء حتى يعلو نبتها عن الارض نحو شبر فيمنع عنه الماء الى ان يجف فيطحنونه بالمرحكة ويدخلونه في جميع المشروبات التي اشتهرها أم بلبل والمريسة أو البوزة والابرية والسورج والحلومر والحسوة • اما أم بلبل فهي عصيدة مائعة من دقيق الذراع • واما البوزة أو المريسة فهي عصيدة من الذرة يضاف اليها شيء من الزراع وتوضع في زير نحو يومين حتى تخمر وهي اشتهر مشروباتهم واشهاها اليهم وتعرف في بربر ودقلة بالبوزة وفي بلاد النيل الازرق بالمريسة • واهم الاطعمة التي تؤكل مع البوزة الكبد والكرشة والفشة والبصل تُغمس بدقيق الشطة والملح مذاً بالليمون الحامض • اما الابرية فهو خبز رفيف من دقيق الذرة يبل بالماء او بمذوّب السكر وهو شراب لطيف مبرّد الى الغاية • وكيفية عمله ان يذاب جزء من دقيق الذرة المنخول في جزئين من الماء ويضاف الى المزيج قليل من الكمون والزراع ويترك يوماً كاملاً الى ان يختمر فيخبز رقاقاً على الدوكة ويفتت ويخزن لوقت الحاجة واكثر استعماله في زمن الحرّ والاسفار

واهم المشروبات المستخرجة من البلح : العرق يستخرجونه بالانبيق كما

يستخرج العرق من العنب في بلادنا • والنبذ ويستخرجونه هكذا : يلون البلح في انا، من فخار ويصفونه ويضيفون اليه مزيجاً من بهارات الفلفل والزنجبيل والقرقة والحريب وحب الهان ويطمرونه في الارض من ٢٠ : ٢٥ يوماً حتى يختمر فيشربونه نبيذاً ولا يعمل الا في بلاد ود قمر والرباطاب • والشربوت وهو النبذ مخمراً بزراع الذرة وهو شراب مسكر الا انه من ألد مشروباتهم

ثم ان الخاصة من اهل السودان يستخرجون مشروباً لطيفاً من الرز يسمونه « شراب السوية » وذلك بأن يغلى دقيق الرز أو القمح ويمزج بمنقوع التمر الهندي على نسبة معلومة ثم يصفى ويذاب فيه السكر أو عسل النحل ويحفظ في آنية من فخار وهو شراب لذيد مبرّد الى الغاية

ولعرب السودان صبر على الجوع والعطش فقد يسير العربي مسافة يوم في الصحراء على حفنة من الذرة وجرعة من الماء واذا جاع ولم يجد طعاماً شدد حزامه على وسطه ووضع حجراً على معدته واحتمل الجوع بصبر غريب لكنه اذا وجد الاكل اكل ما يكفي ثلاثة رجال • وهم في السفر يأكلون التمر والذرة مسلوقة أو نيئة والابرية غذاء ومشروباً يضعونها في اجربة ويحملونها على الجمال أو الحير • ولهم عناية خصوصية بنظافة اسنانهم نساء ورجالاً فهم يحملون في جيوبهم عيداناً من الاراك أو من اللعوت أو جريد النخل للاستياك بها وذلك من أحسن خصالهم التي تدل على نظافتهم

﴿ افراحهم ﴾ وسن الزواج عندهم من الخمس عشرة سنة فما فوق للرجال ومن العشر سنين فما فوق للنساء • ولا بد للطالب من رؤية البنت التي يروم خطبتها ولو بالحيلة فاذا حسنت في عينه سعى في استرضاء اهلها خصوصاً والدتها وعقد الخطبة بالقول • ثم يذهب اقاربه الى بيت ابيها في يوم معين لكتب الكتاب وتعيين المهر وهم في الغالب يغلون المهر حتى لقد يبلغ خمسمائة ريال وعشر ابقار وعشرة جمال واربعين رأساً من الغنم يقدمه الخطيب الثلثين على الفور والثلث الباقي اقساطاً بعد الزواج • وهم على عادة البجة في ان ابا البنت لا بد له ان يخصها بشيء من ماله والا عيرت

به وربما خصها بما يساوي مهر الخطيب أو أكثر ولذلك ترى الكثير من النساء
يتركن عذارى لعدم اقتدار الرجال على صداقهن . وقد سعى بعض ولاة الفتح الاول
مثل احمد باشا ابودان وخورشيد باشا وعبد اللطيف باشا في تخفيض مهر البنات
فجعلوه من ٧٥ : ١٥٠ غرشاً وحضوا على الزواج وكذلك فعل محمد احمد التمهدي فجعل
مهر اليب خمسة ريالات ومهر البكر عشرة ولكن الاهالي ما لبثوا ان عادوا الى
عادتهم القديمة وعاد البنات الى الكساد . وعرب السودان يحترمون النسب جداً
وينزلونه المنزلة الاولى في تزويج بناتهم فلقد يزوجون رجلاً ذا نسب لا يملك
شيئاً ولا يزوجون رجلاً مثيراً لا نسب له . واذا حل بأرضهم رجل شريف يرجع
بنسبه الى النبي (صلعم) أو الصحابة بالغوا في اكرامه وزوجوه بناتهم بلا مهر رغبة
في التقرب منه . وهم ايضا يتبركون برجال العلم والصلاح ويزوجونهم بلا مهر
هذا وعند اتفاق الفريقين على المهر يكتبون الكتاب ويعينون الدخلة في يوم
يتفاهلون به . وقد جمع الشيخ زرّوق ايام السعد والنحس عند العرب في ييتين وهما :

محبك يرعى هواك فهل تعدّ ليالٍ بضدّ الأمل

فدو النقط منها بدا نحسه ومهمله فاجر فيه العمل

وقبل حلول اليوم المعين بأسبوع يعدّ العريس الذبائح وشيئاً من الذرة والروائح
العطرية والكحل والحناء والاكسية للعروس وماشطتها ووزيرتها ولكل من اقاربها
الاخصاء ويدعو بنات البلدة فيحملنها على رؤوسهن في اطباق مغطاة بالملكبات ويسرن
وامامهن النساء يضربن الدفوف ويرقصن ويغنين ووراءهن الشبان يرقصون
ويتباطنون بالسياط الى ان يبلغوا بيت العروس فيستقبلهم اهلها بالترحيب ويقدمون
لهم الطعام والشراب فيأكلون ويشربون ثم ينصرفون

ومن ثمّ يشرع اهل العروس في الاستعداد للفرح فيعزلون العروس الى مكان
مفرد مع بعض قريباتها ويسلمونها الى الماشطة فتمشط شعرها وتضفره بزي الرشة
وتطيه وتلبسها أغلى الثياب من وسطها فانزالاً واما صدرها ورأسها فلا يسترها الا
الحلي . اما العريس فيلبس ثوباً بسيطاً بجاشية من حرير يعرف بطرف السماء ويلبس

في يده سواراً من الحرير فيه خرزة خضراء تسمى الجرشاية وسواراً عريضاً من الفضة أو الذهب يسمى جبيرة وفي عنقه طوقاً من السوميت والذهب وهو اللبس المعروف عندهم بالجرتك يلبسه على يد امرأة حظيظة ذات حشم ومال واولاد ويبقى عليه سبعة ايام الى اربعين يوماً بعد الزواج وذلك لمنع الاصابة بالعين

وفي اليوم المعين للدخلة يجتمع اهل العريس وخلانها نساء ورجالاً في منزله فيزفونه على فرس الى بيت العروس فيقود الفرس بنتان بنت عن اليمين وبنت عن الشمال وتسير النساء امامه يغنين ويتقرن الدفوف والطبول والرجال ورائه يتباطنون والبنات يرقصن الرقص المعروف عندهم بالشكلي وهو الرقص بخفة ورشاقة والعريس يهز سوطه في الهواء استحساناً للراقصات والمغنيات . ويسير الموكب الهويناء الى ان يصل الى بيت العروس فيستقبلهم اهلها بالترحيب والاكرام ويقدمون لهم الطعام والشراب . ثم يزفون العروس في منزلها وهو الغالب او يزفونها في شوارع البلدة تحف بها البنات وبأيديهن الشموع ثم يعدن بها الى المنزل فيجلسنها على عنكرب في مكان اعد لها ويجلس حولها البنات والنساء والماشطة ووزيراتاها

وبعد العشاء يدخل العريس عليهن ومعه شابان من اصحابه يعرفان بالوزيرين فيصفق له النساء ترحيباً به ويجلسنه مع وزيريه على عنكرب اعد لهم . ثم يقوم العريس فيتحف الماشطة والوزيرتين بهدية من المال ويأتي الى عروسه فيقطع رهطها ويلبسها القرباب وهو « قرن عالج » ثم يشرع في مداعبتها وترقيصها رقصاً يعرف عندهم بالجلع او الدلع وذلك بان يغمز خنصرها ويخز خاصرتيها بظفر يريه ويحدده هذه الغاية فتلوى العروس اذ ذاك وتحرك حركات خفيفة رشقية بحيث انها اذا كانت مواجهة له ووخزها بظفره تنقلب بخفة ورشاقة فتولي ظهرها وتصيح صياحاً عالياً قائلة واي واي متبعة ذلك بأنات رخيمة وشهيق مستعذب . وفي اثناء ذلك تغني النساء غناء يسمى البنية يصفن فيه العريس بالسخاء والمروءة والعروس بالجمال ورفعة النسب . ويبقى اهل العريس في بيت العروس من ثلاثة ايام الى سبعة واما العريس فيبقى مع عروسه في بيت ابيها الى ان تلد فيذهب بها الى اهل

هذا وفي اثناء الاربعين يوماً الاولى لا تكلم العروس عريسها ولا تجيبه على خطاب بل اذا حسن كلامه في عينيها اجابته بابتسامة واسارة في الرأس واذا لم يكتف بذلك وأحب الجواب باللسان تقدها شيئاً من الدراهم فأجابته بما قلّ ودلّ ويسمى ذلك عندهم « كروة الكلام »

وبعد تمام الاربعين يوماً يخرج العريس الى السوق ويرسل الى عروسه افخر ما يجده فيه من اللحوم والخضرة والفاكهة فتدعو العروس صديقاتها وتولم لهنّ وليمة من هدايا العريس ويعرف هذا اليوم عندهم « يوم البشة » ومن اقوالهم « العريس يعرف من بشته » أي يعرف كرمه وذوقه من نوع هداياه ومقدارها يوم البشة ومتى مضت سبعة اشهر على العروس وهي حامل يوم العريس وليمة للاهل والخلان لتجاة العروس والجنين من الخطر . وهم يفرحون للصبي ويتكدرّون للبنت ويطلقون على الولد اسماً في الاسبوع الاول من ولادته فيختارون في الغالب الاسماء الاسلامية مثل محمد واحمد وعلي وبكر وعثمان وعمر ومصطفى وعبد الله ولكن لهم اسماء خاصة بهم منها عند الجعلبين : الزبير والريح والعاقب ومدثر ومزمل ومساعد ومردس . وعند الشايقية : خشم الموس وطنبل وعقود وشقلمان والكندو . وعند البقارة : حلة وبليلة وكتوش وملاح وشطة وجماع ورباح والنيل ومزمار والزاي والدكيم . وقد يصدرون اسمائهم بمحمد تبركاً فمن كان اسمه حسن دعوه محمد حسن ومن كان اسمه احمد دعوه محمد احمد وهكذا . واما ارقاؤهم فيلقبونهم في الغالب بألقاب جميلة يقصد بها اسيادهم منها للذكور : مرّ الجواب وعبد الاسد ودكّام (شجاع) وعجب سيده ومفتاح الخير وصباح الخير والله جابه وشطة وعبد الرجال وسعيد وسعد الله ونجيت وهلال وألماظ وفيروز وسوميت . وللانات : تاج الملوك والصبر جميل وسمح جيبه ودربه قاسية وثقيل ميزانه وبحر النيل وبيت الامان ولمن دامت وفوق قلوبهم والعزّوهاط وتام النفایل والحي يشوف والله معانا والله وكيل وجنّه ويمامه ونجيته ومن قدره والساتر الله وكعب الغزال وكبي الحاسد

ويكنى الاب والام باسم ابنيهما البكر كما في مصر والشام فاذا لم يكن لهما ابن

كنيا باسم بنتهما البكر كقولهم ابو سعيدة وأم كلثومة وابو النية وهم يكونون
الاماكن بأب وام على السواء فيقولون بئر ابو طليح أو بئر أم طليح
وعندهم كما في مصر والشام كنى معلومة لاسماء معلومة حملاً على كناها القديمة
المشهورة في التاريخ فكنية ابراهيم ابو خليل وحسن ابو علي واسماعيل ابو السباع
ومصطفى ابو درويش وعلي ابو سرحان وداود ابو سليمان وعثمان ابو عفان
وهم مولعون باللقاب يلقبون بها بعضهم بعضاً لقصد المدح أو الذم فمن ألقاب
المدح صقر الجو وتور الجاموس وكرار وحقار ورحل الكحل ودود بنقه اي اسد الخلا
وبولاد الحديد وتمساح وجمل المحامل والعنزة أم قرن وكاسر قيده ومن ألقاب الذم
الأضينة والفارغ والتعيس والضبعة والرخمة وسجم الرماد والهوين
هذا ومتى بلغ الطفل سن السنة حلقوا شعره بموسى وتصدقوا بوزنه ذهباً أو
فضة وأولموا وليمة للفقراء ثم ضفروا شعره ضفيرة واحدة وعلقوها بعنقه عدة ايام ثم
نزعوها عنه وخباؤها

وهم يطهرون اولادهم ذكوراً واناثاً ولكنهم لا يحبون الطهور الباكر فقلما يطهرونهم
قبل السنة السابعة. اما تطهير البنات فعلى نوعين تطهير فرعون وعليه عرب النيل من
دقلة الى سنار وتطهير سنّة وعليه بادية اهل الغرب. اما تطهير فرعون فمن افطم
العادات البربرية المتخلفة عن عصور الجهل والحشونة وهي تقضي على البنات بالعذاب المر
وقت الطهور والزواج وكل ولادة. وقد اجتهد عبد اللطيف باشا احد ولاة الفتح الاول
ان يبطل هذه العادة البربرية وقاص كثيراً من النساء اللواتي يتولين امرها ولكنها لم يفلح
ويجوز لمن توفيت امرأته ان يتزوج أختها بمهرها ولكن لا بدّ له من اخذ
القول في ذلك من ابيها قبل دفنها فهو يمسك قائمة النعش الذي تحمل عليه
امرأته ويلحّ على ابيها بأن يعطيه اختها عوضاً فيجيبه ابوها الى ذلك خصوصاً اذا كان
له اولاد. حكى ان رجلاً من الرباط تزوّج بنتاً من بنات اهل فعاشبت معه عامين
وماتت فلما حملوها الى الدفن امسك بقائمة النعش وشرع في البكاء وهو يطلب
اختها عوضاً فزوّجوه بها فلم تمض على هذه اربع سنوات حتى ماتت ففعل زوجها

أشد مما فعل في المرة الأولى من البكاء والتحيب وهو يطلب ان يعوّض عليه
بأختها فشقق الجمهور عليه وأتوا يتشفعون فيه الى أبيها فصاح ابوها وقال دعوني من
هذا الرجل فلقد كاد يؤذي بيناتي فمن كان يشفق عليه فليزوجهُ بابنته اما انا فقد
كفاني ما نابني منه

وعرب السودان يرفهون نساءهم ويدلّوهم الى الغاية فقلمما تخدم المرأة
في بيتها فالطحن والخبز والطبخ والغسل كله منوط بالجواري وعلى الخصوص الغسل
فان من اكبر المصائب على المرأة ان تضطرها الحال الى غسل الثياب ولا سيما
ثياب رجلها واذا دخل رجلها وكانت جالسة أو مضطجعة لا تتحرك من مكانها واذا
اعوزته حاجة قضاها بنفسه أو طلبها من الخدم وبذلك تعود نساء السودان الترف
والرفاهة حتى صرن اذا مشين تهادين في مشيهن على حد قول الشاعر :

قلت اذ اقبلت كزهر تهادى كنعاج الفلا تعسفن رملا

وقد تسير المرأة ساعة فلا تقطع مئة خطوة ولا يتغير نعلاها . وهي تحلف برأس
أبيها لا برأس زوجها ولا تنطق باسم زوجها ولا تدعوه به بل تكتنيه باسم ولده
الذكر بأن تقول يا أبا فلان أو يا أبا فلانة واذا لم يكن له ولد كتته باسم أبيه بقولها
ياود فلان . وهي قلما تقابل حماتها أو تكلمه إلا بعد الولادة كما ان الزوج لا يقابل
حماته ولا يكلمها إلا بعد الزواج ببرهة وذلك من باب الحياء . والمرأة لا تأكل طعاماً
على مائدة مع زوجها حياء كما ان الزوج لا يأكل مع حميه أو حماته احتراماً وهو
لا يجلس في حضرة حميه على كرسي أو سرير بل يجلس على الارض احتراماً . واما
حماته ويسمونها بالنسيبة فاحترامه لها فوق كل احترام واعظم حلف عنده الحلف بحماته
فإذا قالوا الرجل ونسيتك تقضي لي حاجتي وجب عليه بذل كل ما في وسعه لقضايتها
وكذلك اذا قالوا للمرأة ونسيتك تفعلين كذا وجب عليها بذل الجهد في اجابة الطلب
احتراماً للقسم . والذنب الذي لا يغفر للرجل عند المرأة ان يسب اباه أو امها
أو يذكرهما بسوء وقد تندفع الى ضربه بالنعال وتذهب الى بيت أبيها ويندر بعد
ذلك ان تعود اليه

وكما ان الرجل يحترم حميه وحماته كذلك الحمى والحماة يحبان صهرهما ويعاملانه كأحد ابنائهما وبالأغان في مداراته فلا يسيئان اليه معها كان شأنه معها ومن امثالهم: « النسيب واحد من اليمين والنسيبة قشة في العين » . وابن الاخت عندهم عزيز كالولد فالخال يعتني بابن اخته ويريه كما يربي اولاده حتى لقد يزوجه على نفقته هذا وعرب السودان كعرب مصر والشام يحترمون العرض فوق كل احترام وليس للزانية عندهم من قصاص سوى القتل . ولكن عند عرب البقارة في غرب السودان عادة تعرف « بالحضن » وهي ان المرأة تسمح لمن اعجبها من الرجال ان يحضنها اي ان ينام معها على طهارة حتى يتزوجها أو تتزوج لغيره واهل المرأة لا يعترضونها الا اذا وطئها فترذل هي ومعشوقها . ويقال ان للجوامعة عادة ذميمة جداً وهي ان البنت لا تتزوج الا اذا ولدت سفاحاً فتعطي اخاها الولد لاعانته ويعرف « بعانة خاله » وقد رمى بعضهم الجعليين وأهل الجزيرة باقتناء الجواري للفحشاء والاتقاء بكسبهن وتعليل ذلك ان بعض حضر النيل كانوا اذا زاد عبيدهم وجواريهم عن خدمتهم ارسلوهم لطلب الرزق في اي عمل شاؤوا وفرضوا على كل منهم جعلاً معلوماً يقتضونه كل يوم كأن يفرضوا على العبد مثلاً من غرش واحد الى ثلاثة غروش والجارية من غرشين الى خمسة غروش في اليوم فيشتغل الجواري بما هو من شأنهن كالطحن والخبز والطبخ في السوق ولكن يتغلب على بعضهن الكسل ودناءة الطبع فيتعاطين الفحشاء ويدفعن لاسيادهن من كسبهن الجعل المفروض

﴿ آلاتهم الموسيقية ﴾ واشهر آلاتهم الموسيقية :

« النقارة » وهي طبل الحرب الخاص ببلوكهم ومشائخهم تصنع من خشب متين كنفقاير السود أو تصنع من نحاس فتسمى « بالنحاس » ولم يكن يقتني النحاس الا الملوك أو من سمح لهم الملوك باقتنائه من كبار المشايخ ثم اصبح كبار المشايخ يسمحون للمشايخ الذين دونهم رتبة باقتنائه . والنقارة والنحاس يضربان في المآتم والافراح كما يضربان في زمن الحرب

« والدلوكة » وهي آلة الرقص عند جميع الحضر على شبه الدربكة الا انها زوج

كالنقارة اي امّ وشتّم يضرب كلاً منهما امرأة بقضيب أو باليد على نغم معلوم « والدربكة » وتعرف عندهم بالدُهْلَة ولكن لا يستعملها الاّ المولدون « والزّمارَة » على شبه الزمارَة المصريّة تصنع من قصب وقلمّا تستعمل في غير البادية

« والطار » وهو الطار المصري المعروف الا انه في السودان يستعمل زوجاً كامراً « وأم فصيل » وهي آلة تشبه الطنبورة الاّ انها اصغر منها وتضرب بقوس صغير له وتر من شعر على نحو قوس الكمنجة

« والطنبل » وهو طبل صغير من خشب على هيئة الطست مجلد بمجلد ماعز وله مقبض من جلد يُمسك بالشمال ويضرب باليمين وهو خاص بالتكارنة الذين يأتون للحج من السودان الغربي يضربونه للشجادة به فيتبعهم صبيان العرب قائلين: الطنبل طنبل جدنا . كيلو لنا مدنا . يعيشنا ويغدينا . محاكين بهذه السجعات صوت الطنبل ^(رقصهم) وهم مولعون بالرقص والطرب كسائر اهل السودان ويجمعون للرقص رجالاً ونساءً الاّ ان الرقص خاص بالنساء ولا يرقص الرجال الاّ اتماماً لرقصهن والرقص عندهم انواع اشهرها :

« رقص النقارة » وهو الرقص على ضرب النقارة وخاص بعرب البادية وفيه تضرب امرأتان النقارة وتغنيان وامرأة ترقص وقد يرقص معها رجل وباقي الحضور يصفقون

« ورقص الدلوكة » وهو الرقص على ضرب الدلوكة وفيه تضرب امرأتان الدلوكة وتغنيان وامرأة ترقص وقد يرقص معها رجل . وهذا الرقص شائع في جميع حضر السودان وهو ارشق واعمّ من رقص النقارة

« ورقص الطنبورة » وهو الرقص على صوت الطنبورة وخاص بعرب الشايقة والرباطاب . والطنبورة عند هؤلاء كالدلوكة عند سائر حضر السودان . وضارب الطنبورة هو الذي يغني

« ورقص الطنبور » وهو الرقص على غناء الطنبور اما غناء الطنبور فهو اصوات

كسجع القمري يخرجها الرجال من حلوقهم وصدورهم والرقص عليه خاص بعلية القوم وتشترك فيه المخدرات من النساء . وفيه تجتمع النساء والرجال حلقة فيبدأ احدهم بانشاد الاشعار فيقول الشيلة « اللازمة » فيكرها بعده جماعة منهم ثم يشرع آخرون في غناء الطنبور والكل يصفقون بأصابعهم ويضربون الارض بأرجلهم وعند توقيع النشيد والطنبور وفرقة الاصابع وضرب الارجل على نغم واحد تبرز احدى المخدرات الى وسط الحلقة فترقص على هذا النغم رقصاً لطيفاً فتبرز رأسها الى كل جهة وتحني جسمها الى الوراء احياناً حتى تمس الارض بجبهتها وهي في كل آونة واخرى تقرب من الحلقة فترمي احد الشبان « بشبأها » اي بضفائها تحبباً واذا ارادت الانصراف رمت بشبأها احدى النساء دلالة على انها تدعوها الى الرقص . وقد يرقص اثنان أو ثلاث من النساء معاً . ويعرف هذا الرقص عند اهل النيل ايضاً بالزوزي وعند اهل كردوفان بالجراري

ومن انواع الرقص عندهم « رقص الجلع ورقص الشكلي » وقد تقدم ذكرهما . ومنها رقص الدهلة وهو الرقص على ضرب الدهلة ويسمى رقص أم صليب لان الراقصة تهز صلبها وهي ترقص وهذا الرقص مأخوذ عن مصر ولا يعرفه الا المولدون

﴿ سلامهم ﴾ وسلامهم المصافحة باليد . واذا اجتمع صاحبان بعد فراق طويل تعانقا بالاكشاف وذلك بأن يجعل كل منهما يديه على كتف الآخر ويضمه الى صدره وينقل رأسه من كتف الى كتف مرتين أو اكثر ثم يأخذ يد رفيقه ويقبلها . واذا كان احدهما قد فقد حبيباً في اثناء فرقهما فعند اللقاء يبسط كل منهما يديه رافعاً اياهما نحو السماء ويقرأ الفاتحة بصوت منخفض ثم يتصافحان . هذا في سلام الرجال اما النساء فسلامهن التقبيل في الوجه كنساء مصر والشام واما سلام النساء على الرجال فبين الاقارب تحني المرأة رأسها للرجل فيقبله وهي تقبل يده . واذا كانت المرأة مسنة قبلت رأسه وهو لا يقبلها . ومن كلامهم في اللقاء : كيف حالك — الله يبارك فيك . طيبين مك طيب — طيبين الحمد لله الله يسلمك . كيف انكم — تري

الحَيُّ يتدردر يقع ويقوم . الحمد لله بالسلامة — الله يقبل حمدك . العويلة والبهيمات
كف حاتم لعل ما عندهم عَوَجَه — الحمد لله تراهم هَسَّعَ الله يكفيهم شر المن
هناوجاي . زريعاتكم كيف انهن — والله عاد نحمد الله ان ختين اي سلمن من
الدودة والجراد ما عندهم عَوَجَه . الدنيا كيف انها معاكم — الحمد لله السنة دي
زينن . وعند الوداع يقول الواحد للآخر سلم على اللي قدامك

﴿مجالسهم﴾ وغالب مجالسهم في فناء منازلهم في ظل الاشجار يجلسون على
عكريات مربعين أو يجلسون القرفصاء او مربعين على ابراش في الارض وقلماء
يجلسون على الكراسي . ولجلوسهم مع ملوكهم آداب يأتي ذكرها في باب التاريخ .
والمقام الاول عندهم بعد مقام الملوك للعلماء ثم للشيخ فاذا حضر العامة مجالس هؤلاء
جلسوا في الارض على ركبهم تأدباً لهم . ولا يتكلم الشاب في حضرة اييه او اخيه
الاكبر ولو كان افصح منه لساناً واجلي بياناً . وحكم الجماعة عندهم مرعي لحكم الشرع .
هذا والمخدرات من النساء لا يجلسن مع الرجال الا اذا كان الرجال من
اقربهن الاذنين واذا نذبت امرأة الى مجلس رجال تثلثت بثوبها حتى لا يظهر من
وجها الا عينها وجلست مطرقة في الارض وتكلمت بصوت منخفض واذا زارها
رجل في منزلها كلمته من وراء جدار . واذا مرت بمجلس رجال خلعت نعلها وستر
وجها اما الجارية فتخلع نعلها وتكشف رأسها . واذا جلس الرجال على جانبي الطريق
ففي لا تمر في الوسط بل تنتظر حتى يقوم فريق منهم الى الجانب الآخر او
تزعج . واذا كانت راكبة ترجلت عن دابتها ومرت ماشية . ونساء السودان يركبن
وجنهن الامين نحو راس الدابة على نحو ركوب نساء الافرنج

ومن آداب الشارع عندهم عدم الاستعجال في المشي والامتناع عن الاكل
والصغير والضحك بصوت عال والغناء والمشاجرة والبول الى جانب الطريق وعدم
المطالبة بدين فالدائن لا يطالب بديونه في الشارع كما لا يطالبه عند الفجر او بعد الغروب
﴿عهودهم﴾ واذا اراد اثنان المعاهدة على امر هام جعلوا المصحف الشريف
بينهما مفتوحاً على سورة برا ووضع كل منهما يده اليمنى عليه وبعد قراءة الفاتحة

والصلاة على النبي ينطق كل منهما بهذا القسم : « بالله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة المنتقم الجبار وحق هذا المصحف الشريف اني اكون صادقاً في عهدي » واهل البادية الغربية يقولون : « كتاب الله في عيني في يتي في اهلي كتاب الله يطمسني طمسة القرد اذا نكثت بعهدي هذا » واذا ضاع لهم شيء عزيز حملوا المصحف على عود طويل وطافوا به الجهات منادين : « كتاب الله جاكم من رأى الشيء الفلاني يرجعه لصاحبه » . هذا وتحلف الام بحياة ولدها والاخت بحياة اخيها وبحياة الله والنبي والاولياء وحياة كل عزيز . ومن اقسامهم قولهم « حرّم الكلام ذا صحيح » اي عليّ الطلاق هذا الكلام صحيح

وعندهم الرتبة للذكرى وهم في الغالب يعتقدون معصم اليد بنحيط او منديل او يضعون خاتماً في احد اصابعهم ونحو ذلك

﴿ طبهم ﴾ وطبهم عرفي يتوارثه الخلف عن السلف فاذا مرض احدهم زاره اهله وجيرانه ووصف له كل منهم علاجاً فيتخذ المريض العلاج الذي يظنه انفع له وقد تقدم لنا ذكر اشهر الامراض الخاصة بالسودان وطرق معالجتها عندهم ونذكر تحت هذا الباب : « علاجهم للجروح » وذلك انهم يصبون عليها السمن مغلياً ثم يغمسون قطنه في السمن البارد ويضعونها عليه ويربطونها ويكررون ذلك كل يوم مع مراعاة النظافة التامة الى ان تبرا . هذا في الجروح البليغة واما الجروح الخفيفة فيعالجونها برشها بالملح او البارود او البن ثم بالقطنه والسمن البارد . وتشفى الجروح في السودان بسرعة لا تكاد تصدق * واذا شكى عليهم ثقلاً في رأسه وعينه طلب الحجام فحجمه في تقرته وفي قمة رأسه * واهم شرباتهم : شربة السمن وهي مقدار رطل مصري من السمن يسخن ويشرب على الريق ومنهم من يكرر ذلك خمسة ايام متوالية ولا يشربون ماءً بارداً معها لئلا تولد زحيراً . وشربة السنامكي يشرب منقوعها مع منقوع التمر الهندي والسكر * وفي جزيرة مغرات تراب معدني يعرف بالجرذقة يعالجون بمنقوعه المغص ووجع المعدة والامعاء . ويمزجون التريية بالبوزة والمقويات ويعالجون بها داء الزهري * واشهر مقوياتهم مزيج

مركب من العسل والسمن والثوم والبلح على هذه الصورة : تغلى ثلاثة ارطال عسلاً الى ان ترغو فيضاف اليها ثلاثة ارطال سمناً بقرياً ويغلى المزيج ثم يجعل فيه نصف رطل ثوماً بعد تقشيريه ويغلى الى ان يحمر الثوم فيخرج منه ويعوض عنه بنحو ١٥٠ بلحة من البلح الابريبي بعد نزع نواه ويؤكل منه كل يوم على الريق وقبل النوم ولا يؤكل معه المغلطات ولا اللحم البقري فيكون منه عافية وقوة . وهم يعالجون السل والبواسير بهذا المركب : رطل فلفل اسود وايض ونصف رطل زنجبلاً وربع رطل خولتجان وسدس رطل قرفة ورطلان سكرًا تدق جميعاً وتنخل وتؤخذ مع الشاي او تؤخذ سفوقاً على الريق . ويعالجون السل بالشطة وحدها بأخذها مع كل طعام بدل الفلفل . ويعالجون الحنازيري (التهاب الغدد الليمفاوية) بشفاوذر الزرنبيخ على الجرح

وعندهم كثير من الدجالين يعالجونهم بالتعزيم وكتابة الاحجية فهي علاج لكل داء عيأً ولما تجد احداً من اهل السودان ولاسيا الفساء الاحاملاً حجاباً او اكثر . ومن علاجاتهم ان يكتبوا سوراً من القرآن على لوح ثم يغسلون المكتابة بماء ويشربون الماء للاستشفاء به

ويهتم بالمرضى امه وزوجته واخته وعمته وخالتها . وفي سوء الهم عنه يقولون عسى طيب النهار دا . المولى يعفو عنه ان شاء الله . وعند قهشي امراض وبائية ينجون الذبائح ويوزعونها على الفقراء والمساكين رجاء رفع الاوبئة عنهم والذين لا هرة لهم على ذبح الذبائح يسلقون الذرة ويوزعونها ويعتقدون ان الوباء يذهب مع البخار الذي يتصاعد منها ولا يسلقونها الا عند طلوع الشمس وغروبها . وبعد اكل الذرة يطوف الاولاد في الشوارع منادين : « يا لطيف لم تزل الطف بنا فيما نزل » او ينادون « يا خالقنا نحن ضقتنا »

ومن عاداتهم عند رؤية الهلال ان يقولوا « اللهم اعطنا خيره واكفنا شره » ثم يوقدون النار امام منازلهم ويهتفون بعضهم بعضاً فيقول الواحد « الشهر مبارك عليكم » فيجيبه الآخر « علينا وعليكم » ثم يقول الاول « اعفوا عنا » فيجيبه الثاني « عافين عنكم »

وهذه عاداتهم في ايام المواسم والاعیاد وهي من اجل عاداتهم
وقد اقتبسوا عادة الاحتفال « بشم النسيم » من المصريين وتقلدوهم في سحق
رؤوس البصل وصبغ البيض والاستحمام في النيل والخروج للتنزه في البساتين
ومن عاداتهم في الحروب انهم يأخذون كبار قتلى اعدائهم فيقطعون رؤوسهم
ويعلقونها في الشوارع العمومية اشهاراً للنصر . واما السود فيقطعون ايدي قتلى
الاعداء ويضربون بها النقارة الى ان تتن فيرمونها
ومن قتل وحشاً مفترساً جرّدوه من ثيابه وألبسوه ثياب النساء وحلاهّن من
عقود الخرز وغيرها وضرّوا شعره ضفائر دقيقة كضفائر النساء وحبسوه في بيت مظلم
سبعة ايام ثم اخرجوه الى النيل للاستحمام به ووسموه في جبهته او كتفه علامة لقتله
الوحش المفترس وتغييراً لسحته ثم اولوا وليمة فاخرة فرحاً بسلامته
« وقيودهم » الشعبة والمكية اخذوها عن السود والزنجير المعروف والقيد وهو
على صورة المكية الا انه اخف منها ولا يقفل بمفتاح
« والعابهم » الخاصة بهم : السیجة وهي تشبه الداما والطاب وغيرهما وعندهم من
العابنا الداما والمنقلة والنرد (الطاولة) والدومنو والورق
﴿ مآثمهم ﴾ ولما تم ضجة عظيمة وجلبة كسائر اهل السودان . فاذا احتضر عليهم
اجتمع اهل الرجال فابعدوا عنه النساء وأحاطوا به يعلونه حتى تفارقه الروح فيضعونه
على عنكريب ويغطونه بثوب نظيف ثم يرفعون اصوات البكاء والتعديد فتعلم النساء
انه فارق الروح فيصحن وينتحن ويمثن التراب على رؤوسهن ويلطحن وجوههن
« بالسجم » والرماد ثم يدخلن غرفة الميت ويجلسن حوله للبكاء والنحيب ويخرج
الرجال فينعونه الى البلاد المجاورة ويجلسون في فناء المنزل لاستقبال المعزين . وعند
مجيء الجيران يخرج النساء بالميت الى حوش الدار لعمل المناحة وتأخذ النادبات
التحاس للضرب عليه أو يأخذن قرعة يابسة فيضعنها في طست فيه ماء وبجانبه طست
آخر لاءاء فيه فيضربن على الطستين ضرباً محزناً ويشرعن في ندب الميت وتعديد
مناقبه واذا حضر المآثم نساء حديثات عهد بالحزن ندب النادبات موتاهن ايضاً

وعُدُّن مناقبهم كمادة النادبات في مصر والشام • وفي اثناء ذلك ترقص الحزاني
بالسيف والعصي ويصحن صيحات مزعجة تفتت الاكباد

ومن اقوالهن في التعديد : وا سجماه • وا حزنه • وا مصيته • يا حليلك هاي •
يا شديد الحيل • يا جل الشيل • يا مقنع الكاشفات • يا التفرج الضيقات • يا راجل
الحكام • يا اب فهم كثير في المجالس ونحو ذلك * ومن اقوال النادبات في المناحة :

بقطع بجر السم دقر (ثعبان) الهيشة حارقه السم
من ابواته هو مقدم ديا خصيمه لاغي الدم
ومنها : شدوا لك الهجين دفوا لك السنين (السيف)
اخوي خواجه مو مسكين يا الخير ميتك هجيمة (مصيبة)

اما الرجال فبعد استقرارهم في فناء المنزل يشرعون في التهليل وهو قولهم
« لا اله الا الله محمد رسول الله » فيكرره كل منهم على السجدة مراراً معلومة حتى
يكون مجموع تهليل الكل ٧٠ الف مرة • أو يقرأون سورة الاخلاص وهي « قل هو
الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد » مئة الف مرة

وفي اثناء ذلك يغسلون الميت ويكفونونه ويحملونه بالمناوبة على الاكتاف الى
التربة وتتبعهم النساء كاشفات الرؤوس لا يسترها الا التراب أو الرماد وبينهن
قريات المتوفى واحدة متقلدة سيفه واخرى ثوبه واخرى جبهته أو عمامته وبعضهن
يلبسن الفراء في اصلاهن ويتحزمن بالحبال السود وهن يندبن ويبكين حتى يصلن
التربة فيجتمعن حلقة كما كن في حوش المنزل ويجددن الندب والبكاء والرقص على
اصوات التصفيق بدل النحاس وهو المعروف عند سكان النيل « بالمدى »

اما التربة فهي حفرة واسعة في جنبها حفرة ضيقة فيدفنون الميت في الحفرة
الضيقة بوضعه على جنبه الايمن متجهاً نحو مكة المشرقة ثم يسقفونها بطوب وطين
ويأخذ كل من الحضور شيئاً من التراب فيرميها به ثم يردمون الحفرة الكبرى ردماً
محدداً كسنام البعير • ويدلون على القبر بحجر فوق رأس الميت وحجر فوق قدميه
وطبقة من الحصى الغرائبية بينهما • ويضعون عند القبر طعاماً في قدر وماء في قدر

أخرى تصدقاً عن روح الميت ويكرّرون ذلك في كل قليل من الأيام . وربما وضع بعضهم في اليوم الاول قليلاً من الذرة في قدر مبلولاً بالماء فغابت ثم يذبل ويحفظ فيمثلون بذلك حياة الانسان على الارض . واذا كان المتوفى فقيراً أو شريفاً نصبوا عند قبره راية بيضاء أو ملوثة تنوياً به . واذا كان من الاولياء الصالحين بنوا فوق قبره كوخاً من حجر وطنين أو بنوا قبة ومزاراً وزاروه في اللوازم والاعياد وبعد الدفن يعود اهل المأتم الى منزل الميت فتعود النساء الى التدب والبكاء ويجلس الرجال لاستقبال المعزين الذين يأتون من الجهات البعيدة افواجاً رجالاً ونساءً مشاة وركباناً ومعهم زادهم من الذبائح والذرة والسمن ونحاسهم محمولاً على جمل وعند وصولهم البلدة يضربون التحاس وتزغرد النساء زغاريد الحزن فيخرج اهل الميت رجالاً ونساءً لاستقبالهم فيصطف الفريقان صفين خارج البلدة النساء قبالة النساء والرجال قبالة الرجال ثم يشرعون في البكاء فيضع الرجل ثوبه على فمه ويبكي بكاءً عالياً وهم يسرون الهوينا حتى يلتقي الصفان فيشتد البكاء ثم يقوم اهل الميت مقام المعزين في تعزيتهم وتهوين المصاب عليهم بقولهم : « هذا امر الله ولرد على الجميع والمصيبة واحدة وعظم الله اجرنا واجركم » ثم يقولون استغفروا استغفروا ويدخلون البلدة لتجديد المأتم * وعند الجعللين عادة تعرف « بالشوقار » وذلك انهم عند التقاء الصفين خارج البلدة يتسابق الفرسان على خيولهم أو هجنهم ويتصارع المشاة بالسيف والدرق وترقص النساء بالسيوف الى ان يكلّ الجميع فيذهبون الى منزل الفقيد لتناول طعام الظهر ثم يعودون الى « العرضة » عند العصر ويقون على ذلك ثلاثة ايام ثم ينصرفون الى بلادهم . واما اهل البلدة فانهم يقون مع اهل الميت يشاركونهم في النوم على الارض الى نهاية السبعة الايام الاولى . واما اقارب الفقيد فانهم يشاركون اهلهم الاخصاء في النوم على الارض الى نهاية الاربعين يوماً . وفي أثناء ذلك يرسل اهل البلدة الطعام من بيوتهم للمأتم مساعدة لاهل الميت . ثم في مدة السبعة الايام الاولى يتصدق اهل الميت عن روح فقيدهم فيخرجون الطعام للمساكين كل يوم صباحاً ومساءً ويقرأون القرآن كل ليلة . وفي اليوم السابع يخرجون الى التربة

فقرأون القرآن ويتصدقون عن روح الفقيـد ثم يفعلون ذلك كل جمعة الى نهاية الاربعين يوماً فيعملون صدقة تسمى صدقة الاربعين وهي خاتمة المأتم . وبعد ذلك يعود اهل الفقيـد الى النوم على الاسرة وتغسل النساء ثيابهن لنزع المسوح والرماد . وحدادهم سنة كاملة يمتنعون فيها عن التطيب ولبس فاخر الثياب والحلى رجالاً ونساء . واما زوجة المتوفى واخواته فانهن يقصصن شعورهن حداداً عليه وتقضي الزوجة عدة الوفاة لا تخرج من منزلها . ويركب الرجال الدواب بفراء مقلوبة واما الشابية فيلبسون طرايشهم بلا ازرار علامة للحداد

﴿ خرافاتهم ﴾ واما خرافاتهم فعلى نحو خرافات العرب في مصر والشام الا انهم اشد تمسكاً بالخرافات من العرب في كل زمان ومكان . فعندهم السحرة والذجالون والمشعوذون من الرجال والنساء . ومن معتقداتهم السحر والزار والمندل والرمل وضرب الودع والعقدة وكشف الدفائن وتفسير الاحلام والخيرة . وكتابة الاجبة والاصابة بالعين والتشاؤم والتفاؤل ووجود الجن والعفاريت ونحو ذلك من الترهات التي لا طائل تحتها

لما الزار فقد دخل السودان من مصر وكثر استعماله في بلاد سواكن وبربر والخرطوم . واكثر اعتمادهم في تفسير الاحلام على كتاب ابن سيرين . وفي الخيرة على كتاب محي الدين ابن العربي . واما الرمل والمندل وضرب الودع وكشف الدفائن وعلم التنجيم فاكثر المشتغلين فيه هم السحرة والمشعوذون من التكارنة وغيرهم واما العقدة فيشتغل بها فرع من بشاري الاتبرة يعرف بالقرب فاذا ارادوا عند انسان في مكان عزّموا عليه فبقي في مكانه لا يبرحه حتى يحلوه واذا وضع امامه طعام وعقدوه لم يستطع ان يمدّ الى الطعام يدًا . قيل واذا سخر لهم جمل عقدوه فيرك ولا يقوم

اما سحرهم فتدعي القدرة على مسح الاجسام اي مسح الانسان حيواناً والذكر انثى وبالعكس . وقد اكّد لي بعضهم انه رأى بعينه الباصرة خروفين صارا ثعلبين ورجلاً تحول مرغفياً واختطف ولدًا . قالوا وانما يتمكن السحرة من مثل هذه الافعال

السحرية باستعمال عروق نباتية تعرف « بعروق السحر » وكثيراً ما يشكو احداهم من ألم في الامعاء فيقول اهله ان ساحراً خرج وفي فمه عرق من عروق السحر فسحره أو ادخل فيه جنّاً أو عفريتاً فسحب امعاءه فيستدعون شيخ السحرة فيعزّم له ويسقيه ماء عرق من عروقه النباتية فيخرج العفريت منه ويبرأ

ومن هذا القبيل اعتقادهم بشجرة الاكسير قالوا هي شجرة ذات فرعين في كل فرع ورقتان فاذا وضع منها شيء على قصدير صيره فضة أو على فضة صيرها ذهباً إلا انها مجهولة المكان فمن عثر عليها جمع غنى الدهر وقد تعثر الغنم عليها في مرعاها فیدرّ لبنها فمن شرب منه انفتح ذهنه

ومن انواع الجن التي يخوفون بها اولادهم : الشكلوة والدودو وأم بعلو فالدودو وأم بعلو بمثابة البع عندنا والشكاوة بمثابة الغول وهي في عرفهم حيوان ناطق بعين واحدة ورجل واحدة ويد واحدة تعرف اسم كل شخص فتدعوه باسمه ولها اظافر حادة فاذا هاجمت انساناً هشت وجهه لانها تكره الحلقة البشرية . واما الغول فهو معروف في حكاياتهم بأنه جنّ بسبعة رؤوس وشوشة كبيرة ينام سنة ويستيقظ سنة ولاتناه ثديان كبيران تردّي اعلى جسمها بثدي واسفله بأخر وتعرف بالسعلوة . وهم لا يتركون الطفل وحده حتى يصير عمره فوق السنة خوفاً عليه من « القرينة » فاذا حصل له تشنج عصبي مما يحصل للاطفال ولم يسلم منه قالوا قرينته قتله ويعرف هذا التشنج عندهم « بألم الصبيان أو حبوبة العيال »

واذا شكى طفل لهم من وجع على حين غفلة ولم يروا السبب قالوا أصيب بالعين ولمعرفة المصيب يسيلون قطعة من الشب مع قليل من الملح والقرص والكون على النار ويبخرون بها المصاب ثم يرشون الماء عليه فيجمد ويتكيف بصورة يستدلون بها على المصيب فاذا اشتبهوا باحد أخذوا قطعة من ثوبه واحرقوها وبخروا بها الطفل ثم رموا الشب من وراء ظهورهم في قارعة الطريق . قالوا وفي سنار بيس يبخرون به المصاب فينطق باسم من اصابه

وهم يكثرون من لبس الأحجية يجعلونها في علب صغيرة من الذهب او الفضة

او الجلد او الحرير ويلبسونها في زنودهم او يعلقونها في رقابهم فيدلونها الى ما تحت
الآباط او الركب وبعض النساء يعلقنها بشعر الرأس او بالحجاب الهيكلي كما مر
وذلك لدرء العين والجن والرصاص والامراض وبالاجمال جلب كل نافع ودفع كل
ضار. بل هم يعلقون حرزا لكل شيء يخافون عليه من العين فتري في كل منزل
جديد فوق عتبة الدار صحنًا من الصيني وفي كل بستان زاهر تمثالاً من الخشب او
هيكلاً من العظام. وفي عنق كل دابة سمينة حذاء صغيراً او خرزة زرقاء لدرء العين
وهم يتشأمون من الأعور والأعرج وكل ذي عاهة. ومن تناول الصابون
يلطخ الكف خوفاً من انه يورث البغضة فيتناولونها بظاهر الكف. ومن رش الماء
على شخص فانه دليل على فراقه. ومن مسح اليد بثوب آخر أو سكب ماء على يد آخر
من وعاء مفتوح كالقرعة أو شرب اثنين في فئجان واحد أو مسح اثنين يديهما في
منديل واحد فانها ادلة على البغض. ومن عواء الكلب من صدره فانه دليل على
موت واحد من الاهل. ومن لبس الرجل اللباس وهو واقف فانه دليل على الفقر فلا
بد من لبسه جالساً وربطه واقفاً. ومن استعمال المقص ليلاً فانه مجلب للشقاق.
ومن استعمال الابرة ليلاً فانه مجلبة للعمى. ومن الكناسة ليلاً فانها مجلبة للموت فاذا
اضطروا الى الكنس احرقوا طرف المكنسة وكنسوا بها. ومن صباح الاجرد فانه
دليل على الفشل ومن امثالهم «صباح القروود ولا صباح الاجرود». ومن ضرب
الكلب أو القطة ليلاً خوفاً من شلل اليد. ومن هز الرجل عند الجلوس فانه دليل
على الفقر. ومن الصغير ليلاً فانه مجلب للآفات والحيات. ومن العطاس فوق رأس
المريض خوفاً من موته أو ازدياد مرضه فاذا عطس فوق مريض اخذوا عوداً
وقطعوه نصفين ورموا قطعة الى جنبه الايمن وقطعة الى جنبه الايسر. ومن كنس
الدار يوم الخميس خوفاً من طرد الخير اذ الخير في اعتقادهم يجيء يوم الخميس. ومن
رؤية الغراب والبومة والارنب فانها دليل على الخراب. ومن الخيل اذا كانت
«جبراس» فان راكبها لا ينجح كيف سار. ومن خياطة الثوب وهو ملبوس خوفاً
من الفقر. ومن رؤية الوعاء الفارغ فانه دليل على الفشل فمن خرج لقضاء حاجة

فالتقى بانسان حامل اناء فارغاً تشاء منه وقد يقف في مكانه حتى يعود حامله به ملأناً
 وهم يتفاءلون بفلج الاسنان ورؤية طائر الجباري . واذا سافر لهم حيب اخذوا
 تراباً من اثر قدمه اليمنى وجعلوه في كيس وحفظوه الى حين رجوعه وقد يكتبون على
 يد المسافر « لا اله الا الله » وعلى يد المقيم « محمد رسول الله » تفاؤلاً بالاجتماع .
 واذا خرجوا للغزو وصاح « طائر الخير » (وهو طائر صغير شبه الحمامه) فان كان
 عن يمينهم تفاءلوا به خيراً وان كان عن شمالهم تشاءموا منه ورجعوا عن الغزو وان
 كان امامهم استدلوا على انه سيكون قتال شديد بينهم وبين اعدائهم وان كان
 وراءهم علموا ان العدو يطاردهم من خلف * وعندهم طنين الاذن اليمنى شؤم
 وطنين الاذن اليسرى قال . واختلاج الجفن الاسفل شؤم واختلاج الجفن الاعلى
 قال . واندفاق الماء من وعاء في الارض شؤم واندفاق القهوة في الارض قال . وحوم
 الفراش الاسود على السراج شؤم وحوم الفراش الابيض على السراج قال . وغسل
 الثياب يوم السبت شؤم وأكل اللبن يوم السبت او اكل البصل والسمك يوم
 الاربعاء قال . ومن امثالهم « من سبت بلبن سرّاً بمثله »

واذا اقبل عليهم شخص يكرهون محضره كرّروا قولهم « ستة في ستة ستة
 وثلاثون » وكرّروه ايضاً اذا تأخر رسولهم وتوقعوا من تأخيرهم شراً . واذا فارقتهم
 رجل ثقيل رموا وراءه عوداً وقالوا « جدعناك بعود ان شاء الله ما تعود » . واذا
 تعددت أسباب انبساطهم توقعوا شراً كما انهم اذا تراكت عليهم المصائب توسموا
 فرجاً على حد قول الشاعر

ضاقت ولما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت اظنها لا تفرج

ومن شرق بريقه قال احد الناس يغتابني . ومن سقطت اللقمة من يده وهو
 يأكل كان احد اقاربه يذكره فاذا سقطت على صدره كان له حيب جائع . ومن
 اصابه فواق اتهموه بسرقة او فاجأوه بخبر يروعه فيذهب الفواق عنه . واذا نطق
 احدهم بكلام سبق به فكر من يخاطبه قال له « عمرك اطول من عمري » . واذا عطس
 بجانبه اتخذ العطاس مصداقاً لكلامه ومن اقوالهم « ان اصدق الحديث ما عطس فيه » .

واذا لبت القطة يديها في الحصير انتظروا قدوم ضيوف . واذا وقع وعاء من خزف فانكمروا قالوا « انكسر الشر » . واذا وقعت شرارة من النار على ثوب جديد فاحرقته حرقاً مستديراً قالوا « خير ان شاء الله » . واذا وقع للولد سن وهو يبدل اسنانه جمع اليه لكمة وسبع حبات من الذرة ورمى بها الشمس وقال « يا عين الشمس خذي من الحمار واعطني سن الغزال » . واذا خسف القمر عمدوا الى النحاس وضربوه بالعصي الى ان ينجلي الخسوف . واذا رأوا الشهب في السماء لم يكلموا بعضهم بعضاً بل كبر كل منهم وقال لنفسه « جعلناها رجوماً للشياطين » واذا فقدوا شيئاً قسوا عنه وهم يكررون قولهم « يا بليس يا بليس لك الكيس ولي كيس ابليس اديني وأدبك اذبح لك دجاجة وديك » . واذا رأوا حب الذرة منشوراً في الطريق التقطوا منه سبع حبات واكلوها احتراماً « للعيش » واذا رأوا لقمة التقطوها وقبلوها واكلوها وهم يعتقدون انها تضيء في الجوف كالشمعة ومن امثالهم « لقمة الفنا تورث الغنى » وقد رأيت البعض يعتقدون الى اكياسهم قطعة من النقود القديمة لكي تبقى بركة فيها لانهم يتشاءمون من فراغها . واذا كانت الدجاجة تبيض في غير قننها شكوا في انها ريشة تبيض في قننها . واذا مر على شجرة سنة ولم تحمل ثمراً اخذ صاحبها فاساً وشرع بلاوصها فيأتيه صاحب له فيمنعه عن قطعها ويعدّه بأنها تحمل ثمراً في السنة المقبلة وبذلك تثمر الشجرة ان شاء الله . ومن اقوالهم « خذوا فالكم من صغاركم » ولذلك فاذا اجتمع الاولاد للعب فاخذوا طبله يضربون بها وحملوا سيوفاً من جريد وخيولاً من قصب قالوا ان حرباً آتية عليهم . واذا رأوا طائراً محلّقاً في الجو فوق بلدة تشاءوا وخافوا موت شيخ او حاكم او رجل عظيم . وهم لا يسمحون للمحاض ان تعلق شجرة لئلا تيبسها ولا ان تترك دابة لئلا تميتها ولا ان تمر فوق طفل لئلا تمنع نموه فاذا فعلت اخذوا الولد واجازوه فوقها سبع مرات ليدفعوا عنه الضرر . وزوج الحامل لا يذبح طائراً ولا يضرب حيواناً واذا كان جزّاراً استأجر من يذبح له . ومن لم يعش لها اولاد سمّتهم باسماء الارقاء وشحذت لهم الاكسية والبستهم اياها . والنوم على جلد الضبع يمنع وجع الظهر . والركوب على جلد النمر يمنع البواسير . وعندهم ان الثعلب قاضٍ للحيوان

والايام في اعتقادهم اما نحسة او سعيدة فهم يعدون ايام الاشر على الاصابع
فالايام التي ينتهي عددها بالاصبع الوسطى نحسة والباقية سعيدة وعليه تكون ايام
النحس ٣ و ٨ و ١٣ و ١٨ و ٢٣ و ٢٨ من كل شهر فلا يتزوجون فيها ولا يسافرون
ولا يزرعون ولا يبنون ولا يفصلون ثياباً. وقد مرّ ضابط ايام النحس والسعد في شعر
زروق * واما ايام الاسبوع فعندهم السبت للصيد والاحد للبناء والاثنين للسفر والثلاثاء
للحجامة والاربعاء للشراب والخميس لقضاء الحاجات والجمعة للزواج

﴿ القيافة ﴾ هذا ولاهل البادية نباهة طبيعية عجيبة في « القيافة » وهي قص الاثر أو
الاستدلال بالاقدام والحوافر فاذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق أو طرقتهم
طارق تتبعوا اثار قدمه او قدم دابته حتى يظفروا به . ومن العجيب انهم يعرفون
قدم الشيخ من الشاب والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن
والحر من العبد والحامل من غير الحامل والاعور من السليم والاسود من الابيض
بل لو عرفوا ناقة ورأوا أثر ولدها في مكان عرفوه انه ولدها وذلك منتهى النباهة .
﴿ العرب في الغزو ﴾ واذا اراد عرب السودان الغزو تزودوا دقيق الذرة
والابرية والسورج والبلح واللحم الناشف المدقوق والبايا الناشفة والبهارات والملح
فوضعوها في أجربة ووضعوا الماء في القرب وحملوها كلها على الجمال والحمر وساروا
مشاة وركبانا تصحبهم الجوارى ومعهن الصيغان والحلل للخبز والطبخ * فاذا ارادوا
الهجوم تركوا الحملة والنساء بعيداً عن مرمى الرصاص وعليها الخفراء ووقفوا صفاً
واحداً كل ربع على حدته في مقدمتهم البنداقه وفي ساقتهم القائد العام مع المدد
والفرسان في الجناحين وهاجموا العدو بقلب لايهاب الموت وهم يهللون ويكبرون
حتى اذا ما رأوا العدو بدأ البنداقه برمي الرصاص فاذا امتلأ الجو دخاناً اقتحم الحراة
النيران تتقدمهم امراؤهم على الخيل فاختاروا جهة قل فيها الرصاص واخترقوا صفوف
الاعداء واعملوا فيهم السيف والحربة واقتفى الفرسان أثر المنهزمين فقتلوا واسروا
واذا ارادوا الدفاع حفروا للبنداقه خندقاً جعلوا من ترابه متراً بالمزاغل ووقفوا
وراءهم ارباعاً والفرسان من الجناحين والقائد العام في الوراء في قلعة من المدد

هذا ما تسنى لنا جمعة عن اخلاق اهل السودان وعاداتهم وخرافاتهم * ويقال
بالاجمال في جميع اجناس السودان ان لونهم اسود او مائل الى السواد . وسكنهم
في الكواخ مستديرة هرمية الرؤوس في الجنوب وربعة مسطحة السقوف في الشمال .
وأكلهم الذرة والدخن والعصيدة بادام من اللبن او اللحم في قصاع من خشب .
وشربهم البوزة . وهم يتفنون على عدم لبس المخيط او لبسه في الشمال على قلة . وعلى
ضفر النساء شعورهن صفائر دقيقة جداً ودهن الرأس بالشحم والزيت . وعدم خروج
الرجال من منازلهم بلا سلاح وحبهم الغزو والحرب والقيد بالشعبة والمكية واستعمال
النفارة والحراب . واحترام العرض . والضجة في المآتم . وحب الرقص والطرب
والضرب على الربابة . والسلام باليد . واعتقاد السحر والخرافات

وقد زار بعض الشعراء الخرطوم في الفتح الاول ماراً بشلال « دال » وقاسى
في سفره المشاق فنظم قصيدة مجونية بالغ بها في ذم السودان واهله قال فيها :

اقضي الليالي بالسهر	والقلب ذاب من الفكر
والصدر ضاق من الفرا	ق ومن مشقات السفر
سفر الى السودان وال	خرطوم لم يك منتظر
شاهدت اهلواً به	ووجدت في « دال » العبر
تلك البلاد بأسرها	كجهنم ذات الشرر
أمراضها قتالة	وهو آؤها يعمي البصر
فكأنما ريح السمو	م تهب فيها من سقر
ريح تهب بلا انطقا	ع في المساء وفي السحر
الوانهم كصخورهم	سود كالوان الحبر
ومن العجائب لم تجد	فيها اللحوم ولا الخضر
حتى ولا من مونس	يشفي العليل اذا حضر
فيها الافاعي والعقا	رب مثل تعداد الشجر
وجميع انواع الوحو	ش الضاريات لها أثر

وبها البعوض مع التما سيح التي منها الحذر
من كل تمساح ترى بالاغتيال له خبر
ما حلّ في ساحاتها من سائح الاّ اندعر
فأقت فيها مدّة وانا أيت على خطر
لما رأيت الحال طا ل ولم يعد لي مصطبر
فارقتها متهللاً وأتيت مصر على الأثر

ولو ذهب هذا الشاعر اليوم الى الخرطوم ورأى ما فيها وفي الطريق اليها من
دلائل الاصلاح لبذل شعره بما هو أليق بالسودان واهله وتمنى عيشة الخرطوم



عادات السود

❧ انتهى الجزء الاول ويليه الجزء الثاني ❧

الجزء الثاني

في

تاريخ السودان القديم

(وفيه خمسة ابواب)



VOLUME II

THE ANCIENT HISTORY OF THE SUDAN

(IN FIVE PARTS)



الباب الأول

في

تاريخ ايثيوبيا

« وهو تاريخ البلاد منذ عهد الدولة المصرية السادسة سنة ٣٧٠٣ ق م الى دخول
النصرية لبلاد النوبة سنة ٥٤٥ ب م »
...~*~*~...

الفصل الاول

في

تاريخ ايثيوبيا قبل انتظام ملكها

« وذلك منذ عهد الدولة المصرية السادسة سنة ٣٧٠٣ ق م الى بدء الدولة الثامنة عشرة
سنة ١٦٠٠ ق م »

« حدودها » امتدت مملكة ايثيوبيا قديماً من الشلال الاول عند اسوان الى
اقصى الحبشة شمالاً وجنوباً ومن سواكن ومصوع على البحر الاحمر الى صحراء ليبيا
شرقاً وغرباً وهي تشمل بلاد الحبشة ومعظم بلاد السودان

« اسمها » وقد عرفت ايثيوبيا في الآثار المصرية كما عرفت في التوراة باسم
« كوش » . اما ايثيوبيا فهو الاسم الذي اطلقه اليونان على جميع بلاد السود
والشديدي السمرة ومعناه الوجه الاسود أو المحرق فهو على اطلاقه يشمل بلاد السودان
والحبشة والعرب الا انه خُصَّ بالبلاد التي فيها كلامنا

« سكانها » وأول من سكن هذه البلاد فيما نعلم « السود » وقد اختلف العلماء
في اصلهم فمن قائل انهم نشأوا في القارة وتشعبوا فيها قبائل شتى على ما نراه اليوم
ومن قائل انهم هاجروا اليها من اسيا عن طريق البحر الاحمر قالوا وما كانوا سوداً
بل كانوا أيضاً فسودتهم حرارة الشمس وطبيعة القارة على توالي الاجيال كما قال
ابن سينا في ارجوزته الطبية :

في الزنج حرٌّ غير الاجسادا حتى كسا جلودها سوادا

والصقلب اكتسبت البياضا حتى غدت جلودها بضاضا

واصحاب هذا الرأي لا يعيّنون تاريخ مهاجرة السود الى افريقية أوربا
اضطروا الى القول بمهاجرتهم اليها من عهد بعيد قبل التاريخ لانهم يختلفون في اصلهم
اختلافاً كلياً عن جميع السكان الذين هاجروا الى افريقية بعد التاريخ

ثم أن اولاد «كوش» بن حام هاجروا الى افريقية بعد الطوفان فاستولوا عليها
فسميت باسمهم كما مرّ . ومهما يكن من اصل الايثيوبيين الاولين فالثابت المقطوع
به في التاريخ أن سكان البلاد التي جنوبي الشلال الاول كانوا منذ اول عهد
التاريخ كما هم اليوم مختلفي الاجناس عن سكان البلاد التي الى شماليه

وكان الايثيوبيون في اول امرهم قبائل شتى لا تجمعهم كلمة ولا تربطهم جامعة
دأبهم الانشقاق وشن الغارات بعضهم على بعض كبادية هذه الايام . ومن هذه
القبائل المدوّنة اسمائها على الآثار المصرية :

«الأوايو» «Uauaiu» وقد سكنوا الصحراء الشرقية حيث العبادلة الآن

«والمازايو» «Mazaiu» وقد سكنوا جنوبيهم الى طريق بربر فسواكن

«والبوانيت» «Puanit» وقد اقاموا بين طريق بربر فسواكن وجبال الحبشة

«والدنقس» «Dangas» وهم اقزام الى جنوبي البوانيت وقد سميت بلادهم ببر

الاظلال «Land of the Shades» التي عُدّت حينئذٍ آخر المعمور حيث الاحياء

تلامس الانفس المفارقة الاجسام وهي البلاد المعروفة الآن باسم «نجباي» بين

الحبشة وزنجبار وقد كانوا في حرب دائمة مع الاحباش ولا يزالون كذلك الى اليوم

هذا ويستدل من الآثار ان قبائل الصحراء المجاورة لمصر كانوا كما هم في هذا

العهد يخالطون الحضر على النيل فيأتون من صحرائهم بالمواشي وخشب السنط والفحم

والصمغ والصيد وجلود الحيوانات والحجارة الكريمة ويقايضون منها الاقوات والانسجة

وكان المصريون يسالمونهم لمنع تعدياتهم والانتفاع بتجارتهم ويجعلون لمساكنهم جملاً

معلوماً يجرونه عليهم في كل سنة فيتعهدون بحماية الطرق وحفظ الامن ولكنهم

ما كانوا يقيمون طويلاً على العهد اذ كان خصب وادي النيل يغريهم فيغزونهُ من وقت الى آخر فينهبون ويسلبون ويعودون بالنهب والاسلاب الى صحرائهم . وكان المصريون ايضاً كلما فرغوا من حروبهم في الشمال يبعثون بالسرايا الى تلك الصحراء وغيرها من بلاد ايثيوبيا فيسبون ويغنمون من خيراتها ومعادنها ويعودون الى مصر فيدون أخبار غزواتهم على جدران هياكلهم ومدافنهم كما يشاهد في الآثار المصرية الباقية الى الآن

(بدء تاريخها) وأول من غزا ايثيوبيا فيما نعلم الملك پي الاول ثاني ملوك الدولة المصرية السادسة (سنة ٣٧٠٣ : ٣٥٠٠ ق م) فانه أرسل قائده أونا «Una» الى جبال كورسكو ليجمع بعض انواع الخشب فساعدته قبائل تلك الجهات على جمعه وأقروا الملك پي بالطاعة

وارسل الملك متوسوفيس وهو الملك الثاني عشر من ملوك هذه الدولة القائد هرخف لغزو بلاد البوانيت فعاد بغنائم البخور والابنوس والعاج والجلود حملها على ٣٠٠ حمار واحضر معه قزماً من الدنقس اتى به من بر الاظلال وكان الملوك المصريون يُسرّون بقلية الاقزام في قصورهم لانهم كانوا على زعمهم يحسنون رقص الافة فلما وصل هرخف بالقزم الى ارض مصر كان الملك متوسوفيس قد مات وخلفه اخوه پي الثاني فسر بجبر القزم وكتب الى هرخف يأمره باحضاره الى ممبس وهذا نص الكتاب : « واصحب معك في المركب بعض الخفراء لحراسته للتأيق في الماء أو يفلت في الليل لأنني أسرُّ بروية القزم أكثر من سائر الغنائم التي اتيت بها من بلاد البوانيت » . فحفر هرخف هذا الكتاب مع خبر غزوته على واجهة قبره في جزيرة الفنتين تجاه اسوان

ثم لا نعلم شيئاً يذكر بين مصر وايثيوبيا الى ايام الدولة المصرية الثانية عشرة (٣٠٦٤ : ٢٨٥١ ق م) اذ نرى اوسرتسن الاول ثاني ملوك هذه الدولة قد عقد لقائده هونو «Huno» وارسله الى بلاد البوانيت بطريق قفط والقصير لجمع الجزية من امراء تلك البلاد . فعند وصوله الى القصير بنى مراكب كبيرة وسار بها

في البحر الاحمر حتى وصل بلاد البوانيت فجمع الجزية من البخور وغيره من محاصيل تلك البلاد وعاد الى مصر

وجرد هذا الملك حملة على ايثيوبيا بطريق النيل فمدّ حدود مصر جنوباً الى الشلال الثاني . وقد وُجد حجر في هيكَل تجاه حلفا نُقل الى فلورنسا بايطاليا وعليه صورة هذا الملك وبجانبها صور مشايخ القبائل الثانية الذين تغلب عليهم في هذه الحملة ومشايخ السود الذين تغلب عليهم في بداءة ملكه .

ثم جاء اوسرتسن الثالث خامس ملوك هذه الدولة فمدّ حدود مصر جنوباً الى شلال سمنه وبني عنده هيكلاً لا تزال آثاره باقية الى اليوم . وقد وُجد هناك حجران يُعلا الحد الجنوبي لمصر مكتوباً على الواحد منهما ما نصّه : « هذا حد مصر الجنوبي الذين عُيّن في السنة الثامنة من حكم الملك اوسرتسن الثالث المخلد الذكر فلا يجوز لاحد من السود ان يتعداه الا في سفن تقلُّ البقر والمعزى والحمير من بلاده » وعلى الحجر الثاني ما يفهم منه ان الملك المذكور وضع هذا الحجر في السنة السادسة عشرة من ملكه فجعله حدّاً فاصلاً بين مصر وايثيوبيا وانه امر ان ينصب تمثاله في تلك الجهة فكان كما أمر . وترى في معتوقه في جنوب الشلال الثاني طاية من آثاره وفي جزيرة ارقو تماثيل وخرائب من ايام الدولة المصرية الثالثة عشرة (سنة ٢٨٥١ : سنة ٢٣٩٨ ق م)

واما الدولة الرابعة عشرة (سنة ٢٣٩٨ : ٢٢١٤ ق م) فلا نعلم شيئاً من امر ايثيوبيا في ايامها

وفي بدء الدولة الخامسة عشرة هاجم مصر الرعاة العماقة من اسيا الجنوبية فتغلبوا عليها وملكوها ستاية سنة ونيفاً فكان منهم الدول المصرية ١٥ و ١٦ و ١٧ (٢٢١٤ : ١٦٠٠ ق م) وكان المصريون يكرهونهم لانهم غرباء فلم ينفك ابناء الملوك القدماء عن اثارة الفتن عليهم فشغلوهم عن ايثيوبيا . وهاجر في عهدهم كثير من المصريين الى ايثيوبيا فراراً من ظلمهم فأسسوا عدة مهاجر اهمها مهجر ارقو الذي لا تزال آثاره ظاهرة الى اليوم

الفصل الثاني

في

﴿ مملكة نبتة ﴾

« وهو تاريخ ايثيوبيا منذ بدء الدولة الثامنة عشرة سنة ١٦٠٠ ق م الى نهاية الدولة الخامسة والعشرين من الدول المصرية سنة ٦٦٤ ق م »

ثم ان هؤلاء المصريين الذين هاجروا الى ايثيوبيا اخذوا معهم من جميع أنواع الفنون والصنائع المصرية فحسن بذلك حال الايثيوبيين وتدرجوا في سلم المدنية والعمران حتى انه لم تكن الدولة المصرية الثامنة عشرة (١٦٠٠ : ١٣٨٠ ق م) الا رأياهم مملكة منظمة وعليهم ملك منهم بل لم يتم الملك لاحميس اول ملوك الدولة الثامنة عشرة المذكورة الا بمعونة ملك ايثيوبيا الذي زوجه ابنته وظافره على طرد الرعاة من مصر واعادة الاستقلال اليها . ويظهر ان هذا الملك الذي انتظم للايثيوبيين كانت عاصمته منذ نشأته مدينة نبتة عند جبل البرقل بقرب مروي المعروف في الهيروغليف بالجبل المقدس

ودامت العلاقات الودية بين مصر وايثيوبيا الى حكم تحوتمس الاول ثالث ملوك هذه الدولة فانه غزا الايثيوبيين وانتصر عليهم وولى على البلاد التي فتحها أمراء مصريين لادارة شؤونها وضبط أحكامها ولقب كلاً منهم بأمير ايثيوبيا الملوكي وقد دُوِّن خبر انتصاره هذا على صخرة في جزيرة طنبس عند الشلال الثاني وخرج السود في شاطئ النيل الاعلى على تحوتمس الثالث (سادس ملوك هذه الدولة) فحمل عليهم بجيشه ففرّ اكثرهم الى الجبال فأمر بنهب مواشيهم واموالهم من ذهب وآنية معدنية وريش نعام وغير ذلك وهدم مساكنهم واحرقها وعاد بالغنائم الى مصر . ولهذا الملك هيكل قائم الى الآن تجاه حلفا نقش على جدران تاريخ انتصاراته على الليبيين والفينقيين وغيرهم . وكان قد شرع في بناء هيكل بعمدة قائمه خلفه امختب الثاني ولا تزال آثاره الى اليوم وعليه كتابة تدل

على ان هذا الملك أسر سبعة من ملوك الامور بين في تاخيس « Takis » من بلاد الشام فأرسلهم في الذهبية الملوكة الى ثيبة (الاقصر) فعلق ستة منهم على سور المدينة وارسل السابع الى نبتة عاصمة ايثيوبيا فعلقه هناك ليوقع الرعب في قلوب قبائل السود كافة . وهذا اول عهدنا بمدينة نبتة

وغزا المنتخب الثالث (المعروف ايضاً بأمونوفيس الثالث تاسع ملوك هذه الدولة) ايثيوبيا في السنة الخامسة من ملكه فانتصر عليها انتصاراً عظيماً ودوّن ذلك على صخرة بقرب جزيرة قبلي في جنوب الشلال الاول المعروفة الآن بجزيرة أنس الوجود . وعلى بعض الصخور بسمه كتابة تدل على انه توغل بجيوشه في ايثيوبيا وأسر من أهلها ٧٤ نفساً من ذكورٍ واناث وأطفال وقطع ٣١٢ يدًا أحضرها معه بعد الغزوة . وبنى هيكلًا في عاصمة نبتة وضع امام بابيه صفين من الكباش الرابضة على هيئة أبي الهول . وفي صلب آثار هيكل من بناء هذا الملك وخلفه الملك المنتخب الرابع وغزا حورمحب آخر ملوك هذه الدولة الايثيو بين فانتصر عليهم ورجع بالغنائم والاسرى ودوّن خبر انتصاره على الغار الكبير في جبل السلسلة شمالي اسوان حيث ترى صورته على شكل مقاتل حامل على كتفه فأساً كأنه يلتبس من الاله « آمن رع » دوام حياته وتأيد نصرته على أهل الجنوب وكأن « آمن رع » قد أجاب دعوته فانتصر وعاد من غزوته راكباً هودجاً نفيساً ومعه بعض رجاله وامامه الخدم يمدون له الطريق وخلفه الفرسان يقودون الاسارى ويليهم العساكر حاملين التروس والموسيقى العسكرية تصدح امامهم ثم يأتي بعدهم جم غفير من الكهنة وأرباب المناصب الملكية لاستقبال الملك قائلين في مدحه « لقد قدّم المقدّس الفاضل بعد ان قهر كبار الامم اجمع وقوسه تلمع في يده فخبذا هذا الملك القادر الفخيم الذي جاء برؤساء ايثيوبيا الاذلاء الادنياء الاصل وجلب الغنائم بقوته العالية كما امره آمن رع فعمت هذه النصره الباهرة » وترى الاسارى يصيحون قائلين « يا ملك مصر وجه نظرك الينا وأعنا فانت شمس الشعوب التسعة وقد اشتهر اسمك وبلغ اقصى ايثيوبيا فزع حربك وملاً قلوب الامم رعبك وأنت في مكانك مقيم فانك شمسنا »

وكان هذا الملك يأخذ الجزية من السود من فضة وذهب وأبنوس كما تشهد
بذلك نقوش مقبرة الكرنك. هذا ما كان من العائلة الثامنة عشرة المصرية مع ايثيوبيا
وقد رأيت في بعض التواريخ القديمة ان الايثيوبيين غزوا مصر في ايام
موسى النبي واكتسحوا البلاد الى ممفيس فاستشار المصريون آلهتهم في شأن
الايثيوبيين فأوحى اليهم ان يجندوا جيشاً ويعقدوا لواءه لرجل من العبرانيين
فاختاروا موسى قائداً على جيشهم وأطلقوا له الحرية ليفعل ما يشاء لردع الايثيوبيين
فزحف موسى بالجيش على عاصمة ايثيوبيا ولم يتخذ طريق النيل كما انتظر الايثيوبيون
بل سار بطريق الصحراء قليل وكان في طريقه أرض تموج بالحيات فأخذ معه في
اقاص من الپيروس عدداً من طيور « أبي منجل » المصرية التي تصيد الحيات فلما
وصل الى تلك الأرض افلتها من الاقاص فأهلكت جميع الحيات وفتحت الطريق
للجيش فأطبق موسى على الايثيوبيين مفاجئاً لهم فانهزموا شر انهزام الى عاصمتهم
الحصينة فحصرهم فيها وكانوا يخرجون اليه ويناجزونه فيردهم على أعقابهم
خمسرين وكانت ابنة ملك ايثيوبيا في قصرها تشاهد القتال فأعجبتها بسالة موسى
فوقع جبه في قلبها وعشقه فأسرت بذلك الى بعض رجالها الذين كانت تثق بهم
وقلت لهم اذهبوا الى موسى واخبروه بأني اسلمه المدينة بشرط انه يتخذني زوجة له
فلجلب موسى الى طلبها ودخل المدينة وتزوج بها. قلت وهذه من القصص التقليدية
الخرافية التي لا دليل على صحتها

ثم كانت الدولة المصرية التاسعة عشرة (سنة ١٣٨٠ : ١٢٣٠ ق م) فكان لها
من الشأن مع ايثيوبيا ما كان للعائلة التي قبلها واعظم فغزا ملوكها ايثيوبيا وتغلبوا عليها
واقاموا الحكم لادارتها وبنوا فيها الهياكل التي لا تزال شاهدة بسلطوتهم الى اليوم
وأشهر ملوك هذه الدولة الذي كان له أعظم الشأن مع ايثيوبيا رعمسيس الثاني
ثاني ملوكها (١٣٤٨ : ١٢٨١ ق م) فانه غزا الايثيوبيين وانتصر عليهم وأقام في تلمس
(كلاشة) هيكلاً صغيراً نادر المثال حفرة في الصخر تذكراً النصرته ولا يزال باقياً الى
اليوم ويعرف عند اهل كلاشة بيت الولي وهو من أثمن الآثار القديمة في مصر وايثيوبيا

وعلى جدرانہ نقوش صور وكتابات من أبداع صنع فترى فيها رعمسيس الثاني راكباً
عربةً تجرها جياد الخيل وهي تنهب الأرض نهباً وهو يطلق سهامه على جيوش العدو
غير المنظمة فينهزمون امامه الى الغابات . ثم ترى رئيساً من الايثيوبين مجروحاً يحملهُ
رجالهُ الى بيته وواحدًا من اولاده يحثو التراب على رأسه حزناً عليه وآخر يركض
لنخبر والدته وهي تطبخ على نار موقدة في الأرض . ثم ترى رعمسيس جالساً
تحت مظلة الملوكية والايثيوبين الذين تغلب عليهم وفي مقدمتهم امير كوش
(المسمى امينمايت) يقدمون له الهدايا من خواتم واكياس الذهب وجلود الفهد
وعروش فخيمة ومرواح وسن الفيل وبيض النعام وغيرها . ثم يتقدم وفد من
الايثيوبين ومعهم أسد وثيران وغزلان ثم نرى جماعة من الرؤساء المصريين
يتبعهم أمير كوش وبعض الايثيوبين آتين بهدايا من النبات والجلود والقروء
وظريف المعاني (Camelopard) وغيرها من الحيوانات

ولرعمسيس الثاني هيكل آخر منحوت في صخر في الدر اقامه لعبادة الاله آمن رع
ذكر فيه أيضاً انتصاره على الايثيوبين . وله هيكل من الحجر الرملي الصلب في
السبوع وعليه صورته يقدم البخور للاله آمن وهو يقول له « لك اعطي كل القوة
واعطيك العالم بسلام » وفي اسفل جدران بعض الغرف اسماء اولاد رعمسيس
وعدهم ١٧٨ نفساً . ومن اعماله انه جدد استخراج الذهب والزمرد من معدنيهما
في وادي العلاقي المعروف قديماً باسم اكيثا Akita الذي ينتهي عند النيل بكوبان
تجاه دكا . وهناك آثار قلعة يظن انها من عهد رعمسيس الثاني وان القدماء كانوا
يذهبون منها الى ذلك الوادي

ومن بناء رعمسيس الثاني هيكل « ابوسمبل » على ١٧٠ ميلاً من الشلال
الاول وهو هيكل عظيم منحوت في الصخر في منحدر اكمة مرتفعة فوق النيل اقامه
تذكراً لاتنتصاره على الحثيين في الشمال الشرقي من سورية وهو اعظم الهياكل
في ايثيوبيا الشمالية واجملها بل في صنعه ونحته من العظمة مع البساطة ما لا يوجد في
غيره من هياكل وادي النيل كلها . وفي واجهته ثلاثة تماثيل هائلة لرعمسيس الثاني

تمثله جالساً ويداه على ركبتيه والتاج على رأسه وعلو الواحد منها ٦٦ قدماً وطول قدمه ١٥ قدماً وطول اذنه ٣ اقدام و ٥ قراريط وكلها منحوتة في الصخر . وفي داخل الهيكل أعمدة من الصخر نفسه علو الواحد منها ١٧ قدماً وفي صدره مذبح فيه تمثال هرمنجيس « Son God » ورعمسيس الثاني امامه يقدم له الطاعة وهناك صورة آمن رع وثوث وغيرها من الالهة وأسماء اولاد رعمسيس . وعلى جدران الغرف كتابات بالهيرغليف تبين تاريخ انتصاره على الحثيين والكوشيين أي الاثيوبيين وهناك صور الامم الافريقية والآسية التي تغلب عليها وأمير كوش واقف امامه . ولرعمسيس الثاني هيكل في نبتة باقية اثاره الى الآن وهو اقدم هياكل تلك المدينة

هذا وفي جزيرة ساي خرائب من عهد هذه الدولة والدولة التي تقدمتها ودامت سلطة مصر على ايثيوبيا الى عهد الدولة العشرين (١٢٣٠ : ١١١٠ ق م) قد وجد ماريوت سنة ١٨٧٦ حجراً في شونة الزيبب بالعراة المدفونة بمصر مكتوباً عليها نصه : « ان الملك رعمسيس الثاني عشر (وهو آخر ملوك هذه الدولة) اصدر امره الى « بيانخاس » حاكم الايثيوبيا ورئيس الامم الاجنبية التابعة للدولة المصرية يقول له فيه « انفذت اليك مستشاري الرئيس ياني بكتاب ضمته لوامري فعند وصوله اليك ساعده على انجازها بالحسنى لانه هو المكلف بتمامها وعلبك ان تلاحظ تواييت « المعبودة » وتضعها في سفينة وتأتي بهامعه الى المكان الذي أعدت لاهضر معك الحجارة النفيسة للصناع وأحذر من التأخير في انجاز هذه الاوامر والآ خلعتك وعاملتك بحسب ما يصل الي من اخبارك »

وبعد هذا العهد اشتغلت مصر عن ايثيوبيا بالفتن الداخلية والحروب مع اسيا . وحدث أن احد ملوك الدولة الحادية والعشرين (١١١٠ : ٩٨٠ ق م) المسمى ستمبيامون نفى بعض الكهنة المصريين الى ايثيوبيا فأدخلوا عبادة الاله « آمن » الى نبتة وقبوا الاثيوبيين فخرجوا عن طاعة مصر واستقلوا تحت حكم كاهن منهم . ومن ذلك الوقت أخذ نجم ايثيوبيا في الظهور والارتفاع حتى علا على نجم مصر . وفي آخر ايام الدولة الثانية والعشرين (٩٨٠ : ٨١٠ ق م) هاجم الاثيوبيون مصر

وفي آخر أيام الدولة الثالثة والعشرين (٨١٠ : ٧٢١ ق . م) استولوا على صعيدها وكانت مصر في هذه الاثناء قد انقسمت الى عشرين ولاية بعضها مستقل عن بعض وعلى كل ولاية أمير فتغلب الملك تفنخت أول ملوك العائلة الرابعة والعشرين (٧٢١ : ٧١٥ ق . م) عليها كلها وجعلها مملكة واحدة وزحف على الوجه القبلي يحاول استرجاعه من الاثيوبيين حتى وصل الى اهناس الجنوبية

﴿ الملك بعنخي ﴾ وكان على الاثيوبيين في ذلك العهد ملك قادر يسمى بعنخي مقيم في نبتة عاصمة ايثيوبيا فجرد عليه جيشاً جراراً وقاتله في عدة وقائع حتى انتصر عليه وتقس خبر نصرته هذه على حجر وجد في نبتة ونقل منها الى متحف الجيزة بمصر وهذا ملخص ترجمته عن العقد الفريد عن ده روجه ببعض التصرف :

« في غرة توت من السنة الحادية والعشرين من حكم ملك الوجه القبلي والبحري « بعنخي ميامون » خلد ذكره صدر امره بما نصه : اسمعوا ما فعلته زيادة عن اجدادي انا الملك الخارج من سلالة مقدسة النائب عن المعبود « توم » المميز بشارة الملك منذ الصغر انا المقدس الطيب حبيب المعبودات ابن الشمس « بعنخي ميامون » بلغني ان الامير تفنخت استولى على مدينة منف وغيرها من المدن المصرية الشمالية وسار نحو الجنوب بجيش جرار فاطاعته الامراء واعيان البلاد وصاروا تحت رجليه اذلة كالكلاب حتى وصل الى اهناس الجنوبية فحصرها حصاراً شديداً ومنع اهلبا من الدخول والخروج ودام على قتالها حتى فتحها . وكان الامراء يبعثون اليّ بالرسل يسألون عن سبب قعودي عن تفنخت وعدم المدافعة عن الوجه القبلي وقالوا ان النمرود رئيس الاشمونيين هدم حصون نفروس ودمرها مخافة ان يأخذها تفنخت والتجأ الى مدينة اخرى فاقتفى تفنخت اثره فاضطر الى الخروج عن حزبي والانضمام اليه فغمره بانعامه واعطاه اهناس الجنوبية . فعند ذلك ارسلت الى قوادي الذين في ثيبة وغيرها من بلاد مصر ان يستعدوا لقتاله ويسلبوا مواشيه وسفنه التي في النيل ويمنعوا العمال من الخروج الى الحقول ويحاصروا مدينة ارمنت ففعلوا وامددتهم بالجيوش وقلت لهم لا تهاجموه ليلاً هجوم الحادعين بل هاجموه متى رأيتم انه اعد »

جيوشه وخيوله وسار لقتالكم واذا قيل لكم انه يجمع مشاته وفرسانه في مدينة اخرى ويستعد للهجوم عليكم فاثبتوا في مكانكم الى ان ياتيكم فحاربوه مستبسلين واعلموا ان المعبود «آمن» هو الذي ارسلنا اليهم ولا بد ان ينصرنا عليهم . واذا وصلتكم الى ثيبة فانزلوا في النيل وظهروا انفسكم بمائه والبسوا ملابس الاعياد وضعوا عنكم القسي والسهام ولا يتعرض احد منكم «لا آمن» صاحب الحول والطول اذ بدونه لا يكون لفارسكم قوة وهو يجبر العظم الكسير ويفني العدد الكثير وينصر الواحد على الالف فاغتسلوا بماء معابده واسجدوا له وقولوا ثبت افئدتنا على الحق لتحارب في ظل سيفك لان المقاتلين الذين ترسلهم يبددون الالوف . فعند ذلك خروا قائلين اسمك سيفنا وعلمك مرشد لجيوشنا وخبرك في اجسامنا ومشروباتك تطفي ظمأنا وشجاعتك سلاحنا والنصر مقرون باسمك وما يثبت جيش رئيسه معتد باغ فمن يشبهك ايها الملك المنصور الفعال الآمر بالحرب . ثم انحدروا في النيل الى ان وصلوا ثيبة ففعلوا ما امرهم به ملكهم . واستأنفوا السير في النيل فقابلتهم سفن حربية مشحونة باللاحين والجنود والضباط الماهرين المدربين وقد جاءت من الوجه البحري لمحاربتهم فانشب القتال بين الفريقين وكان النصر لجنود الملك بعنخي فقتلوا من الاعداء واسروا وارسلوا اسراهم احياء الى بعنخي . ثم زحفوا على مدينة اهناس الجنوبية فاجتمع اعيان الاقسام الغربية والشرقية والبلاد الوسطى وحكامها واتفقوا على محاربتهم فاطبق عليهم رجال بعنخي ووقعوا بهم واخذوا سفنهم واكرهوا من سلم منهم على الفرار فعبروا النيل الى الغرب فأقاموا في محل يدعى «بايك» . وفي صباح اليوم الثاني اجتاز رجال بعنخي النهر مقتفين اثرهم فادركوهم واختلطوا بهم وقتلوا كثيرا من رجالهم وخيولهم ووقع الرعب فيمن بقي ففروا الى الوجه البحري منهزمين شرهزيمة . ثم زحف جيش بعنخي على ارمنت فلما بلغ النمرود خبرهم جمع رجاله وخيوله وسبقهم اليها فحصره فيها من الجهات الاربع ومنعوا اهلها من الدخول والخروج وارسلوا كتابا الى الملك بعنخي يعلموه بما كان فلما قرأ كتابهم اغتاض وتلون كالنمر وقال لئن ابقى جنودي على بقية جيوش الوجه البحري او مكثوا

احداً منهم من الفرار ولم يفنؤهم على بكرة ابيهم فنجياتي ويحق المعبود « رع » ويحق ابي « آمن » لاقاتلنّ بنفسي واهدمنّ جميع حصونهم وأحرمهم القتال ولكن يلزمني قبل ذلك ان احتفل بموسم رأس السنة في جبل البرقل واقدم القران لابي « آمن » يوم تجليّه في ذلك العيد ثم اتوجه الى ثيبة لاشاهده هناك في موسم العظم وبعد ذلك اتفرغ للوجه البحري فاذايقه طعم سطوتي . ولما بلغ جنوده الذين في مصراته لم يكتف بما فعلوا تقدموا الى مدينة « واب » وافتحوها وارسلوا يخبرونه فلم يسكن غضبه . ثم هاجموا « تهنى » وكانت مدينة حصينة غاصة برجال الوجه البحري فاقاموا المتاريس حولها وهدموا اسوارها ووقعوا بأهلها وكان في جملة القتلى ابن تفنخت امير المشواشين فارسلوا يخبرون ملكهم بذلك فلم يسكن غضبه . فهجموا على « حينو » وفتحوها عنوة وارسلوا يبشرونه بذلك فلم يسكن غضبه .

ولما كان اليوم التاسع من شهر توت وصل بعنخي بجيوشه الى ثيبة واحتفل فيها بموسم « آمن » السنوي ثم توجه توتاً الى ارمنت التي كانت لا تزال تحت الحصار وخرج من سفينته فوضع النير على خيوله وركب عرباته فانتشر الفرع في قلوب الناس الى اقصى بلاد آسيا ! ثم برز كالاسد وهجم على الاعداء وقال لهم اذا اقمتم على القتال اخرت اوامري بالعفو عنكم فيما بعد واذقتم مرارة سطوتي فلم يسمعوا له فوضع معسكره في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة وشدد عليها الحصار واقام متاريس من تراب لتقيه مقذوفات اسوارها ونصب سلام للارتقاء اليها وصوب رجاله عليها السهام ورموها بحجارة المجانق ووالى الهجوم عليها ثلاثة ايام حتى افسد هواؤها وحرم اهلها استنشاق الهواء النقي فسلمت فأرسل النمرود رسله حاملين الذهب والحجارة النفيسة والانسجة الفاخرة وقائلين لقد ظهر الملك وتاج الثعبان على رأسه وغيظه مكتوم ولم نلبث حتى اطعنا تاجه ثم ارسل النمرود امراته لترجو حرم الملك بعنخي وجواريه وبناته واخواته في العفو عنهم فسجدت امام حرم الملك في القصر قائلة ايتها النساء الكريمات حرم الملك وبناته واخواته اغثنني وسكن غضب الملك صاحب القصر فما اشد سطوته واعظم عدالته . . . ولما مثل النمرود بين يدي الملك

بعنى قال له الملك لقد سددت طريق الحياة عن نفسك فقال النمرود لو صعدت
الى السماء كالسهم لادركتني كيف لا وقد اخضعت بلاد الجنوب واطاعتك بلاد
الشمال فهل لنا ان نستظل بظلك فقد افنى بأسك جميع رجالنا فلا أب يرى مع ابنه
وامنأت بلادنا بالاطفال ثم خرّ ساجداً امام جلالة الملك وقال انا احد عبيدك
الذي يدفعون الجزية لخزينتك فاحسب ما تجمع من عبيدك كلهم وخذ مني جزية تزيد
على مجموع جزيتهم ثم شرع في تقديم جزيته فكانت شيئاً وافراً من الفضة والذهب
واللازورد والزرجد والحديد والاحجار النفيسة حتى ملأ خزينة الملك وجاء بحصان
في يده اليمنى وآلة موسيقية تشبه « الربابة » مصوغة من الذهب واللازورد في يده
اليسرى وقدمهما للملك . فخرج الملك اذ ذاك من قصره وتوجه الى معبد « هرمس »
اله ارميت فقابلهُ عساكرها بالفرح وقال له الكهنة ما اعظم الملك بعنخى سلالة
الشمس لقد جئت الى مدينتك يا حامي حمى ارميت فاعمل لنا عيداً لقدومك . ثم
جاء المدينة ودخل قصر النمرود وطاف في غرفه وشاهد جميع خزائنه وامر باحضار
زوجاته وبناته فأتين خاضعات لجلالته فلم يلتفت اليهن . وبعد ذلك تفقد
اصطبلات القصر فوجد الخيول بلا علف فأقسم بحياته وبالاله « رع » وقال ان اجاعة
خيولي هي اقبح ذنب جنيته ايها النمرود فقال النمرود لا تغير قلبك بالغضب ايها
الملك فاني سأخبر سيد الخدم بغضبك واعدت العلف لخيولك . هذا وقد اهدى الملك
بعنخى اموال ارميت كلها الى خزينة آمن رع ساكن ثيبة

وجاءه ملك اهناس بهدايا من ذهب وفضة وحجارة كريمة وجياد من خيوله
وسجد امامه وقال السلام عليك ايها الملك الحاكم المنصور الثور الذي يبطش بالثيران
لقد كنت في اعماق هاوية محاطاً بالظلمة فأخرجتني من الهاوية وقشعت عني الظلام
انا عبدك ولك جميع ما أملك وها هي جزية اهل اهناس التي يقدمونها لملكهم فقبلها منه
ثم سار بجنوده شمالاً وكان كلما مرّ بمدينة وقد اقفلت دونه ابوابها يدعوها
لتسليم قسمله فيدخلها ويأخذ منها الجزية ولا يقتل من اهلها احداً حتى اشرف على
عليبتهمف (تجاه القاهرة) فأرسل الى اهلها يقول لا تقفلوا ابوابكم دوني ولا تحاربوني

فاني سأدخل مدينتكم واخرج ولا اسيء الى احد منكم بل اقدم القرابين الى « بتاح »
 ومعبودات منف كلها واقم في معبد « شيتي » الصلوة الى « سو كاري » فاعتبروا بأهل
 الوجه القبلي فاني لم اعاقب منهم الا من طغى ولم اقتل الا من اغضب المعبود فلم
 يسمعوا لقولي واغلقوا دونه ابوابهم . وجاء تفنخت من « صا الحجر » ليلاً الى منف
 وقال لقواده وجنوده البرية والبحرية وكانوا ٨٠٠,٠٠٠ رجل ان منف غاصة بأعظم
 جنود الوجه البحري واشوانها ملأى بالقمح والشعير وانواع الحبوب وفيها جميع
 العُدَد وسورها متين وطايتها متسعة حصينة مبنية حسب قواعد الدفاع والنهر محيط
 بشرقى المدينة فلا يجد العدو مكاناً يهاجمكم منه وانتم تعلمون ان مراعيها غاصة
 بالمواشي وخزانتى ملاءة من الفضة والذهب والنحاس والملبوسات والطور والعسل
 فسأذهب واعطي جميع ذلك لامراء الوجه البحري فاثبتوا في حاميتكم ودافعوا عن
 انفسكم الى ان اعود اليكم ولما أتم كلامه ركب حصانه لانه اسرع من عربته وقتل
 راجعاً الى الوجه البحري خوفاً من الملك بعنخي . وفي صباح اليوم الثاني اقترب
 الملك بعنخي من منف بقصد كشفها فوجد الماء مرتفعاً الى اسوارها وسفنها راسية على
 شاطئها وتأملها فراها حصينة منيعة لها استحكام قوي وسور مرتفع حديث البناء ولم
 يجد فيها موضعاً يهاجمها منه فاستشار رجاله في شأنها فقالوا نجتمع كشباناً من التراب
 مساوية لسورها وننصب عليها سلام ونقيم المتاريس من حولها فلما سمع الملك بعنخي
 هذا الرأي تلون كالنمر وقال وحياتي وحياة المعبود « رع » وابي « آمن » لاهاجمن
 هذه المدينة في الحال واخذنها كريح عاصف ثم أمر قواده فادنوا السفن والارماث
 ومراكب النقل من الشاطئ فلم يشعر بهم احد وامر رجاله فاحدقوا بسورها
 ودخلوها من جهة النهر وكان قد اوصاهم قائلاً اذا تسور احدكم السور فلا يقف في
 مكانه واذا سلم لكم احد الرؤساء فلا تقتلوه لان هذا مذموم فعملوا بوصيته وبذلك
 دخل المدينة وقتل من اهلها خلقاً كثيراً واحصى اسراها بين يديه . وفي ثاني
 يوم الواقعة ارسل جماعة من رجاله للمحافظة على المعابد ثم توجه بنفسه الى هيكل
 معبودات منف وقدم لها قرباناً من المشروبات وطهر المدينة بالنظرون والبخور وارجع

الكهنة الى اماكنهم ثم توجه الى معبد « بتاح » وتطهر في بابه ولما دخله قدّم لايه « بتاح
 رستيف » قرباناً عظيماً من ثيران وعجول واوزّ وغير ذلك من الاشياء النفيسة .
 ثم دخل قصرها الملوكي فاتاه بعض رؤوساء الوجه البحري بجزيتهم راجين ان يأذن
 لهم في مشاهدة انوار وجهه فقبل منهم الجزية . وأهدى جميع خزائن منف واشوانها
 الى هياكل « آمن » و « بتاح » وباقي معبودات « حكا بتاح » . وفي اليوم التالي
 عبر النيل الى الشرق وتقرب الى « توم » ومعبودات مدينة « أُمَاح » بقربان من
 ثيران وعجول واوزّ راجياً ان يمنحوه السعادة . ثم توجه نحو المطرية فمرّ بمدينة « مرقى »
 وقدم قرباناً لمعبوداتها وتطهر في المنبع الرطب . وغسل وجهه بماء « نو » حيثما تغسل
 الشمس وجهها . ثم قصد « شيوكامان » وتقرب للشمس وقت شروقها بقربان من ثيران
 يض ولبن وعطور وغير ذلك من الاخشاب ذات الرائحة الذكية . ثم دخل معبد
 الشمس (في المطرية) وصلى مرتين وطلب له كبير الكهنة من المعبود ان يهزم اعداءه
 وبعد ذلك صلى الملك صلاة الباب وهي صلاة خصوصية عندهم وكسا الضريح وتبخّر
 بالبخور وتقرب للمعبود بالمشروب وازهار « الحبّسّين » وهي من ازهار المعبد العطرية .
 ثم صعد في السلم الى الطاق الكبير فرأى الشمس في ضريحها وعظّم السفينة المقدسة
 المعلقة في مقام « رع » و « توم » ثم أقفل الابواب وطينها بالابلز وختمها بالختم
 الملوكي وقال للكهنة لا يُسمح لاحد ان يفتك ختمي ويدخل هذا المحل فخرّ الكهنة
 امامه ساجدين وقالوا سيدي هذا الختم محفوظاً مباركاً ولا يصيبه اقل ضرر ايها الملك
 القادر العظيم محب المطرية . ثم دخل معبد « توم » وصلى فيه

وفي اليوم التالي عاد الى الشاطئ الذي فيه سفنه وسار الى مدن ككهاني
 واترب وكامور وغيرها من مدن الوجه البحري فقدم القرابين لالهتها واتاه ملوكها
 ورؤسائها واعيانها المتمازون بوضع الريش والمظلات فوق رؤوسهم فسلموا له وقدموا
 الجزية من الذهب والفضة والحجارة الكريمة والخيول والعطور والنفائس

فلما بلغت هذه الاخبار مسامع الملك تفنّخت امير المشواشين ارسل الى بعنخي
 رسولا يقول له : اكظم غيظك ايها الملك الظافر فاني وُجِل من رؤيتك ولا طاقة

لي على حربك وقد امتلأ قلبي رعباً منك لانك كمعبود الجنوب « بنتا » وكعبود الشمال « مونت » وأنت الموصوف بالثور المنصور ان اردت شيئاً لا يعارضك فيه احد وقد بلغت الآن جزائر البحر وأقمت في حى المعبودة « نيت » فراراً من سطوتك وخشية من تعنيفك الموجه وتويعك المؤلم فانا الخادم وانت السيد أفلا يعفو السيد عن خادمه . خذ لخزانتك كل ما املكه من ذهب وحجارة نفيسة وخذ اجود ما عندي من الخيول والسروج وابعث برسول من قبلك ليزيل الرعب من قلبي فاذهب معه الى المعبود واحلف يمين الطاعة امامه . فأرسل الملك اليه الكاهن الاعظم ورئيس الجيوش فأعطاهما تفنخت فضةً وذهباً وملابس وحجارة نفيسة متنوعة ثم ذهب معها الى المعبود وتاب اليه وحلف يميناً مقدسة بانه لا يخالف للملك امراً ولا يتعدى له قولاً ولا يسيء الى احد من الرؤساء بغير رضاه فقبل الملك توبته واخذ الجزية منه وعفى عنه

ولما كان صباح اليوم الثاني اتى ملكا الوجه القبلي وملكا الوجه البحري ليقدموا تحيتهم للملك بعنخى ويتشرفوا بالمثلول لديه وكانت فرائصهم ترتعد كفرائص النساء فلم يأذن لهم في الدخول عليه لانهم كانوا مدنسين بالسيمك المحرم اكله في قصور الملوك ولكنه اذن للنمروذ في الدخول عليه لانه كان طاهراً ولم يأكل السيمك المنهي عنه ولبث الباكون واقفين خارجاً على ارجلهم

وبعد ذلك اراد الملك بعنخى الرجوع الى بلاده فشحن سفنه بما اهدى اليه من الذهب والنحاس والملابس والخيرات الواردة من الوجه البحري وبلاد الشام والعرب وسار في النيل وقلبه مفعم سروراً واهل مملكته في الشرق والغرب يستقبلونه بمزيد التجارة والتعظيم وكلما حلّ ببلاد رفع اهلها هتاف الفرحة قائلين ايها الملك المنصور بعنخى لقد اتيت وحكمت الوجه البحري وصيرت رجاله اذلة كالنساء وحل الفرح في قلب امك التي ولدتك فصرت شهماً واعطاك « آمن » جوهره فبشرى لك ايتها البقرة التي ولدت ثوراً كان له على ممر الادهار ذكر مخلص وملك مؤبد الا وهو الملك بعنخى الملك المحب لقسم ثيبة اه »

ولم تمت للملك بعنخي الغلبة على مصر ألحقها ببلاده وابقى لامراتها الامتياز الذي كان لهم من قبل وجعل تفنخت ملكاً بالنيابة عنه فأقام في تانيس (صا الحجر) مركز حكمه القديم وعاد بعنخي الى نبتة فجعلها تحت الملك لمصر وايتيوييا

(الملك كاتشا) ولكن لم يلبث ان مات وخلفه الملك كاتشا أو كاشتا ولم يكن من عائلة ملوكية بل كان متزوجاً بابنة كاهن مصري فنقض عليه تفنخت المذكور واضطره الى اخراج جنوده من مصر ثم توفي تفنخت فخلفه ابنه باكوريس وكان قوي الادراك فقيهاً عادلاً فاتخذ خطة والده وشرع في نزع مصر الوسطى والوجه البحري من الامراء فنجح في ذلك وجعل مصر كلها تحت سلطانه

(الملك سباقون) وفي اثناء ذلك مات كاتشا ملك الايتيوبين عن ولدين خلفه احدهما المسمى سباقون وتوجه الى مصر لقتال باكوريس واستعان عليه بامراتها الذين كانوا يكرهونه لنزعه الملك منهم فوقع باكوريس في قبضته بمدينة تانيس فألقاه جياً في النار واستقل بأيتيوييا ومصر وكان رأس دولة عرفت في تاريخ مصر بالدولة الخامسة والعشرين الايتيوية (سنة ٧١٥ : ٦٦٤ ق م) . وكان سباقون رجلاً عادلاً فخوراً محباً للتقدم والاصلاح فلما تولى سرير الملك تلقب بألقاب الفراعنة وشرع في تنظيم مصر وضبط ادارتها فأبقى كل رئيس على اقليمه مع حفظ نفوذه على الرؤساء بمراقبة امراء ايتيوبين وجعل شقيقته آمن ريتس ملكة على الوجه القبلي في ثبة . ولهذه الملكة في متحف الجيزة تمثال من حجر الغرانيت الاصفر بقدر أهيف وقوام رشيق ووجه صبور جميل يزينه التاج على رأسها والاساور العريضة في معصمها والمجول الكبيرة في رسغها على مثال أساور السودانات وججولهن في هذه الايام والتمثال قائم على قاعدة من الغرانيت الاسود منقوش عليها اسمها واسم اخيها سباقون وايتها كاتشا

وشاد سباقون في مصر الجسور واحتفر الترع حرصاً على البلاد من ان يمسا غرق أو شرق ورمم كثيراً من المعابد واستبدل عقوبة القتل بالاشغال الشاقة واشتهر بحسن التدبير وجودة السياسة فتمتعت مصر في اول ايامه بالراحة ولكن لم تدم لها

لان مملكة اشور كانت في ذلك العهد في معظم سطوتها وقد كدرت صفاء الفينيقيين والامرائيليين والفلسطينيين فأجمعوا على ان يستنصروا ملك مصر لينقذهم من جورها . فأرسل « هوشع » ملك اسرائيل هدايا فاخرة الى سباقون (وفي التوراة سوا) وسأله التحالف معهم على شلنصر ملك اشور فأجابهم سباقون الى ذلك آملاً انه بتعاهده معهم يتدرّع الى اخذ ممالكهم و اضافتها الى ملكه كما اضافها اسلافه الفراعنة . فقبل الهدايا واعتبرها جزية كما اعتبر مساعدته لهم من قبيل مساعدة الرئيس للرؤوس . وقد بالغ في هذا الاعتبار حتى انه نقش على حائط هيكل الكرنك (بالاقصر) انه اخذ الجزية من بلاد الشام كما اخذها مشاهير ملوك مصر الذين هدموه . فلما شاع خبر هذه المعاهدة وبلغ مسامع شلنصر سار الى « هوشع » ملك اسرائيل فأسره وأخضع قومه ثم سار الى مدينة السامرة وحصرها فمات قبل افتتاحها وكان آخر ابناء العائلة الملوكية الاشورية فخلفه رئيس قواده اسرحدون فسار على خطاه وفتح السامرة ثم تقدم الى فلسطين وقتل الملك « يهويد » أحد المتحالفين مع سباقون فخاف سباقون على بلاده وذهب بجنوده الى الشام فانضم الى حانون ملك غزة أحد المتحالفين وسار الملكان معاً لقتال الاشوريين فالتقيا بهم في مدينة رافيا وانشب الحرب بين الفريقين وانجلى عن انهزام الجيوش المصرية والشامية ووقع حانون أسيراً في يد سرجون ونجا سباقون فضلاً في الصحراء الى أن دلّه راعٍ من فلسطين على طريق مصر . وبعد رجوعه ثار عليه سكان الوجه البحري تحت رئاسة اسطيغانيس أحد اقرباء الملك باكوريس المتقدم الذكر فانهمزم سباقون الى الصعيد .

﴿ الملك سبيخون ﴾ وبعد قليل مات سباقون وترك حكم الايثيوبيين وصعيد مصر لابنه سبيخون وبقي الوجه البحري تتنازعهُ فئتان من المصريين فاغتم سبيخون فرصة الانشقاق وحارب الوجه البحري واسترجعه الى ايثيوبيا .

﴿ الملك طهراق ﴾ ولكن ما ثبتت قدمه حتى نقض عليه طهراق أحد الامراء الايثيوبيين فقتله وتولّى مكانه وكان اسطيغانيس لا يزال محاصراً في مدينة منف فزحف عليه ونزع المدينة منه وطهر مصر من العصاة ثم دعا أمه من ايثيوبيا .

ولقبها بجأمة الوجه البحري والقبلي وسيدة الامم وكتب على جدران هيكل جبل
 البرقل اسم مصر بين أسماء البلاد التي خضعت لصولته وبقي متنعماً في مصر الى ان
 جاءه « اشور اخي الدين » ملك اشور فاتحاً فعجز عن رده فتقهقر مع جيشه الى
 مدينة نينه واستولى ملك اشور على منف وثيبة ونهب أمتعة هياكلها وارسلها الى
 بلاده فوضعها في المعابد تذكراً لنصرته . ثم اشتغل في تنظيم ادارة مصر فأرجع
 الحكم لأمرائها العشرين واقام كل امير على اقليمه وضرب عليهم الجزية وعاد الى نينوى
 تاركاً بعض جنوده حامية في قلاع مصر خوفاً من غائلة الايثيوبيين وقدمر في طريقه
 بنهر الكلب عند مدينة بيروت فنقش على حجر هناك بقرب الحجر الذي نصبه رعحسيس
 الثاني قوشاً كبيرة بين فيها فتكهُ بالمصريين والايثيوبيين وادّعى السيادة عليهم
 وفي سنة ٦٦٩ ق . م مرض اشور اخي الدين فاغتتم طهراق الفرصة وزحف
 على الاشوريين في منف فهزمهم منها واستولى عليها بعد محاصرتها حصاراً شديداً
 فلما علم اشور اخي الدين بذلك ورأى عجزه عن الدفاع تنازل عن الملك لابنه الاكبر
 اشور بانبال فتقدم بجنوده الى مصر فنكل بالايثيوبيين واخرجهم منها وأرجع الحكم
 الى امراء مصر العشرين مرة ثانية وعاد الى بلاده ظاناً ان الايثيوبيين لا يعودون
 الى مصر فما وصل الى نينوى حتى عاد طهراق فاسترجع مدينة ثيبة وأبطل عبادة
 العجل « ايس » منها ثم عاد الى بلاده لرؤيا رآها في المنام وكانت مدة حكمه على مصر
 عشرين سنة وعلى ايثيوبيا خمسين سنة . وفي المتحف المصري في الجزيرة رأس تمثال
 من الحجر الغرانيت الاسود قالوا انه رأس طهراق لمشابهته لصوره المرسومة على الآثار
 وهو مستدير الوجه واسع العينين ممتلئ الخدين بارز الشفتين مع انقلاب خفيف فيها
 وفطس قليل في الانف وبالجملة فان ملائجه تحاكي ملامح النوبة الجالين
 (الملك اورد أمن) وخلفه على عرش ايثيوبيا صهره اورد أمن وكانت مصر
 بعد ذهاب طهراق منها قد عادت للاشوريين واعادوا الحكم الى أمرائها العشرين مرة
 ثالثة وبقيت تابعة لمملكة اشور الى ان رأى اشور بانبال ان في حكمها عناء ومشقة
 بالنظر الى بعدها عن بلاده فأغضى عنها وبقيت تحت حكم أمرائها العشرين

الملك نوات ميامون ۞ وفي اثناء ذلك توفي اورد أمن ملك ايثيوبيا وخلفه
 « نوات ميامون » فرأى في الحلم انه سيملك الوجه القبلي والبحري فاستبشر بهذه
 الرؤيا وغزا الوجه القبلي وكان فيه طائفة من الايثيوبيين قد أسسوا حزبا قويا في
 ثيبة وضواحيها وأقاموا فيها زمانا حائزين لرتبة الكهانة في معبد آمن رع فلما رأوا
 « نوات ميامون » وهو من جنسهم طامعا بمصر ساعدوه على عزمه فاستولى على
 الوجه القبلي بلا قتال ثم اخذ في فتح الوجه البحري فعارضه امراؤه فردهم القهقري
 فتحصنوا في قلاعهم ولم يبرزوا لقتاله فل من الانتظار وعاد الى منف متحيرا في امره
 ولكن اجتمع الامراء برئاسة واحد منهم يسمى بكرور للنظر فيما يفعلونه فأشار عليهم
 بالطاعة لنوات ميامون فوافقوه واتوا الى منف مقدمين له الطاعة فانشرح صدره
 لاتمام حلمه في السيادة على مصر وتقس هذه القصة في حجر وجده ماريوت باشا في
 اطلال مدينة نبتة بجبل البرقل سنة ١٨٦٣م وهو محفوظ الآن بمتحف الجزيرة وهذا
 ما جاء فيه ملخصا عن العقد الفريد ببعض التصرف :

« على الملك العظيم المنصور والحكيم القاهر نوات ميامون ملك الوجه القبلي
 والبحري ييكارع سلالة الشمس محبوب « آمن » ساكن نبتة ٠٠٠ سلام
 في احدى الليالي رأى الملك في الحلم شعبانين الواحد عن يمينه والاخر عن يساره
 فلما استيقظ ولم يرهما دعى المفسرين وسألهم تفسير هذا الحلم فقالوا له انك ستملك
 الوجهين القبلي والبحري من ارض مصر ويضئ تاجها على رأسك ويكون « آمن »
 مساعدا لك على الامر . ففي تلك السنة ارتقى الى عرش الملك وخرج من مكانه
 كالباشق اذا انطلق من أجمته فصحبه خلق كثير وتوجه الى نبتة عاصمة ايثيوبيا فتمتع
 بمشاهدة معبودها « آمن » في الجبل المقدس واهدى اليه الازهار ثم اخرجته من
 معبده وقدم له القرابين وهي ٣٦ ثورا و ٤٠ كاسا من المشروبات ومعها ١٠٠ حمار ثم
 سار نحو مصر فلما اقترب من جزيرة اسوان عبر النيل اليها ودخل هيكل «خنوم رع»
 معبود الشلالات واخرج تمثاله من مكانه وقدم له القرابين ثم توجه الى ثيبة
 (الاقصر) ودخل هيكل معبودها « آمن رع » فرحب به الكهنة والخدم وكلوه

بالأزهار فأخرج تمثال « آمن رع » من مقدسه وعمل له موسماً كبيراً في ارجاء المدينة . ثم ركب النيل وسار نحو الوجه البحري فكان السكان عن الشاطئين الشرقي والغربي يرحبون به ويهتفون سر مصحوباً بالسلامة والامن ورّمهم الهياكل التي دمرت وانصب تماثيل المعبودات وثبت الكهنة في وظائفهم وأقم شعائر الدين . وبقي سائراً بلا معارض حتى وصل الى منف فخرج اليه اهله محاربين فخار بهم حرباً شديداً وقتل منهم خلقاً كثيراً ودخل منف عنوة فزار معبد « بتاح رستيف » وقرب الى « بتاح سوكر » والمعبودة « سوخت » آلهة المحبة وانشرح فؤاده من مساعدة المعبودات له اكراماً لمعبوده « آمن » ساكن نبتة . وامر بتوسيع معبد « بتاح » وانشأ فيه ايواناً جديداً بناه بالحجر وكساه بخشب السنت وطلاه بالذهب وملاه بالخمر العربي وجعل له ابواباً من النحاس بأطار من الحديد وبني وراءه حظيرة لحيوانات المعبد وكانت ١١٦ رأساً من المعزى وكثير من البقر . ثم تقدم لمحاربة امراء الوجه البحري فالتجأوا الى اسوارهم وتركوا له البلاد فحصرهم وانتظر لعلمهم يخرجون لقتاله فلم يفعلوا فعاد الى منف واقام بقصره وعزم على ان يرسل اليهم فرسانه ليرقبوا حركاتهم وقبل قيامهم جاء الحجاب واخبروه ان الامراء وقوف بالباب فقال اسألهم هل اتوا محاربين أو طائعين فقالوا اتينا طائعين لمولانا الملك فقال الملك وجب علي شكر « آمن » معبود ثيبة العظيم الذي حقق لي الآن ما أرانيه في الحلم ثم خرج من قصره لمشاهدة الامراء وكانوا من عبدة الشمس فلما رأوه خروا على جباههم احتراماً لهيبته فقال لقد تأكدت ان الشمس المعبودة تحبني وان « آمن » جعلني مباركاً فافعل كل ما يأمرني به فقال الامراء نسأل هذا المعبود ان يرشدك الى الخير ويؤيدك بالنصر فأنت ملكنا ومولانا . ثم قام بكرور امير مدينة بسانبو وقال مخاطباً الملك انت تميمت من تشاء وتحبي من تشاء ولا يلومك أحد وقال بقية الامراء اتينا لهما الملك لنستشق منك روح المحبة فنحن نريد ان نخدم « آمن » ونكون في جملة اتباعك فهل لك ان تقبل رجاءنا فانشرح صدر الملك من كلامهم وامر لهم بالخبز والشراب وابقاهم عنده اياماً كثيرة وهو يغمرهم بالعطايا والاحسان على كثرتهم ثم

استأذنوه في الرجوع الى بلادهم للقيام بواجب رعاياهم فأذن لهم . ثم اتاه وجوه البلاد القبلية والبحرية مقدمين له الجزية والهدايا فاطمأن بذلك قلب الملك يكارع سلالة الشمس نوات ميامون دام بصحة وعافية وعيشة راضية ودام له الملك ابد الدهر ، وفي آخر ايام هذا الملك اعتصب وجهاء بلاد مصر واعيانها وثاروا على الايثيوبين فطردوهم من الوجه البحري وتقاسموا الملك فيما بينهم وكانوا اثني عشر حاكماً فسميت حكومتهم بالمقاسمة الاثني عشرية وداموا على ذلك ١٥ سنة الى ان قام احدهم بسامتيك من سلالة العائلة الصاوية فطمع بالاستقلال واستعان بعساكر يونانية متطوعة فتغلب عليهم واستبد بالملك . ثم سار الى الوجه القبلي ففتح من الايثيوبين واعاد الحدود المصرية الى اسوان . وهكذا انتهى حكم الايثيوبين على مصر بعد ان حكموها ٤٩ سنة وكان حكمهم عادلاً ومع ذلك لم يكن مقبولاً لانهم غرباء

الفصل الثالث

في

﴿ مملكة مروي ﴾

« وهو تاريخ ايثيوبيا منذ بدء الدولة المصرية السادسة والعشرين سنة ٦٤٤ ق . م الى دخول الديانة المسيحية لبلاد النوبة سنة ٥٤٥ م . ب »

.....*.....

١ . تاريخ مروي في عهد الفرس و آخر عهد الفراعنة على مصر

(٦٤٤ : ٣٣٢ ق . م)

ما انتقضت الدولة المصرية الخامسة والعشرون حتى انتقضت معها مملكة نبتة في ايثيوبيا وقام في مكانها مملكة مروي فنالت في التاريخ شهرة لم تنلها نبتة وامتدت من الشلال الاول الى اعالي النيل الازرق وكانت عاصمتها مدينة مروي على النيل الكبير في مكان يعرف الآن بالجراوية على ٢٣ ميلاً شمالي شندي

واول من ذكر مروي في التاريخ هيروdotus المؤرخ اليوناني الشهير الذي عاش في القرن الخامس للمسيح قال : « وفوق جزيرة الفنتين تبدي بلاد الايثيوبيا فيتعذر السفر بالمراكب مسيرة اربعين يوماً بسبب كثرة الصخور في طريق النيل وبعد ذلك

تركب قارباً وتساfer مسيرة اثني عشر يوماً فتصل الى مدينة كبيرة اسمها مروي قيل انها عاصمة ايثيوبيا . ثم ذكرها كثيرون غيره من مؤرخي اليونان والرومان (فرار العساكر المصرية الى ايثيوبيا) وأهم ما ذكره هيرودوتس من اخبارها فرار العساكر المصرية اليها في عهد الملك بسامتيك المار ذكره الذي اسس الدولة المصرية السادسة والعشرين (٦٤٤ : ٥٢٥ ق . م) قال : « ان بسامتيك لما تولى الملك كانت مصر تئن عجزاً وضعفاً مما قاسته من الحروب مع اشور في عهد الاثيوبيين فأخذ في تقويتها واحياء ربوع العلم والصناعة فيها . ثم التفت الى مناعتها فجعل حامية في دفنة البليوسية المعروفة الآن بالفرمه بقرب بورت سعيد ليدفعوا غارات العرب والسوريين . وحامية في ماريه أي بحيرة مريوط لوقايتها من الليبيين . وحامية عند جزيرة الفتين لحمايتها من الاثيوبيين وكانت عساكر هذه الحاميات من المصريين وكان لبسامتيك جيش قوي من اليونان حارب به حرباً طويلة في سورية وفتح مدينة اشدود وكان يعزه ويكرمه فأغاظ ذلك المصريين المقيمين في الحاميات المذكورة وكانوا قد قضوا فيها مدة الثلاثة سنوات المفروضة عليهم فسألوه أن يدلهم بغيرهم فرفض ففروا الى ايثيوبيا وكانوا نحواً من ٢٤ ألفاً (والاقرب الى التصديق ان الذين فرّوا الى ايثيوبيا هم رجال حامية الفتين فقط وهو رأي المؤرخ شارب الانكليزي) فلما بلغ الخبر بسامتيك تبعم حتى أدركهم فتوسل اليهم كثيراً أن يدلوا عن هجر آلهة بلادهم وترك نسائهم وأولادهم فما صفوا له واجابوه بما معناه : تلقى بكل بلاد ان حلت بها أهلاً بأهل واخواناً باخوان ولما وصلوا الى ايثيوبيا قدموا انفسهم الى ملكها فرحب بهم ووجههم بلاد اعداء له من الاثيوبيين وقال لهم اطردهم من بلادهم واسكنوها ففعلوا فازداد الاثيوبيون قديماً باستيطان هؤلاء العساكر بينهم وتعلموا اداب المصريين . وقد نشأ من ذريتهم في ايثيوبيا طائفة كبيرة عرفت بطائفة الاسماخ أي الجالسون عن يسار الملك اه . هذا وقد سماهم هيرودوتس « الاتومولي » فعرفوا بهذا الاسم الى القرن الاول للميلاد . واختلف المؤرخون في تعيين البلاد التي سكنوها فذهب البعض انهم سكنوا بلاد

الجزيرة بين النيل الازرق والنيل الابيض وذهب البعض الآخر انهم سكنوا جنوبي جزيرة مروى بين النيل الكبير والاتبرة ولعلّ الاقرب الى الصواب ان ملك مروى انتقى اشدّهم وضمهم الى جيشه وارسل الباقي لقهر اعدائه كما مرّ

وتوالى ملوك الدولة السادسة والعشرين على مصر ولم يكن بينهم وبين ايثيوبيا ما يذكر سوى ان بسامتيك الثاني ثالث ملوك هذه الدولة ثار عليه اهل ايثيوبيا فتوجه لقتالهم سنة ٥٩١ ق . م ومات بعد رجوعه بقليل

﴿ خبر كمبيز مع ايثيوبيا ﴾ وفي آخر مدة هذه الدولة كان الفرس قد صاروا في عزّ ومنعة وعليهم الملك كمبيز فطمع في مصر فجرّد لها وفتحها عنوة وأسس الدولة السابعة والعشرين (سنة ٥٢٥ : ٤١٥ ق . م) ثم طمع في ايثيوبيا وحاول فتحها فلم يفلح . وقد روى هيرودوتس الذي زار مصر في عهد خلف كمبيز اخباراً لطيفة عما كان لكمبيز مع ايثيوبيا قال :

« قرّ رأي كمبيز على غزو الايثيوبيين فرأى أن يرسل لهم الجواسيس أولاً ليستطلعوا طلعمهم ويتحققوا خبر مائدة الشمس التي كان يسمع بها في بلادهم فأحضر جماعة من جزيرة الفنتين يحسنون لغة الايثيوبيين وارسلهم الى ملك ايثيوبيا بهدايا فاخرة وهي ثوب من الارجوان وطوق من الذهب واساور وصندوق من الرخام مملوء اطياباً وبرميل من نبيذ البلح وعلمهم ما يقولونه للملك . قيل وكان الايثيوبيون الذين ارسل اليهم كمبيز هذه الرسالة أطول الناس قامّةً واكملهم خلقاً وكان لهم عادات تختلف عن عادات سائر الامم أشهرها انهم يولون الملك لمن كان له أكبر جثة وكانت له قوة عظيمة بنسبة جثته . فلما وصل رسل كمبيز الى ملك هذا الشعب قدموا له الهدايا وقالوا « ان كمبيز ملك الفرس أراد ان يكون بينك وبينه مودة واخاء فأرسلنا اليك بهذه الهدايا التي هو نفسه يسر بها كثيراً » . ولكن لم يخف على الملك قصد كمبيز فقال لهم ليس حب المحالفة هو الذي حمل ملك الفرس على ارسالكم اليّ بهذه الهدايا ولا انتم تقولون الحق ولكن الصحيح انه طمع في بلادتي فأرسلكم لتجسسوا اخبارها فهو ليس بعادل ولو عدل لما طمع في غير بلاده ولا حاول استعباد امة لم تسيء اليه بشيء

ثم تناول قوساً كبيرة ووترها وقال خذوا هذه القوس الى ملككم وقولوا له ان ملك
الايتوبيين ينصح لملك الفرس بأنه متى صار الفرس قادرين على وتر قوس هذا حجمها بهذه
السهولة فليات حرب الايتوبيين المكروبيين ولكن بجيوش اعظم عدداً من جيوشهم
وفي اثناء ذلك فليقدم الشكر للآلهة لانها لم تلهم الايتوبيين الرغبة في توسيع نطاق
بلادهم بفتوحات جديدة. ولما قال هذا حلّ القوس ودفعها الى الرسل ثم أخذ الثوب
الارجواني بيده وسألهم ما هو وكيف يصنع فلما اجابوه قال هؤلاء الناس خداعون
وأثوابهم خداعة. ثم سألهم عن الطوق والاساور فأجابوا انها تحلى وأوضحوا له
كيفية لبسها فضحك وظن أنها سلاسل وقال عندنا سلاسل أقوى منها. ثم سألهم
عن الطيوب ولما اعلموه بتركيبها وكيفية استعمالها أبدى الملاحظة التي أبدّاها عند
كلامه عن الثوب الارجواني. ثم سألهم عن الخمر وكيفية استخراجها وسرّ بشرها
سروراً عظيماً. وسأل عن الاطعمة التي يأكلها الملك وعن اطول حياة عند
الفرس فأجابته الرسل ان طعام الملك الخبز واوضحوا له ماهية الحنطة وقالوا ان اطول
حياة عند الفرس ثمانون سنة فقال الملك اذا لا عجب من اناس طعامهم الزبل ان
تكون سني حياتهم قليلة ثم قال مشيراً الى الخمر وبهذا الشراب يمتاز الفرس على
الايتوبيين ولولاه لما عاشوا كل هذه المدة

ثم أن الرسل سألوا الملك في نوبتهم عن حياة الايتوبيين وطعامهم فأجابهم
أن اكثرهم يدرك سن المئة والعشرين وبعضهم يفوق هذا السن وان طعامهم اللحم
السلوق وشرابهم اللبن. ولما أظهر الرسل دهشتهم من طول حياة الايتوبيين أتى
هم الى نبع ماء عجيب اذا اغتسل به احد اصبح جلده ناعماً لامعاً كأنه مُرَخ بالزيت
وقلحت منه رائحة كرائحة البنفسج وقال الرسل ان ماء تلك العين كان خفيفاً جداً
حتى لا يطفو عليه شيء لا الخشب ولا ما هو أخف منه بل كل ما يلقى فيه يفرق الى
فقره (قال هيرودتس) فان كان هذا الماء كما قالوا لم يبعد أن يكون طول حياتهم
من كثرة استعمالهم اياه. ثم سار الملك بالرسل الى السجن فرأوا المسجونين مقيدتين
بقيود ذهبية لان النحاس عند هؤلاء الايتوبيين كان أندر المعادن وأثمنها. ثم أتى

بهم الى ما يسمونه « مائدة الشمس » وهي مرج في ظاهر المدينة يملاً ليلاً بأنواع
الاطعمة من لحوم الحيوانات ذوات الاربع التي يرسلها كبراء المدينة لأغراض في
انفسهم فيأتي من شاء نهاراً ويتناول غذاءه منها وهم يعتقدون أن الارض نفسها تنبت
لهم هذه اللحوم من وقت الى آخر

واخيراً زاروا قبور الاثيوبيين وهي مصنوعة من البلور على الطريقة الآتية :
يجففون الجسد أولاً على طريقة المصريين أو طريقة أخرى ثم يطلونه بالجص
(Gypsum) ويدهنونه حتى يشبه منظره الحي ما امكن ثم يضعونه في اسطوانة
مجوقة من البلور الذي يصنعون منه كثيراً بسهولة وبذلك يرى الميت ولا تنبعث
منه رائحة كريهة فيحفظ أدنى اقارب الميت هذه الاسطوانة في بيوتهم مدة سنة
فيقدمون لها الذبائح وباكورة كل شيء وفي نهاية السنة يخرجونها خارجاً ويضعونها
في مكان قرب المدينة

ولما رأى الجواسيس كل شيء عادوا الى بلادهم وقصوا على الملك كمبيز جميع
ما رأوه وسمعه فغضب من كلام ملك ايثيوبيا غضباً شديداً وأمر جيشه بالزحف على
الاثيوبيين في الحال ولكنه لم يدبر له الاقوات ولا قدر انه غاز بلاداً بعيدة في
أقصى المعمور بل سلك مسلك النزق والحق كمن أضاع رشده وزحف بجميع جيوشه
البرية فلم يبق في مصر الا اليونانيين ولما وصل ثيبة أرسل نحو خمسين ألفاً الى الامونين
(واحة سيوه) وأمرهم باستعبادهم وحرق هيكل جويتر بالنار فذهبوا ولم يعودوا ولا
عاد منهم مخبر ويظن انه ثارت عليهم عاصفة من الرمال في الطريق فأهلكتهم . وسار
هو وباقي جيوشه الى الاثيوبيين ولكنه لم يقطع خمس الطريق حتى نفدت منه
الاقوات فشرع العساكر في أكل حيوانات الحمل حتى نفدت . فلو عدل كمبيز عن
عزمه اذ ذاك وعاد بجيشه لعدّ حكيماً وغفرت زلته الاولى ولكنه بقي مستمراً في
السير حتى صارت العساكر تأكل العشب فلما وصلوا الى الرمال اضطرتهم الجوع
الى اعمال فظيعة فصاروا يجتمعون عشرة عشرة ويلقون القرعة فمن اصابته أكلوه فلما
رأى كمبيز ما حل بجيشه عدل مرغوماً عن غزو الاثيوبيين وقفل راجعاً الى ثيبة بعد أن

قد جانباً عظيماً من جيشه ثم أتى إلى منف وسمح لليونانيين بالرجوع بجرأاً إلى بلادهم وهكذا انتهت غزوة كمبيز للآيثيوبين « اه * ومن ملوك آيثيوبيا الذين عاصروا كمبيز فاشتهروا بالسطوة والاقتدار ودانت لهم كل قبائل آيثيوبيا شرقاً وغرباً حورسياتف ونستوسنن

ثم نرى المصريين قد استقلوا عن الفرس وقام منهم الدول الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون والثلاثون (سنة ٤١٥ : ٣٤٠ ق م) ولكن لم يكفّ الفرس عن مناوأتهم كل هذه المدة فشغلوهم عن آيثيوبيا ودامت الحرب سجلاً بين الفريقين حتى فاز الفرس وكانت مصر إذ ذاك بيد الملك نكتانيس فانهزم إلى آيثيوبيا السفلى وملك الفرس مصر المرة الثانية فأسسوا الدولة الحادية والثلاثين (سنة ٤٣٠ : سنة ٣٣٢ ق م) وكان آخر ملوكها الملك دارا الثالث الذي كان معاصراً لاسكندر المكدوني الشهير

٢٠ تاريخ مروي في عهد اليونان على مصر (٣٣٢ : ٣٠ ق م)

وفي أيام الملك دارا اخذت دولة الفرس تتقهقر وبدأ نجم اليونان في الارتفاع فشرع الاسكندر في مدّ فتوحاته وتوسيع نطاق مملكة آبيه ففتح الهند وفارس ثم التفت إلى مصر فأخذها من الفرس وبني الاسكندرية فجعلها عاصمة البلاد . وتولاها بعد وفاته (سنة ٣٢٣ ق م) البطالسة اليونان فمدّوا حدودهم في آيثيوبيا إلى الحرقة على نحو ثمانين ميلاً من الشلال الأول حيث بنوا هيكلًا لا تزال آثاره باقية إلى الآن . ومن آثارهم هياكل كلابشة والدكة وغيرها من بلاد آيثيوبيا السفلى وهيكل جزيرة فيلي المعروف الآن « بقصر أنس الوجود » شرع في بنائه بطليموس فيلادلفوس وهو بطليموس الثاني (سنة ٢٨٥ : سنة ٢٤٧ ق م) ثم اشتغل فيه كل من جاء بعده من البطالسة حتى أتموه فإذا هو من أجمل الهياكل التي بناها القدماء والباقي منه إلى الآن يدل على أنه كان من الجمال وحسن الهندام على جانب عظيم الملك ارجمينس * وقام على آيثيوبيا في أيام بطليموس الثاني المتقدم الذكر « الملك ارجمينس » وكان للكهنة الآيثوبيين إلى أيامه سلطة عجيبة على الشعب

والملك معاً حتى كان من عادة كهنة مروي أنهم اذا غضبوا على ملك أرسلوا اليه رسلاً يأمرونه بقتل نفسه بحجة ان ذلك يسر الالهة . قيل وكان الامر يسحره فيخضع له صاغراً حتى قام ارجينس هذا وكان ملكاً حرياً متثقفاً بآداب اليونان وعلومهم وكان يكره الكهنة ولا يطيق غطرستهم فأرسلوا اليه امراً ليقتل نفسه فهاجته الامر وحمل عليهم في الهيكل الذهبي الذي كانوا يقيمون فيه وقتلهم عن آخرهم . وسنّ قوانين جديدة لمملكته وحوّر كثيراً في ديانة الايثوبيين . ومن آثاره الباقية الى الآن هيكل في دكا المعروفة قديماً باسم سلقيس بناه على اطلال هيكل من بناء الدولة المصرية الثانية عشرة

﴿ الملك ازخر آمن ﴾ وقام بعده على ايثيوبيا الملك ازخر آمن فبنى هيكلاً في دبود المعروفة قديماً باسم تاهت ولا تزال آثاره ظاهرة الى اليوم . ولم يشتهر من ملوك مروي في عهد البطالسة على مصر غير هذين الملكين

﴿ مملكة اكسوم ومملكة سوبه ﴾ ومن ممالك ايثيوبيا التي اشتهرت في هذا العهد مملكة اكسوم في شمالي الحبشة على بضعة اميال من عدوه . ومملكة سوبه على النيل الازرق على ١٥ ميلاً من الخرطوم . وقد ذكر المؤرخون ان بطليموس يورجينس الثاني ثامن البطالسة (سنة ١٤٦ : ١١٧ ق . م) زحف على مملكة مروي ففتحها ثم سار جنوباً ففتح مدينة اكسوم ودون خبر فتوحاته باللغة اليونانية على حجر من الرخام في ميناء ادولس المعروفة الآن بميناء زولا على عشرين ميلاً الى الجنوب من مصوع وهي ميناء اكسوم . وقد وصف المؤرخون ايثيوبي تلك الايام بالشجاعة الوحشية وعدم النظام كاهل السودان في هذه الايام . اما جيش بطليموس فكان على اتم النظام وكان معه في هذه الغزوة خمسمائة فارس من اليونانيين فألبس مئة فارس منهم نسيجاً ثخيناً من الكتان وألبس خيلهم ايضاً من هذا النسيج لكي لا تؤثر فيهم سهام الايثوبيين . ولم يسبق أن ملكاً من ملوك مصر مدّ فتوحاته جنوباً الى الحد الذي وصل اليه بطليموس ولكنه لم يستطع حفظ سلطته على البلاد التي فتحها فعادت لاهلها كما كانت وعادت حدود اليونان الى المحرقة

٥٣ تاريخ مروي في عهد الرومان على مصر (٣٠ ق م : ٦٤٠ ب م) ~~م~~
 وكان آخر من ملك مصر من البطالسة كليوبترا ابنة بطليموس اوليتس وبعد
 وفاتها آل ملك مصر الى الرومان في عهد الامبراطور اوغسطس قيصر فجعلها ولاية
 من ولاياته يتولاها وال أو نائب روماني ويحكمها بموجب الشرائع الرومانية . وكان اول
 من تولاها من الرومان « كرنيليوس جالوس » وقد ظهر من كتابة على بعض الآثار
 أن « الملك تويا كوتاس خوانوس » (ويظن انه ملك سوبه) أرسل رسلاً في ايام
 هذا الوالي الى فيلي ودخل في حماية الرومان

الملكة كنداكة ~~م~~ وفي سنة ٢٣ ق م اخرج الامبراطور اوغسطس قيصر
 معظم عساكره من مصر لغزو بلاد العرب وكان على مروي حينئذ ملكة تلعب
 بكنداكة تحب الحرب والفتوح فاعتنمت الفرصة وسارت بجيش مؤلف من ٣٠ ألف
 مقاتل الى مصر تريد افتتاحها ففتحت حامية فيلي وحامية اصوان اللتين على حدود
 مصر ودخلت مصر العليا وكان النائب الروماني اذ ذاك رجلاً شديداً البأس يسمى
 برونوس فحمل على كنداكة بجيش منظم مؤلف من عشرة آلاف راجل وثمانماية
 فارس فلما سمعت كنداكة باستعداده رجعت الى ايثيوبيا السفلى فتأثرها حتى ادركها
 قرب سلقيس (دكا) وطلب منها رد الاسرى والغنائم التي أخذتها من مصر ولما لم
 تجبه جواباً مرضياً حمل عليها وكان معظم جيشها غير منظم ولا سلاح له الا الفؤوس
 والنبات فانتصر عليها انتصاراً عظيماً وشتت جيشها كل مشتت ثم تقدم الى ابريم
 وكان فيها حامية قوية للايثيوبيين فاستولى عليها ثم سار الى نبتة فخرّبها . وفرت
 الملكة كنداكة من وجهه فامتنعت في قلعة في الشلال الرابع ولما رأت أن لا طاقة لها
 على حربه بعثت اليه في طلب الصلح وكان برونوس قد نفذ منه الزاد واضنى جيشه
 الحر فاضطر ان يرجع الى الاسكندرية قبل نهاية الصلح وفي طريقه أقام حامية في
 ابريم مؤلفة من ٤٠٠ رجل وحامية في دكا . فلما رأت كنداكة ان برونوس رجع عنها
 مضطراً جمعت شتات جيشها وسارت حتى وصلت ابريم فحصرتها ولكنها لم تلبث
 ان رأت عجزها عن استمرار الحصار فرفعته وأرسلت سفراءها المرة الثانية الى برونوس

في طلب الصلح فأرسل بترونيوس السفراء الى الامبراطور اوغسطس قيصر وكان
اذ ذاك في جزيرة ساموس في الارخبيل الرومي فصالحهم على الشروط التي قدمتها
كنداكة . ولهذا الامبراطور هيكل قائم الى الآن في دندور على ٥٢ ميلاً من الشلال
ثم لم يكن بين الرومان وايتيوبيا ما يذكر الى ايام الامبراطور نيرون وهو
الامبراطور الخامس من امبراطرة الرومان على مصر فانه في سنة ٦٠ ب . م ارسل
حملة الى ايتيوبيا بقصد اكتشاف منابع النيل فكان من اخبارها أنها سارت فيه
حتى وصلت الى مستنقع لا يمكن سلوكه فعادت بالخبية الى مصر ولعل هذا المستنقع
هو « السد » . قالوا وكان الحاكم على مروي في عهد هذه الرسالة ملكة تلعب
بكنداكة . وهذا آخر عهدنا بملكة مروي

اما « مملكة اكسوم » فيؤخذ مما كتبه المؤرخون عن هذا العهد انه كان بينها
وبين الرومان علائق تجارية دامت طويلاً وان الرومان لم يسمحوا لاهلها ببناء
المراكب أو الملاحة في البحر الاحمر * ثم كانت النصرانية فاعتنقتها مملكة اكسوم في
القرن الرابع وعرفت البلاد بعد ذلك باسم الحبشة ولا تزال تعرف بهذا الاسم الى
اليوم وقد افردنا للحبشة تاريخاً خاصاً قائماً بذاته

اما « مملكة سوبه » فلم يحفظ لنا التاريخ شيئاً من اخبارها في الجاهلية الا ان آثارها
الباقية الى الآن تدل على انها كانت على درجة سامية من الحضارة والعمران .
ويظن البعض انها كرسي مملكة سبا التي جاءت لتختبر حكمة سليمان * وبقيت سوبه
على الوثنية الى ان امتدت النصرانية اليها من مصر فقامت فيها مملكة نصرانية عرفت
عند مؤرخي الاسلام بملكة علوة وسنأتي على ذكر تاريخها

﴿ النوبة والبجة ﴾ هذا وقد ذكر استرابو (٥٤ ق . م : ٢٤ ب . م) ان
الايتوبيين فوق اصوان كانوا في ايامه اربع قبائل مختلفة : التروقلودية . والبلاسر
(والمشهور انهم البجة) . والنوبة . والمقباري . فسكن البلاسر والمقباري في الصحراء
الشرقية شمالي مروي الى جهة حدود مصر في مكان الأويو والمازايو المتقدم ذكرهم
وكانوا تحت حكم الايتوبيين . وسكن التروقلودية في الصحراء الشرقية فكان حدهم

الشمالي بيرينيس (راس بناس) والغربي النيل وظن بعضهم انهم هاجروا الى هذه الجهة من جزيرة العرب بعد افتتاح بطليموس يورجيتس لايتويا . وسكن النوبة على النيل . وذكر غير استرابو من المؤرخين وجود قبيلة الاشتيفاجي على شطوط البحر الاحمر ولكن لم يشتهر في تاريخ ايتويا بعد ان دالت دولة مروى الا النوبة والبجة الذين ما زالوا الى الآن مقيمين في الاماكن المار ذكرها

وقد انتظم للنوبة ملك في تلمس (كلاشة) وكان بينهم وبين البجة وقائع معدودة فترى على جدران هيكل كلاشة المتقدم الذكر كتابة باليونانية مفادها : أن الملك سلكو ملك النوبة وكل الايتوبيين انتصر على البجة في عدة وقائع . وذكر فوبسكوس أن بروبس النائب الروماني الذي تولى مصر من سنة ٢٧٦ : سنة ٢٨٤ ب . م غزا البجة في صجراء ثيبة فقهرهم وأرسل منهم اسرى الى رومية . وذكر بعض المؤرخين ان البجة ما زالوا يغزون الحدود المصرية كلما سحت لهم الفرصة

هذا وكانت المحرقة آخر حدود مصر الجنوبية في ايام الرومان كما كانت في ايام اليونان . فرأى الامبراطور ديوقليشيان (٢٨٤ : ٣٢٣ ب . م) ان خراج البلاد التي بين المحرقة واصوان لا يفي بنفقات العساكر اللازمة لجمعه فلا فائدة من حفظها فاقطعها للنوبة واعاد الحدود المصرية الى اصوان فقوى حامية الفتين وعقد مع النوبة معاهدة جديدة وجعل للنوبة وللبجة جعلاً معلوماً من المال يدفع لهم كل سنة على شرط ان البجة يكفون عن غزو الحدود المصرية وانهم اذا لم يمتنعوا عنه من انفسهم منعهم النوبة بالقوة . وقد اسكن بعضهم في جزيرة الفتين وسمح لهم بالصلاة في الهياكل مع الرومانيين وسمح لكهنتهم بالاقامة في الهياكل مع كهنة الرومانيين فوفوا بالعهود الى ايام الامبراطور مارشيان ثم نكثوا بها وغزوا بلاد مصر العليا فغنموا واسروا وعادوا الى بلادهم فهاجمهم الجنرال مكسيمينوس الروماني قائد ثيبة قهرهم جميعاً اي النوبة والبجة معاً وذلك سنة ٤٥١ ب . م فطلبوا الصلح على ان لا يدخلوا مصر ما دام هذا القائد على ثيبة اما مكسيمينوس فلم يرض ان يكون

بينه وبينهم صلح حتى يرجعوا الاسرى ويدفعوا قيمة ما غنموه من مصر ويجعلوا بعض كبارهم رهناً ففعلوا ففقد معهم صلحاً لمئة سنة

وكان من عادة النوبيين منذ القديم أن يذهبوا كل سنة الى هيكل ايسس في جزيرة الفتين ويأخذوا احد التماثيل الى بلادهم فيستخبرونه في شؤنهم ثم يرجعونه الى الهيكل فلما فرض عليهم في هذا الصلح أن لا يدخلوا مصر سألوا مكسيمينوس أن يأذن لهم في زيارة الهيكل كل سنة لئلا يعترضهم خفراء الرومان فأذن لهم وكتبت المعاهدة على ورق الپيروس وعلقت في هذا الهيكل ولكن لم يكن الا القليل حتى مات مكسيمينوس ففقد النوبيون المعاهدة ودخلوا بلاد ثيبة فاكتسحوها واسترجعوا رهائنهم بالقوة واعادوا عبادة ايسس وسرايس الى بلاد ثيبة وذلك بعد ان بطلت عبادة الاوثان تماماً من تلك البلاد بأمر ثيودوسيوس الاول بسبعين سنة وما زالت مصر تعاملهم بالرفق الى ان قام الامبراطور جوستينيان (سنة ٥٢٧ : سنة ٥٦٦ ب . م) فأغلظ معاملتهم وأمر نرفس قائد حامية فيلي فخرّب هياكلهم وسجن كهنتهم وارسل تماثيل آلهتهم الى البيزانتيوم (الاستانة) وكان هذا آخر عهد الوثنية في بلاد مصر

✠ النصرانية في مصر وايتيوبيا ✠ اما تاريخ دخول النصرانية الى مصر فقد كان في عهد الامبراطور نيرون (سنة ٤٥ : ٦٨ ب . م) وفي المشهور أنها دخلتها عن يد القديس مرقس فلاقت اضطهادات شديدة من امبراطرة الرومان وكان أشدهم اضطهاداً لها ديوقليشان (سنة ٢٨٤ : ٣٢٣ ب . م) فانه نكل بالمسيحيين وقتل في يوم ١٣ يونيو سنة ٢٨٤ ب . م ما يعد بالآلاف فصار المسيحيون يؤرخون سنهم من هذا اليوم وهو تاريخ الاقباط المعروف بتاريخ الشهداء الى هذا العهد ولكن اضطهاد ديوقليشان لم يضعف النصرانية بل زادها قوة وانتشاراً حتى اعتنقها الامبراطور قسطنطين الكبير (سنة ٣٢٣ : ٣٣٧ ب . م) الذي جعل سرير ملكه في القسطنطينية وجعل الديانة المسيحية ديانة مملكته في أوربا وأسيا ومصر . ومع ذلك لم تبطل الوثنية بل بقيت متبعة في وادي النيل وبقي لها أنصار الى أيام الامبراطور

ثيودوسيوس الاول (سنة ٣٧٩ : ٣٩٤ ب . م) الذي نهى المصريين عن عبادة الاصنام في اول سنة من حكمه وأمرهم باتباع الديانة المسيحية وانفاذاً لامره أسرع هدم الهياكل وازال الانصاب وأبطل جميع التقاليد التي كان المصريون يعتبرونها من ضروريات التدئين وساعده على ذلك ثيوفيلس بطريرك الاسكندرية الا ان الديانة الوثنية لم تنتف من جزيرة فيلي حتى اواسط القرن السادس كما مر

ومن هذا العهد (سنة ٥٤٥ م) اخذت النصرانية تمتد جنوباً في وادي النيل حتى عمت كل بلاد النوبة . وقد تقدم لنا ان الحبشة اعتنقوا النصرانية في القرن الرابع فأصبحت بلاد ايثيوبيا كلها تدين بالنصرانية الا البجة في الصحراء الشرقية فانهم بقوا على الوثنية ثم لم تكد النصرانية تنتشر في بلاد ايثيوبيا حتى كان الاسلام في جزيرة العرب وفتح المسلمون مصر سنة ١٨ هـ ٦٤٠ م واحتاطوا ايثيوبيا من الشمال والشرق فكان لهم مع نصارى الحبشة والنوبة ووثني البجة من الشأن ما سنبينه في محله ان شاء الله

الفصل الرابع

في

﴿ آثار ايثيوبيا ولغاتها وديانها وتمدننها وحكومتها وشرائعها وأخلاق اهلها وعاداتهم ﴾
 ﴿ آثار نبتة ﴾ واما آثار ايثيوبيا الباقية الى الآن فتدل انها كانت على جانب عظيم من المدنية والعمران . واشهر هذه الآثار واقدمها آثار نبتة عند جبل البرقل وهي خرائب هياكل واهرام . اما الهياكل فمن عهد الملك رمسيس الكبير المصري ومن بنائه أو من بناء طهراق الايثيوبي وخلفائه واما الاهرام فكلها من بناء طهراق وخلفائه . وقد رأيت هذه الاهرام من النيل سنة ١٨٩٦ ولم اوفق الى زيارتها ولكن الذين زاروها قالوا ان في جبل البرقل ١٣ هرمًا وفي بلدة نوري تجاهه ٢٥ هرمًا وكلها مبنية بالحجر الرملي على شكل اهرام مصر الا انها تختلف عن هذه في كونها اصغر وفي واجهة كل هرم منها ايوان كايوانات الهياكل المصرية . واما مدينة نبتة نفسها فقد تخربت تخرُّبًا تامًّا ولم يبقَ ما يدل عليها سوى اطلال بالية قرب جبل البرقل

﴿ آثار مروي ﴾ وبلي آثار نبته في القدم والاهمية آثار مروي ومعظمها قائم حيث كانت عاصمتها بقرب جبل أم علي على ٢٦ ميلاً الى الشمال الشرقي من شندي وبضعة اميال من النيل وهي خرائب هياكل (بينها هيكل امون) واهرام تبلغ الثمانين هرمًا في ثلاثة مجاميع . وقد رأيت هذه الاهرام سنة ١٨٩٨ فاذا هي قائمة في مرتفعات على مسافة سبعة أو أكثر من النيل وقد وصفها الذين زاروها فقالوا ان اضلاع قاعدتها تختلف من ١٢ : ٦٠ قدمًا وارتفاع اعلاها ١٦٠ قدمًا وهي على شبه اهرام مصر الا ان نسبة قاعدة الهرم الى علوه فيها أعظم منها في اهرام مصر . هذا وفي جزيرة مروي على نحو ٣٢ ميلاً الى الجنوب الشرقي من شندي بركة تجتمع اليها مياه الامطار تعرف بالنقع حولها آثار هياكل فخيمة . وبين النقع وشندي جدران وأعمدة هيكل يبلغ محيطه ألف يرد . وقد ذكر الباحثون أن في نبته نفسها آثار لملوك مروي وأن الهيكل القائم الآن في بلدة عمارة على ١٠٠ ميل من الشلال الثاني هو من بناء ملوك مروي . وقال بعض المؤرخين أن مروي كانت تجهز للحرب جيشًا مؤلفًا من ٢٥٠ ألف مقاتل وكان فيها ٤٠٠ ألف من أرباب الصنائع وان قد حكمها ٤٥ ملكًا وملكة أكثرهم من الملكات وترى على الآثار رسوم بعض هذه الملكات يقدّم من القرايين للآلهة أو يمثلن ابطالاً منتصرين وقد لُقّب الملكات بكنداكة كما لُقّب ملوك مصر بالفراعنة والفرس بالقياصرة

ومما هو جدير بالذكر ان اسم مروي غير معروف في الجزيرة الآن بل البلدة المعروفة بهذا الاسم واقعة قرب البرقل عند موقع مدينة نبته وبين مروي هذه ومروي القديمة قرب شندي طريق في الصحراء تمر بآبار الجكدول طولها نحو ١٨٠ ميلاً وقد اختلف العلماء في مؤسسي مروي والذي عليه البعض انهم الكهنة الذين طردوا من ثيبة سنة ٩٠٠ ق م .

﴿ آثار اكسوم ﴾ ثم بلي آثار مروي في الشهرة والقدم آثار اكسوم وسيأتي ذكرها ﴿ آثار سوبه ﴾ اما سوبه فلم يبقَ من آثارها الى الآن الا خرائب قديمة . وكان قد بقي فيها الى زمن الفتوح المصري بعض التماثيل والانصبه فنقلت منها

﴿آثار ايثيوبيا السفلى﴾ هذا في آثار ايثيوبيا العليا وهي مصرية ايثيوبية أي أنها من بناء المصريين . أما آثار ايثيوبيا السفلى المتقدم ذكرها في فيلي ودبود وندور وكلاشة ودكا والمحرقّة وكوبان والسبوع وعمدة والدرّ وابريم وأبو سمبل وحلفا وسمه وطبس وارقو فكها أو أكثرها مصرية أي من بناء الملوك المصريين

﴿لغات ايثيوبيا﴾ أما لغة الآثار في ايثيوبيا فهي اللغة الهيروغليفية المصرية بعينها لكن الهيروغليف الذي على آثار ايثيوبيا غير متقن الصنع كالهيروغليف الذي على آثار مصر . هذا ونرى على الآثار أيضاً بعض كتابات باللغة اليونانية من زمن البطالسة وباللغة اللاتينية من زمن الرومان وباللغة القبطية من عهد النصرانية . وعلى بعض الهياكل كتابة أحرفها قبطية ولكن رموزها لم تحلّ بعد وقد سميت باللغة الايثيوبية المسيحية

وأما لغات الايثيوبيين أنفسهم فمعلوم أنها كانت تختلف عن لغة المصريين والباقي منها الى الآن : لغة النوبة وهي لغة سكان النوبة السفلى وقد قال فيها بعض علماء اللغات أنها من اصل افريقي لأنها لا توافق اللغات السامية وقد تقدم الكلام عليها . ولغة البجة وهي من اللغات الحامية ويظن لبيسيوس أنها لغة مروي القديمة وأما الدكتور هيس الالماني المقيم في مصر لدرس لغة النوبة فيقول أن هذه اللغة هي لغة مروي القديمة بدليل أن بعض كلماتها الأساسية كالماء والنار والارض تشابه ما ورد من الاسماء في تاريخ مروي . ولغة الجيز وهي لغة اكسوم القديمة وما زالت لغة بلاد التيفري الى هذا اليوم وسيأتي ذكرها في تاريخ الحبشة

﴿ديانة الايثيوبيين﴾ أما ديانة الايثيوبيين فعلى مثال ديانة المصريين القدماء . وكان أعظم معبود لهم جوبيتر آمون . ومن معبوداتهم الرئيسية ايسس والصقر (Hauk) والتمساح الذي كانوا يعبدونه باسم سبق (Sebek)

﴿تمدن ايثيوبيا﴾ هذا وقد اختلف علماء الآثار أي تمدن اقدم تمدن ايثيوبيا أم تمدن مصر وأي البلادين أخذت تمدنها عن الاخرى والرأي الاظهر أن تمدن مصر هو الاقدم وأن ايثيوبيا أخذت الصناعات والفنون بل الديانة وشرائعها عن مصر

بدليل ان النصب والهياكل بما عليها من الرسوم والهياكل غليظ تراها كأنها نسخ عاطلة عن الاصل القديم المصري * وقد كان بين مصر وايتيوبيا اتصال دائم وطرق الاتصال عدا النيل : طريق المرات بين كورسكو وأبي حمد . وطريق قفط الى القصير ثم في البحر الاحمر الى بلاد البوانيت . وطريق قفط الى بيرنيس (راس بناس) مسيرة ١٢ يوماً . واول من فتح بيرنيس بطليموس فيلادلفوس وسماها باسم اخته وفي آخر طريقها جبل الزمرّد المعروف الآن باسم جبل زبارة . قيل وجنوب هذا الميناء قرب سواكن معادن ذهب . هذا وفي الطرق الداخلية التي بين شندي وكل من سواكن ومروي وسوبه والتي بين الدبة وأم درمان أبار قديمة العهد تدل صريحاً على أنها كانت مطروقة منذ عهد بعيد

﴿ حكومتها وشرائعها ﴾ اما حكومة ايتيوبيا فكانت من النوع الملكي المطلق وكانت البلاد على ما رواه بليني مقسومة الى ٤٥ مملكة أقواها وأزهاها مملكة مروي الا ان بليني لم يذكر أمستقلة كانت هذه الممالك بعضها عن بعض أم تحت سلطان واحد ولا يبعد انها كانت في ذلك العصر على نحو ما كانت عليه مملكة سنار قيل الفتح المصري * ويفهم مما كتبه وديودوروس الصقلي ان بعض ممالك ايتيوبيا كانت انتخابية وملوكها ينتخبون من الكهنة ويؤولون بعد تملكهم لذلك كان حكمهم من النوع المطلق ولكن كان لا بدّ لهم من مراعاة شرائع البلاد وعرفها وعاداتها في أكثر احكامهم * وقد كان من قوانين الخلافة عند بعض القبائل انه بعد موت ملكهم يخلفه ابن اخته فاذا لم يكن لاخته ذرية ملكوا عليهم رجلاً من أجمل رجال العائلة المالكة وأقواهم . واذا أصيب الملك بجرح أو تعطلت وظيفة عضو من أعضاء جسده اضطر رجال حاشيته ان يجرحوا أنفسهم مثل جرحه أو يعطلوا في جسمهم نظير العضو المعطل في جسمه . واذا مات الملك اضطر جميع خدمه اتباعاً لقانون أو عادة مستحكمة فيهم ان يقتلوا أنفسهم وكانوا يعدون ذلك اقوى شاهد على تمام اخلاصهم له وكانت هذه الشرايع مرعية في جزيرة مروي والبلاد التي الى شمالها واما البلاد التي الى جنوبها على شاطئ النيل فقد كان بعضهم يملكون عليهم راعياً من اشد

الرعاة اقداما واجتهادا و بعضهم يملكون أغنى رجل فيهم لا اعتقادهم ان الاغنياء هم
أقدر الناس على ادارة البلاد وسد حاجات العباد

(اخلاق الاثيوبيين وعاداتهم) اما سكان ايثيوبيا فظاهر من رسومهم التي على
الآثار أنهم من أصلين كبيرين وهما السود وبنو كوش ثم نشأ عن اختلاط بعضهما
بعض جنس ثالث سميناهُ شبه السود كما مرّ وقد رأيت انه هاجر الى ايثيوبيا الكثير
من المصريين في مدّات مختلفة فسكنوا مع الاثيوبيين وتجنسوا بهم فنتج من هذا
الاختلاط قبائل شتى تختلف في الهيئات والعادات كما تختلف في اللغات والاحكام
وذكر المؤرخون القدماء تتفا من عادات الاثيوبيين واخلاقهم فاذا هي متأصلة
في عادات اهل السودان وأخلاقهم اليوم على بعد العهد وتغير الاحوال . فقد وُصف
الاثيوبيون بحب الحرب والشجاعة الوحشية واشتهر بعضهم بالكرم والوداعة وحب
العدل والصفح عن الزلات . وكان اكبر العيوب على من ارتكب ذنباً يستحق القتل
أن يفرّ من وجه القصاص الى بلاد أجنبية قال ديودورس وكان اذا صدر امر
الملك بقتل رجل فخيّل له الفرار من ايثيوبيا قيدته أمه نفسها بوثاق متين ومنعته
من الفرار ولم ييدي أقل مقاومة لها والأجلب على نفسه وعلى أهله وذريته من
بعده عاراً لا يمحي . وكان التروقلوديته يحترمون المسنّات من النساء كل الاحترام
حتى انهم اذا كانوا في أشد قتالهم ودخلت بينهم امرأة مسنة تركوا سلاحهم وكفّوا
عن القتال وكان من عاداتهم ان يدفنوا موتاهم على رؤوس التلال ويغطوا قبورهم
بالحجارة ويجعلوا فوق كل قبر قرن ماعز علامة عليه . وكان بعض قبائل ايثيوبيا
يدفنون موتاهم قرب هياكلهم في توابيت من خزف وبعضهم يرمونهم في النيل
ويحسبون ذلك افضل انواع الدفن

وقد وصف هيرودتس الرجال الاثيوبيين بأنهم كبار الابدان حسان الصور
ويعمرون طويلاً واما نساء الاثيوبيين فيظهر من تمثال الملكة آمن ريتس السالف
ذكرها ان المخدرات منهن كن صفر الالوان كمخدرات العرب في هذه الايام
وكان الاثيوبيون يلبسون ثياباً من جلد النمر والاسد . ومن اسلحتهم القوس

والنشاب والحراب والنبات والدرق . قال هيرودتس ولهم قسيّ طويلة من جريد
التخل طول الواحدة أربع اذرع على الاقل وسهامهم قصيرة وهي من القناوي
رؤوسها حجارة محددة يجعلون فيها السمّ ويستخدمونها لحفر أختامهم وكان لهم حراب
برؤوس من قرون الغزلان ودبابيس كثيرة العجر ومتى ساروا الى الحرب فركوا نصف
أبدانهم بالخصّ والنصف الآخر بالزنجفر

وكان العساكر يعتقدون نباهم حول رؤوسهم فيشكون أطرافها في الشعر حتى
تبرز رؤوسها فوق جباههم كالاشعة ويكون منها اكليل . وكان للايثيوبين ولاسبا
سكان الصحراء الشرقية مهارة في رمي النبال فقلما كانوا يخطأون الغرض وكانوا يبرنون
أولادهم منذ الصغر على ذلك حتى كانوا لا يسمحون لهم بتناول الطعام الا اذا اصابوا
الغرض . وكانوا اذا اصطفوا للقتال اظلم الجو من كثرة السهام . وذكر استرابون
نساء الايثيوبين كنّ يحملن السلاح . وكانوا يكرهون الفيران كرهاً شديداً ويربون
الكلاب للصيد ويصطادون الافيال والنعام بطرق مختلفة ويأكلون لحومها .
وكان غالب طعامهم اللحم المقدّد وشرابهم اللبن والذين سكنوا سواحل البحر الاحمر
كان اكثر قوتهم السمك . ومنهم قبيلة تعرف باسم انثريوفاجي تأكل لحم
البشر كالنيام نيام في هذه الايام . وكان للاكريدوفاجي واد عميق طوله عدة غلوات
فكانوا يملئونه حطباً وينتظرون الريح الجنوبية حتى تقذف رجل الجراد الى ذلك
الوادي فيشعلون النار بالحطب فيحترق الجراد ويقع الى الارض فيغطيها على بعد
غلوات فيجمعونه ويقدّدونه ويخزنونه للتقوّت به . وكان هؤلاء القوم في أسوأ حال
من العيش ولذلك لم يكن فيهم من يزيد عمره على الاربعين سنة . وكان أكثر
المعادن عند الايثيوبين النحاس فكانوا يفضلونه على الذهب الذي كان عندهم بمقدار
الحديد عندنا حتى كانوا يجعلون منه سلاسل للمجرمين . وكانوا يمارسون الحثاف
كالمصريين الا أن هيرودتس لم يستطع الحكم في أي الفريقين اخذه عن الآخر
هذا ما كان من اخبار ايثيوبيا أو السودان في الجاهلية فلتتقدم الآن الى
ما صارت اليه في النصرانية ثم في الاسلام

الباب الثاني

في

تاريخ النوبة في عهد النصرانية

...

١ . تمهيد جغرافي

تقدم أنه بعد ان دالت دولة مروى لم يشتهر في ايثيوبيا الا امتان : النوبة على النيل والبجة في الصحراء الشرقية وان النوبة اعتنقوا النصرانية في القرن السادس للمسيح وبقي البجة على الوثنية . ثم كان الاسلام ففتحوا مصر وكان لهم مع النوبة والبجة ما نينه هنا نقلاً عن مؤرخي الاسلام الذين كتبوا عن هذا العهد دون غيرهم من المؤرخين . ويؤخذ مما كتبه أنه كان للنوبة في عهد النصرانية مملكتان قويتان : مملكة النوبة السفلى امتدت من الشلال الاول الى الشلال الرابع وكانت عاصمتها دققة العجوز . ومملكة النوبة العليا وعرفت ايضاً بمملكة علوة امتدت من الشلال الرابع الى اعالي جزيرة سنار وكانت عاصمتها سوبه عن يمين النيل الازرق على ١٥ ميلاً من الخرطوم

قال المسعودي « واما النوبة فافترقت فرقتين فرقة في شرق النيل وغربه وانأخت على شاطئيه فاتصلت ديارها بديار القبط من ارض مصر والصعيد من بلاد اسوان وغيرها . واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحقوا قريب من اعاليه وبنوا دار مملكة عظيمة تدعى دققة . والفريق الآخر من النوبة قال لهم علوة وبنوا مدينة عظيمة وسموها سوبه » وقال عن ابن دأب « ثم سألتني القاضي (الذي عاش في اواسط القرن الثاني للهجرة) عن مدينة دققة وهي دار مملكة النوبة كم المسافة بينها وبين اسوان قلت قد قيل اربعون يوماً على شاطئ النيل عمائر منصلة » وقال ابو الفدا عن ابن سعيد « ومن امم السودان النوبة وهم يجاورون

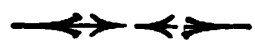
الحبشة من جهة الشمال والغرب • والنوبة في جنوب حدود مصر وكثيراً ما يفزوم
عسكر مصر • ويقال ان لقمان الحكيم الذي كان مع داود النبي عليه السلام من
النوبة وانه ولد بايله • ومنهم ذوالنون المصري وبلال بن حمامة • وهم نصارى •
وقال المقرئزي نقلاً عن كتاب « أخبار النوبة والمقرة وعلوه والبجة والنيل لعبد الله
ابن احمد بن سليم الاسواني » : كان يسكن في بلاد النوبة (السفلى) قوم يقال لهم
المقرة وأول ارض المقررة قرية تعرف بنافة على مرحلة من اسوان ومدينة ملكهم
يقال لها نجراش على اقل من عشر مراحل من اسوان ويقال ان موسى صلوات
الله عليه غزاها قبل مبعثه في ايام فرعون فاخرب نافة • فالنوبة والمقرة جنسان
بلسانين كلاهما على النيل فالنوبة هم المجاورون لأرض الاسلام وبين اول بلادهم
وبين اسوان خمسة أميال ويقال ان سلماً جد النوبة ومقرى جد المقررة من اليمن
وقيل النوبة والمقرة من حمير واكثر اهل الانساب على انهم جميعاً من ولد حام ابن
نوح • وكان بين النوبة والمقرة حروب قبل النصرانية وكانوا صابئة يعبدون الكواكب
وينصبون التماثيل لها ثم تنصروا جميعاً النوبة والمقرة • ومدينة دنقلة هي دار مملكتهم
وقال المقرئزي في علوه نقلاً عن كتاب عبد الله الاسواني السالف الذكر
« قال بلغني ان بعض مملكي بلد علوه سار فيها يريد اقصاها فلم يأت عليه بعد سنين
وان في طرفها القبلي جنساً يسكنون ودوابهم في بيوت تحت الارض مثل السرايب
بالنهار من شدة حر الشمس ويسرحون في الليل وفيهم قوم عراة • قال وسورة
مدينة العلوي شرقي الجزيرة الكبرى التي بين البحرين الابيض والاخضر المعروف
الآن بالازرق الطرف الشمالي منها عند مجتمعهما وشرقيها النهر الذي يجف ويسكن
بطنه (ويشير الى نهر أتبرة) وفيها أبنية حسان ودور واسعة وكنائس كثيرة الذهب
وبساتين ولها رباط فيه جماعة من المسلمين وممتلك علوة اكثر مالاً من ممتلك المقررة
وأعظم جيشاً وعنده من الخيل ما ليس عند المقرري وبلده أخصب وأوسع والتخل
والكرم عندهم يسير واكثر حبوبهم الذرة البيضاء التي مثل الارز منها خبزهم ومزربهم •
واللحم عندهم كثير لكثرة المواشي والمروج الواسعة حتى انه لا يوصل الى الجبل الا في ايام •

وعندهم خيل عتاق وجمال صهب عراب • ودينهم النصرانية يعاقبة • وأساقفتهم من قبل صاحب الاسكندرية كالنوبة • وكتبهم بالرومية (اليونانية) يفسرونها بلسانهم وهم أقل فهمًا من النوبة وملكهم يسترق من شاء من رعيته بجرم وبغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه يسجدون له ولا يعصون أمره على المكروه الواقع بهم وينادون الملك يعيش فليكن أمره وهو يتتوج بالذهب والذهب كثير في بلده

« ومما في بلده من العجائب ان في الجزيرة الكبرى التي بين البحرين جنسًا يعرف بالكرما أو القرنا لهم أرض واسعة مزروعة من النيل والمطر فاذا كان وقت الزرع خرج كل واحد منهم بما عنده من البذر واختط على مقدار ما معه وزرع في أربعة اركان الخطة يسيرًا وجعل البذر في وسط الخطة وشيئًا من المزر وانصرف عنه فاذا أصبح وجد ما اختط قد زرع وشرب المزر فاذا كان وقت الحصاد حصده يسيرًا منه ووضع في موضع اراده ومعه مزر وينصرف فيجد الزرع قد حصده بأسره وجرن • فاذا أراد دراسته وتذريته فعل به كذلك • وربما أراد احدهم ان ينقي زرعه من الحشيش فيلفظ بقلع شيء من الزرع فيصبح وقد قلع جميع الزرع * وهذه الناحية التي فيها ما ذكرته بلدان واسعة مسيرة شهرين في شهرين يزرع جميعها في وقت واحد • وميرة بلد علوة ومملكهم من هذه الناحية فيوجهون المراكب فتوسق وربما وقع بينهم حرب • قال وهذه الحكاية صحيحة معروفة مشهورة عند جميع النوبة والعلوة وكل من يطرق ذلك البلد من تجار المسلمين لا يشككون فيه ولا يرتابون به ولولا ان اشتهاره وانتشاره مما لا يجوز التواطؤ على مثله لما ذكرت شيئًا من شناعته فاما اهل الناحية فيزعمون ان الجن تفعل ذلك وأنها تظهر لبعضهم وتخدمهم بحجارة ينطاعون لهم بها وتعمل لهم عجائب وان السحاب يطيعهم قال ومن عجائب ما حدثني به مملك المقررة للنوبة انهم يمتطون في الجبال ويلتقطون منه للوقت سمكاً على وجه الارض وسألته عن جنسه فذكروا انه صغير القدر بأذنان حمر

« قال وقد رأيت جماعة وأجناساً ممن تقدم ذكر اكثرهم يعترفون بالباري سبحانه وتعالى ويتقربون اليه بالشمس والقمر والكواكب ومنهم من لا يعرف الباري

ويعبد الشمس والنار ومنهم من يعبد كل ما استحسنه من شجرة أو بهيمة وذكر أنه رأى رجلاً في مجلس عظيم المقررة سألته عن بلده فقال مسافته إلى النيل ثلاثة أهلة وسألته عن دينه فقال ربي وربك الله ورب الملك ورب الناس كلهم واحد وأنه قال له فأين يكون قال في السماء وحده . وقال انه إذا أبطأ عنهم المطر أو أصابهم الوباء أو وقع بدوابهم آفة صعدوا الجبل ودعوا الله فيجابون للوقت وتقضى حاجتهم قبل ان ينزلوا . وسألته هل ارسل فيكم رسول قال لا فذكر له بعثة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه وما ابدوا من المعجزات فقال اذا كانوا فعلوا هذا قد صدقوا ثم قال قد صدقتهم ان كانوا فعلوا اه .



الفصل الاول

في

تاريخ النوبة السفلى

منذ دخول النصرانية اليها سنة ٥٤٥ م الى انقراضها منها سنة ١٣١٨ م

ان جل ما نعلمه عن دخول النصرانية الى بلاد النوبة ان قد جاءها رسل من الاسكندرية سنة ٥٤٥ م فبشروا اهلها بالنصرانية فاعتنقوها وتركوا عبادة الاوثان . ثم لا نعلم شيئاً من اخبارهم حتى كان الاسلام وافتتح المسلمون مصر سنة ١٨ هـ ٦٤٠ م قال ابن الاثير « فغزا المسلمون النوبة فرجعوا بالجراحات وذهب الحدق لجودة رميهم فسموهم رماة الحدق »

وقال المقريري « وفي سنة ٢١ هـ بعث عمرو بن العاص عبد الله بن سعد ابن أبي سرح في عشرين الف الى النوبة فمكث بها عبد الله بن سعد زماناً وصالحهم وقرر عليهم شيئاً معلوماً من المال . ثم ان عمرو بن العاص كتب الى عبد الله بن سعد يأمره بالرجوع اليه فرجع . وسنة ٢٣ هـ ٦٤٤ م قُتل الامام عمر بن الخطاب وتولى بعده عثمان وكان عبد الله بن سعد من أقاربه فعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وتولى عليها عبد الله بن سعد . وفي أول ولايته تقضى النوبة الصلح

الذي جرى بينهم وبينه وأرسلوا سراياهم الى صعيد مصر فأخربوا وأفسدوا فغزاهم مرة ثانية عبد الله بن سعد ابن أبي السرح المذكور وهو على أمانة مصر في خلافة عثمان (رضه) سنة ٣١ هـ ٦٥٢ م وحاصروهم بمدينة دقلا حصاراً شديداً ورماهم بالتجنيق ولم تكن النوبة تعرفه وخسف بهم كنيسهم بحجر فبهرهم ذلك وطلب ملكهم قليدورون الصلح وخرج الى عبد الله وأبدى ضعفاً ومسكنة وتواضعاً فلقاه عبد الله ورفعته وقرّبه ثم قرّر الصلح معه على ثلاثمائة وستين رأساً من الرقيق في كل سنة ووعد عبد الله محبوب يهديها اليه لما شكاه له قلة الطعام ببلده وكتب لهم كتاباً نسخته بعد البسملة :

« عهد من الامير عبد الله بن سعد ابن أبي السرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته . عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض اسوان الى حد أرض علوة . ان عبد الله بن سعد جعل لهم اماناً وصدقة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة انكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبي (صلعم) أن لا نحاربكم ولا ننصب لكم حرباً ولا نفزركم ما اقمتم على الشروط التي بيننا وبينكم على ان تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه . وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه . وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو بطرفه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم وان عليكم رد كل آبق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه الى أرض الاسلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ولا تعرضوا لمسلم قصده وجاوره الى أن ينصرف عنه . وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصلياً . وعليكم كنسه واسراجه وتكريمه . وعليكم في كل سنة ثلاثمائة وستون رأساً تدفعونها الى امام المسلمين من أوسط رقيق بلدكم غير المعيب يكون فيها ذكران وأنثى ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك الى والي اسوان . وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد أرض علوة الى أرض اسوان . فان أنتم أويتم عبد المسلم أو قتلتم مسلماً أو معاهداً أو تعرضتم للمسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم

أو منعم شيئاً من الثلاثمائة رأس والستين رأساً فقد برئت منكم هذه الهدنة والامان وعدنا نحن وانتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد (صلعم) ولنا عليكم بذلك اعظم ما تدينون به من ذمة المسيح وذمة الحوارين وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك كتبه عمرو بن شرحبيل في رمضان سنة ٣١ هـ ، * وهذه الجزية التي تدفعها النوبة تسمى بقطاً

« وكانت النوبة رفعت الى عمرو بن العاص ما صولحوا عليه من البقط قبل نكت عهدهم وأهدوا الى عمرو اربعين رأساً من الرقيق فلم يقبلها ورد الهدية الى كبير البقط ويقال له سقموس فاشترى له بذلك جهازاً وخرّاً ووجهه اليه وبعث اليهم عبد الله بن سعد ما وعدهم به من الحبوب قمحاً وشعيراً وعدساً وثياباً وخيلاً ثم تناول الرسم على ذلك فصار رسماً يأخذونه عند دفع البقط في كل سنة وصارت الاربعون رأساً التي تهديت الى عمرو يأخذها والي مصر . وعن أبي خليفة حميد بن هشام الجعفي أن الذي صولح عليه النوبة ثلاثمائة وستون رأساً لفي المسلمين ولصاحب مصر أربعون رأساً ويدفع اليهم ألف أردب قمحاً ولرسله ثلاثمائة أردب ومن الشعير كذلك ومن الخمر ألف اقتيز للمملك ولرسله ثلاثمائة اقتيز وفرسين من نتاج خيل الامارة ومن أصناف الثياب مائة ثوب ومن القباطي اربعة أثواب للمملك ولرسله ثلاثة ومن البقطرية ثمانية أثواب ومن المعلة خمسة أثواب وجبة مجملة للملك ومن قص أبي بقطر عشرة أثواب ومن احاص عشرة أثواب وهذه ثياب غلاظ ٠٠٠٠ ، قال ابن وصيف شاه لما انتقلت الخلافة الى بني العباس وولي عبد الله السفاح سنة ١٣٢ هـ ٧٥٠ م توجه عبد الله بن علي العباسي الى الشام في طلب من بقي من بني أمية ثم ارسل بالقبض على الامير عبيد الله بن مروان الحمار أمير مصر فلما أن بلغ الامير عبيد الله ذلك دخل الى خزائن امواله وأخذ منها عشرة آلاف دينار ذهباً ثم احضر اثني عشر بغلاً وحملها ذلك المال وشيئاً من القماش والفرش وغير ذلك وأخذ معه جماعة من العبيد والغلمان ثم شد على وسطه خريطة فيها جواهر فاخرة ثمينة وخرج من

مهراربا فتوجه الى نحو بلاد النوبة . فلما وصل هناك وجد مدائن خرابا وبها قصور
 محكمة البناء فنزل في بعض تلك القصور وامر غلمانه بكنسها فكنست وفرش فيها
 ما كان معه من تلك الفرش الفاخرة ثم قال لبعض غلمانه وكان ممن يثق بعقله
 امض الى ملك النوبة وخذ لي منه امانا على نفسي من القتل فخرج الغلام وتوجه
 الى ملك النوبة فغاب ساعة ثم عاد ومعه قاصد من عند ملك النوبة فلما دخل عليه
 قال له ان الملك يقرئك السلام ويقول لك احماربا جئت اليه ام مستجيرا فقال له
 الامير عبيد الله رد عليه مني السلام وقل له قد جاء اليك ليستجير بك من عدو
 يريد قتله فمضى ذلك القاصد بالجواب فغاب ساعة ورجع وقال له ان الملك قادم
 عليك في هذه الساعة فقال عبيد الله لغلمانه افرشوا ما معنا من الفرش الفاخرة وجعل
 مرتبة في صدر المكان برسم ملك النوبة وجلس يرتقب مجيئه فينما هو على ذلك اذ
 دخل عليه غلامه وقال له ان ملك النوبة قد اقبل فقام الامير عبيد الله وصعد على
 أعلى القصر ونظر الى ملك النوبة فاذا هو رجل اسود طويل القامة نحيف الجسم
 وعليه بردان قد ائتزر بأحدهما وارتمى بالآخر ومعه عشرة من السودان حوله
 ومهم حراب بأسنة تلمع فلما رآه عبيد الله استصغر امره واحتقره فلما قرب من
 المكان الذي فيه عبيد الله أتاه من عسكره نحو عشرة آلاف رجل من السودان
 في ايديهم الحراب فلما وصل ملك النوبة على عبيد الله واحاط ذلك العسكر بالمكان
 الذي فيه عبيد الله ووقعت عين ملك النوبة على الامير عبيد الله بادر الى يد الامير
 عبيد الله وقبلها فأشار اليه عبيد الله بأن يجلس على تلك المرتبة التي وضعها اليه فأبى
 وصار يدفع تلك الفرش الفاخرة برجله فقال عبيد الله للترجمان لم لا يقعد الملك
 على تلك المرتبة التي وضعناها له فقال له الترجمان في ذلك فقال ملك النوبة قل
 للامير كل ملك لا يكون متواضعا لله فهو جبار عنيد متكبر ثم انه جلس بين يدي
 الامير عبيد الله وجعل ينكت في الارض بأصبعه طويلا ثم انه رفع رأسه الى الامير
 عبيد الله وقال له كيف سلبتم ملككم وأخذ منكم وأنتم أقرب الناس الى نبيكم
 فقال له عبيد الله ان الذي سلبنا ملكنا أقرب الى نبينا منا فقال له ملك النوبة

فكيف أنتم تلوذون الى نبيكم بقرابة وأنتم تشربون ما حُرِّم عليكم من الخمر وتلبسون الديباج وهو محرَّم عليكم وتركبون في سروج الذهب والفضة وهي محرَّمة عليكم ولم يفعل نبيكم شيئاً من هذا وبلغنا انك لما وليت على مصر كنت تخرج الى الصعيد وتكلف اهل القرى ما لا يطيقون وتفسد الزرع على الناس وتروم الهدايا والتقاد من اهل القرى وكل هذا لاجل كركي تصيده قيمته سبعة انصاف أو ثمانية فصار ملك النوبة يعدد على الامير عبيد الله جملة ذنوب والامير عبيد الله ساكت لا يتكلم بحرف واحد ثم قال له ملك النوبة فلما استحللتهم ما حرَّمه الله عليكم سلبتم ملككم وأخذ منكم واوقع الله بكم تقمة لم تبلغ غايتها منكم وانا اخاف على نفسي ان أنزلك عندي ان تحل بي تلك التقمة التي حلت بكم والبلاء عام والرحمة مخصوصة ثم قال له ارحل من ارضي بعد ثلاثة ايام والا أخذت جميع ما معك وقتلتك شر قتلة فله سمع الامير عبيد الله ذلك خرج من ارض النوبة من يومه ورجع الى مصر قبض عليه عمال الخليفة المنصور العباسي وبعثوا به الى بغداد فسجنه المنصور حتى مات في السجن اه عن ابن أبياس

وذكر القزويني هذه القصة فعزاها الى محمد بن مروان قال «وَجَرى ذَكَرُ مَلِكِ النُوبَةِ فِي مَجْلِسِ الْمَهْدِيِّ (محمد بن ابي جعفر المنصور العباسي سنة ١٥٨ هـ : ١٦٩ اي سنة ٧٧٥ م : ٧٨٥ م) بِقَالَ بَعْضِ الْحَاضِرِينَ اَنَّ لَهُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ قِصَّةَ عَجِيبَةٍ فَأَمَرَ الْمَهْدِيُّ بِاحْضَارِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ وَسَأَلَهُ عَمَّا جَرى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَلِكِ النُوبَةِ فَقَالَ لَمَّا التَقِينَا اَبَا مُسْلِمٍ بِمِصْرَ وَانْهَزَمْنَا وَتَشَتَّتَ جَمْعُنَا وَقَعْتَ بِأَرْضِ النُوبَةِ فَأُحْبِيتَ أَلْ يُمْكِنُنِي مُلْكُهُمْ مِنْ الْمَقَامِ عِنْدَهُمْ زَمَانًا فَجَاءَنِي زَائِرًا وَهُوَ رَجُلٌ طَوِيلٌ أَسْوَدُ اللَّوْنِ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ مِنْ قِبَتِي وَسَأَلْتُهُ اَنْ يَدْخُلَهَا فَأَبَى اَنْ يَجْلِسَ إِلَّا خَارِجَ الْقُبَّةِ عَلَى التَّرَادِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ اِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اعْطَانِي الْمُلْكَ فَحَقَّ عَلَيَّ اَنْ أَقَابِلَهُ بِالتَّوَاضُعِ قَالَ لِي مَا بِالْكُمْ تَشْرَبُونَ النَّبِيذَ وَانْهَى مُحَرَّمَةً فِي مُلْكِكُمْ قُلْتُ نَحْنُ مَا نَفْعَلُ ذَلِكَ وَابْنُ يَفْعَلُهُ بَعْضُ فَسَاقِ أَهْلِ مُلْتَنَا فَقَالَ كَيْفَ لَبَسْتَ الدِّبَاجَ وَلَبِسُهُ حَرَامٌ فِي مُلْكِكُمْ قُلْتُ اِنَّ الْمُلُوكَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَنَا وَهُمْ إِلَّا كَاسِرَةٌ كَانُوا يَلْبَسُونَ الدِّبَاجَ فَتَشَبَّهْنَا بِهِمْ لِئَلَّا تَقْصُرَ

هيتاني عين الرعايا فقال كيف تستحلون اخذ اموال الرعايا من غير استحقاق قلت هذا شيء لا نفعله ولا نرضى به وانما يفعله بعض عمالنا السوء فأطرق وجعل يردد مع نفسه « يفعله بعض عمالنا السوء » ثم رفع رأسه وقال ان الله تعالى جعل فيكم قمة ما بلغت غايتها اخرج من ارضي حتى لا يدركني شومك ثم قام ووكل بي حتى ارنحت من ارضه والله تعالى الموفق اه

وقال القزويني « بلاد النوبة ارض واسعة في جنوبي مصر وشرقي النيل وغربه واهلها امة عظيمة نصارى يعاقبة ولهم ملك اسمه كايل يزعمون انه من نسل ملوك حمير قال (صلعم) خير سبيكم النوبة وقال ايضا من لم يكن له اخ فليخذ اخا نوبيا . ومن عاداتهم تعظيم الملك الذي اسمه كايل وهو يوهم انه لا يأكل ويدخل الطعام عليه سرا فان عرف ذلك احد من الرعية قتلوه لوقته ويشرب شرابا من الذرة مقوى بالعسل ولبسه الثياب الرفيعة من الصوف والخز والدباج وحكمه نافذ في رعيته ويده مطلقة يسترق من شاء ويتصرف في اموالهم وهم يعتقدون انه يحيي ويميت ويصح ويمرض

وقال البلاذري في كتاب الفتوحات في كلامه عن البقط « ان المقرر على النوبة اربعمائة رأس يأخذون بها طعاما أي غلة وألزمهم امير المؤمنين المهدي محمد بن ابي جعفر المنصور (العباسي المار ذكره) ثلاثمائة وستين رأسا وزرافة اه »

وقال الليث بن سعد وهو من الثقات في اخبار النوبة ولم يزل النوبة يؤدون البقط في كل سنة ويدفع اليهم ما تقدم ذكره الى ايام امير المؤمنين المعتصم بالله ابي اسحاق بن الرشيد العباسي (سنة ٢١٨ هـ : ٢٢٧ هـ — ٨٣٣ م : ٨٤٢ م) وكبير النوبة منذ زكرياء بن بجنس وكانت النوبة ربما عجزت عن دفع البقط فشن الغارة عليهم ولاة المسلمين القريبون من بلادهم ومنعوا اخراج الجهاز اليهم فانكر فيرقى ولد كبيرهم زكريا على ابيه ذل الطاعة لغيره واستعجزه فيما يدفع فقال له ابوه فما تشاء قال عصيانهم ومحاربتهم قال ابوه هذا شيء رآه السلف من آبائنا صوابا واخشى ان يفضي هذا الامر اليك فتقدم على محاربة المسلمين غير اني اوجهك الى ملكهم رسولا

فأنت ترى حالنا وحالهم فان رأيت لنا بهم طاقة حار بناهم على خبرة والا سأله
 الاحسان الينا ف شخص فيرقى الى بغداد وكانت البلدان تزين له وهو يسير على المدن
 وانحدر بانحداره رئيس البجة ولقيا المعتصم فنظرا الى ما بهرهما من حال العراق
 في كثرة الجيوش وعظم العمارات مع ما شاهداه في طريقهما فقرب المعتصم فيرقى
 وادناه وأحسن اليه احساناً تاماً وقبل هديته وكافاه بأضعافها وقال له تمنى ما شئت
 فسأله في اطلاق المحبوسين فأجابته الى ذلك وكبر في عين المعتصم ووهب له الدار
 التي نزلها بالعراق وامر أن يشتري له في كل منزل من طريقه دار تكون لرسلم فانه
 امتنع من دخول دار لاحد في طريقه فأخذ له بمصر دار بالجيزة وأخرى بيني وائل
 واجرى لهم في ديوان مصر سبعمائة دينار وفرساً وسرجاً ولجاماً وسيفاً محلي وثوباً مثقلاً
 وعمامة من الخز وقميص شرب ورداء شرب وثياباً لرسلم غير محدودة عند وصول
 البقط الى مصر ولهم حملان . وخلع على المتولي قبض البقط وعليهم رسوم معلومة
 لقابض البقط والمتصرفين معه وما يهدي اليهم بعد ذلك فغير محدود وهو عندهم
 هدية يجازون عليها . ونظر المعتصم الى ما كان يدفعه المسلمون فوجده أكثر من
 البقط وانكر عطية الخمر واجرى الحبوب والثياب التي تقدم ذكرها وقرر دفع البقط
 بعد انتضاء كل ثلاث سنين وكتب لهم كتاباً بذلك بقي بيد النوبة . وطلب ملك
 النوبة من المعتصم ازالة المسلحة المعروفة بالقصر عن موضعها الى الحد الذي بينهم
 وبين المسلمين لان المسلحة على ارضهم فلم يجبه الى ذلك . ولم يزل الرسم اجارياً بدفع
 البقط على هذا التقرير ويدفع اليهم ما اجراه المعتصم الى ان قدمت الدولة الفاطمية
 الى مصر اه عن المقريري

وقال المسعودي في كلامه عن البقط «وعدد ذلك ثلاثمائة رأس وخمسة وستون
 رأساً واره رسم على عدد ايام السنة هذا لبيت مال المسلمين بشرط الهدنة بينهم
 وبين النوبة وللأمير في مصر غير ما ذكرنا من عدد السبي اربعون رأساً ولخليفته
 المقيم في بلاد اسوان المجاورة لارض النوبة وهو المتولي لقبض هذا البقط وهو السبي
 عشرون رأساً غير الاربعين وللحاكم المقيم في اسوان الذي يحضر مع امير اسوان

لقبض البقط خمسة رؤوس غير العشرين التي يقبضها الأمير وللاثني عشر شاهداً علواً من اهل اسوان يحضرون مع الحاكم حين قبض البقط اثنا عشر رأساً من السبي على حسب ما جرى به الرسم في صدر الاسلام في بدء ايقاع الهدنة بين المسلمين والنوبة . والموضع الذي يتسلم فيه هذا البقط ويحضره من سميناه وغيرهم من النوبة من ثقات الملك يعرف بالقصر وهو على ستة اميال من مدينة اسوان بالقرب من جزيرة بلاق اه »

وقال (المسعودي) عند كلامه عن اسوان « ومدينة اسوان يسكنها خلق كثير من العرب من قحطان ونزار بن معد من ربيعة ومضر وخلق من قریش واكثرهم ناقلة من الحجاز وغيره . والبند كثير التخل خصب كثير الخير . تودع النواة الارض فتبت نخلة ويؤكل من ثمرها بعد سنتين . ولما باسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخله بأرض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة وابتيعت هذه الضياع من النوبة في صدر الزمان في دولة بني أمية وبني العباس . وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد اوفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه ان ناساً من اهل مملكته وعبيده باعوا ضياعاً من ضياعهم ممن جاورهم من اهل اسوان وانها ضياعه والقوم عبيد لا املاك لهم وانما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد للعاملين فيها فرد المأمون امرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بها من اهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من اهل اسوان انها ستزعم من ايديهم فاحتلوا على ملك النوبة بأن تقدموا الى من ابتيع منهم من اهل النوبة انهم اذا حضروا حضرة الحاكم ان لا يقرؤا ملوكهم بالعبودية وان يقولوا سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم تجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم انتم عبيداً لملككم واموالكم له فنحن كذلك ولما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك اتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما اوقفوا عليه من هذا المعنى فمضى البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم الى هذا الوقت . وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس المجاورة لاسوان . وصار النوبة اهل مملكة هذا الملك نوعين نوعاً من وصفنا احراراً غير عبيد والنوع الآخر من اهل مملكته عبيد وهم

من سكن من النوبة في غير بلاد مريس اه كلام المسعودي ملخصاً
وفي سنة ٢٥٥ هـ ٨٧٠ م ذهب ابو عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحميد

العمري الى محاربة النوبة (ورجع غانماً) اه عن المقرئزي كتابنا هذا

وقال المسعودي « وانتهيت في تصنيفي الى هذا الموضع من ربيع الآخر سنة ٣٣٢ هـ ٩٤٤ م فأخبرت أن الملك في مدينة دنقلا الى النوبة

ليرني بن سدر وهو ملك ابن ملك ابن ملك فصاعداً وملكه يحتوي على ام قهرية وعلوة

وفي ذي الحجة سنة ٣٤٤ هـ ٩٥٦ م أغار ملك النوبة على اسوان وقتل جماعاً

من المسلمين فخرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل أنوجور بن

الاخشيد في محرم سنة ٣٤٥ هـ ٩٥٧ م فساروا في البر والبحر وبعثوا بعثة من النوبة

أسروهم فضربت أعناقهم بعد ما أوقع بملك النوبة . وسار الخازن حتى فتح مدينة ابريم

وسبى اهلها وقدم الى مصر في نصف جمادي الاولى سنة ٣٤٥ هـ بمائة وخمسين أسيراً

وعدة رؤوس اه عن المقرئزي « وقال المتنبى من قصيدة مشهورة يمدح بها كافور

الاخشيد الذي تولى مصر من سنة ٣٥٥ هـ : ٣٥٧ هـ — ٩٦٢ : ٩٦٨ م

« يصرف الامر من مصر الى عدن الى الحجاز فأرض الزنج فالنوب،

وهو يدل على اتساع ملك مصر في ذلك الزمان وخضوع النوبة لها

وقال ابن الاثير « وفي سنة ٣٩٧ هـ ١٠٠٧ م سار ابو ركة الى بلد النوبة فلما بلغ

الى حصن يعرف بحصن الجبل للنوبة اظهر انه رسول من « الحاكم » الى ملكهم فقال له

صاحب الحصن الملك عليل ولا بد من استخراج امره في مسيرك اليه وبلغ الفضل

الخبر فأرسل الى صاحب القلعة بالخبر على حقيقته فوكل به من يحفظه وارسل الى

الملك بالحال وكان ملك النوبة قد توفي وملك ولده فأمر ان يسلم الى نائب الحاكم

فتسلمه رسول الفضل وسار به فلقية الفضل واكمه وانزله في مصاربه وحمله الى مصر

فأشهر بها وطيف به . وكتب ابو ركة الى « الحاكم » رقعة يقول فيها يا مولانا ذنوبي عظيمة

واعظم منها عفوك والدماء حرام ما لم يحلها سخطك وقد احسنت واسأت وما ظلت

الا نفسي وسوء عملي أوبقني واقول :

فرت فلم يغنِ الفرار ومن يكن
 مع الله لم يعجزه في الارض هارب
 والله ما كان الفرار لحاجة
 سوى فزع الموت الذي انا شارب
 وقد قادني جرمي اليك برمتي
 كما خرّ ميت في رجا الموت سارب
 وأجمع كل الناس انك قاتلي
 فيارب ظنّ ربه فيك كاذب
 وما هو الا الانتقام وينتهي
 واخذك منه واجباً لك واجب
 ولما طيف به ألبس طرطوراً وجعل خلفه قرد يصفعه كان معلماً بذلك ثم حمل الى
 ظاهر القاهرة ليقتل ويصلب فتوفي قبل وصوله فقطع رأسه وصلب. وبالغ الحاكم في
 اكرام الفضل الى حد انه عاده في مرضة مرضها دفعتين فاستعظم الناس ذلك ثم
 انه عمل في قتل الفضل لما عوفي فقتله.

وفي جمادى الاولى سنة ٥٦٨ هـ ١١٧٣ م سار شمس الدولة ثوران شاه ابن ايوب
 اخو صلاح الدين الاكبر من مصر الى بلد النوبة فوصل الى اوّل بلادهم ليتغلب
 عليه ويملكه وكان سبب ذلك ان صلاح الدين واهله كانوا يعلمون ان نور الدين
 كان على عزم الدخول الى مصر فاستقر الرأي بينهم انهم يتملكون اما بلاد النوبة أو
 بلاد اليمن حتى اذا وصل اليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد فان قووا على
 منه اقاموا بمصر وان عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التي قد افتحوها فجهز
 شمس الدولة وسار الى اسوان ومنها الى بلد النوبة فنازل قلعة اسمها ابريم فحصرها
 وقتلها اهلها فلم يكن لهم طاقة بقتال العسكر الاسلامي لانهم ليس لهم جنة تقيهم
 السهام وغيرها من آلة الحرب فسلموها فملكها واقام بها ولم ير للبلاد دخلاً يُرغب
 فيه وتحتل المشقة لاجله وقوتهم الذرة فلما رأى عدم الحاصل وقشف العيش مع
 مباشرة الحروب ومعاناة التعب والمشقة تركها وعاد الى مصر بما غنم وكان عامة
 غنيمتهم العبيد والجواري «

وقال المقرئ في كلامه عن ثوران شاه هذا « وأعطاه صلاح الدين قوص
 واسوان وعيذاب وجعلها له اقطاعاً فكانت عبرتها في تلك السنة مائتي ألف وستة
 وستين ألف دينار. ثم خرج الى غزو بلاد النوبة في سنة ٥٦٩ هـ ١١٧٤ م

وفتح قلعة ابريم وسبي وغنم. ثم عاد بعد ما اقطع ابريم بعض
 « وقد غلب اولاد كنز الدولة على النوبة وملكوها من سنة ١٠٠٠ وبنى

بدنقلا جامع يأوى اليه الغرباء »

« وفي سنة ٦٧٤ هـ ١٢٧٦ م كثر خبث داود متملك النوبة وأقبل
 الى ان فرم

من مدينة اسوان وحرقت عدة سواق بعد ما افسد بعذاب فمضى اليه والي قوص ولم
 يدركه وقبض على صاحب الخيل في عدة من النوبة وحملهم الى السلطان الملك
 الظاهر بيبرس البندقاري بقلعة الجبل فوسطهم (أي قطعهم بالسيف من الوسط)
 وقدم سكندة ابن اخت متملك النوبة متظلماً من خاله داود فجرد السلطان

الملك الظاهر معه الامير شمس الدين آق سنقر الفارقاني استاذ داره والامير
 عز الدين ابيك الافرم امير جاندار في جماعة كثيرة من العسكر وعن أجناد
 الولايات عربان الوجه القبلي والزرايين والرماة ورجال الحرايق فساروا في أول
 شعبان سنة ٦٧٤ هـ من القاهرة حتى وصلوا الى ارض النوبة فخرجوا الى لقائهم على

النجب (الابل) بأيديهم الحراب وعليهم دكادك سود فاقتل الفريقان قتلاً كبيراً
 انهزم فيه النوبة واغار الافرم على قلعة الدروقتل وسبي وأوغل الفارقاني وجمعه الافرم
 في ارض النوبة برأ وبجراً يقتل ويأسر فحاز من المواشي ما لا يعد ونزل بمجزيرة
 ميكائيل برأس الجنادل ونفر المراكب من الجنادل ففر النوبة الى الجزاير وكتب

الفارقاني لقمر الدولة نائب داود متملك النوبة أماناً فخلف قمر الدولة لسكندة على
 الطاعة وأحضر رجال المريس ومن فر . وخاض الافرم الى برج في الماء وكان فيه
 داود واسرته وحصره حتى أخذه وقتل به مائتين وأسر أخا لداود فهرب داود
 والعسكر في أثره مدة ثلاثة أيام وهم يقتلون ويأسرون حتى اذعن القوم وأسرت أم

داود وأخته ولم يقدر على داود لانه تخلص الى النوبة العليا فلقية هناك ملكها فقاتله
 وهزمه واسره وبعث به مقيداً الى السلطان بمصر فاعتقل بالقلعة الى ان مات وتقرر
 سكندة عوضه وقرر على نفسه القطيعة في كل سنة ثلاث فيلة وثلاث زرافات وخمس
 فهود من أناثها ومائة نجيب أصهب واربعماية رأس من البقر المعتجة على ان تكون

بلاد النوبة نصفين نصفها للسلطان ونصفها اعمارة البلاد وحفظها ما خلا بلاد الجنادل
فلها كلها للسلطان لقربها من اسوان وهي نحو الربع من بلاد النوبة وأن يحمل ما بها
من التمر والقطن وألحقوق الجارية بها العادة من قديم الزمان وان يقوموا بالجزية ما
فوا على النصرانية فيدفع كل بالغ منهم في السنة ديناراً عيناً. وكتب نسخة يمين بذلك
حلف عليها الملك سكندة ونسخة يمين أخرى حلفت عليها الرعية. وخرّب الاميران
كنائس النوبة وأخذوا ما فيها وقبضوا على نحو عشرين أميراً من امراء النوبة وأفرجوا
عن كان بأيدي النوبة من اهل اسوان وعيذاب من المسلمين في أسرهم وألبسا
سكندة تاج الملك واقعداه على سرير المملكة بعد ما حلف والتزم ان يحمل جميع
ماله لادول وكل من قتل وأسر من مال ودواب الى السلطان مع البقط القديم وهو
اربعة رأس من الرقيق وزرافة في كل سنة من ذلك ما كان للخليفة ثلثاية وستون
رأساً ولنائبه بمصر أربعون رأساً على ان يطلق لهم اذا وصلوا بالبقط تاماً من القمح
الف أردب لتملكهم وثلثاية أردب لرسالة عن المقريري . وقال ابن خلدون :
« ثم مات الظاهر بيبرس وانقرضت دولته ودولة بنيهِ وانتقل الملك الى المنصور
قلاون فبعث سنة ٦٨٦ هـ ١٢٨٨ م العساكر الى النوبة مع علم الدين سنجر الخياط
وعز الدين الكوراني وسار معهم نائب قوص عز الدين ايدر السيفي بعد ان استنفر
الربان اولاد ابي بكر واولاد عمر واولاد شريف واولاد شيبان واولاد كنز الدولة
وجماعة من الغرب . . . وبنو هلال وساروا على العدو الغربية والشرقية الى دقلا
وملكهم في ذلك الحين بيت مأمون هكذا سماه النووي واطنه أخا مرتشكين (سكندة)
وبرزوا للعساكر فهزمتهم واتبعتهم خمسة عشر يوماً وراء دقلا ورُتب ابن اخت بيت
مأمون في الملك ورجعت العساكر فرجع بيت مأمون الى دقلا فاستولى على البلاد
ولحق ابن اخته بمصر صريحاً بالسلطان فبعث معه عز الدين ايبك الافرم في العساكر
ومعه ثلاثة من الامراء وعز الدين نائب قوص وذلك سنة ٦٨٨ هـ وبعثوا المراكب
في البحر بالازودة والسلاح ومات ملك النوبة (ابن اخت بيت مأمون) المستنجد
بهم بأسوان ودفن بها وجاء نائبه جريس (اي نائب ابن اخت بيت مأمون)

صريحاً الى السلطان فبعث معه داود ابن اخي مرتشكين الذي كان أسيراً بالقلعة .
وتقدم جريس بين يدي العساكر حتى وصلوا الى دتقلا فهرب بيت مأمون وامتنع
بجزيرة وسط النيل على خمسة عشر مرحلة وراء دتقلا ووقفت العساكر على ساحل
البحر وتعذر وصول المراكب الى الجزيرة من كثرة الحجر وخرج بيت مأمون منها
فلحق بالابواب (اي النوبة العليا) ورجع عن اصحابه (اي اصحاب بيت مأمون)
ورجعت العساكر الى دتقلا فملكوا داود ابن اخي مرتشكين المتقدم الذكر ورجعوا
الى مصر سنة ٦٨٩ هـ ١٢٩١ م لتسعة اشهر من مسيرهم بعد ان تركوا أميراً منهم
مع الملك داود ورجعوا الى مصر ورجع بيت مأمون الى دتقلا وقتل داود وبعث
الامير الذي كان معه الى السلطان وحمله رغبة في الصلح على ان يؤدي الضريبة
المعلومة فاسعف لذلك واستقر في ملكه .

وقال ابن اياس « ثم دخلت سنة ٧٠٤ هـ ١٣٠٥ م وفيها حضر الى الابواب
الشريفة صاحب دتقلا من اعمال الصعيد وكان صحبتة هدايا جميلة من رقيق وجمال
وابقار حبشية وغير ذلك فخلع عليه السلطان خلعة وأنزله بدار الضيافة »

وقال ابن خلدون في اخبار النوبة واسلامهم : « قد تقدم لنا غزو الترك
الى النوبة ايام الظاهر بيبرس والمنصور قلاون لما كان عليهم من الجزية التي فرضها
عمرو بن العاص عليهم وقررها الملوك بعد ذلك وربما كانوا يماطلون بها أو يتمنعون من
إدائها فتغزوهم عساكر المسلمين من مصر حتى يستقيموا وكان ملكهم بدتقلا ايام سارت
العساكر من عند قلاون اليها سنة ٨٦٠ هـ ١٢٨٢ م واسمه بيت مأمون ثم كان ملكهم لهذا
العهد اسمه آي لا أدري أكان معاقباً لبيت مأمون أو توسط بينهما متوسط وتوفي آي
سنة ٧١٦ هـ ١٣١٧ م وملك بعده في دتقلا أخوه كريس . ثم نزع من بيت ملوكهم
رجل الى مصر اسمه نشلي وأسلم فحسن اسلامه وأجرى له السلطان الناصر بن
قلاون رزقاً وأقام عنده فلما كانت سنة ٧١٦ هـ امتنع كريس من اداء الجزية فجهز
السلطان اليه العساكر وبعث معها عبد الله نشلي المهاجر الى الاسلام من يد ملكهم
فخام كريس عن لقاءهم وفر الى بلاد الابواب ورجعت العساكر الى مصر واستقر

نشلي في ملك النوبة على حاله من الاسلام وبعث السلطان الى ملك الابواب في كريس فبعث به وأقام بياب السلطان . ثم ان اهل النوبة اجتمعوا على نشلي وقتلوه بملاة جماعة من العرب سنة ٧١٩ هـ وبعثوا الى كريس ببلد الابواب فألفوه بمصر وبلغ الخبر الى السلطان فبعثه الى النوبة فملكها وكان قد اعتنق الاسلام فأسلمت جميع رعيته وانقطعت الجزية بأسلامهم اه كلام ابن خلدون

وقال لبيسوس « وفي دقلا العجوز جامع قائم على خرائب كنيسة كبيرة وفي واجهة الجامع حجر من الرخام مكتوب عليه بالعربية ما معناه : كان افتتاح دقلا العجوز التي هي كرسي النوبة في ٢٠ ربيع اول سنة ٧١٧ هـ — ٩ يونيو سنة ١٣١٨ م وذلك عن يد سيف الدين عبد الله الناصر اه . قلت وقد رأيت من رأى الحجر في الفتح الاول واخبرني به قبل اطلاعي على رحلة لبيسوس

وقال ابن خلدون « ثم انتشر احياء العرب من جهينة في بلاد النوبة واستوطنوها وملكوها وملأوها عيباً وفساداً وذهب ملوك النوبة الى مدافعهم (العرب) فعجزوا ثم صاروا الى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم (لأن أمهاتهم من بنات ملوك النوبة) على عادة الاعاجم في تملك الأخت وابن الأخت فتمزق ملكهم واستولى اعراب جهينة على بلادهم وليس في طريقة استيلائهم شيء من السياسة الملوكية للآفة التي تمنع من اقياد بعضهم الى بعض فصاروا شيعاً لهذا العهد « اي الى اواخر القرن الثامن للهجرة

وبقوا كذلك شيعاً على كل شعبة منهم رئيس أو ملك الى ان قام الفونج في سنار سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٥ م فملكوها الى الشلال الثالث . ثم كان الفتح العثماني لمصر يد السلطان سليم الفاتح سنة ١٥٢٠ م فأرسل سرية من عساكره الى النوبة السفلى فملكوها من اسوان الى الشلال الثالث وعرفوا بالغزو وعرف حكمهم بالكشاف . وهكذا اقسمت بلاد النوبة السفلى بين ملوك الفونج والكشاف الى ان كان الفتح المصري لسودان سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢٠ م فخضعت لمصر كما سيجيء مفصلاً في تاريخ سنار



الفصل الثاني

في

﴿ تاريخ النوبة العليا ﴾

منذ دخول النصرانية اليها في القرن السادس للمسيح الى انقراضها منها وخراب
سوبة سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٥ م

اما النوبة العليا المعروفة عند مؤرخي الاسلام بمملكة علوة وفي السودان بمملكة
العنج فظاهر ان النصرانية امتدت اليها من النوبة السفلى ولكن لم يحفظ لنا التاريخ شيئاً
من اخبارها في النصرانية غير ما تقدم ذكره عن المقريري عن كتاب ابن سليم الاسواني
وقد اخذ العرب المسلمون بعد فتح مصر يهاجرون الى السودان من مصر
وبلاد العرب اما فراراً من الحكم أو طلباً للرزق فلما فتحت النوبة السفلى زاد عدد
المهاجرين منهم الى بلاد النوبة العليا حتى ملأوها وكان اكثرهم من جبهة وبني
العباس وتغلب العنصر العربي على النوبة ومع ذلك بقوا خاضعين لحكم العنج حتى
قام الفونج في جزيرة سنار فاتحدوا مع العرب وهاجموا العنج فقتلواهم شر قتلة وخرّبوا
سوبه خرباً تاماً حتى صاروا يضربون المثل في خرابها فيقولون « فلان خرب خراب
سوبه » . ثم ساروا الى قرّي عند جبل الرويان شمالي الخرطوم فقتلوا ملكها واستولوا
عليها واسسوا مملكة في سنار اقام فيها الفونج ومشيخة في قرّي اقام فيها كبير العرب
على ما سيجي - بالتفصيل

وقد انقرض النوبة من تلك البلاد وانقرضت لغتهم ولم يبق منهم الا نفر
قليل في نواحي شندي وجريف ود قر بقرب سوبه فاعتنقوا الاسلام واتخذوا لغة
العرب لغة لهم ولم يزلوا مميزين عن العرب في الملامح والاخلاق تمييزاً لا يزل الا
الوطني . وهم على اسلامهم محترمون واسم نوباوي من ألفاظ الشتم عندهم والعرب
تأنف من مصاهرتهم الا انهم قد يتزوجون الجميلة من نسايتهم ويتزوجون كبارهم غير
الجميلة من نساء العرب

آثار النصرانية في بلاد النوبة ١٠ وهكذا انتقضت النصرانية من بلاد النوبة العليا كما انتقضت من بلاد النوبة السفلى ولم يبقَ هناك ما يدل عليها سوى آثار بعض الأديرة والكنائس ٠ ففي جزيرة فيلي آثار كنيسة جميلة ٠ وفي الدقار آثار كنيسة أخرى ٠ وفي بئر الغزالي قرب أهرام نوري خرائب دير وبجانبه حجارة مدافن عليها كتابات باليونانية والقبطية ٠ وأما كنائس دنقلة العجوز وسوبه فقد خربت خراباً تاماً كما مرّ ٠ وقد تقدم أن النوبة حوّلوا أكثر الهياكل الوثنية إلى كنائس فطُلوا النقوش الهيروغليفية والصور القديمة بالطين وصوروا على الطلاء صور المسيح وبعض القديسين وقد رأيت سنة ١٨٨٤ م صورة بولس الرسول في هيكل السبع وصوره المسيح في هيكل فرّيج ٠ وفي هذا الهيكل كتابة ١٤ سطراً من عهد النصرانية مكتوبة بأحرف قبطية ولغة غير مفهومة سميت باللغة الاثيوبية المسيحية ٠ وعلى حجر في التلة القائمة عليها قلعة ابريم كتابة بهذه اللغة أيضاً ٠ وترى على جدران قدس الاقداس في هيكل دندور قرب كلابشة كتابة باللغة القبطية مفادها أن الراهب « ابراهيم » غرس الصليب هناك في عهد الملك اربنومي ملك النوبة وكان « يوسف » نائباً في تلمس (كلابشة) « وثيودوروس » مطراناً في فيلي (سنة ٥٧٧ م) ٠ وفي سقف عمدة كتابة باللغة القبطية بشأن حجاج نصارى في اول عهد النصرانية

وكانت مطارنة النوبة تُرسل إليها من قبل بطريرك الاقباط إلى أن زالت النصرانية منها ٠ وقال المقرئ في كلامه عن اليعاقبة في مصر في خلافة هشام بن عبد الملك (سنة ١٠٥ : ١٢٥ هـ ٧٢٤ : ٧٤٣ م) « وبعث إليهم أهل النوبة في طلب اساقفة فبعثوا إليهم من اساقفة اليعاقبة فصارت النوبة من ذلك العهد يعاقبة » ويظهر أن لغة كنائس النوبة كانت القبطية واليونانية كما كانت لغة كنائس الاقباط في مصر ٠ أما لغة النوبة انفسهم فقد انقرضت من بلاد النوبة العليا بانقراض أهلها وحلت العربية محلها ولكنها ثبتت في بلاد النوبة السفلى حتى الآن ٠ والظاهر أن العرب الذين بقوا في النوبة السفلى بعد فتحها كانوا قليلين فاضطروا أن يتعلموا لغة النوبة وكما هاجر إليهم جماعة من العرب تعلموا لغة النوبة ونسوا لغتهم ٠ وهكذا فعل الأتراك

الباب الثاني

في

﴿ تاريخ البجة في صدر الاسلام ﴾

﴿ تمهيد جغرافي ﴾

تقدم لنا ان البجة سكان الصحراء الشرقية هم في المشهور بادية بني كوش بن حام
وانهم عرفوا عند كتاب الرومان باسم البلامس . وقد ظن البعض انهم البقه
(BUKA) المدونون على الآثار المصرية أو البقيته (BUGAITÆ) المدونون على
آثار اكسوم . واما البجة (أو البجا أو البجة أو البجاة) فهو الاسم الذي عرفوا
به عند مؤرخي العرب في صدر الاسلام . ول هؤلاء المؤرخين كلام طويل في شأنهم :
قال ابو الفدا في جغرافيته « وبلاد البجة بين بحر القلزم وبين بحر النيل وبينهم وبين
النوبة جبال منيعة . وقال في تاريخه عن ابن سعيد « من امم السودان البجة وهم
شديدو السواد عراة الابدان ويعبدون الاوثان وهم اهل امانة وحسن مراقبة للتجار
وفي بلادهم الذهب وهم فوق الحبشة الى جهة الجنوب على النيل * وقال القزويني
في كتاب اخبار البلاد « البجة بلاد متصلة بأعلى عيذاب في غرب منه . اهلها صنف
من الحبش وبها معدن الزمرد الاخضر السلقى الكثير المائية يسقى المسموم منه برأ
فاذا نظرت الافعى اليه سالت حدقتها * وقال ابن الوردي « البجة شديدو السواد
عراة الابدان يعبدون الاوثان ولهم عدة ممالك وهم اهل أنس وحسن وتلطف مع
التجار وفي بلادهم معدن الذهب وليس بأرضهم قرى ولا خصب وانما هي بادية جربة
تصعد التجار منها الى وادي العلاقي وهو واد فيه خلق كثير كالبلد الجامع وفيه ابار عذبة
وقال المقرئ « البجة بادية يتبعون الكلاً حيثما كان الرعي بأخية من جلود
وشعر وليس لهم مدن ولا قرى ولا مزارع الا ما سياطي ذكره ومعيشتهم مما
يُنقل اليهم من أرض الحبشة وأرض مصر والنوبة . وقيل في اصلهم انهم قبيلة

من الحبشة إلا أنهم اشد سواداً من هؤلاء . ويتزبون بزيت العرب . وهم كالعرب
 قائل والفخاذ لكل فخذ رئيس . وكان لهم قديماً رئيس يرجع جميع رؤسائهم
 الى حكمه يسكن قرية تعرف بهجرهي اقصى جزيرة البجة . وفي اوديتهم شجر
 القل والاهليلج والاذخر والشيخ والسنا والحنظل وشجر البان وغير ذلك . وباقصى
 بلدهم النخل وشجر الكرم والرياحين وغير ذلك مما لم يزرعه احد . وبها سائر الوحش
 من السباع والفيلة والتمور والفهود والقردة وعناق الارض وقط الزباد ودابة تشبه
 الغزال حسنة المنظر لها قرنان على لون الذهب قليلة البقاء اذا صيدت . ومن الطيور
 البغاء والقيط والنوبي والقمرى أو دجاج الحبش وحمائم بازين وغير ذلك . وتعظم
 الحيات يلدهم وتكثر أصنافها ورثيت حية في غدير ماء قد أخرجت ذنبها والتفت
 على امرأة وردت فقتلتها من شدة الضغطة . وبها حية ليس لها رأس وطرفاها سواء
 منقشة ليست بالكبيرة اذا مشى الانسان على أثرها مات . واذا قتلت وامسك القاتل
 ما قتلها به من عود أو حربة في يده ولم يلقه من ساعته مات . وقتلت حية منها
 بحسبة فانشقت الحسبة . واذا تأمل هذه الحية أحد وهي ميتة أو حية أصابه ضررها !
 وأول بلد البجة في قرية تعرف بالحربة معدن الزمرّد في صحراء قوص . وبين هذا
 الموضع وبين قوص نحو من ثلاث مراحل . والزمرّد في هذا الموضع في مغائر بعيدة
 مظلمة يدخل اليها بالمصاييح وبجبال يستدل بها على الرجوع خوف الضلال ويحفر
 عليه بالعاول فيوجد في وسط الحجارة وحوله غشيم دونه في الصبغ والجوهر . وفيها
 عدا عن الزمرّد السالف الذكر الذهب في وادي العلاقي وكلما تصاعدت كان أجود
 ذهباً وأكثر . وفيها معادن الفضة والتحاس والحديد والرصاص وحجر المغنطيس
 والمرقسيتا والجست وحجارة شطبا . فاذا بُلت الشطبة منها بزيت واشتعلت وقُدت
 مثل الفتيلة وغير ذلك مما شغلهم طلب معادن الذهب عما سواه . والبجة لا تتعرض
 لعمل شيء من هذه المعادن

« وكانت فراعنة مصر تغزوهم وتوادعهم احياناً لحاجتهم الى المعادن وكذلك الروم
 لما أن ملكوا مصر . ولهم في المعادن آثار مشهورة وكان اصحابهم بها وقد فتحت مصر .

ثم لما جاء المسلمون الى مصر سمعوا بنجر هذه المعادن فكثرت سراياهم الى الصحراء وانتفعوا بها انتفاعاً عظيماً على ما سيجي

«وانساب البجة من جهة النساء وهم يورثون ابن البنت وابن الاخت دون ولد الصلب ويقولون أن ولادة ابن الأخت وابن البنت أصح فانه ان كان من زوجها أو من غيره فهو ولدها على كل حال

» وهم اصحاب ذمة فاذا غدر احدهم رفع المغدور به ثوباً على حربة وقال هذا عرش فلان يعني ابا الغادر فتصير سيئة عليه الى ان يرضاه . وهم يبالغون في الضيافة فاذا طرق احدهم الضيف ذبح له . فاذا تجاوز ثلاثة نفر نحر لهم من اقرب الانعام اليه سواء كانت له او لغيره وان لم يكن شيء نحر راحلة الضيف وعوضه ما هو خير منها . وهم يركبون النجب الصهب وتنتج عندهم . وكذلك الجمال العربية كثيرة عندهم ايضاً . والمواشي من البقر والغنم والضأن غاية في الكثرة عندهم وبقرهم حسلن مملعة بقرون عظام ومنها جم . وكباشهم كذلك منمرة ولها ألبان وغداؤهم اللحم وشرب اللبن وأكلهم للخبز قليل وفيهم من يأكله . ويشربون دم الضأن سخناً ويأكلون منخ الجمال نياً وابدانهم صحاح وبطونهم خماص والوانهم مشرقة الصفرة وتقاطيعهم غليظة ووجوههم طويلة عريضة وانوفهم بارزة قليلاً وشعورهم فلفلية غير متلبدة وذلك دايلاً اختلاط وسختهم غاية الشناعة ولهم سرعة في الجري يابنون بها الناس وكذلك جماهم شديدة العدو صبرة عليه وعلى العطش يساقون عليها الخيل ويقاتلون عليها وتدور بهم كما يشتهون ويقطعون عليها من البلاد ما تفاوت ذكره ويتطاردون عليها في الحرب فيرمي الواحد منهم الحربة فان وقعت في الرمية طار اليها الجمل فأخذها صاحبها وان وقعت في الارض ضرب الجمل بجراحه الارض فأخذها صاحبها . وسلاحهم الحراب السباعية مقدار طول الحديد ثلاثه اذرع والعود أربعة اذرع ومن ذلك اسمها والحديدة في عرض السيف لا يخرجونها من أيديهم الا في بعض الاوقات لأن في آخر العود شيئاً شبيهاً بالفلكة يمنع خروجها من أيديهم . وصنّاع هذه الحراب نساء في موضع لا يختلط بهن رجل الا المشتري منهن فاذا

ولدت احدهن من الطارقين لهن جارية استحيتهن وان ولدت غلاماً قتلته ويقلن ان الرجال بلاء وحرب • ودرقهم من جلود البقر مشعرة ودرق مقلوبة تعرف بالاكسومة من جلود الجواميس • وكذلك الدهلكية من دابة في البحر • وقسيهم عرية كبار غلاظ من السدر والشوحط يرمون عليها بنبل مسموم وهذا السم يعمل من عروق شجر الغلف يطبخ على النار حتى يصير مثل الغراء فاذا ارادوا تجربته شرط احدهم جسده وسيل الدم ثم شمه هذا السم فاذا تراجع الدم علم انه جيد ومسح الدم لثلا يرجع الى جسمه فيقتله فاذا اصاب الانسان قتل لوقته ولو مثل شرط الجحام وليس له عمل في غير الجرح والدم وان شرب منه لم يضر • وفي البجة جنس يقطعون ثناياهم ويقولون لا تشبه بالحمير • وفيهم جنس آخر في آخر بلاد البجة على نهر ابيرة يقال لهم البازة تسمى نساؤهم باسم واحد وكذلك الرجال فطرقهم في وقت رجل مسلم له جمال فدعا بعضهم بعضاً وقالوا هذا الله قد نزل من السماء فجعلوا ينظرون اليه من بعد • واشتهر عن البجة ختان النساء (ختان فرعون) « وكان البجة قبل دخول الاسلام الى ارض مصر صائبة يعبدون الاصنام وكان لكل بطن كاهن يضرب له قبة من آدم معبدتهم فيها فاذا رأوا استخباره عما يجلبون اليه تعري ودخل القبة مستديراً ويخرج اليهم وبه أثر جنون وصرع يقول الشيطان يقرئكم السلام ويقول لكم ارحلوا عن هذه الحلة فان الرهط الفلاني يقع بكم وصاكنم عن الغزو الى بلد كذا فسيروا فانكم تظفرون وتغنمون كذا وكذا والجمال التي تأخذونها من موضع كذا هي لي والجارية الفلانية التي تجدونها في الحباء الفلاني والغنم التي من صنفها كذا ونحو هذا القول فيزعمون انه يصدقهم في اكثر من ذلك فاذا غنموا اخرجوا من الغنيمة ما ذكر ودفعوه الى الكاهن يتموله • ويحرمون البان نوقها على من لم يقبل فاذا ارادوا الرحيل حمل الكاهن هذه القبة على جمل مفرد فيزعمون ان ذلك الجمل لا يثور الا بجهد وكذلك سيره ويتصبب عرقاً والخيمة فارغة لا شيء فيها اه » وقال ابن الوردي في تاريخه « وبين البجة والنوبة قوم يقال لهم البليون اهل عزم وشجاعة يملهم كل من حولهم من الامم ويهادونهم وهم نصارى خوارج على مذهب اليعقوبية »

الفصل الاول

في

﴿ تاريخ البجة ﴾

قال المقرئزي : « قال عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم وتجمع لعبد الله بن سعد بن أبي سرح في انصرافه من النوبة على شاطئ النيل البجة فسألهم عن شأنهم فأخبر ان ليس لهم ملك يرجعون اليه فبان عليه أمرهم وتركهم فلم يكن لهم عقد ولا صلح وكان أول من هادتهم عبيد الله بن الحبحاب السلوي في اواخر القرن الاول للهجرة ويذكر انه وجد في كتاب بن الحبحاب لهم ثلاثية بكر في كل عام حين ينزلون الريف مجتازين تجاراً غير مقيمين على ان لا يقتلوا مسلماً ولا ذمياً فان قتلوه فلا عهد لهم وان لا يؤثوا عبيد المسلمين وأن يردوا آبقهم اذا وقعوا اليهم ويقال انهم كانوا يؤخذون بهذا وبكل شاة أخذها اليبجاوي فعليه اربعة دنانير وللبقرة عشرة وكان وكيلهم مقيماً بالريف رهينة بيد المسلمين

» ثم كثرت أذيتهم على المسلمين وكان ولاية اسوان من العراق فرغ الى امير المؤمنين المأمون خبرهم فأخرج اليهم عبد الله بن الجهم سنة ٢١٦ هـ ٨٣١ م فكانت له معهم وقايع ثم وادعهم وكتب بينه وبين كنون رئيسهم الكبير الذي يكون بقريتهم هجر (المار ذكرها) كتاباً نسخته : « هذا الكتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى امير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الامير ابن اسحق ابن امير المؤمنين الرشيد أبقاه الله في شهر ربيع الاول سنة ست عشرة ومايتين لكنون بن عبد العزيز عظيم البجة بأسوان انك سألتني وطلبت اليّ أن أؤمّنك وأهل بلدك من البجة وأعقد لك ولهم اماناً عليّ وعلى جميع المسلمين فأجبتك الى ان عقدت لك وعلى جميع المسلمين اماناً ما استقمت واستقاموا على ما اعطيتني وشرطت لي في كتابي هذا وذلك أن يكون سهل بلدك وجبلها من منتهى حد اسوان من أرض مصر الى حد ما بين دهلك وباضع ملكاً للمأمون عبد الله بن هرون أمير المؤمنين أعزه الله

تعالى وأنت وجميع أهل بلدك عبيد لأمير المؤمنين الا انك تكون في بلدك ملكاً على ما أنت عليه في البجة . وعلى ان تؤدي اليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البجة وذلك مائة من الابل او ثلثماية دينار وازنة داخلية في بيت المال والخيار في ذلك لأمير المؤمنين ولولائه وليس لك ان تحرم شيئاً عليك من الخراج . وعلى ان كل أحد منكم ان ذكر محمداً رسول الله (صلعم) وكتاب الله أو دينه بما لا ينبغي ان يذكره به أو قتل أحداً من المسلمين حرّاً أو عبداً فقد برئت منه الذمة ذمة الله وذمة رسوله (صلعم) وذمة أمير المؤمنين أعزّه الله وذمة جماعة المسلمين وحلّ دمه كما يحلّ دم أهل الحرب وذرائعهم . وعلى أن أحداً منكم ان اعان المحاربين على اهل الاسلام بال أو دله على عورة من عورات المسلمين أو اثر لعزتهم فقد تقض ذمة عهده وحلّ دمه . وعلى ان أحداً منكم ان قتل أحداً من المسلمين عمداً أو سهواً أو خطأ حرّاً أو عبداً أو أحداً من ذمة المسلمين أو اصاب لاحد من المسلمين أو اهل ذمتهم مالاً يبلد البجة أو بيلاد الاسلام أو بيلاد النوبة أو من شيء من البلدان برّاً أو بحراً فعليه في قتل المسلم عشر ديات وفي قتل العبد المسلم عشرين وفي قتل الذي عشر ديات من دياتهم وفي كل مال اصبتموه للمسلمين واهل الذمة عشرة اضعاف . وان دخل احد من المسلمين بلاد البجة تاجرّاً أو مقيماً أو مجتازاً أو حاجاً فهو آمن فيكم كاحدكم حتى يخرج من بلادكم ولا تؤوا احداً من آفئ المسلمين فان اتاكم آت فعليكم ان تردوه الى المسلمين . وعلى ان تردوا اموال المسلمين اذا صارت في بلادكم بلا مؤنة تلزمهم في ذلك . وعلى انكم اذا نزلتم ريف صعيد مصر لتجارة أو مجتازين لا تظهرون سلاحاً ولا تدخلون المداين والقرى بحال ولا تمنعوا احداً من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة فيها برّاً ولا بحراً ولا تخيفوا السبل ولا تقطعوا الطريق على احد من المسلمين ولا اهل الذمة ولا تسرقوا لمسلم ولا ذمي مالا . وعلى ان لا تهدموا شيئاً من المساجد التي ابناها المسلمون بصيحة وهجر وسائر بلادكم طويلاً وعرضاً فان فعلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة . وعلى ان كنون بن عبد العزيز يقيم بريف صعيد مصر وكيلاً بني للمسلمين بما شرط

للمسلمين من دفع الخراج ورد ما اصابه البجة للمسلمين من دم ومال . وعلى ابن
احداً من البجة لا يعترض حد القصر الى قرية يقال لها قبان من النوبة حداً
لاعمدة . عقد عبد الله بن الجهم مولى امير المؤمنين لكنون بن عبد العزيز كبير
البجة الايمان على ما سمينا وشرطنا في كتابنا هذا وعلى ان يوافي امير المؤمنين فان
زاغ كنون او عاث فلا عهد له ولا ذمة . وعلى كنون ان يدخل عمال امير المؤمنين
بلاد البجة لقبض صدقات من اسلم من البجة . وعلى كنون الوفاء بما شرط لعبد الله
بن الجهم واخذ بذلك عهد الله عليه بأعظم ما اخذ على خلفه من الوفاء والميثاق .
ولكنون بن عبد العزيز ولجميع البجة عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمة الامير
أبي اسحق بن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله ابن الهجيم وذمة المسلمين بريئة
منهم . وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفاً حرفاً زكريا ابن صالح الحزومي من
سكان جده وعبد الله ابن اسماعيل القرشي ثم نسق جماعة من شهود اسوان
« فأقام البجة على ذلك برهة ثم عادوا الى غزو الريف من صعيد مصر وقتلوا
من وجدوه بالمعدن من المسلمين وكان ذلك في أيام جعفر المتوكل على الله بن
المعتصم (سنة ٢٣٢ : ٢٤٧ هـ — ٨٤٧ : ٨٦١ م) فكتب له صاحب البريد بمصر
بخبيرهم فأنكر المتوكل ذلك وشاور الناس في غزوهم فأخبروه أنهم أهل بادية أصحاب
ابل وماشية وان الوصول الى بلادهم صعب لأنها مفاوز وان بين بلادهم وبلاد المسلمين
مسيرة شهر في ارض قفر وجبال وعرة وأن كل من يدخلها من الجيوش يحتاج ان
يتزود لمدة يتوهم ان يقيمها الى ان يخرج الى بلاد الاسلام فان جاوز تلك المدة هلك
وأخذتهم البجة باليد فأمسك المتوكل عنهم فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف أهل
الصعيد على أنفسهم منهم فولى المتوكل محمد بن عبد الله القمي على اسوان وقط
والاقصر واسنا وارمنت وأمره بحرب البجة وكتب الى عنبسة بن اسحق الضبي عامل
مصر بتجهيز العساكر معه واعطائه من الجند ما يحتاج اليه ففعل ذلك وسار محمد الى
أرض البجة في عشرين ألفاً بين فارس وراجل وبينهم من المتطوعة ومن كان يعمل
بالمعادن عالم كثير ووجه الى القلزم (البحر الاحمر) سبعة مراكب موقورة بالدقيق

والزيت والتمر والشعير والسويق وأمر أصحابها أن يوافوه بها الى ساحل البحر مما يلي بلاد البجة وسار حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها الذهب فانتفى الى حصونهم وقلاعهم فخرج اليه ملكهم واسمه علي بابا في اضعاف جيشه وكانت البجة على ابل فره تشبه المهاري فتحاربوا أياماً ولم يصدقهم علي البابا القتال تطول الايام وتنفى أزواد المسلمين وعلوفاتهم فيأخذهم بغير حرب فجاءت المراكب التي فيها الاقوات في البحر ففرق القمي ما كان فيها على أصحابه فناجزهم البجة الحرب اذ ذاك وصدقوا في القتال وكانت ابلهم نفورة فأمر القمي جنده باتخاذ الاجراس بخيلهم ثم حملوا عليهم فنفرت ابلهم لأصوات الاجراس فحملتهم على الجبال والاودية وتبعهم المسلمون قتلاً وأسراً حتى ادركهم الليل وقد قتل من جيش البجة في تلك الواقعة عدد لا يحصى وكان ذلك سنة ٢٤١ هـ — ٨٥٦ م . ثم ان ملكهم علي بابا طلب الأمان من القمي فأثمنه على اداء الخراج لما سلف وهي أربع سنين كان قد منعها ولما يأتي وعلى ان يطأ بساط المتوكل في بغداد ولا يمنع المسلمين من العمل في المعدن وسار معه الى المتوكل بعد ان استخلف على مملكة ابنه فيعس سنة ٢٤١ هـ فرحب المتوكل به وخلع عليه وعلى اصحابه وكسا جملة رحلاً مليحاً وجلال ديباج وولى المتوكل البجة طريق ما بين مصر ومكة وولى عليهم سعد الاتياخي الخادم فولى سعد محمداً القمي فرجع اليها ومعه علي بابا وهو على دينه وكان معه صنم من حجارة كهية الصبي يسجد له . واقام القمي بأصوان مدة وترك في خزانها ما كان معه من السلاح وآلة الغزو فلم تزل الولاة تأخذ منه حتى لم يبقوا منه شيئاً

« ولما كثر المسلمون في المعدن واختلطوا بالبجة قل شرهم وظهر التبر لكثرة طلابه وتسامع الناس به فوفدوا من البلدان

» وفي سنة ٢٥٥ هـ ٨٦٩ م قدم عليهم أبو عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحميد العمري بعد محاربتة النوبة ومعه ربيعة وجهينة وغيرهم من العرب فكثرت بهم العمارة في البجة حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين الف واحة غير الجلاب التي تحمل من القلزم الى عذاب (راس رواية) . ومالت البجة

الى ربيعة وتزوجوا منهم . وقيل ان كهان البجة قبل اسلام من أسلم منهم ذكرت عن معبودهم الطاعة لربيعة ولكنون معاً فهم على ذلك ؟ فلما قتل العمري واستولت ربيعة على الجزائر والاهم البجة على ذلك وأخرجوا من خالفهم من العرب وتصاهروا الى رؤساء البجة وبذلك كف ضررهم عن المسلمين

« وفي سنة ٢٥٩ هـ ٨٧٣ م يوم العيد اقبل البجة فنهبوا وعادوا غانمين وفعلوا ذلك مرّات وكان على مصر اذ ذاك عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فخرج غضباً لله وللمسلمين وكن لهم في طريقهم فلما عادوا خرج عليهم وقتل مقدمهم ومن معه ودخل بلادهم فنهبها وقتل فيهم فأكثر ونهب وسي ما لا يحصى وتابع عليهم الغارات حتى ادّوا اليه الجزية ولم يفعلوها قبل ذلك اه ملخصاً . وقال ابو حسن المسعودي « وقد كانت النوبة أشد من البجة الى أب قوي الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا من البجة فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار . وصاحب المعدن في وقتنا هذا وهو سنة ٣٣٢ هـ ٩٤٤ م بشر بن مروان بن اسحاق وهو من ربيعة يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة واحلافها من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجة بالحجف البجاوية وهم الحدارب وهم مسلمون من بين سائر البجة والداخلية من البجة كفار يعبدون صنما لهم اه ، قال المقرئزي « ثم كثر المسلمون في المعدن فخالطوهم وتزوجوا فيهم واسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب اسلاماً ضعيفاً وهم شوكة القوم ووجوههم وهم مما يلي مصر من أول حدهم الى العلاقي وعيذاب المعبر منه الى جدة وما وراء ذلك ومنهم جنس آخر يعرفون بالرنافج هم أكثر عدداً من الحدارب غير أنهم تبع لهم وخفراؤهم يحمونهم ويحبونهم المواشي ولكل رئيس من الحدارب قوم من الرنافج في جملة منهم كالعييد يتوارثونهم بعد ان كانت الرنافج قديماً أظهر عليهم اه . وقيل اسلموا قبل

ذلك في اشارة عبد الله بن ابي سرح ولما كثرت اذيتهم على المسلمين ارسل اليهم
المأمون عبد الله بن الجهم

وما زال الاسلام يمتد حتى عم صحراء البجة كلها وأزال منها عبادة الاوثان
ويظهر ان اول من خالط البجة من العرب عرب بلي فانك اذا سألت البيجاوي
الآن تعرف العربية يجيبك « بلوئية كاكا » أي لا اعرف العربية . وقال ابن خلدون
في كلامه عن مواطن جهينة « هي ما بين الينبع ويثرب الى الآن في متسع من برية
الحجاز وفي شمالهم الى عقبة ايله مواطن بلي وكلاهما على العدو الشرقية من بحر
القيظ . واجتاز منهم أمم الى العدو الغربية وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد
الحبشة فأرهمهم الى هذا العهد اه » أي اواخر القرن الثامن للهجرة

وقد انقسم البجة الآن الى عدة قبائل جسمية وهم العباددة والبشارين والامرار
والهندوة والحلائقة والحباب وبني عامر وكلهم يدينون بالاسلام ويدعون النسبة
الى العرب وما هم بعرب بل ربما كان في بعض خاصتهم دم عربي . واما عامتهم فلا
مشاحة في انهم بجة وكلهم يتكلمون اللغة البيجاوية ولا يعرفون لغة غيرها الا
مشايخهم والذين يخاطبون العرب منهم على النيل فانهم يتكلمون العربية ايضا .
هذا ولم يبق الآن في الصحراء الشرقية من يتسمى باسم البجة الا طائفة صغيرة
في قبيلة بني عامر وهم محقررون . ومن امثال اهل السودان « البجة والحاس
أرخص الناس »

اما الحاس المشار اليهم في هذا المثل فهم ايضا طائفة صغيرة متمية الى بني عامر
على حدود الحبشة

قال ابو الفداء في جغرافيته المسماة تقويم البلدان « وفي شمالي بلاد سحرته
(سباتي) من النيل الى البحر الحاس وهم مذمومون بين اجناس الحبشة وقد اشتهر
عنهم انهم يخلصون من يقع في أيديهم ويفتخرون بذلك » اه . قلت وما زالت هذه
العادة جارية في الحبشة الى اليوم



الفصل الثاني

في
﴿ مدن البجة ﴾

﴿ عيذاب ﴾ اشتهر للبجة في الاسلام مدينتان على ساحل البحر الاحمر وهما عيذاب وسواكن . اما عيذاب فيؤخذ من اجمال ما ذكره المؤرخون العرب أنها في المكان المعروف الآن برأس روية . قال ابن خلكان « عيذاب بلدة على شاطئ بحر جدّة يعدّي منها الركب المصري المتوجه الى الحجاز على طريق قوص في ليلة واحدة في اغلب الاوقات فيصل الى جدّة » وقال ياقوت في معجم البلدان « عيذاب بلدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن الى الصعيد » وقال ابن خلدون « وفي وسط الحجاز مكة شرفها الله وفي ساحلها مدينة جدّة تقابل بلد عيذاب في العدو الغريبة من هذا البحر » وقال ابن الوردي في تاريخه « عيذاب مدينة حسنة وهي مجمع التجار برًا وبحرًا واهلها يتعاملون بالدرهم عددًا ولا يعرفون الوزن وبها وال من قبل البجة ووال من قبل سلطان مصر يقسمان جباياتها نصفين وعلى عامل مصر القيام بطلب الارزاق وعلى عامل البجة حمايتها من الحبشة واللبن والعسل والسمن بها كثير وبينها وبين الحجاز عرض البحر

وقال ابو الفداء في جغرافيته « قد اختلف في عيذاب فبعضهم يحد ديار مصر على وجه تدخل فيه وهو الاشبه لان الولاية فيها من مصر وهي من اعمال مصر حقيقة وبعضهم يجعلها من بلاد البجة وبعضهم يجعلها من بلاد الحبشة وهي فرضة لتجار اليمن وللحجاج الذين يتوجهون من مصر في البحر فيركبون من عيذاب الى جدّة . قال بن سعيد وعرض البحر بين عيذاب وجدّة درجتان وهي أشبه بالضبعة منها بالمدن وقال المقرئزي « عيذاب مدينة على ساحل بحر جدّة وهي غير مسورة وأكثر بيوتها أخصاص وكانت من أعظم مراسي الدنيا بسبب ان مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع وتقلع منها مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة . واهل عيذاب الساكنون بها طائفة من البجاة ولهم سلطان من انفسهم يسكن معهم في الجبال

المنفعة بها وربما جاء في بعض الاحيان وقابل الوالي من جانب الغز اظهاراً للطاعة .
وطائفة البجاة أضل من الانعام سبيلاً واقل عقولاً لا دين لهم سوى كلمة التوحيد
وراء ذلك من مذاهبهم الفاسدة ما لا ينحصر وهم عراة يسترون عوراتهم بخرق .
وعيش اهل عيذاب عيش البهائم وهم أقرب الى الوحش في اخلاقهم منهم الى الانس
« وكان الحجاج من مصر والمغرب لا يتوجهون الى مكة المشرفة الا من صحراء
عيذاب يركبون النيل من ساحل مدينة مصر الفسطاط الى قوص ثم يركبون الابل
من قوص ويعبرون هذه الصحراء الى عيذاب ثم يركبون البحر في الجلاب (قوارب)
الى جدة ساحل مكة . وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة يردون في البحر الى عيذاب
ثم يسلكون هذه الصحراء الى قوص ومنها يردون مدينة مصر ومسافة هذه الصحراء
من قوص الى عيذاب ١٧ يوماً ويفقد فيها الماء ثلاثة ايام متوالية وتارة يفقد اربعة
ايام فكانت هذه الصحراء لا تزال عامرة اهلة بما يصدر أو يرد من قوافل التجار
والحجاج حتى انه كانت احمال البهار كالقرقة والفلفل ونحو ذلك لتوجد ملقاة بها
والفول صاعدة وهابطة لا يتعرض لها احد الى ان يأخذها صاحبها

«وعيذاب في صحراء لا نبات فيها وكل ما يؤكل بها مجلوب اليها حتى الماء وكان
لهم من الحجاج والتجار فوائد لا تحصى وكان لهم على كل حمل يحملونه للحجاج
ضريبة مقررة وكانوا يكارون الحجاج الجلاب التي تحملهم في البحر الى جدة ومنها
الى عيذاب فتجمع لهم من ذلك مال عظيم ولم يكن في اهل عيذاب الا من له جلبة
فاكثر على قدر يساره وجلاب هذا البحر لا يستعمل بها مسمار البتة انما هي مخيطة
بامراس من قشر جوز الهند المسمى بالزجيل ويخللون بها بدس من عود النخل فاذا
فرغوا من انشاء الجلبة على هذه الصفة سقوها بالسمن أو بدهن الخروع وبدهن
القرش وهو احسنها . والقرش حوت عظيم في البحر يتلع الغرقى . وانما يدهنون
الجلاب لتلين عددها وترطيبها لكثرة الشعاب المعترضة في هذا البحر . واخشاب هذه
الجلاب مجلوبة من الهند واليمن وشرائعها حصر منسوجة من خوص شجر المقل
« ولاهل عيذاب في الحجاج أحكام الطواغيت فانهم يبالغون في شحن الجلبة

بالناس حتى يبقى بعضهم فوق بعض حرصاً على الاجرة ولا يبالون بما يصيب الناس في البحر بل يقولون دائماً علينا بالالواح وعلى الحجاج بالارواح وكان الحجاج يجدون في ركوبهم الجلاب على البحر احوالاً عظيمة لان الرياح تلقيهم في الغالب بمراس في صحارى بعيدة مما يلي الجنوب فينزل اليهم التجار من جبالهم فيكثرونهم الجمال ويسلكون بهم على غير ماء فرما هلك اكثرهم عطشاً واخذ التجار مما كان معهم ومنهم من يضل ويهلك عطشاً والذي يسلم منهم يدخل الى عذاب كانه نُشر من كفن قد استحال هيئاتهم وتغيرت صفاتهم ومنهم من يساعده الريح فتحطه بمرسى عذاب وهو الاقل « ولم تزل عذاب مسلماً للحجاج من اهل مصر والجنوب في ذهابهم وايابهم زيادة على مئتين سنة من اعوام بضع سنة ٤٥٠ هـ ١٠٥٩ م الى اعوام بضع سنة ٦٦٠ هـ ١٢٦٢ م وذلك في ايام الخليفة المستنصر بالله أبي تميم محمد بن الظاهر وانقطع الحج في البر الى ان كسا السلطان الملك الظاهر ركن الدين يبرس البندقاري الكعبة وعمل لها مفتاحاً ثم اخرج قفلة الحجاج من البر في سنة ٦٦٦ هـ ١٢٦٨ م قلّ سلوك الحجاج لهذه الصحراء . واستمرت بضائع التجار تحمل من عذاب الى قوص حتى بطل ذلك بعد سنة ٧٦٦ هـ ١٣٦٥ م وتلاشى امر قوص من حينئذ . ولما انقطع ورود مراكب الهند واليمن اليها صارت المرسى العظيمة عدن من بلاد اليمن الى ان كانت اعوام بضع وعشرين وثمانماية فصارت جدّة اعظم مراسي الدنيا . اهـ

﴿ سواكن ﴾ اما سواكن فقد قال فيها أبو الحسن المسعودي « وجزيرة سواكن أقل من ميل في ميل وبين البحر الحبشي بحر قصير يُخاض وأهلها طائفة من البجا تسمى الخاسة وهم مسلمون ولهم بها ملك . وقال أبو الفداء في جغرافيته « قال ابن سعيد وصاحب سواكن من البجا المسلمين وله ضرائب على التجار وسواكن صغيرة جدّاً . او بين سواكن وبين عذاب نحو سبع مراحل وحكى لي بعض المسافرين اليها قال وسواكن بقدر ضيعة صغيرة في جزيرة صغيرة قريبة من الساحل ويخاض اليها من البر وهي وما حولها للبجا . واما ما وراء سواكن والى المندب فهو لجنس من السودان يقال لهم دَنكل ومن وراءات المندب لزِيلع

الباب الرابع

في
تاريخ مملكة سنار

منذ خراب سوبه سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٥ م الى الفتح المصري لسنار
سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢٠ م

تمهيد

يؤخذ من التواريخ التقليدية ان جزيرة سنار الواقعة بين النيل الايض والنيل
الازرق هي بلاد المكرو بين الذين ذكرهم هيرودوتس انهم في اقصى جنوب ايثيوبيا.
وقد قدم لنا حملاً على الظن ان الجنود المصريين الذين فرّوا الى السودان في ايام
الملك بسامتيك سنة ٦٤٤ ق . م اقاموا في جزيرة سنار. وارتأى البعض ان الملك
الذي طمع كمبيز ببلاده فعجز عن الوصول اليه سنة ٥٢٥ ق . م كما مرّ هو ملك هذه
الجزيرة . وفي بعض التقاليد القديمة انه قام في هذه الجزيرة . بعد كمبيز ١٢ ملكة
و ١٠ ملوك . وقد رأينا انه قام في شرقها مملكة عرفت بمملكة علوة أو مملكة العنج
وذلك من قبل النصرانية و بقيت على النصرانية نحو الف سنة حتى قام الفونج فاتحدوا
مع العرب فحربوها واسسوا مملكة سنار سنة ١٥٠٥ م في مكانها

اما الفونج فقد اختلف المؤرخون في اصلهم فمن قائل انهم فرع من الشلك ومن
قائل انهم من سكان دارفور الاصليين . والذي عليه التقاليد السودانية وتدعيه سلالتهم
انهم من بني امية قلوا : ان العباسيين لما تغلبوا على الامويين في الشام ونزعوا الملك
من ايديهم سنة ١٣٢ هـ ٧٥٠ م اخذ من بقي من الامويين ومن والاهم بالفرار ففرقوا
في انحاء العالم فذهبت جماعة منهم الى اسبانيا فاسسوا مملكة الاندلس على ما هو
مشهور وذهب آخرون الى السودان فاسسوا مملكة سنار قيل لجأوا اولاً الى الحبشة
فلم ينو العباس بهم فأرسلوا الى التجاشي يريدون منه تسليمهم والا اقاموا عليه حرباً عواناً

واخذوهم عنوة فحار التجاشي في امره لانه لم يشأ ان يسلم قوما دخلوا في حماه الى اعدائهم ولا ان يتحمل عناء حرب طويلة لاجلهم فارسل هدية فاخرة الى العباسيين وامر الامويين فخرجوا من بلادهم وسكنوا الجبال التي في اعالي جزيرة سنار وكان سكانها من السود (ويينهم الفونج) فملكوهم بالسهل نظراً لما تعودوه من السلطة والنفوذ في سورية والعراق وكثر تسريهم منهم فقير ذلك من لونهم ولكنه لم يضع اصلهم فهم لم يزالوا عرباً ممتازين

هذه هي رواية القائلين ان الفونج من بني أمية وفي جملتهم الشيخ عبد الدافع صاحب تاريخ الفونج ولكن ما من قبيلة اشتهرت في السودان الا ادّعت لنفسها نسباً يتصل بالبيت ولعلّ الفونج لم يخرجوا عن هذا الحكم والاقرب الى الصواب انهم قوم خلاسيون اي خليط من كبراء العرب وملوك الفونج السود

قال الشيخ عبد الدافع : « وانتقل الفونج من جبال الجنوب الى جبل مويه المجاور لجبل سجدي على مقربة من سنار وكان كبيرهم عمارة ود دتقس وفي جوارهم قبيلة من عرب جهينة تعرف بالقواسمة وعليها شيخ شديد البأس يقال له عبد الله جماع فاتحد عمارة وعبد الله المذكوران على ضم كلمة المسلمين ومحاربة النوبة ونزع الملك من ايدي العنج فحشدا الجيوش وهاجما العنج في سوبه فقتلوهم شرّ قتل واخربا سوبه ثم سارا الى قرّي فقتلا ملكها واستوليا على البلاد كلها وذلك سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٥ م كما مرّ . قيل وقد ساعدهما على النصر نشوب فتن داخلية في النوبة ادّت الى سفك الدماء ولما تمّ النصر لعمارة وعبد الله على النوبة اتفق رأيهما بأن يكون عمارة هو الملك الاعظم في مكان ملك سوبه لانه الكبير والمقدم ويكون عبد الله بعده في مكان ملك قرّي ويلقب شيخاً فجلس عبد الله في قرّي وذهب عمارة فاخط مدينة سنار وجعلها كرسي مملكته . قيل وكان هناك جارية تسمى سنار فسميت المدينة باسمها . وكان عمارة وعبد الله كالاخوين الا ان رتبة عمارة أعلى من رتبة عبد الله فكانا اذا حضرا معاً يتقدم عمارة على عبد الله واذا غاب عمارة قام عبد الله مقامه ولم تنزل هذه العادة متبعة في اسلافها الى انقضاء المملكة اه

وقد امتدت مملكة سنار من الشلال الثالث الى اقصى جبال فازوغلي شمالاً وجنوباً
ومن سواكن على البحر الاحمر الى النيل الابيض شرقاً وغرباً. وكان الحد بين مملكة سنار
ومشيخة قرّي مدينة اربجي بقرب المسامية التي قيل انها اختطت قبل سنار بثلاثين
سنة اخطها رجل يسمى حجازي . فمن اربجي فصاعداً جنوباً كان تابعاً لملوك الفونج
رأساً لدخل لمشايج قرّي فيه ومنها شمالاً الى الشلال الثالث كان تابعاً لادارة
مشيخة قرّي تحت سيادة ملوك الفونج . وقد كانت المملكة منقسمة الى عدة ممالك
ومشيخات من سود ونوبة وعرب حضر وبادية وكان كل ملك أو شيخ يدفع الجزية
للك سنار الا ان له نوعاً من الاستقلال واما البلاد الواقعة بين الشلال الثالث
والشلال الاول فقد كانت بيد الكشاف الاتراك كما أشرنا آنفاً. وسنأتي على تاريخ
هذه الممالك كلها مبتدئين بتاريخ الفونج ملخصاً عن تاريخ الشيخ عبد الدافع وتاريخ
الزير ودضوه من علماء الخرطوم السابقين وعن بعض كبارها الحاليين :

الفصل الاول

في

تاريخ ملوك الفونج في سنار

من سنة ٩١٠ : ١٢٣٦ هـ — ١٥٠٥ : ١٨٢١ م

١٠١. الملك عماره دُتقس ملك من سنة ٩١٠ : ٩٤٠ هـ ١٥٠٥ : ١٥٣٤ م
هو راس سلسلة ملوك الفونج وقد تقدم لنا ذكر قيامه وتأسيسه المملكة في سنار.
قيل وفي أيامه قدم السلطان سليم الى سواكن ومصوع فامتلكها ودخل الحبشة
بقصد الزحف على سنار فخاطب ملكها يدعوه الى الطاعة فأجابه بما مفاده « اني
لا اعلم ما الذي يحملك على حربي وامتلاك بلادتي فان كان لاجل تأييد دين
الاسلام فاني انا واهل مملكتي عرب مسلمون ندين بدين رسول الله وان كان لغرض
مادي فاعلم ان اكثر اهل مملكتي عرب بادية وقد هاجروا الى هذه البلاد في طلب
الرزق ولا شيء عندهم تجمع منه جزية سنوية » . وأرسل له مع الكتاب كتاب

(١٠)

انساب قبائل العرب الذين في مملكته جمعه له الامام السمرقندي احد علماء سنار فلما وصل الكتابان الى السلطان سليم أعجبه ما فيها وعدل عن حرب سنار . قيل واخذ كتاب الانساب معه الى الاستانة وهو لا يزال في خزانة كتبها الى اليوم . قلت وقد طالما سمعت عن هذا الكتاب وعن وجوده في السودان قبل الفتح الاخير فلما فتح السودان بذلت الجهد في التفتيش عنه فلم أقف له على أثر

٢ . الملك عبد القادر ابنه سنة ٩٤٠ : ٩٥٠ هـ — ١٥٣٤ : ١٥٤٤ م

٣ . الملك نائل اخوه سنة ٩٥٠ : ٩٦٢ هـ — ١٥٤٤ : ١٥٥٥ م

٤ . الملك عمارة ابو سكاكين اخوه سنة ٩٦٢ : ٩٧٠ هـ — ١٥٥٥ : ١٥٦٣ م

وفي ايامه توفي عبد الله جماع شيخ قرّي المتقدم الذكر فعهد بالمشيخة الى ابنه

الشيخ عجيب كافوت

٥ . الملك دكين ابن نائل الملقب بالعدل سنة ٩٧٠ : ٩٨٥ هـ — ١٥٦٣ : ١٥٧٨ م

قيل لقب بالعدل لانه كان محباً للعدل وقد رتب دواوين حكومته أحسن ترتيب

ونظم البلاد فأقام على كل جهة رئيساً وضرب عليه جعلاً معلوماً وجعل دخول الرؤساء

عليه حسب رتبهم الأعلى فالأعلى

٦ . الملك طبل سنة ٩٨٥ : ٩٩٧ هـ — ١٥٧٨ : ١٥٨٩ م

٧ . الملك أنسه سنة ٩٩٧ : ١٠٠٧ هـ — ١٥٨٩ : ١٥٩٩ م

٨ . الملك عبد القادر الثاني سنة ١٠٠٧ : ١٠١٣ هـ — ١٥٩٩ : ١٦٠٥ م

٩ . الملك عدلان ابن أبيه سنة ١٠١٣ : ١٠٢٠ هـ — ١٦٠٥ : ١٦١٢ م

وفي ايامه خرج الشيخ عجيب شيخ قرّي المتقدم الذكر عن طاعته فأرسل عليه

عساكر بكثرة والتقى العسكران بالقرب من كملكول بين العيلفون والخرطوم قتل الشيخ

عجيب وفر أولاده الى دنقلا فأرسل لهم الملك عدلان اماناً مع الشيخ ادريس بن محمد

الارباب فرجعوا معه الى الملك فبالغ في اكرامهم وولى أحدهم العجيل مشيخة قرّي

اما الشيخ ادريس المشار اليه فهو من رجال الدين الذين اشتهروا في السودان

بالصلاح والتقوى وقد لقب بسلطان الاولياء وكان له ولذريته من بعده مكانة رفيعة

عند ملوك سنار فكانوا يصلحون بينهم وبين كبار رعيتهن اذا اختصموا ويتشفعون
عندهم في الامور الخطيرة بل كانوا اذا طارد ملك أحد الرعية فلجأ الى حماهم رجع
الملك عنه . وقيل في نسب الشيخ ادريس ان أباه قرشي تميمي وأمه من نسل
الحسين بن علي ابن أبي طالب هاجر جدّه من الشام فأقام مدة في بلاد المحس ثم
بلغه ان في الحلفاية شريفاً من نسل الحسين يسمى الشريف حمداً فرحل اليه وكان
له ابن فزوجه بابنة الشريف فولد له الشيخ ادريس المذكور وذلك سنة ٩١٣ هـ
فمصر الى سنة ١٠٦٠ هـ ودفن في العيلفون جنوبي الخرطوم وبني فوق قبره قبة تزار
وما زالت ذريته في العيلفون الى اليوم . وقد اخذ الصوفية على الطريقة الجيلانية
عن الشيخ تاج الدين البهاري الذي قدم الى سنار من بغداد وعنها اشتهرت هذه
الطريقة فعمت جميع بلاد سنار وهي اول الطرق الصوفية في السودان

ويروى عن الشيخ ادريس كرامات كثيرة منها انه ظهر في جنوب النيل
الازرق يد بشرية مرفوعة فوق الماء وهي تسير مع التيار وأصابها الخمس مفتوحة ولم
يؤمى معها شخص فحار الناس في امرها وتشوّقوا الى معرفة سرّها فلما وصلت تجاه العيلفون
خرج الشيخ ادريس من مسجده فرفع لها أصبعين فغاصت للحال في الماء ولم تعد ترى
فسأله الناس في ذلك فقال هذه اليد تدلّ على ان الاتفاق قوة وانه اذا كان خمسة
من الناس بقلب واحد لم يقدر عليهم أحد فرفعت لها أصبعين مشيراً الى انه اذا كان
اثنان فقط بقلب واحد فلا يقدر عليهما احد فانصرفت خجلاً

هذا ومن عادة بائعات المريسة في العيلفون ان ترفع كل منهن راية فوق منزلها
وتجلس عندها تتادي بأعلى صوتها « يا شيخ ادريس يا راجل الفدّة والمدّة تلحقنا
وقرّعنا وتبيع لي مريستي » فيجتمع الناس عندها فتخرج من المريسة ملء قدر فتسقيهم
أياه مجاناً تصدقاً عن روح الشيخ ادريس ثم تشرع في بيع الباقي بالثمن

واشتهر بعد الشيخ ادريس بالصلاح والتقوى في سنار « الشيخ حسن
ود حسونة » جاء أبوه من الأندلس وسكن كركوج فولد الشيخ حسن المذكور فيها
فسلك طريق القوم وحجّ الى بيت الله الحرام وساح الى مصر والشام وغيرها

وكانت مدة سياحته نحو ١٢ عاماً ثم رجع الى البلاد واشتهر صلاحه فسكن البادية
واكثر فيها من المواشي والخيول والعبيد. وكان مع كثرة غناه يتقشف في اكله ولبسه
ويطعم الناس لذيذ الاطعمة وكان يئنه وبين الشيخ ادريس محبة عظيمة الا انه لم
يشتهر الا بعد وفاة الشيخ ادريس ولم يخلف ذرية وتوفي سنة ١٠٥٩ هـ ١٦٤٩ م
فعاش احدى وتسعين سنة ودفن في قبته التي بناها قبل وفاته في وسط البطانة بين
النيل والاتبرة واصبحت مزاراً يجتمع فيها في كل خريف خلق كثير

وفي ايام الملك عدلان قدم الى سنار الشيخ ابراهيم ابن جابر البولادي من
مصر وهو اول من درس مختصر الشيخ خليل المالكي في بلاد الفونج فنفع الله به خلقاً
كثيراً. وقدم ايضاً رجل مغربي تلمساني على الشيخ محمد عيسى سوار الذهب فأخذ
عنه طريق القوم ودرس عليه علوماً كثيرة

وفي نحو هذا العهد قدم الشيخ محمود العربي من مصر وعلم الناس بعض اركان
الشريعة وبنى له رباطاً على البحر الابيض بين أليس والحسانية وبه مدفنه الآن.
وكان قبله في بلاد سنار اولاد ضيف الله المعروفة بمقابرهم في أبي حليمة شرق النيل الارزق.
قل وكان اول دخول الاسلام الى بلاد سنار في خلافة هارون الرشيد سنة ٧٨٦ م
﴿ ١٠. الملك بادي المعروف بسيد القوم سنة ١٠٢٠ : ١٠٢٣ هـ — ١٦١٢ : ١٦١٥ م ﴾
﴿ ١١. الملك رباط ابنه سنة ١٠٢٣ : ١٠٥٢ هـ — ١٦١٥ : ١٦٤٣ م ﴾
﴿ ١٢. الملك بادي ابو ذقن سنة ١٠٥٢ : ١٠٨٨ هـ — ١٦٤٣ : ١٦٧٨ م ﴾
ومن اعماله انه غزا الشلك وقتك بهم. ثم غزا جبال تقلي فدوخوا. قل
والسبب في غزوه تلك الجبال ان احد اصدقائه ذهب اليها بتجارة فسلبه ملكها جميع
ما كان معه وطرده فقيل للملك ان هذا الرجل صديق لملك سنار فقال وماذا يهني
ملك سنار فان قصدي وجاوز باجة (غابة) أم لماع فليفعل ما يشاء وباجة أم لماع
مفازة صعبة لا ماء فيها بين النيل الايض وجبال تقلي. فأتى التاجر الى ملك سنار
وأخبره بما جرى له مع ملك تقلي فجهز عساكره وسار قاصداً جبال تقلي وقال لصاحبه
اذا وصلنا الى غابة أم لماع فأخبرني فلما وصلوا اليها أخبره فنزل الملك عن جواده

وأمر عساكره فنزلوا عن ركائبهم واجتازوا الغابة ماشين على الاقدام اراد بذلك احتفال العقبة التي ظن ملك ثقلي انها تعجزه ولما اجتازها ركب وركبت عساكره وساروا في جبال النوبة يقتلون ويأسرون ويسبون حتى وصلوا الى جبال ثقلي فحاصروها ففتح ملكها بالحصون قيل وكان يقاتل عساكر ملك سنار نهراً او يرسل اليهم «الضيافة» لئلا . فلما رأى ملك سنار مكارم أخلاقه صالحه على جعل معلوم يدفعه له في كل عام ورجع الى سنار ومعه سبايا النوبة وثقلي فجعل لكل جنس منهم حلة معلومة حول سنار واسكنهم بها وصاروا من جملة جنوده وقد تناسلوا بتلك الحلل فسميت كل حلة باسم الجنس الذي سكنها مثل ثقلي والكدر والكنك والكاركو وغيرها وبقيت فزارهم بها الى انقضاء دولة الفونج

وقد اشتهر هذا الملك بالشجاعة والكرم والعفة والتعبد وكان معظماً لاهل العلم والدين مكرماً لهم . وكان بينه وبين علماء مصر اتصال حسن فكان يرسل اليهم الهدايا مع خبره احمد علوان وقد اشتهرت مناقبه عندهم حتى انهم مدحوه بقصائد عديدة منها قصيدة للشيخ عمر المغربي قال فيها :

أيا راكباً يسري على متن ضامرٍ	الى صاحب العلياء والجود والبر
ويطوي اليه شقة البعد والنوى	ويقتحم الاوعار في المهمه القفر
وينهض من مصرٍ وشاطئ نيلها	وأزهرها المعمور بالعلم والذكر
لك الخير ان وافيت سنار قف بها	وقوف محبٍ وانتهر فرصة الدهر
والتقى عصا التسيار في صرح أنسها	تجد كل ما تهوى النفوس من البشر
وأهد سلاماً عطر الكون نشره	أذً من الماء المسلسل والقطر
وأحلى وأهنا من وصال بلا جفا	وأعلى وأغلى من عقود من الدر
الى حضرة السلطان والملك الذي	حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر
هو الملك المنصور «بادي» الذي له	مدائح قد جلت عن العد والحصر
حمى حرمة الدين الحنيفي بالقنا	وعزز فيه راية الفتح والنصر
وجرد للاسلام والملك صارماً	أباد به اهل الغواية والكفر

له في صميم الملك مجد مؤثله
ملوك تساموا للعلی وخلائف
هم العقد من ابهى الالاء نظمه
وفيه مولا نا المليك فريدة
هو البر والبحر المحيط حقيقة
عماد يلود المسلمون بظله
سلیل ملوك الفونج والسادة الاولى
محا اثر الفجار بالسيف فاغتدت
أياد له بالنصر كاسرة العدى
به أصبحت سنار في الأنس والصفاء
تبارك من أنشاه للخلق رحمة
وصير أمري في يديه فان يشأ
فاني فقير والفضائل حرفتي
وقد جاءني منكم كتاب معظم
فقبلته الفاء حقاً جعلته
تسلمت عبداً واحداً من صلاتكم
فخذها من العبد الفقير قصيدة
هو المغربي المالكى وانه
فمنوا عليها بالقبول وأنعموا
فلا زلت في أوج السعادة رافلاً
وهو الملك الذي بنى الجامع بسنار وجعل في نوافذه شباكاً من نحاس
وبنى قصرًا لحكومته فجعله خمس طبقات بعضها فوق بعض وبني مخازن للأسلحة
والدخائر وديواناً لجلوسه وديوانين آخرين أحدهما خارج القصر والآخر داخله وأحاط
جميع ذلك بسور له تسعة أبواب جعل ثمانية منها لامراء دولته لكل أمير باباً يدخل

منه الى ديوانه الخاص للنظر في الشؤون المتعلقة به وجعل الباب التاسع له ولولد
عجيب شيخ مشيخة قرّي . وهذه الابواب التسعة تفتح في حائط واحد وامام
كل منها رواق له دكة عالية تعرف « بدكة من ناداك » قيل سميت بذلك لانها ملجأ
لنظارين فيأتيها الناس من انفسهم بدون أن يناديهم أحد . واذا اراد أحد كبراء
الدولة الدخول الى ديوان الملك لزمه ان يدخل وحده . ولما تضعض حال الفونج
وتغلب الهمج على ما سيجيء تهدم كثير من تلك البيوت وتداعى القصر الكبير
ولكن بقيت آثاره الى الفتوح المصري

(١٣) الملك أنسه الثاني ابن اخيه سنة ١٠٨٨ : ١١٠٠ هـ — ١٦٧٨ : ١٦٨٩ م
وفي ايامه سنة ١٠٩٥ هـ وقيل ١٠٨٩ هـ حصل غلاء شديد واشتد الجوع حتى
أكلت الناس الكلاب فسميت هذه السنة بسنة أم لحم . وفيها تفشّى مرض الجدري
ومات منه ومن الجوع خلق كثير

(١٤) الملك بادي الاحمر ابنه سنة ١١٠٠ : ١١٢٧ هـ — ١٦٨٩ : ١٧١٥ م
وقد خرج أهله الفونج عن طاعته ونصرهم الشيخ ارداب ولد عجيب شيخ قرّي
فأقاموا عليهم ملكاً اسمه « أوكل » وجمعوا لمحاربتة نحو الف فارس ولم يكن مع الملك
بادي الا خمسة واربعون فارساً فقاتلهم ونصره الله عليهم فقتل الشيخ ارداب
وطرد الباقيين الى محل يقال له العطشان ورجع سالماً منصوراً

وفي ايامه ظهر الولي الشيخ حمد ولد الترابي من عرب رفاعة الهوي فاشتهر في
السودان بالصلاح والتقوى ودُفن في جزيرة سنار بين الكاملين ومسجد ود عيسى
وبني فوق قبره قبة تزار الى اليوم

(١٥) الملك أنسه الثالث سنة ١١٢٧ : ١١٣٠ هـ — ١٧١٥ : ١٧١٨ م
وقد انهمك باللهو واللعب وارتكاب الفحشاء حتى بلغت أخباره الفونج بانصعيد
ومجنود « لولو » فصمموا على عزله لانهم هم الذين يعزلون ويولّون من يريدون من
الملوك فجاءوا الى حلال الكبوش قرب سنار وعينوا ملكاً وأرسلوا للملك أنسه قائلين
ان قتل وزيرك تقرّك على الملك ولا تتعرض لك فاغتر بكلامهم وقتل وزيره بعد

تردّد ثم أرسل لهم الخطيب وبعض عمد سنار ليوفوا له بشرطهم فلم يسموا له بل لم يزالوا مصممين على عزله فلما يئس منهم استأمنهم على نفسه وعائلته فأمنوه وخرج من محل الملك وذلك في سنة ١١٣٠ هـ ١٧١٨ م وكان هو آخر من تولّى من نسل عمارة دقّس وولّى الفونج بعده :

﴿ ١٦ • الملك نول سنة ١١٣٠ : ١١٣٦ هـ — ١٧١٨ : ١٧٢٤ م ﴾
وكان له نسب من جهة الرحم يتصل بسلسلة الملوك المتقدمين وقد اتفقوا على توليته لانه كان رجلاً عاقلاً حسنًا في الاسلام فحكم في الرعية بالعدل وحسن التدبير فارتاحوا الى حكمه وسموه بالنوم لشدة عدله

﴿ ١٧ • الملك بادي ابو شلوخ ابنه سنة ١١٣٦ : ١١٧٥ هـ — ١٧٢٤ : ١٧٦٢ م ﴾
وهو أشهر ملوك سنار وقد امتاز بالشهرة لحربه مع الحبشة وانتصاره على ملكها ياسو . وقد ذكر بعضهم سبباً لهذه الحرب قال : أن لويس الرابع عشر ملك فرنسا أرسل سنة ١٧٠٣ م هدايا فاخرة الى ياسو ملك الحبشة مع الموسيو لانواردي رول (M. le noir du Roule) فقام رول من مصر في ١٩ يوليو سنة ١٧٠٤ م وسار قاصداً الحبشة بطريق النيل فوصل سنار في آخر مايو سنة ١٧٠٥ ومعه سبعة أتباع وخادم ومترجم وستون جملاً محملة هدايا فاخرة لملك الحبشة فقابلهُ ملك سنار بالترحاب وكان الموسيو رول قد أحضر له هدية فسرّ الملك بها وأهدى له هدية نفيسة عوضاً ولكن لم يمض الاّ القليل حتى ورد على ملك سنار رسائل من مصر اوغرت صدره على الموسيو رول وقيل أن الرسائل التي جاءتْه حذّرتْه من الموسيو رول وانذرتْه بأنه ذاهب الى الحبشة لتحويل مجرى النيل الازرق عن سنار وتعليم الاحباش صناعة الحرب وتقويتهم بالمدافع عليه فلما كان آخر شهر اوغسطس سنة ١٧٠٥ م استأذن الموسيو رول الملك في استئناف السفر الى الحبشة فاذن له ولكن ما سار عن سنار بضعة اميال حتى ادركه ٣٠٠ رجل من قبل الملك فقتلوه هو واتباعه واخذوا جميع ما كان معه من الهدايا والامعة واتقلبوا راجعين الى سنار . فلما بلغ ياسو ملك الحبشة ما كان من الملك بادي جرّد جيشاً جرّاراً عدته ٣٠ ألفاً وقيل ١٠٠ ألف

وصار في طليعته قاصداً سنار. فجمع الملك بادي جيوشه من المشاة والفرسان وجعل عليها الامين ود مسمار ود عجيب شيخ مشيخة قرّي قائدًا عامًا وجعل على الفرسان خاصة الشيخ محمدًا أبا الكلّيلك كبير الهمج (والهمج قوم خلاسيون من النوبة والعرب وقيل هم فرع من العوضية الجعلين) وقد تسلح المشاة بالسيوف والحراب ولبس الفرسان دروع الزرد وألبسوا خيلهم « اللبوس » واجتازوا النيل فاجتمعوا على خميس امير فور؟ وانضموا جيشًا واحدًا وساروا للملاقاة جيش الحبشة فالتقوا به في محل يقال له الزكيّات شرق الدندر واقتتلوا قتالاً شديداً قتل فيه من الجيشين خلق كثير وكان النصر لجيش سنار فغنم غنائم عظيمة من اسلحة ومدافع وخيام وخيول وغير ذلك ونالت سنار بهذا النصر شهرة طبقت الافاق حتى بلغت مصر والشام والحجاز والاستانة وتونس والهند فتقاطر الناس اليها افواجا من كل الجهات وأقاموا فيها . قيل وكان تاريخ هذه الواقعة صفر الخير سنة ١١٤٧ هـ يوليو ١٧٣٥ م . قلت وهو لا ينطبق على تاريخ الرواية المتقدم ذكرها في بيان سبب الحرب

وقويت شوكة الملك بادي بعد حرب الحبشة وطمعت نفسه بامتداد ملكه غرباً فأرسل جيشاً لفتح كردوفان وولى عليه ود تومه ومعه الشيخ عبد الله ود عجيب شيخ قرّي واخوه تمام والشيخ محمد أبو الكلّيلك كبير الهمج وكان على كردوفان طائفة المسبّعات اقرباء سلاطين الفور الآتي ذكرهم فالتقوهم في مكان يقال له قحيف وهزموهم وقتلوا قائدهم ود تومه والشيخ عبد الله ود عجيب فجمع الشيخ محمد أبو الكلّيلك العساكر ثانية وأعاد الكرة على المسبّعات فاقتتلوا في مكان يقال له شمتته من اعمال الطيارة بكردوفان فقتل الشيخ تمام ود عجيب والعجيل ابنه

وبلغ ملك سنار خبر القتال الاول والثاني وما اظهره الشيخ محمد ابو الكلّيلك من البسالة وحسن التدبير فأرسل اليه يعينه قائداً عاماً على الجيش في مكان ود تومه فسر بهذا الالتفات واعاد الكرة بعزم جديد على المسبّعات فاتصر عليهم وأخرجهم من كردوفان وكان ذلك في سنة ١١٦٠ هـ ١٧٤٧ م فأقام فيها الى سنة ١١٧٤ هـ ١٧٦١ م . ثم اخلاها للمسبّعات وعاد الى سنار لعزل الملك بادي وسبب ذلك ان

الملك بادي كان له وزير صاحب عزم وتدير وهو الذي قام بتدير المملكة واكسبها تلك الشهرة فمات الوزير واستبد الملك بادي برأيه فغير كثيراً من النظم والقوانين واستعان بالنوبة الذين أتى بهم من جبال كردوفان فجعلهم رؤساء بدلاً عن رؤساء البلاد أصحاب الرتب القديمة. وفي سنة ١١٧٠ هـ قتل الخطيب عبد اللطيف البغدادي من مشاهير علماء السودان . وكان له أولاد كبار فتناولوا على الرعية وبغوا وأفسدوا ولم ينهم فنفت منه قلوب رعيته . وكان مع الشيخ محمد أبي الكليلك في كردوفان جماعة من اكابر الفونج فأساء الملك الى اتباعهم في سنار فاغتظوا منه واتفقوا مع الشيخ محمد أبي الكليلك على عزله وتولية ابنه ناصر في مكانه فخرجوا من كردوفان وعبروا النيل الايض ونزلوا بأليس فأرسلوا الى ناصر واخبروه بنفور قلوب الناس من ابيه وعزمهم على توليته ملكاً عوضاً عنه فخرج من سنار متكرراً واجتمع بالشيخ محمد واكابر الفونج في أليس فأخذوا عليه العهود والمواثيق وساروا به قاصدين سنار ثم أرسلوا الى الملك بادي يقولون له ان خرجت فلك الامان فخرج في قلة وذلة واجتاز البحر وذهب الى سواكن ومات فيها وكانت مدة حكمه ٣٩ سنة . وهو آخر من تمتع بعز الملك من ملوك الفونج فانهم بعد ذلك صاروا يتولونه رسماً لا حقيقة واصبحت السلطة الحقيقية وتولية ملوك الفونج وعزلهم بيد وزرائهم الهمج الذين اولهم « الشيخ محمد ابو الكليلك » المتقدم الذكر

﴿ ١٨ . الملك ناصر سنة ١١٧٥ : ١١٨٢ هـ — ١٧٦٢ : ١٧٦٩ م ﴾
حكم ٧ سنين ثم انقلب عليه الشيخ محمد فنفاه الى حلة البقرة قرب سنار فأخذ يسعى بالعود الى كرسي الملك والفتك بالشيخ محمد فبعث الشيخ محمد ابن أخيه بادي بن رجب بجانب من عساكره فدخلوا عليه في منزله وقتلوه وكان المصحف الشريف عن يمينه والموطأ (وهو كتاب للإمام مالك) عن شماله لانه كان من اهل العلم وله خط جميل . وولى الشيخ محمد أخاه

﴿ ١٩ . الملك اسماعيل سنة ١١٨٢ : ١١٩١ هـ — ١٧٦٩ : ١٧٧٨ م ﴾
وكان رجلاً ديناً عدلاً أزال المظالم واحسن الى الفقراء والفقهاء . وفي اول

سنة من ملكه اي سنة ١١٨٢ هـ حصل غلاء شديد . وفي سنة ١١٨٥ هـ زاد النيل زيادة عظيمة . وزاد ايضاً زيادة فاحشة في السنة التي تليها . وفي سنة ١١٩٠ هـ ١٧٧٧ م توفي الشيخ عدلان ود صباحي شيخ خشم البحر وكان بينه وبين الشيخ محمد مودة عظيمة وكان رجلاً نزيهاً عفيفاً صاحب كرم وديانة

وفيها توفي الوزير « ١ . الشيخ محمد ابو الاكليك » وكان له سبعة اولاد وهم رجب وناصر وادريس وعدلان وابراهيم وعلي وحسين ولكن لم يكن بينهم مرشد يخلفه فلفه ابن أخيه « ٢ . الشيخ بادي ابن رجب » . فاجتمع الفوج عند الملك اسماعيل يريدون خلعه والتخلص من سطوة الهمج فعلم الشيخ بادي بذلك فعزل الملك اسماعيل ونفاه الى سواكن وولى بدله :

﴿ ٢٠ . الملك عدلان الثاني سنة ١١٩١ : ١٢٠٣ هـ — ١٧٧٨ : ١٧٨٩ م ﴾ واستقامت للشيخ بادي الوزارة وعدل في الرعية وقهر جميع خصومه وفاق على عمه الشيخ محمد في الشجاعة والقهر وقوة البطش . وفي ايامه خرج الشكرية عن طاعته فخرج بعساكره من سنار ونزل بحلة رفاعة الشرق وأرسل جيوشه على الشكرية في البطانة فواقعوهم عدة وقائع وقتلوا شيخهم الشيخ أبا علي واجبروهم على الطاعة ولكنهم بقوا على نوع من الاستقلال الى ان دخلت الحكومة المصرية بلاد السودان فخضعوا لها . وأرسل بادي الشيخ عجيب ود عبدالله وعيساوي والشيخ قنديلاوي الى التاكة لمحاربة الخلافة فخاربوهم فقتل الشيخ عجيب وعيساوي ورجع قنديلاوي فاعترضه في الطريق فارس من فرسان الشكرية يسمى عبد الله القطيني وقتله قيل انه القاه عن جواده الى الارض ثم جثا على صدره واستل الخنجر ليدبجه فقال له عبد الله لا تحسب ان تحتك بقرة فأحسن الذبح ولا تملء تلي الخوذة دماً فذبجه كما طلب وكان ذلك سنة ١١٩٣ هـ ١٧٨٠ م

وفي اثناء اقامة الشيخ بادي في رفاعة عزل الشيخ محمد الامين من مشيخة قرّي وارسله الى القرين . وعزل الشيخ محمد ود علي شيخ ديار خشم البحر وولى « صباحي ود عدلان » مكانه . وضرب ناصر ابن أخيه الشيخ محمد أبي الاكليك ضرباً مبرحاً لذنوب

فأخبرهم الشيخ الأمين السوء فاتفق مع الشكرية وهجم على مدينة أربجي فخر بها
وشنت شمل أهلها وتركها قاعاً صفصفاً ولم تزل كذلك إلى الآن. وكانت مدينة حسنة
البنان كثيرة العمارة ولاهلها تأنق عظيم في تحسين الاطعمة وكان بها مدارس للعلم
والقرآن. قيل وقبل خرابها كان فيها رجل يتلو الآية « وضرب الله مثلاً قرية كانت
آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس
الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

ثم إن الملك عدلان تفكر في ما فعله الهمج في إيه الملك اسماعيل وجدّه الملك
بادي فلما جاهر الشيخ الأمين بعداوة الهمج كتب يدعوهُ إليه ودعى إليه أيضاً
بعض مشايخ البلاد الذين كانوا من حزبه فاتفقت كلمتهم على الفتك بالهمج فقبضوا
على إبراهيم وكيل الشيخ رجب الوزير وقتلوه في السوق وأخرج الملك عدلان بنات
الشيخ محمد أبي الكلبيك واسترقهنّ وفرقهنّ على رؤساء عساكره وذلك سنة ١١٩٩ هـ
١٧٨٥ م. وكان في سنار في ذلك الوقت شاعر مشهور يعرف بالنعسان فاراد الملك
قله بسبب ميله لأولاد أبي الكلبيك ففرّ هارباً إلى الشيخ رجب ولما دخل عليه بكى
واتحب وارتمل مراثي محزنة أشار فيها إلى قتل إبراهيم واسترقاق بنات محمد فقام
الشيخ رجب لساعته إلى سنار وكان معه الملك سعد بن الملك إدريس ود الفحل من
ملوك الجبلين بشندي الآتي ذكرهم والحاج محمود المجذوب من الأولياء الصالحين
أصحاب الكرامات وجد المجاذيب الذين في الدامر قيل وكان في أثناء المسير يقول
« يا سنار جاءك النار » وأحياناً يقول « النار أطفأها السيل » ثم لما قربوا من سنار كان
يقول « أنا وانت » يعرض بقتله وقتل الشيخ رجب فقابلهم الملك عدلان بجيوشه في
مكان يقال له الترس شمالي سنار واقتتلوا قتالاً شديداً قتل فيه الشيخ رجب والحاج
محمود وذلك سنة ١٢٠٢ هـ ١٧٨٨ م. وكان للحاج محمود ابن يسمى الفقيه علي فنقله
إلى حلة الدبة شمالي الحلفاية ودفنه وقبره بظاهر يزار إلى اليوم. قيل أنه بعد دفنه كان
يسمع الآذان عند قبره كل ليلة لأنه كان مؤذناً في حياته !

وانهزمت عساكر الهمج ولحقوا بعبود في وسط الجزيرة وهمشوا بالتفرق في الجهات

فارسل اليهم الفقيه حجازي ابن ابي زيد من ذرية الشيخ ادريس ود الارباب المتقدم ذكره وأمرهم بالثبات وبشرهم بالنصر فاطمأنوا وثبتوا وجعلوا الشيخ ناصر أخا رجب المقتول شيخاً عليهم . فجهز عليه الملك عدلان جيشاً وعقد لواءه للامين رحمه ود كتفاوي ومعه محمد ود خميس أبو ريده ونفر من كبار الفونج وسيرهم لقتاله فالتقاهم بمحل يسمى « انطرحنا » فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل علي أخو الشيخ ناصر وكان فارساً وكثر القتل في عسكر الملك وانهزموا ففرق بعضهم في البحر وتبعهم عساكر الشيخ ناصر قتلاً حتى أدخلوهم سنار وتأسف الملك لعدم خروجه للحرب بنفسه فمات قهراً . وزحف الشيخ ناصر على سنار وحاصر عساكر الملك حصاراً شديداً حتى ضاقت نفوسهم فخرجوا اليه واصطفوا لقتاله ولكنهم انهزموا بلا قتال ودخل ناصر سنار بعساكره فأفسدوا فيها وذلك سنة ١٢٠٣ هـ ١٧٨٩ م ومن ذلك الوقت انكسرت شوكة الفونج ولم تقم لهم قائمة بعد . وولى الشيخ ناصر :

٢٠ . الملك أوكل سنة ١٢٠٣ هـ — ١٧٨٩ م فملك بضعة اشهر ثم هرب ليلاً فولى ناصر في مكانه :

٢١ . الملك طبل سنة ١٢٠٣ هـ — ١٧٨٩ م وكان الشيخ محمد الامين شيخ قرري المعزول ومحمد ود خميس أبو ريده المار ذكرها قد وليا على سنار . الملك رباط « فذهب ناصر ومعه الملك طبل لقاتلها فالتقوا في الحلفاية وقيل في محل قرب شندي وهناك اشتعلت الحرب فقتل الملك طبل وانهزم الشيخ ناصر شرهزيمة فسمى ملكاً على سنار :

٢٢ . الملك بادي الخامس سنة ١٢٠٣ هـ — ١٧٨٩ م وسار به لاستئناف الحرب ضد الشيخ محمد الامين فقتل الملك بادي والملك رباط معاً فولى ناصر على سنار : ٢٣ . الملك حسب ربه سنة ١٢٠٤ هـ — ١٧٩٠ م فمات ايضاً ورجع الشيخ ناصر الى سنار . وفي سنة ١٢٠٥ هـ ١٧٩١ حدث ان الشيخ محمد الامين ود سمار ضرب الشيخ عبد الله ابن عجيب (ابن عمه) لذنوب أتاه فالتجأ الشيخ عبد الله الى محمد خميس أبي ريده وذهبا بمن معها من الرجال الى الشيخ محمد الامين بحلة بان النقا بين قرري

وشدني فوجدوه في منزله وحده فاحتالوا الى ان صعدوا على سطح البيت وأزالوا سقفه وصاروا يرمونه بالحجارة من بعيد حتى قتلوه . وتولى المشيخة بعده « عبد الله ودعيب » وولى الشيخ ناصر على سنار :

(٢٤٠ . الملك نوار سنة ١٢٠٤ : ١٢٠٥ هـ — ١٨٩٠ : ١٨٩١ م) وكان صاحب شهامة وسطوة فلما ظهرت صفاته للشيخ ناصر قتله وولى مكانه :

(الملك بادي السادس بن طبل سنة ١٢٠٥ : ١٢٣٦ هـ — ١٧٩١ : ١٨٢١ م) وكان لا يزال فتى فاستمر ملكه الى الفتح المصري وتقلب عليه عدة وزراء من الهمج اولهم « ٤ . الشيخ ناصر » الذي فيه كلامنا وهو الوزير الرابع

وفي ايامه توفي الفقيه حجازي في سجنه عطشاً . وتوفي ايضاً الفقيه عبد الرحمن ود ابو زيد العالم العامل الولي الصالح . والعالم الفقيه محمد نور صبر . وقتل جماعة من الحضارمة على يد اخيه حسين

وفي سنة ١٢١١ هـ ١٧٩٧ م اجتاز ناصر البحر بعساكره ومعه اخوه عدلان وحارب ابا ريده وقتله ونهب امواله . واتحد عليه هاشم بن الملك عيساوي واولاد الشيخ الامين ومعهم فزاره و بنو جرّار ودخلوا الجزيرة فخرج في طلبهم فلحقهم بنواحي سيرو وهناك اصطلحوا ورجعوا الى سنار ما عدا بني جرّار فانهم رجعوا من حيث اتوا بعد ان اكرمهم الشيخ ناصر وخلع علي كبرائهم

وكان في الشرق في هذا العصر اربعة ملوك اشتهروا بالكرم وهم : الشيخ ناصر في سنار والسلطان عبد الرحمن في دارفور ومراد بك في مصر واحمد باشا الجزّار في الشام ومما يحكي من نوادر كرم الشيخ ناصر ان رجلاً كان قاصداً الحجاز فدخل عليه بتمس منه صدقة وكان على مقربة منه اناة مملوئة ذهباً فلأ كفيه مريداً ان يسطر الرجل طرف ثوبه ليملاه له فمدّ الرجل يديه فاعطاه ما في كفيه من الذهب ولم يزده وكان الشيخ ناصر يحب الالعاب والمطربات فلما راقته له الاحوال فوَض تدبير الملكة الى وزيره الارباب دفع الله ابن احمد المشهور بود الزقلوتة من الجعلبين واشتغل باللهو والطرب وأعجب بعبيده فاشتدت أيديهم على الظلم ولم يمنعهم لانهم كانوا

عضده . وأمر اخوته وكبراء دولته ان لا يدخل عليه أحد منهم الا بعد الاستئذان من وزيره . دفع الله ففرت نفوسهم منه وخرجوا عن طاعته واجتمعوا في عبود في باطن الجزيرة لمحاربه ووافقهم على ذلك كل من له غرض في ازالة دولة ناصر فلما بلغه خبرهم خرج الى حلة السبيل وأرسل اليهم كبار الفقهاء يترضونهم ثم أرسل اليهم اخوانهم وبنات الشيخ محمد أبي الكلبيك فأبوا الا الحرب أو يتنازل لهم عن الوزارة فلما يئس من رجوعهم الى الطاعة عاد الى سنار . فخرج اخوته من عبود ونزلوا في حلة البقرة قرب سنار وباتوا على حربه فأخذ ما يحتاج اليه وفر الى الجنوب ليلاً مع وزيره دفع الله فنزل في دبركي على الدندر فدخل اخوته سنار وتولى اخدم « . ادريس » كرسي الوزارة في مكانه

وبقي ناصر في دبركي زماناً ثم ارتحل شمالاً فاحتى بالشيخ عبد الله بن عجيب شيخ مشيخة قرّبي مدة ثم رحل عنه وأتى الى عبود ولما علم به ادريس خرج من سنار ببعض عساكره ونزل في ابي حراز وارسل لمحاربه اخاه عدلان وعبيده وبعضاً من العساكر ولم يرسل احداً من الهمج ولا من الفونج خشية من الخيانة ولما ادركه عدلان وتراءى العسكران خرج الوزير دفع الله ود ارباب من جيش ناصر ورمى الخوذة عن رأسه ودخل في عساكر عدلان طالباً الامان لنفسه فانهزم ناصر وعساكره فبعهم عدلان وقبض على ناصر أسيراً وأتى به الى ادريس في ابي حراز فسلّمه الى حياص ابن الملك بادي فقتله بثار ابيه ودفن قريباً من الشيخ دفع الله العربي وكان ذلك في آخر سنة ١٢١٢ هـ وقيل أوائل سنة ١٢١٣ هـ

اما الشيخ دفع الله العربي المشار اليه فقد كان من رجال الدين الصالحين وهو تلميذ الشيخ ادريس ود الارباب المار ذكره وكان مقياً في ابي حراز ولم تنزل ذريته مقيمة فيها الى اليوم . وكان مقامهم مكرم عند ملوك الفونج كمقام ذرية الشيخ ادريس وتفرد « . الشيخ ادريس » بالوزارة وكان رجلاً مهابة عادلاً أكره شيء له في السرقة فتعقب اللصوص في كل مكان وعاقبهم بكل صرامة حتى انه لم يبق سارق ولا لص في كل بلاد سنار . وشدّد الوطأة على العرب الرحالة فكفى اهل القرى شراً

وكان له من الاعوان عدا اخيه عدلان الارباب القرشي والارباب زين العابدين
ود السيد والفقير عبد الجليل ود عامر والفقير الامين ود العشا ولم يفوض اليهم تدبير
ملكته كما فوض اخوه الشيخ ناصر الى وزيره الارباب دفع الله بل كان يتولى أمور
ملكته بنفسه وبذلك استقامت له الاحوال . ثم بدا من الملك بادي ما ساءه
فاتفق مع الشيخ كمتور شيخ خشم البحر وعزله وولى مكانه :

(٢٧٠ . الملك رانفي) فحكم بضع سنين ثم عاد الملك الى الملك بادي . وفي ايام
رانفي أتى الشيخ عبد الله بن عجيب بما أغضب الشيخ ادريس فجرد عليه جيوشه وكان
العابلات قد نقلوا مركز المشيخة من قرى الى الحلفاية فانتشب القتال في الحلفاية في
اول محرم سنة ١٢١٥ هـ ٢٤ مايو ١٨٠١ فقتل الشيخ عبد الله وانهزمت جيوشه فأمنهم
الشيخ ادريس وولى عليهم « الشيخ ناصر الامين » الذي بقي في المشيخة الى الفتح المصري
وكان الشيخ عبد الله المذكور عادلاً متديناً مولعاً بسماع القرآن محباً للرعية وقد أمر
بتقليل مهر النساء فكثر بذلك زواجهن وازداد النسل وأمر اهل السوق بحضور
الصلاة في المساجد وقطع دابر اللصوص وأمن السابلة وكانت مدته ثلاث سنوات
واقام الشيخ ادريس في الحلفاية وأرسل اخاه عدلان بجانب من العساكر الى
شندي كرسي مملكة الجعلين وكان ملكها الملك سعد قد توفي فلما وصل عدلان الى حلة
بان النفا كتب الى الملك محمد ود نمر يعده قصد مخادعته بأن يقره ملكاً على الجعلين
فاغتر بوعده وحضر اليه مع نفر من أهله وابنه ادريس وكان اذ ذاك فتى واما اخواه
الملك نمر والملك سعد فقد أيا الحضور لانهما لم يصدقاها فلما وصل الملك محمد ومن
معه أمر عدلان بسجنهم وغلهم فمات الملك محمد من ثقل الاغلال واما ابنه ادريس
قد افدته أمه بثلاثمائة أوقية من الذهب . ثم ان عدلان حاصر الملك نمر وضيق
عليه فلما جن الليل فرّ بمن معه فولى المساعد ملكاً على شندي ورجع بالاسارى
الى اخيه الشيخ ادريس في الحلفاية فعادا معاً الى سنار وهناك ضربت رقاب اولاد
الملك نمر . قيل كان الواحد منهم يأخذ رأسه بين يديه حتى اذا قطع جذبه الى
عنه لثلاً يسقط الى الارض فيندلع لسانه

وفي سنة ١٢١٦ هـ ١٨٠٢ م انتشب قتال عرف بقتال العواليب بين الملك
نمر والملك مساعد الذي ولاه عدلان فانتصر الملك نمر وأخرج المساعد من شندي
ولما كان المساعد لا يزال قوياً سعى رؤساء الجعلبين بالصلح بينهما فتصالحا على ان
يكون نمر ملكاً في شندي والمساعد ملكاً في التمة تجاهها وبقياً كذلك الى الفتح المصري
وفي تلك السنة اي سنة ١٢١٦ هـ توجه عدلان اخ الوزير ادريس الى جهة
الغرب وقاتل الملك عيساوي فانتصر عليه وأتى به أسيراً الى سنار فمات فيها
وفي سنة ١٢١٧ هـ ١٨٠٣ م حصلت حرب بين البطاحين والشكرية قتل
الشيخ عوض الكريم ابوسن شيخ الشكرية . وفي النصف الاخير من جمادي الثانية
سنة ١٢١٨ هـ اوائل اكتوبر ١٨٠٤ م توفي الشيخ ادريس وتولى الوزارة اخوه
« ٦ . عدلان » فاشتغل بالملاهي والملاذات وأهمل أمور المملكة وكان محمد بن
أخيه رجب صاحب دهاء وتدير فاتفق مع الفونج والشيخ كمتور شيخ خشم البحر
والملك رانفي على الفتك بعدلان . وكان في حلة الكبر جنوبي سنار رجل شديد
البأس يسمى محمد ود ناصر المشهور بأبي ريش وهو من خاصة رجال عدلان فاتفق
مع المتآمرين على الفتك به . وسبب ذلك ان عدلان سم اخاه علياً فمات فاجتمع
المتآمرون بسنار وكان الشيخ عدلان ليلة اتفاقهم عريساً علي بنت خارج سنار فقصدته
ابوريش مع جماعة من رجاله ليلاً . قيل وكان عنده رجل عاقل علم بالملكة
فانشد للشيخ عدلان هذين البيتين :

يا راقدا الليل مسروراً بأوله ان المكاره قد يطرقن اسحارا
لا تفرحن بيل طاب أوله فرب آخر ليل أجج النارا
فما شعر عدلان بالأعداء قد اطبقوا عليه من كل جانب فأسرع الى جواده
فامتطاه وفر هارباً نحو سنار فرماه احدهم بحربة ادمته ولكنه لم يزل مجدداً على
جواده حتى دخل سنار فوقع على الارض ميتاً وكان ذلك في ١٦ رمضان ١٢١٨ هـ
٢٩ ديسمبر ١٨٠٤ م . وفي هذه السنة توفي العالم الرباني الفقيه علي بقاري المشهور
وتولى الوزارة بعد عدلان « ٧ . محمد بن أخيه رجب » المتقدم الذكر لكن بقيت

الكلمة لمحمد أبي ريش • ويمض شهر رمضان حتى وقع الخلاف بين الشيخ كمتور
نصير الملك وبين محمد أبي ريش نصير الوزير فأدعى الخلاف الى القتال وكان مقدم
رجال أبي ريش فارساً مشهوراً يسمى فاما فبرز الى الكماتير فابتدره الشيخ كمتور
بضربة سيف اطاحت رأسه وانهزم أبو ريش مصاباً بجرح بليغ في يده فنزل في
حلة الكبر ووقع محمد ود رجب الوزير أسيراً في يد الشيخ كمتور فأودعه السجن واراد
الشيخ كمتور ان يخرج من سنار ويتحصن من أبي ريش فلم يوافق رجاله على ذلك
بل أقاموا في سنار وأطلقوا أيديهم في سلب أموال الناس • فلما شفيت جراح
أبي ريش جمع عساكره ونزل بطيبة حلة ولد قندلاوي واقام بها يتأهب لقتال الشيخ
كمتور الى ان انقضت سنة ١٢١٨ هـ فتوسط العلماء والاعيان في الصلح بينهما على
ان الشيخ كمتور يرد جميع ما سلبه ويطلق سبيل الوزير فأظهر أبو ريش الرضى بذلك
وأضمر الغدر فلما رد الشيخ كمتور ما سلبه وأطلق سبيل الوزير ود رجب زحف أبو ريش
برجاله عليه فالتقاه في أم صويبينه قرب سنار وانتشب بينهما قتال شديد قتل فيه
١٢ اخا للشيخ كمتور وجماعة من كبار الفوج وانهزم الملك رانفي فدخل قصره واجتاز
الشيخ كمتور النيل الى بلاده • وكان تاريخ هذه الواقعة محرم سنة ١٢١٩ هـ
ابريل ١٨٠٥ م وقد ذهبت في السودان مثلاً للتحذير من الخداع فمن امثالهم :
« بين لك الي بان للكماتير في أم صويبينه »

عود الى ٢٦ • الملك بادي • ثم ان محمداً أبا ريش دخل سنار فقتل رانفي وأعاد
الملك بادي بن طبل المعزول الى منصبه وفي سنة ١٢٢٠ هـ ١٨٠٦ م لحق بالشيخ كمتور
الذي كان قد جاء الى أم درمان فتوسط اهلها والناس الصالحون في الصلح حقناً للدماء
فبلا وساطتهم وعاد الشيخ كمتور الى مركزه في رتقه • ونزل محمد ود رجب في ود
مدني وابوريش في كساب بين رتقه وسنار

وفي سنة ١٢٢١ هـ ١٨٠٧ م وقع الخلاف بين محمد أبي ريش ومحمد رجب
فقاتلا في مكان يدعى المهراية فانهزم محمد رجب الى العيلفون والتجأ الى أولاد الشيخ
ادريس وأخذ يرسل الشيخ كمتور والشنابلة مشائخ ود مدني وأولاد سليمان السعداب

ملوك شندي فاجتمعوا على محاربة ابي ريش وجعلوا عليهم ملكاً يسمى «عجبان»
من بقية ملوك الفونج وجاءوا الى عبود متهيئين للقتال كل ذلك وابو ريش لاه عنهم
الى ان اتاه هادم اللذات في نصف تلك السنة فتوفي مع أخ له في ليلة واحدة وترك
ابناً صغيراً دون البلوغ فوقع عساكره في حيرة ودهشة . وطمع عبيد الوزير عدلان
المقتول في تولية ابنه محمد فخار بهم عبيد ابي ريش واخذوا محمد بن عدلان اسيراً
وهزموهم فانضموا الى محمد رجب وخلفائه في عبود وساروا كلهم لقتال عبيد ابي ريش
في طيبة فاقتتلوا قتالاً شديداً كان النصر فيه لعبيد ابي ريش والهزيمة لمحمد رجب
والشيخ كمتور فالتجأ الاول الى اولاد الشيخ ادريس في العيلفون والثاني الى العراقيين
في ابي حراز فرجع عبيد ابي ريش عنهم لاحترامهم مقام اولاد الشيخ ادريس
والعراقيين كما مرّ واقاموا في كساب فجعلوا تيغره ود ابي ريش رئيساً عليهم في مكان
ايه وكان معهم محمد ود ابراهيم بن محمد ابو الاكليك فلم يرق له تعيين تيغره رئيساً
فانفصل عنهم واتحد مع فزاره وتقدم بهم الى الخرطوم فنهبوا ما ارادوا وقتلوا ابراهيم
ابن الفقيه محمد علي خليفة الفقيه أرباب ونزلوا في عبود . اما الفقيه ارباب المشار اليه
فهو غير أرباب والد الشيخ ادريس ويعرف بأرباب العقائد لانه ألف كتاباً في
عقائد التوحيد وله ضريح يزار في البشاقرة في جنوبي ألتى في باطن الجزيرة
وبقي عبيد ابي ريش وعليهم تيغره بكساب يعيشون في البلاد والحل والعقد
في ايديهم مدة ثمانية اشهر اسروا في خلالها اولاد رجب وكان محمد ولد ابراهيم
لا ينفك عن حشد الرجال في عبود حتى قويت كلمته فزحف على كساب فقتل عبيد
ابي ريش واسر تيغره فابقي عليه لانه كان أديباً عاقلاً ولما انتظم له الامر قام في
طيبة حلة قندلاوي مدة ثم انتقل منها الى حلة ام ضريبه

وفي اثناء ذلك خرج « محمد رجب » من العيلفون على عربان الفادنية في
البطانة فنهب اموالهم فاتاه العراقيون واخبروه بان هذه الاموال اموالهم فردها
لهم فلم يكتفوا بذلك بل اغلظوا له في الكلام حتى اخرجوه الى القتال فقاتلوه
وهزموه فاستنجد بالشيخ كمتور فلم ينجده بل قبض عليه وارسله الى محمد ود ابراهيم

فأرسله إلى محمد ود عدلان في حلة برقو فقتله أخذاً بثأر أبيه وهكذا كانت نهاية
« محمد رجب » سابع وزراء الهمج

ثم أخذ محمد ود عدلان يسعى سرّاً في محاربة محمد ود ابراهيم وتولي الوزارة
مكانه فلما نفي الخبر إلى محمد ود ابراهيم بعث في طلب محمد ود عدلان إلى حلة
ولدها، الدين فحضر فادخله في خلوة بهاء الدين وأخذ في توبيخه وشمته بأفظع
الالفاظ ومحمد عدلان يعتذر ويتلطف له في الرد وهو لا يقبل عذراً ثم أمر بذبحه
فسمع بذلك بعض انصار ود عدلان الواقفين خارج الخلوة فنادوا محمدًا ابراهيم
يطلبون إليه اطلاق سبيل محمد عدلان والا اشعلوا النار في الخلوة فأخلى سبيله فخرج
وهو مهلوع القوّة فالتفت إليه أحد عبيده المسمى أبا سليمة ودله على جواد محمد ود
ابراهيم الذي كان مسرجاً بجانبه وقال له « ما هذه الدهشة التي اعترتك فذهبت
بك أركب هذا الجواد وحكّم السيف في رقاب هؤلاء الكلاب الذين ارادوا
قتلك » فتحمس ود عدلان من كلام عبده وركب الجواد واستل السيف فاجتمع
عليه « عبيد ناصر » فاشتد ظهره وأخرج ابراهيم من الخلوة عنوة فقبض عليه وأخذه
إلى سنار فحبسه مدة في حوش عمته مهيره ثم قتله . وكان ذلك في آخر جمادى
الآخرى سنة ١٢٢٣ هـ ١٨٠٩ م . ومن ذلك الوقت انتظم الامر « لمحمد عدلان »
فكان الوزير الثامن والاخير من وزراء الهمج وقد قبض على جميع اعدائه في البلاد
قتلهم وفي جملتهم أولاد رجب ولم يترك منهم سوى حسن ولما استتب له الامر
وخلا باله من المتاعب انتقل إلى ود مدني فأقام فيها مدة

وفي أيامه سنة ١٢٢٤ هـ ١٨١٠ م انتشرت الحمى الصفراء المعروفة عندهم بالكك
فمات فيها خلق كثير . وممن مات بها العالم الفاضل محمد نورين الفقيه ضيف الله
بالخفاية وهو صاحب كتاب طبقات الاولياء بالسودان وقد رثاه الشيخ ابراهيم عبد
الدافع المفتي صاحب تاريخ سنار بآيات منها :

دع العين تبكي دهرها بتوجد على غيض بحر كان بالعلم مزبدا
هو الخبر نجل الخبر ضيف الهنا لقد حاز فخراً في الانام وسوددا

وفي اواخر سنة ١٢٢٥ هـ ١٨١١ م فعل « الشيخ ناصر ود الامين » شيخ
الحلفاية ما اغضب محمد ود عدلان فسار ومعه الملك بادي لمحاربة ففر من وجهه الى
شندي فاقام محمد عدلان بالحلفاية مدة ثم عاد الى سنار بدون حرب وعاد ود
الامين الى الحلفاية

وفي سنة ١٢٢٦ هـ ١٨١٢ م نشب قتال بين السعداب والجميعاب قتل فيه
الارباب بان النقا وكان رجلاً شجاعاً عفيفاً تقياً وقتل معه جماعة من بني عمه وانتصر
الجميعاب وقويت شوكتهم فارتفعت رؤوسهم على ملوك الجموعية واولاد عجب
مشايخ الحلفاية وانشد بعض شعرائهم يقول :

« يا جعل وقعت عليكم قضية • وفي ادريس ود سعد و بان النقا اب عرضة •
وفي حدة السيل رقدت عيال مشرّية » وكلهم من السعداب

وفي سنة ١٢٢٧ هـ ١٨١٣ م توجه ود عدلان لجمع الجزية من عربان رفاة
بنواحي جبل مويه فجمع الجزية وهرب منهم اللبيح فارس خلفه العباس فأدركوه
وقتلوا بعضاً من جماعته ونهبوا منهم اموالاً كثيرة • وفي سنة ١٢٢٨ هـ انتقل الى
الطرفاية فجاءه الشيخ خليفة ومعه رجل يلقب بالافندي ؟ وفي هذه السنة ظهر نجم
ذو ذنب وحصل غلاء شديد فسميت سنة حيص

وفي سنة ١٢٢٩ هـ ١٨١٤ م خرج الملك بادي من سنار واتفق مع الكماير على
محاربة ود عدلان وكان ود عدلان اذ ذك مقيماً في عبود يتأهب للزحف على الشيخ
ناصر ولد الامين فلما بلغه خروج الملك بادي عليه رجع عن عزمه واقام بجزيرة ام
راكوبه واقام الملك والكماير بحلة الكبر فحاصروهم فيها ثم اصطالحوا وعاد الملك بادي
الى سنار • وفي هذه السنة توفي الورع الحاج دفع الله ود ضيف الله بالحلفاية

وفي سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٥ م توفي الفاضل الشيخ حسن بن الشيخ عبدالرحمن
ود بان النقا وكان عنده خزانة كتب ضاعت كلها في فتنة الملك نمر بعد الفتوح المصري
وفي سنة ١٢٣١ هـ ١٨١٦ م زحف ود عدلان بعساكره على الحلفاية
لقتال « الشيخ ناصر ود عجيب » ففرّ الشيخ ناصر الى شندي واقام فيها الى ان رجع

ودعلان الى سنار فعاد الى الحلفاية وبقي فيها الى الفتوح المصري كما سيجي
وفي سنة ١٢٣٢ هـ ١٨١٧ م حضر الى سنار الشريف السيد محمد عثمان المرغني
مؤسس الطريقة المرغنية في السودان وقابل حكامها ودعا الناس الى اخذ الطريق
فلم يأخذها عنه الا القليل . وارسل حكام سنار الى الفقيه ابراهيم ابن بقادي ليناظر
السيد المذكور ويختبره ففرض حال وصوله الى سنار وتوفي فيها قبل ان يجتمع به ثم
خرج السيد المرغني من سنار وكان عمره اذ ذاك ٢٥ سنة

وفي آخر سنة ١٢٣٣ هـ ١٨١٨ م زاد النيل زيادة عظيمة حتى هدم حلة
البشارة شرق سنار وعرف ذلك النيل بنيل ود ابي سن لان احمد ود الشيخ عوض
الكريم ابي سن قتل في تلك السنة قتله البطاحين وانحازوا الى الملك نمر فجمع الشكرية
رجاهم بقيادة محمد ابي سن وقصدوا محاربة البطاحين والملك نمر معاً فتوسط العلماء
ومشايخ الساجيد بينهم ومنعواهم من المحاربة فرجعوا الى بلادهم

وسنة ١٢٣٤ هـ ١٨١٩ م قتل الارباب محمد دفع الله ود سليمان غيلة قيل
كان قتله بدسياسة من محمد ود عدلان ليتزوج بزوجته لانها كانت بارعة في الجمال
وفي سنة ١٢٣٥ هـ ١٨٢٠ م ارسل الشيخ محمد كمتور عساكره لقتال التكرارة
الذين في القلابات على حدود الحبشة وبقي في قلة من العساكر فاعتنم محمد ود عدلان
الفرصة فسار اليه وقله اخذاً بثرايه وكان الشيخ كمتور حليماً بعيد الغضب لا يتكلم
بالسفه ولا يشتم احداً واذا اشتد غضبه يلعن الشيطان وقتل معه العالم المحقق الشهير
الفقيه احمد ابن الطيب عبد السلام ونهبت كتبه النفيسة ورجع ود عدلان الى سنار
فرحاً مسروراً باخذ ثاره لانه قتل كل من سعى بقتل ابيه . ثم ان الكماثير جعلوا
عليهم « ضراراً » اخا محمد كمتور شيخاً وزحفوا لمحاربة محمد ود عدلان اخذاً للثار
فوجدوه متغياً عند عرب البادية بالرابة جنوبي سنار فلحقوا به ولم يكن له علم بهم
فدهموا ليلاً على حين غفلة في منزله فتصدى لهم نفر من العساكر الملازمة لركابه
وقاتلهم قتلاً شديداً الى ان قتل رئيسهم تيغره ففروا هاربين واما ود عدلان فانه
لما شاهد ما حل بقومه ثغر حائط منزله وفرّ هارباً هو ونساؤه ومعه الهادي ود عجيب .

ثم ان الشيخ ضراراً لما رأى شدة بأس عساكر ود عدلان فرّ هارباً بجريدة من
الفرسان ولم يبق من الفتيين الا القليل فلما أصبح الصباح وتراءى الجمعان قام بقية
عساكر ود عدلان على بقية عساكر الكماثير فهزموهم وقتلوا رؤوسهم وارسلوا البشري
بالنصر الى محمد ود عدلان فلم يحفل بها لانه خجل من انهزمه قتل له الارباب
دفع الله وهو احد المتخلفين الذين اتوا بالنصر: « لم يكن قتال يا مولاي غير الذي
كان بحضورك ولم ينهزم الاعداء الا بهيبتك » فزال عنه الغم وعاد بالعساكر الى
سنار . وبقى فيها مع الملك بادي ملك الفونج الى ان قدم اسماعيل باشا فاتحاً لسنار
على ما سيحي في الفتوح المصري

هذا ما كان من تاريخ ملوك الفونج نقلاً عن عبد الدافع والزير ودضوه
ولكن يظهر ان ودضوه اختصر تاريخ عبد الدافع و اضاف اليه بعض الحواشي .
ثم ان الموسيوكايو السائح الفرنسي الشهير الذي رافق حملة اسماعيل باشا لفتح سنار
جاء في تاريخه على سلسلة ملوك الفونج قال انه اخذها عن اهلها وعلق عليها بعض
الحواشي فخالف فيها عبد الدافع في بعض المواضع واشهر ما خالفه فيه :

اولاً . ان الفونج هم طائفة من الزنج جاءوا بلاد سنار من غرب النيل الايض
ولا نسب لهم يني أمية كما ذكر عبد الدافع
ثانياً . ان الفونج اتوا اولاً الى اربجي وكانت مدينة عامرة وعليها ملك من اهلها
فتصدى لهم ملكها وناجزهم الحرب فحدثت واقعة عظيمة كان النصر فيها لهم
فقتلوا الملك وخرّبوا اربجي وملكوا البلاد واستقلوا بها لا كما قال عبد الدافع من ان
اربجي خربت في ايام « ٢٠ . الملك عدلان الثاني »

ثالثاً . أن بدائة ملوك الفونج هي سنة ١٨٩٠ هـ لا سنة ٩١٠ هـ كما ذكر عبد الدافع
رابعاً . ان ملوك الفونج هم ٢٨ ملكاً لا ٢٧ ملكاً كما جعلهم عبد الدافع والزير
ودضوه وقد خالفهما كايو ايضاً في ترتيب سلسلة الملوك ومدد ملكهم
وهذه هي سلسلة ملوك الفونج ومدد ملكهم حسب رواية كل من عبد الدافع
وكايو مع ذكر الحواشي التي علّقها عليها الموسيوكايو :

سلسلة ملوك الفونج

حسب رواية الشيخ عبد الدافع		حسب رواية الموسيو كايو	
اسماء الملوك	بداية ملكهم	اسماء الملوك	بداية ملكهم
سنة ١٥٠٥ م	سنة ١٤٨٦ م	سنة ١٤٨٦ م	سنة ١٤٨٦ م
١ عماره دنقس	٣٠	١ عماره دنقس	٤٢
٢ عبد القادر ابنه	١٠	٢ نایل	١٢
٣ نایل اخوه	١٢	٣ عبد القادر	١٠
٤ عماره ابو سكاكين اخوه	٨	٤ عماره الثاني اخوه	٨
٥ دكين بن نایل	١٥	٥ دكين صاحب العادة	١٧
٦ طبل الاول	١٢	٦ ضرار ابنه	٨
٧ انسه الاول	١٠	٧ طبل ابن عبد القادر	٤
٨ عبد القادر الثاني	٦	٨ انسه ابنه	١٢
٩ عدلان بن أبيه	٧	٩ عبد القادر الثاني	٣
١٠ بادي سيد القوم	٣	١٠ عدلان اخوه	٤
١١ رباط ابنه	٢٩	١١ بادي ابو رباط	٧
١٢ بادي ابو ذقن	٣٦	١٢ رباط ابنه	٢٧
١٣ انسه الثاني ابن اخيه	١٢	١٣ بادي الثاني ابو ذقن	٣٧
١٤ بادي الاحمر ابنه	٢٧	١٤ اونسه الثاني بن ناصر	١٢
١٥ انسه الثالث	٣	١٥ بادي الثالث الاحمر ابنه	٢٧
١٦ نول	٦	١٦ اونسه الثالث ابنه	٣
١٧ بادي ابو شلوخ	٣٩	١٧ نول	٤
١٨ ناصر	٧	١٨ بادي الرابع ابنه	٤٠
١٩ اسماعيل اخوه	٩	١٩ ناصر ابنه	٨
٢٠ عدلان الثاني	١٢	٢٠ اسماعيل اخوه	٧
٢١ اوكل		٢١ عدلان الثاني	١٢
٢٢ طبل الثاني		٢٢ رباط ابنه	٣٠
٢٣ بادي الخامس		٢٣ اوكل ابن اونسه	١
٢٤ حسب ربه		٢٤ طبل	٢
٢٥ نوار		٢٥ بادي الخامس ابن دكين	١
٢٦ بادي بن طبل (مدته الاولى)		٢٦ نوار	١
٢٧ رانتي		٢٧ بادي السادس ابن طبل	٦
٢٨ بادي بن طبل (مدته الثانية)		٢٨ رانتي	٥
		٢٩ [بادي السادس بن طبل]	١٦
مجموع ملكهم	٣٢٦		١٨٢١



قيل وكان ملوك سنار يجهزون في ايام عزهم جيشاً لا يقل عن ٢٥ الف مقاتل مسلحين بالحرا ب والسيوف والدرق وفيهم من اربعة آلاف الى خمسة آلاف فارس من العبيد والفونج وكانوا يقيمون في بلاد البرون الى الجنوب ولهم ثلث الغنائم التي يغنمونها من فازو غلي وجنوبيها . ولكن لما جاءهم اسماعيل باشا فالتحاً لم يجد في سنار من الفرسان الا نفرًا قليلاً لان الفونج كانوا قد ققدوا عزهم من زمان

وقد اشتهرت سنار بالثروة والغنى وكان التجار يأتونها بالبضائع من مصر والحجاز والهند عن طريق النيل والبحر الاحمر وكان يرد اليها من دققة التمر . ومن كردوفان التبر والحديد والعبيد . ومن فازو غلي والصعيد الذهب والعسل والجلود والنعال والسياط والريش والسسم . ومن سوق رأس الفيل من بلاد الحبشة على اربعة ايام من سنار الذهب والخيل والعبيد والبن والزباد والعسل وأساور العاج وغيرها من حلي النساء . وكان اهم صادراتها التجارية الذهب والعبيد وسن الفيل والخريت والزباد والعسل والسياط والابنوس والجلود والقصاع والنعال والابل . وكانوا يتعاملون بقطع من الدمور على نحو ما هو جارٍ اليوم في دار ودّاي

وكان اهم صناعاتها الصاغة لصياغة الشفتشي المعروف في مصر بالسناري والحاكّة لحياكة الدمور وغيره من المنسوجات القطنية . واهم ما اشتهر به ملوك سنار الكرم وكان الشعراء والمداح يقصدونهم من كل فج لمدهم واستدرار جودهم قيل انهم لم يردوا سائلاً لا سيما اذا جاءهم من بلاد بعيدة وكانوا يعطون الذهب بالمكيال والرقيق بالجنزير اي بالجماعات لان الارقاء في اثناء السير تُربط كل جماعة منهم بجنزير وكان ملوكها يجمعون الزكاة والفطرة والعشور على نحو ما يفرضه الشرع الاسلامي وكثير من اهالي الجزيرة الآن يملكون الارض بحجج من ايام الفونج

قيل وكانت اختامهم اكبر اختام ملوك السودان قاطبة وهي مستديرة الشكل ومنقوشة سطوراً بين كل سطر وسطر خط تقرأ هكذا : « ومن تكن برسول الله نصرته . ان تلقه الاسد في آجامها تجم . ملك ملوك السودان » والعبارة الاخيرة تشير الى كثرة الممالك والمشيوخ التي خضعت لسلطانهم اولها :

الفصل الثاني

في

﴿ مشيخة العابدلاب ﴾

العابدلاب هم ذرية الشيخ عبد الله جماع الذي تقدم انه اقتسم المملكة مع الفونج وقد اتخذ مركزه قري فعرقت كرسية بمشيخة قري ثم انتقلت الى الحلفاية فعرقت بمشيخة الحلفاية . اما المشيخة نفسها فقد امتدت من حجر العسل الى سوبه ولكن كان لها السيادة على جميع البلاد من اربجي الى الشلال الثالث كما مر . وقد تقدم لنا في تاريخ الفونج ذكر اشهر مشايخ العابدلاب تقيلاً عن عبد الدافع وذكر كاتوسلسلة للعابدلاب اتى فيها على البعض الذين لم يذكرهم عبد الدافع وفاته ذكر البعض الآخر فكان من مجموع سلسلتيهما ما يأتي :

١ . عبد الله جماع ﴿ مؤسس المشيخة الذين دام حكمه الى ايام الملك علمه رابع ملوك الفونج وخلفه ابنه :

٢ . الشيخ عجب ﴿ الملقب بالمانجلوك اي مانجل الاك ومنه لقب «مانجل» الذي بنحاطب به شيوخ العابدلاب الى اليوم . وقد عرف العابدلاب باولاد عجب ايضاً نسبة اليه . وكان رجلاً صالحاً ديناً وقد حج الى بيت الله الحرام . قيل وهو الذي بني بالمدينة المنازل المعروفة برواق السنار بين بناها باذن السلطنة العثمانية فجعلها وقفاً للحجاج من اهل سنار وهي لا تزال مأوى حجاج السودان الى هذا العهد

٣ . العجيل ﴿ ٤ . حمد السميح ﴿ ٥ . عثمان ابنه ﴿

٦ . عبد الله الثاني ابن العجيل ﴿ ٧ . مسمار ابن عبد الله ﴿

٨ . دياب — ارادب ود عجب ﴿ الذي قتله « ١٤ . الملك بادي الاحمر

٩ . الامين ود مسمار ﴿ الذي عاش في ايام « ١٧ . الملك بادي ابي شلوخ »

١٠ . عجب ابن عبد الله ﴿

١١ . عبد الله الثالث ود عجب ﴿ الذي قتل في حرب المسبعات في ايام

« ١٧ . الملك بادي ابي شلوخ ، ﴿ ١٢ . عمر اخو عجيب ﴾
 ﴿ ١٣ . محمد الامين ابن مسمار ﴾ الذي عزله الشيخ ناصر في ايام « ٢٠ .
 الملك عدلان الثاني ، وولي مكانه اخاه ﴿ ١٤ . بادي ابن مسمار ﴾
 ﴿ ١٥ . عبد الله الرابع ود عجيب ﴾ الذي قتله الشيخ ادريس في ايام « ٢٦ .
 الملك بادي سنة ١٢١٥ هـ

﴿ ١٦ . ناصر ود الامين ﴾ الذي ذهب الوزير محمد عدلان لقتاله سنة ١٢٢٥ هـ
 ﴿ ١٧ . امين الثاني ابن ناصر ﴾
 ﴿ ١٨ . ناصر ود عجيب ﴾ الذي عزله اسماعيل باشا في مايو سنة ١٨٢١ م
 وقد كانت للعابدلاب المقام الاول عند ملوك الفونج كما تقدم وكانوا اذا اراد
 احدهم الدخول على ملك الفونج يستأذنه اولاً في ذلك فاذا اذن له تمنطق بثوبه
 ورمى سلاحه عند الباب ودخل عليه وقال أنا فلان فيعيد الملك اسمه ثم يقول الشيخ
 مخاطباً الملك « طويل العمر » وهو لقب ملوك الفونج فيقف الملك ويأخذ يده ويقول
 « مرحباً بالبان بايده تين سيده » اي مرحباً بالذي بان بفعل يده أو بسيفه
 فهو ثانٍ لسيدته ثم يأمره الملك بالجلوس فيجلس في الارض . وهكذا كان يتأدب
 لهم المشايخ والملوك الذين هم دونهم لكن اللقب الذي كانوا يخاطبونهم به هو « مانجل »
 وكان اذا زار احدهم فقيه او عالم يدخل عليه باسطاً يديه للدعاء فيقول الفاتحة
 ثم يتقدم ويقبل يد الشيخ ويرجع القهقري فيأمره الشيخ بالجلوس فيجلس على فراش
 فوق الارض احتراماً للدين . وكان النساء اذا التقين باحد مشايخ العابدلاب في
 الطريق كشفن عن رؤوسهن وخلعن نعالهن الى ان ينصرف

وكانوا اذا توفي شيخهم اختاروا شيخاً آخر وأخذوه الى ملك سنار فيؤيده
 لهم كما كان مشايخ العابدلاب يؤيدون المشايخ والملوك الذين هم دونهم وتحت
 سيادتهم وذلك انه كان اذا مات لهؤلاء ملك اجتمع اهل قبيلته واختاروا لهم
 ملكاً يولونه عليهم واتوا به الى الشيخ فيحلق الشيخ رأسه ويلبسه « طاقة » ذات
 قرنين محشوة قطناً ويجلسه على كرسي يسمى « بالككر » ثم يخاطبه بلقب مك اي ملك

ويقول له « مبارك عليك » فيقبل الملك يده ويدعو له بخير فيأمر الشيخ بضرب النحاس اشهاراً لتأييده ملكاً على اهله وعند ذلك يتقدم اهله فيسلمون عليه بالاحترام الذي سلم به على الشيخ ويخاطبونه بلقب « ارباب » ثم يقولون « جعلك الله مباركاً علينا وتعمر البلاد بك وتكثر الخيرات على يدك » فيقول لهم « الله يعمركم ويخليكم أنا بكم مش بلاكم » ثم يعود الى قومه بالطاقة والكر اللذين انعم بهما الشيخ عليه حتى اذا ما خرج للحكم لبس الطاقة وجلس على الكر وبذلك يقال للقوم الذين يرأسهم ملك بانهم « اهل ككر وطاقة »

هذا ولم يكن ناموس الوراثة للاكبر متبعاً على اضطراد في مملكة سنار بل كان الفونج يولون على القبائل من كان اكثر موافقة لسلطانهم واقدر على جمع الزكاة وتقديم الهبات



الفصل الثالث

في

الممالك والمشيجات التي خضعت رأساً لملوك الفونج

﴿ مشيخة خشم البحر ﴾ قامت على شرق النيل الازرق بين رتقه والرصيرص ومركزه رتقه وقد عرفت ببلاد خشم البحر أو فم البحر لان بحر النيل لا يصلح للسفر منها جنوباً بسبب شلال الرصيرص . قيل ولمشايجها نسبة من جهة الرحم مع الفونج وهم في الاصل قواسمة . وقد مر بنا ذكر اربعة منهم في تاريخ الفونج وهم :

١ . احمد ود علي ﴿ وهو جد مشايخ خشم البحر ولذلك يعرفون ايضاً بأولاد احمد كما عرف الهمج بأولاد محمد

٢ . صاحي ود عدلان ﴿ وكلاهما عاشا في ايام « ٢٠٠ . الملك عدلان الثاني

٣ . الشيخ محمد كتور ﴿ وقد سميت هذه المشيخة ايضاً بالكاتير نسبة اليه

٤ . الشيخ ضرار اخوه ﴿ وهو الذي قتله محمد عدلان آخر وزراء الهمج

﴿ مملكة فازوغي ﴿ قامت في جنوبي مشيخة خشم البحر وامتدت من الرصيرص

الى فداسي وعاصمتها فازوغلي . قال كايو : « كان طولها ٣٠ غلوة ومن بلادها المشهورة
بلدة فداسي على نهر يابوس من فروع النيل الازرق يأتيها من الحبشة الخيل والحديد
والسكاكين والفؤوس والفهود والعسل والبهارات ويأتيها من دار البرتات الثبر .
ودين اهلها الاسلام ولغتهم العربية الا انه كان يسكن بينهم الكثير من سكان دار
البرتات وعبد الاوثان وقد تولى هذه المملكة عائلة من سلالة الفونج وكان لباسهم
كلباس ملوك الفونج وما كان يركب الخيل الا هم . وهذه هي سلسلة ملوكها كما
اخذتها عن ملكها الاخير الملك حسن عند تسليمه لاسماعيل باشا يناير سنة ١٨٢٢ :
سلسلة ملوك فازوغلي »

اسماء الملوك	تاريخ	اسماء الملوك	تاريخ	حواشي كايو
١ كلاح	٥٠	١٠ ادرا	١٥	
٢ يمبي	٤٠	١١ مطرا بنه	١٦	
٣ ادريس ابنه	٣٠	١٢ فنقرو ابنه	١٦	
٤ جابر	١٥	١٣ قلوبس ابنه	١	قتله اخوه
٥ جابر الثاني ابنه	٢	١٤ قمو اخوه	٢	
٦ زققر ؟	١	١٥ قبار	٥	
٧ روبا	٢	١٦ اموشت اخوه	١	قتله عدلان
٨ امبدي ابنه	٤	١٧ حسن ابن مطر	١٢	عزله اسماعيل
٩ اتورو ابن جابر الثاني	٣	مجموع ملكهم	٢١٥	

﴿ مشيخة الحمة ﴾ قامت على الدندر شرق مشيخة الكماير ومركزها دبركي على
الدندر وكان مشايخها يخاطبون بلفظ « مانجل » كمشايع العابدلاب
﴿ مملكة بني عامر ﴾ قامت في الصحراء الشرقية بين البحر الاحمر وخور بركة
شرقا وغربا وبين عقيق على البحر الاحمر وبلاد الحبشة شمالا وجنوبا . وهي مؤلفة
من اربع قبائل مختلفة وهي : البجة والحاس وبنو عامر والنايتاب . قيل ان بني عامر
جاءوا من الحجاز فملكوا البجة والحاس ثم جاء النايتاب اولاد نابت من الجعليين

وملوكهم جميعاً فاتخذوا شياخة القبيلة ثم اعطاهم ملك سنار ككر وطاقيه فسموا ملوكاً ولغتهم العربية ولكنهم يعرفون رطانة البجة والحاس ورجال قبيلتهم يلقبونهم بلقب «دقل» وهو بمثابة أرباب عند ملوك العرب. وقد كانوا يمهرن نساءهم من قبائل البجة والحاس فتسمت أكثر بدنائهم باسماء مشايخ النابات واما الذين لا شيخ لهم من النابات فقد حفظ فيهم اسم البجة. وكان يمتاز ملوك النابات عن رعاياهم بلبس اقراط من الذهب في الاذن اليمنى وزن كل منها نصف أوقية لا ينزعونها الا يوم الوفاة ﴿ مملكة الحلاقة ﴾ الحلاقة قبيلة من البجة كما مرّ واما هم فيدعون أنهم من ذرية احمد الخلاق من قبيلة بني سعد مزين النبي (صلعم) ولغتهم البيجاوية ومركزهم جبل كسلة على القاش وكان بينهم وبين الهدندوة وبني عامر منذ القديم حروب وغزوات . وقد كان كبير الحلاقة يلقب شيخاً كبير الهدندوة الى ايام الشيخ «عوض مسمار» الذي تزوج بنت من العابدلاب (أو الفونج) فألبسه ملك سنار طاقيه الملك لتعزيز مقامه فبقى ملكاً الى الفتح المصري للتاكا سنة ١٨٤٠ م

الفصل الرابع

في

﴿ الممالك والمشايخات التي خضعت للفونج بواسطة العابدلاب ﴾

﴿ مشيخة الشنابلة ﴾ قامت على النيل الازرق شمالي سنار ومركزها المسلمية واشهر مشايخها الشيخ شنبول الذي قتل في ايام « ٢٠ . الملك عدلان الثاني » كما مرّ ﴿ مملكة الجموعية ﴾ امتدت في غرب النيل الكبير والنيل الابيض من عقبة فري الى الترة الخضراء ومركزها القيزان المنسوبة الى اولاد الملك المحينة . وكان لهم فروعها الجميعاب والسروراب والفتيحاب واقواهم الجميعاب

﴿ مملكة الجعليين ﴾ قامت في شمالي مشيخة العابدلاب على اتقاض مملكة مروى القديمة بين حجر العسل والدامر ومركزها شندي وكانت مملكة قوية تولاها فرع من الجعليين يعرف بالسعداب فكان منهم على رواية كايو ١٦ ملكاً حكموا ٢٣٥ سنة ؛

ملوك الجعليين في شندي حسب رواية كايو

اسماء الملوك	٢٠	اسماء الملوك	٢٠	حواشي كايو
١ سعداب دبوس	٢٠	٩ بشاره	٧	
٢ سليمان العداد	٧	١٠ سليمان ابن سالم	١٥	
٣ ادريس ابن سليمان	٣٥	١١ سعد اخوه	٢	
٤ عبد السلام	١	١٢ ادريس الثالث	٢٠	٤ . قتله فونج سنار
٥ الفحل ابن عبد السلام	١٥	١٣ سعد الثاني ابنه	٤٠	٥ . قتله الجعليون
٦ ادريس الثاني اخوه	٦	١٤ مساعد ابنه	١٣	١٢ و ٦ . قتله الكواهلة
٧ دياب اخوه	١٢	١٥ محمد الملك	١٣	
٨ قبللاوي	٣	١٦ نمر ابنه	١٧	١٦ عزله اسماعيل
		جملة ملكهم	٢٣٥	

قيل وكان الملك ادريس الثالث اقوى فرسان زمانه وما بارز فارساً الا غلبه .
وقد ولد له ولدان محمد وسعد فبعد وفاته اقتسما الدار بينهما فملك محمد البر الشرقي
في شندي وملك سعد البر الغربي في الميمة وولد لمحمد ولد سماه نمرًا وللسعد ولد سماه
مساعدًا فملك بعدهما نمر في شندي ومساعد في الميمة ودام ملكهما الى الفتح المصري
وكانت شندي قبيل الفتح المصري من اهم مراكز التجارة في السودان وفيها
سوق للرقيق يأتيه التجار من الحبشة وسنار وكردوفان ودارفور والدنكا وفريت .
وقد وصفها كايو بانها بلدة عامرة فيها نحو ٩٠٠ بيت و ٧٠٠٠ نسمة وبيوتها مربعة
الشكل وكلها طبقة واحدة الا بيت الملك فانه كان طبقتين ومطليًا بالجير . وكان
عند الملك نمر نحو ٣٠٠ فارس واربعين عبدًا مسلحين بالبنادق وهم رجاله الاخفاء
ولكن كان اذا هاجمه عدو قام الجعليون كلهم لنصرته .
وقد اشتهر الجعليون في السودان بالفروسية واقتحام الاخطار ولهم وقائع معدودة
مع الفونج والشايكية وقبائل البادية المجاورين لهم كالشكرية والكواهلة والبطاحين

حكى ان الشكرية لما حشدوا جيوشهم لمحاربة الجعليين في زمن الملك نمر كما مر
اجتمع شيوخ الجعليين من سن ستين فصاعداً وقالوا للشبان نحن نقاتلهم عنكم لانه لم
يق لنا في الحياة مطمع فان غلبناهم ارحناكم من شرهم وان غلبونا فخذوا انتم بثارنا .
فيل فلما جاء الشكرية ورأوا الجعليين كلهم شيوخاً مسنين ادركوا الحيلة وتوسط العلماء
في الصلح فصالحوهم وزوجوا الملك نمر بأخت ابي سن حبا بمصاهرتهم

وكان من عادة الجعليين في ذلك الحين انه اذا وقع قتل في بلدة اجتمع سبع
قبائل منهم بمشايعهم وقهائهم ومعهم القاتل وأهله وأهل المقتول ووقف أهل القاتل
في صف وأهل المقتول في صف تجاههم على بعد مئة متر منهم ووقف القاتل وحده
بين الصفين ثم ينظر المشايخ والفقهاء في اسباب القتل ويحكمون على القاتل بالعفو
او القصاص فان كان العفو حكوا عليه بالرحيل من البلدة حتى لا يراه أهل المقتول
وحكوا على أهله بدفع الدية وهي الف ثوب من الدمور أو ٣٠٠ الى ٤٠٠ ريال
« اوتقطة » يدفعونها لأهل المقتول اقساطاً ربما دامت سنين

﴿ مملكة الميرقاب ﴾ في شمالي الجعليين بين المقرن ووادي السنقير ومركزهم
برروهم ككر وطاقيه وقد اشتهر الميرقاب بالكرم والنباهة كما اشتهروا بالشجاعة .
وكان آخر ملوكهم الملك نصر الدين الذي حج الى بيت الله الحرام . قيل ان الهمج
اساؤوا اليه فذهب الى مصر وحرّض محمد علي باشا على فتح سنار انتقاماً لنفسه منهم
﴿ مملكة الرباطاب ﴾ امتدت من وادي السنقير الى الشاخية فيما وراء ابي حمد
وكان لهم ككر وطاقيه وكانوا في حرب دائمة مع الميرقاب الى ان كان الفتح المصري
﴿ مشيخة المناصير ﴾ امتدت من الشاخية الى الشلال الرابع ومركزها السلامة
﴿ مملكة الشايقيه ﴾ قامت على اطلال مملكة نبته القديمة وامتدت من
الشلال الرابع الى ابي دوم قشابي ومركزها مروي وهي مملكة عربية محضة . وقام في
شمالها مملكة الدفار ودقلة والحنديق وارغو وهي ممالك نوبية او عربية متنوبة .
وقد اشتهر الشايقيه في السودان بالشجاعة وحب الغزو كما اشتهروا بالضيافة والكرم
وكانوا في حرب دائمة مع ملوك النوبة

وفي اواسط القرن الثامن عشر للمسيح تجمعوا بنجيلهم ورجلهم وهاجموا ممالك النوبة فتغلبوا عليهم جميعاً وخرّبوا دنقلة العجوز وقتلوا الكثير من اهلها وتشت من سلم منهم في الجهات فسكنوا بربر وشندي وفرّ بعضهم الى كردوفان فاستوطنوها وصالحهم ملوك الدناقلة على جزية سنوية تساوي نصف دخل بلادهم . وكانوا هم يدفعون الجزية للملوك سنار حتى قويت شوكتهم واخضعوا دنقلا فامتسوا عن ادائها

﴿ الممالك ﴾ وفي اوائل القرن التاسع عشر قدم الممالك من مصر فارين من وجه محمد علي باشا فنشبت بين الفريقين حرب دامت الى الفتح المصري . وتفصيل ذلك ان محمد علي باشا بعد ان نكل بالممالك في قلعة القاهرة على ما هو مشهور في تاريخ مصر فرّ من بقي منهم في البلاد الى الصعيد وتحصنوا بجبال اسنا فتبعهم ابراهيم باشا اليها فانهزموا امامه الى السودان فنهزم من ذهب بطريق الصحراء الى شندي وسنار وهم القليل وذهب اكثرهم بطريق النيل وابراهيم باشا يطاردهم حتى وصلوا الى كشتمنه فصمدوا له وحاربوه فهزمهم الى ابريم فتحصنوا في قلعتها فشدد عليهم الحصار فخرجوا منها واستطردوا انهزمهم جنوباً حتى اتوا جزيرة ارقو وكان عددهم نحو ٣٠٠ نفر ومعهم ٣٠٠ عبد بسلاحهم فرأوا محمود العادلاناب من رؤساء الشايقية مقيماً في ارقو لجمع الجزية فقالوا له انهم سائرون الى ملك سنار فأضافهم واكرم مشواهم مدة شهر ثم اتفقوا مع رجل من عائلة الزبير المالكة في ارقو وغدروا بمحمود وقتلوه وقتلوا الكثير من حاشيته وانتشروا في البلاد يجمعون ما كان معمولاً للشايقية من الاموال وكان ذلك سنة ١٨١٢ م

وفي يناير سنة ١٨١٣ تجهزوا وساروا لغزو الشايقية في مروي فلما علم الشايقية بذلك ارسلوا فرقة من رجالهم بطريق الصحراء فأتوا الممالك من وراء قتلوا من بقي من اتباعهم في الخندق وارقوا واضطروهم الى الرجوع عن الغزو فنزلوا في مراغة وبقوا فيها الى ان جاء اسماعيل باشا فاتحاً فمنهم من سلّم له في الحال ومنهم من فرّ من وجهه الى شندي فسلم هناك وسيأتي ذكرهم بعد

﴿ مملكة الدفار ﴾ قامت في حلة الدفار المار ذكرها ودامت الى ما قبل الفتح المصري بقليل اذ خربها الشايقية وطردها اهلها منها الى جزيرة قانتي حيث لا يزال ذريتهم الى اليوم . وفي الدفار اثار قلعة قديمة وكنيسة من بقايا نصارى النوبة

﴿ مملكة دقلا العجوز ﴾ قامت على اتقاض مملكة نصارى النوبة منذ اوائل القرن الرابع عشر للمسيح فاستمرت الى ان خربها الشايقية قبيل الفتح المصري ومن اثار الاسلام جامع قائم فوق كنيسة قديمة لنصارى النوبة وفي واجهته حجر مكتوب عليه اسم فاتح دقلا وتاريخ افتتاحها وقد مر ذكره . قيل ان مؤسسها هو جد مرغني ود سوار الذهب الذي اشتهر في تاريخ الثورة المهدية

﴿ مملكة الخندق ﴾ قامت في حلة الخندق ومن اثارها جامع قائم على اتقاض جامع آخر بني على اتقاض كنيسة من عهد نصارى النوبة

﴿ مملكة الخناق ﴾ مركزها حلة الخناق وبقرها الآن اثار قصر فخيم لاحد ملوكها المدعو ود نمير قيل وكان ملوكها من ذرية الفونج

﴿ مملكة ارقو ﴾ قامت في جزيرة ارقو على اتقاض مملكة قديمة من زمن الجاهلية فحكم فيها عائلة عرفت بعائلة الزير لا تزال ذريتها باقية الى الآن واكبرهم في هذا العهد الملك طنبل والملك محمد ود الملك اللذان اشتهرا في الثورة المهدية

ومملكة ارقو هي اقصى الممالك التي خضعت للفونج من جهة الشمال اما البلاد بينها وبين الشلال الاول فقد تولاهما الكشف الاتراك على ما سيجي

واشتهر ما في البلاد الآن من اثار مملكة سنار « القب » فقد عد لي بعضهم ستين قبة قامت على مدافن الاولياء الصالحين واكثرها تزار الى اليوم وقد ذكرنا الكثير منها فيما مر . اما قصر الملك بادي في سنار فلم يبق له من اثر

وقد عرفت مملكة سنار في السودان بالسلطنة الزرقاء تميزاً لها عن السلطنة الحمراء وهي حكومة مصر

ملحق

في

﴿ تاريخ الكشف الاتراك ﴾

﴿ في سكوت والمحس ﴾

تقدم ان السلطان سليماً الفاتح بعد ان فتح مصر أرسل سرية من العساكر الى بلاد النوبة سنة ١٥٢٠م فملكوها الى الشلال الثالث . وقد مرّ بنا عن ابن خلدون ان احياء العرب من جهينة بعد الفتوح الاسلامي للنوبة السفلى سنة ١٣١٨م انتشروا فيها فكانوا شيعاً . ويظهر انه سكن بين الشلال الاول والثاني عرب الجوابرة من ذرية جابر الانصاري والغرية وهم فرع من الزناتية والكنوز جاؤا من نجد والعراق فسكنوا بين الشلال الاول والسبوع ولذلك عرفت هذه البلاد ببلاد الكنوز الى اليوم . وسكن في بلاد سكوت بين الشلال الثاني وجبل دوشة بعض الاشراف . وفي المحس بين جبل دوشة والشلال الثالث قوم ينتسبون الى عرب قريش وقد اسسوا مملكة في جبل سامي دامت الى الفتوح المصري كما مرّ . وكان ملك المحس في ايام الفتح المصري الملك صبير جد الملك صبير كبير المحس في هذه الايام وقالوا في سبب دخول العساكر التركية الى النوبة ان الجوابرة استقوا على الغرية فارسل هؤلاء رسلاً الى السلطان سليم فبعث معهم سنة ١٥٢٠ سرية من عساكر بوسنيه تحت قيادة حسن قوسى فطردوا الجوابرة الى دقلة حتى لم يبق منهم الا القليل في حلفا والدر فرموا القلاع القديمة في اسوان وابريم وساي واقاموا فيها ولما كانت البلاد لجذب ارضها لا تخرج من الاقوات ما يكفي العساكر فقد منحهم السلطان سليم هم وذريتهم من بعدهم عدة امتيازات منها انه اعفاهم من دفع الضرائب على اطيانهم ومنح كل حامية صرة تجري عليها في كل سنة من خزينة السلطان بمصر فكانت صرة ابريم وحدها اربعة اكياس اي نحو ١٠٠ جنيه وكان قوسى حسن قومنداناً للعساكر وحاكماً مستقلاً على النوبة الا انه كان

يوسل الجزية الى حاكم مصر وقد ضرب على كل ساقية ٢٤ مدًا نويًا من الحبوب
و١٢ ثوبًا من نسج النوبة المسمى قونجي . ومات حسن قوسى فتولت ذريته حكم
النوبة من بعده وجعلوا عاصمتهم الدر فعرفوا بالكشاف الغزّ

ثم ان الفونج بعد ان اخضعوا النوبة العليا سنة ١٥٠٥ م طمعوا بالنوبة السفلى
فتحروا الى الشلال الثالث وأرادوا التقدم شمالاً قيل وكان الحاكم من الغزّ في ذلك
الزمان ابن جنبلان فلما سمع بقدم جيش الفونج الى بلاده جهز جيشاً عرمرماً ووقف
لهم على الحدود قرب حنك فالتقى الجيشان وحدثت مقتلة عظيمة انتصر فيها جيش
الغزّ انتصاراً عظيماً فردّوا جيش الفونج على اعقابهم خاسرين بعد ان ملاوا الارض
من قلاهم . قيل واجتمع الدم في بركة هناك فسمي المكان بحوض الدم وبنوا
فوقه قبة فجعلوها حدّاً بينهم وبين الفونج . وهذه القصة مشهورة عند عموم اهالي
دقلا والمحس

هذا وما زالت ذرية حسن قوسى حكاماً للنوبة مستقلين عن مصر في ما عدا
الجزية التي كانوا يدفعونها الى حاكم مصر وقلما دفعوها الى الممالك ولكنهم دفعوها
الى محمد علي باشا الذي كان يحاسب بها الباب العالي

وكان على النوبة عند قدوم اسماعيل باشا لفتح سنار حسين ابن سليمان كاشف
فاراد ان يجمع رجاله ويصده عن التقدم فلم يوافقهُ اخوه حسن في هذا الرأي
فقرّ حسين بعبده (وكانوا نحو ٣٠٠ عبد) الى كردوفان ولجأ الى المقدم مسلم
وحارب معه عند قدوم الدفتردار فاتحاً ولما قتل المقدم مسلم فرّ حسين
ومعه حرم المقدم وخزينته الى سلطان دارفور فتزوج بابنة السلطان ولا تزال
ذريته هناك الى اليوم

وولى اسماعيل باشا حسناً على البلاد من اسوان الى حلفا وانعم عليه ب ٢٩٣ فدانا
و٦ اكياس دراهم . وكان الكاشف قبل الفتح المصري يتزوج من بنات النوبة قدر
ما شاء ففزع اسماعيل باشا ذلك ووضع على كل ساقية ٥٠ غرشاً ما عدا ال ٢٤ مدًا
نويًا التي ابقاها للكاشف وكان كبير كل قبيلة من الكشاف مسؤولاً عما يطلب

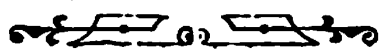
للحكومة من ابناء جنسه والنوبة . وبقوا على ذلك الى ان قامت الثورة المهدية في السودان وصارت البلاد تحت الحكم العسكري فتوقف النوبة عن تقديم ال ٢٤ مدًا نويًا للكشاف فبطل نفوذهم

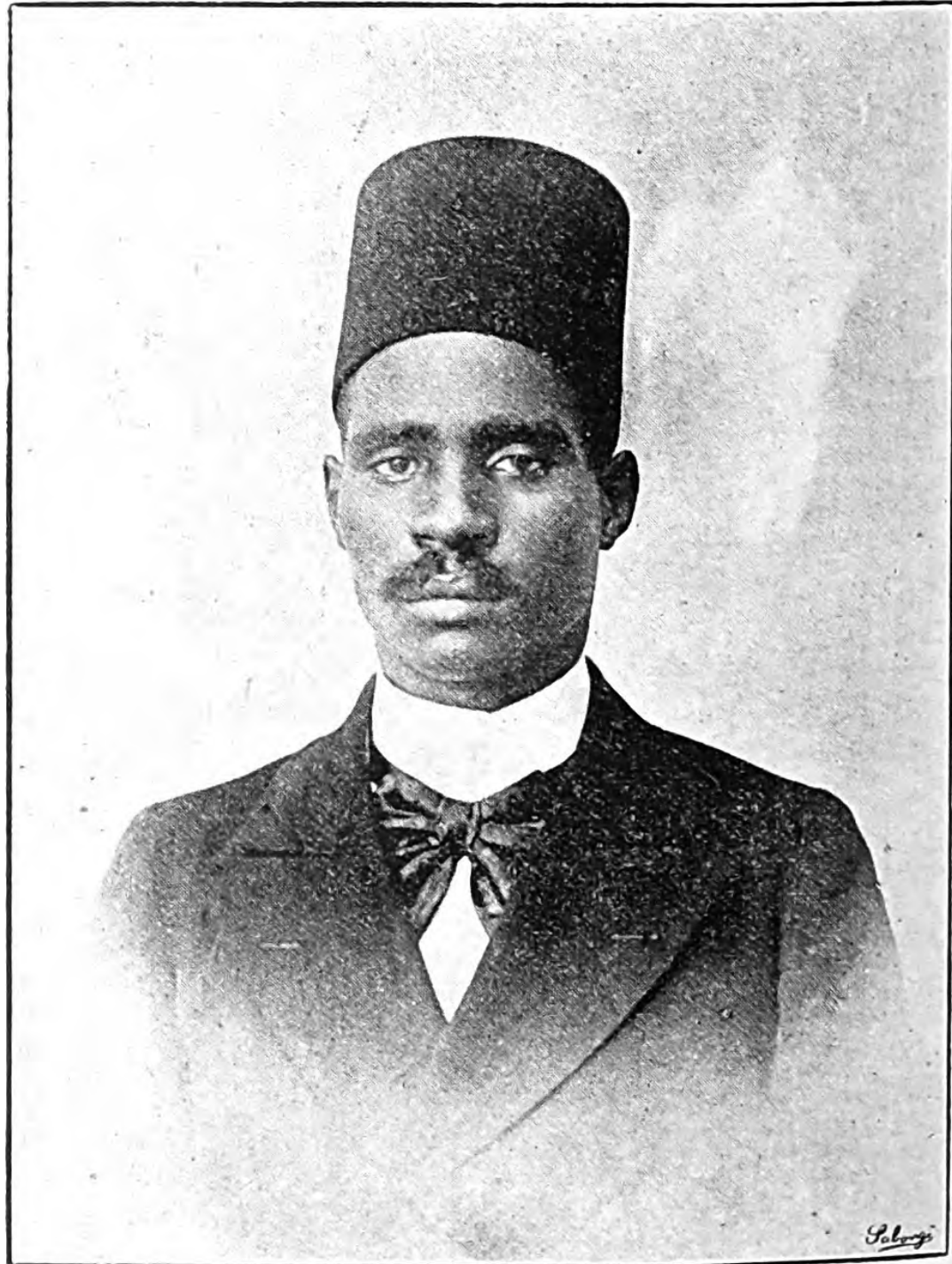
وبعد وفاة حسن كاشف تعين ابنه سليمان ناظر القسم وخلفه أخوه محمد ولم تزل الاراضي التي وهبهم اياها اسماعيل باشا بيد كبير ذريتهم محمد ابن سليمان كاشف الى هذا العهد

هذا في حسن قوسى وذريته اما عساكره فلم تزل ذريتهم مقيمة في اسوان وابريم وسايه وقد اختلطوا بعرب الجوابرة والغربية فتزوجوا منهم وتعلموا لغة النوبة ونسوا لغتهم ولكنهم ما زالوا متميزين عن النوبة الاصليين في الهيئات والاخلاق الى اليوم

واهم ما في بلاد سكوت والمحس من آثار هذا العهد قلاع متهدمة من الطوب الني والحجر الخام قائمة على تلال مرتفعة في جُزر النيل او على شاطئيه وبعض هذه القلاع عبارة عن حوش كبير محاط بسور منيع ارتفاعه نحو خمس عشرة ذراعاً وعرض اساسه نحو ثلاث اذرع وللصور اربعة ابراج في كل ركن برج علوه نحو خمسين ذراعاً يصعد الى اعلاه بسلم . وقد شاهدت بعض هذه القلاع في الحملات النيلية فسألت شيوخ اهل البلاد عنهم فقالوا كان الاهلون قبل الفتح المصري في انشقاق دائم ودأبهم شن الغارة بعضهم على بعض فكانت كل قبيلة تبني قلعة تعرف باسم دفي حتى اذا ما اغارت عليها قبيلة اخرى جمعت نساءها واولادها وبهائمها واموالها وحبوبها الى حوش القلعة وصعد الرجال الى الابراج ورموا العدو بالمقلاع والنشاب أو خرجوا له وقاتلوه بالنباييت والحراب والسكاكين وخرج معهم النساء يحملن لهم الزاد ويحمسهم على القتال فلما كان الفتح المصري عم الامن البلاد فلم يعد لهذه القلاع من داع فأهملت وادرکها الخراب

وقبل التقدم الى الفتح المصري نأتي على تاريخ دارفور القديم فنقول :





الامير عبد الحميد
نجل السلطان ابراهيم سلطان دارفور الاخير

الباب الخامس

في

تاريخ سلطنة دارفور

منذ اول نشأتها الى الفتوح المصري أي منذ سنة ٨٤٨ : ١٢٩١ هـ - ١٤٤٥ : ١٨٧٥ م

تمهيد في اصل سلطنة الفور

لقد اجمعت التقاليد السودانية على ان سلطنة الفور هي من اصل عربي والذي عليه البعض وتدعيه سلالتهم الى اليوم انهم من بني العباس . ولهم في ذلك رواية لطيفة تختلف في التفصيل بحسب الرواة وتتفق في المغزى . وأشهر ما رووه ان الامراء العباسيين بعد انقراض دولتهم ببغداد سنة ٨٢٣ هـ ١٤٢١ م تفرقوا في بلاد المشرق فذهب منهم شقيقان الى تونس الغرب ومعهما نفر من الاعراب وكان اسم اكبرهما علياً وأصغرهما احمد سفيان وكان علي متزوجاً بامرأة ذات جمال واحد سفيان عازباً ولكنه كان آية في الجمال فأحبته امرأة اخيه حباً لم يسعها معه الكتمان فكشفتها بحبا فانكر عليها ذلك وعذلها ولكنه وعدّها ان يكتّم سرّها اما هي فاشتعلت غيظاً من إبلائه وعزمت على الانتقام منه فأتت زوجها ذات يوم وقالت اني جئت بك بأمرٍ حل لا يحسن كشفه فأقسم لي انك لا تبوح به لاحد فأقسم لها فقالت ان شقيقك احمد براودني عن نفسي وانا انتهره وازجره وهو لا ينزجر فعظم هذا الخبر جداً على علي واغتم لاجله غمّاً شديداً ولكنه لم يصدق ما قالته له امرأته على علاته لانه كان يحب أخاه محبة فائقة ويثق بعفاه وشهامته فبقى مرتاباً في الامر . وكان احمد لما رأى ان امرأة اخيه استاءت منه جعل يتلطف لها ويترضّاها فرأى اخوه منه ذلك قوي الريب فيه وصدق ما قالته له زوجته فاسودّت الدنيا في عينه وكره اخاه وزوجته والارض التي كان نازلاً فيها فأمر ان تقوّض خيامهم ورحلوا من تلك

الارض وتأخر في الطريق مع اخيه وهو يفكر بالذي يفعله فأبت نفسه ان يكشفه
بسر زوجته ولم يطاوعه قلبه على قتله فقرّر رأيه ان يعقره برجله فيسمه بوسم يؤنبه
ما دام حيّا فاستل سيفه وفاجأه بضربة في رجله اليمنى فعرقه وتركه يسيل منه
الدم ولحق بقومه وادرك احمد سفيان سبب غدر أخيه به ولكنه كان من الافة على
جانب عظيم فلم يفه بنت شفة بل صبر على الضيم وجلس ينتظر الموت والدم ينزف
من عقر رجله ولهذا سمي احمد سفيان المعقور . ثم علم به عبيده وخاصة فاجتمعوا
حوله وعالجوه حتى برئ جرحه فسار بهم بطريق الصحراء مهاجراً بلاد تونس حتى
أتى جبل مرّة من اعمال دارفور

وكان في ذلك الجبل أمة من شبه السود يقال لهم « الفور » عليهم ملك منهم
يسمى شاو دورشيت فكان هذا الملك عريقاً في الهمجية ولكنه كان كريم الطبع حسن
النقد فلما علم بقدوم احمد أحضره لديه فأعجبه عقله وادبه فعهد اليه في تدبير منزله
وسياسة مملكته فأحسن احمد السياسة وعلم رجال حاشية الملك آداب السلوك ثم
التفت الى المملكة فنظم احوالها وأصلح امورها فأحبه الملك حباً شديداً ولم يكن له
الآن بنت واحدة فزوجّه بها فولدت له ولداً سماه سليمان فشبه ثاقب الفكر سديد
الرأي حسن السياسة محباً للخير والاحسان فأحبه اهل الجبل والفوه . وتوفي ابوه
احمد سفيان في حياة جده السلطان شاو دورشيت ثم توفي جده فنأدى به اهل
الحلّ والعقد باجتماع الكلمة سلطاناً عليهم وبايعوه على السمع والطاعة وكان ذلك
سنة ٨٤٨ هـ ١٤٤٥ م فأقام في عاصمة جده في جبل مرّة وكان اول سلاطة السلاطين
العربية الذين تولوا دارفور نحو ٤٤٣ سنة الى ان دخلت في حوزة الحكومة المصرية
الخديوية عن يد الزير رحمت باشا كما سيجي

هذه هي رواية اهل السودان في أصل سلطنة الفور وهي لا تخرج عن حد
الروايات الموضوعة التي يكثر امثالها في السودان فانه ما من قبيلة أو مملكة عربية
اشتهرت في السودان الا رجعت في نسبتها الى النبي أو الصحابة أو من اتصل بهم
وفي المشهور ان دارفور كانت في ذلك الزمن سلطنات متفرقة من السود وشبه

السود وفي جملتها سلطنة الفور في جبل مرة وكان العرب المسلمون قد هاجروا اليها من مصر أو تونس أو الحجاز أو منها جميعاً وملاً وادنها وبواديها ولم يكن لهم سلطان واحد يرجعون اليه بل كانوا قبائل شتى تحت حكم سلاطين البلاد الاصيلين فلا يعد ان يكون سلطان الفور في ذلك الحين قد أعجب بنجاة شاب من شبان العرب العريقين في النسب فزوجهُ بابنته فولدت منه سليمان فأسس السلطنة التي فيها كلامنا . على ان عامة اهل دارفور يرجعون في انسابهم الى ابي زيد الهلالي الذي اشتهر في تونس



الفصل الاول

في

تاريخ سلاطين الفور

١ . السلطان سليمان الاول سنة ٨٤٨ : ٨٨٠ هـ — ١٤٤٥ : ١٤٧٦ م
هو رأس سلاطين الفور المار ذكره . قيل انه لما تولّى السلطنة لم يكن في جبل مرة مساجد للعبادة فبنى المساجد واقام صلاة الجمعة والجماعة ثم شرع في ضم كلمة المسلمين واستعان بعرب البادية المنتشرين في البلاد فأخضع ملوك شبه السودان المحيطة بجبل مرة الى سلطانه وعلمهم دين الاسلام . واخضع بعض ملوك السود البعيدين عن جبل مرة فبقوا على الوثنية . فأصبحت دارفور كلها سلطنة واحدة لمن يتولاها من ذرية السلطان سليمان الى يوم انقضائها

وكان جملة الذين خضعوا للسلطان سليمان وبقوا الى عهد خراب السلطنة ٢٧ ملكاً سبعة مجوس من السود والباقون مسلمون من شبه السود
أما سلاطين المجوس فهم سلاطين كاره ودقو وفقرو وبه وباه وفروقي وشالا وكلهم في بلاد فرتيت الى الجنوب الغربي من دارفور
واما ملوك المسلمين فهم : البرقد والتنجر وكبتقه والميمه والمسبعات في الشرق من جبل مرة . والمراريت والعورة وسميار والمساليق والقمر وتامه والجبلالوين

واب درق وجوجه وأسمور في الغرب والشمال الغربي • وزغاوه كبا والميدوب في الشمال والشمال الشرقي • والبيقو والداجو ورتقا في الجنوب والجنوب الغربي ذلك ما عدا القبائل العزية الذين جمع كلمتهم واستنصر بهم وأهمهم : الهبانية والزيقات والمسيرية والتعايشة وبنو هلبه والمعالية في الجنوب • والحر في الشرق • والزيادية في الشمال • والماهرية والحاميد وبنو حسين في الغرب

وكانت مدة السلطان سليمان ٣٢ سنة هـ وجاء بعده من سلالة:

- ٢ • السلطان عمر ٨٨٠ : ٨٩٧ هـ — ١٤٧٦ : ١٤٩٢ م
- ٣ • السلطان عبد الرحمن ٨٩٧ : ٩١٦ هـ — ١٤٩٢ : ١٥١١ م
- ٤ • السلطان محمود ٩١٦ : ٩٣٢ هـ — ١٥١١ : ١٥٢٦ م
- ٥ • السلطان محمد بصول ٩٣٢ : ٩٥٧ هـ — ١٥٢٦ : ١٥٥١ م
- ٦ • السلطان دليل ٩٥٧ : ٩٦٧ هـ — ١٥٥١ : ١٥٦٠ م
- ٧ • السلطان شرف ٩٦٧ : ٩٩١ هـ — ١٥٦٠ : ١٥٨٤ م
- ٨ • السلطان احمد ٩٩١ : ١٠٠١ هـ — ١٥٨٤ : ١٥٩٣ م
- ٩ • السلطان ادريس ١٠٠١ : ١٠١٣ هـ — ١٥٩٣ : ١٦٠٥ م
- ١٠ • السلطان صالح ١٠١٣ : ١٠٣٥ هـ — ١٦٠٥ : ١٦٢٢ م
- ١١ • السلطان منصور ١٠٣٥ : ١٠٤٨ هـ — ١٦٢٢ : ١٦٣٩ م
- ١٢ • السلطان شوش ١٠٤٨ : ١٠٦٨ هـ — ١٦٣٩ : ١٦٥٨ م
- ١٣ • السلطان ناصر ١٠٦٨ : ١٠٨٠ هـ — ١٦٥٨ : ١٦٧٠ م
- ١٤ • السلطان توم ١٠٨٠ : ١٠٩٤ هـ — ١٦٧٠ : ١٦٨٣ م
- ١٥ • السلطان كورو ١٠٩٤ : ١١٠٦ هـ — ١٦٨٣ : ١٦٩٥ م
- ١٦ • السلطان سليمان الثاني ١١٠٦ : ١١٢٦ هـ — ١٦٩٥ : ١٧١٥ م

ومن الرواة من لا يعترف بالسلطين السابقين لهذا السلطان ويؤكدون أنه هو اول سلاطين الفور بعد ان سرى الدم العربي فيهم ويلقبونه بسليمان صولون أي العربي وينسبون اليه كل مانسب الى السلطان سليمان الاول ويجعلون ١٥٠ السلطان

كورو ، في مكان شاو دورشيت ويؤيدون قولهم بأختام سلاطين الفور المتأخرين
حكم السلطان ابراهيم الاخير. والسلطان حسين من قبله فان نسبتهم في اختامهم
تنهي الى السلطان سليمان الثاني هذا كما ستري . ولكن الامام الذي أخذنا عنه
سلسلة سلاطين الفور ومعظم تاريخهم يؤكد ان اختام السلاطين الأول ترجع
نسبتهم في اختامهم الى ما وراء السلطان سليمان الثاني وان لقب صولون هو لسليمان
الأول وقد نسبوه الى سليمان الثاني جهلاً

﴿ ١٧ . السلطان موسى ابنه ١١٢٦ : ١١٣٨ هـ — ١٧١٥ : ١٧٢٦ م ﴾

وكان على مثال أبيه في العدل والاحسان

﴿ ١٨ . السلطان احمد بكر ابنه ١١٣٨ : ١١٥٨ هـ — ١٧٢٦ : ١٧٤٦ م ﴾

وقد اشتهر بكثرة الاولاد قيل كان له نحو مئة ولد

﴿ ١٩ . السلطان محمد دؤره ابنه ١١٥٨ : ١١٧٠ هـ — ١٧٤٦ : ١٧٥٧ م ﴾

ولم يكن أكبر اخوته بل كان ثانيهم فقتل اخاه الأكبر ليخلو له الملك فلما ملك
شرع في قتل باقي اخوته ليخلو الملك لاولاده من بعده قيل فلما رأى نساء أبيه
انه شرع في قتل اخوته جعلن لاولادهن الذكور « كنافيس » وألبسنهم لبس
البنات ليحجبهم عن عينه ومع ذلك فقد قتل منهم نحو الحسين

﴿ ٢٠ . السلطان عمر الثاني ابنه ١١٧٠ : ١١٧٧ هـ — ١٧٥٧ : ١٧٦٤ م ﴾

وكان من أعدل سلاطين الفور وأشد هم محافظة على الكتاب والسنة . ومما يروى
عن عدله انه بعد توليه الملك بثلاثة ايام خرج الى مجلس خاصته وسأهم أن يولوا
أحد أعمامه في مكانه قال لان طاقة الملك يعني بها مسؤولية الملك ثقيلة فرفضوا
ذلك باتاً وأبوا الا ان يكون هو السلطان فقال لهم اذا انتظروني اسبوعاً فأخبركم بما
أريد فخلا أسبوعاً في منزله ثم خرج معه قرون من الحشب تمثل قرون الغنم
والبقر وقال لهم أريد ان يعم الامن ويبطل التعدي حتى تسلم ماشية أضعف النساء
وتنمو قرونها فتصير مثل هذه القرون . ثم التفت الى الحكام وقال أريد ان تعدلوا
في الرعية لكي لا يجيئ أحد منهم اليّ بشكوى . فلم يمض الا القليل حتى جاءت

الشكاوي على ٣٠ عاملاً من المقاديم والشراتي والجنود فأحضرهم اليه ولما تحقق ظلمهم امر فذبحوا عند بابي داره ١٥ منهم عند باب الحريم و ١٥ عند باب الرجال فوقعت الرهبة في قلوب الجميع وانقطع الظلم . قيل وقد بارك الله في البلاد بسببه حتى أتأمت الابل والبقر والحمر وغزرت الينابيع في جبل مرة وجرت الانهار فلقب بسرف أي الماء الجاري

﴿ ٢١ . السلطان ابو القاسم عمه ١١٧٧ : ١١٨١ هـ — ١٧٦٤ : ١٧٦٨ م ﴾
 قيل وفي ايامه خرج رجل عربي صالح من كردوفان يسمى عبد الكريم الى دار وداي وكانت اذ ذاك يد التُّنجر فاغتصبها منهم وكانوا قبلاً يدفعون الجزية الى سلاطين الفور فلما تولى عبد الكريم أبي دفع الجزية فجرّد السلطان ابو القاسم جيوشه عليه وواقعه واقعة شديدة ولكن اختلفت كلمة جيشه فقتل بنفسه الى ساحة القتال فخرج وانقلب راجعاً الى دارفور فمات في دار تامه فحملة رجاله ودفنوه في مدفن اجداده في جبل مرة وخلفه :

﴿ ٢٢ . السلطان تيراب اخوه ١١٨١ : ١٢٠١ هـ — ١٧٦٨ : ١٧٨٧ م ﴾
 وكان له ثلاثون ولداً ونيف من الذكور البالغين ما عدا الصبيان والبنات وقد أطلق لهم العنان ففارقوا في البلاد يعيشون ويفسدون وما تركوا شيئاً نفيساً عند أحد الا اغتصبوه منه وكان أحدهم مساعد لا يتحرك الا راكباً على ظهور الرجال فكان اذا أراد الانتقال من بلدة الى أخرى اتقى عدداً من رجالها الاشداء فحملاه بالتناوب الى المحل الذي يقصده حتى ضاقت نفوس أهل دارفور منهم ورفعوا الشكوى الى أبيهم فما أصغى اليهم وقال اني لا عجب كيف ان ريعتي لا تصبر على اولادي فاذا أتوا أقل شيء لا يرضيهم شكوهم الي ! فامتنع الناس عن الشكوى وسلموا أمرهم الى الله وكان اسحق اكبر اولاده انجبههم وأحبهم اليه فأطلق عليه اسم الخليفة لانه اراد ان يرشحه للملك بعده وجعل له حاشية من الوزراء والاتباع مثل حاشيته فجعل أبناء وزرائه وزراء لابنه وابناء اتباعه اتباعاً لابنه وكان له زوجة يحبها ويراعها ولها ابن منه يسمى احمد فطلبت اليه أن يرشح ابنها للسلطنة بدلاً من اسحق

قال لها تيراب نمتحن الاثنين امامك فالذي نجده افرس من أخيه نرشحه للسلطنة
فرضيت أم احمد بذلك فبعث السلطان في طلب الاثنين الى غرفته الخصوصية وكان
للغرفة بابان باب للرجال وعليه اسدان مقيدان بالحديد في كل جانب اسد وباب
للحریم ليس عليه شيء فلما اقترب الولدان من باب الرجال نظر أحمد الى الاسدين
فتمول عنهما ودخل من باب الحریم واما اسحق فانه دخل من باب الرجال بين
الاسدين وكان دخوله حبوا على عادة الدخول الى السلطان فمزق الاسدان ثيابه
وشرط جسمه بأظافرها وهما يلاعبانه كعادة الاسود الاليفة فلم يعبا اسحق بهما
ودخل على أبيه فسلم عليه وكذلك سلم عليه احمد فسألها بعض الاسئلة ثم أمرها
بالانصراف فخرج كل منهما من الباب الذي دخل منه وكانت أم احمد جالسة مع
السلطان تشاهد ذلك فالتفت اليها السلطان وقال من منهما يستحق الخلافة ويؤمن
على الملك قالت « لا والله ابنك اسحق فانه رجل واما ابني فقد اخجلني »

وكان كرسي سلطنة الفور الى هذا العهد في جبل مرة فنقله السلطان تيراب
الى بلدة شوبة قرب بكبيّة حيث بنى منزلاً فاخراً ومسجداً فخياً من الطوب الاحمر
وأقام فيها آمناً مطمئناً حتى خرج عليه المسبعات في كردوفان فجهز لقتالهم

اما المسبعات ففي المشهور انهم هم وسلاطين الفور من جد واحد قيل ان
السلطان سليمان صولون المتقدم الذكر لما تولى دارفور كان له أخ يدعى مسبع فتولى
كردوفان وتعاهد الاثنان على ان يقنع كل منهما بملكه فلا يطمع بملك الآخر فعاشا
سلام وامان الى ان توفيا ودام هذا الحال في ابنائهما الى ايام السلطان تيراب وكان
من ذرية مسبع على كردوفان في ذلك الوقت السلطان هاشم وكان شجاعاً محباً
للحروب والغزوات فغزا السروج والعرب البادية الذين على حدود دارفور فقهرهم
فسوّلت له نفسه اخضاع دارفور فجمع جيشاً من السود مؤلفاً من عشرة آلاف
مقاتل وجيشاً آخر من العرب الدناقلة والكبايش والرزقات وبدأ بشن الغارة على
حدود دارفور فقتل وغنم وسبي فلما علم تيراب بذلك كتب اليه ما معناه :

« الى ابن العم المكرّم السلطان هاشم سلطان كردوفان اعزّه الله »

اما بعدُ فاني لا اعلم السبب الذي يحملك على غزو بلادني مع ما هنالك من صلاة القربى وعلاقات المودة التي تربطنا ولم يكن مني ما يكدر صفاءها وأنت تعلم ان هؤلاء الذين تغزوهم هم مسلمون مثلك يعبدون الله ورسوله وما من عاقل يفعل ما أنت فاعل فعند وصول كتابي هذا ارجو ان تكف عن العداء رفقاً بالرعية وتذكر ان الظالم ينال جزاء فعله والسلام . فلم يلتفت السلطان هاشم الى هذا الكتاب بل عاد الى ارسال السرايا لغزو الحدود فتيقن السلطان تيراب اذ ذاك انه لا يرجع الا بالسيف فجهز لقتاله بكل قوته وآلة حربيه ولم يشأ ان يخلي العاصمة من السكان فأعتق مئة عبد بنسائهم وأمر رجاله فأعتق كل منهم عبداً أو أكثر بنسائهم وجعل اكبر عتقائه حاكماً على المدينة وعتيق امامه الحاج عبد الغني اماماً للمسجد ونهض بجميع جيوشه قاصداً كردوفان فنزل بمحل يقال له ريل في بلاد البرقد وبني له زريبة من شوك وبني في داخلها منازل من الطين وشرع في الاستعداد للحرب وجرى للسلطان تيراب وهو يتأهب للحرب في ريل حكاية مع احد البرقد تستحق الذكر قالوا خرجت جارية من جواري السلطان الى بئر قرية من الزريبة لتستقي فراها رجل من البرقد فهام بها وطلب حضانتها في منزلها على جاري عادة أهل تلك البلاد فقالت له ومن أين لك ذلك وأنا في زريبة السلطان قال دليني على محلك في الزريبة وأنا اعلم كيف ادخل اليه فدلته ولما جن الليل جاء الى الزريبة واقتلع الشوك من بعض جهاتها البعيدة عن الخفاء وذهب الى حيث دلته الجارية وجلس ينتظر قدومها فاتفق ان السلطان خرج في ذلك الوقت من مخدعه يتمشى في الزريبة فرأى الرجل امام باب الجواري فقال له من انت ايها الرجل وما جاء بك الى هذا المكان فأخبره بقصته على التمام فطلب تيراب الجارية فحضرت وهي ترتعد خوفاً فأمنها وسألها عن الحقيقة فأجابته بما قاله الرجل فلما تحقق خبرها سمح لها بالمحاضنة . وفي الغد عقد مجلساً من كبار دولته وقص عليهم خبر الرجل وطلب الحكم عليه فحكم البعض بقتله والبعض بسجنه والبعض بجلده فقال السلطان رأيي على الضد من رأيكم فان مثل هذا الرجل لا يُقتل كأنه نعمة أو دجاجة ولا

يهان بسجن أو بجلد بل يربي للحروب والقتال فانه لو لم يكن شجاعاً مقداماً لا يعرف الخوف ما أقدم على الدخول الى منزلي بهذه الجرأة وفي الحال امر له بجواد وآلة حرب وعبدین وزوجه بالجارية وجعله في مصاف فرسانه

وقد طالت اقامة السلطان تيراب في ريل مصابرة للسلطان هاشم لعله يرتدع عن شن الغارة فما زاده ذلك الا تمادياً في غيّه فتحمس ثلاثة من فرسان السلطان تيراب فركبوا خيولهم وأتوا الى النحاس فضربوه وجمعوا الناس للحرب بلا استئذان السلطان وكان الوقت العصر فلبس السلطان عدة حرب وركب جواده وجاء الى مكان النحاس فسأل الفرسان عن الخبر فقالوا ان نحاس السلطان هاشم أقر آذاننا ونحاسنا ساكت فلم يعد لنا صبر على هذه الحال فاما ان نسكت نحاس السلطان هاشم ونردعه عن البغي أو نموت في هذا السبيل فقال السلطان تيراب اتبعوني اذا فتبعوه ولحق بهم الجيش فاستمر السلطان سائراً والجيش يتبعه الليل كله الى طلوع الشمس فتقدم احد الوزراء الى السلطان وقال له يا مولاي ان الجيش انهكه التعب ولم يذق زاداً فلم يصغ السلطان اليه وواصل السير الى العصر فتقدم اليه وزير آخر وقال يا مولاي ان الجيش قصر عن السير حتى الفرسان فوضع يده تحت فخذه واخرجها ملوثة بالدم وقال انظر ما جر لي ولم اتضجر وعاد الى متابعة السير فتقدم اليه إمامه الحاج عبد الغني وقال له يا أمير المؤمنين فاتنا خمسة اوقات من الصلوات المفروضة علينا ديناً فان كنت لا تقف شفقة على نفسك والجيش فلا بد من وقوفك لاداء فرض ربك في الصلوة فوقف السلطان اذ ذاك وقال لقد أوقفني بالرغم عني يا حضرة الامام . وكان على مقربة من بئر تولو فنزل عندها واستأنف الاستعداد للحملة على كردوفان فجمع عربان البادية القاطنين بلاد دارفور من ابالة وبقارة وامرهم بمراقبة الجيش بما معهم من الابل والبقر لحمل الذخائر والمؤن فهد الى الابالة حمل الماء والحبوب والى البقارة حمل باقي المؤن من العسل والسمن ولما أتم استعداداه ترك ابنه اسحق وكيلاً عنه في ريل وسار هو لقتال السلطان هاشم بجيش كثيف بهيئة مربع هائل في طليعته دادات السلطان حاملين الفؤوس

لقطع الاشواك والاشجار وتمهيد طريق الجيش . وفي ساقته مقدم الغرب . وفي
ميمينته مقدم الصعيد . وفي ميسرته مقدم الشمال . وفي القلب القوات الآتية على
الترتيب : محافظ العاصمة ومعه الموظفون الملكيون من وراء دادات السلطان الذين
في طليعة المربع . ثم قبيلة السروج حاملين الحراب والدرق . ثم قلعة السلطان من
امامه حملة النبايت ومن ورائه الياروان حاملين الحراب المكسوة باكياس من الجوخ
الملون وعن يمينه الوزراء والملوك وعن يساره اولاده واولاد السلاطين السابقين .
ثم حريم السلطان يحيط بهن الغفر من الاغوات وعليهم « أبو شيخ » مقدم الشرق
رسماً . ثم حريم كبار الجيش واغواتهن . ثم حملة العربان حاملين المؤن والذخائر
امام مقدم الغرب الذي في ساقه المربع

وكان السلطان هاشم قد علم بقدم السلطان تيراب بجيش كثيف لا قبل له
بمجاربته وتفرق عنه اكثر رجاله ففر بجاشيته وعائلته والتجأ الى ملك سنار . فسار
السلطان تيراب في أثره حتى وصل قرب أم درمان فقابله جيش العابدلاب من قبل
ملك سنار قاصدين منعه عن النزول الى النيل فأوقع بهم واقعة عنيفة وكسره شركرة
فحملوا نحاسهم المسمى بالمنصورة وفرّوا به طالبين النجاة فتبعهم جيش السلطان تيراب
بقصد الاستيلاء على النحاس فدافع العابدلاب عنه بأنفسهم دفاع الابطال حتى قتل
منهم سبعون رجلاً وفاز تيراب بنحاسهم فسرّ به سروراً فائقاً حتى انه طلاه بالذهب
من الداخل والخارج وعمل له نهوداً من الذهب وحفظه الخلف عن السلف الى
اتقضاء ملكهم . وكانوا في كل سنة يجددون تجليده بموكب حافل يجتمع فيه أهل
دارفور خاصتهم وعامتهم من جميع الانحاء وداموا على ذلك الى ان سقطت
دارفور بيد مصر فحمل الى القاهرة

ثم ان السلطان تيراب بعد انتصاره على العابدلاب نزل في أم درمان واخذ
يستعد للزحف على سنار فوجد النيل في طريقه وعرضه ٦٠٠ يرداً ونيف ولم
يكن عنده المراكب والمعدات اللازمة لاجتياز النيل فبقي هناك اشهرًا يدبر الوسائط
لاجتيازه فلم يفلح فسئمت نفوس رجاله من الانتظار واشتاقوا الى عيالهم في دارفور

فلحوا عليه بالرجوع فأقسم لهم ان لا يرجع الا برأس هاشم فاغتاضوا منه واتفقوا مع علي ود برقو والد احدي زوجاته علي قتله فاطلع تيراب على الدسياسة وقتل علي ود برقو بقي في أم درمان الى ان مرض فحملوه وعادوا به قاصدين دارفور فاشتد عليه المرض في الطريق ومات في باره فحفظوه وحملوه الى جبل مرة ودفنوه في طرة التي هي مدفن سلاطين الفور . وقد اتسعت مملكة دارفور في ايامه اتساعاً لم تراه قبل ولا بعد فكان حدها من الشمال بئر النرون في الصحراء الكبرى ومن الجنوب بحر الغزال ومن الشرق بحر النيل ومن الغرب مضيق ترجه وهو مضيق بين جبلين فاصل بينها وبين ودائي وكان طولها مسيرة ٣ اشهر على القوافل وعرضها مسيرة شهرين . وقد بنى السلطان تيراب سوراً من الطوب في أم درمان لا تزال آثاره ظاهرة هناك الى اليوم . ولم يخلفه على الملك ابنه اسحق كما دبر من قبل بل خلفه (٢٣) . السلطان عبد الرحمن اخوه ١٢٠١ : ١٢١٥ هـ - ١٧٨٧ : ١٨٠١ م ﴿

لقب باليتيم والعاقل والرشيد قيل لقب باليتيم لانه عند وفاة أبيه كان لا يزال رضيعاً وبالعاقل لانه كان عادلاً وبالرشيد لانه ارسل الى « جلالة امير المؤمنين سلطان السلاطين في الاستانة » هدية من العاج والريش فأرسل جلالتة كتاباً يشكر له هديته ويلقبه بالرشيد وهو اللقب الذي عرف به في اختتام سلاطين الفور . وقالوا في تفصيل ولايته انه لما مرض أخوه تيراب كان يطلب العلم في بلدة كريو من اعمال دارفور وكان له هناك صديق يسمى الشيخ مالكا من الفلانة فأشار عليه بالذهاب الى أخيه بحجة عيادته فاذا توفي تسنت له الفرصة للملك فسار عبد الرحمن برأي صديقه وأدرك أخاه في باره قيل فلما سمع تيراب بقدومه فرح به وقال « احضروا اليّ ابن والدي لاراه قبل موتي فانه سلطان فور بعدي » فأحضروه اليه فترحب به وأمر له بهدية نفيسة ولما توفي قام ابناء السلاطين المراققين لجيش تيراب فلدعى كل منهم الحق بالملك بعده الا عبد الرحمن فانه لم يقل شيئاً فعقد الاعيان ورؤساء الجيش مجلساً بحضرة العلماء وحلفوا ابناء السلاطين على الكتاب انهم يرضون بالذي يختارونه لهم فاختاروا عبد الرحمن باتفاق الآراء لانه كان رجلاً

عادلاً صالحاً محبوباً من الرعية فنادوه الى المجلس ووثوه سلطاناً على دارفور ثم نادوا
الباقين واحداً واحداً وأخبروهم بولايته سلطاناً عليهم فبايعوه مضطرين
وكان عبد الرحمن متزوجاً بجارية سوداء طيبة الاخلاق من قبيلة اليقو تسمى
أم بوسه وكان يحبها محبة شديدة وقد أحضرها معه الى باره قيل فلم يتم الامراء
مبايعتهم له حتى حضر عبد من منزله فقال ان سيدتي وضعت غلاماً هذه الساعة
ففرح به عبد الرحمن وقال فليكن اسمه محمد الفضل وهو الملك بعدي ان شاء الله
وكانت ولاية عبد الرحمن في رأس القرن الثالث عشر الهجري فقال اللهم اجعل
هذا القرن لي ولذريتي من بعدي وكان كذلك

ثم ان السلطان عبد الرحمن قام بالجيش الى الابيض فوضع فيها مقدوماً
يرجع باحكامه اليه واستطرد السير الى دارفور وكان عليها اسحق بن تيراب كما
علمت فرفض الطاعة له وحاربه في عدة وقائع كان النصر فيها للسلطان عبد
الرحمن وفي الواقعة الاخيرة اصابته رصاصة طائشة من رجال عبد الرحمن فأصاب
منه مقتلاً ولكنه بقي يومين حياً فدخل عليه عبد الرحمن قصد عيادته قيل فأغمض
عينيه وقال له لا أريد ان ارى وجهك الى يوم القيامة وبقي مغمض العينين حتى
خرج عبد الرحمن من الخيمة ففتحها ولم يمض الا القليل حتى مات فاستتب الملك
لعبد الرحمن وتقل كرسي السلطنة الى الفاشر الواقعة على خور تندلي على ٣٥ ميلاً
من جبل مرّة فصارت الفاشر عاصمة دارفور من ذلك العهد وبقيت الى انقضاء السلطنة
وقد نال عبد الرحمن شهرة لم ينلها غيره من سلاطين الفور الذين تقدموه وكان
له علاقة بمصر وفي ايامه انتشر العلم في دارفور واتسع نطاق التجارة وقويت شوكة
الديانة الاسلامية لانه كان عالماً ورعاً وفي سنة ١٧٩٣م زار السائح الانكليزي برون
بلاد دارفور من طريق الاربعين

ويظهر ان الممالك ضيقوا على القوافل التي كانت تأتي من دارفور وعطلوا التجارة
بينها وبين مصر فلما دخل بونابرت مصر في اواخر القرن الثامن عشر ونكل
بالممالك كتب اليه السلطان عبد الرحمن يهنئه بفوزه عليهم وهذا هو فحوى الكتاب:

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين . من سلطان دارفور السلطان
عبد الرحمن الرشيد . الى المعظم سلطان الجيوش الفرنسية ألف سلام
« اما بعد فنعلمكم ان خبر انتصاراتكم على الممالك وصل اليها فتلقيناهُ بغاية
السرور وقد اخبرنا احد الافرنج الذين اعتنقوا الاسلام بحسن معاملتكم للاجانب
فأرسلنا كتابنا هذا مع خير القافلة يوسف الجلابي وكلفناهُ أن يؤكد لكم صدق
مودتنا التي نسأل الله دوامها ونحن نوصيكم بالخير خيراً لتحموهُ هو واتباعهُ وعبيدهُ
ولكم منا ألف تحية وسلام » اه . فكتب اليه بونا برت في الجواب ما معناه :

« ١٢ مسيدور من السنة السابعة للجمهورية الفرنسية سنة ١٧٩٩ م
بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله . الى السلطان عبد الرحمن سلطان دارفور
تناولت كتابكم وفهمت فخواهُ واعلموا ان قافتكم قد وصلت في حين كنت
مغيباً في بلاد الشام أعاقب أعداءنا وأدبرهم والآن طلي اليكم ان ترسلوا اليّ مع
اول قافلة أتي عبد من العبيد الأشداء المتجاوزين السنة السادسة عشرة من العمر اذ
مرادي أن ابتاعهم لنفسي والامل ان تعزوا الى القافلة بسرعة القيام ومواصلة السير
الحثيث وها انا امرت من يلزم بمجايتها ووقايتها حيث تكون »

(الامضا) « بونا برت القائد العام للجيش الفرنسي »

« ٢٤ . السلطان محمد الفضل ابنه ١٢١٥ : ١٢٥٤ هـ — ١٧٨٧ : ١٨٣٩ م ﴿
الملقب بقمر السلاطين وكان اول اعماله انه حرّر قبيلة أمه أم بوسه البيقاوية ومنع
اخذ الرقيق وبيعه منها . قيل انه عند توليه الملك كان خاله المسمى فزاري يرعى البقر
في بلاده على ٥٠ ميلاً الى الجنوب الغربي من الفاشر فأرسلت أخته رسولاً
تبشّره بتولية ابنها على الملك فسار الرسول بالخبر على جواد مطهم واطلق له العنان
فما وصل الى فزاري حتى نهك الجواد التعب فسقط في الارض ميتاً وتقدم الرسول
الى فزاري وقال له ابشر بالخير فان ابن أختك أم بوسه قد تولّى عرش سلطنة
دارفور منذ خمسة ايام وكان فزاري اذ ذاك يسقي البقر عند حوض الماء فطار
فرحاً لهذا الخبر وضرب الحوض برجله ووزّع البقر على الحضور ثم أتى بعنكريب

ونام عليه وقال للذين حوله « احموني » فحملوه حتى اوصلوه الى الفاشر فولاه
محمد الفضل الوظيفة المعروفة بمملكة الخوال

وكان عمر محمد الفضل عند توليه الملك ١٤ سنة فوكله أبوه الى رئيس خصيائه
كرّة المعروف بلقب « ابو شيخ » وجعله قياً عليه لانه كان وزيراً صادقاً له وكان
من الشجاعة وحسن الدراية على جانب عظيم فأقام كرتة في خدمة سيده محمد الفضل
بالامانة والاخلاص كما خدم أباه حتى حدث ما غيره فاقبل عليه وذلك ان السلطان
محمد الفضل أولم وليمة لكبراء دولته فجلسوا على الموائد فثات حسب مقاماتهم كل فئة
على مائدة وكان أبو شيخ كرتة في فئة الملوك فر السلطان بالموائد لموانسة المدعوين
على جاري العادة فلما مرّ بمائدة الملوك حيّاهم بالسلام فردّ الملوك عليه السلام احسن
ردّ اما ابو شيخ كرتة فانه كان قد اكثر من الخمر وقد الواعز فالتفت الى السلطان
مازحاً وقال له « تفضل معنا » ولم يكن من عادة سلاطين الفور الاكل مع احد
فاغتاظ السلطان من دالة كرتة وتطاوله وكان يده عصى من الخيزران فضربه بها
على أم رأسه ضرباً أليماً حتى كسر العصى وطرده عن المائدة فانصرف كرتة الى
منزله من غير أن يفوه بينت شفة ولكنه حقد على السلطان من ذلك العهد ولم يعد
اليه حتى اجتمع الوزراء وترضوا السلطان فرضي عنه واعطاه هدية فاخرة فرجع ولكنه
بقي حاقدًا عليه وأخذ يسعى في ثل عرشه وتولية اخيه باسي عوض الله مكانه فاغتيال
اكثر الملوك المخالفين له ولم يبق منهم سوى الملك ابراهيم ود رماد ملك التماس
فدعاه يوماً الى منزله ليقتله فعلم بالمكيدة فاعتذر بعدم قدرته على الذهاب وسعى
حتى دخل على السلطان وقال له اعلم ان كرتة لا يزال حاقدًا عليك من يوم ضربته
على المائدة وهو يسعى في ثل عرشك وتولية اخيه باسي عوض الله مكانك وقد
استمال اكثر رجال الجيش اليه وقتل الملوك غيلة وهو يريد ان يقتلني لهذه الغاية
فقال السلطان وما دليلك على ذلك قال نرسل احد الضباط بنفر من العساكر الى
الآبار التي يستقي منها ليمنعوا عبيده الورود فاذا جاءك شاكيًا كان لا يزال على الولا
والآ فلا فاستحسن السلطان هذا الرأي وارسل ضابطًا الى آبار كرتة فكان كما ورد

احد من جماعة كروّة منعه الضابط وردّه خائباً فلما علم بذلك جمع عبيده ورجال الجيش الذين من حزبه وجاء الى الآبار فقتل الضابط ومن معه وتقدم الى منزل السلطان فدخله محارباً وكان الملك ابراهيم قد اعدّ الجيوش لمصادمته فاقتتل الفريقان الى ما بعد الغروب فنادى الملك ابراهيم ابا شيخ كروّة من وراء الجدار وقال له «حقاً انك امرأة لانك لو كنت رجلاً لم تطلب الحرب ليلاً بلا ميعاد» فقال كروّة «كنت قد نويت ان لا اخرج من هذا المكان حتى اقتلك واخلع سلطانك اما الآن وقد قلت اني فاجأتك ليلاً بلا ميعاد فلاقني صباح الغد الى ساحة القتال شرقي المدينة» قال ذلك وانصرف بعساكره الى منزله فأخذ كل فريق يجهز جيشه للغد

وكان في جيش السلطان محمد الفضل رجل كهل مشهور بالفروسية والاقدام يسمى احمد ود جراب الفيل وقد حضر عدة وقائع حربية من جملتها واقعة السلطان أبي القاسم مع ملك ودّاي فأبلى فيها بلاء الابطال وحضر الواقعة التي تقدم ذكرها فلم يُدِرْ ما كان ينتظر منه بل كان كلما قابلته كتيبة من الفرسان أعرض عنها فلما جمع الملك ابراهيم رؤساء العساكر للنظر في قتال الغد كان ود جراب الفيل حاضراً فقال له الملك ما اصابك امس يا ود جراب الفيل حتى اجمعت عن القتال أصحح ما شاع ان كروّة اشتراك بمئة رأس من الرقيق فتركت القتال فقال ود جراب الفيل المثلّي يقال هذا الكلام يا ملك ابراهيم أنا ابيع ود السلطان عبد الرحمن بمئة رأس رقيق ولكن قل لي بماذا أحارب أبسيني وقد اخذوه مني ووضعوه في خزانة سلاح السلطان أم بحصاني هذا الضعيف الخفيف الشبيه بالنعجة فان كنتم تحبون ان ترون مني حرب الرجال وتشاهدون بأعينكم ما اشتهر عني من البسالة والاقدام فأرجعوا لي سيفي وهاتوا لي فرساً يحمل الكر والفر فأريكم غداً ما يسركم فأمر السلطان باحضار سيفه فأحضر اليه ثم امر باحضار الخيول ليختار منها جواداً يعجبه قيل فكان ود جراب الفيل يقبض على ناصية الجواد ويجذبه بيده وهو جالس في الارض فيخرّ الجواد على ركبته من شدة الجذبة الى ان قبض على ناصية جواد فجذبه كما فعل بما تقدمه فنفض الجواد رأسه ورفع ود جراب الفيل حتى اوقفه على قدميه فقال ود جراب

الفيل « هذا جوادي الذي اركبه » ثم ركبته واستل السيف وقبله والتفت الى أم السلطان وقال « اعلمي ان دارفور تكون بيد ولدك لا ينازعه فيها منازع قبل ظهر نهار غد ان شاء الله » ففرح الملك ابراهيم بذلك وكان له ثلاثون ولداً من صلبه راكبين الخيول كاملية العدد فأحضرهم الى ود جراب الفيل وقال له انت رئيس اولادي هؤلاء وأريد منكم اذا التقى الجمعان في الغد ان لا تقاتلوا احداً غير كرتة فاقصدوه حيث يكون وقاتلوه حتى تقتلوه

فلما كان صباح الغد واصطف الفريقان للقتال برز ود جراب الفيل ومن معه من اولاد الملك ابراهيم قاصدين كرتة فاعترضهم اخوه باسي عوض الله قتلوه وتقدموا الى كرتة فتلقاهم بقلب لا يهاب الموت وكان لا بسا درعين من الحديد وعلى رأسه خوذة تغطيه وتغطي وجهه حتى كان لا يرى منه الا عيناه فكانوا يضربونه بالسيوف فلم يتمكنوا منه وكان هو ايضاً يكرّ عليهم ويهاجمهم مهاجمة الاسود فلم يصب منهم مقتلاً لانهم كانوا متدرعين مثله فاحتال بعضهم عليه بأن ركب على فرسه من ورائه وجندله فأطبق الفرسان عليه ونزعوا خوذته ثم حرّوا رأسه وحملوه الى السلطان فلما رأى جيش كرتة ماجرى لشيوخهم ولوا الادبار منهزمين فقبضهم جيش السلطان ونكل بهم وكان من عادة كبار الحصيان في دارفور ان يقتنوا زوجات من الارامل اللواتي لهن اولاد فيتبنون الاولاد لتنتفي عنهم مذلة الحصي ولو ظاهراً وكان لابي شيخ امرأة ولها ابن يسمى شيل فوت (أي خذ واذهب) وهو من الفرسان المدودين وكان السلطان محمد الفضل يود ان يجعله من اتباعه واعوانه فأوصى جيشه قائلاً اذا انهزم جيش كرتة وظفرت بشيل فوت فلا تقتلوه بل ائتوني به حياً فلما كان انهزام جيش كرتة ظفر بعض الفرسان بشيل فوت فتصدى لهم فأخبروه بوصية السلطان لهم ولما أمن جانبهم جاء معهم الى السلطان فأمنه وعفا عنه . ثم التفت اليه الملك ابراهيم وقال له يا شيلفوت « لأجل فضلة الطعام تحارب مثل هذه الحرب » قال ذلك لان شيلفوت كان يأكل فضلة طعام كرتة على عادة الابن مع ابيه في السودان وكان من عادة الملك ابراهيم كملك النحاس ان يوزع طعام السلطان على الجيش فأجابه

شيفوت على الفور « انت حاربت لاجل توزيع الطعام أفلا احارب انا لاجل اكله »
 واستتب الملك للسلطان محمد الفضل بعد قتل كرتة ولم يعد له معارض فتفرغ
 لتأديب العرب الذين خرجوا عن طاعته وهم بنو هلبه والعريقات والرزيقات اما بنو
 هلبه والعريقات فقد اخضعهم بالسهل اما الرزيقات فكانوا قبيلة قوية وقد طالما عصوا
 سلاطين الفور واستقلوا عنهم فصمم السلطان محمد الفضل على الايقاع بهم فجمع
 جيشاً عظيماً واحاط بيلادهم احاطة السوار بالمعصم وحصرهم واثخن فيهم وقتل كل
 رجل فيهم ولم يستحي الا النساء والاولاد فقسمهم نصفين فأرسل النصف الواحد
 الى ارض العريقات واسكنهم اياها وأبقى النصف الآخر في ارضهم واعاد لهم قسماً
 من ماشيتهم فاعطى كل ارملة قتل زوجها بقرة حلابة وثورًا

وحكى عن السلطان محمد الفضل نادر تان احدهما مع احمد ود عدلان آخر
 وزراء الهمج بسنار تدل على كرمه والثانية مع السلطان آدم سلطان ودّاي تدل على
 شهامته ؛ اما نادرته الاولى فهي ان جعلياً التقى بود عدلان في البرية خارجاً
 للقبض قبض على لجام فرسه وقال له ايها الملك اني رجل فقير وقد جاوزت سن
 الاربعين ولم أذق رائحة البخور يريد بذلك انه لم يتزوج بعد لعدم مقدرته على
 الزواج فقال له الملك تعال معي الى سنار فأعطيك ما قسمه الله لك فقال له الجعلي
 لا اتركك حتى تعطيني ما قسمه الله لي الآن لاني اذا ذهبت معك الى سنار دخلت
 منزلك وشغلت عني ولم يدخلني اليك احده ولم يكن مع ود عدلان في ذلك الحين
 الا فروة من الجلاد مفروشة فوق سرج فرسه فأعطاه اياها وقال له ادلك على واسطة
 تنال بها الغنى : تذهب بهذه الفروة الى السلطان محمد الفضل سلطان دارفور
 وقص عليه قصتك وتعطيه الفروة فان كان الله قد اغناك فهو يغنيك فحمل الجعلي
 الفروة وسار حتى وصل دارفور واستأذن فدخل على السلطان محمد الفضل وقص عليه
 قصته مع محمد عدلان واعطاه الفروة فنأدى السلطان محمد الفضل احد وزرائه وقال
 له خذ هذا الرجل الى منزلك واكرمه غاية الاكرام واثني به في الغد ففعل الوزير
 كما امره السلطان وفي الغد حضر الرجل بين يدي السلطان فسأله عما قاله له

ود عدلان فقال « قال لي خذ هذه الفروة الى السلطان محمد الفضل فان كان الله قد اغناك فهو يغنيك » فأمر السلطان وزيره بأن يعطيه أربع مئة رأس من الرقيق والابل والبقر والغنم من كل صنف مئة رأس ويأخذه الى منزله فيكرمه ويعود به اليه في اليوم الثاني ففعل الوزير كما أمره السلطان ولما مثل الجملي امام السلطان في اليوم الثاني سأله ايضاً عما قاله له ود عدلان فأعاده له فأمر له بأربع مئة رأس أخرى من الاصناف الاربعة المذكورة. وهكذا بقي الجملي يتردد على السلطان والسلطان يأمر وزيره ان يعطيه ما أمر له في اليوم الاول على عشرة ايام حتى اجتمع عند الجملي ٤٠٠٠ رأس من كل صنف الف فلما أتى به في اليوم الحادي عشر وسأله السلطان عما قاله له ود عدلان قال اطل الله بقاء مولاي وايده بالنصر على الاعداء اني قد اغتيت غناء الابد وقد نسبت الذي قاله لي ود عدلان « فضحك السلطان لقوله وقال لوزيره خذه الآن وسلمه ما وهبناه اياه وارسله مع الحرس اللازم الى بلاده واما الاصناف التي اعطيناه اياها ولا يمكن نقلها الى بلده كالبحر والغنم فبيعها واعطه ثمنها ففعل الوزير ما أمره السلطان وخرج الجملي بهداياه من ارض دارفور شاكراً حامداً وعاد الى وطنه فتزوج من اشتهاها من نساء بلده وشم رائحة البخور !

اما نادرته الثانية مع السلطان آدم سلطان ودائي وهو السلطان الثامن بعد السلطان عبد الكريم فهي ان السلطان محمداً الفضل بلغه ان عند السلطان آدم فرساً سريع الجري مشهوراً بالسبق فأرسل اليه في طلبه فجمع السلطان آدم وزراءه وشاورهم في الامر فقالوا له هذا « عشم فسيل » اي هذا رجاء باطل يشف عن احتقار واستخفاف فقال اذا ما الرأي فقالوا الرأي عندنا ان تكتب له وتقول اذا ازوجتني بأختك ارسلت اليك الفرس فكتب السلطان آدم هذا الجواب ودفعه الى الرسول فلما قرئ الجواب للسلطان محمد الفضل طار صوابه من شدة الغضب قبل وكان يده اليسرى سيف فلما وصل القارئ الى قوله اذا ازوجتني بأختك جعل ينقر السيف بسبابة يده اليمنى حتى انكسر الظفر وسال منه الدم وهو لا يدري

وعزم على التنكيل بالسلطان آدم وارغام انفه فسأل الحاضرين أتعرفون احدا هنا من
 اهل ودّاي ولو انه من عامتهم انوليه على ودّاي بدل هذا السلطان فقال له بعضهم عندنا
 بامولاي في بلدة جديد رأس الفيل جزار من دار ودّاي يسمى محمد شريف وربما
 كان من العائلة المالكة مع انه جزار لان آدابه واخلاقه تدل على كرم اصله وفي
 وجه اثر النعمة والعز فقال اثتوني به في الحال فأتوه به فقال له السلطان من انت
 يا رجل وما أتى بك الى هذه البلاد قال يا مولاي « انا محمد شريف ابن السلطان
 صالح بن خريفين شقيق السلطان آدم سلطان برقو الحالي وقد فررت من وجه
 اخي السلطان آدم خوفا على بصري لان من عادة سلاطيننا كما لا يخفى على مولاي
 انه اذا تولى احدهم الملك قلع عيون اخوته وجميع اقاربه الذين يخاف شرهم حتى
 لا يبقى له مزاحم على الملك فقررت الى هنا وفضلت ان اعيش جزارا في بلاد
 الغربة وأنا ابصر على ان اعيش في بلادى أميرا بلا بصر » . فقال السلطان محمد
 الفضل فهل لك ان تكون سلطانا على بلادك بدلّا من اخيك فقال له ومن اين لي
 ذلك يا مولاي قال لك ذلك مني ان شاء الله . ثم أمر فألبسوه حلة السلطنة وسيره
 الى ودّاي بجيش عرمرم وعليه اثنان من وزرائه واربعة من اولاده ومنهم حسين
 الذي تولى السلطنة بعده فسار محمد شريف بالجيش حتى وصل حدود ودّاي فالتقاه
 السلطان آدم بجيوشه وحصل بين الجيشين عدة مواقع دموية قتل فيها خلق كثير
 من الفريقين ولكن غلب فيها جيش السلطان محمد الفضل واخذ السلطان آدم اسيرا
 وغنم نحاسه وولى محمد شريف سلطانا على ودّاي وعاد الى دارفور ومعه السلطان
 آدم اسيرا فبقى السلطان آدم في دارفور مدة ثم تمكن من الفرار الى ودّاي فأرسل
 السلطان محمد شريف عسكريا وراءه فتعقبه وقتله وبقى لا ينازعه احد الى ان
 مات . وتولى بعده على ودّاي السلطان علي ابنه ثم السلطان يوسف اخو علي
 فالسلطان ابراهيم بن يوسف فالسلطان احمد الغزالي ابن علي فالسلطان محمد دود
 مرة اخو ابراهيم وهو السلطان الحالي

هذه رواية البعض في سبب الحرب بين السلطان محمد الفضل والسلطان آدم .

وقال بعضهم ان رواية الفرس لم تكن بين السلطان آدم والسلطان محمد الفضل بل كانت بين السلطان علي المذكور وبين معاصره من سلاطين برنو وان السلطان علياً هو الذي طلب الفرس من سلطان برنو فأجابه سلطان برنو بما هو منسوب الى سلطان ودّاي قالوا واما سبب الحرب بين دارفور وودّاي فهو ان محمد شريف المذكور جاء الى السلطان محمد الفضل يستنصره على اخيه فنصره لانه كان اميل الى دارفور من اخيه السلطان آدم

وفي ايام السلطان محمد الفضل ارسل محمد علي باشا ابنه اسماعيل بجيش جرّار لفتح سنار وصهره الدفتردار لفتح كردوفان وكان في كردوفان مقدم من قبل السلطان محمد الفضل يقال له المقدم مسلّم فتغلب عليه الدفتردار وامتلك البلاد منه بعد واقعة شديدة على ما سيجيء بالتفصيل في الفتح المصري قيل وكان السلطان محمد الفضل واجداً على المقدم مسلّم فلم يشأ ان ينصره فلما علم انه قُتل أرسل جيشاً تحت قيادة أبي الكليك فخرج له جيش الحكومة فالتقاه في سودره بين فوجه والايّض وحدثت واقعة شديدة حارب بها جيش الفور حرب الرجال حتى قتل قائدهم فانهزموا راجعين الى الفاشر فخاف السلطان محمد الفضل على دارفور وأخذ من ذلك الوقت يحشد الرجال ويستكمل العدة محافظة على سلطته . وقيل انه كتب اسماء على نية منع الحكومة المصرية من الدخول الى بلاده وجعلها في قاتم من نحاس ودفنها في الصحراء الشرقية والشمالية ولم يخف على سلطته من الجنوب حيث دخل الزبير باشا كما سيجيء

وكان لمحمد الفضل أخ يكرهه ويزاحمه على الملك يسمى أبا مدين ففر الى مصر واخذ يهون على محمد علي فتح دارفور فأرسله محمد علي الى كردوفان للسي مع مديرها في ذلك فبقي في الايّض الى ان توفي

ولما كانت سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٣٠ م ارسل محمد علي باشا كتاباً الى محمد الفضل يدعوه فيه الى التسليم فأجابه محمد الفضل بكتاب اخذنا صورته عن نسخة يد الزبير باشا بمصر وهذا نص الكتاب :

الحمد لله الذي حكم بين عباده بالحق قطعاً سبحانه يجزي كل نفس بما تسعى
واليه المعاد والرجعى وهو حسبي وكفى

من حضرة من آمن الله به البلاد وجعل ملكه مسموعاً من كل احد وصيره
في قلوب الاعداء ناراً تستعر وجرماً يتوقد وجعل الله على يده ضرب من طغى وتمرد
ومن ضلّ وتعند وهو شاب صغير السن ولو صار كهلاً لحضعت له الانس والجن
وقد اشتهر بالكرم والجود وحال بعوارضه أنجم السعود وان قامت الهيحاء بنفسه
يجود ويصل الى الاعداء بقواطع الهنود وينتصر بعون الله على كل موجود !!!
هو مولانا السلطان محمد الفضل بن عبد الرحمن الرشيد اعزّه الله

الى حضرة الكوكب العالي والنير المتلالي بهجة الانام وقدوة الليالي صاحب
الغز والافتخار اخينا العزيز محمد علي باشا سلمكم الله تعالى من المحذورات واستعملكم
بالبقيات الصالحات بمنه وكرمه

واما بعد فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته لديكم قد وصلنا جوابكم أوصلكم الله
الى رضوانه وفهمنا خطابكم ومقتضى جوابكم وكل كلمة من المرقوم يستحق جوابها
الفهم ولكن يكفى من ذلك كلمة كلام الحي القيوم حيث قال « له دعوة
الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء
ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال » « فمن كان يرجو
لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً » انكم طالبون
دولتنا وطاعتنا واتقيادنا لكم هل بلغكم اننا كفار وجب لكم قتالنا وأبىح ضرب
الجزية علينا أو غرّم قتالكم مع ملوك سنار والشايقية فنحن السلاطين وهم الرعية
أورد لك دليل من الله تجدد فيه ملكك أم ورد لك حديث من رسول الله تجدد فيه
تمليكك أم خطر لك خاطر من عقلك بأن لك رباً قوياً ولنا رب ضعيف الحمد لله
نحن مسلمون وما نحن كافرون ولا مبتدعون ندين بكتاب الله وسنة رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) ونؤدى الفرائض ونترك المحرمات ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر والذي
لم يصل نأمره بالصلاة والذي لم يزك نأخذ منه الزكاة ونضعها في بيت المال ولا

ندخرها ونرد الامانات الى اهلها ونعطي كل ذي حق حقه حتى دانت لنا القبائل
العظام ومن أتى دولتنا يرجع مكرماً باذن الله تعالى ولو اشتدت به الريح في يوم عاصف
ألم تر الى قوله (صلعم) « لو بغى جبل على جبل لك الباغى » اما علمت ان دارفور
محروسة محمية بسيوف قطع هندية وخيول جرد أدهمية وعليها كهولة وشبان يسرعون الى
الهيحاء بكرة وعشيّة ! اما علمت ان عندنا العباد والزهاد والاقطاب والاولياء الصالحين
من ظهرت لهم الكرامات في وقتنا هذا وهم بيننا يدفعون شر ناركم فتصير رماداً
ويرجع الملك الى اهلهم ويكفي من بعد ذلك والله يكفي شر الظالمين . كتبه الفقيه محمد
ود عماري من متخرجي الازهر وكان مدرّساً للسلطان محمد الفضل واولاده بالفاشر اهـ
وتوفي السلطان محمد الفضل سنة ١٨٣٨ وخلفه

﴿ ٢٥ . السلطان محمد حسين ابنه ١٢٥٤ : ١٢٩٠ هـ — ١٨٣٩ : ١٨٧٤ م ﴾

وكان معاصراً للمغفور لهما سعيد باشا واسماعيل باشا فبادلها الهدايا
والمكاتبات فكان يهدي اليهما الخصيان والريش والسن وغير ذلك من تحف دارفور
وهما يهديان اليه النفيس من تحف مصر . وقد ارسل له سعيد باشا مركبة برأسين من
جياذ الخيل وخيماً وتحفاً كثيرة اما المركبة فانه لم يركبها قط بل امر سائقها عند وصولها
بركوبها امامه فذهب بها السائق من بيت السلطان الى الجامع مسافة فرسخ وعاد
بها الى بيت السلطان فأمر السلطان بوضعها في الاسطبل فبقيت الى الفتح المصري
واما الخيل فقد قيل له انها مسحورة فتركها للعلف نحو ٥ سنين ثم وهبها لبعض خاصته .
واهدى اليه اسماعيل باشا شالات كشمير وسروج ذهب وسبح كهرمان وخرز
سوميت وغيرها من تحف مصر المستحسنة في دارفور . وكان السلطان حسين جواداً
كريماً محباً للرعية . حدثني الشيخ علي بك الخير من مشاهير التجار بدارفور وقد
عاصره قال : دخلت يوماً على السلطان حسين للسلام عليه واخذت له معي هدية
نفيسة من تحف مصر تساوي ألفي غرش فأمر لي بمئتي بعير من اكرم الابل
ولما كانت سنة ١٨٥٦ م كف بصره فطلب التحفظ على ملكه فألف جيشاً ينيف
على ١٠٠٠٠ مقاتل وسلحهم بالاسلحة النارية فكان هو اول من استعمل الاسلحة

النارية في جيش دارفور وقد كان اعتماد السلاطين قبله على السيوف والحراب والدرق والسكاكين والنشاب . وكان للسلطان حسين أخت تسمى ايا باسي زمزم اشتهرت باتساع الثروة وكان لها نفوذ تام في السلطنة

وفي ايام السلطان حسين كانت « واقعة القرطاس » المشهورة بين عربان المعالية وعربان حمر وذلك ان عربان المعالية قطعوا الطريق على قافلة آتية من مصر الى دارفور وقتلوا تجاراً مشهورين بأهل زرية عبد العزيز واخذوا اموالهم من سكر وانسجة ونحوها فغضب السلطان حسين من تعديهم وكان بينهم وبين عربان حمر عداوة قديمة فأرسل السلطان في طلب الشيخ مكي ود منعم شيخ عربان حمر وقال له اني ابحت لك دماء المعالية واموالهم فجمع الشيخ مكي رجاله وحلفاءه وغزا عربان المعالية وكانوا مشهورين بالصبر والثبات في الحروب فحدث بين القبيلتين واقعة دموية شديدة كان النصر فيها لعربان حمر فقتلوا المعالية شر قتلة . قيل وقد سميت هذه الواقعة بواقعة القرطاس لان الصحارى امتلأت من قرطاس السكر والانسجة التي نهبا المعالية من التجار

﴿ ٢٦ . السلطان ابراهيم ١٢٩٠ : ١٢٩١ هـ — ١٨٧٤ : ١٨٧٥ م ﴾

وهو آخر سلاطين الفور وكانت مدة ملكه سنة وسبعة اشهر واربعة عشر يوماً . قيل لما مرض السلطان حسين وعلم بدنو أجله اراد ان يضمن الملك من بعده لابنه ابراهيم لانه كان يحبه أكثر من جميع اخوته ولم يكن اكبرهم بل كان ابوالبشر اكبرهم فانتدب اثنين من امنائه وهما الامين بنحيت من قبيلة الميدوب ابن الوزير آدم بوش كبير الامناء والامين « خير قريب » من عيد الفريت امين الخزينة والاسلحة وأتى بالمصحف المسمى بسوار الذهب وحلفها عليه بأن يوليا ابنه ابراهيم بعد وفاته . وكان احمد شطة امير الصعيد المقيم في دارا يحب ان يولي الامير ابا البشر لانه كان متزوجاً بشقيقته وكان له صديق في الفاشر يسمى الشيخ احمد الدردير فلما اشتد المرض على السلطان حسين ارسل الدردير يخبر الوزير احمد شطة فأتى الفاشر ونزل في منزل احمد الدردير واستأذن فدخل على السلطان وسلم عليه فقال له

السلطان كيف تركت مركزك وجئت الى هنا بلا اذني قال بلغني يا مولاي خبر مرضك فأسرعت بالحضور لعيادتك فقال له ارجع على الاثر ولا تبتنّ هنا فقال سمعاً وطاعة ولكنه علم ان السلطان ماثت قريباً فترّص في الفاشر ليرى ما سيكون من الامر بعد وفاته.

وعلم الوزيران المار ذكرهما قصد احمد شطه فلما توفي السلطان اخفا خبره وارسلوا الى احمد الدردير يقولان ان السلطان حسيناً يطلب حضورك لتكتب له حجاباً فلما حضر قبضا عليه وقيده بشعبة وخباه في غرفة منفردة ثم ارسلوا يطلبان الامير ابراهيم بن السلطان حسين فأجلساه على كرسي السلطنة وطلبا الوزير احمد شطه فحضر وسلم على السلطان ابراهيم وهو يظن انه السلطان حسين فأخبراه اذ ذاك بموت السلطان حسين ووصيته لهما فما وسعه الا التسليم وقال : « ما استخدمنا السلطان حسين الا لتنصره ونصر من يجب وحيث ان السلطان ابراهيم هو ابن السلطان حسين وقد تولّى بارادة ابيه فسمعاً وطاعة لامره » فقال السلطان ابراهيم واما وقد اظهرت الطاعة فقد ثبتت على مركز في داره تقيم فيه كما كنت في حياة أبي كل العمر » فدعا له وحلف له يمين الطاعة ثم ارسلوا الى الوزراء واحداً واحداً فحلفوا له يمين الطاعة ودفنوا السلطان حسيناً في اليوم الثالث من وفاته . واما الدرديري فان السلطان ابراهيم ارسله الى كوبي وحبسه حبس عين بمنزل الحاج محمد صالح ثروة الجملي المار ذكره فبقي الى ان اطلقه الزبير باشا بعد فتح الفاشر وقد اشتهر السلطان ابراهيم بالكرم كأيّيه . حدثني علي بك الخبير السالف الذكر قال : كنت اعرف السلطان ابراهيم شخصياً قبل توليه الملك فلما تولّى كنت في مصر فأخذت له هدية ودخلت للسلام عليه فوجدت عند بابه قطعاً من الابل فيه خمسون بعيراً فقلت في نفسي ان كان هذا السلطان كأيّيه في الكرم تكون هذه الابل لي اليوم وكان كذلك فاني لم انصرف من مجلسه حتى أمر لي بها فخرجت شاكراً حامداً وبقي السلطان ابراهيم نافذ الامر والنهي في دارفور الى ان قتله الزبير باشا في بلدة منواشي في ١٤ رمضان سنة ١٢٩١ هـ - ٢٤ اكتوبر ١٨٧٥ م في واقعة



الخبير علي

دموية شهيرة وكان في قتله زوال سلطنة الفور ودخولها في حوزة مصر على ما سيحيى
وبعد استيلاء الحكومة المصرية على دارفور ألقت القبض على عدة امراء من
ذرية سلاطين الفور وارسلتهم مع بعض الاعيان الى مصر فأسكنتهم في الحي المعروف
بسوق السلاح تحت القلعة واجرت لهم « المرتبات » فعاشوا براحة وسلام الى هذا
اليوم. وبينهم الامير عبد الحميد ابن السلطان ابراهيم و١٩ آخرون من ابناء السلاطين
وكان في جملة الاعيان المرحوم الشيخ الطيب إمام جامع السلطان ابراهيم فتوفاه
الله في مصر القاهرة في ٢١ اوجسطس سنة ١٩٠٢ على نحو ستين سنة من العمر وكان
رحمه الله رحمة واسعة عالماً صالحاً ذكياً طيب الخلق نقي القلب وقد حفظ في ذاكرته
تاريخ دارفور برمته فأخذت عنه معظم ما رويته هنا عن تاريخ السلاطين وهو اقرب الى
الرواية منه الى التاريخ ولكنه افضل ما روي عن سلطنة الفور الى اليوم ما عدا الذي
رواه سلاطين باشا في كتابه « النار والسيف في السودان » ونقله « المقتطف » الاغرى
الى العربية فانه يجعل السلطان كور اول سلاطين الفور. ثم يذكر بعده السلطان
احمد المعقور الذي لم يملك في روايتنا. ثم السلطان دالي الذي هو في روايتنا احد
كبار الخصيان. ثم السلطان صولون. ومن هذا السلطان فانزلاً الى السلطان ابراهيم
تتفق سلسلتنا مع سلسلته ولكنها تختلف اختلافاً طفيفاً في تفصيل اخبار بعض السلاطين
هذا وقد ظلت بلاد دارفور في يد الحكومة المصرية الى ان كانت الثورة
المهدية فدخلت في حوزة المهديين. ولكن قام في اثناء ذلك من ذرية السلاطين الذين
بقوا في البلاد من ناصب الحكومة العداء ثم المهدية وحاولوا استرجاع السلطنة فخذلوا
والذي قام منهم في عهد الفتح الاول :

﴿ الامير حسب الله ابن السلطان محمد الفضل ﴾ ﴿ الامير بوش اخوه ﴾

﴿ الامير هارون ابن الامير سيف الدين ابن السلطان محمد الفضل ﴾

﴿ الامير دود بنقا ابن الامير بكر بن السلطان محمد الفضل ﴾

واما الذين قاموا في عهد المهدية فهم :

﴿ الامير يوسف بن السلطان ابراهيم ﴾ ﴿ الامير ابو الخيرات اخوه ﴾

﴿ الأمير علي دينار بن الأمير زكريا بن السلطان محمد الفضل ﴾ وهو القائم الآن بأمر دارفور على جزية يدفعها للحكومة السودانية وقد جاءها بعد واقعة أم درمان وسيأتي ذكر هؤلاء الأمراء وما كان من أخبارهم بالتفصيل في تاريخ السودان الحديث

الفصل الثاني

في

﴿ حكومة سلطنة الفور وبعض أخبارها ﴾

﴿ رجال السلطنة ﴾ أما حكومة سلطنة الفور فكانت من النوع الملكي المطلق . وكان السلطان سليمان الأول لما أخضع ملوك البلاد على ما مرّ قد خلعه من مناصبهم وولّى على البلاد نواباً من أهلها وجعل مع كل نائب عدة شرّاتي أو مدراء ومع كل شرّاتي عدة دمالج أو مأمورين ومع كل دمالج عدة مشايخ بلد

وبقى هذا النظام معمولاً به إلى أيام السلطان موسى فرأى عدم الاخلاص من النواب الوطنيين فعين عليهم أربعة مقادير من رجال حاشيته الاخضاء في كل جهة من الجهات الأربع مقدوماً وجرّد النواب من السلطة إلا أنه أبقاهم في مراكزهم يحكمون بالاسم فقط واستمر هذا النظام إلى انتهاء السلطنة

وكان تعيين المقدم بفرمان خاص يقرأ على النواب والشرّاتي والدمالج ومشايخ البلاد والعربان واصحاب الحواكير وغيرهم . ولباس المقدم كلباس السلطان وكرامته في ناحيته كإكرام السلطان وحكمه نافذ في كل القضايا حتى في القتل إلا في بعض الاحوال الخاصة فانه يرجع في حكمه إلى السلطان

أما رجال حاشية السلطان الذين يدهم سياسة البلاد المركزية فأهمهم :

« الوزير » وعليه إدارة شؤون البلاد سياسياً وإدارياً وحرّياً

« وابوشينخ » وهو كبير الخصيان ومقامه أكبر مقام في السلطنة اذ هو المرجع الأعلى لقانون دالي الذي هو القانون العرفي للبلاد وسيأتي ذكره . وله الفصل في الخلاف الذي يقع في حرم السلطان وهو مقدم الشرق رسماً والمحافظة على نحاس السلطنة

ومن رجال الادارة المركزية : ملك النحاس وملك دادات السلطان وملك خوال
السلطان وملك الفاشر أو محافظها وملك الجبابة وملك الحدادين . وكان لكل
سلطان من سلاطين الفور وكيل رسمي من ذرية السلطان شاو دورشيت يسمى
« الكامنة » . وفي دار السلطنة ممن ييدهم الحل والعقد الميامر اخوات السلطان
والجوبات جدات السلطان . وفيها رهائن النواب المسلمين ورهائن ملوك الجوس
السبعة المار ذكرهم وكان كل من هؤلاء الملوك يرسل ولي عهده ليكون رهينة
عند السلطان فيجعله السلطان في خدمته ويعوده على طاعته ويعلمه القراءة والكتابة
حتى اذا مات الملك اعطى السلطان ولي عهده كسوة فاخرة وعكازاً مفضضاً وطاقية
مقصبة بقرنين ونعلين وتقارة نجاس وولاً به فرمان خاص على بلاده في مكان سلفه .
وكان على كل ملك من هؤلاء الملوك جزية سنوية معلومة من الرقيق والسمن والعسل
﴿ الحواكير والعربان ﴾ وقد عمل « ١٧ » السلطان موسى « بالنظام المشهور
في الشرق في ما يتعلق بملكية الاراضي فجعل البلاد كلها ملكاً للسلطان وقسم بلاد
الحضر الى « حواكير » أو اقطاعات ووزعها على اهله واخصائه وكبار قومه بحجج
مخومة بنحتمه فعاشوا بريعها هم واهلها المزارعون . وكذلك قسم قبائل البادية فخص كل
قبيلة بأمر من ابناء السلاطين او بعين من الاعيان تجبى له زكاتها . وجمع السلطان
نصيبه من الزكاة والفطرة والعشور حسبما يفرضه الشرع الاسلامي وكان المقادير
يجمعون الزكاة من البادية وملوك الجبابة يجمعون الفطرة والعشور من الحضر وربما
تنازل السلطان عن نصيبه في الحاكرة أو القبيلة فأعطى صاحبها « حجة بالجاه » فلا
يقرب احد من الجبابة أو المقادير . وقد جرى على هذا النظام جميع السلاطين الذين
اتوا بعد السلطان موسى الى انقضاء السلطنة

﴿ قانون دالي ﴾ وكان القضاء في درافور شرعياً وهو المشروع بالكتاب والسنة
أو عرفياً وهو المشروع بالعرف وقد جمعت الاحكام العرفية كلها في كتاب واحد
عرف « بقانون دالي » وهو بمثابة قانون الجزاء عندنا . وكان القائم بتنفيذه المقادير ومن
هم دونهم من الحكام بالاتحاد مع اصحاب الحواكير والقبائل . والقاضي الاعظم

الذي يُرجع اليه في هذا القانون هو كبير الخصيان الملقب بأبي شيخ كما مر . اما لفظ دالي فهو في لغة الفور بمعنى لسان ويراد بقانون دالي لسان السلطان أو اوامره . على ان بعض الرواة يجعل دالي سلطاناً من سلاطين الفور المتقدمين كما سيحيي ومن احكام هذا القانون : ان الملك يكون وراثياً للابن الاكبر الا اذا كان الاكبر غير لائق للاحكام فيولون غيره ممن فيه اللياقة من العائلة المالكة . وقصاص السارق غرامة ست بقرات أو ما هو بثمنها فاذا لم يقدمها حبس الى ان يقتديه اهله . وقصاص القاتل القتل اذا كان القتل عمداً والاّ فدفع الدية مئة بقرة اذا كان من البقارة أو مئة بعير اذا كان من الابل . واما الزاني فان زنى بمحصنة فغرامته ٦ بقرات أو بأتم بقرة واحدة أو ببيكر فكل منهما يغرم بقرة . وقصاص الضارب فان كان في الضرب جرح فغرامة ثوب من الدثور وان لم يكن جرح فنصف ثوب وهكذا جزاء الشاتم . وقصاص شارب الخمرة الجلد ثمانين جلدة وكسر اواني الخمرة في بيته ومع ذلك فهم لا ينقطعون عن تعاطي الخمرة لانهم مولعون بشربها . حكي ان رجلاً من اهل دارفور طاب له شرب « المريسة » حتى لم يمكنه الا تقطاع عنها مع تكرار وقوع الحدّ عليه فحفر له غاراً تحت الارض وسقفه سقفاً متيناً وجعل له باباً ضيقاً وصار كلما احب شرب المريسة ينزل الى الغار فيشرب حتى يسكر ثم يصعد على سطح الارض ويبقى على ذلك حتى سماع حاكم البلدة به فباغته في الغار وهو يشرب فقال الرجل لا حكم لكم عليّ هنا فان الحكم لكم على ظاهر الارض اما الحكم في باطن الارض فله . واذا حصل حريق في الصحراء في العشب الذي ترعاه المواشي غرّمت اقرب بلدة الى الحريقة على حساب بقرة لكل طول درقة وذلك سواء كانت الحريقة من اهل تلك البلدة أم من طارئ مفاجئ والمراد بتعميم هذه الغرامة منع الناس عن احراق الزرع وتحريضهم حتى اذا ما شبت حريقة في جوارهم اسرعوا الى اطفائها في الحال لئلا تتسع فيتسع الجزاء عليهم وفي دارفور خرافة قديمة عند بعض العجائز مؤداها انه لا يخصب لمن زرع الاّ اذا قتلن شخصاً مسموماً بسم حية ولكن قانون دالي يعاقب على هذه الجريمة

بأعظم عقاب وذلك بتصدير مال القاتلة الى خزينة السلطنة واحراق بيتها ثم لفها بحصير من شوك وضربها بالعصي الى ان تموت
 اما محصول « الدالي » فنصفه للسلطان والنصف الباقي لاصحاب الحواكير
 والمقاديم والشراتي على نسبة معلومة

﴿ دخل السلطان وخرجه ﴾ اما دخل السلطان الذي كان ينفق منه على نيته
 واخصائه وجنوده فالعشور والفطرة من الحضر • والزكاة من البادية • وعشور
 البضائع من التجار • ونصيبه من قانون دالي • والضرائب على التجار والحدادين
 « والنفوس » • ومن الهدايا التي كانت تأتيه من الحكام واصحاب الحواكير والتجار
 اذ لم يكن يدخل للسلام عليه احد من رعيته من موظفين واعيان وتجار الا بهدية
 نفيسة تعرف « بالسلام » من الرقيق والابل والحيل والبقر والغنم والتكاكي والطرق
 والطاقات والذهب والفضة والعسل والسمن والسن والريش

اما دخل المقاديم والشراتي والدمالج فمن نصيبهم من محصول دالي والهدايا
 ومرتبات اصحاب الحواكير ومن حواكيرهم الخاصة

وكان سلاطين الفور يكرمون رجالهم الذين يصدقونهم الخدمة حتى كانوا
 يزوجونهم بناتهم ويمهرونهم الحواكير والعربان • وهذه هي صورة حجة حاكورة مهرها
 السلطان حسين لصهره احمد بن عيسى من اعيان دارفور عند تزويجه بابنته الميرم فاطمة
 أم دريس • ويليه حجة « عربان » مهرهم ايضا لصهره ثم حولها صهره لزوجته وابنته :
 « من حضرة أمير المؤمنين وخلاصة الاكرمين خادم الشريعة والدين الواثق
 برب العالمين سيدنا ومولانا السلطان محمد الحسين المهدي ابن السلطان محمد الفضل
 على ضريحه سحائب الخير والرضوان امين

« الى حضرة كل من يقف على هذه الوثيقة وينظر ما فيها من الحقيقة من
 الامراء والوزراء والملوك وابناء السلاطين والميامر والحبوبات والقضاة والجبابين
 والشراتي والمكاسين والدمالج وغيرهم من سائر اهل هذه الدولة من ذوي الشوكة
 اما بعد فالذي نصيره بشرف علمكم من قبل حاكورة « نعمة » التي كانت سابقا

يد الملك كرتكليه متاعاً ثم يد الملك عبد الله كرقاش متاعاً ثم يد المقدم عبد العزيز متاعاً ثم يد جدتنا الحبوبة والدة سيدنا المرحوم متاعاً اني الآن تفضلت واعطيت وأوهبت وصدقته لصهرنا الحاج احمد بن عيسى برقيها هبة مختارة وملكتها اياها ملكاً تاماً ثم وجهت لحيازتها ابراهيم المقام من طرف الامين صالح وأمرت المقدم عبد العزيز ان يبعث له من طرفه احداً يذهب معه فبعث له الملك هرون بن الفقيه عبد الله فذهبا لتلك الحاكمة وطافا بها من كل الجهات وحدداها... فهذه الارض التي شملتها هذه الحدود اقطعها لصهرنا الحاج احمد بن الحاج عيسى اقطاعاً ناجزاً وحوزتها حوزاً كاملاً وملكتها ملكاً تاماً هي والرقيق التي فيها وعدته خمسون يتصرف فيها وفي رقيقتها تصرف المالك في ملكه بالزرع والتزريع والبيع والهدم والبناء والصدقة والشراء فهي له ولذريته من بعده فلا يغيره ولا يبدله سلطان بعدي. ثم اني تركت لها الفطرة والزكاة أعني بها الاحكام الشرعية وكذلك عفونا عن سبها العادية من دم كبير أو صغير وفسق وهامل ونار وقواز ودرقه ولا يتعدى عليهم ملك ولا جباي ولا مقدم ولا خدام من احد الخدامين وقد تركنا ذلك اعانة لها في دينها ودنياها والله على ما نقول وكيل وحسبنا الله ونعم حرر ذلك سنة ١٢٦٣هـ ١٨٤٧م «من امير المؤمنين سيدنا ومولانا واعلانا السلطان محمد الحسين المهدي المنصور بالله تعالى امين. الى كل من يقف على هذه الوثيقة وينظر ما فيها من الحقيقة. اما بعد فان ابنتنا الميرم فاطمة أم دريس عرضت لنا مكتوب زوجها الامين الحاج احمد عيسى نظرت به بأنه اوهب لها حاكوزته «نعمة» التي سبقت فأعطيتها اياها فالآن هواهبا لزوجته وانا اتممت لها هبة زوجها فصارت ملكاً وحوزاً لها تتصرف فيها في ذاتها وغلاها الشرعية والعادية لها ولذريتها من بعدها. هذا جوابي ومهري لمن يعرفه تحريراً في ٧ شعبان سنة ١٢٦٩هـ ١٥ مايو ١٨٥٣م « اه. وهذه حجة العريان: «من حضرة سلطان المسلمين وخليفة سيد المرسلين سيدنا ومولانا السلطان محمد الحسين المهدي المنصور بالله تعالى امين الى كل من يقف على هذا الرسم من ولاية الامور والامراء والوزراء والملوك والشراتي والدما لج وابناء السلاطين والميلارم والجباين

وملوك العربان والمشايخ والكراسي والخدامين ومقاديمهم وكافة اهل الدولة من الخدام .
 اما بعد فاني سابقاً تفضلت واعطيت صهرنا الحاج احمد عيسى عرباً من الماهرية من
 جماعة الشيخ دلم واسماؤهم عبد النعيم ونعمان والداني واحمد وحسين وحامد
 ورززار وظاهر وعجز واحمد هؤلاء الرجال المذكورون كسرت عظمهم واتبعتهم لصهرنا
 الحاج احمد عيسى وعفوت له بجميع منافعهم وصاروا تبعاً له ولذريته والآن صهرنا
 المذكور اعطاهم لابنته الميرم زهره ؟ في زيانة رأسها واعلمني به فانا اتممتها لها وقابلتها
 بجميع منافعهم الشرعية والعادية من الزكاة والفطرة والدم والفسق والهامل وغير ذلك
 ليس عليهم شوبة ولا نوبة ولا خدمة جميع امرهم مقابل اتنايتنا (اي ابنة بنتنا) الميرم
 زهره لا يتعرض لها فيهم معترض ولا ينازعها منازع بل صاروا عرباً لها ورعاتها ولذريتها
 من بعدها هذا جوابي ومشراطي ومهري لمن يعرفه تحريراً في عام ١٢٦٨ هـ ١٨٥٢ م
 (اختام السلاطين) وكان سلاطين الفور يختمون كتبهم من اعلاها بختم كبير
 على شكل دائرة قطرها نحو اربعة قراريط وهي منقوشة سطوراً مستوية بين كل
 سطر وسطر خط دقيق أو خطين يضع فيها اسمه واسماء البعض من اجداده على قدر
 ما يسع الختم الا انه لا بد من انتهاء النسب بالسلطان سليمان جدّهم الاعلى ومؤسس
 سلطنتهم وقد يكون حول السطور سطرًا في دائرة مكتوب فيه آية من القرآن
 (صرة الحرمين) وكانت سلطنة الفور مستقلة عن دول الارض كلها لا تدفع
 جزية لاحد ما عدا الحرمين الشريفين فانها كانت تخدمهما بمحمل وصرة كل سنة
 فكان موكب المحمل يأتي الى مصر ومعه الريش والسن والصمغ وغيرها من خيرات
 البلاد فيبيعها ويتم بثمنها تقود الصرة ثم يستطرد الحج الى الحرمين مع الركب المصري
 (منزل السلطان ابراهيم) وكان منزل السلطان ابراهيم آخر سلاطين الفور
 قائماً على شاطئ خورتندلي الشمالي وهو منزل متسع له سور من الطوب الاحمر
 محيطه نحو ثلاثة اميال وعلوه نحو عشرين قدماً وحول السور على عشرة امتار منه
 زريبة من شوك . وللصور بابان كبيران باب للشمال وهو باب الرجال وباب للجنوب
 وهو باب الحرم ومنزل السلطان في الوسط . ومن كل باب منها الى منزل السلطان

سبعة ابواب تفتح شرقاً وغرباً اي انها على زاوية قائمة من البابين الكبيرين وهي عبارة عن شباك من العيدان تصل ما بين اطراف جدران متوازية مبنية داخل السور. وعند كل باب منازل للضباط بهيئة القطاعي أو الرواكيب. اما منازل السلطان فكلها مبنية بالطوب الاحمر غرقاً مستوية السطوح وغرف بنامه وجلوسه مكسوة جدرانها وسقوفها بالجوخ الملون منها غرفة معدة لجلوسه مع الخاصة تسمى «التيرمه» وله غرفة معدة لاستقبال العامة عند الباب الرابع من ابواب الرجال تسمى «كالا» وكان سلاطين الفور يقتنون من النساء عشرات اربع منهن شرعيات والباقيات مخطات ﴿لباس السلطان﴾ وكان لباس السلطان قميصاً مقصباً فوقه بُرنس مقصب مجلله شال من الكشمير وعلى رأسه تاج مزركش بالذهب تحف به سبع ريشات رقيقة من الذهب والفضة على شكل الامواس وفي رجله حذاء من السخيان الاسلامبولي الاصفر أو الاحمر وعلى جنبه الايسر سيف محدب محلي بالذهب ﴿جلوس السلطان﴾ وكان جلوسه في «التيرمه» على عنكريب أو سجادة في الارض وعن يمينه مخدة من قطن. وفي الراكوبة «كالا» على دكة عالية من الطين مفروشة بالسجاد. واذا جلس على «الككر» أو كرسي السلطنة لمبايعة الناس له حمل في يده اليمنى صولجاناً وهو عصا طويلة ملبسة بالفضة المحلاة بالذهب وفي يده اليسرى سيف مستقيم وعلى جنبه الايسر سيف محدب فيبايعه اهل الحل والعقد ليلاً وفي الصباح يبايعه العامة وهذه هي صورة المبايعة: «بايعتك على السمع والطاعة الامر امرك والنهي نهيك على السنة والكتاب»

﴿مقابلة السلطان﴾ وكان القاصدون باب السلطان يأتون باب الراكوبة «كالا» ويستأذنون في الدخول عليه فاما ان يدعوهم الى التيرمه أو يخرج فيقابلهم في الراكوبة «كالا» وكان الداخل عليه يخلع نعليه وطاقيه وسلاحه خارج الباب ويتقدم حتى يكون على عشرين متراً منه فيلقي بنفسه الى الارض ويجبو على الركب والايدي كالسحفاة الى ان يكون على بُعد اربعة امتار منه فيقف جاثياً على ركبته منكس الرأس ويدعو للسلطان وهو يهد الارض بكفيه يميناً وشمالاً ويقول «اطال الله

فإنك وسترك الله ونصرك على اعدائك ولا اراك سوءاً ولا مكروهاً ابد الدهر »
ثم يشرع في الكلام الذي جاء لاجله . وكل من دخل على السلطان ولو انه اخوه
لزمه مثل ذلك الا العلماء وملوك الفراتيت فان لكل فريق منهم آداب خاصة
اما العلماء فان الداخل منهم على السلطان يحني رأسه الى ان يكون على
اربعة امتار منه فيجلس على الارض جلسة المصلي ثم يرفع كفيه فيرفع السلطان كفيه
ايضاً ويقرأ الفاتحة معاً ثم يأخذ العالم في الدعاء للسلطان وهو يصفق بكفيه
والسلطان يؤمن على دعائه الى ان يتم الدعاء . واما ملوك الفراتيت فالداخل منهم
على السلطان يلقي بنفسه الى الارض وهو على ٢٠ متراً ثم يدنو منه متدحرجاً
كأنه جذع شجرة حتى يصير على اربعة امتار منه فيستوي جالساً ويدعو للسلطان
وهو يصفق بكفيه ثم يشرع في الكلام الذي جاء لاجله .

(ركوب السلطان الى الجامع) وكان في الفاشر جامع فخيم على نحو فرسخ
من منزل السلطان والسلطان يخرج اليه بموكب حافل كل يوم جمعة لاداء صلاة الظهر
فكان الفرسان يجتمعون عند باب الزريبة صفوفاً عن جانبي الطريق وامامهم المشاة
حاملين النبايت ينتظرون خروج السلطان من منزله . وقبل الظهر بساعتين يركب
السلطان جواداً مزركش العدة عند باب التيرمه فترفع الامبايه صوتها اشعاراً للعساكر
أن السلطان قد ركب فيتهيأون لاستقباله . ثم يخرج اليهم وامامه العساكر الحاملة
الاسلحة النارية مشاةً ومن ورائه الخصيان راكبين الخيول وبينه وبين الخصيان
بعض الجياد بسروج الرهط كاملة العدة يقودها السياس خلفهم صفّاً واحداً وعن
جانبي السلطان نفر من المشاة يتناوبون حمل مظلة واسعة تظله وتظل جواده وهي
مصنوعة من نسيج متين مطرز بالقصب ومبطنة بأطلس مختلف الالوان كل شقة
بلون تدلّ من اطرافها شراريب قصب ولها يد طويلة من خشب متين مغطاة
بنسيج ملون كل شبر بلون . وعند خروج السلطان من الزريبة يحية الفرسان بهزّ
سيوفهم فوق رؤوسهم فيرد تحيتهم بهزّ سبحة أو سوط أو منديل في يده . ويسير
في موكب هذا حتى يصل الجامع فيقف الموكب خارج السور ويدخل السلطان الى

غرفة معدة له عند باب السور فيخلع ثياب الملك ويلبس لباس الصلاة وهو جبة بيضاء وعلى رأسه عمامة بيضاء فوق مكأوية من الحرير يغطيها ثوب من الشاش الأبيض الرقيق على هيئة الخطيب ثم يقف للصلاة في غرفة خاصة به لها نافذة تشرف على الامام وبعد انتهاء الصلاة يرجع الى الغرفة التي عند باب السور فيخلع لباس الصلاة ويلبس لباس الملك ويعود بالموكب الى منزله.

﴿ جيش السلطنة ﴾ هذا ولم يكن عند سلاطين الفور جيش منظم حتى كف بصر السلطان حسين فنظم جيشاً من عبيده وسلحهم بالبنادق المعروفة بأبي روحين وجعل عليهم عبداً يقال له « خير قريب » قومنداناً وبقي هذا الجيش الى زمن السلطان ابراهيم فخارب به الزير باشا على ما تقدم. وكان سلاطين الفور الذين تقدموا السلطان حسيناً اذا ارادوا جمع الرجال للحرب اصدروا امرهم الى المقاديم فبعث هؤلاء بالامر الى الشراقي ومشايخ البادية فجمعوا عدداً معلوماً من الرجال على نسبة عدد بلادهم حتى اذا ما اجتمع العدد المطلوب ساقهم المقاديم بأنفسهم الى ساحة الحرب ﴿ تجليد النحاس ﴾ وكان سلاطين الفور يجلدون النحاس « المنصورة » الذي غنوه من العابدلاب مرة في كل سنة ويحتفلون بتجليده احتفالاً عظيماً يجتمع اليه موظفو البلاد واعيانها فيأتون بثور وخروف ابلقين ينتقونها من قطع يربونه في جبل مرة لهذه الغاية ويدبحونها ويجلدون بجلديهما النحاس المذكور

﴿ اختبار اولاد السلاطين ﴾ ثم يأخذون فخذاً من الثور وفخذاً من الخروف ويتركونها حتى ينتنا ثم يطبخونها بشطة وملح كثير ويضعونها في قدح في غرفة منفردة ثم يؤتى بأولاد السلاطين فيدخلون واحداً واحداً الى قدح الطعام الذي يحيط به الحرس من عبيد السلطان ويدكل منهم نبوت كبير وكلما دخل واحد اكل لقمة من الطعام فاذا لم يسعل من شدة نانة اللحم وكثرة بهاراته لم يتعرض له احد بسوء بل سأله ان يغسل يديه وينصرف واذا سعل اتهم بأنه خائن متعمد القدر وأرسل في الحال الى جبل مرة حيث يبقى في السجن الى أن يعفى عنه أو يتولى سلطان آخر فيخرجه من سجنه

﴿ كسر الضلع ﴾ يأخذون ضلعاً من اضلاع الثور ويحكونها حتى تصير رخفة جداً قابلة للكسر فيأتي السلطان الى بيت النحاس بموكب خاص ماشياً على قدميه ووراءه كبيرة اخواته ومن ورائها جمهور من الجواري اللابسات ابيض الحلي والحلل ومن خلفهن وعن جانبيهن الخصيان حاملين السياط والسلطان نفسه مكوم بقطعة شاش يمسك طرفيها من خلفه كبير امنائه ويمشي الهويناء حتى يصل مكان النحاس فيأخذ الضلع التي اعدت له ويضرب بها النحاس فاذا انكسرت عدوا انكسارها نصراً وسلاماً وزغرد النساء وضرب النحاس والا اوجس الكل شراً وخافوا سوء المصير ﴿ العرضة وموكب السلطان ﴾ وبعد كسر الضلع يخرج مناد من قبل السلطان للاستعداد للعرضة فيجتمع الكل مشاة وفرساناً حلقة كبيرة في ساحة السوق امام منزل السلطان ثم يخرج ملك النحاس بجنده محيطاً بنحاسات الفور السبع محمولة على سبعة جمال وفي مقدمتها « المنصورة » التي غنمها من العابدلاب ثم « البيضاء » التي غنمها من آدم سلطان ودّاي ثم نحاسات فور الخمس القديمة فيخترق الحلقة بموكبه حتى ينصفها فيقف متجهاً نحو الشرق * ثم يأتي السلطان بموكبه الخاص وهو راكب جواده ويقف مقابل ملك النحاس متجهاً نحو الغرب وبينهما فسحة كافية لعرض الجيش * وموكب السلطان الخاص مؤلف من اولاده ووزرائه واخته الكبرى والعلماء والقضاة فتقف اخته وراة راکبة جواداً ومن ورائها الجواري حاملات اباريق النحاس بلاماء وبينها وبين السلطان حملة الحراب المكسوة بالجوخ الملون ويقف اولاد السلطان عن يمينه ووزراؤه عن شماله ويقف امام صفّي الوزراء والامراء صفان من العلماء والقضاة وترفع فوق رأس السلطان مظلة واسعة جداً تظله وجواده ومن ورائه رجالان حاملان مروحتين كبيرتين يزين حواشيها ريش النعام لحجب الشمس عن ظهره وعن كل من جانبيه مروحة يحملها رجل يروح بها عليه * ثم يبدأ الاستعراض فيخرج الناس من الحلقة فرقاً كل فرقة يتقدمها رئيسها راكباً على جواده فيجي السلطان بهز سيفه فوق رأسه فيرد السلطان التحية بهز سوطه ثم يرجع هذا الرئيس برجاله الى مكانه من الحلقة فيعرض الرئيس الذي يليه وهكذا الى تمام الحلقة * ثم يتقدم السلطان وحده

الى النحاس ويدور حول الجمال التي تحمله فيهمز السيف فوق كل نحاس ثم يدور من داخل الحلقة لرؤية الجند ويعود الى موكبهم فتستقبله اخته وجوارها بالزراغيت ثم يأمر فينصرف النحاس ثم يتبعهم بموكبه الى ان يدخل منزله فيتفرق الجنود الى منازلهم . وبعد ايام ينادى الى مثل هذه العرضة وهكذا الى سبع عرضات ثم ينصرف كل الى بلاده * واما في زمن الحرب فيسير الجيش على الترتيب الذي مر ذكره في الكلام عن السلطان تيراب . وكانت عادة سلاطين الفور ان يضربوا النحاس في يومي الاثنين والخميس في الصباح والمساء

﴿ العلم ﴾ وكان في دارفور مساجد جمعة في كل بلدة مسجد او اكثر يعلم بها الكتابة والقرآن وكان لكل عالم مسجد قرب منزله يصلي به الصلوات الخمس وفي لصقه خلوات للمجاورين يعلم بها العلوم الشرعية وله « حاكورة » هبة من السلطان يعيش هو وتلامذته من ريعها . وكان بعضهم يجيء الى مصر لتلقي العلوم في الازهر ولهم فيه رواق معروف برواق دارفور الى اليوم

﴿ الجوامع ﴾ اما الجوامع فكان لهم في كل بلدة شهيرة جامع الا الفاشر ففيها جامعان جامع بناء السلطان عبد الرحمن عند بنائه الفاشر فحسنة السلاطين الذين خلفوه وهو في القسم الشمالي من البلدة مسيرة ساعة من بيت السلطان . وجامع بنته اخت السلطان حسين في القسم الجنوبي من الفاشر * وكوبي ففيها ايضا جامعان جامع القاضي احمد ود طاها من اهل كوبي وجامع الفقيه سعد العالم من اهل الخبير علي ﴿ الزراعة والصناعة ﴾ واهم زراعة دارفور الدخن يزرع على المطر . وفيها من ارباب الصنائع الحدادون والنجارون والحماكة والديباغون لقضاء حاجاتها كما في بلاد سنار ﴿ التجارة ﴾ وكان لها تجارة مهمة مع كردوفان وبحر الغزال ووداي ومصر وكان يرد منها الى مصر من ١٠ : ١٥ الف جمل تحمل الرقيق والسن والريش والصمغ والتمر الهندي والنحاس والنظرون وحبة العين والجلود والأقداح الخشبية والاطباق والعسل فتعود الى دارفور ومعها من الانسجة القطنية والحريرية الدبلان والشيت والخام والجوخ والاطلس والملايات الحجازية والبنادق والسيوف والسروج وانواع

الحلى الذهبية والفضة والمرجان والسوميت وغيره من انواع الخرز المطلوب عندهم وكانت العملة الرائجة قطع مختلفة من الدمور ثم راج بعد الفتح المصري للسودان المقاطع المصرية من الخام المصبوغ المار ذكرها وراج في كردوفان ايضاً قطع دقيقة من الحديد على اشباه المسامير الكبيرة تسمى الحشاشات

﴿ الامير علي دينار ﴾ هذا ما تيسر لي استقصاؤه عن حال سلطنة الفور القديمة قبل دخولها في حوزة مصر تلقيت اكثره عن الشيخ الطيب محمد بن المار ذكره * ويقال انها الآن تسير على مثال هذا النمط في عهد اميرها الحالي الامير علي دينار بن الامير زكريا ابن السلطان محمد الفضل الذي يحكمها على جزية سنوية يدفعها لحكومة السودان كما اشرنا آنفاً

﴿ منشور السلطان ابراهيم عند توليه الملك ﴾ وقد عثرت على كتاب ارسله السلطان ابراهيم آخر سلاطين الفور الى الجهات يذيع فيه نعي ابيه السلطان حسين وتوليته الملك بعده وهو :

﴿ نقش خاتمه في اعلى الكتاب ﴾

ملك أمير المؤمنين السلطان ابراهيم • ابن السلطان حسين • ابن السلطان محمد الفضل • ابن السلطان عبد الرحمن الرشيد • ابن السلطان احمد بكر • ابن السلطان موسى • ابن السلطان سليمان صاحب البر والاحسان • يوم الاحد اثنى عشرين صفر الخير سنة ١٢٩٠ هـ

﴿ صورة الكتاب ﴾

من حضرة من انار به البلاد وازال به الفساد سيدنا ومولانا السلطان ابراهيم المنصم بالله تعالى آمين * الى حضرة محمود والامام احمد طه وكافة الجلالة تجار كوبي وحواليها • اما بعد فالذي نعرفكم به اجرنا الله واياكم في مصيبة سيدكم والدنا المرحوم السلطان محمد الحسين توفي الى رحمة الله وانا توليت الملك بضحي الاحد اثنى عشرين من شهر صفر سنة ١٢٩٠ هـ تعلموا به وربنا يلزمنا واياكم الصبر الجليل



ختم السلطان حسين



ختم السلطان يوسف سلطان وداي

اجناس الاثيوبيين على الآثار المصرية



❖ انتهى الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث ❖

الجزء الثالث

في

تاريخ السودان

الحديث

(وفيه خمسة ابواب)



VOLUME III

THE MODERN HISTORY OF THE SUDAN

(IN FIVE PARTS)





محمد علي باشا
مؤسس العائلة الخديوية في مصر

الباب الأول

في

تاريخ الفتح المصري للسودان

منذ فتح سنار الى قيام الثورة المهدية في السودان
سنة ١٢٣٦ : ١٢٩٨ هـ — ١٨٢١ : ١٨٨١ م

الفصل الاول

في

حملة اسماعيل باشا على سنار

سنة ١٨٢٠ : ١٨٢٣ م

وفيها فتح دقله وبربر والخرطوم وسنار وفازو غلي

اسباب الفتح تقدم لنا ذكر الفوضى التي صارت اليها مملكة سنار بشقاق ملوكها بعضهم لبعض واستفحال وزراء الهمج الذين استاثروا بالسلطة وخلعوا سلطة الفونج . وكانت مصر في هذه الاثناء قد آلت الى البطل العظيم المغفور له محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية الفخيمة فبلغه خبر سنار من التجار المصريين المتبردين اليها . وجاءه الملك نصر الدين ملك الميرقاب ببربر فشرح له حال سنار وما صارت اليه من الضعف والانحلال وهون عليه امر افتتاحها . وجاءه ايضا رجل من عائلة الزبير المالكة في ارقو واخبره بحال دقله وغيث الممالك فيها . وكان محمد علي باشا يود افتتاح سنار والاستيلاء عليها لاسباب جمّة منها :

اولاً . الاستيلاء على مناجم الذهب في سنار التي طبقت شهرتها الآفاق وكثرت فيها الاقاول والقصص الموضوعة ولا سيما في مدينة القاهرة

ثانياً . امداد جيشه برجال من السود الذين اشتهروا منذ ايام الفراعنة بصلاحياتهم للجندية وشدة بأسهم في الحروب

ثالثاً . استئصال شافة الممالك الذين بقيت منهم بقية في دقله كما مر
رابعاً . توسيع ابواب الرزق لانصاره الاتراك والارناؤط والمغاربة الذين قهر
بهم الممالك في مصر والوهابية في بلاد العرب خصوصاً وقد اصبحوا بعد حرب الوهابية
مصدر تعب له لانه اراد ان ينظم جنده على مثال جند بونابارت فلم يوافقوه على
ذلك واعتبروا عمله بدعة ولم يرد قهرهم لانهم هم الذين شدوا ازره وساعدوه على
تثبيت قدمه في مصر فأراد ان يرسل بهم الى سنار ليستريح من اتعابهم من جهة
وينال بهم مطعمه بالفتح من جهة أخرى

خامساً . اكتشاف منابع النيل لنفع العلم والزراعة المصرية
سادساً . توسيع نطاق التجارة المصرية والانتفاع بموارد التجارة السودانية . وكانت
علائق السودان بمصر في ذلك الحين ضعيفة جداً اذ لم يكن يقصده من التجار الا
المخاطرون من اهل الصعيد من طرق دراو واسوان وكورسكو وكانوا في خطر دائم
هم واموالهم لانه فضلاً عن مشقة هذه الطرق وخطارها الطبيعية كان الخمراء يحكمون
بهم بحسب اهوائهم فلربما اوصلوهم الى نصف الطريق وطلبوا حلواناً حقوق الملاجرة
المتفق عليها فاذا لم يدفعوا لهم الحلوان تركوهم ليمضوا او يموتوا جوعاً او عطشاً . وكان
التجار اذا وصلوا بلاد النيل سالمين نزلوا في حمى ملك من ملوك البلاد او شيخ من
مشايخها وعرضوا عليه بضاعتهم فاذا اعجبته وكان طالعهم سعيداً رضي المضيف عنهم
وعوضهم من تجارتهم شيئاً من الذهب وسن الفيل وريش النعام والا استصدر تجارتهم
وطردهم من بلاده او امر بسجنهم وتعذيبهم

فلهذه الاسباب كلها وبالنظر لما طبع عليه محمد علي باشا من حب الحرب والفتوح
وشدة الرغبة في توسيع نطاق بلاده اقر على اغتنام الفرصة والاقدام على فتح سنار
وفد محمد علي باشا الى سنار وتمهيداً لذلك ارسل سنة ١٨١٢ م وفداً الى
ملك سنار وقصده في الظاهر تحريض الملك على طرد الممالك الذي لجأوا اليه من
مصر وفي الباطن الاستطلاع على احوال بلاده وما يلزم من الجيوش لفتحها . وقد
ارسل اليه هدايا فاخرة قدرت قيمتها بنحو ٤ آلاف ريال من شالات كشير

وانسجة حريرية واسلحة ونحوها . فأرسل اليه ملك سنار اربع جوارٍ وبضعة جلود
نمر وقط زباد وقردين واسدًا صغيرًا (مات في الطريق) وكلها لا تساوي في سنار
ثمانين ريالاً . فلم يُسرَّ محمد علي بالهدية ولكنه سرَّ بتقرير الوفد الذي قوى عزمه
على فتح سنار

﴿ اكتشاف الصحراء الشرقية ﴾ وفي اثناء ذلك ارسل الموسيو فردريك كايو
العالم الفرنسي الشهير الى الصحراء الشرقية لاكتشاف معادن الزمرد والذهب التي
دلت التواريخ العربية على وجودها فيها فقام الموسيو كايو من الرديسية من اعمال اسنا
في ٢ نوفمبر سنة ١٨١٦ م وبعد مسيرة ستة ايام وصل الى جبل زبارة فوجد فيه
كهوفاً قديمة وحفائر ودهاليز وآلات شتى وآثاراً تدل على استخراج المعادن من
هذا الجبل وعلى انقطاع العمل فيه فجأة فالتقط من هناك بعض قطع الزمرد فقويت
بها آمال محمد علي فبعث به ثانياً الى ذلك الجبل واصحبه نفراً من الاروام والارناؤط
فقام من القاهرة في ٢ نوفمبر سنة ١٨١٧ م وعاد بعد قليل بلا فائدة ولكنه فصل
جغرافية تلك البلاد واخبار سكانها العبادية وقد عثر على اطلال مدينة خاوية على
عروشها وعين موقع مدينة بيرنيس القديمة المعروفة الآن برأس بناس

﴿ الحملة على سنار ﴾ ولما أتمَّ محمد علي باشا استعداداته جهز جيشاً مؤلفاً من ٤
آلاف مقاتل وعقد لواءه لابنه اسماعيل باشا وامره بفتح سنار وهذا تفصيل الجيش :
١٢٠٠ فارس من الاتراك والارناؤط والمغاربة بقيادة عابدين بك والحاج عمر وعمر
كاشف مع كل منهم ٤٠٠ فارس و ٤٠٠ فارس و ٨٠٠ راجل من البدو والمغاربة .
٦٠٠ راجل من الاتراك و ٣٠٠ راجل من الطوبجية ومعهم ٢٤ مدفعاً نمر ٤ بقيادة
محمد أغا . و ٧٠٠ راجل من العبادية بقيادة خليل وداود كاشف انضموا اليه في
اسوان . وصحب الجيش نحو ألفي نفر من التابع منهم ٢٠ مملوكاً حرس اسماعيل باشا
الخصوصي مع ٣٠٠٠ جمل و ٣٠٠٠ مركب لحمل الزاد والمؤونة والذخائر . وصحب
الجيش ايضاً ثلاثة من نخبة العلماء وهم : القاضي محمد الاسيوطي الحنفي والسيد
احمد البقلي الشافعي والشيخ السلاوي المغربي المالكي وذهب كلا منهم خلعة سنية

و ١٥ كيساً وأوصاهم أن يحثوا اهل البلاد على الطاعة بلا حرب بحجة انهم مسلمون
وان الخضوع لجلالة السلطان امير المؤمنين وخليفة رسول المسلمين واجب ديني
فتح دقله سنة ١٢٣٥ هـ ١٨٢٠ م

وسار الجيش من القاهرة بالبر الغربي والنيل في اوائل يوليو سنة ١٨٢٠ م ولحق
به اسماعيل باشا مع اركان حربه في ٢٠ يوليو سنة ١٨٢٠ فادركه في اسوان فأقاموا
هناك برهة ريثما اجتازت المراكب الشلال الاول

ثم دخلوا بلاد النوبة وكان الحاكم عليها في الدرّ حسين كاشف فجمع رجاله
بقصد مقاومة اسماعيل باشا فلم يوافقوه اخوه حسن على ذلك ففر بعيده الى كردوفان
فولى اسماعيل باشا حسناً على البلاد التي بين اسوان وحلفا وتقدم الى حلفا فأقام فيها
نحو ٢٠ يوماً حتى اجتازت المراكب الشلال الثاني

ثم استطرد السير جنوباً في بلاد سكوت وكان فيها الكاشف حسن وردي
متحصناً في قلعة جزيرة ساي ومعه بضع مئة رجل من العبيد والاعوان مسلحين
بالبنادق وبعض المدافع فجاء الى اسماعيل باشا مسلماً فأقره في مركزه ولكنه ما لبث
ان عصي الناظر الذي اقيم في سكوت من قبل اسماعيل باشا وقتل بعض رجاله
فأرسلت الحكومة المصرية عسكرياً فحاصروه في القلعة ثم لغموا القلعة باليارود وقتلوه
وشتتوا شمل رجاله ومن ذلك الوقت هدأت البلاد ولم يعد يسمع فيها صوت حرب
حتى كانت المهديّة سنة ١٨٨٥ م كما سيحي

وتقدم اسماعيل باشا الى المحس فلقاه حاكمها الملك صبير في دلهو طائفاً فآمنه
واقره في مكانه . ثم تقدم الى ارقو فوجد فيها الملك طنبلاً من عائلة الزير
حاكماً فآمنه وثبته على كرسيه

وكان في مراغة الى جنوبي ارقو ثمانون رجلاً من الممالك فأتاه عشرون منهم
مسلمين وفرّ الباقيون الى شندي فسلموا هناك

واقعة الشايقية في ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٠ م وسار اسماعيل باشا في دقله
لا يعارضه معارض بل كان ملوك البلاد ومشايخها يتلقونه بالطاعة والامثال وهو

يؤمنهم ويقرهم على اماكنهم الى ان دخل بلاد الشايقية فراهم قد تجمعوا لقتاله في كورتي مشاة وركبانا . وكان على الشايقية اذ ذاك ثلاثة ملوك : الملك صبير كبير الحنكاب وحده بين العقاض وحنك ومركزه حنك حيث ابنتى له قلعة متينة من الحجارة وجعل فيها المزاغل والملك جاويز كبير العادلاناب وحده من حنك الى مروي ومركزه مروي وله قلعة حصينة في كجي والملك عمر كبير العمراب وحده من مروي الى بلاد المناصير واكبرهم الملك جاويز . ولم يكن مع اسماعيل باشا اذ ذاك الا فرقان من الفرسان فيهما ٨٠٠ فارس مسلحين بالبنادق وهما فرقان عابدين بك وعمر بك لان المراكب تأخرت في الشلالات فتأخر الجيش معها ولم تكن هذه القوة كافية لان تكفل له النصر ولكنه لم يعد يمكنه الرجوع فأرسل للشايقية رسلا يدعوهم الى الطاعة ويقول ما مفاده : « ان أبي يرغب اليكم ان تسلموا سلاحكم وخيولكم وتتركوا الحرب وتؤدوا الجزية » فأجابه الشايقية : « اما الجزية فنؤديها بلا حرب واما خيولنا وسلاحنا فما نسلمها الا بالحرب لعلنا نفوز وتبقى لنا ، فأقر اسماعيل باشا اذ ذاك على حربهم وارسل مئة فارس لكشف خبرهم فأحاط فرسان الشايقية بهم احاطة السوار بالمعصم وانقضوا عليهم انقضاض النور فقتلوا منهم ٧٥ رجلا وافلت الباقون وفيهم عشرون جريحا الى اسماعيل باشا فلما رآهم طار صوابه ولم يعد له صبر حتى يأتيه المدد من الورا . ففي عصر ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٠ قاد فرسانه وقصد الشايقية فوجدهم قد تجمعوا في حلة قرب كورتي تعرف بأمر بقر وفيهم نحو الف فارس و ٢٥٠٠ راجل بينهم بعض النوبة الذين ارغموا على الانضمام اليهم وكلهم مسلحون بالسيوف والحراب الا رؤوسهم فانهم كانوا متدرعين ومنسلحين بالبنادق والسيوف والدرق

وكان في جيش الشايقية مهيمة بنت الشيخ عبود شيخ بادية السواراب فلما رأت جيش اسماعيل باشا مقبلا امتطت هجينها وصاحت بقومها « هيا بنا للدفاع عن استقلالنا وبلادنا » ثم زجرت هجينها ودفعته في وجه عساكر الامير فكر الشايقية وراءها قلب واحد مستقلين فلقاهم العساكر بنار حامية وجرى قتال شديد حارب

فيه الفريقان حرب الا بطل مدة ٣ ساعات متوالية ولكن دارت الدائرة على الشايقة فكان مشاتهم يقتحمون النيران وهم يظنون انها لا تضر بهم لانهم لبسوا الاحجية فقتل منهم ٨٠٠ رجل واما فرسانهم فقد انجبتهم ظلمة الليل فلم يقتل منهم سوى ١٥ فارساً . واما عساكر الامير فقد قتل منهم ٣٠ رجلاً وجرح اثنان . وبعد الواقعة وزع اسماعيل باشا منشوراً في البلاد ماله ان كل من يأتي مسلماً يسلم ومن لم يأتي بعد عدواً ويحرق بيته ثم تقدم الى كورتي فأحرقها ونزل فيها ينتظر المدد فأتاه مئتا رجل من مشاته وفرسانه ومعهما مدفعان وكان الشايقة قد اجتازوا النيل الى البر الشرقي وتحصنوا في طايتي حنك وكجي فاجتاز اسماعيل باشا النيل وطردهم منها فالتجأوا الى قلعة حصينة في جبل الدقر فتبعهم اليها ورماهم بقنابل المدافع فخرجوا منها منهزمين فتبعهم فرسانه قتلاً واسراً قتل وكانوا كلما اسروا رجلاً قطعوا اذنيه تشويهاً له واسروا بنتاً للملك صبير تسمى صفية فآكرمها اسماعيل باشا وردّها الى ابيها فلما رأى منه هذه المكرمة اتاه مسلماً طائعاً وسلم بعده الملك عمر اما الملك جاويز ففر بمئتي رجل الى التمة فسلم هناك

فتح بربر سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢١ م

وبقي اسماعيل باشا في كورتي الى ان تكامل جيشه ودبر ما يلزمه من الجبال للنقل فقام في ٢١ فبراير سنة ١٨٢١ الى كربكان وهناك قسم جيشه الى ثلاث فرق فذهبت فرقة بالمراكب وفرقة بالبر مقابلها حماية لها وكان بين المراكب ١٢٠ مركباً لا يمكن عبورها لكبر حجمها فأبقاها في كورتي بحماية بعض العساكر المغاربة وسار هو بالفرقة الثالثة وهم السواري والطوبجية بطريق الصحراء فوصل النيل عند الباير في ٢٨ فبراير سنة ١٨٢١ م ولم ينتظر الفرقتين الاخرين بل استطرد السير جنوباً فوصل الغبش تجاه بربر في ٥ مارس سنة ١٨٢١ فقابلته ملكها نصر الدين ملك الميرقاب المار ذكره بالترحاب وهناك بالنصر على الشايقة فأقره على بربر وأرجع عابدين بك ببعض العساكر الى دقله ليحكمها ويعجل في ترحيل المؤن والذخائر . وفي ٢٢ مارس سنة ١٨٢١ جاءه الملك نمر ملك شندي طائعاً فأمنه وكساه وأقره

على بلاده . وجاءه الكباش والحسانية والبشاريين من اهل البادية مقدمين الطاعة
فسألم تقديم الجمال للحملة ولما لم يجيبوه ارسل عساكره فأخذوا الجمال منهم بالقوة .
ثم سار الى التمة فوصلها في ٩ مايو سنة ١٨٢١ فاتاه الملك مساعد مسلماً . وفي ١٥ من
الشهر المذكور اتاه الملك جاويز مسلماً مع المئتي رجل الذين فرّ بهم من دار
الشايقة وطلب اليه ان يرافقه برجاله الى سنار فقبله اسماعيل باشا وكساه وعينه
على ١٤٠ من رجاله وعين كلاً من الشيخ الازيرق والشيخ عبود شيخ بادية
السوارب على خمسين رجلاً وربط لهم مرتبات معينة . وكان هذا اول دخول
الشايقة الباشوزق في جيش الحكومة المصرية بالسودان وقد بقوا فيه الى قيام
الثورة المهدية كما سيحي . وفي اليوم الذي سلم به الملك جاويز سار اسماعيل باشا
بالجيش والشايقة وملكي السعداب الملك نمر والملك مساعد حتى وصل تجاه الحلفاية
في ٢٥ مايو سنة ١٨٢١ فقبله الشيخ ناصر ود الامين كبير العابدلاب مقدماً له
الطاعة فأمنه وكساه كسوة فاخرة وتركه في بلده لانه كان منحرف الصحة وأخذ
ابنه الامين رهينة وتقدم بالجيش الى أم درمان

فتح الخرطوم سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢١ م

وفي ٢٨ مايو سنة ١٨٢١ شرع العساكر في اجتياز النيل الى الخرطوم ولم يكن
لهم الا مراكب قليلة فبقوا في ذلك ثلاثة ايام وقد اجتاز الكثير منهم النيل سباحة
ماسكين بأذناب الخيل وكان جملة الجيش الذي اجتاز من أم درمان ٥٥٠٠ رجل
و ٣٠٠٠ حمل وجواد ففرق منهم ٣٠ رجلاً و ١٥٠ جملاً وجواداً . وفي الخرطوم
قبله الفقيه محمد علي خليفة الفقيه الارباب فأمنه واکرمه

فتح سنار سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢١ م

وقام من الخرطوم في ١ يونيو سنة ١٨٢١ قاصداً سنار وعليها اذ ذاك الملك
بادي من الفونج اما القوة والسلطة فكانتا بيد وزيره محمد عدلان من الهمج كما مر
وكان اسماعيل باشا عند وصوله الى التمة ارسل الى الملك بادي كتاباً يدعوه
الى الطاعة فكتب اليه محمد عدلان في الجواب كتاباً مشهوراً يحفظ اهل سنار منه الى

اليوم هذه الجملة التي مرّ شبهها في كتاب السلطان محمد الفضل الى محمد علي باشا وهي :
 « لا يغرتك انتصارك على الجعليين والشايقية فحن الملوك وهم الرعية . أما بلغك أن
 سنار محروسة محمية بصوارم قواطع هندية وخيول جرد ادهمية ورجال صابرين على
 القتال بكرة وعشية » . وقال الرسل ان عند ملك سنار من ٨ آلاف الى ١٠ آلاف
 مقاتل ما عدا سبعة مدافع من الطرز القديم نمرة ٤ ونمرة ٦ اتى بها الممالك من مصر
 وكان محمد عدلان فارساً مقداماً ذا عزم وتدير ولو بقي حياً لاتعب اسماعيل
 باشا ولم يمكّنه من سنار بالسهل ولكن من سعد اسماعيل باشا حدث ما ذهب بحياة
 محمد عدلان قبل وصوله الى سنار بأيام قليلة وذلك ان محمد عدلان لما سمع بجملة
 اسماعيل باشا على سنار اخذ في جمع الالهبة لصدّه ومحاربتّه . وكان من عادة ملوك
 سنار في حفظ الجيوش ان يخصصوا لكل رئيس من رؤساء الجيش اراضي أو اقطاعات
 يكون منها معاشه ومعاش عساكره ولم يكن لهم مرتبات معينة من الملك ففرّق محمد
 عدلان رؤساء جنوده على الاقطاعات وأمرهم بجمع الغلال والتهيو للقتال ولم يبق
 معه الا الارباب دفع الله ود احمد وقليل من العساكر . وكان لحسن ود رجب
 ثار على محمد عدلان لقتله اخاه محمد رجب سابع وزراء الهمج كما رأيت في تاريخ سنار
 فاعتنم هذه الفرصة وأوعز الى اثنين من رجاله وهما عبد الله بنحيت وادريس عقيد
 وجماعة من حزبه فدخلوا على محمد عدلان في منزله ليلاً فخرج عليهم وحاربهم بنفسه
 راجلاً حرباً شديدة حتى كسرهم ثلاث مرات ولكنهم تغلبوا عليه اخيراً بكثرة العدد
 فقتلوه وقطعوه ارباً ودفنوه في منزله وكان ذلك في اواخر مايو سنة ١٨٢١م فهاج
 حزب محمد عدلان فاجتمعوا في ١ يونيو سنة ١٨٢١ وحاربوا حسن رجب في حلة
 قندال على ٣ ساعات جنوبي سنار فكان النصر لحسن ود رجب ولكن هذا النصر
 لم يضمن له الملك فلما سمع ان جيش اسماعيل اجتاز البحر الابيض فرّ من سنار
 بثلاثمائة رجل وبينهم قاتلا عدلان ولجأ الى جبال فرنيس في حدود الحبشة
 اما اسماعيل باشا فانه زحف بجيشه حتى وصل ود مدني فقابله رجب ود عدلان
 والارباب دفع الله احمد بالطاعة فأمنهما واخذهما معه . ولما قرب من سنار خرج اليه

ملكها الملك بادي طائعا وقدم له اربعة رؤوس من جياذ الحبشة فكساه كسوة
 فاخرة وهي جبة شرف وشالا كشمير وسيف وطبجات وجوادان مكسوآن احسن.
 كسوة وقرره ملكا على اهله واجرى له ولعائلته مرتبا من الدراهم والحبوب بقوا
 يتناولونه الى قيام الثورة المهدية في السودان . ودخل اسماعيل باشا سنار بالابهة
 العسكرية في ١٢ يونيو سنة ١٨٢١م فأطلق ٢١ مدفعا احتفالا بذلك . وهناك قابله
 العلماء والاعيان وفي جملتهم الشيخ ضرار شيخ خشم البحر فتلقاهم بالبشر والايناس
 واجزل لهم العطاء ثم أمر المنادي فنادي في الناس بأن جميع القضايا التي سبقت
 دخوله سنار تعد ملغاة لا يسمع فيها شكوى وانما ينظر في القضايا التي تحدث بعد الفتح
 وكان اول ما اهتم به بعد فتح سنار القبض على حسن ود رجب في جبل
 فرنيس فجهز عليه الملك جاويز ورجاله الشايقية و ٤٠٠ فارس من المغاربة بقيادة
 ديوان افندي فتسلقوا الجبل المذكور واسروه واسروا معه قاتلي ود عدلان بعد ان
 نكلوا برجاله وعادوا الى اسماعيل باشا في سنار فأمر بسجن حسن ود رجب وسلم
 قاتلي عدلان الى ابنه ادريس ورجب ليقتلاهما بثار ايها فقوضا امر قتلها اليه فأمر
 برفعها على خازوق فراعها القتل على هذه الصورة وطلبا سيفا يقتلان به نفسيهما فلم
 يسمع لهما ولما قدما للقتل اظهر احدهما ادريس ود عقيد جزعا وخوفا فانتهره رفيقه
 بنجيت وقال له « تشدد ومت موت الرجال » ثم أنفذ امر اسماعيل باشا فيهما وأشهرا
 في السوق يومين فكانا اول من رفع على خازوق في بلاد سنار . اما حسن ود رجب
 فإنه بقي مسجوناً مدة ثم اطلق سراحه برضى ابني محمد عدلان اللذين سكنا جبال
 الفونج فملكها اكبرهما وذريته الى هذا العهد

وكان اسماعيل باشا لما نزل في أم درمان على ما مر قد كتب الى الملك ادريس
 الحينه ملك الجموعية يدعوه الى الطاعة فلم يجبه ثم بعد فتح سنار بلغه ان الملك
 المذكور اطلق يده في نهب اموال الناس فأرسل محمد سعيد افندي بجريدة من
 الفرسان ومعهم الشيخ رحمه ود دحالة فنزلوا عليه في منزله وقتلوه ورجعوا الى سنار
 وبذلك تهتت البلاد لاسماعيل باشا من اسوان الى سنار

وكان اول ما اجراه انه امر بكتابة المنازل « عال ووسط ودون » ثم أحصى عدد الرقيق والماشية ولكنه لم يقرر عليها مالا ولم يطلب من اهل البلاد سوى العلف لحيوله . وتأخرت المراكب التي كانت تحمل الزاد للعساكر فأرسل السرايا شرقاً وغرباً لجمع الزاد فلم يجمعوا كفايتهم فاشتد الجوع وبقوا مدة لا ياكلون الا الذرة وهم ينامون على الارض ومات عدد كثير من الخيل والجمال ولم تدفن فآثر ذلك كله في صحة العساكر فقشت فيهم الحمى والديزنتاريا وامراض شتى ولم يكن معهم الا عدد قليل من الاطباء فمات منهم خلق كثير وقد بلغ عدد الوفيات فيهم يوم ١٦ اكتوبر سنة ١٨٢١ نحو ١٥٠٠ نفس وكان عدد المرضى مثل ذلك ولم يبق في الجيش كله من له قدرة على الخدمة سوى ٥٠٠ رجل فعلت شكوى العساكر وكثر تدميرهم فسكن اسماعيل باشا روعهم وفي ٢٤ و ٢٧ اكتوبر وصل ٢٦ مركبا من مراكب الزاد بعد ان غرق الكثير منها في الطريق فتعللوا بها

وفي اثناء ذلك وصل الخبر الى محمد علي باشا بفتح سنار فأرسل ابنه ابراهيم باشا لمساعدة اسماعيل باشا على تنظيم البلاد واكتشاف منابع النيل فوصل سنار في ٢٢ اكتوبر سنة ١٨٢١ م فأطلق له ٢١ مدفعاً ترحيباً به . ثم نظر الامير ان في ما يفعلانه فاتفق رأيهما على ان يقسم الجيش قسمين قسماً يتولى اسماعيل باشا قيادته ويتألف من ١٥٠٠ مقاتل والملك جاويش والشيخ ضرار شيخ الكماثير فيمد فتوحاته في طريق النيل الازرق ويستطلع مناجم الذهب في بلاد شنقول وآخر يتولى ابراهيم باشا قيادته ويتألف من ١٢٠٠ مقاتل والملك بادي فيخترق جزيرة سنار الى بلاد الدنكا ثم يمد فتوحاته في البحر الابيض الى اعاليه . فسار ابراهيم باشا في ٥ ديسمبر سنة ١٨٢١ م قاصداً بلاد الدنكا وسار اسماعيل باشا بعده يومين قاصداً بلاد فازوغلي وبقي ديوان افندي محافظاً ببعض الجند في سنار

اما ابراهيم باشا فانه لم يصل جبل القرين في وسط الجزيرة حتى اصيب بالديزنتاريا فعاد الى سنار ومنها الى مصر وتولى سلاحداره طوسن بك قيادة جيشه فذهب الى الدنكا ثم الى جبل تاي فأخذ منه ٢٠٠ عبد وعاد الى سنار



﴿ ملك فازوغي ﴾
سنة ١٨٢١

فتح فازوغلي ١ يناير سنة ١٨٢٢ م

اما اسماعيل باشا فانه سار بالبر الغربي قاصداً فازوغلي وبعث بخمسة من رجاله فساروا تجاهه بالبر الشرقي فقابلوه في الطريق رسل من الملك حسن ملك فازوغلي وقالوا ان ملكهم مسلم له فليس عليه الا ان يحارب المجوس وكان ذلك في ١٩ ديسمبر سنة ١٨٢١ . ولما كان يوم ١ يناير سنة ١٨٢٢ وكان اسماعيل باشا على بضعة اميال من فازوغلي قابله ملكها الملك حسن ومعه مئة فارس من حراسه حاملين الحراب فلما رأوا اسماعيل باشا ترجلوا جميعاً وتقدم الملك حسن فسلم عليه وقدم له جوادين من جياذ الحبشة واما حراسه فانتظموا في صف واحد ثم جثوا على ركبهم ونكسوا حراهم علامة الخضوع . وضرب اسماعيل باشا على فازوغلي وجباها جزية قدرها ألف اقة ذهب والفا عبد ذكر

﴿ مناجم الذهب ﴾ ولما تم له هذا الفتح سار بجيشه الى بني شنقول لمشاهدة مناجم الذهب وتحقيق ما سمع عنه فوصل خور « أبو » في ارض الكاميل التي فيها الذهب في ٢٠ يناير سنة ١٨٢٢ ومعه العالم الفرنسي الموسيوكايو المار ذكره فحفر في عدة اماكن من الخور فلم يعثر الا على قطع صغيرة من التبر فخاب امله وقفل راجعاً الى سنار فدخلها في ٤ فبراير سنة ١٨٢٣ م

وكان ديوان افندي سعيد في مدة غياب اسماعيل باشا في فازوغلي قد فرض الضرائب على الاهلين بمساعدة المعلم حنا المباشر والارباب دفع الله احمد فجعل على رأس الرقيق خمسة ريالات وعلى البقرة نصف ريال وعلى الشاة والحمار ربع ريال . فقلت هذه الضرائب على الناس لانهم لم يتعودوها وفي اثناء ذلك شاع ان اسماعيل باشا قتل في الجبال وان جنوده قد تشتت فتحرك اهل البلاد للثورة لاسيما وان اكثرهم سلموا لاسماعيل باشا خوفاً من بطشه فبلغ اسماعيل باشا خبرهم وهو في الطريق فاسرع الى سنار وهدأ البلاد وعامل الاهلين بالحلم والعفو ولم يقتل احداً سوى ود عجلاوي . ثم لم يرض بما فرضه ديوان افندي المباشر من الضرائب وطلب الدفاتر ليعدها فوجد ان المباشر قد ارسلها الى مصر

فأرسل الشيخ سعد عبد الفتاح ليرجعها فلم يدركها فامر بالرفق في تحصيل الضرائب
ولما نزلت الامطار في سنار فشت الحمى في العساكر فذكر ما فعلته في
معسكره سنة الفتح وذكر نصيحة المسيو كايوله بالانتقال الى ودمدني لجودة هواها
فانتقل بعساكره اليها وبني فيها قشلاقاً كبيراً من الطوب لم تزل آثاره باقية الى
اليوم . ومات في ودمدني بعد انتقال العساكر اليها القاضي محمد الاسيوطي الحنفي
المتقدم الذكر والشيخ كرار العبادي ومحمود اغا القسطنطيني احد سوارى المغاربة
وهرب حسن ودرجب المار ذكره الى ابي شوكة

الفصل الثاني

في

﴿ حملة الدفتردار على كردوفان ﴾

وفيها فتح الايض سنة ١٨٢١

وكان محمد علي باشا بعد أن أرسل ابنه اسماعيل لفتح سنار قد جهز جيشاً آخر
وعقد لواءه لصهره محمد بك الدفتردار وأمره بفتح كردوفان وكان جيش الدفتردار
مؤلفاً من اربعة الاف مقاتل من المشاة والفرسان منهم الف مقاتل من البدو
والمغاربة ومعهم عشرة مدافع نمره ٤ فسار الدفتردار الى كردوفان بطريق دقله
وابي قس . وكان على كردوفان المقدم مسلم من قبل سلطان درافور فلما بلغه قدوم
الدفتردار خرج لقتاله من الايض فالتقاء في باره صباح ١٦ ابريل سنة
١٨٢١م وحدثت واقعة دموية قاتل فيها الفريقان قتال الابطال وكان الدفتردار
والمقدم مسلم في مقدمة رجالهما يحمسانهم على الاستهلاك في الدفاع وكان رجال
المقدم مسلم مسلحين بالحرايب وكثيرون منهم مسلحين بالبنادق فقتلوا امام الجيش
المصري طويلاً واقتحموا نيرانه غير مباينين بالموت حتي انهم اخترقوا صفوفه وجرحوا
كثيرين من عساكر الطوبجية فوق مدافعهم وما زالوا يكرئون ويفرون حتي قتل
قائدهم مسلم قتله احد بادية الجهماب فوقع فيهم الفشل وانهزموا امام جيش الدفتردار

فأوسعهم قتلاً وأسراً الى ان دخل الايض ومهد البلاد . قيل وكان في جيش الفور فارس يقال له ابراهيم ود دير فدفع جواده على مدفع في قلب الجيش المصري فأدركه وقتل بعض الطوبجية وضرب حديد المدفع بالسيف وكان السيف من الفولاذ الجيد فظهر أثر الضربة في المدفع وبقي يحارب في وسط الجيش الى ان قتل . قيل انه قبل هجومه قال للذين حوله « اني هاجم على هذا المدفع لاضر به بسيفي فان عشت كان قسي وان مت كان وسي » وقد كان الثاني فان هذا المدفع سمي بمدفع ود دير وبقي في الايض الى ان وقع بيد الدراويش فحملوه الى ام درمان

ولما استولى الدفتردار على كردوفان اخذ في الالهبة للزحف على دارفور وكان على دارفور في ذلك الحين السلطان محمد الفضل فارسل جيشاً بقيادة ابي الكليك لمحاربة الدفتردار واسترجاع الايض منه فالتقاه الدفتردار في « سودرة » وقهره وردّه خائباً كما مرّ في تاريخ الفور . وأبى الدفتردار ان يصحبه احد من الاوريين في حملته على كردوفان ليحرز الفخر كله لنفسه وكتب عدة رسائل الى القاهرة في احوال البلاد وحاصلاتها وتجاريتها ورسم خريطة لها فجاءت ساذجة بسيطة خالية من اتقان الصناعة اللازم في ايماننا . ولنرجع الان الى سير الحوادث في سنار

الفصل الثالث

في

﴿ غدر الملك نمر وقتل اسماعيل باشا ﴾

سنة ١٢٣٨ هـ : ١٨٢٣ م

تقدم ان اهل سنار تحركوا للثورة مدة غياب اسماعيل باشا في فازوغلي وان اسماعيل باشا اسرع الى سنار فأخذ الثورة ولكن بقيت تحت رماد وما زال بعض الرؤوس يترقبون الفرص ليضرموها وكان اول من حاول ذلك رجب ود عدلان واخوه عليّ فأرسل اسماعيل باشا بعض العساكر فقتلوا رجباً على فراشه واتوا اليه بهليّ اسيراً فقتله شنقاً

ثم بلغه ان الملك نمرًا ملك السعداب في شندي متحفز للقيام فجهز بعض العساكر وأرسلها في المراكب وذهب بنفسه في شهر صفر سنة ١٢٣٨ هـ اوكتوبر سنة ١٨٢٣ م قاصداً شندي فوصلها في شهر ديسمبر من السنة المذكورة . وحال وصوله امر باحضار الملك نمر فتهدهه قيل وضرب عليه جزية قدرها الف اوقية ذهباً والف جمل اصبه والف ناقة منتجة والف بقرة والف شاة والف عبد والف جارية فأظهر تمام الامثال واضمر الغدر . ثم اولم وليمة فاخرة في منزله ودعا اليها اسماعيل باشا وعساكره فاكلوا واكثروا من شرب المريسة فسكروا وناموا فجمع الملك نمر عبيده وذوي قريبه واخبرهم بمطالب اسماعيل باشا وتهديده فاجمعوا على قتله هو وعساكره . ولما جن الليل احاطوا المنزل بالهشيم واشعلوا فيه النار فاحترقوا جميعاً واسماعيل باشا من الجملة قيل ان حاشية اسماعيل باشا لما التهب النيران وقعوا عليه قصد وقايته منها فأتوا فوقه حرقاً اما هو فلم تمسه النار فمات خنقاً . وانتشر خبر هذه الفعلة في اقطار السودان فنشط الكثير من الرؤوس للثورة وفرّ الارباب دفع الله المار ذكره من ود مدني ونزل في حلة عبود فتجمعت عليه الجموع فشغل به محمد سعيد افندي عن الملك نمر وارسل سرية من الفرسان لمطاردته فخرجوا من ود مدني ليلاً وأصبحوا في عبود فوجدوا الارباب دفع الله قد فرّ بجموعه فقتلوا الفقيه محمداً ولد عبد العليم خليفة ولد عبود وخربوا الحلة ونهبوا اموالها وعادوا الى ود مدني . اما الارباب دفع الله فانه فرّ الى ابي شوكة واجتمع على حسن ود رجب المار ذكره فأرسل اليها محمد افندي سعيد سرية من عساكر الدلتية والشايقية برئاسة مصطفى كاشف فقاتلها قتالاً شديداً وقتل حسن ود رجب وعمه الشيخ حسيناً وابنه محمداً وجماعة من رجاله وغنم منها غنائم ثمينة ورجع الى ود مدني

وفي اثناء ذلك بلغ الدفتردار في كردوفان خبر اسماعيل باشا فخرج من فوره بمعظم العساكر وأتى الى المتمة فوجد اهلها قد اجتمعوا جمهوراً واحداً طالبين الامان فأمّنهم ثم وثب عليه رجل منهم فطعنه بجرية فاشتعل غيظاً وأمر بقتلهم جميعاً ولجأ بعضهم الى خلوة الفقيه احمد الريح فأمر باحراقهم فيها . ثم عبر النيل الى شندي فوجد

الملك نمرًا قد فرّ فأحرق المدينة وسار الى الحلفاية فوجدها خالية فأحرقها ايضاً واجتاز النيل الى جزيرة توتي فقتل فيها خلقاً كثيراً . ثم ذهب الى العيلفون وكان اهلها قد تجمعوا لمصادمته فأحدث فيها مجزرة عظيمة وأحرق الحلة بالنار وسبى الكثير من العبيد والاحرار . ثم توجه الى ود مدني فبلغه هناك ان اهالي البحر الابيض قد شقوا العصا فأرسل حسين اغا الجوخدار فقتل وسبى ونزل على بيت الفقيه فضل الله من فريق القباير فوجد ٧٢ رجلاً من الجعليين قد التجأوا اليه فقطع ايديهم وساقهم الى الاسر فمات اكثرهم . ولما تمهدت بلاد النيل عاد الدفتردار الى كردوفان ولكن لم يكن الا القليل حتى بلغه ان الملك نمرًا عاد الى شندي فجاءها في عامه فلجأ الملك نمر ثانية الى الفرار ومعه الملك المساعد واقام بمحل في البطانة يقال له النصب فلاحق به ومعه بعض العساكر التركية والشايقية فصمد له الملك نمر فواقعه في واقعة شديدة وقتل من جيشه خلقاً كثيراً وفيهم الملك المساعد واضطره الى الفرار وعاد الدفتردار بالاسرى الى أم عروق جنوب ود مدني قتل وقد جمع الاسرى في زريبة من شوك ونزكهم في الشمس لا يظللهم شيء واجرى عليهم الماء بالجداول فمات اكثرهم من شدة الكرب ومنهم من اقتداه اهلهم بمال جزيل ومن بقي جعل لهم داغاً في اكفهم بين الابهام والسبابة وارسلهم الى محمد علي باشا في مصر فنظم العبيد منهم في جيشه واذن للاحرار في العودة الى بلادهم وقال « ان هذا فتح فلا غرو اذا حصل فيه ما حصل من الجعليين » فعاد اكثرهم واقام الباقون في القاهرة في مكان تحت القلعة يعرف بمجوش الجاموس وما زالت ذريتهم هناك الى هذا العهد

وكان الشيخ بشير ود عقيد الجعلي المسلمابي هو الذي دلّ الدفتردار على زعماء الثورة من الجعليين فقر به الدفتردار وجعله رئيساً على الجعليين مكان الملك نمر . الملك نمر واولاده على حدود الحبشة . اما الملك نمر فانه بعد انكساره في النصب فرّ بمن بقي معه من الاتباع قاصداً الحبشة قتل فاشتد بهم العطش في الطريق ولم يكن معهم الا بضعة جمال للركوب فوقف الملك نمر وأرسل بعض رجاله بالجمال الى أقرب الآبار فأتوه بماء قليل فجمع اتباعه وقال الماء لا يكفي الجميع فنسقي

الآن الهرواي الضعيف الهزيل وترك النشيط الى ان نرد الماء فتشرب كلنا ثم ناداهم رجلاً رجلاً وسأل كلاً منهم عن حاله وجمع الهرو في صف والنشيط في صف آخر فأجتمع في صف النشيط نفر قليل فوزع الماء بين هولاء على التساوي وقال «ان الذي يصبر على العطش يصبر على الحرب وحاجتنا الآن الى مثل هولاء» وترك الهرو في الصحراء يموتون عطشاً وسار بالاشداء والماء قاصداً الحبشة . وكان على الحبشة في ذلك الحين الراس علي مقيماً في ولغايت فقص عليه قصته مع الحكومة المصرية واستأذنه في الإقامة في حدود بلاده فأذن له فنزل برجاله في دار غبطه واجرى لهم الراس علي مرتباً يقتضونه من اهل الدار من غلال وخرقان وبقر وسمن وعسل على قدر حاجتهم واوعز الى مشايخ غبطه باكرامهم الى ان يتوطنوا فيقولوا انفسهم . وكان عدد الذين وصلوا مع الملك نمر ١٢٠ رجلاً ما عدا النساء والاولاد وفيهم تسعة من اولاده وهم محمد واحمد وعمر وعماره والحسن وخالد وسعد وابوبكر وعثمان . فاقام الملك نمر في غبطة سنتين ومات وخلفه ابنه عمر وسمع الجعليون وسكان النيل بتوطن السعداب في غبطة فاجتمع عليهم المتشردون وقطاع الطرق وكل من فر من وجه الحكومة من ظلم وقع عليه أو ذنب جناه أو دين لا طاقة له على ايفائه حتى كثر عددهم وضائق بهم الدار فسألوا الراس عليا أن يأذن لهم في النزول في دار ميقبة على ست ساعات من غبطة لانها كانت داراً رحبة وفيها أودية خصبة وارض زراعية متسعة فأجابهم الراس علي الى ذلك فانتقلوا الى ميقبه واقاموا فيها على سعة وصاروا على ازدياد حتى عظمت نفوسهم فأخذوا يغزون بلاد الحكومة مثل بني عامر والشكريه والضباينه والتكارنه كما سيجي

هذا ما كان من الملك نمر واولاده واما الدفتردار فانه بقي في ام عروق يتعقب العصاة في كل الجهات وينكل بهم حتى جاءه الامر فنزل الى مصر ومعه السيد احمد السلاوي الحنفي المار ذكره . وتتابع بعده الولاة الآتي ذكرهم على السودان الى ان كانت الثورة المهدية

الفصل الرابع

في

✽ ولاية السودان ✽

✽ ١٠ عثمان بك سنة ١٢٤٠ : ١٢٤١ هـ — ١٨٢٥ : ١٨٢٦ م ✽

ولما كانت سنة ١٢٤٠ هـ ١٨٢٥ م سمي الميرالاي عثمان بك والياً على السودان فذهب اليه ومعه آلاي من الجنود المنظمة الذين عرفوا بالجهادية ونزلوا في الخرطوم فأثأه الشيخ شنبول من ود مدني فآكرمه وكساه وقلده المشيخة على جميع البلاد من حجر العسل الى جبال الفونج . واتاه الشيخ عبد الله عمر فقتله بقنبلة مدفع . ثم اقام عثمان أغا الخرطوم وكيلاً عنه في الخرطوم وأمره بقتل الفقيه الارباب ود الكامل بقنبلة مدفع وتوجه هو الى ود مدني فقتل عدة رجال بقنابل المدافع فعظم ذلك على الاهلين ونفرت قلوبهم من الحكومة واخذوا يهاجرون الاوطان . وكان السيد احمد البقلي المفتي الشافعي لا يزال في ود مدني فأرجعه الى مصر لعدم وجود شافعية في السودان ثم انتقل الى الخرطوم ونقل اليها اقسام الحكومة ومستودع الفرسان والمخازن والاشوان وجعلها مركزاً له فبقيت مركزاً للولاية وعاصمة للسودان وهي تنمو وتتقدم الى قيام الثورة المهدية . وضرب عثمان بك الضرائب على الاهلين وارسل الجنود في تحصيلها فعاثوا وافسدوا وضيقوا على الرعية فكثر عدد المهاجرين من اهل البلاد وهاجر بعضهم الى القضايف فأرسل خلفهم ابراهيم افندي فقتل منهم خلقاً كثيراً . وفشا فوق ذلك مرض الجدري واشتد الغلاء حتى بلغ ثمن الرطل المصري من الذرة غرشاً واحداً واكل الناس الكلاب والحمير فكانت مدة عثمان بك بلاء ذهب فيه نحو نصف السكان من المرض والقحط والقتل والظلم ولكن لم تطل مدته قد أصيب بداء السل وتوفي في منتصف شهر رمضان سنة ١٢٤١ هـ ٢٢ ابريل ١٨٢٦ م قبل تمام السنتين ودفن في الخرطوم

(٣)

﴿ ٢٠ محو بك سنة ١٢٤١ هـ : ١٨٢٦ م ﴾

وأرسل وكيله الى محو بك في بربر يخبره بما حدث فحضر الى الخرطوم وتولى زمام الاحكام فيها ثم رجع الى بربر واحضر الجنود منها فجعلهم في قبة خوجلي تجاه الخرطوم واقام هو في الخرطوم وكان رجلاً شفوفاً عاقلاً حسن التدبير فمنع تعدي الجنود عن الاهلين ودعا عمد البلاد واعيانها واستشارهم في ما يكون به راحة الاهلين فأعجبه رأي الشيخ عبد القادر ود الزين وكان اذ ذاك شيخ خط فقلده شياخة قسم الكوع وكساه كسوة فاخرة . ثم اخذه وذهب الى القضارف فأرسل الذرة منها الى بلاد الجزيرة التي كانت لم تزل تقاسي من الجوع وارتاح الناس الى حكمه كل الارتياح . الا ان جنوده المعروفين بالبيريقة لم يقتدوا به فخرّبوا حلة القبة التي نزلوا بها وخرّبوا ما حولها . وكانت مدته بضعة اشهر . وفيها مات جماعة من الفقهاء بمرض الجدري وبينهم محمد نور خليفة خوجلي والفقير السيد حماد والفقير محمد زروق والشيخ ادريس الذي ولاه عثمان بك منصب القضاء وغيرهم . وقد بنى محو بك في الخرطوم بناية خاصة لاقلام الحكومة وحفر بئراً قرب بربر عرفت باسمه وكان في جنوبي الخرطوم شجرة كبيرة عرفت باسمه ايضاً

﴿ ٣٠ خورشيد باشا سنة ١٢٤١ : ١٢٥٤ هـ - ١٨٢٦ : ١٨٣٩ م ﴾

وفي غرة ذي القعدة سنة ١٢٤١ هـ ٦ يونيو ١٨٢٦ م حضر خورشيد باشا والياً على السودان فاستقبله محو بك في ام درمان وخلا به مدة ثم احضر الشيخ عبد القادر وقدمه اليه وقال « ان عمران البلاد بروؤوسنها اهل الرأي فخذ برأي هذا » ثم توجه الى المحروسة واجتاز خورشيد باشا النيل الى الخرطوم فعمل بوصية محو بك وقرب اليه الشيخ عبد القادر فهرع مشايخ البلاد واعيانها للسلام عليه فقابلهم بالبشر والايناس ووعدهم بالراحة واطلق سراح المسجونين من ايام عثمان بك وبعد حضوره بشهر اي في شهر الحجة هطلت امطار غزيرة فزرع الناس

وأناشر القحط . وفي هذا الشهر غزا البحر الايض فأصاب مغناً كثيراً ثم توجه الى « دار الابواب » في النيل الكبير فقبض على الشيخ بشير ود عقيد المار ذكره لكثرة ظلمه في الرعية واهانه وغرمه مالا جزيلاً . وعاد منه الى البحر الازرق فغزا عربان العجبه بجهات سيرو وغنم منهم

ثم رجع الى الخرطوم وجمع مشايخ البلاد وسألهم ان يختاروا شيخاً لينوب عنهم لديه في تعديل الضرائب فاختاروا الشيخ عبد القادر فاستعان به على تعديلها وقلده الشيخة على جميع البلاد من حجر العسل الى جبال الفونج وخلع عليه كسوة فاخرة وسيفاً وقد صحب خورشيد باشا من مصر السيد احمد افندي السلاوي المار ذكره قاضياً عاماً للسودان وصحبه جماعة من معاونين بينهم موسى كاشف وكلهم من اصحاب الرأي وراتب كل منهم سبعة اكياس وكان لا يقطع امراً بلا مشورتهم ومشورة المباشر ميخائيل ابي عبيد

الشيخ ادريس وجبال الفونج . وفي محرم سنة ١٢٤٣ هـ يوليو سنة ١٨٢٨ م غزا بلاد الدنكة وتوجه منها الى جبال الفونج وكان عليها الشيخ ادريس ود عدلان المار ذكره فأقره في مكانه وعاد الى الخرطوم . وقد اشتهر الشيخ ادريس في حب جارية تسمى تام زينه فكان لها سلطة عجيبة عليه . قيل انها كانت تكره اباروف شيخ عربان رفاعه الهوي الذي تزوج باحدى بنات الهمج وبنى حول منزله زريبة مثل زرائب الهمج فاستاءت تام زينه من ذلك وقالت للشيخ ادريس « اما كفى انك زوجت هذا البدوي من بنات عمك حتى سمحت له ببناء زريبة مثل زريبتك » فأمر الشيخ ادريس اباروف ففتح في زريبتة عدة ابواب لتمييز عن زرائب الهمج . على ان حب تام زينه للشيخ ادريس لم يكن اقل من حبه لها ومن نوادرها معه انها كانت اذا سألها العصر في رمضان هل غابت الشمس ياتام زينه فتجيب على الفور « شمسك غابت يا سيدي ولكن شمس الناس لم تغب » . وكان اذا خرج للتنزه خرجت معه تام زينه واحتاطه جماعة من جواريه فحملن اذيال ثوبه واذا جلس جلسن عن جانبيه يتلقين اوامره

وكان للشيخ ادريس بنت تسمى نصره فزوجها رجلاً من حوش بان النفا
فاقتنى السراري حسب عادة الاعيان في السودان فانكرت عليه ذلك وسأله
ان يترك جميع سراريه ويكتفي بها ولما لم يفعل اقتنت نفراً من العبيد المرد وقالت
لزوجها « ان طلقت سراريك طلقت عييدي والآن فنحن في الحق سواء »
فطلق سراريه . وخلف ادريس ود عدلان على الهمج ابنه رجب ثم محمد بن
رجب الذي بقي الى ايام الثورة المهدية

وفي سنة ١٢٤٣ هـ ١٨٢٨ م عصي الشيخ خليفة ابن الحاج العبادي ابو حسين
باشا خليفة وهاجم الجنود في بربر فجهز له خورشيد باشا ولكنه لم يصل الى
بربر حتى كان الجنود قد سكنوا الفتنة وقتلوا الشيخ خليفة المذكور فعاد الى الخرطوم .
وفي سنة ١٢٤٤ هـ ١٨٢٩ م غزا جبال « ابورملي » وعاد منها غنائماً

وكان اعظم ما وجه اليه اهتمامه تعمير البلاد ورد الاهالي الذين كانوا قد هجروا
الاطوان في ايام الدفتردار وعثمان بك فاصدر منشوراً عاماً بالامان للمهاجرين الذين
لجأوا الى دارفور وجبال النوبة والملك نمر ودار العطيش على حدود الحبشة . وكان
في جملة اللاجئين الى دارفور محمد صالح ثروة الجعلي المار ذكره فصادف هناك نجاحاً
عظيماً وجمع ثروة طائلة حتى هان على الناس الرحيل عن الاوطان بسببه ومن ذلك
قول بعض شعرائهم يتذمر من ظلم الحكام ويغبط ود ثروة :

ان كان الترك حوض رمله حوض الرملة قط ما يروى

شن بيناتنا من غير سروه لمكان ما سكن ودثروه

فكان لمنشور خورشيد باشا تأثير حسن . واثار عليه الشيخ عبد القادر باعفاء
الفقهاء والاعيان من الضرائب حتاً لهم على المساعدة في تأمين الاهالي فعمل بمشورته
فعاد الكثير من المهاجرين الى اوطانهم

وفي سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٣٠ م قدم الشيخ احمد الريح العركي من دار العطيش
فاكرمه خورشيد باشا وكساه وارجعه الى دار العطيش لتأمين الفارين ثم ذهب
بنفسه اليه فجمع ١٢ ألفاً وارسلهم بالحرس الى اوطانهم . وأمن عرب الحمة

احتلال القلايات و تقدم خورشيد باشا الى القلايات فسلمت له وكان
اهلها التكارنة وهم متخلفو حجاج الغرب قد انتظم لهم مشيخة قائمة بذاتها واقتنوا
نحاساً وصاروا يحتفلون بتجليده كل سنة في عيد الرجبية ويكسرون الضلع على نحو
ما وصفناه في تاريخ الفور . واول شيخ اشتهر لهم بعد الفتح المصري لسناار الشيخ
عطرون قتل في غزوة غزوا بها الحمدة في دار العطيش . وخلفه الشيخ امام ثم الشيخ
ميري وهو الذي سلم لخورشيد باشا . وكان التكارنة يدفعون مالا للحبشة لاجل تعمير
سوقهم فوضع عليهم خورشيد باشا جزية سنوية فقبلوها . ورأى خورشيد باشا اهمية
مركز القلايات الحربي فجعل فيها حامية عسكرية مؤلفة من مئة جندي من الباشبورق
الأتراك وعاد الى الخرطوم بعد ان اخضع جبال قلي . ومن ذلك الوقت اشتهر امر القلايات
واتسعت سوقها التجارية وكان لها في تاريخ السودان والحبشة اعظم شأن كما سيحي
وبعد رجوع خورشيد باشا الى الخرطوم شرع في بناء جامع وثكنة للجنود
ومخزن لمهماتهم وأمر الناس بالبناء بالطوب لانهم كانوا يبنون بالبوص وجلود البقر وقد
امدهم بالاختشاب والالواح ترغيباً لهم في العمارة

وفي سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٣٠ م غزا الشلك بالمراكب غزوة كبيرة فقتل منهم مقتلة
عظيمة لم يروا مثلها الا في مدة الملك بادي رباط وعاد الى الخرطوم بغنائم وسبايا
كثيرة . وفي تلك السنة توفي الفقيه عبد القادر ود ضيف الله . وزاد النيل زيادة
عظيمة حتى خافوا على البلاد من الفرق

وفي سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣٢ م غزا قبائل سبدرات وحصرهم حصراً شديداً الى ان
اذعنوا له وطلبوا الامان فأمنهم ورجع عنهم . وفيها حصلت زلزلة عظيمة اهترت لها
الارض . وفيها توفي الفاضل الشيخ قمر الدين ابن الشيخ حمد ود المجذوب ودفن
بالدامر وقد اشتهر بالصلاح والتقوى وهو صاحب طريقة المجاذيب المشهورة . وفيها
توفي خربوطلي حسن كاشف حاكم اقليم الحلفايه والبحر الابيض ودفن في قبة خوجلي
وفي سنة ١٢٤٨ هـ ١٨٣٣ م توجه خورشيد باشا الى كردوفان فتفقد أحواله وارجع
وفي سنة ١٢٤٩ هـ ١٨٣٤ م أنعم عليه برتبة اللواء وسمي حاكماً عاماً على السودان

وفيهما احتفل بختان اولاده احتفالاً عظيماً لم يسبق له مثيل في السودان فحضره جميع المديرين ورؤساء العساكر ومشايخ البلاد واعيانها

وفي سنة ١٢٥٠ هـ ١٨٣٥ م بنى جامعاً في سنار بأمر محمد علي باشا وذهب مرة ثانية الى كردوفان ورجع . وفيها عقد لجنة في شندي حضرها القاضي العام ونائب الشرع وجميع المديرين لفصل الدعاوي التي اقامها الجعليون على بشير احمد عقيد في الاطيان التي استولى عليها من ايام الدفتردار وبقيت اللجنة الى ختام ذي الحجة سنة ١٢٥٠ هـ وفي غرة محرم سنة ١٢٥١ هـ ٢٨ ابريل ١٨٣٦ ذهب الى مصر بطريق دقله فأقام فيها بضعة اشهر ثم عاد الى السودان وقد رقي الى رتبة ميرميران . وعند وصوله الى الخرطوم جمع الكشاف والمأمورين والمشايخ وخلا بالشيخ عبد القادر يومين فعرض عليه رأي تجنيد الاهالي فراجعهُ الشيخ عبد القادر في ذلك خشية تشيت الاهالي وخراب البلاد فقر الرأي اخيراً على تكليفهم تقديم العييد للعسكرية فجعلوا على كل مديرية عددًا معلوماً من الرقيق فجمعوا عددًا كبيراً

ثم غزا خورشيد باشا جبال الصعيد فأحضر منها رقيقاً كثيراً أدخل بعضه في الجيش وفرّق البعض الآخر على المأمورين والجهات . وهاج الحبشة على الحدود فنزلوا معهم رجب ولد بشير الغول من شيوخ الحمة الى دار العطيش وقتلوا الرجل الصالح ودعاروض وخلقاً كثيراً فأرسل خورشيد باشا عليهم فرقة من العساكر الجهادية بقيادة محمد افندي فأسروا رجب ولد بشير واتوا به الى خورشيد باشا في الرصيرص فقتله وشيخ على الحمة احمد ابا جنّ واسكنهم على نهر الدندر ورجع الى الخرطوم وفي تلك السنة رقي محمد افندي الى رتبة ميرالاي وأرسل بالعساكر السودانية الى الحجاز . وفيها كسفت الشمس بعد صلاة العصر نصف كسوف دام الى قرب الغروب وفي صفر سنة ١٢٥٢ هـ مايو ١٨٣٧ م هاجت ريح شديدة مدة يومين متوالين ففي اليوم الاول ثارت قرب العصر فحملت غباراً احمر اللون اظلم منه الجو ثم انجلت بسرعة وفي اليوم الثاني هاجت واثارت غباراً اسود اللون فأشتدت ظلمة الجو الى غروب الشمس فتشاءم الناس من ذلك وتوقعوا شرّاً عظيماً فحصل على الأثر

فخط شديد فأخرج خورشيد باشا مئة أردب ذرة وتصدق بها على الفقراء وأخرج مئة أردب من شون الميري وأمر ببيعها في السوق رفقا بالرية وأقام صلاة الاستسقاء وقبل نهاية تلك السنة أصاب الناس الهوآء الأصفر فمات فيه خلق كثير وكان في جملة من مات من الأعيان : الفقيه السنوسي بن الفقيه بقادي . والفقيه النخلي مقرئ القرآن الشريف بجملة بقادي . والفقيه محمد الحاج الطيب امام جامع الخرطوم . والفقيه محمد علي ود العباس . والشيخ الطريفي بن الشيخ يوسف . والشيخ محمد بن الشيخ حسن خليفة ولد بان النقا . والشيخ سعد عبد الفتاح العبادي . والشيخ مصطفى خليفة الشيخ دفع الله العركي . ولما اشتد المرض في الخرطوم ذهب خورشيد باشا الى شندي فأقام فيها . ومن هناك أرسل رجب ابن بشير ودعقيد المتقدم الذكر الى الخرطوم فرُفع على خازوق . وبعد زوال الوباء رجع الى الخرطوم فهدم الجامع الذي كان قد أنشاه سنة ١٢٤٥ هـ لانه أصبح صغيرا لزيادة العمارة في الخرطوم وأنشأ جامعاً أوسع منه بقي الى ايام الثورة المهدية

وفي تلك السنة ظهر نجم كبير نصف النهار وخرج منه شرار ! وفيها أصابت الناس حمى سميت أم سبعة هلك فيها خلق كثير ومات بها من الأعيان العوج الدرب بن الفقيه محمد بركات من ذرية الشيخ ادريس المشهور بالكرم والجود وقد سميت ام سبعة لان من أصابته لم تمهله سبعة أيام ومن تجاوزها سلم منها

وفي شهر رمضان من تلك السنة غزا احمد كاشف حاكم القضاة أطراف الحبشة فغنم وسبي وأرسل السبايا الى الخرطوم

وفي ٩ محرم سنة ١٢٥٣ هـ ١٤ ابريل سنة ١٨٣٨ م نزل الحبشة على القلابات وكانت حاميتها قد زيدت فقتلوا شيخها الميري والشيخ احمد عبود أحد سوارى الشايقة وخلقاً كثيراً من الجند والاهالي واسروا بكباشي الاورطة وعلي اغا الصهيب سنجق المغاربة والملك سعداً من سوارى الشايقة وعادوا الى بلادهم وكانت الواقعة في كنبر قرب راشد فعرفت بواقعة كلنبو . قيل ان الشيخ احمد عبود لما رأى انكسار العساكر ولم ير فائدة من الدفاع افترش فروته فقتلوه عليها . فلما بلغ خورشيد باشا

خبر الواقعة جهز جيشاً وسار الى الحبشة لاختذ الثار تاركاً سليمان كاشف وكلاً عنه
في الخرطوم فدخل الحبشة فلم يقابله جيش فرجع الى القلابات بلا قتال فحسبها
وزاد في حاميتها وقفل راجعاً الى الخرطوم
وكان خورشيد باشا قد ارسل الى مصر في طلب المدد فلما كان ذو القعدة من
تلك السنة حضر الى الخرطوم ميرميران « احمد باشا ابودان » ومعه الميرالاي فرهاد
بك بجنود من مصر امداداً له وأدركه فرهاد بك في الطريق فعاداً معاً الى الخرطوم
وفي تلك السنة حضر الميرالاي مصطفى بك من كردوفان مديراً على عموم
جزيرة سنار . وفيها خسف القمر نحو ساعتين واشتد ظلامه

✽ ٤ احمد باشا ابودان سنة ١٢٥٤ : ١٢٥٩ هـ - ١٨٣٩ : ١٨٤٤ م ✽

وفي ربيع الاول سنة ١٢٥٤ هـ مايو ١٨٣٩ م صدر الامر الى خورشيد باشا قتل
الى مصر واستلم احمد باشا ابودان زمام الحكمدارية مكانه فأسف الاهالي لفراقه لانه
ضم شملهم بعد الشتات وعاملهم بالعدل والرفق وكان الشيخ عبد القادر اكثر الناس
غماً على فراقه وقد أوصي به احمد باشا فقرّبه ولم يقطع أمراً يتعلق براحة الرعية الا
بمشورته وشرع في الاحكام بحسن سياسة وبعد نظر فنظم الدواوين والمدريات
وحسن حال الكتبة والموظفين ثم التفت الى امر الضبط والربط فأبطل السخرة
ومنع تعدي العساكر على الفلاحين ووطد الامن في البلاد حتى أمن المسافر
والمقيم من حلفا الى اقصى حدود السودان وبذلك اطمان الاهالي وزادت عمارتهم
وخصبت ارضهم حتى صار أردب الذرة بخمسة قروش وواقع الله هيبته في قلوب
العباد مع انه لم يكن بذئ اللسان ولا سفاكاً للدماء بل كان وقوراً كثير الصمت
وكانت اوامره ونواهيه مقصورة على ما قل ودل كقوله افعلوا أو لا تفعلوا ولم يجسر
احد على مخالفتها . وسرت هيبته الى جميع فروع الحكمدارية حتى قيل ان الموظفين
والمأمورين في الجهات كانوا يتوهمون انه مقيم بينهم يسمع ويرى فيحذرون
في ما يفعلون كل الحذر

﴿زيارة محمد علي باشا للسودان﴾ وفي أيامه توجه محمد علي باشا الى السودان لمشاهدة البلاد التي افتتحها وتفقدها احوالها وكشف مناجم الذهب بنفسه فسار من القاهرة في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٣٩ م فوصل الخرطوم في ٢٣ نوفمبر وكان احمد باشا اذ ذاك متغيّبا في ود مدني فقابلته وكيله مقلي عبد القادر اغا ثم حضر واستاذن للقاضي والمفتي والعلماء في مقابلته فأذن لهم فسروا من طلاقة وجهه وحسن خطابه . وأقام ٢٢ يوما في الخرطوم ثم سار الى جبال فازوغلي فوصلها في ١٨ يناير سنة ١٨٤٠ وفي معيته احمد باشا الحكمدار . فاستقبله الشيخ الزين والشيخ ادريس ودعدلان شيخ الهمج والشيخ احمد ابوسن شيخ الشكريه وسائر مشايخ العربات والحالات فقابلهم بالبشر والايناس وامر لهم بالكسّي على حسب رتبهم . وقد بُني له قصر جميل قرب فامكة فأقام فيه مدة يبحث في أمر المعدن فلم ترضه نتيجة البحث وقفل راجعا الى الخرطوم فأقام فيها اياما قليلة واستطرد السير عن طريق كورسكو فوصل مصر في ١٤ مارس سنة ١٨٤٠ م

وفي سنة ١٢٥٥ هـ ١٨٤٠ م توجه احمد باشا الى دقله للنظر في احوالها فأقام فيها اياما وفي رجوعه بلغه في شندي فرار حمد ولد الملك نمر فذهب خلفه بجريدة من الفرسان ومعه الملك كنبال فنجا حمد ولد الملك وقتل الملك كنبال وعاد احمد باشا الى الخرطوم . وفي رابع شوال من تلك السنة توفي العلامة البليدي المفتي وفي سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٤١ م زاد البحر زيادة عظيمة . وفيها فتحت بلاد كسله ودخلت رسميا في حوزة الحكومة الخديوية وهاك تفصيل الفتح :

فتح التاكا سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٤١ م

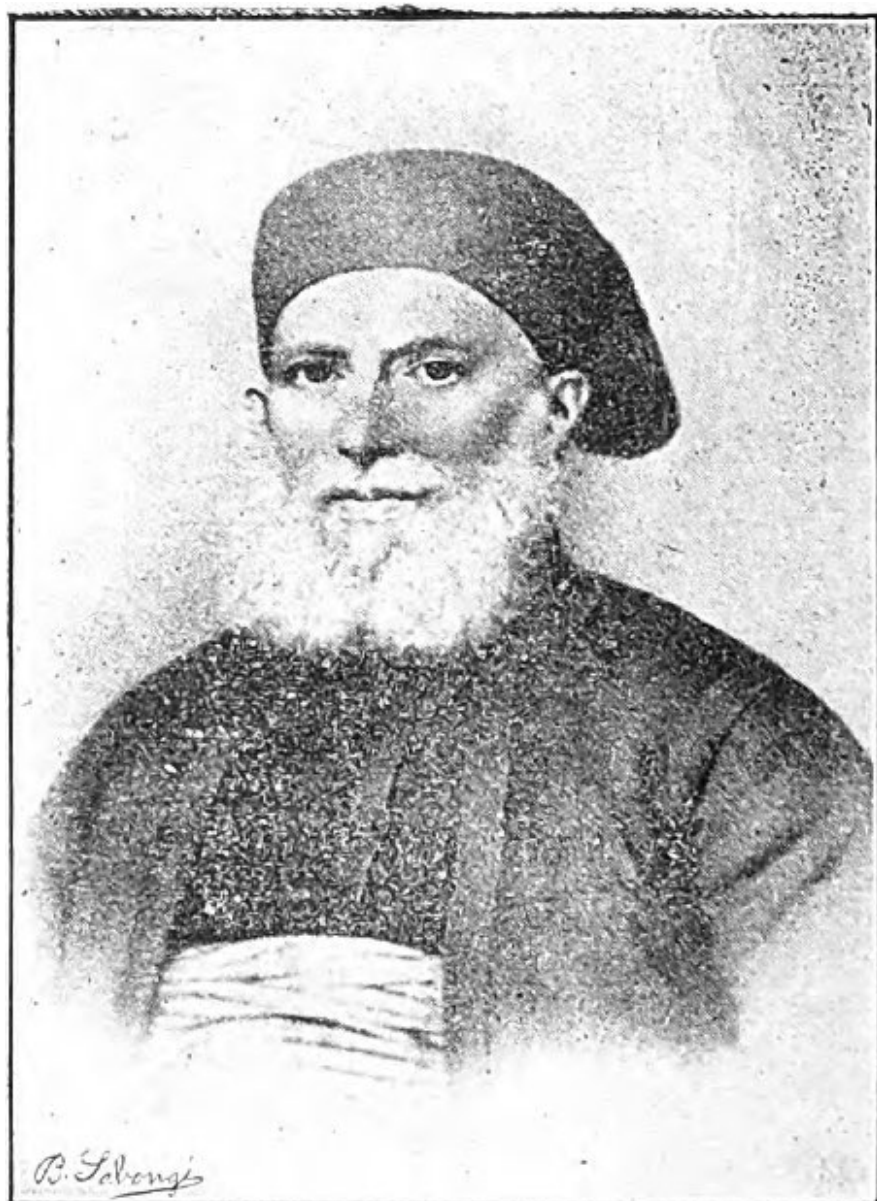
لما استتب الامر للاحمد باشا في الخرطوم وضواحيها اهتم باحتلال السودان الشرقي وتمهيد فقاد الجنود الى بربر وارسل يطلب مشايخ البجة فأتاه الشيخ محمد دين شيخ الهدندوة العام مظهرا التسليم اما عوض مسمار كبير الحلاقة المار ذكره في تاريخ سنار فانه أبي الحضور . وكان بين الحلاقة والهدندوة عداوة قديمة وحروب متصلة فطلب محمد دين من احمد باشا ان يمدّه بنفر من الجنود فيخضع الحلاقة له

ويكفيه مؤونة تعبهم وهو انما اراد التنكيل بهم من جهة ومنع دخول الجيش الى بلاده من جهة أخرى فلم يجبه احمد باشا الى ذلك بل سار بنفسه مع الجيش قاصداً الخلائقة فلما ذاع الخبر اجتمع الخلائقة وعينوا محمد ايله شيخاً عليهم فخرج مع بعض وجهاء قبيلته لمقابلة احمد باشا والتسليم له فلقية في قوز رجب على الاتبرة وقدم له الطاعة وسأله ان يجعل مركز الجيش في بلاده . وكان الخلائقة مقيمين على القاش قرب جبل كسله فلما رأى احمد باشا بلادهم أعجبه موقعها فبنى فيها استحکامات منيعة وجعلها مركزاً للجيش وحكومة السودان الشرقي وأقر محمد ايله على شياخة الخلائقة. اما عوض مسمار فانه فرّ الى الحجاز عن طريق سواكن ثم عاد الى كسله بأمان الحكومة فعين ابنه محمد شيخاً على القبيلة ومن ذلك الحين صار عائلتا عوض مسمار ومحمد ايله يتناوبان مشيخة الخلائقة الى اليوم

اما الهدندوة فانهم لما رأوا ان احمد باشا مال الى اضدادهم وجعل بلادهم مركزاً لحكومته ارتدوا عنه وجمعوا جموعهم في غابتي وهياي والكتياب شمالي كسله فحول احمد باشا مجرى القاش ومنع عنهم الماء فعطشوا واخذوا في التفرق ثم لما ييس الشجر اطلق النار في الغابتين فذعروا منها فلق بهم وقتل منهم خلقاً كثيراً واسر شيخهم محمد دين وزجه في السجن الى ان مات بداء الجدري

وعاد احمد باشا الى الخرطوم بعد ان ولى عمر بك كاشف مديراً على كسله ثم عزل عمر بك وسمي فرحات بك مديراً فعصاه الهدندوة فاستعان بالخلائقة عليهم وقتلهم حتى اضطروهم الى الطاعة وشيخ عليهم موسى ابراهيم ابن أخ محمد دين واخذ منهم الجزية . ثم ارسل البكباشي الياس افندي قومندان الجهادية الى بني عامر قتلتهم في الدقا وارغمهم على الطاعة وضرب عليهم الجزية . وتوفي فرحات بك في كسله ودفن فيها وبعد فتح التاكا رسمت خارطة السودان وقسمت الى سبع مديريات وهي : فازوغلي وسنار والخرطوم وكسله وبربر ودنقلة وكردوفان فجعل قومندان الجنود في كل مديرية مديراً عليها وجعلت الخرطوم مركز السودان ومقر الحاكم العام

وتوفي احمد باشا في رمضان سنة ١٢٥٩ هـ اكتوبر ١٨٤٤ م في الخرطوم ودفن



— ❧ — ابراهيم باشا — ❧ —

فيها وكانت وفاته بغته حتى قيل انهم دسوا له السم ليتخلصوا منه لانه كان يحاول الاستقلال عن مصر . وبعد وفاته تضعف حال الحكمدارية واختل نظامها واستقل كل مدير بمديرته وصار يفعل فيها ما شاء

٥٥٠ احمد باشا المنكلي سنة ١٢٥٩ : ١٢٦١ هـ — ١٨٤٤ : ١٨٤٥ م

وفي سنة ١٢٥٩ هـ ١٨٤٤ م سنة وفاة احمد باشا ابودان حضر احمد باشا المنكلي حاكماً عاماً للسودان ولم يمكث في الخرطوم الا قليلاً حتى عاد اهل التاكة الى الثورة نظراً لسوء ادارة الموظفين وعدم كفاءتهم فجرّد جيشاً كبيراً وسار لقتالهم ومعه الارباب محمد دفع الله والشيخ عبد القادر والشيخ احمد ابوسن كبير الشكرية فأسر رؤوس العصاة وعاد بهم الى الخرطوم فضرب رقابهم وبقي في الخرطوم الى اواخر سنة ١٢٦١ هـ ١٨٤٥ م ثم عاد الى مصر ومعه الارباب محمد دفع الله والشيخ عبد القادر الزين المار ذكرهما فانزلهما محمد علي باشا في المسافر خانة وامر باكرامهما وبعد ثلاثة ايام طلبهما وكلهما بلا واسطة قيل فأعجب بذلك الشيخ عبد القادر وفصاحته وقال « ما كنت اظن ان بلاداً ليس فيها شيء من اسباب التمدن والتهديب كبلاد السودان يخرج منها مثل هذا الرجل » وامر له بنيشان وعين لضيافته ياوراً فطاف بهما في جميع دواوين الحكومة والاماكن الشهيرة في مصر والاسكندرية وسائر الجهات

٦٠٦ خالد باشا سنة ١٢٦٢ : ١٢٦٦ هـ — ١٨٤٦ : ١٨٥٠ م

وفي محرم سنة ١٢٦٢ هـ يناير ١٨٤٦ م حضر الى الخرطوم خالد باشا حكمداراً للسودان ومعه الارباب دفع الله والشيخ عبد القادر المار ذكرهما والشيخ ابراهيم الهيني قاضياً عاماً للسودان ف قضى اكثر مدته في الاسفار فذهب الى التاكة وعاد منها الى جبال فازوغلي وكوردفان في تطلب مناجم الذهب

وفي ايامه انحرفت صحة محمد علي باشا لما اصاب مصر من الاوبئة والمحن ولم يعد قادراً على القيام بمهام مصر فتولاها ابنه الاكبر « ابراهيم باشا » في منتصف سنة ١٢٦٤ هـ ١٨٤٨ م وكان ابراهيم باشا منحرف الصحة فأشتد عليه المرض بغته

وفارق هذا العالم في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ م . وكان « عباس باشا » ابن طوسون باشا ابن محمد علي باشا ولي العهد غائباً اذ ذاك في مكة فدُعي منها ووصل القاهرة في ٢٤ ديسمبر وتولى زمام مصر . وفي ٢ اغسطس سنة ١٨٤٩ م فاضت روح محمد علي باشا الى خالقها بعد ان ابقى في مصر والسودان من المآثر الحسان ما خلدهُ الذكر الحسن والثناء الجميل مدى الزمان

﴿ ٧ عبد اللطيف باشا سنة ١٢٦٦ هـ : ١٢٦٧ - ١٨٥٠ : ١٨٥١ م ﴾

وفي ربيع الاخر سنة ١٢٦٦ هـ فبراير ١٨٥٠ م وصل عبد اللطيف باشا الخرطوم حاكماً عاماً للسودان وكانت الاحكام قد اختلفت كثيراً في مدة سلفه فما دخل الخرطوم حتى انتهت عليه الشكاوي ضدهُ فصادرهُ وانزلهُ الى مصر ثم شرع في الاحكام فزال المظالم وبث روح العدل في البلاد

ومن مآثره انهُ جدّد ديوان الحكمدارية في الخرطوم فبقي الى الثورة المهدية . وانشأ مدرسة ايرية في الخرطوم برئاسة رفاعة بك الذي حضر من مصر ومعهُ يومي بك وكثير من الكتبة والمعلمين . وعزل الشيخ ادريس عدلان السالف الذكر من شياخة جبال الفونج وولى ابن اخيه عدلان محمد مكانه . وضرب حسن مسمار ملتزم الجمارك وحبسهُ وصادرهُ . وعزل حسن خليفة العبادي ملتزم سكة عتموزابي حمد من المشيخة وحبسهُ وصادرهُ ايضاً وقلد المشيخة اخاهُ حسين خليفة . وقلد الشيخ عبد القادر وظيفة معاون الحكمدارية مع مشيخة مشايخ عموم الجزيرة واحسن معاملة الشيخ احمد ابي سن وعاد الى مصر في اواخر سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م

﴿ غزوة تكارنة القلابات للملك عمر في ميقبة ﴾ وفي ايام عبد اللطيف باشا هاج تكارنة القلابات من تعديات الملك عمر على بلادهم فجيشوا جيشاً كبيراً وساروا لقتاله في ميقبة واتفق في هذه الاثناء ان مدير كسله اخرج نفراً من رجاله لغزو الجادين وكان احد انساب الملك عمر في كسله فظن ان الغزوة على اهلهم فانفذ اليهم خبراً ليكونوا على حذر فأخذوا عائلاتهم الى مضيق بين جبلين قرب ميقبة وبقواهم



عباس باشا الاول

في ميقة متر بصين فاقترب التكارنة منهم ولما رأوهم مقبلين من الجنوب ظنوا انهم
اصدقاء لهم سمعوا بغزوة الجند من الشمال فحضروا لنجدتهم فخرج ابو بكر اخو الملك
عمر لاستقبالهم مع جريدة من الفرسان فما كان من التكارنة الا انهم بادروهم
بالطن بالحرا بفعادوا الى ميقة مذعورين فوجدوا الملك عمر جالساً في ديوانه فقالوا
له ان الذين تراه هم تكارنة القلابات وقد جاءوا لحربنا فقم بنا الى مكان
العائلة وكان التكارنة قد دخلوا ميقة على أثر الفرسان فرأى الملك عمر ان فراره من
مكانه عار عليه فافترش فروته وانتظر الموت فاجتمع عليه السعداب وقالوا له اتعطي
التكارنة قال الجعليين فتمكنهم من نفسك ليكون لهم الفخر بقتلك ولك من ذلك
مهرب فقم بنا نجمع شتاتنا ونعود الى طرد الاعداء من ديارنا « فان الرجال شرّاده
ورّاده، ثم حملوه بالرغم عنه ووضعوه على بغلة وساروا يحاربون من خلفه حتى وصلوا
الى المضيق الذي كانت فيه العائلة فلموا شعثهم ولبسوا دروعهم وتسليحوا بكامل
السلاح ومكثوا ينتظرون باقي اخوانهم فلما طال انتظارهم التفت محمد ابن الملك
عمر الى أبيه وقال على مَ هذا الانتظار والتكارنة يسلبون اموالنا أمام عيوننا وهم على
بعد مئة خطوة منا قال ننتظر اولاد دياب قال محمد أليس فينا الكفاءة لطرد هؤلاء
الحراف من ديارنا حتى ننتظر اولاد دياب قال له ابوه دعنا من هذا الحس الآن
فاني أخاف اذا حمي الوطيس انك تأبى القتال وتلجأ الى الفرار فهاجت في محمد
حمية الرجال وقال لايه « أبى القتال وأفر منه وجدّي الملك نمر وابي الملك
عمر وأمي بنت دياب انت الذي تفر منه يا ابن البدوية » فدفع الملك عمر حصانه
وقال لقومه « هيا بنا على ميقة وانظروا اليوم قتال ابن البدوية » فكرّ رجاله وراءه
فخرج التكارنة لقتالهم والتحم الفريقان فصار الفارس من السعداب يهاجم
جمعاً من التكارنة فيفتك بهم فلما رأى التكارنة كثرة القتل فيهم فزعوا الى تل
صغير قرب ميقة وتحصنوا فيه فاحتاط بهم السعداب وكان معهم عشر بنادق
فأخذوا يرمونهم بالرصاص حتى كثر القتل فيهم وعطشوا فصاروا ينزلون من التلة
ثلة بعد ثلة والسعداب يقبضون عليهم قبض اليد ويسلمونهم الى النساء والنساء

يأخذهم الى مكان بعيد عن نظر الباقين من اخوتهم على التلة ويقتلهم بالعصي والنبايت الى غروب الشمس حتى لم يبقَ على الراية احد قتلهم عن آخرهم وكان عددهم نحو ٦٠٠ نفس فغنموا خيولهم واسلحتهم وعادوا الى ميقبة فسكنوها آمين .
وذهب الملك عمر الى الراس علي فأخبره بما كان واعطاه عشر الغنائم على عادته فأكرمه الراس علي واهدى اليه بعض الجياد . وانتشر خبر هذه الواقعة في جميع اقطار السودان واشتهر باسم اولاد الملك نمر فزاد عدد المهاجرين اليهم

﴿ ٨٠ رستم باشا سنة ١٢٦٧ : ١٢٦٨ هـ — ١٨٥١ : ١٨٥٢ م ﴾

وفي سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م سمي رستم باشا حاكماً عاماً للسودان فذهب الى ود مدني وعاد منها مريضاً فتوفي في الخرطوم سنة ١٢٦٨ هـ ١٨٥٢ م ودفن هناك .
وفي مدته حضرت لجنة من مصر للنظر في احوال السودان كان رئيسها ميري بك

﴿ ٩٠ اسماعيل باشا ابو جبل سنة ١٢٦٨ : ١٢٦٩ هـ — ١٧٥٢ : ١٨٥٣ م ﴾

وفي رمضان سنة ١٢٦٨ هـ ١٨٥٢ م حضر الى الخرطوم اسماعيل باشا ابو جبل حكمداراً على السودان فجال في الجهات الشرقية قليلاً ثم رجع الى الخرطوم وبقي فيها الى ان صدر الامر برجوعه الى مصر وكانت مدته قصيرة

﴿ ١٠٠ سليم باشا سنة ١٢٦٩ : ١٢٧٠ هـ — ١٨٥٣ : ١٨٥٤ م ﴾

وفي شعبان سنة ١٢٦٩ هـ مايو ١٨٥٣ م عين للسودان سليم باشا فذهب الى الخرطوم على غير ارادته واقام فيها متمارضاً مدة قصيرة ثم ندب الى القاهرة

﴿ ١١٠ علي باشا سري سنة ١٢٧٠ : ١٢٧١ هـ — ١٨٥٤ : ١٧٤٥ م ﴾

وفي جمادى الاولى سنة ١٢٧٠ هـ فبراير ١٨٥٤ م وجهت حكمدارية السودان الى علي باشا سري الارناؤطي فذهب الى الخرطوم ولم يخرج منها الا الى سنار ثم عاد الى مصر بعد مدة قصيرة قيل وقد ملأ جيوبه من مال البلاد ولاسيما من جزيرة سنار

وفي شوال سنة ١٢٧٠ هـ يوليو سنة ١٨٥٤ م توفي « عباس باشا » الى رحمة ربه .

وتولى بعده علي مصر « سعيد باشا » ابن محمد علي باشا



— ❖ — سید باشا — ❖ —

١٢٠٠ علي باشا شركس سنة ١٢٧١ : ١٢٧٣ هـ — ١٨٥٥ : ١٨٥٧ م

وفي جمادى الثاني سنة ١٢٧١ هـ فبراير ١٨٥٥ م وصل الى الخرطوم علي باشا
شركس حكاماً على السودان

في زيارة عبد الحليم باشا للسودان في وفي اول مدته ذهب الى السودان عبد الحليم
باشا ابن محمد علي باشا زائراً فأقام في الخرطوم اياماً وانتشر الهوآء الاصفر فامتد الى
جميع اقطار السودان ومات به خلق كثير

ومن مات فيه من الاعيان الشيخ عبد القادر ابن الشيخ الزين شيخ مشايخ
الخرطوم وسنار المتقدم الذكر وكان رجلاً فاضلاً جليلاً سديداً الرأي فحضر دفنه
الحاكم العام ووكيله وجميع وجوه البلاد . وعين ابنه الزبير مكانه فخدم في الخرطوم
مدة ثم نزل الى مصر فعُين معاوناً في نظارة الداخلية . وتوفي فيه الشيخ ياسين
شيخ مشايخ مديرية كردفان وهو من الاكابر العظام والشيخ الطرهي ابن الشيخ
احمد الريح العري والفقيه عمر بقادي العالم المشهور وغيرهم

ولما اشتد المرض اشار الحكماء على عبد الحليم بترك الخرطوم فعاد الى مصر
في زيارة سعيد باشا للسودان وبعد زوال الوباء ذهب سعيد باشا والي مصر
الى السودان لتفقد احواله فوصل الخرطوم في ١٦ يناير سنة ١٨٥٧ م فسأه حاله واقراً
في بادي الرأي على اخلائه ولكن اعيان البلاد ومشايخها توسلوا اليه بالخاح ان يعدل
عن رأيه وقالوا له اذا اخليت البلاد عمت الفوضى لا محالة وربما لحق اذاها مصر
فعدل عن رأيه وامر بعدة اصلاحات فجعل الخرطوم وجزيرة سنار مديرية واحدة
وفصلها عن باقي المديريات وجعل كل مديرية مستقلة عن الاخرى ترجع في
احكامها الى مصر . ونظم البوستان بين الخرطوم ومصر فسيّرهما على الهجن بطريق
كورسكو . وخفض ضرائب الاطيان والسواقي ومنع الجند من جمعها فأناط ذلك
بشايخ البلاد وقرّر جمعها بعد الحصاد لا قبله . وامر بعقد نادٍ من الاعيان في
الخرطوم كل سنة للنظر في راحة البلاد . وكان عند اول وصوله الى بربر اعلن ابطال

تجارة الرقيق التي كانت قد انتشرت في السودان على ما سيحيى ثم انشأ محطة عسكرية على نهر سبت لمراقبة تجار الرقيق وقطع دابر النخاسين. وعاد الى مصر في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٢٧٣ هـ ١٠ ديسمبر ١٨٧٥ م. وقد رأى في سفرته هذه شدة لزوم تقريب السودان من مصر وتخفيض مشقة السفر اليه فعند عودته الى مصر كلف الموسيو مونجل المهندس الفرنسي فرسم له خريطة سكة حديد بين حلفا والخرطوم ولكن مالية مصر اذ ذاك لم تسمح باخراج هذا المشروع الى حيز الفعل. وصحب سعيد باشا في هذه السفارة الدكتور اباته باشا فكتب فيها كتاباً نفسياً

﴿ ١٣٠ اراكيل بك سنة ١٢٧٣ : ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٧ : ١٨٥٩ م ﴾

وكان سعيد باشا قد استصحب معه الى السودان اراكيل بك الارمني الملقب بالفرنساوي فلما نظم المديرية على ما مرّ عزل علي باشا شركس وعين اراكيل بك مديراً على الخرطوم فمكث فيها الى ان توفاه الله في صفر سنة ١٢٧٥ هـ سبتمبر ١٨٥٩ م وقد امتاز بحسن السياسة ولين العريكة قيل ان مشايخ الشكرية وغيرهم انكروا على سعيد باشا تعيينه حاكماً عليهم وهو نصراني على غير دينهم فأبوا مقابلته وجمعوا جموعهم للثورة فركب اراكيل بك هجينه وسار وحده حتى اناخ بين ايديهم وقال ان كنت انا السبب في عصيانكم فما انا الان بين ايديكم فافعلوا بي ما تشاؤون على ان تعودوا الى الولاء اذ يعز عليّ ان تخرجوا عن طاعة وليّ امركم بسبي، فعجب زعماء الثورة من جرأته وحسن اسلوبه وطابت نفوسهم ورجعوا عما عزموا عليه وصحبوه الى الخرطوم. وكتب اراكيل بك خبر الحادثة الى سعيد باشا في مصر فبعث في طلب زعماء الثورة فأرسل له الشيخ احمد ابا سن شيخ الشكرية والفقير ابراهيم عبد الدافع صاحب تاريخ سنار المتقدم الذكر فسجنهما بالاسكندرية مدة ثم افرج عنهما وارجهما الى السودان بعد ان حلفا له يمين الطاعة

﴿ ١٤٠ حسن بك سلامه سنة ١٢٧٥ : ١٢٧٨ هـ - ١٨٥٩ : ١٨٦٢ م ﴾

وفي رجب سنة ١٢٧٥ هـ ١٨٥٩ م سمي حسن بك سلامه الشركسي مديراً

على الخرطوم ولكن لم تطل مدتهُ قليل وكان فظ الاخلاق سيء الادارة قليل
الخبرة في سياسة البلاد الا انه كان ديناً كثير الصلوات حسن الاعتقاد عفيف النفس

﴿ ١٥ محمد بك راسخ سنة ١٢٧٨ : ١٢٧٩ هـ — ١٨٦٢ : ١٨٦٣ م ﴾

وفي محرم سنة ١٢٧٨ هـ يوليو ١٨٦٢ م عُزل حسن بك وُسُمِّي محمد بك راسخ
مدير التاكا مديراً للخرطوم فحضر اليها في شهر صفر وكان يحب الطرب والغناء .
ومن مآثره القصر المشهور باسمه تجاه سراي الخرطوم
وفي ايامه ألغى سعيد باشا النظام الذي سنَّه عند زيارته للسودان في استقلال
الديريات عن الخرطوم ورجوعها في احكامها الى مصر واعاد النظام القديم في
جبل الخرطوم مركزاً عاماً للسودان

﴿ ١٦ موسى باشا حمدي سنة ١٢٧٩ : ١٢٨١ هـ — ١٨٦٣ : ١٨٦٥ م ﴾

وفي ٤ صفر سنة ١٢٧٩ هـ ١١ اغسطس ١٨٦٣ م قدم موسى باشا حمدي حاكماً
عاماً للسودان فجعل مركزه الخرطوم وبقي محمد بك راسخ مديراً فيها وكان لموسى باشا
خدمات جمة في اكثر جهات السودان وقد اقمع عدة ثورات محلية في كردوفان وتقلي
واسمه معروف في البلاد فقابله اهله بأحتفال عظيم قتلا عليهم الفرمان الناطق بتعيينه
حاكماً عاماً على السودان ثم أرسل الى المديرين ومشايخ البلاد واعيانها فعقد معهم مجلساً
ومن قوانين جديدة لجمع الضرائب فأعطى كل فلاح «سركياً» يده ليدفع ما جعل
عليه من الضرائب على ثلاثة اقساط معينة في السنة وكلما دفع قسطاً قيد له في «السركي»
الذي يده كما قيد في يومية الصراف وجعل من الاهالي نظار اقسام ومعاونين وأمرهم
فلبسوا الملابس العثمانية وبذلك حسنت الحال وسهل تحصيل الاموال

﴿ القلايات والحبشة ﴾ وفي ايامه كثر تعدي الاحباش على الحدود ودخل
الوف من العربان وفيهم الشيخ احمد ابوجن شيخ عربان رفاعه الشرق في حمايتهم
فجهز جيشاً كبيراً من الجنود المصرية المنظمة والباشبوزق وسار في ٢ جمادى الآخرة
سنة ١٢٧٩ هـ ٢٥ نوفمبر ١٨٦٢ م الى بلاد القلايات فأخذ بعض الجيش ودخل

الحبشة فأمتنع الحبش في الجبال فعاد الى القلابات ومعه العربان الذين كانوا قد هجروا البلاد فأمنهم وردّهم الى بلادهم وشرع في تحصين القلابات فأقام فيها «استحكاماً» منيعاً وحصّنه بالمدافع واورطتين من الجهادية وجعل عليه آدم بك قومنداناً وضرب على القلابات جزية سنوية قدرها ٢٤٠٠٠ ريال . ثم ارسل جيشاً الى اولاد الملك نمر فاكتمسح بلادهم كما سيحي . وذهب الى التاكا فكث فيها مدة ثم رجع الى الخرطوم

في ٢٢ القعدة سنة ١٢٧٩ هـ ١١ مايو ١٦٨٣ م

وكان على التكارنة اذ ذاك الشيخ جمعه ابو ذقن جاء بعد الشيخ احمد ابن الشيخ ميري المار ذكره فقبل الجزية وامتنع عن ادائها الى ملك الحبشة ولكنه لم يزل يهدي اليه الانسجة والاردية والسروج والساعات والخيول الدنقلوية بما قيمته اربعة الاف ريال وكان ملك الحبشة يهدي اليه الخيل والبغال والبن وغيرها حبا بتعمير سوق القلابات وترويج التجارة بين السودان والحبشة . وضرب الشيخ جمعه الجزية على جميع واردات الحبشة من رقيق وخيل وبقر وحمير وغنم وسن وذهب وشمع وزباد وبن وقمح وعدس وفول وحمص وشعير وسمن وزبدة كما ضرب ملك الحبشة الجزية على واردات السودان في سوق وهنائي على ٤ ايام من القلابات

وخلف الشيخ ابو ذقن على التكارنة الشيخ صالح ادريس من مجاوري الازهر الذي كان اماماً لجامع القلابات وكان رجلاً شجاعاً صالحاً محبوباً وقد بقي على التكارنة الى ان كانت الثورة المهدية فكان له مع زعمائها من الشأن ما سنيته ان شاء الله .
 ﴿عود الى اولاد الملك نمر في ميقبة﴾ تقدم ان اولاد الملك نمر ازدادت شهرتهم بعد انتصارهم على تكارنة القلابات وازداد عدد المهاجرين اليهم وكان في جملة هؤلاء رجل من قبيلة الهنادي القاطنة بمديرية الشرقية بمصر كان سنجقاً في عسكر بربر فعينه « ٩ . اسماعيل باشا ابو جبل » على خمسين نفراً وارسله لجمع الضرائب من عربان رفاعه الشرق فأقام على ذلك سنة ونصف سنة الى ان قدم « ١١ . علي باشا سري » والياً على السودان فعزله وارجعه الى بربر ثم لم يلبث ان طلبه الى الخرطوم فلبى الطلب ونزل في طريقه عند صديق له في شندي يسمى بشير اغا

السجن فقال له صديقه جئت اليوم من الخرطوم فسمعت فيها ان الحكمدار عازم على استرداد المبلغ الذي استوليت عليه من الحكومة مدة خدمتك في رفاعه الشرق بحجة ان اسماعيل باشا ابا جبل قد استخدمك بلا وجه مالي اذ لم يكن لك محل في ميزانية السودان . وهذا الحكمدار على ما ظهر لي رجل عاتٍ مستبد لا هم له الا جمع المال وانت رجل جليل القدر رفيع المقام فلا يجمل بك ان تعرض نفسك للاهانة والرأي عندي ان تعود الى بربر وتجمع له من المال ما يرضيه والا زجك في السجن حتى تدفع الفلس الاخير . فلما سمع ابو رواش مقالة بشيراغا هاله الامر وعزم من ساعته على الخروج من ارض الحكومة فرجع الى بربر وجهاز رجاله وخيوله وامتنعه وفر الى اولاد الملك نمر في ميقبة ففرحوا به وكان لهم اكبر نصير ومن لجأ اليهم فراراً من وجه الحكومة فتقووا به « محمود المحلاوي » وهو تاجر من جعافرة اسنا كان في كسله يتجر في البضائع الاوربية فوقعت القرعة العسكرية عليه في مصر فجنده مدير كسله والحقه بالجهادية ولما كانت سنة ١٢٧٦هـ ١٨٥٩م فرّ هارباً الى اولاد الملك نمر وتزوج بنت الشيخ ابي رواش واتحد معهم على الغزو . وقد وجهوا اكثر غزواتهم على الشكرية والضبانية حتى اضطر الشكرية ان يعاهدوهم على جزية سنوية يدفعونها لهم ليأمنوا شرهم ومع ذلك لم يزالوا على التعدي حتى قتل ابو رواش في غزوة غزوا بها سبدرات وبقى المحلاوي الى ان ارسل موسى باشا الغزوة التي مرّ ذكرها فطلب الامان وعاد الى كسله فحضر ثورة الجهادية فيها كما سيحي.

هذا ويظهر ان الملك عمر واخوته كانوا قد ملّوا عيشة الغزو قبل فرار الشيخ ابي رواش اليهم وحنوا الى وطنهم فبعثوا في طلب الامان من الحكومة للعودة الى السودان وكانت الحكومة تودّ تأليفهم وحملهم على الطاعة فبعث اليهم المغفور له سعيد باشا بالامان وهاك صورة ما ارسله الى الملك عمر بتاريخ ١٧ محرم سنة ١٢٧١هـ ١٠ اكتوبر سنة ١٨٥٤م نمره ٩ سايره :

« قد صدر هذا الفرمان المبعوث بالتشريف والامان الى عمدة أمثاله المكرمين

الشيخ عمر ولد نمر اعلم انه قد طرق مسامعنا انهاء علي باشا حاكم السودان انك في حنين الى وطنك وانك على مزيد الرغبة والاشتياق الى الرجعى الى ديارك انت ومن يليك من الاقارب والاتباع عاقداً نيتك على حصول العمار في محلك وبذل عزيمة صداقتك في اداء الطلبات الميرية لتفوز بجميل التقرب بالمرن البهية وانك علقت انتقالك من الغربية الى الوطن على تحصيل هذا الفرمان لتتقلد به شرفاً وتحظى به بالطمأن والامان فأقتضت ارادتنا اجابة مسؤولك باصدار هذا اليك ليم به مرادك وليطرق مسامعنا بعد هذا ثمرات صداقتك واجتهادك وتقابل من لدنا بما يليق بذلك فعليك بجميل السعي في احسن المسالك « اه

وهذه صورة أمر عال صادر الى « علي باشا شركس » الذي خلف « علي باشا سرّي » على السودان مورخ في ٢٩ ربيع اول سنة ١٢٧٢ هـ ٩ ديسمبر سنة ١٨٥٥ نمرة ١٣ ومنه يعلم سير المفاوضة التي جرت بين اولاد الملك نمر وحكومة السودان بشأن العودة الى اوطانهم :

« قد عرض الينا افادة وردت من سلف حضرتكم رقم ٢٩ صفر سنة ١٢٧٢ نمرة ٥ ومعهامذكرة أجراها مع الملك حسن وأخيه الملك عماره اولاد الملك نمر بناء على الامان السابق اعطاؤه من لدنا اليهم والى أخيهام الملك عمر وأمرنا السابق صدوره الى الحكمدارية في ٢٥ ل سنة ١٢٧١ هـ وقد علم لدينا انه صار اعطاؤهم الراحة التامة ونيل ما قصدوه والطمأن والامان وذلك انه سلم اليهم في اعطائهم كافة اطيانهم واملاكهم واما الشيخ الحسن فها هو ناظر على عموم مديرية بربر الان وكذا المتسحجين الذين كانوا معهما ومع أخيهما وسيحضرون شيئاً فشيئاً . وقد اختاروا الاقامة بالمحل المسمى الجيره بين الصوفي والحمران بمديرية الخرطوم لما رأوا ان ارضه طيبة للغاية وفي غاية الاتساع وليس لاحد فيه ملك وانه بنزول الامطار يزرعون به وقد أقام به نحو مائتي نفر ممن حضروا من الحبشة وسيحضر الباقون شيئاً فشيئاً مع أخيهام بجميع تعلقاتهم ويكون استكمال حضورهم واستيطانهم في ذلك المحل في ظرف سنة كاملة او أقل لسهولة تخليص علائقهم من هناك كما تعهدوا »

واما الاربعماية خيال الراغب الملك عمر ترتيبها ليقيم بها تحت طلب الحكومة
فمن كون لحد الان لم يتوطن بمحل اقامته ويجري راحة أهاليه وجماعته وينظر في
امراطائه واملاكه وتظهر منه علامات الصداقة والعمارية فكيف الان يجري ترتيبها .
وحيث تبين ان الانفار الذين معه نحو الستين حلة تقريباً من خمسة عشر الف نفر
وما حضر منهم الا المائتا نفر الذين توطنوا بالجيره وقد تعلقت ارادتنا حصول الامن
والامان الى اولاد الملك نمر جميعاً وقرارهم في اوطانهم في غاية الراحة حسبما جبلت
عليه مراحمتنا من الرأفة والشفقة على العباد واعطاء الرعية ما ينبغي لها وقد سرت
عدالتنا باصدار تنبيهات من الحكمدارية برجوع املاكهم واطيانهم اليهم وبكف
الحكام ومشايخ الجهات عن التعرض الى اتباعهم فقد اصدرنا هذا الحضر تكم لتباشروا
ادخال البشر عليهم ليجمعوا اطرافهم ويستوطنوا بالمحل الذي تخيروه وطناً لانفسهم
وجماعتهم ويبادروا باجراء ما فيه رضانا لينالوا ازدياد الراحة والسلام » اهـ

ولكن يظهر ان ابا رواش ثنى عزمهم عن التسليم وتقووا به فعادوا الى سابق بغيهم
كما مرّ وبقوا الى ان تقض الراس طرزه أحد كبار الحبشة على الملك ثيودورس فسأل
الملك عمر المساعدة بالاسلحة والجبخانة فتوقف عن اعانته خشية الملك ثيودورس
فغضب منه واغار عليه في ميقة فقتله واكتسح بلاده وكان ذلك في اواسط جمادى
الاولى سنة ١٢٨٢ هـ اوائل اكتوبر ١٨٦٦ م ففرّ من سلم من الدار وعدتهم نحو
الف نفر الى القصارف طالبين العفو والامان من الحكومة فأمنتهم فحضر بعضهم
بقيادة اكبرهم عماره الى شندي ومعه محمد ابن عمر وعينت الملك عمارة ناظراً على
الجليين فمات في شندي وبقي البعض الآخر في الصوفي مع خالد ابن الملك عمر
الى ان كانت الثورة المهدية فكان من اعزّ انصارها كما سيجي

✽ السرصويل باكر واكتشاف منابع النيل الايض سنة ١٨٦٣ : ١٨٦٥ م ✽

وفي ايام موسى باشا قدم الى السودان السرصمويل باكر من كبار السياح
الانكليز قاصداً اكتشاف منابع النيل الايض على نفقته الخاصة . وكانت الجمعية
الجغرافية الانكليزية قد ارسلت الرحالتين سيك وغرانت سنة ١٨٥٨ م لاكتشافها

عن طريق زنجبار فاكتشفا بحيرة فكتوريا نيانزه في ٢٨ يوليو سنة ١٨٦٢ وسماها على اسم ملكتهما كما مرّ في الكلام على النيل . وكان محمد علي باشا قد ارسل بعد فتح سنار عدّة حملات من الخرطوم لاكتشاف منابع النيل الايض فوصلت آخر حملة سنة ١٨٤١م الى كوندوكرو ولم تتعدّها بسبب الشلالات التي الى جنوبها . فأراد السر صمويل باكر بعد سفر سيك وغرانت عن طريق زنجبار ان يذهب عن طريق الخرطوم ويستطرد الاكتشاف من كوندوكرو بالبر على رجاء ان يلتقي بالرحالتين المذكورين فيكون نجدة لهما ويشاركهما في فخر الاكتشاف . فخرج من الخرطوم في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٦٢ م بمركبين كبيرين وذهبية ومعه ٤٥ رجلاً مسلحين بالبنادق و ٥٠ من الخدم والبجارة و ٢٩ من الجمال والخيول والحمر ومقدار كبير من الحبوب وبضعة صناديق من اساور النحاس والخرز الملون الرائجة هناك بدل العملة كما مر . فوصل كوندوكرو في ٢ فبراير سنة ١٨٦٣م وحط رحاله واخذ يتأهب للسفر برّاً واذا بالرحالتين سيك وغرانت قد أقبلا في ١٥ منه فأخبراهُ باكتشاف بحيرة فكتوريا وانه لم يزل امامه بحيرة أخرى ليكتشفها قد اخبرهما الاهلون بها واعطياهُ خارطة سيرهما وجميع ما علماهُ عنها ثم استطردا السفر شمالاً الى اوربا وسار باكر جنوباً في البر الشرقي بقصد اكتشاف تلك البحيرة حتى أتى عليها في ١٤ مارس سنة ١٨٦٤م بعد معاناة مشقات كثيرة واطار جمّة ولا سيما بسبب تجار الرقيق الذين كانوا قد انتشروا في تلك البلاد يعيشون فيها كما سيحيى وقد اتاها اولاً من الجنوب ثم جال فيها بمراكب السود فأتى شمالها ورأى مصب النيل الآتي من بحيرة فكتوريا ومخرج النيل الايض الذاهب شمالاً وسماها ادوارد نيانزه على اسم ولي عهد انكلترا في ذلك الحين . ثم عاد الى كوندوكرو وسار منها بذهبيته ومركبيه حتى وصل الخرطوم في ٣ مايو سنة ١٨٦٥ فأقام فيها الى ٣٠ يونيو وخرج منها في ذلك اليوم الى بربر فسواكن فبلاد الانكليز فوصلها في اكتوبر سنة ١٨٦٥م وقد صحبه في هذه السفارة امرأته الهامة الفاضلة فقاسمته مشاقها واطارها ولطفت معها واتعابها واعانتته على حلّ المشاكل التي عرضت له مع تجار الرقيق حتى



— اسماعيل باشا الخديوي الاسبق —

انها انجته من خطر القتل مرتين ولولاها ما سلم ولا فاز بالمراد فحبذا المرأة امرأة باكر
وفي ٢٦ رجب سنة ١٢٧٩ هـ ١٧ يناير سنة ١٨٦٣ م توفي سعيد باشا الى رحمة
ربه وتولى بعده على مصر « اسماعيل باشا » ثاني انجال ابراهيم باشا فاهتم
للسودان اهتماماً عظيماً وقد سر من اعمال موسى باشا فيه فانعم عليه برتبة فريق
فعل مهرجاناً عظيماً زينت له البلاد . وفي ٢٣ محرم سنة ١٢٨٠ هـ ١٠ يوليو سنة
١٨٦٣ م ذهب الى مصر فأدنى الشكر لاسماعيل باشا على انعامه واطلعه على حال
البلاد وعاد الى الخرطوم فبقي فيها الى ان توفاه الله في ٨ شوال سنة ١٢٨١ هـ ٦ مارس
سنة ١٨٦٥ م فدفن هناك . وقد سارت البلاد في ايامه على احسن نظام وكان
فيها من الجند نحو ٣٠٠٠٠ من نظامية وباشبورق

﴿ جبال تقلي ﴾ وكان على جبال تقلي في ايام موسى باشا ملك يسمى الملك
ناصرًا اشتهر بالقسوة والصرامة في العقاب فكان اذا غضب من شخص وضعه عارياً
مكتوفاً على حجر محمى حتى يموت . وقد حكى لي بعض معارفه ما دل على تناهيه
في القسوة الوحشية قال : ان صائغاً من صاغة الابيض سمع بقسوته وكان يذيب
فضة على النار فلما سالت قال « حق هذا السائل ان يصب في انف الملك
ناصر جزاء قسوته وظلمه فبلغ الخبر الملك ناصرًا فعزم على الايقاع به واركن الى
الحيلة فأرسل اليه اربع جوار هدية وسأله ان يحضر مع الرسول الى الجبل ليصوغ
بعض الحلى لنسائه ووعدته بمكافأة جليلة فذهب الصائغ فاعطاه بعض الفضة والذهب
فصاغها له ثم اعطاه فضة وسأله ان يسيلها على النار ولما سالت قال له اذكر انك
اشتهيت مرة في الابيض ان يصب مثل هذا السائل في انفي فسكت الصائغ وألجم
لسانه فأمر بعض العبيد فقيدوه ثم اخذ الفضة وصبها في أنفه وهي محما فتورم
دماغه ومات لساعته . وقد ارسل ولاية السودان الحملات عليه قصد اذلاله فقصر
عنه وبقي على تمرده حتى وقع خلاف بينه وبين ابن عمه آدم دبالو وكان اهله قد
سبوه لكثرة ظلمه وقسوته فنصروا ابن عمه عليه ففر بعائلته الى موسى باشا في
الخرطوم فأرسله الى اسماعيل باشا بمصر ثم عاد الى السودان فقطن جزيرة معتوق

في بلاد سنار ومات هناك . واما الملك آدم دباله فانه بقي على جبال تقلي حتى كانت الثورة المهدية فكان له فيها من الشأن ما نذكره في محله .

﴿ حرب العقال ﴾ وفي هذه الاثناء وقع في بادية كردوفان حرب شديدة بين عربان حمر وقائدهم الشيخ مكي ود المنعم وبين عربان الكبايش وقائدهم الشيخ فضل الله ود سالم اشتهرت بحرب العقال لان كلا الفريقين جمع رجاله واولاده الى ساحة الحرب وعقل الابل وعوّل على النصر أو الموت وتقاتلا طويلاً مستقتلين فانتصر الحمر وغنموا نجاس الكبايش واموالهم . وهذه الحرب بين حمر والكبايش مع « قتلة القرطاس » بين حمر والمعالية المار ذكرها في تاريخ دارفور هما اشهر الحروب التي جرت في بادية السودان الغربي الى الآن ولاهلهما فيها اغاني مشهورة في مدح الغالب واذم المغلوب .

﴿ ١٧٠ جعفر باشا صادق ١٢٧١ هـ ١٨٦٥ م ﴾ وكالة عمر فخري بك

وبعد وفاة موسى باشا قام عمر فخري بك بشوؤن الاحكام الى ان حضر جعفر باشا صادق من مصر حكمداراً للسودان

﴿ ثورة الجهادية السود في كسله سنة ١٨٦٥ م ﴾

وفي اثناء ذلك ثار الجهادية السود في كسله ثورة ادّت الى سفك دماء كثيرة واستغرقت عدة اشهر وكان السبب فيها سوء ادارة القواد وتأخر الحكومة عن دفع مرتبات الجنده وتفصيل ذلك على ما رواه لي الثقات الذين شهدوا الثورة : انه كان في « استحكام » كسله في ذلك الحين الاي فيه نحو ٤٠٠٠ من الجهادية السود ومعهم نحو الف نفر من الباشبوزق الاتراك والشايقية وكان المدير على كسله ابراهيم بك ادهم . فلما كان شهر شوال سنة ١٢٨١ هـ مارس ١٨٦٥ م خطر للمدير ان يرسل غزوة على جبال البارية والبارزه فأصدر امره لاورطة من الجهادية وبعض الباشبوزق بالتأهب للغزوة وكان قد مضى على الجهادية ستة اشهر لم يقبضوا فيها رواتبهم فرفضوا الامر وقالوا « لا نسافر حتى نقبض المتأخر من رواتبنا » فلما بلغ خطاب افندي قومندان الاورطة قولهم غضب وقال « أصبح للعبيد شأن يعصون به الامر فوالله لاسوقنهم

الى الغزوة بالسياط . فازداد السود تصلباً وعناداً ولما جاء الميعاد المضروب خرجوا من الاستحكام ووقفوا عند باب سبدرات طابوراً فجمعوا اسلحتهم امامهم كوماً وارسلوا يجبرون خطاب افندي انهم لا ينتقلون من مكانهم حتى يقبضوا رواتبهم بتمامها وان كان لم يزل ينوي تنفيذ امره بالسياط كما قال فليفعل . فجاءهم خطاب افندي على جواده ونادى بهم « سلاح آل » فهجموا عليه وأوسعوه شتماً وضرباً بالعصي وكان نساؤهم من وراءهم يشجعونهم ويزرعون لهم فلجأ خطاب افندي الى الفرار واخبر المدير بما كان فاهتم الامر وخشي امتداد الثورة الى الالاي كله وكانت الجبخانه (الذخيرة) يد ملازم منهم فاخرجها من يده وسلمها الى ضابط من ضباط الباشبوزق الاتراك وجمع التجار المغاربة وأهل البلد فسلحهم وضمهم الى الباشبوزق وفرقهم على ابراج السور اما العصاة فانهم حملوا سلاحهم وساروا في وجوههم نحو سبدرات وكان خطاب افندي قد وجه اليها بعض العساكر الباشبوزق بمدفعين و٦٠ صندوق جبخانه محملة على ٣٠ جملاً ليتقدموا الغزوة فأدركهم العصاة على الطريق واستولوا على الجبخانه والمدفعين بعد ان فتكوا بالعساكر وضربوا قائدهم السرسواري سعيد اغا بالقلعة فأنخنوه وتركوه بين حي وميت ونزلوا في سبدرات . فعقد المدير نادياً من الضباط والتجار والاعيان للنظر في امر الاورطة فاقروا على ان يرسلوا اليهم رواتبهم المتأخرة ومداركة الامر بالتي هي احسن حتى تطمئن نفوسهم اولاً ثم ينفذون فيهم رأيهم . وكان في خزينه كسله بعض نقود مودعة امانة فقر رأيهم على اعطائهم اياها حتى يتيسر المال فتدّ الى محلها . وكان في كسله اذ ذاك الاستاذ السيد الحسن ابن الاستاذ السيد محمد المرغني مؤسس الطريقة المرغنية في السودان فتكفل بالامر له فحمل النقود وجاء الى سبدرات فوزعها على العصاة على التساوي فاصاب كلا منهم اربعة ريالات ثم عنفهم على مسلحهم وطلب اليهم ان يرجعوا الى كسله فرضوا على ان يكون غير خطاب افندي قومنداناً عليهم فعاد الاستاذ الى كسله وأخبر المدير بما كان فأرسل اليهم عثمان بك قائم مقام العساكر ليقودهم ويغزو بهم الجبال فقابلوه بالطاعة وساروا معه في الغزوة فأقاموا فيها ثلاثة اشهر وعادوا الى كسله

وكان المدير في اثناء ذلك قد كتب الى اللواء حسن باشا في الخرطوم يخبره بما حدث فأرسل حسن باشا الميرالاي علي بك ابوودان لاستلام قيادة الالاي ثم حضر بنفسه على الاثر ومعه اسماعيل بك ايوب للنظر في الامر فوصل كسله قبل رجوع الاورطة بشهر . فلما حضرت عقد مجلساً سرّياً للنظر في أمرها فاتفق رأيهم على ان يوزعوا العساكر على عربان الهدندوة بحجة جمع الضرائب ثم يأمرؤا العربان بالقبض عليهم فصدر الامر للاورطة فخرجت الى الميكناب بقيادة الميرالاي علي بك ابوودان . ولما كان يوم الاثنين ٧ صفر سنة ١٢٨٢ هـ ٢٧ يونيو سنة ١٨٦٥ أمر علي بك ضباط الاورطة وكان اكثرهم من المصريين بالتفرق بين القبائل لجمع الضرائب فادرك العساكر ان في الامر دسياسة فرفضوا السفر ولما اغلظ لهم الضباط في الخطاب هجموا عليهم فقتلوا اكثرهم وانتشروا في البلدة فنهبوا واتقلبوا راجعين الى كسله اما علي بك ابوودان فانه نجا منهم بكل مشقة وخفّ الى كسله فوصلها قبلهم واخبر اللواء والمدير بما كان فخرجوا من منازلها التي كانت داخل قشلاق (ثكنة) الجهادية ودخلا ديوان المديرية بعائلاتها واخذوا يستعدان لملاقاة العصاة وكان السرسواري سعيد اغا قد شفيت جراحه فأمره بالمحافظة على الذخيرة مع عساكره وجمعوا الاسلحة من الاورط الثلاثة الباقية في كسله وبدل ان يضعها في خزينة السلاح وضعها في القشلاق . وكان الشايقية الباشبورق مقيمين خارج السور فادخلهم داخل السور وضاهم الى المغاربة وغيرهم من سكان المدينة وفرقاهم على الابراج وأمرهم بضرب عساكر الاورطة عند وصولها واقاما في برج الخلاقة بين البابين الغربيين . وفي صباح الاربعاء ١٠ صفر سنة ١٢٨٢ هـ ٥ يوليو سنة ١٨٦٥ حضرت الاورطة سائرة بالانتظام العسكري فلما شاهدها بهذا الانتظام أمرا بعدم التعرض لها ودخلا ديوان المديرية فتحصنا به فلما اقترب العصاة من باب الجنائن اطلق عليهم البلوكباشي محمد اغا المردلي عياراً نارياً على خلاف الامر فقتل منهم شاويشا وقال هذا ثار ابن عمي الذي قتل يوم الثورة عند سلب الجبخانة ثم اطلق عياراً نارياً آخر فقتل اومباشياً فهاج عساكر الاورطة اذ ذاك ودخلوا القشلاق وكان

فيه الضباط المصريون وعدتهم ستة وعشرون فقتلوه عن آخرهم اما خطاب افندي
فبعد ان قتلوه وضعوا عليه يديسا وأحرقوه بالنار ثم اجتمع عليهم الاورط الثلاثة الباقية
وتعصبوا للجنسية ضد الاتراك والعرب وكسروا ابواب الغرف التي وضع فيه سلاحهم
فأخذوه وتحصنوا في القشلاق وفتحوا فيه المزاغيل وقطعوا السابلة وانتشر اكثرهم
في البيوت ينهبون ويسلبون . وكان السيد حسن المرغني قد ذهب الى سبدرات
فأرسل اليه المدير يدعوه فحضر في ١١ صفر سنة ١٢٨٢ ١ يوليو سنة ١٨٦٥ الى حلة
الحلاقة غربي الاستحكام وكتب الى العصاة يسألهم الكف عن الحرب وسلم
الكتاب الى احد خلفائه فرفعه على قصبة ودخل به الاستحكام وهو ينادي جاءكم
كتاب السيد الحسن فتلقاء العصاة بالقبول وكفوا عن الحرب . ثم دخل الاستاذ
فهرعوا اليه يقبلون يديه وشكوا اليه امرهم فوعدهم بالراحة ثم ذهب الى اللوا والمدير
وعقد مجلسا للنظر في تسكين الفتنة فقرّر الرأي المرة الثانية على استخدام العربان
للقبض عليهم فجمعوا جموعا كثيرة من خيالة وقرابة من الهدندوة والحلاقة وعرب
سبدرات والجادين وبنى عامر ووضعهم في الخاتمية . ثم ذهب السيد الحسن الى
الجهادية وقال لهم قد اتفق الرأي على ان تخرجوا من الاستحكام بجميع امتعتكم
وتذهبوا الى حيث تشاؤون فشعر الجهادية ان في الامر مكيدة كالتى كيدت لهم في
البتكناب فابوا ان يخرجوا الا اذا أعطي كل منهم ١٢ طلقة من الجبخانه ليحموا بها
انفسهم اذا غدر بهم فاتفق رأي الجميع على اجابة طلبهم الا سعيد اغا ابو فلقه الموج
في حفظ الجبخانه وصاحب الثار على العصاة كما مر فانه رفض هذا الرأي بتاتا وقال
«اني لا اعترف بسلطة احد منكم علي» واحسب نفسي مسؤولا عن الجبخانه من افندينا
رأسا . فاجابه المدير واللوا « اذا نحن لم نعطيهم القدر القليل الذي طلبوه من الجبخانه
فلا حيلة لنا في القبض عليهم بل نخشى ان يهاجموك فيقتلوك انت ورجالك
ويستولون على الجبخانه كلها فبقي ان نختار اهلون الشرين ونعطيهم ما سالوه ثم
ننظر رأينا فيهم » . قال سعيد اغا « أأهلون الشرين تختارون في تسليمكم جبخانه الحكومة
الى عصاة خونة ترمدوا عليها وقتلوا الجمل الغفير من رجالها في الدنيا شر اعظم من ان

يظهر رجال العسكرية الجبن امام العبيد اولاد الجواري فيسلموا لهم بمطالب ما انزل الله بها من سلطان ويعطونهم الجبخانه ليستخدموها في حربهم اليس الاجدر بنا ان ندعهم الى الطاعة فان أبوا حاربناهم حتى فزنا او متنا مشرفين . ومع ذلك فاختاروا انتم لانفسكم ما تشاؤون اما انا فقد اخترت الموت على التسليم بمطالب هؤلاء الاجلاف واذا هاجموني في محلي وعجزت عن صدمهم فاني اركب برميلاً من البارود واشعل النار في الجبخانه كلها فاقتل نفسي ولا امكنهم من طلقة واحدة منها ،

وبنغ العصاة هذا القول فتركوا السفر واتقسموا اربع فرق حسب اجناسهم الدنكة والفور والنوبة والمولدين فتولّى كل فرقة رئيس منهم وانتشروا في البندر ينهبون ويسلبون ونزلت فرقة الدنكة على منزل الحاج احمد ود عجيب وكان فيه مطمورة غلة فقتلوا الحاج احمد المذكور واخاه وتقدموا الى باب المطمورة لخراج الغلة وكان للحاج احمد بنت تسمى آمنة فلما رأت اباها وعمها مقتولين هانت عليها الموت فأخذت سيفاً ووقفت في الباب فصدمتهم عن الدخول وقتلت خمسة منهم فتسلقوا السقف وتقبوه ونزلوا اليها فقتلوها واخذوا الغلة

وكان المدير قد ارسل يطلب المدد من عمر فخري بك في الخرطوم ورفع فخري بك الخبر الى اسماعيل باشا بمصر فاهتم اسماعيل باشا بالامر حق الاهتمام وبعث بجعفر باشا صادق والياً على السودان فذهب اليه عن طريق كورسكو وجعل جعفر باشا مظهر وكيلاً له وارسله بجيش ومدفعين الى كسله لاختاد الثورة فذهب اليها عن طريق سواكن . وبعث بالاوامر المشددة الى عمر فخري بك ليبادر الى ارسال النجدات من حاميات البلاد الى ان يصل مدد مصر

وكان اول من وصل كسله مدداً السرسواري علي كاشف الكردي ومعه ٤٠٠ رجل من الباشبوزق جاءها من القضارف في اواخر يوليو سنة ١٨٦٥م ونزل في ديوان المديرية . وبعد وصوله ببضعة ايام خرج احد رجاله بجملته ليرعاه فلقبه جماعة من الجهادية السود فسلبوه جملة وسلاحه وجنحاته فعاد الى علي كاشف شاكياً فغضب علي كاشف وضرب طبل الحرب وتهايا للقتال . وكان السيد الحسن المرغني

لا يزال مقيماً داخل الاستحكام فأتى اليه وسكن غضبه وتكفل له بردّ الجمل
والسلاح ثم ذهب الى الجهادية وتلطف لهم فردّوا الجمل والسلاح ولكنهم انكروا
انهم اخذوا شيئاً من الجبخانه فصمم علي كشف رأيه على استرجاع الجبخانه ولما لم
يردوها خرج اليهم ليلاً في ضوء القمر واشعل فيهم النار فقابلوه بالمثل ولما ثقل عليه
الرصاص عاد الى ديوان المديرية وتحصن به . وفي اليوم التالي فتح الجهادية المزاغل
في القشلاق والمنازل التي في جواره وصاروا يرمون المارة بالرصاص فقطعوا السابلة
وحبسوا الناس في منازلهم مدة ٢٦ يوماً حتى حضر آدم بك من ود مدني فالخرطوم
فبربر بمدد من الجنود المنظمة والباشبوزق فكفوا عن الحرب

اما آدم بك فكان من اعظم ضباط الجيش المنظم وقد تربى في مصر ورافق
ابراهيم باشا الى بر الشام فاشتهر بالبسالة والدرية وحسن السياسة وكان اسماعيل باشا
يعرفه فلما بلغه انه نذب الى كسله كتب اليه بالتركية بتاريخ غرة جمادى الاول
سنة ١٢٨٢ هـ ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٦٥ م ما مفاده :

« عزتو آدم بك »

« ورد لنا في هذا البريد كتاب من عمر فخري بك وكيل الحكمدارية سابقاً
بتاريخ ٤ ربيع اول سنة ١٢٨٢ هـ ٢٨ يوليو سنة ١٨٦٥ م انك ووجهت بنفر من
العساكر النظامية والباشبوزق الى كسله لاختاد الثورة وقد ارسلت منذ عشرين
يوماً جنداً منظماً ومدفعين بقيادة جعفر باشا مظهر وكيل الحكمدارية لهذه الغاية
عينها . على اني اومل انك تتمكن من اخاد الثورة قبل وصوله فان عجزت عنها وحدك
فاني جازم انكما تقويان عليها معاً . وقد اتصل بي ان افراداً من العصاة يخرجون
من الاستحكام الى البلاد يعيشون ويفسدون فتعقب مثل هؤلاء وجازهم اشد جزاء
واذا خرج منهم جماعة كبيرة من مئة نفر الى مئة وخمسين فجرد عليهم نخبة من
فرسان الباشبوزق الذين استصحبتهم من الخرطوم ومن الجند المصرية المنظمة الذين
اعتادوا هواء البلاد ليطاردوهم حتى يظفروا بهم قتلى او اسرى اما الاسرى فسلمهم
الى جعفر باشا ليفعل فيهم رأيه . واني اعلم بسالتك وحسن سياستك منذ كنت مع

المرحوم ولدنا في سور يا فحقق اماننا بك وعند انتهاء الثورة احضر الى مصر والسلام،
 فلما وصل آدم بك الى كسله انزل جنده خارج السور تجاه الباب الشرقي
 واخذ بروجيه وبلطجيه وذهب رأساً الى القشلاق حيث اقام العصاة فامر البروجي
 فضرب « نوبة جمعية ضباط » ولما اجتمع الضباط عليه خاطبهم قائلاً: « يا اولادي
 ما هذا التمرد والعصيان اللذان جاهرتم بهما ألستم اولاد أفندينا الذي شرفكم بخدمته
 وأجرى لكم الرزق والخيرات السنين الطوال أيحسن بكم ان تعصوه وتنفذوا على
 حكومته وهو قد عهد اليكم تأييد سلطته في البلاد . نعم انكم مظلومون لعدم اخذكم
 رواتبكم في أوقاتها ولكم ان ترفعوا اصواتكم بالشكوى ولكنكم خرجتم عن حد الشكوى
 ووسعتم الخرق . ومع هذا فاني ارجو اصلاح الامر وأخذ العفو لكم من ولي النعم فاذا
 سألوكم بعد الان فقولوا انا لم نجد ضابطاً عظيماً من ابناء جنسنا نرفع له شكوانا ليلفها
 الى ولي نعمتنا فكان منا ما كان . واريده منكم الان ان تخرجوا خارج السور فقيموا
 بين جبل مكرام وجبل كسله حتى يصل اليكم العفو ولا تغتروا بقوتكم وكثرة جموعكم
 فان « يد الميري طويلة » فها انا قد جئت بجيش من العساكر السود والباشوزق
 وجاء قبلي جيش آخر والمدد آت في الطريق من كردوفان وسنار وبربر ومصر فاذا
 تماديتكم في العصيان فانهم يجتمعون عليكم ويقتلونكم شر قتلة فاقبلوا النصح وسلموا
 امركم اليّ وانا أدبركم بحكمي ومروتي » . و آدم بك عربي الجنس وابوه محمد ضو
 البيت شيخ عربان دار حامد بكردوفان ولكنه كان شديد السمرة جداً وعارفاً
 باخلاق السود حتى كان يظن انه منهم فاستأنسوا به واطمأنوا لكلامه خصوصاً لانه
 خاطبهم كأب فامتلوا امره وخرجوا من القشلاق الى المكان الذي عينه لهم خارج السور
 وبعد وصول آدم بك بأربعة ايام حضر الصاري ششمه عبد الله باشا من
 الخرطوم وبربر ومعه ثلاثة ارادي من الباشوزق فعسكر خارج السور . وعقد اللوا
 حسن باشا مجلساً في ديوان المديرية مع عبد الله باشا والمدير وآدم بك وسائر الضباط
 والسناجق للنظر في شأن العصاة فقر رأيهم على تجريدهم من السلاح وولجوا الامر
 لآدم بك فسلموه سلاحهم عن رضى . ثم عقد الضباط مجلساً آخر للنظر فيما يفعلونه

بعد فكان رأي الاكثرية على قتلهم فانكر آدم بك هذا الرأي وقال اني حلفت لهم بشرفي انه لا يقع عليهم حكم الا اذا صدقه افندينا وعلى هذا سلموني سلاحهم فلان نرفع الامر الى افندينا والذي يأمر به نفعله . فأخذ المجلس برأيه ولكنه اقر على شد وثاقهم الى ان يأتي الرد بشأنهم من مصر فامروا عساكر الباشبوزق فركبوا خيولهم واحتاطوا بهم من كل جانب وأخذوا حبلاً من المخازن وشرعوا في تقييدهم وادخلهم في القشلاق جماعة بعد جماعة . وانهم كذلك اذا يلوكباشي من الباشبوزق اختطف بتا من يد شاويش من الالاي ليتمكن من تقييده فبكت البنت فساله ابوها ان يتركها وشانها فشتمه البلوكباشي ورفضه برجله فاخرج سكيناً من كمه وطعن البلوكباشي قتلته وهاج السود فامر عبدالله باشا الباشبوزق فاطلقوا الرصاص عليهم قتلوا اكثرهم وقبضوا على الباقيين قبض اليد وزجروهم في السجن

ثم لم يكن الا القليل حتى حضر جعفر باشا مظهر بجنده وحقق اسباب الثورة . وكان الصاغ محمد افندي ابا حطاك قد كشف حظه في الرمل فقبل له انه اذا بقي مع المدير يموت شتقاً فانضم الى العصاة وذلك قبل مجي آدم بك من الخرطوم يومين فامر جعفر باشا بشنقه فشنق . ثم شنق بعده اليوزباشي بشيراغا السوداني الذي اتحد مع الجهادية بعد رجوعهم من المتكناب . اما الجهادية العصاة الذين سلخوا من القتل فقد جعلهم ثلاث فئات فجعل الذين بدأوا بالثورة مع خطاب افندي ثم عصوا في المتكناب فئة اولى . والذين عصوا بعد رجوع الفئة الاولى من المتكناب فئة ثانية . والذين كانوا متغييبين في الجهات خارج البندراو الذين كانوا فيه ولم يظهروا العصيان فئة ثالثة . فحكم على رجال الفئة الاولى بالاعدام فأوثقوهم وصفوهم على خندق حفروه لهم في سفح جبل مكرام وضربوهم بالرصاص فسقطوا في الخندق ثم ردموا الخندق فكان من الردم تل ظاهر . وحكم على رجال الفئة الثانية بالحبس المؤبد مع الاشغال الشاقة فاستخدموهم اولاً في بناء المنازل التي خربوها . واما رجال الفئة الثالثة فقد نظم منهم ٣ بلوكات وابقاهم في المديرية . اما ابراهيم بك اداهم المدير فقد توفي قبل وصول جعفر باشا الى كسله بايام قليلة

وكانت وفاته بغتة حتى قيل انه شرب سماً ليتخلص من الاهانة والعقاب . وتوفي بعده عبدالله باشا . ثم عثمان بك . وكان اللواء حسن باشا قد اصيب بالاسهال قبل وصول جعفر باشا الى كسله فتوفي بعد وصوله بايام قليلة وهكذا انتهت ثورة الجهادية السود في كسله بعد ان جرّت الخراب على اهلها وضاع فيها الكثير من النفوس والاموال . ولم تكتف بهذا بل جرّت وراءها ذيلاً اي حمى وبائية نجمت عن فساد الهواء لكثرة القتلى فمات بها خلق كثير

﴿ ١٨ . جعفر باشا مظهر سنة ١٢٨٢ : ١٢٨٧ هـ — ١٨٦٦ : ١٨٧١ م ﴾

اما جعفر باشا مظهر فانه بعد ان هدا الثورة في كسله اقام حسن بك مديراً عليها وتوجه الى الخرطوم وذهب آدم بك الى مصر طوعاً للامر فأنعم عليه اسماعيل باشا برتبة اللوا وبالنیشان المجيدي الثاني وسمى جعفر باشا مظهر حاكماً عاماً للسودان فعاد جعفر باشا صادق مريضاً الى مصر ودخل مظهر باشا الخرطوم في ١٧ شوال سنة ١٢٨٢ هـ ٥ مارس ١٨٦٦ وثاني يوم دخوله قري الفرمان العالي بحضور جمع حافل من العلماء وارباب المناصب والاعيان وبعد قراءته دخل الناس للسلام عليه وكان هناك شاهين باشا الذي حضر بالنيابة عن اسماعيل باشا لتنظيم مالية السودان فرّقه بجميع الداخلين عليه فخلع على العلماء والوجهاء احسن الخلع وجعل علي بك فضلي وكيلاً له . ثم جمع العساكر السودانية من التاكا وود مدني وكردوفان وغيرها وارسلهم الى مصر وأتى بعساكر مصرية عوضاً عنهم

وكان عند قدومه الى الخرطوم قد حدث غلاء واشتد حتى هاج الناس فارسل بعض التجار بنقود من الخزينة الى الجهات فأتوا بالغلال فرخصت حتى صار ربع الذرة بغرش بعد ان كان بخمسة غروش

وفي اواخر سنة ١٨٦٦ م ذهب الى سنار وفازوغي وكردوفان فاستطلع احوالها ثم عاد الى الخرطوم فطلب من مصر ردّ العساكر السودانية الى السودان وفي هذه السنة اي سنة ١٨٦٦ م تخلت الدولة العلية عن سواكن ومصوع الى

الحكومة المصرية بزيادة « ١٦٠٠٠ جنيه مصري » على جزييتها السنوية وفي ١٦ الحجة سنة ١٢٨٣ هـ ٢١ ابريل سنة ١٨٦٧ م ذهب جعفر باشا الى مصر بطلب من اسماعيل باشا فأرسل بمهمة الى جهة البحر الاحمر وبعد قضائها رجع الى مصر فوصلها في غرة رجب سنة ١٢٨٥ هـ ١٨ اكتوبر سنة ١٨٦٨ م وحال وصوله ارجع معظم العساكر المصرية الى مصر

وفي سنة ١٨٦٩ م قام من الخرطوم رجل يسمى البلالي بحملة صغيرة لاحتلال بحر الغزال وحضر السر صمويل باكر مكتشف بحيرة البرت نيازه بحملة من مصر لاحتلال خط الاستواء وذلك لضم هذين البلدين الى حكومة السودان ومنع تجارة الرقيق التي كانت قد عمت تلك البلاد وسائر بلاد السودان وقبل الشروع في ذكر هذين الحملتين اذكر طرفاً من تاريخ تجارة الرقيق على سبيل التوطئة فاقول :

تجارة الرقيق في السودان

الاسترقاق قديم في الناس ظهر فيهم في كل زمان ومكان واصله الفطرة التي جبل عليها الاحياء من استعباد القوي للضعيف . واول ما ظهر استرقاق الناس في أسرى الحرب فكان الظافر يجعل اسراه في خدمته حتى يفقدوا بالمال والا ابقاهم عبيداً عنده الى المات . وهذا في السود والبيض على حد سواء وكلامنا الآن في السود فقد مر بنا كيف كان الفراعنة من اول عهد التاريخ يغزونهم ويعودون منهم بالاسرى فينظمونهم في جيشهم او يدخلونهم في خدمة بيوتهم واقتنى ائرم اليونان ثم الرومان ثم العرب المسلمون الذين ملكوا مصر على التوالي . ثم كان كلما هاجر قوم من مصر او اسيا الى السودان يزحزح السود عن اماكنهم جنوباً ليفسح لنفسه مكاناً طيباً يقيم فيه حتى اضطر السود الى الاعتصام بالجبال الصعبة ومستنقعات النيل الاعلى . ولما افتح العرب المسلمون السودان واسسوا فيه الممالك اشتد الخطب على السود ولم يعد لهم في بلادهم راحة لان العرب لم ينفكوا عن غزوهم وسبيهم كلما سنحت لهم فرصة وربما اركن بعضهم الى الحيلة والغدر فخالف ملكاً من ملوك السود وتعلم لغته وتزوج من بناته ثم تسنت له الفرصة فاخطف النساء والاولاد وعاد الى بلاده .

وبذلك كثر السود عند عرب السودان حتى صار احقر العرب يملك رقيقاً وزاد الرقيق عن حاجتهم فصاروا يتجرون به في مصر والحجاز وتفرع من هذين البلدين الى سورية وتركيا والفرس وسائر بلاد المشرق واصبح الاتجار بالرقيق في السودان مهنة من اعظم المهن

﴿ البحارة ﴾ وكان اهل السودان الى هذا العهد يحاربون بالحرب والسيف والنشاب ولم يستعملوا البارود الا نادراً فلما كان الفتح المصري ودخلت جنود مصر بأسلحتها النارية الى السودان كثر استعمال البارود فيه وصار العربي الواحد يهرب بيندقيته رهطاً من السود فسهل على العرب غزوهم بل اصبح غزو السود وصيدهم صناعة لكثيرين منهم يتعيشون بها ويجمعون منها الاموال الطائلة . وقد توغل صياد الرقيق في النيل الايض حتى وصلوا الى اعاليه وملاوا بلاد بحر الغزال وخط الاستواء قيل وكان اول من دخل بحر الغزال بعد الفتح المصري تاجر من الخرطوم يسمى الحبشي دخلها سنة ١٨٥٤م في قارب صغير ثم اقتفى اثره الكثير من التجار واشهرهم السيد احمد العقاد من مصر وعلي ابو عموري من صعيد مصر ومحجوب البصيلي من اسنا وغطاس القبطي وكوشوك علي التركي وادريس ابتر الدتقلاوي وغيرهم . وكانوا في بادي الرأي يتجرون بالعاج والريش واللاستك ثم وجدوا ان الرقيق اربح لهم وصيدته سهل فانعكفوا عليه وجندوا له العصائب . وكان التاجر منهم يأتي بعصابته بلداً من بلاد السود فيحفر خندقاً يضع داخله بضائعه واسلحته ورجاله ويحيطه بزرية من شوك ثم يشرع في جمع السن والريش مقايضة بالخرز والحراب والاساور وغيرها من الاشياء المرغوبة في تلك الجهات ويخزن ما يجمعه منها في زريته ويبقى على ذلك الى ان يلقي فرصة في ذلك البلد فيهاجم اهله ينادقه . وكان السود اذا سمعوا صوت البنادق فرّوا كالانعام مملوئين رعباً وخوفاً فيغنم التاجر ويسبي ويعود الى زريته . ومما جرّأ التجار على مثل هذه الفعال انشقاق ملوك السود بعضهم على بعض فكانوا اذا هاجموا ملكاً منهم لم يخشوا انتصار جيرانه له بل ربما استنصروا جيرانه عليه . وكانوا يقيدون اسراهم بقيود من حديد ويسوقونهم الى زرائبهم سوق

الانعام حتى لقد يموت كثير منهم في الطريق وعند وصولهم الى الزرائب ينتقون اقوامهم بدنا واخفهم حركة واثبتهم جنا نأفيضمونهم الى عصابتهم ويدفعون الباقي مع السن والريش الى النخاسين . وقد عرف هؤلاء التجار « بالبحارة » لانهم كانوا يغزون في البحر الايض **﴿ النهضة ﴾** واما الذين كانوا يغزون الجبال كجبال النوبة وجبال فازو غلي فقد عرفوا بالنهاضة . حدثني بعض زعماء النهاضة في جبال النوبة عن كيفية غزوهم تلك الجبال قال : كنا لا نهض للغزو الا في اوان الزرع اذ يترك السود جبالهم وينزلون الى السهول لزرع الحبوب فيستصحب كل منا نفرا من المشاة المساحين بالبنادق وكتيبة من الفرسان البقارة المجاورين لتلك الجبال فيردف كل فارس معه رجلا ويسير الفرسان في مقدمة المشاة حتى اذا ظفروا بجماعة من السود اغاروا عليهم بخيلهم ونزل الرداف عن الخيل فشدوا وثاقهم وساقوهم امامهم وانقلب الكل راجعين فاذا فزع السود من الجبال تصدئ لهم المشاة وفتحوا عليهم افواه البنادق وردوهم على اعقابهم خاسرين واقتسموا الرقيق فيما بينهم النصف للفرسان والنصف الباقي نصفه للزعيم ونصفه للمشاة ومصير الكل اسواق الرقيق

واشهر اسواق الرقيق في ذلك العهد اسواق الايض وفاشودة والقلابات التي كان يرد اليها الرقيق من دارفور وجبال النوبة وبحر الغزال وخط الاستواء والحبشة وكان النخاسون يشترونهم من هذه الاسواق ويبيعونهم في اسواق الخرطوم والمسامية وود مدني وسنار والقضارف وكبله وبربر وشندي ويرسلون ما زاد عن حاجة البلاد الى الحجاز ومصر عن طريق النيل والبحر الاحمر

اما اثمان الرقيق فتختلف من الريال الواحد الى الخمماية ريال وذلك باختلاف اجناسهم واعمارهم وبنيتهم وبعدهم عن منبعهم الاصلي . وثن الانثى اعظم من ثمن الذكر . واعز الرقيق رقيق الحبشة ثم رقيق الدنكا ثم النوبة ثم الفور وادناها رقيق الشلك وشر ما انتجته هذه التجارة المعيبة خصي العبيد الذكور بطريقة تقشع لها الابدان وهم ينتقون للخصي اقوى الصبيان واصحهم بنية من سن ٦ : ١٢ فما يبلغ هؤلاء المساكين سن الرشد حتى يظهر تأثير تلك القسوة البربرية على وجوههم

فتغور عيونهم وترتفع عظام وجوههم ويجرد منها اللحم ويضولون حتى يصيروا
اشبه بالهياكل منهم بالناس

وقد تنهت الدول الى هذه التجارة المريعة منذ عهد بعيد وسعت في ابطالها
وكانت الدولة الانكليزية اول من تنبه لها فألفت جمعية في مدينة لندن سنة
١٧٨٧ م ثم شاركتها باقي الدول دولة بعد دولة حتى تم اتفاقها كلها على ذلك
بصورة قطعية في مؤتمر بروكسل في ٢ يوليو سنة ١٨٩٠ م

اما مصر فانها لم تشارك الدول في ابطالها حتى توقفت الى حكم العائلة المحمدية
العلوية فنادى محمد علي باشا بابطالها على رؤوس الاشهاد عند زيارته السودان سنة
١٨٣٩ م وكذلك فعل سعيد باشا عند زيارته السودان سنة ١٨٥٨ م كما مر .
ولما تبوأ اسماعيل باشا الاريكة الخديوية سنة ١٨٦٣ م اصدر اوامره المشددة الى
موسى باشا والسودان فتعقب تجار الرقيق وفي تلك السنة عينها القى القبض على
سبعين مركبا مشحونة بالارقاء بين كاكا وفاشوده وأتى بهم الى الخرطوم ثم احضر
ملك الشلك من فاشوده فسلمه الرقيق الذي أخذ من بلاده وارجمه بالهدايا
ووزع الباقي على التجار والموظفين لتربيته . واما التجار فانه زجهم في السجن ولم
يخرجهم منه حتى تعهدوا بعدم العودة الى مثل هذه التجارة

احتلال فاشوده سنة ١٨٦٥ م

وفي سنة ١٨٦٥ م اي في ايام جعفر باشا صادق احتلت العساكر المصرية
فاشوده احتلالاً رسمياً فسدت طريق النيل الابيض في وجه اصحاب الزرائب في
بحر الغزال وخط الاستواء . وكان التجار الاوربيون قد باعوا زرائبهم الى وكلائهم العرب
سنة ١٨٦٠ م فوضع جعفر باشا الضرائب على الزرائب ثم احتكرها السيد احمد العقاد
شريك السيد موسى العقاد من الحكومة بخمسة الاف جنيه في السنة على ان لا يتجر
بالرقيق ولا يغزو بلاد العبيد ومع ذلك لم يزل رجاله يتجرون بالرقيق ويغزون العبيد
وأصبحت بلاد خط الاستواء وبحر الغزال فوضى واهلها بغاية الضيق والشدة .



السر صموئيل باكر

اللاادي باكر



السر صموئيل باكر بلباسه الرسمي

فأت الحكومة أنه لا يمكن اصلاح الحال وابطال تجارة الرقيق الا اذا ضمت بلاد
بحر الغزال وخط الاستواء الى السودان فعولت على ذلك وبادرت الى تنفيذه

فتح خط الاستواء . والسر صموئيل باكر سنة ١٨٦٩ : ١٨٧٣ م

ولما كانت سنة ١٨٦٩ م انتدب اسماعيل باشا السر صموئيل باكر مكتشف
بحيرة البرت نيازة لفتح خط الاستواء فانعم عليه برتبة فريق مع لقب باشا وعقد
له على جيش مؤلف من ١٧٠٠ رجل هذا تفصيله : ٧١٠ من المشاة المصريين
و ٥٠٠ من المشاة السودانيين و ٢٠٠ من الباشبوزق و ٢٩٠ من الطوبجية المصريين
ومهم ٣ بطاريات مدافع جبلية و بطارية ساروخ وسماء حاكما على البلاد الاستوائية
لمدة اربع سنين تبدى من ١ ابريل سنة ١٨٦٩ م براتب قدره ١٠٠٠٠ جنيه
في السنة واعطاه فرمانا يولجه فيه افتتاح تلك البلاد وابطال تجارة الرقيق فيها
وتأسيس نقط عسكرية قوية من كوندوكرو الى البحيرات وادخال السفن في نيلها
وتنشيط زراعتها

قام باكر ومعه امرأته من السويس في ٥ ديسمبر سنة ١٨٦٩ وجاء الخرطوم
عن طريق سواكن وبربر فوصلها بعد سفر ٣٢ يوما وفي السابع من شهر فبراير سنة
١٨٧٠ قام بثلاثين مركبا من الخرطوم قاصدا بلاد خط الاستواء فمنعه السد عن
استمرار السير فنزل قرب ملتقى نهر سبت بالنيل الابيض وبنى محطة دعاها
بالتوفيقية على اسم ولي العهد واقام فيها سبعة اشهر ثم فتح طريقا في بحر الزراف
وسار الى كوندوكرو فوصلها في ٢١ ابريل سنة ١٨٧١ فوجد فيها كنيسة للمرسلين
النمساويين . وفي ٢٦ مايو سنة ١٨٧١ رفع عليها العلم المصري وسمّاها بالاسماعيلية
على اسم الخديوي وجعلها مركزا لحكومته

وكانت بلاد خط الاستواء لا تزال مأجورة للسيد احمد العقاد في الخرطوم فألحق
بباكر باشا صهره وابن اخته ابا السعود العقاد للنظر في صالح تجارته فلم يتفق مع باكر
وفي ٢٣ يناير سنة ١٨٧٢ سار باكر ببعض الجند من كوندوكرو جنوبا فأسس

نقطة في الابراهيمية قرب الدفلاي وظن انها تكون عاصمة البلاد فيما بعد . ونقطة في فاتيكو ونقطة في فويرة . ثم تقدم منها الى بلاد يونيورو فخلع ملكها كبريقه لانه لم يخضع له وولى بدله مزاحماً له يدعى ريونجه . وفي ١٤ مايو سنة ١٨٧٢ أعلن ضم بلاد يونيورو الى الحكومة الحديوية رسمياً واسس نقطة عسكرية في عاصمتها مسندي وهي على ٥٠ ميلاً من البرت نيازه . وعقد شروطاً ودية مع متاسي ملك اوغنده وبذلك تدرج الى بسط نفوذ الحكومة المصرية من سبت الى بحيرة فكتوريا نيازه . لكن هذا النفوذ لم يدم طويلاً في يونيورو فان كبريقه الذي خلعه باكر جمع جموعه وهاجمه في مسندي ولم يكن مع باكر الا مئة رجل فاخلاها مضطراً في ١٤ يونيو سنة ١٨٧٢ وعاد الى فاتيكو فوجد فيها ابا السعود ومعه ٢٧٠ رجلاً فطرده منها فعاد شاكياً الى الخرطوم ثم الى مصر

وعاد باكر باشا الى كوندوكرو فوصلها في ١ ابريل سنة ١٨٧٣ اي يوم نهاية مدته على خط الاستواء فترك رؤوف بك قومنداناً على العساكر في كوندوكرو وقام في ٢٦ مايو سنة ١٨٧٣ الى الخرطوم ومنها الى مصر فوصلها في ٢٤ اغسطس سنة ١٨٧٣ واستغنى من وظيفته فقبل استغفاؤه

✽ الكولونل غوردون في خط الاستواء سنة ١٨٧٤ : ١٨٧٦ ✽

وبعد استغفاء باكر باشا من خط الاستواء أوصى ولي عهد انكلترا اسماعيل باشا بأن يكون الكولونل غوردون في مكانه وكان اسماعيل باشا يودُّ بقاء تلك البلاد لمصر فأمر بتعيينه ولقد كان لغوردون اعظم الشان في السودان بل كانت منته فيه ولذلك نأتي على خلاصة تاريخه لهذا العهد فنقول : ولد غوردون في مدينة ولوش ببلاد الانكليز سنة ١٨٣٣م وانتظم في سلك العسكرية سنة ١٨٥٢م وكان ميالاً بالطبع الى لقاء الاهوال والصبر على المكاره مما اتصل اليه بالارث من آباءه واجداده فان ابا جده اشتهر بالبسالة والبأس في الحروب الاسكوتلاندية . وشهد جده مواقع عظيمة واطار هائلة . وكان ابوه ضابطاً في الطوبجية الانكليزية فارقى فيها الى رتبة فريق . وحضر غوردون حصار سيستبول سنة ١٨٥٥م فشهد له

بالدربة والاقدام . وفي سنة ١٨٦٠م سافر الى الصين ودخل الجيش فواقع عدة وقائع دلت على شجاعته وقام براعته في الفنون العسكرية فنال من سلطان الصين لقب صاري عسكر . وفي سنة ١٨٦٥م عاد الى الجيش الانكليزي فرقي فيه الى رتبة كولونل وبقي في بلاد الانكليز الى ان سمي حاكما للبلاد الاستوائية سنة ١٨٧٤م كما مر

وهذه هي صورة الفرمان الذي اصدره له اسماعيل باشا بتاريخ ٢ محرم سنة ١٢٩١هـ ١٩ فبراير سنة ١٨٧٤م نمرة ٩١ سايره :

انه بحسب المشهور فيكم من اللياقة والاهلية قد عيناكم مأمورا على جهات خط الاستواء التابعة للحكومة وصار فرز هذه الجهة من تبعية حكمدارية السودان وصارت قائمة بنفسها غير تابعة الحكمدارية انما كافة لوازماتها التي يقتضي الحال لتداركها من طرف الحكمدارية هذه يجري تداركها بمعرفة الحكمدار وصرف ثمنها من طرفه مقابلته محاسبة المالية بذلك كما امرنا الحكمدار المومي اليه بأمرنا الصادر له في تاريخه ومرسول لكم طي هذا لتوصيله اليه عن يديكم . وبما ان امور التجارة في ذاك الطرف هي يد واحدة يقتضي ان الذي يتحصلوا عليه من تلك الجهات من انواع التجارة بعد صرف كفاية مرتبات العساكر والتعينات ترسلوه الى حكمدار السودان لقبوله من اصل ما يصرفه في اثمان اللوازم التي تطلبوها منه وعند وصولكم الان لتلك الجهات واختباركم احوالها تجروا ترتيبها بحسب ما يترأى لكم وتستحسنوه سواء كان باجمال مديرتين أو اجعال اقسام او نحو ذلك مما يتوصل به انتظام الجهات المذكورة واستعدادها مع معاملة اهلها بالرفق ولين الجانب والتأليف والمراعاة لما فيه عماريتهم وترغيبهم وتشويقهم على العمارية ودخولهم في سلك الانسانية شيئا فشيئا وهكذا مما يلزم اجروه على حسب التعليمات التي اعطيت لكم بالفرنساوي وها هو موجود هناك رؤوف بك قومندان العساكر الموجودة بذاك الطرف وتحذر له امر من طرفنا ومرسول طيه لتوصيله له بمعرفتكم وأمرناه به ان يكون هو والعساكر تحت امركم فيما يجب اجراه في صالح المصلحة ولو ان المومي اليه ومن معه

من العساكر صار لهم مدة زائدة في تلك الجهات ولذلك منظور في ارسال خلافهم من هذا الطرق لتغييرهم لكنه في مسافة ارسال البدل يكون المومي اليه والعساكر منقادين لاوامرهم حسب اصول وقوانين الجهادية . وعلى هذا وما هو منظور لنا فيكم من حسن الغيرة والاهلية مؤملين الاستحصال على ما فيه عمارية جهات خط الاستواء المحكى عنها وراحة اهاليها وحسن توطيئهم وتأليفهم على الدخول في سلك الانسانية شيئاً فشيئاً كما هو مطلوبنا

حاشية . انه بعد توجهكم ووصولكم ذلك الطرف تعملوا الترتيب اللازم عن مصاريف تلك الجهة بحسبما يلزم لها من الخدمة والعساكر وكلما يلزم تداركه وارساله من جهات الحكمدارية على حسب الترتيب المذكور تطلبوه من الحكمدارية وتعينوا له الاوقات والمواعيد اللازم تدارك وارسال اللوازم المذكورة فيها بحيث اذا كانت الايرادات على فرض لا تكفي المصروفات فالحكمدار يرسل لكم كلما تطلبوه ويحاسب ديوان المالية بذلك يكون معلوم » اه

وسار غوردون من مصر القاهرة ومعه نفر من الموظفين والانباع في ٢١ فبراير سنة ١٨٧٤ فأخذ من الخرطوم بعض الجند وفي جملتهم ابراهيم افندي فوزي (ابراهيم باشا فوزي الان) وتوجه الى خط الاستواء فوصل كوندوكرو في ١٥ ابريل سنة ١٨٧٤م فقابلته رؤوف بك بالاحتفاء فابقاه عنده بضعة اشهر ثم ارسله الى مصر فسمي حاكماً على هرر كما سيجي

وكان غوردون قد صادف ابا السعود في مصر فأخذه معه الى خط الاستواء وجعله في خدمته مع نفر من تجار الرقيق لينعهم عن الاتجار بالرقيق من جهة ويستعين بهم على تعقب تجار الرقيق من جهة أخرى . فبعد وصوله الى كوندوكرو بشهرين اكتشف ثلاث زرائب لتجار الرقيق على بحر الزراف فهدم الزرائب وأعتق الارقاء الذين وجدهم فيها . ولكن ابا السعود وارفاه لم يصدقوه الى النهاية فعزلهم جميعاً وكان اكثرهم جعلين ودناقلة . وفي ١١ سبتمبر سنة ١٨٧٤م جاءه ٢٥ رئيساً من رؤساء السود وقدموا له الطاعة وشكروه على مطاردته تجار الرقيق في بلادهم . وفي الشهر

الثاني ضبط يوسف بك مدير فاشودة زمرة من النخاسين ومعه ١٦٠٠ رقيق و ١٩٠٠
راس بقر أتوا بهم من بحر الزراف

ورأى غوردون ان هواء كوندو كرو غير صحي فنقل مركز حكومته الى اللادو وذلك
في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٧٤ م. وقد امتدت حكومته من ملتقى نهر سبت بالنيل الايض
الى بحيرة فيكتوريا نيانزه. وكان اهم ما اشتغل به تأسيس نقط عسكرية قوية على
النيل لاجل حماية البلاد من تجار الرقيق وحفظ النظام والامن فلم تنته سنة ١٨٧٤
حتى كان قد اسس عشر نقطة وهي سبت والناصر على نهر سبت وشامبه ومكره وبور
واللاتوكه واللاادو والرجاف والدفلاي وفاتيكو وفويره على النيل الايض وجعل فيها
٦٤٠ من العساكر السودانية و ١٥٠ من العساكر المصرية و ٦٥٠ من الباشبورق
الناقلة والجمعيلين. وبعد ذلك اسس نقطة في مرولي على نيل فيكتوريا ونظم في
جيشه عددا كبيرا من الارقاء الذين حررهم من الزرائب

وكان باكر باشا قد اخضر وابورين قطعاً من مصر بقصد بنائها وتنشيط
الملاحة في البحيرات ولكن انقضت مدته ولم يتمكن من بنائها فلما تم لغوردون
تأسيس النقط العسكرية حمل قطع الوابورين في البر الى جنوبي شلال الفوله قرب
الدفلاي وبنائها هناك وسمى الكبير منهما الخديوي والصغير نيانزه فبقيا بين الدفلاي
وبحيرة البرت نيانزه الى قيام الثورة المهدية كما سيجي

وكان ممن صحبوا غوردون الى خط الاستواء او انضموا اليه بعد ذهابه :
الكولونل لونج من ضباط الاميركان العظام في الجيش المصري والدكتور امين وجسي
والكولونل بروت وعبد العزيز بك ابن لينان باشا

وكان للدكتور امين وجسي اكبر شأن في تاريخ خط الاستواء وبحر الغزال
لذلك تقتطف هنا نتفا من بدء سيرتها قبل الشروع في ما كان من تاريخها هناك.
اما الدكتور امين فاسمه الاصلي ادوارد شنيترز وقد وُلد في ٢٨ مارس سنة ١٨٤٠ م
في مدينة او بلن من اعمال سيليسيا بروسيا وتلقى العلوم في فينا وباريس ونال
شهادة دكتور في الطب ثم دخل في خدمة الدولة العلية في اسكودار وتقي الى ان

سمي غوردون حاكماً على خط الاستواء وكان الدكتور امين يعرفه فذهب الى الخرطوم واستأذنه في السفر اليه فأذن له وحال وصوله اعطاه لقب بك وسماه حاكماً على اللادو اما جسي فهو ضابط ايطالي شديد العارضة قوي الارادة وقد رافق الجيش الانكليزي الى حرب القرم بصفة مترجم ثم انضم الى غوردون باشا في خط الاستواء وقد استعان غوردون بهؤلاء الضباط على درس البلاد وتمهيدها فانه عند وصوله الى كوندوكرو أرسل الكولونل لونج الى ملك يونيورو لكشف خبره فوجد جميع المتشردين من تجار الرقيق قد اجتمعوا اليه وهو لم يزل على العصيان فتركه وشأنه وذهب الى متاسي ملك اوغنده فوجده لم يزل على الولاء وعاد بالخبر الى غوردون فأرسل غوردون امين بك الى الملك متاسي للمحافظة على مودته وأرسل جسي الى بلاد بحر الغزال لكشف خبرها ولما عاد ارسله بمركين الى بحيرة البرت لاستطلاع حالها وحال القبائل المقيمين فيها وذلك في مارس سنة ١٨٧٦ فظاف البحيرة وقضى في طوافه تسعة ايام فوجد طولها ١٤٠ ميلاً وعرضها ٥٠ ميلاً ووجد القبائل القاطنة حولها معادية للحكومة

اما عبد العزيز بك لينان فانه قُتل في ثورة اثارها السود على العساكر وهم ينقلون قطع الوابورين المار ذكرهما الى الافلاي فأخذ غوردون بثاره وبقي غوردون مجدداً في تنظيم البلاد واصلاح شؤونها بلا مساعدة مصر الى سنة ١٨٧٦م فاستعفى وعاد الى مصر ومنها الى بلاد الانكليز تاركاً الكولونل بروت من اركان حربه وكيلاً على خط الاستواء . ثم ذهب الكولونل بروت فتاب عنه امين بك فبقي الى ايام الثورة المهدية على ما سيجي .

وكان في جملة من شهد اعمال غوردون في خط الاستواء ابراهيم باشا فوزي الذي صحبه من الخرطوم كما مر وعاد معه الى مصر وقد بين ذلك تفصيلاً في كتابه « السودان بين غوردون وكتشنر » الذي نشره بعد نجاته من أسر التعايشي هذا ما كان من احتلال خط الاستواء وحكم السرصمويل باكر وغوردون باشا فيه وانرجع الان الى ولاية الخرطوم وما كان في ايامهم من الحوادث

﴿ عود الى ولاية ١٨ . جعفر باشا مظهر ﴾

تركنا الخرطوم في ولاية جعفر باشا مظهر سنة ١٨٦٩ م ودام حكمه عليها محموداً الى ٢ جمادى الاولى سنة ١٢٨٨ هـ ٢٠ يوليو سنة ١٨٧١ م فعزل . وكان رجلاً عفيفاً صادقاً شهماً وكان كاتم اسراره التهامي بك من امهر الكتاب قدم له التهامي استعفاءه في بعض الايام فكتب اليه في الجواب هذه الكلمات : « حتى يلج الجمل في سم الخياط »

﴿ ١٩ . ممتاز باشا سنة ١٢٨٧ : ١٢٨٩ هـ — ١٨٧١ : ١٨٧٣ م ﴾

وتولى السودان بعده ممتاز باشا فأدخل اليه زراعة القطن المصري وكان هذا هو الاثر الحميد الوحيد الذي تركه فيه لانه مدّ يده الى الرشوة واخذ من سنار وحدها على رواية بعض معاصريه مئة وخمسين الف ريال ونيفاً . وقد اكثر اهل السودان من التشكي عليه فأوقف عن الخدمة سنة ١٨٧٣ م وسجن في الخرطوم لتحقيق تلك التشكيات فمات هناك سنة ١٨٧٥ م

﴿ ٢٠ . اسماعيل باشا ايوب ١٢٨٩ : ١٢٩٣ هـ — ١٨٧٣ : ١٨٧٧ م ﴾

وجاء على السودان بعد عزله اسماعيل باشا ايوب فجرت في عهده حوادث جمة ذات بال . وكانت فاتحة اعماله انه اشتغل في ازالة السد من النيل الايض وفي اول سنة من ولايته اي سنة ١٨٧٣ م قسمت البلاد الى مديريات وجعل كل مدير مسؤولاً عن مديريته ومستقلاً عن والي الخرطوم وكان اذ ذاك يوسف بك مديراً على فاشوده وحسين بك خليفة على بربر

وفي تلك السنة عاد باكر باشا من خط الاستواء ثم سمي غوردون باشا حاكماً على خط الاستواء وعاد منها وهو اي اسماعيل باشا ايوب الوالي على الخرطوم كما مرّ واعظم ما تم في السودان على ايامه فتح سلطنة دارفور وضمها الى املاك الحكومة المصرية عن يد الزبير رحمة باشا . وقد وُفقت الى تفصيل ذلك الفتح مع تفصيل سيرة الزبير وحركاته في بحر الغزال من الزبير باشا نفسه وهاك خلاصتها :

سيرة الزبير باشا

وفيها فتح بحر الغزال ودارفور

﴿ نسبه ووطنه ﴾ حدثني الزبير عن نفسه قال : أنا الزبير بن رحمة بن منصور بن علي بن محمد بن سليمان بن ناعم بن سليمان بن بكر بن شاهين بن جميع بن جموع بن غانم العباسي . هاجر اجدادي العباسيون بغداد بعد هجوم التتر عليها سنة ٦٧٦ هـ ١٢٧٨ م فأتوا مصر فوجدوا فيها الفاطميين حكاماً فلم يطبقوا الاقامة معهم فنزحوا الى بلاد السودان فسكن بعضهم النيل وبعضهم بلاد دارفور ووداي وتشعبوا على النيل قبائل فكان في جملتها قبيلتنا المعروفة بالجميعاب نسبة الى جدنا جميع وقد اقامت على النيل الكبير بين جبل قرّي وجبل الشيخ الطيب واشتهرت بين قبائل السودان بالشجاعة وحماية الدمار . ولما حضر اسماعيل باشا الى السودان فاتحاً استقبله أعياننا بالترحاب وعاهدوه على الولاء . وفي جملتهم المرحوم أبي رحمة وأخوه الفيل فحفظوا العهد الى ان توفاهم الله وقمنا نحن فسرنا على مثالهم في الطاعة والولاء . وما زلنا كذلك الى اليوم . أما أنا فقد ولدت في جزيرة واوسي في ١٧ محرم سنة ١٢٤٦ هـ ٨ يوليو ١٨٣١ م ونشأت في حجر والدي الى أن بلغت السابعة من العمر فأدخلني مكتب الخرطوم فتعلمت القراءة والكتابة وحفظت القرآن الشريف على رواية أبي عمر والبصري وتفقهت على مذهب الامام مالك ولما بلغت الخامسة والعشرين من العمر تزوجت بأبنة عمّ لي واشتغلت بالتجارة للتعيش بها ﴿ سفره الى بحر الغزال سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م ﴾ وبعد ذلك بسنتين دخل ابن عمي المسمى محمد عبد القادر في خدمة علي ابي عموري من أهالي نجع حمادة بصعيد مصر ومن التجار الكبار الذين كانوا يتجرون في بحر الغزال وسافر معه خلعة فلما بلغني خبر سفره أخذتني الشفقة عليه لان بلاد بحر الغزال كثيرة الاخطار بعيدة الشقة فلحقته قصد ارجاعه فأدركته في حلة ود شلعي على النيل الايض مسيرة يوم



الوزير محمد باشا العباسي بحاواف
سنة ١٢٤٥ هـ

من الخرطوم وأخذت أثبط عزمه عن السفر فأقسم ألا يعود الى الخرطوم قبل ان يتم سفرته فشق عليّ ذلك واقسمت له بالطلاق انه اذا لم يرجع عن عزمه سافرت معه وقد عظمت القسم ظناً انه لا يرضى بسفري معه فيرجع مضطراً ولكنه لم يزل مصرّاً على السفر فسافرت معه برّاً بالقسم ودخلت معه في خدمة ابي عموري فسرنا من ود شامي في ١٤ محرم سنة ١٢٧٣ هـ ١٤ سبتمبر سنة ١٨٥٦ م قاصدين بحر الغزال وانا أستعيز بالله من ذلك السفر الذي لم اكن اتوقع منه الا الشر والاختار لكنه جاء بأحسن ما كنت أتمنى بل كان سبب نجاحي وشهرتي ورفع منزلتي الى مقام لم ينله أحد في السودان قبلي وهيئات ان يناله احد فيه بعدي «وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم»

هذا وما زلنا سائرين في النيل الايض حتى وصلنا موردة بحر الغزال المعروفة بمشع الرّيك التي لا يمكن للمراكب ان تتعداها جنوباً فنزلنا بأمتعتنا وبضائعنا الى البر في ٢ صفر من السنة المذكورة واخترقنا بلاد الجاتقية الى بلاد الجور حيث كانت زريبة علي ابي عموري المعروفة باسم عاشور على اسم شيخ البلد فدخلناها في ١٧ من الشهر المذكور . وكان في بحر الغزال في ذلك الحين تجار كثيرون غير ابي عموري متفرقون في جميع انحاء البلاد . واكل تاجر منهم زريبة من شوك يأوى اليها ويضع فيها تجارته . واهم الاصناف الرائجة في تلك البلاد الخرز على اختلاف انواعه والوانه والودع والقصدير وكله مما يتزين به الاهلون نساءً ورجالاً ويفضلونه على الذهب والفضة فيأخذونه من التجار مقايضة بسن الفيل والخرتيت وريش النعام والاستك والحديد والنحاس وغيرها من محصولات البلاد

في اخادع ثورة محلية سنة ١٢٧٤ هـ ١٨٥٧ م فآقت مع صاحبي علي عموري مساعد له على تجارته ولكن ما لبثنا بضعة اشهر حتى هاج اهل البلاد على التجار طمعاً في اموالهم سنة ١٢٧٤ هـ ١٨٥٧ م فجمعوا جموعهم من كل الجهات وهاجموا الزرائب قتلوا بعض التجار وسلبوا اموالهم وهاجموا زريبة صاحبي ابي عموري فقامت في رأس رجاله واشعلت فيهم النار وهزمتهم شر هزيمة بعد ان قتلت منهم خلقاً كثيراً

فلما سمع التجار في الجهات بانتصاري عليهم جاؤوا اليّ والتفوا حولي وهابني أهل البلاد فلم يعودوا يجسرون علي مهاجمتي . وقد رأى صاحبي أبو عموري أن سلامته كانت عن يدي فأحبّني وجعل لي قسماً من ارباحه أي عشر السن ولما هدأت البلاد تركني في محله وكيلاً عنه وسار الى الخرطوم فغاب ستة أشهر وعاد بالبضائع فوجد عندي من محصولات البلاد ما لم يكن يجمعه هو في سنين فزادت رغبته فيّ وعرض عليّ الشركة بالنصف فأيت وعزمت علي انشاء محل تجاري لنفسي فذهابه الى الخرطوم وعودته الى بلاد قولو سنة ١٢٧٥ هـ ١٨٥٨ م وبهذا العزم رجعت الى الخرطوم فدخلتها في ٧ ربيع الاول سنة ١٢٧٥ هـ ١٥ اكتوبر سنة ١٨٥٨ م وكنت قد جمعت من تجارتي مع أبي عموري نحو الف جنيه فاشتريت بها بضائع وزهية واكثرية بعض الانفار على عادة التجار وسلمتهم بالبنادق وسرت بهم والبضائع في الذهبية الى مشرع الريك فنزلنا فيه واستأجرت بعض السود فحملوا بضائعي وسرت برّاً في بحر الغزال وانا عازم على ان اطرق بلاداً جديدة لم يطرقها احد قبلي فقطعت بلاد الجانكاه والجور والبنقو وجئت الى بلاد قولو . وكان عليها ملك يقال له كواكي فرحب بي واكرم مثواي فأخذت أتجر في بلاده حتى اجتمع عندي من سن الفيل وريش النعام وغيرها من خيرات البلاد شي كثير فأرسلتها مع ابن عم لي يدعى محمد احمد رحمة الى الخرطوم فباعها وعاد اليّ بالبضائع في ١٧ ربيع اول سنة ١٢٧٦ هـ ١٤ اكتوبر سنة ١٨٥٩ م

فسفره الى بلاد النامم ١٢٧٦ هـ ١٨٥٩ م وفي اثناء اقامتي في بلاد قولو علمت ان بلاد النامم الواقعة الى الجنوب الغربي منا بلاد واسعة الاطراف كثيرة الجواميس والافال ولا قيمة لسن الفيل فيها لكثرتة وعليها سلطان عادل يسمى السلطان تكه . فبعد رجوع ابن عمي بنحو شهر ونصف شهر حملت بضائعي وسرت بها خمسة وعشرين يوماً الى سلطان النامم فقدمت له هدية فاخرة واستأذنته في الاتجار في بلاده فأذن لي . وكان النامم لا يعرفون الحمير في بلادهم ولا الجمال ولا الخيل وكان معي حمار فأهديته الى السلطان فاستغرب هيئته وقد ظنه رجلاً ممسوخاً ولم يقبله .

وكان لهذا السلطان نحو ٤٠٠ امرأة و٤٠٠ ولد من صبيان وبنات فزوجني بأكبر
بناته رانبوه فعلا مقامي بهذه المصاهرة في عيون اهل البلاد وزادت تجارتي رواجاً
وتحسيناً حتى اجتمع عندي في وقت قصير شيء كثير من سن الفيل والخرتيت وغيرهما
فرجوعه الى الخرطوم مرة ثانية وتيهه في الطريق سنة ١٢٧٨ هـ ١٨٢٦ م
فلما كان ١٧ رمضان سنة ١٢٧٨ هـ ١٨ مارس سنة ١٨٦٢ م استأذنت السلطان تكه
وسرت بهذه السلع قاصداً الخرطوم فمررت بصاحبي علي عموري فوجدته متأهباً
للسفر بتجارته الى الخرطوم فاتفقنا على الذهاب معاً وكانت زريته عاشور قرب نهر
البنقو أحد فروع بحر الغزال الذي لم يسلكه أحد من قبلنا فأردنا فتحه للتخاص
من مشقة نقل البضائع بالبر فبينما مركبين ووسقنا فيهما بضائعنا ورجالنا البالغ عددهم
٢١٤ نفرًا وسرنا قاصدين مشرع الريك ومعنا من الزاد ما يكفيننا نحو شهرين فبعد
ان سرنا ١٣ يوماً بلياليها اتسع مجرى النهر حتى صار اشبه بحيرة واسعة منه بالنهر
وخفي علينا المجرى الاصلي فتهنا في تلك البحيرة خمسة وسبعين يوماً لا نرى فيها الا
السماء والماء وقد نفذ منا الزاد فأكلنا ما كان معنا من الجلود واشتد بنا الجوع
وفينا نحن في هذا الكرب اذا بدخان لاح لنا من بعيد فاخترت انا وصدقي
علي عموري تسعة انفار من رجالنا ونزلنا في قارب صغير أتينا به معنا وسرنا قاصدين
جهة الدخان فلم نبعد عن المركبين الا قليلاً حتى اختفى الدخان ثم غاب عنا المركبان
فأصبحنا نسير على غير هدى فتهنا وجعنا حتى اشرفنا على الهلاك ثم حانت منا
الثقاة فرأينا شجرة قائمة على تل في وسط الماء ووجدنا تحتها تمساحاً كبيراً فاصطدناه
بالرصاص وتزودنا به فعاد لنا بعض نشاطنا واثقلنا راجعين نحو المركبين فالتقينا بهما
بعد غيبة ٤ ايام فوجدنا رجالنا قد مات منهم ١٨ نفرًا ولما علموا بخيبتنا مات منهم
رجل في الحال وقد اكدوا لنا انهم كانوا يرون الدخان كل يوم في آخر النهار فأيقنت
اذذاك بوجود بر قريب فالتقيت ١٢ رجلاً من اقوى رجالي وأنزلتهم في القارب
وتوجهت ثانية الى جهة الدخان فلم تمر بضع ساعات حتى أشرفنا على جزيرة واسعة
مأهولة بالناس وفيها من الابقار ما لا يحصى عدده فنزلنا الى البر فوجدنا ان الدخان

الذي كنا نراه هو دخان ارواث الابقار التي كان يحرقها الاهلون في عصر كل يوم
 ليتخذوا رمادها فراشاً لهم كما هي عادتهم . وكان يسكن تلك الجزيرة قوم من النوير
 وعليهم ملك يسمى كُرَيْمٌ فلما دخلنا الجزيرة اجتمع علينا اهلها وهم يتعجبون من زينا
 وملابسنا فسألونا وهم ينوون الغدر بنا من أين أتيتم من السماء أم من الارض أم من
 الماء وماذا ترومون من الدخول في جزيرتنا وكان معي مترجم يحسن لغة القوم وبمرف
 ملكهم فقلت اني اعرف بملككم كُرَيْمٌ وأريد ان تأخذوني اليه فلما رأوني عارفاً لغتهم
 وسلطانهم فرحوا بي وأمنوني على حياتي وحياة رجالي وذبحوا لنا بقرة قصد الضيافة
 فأكلناها وقد اكل البعض منا بشره زائد فماتوا بعد الفراغ من الاكل بضع دقائق .
 ثم اشتريت ثمانية ابقار وذبحتها وأرسلتها قطعاً في القارب الى بقية الرفاق في المركب
 فأكلوا وجدوا السير حتى رسوا عند الجزيرة وذهبت لمقابلة الملك كُرَيْمٌ ولما امثلت
 بين يديه حيته فرد عليّ التحية ثم أخذ يسألني عن أمري والسبب الذي أتى بي الى
 جزيرته فأجبتُهُ على جميع اسئلته . ولما انتشر خبرنا في الجزيرة أخذ كبارها يفدون
 الى الملك أفواجاً ظالبين قتلنا والاستيلاء على اموالنا فأذن لهم في ذلك بعد تردد بعد
 خروجنا من داره وقد ادركنا غايتهم وبتنا تلك الليلة ونحن نحرس انفسنا بالمتابعة
 وجاءت نوبتي في الهجيع الاول من الليل فشاهدت أسداً مقبلاً من بعيد فرميتُهُ
 بالرصاص فخرّ على الارض يخبط بدماه فاستيقظ الملك كُرَيْمٌ من نومه ظاناً ان
 رجاله جاؤوا لحربنا واستيقظ الكثير من سكان الجزيرة فلما رأوا الاسد مقتولاً
 فرحوا فرحاً شديداً لان ذلك الاسد كان متسلطاً عليهم يفترس كل من يصادفه
 منهم حتى لم يعد يجسر احد على الخروج من بيته ليلاً اما الملك كُرَيْمٌ فقد عظم سروره
 من قتلي للاسد حتى انه عقد لي على احدى بناته ورغبني في الإقامة معه
 في جزيرته فأقمت عنده شهراً كاملاً حتى اشتريت جميع ما يلزمني من المؤن ثم
 احتلت عليه وخرجت من جزيرته بالمركبين ولكن ما كدنا نغيب عن الجزيرة حتى
 تنها ثانية في عرض تلك البحيرة وما زلنا تائهين حتى فرغ زادنا ومات جميع من
 في المركبين الا صديقي علي عموري وستة رجال واذا اشرفنا على الهلاك لاح لنا

مركب من بعيد فأطلقنا له عياراً نارياً فأقبل علينا فاذا فيه عبد الرحمن ابوقرون من
تجار بحر الغزال فلما رأنا على تلك الحال بكى وقدم لنا ما لزمنا من الزاد والكسوة .
وكان على خمسة ايام من مشرع الريك فسرنا اليه مجدين حتى أتينا في ٢ صفر سنة
١٢٨٠ هـ ١٩ يوليو سنة ١٨٦٣ فاجتمع الناس حولنا يهنئوننا بالسلامة ويعزوننا عما فقدناه
من الاموال والرجال ثم اقلعنا بالمراكب الى الخرطوم فدخلناها في ٢٧ ربيع الاول من
تلك السنة ١١ سبتمبر سنة ١٨٦٣ فلبثت في الخرطوم بضعة أشهر ريثما بعت تجارتي
واشتريت بثمنها تجارة اخرى مما يروج بتلك البلاد واسلحة وذخائر وزدت عدد رجالي
فارجوعه الى بلاد النمام سنة ١٢٨٠ هـ ١٨٦٣ م وفي ٢٢ القعدة سنة ١٢٨٠ هـ
٢٩ ابريل ١٨٦٣ م برحت الخرطوم قاصداً بلاد النمام فوصلتها في ٢٠ صفر سنة
١٢٨١ هـ ٢٥ يوليو سنة ١٨٦٤ م وقدمت هدايا نفيسة للملك تكمة فسر بها وأولم لي
وليمة فاخرة ذبح فيها عدداً وافراً من الوحوش ومئة كلب من اسمن الكلاب المعدة
لاكله وعدت الى دار زوجتي رانبوه وشرعت في بيع البضائع . وقد جرت العادة
في تلك البلاد ان يبيعوا في الاسواق أصحاب الجنايات كالسارق والزاني ويذبحونهم
كالغنم ويبيعون لحومهم طعاماً فاقتديت من هؤلاء من وجدته اهلاً لحمل السلاح حتى
اجتمع عندي نحو خمس مئة رجل فسلحتهم بالاسلحة النارية وعلمتهم حملها واستعمالها
فأوجس الملك تكمة شراً وخاف مني على مملكته واستشار كهانه فأقرؤا على قتلي فعملت
بذلك امرأتي رانبوه ابنة الملك واخبرتني به سرّاً ونصحتني بالرحيل من بلاد أبيها
فانتقاله الى بلاد الملك دويه سنة ١٢٨١ هـ ١٨٦٤ م فاهتممت بالامر وتزلفت
الى الملك تكمة بالهدايا وقلت له بلغني ان في بلاد الملك دويه سن فيل كثير فأريد
ان اذهب برجالي وآتي به فقال اذهب وأنت به وحدك ودع رجالك هنا فقلت
بلغني ان تلك البلاد ليس فيه عدل واخاف ان اهلاً اذا رأوا مني الضعف غدروا
بي وقتلوني فلما رأى اصراري على اخذي رجالي وامتعتي معي أذن لي في السفر ظاهراً
واوغز الى جيشه سرّاً ان يكنوا لي في الطريق ويقتلوني انا ورجالي فما خرجت من
بلادهم حتى اعترضني جنوده الذين في الكمين فصليتهم ناراً حامية لم يطيقوها

فانهزموا امامي ودخلت بلاد الملك دويه وكان عدوًّا للملك النائم فلما علم بما جرى لي معه خرج لمقابلي مسيرة اربع ساعات من عاصمته وانزلني في جواره على الرحب والسعة وبنى لي حصناً مربعاً منيعاً من الخشب وأمدني من الحبوب والمؤونة بما يكفي رجالي مدة طويلة . أما الملك تكه فانه لم يلبث ان أرسل جيشاً جرّاراً بقيادة عمه مغبوه اهتزت له بلاد الملك دويه واستولى الرعب عليه وعلى قومه فقرّوا هارين خلسة تحت جناح الظلام

﴿ انتقله من التجارة الى الملك سنة ١٢٩٢ هـ ١٨٦٥ م ﴾ ولما اصبح الصباح ورأيت ما كان من الملك دويه داخلي الخوف وصرت انظر في أمر النجاة وينا انا في ذلك اذ وفد عليّ رسل الملك تكه وقالوا ان حرمة المصاهرة وسابق المودة تمنعان الملك من محاربتك ولكنه يرغب اليك ان تخرج من جميع بلاد الملك دويه التي اصبحت تحت سلطانه وتذهب الى حيث تشاء ولك الامان فأجبتهم الى ذلك وخرجت الى بلاد قولو حيث يقيم الملك عدوه شكو فدخلتها اول محرم سنة ١٢٨٢ هـ ٢٧ مايو سنة ١٨٦٥ م وكان هذا الملك قد غدر بأخي منصور وقتله هو ورفاقه الذين أرسلتهم للتجار في بلاده واستولى على جميع ما لهم فلم يشك في اني جئت للاخذ بثأر اخي فلم يسمح لي بالبقاء في بلاده وتهدّدني بالحرب فتزلفت اليه بالهدايا واكدت له ان لا قصد لي سوى التجارة فرفض الهدايا وأصرّ على خروجي من بلاده في الحال وكان الفصل شتاءً والبلاد مغمورة بالمياه فسألته ان يمهلي الى ان ينقطع المطر وتفتح الطرق فأبى فناجزته اذ ذاك الحرب وجرى بيني وبينه عدة وقائع دموية حتى قتل فحلفه ابنه فتغلبت عليه واخذته اسيراً وامتلكت بلاده وجميع البلاد المجاورة لها الى بحر العرب واتخذت عاصمته بايه التي سميت بعد ذلك « بديم الزبير » مركزاً لي فصرت فيها ملكاً وصارت الناس تتقاطر اليّ من كل الجهات للانتظام في خدمتي فجلبت الاسلحة وجمعت جيشاً قوياً وحكمت البلاد بالكتاب والسنة وشرعت في تمدينها وعمارتها وتوسيع نطاق التجارة فيها

﴿ معاهدته مع عربان الزريقات على فتح طريق شكاسنة ١٢٨٢ هـ ١٨٦٦ م ﴾

وكان اول ما سميت اليه فتح طريق التجارة بين بحر الغزال وكردوفان لبعد طريق النيل وكثرة أخطارها ومشاقها. وفي شوال سنة ١٢٨٢ هـ مارس سنة ١٨٦٦ أوفدت رسلاً بهدايا الى مشايخ عربان الزريقات الواقعين في طريق التجار فجاءني ثمانون شيخاً منهم وعاهدوني على فتح الطريق وتأمين القوافل والتجار من مسلمين ومسيحيين وأقسم كل منهم خمسين قسماً على الكتاب بالمحافظة على هذا العهد وجعلت لهم مقابل ذلك جعلاً معلوماً يقتضونه من التجار فكثر تردد الناس والتجار باصناف البضائع لقرب هذه الطريق وسهولتها وما زالوا في ازدياد حتى صار ازدحامهم على كازدحام العطاش على المنهل العذب

﴿ حملة البلالي على بحر الغزال وقله سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م ﴾ وفي سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م (وهي السنة التي ذهب فيها السرصمويل باكر لفتح خط الاستواء) قدم رجل من الخرطوم من متخلفي حجاج الغرب يقال له الحاج محمد البلالي بقصد احتلال بحر الغزال ومعه سرية من العساكر مؤلفة من ٢٠٠ من العساكر المنظمة السودانية عليهم الصاغ محمد افندي منيب و ٤٠٠ من العساكر الباشبورق عليهم السنجق كوشوك علي و ٦٠٠ من الخطريه . فطاف بلاد بحر الغزال ودخل زرائبها وقرأ لاصحابها فرمان الحكومة بتسميته مديراً على بحر الغزال فمنهم من طاع وسلم ومنهم من عصي فخارب أو فرّ . ثم وجه حماته علي فجمعت جيوشي ومن لجأ الي من اصحاب الزرائب المجاورة لي وكنت له في خور على الطريق . فلما اقترب من الكمين اشعلت النار في جيشه فقتلته وقتلت بعض عسكره وأسرت الباقي ولكنني أصبت في ذلك اليوم برصاصة في كراعي الأيمن ورجعت محمولاً الى مركزي . وكان الحاكم في الخرطوم اذ ذاك جعفر باشا مظهر فبعثت اليه بالخبر

وانتشر خبر انتصاري على البلالي في اقاصي السودان واشتهر ملكي بالعدل والانصاف فوفد الي الناس من كل الجهات اما للانتظام في جيشي أو للتجار في بلادي ولم يمض الا القليل حتى صرت ذا ملك عظيم . وكنت اميل في احكامي الى استعمال الشفقة على من وُلّيت الا اني كنت اضطر في بعض الاحيان الى استعمال

الصرامة نظراً لقساوة قلوب اهل البلاد فمن جملة ذلك اني كنت اعلق المحكوم عليه بالشنق برجليه ليتدلّى رأسه الى اسفل وأتركه بلا اكل ولا شرب حتى يموت
 في امتلاكه بلاد النمام سنة ١٢٨٩ هـ ١٨٧٢ م وهذا الملك الذي انتظم لي في بحر الغزال لم يرق للسلطان تكه سلطان النمام وكانت ابنته رانبوه لا تزال في عصمتي وكان يرسل اليها في كل سنة هدية من السن خمسين قنطاراً ومن العسل مائتي زق ومن السمسم مئة أردب ومن الرقيق مئة فلما اشتهر ملكي في جواره قطع الهدية ونصب لي العداء . وفي اوائل ١٢٨٩ هـ ١٨٧٢ م ارسل عمه مغبوه بجيش جرّار فأغار على أطراف مملكتي فبعثت اليه برسل أسأله عن ذلك فردّ الرسل مع ثلاثة رسل من عنده يقول انه لا يسمح لي بتأسيس ملك في جوار مملكتي فاما ان أنزع عن نفسي صفة الملك واعود تاجراً كما كنت أو ان يحاربني وينزع الملك عني بالقوة . فقلت للرسل اذهبوا الى ملككم وقولوا له ما كنت لأتنازل عن ملك أسسته بسيفي لمجرد تهديد أو وعيد فان كان يستصغرنى الى هذا الحد فليجرب قوته التي يتفاخر بها على ملوك المجوس . فجرّد الملك تكه جيوشاً لا يحصى لها عدّ وانتشبت بيننا حرب سنة كاملة جرت فيها عدت وقائع شديدة وفي آخرها قتل السلطان تكه وعمه مغبوه ودان لي ثمانية من كبار ملوك النمام الذين كانوا في حروب مستمرة بعضهم ضدّ بعض بل كانوا يصيدون بعضهم البعض ضيد الطير فلما تولينهم قبحت فعالهم وألفت بينهم وبسطت الامن على ربوعهم وصاروا يتعاملون بالبيع والشراء ويتصاهرون . وسمع من جاورهم من المجوس أخبار عدلي وما نال الذين دخلوا تحت طاعتي من الراحة والامن واتساع العيش فصاروا يأتون اليّ من مسافات بعيدة مقدمين الطاعة وطالبين عمالاً من قبلي تقوم عليهم حكماً فأجبتهم الى ذلك واتسع نطاق مملكتي اتساعاً عظيماً الى الجهات الاربع

فتح دارفور سنة ١٢٩٠ : ١٢٩١ هـ — ١٨٧٣ : ١٨٧٤ م

حربه مع الرزيقات واستيلاؤه على بلاد شكاسنة ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م
 وكان الرزيقات في اثناء الحرب مع النمام قد نقضوا العهد وقطعوا الطريق وقتلوا

بعض التجار فلما انتقضت الحرب أنفذت اليهم رسلاً أسألهم عن ذلك فأجابوا بالشم والنسب وأقسموا ألا يدعوا مسافراً يمرّ اليّ عن طريق بلادهم إلاّ قتلوه وسلبوه ماله وكان على دارفور اذ ذاك السلطان ابراهيم فأرسلت اليه كتاباً بتاريخ ١ جمادى الاولى سنة ١٢٩٠ هـ ٢٧ يونيو سنة ١٨٧٣ م اخبره بما أتاه الرزيقات من نكث العهد وقطع السابلة والتمست مساعدته عليهم وهذا فحوى الكتاب :

« الى حضرة أمير الامراء الكرام مولانا السلطان ابراهيم ابن السلطان حسين صاحب العزة والاقتدار والهيبة والفخار ادام الله علاه آمين

« اما بعد فنحن عبيد افندينا وليّ النعم خديوي مصر المعظم أتينا منذ عام ١٢٧٠ هـ لفتح بلاد العبيد فدانت لنا بلاد الفراتيت برمتها وفتحنا الطريق منها الى كردوفان عن طريق شكا فتعهد بحفظه مشايخ الرزيقات نظير جعل معلوم وضعناه لهم على التجار ولكن لم يكن الاّ اليسير حتى نكث الرزيقات العهد وربطوا الطريق وأباحوا دماء المسلمين واموالهم بدون وجه شرعي وقد نهيناهم عن ذلك مراراً فلم ينتهوا بل كانوا يتفاخرون بقوتهم وخيولهم العربية واسلحتهم النارية وقتلهم للمقدم عبد العزيز أبي احمد شطه وآدم طربوش أبي الوزير بجيت وغيرها من الفرسان التابعين لدولتكم الفوراوية فأوجب الله تعالى علينا حربهم بدليل قوله « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ الى أمر الله » ونحن نتقدم اليكم بهذا الكتاب واثقين انكم متى علمتم حال هؤلاء العربان الطغاة الذين خرجوا عن طاعة سلطتكم منذ ثلاثين سنة ونيف تنجدوننا بسرية من جيشكم حتى اذا ما تمّ لنا اذلالهم نعود فنسوي الامر بيننا فاما ان تتركهم لنا لنحكمهم بالقسط والعدل واما ان تتركهم لكم فتفتحون الطريق وتقدمون لنا النفقات التي نبذلها على عساكرنا في الحملة عليهم والامل الافادة سريعاً في حفظ الله آمين » فلم يجب السلطان على كتابي هذا ولا انتهى الرزيقات عن التعدي فاستخرت الله في حربهم وسقت جيشي الى بلادهم فتجمعوا لقتالي وجرت بيني وبينهم عدة وقائع كان النصر فيها كلها لي وكانت اول الوقائع في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٢٩٠ هـ ١٠ يوليو سنة ١٨٧٣ م وآخرها في ٤ رجب من السنة المذكورة ٢٨ اغسطس

١٨٧٣. وفي الواقعة الاخيرة انهزم الرزيقات شر انهزام وقتل منهم خلق كثير واصبحت بلاد شكا كلها في يدي

﴿ خبر عبد الله التعايشي سنة ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م ﴾ وكانت الرزيقات قد استخدموا فقيهاً من فقهاء التعايشة يقال له عبد الله ود محمد آدم تورشين ليقرا لهم الاسماء في خلوته لعلها تقبض على سلاحي فلا يطلق ناره في ساحة الحرب وقد تعهدوا له ببقرة من كل مراح فوق اسيراً في يدي في حلة السروج بين شكا وداره فأمرت بقتله . وكان معي ١٢ عالماً من علماء الشرع وقد حلفتهم على القرآن الشريف أنهم اذا رأوا في احكامي اعوجاجاً عن الشرع ينهبوني اليه فلما امرت بقتله اعترضني العلماء وقالوا ان الشرع لا يسمح لك بقتل اسير الحرب فضلاً عن ان السياسة تنكر عليك قتل رجل يعتقد الناس صلاحه لانك ان قتله نفرت القبائل منك وعدت لك رجلاً ظالماً مخيفاً فامتنعت عن قتله ويا ليتني لم امتنع لانه عاش ليكون من اعظم البلايا على السودان (كما سيحيي)

[والمشهور في نسب عبد الله هذا انه من قبيلة التعايشة من فرع الجباراب من بطن يقال له ابو صرة وقد دفن جده في جهة هجيليجه من اعمال شكا ولما تولى الخلافة في عهد المهديّة أمر اصحابه بعمل قبة فوق ضريحه ودعا الناس لزيارته كما يستفاد من كتابه الذي أرسله الى محمد شيخ محمد كرقساوي عامل المهديّة في شكا بتاريخ ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٤ هـ ٢ مارس سنة ١٨٨٧ م وهذا هو بنصه : « ثم نعرفك ان جوابك المؤرخ في ٦ جمادى الاولى الذاكر فيه انه منذ حضرت بشكا لم يبلغك ان جدنا آدم مدفون بجهة هجيليجه الا عن قريب اذ اعلمك الحبيب عثمان آدم ووصف لك محله وقصدك عمل تابوت فيه وترغب الرد الى آخر ما به وصل وفهم . والحال يا حبيبنا نعلمك ان لا قصد لنا في رفعة الدنيا وشهرتها بل كل قصدنا مصروف الى لزوم الخضوع في هذه الدار وعدم التمييز لننال عظيم الرفعة عند الله ولكن حيثما انك يا حبيب من الاصحاب الكرام وقد يقظك الله ونور بصيرتك الى فعل هذا الخير فمن باب اعانتك على نيل ثوابه العظيم اذنناك في فعل ما تراه

في ذلك الضريح من عمل التابوت عليه ومداومة زيارته أنت والاصحاب الذين معك ويكون لك من الثواب في ذلك ما لا يعلم به الا الله حيث ان هذا الجد مشهور خبره وبركته لدى كل من له به المام فبعد عمل التابوت الموافق عليه بمقتضى حسن نيتك وعلو همتك واشهار ضريحه نبه على كافة من معك من الاصحاب واهالي الجهة بزيارة ضريحه على نية البركة فانه من اهل الفوز عند الله . واعلم ان الجد المذكور اسمه على الكرار لا آدم وهو ود الاب المبرور السيد محمد أيننا فعرف الاصحاب بذلك ليعلموه وليداوموا على زيارة ضريحه فان ذلك من السنة وجزاك الله يا حبيب خيراً في انتباهك لهذا الامر فانه من نعم الله عليك والسلام » [

قال الزبير : والذي اتصل بي ان اصل جد عبد الله هذا من بلاد الفكري بين وداي وبرنوسار من بلاده طالباً الحجاز وهو لا يملك شيئاً كجميع الحجاج التكرانة فلما وصل بلاد التعايشة تزوج منهم وسكن بينهم فانتسب اليهم . اما ابوه محمد آدم فكان يلقب بتورشين اي تورقبيح لقبح منظره وكان عالماً بالرمل فقال حظوة كبيرة عند التعايشة واشتهر بعلم الغيب والتقوى وكان التعايشة يغزون بلاد السود جنوبيهم من وقت الى آخر فكان اذا بشرهم بالنصر انتصروا واذا حذرهم من الغزو ثم غزوا انكسروا حتى صاروا لا يغزون غزوة ولا يقدمون على عمل هام الا بمشورته فجمع بذلك مالا جزيلاً وتزوج باكثر من امرأة من نساء التعايشة فرزق من واحدة ولداً سماه يعقوب وهو اكبر من عبد الله وتزوج بارملة كان لها ولد يسمى السنوسي فولدت له عبد الله هذا وتزوج بجارية فولدت له ولداً سماه هارون فكان لعبد الله ثلاثة اخوة اشتهروا في تاريخ المهديّة وهم : يعقوب اخوه من ابيه والسنوسي اخوه من امه وهارون محمد اخوه من الجارية . ثم لما كبر تورشين قام ابنه عبد الله مقامه في هذه الصناعة فدعاه عرب الرزيقات عند انتشار الحرب بيني وبينهم الى قراءة الاسماء فوق اسيراً يدي كما قدمت . وبعد فتح دارفور طلب مني ارضاً في قيعة غرب الكلكة فأعطيته اياها على ان يكف عما كان به من التدجيل فرضي ولكن لم يمض الا القليل حتى أتاني منه كتاب وأنا في داره يقول فيه « رأيت

في الحلم أنك المهدي المنتظر واني احد اتباعك فاخبرني ان كنت مهدي الزمان لا تبك، فكتبت له في الجواب « استقم كما امرتك انا لست بالمهدي وانما انا جندي من جنود الله أحارب من طغى وتمرد » . وبقى في قيجه الى ان كانت ثورة السلطان هارون (الآتي ذكرها) وضاق الرزق في بلاد دارفور بسبب الثورة فرحل منها هو وأبوه وتلامذته قاصدين الحجاز وبقوا سائرين الى ان اتوا دار الجمع بكردوفان فنزلوا عند شيخها عساكر ابي كلام في أبي ركه فمات أبوه ودفن هناك وبقى هو في أبي ركه الى ان اشتهر أمر محمد احمد في جزيرة أبا فهاجر اليه وكان من أعز انصاره . وكان في جملة تلامذة ابيه الذين رافقوه الى أبي ركه فانتصروا معه للمهدية واشتهروا فيها المساعد قيدوم الهباني وحامد ود علي واخوه احمد من التعايشة وفضل المولى صابون أخ حمد ان أبي عنجه (وسيأتي ذكرهم جميعاً)

هذا ولما دخلت بلاد الرزيقات فرّ اثنان من مشايخهم وهما الشيخ منزل والشيخ عليان ولجأ الى السلطان ابراهيم في الفاشر فبعثت اليه بكتاب بتاريخ ١٥ رجب سنة ١٢٩٠ هـ ٨ سبتمبر سنة ١٨٧٣ م أسأله تسليمهما اليّ وهذا نص الكتاب : « من الزبير رحمه الجميعاي الى السلطان ابراهيم ابن السلطان حسين وعمه الامير حسب الله بن السلطان محمد الفضل

» اما بعد فقد دخلنا بلاد شكا في يوم الاثنين المبارك الموافق غرة رجب سنة ١٢٩٠ هـ ٢٥ اغسطس ١٨٧٣ م للاسباب التي قدّمناها لكم في كتاب سابق ووقعت بيننا وبين عربان الزريقات معركة شديدة قتلنا فيها أعيانهم وفرسانهم وكثيراً من أخطائهم ونحن الان مقيمون في بلادهم وقد بلغنا ان الشيخ منزل والشيخ عليان من اكبر طغاة الرزيقات قد التجأ اليكم وهما يحثانكم على حربنا فغاية ما نرجوه ان لا تسمعوا لاقوالها الفاسدة فتقعوا بحرب الدولة المصرية ذات السطوة الغالبة والمدد الغير المنقطع ولا تقول ذلك على سبيل التهديد بل هو النصيح نخصه لكم لمنع الفتن بين الدولتين وحقن دماء المسلمين لاسيما وانتم تعلمون ما كان بين والدكم السلطان حسين وبين عزيز مصر الخديوي المعظم من المودة والمعاملات التي لا تزال متصلة

بينكم وبين خديوي مصر الحالي لذلك نؤمل منكم الآن ان تأمروا بالقبض على منزل وعليان وترسلوهما الينا « بالشعبة » والحديد مع الحرس اللازم لنسترد منهما ما أخذاه من حقوق المسلمين بلا تمثيل فيهما ولا ظلم بل بما يكون فيه تأديب لهما وعبرة لغيرهما . هذا ما رأيناه والرأي مفوض وادام الله بقاءكم آمين »

وكان السلطان ابراهيم واجداً عليّ لدخولي بلاد الرزيقات التي هي جزء من بلاده فلم يجيني على كتابي بل ارسل الى الشيخ مادبو بن علي وغيره من مشايخ الرزيقات كتاباً مشحوناً شتماً وسباباً لي ويقول لهم لا تظنوا اني اترك البلاد لهذا الطاغية الجلابي وها انا اعد الجيوش للزحف عليه وطرده من البلاد بالحزبي والخسران « فعند اطلاعي على كتابه هذا ارسلت اليه كتاباً بتاريخ ٢١ رمضان سنة ١٢٩٠ هـ

١٢ نوفمبر سنة ١٨٧٣ م بهذا المعنى : « من الزير رحمة الجميع الي السلطان ابراهيم » اما بعد فقد كتبت اليكم اولاً وثانياً بشأن الرزيقات فلم احظ بجواب منكم بل رأيت كتاباً مختوماً بختكم الي الشيخ مادبو بن علي وغيره من مشايخ الرزيقات تذكرون به من الفاظ الشتم والسباب لي بقولكم اني جلابي باغٍ وتقولون انكم تجرّدون الجيوش لطردني من البلاد مع اني سبقت فأخبرتكم بالسبب الذي من أجله دخلت بلاد شكا وقلت اني ما جئت ثائراً ولا باغياً بل جئت لتأديب الرزيقات الذين سوا في الارض فساداً وخرجوا عن سلطانكم وقد استنجدتكم عليهم فلم تنجدوني وسألتكم تسليم منزل وعليان اللذين هما اصل الفساد فما سلمتوهما وصمتم على الحرب . وذلك ليس قصدي ولا مرادي فقد قال عليه الصلاة والسلام « الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها » . خصوصاً وانه لم يكن بيننا وبينكم ولا كان بين ابائنا وآبائكم حرب ولا عداً ولا امرتنا دولتنا بمحاربتكم . اما وقد اخترتم هذه السبيل فاعلموا يقيناً ان جميع ما يسفك من دماء الطائفتين من المسلمين انما انتم المسؤولون عنه بين يدي الله يوم القيامة اذ تجتمع الخصوم . وبعد هذا الانذار الجلي فاذا حاربتمونا فاعلموا اننا منصورون عليكم لاننا بجانب الحق والعدل وانتم بجانب البغي والظلم فضلاً عن اننا ليوث حرية وصلة عباسية وسلالة هاشمية ولنا النصر من رسول الله كما قال عليه

الصلاة والسلام « اللهم انصر العباس وابناءه » . اما ان كنتم تودون خروجنا من بلاد شكا لانكم تحسبوننا قسماً من بلادكم فاعلموا ان خروجنا بعد الذي صرفناه على احتلالها بوجه شرعي لا يكون بالقوة والحرب وانما يكون بالتراضي والسلم بينكم وبين سمو ولي نعمتنا الخديوي المعظم بأن تضمنوا لنا نفقات الحملة على الرزيقات التي بلغت ١٠ آلاف كيس ونيفاً فاذا اتفقت مع سموه على ذلك وكتب لنا امراً لرفع يدا من البلاد فنعود الى حيث كنا بجميع جيوشنا امثالاً لامره والا فلا يخطر ببالكم خروجنا من هذه البلاد وفي هذا كفاية والامر اليكم فانظروا فيما تفعلون ادام الله اجلالكم آمين،
﴿ تعيين الزبير حاكماً على شكا وبجر الغزال سنة ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م ﴾

وفي اثناء ذلك كتبت الى حاكم دار الخرطوم اسماعيل باشا ايوب اعلمه بحالي واتصاري على الرزيقات واسأله ان يرسل من يتولى حكومة البلاد التي فتحها في بجر الغزال ودارفور بالنيابة عن خديوي مصر وقلت في ختام كتابي « فاذا ما وصل الحاكم واستلم البلاد عدت الى تجارتي تاركاً كل ما انفقت من الاموال في الفتح هدية لحكومتى السنية وانتظرت مكافأتها الادبية حسبما تقتضيه عدالتها وكرمها »

فجاءني الجواب بتاريخ ١ شوال سنة ١٢٩٠ هـ ٢٢ نوفمبر سنة ١٨٧٣ م بما مؤداه :
« عرضنا كتابكم على الجنب العالي الخديوي فشكر ولائكم وامتدح رغبتكم في وضع البلاد التي فتحتموها بين يديه ليولي عليها من يشاء وقد انعم عليكم بالرتبة الثانية مع لقب بك وولاكم امر البلاد على ان تدفعوا الخزينته جزية سنوية قدرها ١٥٠٠٠ جنيه » . فقبلت الجزية وتوليت امر البلاد رسمياً وشرعت في تنظيمها وعمرانها . لكن السلطان ابراهيم لم يطق الصبر على بقائي في بلاد شكا فأصدر امره الى احمد شطة مقدم الجنوب في داره وسعد النور مقدم الشرق فأخذا في حشد الجيوش وجمع العدة لاجراحي منها . وكنت اراقب حركات المقدمين وسكناتهما وابلغها اسماعيل باشا ايوب في الخرطوم فيرفعها الى اسماعيل باشا الخديوي في مصر فأقر الخديوي على اغتنام الفرصة التي كانت تترقبها حكومته منذ فتح كردوفان وأرسل الي ٢٨٠ من العساكر المنظمة وثلاثة مدافع نجدة وامر اسماعيل باشا ايوب فجهز جيشاً مؤلفاً

من نحو ٣٦٠٠ مقاتل من الجنود السودانية والمصرية والباشبوزق الشايقية والأتراك
والمغاربة والمتطوعة واربعة مدافع جبالية وساروخين على ان يزحف بها على دارفور من
الشرق وانا ازحف عليها من الجنوب ونتم الفتح . على ان الفتح كله تم عن يدي
بعون الله ولم يبق لجيش الشرق اقل عمل فيه

ولما اتم احمد شطة وسعد النور استعداداتهما زحفا بجيش ينيف على ٣٠ الف
مقاتل قاصدين شكا فجرت بيني وبينهما واقعتان كانت العاقبة لي في كليهما وفي
الثانية قتلت احمد شطة وسعد النور وهزمت جيوشهما ثم تقدمت الى داره فاحتلتها
وبنت فيها استحكاما منيعا وبعثت الى السلطان ابراهيم بكتاب بتاريخ غرة محرم
سنة ١٢٩١ هـ ١٨٥ فبراير ١٨٧٤ م هذا نصه :

« انا بعد فقد حررنا لكم من قبل مرتين بشأن الرزيقات فما اجبتمونا ثم لما علمنا من
جوابكم للشيخ مادبو وغيره من مشايخ الرزيقات انكم تجهزون الجيوش لقتالنا حذرناكم
من ذلك وابنا ان ليس لكم فيه وجه شرعي ولا سياسي فما همكم تحذيرنا وتقدم
وزيركم احمد شطه ومقدمكم سعد النور بمن معهما من الملوك والشراتي والجيوش
الكثيرة المجندة فهاجمانا دفعتين في الدفعة الاولى هاجما قسما من عساكرنا الذين
انفردوا منا لغزوة على بعض العربان العصاة وذلك في ٢٥ القعدة سنة ١٢٩٠ هـ ١٤ يناير
سنة ١٨٧٤ م ثم هاجمنا في مراكزنا فلم تمض ساعة واحدة حتى انهزمنا امامنا شر
انهزام . اما المقدم سعد النور جزاه الله كل خير فانه قاتل قتال الابطال ومات
بين كرات المدافع « والفضل ما شهدت به الاعداء » . واما وزيركم احمد شطه أمير
الجيش فقد فر على قدميه حافيا يطلب النجاة حتى قتل مطرودا بمن معه من
اخلاط الناس بعيدا عن محل الواقعة ولا بد ان الخوذة التي كان يلبسها على رأسه
وصلتكم فأكدت لكم خبر موته . وبعد الواقعة أمرنا بجمع جثث الوزير والمقدم ومن قتل
معهما من اولاد السلاطين والملوك والشراتي فكفناهم بأفخر الانسجة وصلينا عليهم
ودفناهم بتمام الاكرام ودخلنا داره في ٢٣ الحجة سنة ١٢٩٠ هـ ٤ فبراير ١٨٧٤ م ؟
واما الرجال الذين قتلوا فانتم المسؤولون عن دمائهم بين يدي الله تعالى يوم القيامة

لأننا أنذرناكم مقدماً بالكتاب والسنة وإذا راجعتم كتبنا السابقة علمتم أننا لم نترك
وجهاً للنصيحة إلا عرضناه عليكم وأنذرناكم به فأعرضتم عن الانذار وخالفتم الشرائط
الاسلامية واتبعتم هوى النفس الغضبية وتغريرون العربان المفسدين في الارض .
وحيث ان الله لا يغير بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فقد فوضت أمري الى الله تعالى
وكفى به شهيداً بيننا والله المستعان »

وفي هذا التاريخ كتبت ايضاً الى اجل علماء دارفور وهم الفقيه سلامه ابن
الفقيه مالك شيخ الموطأ والفقيه فخر الدين ابن الفقيه محمد سالم شيخ الشافعي
والبخاري والفقيه سالم شيخ العزيمية والامام الضو بن الامام المصري امام السلطان
(عم الشيخ الطيب المار ذكره) فبينت لهم السبب الذي جاء بي الى بلاد الرزيقات
واعدت لهم ما كتبه الى السلطان حباً برفع الحرب وحقن دماء المسلمين ثم ختمته بقولي
« فالامل من حضراتكم يا علماء الاسلام ان تفيدونا عما دعا سلطانكم الى محاربتنا
وهلاك عساكر المسلمين منا ومنه فان كان له وجه شرعي في ذلك ونحن المخالفون
للسريعة فنحن نشكره على ما اجراه ونطلب المغفرة منه وان كان هو المخالف فكفى
بالله شهيداً بيننا وبينه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اه » . فلام اجابوا
كتابي هذا ولا السلطان ولكنهم اخذوا في حشد جيش جديد لاختذ الثار
واقعة الشرتاي احمد نمر ثم ان الشرتاي احمد نمر كبير البرقد جمع شتات
جيش المقدوم احمد شطه وحصرنا في الاستحكام واخذ يشاغلنا حتى تصل الجيوش
التي يعدها السلطان ابراهيم فصبرت عليه حتى علمت ان الجيوش آتية نجدة له
فأمرت احد قواذي راجماً فخرج اليه بفرقة من الجيش فقتله هو ومن معه وغنم ما عنده
من خيول ودروع وخوذ ومواش

وفي ٣ رجب سنة ١٢٩١هـ ١٦ اغسطس ١٨٧٤م بعثت بكتاب الى السلطان
ابراهيم ادعوه للتسليم هذا مؤداه : « اني سألتكم في بادئ الرأي ان تساعدوني على
الرزيقات الذين سعوا في الارض فساداً ثم سألتكم مراراً تسليم منزل وعليان الذين
التجأ اليكم فراراً من وجه العدل فما أجبتهم بل أرسلتم الجيوش لمحاربتني فأوجب الله

نعالى علينا محاربتكم حتى تستقيموا أنتم ومن معكم من المفسدين في الارض وقد تلقينا
جيوشكم ونصرنا الله عليهم ودخلنا مدينة داره وصار القصد الآن ادخالكم أنتم
وبلادكم تحت طاعة الحكومة الخديوية . فيا حضرة الامير ان كنت تحسب نفسك
عبدًا لله وموقنًا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده فبادر اخلع الملك عن
نفسك بالتسليم الى ولي نعمتنا الخديوي المعظم حبًا بالسلام وحجًا لدماء المسلمين واذا
سلمت تسلم وتترك لك خزائنك واموالك وتبقى مكرماً ما مجلاً عند الجميع والا فاننا لا بد
ان نال ما نرزم بالرغم عنك وأنت المسؤول بين يدي الله عن دماء المسلمين والسلام»
﴿ واقعة الامير حسب الله ﴾ فلما وصله هذا الكتاب طار صوابه وجهز جيشاً
عمر ما ينيف على المئة الف مقاتل بينهم عدد كبير من الفرسان المدرعين والمشاة
المسلحين بالبنادق وعقد لواءه لعمه الامير حسب الله ومعه من الرؤساء علي التاماوي
رئيس دادات السلطان والمقدم احمد قومه مقدم الصعيد خلف الوزير احمد شطه
والمقدم حسن ود ابلي مقدم الغرب وابن ابراهيم ود دير (المار ذكره في فتح
كردوفان) فوصلوا داره في ١٢ رجب سنة ١٢٩١ هـ ٢٥ اوجسطوس سنة ١٨٧٤ م
وحصرونا في الاستحكام من الجهات الاربع وكتبوا الي كتاباً يقولون فيه « لقد دخلت
بلادنا وقتلت وزيرنا احمد شطه ثم الشرتاي احمد نمر فأخرج الآن من بلادنا
لنثيبك بالسلامة والامان ! » وارسلوا الكتاب مع ثلاثة رسل وفي جملتهم محمد خالد
زقل الدقلاوي (الآتي ذكره بعد) فكتبت اليهم في الجواب « اني دخلت بلادكم
عنة ولست انوي الخروج منها الا بقدر من الله فان كنتم قد جئتم لحرب فتقدموا
لها والا فعودوا من حيث أتيتم » . ورأى الرسل بعض عساكر النائم الذين
في جيشي قد اجتمعوا على جثة آدمي يقتسمونها فيما بينهم فأخذ بعضهم الرأس
والكراع وبعضهم الفخذين وبعضهم الصدر وشرعوا يشوونها على النار وياكلونها
فأقشعرت ابدانهم من هذا المشهد فعادوا واخبروا بما كان من عساكري ومن جوابي
فاعتمدوا على الحرب ونزلوا ضمن دائرة مرمى الرصاص وصاروا يناوشوننا القتال كل يوم
من قبل طلوع الشمس الى ما بعد نصف الليل وكان معي زهاء ١٢ الف مقاتل

مسلحين بالبنادق فصليتهم ناراً حامية صبروا عليها سبعة ايام فأهلكت منهم خلقاً كثيراً وفي اليوم الثامن تقضوا خيامهم ونزلوا بعيداً عن مرمى الرصاص . ولكنهم لم يزالوا على حصرنا ومناوشتنا القتال الليل والنهار حتى كاد الزاد يفرغ منا واذ دخل علينا الملك احمد من معسكرهم طالباً ابنته التي اسرناها في واقعة احمد شطه وقدم لنا عشر أواق ذهب فدية لها فأخذت أسأله عن قوة جيش الفور وحركاته فإذا بالخرس الذين وضعتهم في مأذنة جامع داره لمراقبة حركات العدو يشيرون الي ان اصعد اليهم فرأيت الفور في حركة وجلبة فنزلت الى الملك وقلت له ان كنت تذهب وتأتيني بالخبر فاني أسلمك ابنتك بلا مقابل فخلفني الكتاب على ذلك وحلف لي انه يعود بالخبر اليقين ورجع الى قومه وقال لهم ان الزبير طلب ٢٠ اوقية ذهب فداء ابنتي ولم يكن معي سوى ١٠ اواق فقالوا خذ هذه عشر أخرى وبادر احضر ابنتك لان الجيش يستعد للهجوم على السور غداً من كل الجهات فأخذ عشر اواق الذهب وأتى بالخبر ليلة الخميس الموافق ١٨ رجب سنة ١٢٩١ هـ ٣١ اغسطس سنة ١٨٧٤ م . وكان الفور في تلك الليلة قد شربوا الخمر واكلوا لحم الضأن والابل وناموا نوم الراحة فانتهزت هذه الفرصة الثمينة وخرجت اليهم بثمانية آلاف رجل بهيئة مربع وسرت في جنح الليل حتى صرت على قيد ١٠٠ متر منهم فأمرت عساكري فصبوا عليهم الرصاص كالطر الوابل فقاموا مذعورين الى سلاحهم وصوبوا علينا نيرانهم فأصابني رصاصة طائشة في يدي اليمنى وجرحتني جرحاً بليغاً ولكني لم أعابأ بها بل بقيت اشدد قومي واصب عليهم الرصاص فولوا الادبار منهزمين وقد امتلأت الارض من قتلاهم وفيهم ٤٠ رجلاً من اولاد السلاطين فجمعت الغنائم فكان فيها نحو ألفي درع و ٢٧٠٠ خيمة و ٨ مدافع قديمة مكتوب على بعضها اسم سعيد باشا وشيء كثير من الاسلحة والذخائر الحربية ومن الحبوب والزاد ما كفى الجيش أربعة اشهر وعدت الى السور . وعاد الامير حسب الله فجمع شتات جيشه وهاجمني في السور في ٢٧ رجب سنة ١٢٩١ هـ ٨ سبتمبر سنة ١٨٧٤ م فدام القتال بيني وبينه ٤ ساعات متوالية حتى كثر القتلى في جيشه فانهمزم شر هزيمة

﴿ غزوة السلطان ابرهيم الى دارة ﴾ فلما بلغ السلطان ابرهيم خبر انكسار عمه
الامير حسب الله استعظم الامر جدًّا واستكبره وصاح بقومه صيحة عامة فجرد منهم
جيشًا كثيفًا بلغ عدده نحو ١٥٠ ألفًا بينهم ٣٠ ألف فارس وعدة رجال مسلحين بالبنادق
و ٨ مدافع وعزم على الخروج الى الحرب فخلف على الفاشر ابنه الاكبر محمد الفضل
وطلب من رجال دولته ان يجعل كلاً منهم ابنه الاكبر خليفة عنه مع ابنه محمد
الفضل ففعلوا (وكان في جملتهم الشيخ الطيب المتقدم الذكر اماماً لجامع الفاشر خليفة
لعمه الشيخ احمد الضو) وزحف بجيشه على داره فوصلها في ضحى ٥ رمضان سنة
١٢٩١ ١٦٥ اكتوبر سنة ١٨٧٤ م واحتاط السور من الجهات الاربع وهاجمني
بجميع جيوشه هجمة واحدة فأمطرت عليهم ناراً حامية فثبتوا عليها حتى الساعة واحدة
بعد الغروب وفي اليوم التالي اعادوا الكرة على السور من قبل طلوع الشمس فما كانت
الساعة الرابعة من النهار حتى رددتهم على أعقابهم فاستراحوا الى ما بعد الظهر ثم عادوا
الى الهجوم بعزم صادق مستقلين وثبتوا والرصاص يحصدهم حصد الزرع الى ان
فصل بينا الليل فرجعوا وقد قتل منهم في ذلك اليوم خلق كثير وفيهم البعض من
اولاد السلطان ابرهيم وأولاد اخيه وأعمامه وعماته . وفي الليل أتاني كتاب من السلطان
ملوء شتمًا وسباباً وتهديدًا وقد أقسم بالله العظيم انه لا بد من اعادة الكرة علي في
الصباح ودخوله الاستحكام عنوة وتأدية صلاة الجمعة في مسجد داره . وفي الساعة
الخامسة من الليل اطلق على السور خمسة وأربعين مدفعًا فلم اجبه بل شرعت في
الاستعداد للغد . فلما أصبح الصباح وانكشف لي معسكرهم رأيته خاليًا من الجيوش
فخرجت بنفر من رجالي لاستطلع خبرهم فوجدتهم قد هربوا بالفعل ولم يكن هناك
خدعة لان رجال السلطان لم يعودوا يظيقون مهاجمة السور فهجروا السلطان فتبعهم
ليجمع شتاتهم ويسير بهم الى جبل مرة فيمتنع فيه . فجمعت ما خلفه في معسكره
وشرعت في الاستعداد للحوق به

﴿ واقعة منواشي الاحد في ١٤ رمضان سنة ١٢٩١ ٢٥ اكتوبر ١٨٧٤ م ﴾
وفي ١٢ رمضان سنة ١٢٩١ هـ خرجت بالجيوش مقتفياً أثره حتى ادركته في بلدة

منواشي الواقعة على يومين الى الجنوب الشرقي من الفاشر وذلك في الساعة التاسعة من
نهار السبت الواقع في ١٣ رمضان ومعه من العساكر نحو ٣٠ ألفاً وثمانية مدافع فرتب
عساكره ميمنة وميسرة وقلبا وكان هو ومن معه من الابطال المعدودين من أقاربه
وغيرهم مع المدافع في القلب. وما طلعت شمس الاحد الواقع في ١٤ رمضان سنة ١٢٩١ هـ
٢٥ اكتوبر سنة ١٨٧٤ م حتى انتشبت الحرب فأطلقوا علينا احد عشر مدفعاً فما
أجبناهم بل سرنا سيراً حريياً منظماً قاصدين القلب فهجمت علينا عساكر الميمنة
والميسرة واشتد القتال فما مضى الا خمس دقائق حتى انكشفوا عنا وتقهقروا الى الراء
وعند ذلك هاجم السلطان ومن معه في القلب فهزموا مقدمة جيوشنا ودخلوا القلعة
واشتبك القتال بالسيوف والحرايب وكنت ترى السلطان يجول في وسط المعركة
ويقاتل كأنه الاسد ولكن لم يكن الا القليل حتى خرّ قتيلاً هو ومن معه من الفرسان
والشجعان وفيهم الكثير من اولاده وكابر دولته وانكشفت الحرب عن النصر المبين
لنا فأخذت جثة السلطان فكفنتها بالانسجة الفاخرة ودفنتها في جامع منواشي باحتفال
عظيم اجلالاً لمقامه واقراراً بيسالته ثم دفنت القتلى من اولاده وكابر دولته وعفوت
عن جميع الأسرى وسمحت لهم بالذهاب الى حيث شاؤوا وقد اغتنتمت في هذه
الواقعة ثمانية مدافع وسبعة وعشرين حمل جمل ججخانه ما عدا الاسلحة النارية وغيرها
﴿ دخوله الفاشر ﴾ وبعد ان استرحت ٤ ايام في بندر منواشي سرت بالعساكر
الى الفاشر فدخلتها في ٢٣ رمضان سنة ١٢٩١ هـ ٣ نوفمبر سنة ١٨٧٤ م قبل طلوع
الشمس فوجدت عائلة السلطان واهله الذين تركهم بالفاشر قد فروا منها فلم يبق فيها
سوى التجار وبعض العلماء فأمنتهم على اموالهم ودمائهم واحسنت معاملتهم فلما
بلغ الاهالي ما عاملنا به التجار وانتشر خبر عدلنا ووفائنا بالعهود أخذوا يفدون النبالاً
ونهاراً مقدمين الطاعة والامثال ولم يكن الا ايام قليلة حتى دانت لنا جميع اهالي
السلطنة من اعاجم وعربان حضر وبادية

﴿ دخول اسماعيل باشا ايوب الفاشر ﴾ اما اسماعيل باشا ايوب المهاجم لدارفور
من الشرق فانه ابطأ في سيره جداً وعند وصوله الى فوجه كتب اليّ وانا اذ ذاك

في داره يقول « اني جئتك بنجدة فتشدد » فبعثت اقول له « اذ كنت قد جئتني بنجدة فلماذا هذا الابطاء في السير والعدو محقق بنا بجيوش لا عداد لها » فأجاب « ما انا امرتك بالتقدم الى داره ولا افندينا فان استطعت ان ترفع الحصار وتنجو بجيشك الى هنا فافعل والا فدبر امرك بما تراه صواباً »

وبقي في فوجه حتى انقضت الحرب ولم يعد لي به حاجة . وبعد دخولي الفاشر بعثت اليه بالخبر فلقية الرسول في طريقه الى داره فاشني اذ ذاك عنها ووجه الجيش الى الفاشر فدخلها في ١ شوال سنة ١٢٩١ هـ ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٤ م فاكرمت لقياءه وأطلقت له مئة مدفع ترحيباً به فهنأني بالنصر وشكر لي ولأئي وحسن خدمتي ﴿ ضبط الامير حسب الله ﴾ هذا وكان المتخلفون من جيش الفور لما تحققوا موت السلطان ابراهيم في منواشي ولوا عمه حسب الله سلطاناً عليهم وذهبوا الى جبل مرة فتحصنوا فيه . فلما حضر اسماعيل باشا ايوب الى الفاشر سلمته ادارة البلاد وجهزت جيشاً مؤلفاً من ١٢ الف مقاتل فيهم ٤٠٠ من العساكر المنظمة و ٢٠٠ فارس من عساكر الحكومة وزحفت على جبل مرة فلما رأى الامير حسب الله قوتي سلم بلا قتال وكان معه بعض اولاد السلطان ابراهيم وعمتهم الميرم عرفة وغيرهم من اولاد السلاطين ونحو ١٢٠٠ رجل من اعيان البلاد وكبرائها فجئت بهم جميعاً الى الفاشر . وقد غبت في هذه المهمة ٩٦ يوماً

﴿ ارسال الامير حسب الله وسائر اولاد السلاطين الاسرى الى مصر والزير الى دراه ﴾ وكان الامير حسب الله قد سألني بعد التسليم الي في جبل مره ان اساعده على توليه البلاد ليحكمها تحت طاعة الحكومة الخديوية فيدفع لها مئة الف جنيه جزية سنوية فأعجبني هذا الرأي ورأيت رأي الصواب الذي فيه راحة البلاد والحكومة معاً فعرضته على الحكمدار واسندته بكل قوتي فرفضه الحكمدار بتاتاً ووقع بيني وبينه جدال طويل افضى الى النزاع . وارسل الامير حسب الله والامير محمد الفضل خليفة السلطان ابراهيم وكثيرين غيرهما من اولاد السلاطين الى مصر القاهرة حيث لا يزال اكثرهم احياء الى اليوم (كما مر) . وامرني بالذهاب الى

داره والاقامة فيها بعساكري الى ان يصدر اليّ امرًا آخر بالرجوع الى بحر الغزال
﴿ ثورة الامير بوش وقله ﴾ ولكن لم يمض شهر حتى ورد عليّ كتاب منه يقول
ان بوشًا اخا الامير حسب الله شق العصا فجمع بقية اولاد السلاطين في جبل مرة
وملأ البلاد عيثًا وافسادًا وأمرني بالخروج عليه واتحاد ثورته فصعدت بالامر وجئت
جبل مرّه في غرة رجب سنة ١٢٩٢ هـ ٣ اوجسطوس سنة ١٨٧٥ م وشهرت عليه
حربًا عوانًا مدة ١٥ يومًا فترك الجبل واعتصم بالفرار فتركت ابني سليمان مع ١٢٠٠
جندي في الجبل وتبعته حتى ادركته في صرف الجداد قرب كبكية فأوقعت به
واقعة شديدة انتهت بقله وقل اخيه سيف الدين و ٢٧ رجلاً من كبراء جيشه
﴿ دخوله دار وداي ورجوعه عنها ﴾ ثم توغلت بالجيش في بلاد الغرب فدان
لي ديار تامه والمساليت وقر وسلا حتى جئت الى الترجة الفاصلة بين دارفور ووداي
فأقمت فيها ايامًا للراحة بعزم الدخول في دار وداي واخضاعها للحكومة الخديوية
وكان عليها اذ ذاك السلطان علي ابن السلطان محمد شريف فبعثت اليه بكتاب
ادعوه الى الطاعة ثم دخلت بلاده وتوغلت فيها حتى صرت على مسيرة يومين من
عاصمته فورد عليّ كتاب منه يدل على قبوله الدخول في طاعة الحكومة الخديوية وقد
تعهد بدفع مبلغ معلوم جزية سنوية على ان يبقى السلطان على بلاده ووجهه اليّ احد
وزرائه بهدايا كثيرة للمفاوضة معي في هذا الشأن ولكن قبل وصول الوزير ورد عليّ
كتاب من اسماعيل باشا ايوب بناءً على ارادة سنية ملحقًا عليّ بالرجوع الى دار
وداي في الحال فرجعت الى الفاشر متأسفًا على ما فات من فتح وداي فأخبرني الحكمدار
ان سلطان وداي أرسل وزيره احمد تنقه الى مصر عن طريق سيوه قشكي للجناب
الخديوي فأمر جنابه العالي برجوعي ولكنه أنعم عليّ برتبة اللواء الرفيعة مع لقب باشا
هذا وكانت غزوة وداي آخر غزواتي التي زاد عددها على المئة والعشرين
وقد نصرني الله فيها كلها فلم افشل الا في ثلاث منها
﴿ تحصين الفاشر ﴾ وكان اسماعيل باشا ايوب بعد دخوله الفاشر شرع في بناء
« استحكام » (حصن) منيع للعساكر على التلة الغربية من الفاشر فبنى سورًا مربعًا

متبنا من الطوب سمكه ٣ اقدم وطول الضلع الواحدة منه ٢٠٠ قدم واقام في اركانها
الاربعة ابراجاً على كل ركن برجاً جعل فيها المدافع وحفر من وراء السور خندقاً
بلغ عمقه ١٥ قدماً واحاط الخندق بزربية من شوك وبني من داخل السور ديواناً
للحكومة ومنزلاً للحاكم وقشلاقاً (ثكنة) للعساكر المنظمة واما العساكر الغير المنظمة
فقد اقرها خارج السور وهدم المنازل التي الى جوار السور فجعل الارض التي حوله
في غاية الانكشاف الى مسافة بعيدة فجاء حصناً منيعاً جداً . ثم وزع منشوراً في كل
البلاد ودعا الناس الى الفاشر لاخذ الامان فصارت الوفود تأتيه من الجهات الاربع
فيؤتمنهم ويرجعهم الى بلادهم . ثم امر فعمرت سوق كبيرة في الفاشر وعاد الناس
الى معاطاة اشغالهم كالعادة

وبعد ان تمهدت البلاد جعلها اربعة اقسام كما كانت قبل الفتح وهي مديريات
الفاشر وداره وكلكل (أو كبكية) وادارة أم شنقة واقام في كل من مركزية داره
وكلكل حصناً كالذي اقامه في الفاشر وجعل مرتب كل مديرية اورطتين من
العساكر المنظمة وستة سناجق من الباشبوزق الشايقية والاتراك والمغاربة وبطارية
بسته مدافع واما ادارة أم شنقة فقد جعل مرتبها بلوكين من العساكر المنظمة وسنجقاً
واحداً من الباشبوزق لقربها من الابيض

وضع الضرائب على الاهلين ثم لما دخلت سنة ١٢٩٢ هـ ١٨٧٥ م شرع
في وضع الضرائب على الاهلين فجعل على كل نفر خمسين غرشاً في السنة ما عدا
اهل اليسار فانه جعل عليهم ضرائب اعظم على نسبة يسارهم . ولما كنت على يقين
ان هذه الضرائب تثقل على الاهلين فلا يطيقونها نصحت للحكمدار ان يجعلها من
غرشين الى عشرة غروش وقلت اني اخاف اذا ثقلنا الضرائب على الاهلين وهم غير
منعودين عليها نفروا منا ونزعوا الى الثورة وكان كما قلت فانهم لم يلبثوا ان
الامير هارون حفيد السلطان محمد الفضل سلطاناً عليهم وثاروا معه على الحكومة
فأعبوا مدة طويلة (كما سيجي) ولكن الحكمدار تكدر من نصحي له وكلمني بمجدة
زائدة وقال انه ادرى بما يجب فعله . فكتبت اليه اذ ذاك كتاباً رسمياً ثبت فيه

رأيت ورفعت المسؤولية عني وألقيتها عليه فزاده هذا الكتاب غيظاً وحدةً . واصر امره اليّ بالرجوع الى بحر الغزال في الحال فصعدت بالامر وخرجت بعساكري قاصداً ادارته فما وصلت اليها حتى ورد عليّ تلغراف من سمو الخديوي اسماعيل باشا من مصر يأمرني بعدم التعرض للحكماء في ادارة البلاد فعلمت من ذلك ان الحكماء شركائي الى سموه وطعن في صداقتي واخلاصي له وقيل انه اتهمني بارادة الاستقلال في البلاد

﴿ محبيء الزبير الى مصر وسيرته فيها ﴾ فعزمت على المحيى الى مصر للتشرف بمقابلة الجناب العالي وعرض حقيقة الحال على سموه والنظر معه ومع رجال حكومته في تنظيم البلاد التي تم فتحها عن يدي والبلاد التي يمكن إلحاقها بحكومته في المستقبل فعرضت له ذلك تلغرافياً فلم يكن الا يسيراً حتى اجابني تلغرافياً بما نصه :

« سعادتلو زبير باشا : لقد كانت افكاري متعلقة بك لكن بالنظر لما بيني وبينك من بُعد المسافة ولما هو بالغ مسامحي عما أنت فيه من المشغوليات الجسميّة ظننت انه لا يتيسر حضورك فلما ورد تلغرافك بطلب مقابلتي بمصر صرت ممنوناً فبادر احضر الى مصر لاجل المداولة معك في تشكيل حكمدارية تكون مفوضة بك وتحت ارادتك وها قد تنبه على جميع طلباتك بغاية الاعزاز والاكرام . فلما تلوت التلغراف شعرت في نفسي بأني ان ذهبت الى مصر فلا اعود الى السودان وبذلك شعر رجالي ايضاً وارادوا منعي عن الذهاب ولكن اخلاصي لحكومتي وشرف نفسي قضيا عليّ بالمحافظة على قولي فجتت الى مصر عن طريق الالبس والخراطوم وبربر وأبي حمد وكورسكو في ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٢ هـ ١٠ يونيو ١٨٧٥ م وتشرفت بمقابلة الجناب الخديوي بسراي الجزيرة فرحب بي وهنأني بالسلامة وانزلني في احدى سرايات العباسية مع عائلتي واتباعي ورتب لي كل ما احتاج اليه من اكسية ومؤونة وكان في جملة ما احضرته من السودان : ١٠٠٠ عسكري سوداني بالسلاح الكامل و ١٠٠ حصان من جياذ خيل العرب و ١٦٥ قنطار سن فيل من الاسنان المتناهية في الكبر والجودة و ٤ اسود و ٤ نمورة و ١٦ بيغاء فقدمتها لاسماعيل باشا عن يد مهرداره خيرى باشا بكتاب خاص فأجابني المهردار بكتاب رقيق العبارة

يقول فيه « ان افدينا ممنون جدًا من هديتكم » * وبقيت في السراي التي
أعدت لي الى غرة رجب سنة ١٢٩٢ هـ ٣ اوجسطس سنة ١٨٧٥ م اذ دعاني سمو
الخدوي الى سراي الجيزة واصدر لي امره بالاستعداد للسفر قريباً الى السودان
وكان ذلك في حضور مهرداره خيري باشا فشكرت سموه وشرعت في الاستعداد
للسفر فاشترت ذهيتين بألف وسبعماية جنيه وشحنتها من البضائع والتحف المصرية
ما بلغت قيمته ٤٠ ألف جنيه

ومكثت انتظر صدور الامر بالسفر حتى كانت غاية رمضان سنة ١٢٩٣ هـ
١٩ اكتوبر ١٨٧٦ م فدعاني سمو الخديوي الى مقابلته وقال لي : « يا زير باشا
قد استصوبت بقاءك في القاهرة في ظل ساحتي حتى انظر في امرك » فأدركت اذ
ذلك الغرض الذي دعيت لاجله وتم ما توقعت حدوثه ولكن لم يكن لي سوى
الطاعة قلت « امرك يا مولاي » وانصرفت والاسف ملء فؤادي على هذا المصير
ولما كانت الحرب بين الروس والدولة العلية سنة ١٢٩٤ هـ ١٨٧٧ م نذبت الى
مراقبة التجارة المصرية فذهبت معها وعدت بعد انتهاء الحرب

هذا وكنت عند قيامي من داره تركت جيشي بقيادة ابني سليمان فاساءت
الحكومة السودانية اليه فاضطر الى الخروج عن طاعتها فوشى بي بعض المناقير
بقولهم اني قبل قيامي من داره اوصيت ابني سليمان بالثورة اذا حجزت الحكومة علي
في مصر بل قالوا اني كتبت اليه من مصر ارضه على الثورة وكان على السودان
اذا كان غوردون باشا فصدّق الوشاية وامر بتصدير اموالي في السودان وارسل
« جسي » في طلب ابني سليمان فخاربه في عدة وقائع . فكتبت الى سليمان بالتسليم
الى الحكومة وترك الحرب فسلم الى جسي فقتله غدرًا

فلما حضر غوردون الى مصر سنة ١٨٨٤ م اجتمعت به في بيت « السر افلن بارنج »
(اللورد كرومر) بحضور السر افلن وود سردار الجيش المصري ونوبار باشا رئيس
مجلس النظار فسألته عن سبب تصدير اموالي وقتل ابني سليمان فوجدته مقتنعاً بأنني
كتبت الى ابني كتاباً ارضه فيه على الثورة فقلت له اذا ظهر هذا الكتاب وبان

انه مني فاني اقدم نفسي للقتل والا فاني اطالب بدم ابني ورد اموالي الي . وبالطبع لم يظهر الكتاب لانه لم يوجد الا في مخيلة المفسدين اهل البغي ففض المجلس ولم يكن شيء هذا وكانت الحكومة المصرية قد انتدبتني سنة ١٨٨٣ م لحشد آلاي من السود في مصر والذهاب الى سواكن لقمع عثمان دقنه فحشدت الآلاي وقتت به فعلاً الى السويس وبعثت بالرسول الى عثمان دقنه ثم علمت هناك اني سأكون تحت اوامر باكر باشا فقلت اما ان اذهب وحدي لقضاء هذه المهمة أولا اذعب فلم ترض الحكومة بالاول فعدت الى مصر

وعند ذهاب غوردون الى السودان قصد اخلاؤه سنة ١٨٨٤ م لم يلبث أن بعث الى الحكومة يستدعيني اليه لاساعده على اخلاء البلاد واستلامها بعد ذهابها منها ولكن قيل لي ان جمعية ابطال الرقيق في لندن عارضت في ذلك

وفي سنة ١٨٨٥ م عاد المفسدون فوشوا بي بقولهم ان بيني وبين متمهدي السودان مفاوضات سرية فهجم رجال البوليس على بيتي ليلاً وقتشوه لعلمهم يعثروا فيه على ما يؤيد تلك الوشاية فلم يجدوا شيئاً يلقي اقل تهمة علي ومع ذلك فقد قبضوا علي واخذوني الى جبل طارق فحبسوني ٣٠ شهراً ثم لما تأكدوا براءتي اطلقوا سراحي وأرجعوني الى القاهرة في سبتمبر سنة ١٨٨٧ م

ولما كنت في جبل طارق تذكرت عزّي في السودان وقابلته بذل الحبس فقلت منشداً:

« بعد الاهل والونسه وبعد العز والحرسه

بعد انتظام العساكر المؤسسه وبعد فرسان تفش المغصه

انقلب الدهر وانعكسا بحبس الزير في الاندلسه

يارب ياخالق الكون يامؤسسسه عجل بالفرج قبل القسا

نرجع ونشوف عزاً مؤسسسا من فضلك يا كريم لاينقصا»

وقلت : « يا ليل ماني هيّن ولا ني هوّين في الكفر والاسلام اسمي بين

وفي قومي هناك يتي بين للمسافر والمقيم قدحي لين

وللجار والعشير جانبي لين الاقارب والارحام بعطي بهين

توفيقاً من المولى الكريم المهيمن وكل شيء منه والامر بين « اه
هذه هي سيرة الزبير باشا كما تلقيتها عنه سنة ١٩٠٠ م. وقد سمح له السردار
الحالي بالرجوع الى بلاده واعاد اليه املاكه واكمه فبقى في الخرطوم سنتين شاهد
فيها اهل ودبر املاكه ثم عاد الى حلوان حيث ابنتى لنفسه منزلاً فخيماً للسكنى فيه
وله الآن اربع نساء شرعيات وعدة اولاد بينهم ولد في سن الشباب يسمى ميسره
مناسله اباه في خلقه واخلاقه

والزبير طويل القامة قوي البنية اسمر اللون عربي الملامح حسن الطلعة
خفيف الشاربين واللحية حديد الصوت فصيح اللهجة ذكي الفؤاد عالي الهمة
ابى النفس كريم الطبع سهل الحجاب قوي الارادة قريب الى الخير بعيد عن
الشر محب للعلم واهل العلم والتقوى غيور على الاسلام والمسلمين مع مسالمة الذين
على غير دينه وهو لم يزل في معيشته البيتية من المأكل والمشرب والملبس على نحو
ما كان عليه في السودان لكنه اذا خرج لبس الطربوش ولباس الافرنج
وقد وصفه بعض كتاب الافرنج بانه رجل « تجاري سياسي حربي » وقال
بعضهم « انه خلق ليحكم الناس »

واظهر صفاته الكرم والنجدة وحب الفخر والسلطة. وقد اشتهر كرمه منذ كان
ملكاً في بحر الغزال فقصدته الكثيرون من اهل البيوتات في السودان الذين اخنى
عليهم الدهر فازال كرتهم وفرج ضيقهم . وقد ذكر في بعض مجالسه المبالغ الكبيرة
التي انجد بها قومه وهو في بحر الغزال فبلغ مجموعها نحو ٢٠ الف جنيه ولم تزل داره
الى الآن مقصداً لمن خانه الدهر من اهل السودان المصري والغربي
والزبير يطالب الحكومة الآن بمبلغ ينيف على المليون جنيه تعويضاً عما انفقته
في السودان ومصر في خدمة الحكومة المصرية وعما فقده هو وابنه سليمان من
العساكر والامتنعة والاموال بسببها. وقد رافع عنه السر ماريوت لدى حكومة انكاترا
قصد تحصيل هذا المبلغ فلم يفلح ولكن الحكومة المصرية ربطت له في ميزانيتها معاشاً
قدره ٢٨٩ جنيه في الشهر لكنه غير راض به وهو لم يزل يطالب الحكومة

بالتعويض المتقدم ذكره . وقد طالما سمعته قبل العودة الى السودان يكرر هذين البيتين :

سلوا ام عمر وكيف بات اسيرها * تفك الاسارى دونه وهو موثق
فما هو مقتول في القتل راحة * ولا هو ممنون عليه فيطلق
وما حضرت له مجلساً الا قص علي شيئاً عن غزواته في بحر الغزال ودارفور
وشكا من ثلاثة امور : ١ . عدم اعطاء الحكومة التعويض الذي يطلبه منها
٢ . قتل ابنه سليمان غدرًا بعد التسليم ٣ . هجوم البوايس على منزله وحبسه في
جبل طارق . ولكنه يثني اطيب الثناء على الانكليز الذين ولوا امر حراسته هناك
وقد قال لي مرة « ان الاكرام الذي لقيته من الانكليز مدة اسري في جبل طارق
انساني حبسهم لي بلا حق بل حملني منة لا انسائها ابد الدهر ولاجلها اذا لقيت
انكليزيًا في اقصى الارض وقد وقع في ضيق او خطر فديته بنفسه »
وقد تغنى شعراء السودان في مدحه فمدحوه بالكرم والفروسية وعلو المقام
من ذلك قصيدة الحاجة بنت مسميس الشاعرة المشهورة التي نظمها له بعد نزوله
الى مصر ومنها :

في الخرطوم نزل ادلى بالبابور	وفي بربر رسا بالقهوة غفره يدور
جابوا له الجمال اتوجه العتمور	حلق الريف نزل قال لمصر دستور
في بلد النصارى كم سحت بالبابور	كل صبح جديد راكب على الحتور
من قمت الجهل انت المنقديم منصور	أدوك الامان خايفين عليك الجور
في السودان قبيلا ما يشبهوك الناس	ويا جبل الذهب الصافي الماك نحاس
بارود النصارى عن قمزة الكباس	خليت المجوس ألين من القرطاس
عدى عصره زين في ديار بلاد الناس	وفي دار الغروب دقيت للرجال اساس
كم قتل السلاطين خلى الديار يباس	ودرحمه الزبير تام الرجاله خلاص

﴿ عود الى ولاية ٢١ • اسماعيل باشا ايوب ﴾

اما اسماعيل باشا ايوب فانه بعد ان نظم البلاد على ما مر في تاريخ الزبير ولى على الفاشر حسن باشا حلمي المشهور بالجويسر وعاد الى الخرطوم وأرسل الجناب العالي الخديوي رسالتين علميتين الى دارفور لاجل كشفها ومعرفة مجايلها ومعادنها فسارتا من مصر في ٥ ديسمبر سنة ١٨٧٤ وذهبت احدهما بقيادة الكولونل بردي عن طريق الاربعين فدخلت دارفور من الشمال والاخرى بقيادة الكولونل كولستن فدخلتها من الشرق عن طريق كردوفان ولكن الكولونل كولستن مرض في الطريق وعاد الى مصر فترأس الرسالة المايجور بروت وقامت الرسالتان بما عهد اليهما حق القيام وعادتا الى مصر بتقارير علمية وافية عن سكان البلاد ومعادنها وتجاريتها واجمال حالها

هذا ما كان في السودان الغربي في عهد اسماعيل باشا ايوب على الخرطوم فلننظر الآن الى ما كان في عهده في السودان الشرقي :

✽ احتلال سنهيت سنة ١٨٧٤ م ✽

تقدم ان الدولة العلية تنازلت الى مصر عن سواكن ومصوع في سنة ١٨٦٦ م لزيادة في جزيتها السنوية فمذ اصبحت مصوع بيد مصر اخذت تسعى في تأييد المواصلات بينها وبين كسله وكان اول ما ففق لها وصل هذين البلادين بخط حديدي يمر في سنهيت التي عدّها اسماعيل باشا داخلة في الفتح الاول لكسله فعارضه الملك ثيودورس ملك الحبشة في ذلك • ثم قتل الملك ثيودورس في حرب اثارها عليه الانكليز سنة ١٨٦٨ م وتولّى الحبشة بعده الملك يوحنا فانشغل في محاربة القلا فاغتنم اسماعيل باشا الفرصة واستخدم الموسيو مونسنجر السويسري الذي كان قنصلاً لدولتي انكلترا وفرنسا في مصوع فاحتل سنهيت بألف وخمسمائة رجل سنة ١٨٧٤ م وفي الوقت نفسه اشترى مقاطعة آيلت الواقعة بين حماسين ومصوع من حاكمها فأهاج ذلك غضب الملك يوحنا ورفع الامر الى الدول الاوربية معتمداً

بالأكثر على انكلترا . اما اسماعيل باشا فلم يهتم لغضبه ولم يزل على سعيه ولكنه شغل عنه قليلاً باحتلال هرر وحملة جوبا :

احتلال هرر سنة ١٨٧٥ م

هرر سلطنة اسلامية مستقلة شرقي الحبشة وقد أسسها غزاة العرب بعد الاسلام بقليل وحكمها عائلة من اهلها فلما كانت سنة ١٨٧٤ م مات سلطانها الامير احمد فتولّى السلطنة بعده الامير محمد فاستبدّ بالاهلين حتى لم يعد لهم طاقة على حكمه فاستنجدوا باسماعيل باشا وسألوه ان يرسل من قبله والياً يتولاهم بدل سلطانهم محمد فأجاب اسماعيل باشا سؤلهم واخذ يسعى في شراء زيلع وبربره ميناء هرر من الدولة العلية . وفي يوليو سنة ١٨٧٥ م تنازل له الباب العالي عنها بزيادة ١٣٣٦٥ جنياً مصرياً على جزية مصر السنوية . وفي سبتمبر سنة ١٨٧٥ م جهز حملة مؤلفة من ٥ اورط من المشاة المصريين وبلوكين من الباشبوزق و ٣٠٠ رجل ومدفعين جيلين وعدة صواريخ حربية وعقد لواءها لرؤوف باشا الذي تقدم ذكره في فتح خط الاستواء فاحتل مدينة هرر في ١١ أكتوبر سنة ١٨٧٥ م وقبض على السلطان محمد وقتله خنقاً بلا موجب وبقي الى ان عزله غوردن . وما زالت مصر قابضة على زمام الاحكام في هذه البلاد الى ان كانت الثورة المهدية ولم يعد يمكنها ابقاء جنودها فيها فأخلتها لاهلها في مارس سنة ١٨٨٤ م فآلت الى الاحباش في عهد الملك منيلك الحالي وما زالت بيد الاحباش الى اليوم

حملة جوبا سنة ١٨٧٥ م وفي سنة ١٨٧٥ م ارسل اسماعيل باشا حملة الى نهر جوبا لفتح الطريق بين البحر الهندي وبلاد خط الاستواء وتجنب السد في النيل الايض الذي لم يقوَ على ازالته . وكان غوردن باشا اذ ذاك حاكماً على خط الاستواء فأصدر اليه الامر بملاقاة الحملة من جهته ولكن تضاربت عدة مصالح دولية ووقفت في سبيل هذه الحملة فنصحت الدولة الانكليزية لاسماعيل باشا فعدل عن رأيه وعادت الحملة الى مصر

حرب الحبشة سنة ١٨٧٥ - ١٨٧٦ م وعاد اسماعيل باشا الى النظر في

احتلال حماسيم فلما كانت اواخر سنة ١٨٧٥ م ارسل اورطتين و بطارية مدافع بقيادة الكولونل ارندروب من ضباط الاميركان في خدمة الجيش المصري بقصد احتلالها فلما علم الملك يوحنا بقدومه جرّد جيوشه وتقدم لقتاله فالتقاه في قنّدت في ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥ فقتله وافنى جيشه وغنم اسلحته وذخائره وتقوى بها وكان في جملة القتلى عراقيل بك وكيل مونسنجر في مصوع اما مونسنجر نفسه فلم يذهب مع الحملة ولكن لم تنته سنة ١٨٧٥ م حتى قتله الاحباش على بحيرة أوسا ومثلوا به ولا وصل الخبر الى اسماعيل باشا بمصر صمم على الاخذ بالثار فأمر السردار راتب باشا فجرّد جيشاً مؤلفاً من ١٥٠٠٠ مقاتل فيهم اورطة من السواري واربعون مدفعا وعدة سوارنج وسار به بطريق البحر الاحمر الى مصوع فوصلها السبت في ١٣ القعدة سنة ١٢٩٢ هـ ١١ ديسمبر سنة ١٨٧٥ م ومعه الكولونل لونج رئيس اركان حرب والبرنس حسن باشا ثالث انجال اسماعيل باشا اركان حرب شرف وزحف بالجيش على قرع الواقعة على ٥٥ ميلاً من مصوع فبنى طاية فيها وطايتين في اول سهلها قرب قياخور واسس ثلاث نقط حرية بينها وبين مصوع لحفظ خط الاتصال . ولما علم الملك يوحنا بقدومه جرّد جيوشه على قرع وكان من رأي السردار ان يتر بص في الطواحي حتى يهاجمه الملك فانكر عليه الكولونل لونج هذا الرأي وقال انه دليل الخوف والجن وليس من شأن المهاجم فوقع اللجاج بينهما واخيراً تغلب رأي الكولونل لونج فما اطلت جنود الملك يوحنا حتى خرج اليهم المصريون وحاربوهم في السهل فأطبق الاحباش عليهم من كل جانب وقد قدر عدد الاحباش بنحو ٢٠٠٠٠٠ نفس مع النساء والاولاد وكان بعضهم مسلحين بالبنادق واكثرهم بالسيوف والحراب والدرق فلم يكن الا القليل حتى اخترقوا صفوف المصريين واعملوا بهم السيوف والحراب فقتلوا بهم فتكاً ذريعاً وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف رجل وغنموا بنادق القتلى و٢٥ مدفعا ومقداراً كبيراً من الذخائر واسروا ٢٦٧ رجلاً وذلك في يوم الثلاثاء الواقع في ١١ صفر سنة ١٢٩٣ هـ ٨ مارس سنة ١٨٧٦ م .

واما الذين نجوا من المصريين وعددهم لا يزيد عن الالف فقد لجأوا الى طاية

قرع فهاجمهم الاحباش فيها بعد الواقعة بيومين ولكنهم لم يقروا عليها فادوا بالاسلاب والاسرى الى عدوه

وكان في جملة الاسرى محمد بك رفعت الذي رافق الحملة كاتباً للبرنس حسن باشا فأخذ يسعى في عقد الصلح مع الملك فتم الصلح على ان يرجع الجنود المصرية من ارض الحبشة ويرد الملك الاسرى الى مصر ويفتح التجارة بين مصوع والحبشة وعاد محمد بك رفعت مع الاسرى الى قرع في ٢٧ ربيع اول سنة ١٢٩٣ هـ ٢٢ ابريل سنة ١٨٧٦ م وعاد السردار وباقي العساكر من قرع الى مصوع ومصر فدخلوا مصر في ٧ محرم ١٢٩٤ هـ ٢٢ يناير سنة ١٨٧٧ م . وبقيت سنهيت ومصوع بيد المصريين وبقي سليمان باشا نياطي في مصوع محافظاً عليهما جرى ذلك كله واسماعيل باشا ايوب حاكم في الخرطوم وقد آمن السبل وانشأ محطات في طرق القوافل بين الخرطوم ودارفور وبين بربر وسواكن الا انه لم يكن محبوباً في السودان وقد وصفه لي بعضهم بقوله : « كان رجلاً جباراً يعني بالعسكرة ويهمل الرعية ويقبل كل هدية »

﴿ ٢١ . غوردن باشا ١٢٩٣ : ١٢٩٦ هـ — ١٨٧٧ : ١٨٧٩ م ﴾

ولما دخلت سنة ١٨٧٧ م عاد اسماعيل باشا ايوب الى مصر فلم ير الخديوي رجلاً يوليه السودان على اتساع اطرافه وكثرة مشاكله في هذا العهد افضل من غوردن فأرسل يستدعيه تلغرافياً من بلاد الانكليز فحضر في اوائل فبراير سنة ١٨٧٧ م . وكانت مديريات السودان لا تزال مستقلة بعضها عن بعض فطلب غوردن ضمها كلها تحت ولايته فأجابه الى ذلك واصدر له فرماناً بتاريخ ١٧ فبراير بالولاية على جميع بلاد السودان المصري مع دارفور وخط الاستواء وسواحل البحر الاحمر وهرر ومنحه السلطة العسكرية والمدنية عليها واعطاه سلطاناً على القتل والعفو ومنع دخول احد الى السودان الا باذنه ووجه منع تجارة الرقيق وتحديد التخوم بين السودان والحبشة . فسار غوردن الى الخرطوم بعزم وطيد لاصلاح

البلاد ونقض مشاكلها ووضع نظام عام يكفل لها الراحة ويرقيها في معارج المدنية وال عمران. ولكنه لم يلبث ان رأى خطارة المركز الذي تولاه وتعدّر النجاح نظراً لعدم تسر الايدي اللازمة للعمل واتساع اطراف السودان ومشقة السفر في بلاده برّاً وبحراً مع قلة الجيوش اللازمة لحمايته بعد ان ذهب قسم منها لمساعدة الدولة العلية في حرب الروس ونهك الباقي حرب الحبشة . ففضى غوردون في السودان سنتين ونيفاً وهو يتنقل من مكان الى مكان تارةً بالبر وتارةً بالبحر متمماً كلما امكنه من الاصلاح حتى اعياه التعب وقاومته السياسة فاضطر الى الاستعفاء . وكان اهم ما اشتغل به في هذه المدة : اتحاد ثورة الامير هارون الرشيد في دارفور وحركة صباحي في كردفان وسليمان الزبير في بحر الغزال ومنع تجارة الرقيق والنظر في مد سكة الحديد واصلاح ذات البين بين الحبشة والسودان

ثورة السلطان هارون سنة ١٨٧٧ : ١٨٨٠ م تقدم ان اسماعيل باشا ايوب ضرب الضرائب الفادحة على اهل دارفور فقبلوها على الرغم لانهم كانوا قد سثموا عيشة الاضطراب والقلق التي وصلوا اليها في آخر سلطنة الفور وناقوا الى السكينة ولكن لم يطل الامد حتى انتشر الباشبوزق في انحاء البلاد واقتضوا الضرائب منهم بالغف والقوة فاستعظموا ذلك وفضلوا العودة الى ما كانوا عليه قبل . وكان عندهم من اولاد السلاطين الامير هارون الرشيد ابن الامير سيف الدين ابن السلطان محمد الفضل فبايعوه سلطاناً عليهم في اوائل سنة ١٨٧٧ م وثاروا ثورة عامة وحصروا حاميات الفاشر ودارة وكلكل . وحصر الفاشر الملك سعد كبير البرقي والمقدم آدم مقدم الشمال سابقاً فهاجماها مرتين وكادا يستوليان عليها لو لا ان العساكر حاربوا حرب الاسود فصدوها ولكنهم لم يقووا على رفع الحصار . فارسل حسن باشا حلمي الجويسر مدير الفاشر في طلب المدد من الخرطوم فاتاه عبد الرزاق باشا بجيش كبير فتصدى له العصاة في بروش بين ام شنقه والفاشر فقتل منهم خلقاً كثيراً ودخل الفاشر ورفع عنها الحصار وارسل الجنود الى دارة وكلكل فرفعوا الحصار عنهما ايضاً ثم اخذ حسن باشا عسكرياً من الفاشر وخرج لمطاردة الامير هارون فأدركه

في الطينة مسيرة يوم ونصف الى الفاشر فأوقع فيه واقعة شديدة ثم لحقه الى يبر
مرتال فقتل من عسكره خلقاً كثيراً وهزمه الى نيورنيا وسط جبل مره
ولما وصل غوردن الخرطوم وعلم بثورته اسرع الى الفاشر فوجده هادئاً في
نيورنيا فتركه وشأنه وأمر الجباة بالرفق في تحصيل الضرائب وعزل جانباً كبيراً من
عساكر الباشبوزق ورجع الى الخرطوم بعد ان ارجع اليها نصف العساكر النظامية
وفي اوائل سنة ١٨٧٩ م عاد الامير هارون الى الحركة فعاد غوردن الى
الفاشر فرأى ان دارفور لا يصلح حالها الا اذا حكمها رجل من اهلها تحت طاعة
الحكومة على نحو ما اشار به الزبير من قبل فبعث الى مصر في طلب الارشد من
اولاد السلطان ابراهيم وعزل حسن باشا حلمي عن الفاشر وسمى مساداليه بك وهو
ضابط ايطالي مديراً على دارفور. وكان عند مروره بسواكن في ديسمبر سنة ١٨٧٧ م
قد اطلق من سجنها المقدم رحمه قومه المار ذكره وقد استصحبه الى الفاشر فجعله
معاوناً لمساداليه بك الى ان يجيء ابن السلطان ابراهيم من مصر اما ابن السلطان
ابراهيم فانه ما وصل دنقله؟ حتى فاجأته المنية فبقى حكم البلاد على حاله
﴿ سلاطين باشا ﴾ وكان مساداليه بك قبل انتقاله الى الفاشر مديراً على داره
فخلفه سلاطين بك وهو الآن سلاطين باشا الذي اصبح له شأن عظيم في السودان
لذلك نأتي على لمع من بدء سيرته هنا فنقول : قدم سلاطين الى السودان سائلاً
سنة ١٨٧٤ م وهو اذ ذاك في الثامنة عشرة من عمره فقصد جبال النوبة لدرس
احوالها فتار عرب الحوازمة على الحكومة لثقل الضرائب عليهم فرجع الى الايض
وجعل وجهته الفاشر فبلغه في الطريق ان اسماعيل باشا ايوب قد اصدر امره بعدم
توغل الاجانب في بلاد دارفور خوفاً عليهم من اهلها فانقلب راجعاً الى الخرطوم
فوجد فيها الدكتور امين بك وقد جاءها بقصد الدخول في خدمة غوردن في خط
الاستواء فتعرف به وكتب الى غوردن يطلبان خدمة عنده فجاءها الجواب بعد
شهرين يدعوها اليه فذهب امين بك على ما مرّ واما سلاطين فقبل ان يرد
الجواب من غوردن بعث اليه اهله يستحثونه على الرجوع اليهم فرجع في ختام

سنة ١٨٧٥ م ولما تولى غوردن حكمة دارية السودان سنة ١٨٧٧ م ورأى قلة الايدي اللازمة للعمل ذكر طلب سلاطين القديم فبعث اليه في اواسط سنة ١٨٧٨ م يستدعيه للخدمة في السودان وكان سلاطين اذ ذاك ملازمًا في جيش النمسا في حرب الهرسك وقد حضر « واقعة هرزكوفينا » فلما انتهت الحرب وعادت اورطته الى مركزها في برسبورج استغنى من الجيش وودّع اهله في فينا في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٧٨ وجاء الخرطوم عن طريق سواكن فدخلها في ٢١ يناير سنة ١٨٧٩ م فرحب به غوردن وسماه مقتشاً في مالية السودان على ان يطوف في المديرية ويبحث في اسباب شكاوي الاهلين من الضرائب فذهب الى سنار وفازوغلي فرأى ان معظم الضرائب غير موزعة بالقسط وان الرشوة سائدة بين الموظفين عموماً ولا يمكن الاصلاح الا بقلب هيئة العمال كلها فرفع استعفاءه الى غوردن وهو اذ ذاك في دارفور قبله وعينه مديراً على داره كما مرّ . وذهب سلاطين لاستلام مهام وظيفته الجديدة فالتقى بغوردون في الطريق بين الابيض والنيل الابيض فامرّه بتبع الامير هارون واتخاذ انفاسه فواصل دارة حتى جاءته الانباء ان الامير هارون قد قام من نيورنيا قاصداً نقطة يرقوي على ثلاثة ايام جنوبي داره فاخذ سلاطين العساكر وقصد بير قوي فرجع هارون عنها وعاد سلاطين الى داره

وبعد ذلك بنحو شهر أي في فبراير سنة ١٨٨٠ م جاءه كتاب من مساداليه بك يقول انه صمم على مهاجمة الامير هارون في نيورنيا وقد جرّد عليه سرية من الفاشر بطريق طرة وسرية من كلكل بطريق أبي حراز وسأله ان يذهب بسرية من عسكره بطريق منواشي ويجمع الكل في نقطة معينة قرب نيورنيا فجهز سلاطين ٢٢٠ رجلاً من الجهادية و ٦٠ من البازنجر وبعض الفرسان وسار بهم الى نقطة الملتقى ولم يكن الا يسيراً حتى اجتمعت عليه سرية الفاشر فمكثوا في انتظار سرية كلكل . ولكن الامير هارون علم بنخب السرايا فجهز انصاره وقد بلغ عددهم ٤٠٠ رجل مسلحين بالبنادق ومثلهم مسلحين بالسيوف والحراب و ٦٠ فارساً وخرج بهم من نيورنيا قاصداً نقطة كلكل في الطريق فقتل منها وردها الى كلكل وسار قاصداً داره

فقتل وسبي وغنم ولكنه لم يقوَ على الحامية فعاد عنها قانعاً بالغنائم والسبايا . ولا علم به سلاطين خرج لمطاردته فأدركه في رهد النبق بالقرب من مركز سلطان المسبغات فباغته الهجوم وهو يستعد للرحيل فما شعر هارون إلا والرصاص يتخطف رجاله من كل جهة فانهزم شر انهزام وغنم سلاطين منه ١٦٠ بندقية وجوادين و٤ تقارات و٤ رايات وعاد الى داره . وفر هارون الى جهة الغرب فنزل في ابتره في دار قمر فعلم به النور بك عنجرة مدير كلكل فخرج له وباغته الهجوم في معسكره فقتله وهو يحاول الفرار على فرسه وقتل من انصاره خلقاً كثيراً واستولى على معسكره وذلك في مارس سنة ١٨٨٠ . وكان لقتله فرح عظيم في جميع دارفور .

وانضم القليل الذين نجوا من واقعة ابتره على الامير دود بنقه ابن الامير بكر بن السلطان محمد الفضل فتحصن بهم في جبل مرة على ضعف وبقي الى ان كانت الثورة المهدية حركة سليمان الزير في بحر الغزال ١٨٧٧ : ١٨٧٩ م قال الزير : « وبعد ذهابي الى مصر خرج ابني سليمان بالجيش وعدده ٤٠٠٠ مقاتل الى شكا واقام فيها الى ان حضر غوردن الى دارفور اول مرة فأرسل اليه امراً لمقابلته مع جيشه في داره فصعد بالامر واجتمع على غوردن في شهر اوغسطس سنة ١٨٧٧ م . وكان السعيد بك حسين احد سناجق الجيش قد وشى بي الى غوردن قائلاً اني اوصيت ابني اذالم ارجع سريعا من مصر ان ينهض بثورة على الحكومة » كما مرّ فرأى غوردن ان يفرق جيش سليمان فاعطى السعيد بك الف رجل وسماه مديراً على شكا واعطى الباقي للنور بك عنقره من سناجق جيش سليمان وارسله الى كبكية وامر سليمان فرجع الى شكا بقلّة وذلة . « وفي اواسط سبتمبر سنة ١٨٧٧ وافاه الى شكا فطيب خاطره وانعم عليه بالرتبة الثانية مع لقب بك وسماه مديراً على بحر الغزال فسرّ سليمان بهذا الالتفات وذهب الى ديمي القديم وكنت قبل قياي من الديم لحرب دارفور قد خلفت ادريس ابتر من تجار الدناقلة وكيلاً عني في بحر الغزال براتب معين فقضي اربع سنوات في ادارة بحر الغزال لا يشاركه فيها احد فلما حضر سليمان وجد ان ادريس ابتر قد اخلّ بالادارة واستبد بالعباد ولم يهتم الا بانتفاعه الشخصي فأعلن

سليمان ارادته بمحاكمته في مجلس قضائي ففرّ الى الخرطوم ووشى به الى غوردن بانه يريد الاستقلال في بحر الغزال بحجة انها بلاد آييه وليس للحكومة حق فيها»
 (حملة ادريس ابتر) ويظهر ان غوردن باشا اصغى الى وشاياته فانعم عليه بلقب بك واعطاه مدفعين و ٢٠٠ من العساكر المنظمة وسماه مديراً على بحر الغزال . فلما وصل ادريس ابتر الى ديم قنده المعروف ايضاً باسمه كتب الى رؤساء الزرائب يخبرهم بتعيينه مديراً على بحر الغزال ويأمرهم بالحضور اليه وكتب الى سليمان يدعوه للتسليم فغضب سليمان من ذلك وكتب اليه في الجواب يقول : « ان ولائي للحكومة بمنعني الخروج عن طاعتها الا ان شرفي لا يسمح لي بالتسليم الى من كان خادمي وخادم أبي من قبلي ولا يمكنني ان أأتمنك على نفسي واموالي بعد الذي رأيت من خيانتك وانكارك للجميل لانك لو كنت اميناً وذاكراً للجميل لحفظت عيشنا ولمحنا ونزيتنا لك فلا تنتظر مني التسليم ولو ارسلت الحكومة الي رجلاً غيرك ولو عبداً لست وذهبت معه الى غوردن وأطلعت على جلية امري وينت له نفاقك والسلام »
 فتيقن ادريس ابتر من هذا الجواب ان سليمان لا يسلم اليه الا بالقوة فترك جنده في عهدة اخيه عثمان وطاف في الزرائب يحرضهم على محاربتة وكان عثمان أخو ادريس رجلاً فظاً عاتياً مكروهاً من جميع البحارة وكان يرسل الشتائم الى سليمان واتباعه ويتهددهم بالقتل وانواع العذاب فجرد سليمان رجاله ورجال الزرائب الذين من حزبه وهاجمه في ديم قنده فقتله وقتل اكثر الجهادية والجلابة الذين معه وغنم اسلحتهم وذخائرهم وعاد بالاسرى والغنائم الى مركزه . فلما بلغ ادريس ابتر خبر الواقعة انقلب راجعاً الى الخرطوم واخبر غوردن بما كان

(حملة جسي) فجهز غوردن سرية من العساكر وعقد لواءها لجسي باشا المار ذكره في فتح خط الاستواء ومعه يوسف باشا الشلاي فأقلع من الخرطوم في يوليو سنة ١٨٧٨م وسار في النيل الايض حتى وصل أورمبك بطريق شامي في سبتمبر سنة ١٨٧٨م فوجد البلاد مغمورة بالمياه بسبب الامطار فأقام في أورمبك نحو ثلاثة اشهر حتى جفت الارض فسار قاصداً ديم سليمان ومعه ٣٠٠ من العساكر المنظمة و ٧٠٠

من الباشبوزق و٣ مدافع . وكان على طريقه في نقطة الدمبو رجل من مشاهير البحارة يقال له علي بك ابو عموري ومعه نحو الف رجل مسلحين بالبنادق فدعاه للاقتحام اليه فأجابه بعد تردد لانه لم يكن يود محاربة سليمان ولكن كان له محل تجاري في الخرطوم وآخر في مصر فأجاب الدعوة مضطراً مراعاة لتجارته واجتمع على جسي في جور غطاس وساروا كلهم حتى نزلوا في قندة في اواسط ديسمبر سنة ١٨٧٨ م .

واقعة قندة : وكان سليمان لما علم بقدوم جسي قد اخذ في حشد الجيوش حتى اجتمع عنده نحو ١٠٠٠٠ مقاتل فسار بهم الى قندة ونزل بالقرب من معسكر جسي . ولما كان صباح ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٧٨ م حمل على المعسكر حملة صادقة وكان جسي قد امر جنوده فبنى كل منهم متراًساً علوه متر ونصف متر ليقه من الرصاص فصلوا رجال سليمان ناراً حامية فقتلوا برهة ثم انقلبوا راجعين الى معسكرهم فبنوا حصناً منيعاً من الاخشاب والتراب ونزلوا فيه ثم جددوا الهجوم على جسي في ١٢ يناير سنة ١٨٧٩ وفي ٢٩ منه فلم يظفروا بطائل

وفي ١١ مارس سنة ١٨٧٩ م وصل جسي مدد من العساكر والذخائر فزحف بجيشه حتى صار قريباً جداً من معسكر سليمان واقام تلاً من التراب وجعل عليه المدافع والسواريج وشرع يرمي بمقذوفاتها معسكر سليمان وكانت بيوتها كلها من قش فاشتعلت النار في المعسكر كله فذعر سليمان منه الى دمه

واقعة ديم الزبير : وبقي جسي في قندة حتى جاءه مدد آخر من غوردن فزحف بجميع جيشه على ديم سليمان فوصله في ٤ مايو سنة ١٨٧٩ م فخرج عليه سليمان من الديم وحاربه مستقلاً مدة ساعة ثم انهزم راجعاً الى الديم فقبضه جسي على الاثر واخرجه منه واستولى على جميع ما فيه من الامتعة والاموال . واما سليمان فانه سار شمالاً حتى وصل غرة غرب الكاكة من اعمال دارفور فاقام فيها وكان غوردن لما حضر المرة الثانية الى دارفور كما مر عرج على شكافي ٧ ابريل سنة ١٨٧٩ م فوجد فيها بعض التجار الجعليين يهربون الاسلحة الى سليمان في بحر الغزال فألغى المديرية وشتت التجار وامد جسي ببعض الذخائر وتوجه الى

الفاشر للنظر في ثورة هارون ولم يلبث ان اتاه خبر من جسي بالاستيلاء على ديم الزير وفرار سليمان الى غرة فخاف غوردن ان ينضم سليمان على هارون فيصعب عليه اذلالهما معاً فعاد الى الطويشة وكتب الى جسي فترك الجيش بقيادة ساتي بك في ديم الزير ووافاه اليها في ٢٥ يونيو سنة ١٨٧٩ م ومعه يوسف باشا الشلاي فأمره بمطاردة سليمان الى غرة وعاد يوسف باشا الشلاي الى الخرطوم . فقاد جسي العساكر من دارة وبعض مشايخ الرزيقات والمعالية اصحاب الثار على الزير وسار حتى وصل الكلكة فأرسل رسلاً بكتاب الى سليمان يدعوهُ الى التسليم . قال الزير : « وكان قد بلغني خروج ابني سليمان على الحكومة بسبب ادريس ابتر فكتبت اليه من مصر بتاريخ ٢٥ الحجة سنة ١٢٩٥ هـ ٢٠ ديسمبر ١٨٧٨ م بما فخواه :

« اوصيتكم قبل مجيئي مصر بالامثال لامر الحكومة وعدم مخالفتها في شيء تموزوا تمام رضاها وتناولوا الرتب العالية . ثم بعد انفصال اسماعيل باشا ايوب عن الخرطوم وتولي غوردن باشا حكمدارية السودان كتبت اليكم بالطاعة لاوامره وحذرتكم من مخالفتي وقلت لكم ان رضاه مقرون برضى الحضرة الخديوية وغضبه كذلك واني اوصيته بكم فوعدني خيراً . وقد سرّني امتثالكم له في بادئ الرأي بمجيئكم مع ٤ آلاف عسكري لمقابلته في دارة وسرّني بالاكتر خضوعكم له عند تجريده اياكم من العساكر لان فعله هذا كان محض اختبار لكم وليس بقصد اذلالكم يدل على ذلك لحوقه بكم الى شكاً وانعامه عليكم بالرتبة الثانية وتعيينه اياكم حاكماً على بحر الغزال . وقد بلغني ذلك وانا في بلاد الترك فسرّني جداً وشكرت الله على حسن قيامكم بوصيتي واتخاذكم سواء السبيل

« لكن بعد عودتي من بلاد الترك ورد عليّ تلغراف من محمد بك العقاد بالخرطوم كتبه بأمر حكمدار السودان يخبرني بعدم امتثالكم لاوامر الحكمدار ويرغب اليّ ان اكتب اليكم نصحاً لردكم الى الطاعة وان ارسل كتابي اليكم عن يده فبعثت اليه بهذا الكتاب ليوصله اليكم فعسى ان يجردكم على أتم الطاعة والامثال ويكون كل ما بلغ الحكمدار عنكم كذباً وافتراء . واذا كنتم لا تسمح الله قد هفوتكم وخالفتم

اوامر الحكمدار فارجعوا في الحال الى الطاعة وطلب العفو عما فرط منكم واذا لم تفعلوا ذلك فاعلموا ان الله ساخط عليكم وانا كذلك

« وقد ورد عليّ الخبر اليقين بأن خادمكم ادريس ابتر الدنقلاوي قد زحف عليكم في مركزكم بقوة عسكرية تنيف على ٣٠٠٠ مقاتل من عساكر اميرية وخطرية وبسبب تعديه عليكم وخيانة العيش والملح وانكار الجميل قد ردّه الله خائباً ولكنه مع ذلك اوقع البقعة بينكم وبين الحكومة ولا بد ان تكون عاقبة ذلك وخيمة عليكم مع انكم تعلمون ذلك دفاعاً عن نفوسكم فاننا لله وانا اليه راجعون . واعلم يا ولدي ان من خدّ تربي مثلكم في كنف الحكومة ابا عن جدّ وتشرف برتبها وانعاماتها لا يجدر به الا الطاعة والامثال لاوامرها لا سيما وانتم تعلمون ان « الحكومة عالية ويدها طائفة ، وقد طالما قاومتها الجيوش ورجعت عنها خائبة فما الذي زين لكم هذه الوسوس الشيطانية فان كانت من رأيكم فاطرحوها جانباً لانها تلقى في المهالك ولا تفيدكم شيكاً وان كنتم من تغريز المفسدين بقولهم ان الحكومة حجت على والدم في القاهرة احرانها قتله فاعلموا انه قول كذب لا اثر للصحة فيه لاننا والحمد لله لم نزل في قيد الحياة مشمولين بانعام الحضرة الخديوية الفخيمة ومقيمين في ضيافتها على اتم الراحة والامان نحن وجميع اتباعنا ولا نجد من لدن الجنب العالي الخديوي وجميع رجاله الفخام الا التجلة والاكرام فارجعوا الى رشدكم وعودوا الى الطاعة واذكروا امر الله تعالى في كتابه العزيز بقوله « اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » فاذا عصيتم فما جوابكم يوم العرض وكيف الخلاص

« ثم اعلم يا ولدي ان تمادىكم في العصيان يضرّ بمركزي الادبي هنا كما يضر بكم هناك ويجلب عليكم سخط الله والحكومة فحافظوا على كرامتكم وكرامتي واستوعبوا الآن وصيتي . وقد ارسلت كتابي هذا مع محمد آدم (وهو الآن عمدة الجميعاب في الجايلي) ليثبت لكم صحة قولي ويعيد عليكم وصيتي شفاهاً فعند وصوله اليكم اذهبوا معه لمقابلة غوردن باشا حكمدار السودان في الخرطوم اوفي د ارفور . وانا اعلم انه حالما يراكم يصفح عنكم ويحسن معاملتكم لان شرف بريطانيا العظمى وكرم سميته

يوجيان عليه ذلك لا سيما واني اوصيته بكم عند سفره من مصر فوعدني خيراً
تولاهم الله وهداكم الى سواء السبيل » اه

﴿ قتل سليمان واعمامه بعد التسليم ﴾ قال الزبير « وقد وصل كتابي هذا الى
سليمان بعد خروجه من بحر الغزال فاستوعبه وصدقه . ولما دعاه جسي الى التسليم
مال اليه فعارضه راجع واتقسم الجيش بهما الى حزبين حزب مال الى التسليم ورئيسه سليمان
وحزب اعرض عنه ورئيسه راجع . ولما كان صباح ١٤ يوليو سنة ١٨٧٩م اتى سليمان الى
جسي مسلماً ومعه ٧٠٠ رجل فيهم ثمانية من اقاربه وهم حسن ود دقيل وابو بكر
منصور وموسى الحاج واحمد ود ادريس وابراهيم ود حسن وكلهم من الجميعاب
والارباب محمد ود دياب من السعداب وعبد القادر ود الامام وسليمان ود محمد والقائد
برنجي الاسود . وكان في جيش جسي كثير من الدناقلة الذين يكرهون سليمان والجعلين
فوشوا به الى جسي قائلين ان تسليمه هو واقاربه انما هو خدعة فاتخذ هذه الوشاية
الساقطة مسوغاً لقتلهم فناداهم الى خيمته ثاني يوم التسليم وسقاهم القهوة وكان قد اعز
الى بعض الجند فاحتاطوا بالخيمة ثم خرج منها فدخل بعضهم واوثقوا سليمان واقاربه
وجعلوهم صفاً واحداً خارج الخيمة ووقفوا خلفهم وزموهم بالرصاص فانكبوا على
وجوههم قتلوا وبعد ساعة اتى قناوي بك ابوعموري فكفّنهم وحفر لهم حفرة ودفنهم فيها
« واما الرؤوس الذين لم يسلموا عدا راجع فهم : ابو القاسم من المجاذيب وموسى
جلي وادريس سلطان ومحمد فضل الله وكلهم من الجميعاب وعبد البين الاسود
فأخذ كل منهم رجاله وتفرقوا بين عرب البادية فلما بلغ العربان قتل سليمان واعمامه
القوا القبض عليهم وساقوهم الى مساداليه بك في الفاشر فقتلهم عملاً بأمر جسي »

﴿ راجع الزبير ﴾ اما راجع فقد انضم اليه نحو الف رجل مسلحين بالبنادق
فقدم الى جهة الغرب واخذ يدوّن البلدان الى ان وصل برنو ففتحها واسس فيها
ملكاً عظيماً جعل عاصمته دكوة في جنوبي بحيرة تشاد . وقبل وصوله الى برنو قام
مهدي السودان فبذل الجهد هو وخليفته من بعده في استمالة وارجاعه بجيشه
الى أم درمان فلم يجب دعوتها كما سيجي ولكنه اختار راية المهدي راية لجيشه واشتهر

ملكه بالعدل والصرامة وبقى الى ان دخلت برنوفي نطاق نفوذ الفرنسيين فخر حوا عليه الجيوش فخاربهم وظهر عليهم في عدة وقائع . فجردوا عليه اخيراً حملة مؤلفة من ٧٠٠ عسكري مسلحين بالبنادق و ١٥٠٠ عسكري من الباجرمة و ٤ مدافع بفرسادة الكونت لامي وكان مع راج نحو ٥٠٠٠ مقاتل فيهم ٢٠٠٠ مسلحين بالبنادق و ٦٠٠ فارس و ٣ مدافع فالتقى الجيشان في ٢١ ابريل سنة ١٩٠٠ قرب بحيرة تشاد واقتل قتلاً شديداً كانت العاقبة فيه للفرنساوين وقد قتل راج وتشتت جيشه وقتل الكونت لامي بعد ان تم له النصر

ولم ابن راج شعت جيش ابيه ولكن لم تنته سنة ١٩٠٠ حتى قتله الفرنسيون واسروا رجاله ولم يبق من قوم راج من يطالبهم بثار؟

تنظيم مديرية بحر الغزال سنة ١٨٧٩ * وبعد ان فرغ جسي من امر سليمان عاد الى ديم الزير فنظم فيه مديرية وجعل الساتي بك مديراً والارباب الزير ود الفحل وكيلاً له ومحمود المحلاوي المار ذكره مفتشاً لمنع تجارة الرقيق وقسم البلاد الى ثمانية اقسام وجعل في كل قسم منها نفراً من الباشبوزق والباشنجر وجعل في ديم الزير اورطة جهادية وقفل راجعاً الى الخرطوم . ثم نظم ساتي بك اورطة جديدة من اهل البلاد وجاء موسى بك شوقي قومنداناً للعساكر من الخرطوم ومعه ١٦ كاتباً للقيام في اشغال المديرية . وبعد وصولهم بثلاثة اشهر حضر لبتن بك وهو من البحارة الانكليز مديراً على بحر الغزال وقومنداناً للعساكر من قبل غوردن وعاد موسى بك شوقي الى الخرطوم . وبقى لبتن في بحر الغزال الى ان قام المهدي فاضطر الى التسليم الى احد انصاره كما سيجيء .

اما جسي باشا فقد اعترضه السد في الطريق وفرغ منه الوقود والزاد حتى اكل رجاله بعضهم بعضاً واشرفوا على الهلاك واذا بوابور قاصد خط الاستواء قد اقبل عليه فرجع به الى فاشودة ثم عاد فأتى سفرته وتقدم جسي بمن بقي من رجاله وفيهم قناوي بك ابو عموري الى الخرطوم فوصلها في ٢٥ يناير سنة ١٨٨١ م وسار منها قاصداً مصر عن طريق سواكن فوافته المنية في السويس في ١٠ ابريل سنة ١٨٨١ م

﴿ حركة صباحي في كردوفان سنة ١٨٧٩ م ﴾ وفي اثناء حركة هارون الرشيد في دارفور وسليمان الزبير في بحر الغزال نهض صباحي احد القواد الذين انفصلوا عن جيش الزبير فألف عصابة من ٤٠٠ رجل واغار على الاضيّة في كردوفان فقتل مأمورها وفرّ الى جبال النوبة فعلم به غوردن وهو ذاهب الى دارفور المرة الثانية في مارس سنة ١٨٧٩ فأرسل من الاييّض نفرًا من العساكر فطاردوه واتوا به اسيرًا فحكم في مجلس عسكري وحكم عليه بالاعدام

﴿ عودٌ الى تجارة الرقيق ﴾ تقدم لنا ذكر تاريخ تجارة الرقيق في السودان وسعي اسماعيل باشا في ابطالها فلما كان ٤ اوغسطس سنة ١٨٧٧ م عقد معاهدة رسمية مع انكلترا في هذا الشأن على ان تقفل اسواق الرقيق في مصر والسودان في الحال ولكن يُغضى عن بيع الرقيق بين العائلات في مصر الى سنة ١٨٨٤ م وفي السودان الى سنة ١٨٨٩ م ثم يمنع البيع بتاتًا من البلادين • فنشر غوردن فحوى هذه المعاهدة في جميع جهات السودان وسمى جيكر باشا مديرًا عامًا لمنع تجارة الرقيق وسمى في كل مديرية عدة مأمورين لهذه الغاية فأخذ العبيد يفدون اليهم افواجًا يطلبون تذاكر الحرية فتعطى لهم • وفي اواسط سنة ١٨٧٨ م ضبط غوردن ١٤ قافلة من قوافل الرقيق وفي السنة التالية ضبط ٦٣ قافلة

﴿ سكة الحديد في السودان ﴾ وكان غوردن على رأي القائلين بمد سكة الحديد في طريق سواكن وبربر لا في طريق النيل والاكتفاء بمد سكة الحديد عند الشلالات لان النيل بين الشلالات صالح لسير المراكب فلا يفتقر الى سكة حديد • لكن اسماعيل باشا الخديوي فضّل مد سكة حديد على النيل وبدأ بها سنة ١٨٧٧ م فأتم منها نحو ٥٠ ميلًا من حلفا جنوبًا انفق عليها ٥٠٠,٠٠٠ ليرة انكليزية ثم اوقف العمل في السنة عينها لعدم تيسر المال اللازم لاتمامه

﴿ تحديد النجوم بين السودان والحبشة سنة ١٨٧٧ - ١٨٧٩ م ﴾ ان مسألة تحديد النجوم بين السودان والحبشة قد شغلت غوردن مدة ولايته كلها فان اول ما باشره من الاعمال عند توليه حكمدارية السودان انه ذهب الى مصوع لعقد وفاق

مع ملك الحبشة بشأن الحدود لكنه وجد ود مينائيل شاهراً العصيان على حدود الحبشة ولا يتأتى الفصل في مسألة التخوم إلا إذا كفّ عن العداء فأجل النظر في ذلك الى فرصة أخرى وذهب الى دارفور للنظر في اتحاد ثورة هارون كما مرّ ثم عاد الى سنهيت فوجد ود مينائيل لا يزال على العصيان فطلب الى الملك يوحنا ان يتحد معه على سحقه فلم يجبه الى ذلك فعاد الى الخرطوم ومصر ثم رجع بطريق البحر الاحمر الى هرر فوصلها في ابريل سنة ١٧٨٧ م فوجد رؤوف باشا مشغولاً بالتجارة وقد كثر ظلمه فعزله

وفي ٦ رجب سنة ١٢٩٦ هـ ٢٥ يونيو سنة ١٨٧٩ م أقيل اسماعيل باشا من خديوية مصر ووّلي ابنه محمد توفيق باشا مكانه فكان اول ما اهتم به تحديد التخوم بين السودان والحبشة فبعث في طلب غوردن الى مصر للنظر في هذا الشأن فحضر في اوغسطوس سنة ١٨٧٩ م . وفي هذه الاثناء سلم ود مينائيل الى ملك الحبشة واتحد مع الراس ألولا لمهاجمة سنهيت فعاد غوردن في الحال الى مصوع لاصلاح ذات البين مع الحبشة وفي ١١ سبتمبر سار من مصوع قاصداً ملك الحبشة فمرّ بالراس ألولا في قرع واستطرد السير الى دبرتabor حيث كان يقيم الملك يوحنا فوصلها في ٢٧ اكتوبر سنة ١٨٧٩ م وفي اليوم التالي قابل الملك وسأله عما يطلبه من مصر فقال مطالبي هي ان تردّ اليّ التّمّة وسنهيت وتعطى لي زيلع وقسم من بلاد هرر وفوقها مليون جنيه أو مصوع فسأله غوردن ان يكتب مطالبيه هذه على ورق ويميل الخديوي ستة اشهر للاجابة عليها فلم يفعل . وبعد قليل من الايام اعطاه كتاباً مختوماً في يده واذن له في السفر فسار قاصداً الخرطوم بطريق القلابات ولكن قبل وصوله الى القلابات ألقى القبض عليه وأرجعه الى دبرتabor ثم أذن له في السفر عن طريق مصوع فوصلها في ٨ سبتمبر سنة ١٨٧٩ م بعد عناء شديد وعلى اثر ذلك استقال من حكمةدارية السودان وعاد الى بلاده

ثم أغلق على هذه المسألة بسبب الثورة المهدية حتى عادت ففتحت بعد الفتح الاخير في ولاية السررجينلد ونجت باشا حاكم عموم السودان الحالي فأبرم وفاقاً مع



❖ توفيق باشا الخديوي السابق ❖

الملك منليك ملك الحبشة الحالي بتاريخ ١٥ مايو سنة ١٩٠٢ م حددت فيه التجوم بين السودان والحبشة فدخلت القلابات وفامكة والناصر في حدود السودان

﴿ ٢٢٠ رؤوف باشا ١٢٩٦ : ١٢٩٩ هـ — ١٨٧٩ : ١٨٨٢ م ﴾

وخلف غوردن والياً على السودان رؤوف باشا المتقدم ذكره في الكلام على خط الاستواء وهرر فصدر الامر العالي بتعيينه في ١٥ ربيع ثاني سنة ١٢٩٧ هـ ٢٧ مارس سنة ١٨٨٠ م وفيه الخطة التي ارادت الحكومة اتباعها في السودان وهذا هو بنصه : « انه نظر لثقتنا بما انتم متصفون به من الاهلية لاداء المأمورية المهمة المفوضة لامانتكم والحالة هذه لا نرى لزوماً للاسهاب في شرح وتفصيل ما يجب اتخاذهُ واجراؤه من الوسائط والاعمال المؤدية لنجاح مأموريتكم التي نحن ناظرون اليها بعين الاهمية وهي تقدم وانتظام احوال مملكة واسعة مثل السودان وبذل ما يجب من المساعي للوصول الى توطيد اسباب عمارتها وتمدن ورفاهية اهاليها بتوسيع نطاق دائرتي التجارة والزراعة اللتين هما اعظم منابع الثروة العمومية انما نرى من اللزوم استجلاب دقة نظركم الى بعض مواد مهمة وهي الآتي ذكرها :

« أولاً . مالية السودان : وكما لا يخفى ان لفظة المالية تشمل كل ما يلزم ويمكن تقريره وتجعله من الاموال والعوائد بطريقة لا يتأتى منها الاضرار بحالة الاهالي ولا الاحجاف بحقوق الخزينة وكذا تقدير ما يلزم من المصاريف بالنسبة لحالة البلاد واحتياجاتها بشرط ان تكون كافلة لحسن ادارة المصالح العمومية بصورة منتظمة وعلى هذا فاول واجب عليكم هو تنظيم ميزانية مستوفية عن كافة ايرادات ومصروفات الحكمدارية ببيان انواعها ومفرداتها بغاية الضبط والدقة وحصر ما يكون موجوداً من الديون بانواعها واسماء اربابها وكيفية الوصول الى سداده . هذا ومن اللازم ان الحكومة تكون عالمة بكافة احوال السودان اجمالاً وتفصيلاً وبالمثل انواع الضرائب والعوائد وسائر الاموال المقررة والجاري تحصيلها وكيفية استعمالها وصرفها فينبغي ان ترسلوا صورة من هذه الميزانية الى نظارة المالية واستمرار ذلك سنوياً وان تقدموا الى النظارة المشار اليها في كل ثلاثة اشهر حساب ايرادات ومصروفات الحكمدارية

بالبیان الکافی وذلك كما هو جارٍ بكافة مصالح الحكومة . وبما ان كافة ما يتعلق بالمواد المالية والحسابية مرجع الامر فيها الى نظارة المالية فجمع ما يقتضيه الحال من المخابرات والاستثنائات في هذا الشأن يكون خاصاً بالنظارة المشار اليها

« ثانياً . الادارة الملكية : يلزم تنظيمها واجراؤها على صورة ثلاثم احوال تلك البلاد وما يختص بهذا القسم من المخابرات وما يتراءى لزوم تغييره وتبديله من المواد والنظامات ذات الاهمية وعزل وتنصيب ارباب المناصب الرفيعة مثل المديرين ووكيل الحكم دار وما يتعلق بالادارة الملكية والاحوال الداخلية مما من شأنه استحصال اوامرنا عن جميع ما ذكر من هذه الانواع فينبغي ان تكون المخابرة عنه مع نظارة الداخلية . واما ما يتعلق بالامور القضائية سواء كانت شرعية أو نظامية تجرونها على قواعده المتبعة والحالة هذه انما ما يختص بهذا القسم من المخابرات أو ما ترون لزوم اجرائه من الاصلاحات يجب اولاً المخابرة عنه مع نظارة الحقانية . ثم ان الرخصة التي كانت ممنوحة لاسلافكم بتنفيذ ما يصدر من الاحكام شرعية كانت أو سياسية في المواد القضائية الحقوقية والجنائية قد ابقيناها لمعهدكم أيضاً ما عدا احكام القصاص الواجب استحصال اوامرنا عنها

« ثالثاً . القسم العسكري : من المهم عند وصولكم الى مركز الحكمادارية ان توجهوا انظاركم والتفاتكم الى تنظيم واصلاح الحالة العسكرية حسبما يقتضيه احتياج تلك البلاد لتوطيد الامن والنظام العام لكافة انحاء المملكة خصوصاً تقوية حدود الحبشة والمحافظة عليها في الحالة الراهنة مع ما يترتب عليه الامن والاطمئنان للوقاية من وقوع أدنى مهاجمة على هذه الحدود لانكم عارفون جيداً بأفكارنا وافكار اعضاء حكومتنا في هذه المسألة وهي اننا لا نقصد أي تجاوز كان على جيراننا ولا نريد أي فتوح جديد انما جل قصدنا المدافعة بغاية البسالة اذا وقع أدنى تعدٍ على حدودنا . فهذه الافكار هي التي تكون أسساً اعمالكم في ترتيب وتنظيم عسكرية السودان مع مراعاة اجراء القانون العسكري وكافة ما يتعلق بهذا القسم من المخابرات والاستثنائات هو خاص بنظارة الجهادية . هذا ومع بقاء حيازتكم الرخصة المعطاة لاسلافكم بتنفيذ

أحكام القانون العسكري في الجنايات وسائر الاحوال حسب ما تصدر به مضابط المجالس العسكرية فان حكم العزل أو تنزيل رتبة أو ترقى الضابط جميع ذلك لا بد من العرض عنه لطرفنا بواسطة نظارة الجهادية

« رابعاً . من المعلوم ان مسألة « منع تداول بيع الرقيق » هي في غاية الاهمية أولاً ان بيع الرقيق امر مخالف للانسانية ومخل باحترام بني آدم المنصوص عليه بالتكريم . ثانياً من الواجب المتعين علينا ابقاء شرائط المعاهدة المعقودة بين حكومتنا الخديوية والحكومة الانكليزية في ابطال تجارة الرقيق . ولو ان ما نعلمه وثق به من افكاركم في هذه المسألة وما انتم عازمون عليه من المساعي الحميدة لمحو آثار هذه التجارة الذميمة لا يستوجب تكرار التأكيد انما رأينا من الواجب علينا ايضاً اثبات ما نحن عليه من شدة العزم والثبات في هذه المسألة لتوقعوا اعمالكم في ما تتخذونه من الوسائل المؤثرة والاحتياطات اللازمة لذلك لكي لا يسمع من الآن فصاعداً بمحصول امر مغاير من هذا القبيل في كافة البلاد والطرق المودعة تحت ادارتكم

« هذا وحيث ان الاقطار السودانية بعيدة عن مركز الحكومة الخديوية ومن الاقتضاء الوقوف على الوقوعات المهمة التي تحصل سواء كانت بالحدود او بخلافها فبادروا بالاخبار عنها بوقت وقوعها الى طرفنا والى نظارة الداخلية بالتلغراف . وبناء عليه اصدرنا امرنا هذا لكم المعلوماتية والاجراء على مقتضاه كما هو مطلوبنا » اه
فباشر رؤوف باشا هذه الاعمال عند وصوله الى السودان بهمة ونشاط واهتم على الخصوص بتحديد النفقات وتحصيل الاموال

وفي صيف سنة ١٨٨٠ ثار السومال فأرسلت الحكومة نجدة لمساعدة حاكم هرر فاطفأت الثورة . ولكن لم تنطفئ ثورة السومال حتى ظهرت الثورة العرابية في مصر وفي اثنائها ظهر في السودان رجل دنقلاوي الاصل يقال له « محمد احمد » ادعى انه المهدي المنتظر فصدق الناس دعواه وثاروا معه على الحكومة ورجالها واستفحل امره سريعاً حتى انه لم تكد تخمد الثورة العرابية في مصر حتى اصبح السودان كله شعلة ثورة تفاقم شرها وتعاضم خطرها وذهبت حاميات السودان

كلها او اكثرها فريسة لها . وكان رؤوف باشا آخر الولاة الذين حكموا السودان قبل الثورة . وحكم بعده من الولاة في زمن الثورة :

﴿ ٢٣ . عبد القادر باشا حلمي ١٢٩٩ : ١٣٠٠ هـ — ١٨٨٢ : ١٨٨٣ م ﴾

﴿ ٢٤ . علاء الدين باشا ١٣٠٠ هـ — ١٨٨٣ م ﴾

﴿ ٢٥ . غوردن باشا المرة الثانية ١٣٠١ : ١٣٠٢ هـ — ١٨٨٤ : ١٨٨٥ م ﴾

وفي ايامهم أي في ٢١ فبراير سنة ١٨٨٢ م صدر امر عال فجعلت ادارة عموم السودان وفيها مديرية شرقي السودان ومحافظة سواحل البحر الاحمر ومديرية هرر وزيلع وبربرة ونجرة حكمدارية واحدة . وشكلت نظارة جديدة بعنوان نظارة الاقاليم السودانية وملحقاتها مركزها مصر القاهرة

ثم في ٢ ابريل سنة ١٨٨٢ م صدر امر عال بتقسيم جهات السودان ٤ اقسام وهي :

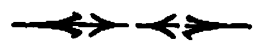
١ . حكمدارية اقليم غرب السودان وتشمل مديريات دارفور وكردوفان وشكا وبحر الغزال ودنقلة ومركزها الفاشر . ٢ . وحكمدارية اقليم وسط السودان وتشمل مديريات الخرطوم وسنار وبربر وفاشودة وخط الاستواء ومركزها الخرطوم . ٣ . وحكمدارية اقليم شرق السودان وتشمل مديرية التاكا وملحقاتها ومحافظتي سواكن ومصوع وملحقتهما الى باب المندب

٤ . حكمدارية عموم هرر وملحقاتها وفيها محافظتا زيلع وبربرة ومركزها هرر ثم في ٢٠ يناير سنة ١٨٨٣ م صدر امر عال فسمي علاء الدين باشا حكمداراً لعموم السودان وملحقاتها وسمي راشد كمال باشا حكمدار عموم السودان الشرقي والبحر الاحمر . وانشأت ادارة خاصة بأشغال السودان وملحقاته برئاسة مجلس النظار ولما اشتدت الثورة صدر امر عال بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٨٨٤ م فألحقت ادارة عموم السودان وملحقاته الى نظارة الحرية وبقيت في نظارة الحرية الى نهاية الثورة وقبل الخوض في تفصيل هذه الثورة ووقائعها نذكر الاسباب التي حملت اهل السودان على تلقي دعوة زعيمها محمد احمد بالقبول والثورة معه على الحكومة ورجالها ثم تتبع ذلك ذكر سيرة محمد احمد والاسباب التي حملته على الظهور بدعوى المهدي فنقول :

الباب الثاني

في

تاريخ الثورة المهدية



الفصل الاول

في

اسباب الثورة المهدية واسباب نجاحها

اعلم انه عند قيام محمد احمد الدقلاوي بدعوى المهدية كان أهل السودان خاصتهم وعامتهم ناقلين من الحكومة واجدين عليها وهم يتوقعون باباً للفرج أو فرصة لشق العصاة والاسباب التي اوصلتهم الى هذه الحالة كثيرة مرجعها كلها سوء الادارة وعدم اتقان السياسة اللائقة بأهل البلاد . وأهم تلك الاسباب :

﴿ ١٠ العنف ﴾ فقد رأيت ان السياسة التي اتخذها اسماعيل باشا فاتح سنار للتكيل بالملك نمر عادت عليه وعلى اصحابه وآلت الى خروج الملك نمر عن طاعة الحكومة فلجأ الى الحبشة واجتمع عليه كل متشرد وعاص فكان شرّاً عظيماً على الحكومة هو وأولاده من بعده نحو خمسين سنة . ولما ظهر المهدي كانت بقية أولاده في بلاد القضايف فكانوا اول من نصروه ورفعوا رايته في السودان الشرقي * ثم ان الدفتردار الذي جاء من كردوفان للاقتصاص من الجانين في قتل اسماعيل باشا لم يقف عند حد بل عمّ غضبه المجرم والبريء ونكّل بالجعليلين تنكيلاً لم يروه ولا سمعوا به من قبل ولا سياً في شندي والمتمة واليلفون فانه قتل وسبى واذلّ الاهلين وأوجعهم فوجدوا على الحكومة بسببه وقد أورثوا الوجد ابنائهم من بعدهم فحفظوه حتى قام المهدي فقاموا معه يطالبون بالثار . وقد رأيت الكثيرين ممن ثاروا على الحكومة

فقالوا انما فعلنا ذلك لاسباب شتى اولها الاخذ بثار آبائنا من فظائع الدفتردار
 ٢٠ الضرائب و توات الحكام بعد الدفتردار وضربت الضرائب على
 الاهلين ولم يكونوا متعودين عليها فاستثقلوها وزادها ثقلاً انها لم تكن موزعة بالقسط
 بل كانت شديدة على الفقراء خفيفة على الاغنياء وقد كانت خفتها على الاغنياء بالنسبة
 الى مقدرتهم على رشوة المأمورين وقربهم من الحكام حتى كان جانب كبير من
 املاك الاغنياء والمأمورين معفياً من الضرائب * وفوق ذلك فقد ناطوا تحصيل
 الضرائب بجماعة الباشبوزق الشايقية والاكراد والمغاربة الذين فتحوا البلاد فاستعملوا
 منتهى القسوة والعنف في تحصيلها حتى كانوا اذا تأخر احدهم عن دفع ما عليه اعملوا
 فيه السياط واهانوه حتى يدفع الفلس الاخير * وشر من ذلك كله مما لم يكن له
 مثيل في غير السودان ان هؤلاء المأمورين لم يكتفوا بالضرائب الرسمية بل كانوا
 يفرضون على الاهلين « فرضاً » غير رسمية يحصلونها مع الضرائب . وذلك ان
 اكثر الولاة الذين حكموا السودان كانوا يأتونه من مصر على غير ارادتهم لبعده
 السودان عن بلادهم وكثرة حره ومشاقه فكانوا لا يهتمون في الغالب الا بالانتفاع
 من وظائفهم فيفرضون على المديرين اموالاً باسم الهدايا فيضطر المديرون الى
 استرجاعها من مأوري المراكز الذين تحت ادارتهم او من الباشبوزق المولجين بجمع
 الضرائب وهؤلاء يفرضونها على الاهالي اضعافاً لاجل وفاء ما فرض عليهم وحفظ
 شيء لانفسهم . وكانوا يشددون على الاهالي في تحصيل هذا الفرض تشديدهم على
 تحصيل الضرائب وهم آمنون من القصاص للتواطىء المشار اليه مع الولاة والمديرين
 ولذلك اشتد نفور الاهالي من الحكام وتمكن الحقد والوجد في قلوبهم وصاروا يتمنون
 زوال هذه الحكومة التي سلطت عليهم من لم يرحمهم واستبدالها باية حكومة كانت
 يدلك على ذلك القول الذي جرى على السنتهم عند ظهور المهدي وهو « عشرة
 في تر به ولا ريال في طلبه » . ويدلك عليه ايضاً هجر الناس لاطنانهم والتجاؤهم
 الى اطراف البلاد كالثقلايات وبحر الغزال ودارفور كما مر . ومما جاء في قصيدة الشيخ
 محمد شريف المشهورة التي نظمها في ذم المهدي بحرفه :

وما أبت السودان حكم حكومة الى ان اتى ضعف المطالب من مصر
فكالث والثلاثين للمير وحده وللشيخ والنظار اضعافه فادر
بضرب شديد ثم ككتف مؤلم ومن بعده الالتقاء في الشمس والحجر
واوتاد ذي الاوتاد من بعض فعلهم واشنع من ذا كله عمل الهر
اي انهم كانوا يجعلون في سراويل الرجل هراً ثم يشرعون في ضربه حتى يمزق
الهر جسمه . قال وقد رأيت ذلك في قسم الخرطوم نظارة احمد اغا ابوزيد
٣٠٣ . منع الرقيق ثم الذي زاد الطين بلة والطنبور نعمة فكان منه معظم
الشر هو تشديد الحكومة في منع النخاسة والاسترقاق فان النخاسة كما علمت مهنة قديمة
في السودان يتعاطاها الجم الغفير من اهلها بل من أعظم اهلها جاهاً ونفوذاً والاسترقاق
وبيع الرقيق غير مجرمين في شريعة اهلها فهم لا يرون فيها شراً يجب ابطاله بل
يرون الشر كله في ابطالها خصوصاً لان خدمة عرب السودان في البيت وخارج
البيت كلها منوطة بالرقيق ولم يكن للعرب الا السيادة والتجارة كما مر . وقد تعودوا
هذه الحالة السنين الطوال وارتاحوا اليها كل الارتياح حتى لم يعد من الممكن منهم
عنها دفعة واحدة ولكن الحكومة اصرّت على منعها بالقوة ولا سيما في عهد السر
صموئيل باكر وفي عهد الكولونل غوردن فانهما مع اعتقادهما الشخصي بأن التشديد في منع
الرقيق هو في غير محله وقبل وقته اضطرا عملاً بأوامر الحكومة ان يبالغا في التشديد
في منعه والتضييق على تجار الرقيق في جميع الاقطار السودانية ولا سيما في بحر الغزال
وخط الاستواء فنكلا بهم تنكيلاً شديداً وافرقا جموعهم وعاقبا البعض بالقتل والبعض
بالسجن والبعض بضبط الاموال . وحرّر غوردن كثيراً من الارقاء من ايدي اسيادهم
لا سيما بعد نشر المعاهدة التي عقدت بين اسماعيل باشا والدولة الانكليزية سنة
١٨٧٧ م بل لما رأى الارقاء خريتهم في يدهم صاروا يتركون اسيادهم لاقلاً
سبب أو بلا سبب . وكان الاهلون يدفعون قسماً من الضرائب عبيداً فأصبحوا
بعد ابطال النخاسة لا يقدرّون على ادائها فاستبد بهم الجباة وساموهم خسفاً على
خسف وذلّاً على ذل . وعدّ الجهال مداخله باكر وغوردن وجسي وجيكر وغيرهم

من النصارى في منع الرقيق ان النصارى تتعرض لدينهم فعظم الخطب وعمت الشكوى
﴿ ٤٠ . المجابة ﴾ قال المضوي : « ومن الامور التي ساءت الاهالي فزادتهم
وجداً على الحكومة تمييز الشايقية الذين جندتهم عساكر وحوالات وأعفتهم من
الضرائب في حين انها ثقلت بها على سائر الاهالي مع ان الجميع من مقام واحد وما
من قبيلة معروفة في السودان تعترف بامتياز الشايقية عليها ومما يدلك على استياء
الاهلين منهم قول الجعليين المشهور عند ظهور الثورة :

يا نعم العباسية . القامت المهديّة والله ما في رية . غنيمة الشايقية

« ومما ساء الاهالي أيضاً وعلى الخصوص رؤساء الطرق تمييز المرغنية على سائر
الطرق في السودان حتى كثر اتباعهم وعظم جاههم وهذا وان لم يكن صريحاً من
اصل الحكومة بمصر فهو مسبب عنها فان الحكماء واهل النفوذ من رؤساء الاقلام
ليسوا من اهل السودان وعاداتهم في المأكل والمشرب والملبس والمعاملات تختلف
عن عادات اهل السودان فمالوا الى مخالطة المرغنية للمشاكله اولاً ولا تنساب المرغنية
الى مكة المشرفة ثانياً وبسبب ذلك مال اليهم عساكر الشايقية عموماً لتقربهم من
رجال الحكومة ودخلوا في سلكهم حتى صار كل سر سوارى يهدي اليهم مرتبة ومرتب
رجالهم شهراً في كل سنة فازدادت بذلك صولة خلفاء المرغنية وصاروا يتناولون على
رؤساء الطرق الاخرى بالشم والاهانة فحقدوا عليهم وعلى الحكومة التي كانت
سبب في تعظيم شأنهم اه »

فهذه الاسباب كلها مع انتظار جمهور المسلمين المهدي كما بيناه قبل هي التي حملت
الاهلين على نصرة محمد احمد والثورة معه على الحكومة ورجالها وكان رؤساء الطرق
وتجار الرقيق من اكبر انصارها واشد ايديها ولم يبق في جانب الحكومة الا الشايقية
والمرغنية الذين وجهت الثورة ضدهم كما وجهت ضد الحكومة للاسباب التي قدمناها
هذه هي اسباب الثورة وتعيمها واما اسباب نجاحها فهي :

(١) استخفاف الحكومة بشأن محمد احمد في بادئ الرأي . مع ان الامر الذي قام
به ذو بال وقد كان في كل العصور سبباً لاراقة دماء كثيرة وخراب بلدان شتى

(٢) ثورة عرابي في مصر . فانه عند قيام محمد احمد في السودان قام ايضاً احمد عرابي في مصر فلم يتأت للحكومة ان تتفرغ لامر محمد احمد وتنجد السودان بالساكر قبل انتهاء الثورة العرابية في مصر . ثم لم تنته هذه الثورة حتى كانت الثورة المهديّة قد عمت السودان كله واتسع الخرق على الراقع

(٣) ضعف الحاميات العسكرية . فانه حين ظهور الثورة سنة ١٨٨١م لم يكن في السودان كله مع اتساعه ووعورة مسالكه الا ٤٠٤٩٠ رجلاً موزعين على الحاميات كما يأتي :

١٩٥٠ في دنقلة	٠٨٠٠ في الجيزة	٣٤٧٠ في هرر
٢١٧٠ » بربر	٠٢٠٠ » القصارف	٥٨٣٠ » كردوفان
٧٤٧٠ » الخرطوم	٣٩٤٠ » كسلة	٤٨٦٣ » دارفور
٢٣٥٠ » سنار	٠٩٢٠ » اميديب	٠٨٨٦ » بحر الغزال
١٦١٠ » القلابات	١٩٠٠ » سنهيت	٢١٣١ » خط الاستواء
		<u>٤٠٤٩٠</u> الجملة

وهذه الحاميات مع بعدها السحيق بعضها عن بعض لم تكن محصنة قبل الثورة ولا حصنت في اثناء الثورة . كان في كل حصن منها غلطة دفاعية . ثم انه لم تكن حامياتها كلها من العساكر المنظمة بل كان بينهم كثير من الباشبورق وكلهم غير متمرنين على الحرب والقتال وقد تعودوا الترف والراحة في حين ان اهل السودان مطبوعون على الفروسية والشجاعة ومتعودون على الحرب والنزال وقد صدقوا المهدي واحبوا الموت معه في سبيل الله

(٤) تردّد الحكومة . فان الحكومة لم تتخذ سياسة ثابتة نافذة في اخماد الثورة بل اظهرت احياناً التردد والارتباك في مكان الحزم والعزم فققدت جميع حامياتها واحدة واحدة وعادت الى حدودها بمصر كما سيجي بالتفصيل

هذا ما كان من اسباب الثورة ونجاحها فلتتقدم الآن الى ذكر سيرة محمد احمد والاسباب التي حملته على الظهور بدعوى المهديّة . ثم تتبع ذلك ذكر حوادث الثورة فنقول :

الفصل الثاني

في

بدء سيرة محمد احمد وذكر الاسباب التي حملته على الظهور بدعوى المهدية

ولد محمد احمد هذا في جزيرة ضرار من اعمال دقله سنة ١٢٥٨ هـ ١٨٤٣ م
أو حواليها واسم ابيه عبد الله وأمه زينب . وهو ذرية رجل يسمى حاج شريف
طال عمره جداً واشتهر بالصلاح والتقوى . وقبيلته من العرب المتتوبة وقد عرفت في
دقله بصبر نسي أي قبيلة صبر وهو جد له ابعده من جده حاج شريف وعرف
ايضاً بالاشراف لانها تدعى النسبة الى جد ابعده من صبر يقال له نجم الدين وهو
جد الكنوز المدعي النسبة الى آل البيت . ولما ادعى محمد احمد المهدية على نسبه
حتى اوصله الى الحسن السبط طبقاً لما تدوّن في الكتب من شرائط المهدي . وهذه
هي سلسلة النسب التي ادّعاها لنفسه :

« محمد المهدي بن عبد الله بن فحل بن عبد الولي بن عبد الله بن محمد بن حاج
شريف * بن علي بن احمد بن علي بن حسب النبي بن صبر * بن نصر بن عبد
الكريم بن حسين بن عون الله بن نجم الدين * بن عثمان بن موسى بن ابي العباس
بن يونس بن عثمان بن يعقوب بن عبد القادر بن الحسن العسكري بن علوان بن
عبد الباقي بن صخرة بن يعقوب بن الحسن السبط بن الامام علي بن أبي طالب اهـ
وكان ابوه نجاراً ماهراً في بناء المراكب والسواقي وقد ضاق به العيش في دقله
فرحل بعائلته الى الخرطوم ومحمد احمد اذ ذاك طفل . وصار يتردد منها الى كرري
مشتغلاً بصناعته الى ان مات ودفن في كرري . وقد خلف يثاً تسمى نور الشام
واربعة ذكور وهم : محمد ومحمد احمد الذي فيه كلامنا وحامد وحبد الله الذي تركه
حملاً في بطن امه فولد بعد وفاته فسمي باسمه على عادة اهل السودان من تسمية
الولد الذي يكون بهذه المثابة باسم ابيه

وقد تعلم اخوة محمد احمد صناعة والدهم واشتغلوا بها وامه هو فانه مال بالقطرة

الى الديانة والعلم كجده حاج شريف فدرس القرآن في مدرستي كرري والخرطوم .
ثم اشتغل بدرس العلوم الفقهية فأخذ عن الشيخ الامين الصويلح في مسجد ود
عيسى بالجزيرة ثم عن الشيخ محمد الخير في الغبش تجاه بربر فأتقن مبادئ النحو
والتوحيد والفقه والتصوف واشتهر بين اقرانه منذ الصغر بالتعبد والتقوى بل بالترفض
والزهد حتى قيل انه كان يمتنع عن اكل زاد استاذة محمد الخير لانه كان يجري عليه من
الحكومة لقوله انه مال الظلم فكان اذا لم يأتيه الزاد من اهله اصطاد السمك من
النيل وتقوت به .

وبعد ان اتم دروسه على محمد الخير مالت نفسه الى التصوف فذهب الى
الشيخ محمد شريف حفيد الشيخ الطيب صاحب الطريقة السمانية وهو اذ ذاك
مقيم عند قبر جده في أم مريحي وسأله الدخول في مصاف تلامذته وذلك في سنة
١٢٧٧ هـ ١٨٦١ م فأجابه محمد شريف الى طلبه فأقام عنده منقطعا الى الصلاة
والعبادة وما لبث ان اظهر من التقشف والزهد ما ميزه عن سائر التلامذة حتى انه
كان يشتغل في منزل سيده بما هو منوط بالبيد والجوار من احتطاب واستقاء وطحن
وطبخ وهو غير مكلف الى شيء من ذلك وكان كلما وقف للصلاة يبكي حتى يبلل
الارض بدموعه واذا جلس امام شيخه نكس رأسه ولم يرفع طرفه اليه الا اذا كلفه
فيرفع طرفه بأدب واحترام واقام على ذلك سبع سنين . فلما رآه شيخه على هذه
الحالة وانه سالك طريق المريدين وناهج منهج الصالحين مال اليه واجبه وجعله
شيخا واعطاه راية وأذن له في الذهاب حيث شاء لاعطاء العهود وتسليك الطريقة .
فذهب الى الخرطوم وتزوج بابنة عم له واقام مع اخوته بيت طريقته بغيره وجد
وفي سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧١ م رحل اخوته الى جزيرة أبا لكثرة اشجارها الصالحة
للمراكب فرحل معهم وبني في الجزيرة جامعا للصلاة وخلوة للتدريس فاجتمع عليه
سكان تلك الجزيرة وهم دغيم وكنانة وغيرهم من عرب البادية واخذوا العهد
عنه ودخل بعضهم في تلمذته وفي جملتهم علي ود حلو الذي جعله بعد ادعائه المهدي
خليفته الثاني . ولم يمض الا القليل حتى اشتهر صيته وكثر اتباعه وكان استاذ

محمد شريف قد انتقل الى القادرية قرب جبل أولي على النيل الايض فكانت **بزروره** في كل موسم وعيد لتقديم واجب الطاعة وقبل الدخول عليه يجعل **المرصاد** على رأسه والشعبة في رقبته وفروة الضأن على صلبه تشبهاً بالعبد في حالة ذلّه **فكان** محمد شريف يحلّ الشعبة من رقبته والفروة عن صلبه ويلبسه افر الثياب فيصم عنده اياماً ثم يعود الى مركزه في جزيرة أبا وفي بعض زياراته حدثه عن خيرة **البلاد** التي رحل اليها وسهولة العيش فيها وزّين له الإقامة في العراذيب بين **أبا والكوة** فانتقل اليها سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧٢ م وكانت العراذيب على خصبها خالية من السكان والزراعة فعمرها واقام فيها على صفاء تام مع محمد احمد برهة ثم لم يلبث **ان** تكدر هذا الصفاء فصار جفاءً ثم نفوراً ثم عداءً

وسبب ذلك فيما رواه الشيخ محمد شريف ان محمد احمد لما كثر انتصاره ومريدوه كبرت نفسه وسوّل له شيطان الغرور انه اعظم من في الارض وانه المهدي المنتظر قال محمد شريف فأسرّ اليّ بدعواه ورغب ان اكون له وزيراً ومستشاراً فيجعل الامر كله في يدي وذلك سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م فجزته ونهته مراراً ولما لم ينته عقدت معه مجلساً في أبا جمعت اليه القضاة والنظار وبعض الاخيار كعبد الرحمن الليخ ناظر اللحويين واحمد جفون ناظر الشانخاب وموسف ابي جمعة ناظر الجزائر ومحمد حسن قاضي الجهة وغيرهم من اكابر أبا وأمرته بالرجوع عن ضلاله واشهدت الله ورسوله والحاضرين اني ان رجعت شاطرته نصف ما ملكت يدي من مال وعقار فخرج من المجلس لمشاورة من معه من الاصحاب فلم يرجع . ومن ذلك الوقت نفته من الطريقة وقلت لاصحابي ان يضربوه اذا جاءهم ونصحت لقائمهم الكوة بوجوب القبض عليه وزجه في السجن خوفاً من تجسم الامر فلم يفعل وقال انه رجل صالح وصاحب الخضر فلا يمسه بسوء . وللشيخ محمد شريف قصيدة طويلة نظمها بايعاز عبد القادر باشا سنة ١٢٩٩ هـ ١٨٨٢ م في تكذيب دعوى المهدي جاء فيها بحرفه :
لقد جاءني في عام « زع » لموضع على جبل السلطان في شاطئ البحر
يروم الصراط المستقيم على يدي فبايعته عهداً على النهي والامر

ققام على نهج الهداية مخلصاً
 وافرغ في نهج المحامد جهده
 اقام لدينا خادماً كل خدمة
 كطحن وعوس واحتطاب وغيره
 وكم صام كم صلى وكم قام كم تلا
 وكم بوضوء الليل كبر للضحى
 لذلك سقى من منهل القوم شربة
 وكان لدينا عيشه صدقاتنا
 الى الخمس والتسعين أدركه القضا
 بصحبة شيطان من الجن ايس
 ولا تنس داعي الاحتياج فثالث
 فقال انا المهدي فقلت له استقم
 وخادعني بالقول كالمهدي ابنكم
 قم بي لنصر الدين تقتل من عصا
 فقلت له دع ما نويت فانه
 وقال له الشيطان بشر ولا تخف
 وقد فهم القولين فهم أولي النهى
 فقال انا كالماء في الطبع بارد
 وان يستخفوا بي وان يقتلونني
 ومن ذلك النادي أبي وأيته
 واني اذنت الجيش ان يضربوه ان
 وقد جاء للعلوب في سفهائه
 وكان من الاسرى لديهم بناقة
 وكنت نصحت القيمقام بحبسها

وقد لازم الاذكار في السر والجهر
 فرقيته جهلاً بعاقبة الأمر
 تعرّض على اهل التواضع في السير
 ويعطي عطا من لا يخاف من الفقر
 من الله لا زالت مدامعه تجري
 وكم ختم القرآن في سنة الوتر
 بها كان محبوباً لدى الناس في البر
 وخادمنا عشرين عاماً من العمر
 على ما مضى في سابق العلم بالشعر
 وشيطان انس واقفاه على الضر
 وكم ساقط في الشر من ألم الفقر
 فهذا مقام في الطريق لمن يدري
 ومحسوبكم في الحب في عالم الذر
 فأنت لك الكرسي ولي دول الغير
 وتالله شر قد يجر الى الخسر
 فانك منصور على البر والبحر
 ومال الى حب الرياسة والجبر
 واما يُسخن كان كالنار في الحر
 فقبلي عليّ والحسين ولي امري
 وافتيت فيه بالضلال والكفر
 أتاها بما يهواه من واضح النكر
 وقد رده الاتباع بالجبر والقهر
 وراياته والجيش قد صار في البحر
 فاجاءني من غير دَع صاحب الخضر

هذا الذي قاله الشيخ محمد شريف في سبب العدا بينه وبين محمد احمد
وقد اكده لي شفاهاً بعد فتح ام درمان سنة ١٨٩٨ م . ولكن انصار محمد احمد
ينكرون هذا القول ويقولون ان اصل العدا هو انصراف الناس عن محمد شريف
وميلهم الى محمد احمد بالعقيدة والاتباع . وقالوا في تفصيل ذلك ان محمد شريف عند
انتقاله الى العراذيب رأى من عربان تلك الجهات اقبالا على محمد احمد لم
عليه فساءه ذلك جداً واخذ يعمل على الخفض من سطوة محمد احمد فاقام ^{الشيخ} ~~الشيخ~~
رضوان احد خلفائه ندّاً في قوز العلوب غربي أبا وحث العربان على ~~اتبعه~~ فانكر
محمد احمد على شيخه هذا التحامل والجفاء ووقع النفور بينه وبين الشيخ رضوان
وسرى ذلك الى تلامذتهما فصار كل فريق يندد بالآخر ويحقد عليه . وما زالت
اسباب النفور تتزايد حتى اتصل الفريقان الى الضرب والملاكمة وتغلب ~~فوق~~ ^{فوق} الشيخ
رضوان فهشموا جسم محمد احمد وكسروا يد عليّ ود حلو فرفع محمد احمد الامر الى
ناظر الكوة وكان فيها اذ ذاك رحمه الدويحي فاحضر تلامذة الشيخ رضوان وذهبهم
في السجن فلما درى محمد شريف بما كان اتى بالشيخ رضوان الى أبا وحمل محمد
احمد على مصالحته وتوسط عند ناظر الكوة فاخرج تلامذة الشيخ رضوان من السجن
ومن ذلك الحين حقد محمد احمد على استاذه وذهب حبه واحترامه من قلبه
فانكشفت له عيوبه وكان محمد شريف يقبل النساء في مجلسه ويسمح لهن بتقيل
يده فاخذ محمد احمد يندد عليه بذلك ويجاهر بانه مخالف للشرع والسلام واحتفل
الشيخ محمد شريف بختان بعض اولاده فدعا جمعا غفيرا من تلامذته وأذن لهم
في الرقص والغناء وكان محمد احمد حاضرا فنهى اصحابه عن ذلك وقال ان الشريعة
تمنع الرقص والغناء فليس في وسع احد ان يميزها ولو انه شيخ الطريقة وبلغ ذلك
محمد شريف وكان قد بلغه تنديده عليه لقبوله النساء في مجلسه فاتخذ تطاوله هذا
ذريعة لشفاء غليله منه فاستحضره ووبخه توبيخا شديدا ومحا اسمه من الطريقة وقال
له اذهب فقد صدق فيك المثل القائل « الدنقلاوي شيطان مجلد بجلد انسان »
وكان محمد احمد يحب الطريقة السمانية واصولها وكان له ~~خلفاء~~ وتلامذة يلتفون

اورادها ويقرأون روايتها فلم يكن امر تركها واتباع غيرها من السهل عليه فتذلل لاساتذه وطلب العفو منه مراراً فلم يعف عنه

وكان في الحلاويين بين المسلمية والكاملين على النيل الازرق شيخ من مشايخ هذه الطريقة يدعى الشيخ القرشي وقد اخذ الطريقة رأساً عن مؤسسها الشيخ الطيب وكان بينه وبين محمد شريف مناظرة شديدة فلما رأى محمد احمد من استاذة هذا الالباء التجأ الى الشيخ القرشي وجدّد عليه عهده ومشخته فكتب محمد شريف الى الشيخ القرشي يعاتبه على قبوله محمد احمد فكتب اليه في الجواب « اني رأيت محمد احمد مستحقاً ومنع المستحق ظلم » . واذا ع محمد احمد انه انفصل عن شيخه لانه خالف الشريعة والسنة وكان قد حفر غاراً تحت الارض وسكن فيه فاشتهر صيته في السودان بالتقشف والزهد والغيرة الدينية واخذ الناس يفدون اليه من الجهات الاربع وكان المسافرون في النيل يقفون بالمراكب والوابورات فيقدمون اليه الهدايا ويطلبون البركة فيباركهم ويوزع الهدايا على الفقراء زهداً وعفافاً

وبقي الى ان توفي الشيخ القرشي اواخر سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م فخرج هو وتلامذته الى الحلاويين وشرع في بناء قبة فوق قبره . وكان الشيخ القرشي يحب محمد احمد ويثني عليه امام اتباعه فاتخذوه بعد وفاة شيخهم شيخاً لهم واشاعوا بأن وارث السلسلة الطيبية هو الشيخ القرشي فأورثها محمد احمد عند وفاته . ووافقهم على ذلك جل ذرية الشيخ الطيب لسابق كراهة بينهم وبين محمد شريف فقويت شوكة محمد احمد وكثر انصاره وقد بالغوا في محبته وتعظيمه حتى قالوا ان في كتب طريقتهم نصاً ان المهدي يكون منهم وان الشيخ القرشي قبل وفاته اوما بها الى محمد احمد فشكّلوا هذه المفسدة في نفوسهم وصاروا يلوحون بها في اشعارهم هذا وكان من عادة محمد احمد ان يخرج سائحاً مع بعض اصحابه لانداز الناس بطريقته ودعوتهم الى الله ثم يعود الى محل اقامته في جزيرة أبا . وقد جال في جميع البلاد من دقله الى سنار شمالاً وجنوباً ومن النيل الازرق الى كردوفان شرقاً وغرباً ورأى بعينه وجد الناس خاصتهم وعامتهم على الحكومة وشدة رغبتهم في التخلص منها حتى

كان الكثير منهم يتمنون ظهور المهدي الموعود به لينقذهم من هذه الحال بل كانوا كلما رأوا رجلاً يفضلهم عقلاً ودراية وله الغيرة على الدين واهله ظنوه المهدي فلما رأى محمد أحمد لهج القوم بأنه المهدي المنتظر وفكر في الاستعداد الذي عليه الاهلون لقبول المهدي ثم في الحالة التي صار اليها الاسلام في السودان على ما مثله له استاذة محمد شريف وغيره من رجال الدين وكانت نفسه مفطورة على التشيع للدين والغيرة على الاسلام والمسلمين كما مرّ اندفع بحكم الضرورة والطبع الى الاخذ بلهج القوم والقيام بدعوى المهديّة وعقد النية على ذلك

وبينا هو في هذه الحال اذ وفد عليه عبد الله التعايشي المتقدم ذكره في تاريخ الزبير . قيل انه لما رآه وقع مغشياً عليه ولم يفق من غشيته الا بعد ساعة او اكثر ولما افاق عاد فنظر الى محمد احمد وتقدم لمصاحته فأغمي عليه مرة ثانية ثم افاق وتقدم الى محمد احمد حبواً على الارض فأخذ يده وشرع يقبلها وهو يرتعد ويبكي فقال له محمد احمد من انت يا رجل وما شأنك قال يا سيدي انا عبد الله ابن محمد تورشين من قبيلة التعايشة البقارة وقد سمعت بصلاحك الى دار الغرب فجت لآخذ الطريقة عنك . وكان لي اب صالح من اهل الكشف وقد قال لي قبل وفاته انك ستقابل المهدي وتكون وزيره وقد اخبرني بعلامات المهدي وصفاته فلما وقع نظري عليك رأيت فيك العلامات التي اخبرني بها والدي بعينها فابتهج قلبي لرؤية مهدي الله وخليفة رسوله ومن شدة الفرح الذي شملني اصابني الذي رأيته . فاستبشر محمد احمد بهذا القول ورقص له قلبه لانه يرمي الى غرضه وباع التعايشي وقربه وجدّ في بناء القبة فاتمها بشهر وعاد بتلامذته ومعهم عبد الله التعايشي الى جزيرة أبا

ومن ثمّ اخذ يقتش الكتب ويبحث عن كنه المهدي وصفاته وعلاماته وما تكون به نصرته ويطبق عليها صفاته . ولما استوفى غرضه شرع في اظهار دعواه فقام بها في بادئ الرأي سرّاً وكان اوّل ما اسرّها الى عبد الله التعايشي ثم الى تلامذته الاخصاء ومحبيه الامثل فالامثل وذلك في ربيع الثاني سنة ١٢٩٨ هـ مارس ١٨٨١ م

ثم خرج بهم سائحين الى دار الغرب وقد لبسوا كلهم لباس الدراويش المعتاد وهو الجبة المرقعة والسبجة والعكاز وابريق الفخار فمرّوا باخوة عبد الله في دار الجمع ولبيعهم وذهب الى الايىض فأسرّ دعواه الى اخصّ مشايخها واعيانها قائلاً ان الله اصطفاه ليطهر البلاد من الظلم والفساد ولكنه قال ان وقت ظهوره لم يحن بعد . ثم قفل راجعاً الى جزيرة أبا ومرّ في طريقه بجبال تقلي والنوبة فأسرّ دعواه الى الملك آدم ودبّاله ملك تقلي . وقد صرّح عبد الله التعايشي لجلسائه في المحراب بعد توليه الخلافة انه لم يكن قصد محمد احمد من هذه السياحة استطلاع رأي الناس في دعواه فقط بل كان القصد منها ايضاً كشف البلاد التي تصلح للهيئات وشن الغارة بعد اشهار دعواه ويظهر انه من ذلك الحين اختار جبل قدير مركزاً لهجرته وقد صرّح به في كتبه فيما بعد

ولما عاد الى أبا شرع في دعوة الناس اليه سرّاً في الكتب وذلك في غرة شعبان سنة ١٢٩٨ هـ ٢٩ يونيو سنة ١٨٨١ م فبدأ بمخاطبة اصحابه الاخصاء من الفقهاء والاعيان ومشايخ الطرق والقبائل فصرّح لهم بدعواه وحثهم على القيام معه لنصرة الدين والهجرة من اماكنهم للانضمام اليه ومبايعته على الجهاد في سبيل الله قائلاً : انه قد رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) بعيني رأسه يقظة ! فأجلسه على كرسيه وقلده سيفه وغسل قلبه بيده وملاه ايماناً وحكماً ومعارف منيعة واخبره بأنه الخليفة الأكبر والمهدي المنتظر وان من شك في مهديته فقد كفر ومن حاربه خذله في الدارين . وما زال النبي (صلى الله عليه وسلم) يظهر له مع الخضر والملاك جبرائيل فيوحى اليه الى يوم وفاته وقال في بعض كتبه : « اني لا اعلم بهذا الامر حتى هجم عليّ من الله ورسوله من غير استحقاق فأمره مطاع وهو يفعل ما يشاء ويختار » « وقد امرني سيد الوجود (صلى الله عليه وسلم) بمكاتبة المسلمين ودعوتهم الى الهجرة معنا الى محل يكون فيه قوام الدين واصلاح امر الدارين » « فلازم تحضروا معنا في رمضان ولا تتخلفوا فيحل بكم الخسران في الدارين » « وهذه صورة بعض كتبه التي نشرها في اوائل دعوته :
« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى احبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه * اما بعد فلا يخفى تغير الزمن وترك السنن ولا يرضى بذلك ذوو الايمان والفطن بل احق ان يترك لذلك الاوطار والوطن لاقامة الدين والسنن ولا يتوانى عن ذلك عاقل لان غيرة الاسلام للمؤمن تجبره . ثم احبابي كما اراد الله في ازاله وقضائه تفضل على عبده الحقير الذليل بالخلافة الكبرى من الله ورسوله . واخبرني سيد الوجود (صلعم) بأني المهدي المنتظر وخلفني عليه الصلاة والسلام بالجلوس على كرسيه مراراً بحضرة الخلفاء الاربعة والاقطاب والخضر عليه السلام وأيدني الله تعالى بالملائكة المقربين وبالاولياء الاحياء والميتين من لدن آدم الى زماننا هذا وكذلك المؤمنون من الجن وفي ساعة الحرب يحضر معهم امام جيشي سيد الوجود (صلعم) بذاته الكريمة وكذلك الخلفاء الاربعة والاقطاب والخضر عليه السلام واعطاني سيف النصر من حضرته (صلعم) وأعلمت انه لا ينصر عليّ معه احد ولو كان الثقلين الانس والجن . ثم أخبرني سيد الوجود (صلعم) بأن الله جعل لك على المهدي علامة وهي الخال على خدي الايمن . وكذلك جعل لي علامة أخرى تخرج راية من نور وتكون معي في حالة الحرب يحملها عزرائيل عليه السلام فيثبت الله بها اصحابي وينزل الرعب في قلوب اعدائي فلا يلقاني احد بعداوة الا خذله الله . ثم قال لي (صلعم) انك مخلوق من نور عنان قلبي فمن له سعادة صدق بأني المهدي المنتظر ولكن الله جعل في قلوب الذين يحبون الجاه النفاق فلا يصدقون حرصاً على جاههم قال (صلعم) حب المال والجاه ينتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل . وجاء في الاثر اذا رأيت العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم . وجاء في بعض كتبه القديمة لا تسأل عني عالماً اسكره حب الدنيا فيصدك عن طريق محبتي فأولئك قطاع الطريق على عبادي . ولما حصل لي يا احبابي من الله ورسوله امر الخلافة الكبرى امرني سيد الوجود (صلعم) بالهجرة الى ماسة بجبل قدير وامرني ان اكتب بها جميع المكلفين امراً عاماً فكتبنا بذلك الامراء ومشايخ الدين فأنكر الاشقياء وصدق الصديقون الذين لا يبالون في ما لقوه في الله من المكروه

وما فاتهم من المحبوب المشتى بل هم ناظرون الى وعده سبحانه وتعالى بقوله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين .
 وحيث ان الامر لله والمهدية ارادها الله لعبده الفقير الحقير الذليل محمد المهدي بن عبد الله فيجب بذلك التصديق لارادة الله وقد اجتمع السلف والخلف في تفويض العلم لله فعلمه سبحانه لا يتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفنين بل يمحى الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . قال تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ولا يسأل عما يفعل ويخلق ما يشاء ويختار يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وقد قال الشيخ محيي الدين بن العربي في تفسيره على القرآن العظيم علم المهدي كعلم الساعة والساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة الا الله . وقال الشيخ احمد ابن ادريس كذبت في المهدي اربعة عشر نسخة من نسخ اهل الله ثم قال يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونه . وهذا لا يخفى علمكم ان التأليفات الواردة في المهدي منها الآثار وكشف الاولياء وغير ذلك فيختلف كل منها كما علمت من انه يمحى الله ما يشاء الآية ومنها الاحاديث فمنها الضعيف والمقطوع والمنسوخ والموضوع بل الحديث الضعيف ينسخه الصحيح والصحيح ينسخ بعضه بعضاً كما ان الآيات تنسخها الآيات وحقيقة ذلك على ما هي عليه لا يعرفها الا اهل المشاهدة والبصائر . هذا وقد اخبرني سيد الوجود (صلعم) بأن من شك في مهديتك فقد كفر بالله ورسوله كررها (صلعم) ثلاث مرات وجميع ما اخبرتكم به من خلافتي على المهدية الخ فقد اخبرني به سيد الوجود (صلعم) بقظة في حال الصحة وانا خال من الموانع الشرعية لابنوم ولا جذب ولا سكر ولا جنون بل متصف بصفات العقل اقفوا اثر رسول الله (صلعم) بالامر فيما امر به والنهي عما نهى عنه . والهجرة المذكورة بالدين واجبة كتاباً وسنة قال تعالى يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبيكم . وقال (صلعم) من فرّ بدينه من ارض الى ارض وان كان شبراً من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابيه خليل الله ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام والى غير ذلك من الآيات والاحاديث

واجابة داعي الله واجبة قال تعالى واتبع سبيل من أناب الي . فاذا فهمتم ذلك قد
امرنا جميع المكلفين بالهجرة الينا لاجل الجهاد في سبيل الله أو الى اقرب بلاد منكم
لقوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فمن تخلف عن ذلك دخل في وعيد قوله
تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم الخ وقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم
انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » الخ الآتين
فاذا فهمتم ذلك فلهوا للجهاد في سبيله ولا تخافوا من احد غير الله لان خوف
المخلوق من غير الله يعدم الايمان بالله والعياذ بالله من ذلك قال تعالى فلا تخشوا
الناس واخشوني وقال تعالى والله احق ان تخشوه لا سيما وقد وعد الله في كتابه
العزیز بنصر من ينصر دينه قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقال
تعالى الا تنصروه فقد نصره الله وحيث ان لم تحيوا داعي الله وتبادروا لاقامة دين
الله تلزمكم العقوبة عند الله تعالى لانكم ادلة الخلق وازمتها فمن كان مهتماً بإيمانه شقيقاً
بدينه حريصاً على امر ربه اجاب الدعوة واجتمع مع من ينصر دينه . ولكن
معلومكم اني من نسل رسول الله (صلعم) فأبي حسني من جهة ابيه وأمه وأبي
كذلك من جهة أمها وابوها عباسي والعلم لله ان لي نسبة الى الحسين وهذا المعاني
الحسان تكفي لمن ادركه الله بالايمان فلا عبرة لمن يراها ولم يصدق بها هذا والسلام اهـ



« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم
» وبعد جزيل السلام الى عزيز المقام حبيبنا ذي الاكرام الاستاذ خليفة جدنا
الشيخ محمد الطيب البصير وقاه الله من كل التكدير * لا يخفى عزيز علمكم ان من كان
لله وخرج من حظه وهاجر الى الله لا يخشى من شيء ولا يخاف من احد فانه
منصور مضمون رزقه وموقي من شرور الخلائق بالوعد الصادق الذي لا يشك فيه
الا منافق وحيث انك النائب عنا وكففسنا في جميع الامور ولازم تشجع الاهل الى
الهجرة الينا وجميع من لم يصلنا فليبايعك وقد جعلت مبايعتك مبايعتي وانت الامين
على حقوق الله تعالى ولازم تزهد المحبين عن الاوطان والاموال فان الدنيا غرور

وما للعبد الا الاعمال الموافقة للكتاب والسنة ومن لم يجتهد على ذلك بشق الانفس في هذه الايام القرية الزوال خسر الدارين ولا تنفعه الاموال والاوطان بل تبقى عليه الحسرة والندامة . ومن البشائر التي حصلت لنا بعدك انه حصلت لنا حضرة نبوية حاضر عليها محبنا الفقيه عيسى فيأتي (صلعم) ويجلس معي ويقول للاخ المذكور شيخك هو المهدي فيقول اني مؤمن بذلك فيقول (صلعم) من لم يصدق بمهديته كفر بالله ورسوله قالها ثلاث مرات ثم يقول له الاخ المذكور ياسيدي يا رسول الله الناس من العلماء يستهزئون بنا والحشية ايضاً من الترك فيقول (صلعم) والله والله والله ان قوتي تقينكم ان اشرتم بادنى قشة تنقضي حاجتكم . ثم يقول الشيخ عبدالله ياسيدي الشيخ الطيب نحن مصدقون بمهدية شيخنا والناس ليسوا مصدقين فيقول الشيخ الطيب ان شيخك حين ولادته عرفته اهل الباطن والحقيقة انه المهدي فلما اتم اربعين يوماً عرفته الجمادات والنباتات بانه المهدي ثم يقول الشيخ الطيب الطريقة فيها الذل والانكسار وقلة الطعام وقلة الشراب والصبر وزيارة السادات فتلك ستة والمهدية فيها ايضاً ستة الحرب والحزم والعزم والتوكل والاعتماد على الله تعالى واتفاق القول فهذه الاثنتا عشرة لم تجتمع لاحد الا لك ويقول عظم قومك فلا تكن فيهم ثلاث خصال الحسد والكذب وترك الصلاة ومن كان متصفاً بواحدة من هذه الثلاث اتصف بالآخرين . ثم يقول وحين قدومك الى « قدير » ليكن النساء متسترات ولا يتكشفن كالبقارة وحين تكون بين كردوفان وتقلي عظم القوم باجمعهم فمن كان سائراً الى الله بلا علة فليمش معكم ومن كان سائراً لعله لا يمش معكم ولازم ان تصلوا الى الملك آدم بهيئة حسنة مع ترتيب الاذكار فلما تصلوا « قدير » لازم تنفي عن قومك الصفات الثلاث ولا يدخل معكم من كان فيه احد اليهن . ثم يأتي الشيخ التوم ويقرأ على السلام بالمهدية ويقول اجتهد على قومك ان يكون الكبير اباً والصغير ولداً والمساوي أخاً وفي رمضان ادخل خلوة الاربعين فتبين فيها دسائس وغوامض . ثم يأتي جدنا الشيخ البصير ويقرأ على السلام بالمهدية ويتكلم بكلام المفهوم منه انه قال اشدد الحزام على سنة النبي العدنان . ثم يأتي الشيخ القرشي فيقرأ على السلام بالمهدية

ويتكلم بكلام مفهوم منه انه يقول كن ذاكرًا ولن معك ساترًا فيقول الشيخ عبد الله يا سيدي الناس منكرون في مهديّة شيخنا فيقول ان النبي (صلعم) اعلمني قبل مماتي ان شيخك هو المهدي بذاته وكان اعلمني الشيخ الطيب قبل مماته وقال انك تدرك المهدي وتلاقيه وهو شيخك بعينه . ثم يأتي النبي (صلعم) ومعه الشيخ عبد القادر الجيلاني لا بس جبة وعليها سيور فيقول الشيخ عبد الله يا سيدي يا رسول الله الناس منكرون بالجبة ويتعففون عنها أي سنة واردة ام لا فيقول (صلعم) في الانسان نفسه رقع فرأسه رقع زرقاء وباطن شفّته رقع حمراء واسنانه رقع بيضاء واطفاره رقع صفراء ويقول (صلعم) الرقع اربعة بيضاء وحمراء وزرقاء وصفراء ويقول (صلعم) لو لا اني خشيت عليك ان يكون مغشياً عليك لاريتك جيب الخلفاء الاربعة ويأمر صلى الله عليه وسلم عزرائيل عليه السلام ويقول من هذه الليلة اصحب المهدي لا تفارقه ويقول (صلعم) للنخضر عليه السلام من هذه الليلة اصحب المهدي وكن في قومه وهذه الليلة المذكورة التي حصلت فيها هذه الحضرة المباركة غرة شعبان ليلة الاربعاء ثم تلى لنا جميع الاحوال الى دخول مكة ومنازعة اهلها ومبايعة الضعفاء والقربا اولاً ثم مبايعة الشريف ملك مكة وجميع اشرافها معه الى هذا كفاية والسلام غرة شعبان سنة ١٢٩٨ هـ « ٢٩ يونيو سنة ١٨٨١ م اه

وتاريخ هذا الكتاب هو تاريخ اشهار دعواه في الكتب وعمره اذ ذاك دون الاربعين سنة * وكان يدعى اولاً بمحمد احمد بتركيب الاسمين ثم قال امرني سيد الوجود (صلعم) بالاختصار على الجزء الاول اغني محمداً وتغير اسمي بمحمد المهدي فانه (صلعم) قال في بعض حضراته اني كنت اسمي محمداً فلما بلغت الرسالة والنبوة سميت رسول الله ونبي الله كذلك انت كنت تسمي محمد احمد فلما حصلت لك المهديّة يقال لك المهدي وسنطلق هذا الاسم بعد الآن * وقد كان له خواتم يختم بها كتبه ومنشوراته وآخرها خاتم منقوش فيه ثلاثة اسطر بهيئة مربع هكذا: لا اله الا الله سطر . محمد رسول الله سطر . محمد المهدي بن عبد الله سطر سنة ١٣٠٢

الفصل الثالث

في

﴿ وقائع المهدي في جزيرة أبا ﴾

﴿ دعوة المهدي الى الخرطوم ﴾ هذا وكان محمد شريف قد ابلغ رؤوف باشا حاكم السودان بالذي عليه محمد احمد وحذرته من عاقبة الاهمال ولكن رؤوف باشا حمل ذلك على ما بينهما من العدااء فلم يهتم للامر حتى اشتهر امر المنشورات ووقع بعضها في يده فكتب الى محمد احمد يسأله عما نسب اليه من توزيع تلك المنشورات وقد اتحل له عذراً بقوله لعل بعض العدااة كتب هذه المنشورات ونسبها اليكم فاجابه محمد احمد ان هذه المنشورات هي منه لا من غيره وانه هو المهدي المنتظر وهذه صورة الكتاب بحرفه :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم
وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله الى الحاكم (بالخرطوم)
وبعد فعلى مقتضى المكاتبه فالامر المطلوب كشفه ان دعائي الخلق على تقويم السنة
والهجرة بالدين مما عليه الطباع الزمنية امر من سيد الوجود (صلعم) والاعلام باني
المهدي المنتظر من سيد الوجود (صلعم) مراراً عديدة مع الهواتف الالهية وعلامات
أخبر بها سيد الوجود (صلعم) فمن تبع صار من المقربين الفائزين ومن خالف خذله
الله في الدارين وصدته بقوته التي يعجز عن معارضتها جميع العالمين واما المواعظ
للمؤمنين فهي مينة فمن لم يصدق طهره السيف وليكن المعلوم انه اتاني من
الحضرتين النبوة وحضرة الاقطاب سيف وأعلمت انه لا ينصر عليّ معه احد ومن
اتانا بالعداوة يأخذه الله اما بالخسف او بالفرق وذلك اعلام منه (صلعم) وكل
ذلك لم اعمل فيه بشيء من نفسي ولا لغرضي وانما هو من الله والى الله ومعلوم قوله
تعالى ان تنصروا الله ينصركم الآية وقوله (صلعم) احفظ الله يحفظك احفظ الله

تجدهُ تجاهك والى غير ذلك من الادلة الظاهرية والباطنية وفي ما ذكرتهُ كفاية يكتفي بها اهل العناية والسلام سنة ١٢٩٨ هـ « اه

فجمع رؤوف باشا العلماء واطلعمهم على كتاب محمد احمد ومنشوراته وسألهم رأيهم فيها فالتمس له بعضهم عذراً في انه قد حصل له جذب سماوي من انعكافه على الزهد والعبادة ولكنهم حكموا جميعاً بوجوب القبض عليه وتلافي الامر قبل اتساع الخرق . فندب رؤوف باشا لهذا الامر احد معاونيه محمد بك ابا السعود (المتقدم ذكره في فتح الاستواء) وكان اذ ذاك من معاوني الحكمدارية فسار على باخرة الى أبا فوصلها يوم الاحد ١١ رمضان سنة ١٢٩٨ هـ ٧ اغسطس سنة ١٨٨١م فوجد محمد احمد في الغار جالساً وحوله جمهور من تلامذته فسلم عليه وقال ان حكمدار السودان بلغه امر الدعوى التي قمت بها وارسلني لآتي بك اليه بمدينة الخرطوم وهو ولي الامر الذي تجب طاعته . فاجابه محمد احمد اما ما طلبته من الوصول معك الى الخرطوم فهذا مما لا سبيل اليه وانا ولي الامر الذي تجب طاعته على جميع الامة المحمدية . ثم شرع في تقديم الادلة على انه المهدي المنتظر فاغظ له ابو السعود في الجواب وقال له ارجع عن هذه الدعوى فانك لا تطيق حرب الحكومة ولا نرى معك من يقاتلها فاجابه محمد احمد وهو يتبسم انا اقاتلكم بهؤلاء وأشار الى اصحابه ثم التفت اليهم وقال انتم راضون بالموت في سبيل الله فقالوا كلهم نعم راضون بالموت في سبيل الله وباذلون ارواحنا في رضى الله ورسوله ومهديه فالتفت الى ابي السعود وقال له قد سمعت ما اجابوا به فارجع الى ولي امرك في الخرطوم واخبره بما رأيت وسمعت . فلما رأى ابو السعود صدق عزم محمد احمد واعوانه على نصرة دعواهم وان النصح لا ينجع فيهم عاد مسرعاً الى الخرطوم وقص على رؤوف باشا ما رآه وسمعه .
﴿ واقعة أبا في ١٢ اغسطس سنة ١٨٨١ ﴾ فجهز رؤوف باشا بلوكين من العساكر جعل على كل بلوك صاغاً ومدفعاً وارسلهم مع ابي السعود على الباخرة للقبض على محمد احمد وانصاره . وكان محمد احمد عند ذهاب ابي السعود قد جمع اصحابه وقال لهم : « ايها الناس ان الترك رجعوا لطلب المدد وسيعودون الى حربنا

فمن كان منكم خائفاً على اولاده وامواله فليخرج منا فنحن سامحون له ويعتتنا التي في اعناقكم ليس عليكم فيها حرج فان سلمنا فعودوا الينا والا فقد احرزتم ابناءكم واموالكم» قالوا جميعاً بلسان واحد « يا سيدنا نحن بايعناك على الموت ورضينا بذلك ولا نرغب بنفسنا عن نفسك بل نحن معك حيثما توجهت فمر بما شئت فنحن لك سامعون ولا نمرك مطيعون يا خليفة رسول الله » فدعا لهم

ثم ارسل الى القبائل التي حول الجزيرة يستنفرها الى الجهاد فاجتمع عنده ٣٥٠ رجلاً وفيهم تلامذته . ولما كانت ليلة الجمعة الواقع في ١٦ رمضان سنة ١٢٩٨ هـ ١٢ اوجسطس سنة ١٨٨١ م بلغ محمد احمد ان العساكر حضرت بالباخرة للقبض عليه فأمر رجاله بالاستعداد للحرب وان يكون على كل عشرة منهم مقدم وفي فجر يوم الجمعة المذكور وصلت الباخرة بالعساكر فرست تجاه الحلة وخرج العساكر منها وساروا نحو الحلة على غير انتظام فانه عند وصول اولهم الى قرب الحلة كان آخرهم لم يزل عند الباخرة . قيل وسبب ذلك انه وقع خلاف بين ضابطي البلوكين فان كلا منهما ادعى انه المقدم والرئيس فكان الواحد منهما يأمر العساكر بشيء والاخر بغيره فاختلف نظامهم . واما محمد احمد فانه لما رآهم مقبلين اخذ سيفه من المسجد وخرج برجاله من الحلة وكمن لهم بين الاشجار في الجهة الشرقية منها فلما رآهم العساكر ابتدروهم بالرصاص فحملوا عليهم حملة رجل واحد فاختلفوا بهم واعملوا فيهم السيف والخربة وكان محل الواقعة وحلاً لكونه قريب عهد بنزول المطر عليه فما استطاعت العساكر الفرار ففتك بهم انصار محمد احمد ولم ينج منه الا الهاربون السريعون وقليل ما هم . وقد اصاب محمد احمد رصاصة في كتفه اليمنى فخرج جرحاً بليغاً حتى اختضب جسده بالدم وكان عبدالله التعايشي واقفاً عن يمينه فأخذ ثوباً وطرحه على الجرح لئلا يراه الانصار فيفشلوا . وقد قتل من انصار محمد احمد ١٢ رجلاً فحملوا الى غاره ودفنوا فيه . اما قتلى العساكر فتركوا في العراء وجمع المهدي سلاحهم ووزعه على انصاره وكان ابو السعود لم يزل في الباخرة فعاد بها وبمن نجا من العساكر الى الخرطوم . وقد سميت هذه الواقعة « بواقعة أبا » وانتشر خبرها في

جميع انحاء السودان بغلو كثير وعدّها البسطاء من الاعاجيب السماوية والكرامات
العظمى التي تُخصّ محمد احمد بها

الفصل الرابع

في

﴿ وقائع المهدي في جبل قدير ﴾

﴿ هجرة المهدي الى جبل قدير ﴾ وعلم محمد احمد ان الحكومة لا تتقاضى عنه
بعد الآن ولا بدّ لها من تجريد الجيوش للانتقام منه فجمع اصحابه في عشية يوم
الواقعة وقال لهم « ان سيد الوجود (صلعم) امرنا بالهجرة الى جبل ماسه بلسق جبل
قدير » ولم يكن بلسق قدير جبل بهذا الاسم ولكنه اختلق هذا الاسم للحجر
عظيم بجانب الجبل طبقاً لبعض الاحاديث من ان المهدي المنتظر تكون هجرته الى
جبل ماسة كما مرّ فوافقه اصحابه على ذلك وكان عندهم بعض المراكب فاجتازوا بها
النيل الى الغرب بما معهم من النساء والاولاد والامتعة وساروا قاصدين جبل قدير
﴿ مطاردة محمد سعيد باشا للمهدي ﴾ اما رؤوف باشا فانه عند رجوع أبي السعود
بالباخرة من أبا اهتم للامر وسير القائم مقام علي بك لطفي الى الكوة بخساية رجل من
العساكر المنظمة والباشبوزق وارسل تلغرافاً الى محمد سعيد باشا مدير كردوفان فوافاه
اليها بألف من العساكر المنظمة وثلاثماية من الباشبوزق وكان من رأي سعيد باشا
مطاردة محمد احمد قبل فوات الفرصة ولكن رؤوف باشا لم يأذن له في ذلك وامره
فأخذ بعض العساكر وذهب بها الى أبا ليتحقق فراغ الجزيرة من المهدي وانصاره
ويقف على تفاصيل الواقعة . وقد رأيت في مصر بعض العساكر الذين صحبوا سعيد
باشا الى أبا فقال : ذهبنا الى محل الواقعة فوجدناه مستوحلاً وغاصاً بشجر الأراك
وكان قتلى العساكر لا يزالون في العراء وقد دلت جراحهم على انهم قتلوا بالسيوف
والحراب ولكن وجد بعضهم مقتولاً بالرصاص مما دلّ على اختلال نظام العساكر
وقتلهم بعضهم بعضاً لان انصار المهدي لم يكن معهم سلاح ناري فدفنا القتلى وجثا

الى غار المهدي الذي هو اشبه بسرداب تحت الارض فوجدنا قتلى الدراويش قد دفنوا فيه بتيابهم . ثم دخلنا منزل محمد احمد فوجدنا فيه عدة كتب من مشايخ الطرق والقبائل جواباً على كتبه لهم واكثرهم مسلمون بدعواه و يعدونه بالقيام معه حين ظهوره الا الشيخ حمد النيل شيخ العراقيين في أبي حراز والشيخ محمد السقا في الخرطوم والشيخ احمد الكناني في الالبيض فانهم في اجوبتهم يسفهن رأيه ويقولون « ان المهدي عند ظهوره يظهر كالشمس فان كنت نائماً فاصح » فاحرق سعيد باشا الحلة وعاد الى الكوة فاستأذن رؤوف باشا ولحق بمحمد احمد حتى وصل محلاً يدعى ابا شجيرات ومحمد احمد اذ ذاك قريب منه في جبل الكمر فنزل مطر غزير فحبسهما عن السير اياماً وكان سعيد باشا قد فرغ زاده واستخف أمر محمد احمد ولم يخطر بباله انه سوف يحصره في عاصمته اشهرًا ثم يأسره ويقتله بعد ان يريه العذاب الوانا فقرأ رأيه على الرجوع عنه وعاد الى الالبيض في اول القعدة سنة ١٢٩٨ هـ ٢٥ سبتمبر ١٨٨١ م ﴿ واقعة المختار ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ م ﴾ واستطرد محمد احمد السير نحو جبل قدير وهو يدعو الناس من عرب وعجم الى طاعته حتى وصل الى جبل الجراة وهو جبل حصين يسكنه اخلاط من العرب والنوبة السود وعليه ملك يسمى المختار فتصدى للمهدي وحاربه فتغلب المهدي عليه وقتله وعرفت الواقعة « بواقعة المختار » وتاريخها سلخ ذي القعدة سنة ١٢٩٨ هـ ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ م

وسار المهدي حتى وصل جبل قدير يوم الاثنين في ٧ الحجة سنة ١٢٩٨ هـ ٣١ اكتوبر سنة ١٨٨١ م وكان على ذلك الجبل ملك يسمى ناصرًا فقابله بالبشر والسرور وانزله على الرحب والسعة . وامر محمد احمد اصحابه فبنوا مسجدًا للصلاة ومنازل للسكنى وكانوا في تعب شديد مما لاقوه في الطريق من الامطار والوحول والمحن فاصابتهم الحمى وساءت حالهم جدًا

﴿ واقعة راشد بك ٩ ديسمبر سنة ١٨٨١ ﴾ وبلغ راشد بك مدير فاشودة في ذلك الحين ان المهدي استقر في جبل قدير على خمسة ايام منه فاستأذن رؤوف باشا في مهاجمته فلم يأذن له . ثم اتاه مخبره من قدير وقال له ان المهدي في ضيق شديد

وقد فشت الحمى في اصحابه فصمم راشد بك على مهاجمته بلا استئذان وجرى ٤٠٠ من العساكر المنظمة والفا من الشك وعليهم ملكهم وزحف بهم قاصداً « قديرًا » وقد بذل قصارى الجهد في كتمان سيره بقصد مباغته المهدي الهجوم ولكن رآته امرأة كنانية تدعى رابحة قرب جبل قدير فقامت مسرعة حتى وصلت محمد احمد في الثلث الاخير من ليلة الخميس ١٦ محرم سنة ١٢٩٩ هـ ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨١ م واخبرته بمسيره اليه . فجمع محمد احمد اصحابه وكانوا قد بلغوا بعد واقعة أبا ٨٠٠٠ رجل وخرج بهم الى غابة بالقرب من جبل قدير وهي طريق الجبل الوحيدة وهناك صفهم راية راية ووقف بينهم خطيباً فحرضهم على الجهاد ورجبهم في ما اعدّه الله للمجاهدين وصبر حتى دخل راشد بك الغابة برجاله وكان ذلك يوم الجمعة في ٩ ديسمبر سنة ١٨٨١ م عند طلوع الشمس فأمر اصحابه فحملوا على راشد ورجالهم حملة رجل واحد قبل ان ينتظموا قلعة فتلقوهم باطلاق الرصاص فصبر اصحاب محمد احمد على نارهم ثم هاجموهم بحزم وصدق نية فدخلوا بينهم وقتلوهم شر قتلة ولم ينبج منهم الا القليل وقد قتل راشد بك وأسر ١١١ من رجاله وغنم محمد احمد ما كان معه من المال والاسلحة والدخائر والزاد فتقوى بها

وقد عرفت هذه الواقعة « بواقعة راشد » وانتشر خبرها في اقطار السودان الاربعة وشاع ان المهدي يحارب بسيف القدرة وانه يحول رصاص العساكر الى ماء فلا تضر بانصاره وان النار خرجت من حراب الانصار وسيوفهم فاحرقت اجسام العساكر وروى بعضهم انهم رأوا بأعينهم اسم المهدي مكتوباً على ورق الشجر ويض الطيور في البرية . وكان محمد احمد بعد استقراره في قدير قد ارسل البعوث الى كل الجهات فاخذ الناس يفدون اليه من سنار وكردوفان ودارفور ومن كل فج

﴿ ولاية عبد القادر باشا حامي ١٢٩٩ : ١٣٠٠ هـ — ١٨٨٢ : ١٨٨٣ م ﴾

﴿ وكالة جيكر باشا ١٨٨٢ م ﴾

ولما بلغ رؤوف باشا خبر راشد بك راعه الخبر وشرع في تجنيد عساكر باشورق من الشايقية والديناقلة وخاف على فاشودة من المهدي فارسل اليها قوة من العساكر



﴿ عبد القادر باشا حلمي ﴾

قيادة جيكر باشا (رئيس مصلحة التلغرافات السودانية) وبعث في طلب المدد من مصر وكانت الحكومة في مصر لم تزل مشغولة بالثورة العرايية ولم يسعها امداد السودان بالعساكر فرأت ان تبعث اليه بوال مدبر حازم يتمكن من اطفاء الثورة بما لديه من العساكر فعزلت رؤوف باشا فبرح الخرطوم في اوائل مارس سنة ١٨٨٢ ونذبت لهذا العمل الهام البطل المدرب والسياسي المحنك عبد القادر باشا حلمي ولكن دعت الضرورة الى تأخير بمصر فبقي فيها الى اوائل مايو من تلك السنة واقعة الشلالي في ٢٩ مايو سنة ١٨٨٢ وفي هذه الاثناء قام باعباء الاعمال بالنيابة عنه جيكر باشا فأرسل الى مصر رسالة برقية يلح فيها على الحكومة ان تأذن له في تجهيز حملة قوية لسحق المهدي في قدير قبل استفحال امره فأذنت له وقد اتصل بي ان عبد القادر باشا عارض الحكومة في ذلك والحل على ترك المهدي وشأنه الى ما بعد وصوله الخرطوم فينظر في امره فلم يسمع له فحشد جيكر جيشا في الكوة مؤلفا من ١٣ بلوكا من العساكر النظامية و ١٥٠٠ رجل من الباشبوزق والخطرية من عساكر الخرطوم وسنار والايض وعقد لواءه ليوسف باشا الشلالي المتقدم ذكره مع جسي في بحر الغزال وكان على باشبوزق الايض عبد الله محمد دفع الله وعبد الهادي صبر من اعيانها وسلطان كنجارة وسلطان المسبعات وكلهم من الابطال المعدودين وفي اواسط مايو سار يوسف باشا الشلالي بجيشه من الكوة قاصدا قديرا عن طريق فاشودة وعلم المهدي بقدومه ممن هاجروا اليه من جزيرة سنار وارسل طلائعه الى قرب فاشودة فكانوا يحتالون حتى يدخلوا الجيش ويتجسوه فيعودوا اليه بالخبر كل يوم وارسل يوسف باشا كتابا الى المهدي يدعوه الى التسليم وحقن الدماء فكتب اليه المهدي في الجواب ما نذكره بالحرف الواحد ليعلم منه ما صار اليه محمد احمد من الجرأة والاستخفاف بالحكومة وعساكرها وهذه هي صورة الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنتقم القهار والصلاة على سيدنا محمد وآله
الاخيار من الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدي بن السيد عبد الله الى يوسف حسن الشلالي ومن معه من الجموع

«أما بعد فإنه وصل الينا جوابكم وما ذكرتم فيه من وقوفكم على مكاتبتنا وانكاركم صار معلوماً لدينا وكنا قصدنا ان نضرب عن افادتكم صفحاً ونطوي دون اجابكم كشحاً لوقوفكم على الانذار ومجاهرتكم بالانكار لكن اردنا ان نبين لكم غلطكم في ما ذكرتموه في جميع المواضع ونوضح لكم خطأكم في ما ادعيتموه بالبراهين السواطع فنقول اما قولكم انا قتلنا العسكر غدرًا في الوقعتين قبل ان يحاربونا فهذا كذب صريح لانهم في الوقعتين ابتدأونا بالمحاربة والضرب بالسلاح حتى حاربناهم وقتلناهم . وقولكم ان الحكومة ارسلتهم ليقفوا على ما عندنا من الادلة باطل ضرورة لان الحكومة لو ارادت المراجعة والاطلاع على ما عندنا من البراهين لارسلت الصلحاء والعلماء اهل المذاكرة والدراية بهذا الشأن ولم ترسل العساكر الاغبياء وتعطيهم الاسلحة . وقولكم انا قتلنا جملة من المسلمين المتوطنين بهذا المكان ظلمًا وعدوانًا باطل ايضًا لانا ما قتلنا الا اهل الجرادة بعد ان كذبونا وحاربونا وقد اخبرنا النبي (صلعم) واخبر جميع اهل الكشف بان من شك في مهديتنا وانكر وخالف فهو كافر ودمه هدر وماله غنيمة فحاربناهم لاجل ذلك وقتلناهم وبعد ذلك لما انتقاد باقيهم لحكمنا رجعنا لهم جميع امتعتهم التي بايدي اصحابنا رفقا بهم مع انها حلال لنا . وقولكم ان الذين قتلناهم من العسكر مسلمون ومتبعون ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ونسأل عن دمائهم بين يدي الله تعالى باطل لان القطب الدرديري قد نص في باب المحاربة على ان امراء مصر وجميع عساكرهم واتباعهم محاربون لاختد اموال المسلمين منهم كرهاً فيجوز قتلهم كما قال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادًا ان يقتلوا الى آخر الآية . على ان النبي صلى الله عليه وسلم امرنا صريحًا بقتال الترك واخبرنا بانهم كفار لخالفتهم لامر الرسول باتباعنا وارادتهم لاطفاء نور الله تعالى الذي اراد به اظهار عدله فكيف نسأل عنهم بعد هذا . وايضًا قد شاهد جمع من الاخوان التهاب النار في اعضاء العساكر المقتولين جهارًا تعجيلًا لعقوبتهم واظهارًا لحقيقتهم وقولكم انكم ضبطتم اربعة انفار الطليعة وآذيتموهم فاعلموا انه قد اودى قبلهم اصحاب الرسول عليه افضل الصلاة والسلام بالسجن والضرب والقتل وجميع انواع الاذى كلال وخيب

وامثالهم فليس لهم الا الثواب ولا بد ان يجازيكم الله على ما صنعتهم بهم . وقولكم ان الطلبة تنافي المهدي لان المهدي يعلم الغيب ضرورة جهل منكم بسيرة الرسول فان النبي (صلم) كان يرسل الطلائع كحذيفة اليماني والزيير بن العوام وغيرهم ولم يناف ذلك رسالته فكيف ينافي مهديتنا وقد قال الله لنبيه (صلم) قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي وقوله تعالى انما الغيب لله هو يعلمه لا غيره الا ان يريد الله اطلاقه في بعض الاحيان لحكمة يعلمها هو . وقولكم ما اتبعنا الا البقارة الجهلاء والمجوس فاعلموا ان اتباع الرسل من قبلنا واتباع نبينا محمد (صلم) الضعفاء والجهلاء والاعراب الذين كانوا يعبدون الحجر والشجر واما العلماء والاغنياء واهل القوة والترف فلم يتبعوهم الا بعد ان يجرؤا ديارهم ويقتلوا اشrafهم ويملكوهم بالقهر قال تعالى حاكياً عن قوم نوح وما نريك اتباعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وقال تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها اننا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالاً واولاداً وما نحن بمعذيين . ولما بعث نبينا محمد (صلم) كانت مدائن اليهود والنصارى مشحونة بالاحبار والرهبان والاغنياء والملوك اهل الطغيان وكانوا يتمنون ادراك زمنه ويستعزون به فلما ظهر انكروا ومجدوا نبوته وقالوا ما اتبعه الا اجلاف الاعراب عراة الاجساد وجياع الاكباد واستكبروا عن اتباعه وكفروا به مع انهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ويعلمون انه الحق من ربهم ولم ينفعهم علمهم ولا غناهم بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ولم يبق لهم ملكهم الذي منهم عن اتباع الحق الا اياماً قليلة حتى فرقه الله وشتت شملهم وجعلهم غنيمة لضعفاء الاعراب الذين كانوا يستهزئون بهم وكذلك نرجو الله ان تكونوا انتم ومن ورائكم غنيمة للبقارة الجهلاء الذين تستهزئون بهم قال تعالى موجئاً اهل الكتاب وما اختلف الذين اتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم وقال تعالى وما تفرق الذين اتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وقال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم فثال العلماء والصلحاء الذين انكروا مهديتنا وخالفونا كامثال احبار بني اسرائيل

ورهبانهم الذين اضلهم الله على علم . وقولكم قم واحضر عندنا لتتوجه الى محل الهدى مكة المشرفة فاعلموا ان توجهنا انما يكون بامر رسول الله (صلعم) في الوقت الذي يريده الله ولسنا تحت امركم بل انتم ومن فوقكم تحت امرنا وانا ولي الامر في هذا الآن على سائر الانس والجان وان خالفتم امرنا في هذه الايام فلا بد ان تقووا قبضتنا وتذوقوا السوء بما صدقتم عن سبيل الله ونحن نترصد بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون . وقولكم ارسل الينا ملكاً من الملائكة جهل منكم كما قال تعالى موجناً كفار قريش وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكاً لقضي الامر ثم لا ينظرون وقد اخبر تعالى بانهم لا تنفعهم الآيات ولا يدهم على الايمان ظهور المعجزات قال جل وعلا ولو انزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحار مبين وقال تعالى ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون فالآيات لا تنفع المنكر الجاحد واطهارها انما يكون بارادته تعالى لا بتجني العباد وليس علينا الا التبليغ والانذار كما قال تعالى وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر وقال تعالى قل انما الآيات عند الله وما على رسونا الا البلاغ المبين فكذلك نحن ليس علينا الا التبليغ ولا نطلب من الله اظهار آية على مهديتنا بل نقف معه على حد ادبنا وعبوديتنا فان شاء اظهر آية كما ظهر لكثير من المحبين نقش اسمنا على بيض الدجاج وورق الاشجار حتى صار لهم ذلك سبباً في اليقين مع اننا لا نطلب من الله ذلك ولم نتشوف الى ما هنالك والى الآن نكون ان شاء الله كذلك . وقولكم لا تغتروا بنوأي ولا اسماعيل الامين جهل منكم بأمرنا لاننا لا نعتمد الا على الله ولا نستنصر غير الله . وقد صرّح لنا النبي (صلعم) في حضرات كثيرة بان الله ناظرنا وناصرنا واقسم على ذلك ثلاثاً واذا كانت نصرتنا بالله فلا نبالي بمدافعكم وصواريخكم وكثرة جيوشكم ولو بلغت عدد الرمل لانه لن يغلب الله شيء وهو غالب كل شيء قال تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وقال تعالى لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون وقال

تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقال موجباً على امثالكم السابقين ولن تغني عنكم فتكم شيئاً ولو كثرت وان الله مع المؤمنين . وقد ذكرتم انكم كاتبتُمونا لان الخديوي الاعظم قال لكم لا تحاربوه حتى يتعدى الحدود فاعلموا انه ما أخرجكم عنا الا الخوف الشديد والجزع الذي ليس عليه من مزيد لاننا من حين كنا بجزيرة أبا تعدينا حدودكم وخالفنا مقصودكم فكيف تخاطبونا الآن بمثل هذا القول الذي لا ينشأ الا عن ضعفاء العقول فسارعوا الى محاربتنا لتأخذوا مناصبكم التي غرّم بها الشيطان ولا تجبنوا وتحرصوا وتخيّلوا ان كنتم كما زعمتم رجالاً أبطالاً أهل دراية بالحرب فانه ليس بيننا وبينكم الا السيف ولسنا محتاجين الى مراجعتكم حتى نرسل لكم العلماء ليذاكروكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والحذر الحذر من المجاوبة ثانية فاننا لا نرد لكم جواباً ما دمتُم منكرين ولو جاوبتمونا طول السنين فليس لكم عندنا الا الرماح الطعان والسيوف السنان . وليكن معلوماً عندكم اني من نسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فابي حسني من جهة ابيه وأمه وأمي كذلك من جهة أمها وابوها عباسي والعلم لله ان لي نسبةً الى الحسين رضي الله عنه وفيما ذكر كفاية لاهل العناية والسلام على من اتبع الهدى في ٤ رجب سنة ١٢٩٩ هـ « ٢٢ مايو ١٨٨٢ م ويوم الاحد الواقع في ١٠ رجب سنة ١٢٩٩ هـ ٢٨ مايو سنة ١٨٨٢ م وصل الشلالى بجيشه الى جبل الجراة فنزل في سهل بسفح الجبل وبني زريبة مربعة من شوك ووضع العساكر عليها وجعل المدافع في اركانها الاربعة والمؤن والذخائر والدواب في الوسط فعادت طلّات محمد احمد اليه بالخبر . وبعد صلاة المغرب من ليلة الاثنين حادي عشر رجب ٢٩ مايو سنة ١٨٨٢ م خرج محمد احمد من منزله شاهراً سيفه يكبر وقال اتانا الخبر من سيد الوجود (صلى الله عليه وسلم) بان توجه الجيش الى حرب الترك واستدعى اصحاب الرايات فجعلهم اربع فرق وعين لكل فرقة جهة من الزريبة يهاجمها وكان قد بلغ عدد انصاره نحو ١٥ ألفاً فساروا وسار وراءهم حتى قربوا من الزريبة فنزلوا هناك الى ان لاح فجر الاثنين فصلى محمد احمد بهم الصبح ثم حرضهم على الجهاد وقال اذا رأيتم العدو فكبروا ثلاثاً وقولوا اللهم انت ربنا

وربهم نواصينا ونواصيهم بيدك وانما تضلهم انت قولوها ثلاثاً ثم امرهم بالحملة على الزريبة • وكانت العساكر تشتغل ببناء الزريبة وتحصينها الليل كله فاموا عند الفجر وفيما هم كذلك حمل عليهم انصار المهدي بعزم وصدق نية ما بين مهمل ومكبر وصارخ فشعر الحفراء بهم وايقظوا العساكر فأطلقوا المدافع والبنادق ولكن ما كادوا ينتظمون في اماكنهم حتى دخل الانصار عليهم في الزريبة وتتبعوهم قتلاً حتى اخرجوهم منها فاقتفوا اثرهم يقتلونهم في كل جهة ولم ينج الا القليل الذاهب في بطون الاودية والمخبي تحت الاشجار فاتخذوا الطريق الى فاشودة • وقتل يوسف باشا الشلالي وعبد الله محمد دفع الله وعبد الهادي صبر وطاها الشاقي بعد ان حاربوا حرب الابطال وقتلوا بسيوفهم عدداً كبيراً من انصار المهدي وكان قتل الانصار نحو ٢٠٠ رجل فيهم حامد اخو المهدي فدفنوا بأمر المهدي كما هم ثم جمعت الغنائم فكانت شيئاً كثيراً من النقود والازواد والملبوسات والدواب والذخائر والاسلحة فعزل المهدي الخمس منها لنفسه ووزع الباقي على الانصار ففرحوا به جداً وتيسر امرهم بعد ان كانوا في ضيق شديد • وقد عرفت هذه الواقعة بواقعة الشلالي

وهذا النصر المتتابع الذي ناله محمد احمد على عساكر الحكومة ادهش عالم السودان كافة وحط من كرامة الحكومة في اعينهم بقدر ما رفع من كرامة محمد احمد • فلقد كان للحكومة قبل الآن سطوة عجيبة في البلاد حتى كان جنديتها الواحد يرهب رهطاً من الاهلين وقد مر عليها ستون سنة ونيف لم تظهر في خلالها بغير مظهر القوة والبطش فاقمعت كل ثورة ونكلت بمن ناواها تنكيلاً شديداً • والآن قام فقيه حامل الذكر وضع الشأن بنفر معدود من المستضعفين الجياع فتغلب على سراياها القوية المرة بعد المرة وما زال يتهددها ويستعد لمناواتها فلم يبق للعامة ريب في ان هذا الفقيه هو المهدي المنتظر وان نصره من الله فهاجروا اليه من كل فج • وقد انحاز اليه على الاخص : اهل البادية لانهم ميالون بالفطرة الى الحرب والسلب فرأوا عنده ما يوافق ميلهم خصوصاً وانه رفع عنهم الضرائب التي كانوا يتنون منها كما يتنا قبل • وتجار الرقيق لانهم رأوا الوازع قد ذهب واطلقت لهم الحرية في البيع

والشراء . وقطاع الطرق واللصوص لانهم وجدوا به ملجأ من العقاب . والعلماء والفقهاء لان القائم هو واحد منهم وقد قام ليحررهم من المصريين ويجعلهم حكاماً في مكانهم . وهكذا اتفقت الاحزاب على نصره وكثرت الوفود عليه حتى بلغ عدد انصاره في قدير نحو ٢٠ ألفاً فضلاً عن الذين اتوا وبايعوه وعادوا الى نصرته في بلادهم

﴿ بيعة المهدي ﴾ اما المبايعة التي كان الناس يبايعونه بها فهذه صورتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . أما بعد فقد بايعنا الله ورسوله وبايعناك على توحيد الله والآن نشارك به احداً ولا نسرق ولا نزني ولا نأتي ببهتان ولا نعصيك في معروف بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضى بما عند الله رغبة بما عند الله والدار الآخرة وعلى ان لا نفر من الجهاد وكانت هذه المبايعة على وجهين الاول باليد وهي ان يضع المبايع يده في يد المهدي جاعلاً ابهامه على ابهامه ثم يقرأ المهدي صورة المبايعة فيعيدها المبايع بعده . وان كانوا اكثر من واحد الى العشرين وضع واحد منهم يده في يد المهدي والتقى الباقون ايديهم فوق يديهما . والوجه الثاني المبايعة باللسان وذلك متى زاد المبايعون على العشرين فيرقى المهدي الى منبر أو يركب جملًا ويقف الناس امامه ويبايعونه

﴿ لباس المهدي ﴾ وكان يلبس جبة مرقعة فوق سراويل من الدمور ويتمنطق بمنطقة من خوص وعلى رأسه طاقية مكيّة يلف عليها عمامة كبيرة بيضاء مفلّجة كعمامة اهل الحجاز ويسدل لها عذبة على كتفه اليسرى طولها نحو نصف متر ويضع في عنقه سبجة وفي رجله حذاء أو نعلين . وهو لباس الدراويش المعتاد في السودان الذي فرضه على جميع اصحابه فعرفوا عند رجال الحكومة بالدراويش كما عرفوا ايضاً بالاشقياء . اما المهدي فقد اطلق عليهم اسم الانصار والاصحاب والاحباب في الله

﴿ حكومة المهدي ﴾ وقد تشبه محمد احمد بالنبي في جميع اعماله وجعل جلّ غايته اعادة الاسلام الى ما كان عليه في اول امره في زمن النبي فنظم حكومته على ما تقتضيه هذه الغاية في الجند والمال والقضاء

اما في « الجند » فانه قبل خروجه من أبا عين خلفاءه فجعلهم اربعة بعدد الخلفاء

الراشدين يتولون الامر بعده الواحد بعد الآخر اولهم عبد الله التعايشي خليفة ابي بكر الصديق والثاني علي ود حلو من عرب دغيم خليفة الامام عمر الفاروق والرابع محمد شريف ابن عمه خليفة الامام علي الكرار واما الكرسي الثالث اي خليفة الامام عثمان فقد خص به محمد السنوسي فرفضه كما مر فبقي فارغاً . وقسم جيشه الى ثلاثة اقسام فعقد لكل خليفة على قومه وجعل له راية خاصة فعقد للخليفة محمد شريف على انصار السودان الاوسط وهم انصار دقلة وبربر والخرطوم وسنار وضم اليهم الجلابة واولاد النيل وخصه بالراية الحمراء وعقد للخليفة علي ود حلو على عرب دغيم وكنانة وخصه بالراية الخضراء وعقد للخليفة عبد الله على جميع قبائل السودان الغربي كالنواحي والزبيقات والحمر وضم اليهم الجهادية واولاد الريف وخصه بالراية السوداء التي عرفت عندهم بالراية الزرقاء وكان من عزمه ان يخص السنوسي بالراية الصفراء ليجمع بذلك رايات الاقطاب الاربعة المار ذكرها في الكلام عن الصوفية . وقد ميز الخليفة عبد الله بالامباية التي يوق بها لجمع الجيش كله وجعله رئيساً عاماً على الادارة والجند وقدمه على الخليفين الآخرين لانه كان اقوى منهما في الجند واقدر على الادارة والتعلق لا سيما وانه هو الذي قواه على دعواه كما علمت

وكان لكل خليفة وكيل على رايته ودونه امراء ومقاديم ولكل امير راية خاصة غير راية الخليفة . ومما كان يكتب على الرايات

« بسم الله الرحمن الرحيم سطر . لا اله الا الله محمد رسول الله سطر . محمد المهدي خليفة رسول الله سطر . يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام سطر » . أو يا الله يا رحمن يا رحيم يا حي يا قيوم سطر . يا ذا الجلال والاكرام سطر . لا اله الا الله محمد رسول الله سطر . محمد المهدي خليفة رسول الله سطر . وكان لكل خليفة طبل كبير يعرف بالنقارة أو النحاس يضرب عند ارادة جمعهم للعرضة أو للحرب وكان المهدي يستعرض جيوشه في كل يوم جمعة فيجعلهم صفاً واحداً متجهين نحو القبلة كوقوفهم للصلاة اولهم الراية الزرقاء ثم الى يسارها الراية الخضراء ثم الراية الحمراء

ويعر عليهم رابك جواداً أو هجيناً من اول الصف الى آخره . وكان هذا دأبه الى يوم وفاته
واما في « المال » فقد انشأ له ادارة سماها بيت المال وحفظ فيه اموال الجند والعشور
والزكاة والغنائم والغرامات وعهد به الى صديق له يسمى احمد ود سليمان من اهالي
الحس وهو من اعز انصاره الاول . وانشأ فرعاً في بيت المال سماه بيت مال الحس
جعل فيه ما خصه من الغنائم

واما في « القضاء » فقد اسند منصبه الى الشيخ احمد ود جبارة من علماء
الازهر الذين صحبوه من جزيرة أبا ولقبه بقاضي الاسلام وجعل دونه قضاة ونواباً
كثيرين . اما القضاة فللحكم في المسائل الشرعية الاهلية واما النواب فللحكم في الغنائم
والحقوق المتعلقة ببيت المال

ولترك الآن محمد احمد في قدير يستعد للمستقبل ويث دعائه في الجهات
ولتظر فيما كان من الثورة في جهات السودان فنقول :

الفصل الخامس

في

﴿ وقائع الثورة في جزيرة سنار سنة ٢ - ١٨٨٣ م ﴾

﴿ حركة عامر المكاشف ﴾ تقدم ان مشايخ السودان وفقهاءه لما سمعوا بنصرات
محمد احمد على سرايا الحكومة اخذوا يهاجرون اليه من كل الجهات لتحقيق دعوته
ومبايعته . وكان اول من هاجر اليه من جزيرة سنار الشيخ احمد المكاشف من
كبار فقهاء الكواهلة وكانت الحكومة قد اصدرت منشوراً الى جميع الجهات تحذر
الناس من اتباع محمد احمد والمهاجرة اليه وهددت من يخالف الامر « بتصدير » ماله
ومعاقبة اهله في غيابه . فلما علمت حكومة سنار بمهاجرة الشيخ احمد المكاشف الى
المهدي اقلت القبض على اخيه عامر وزجته في السجن وحملته مالا يطيق قيل
فانقضى نفسه بمال وخرج من سنار وفي النفس حزازات واتي عرب رفاة الهوي

في غابة الكبوش جنوبي سنار وكان هؤلاء العرب بان قد تأخروا عن دفع الضرائب والحكومة مشددة عليهم في تأديتها فنأدى عامر المكاشف بهم باسم المهدي فلبوا نداءه واجتمع عليه نحو ٣٠٠٠ رجل منهم فزحف بهم على سنار وكان المدير عليها اذ ذلك حسين بك شكري (حسين باشا الآن) ومعه ١٥٠ جندياً ومدفع واحد ولم يكن للمدينة سور يساعدها على الحصار فوجد نحو ٢٠٠ رجل من المتطوعة وضمهم الى عساكره وخرج بهم ومعه المدفع لطرده المكاشف فلما بدأ القتال اطلق الطوبجية المدفع مرتين وفي الثالثة ادخلوا القنبلة فيه قبل الخرطوش فتعطل فاقض العرب على العساكر كالنسور واختلطوا بهم واعملوا فيهم السيف والحرية فقتلهم شر قتلة وألقوا المدفع في النيل وكان عليه الصاري محمد أغا النمر تلّب من الباشوزق الاتراك فقاتل قتال الابطال حتى قتل بجانبه . ورجع المدير بمن بقي من رجاله الى سنار فنزلوا في الذهبيات والمراكب ودخل عامر المكاشف المدينة وقصد الخزانة في ديوان المديرية وكان عليها ١٢ رجلاً من السود مع الملازم علي افندي توفيق المصري يحرسونها فدافعوا عنها حتى قتلوا عن آخرهم واستولى العرب على الخزانة وكان الملازم قد صوّب رصاصة على عامر المكاشف فاصابت فخذهُ فتشاءم العرب من ذلك فوضعوا الحراس على الخزانة وعادوا بعامر الى غابة الكبوش فعاد المدير الى المدينة بمن معه من العساكر والتجار وقتلوا حراس العرب واسترجعوا الخزانة ثم دخلوا قشلاق العساكر على النيل وتمصنوا به وقد جرى ذلك كله يوم الخميس في ٦ ابريل سنة ١٨٨٢ . فلما كان السبت اي ثالث يوم الواقعة تماثل عامر المكاشف من جرحه وعاد فهاجم القشلاق بانصاره فلم يقوَ عليه فدخل الشونة شمالي المدينة وأخذ ما كان فيها من السمن والملح والغلال والدمور وهو شيء كثير وحصر المدينة وقطع خط التلغراف بينها وبين الخرطوم . وكان المدير قبل قطع خط التلغراف قد تمكن من مخاطبة جيكر باشا بحال سنار فارسل جيكر امراً الى صالح الملك بالكوة فاتاها ورفع الحصار عنها بعد كفاح شديد واستخرج المدفع من النيل واعاد خط التلغراف بين سنار والخرطوم وذلك في صباح يوم الخميس في ١٣ ابريل . واما عامر المكاشف فانه

قرَّب من بقي من انصاره الى بركة تيقو وهي منهل مشهور في بطن الجزيرة وأقام فيها الى ان طرد منها بالقوة كما سيجي

﴿ حركة الشريف احمد طاهاً ﴾ وكان في جملة الذين استنفرهم محمد احمد فلبوا دعوته ورفعوا رايته الشريف احمد ود طاهاً من مشايخ الطريقة السمانية شرقي النيل الازرق بين أبي حراز ورفاعة فاجتمع حوله خلق كثير من البطاحين والشكرية والجعليين والدناقلة وغيرهم من سكان تلك الجهة . وكان جيكر باشا بعد ان ارسل امره الى صالح الملك لتجدة سنار خرج بنفسه من الخرطوم بمئتي نفر من الباشبوزق وطلب من القلابات ان ترسل نجدة لتوافيه الى أبي حراز فلما وصل قرب حلة الشريف المذكور بلغه امر قيامه بنصرة المهدي فأرسل عليه الملك يوسف من سناجق الشايقية معه مئة رجل من نظامية وباشبوزق فأحاط الشريف ورجاله بهم فقتلوهم شر قتلة ولا رأى الملك يوسف ما حلَّ برجاله افترش فروته فقتل عليها وذلك في اواخر ابريل ونجابهض العساكر الى جيكر فأخبروه بما كان فأقلع الى ابي حراز وانتظر حتى اتته التجدة من القلابات وهي اورطة من السود عليهم البكباشي سرور افندي بهجت قومنداناً و ٢٠٠ فارس من الشايقية فأرسل منها ٧٠٠ نفر من نظامية وباشبوزق ومدفعاً واحداً بقيادة سرور افندي لقتال الشريف فالتقاهم في الطريق وهزمهم شر هزيمة وغنم المدفع وكان ذلك يوم الخميس في ٤ مايو سنة ١٨٨٢

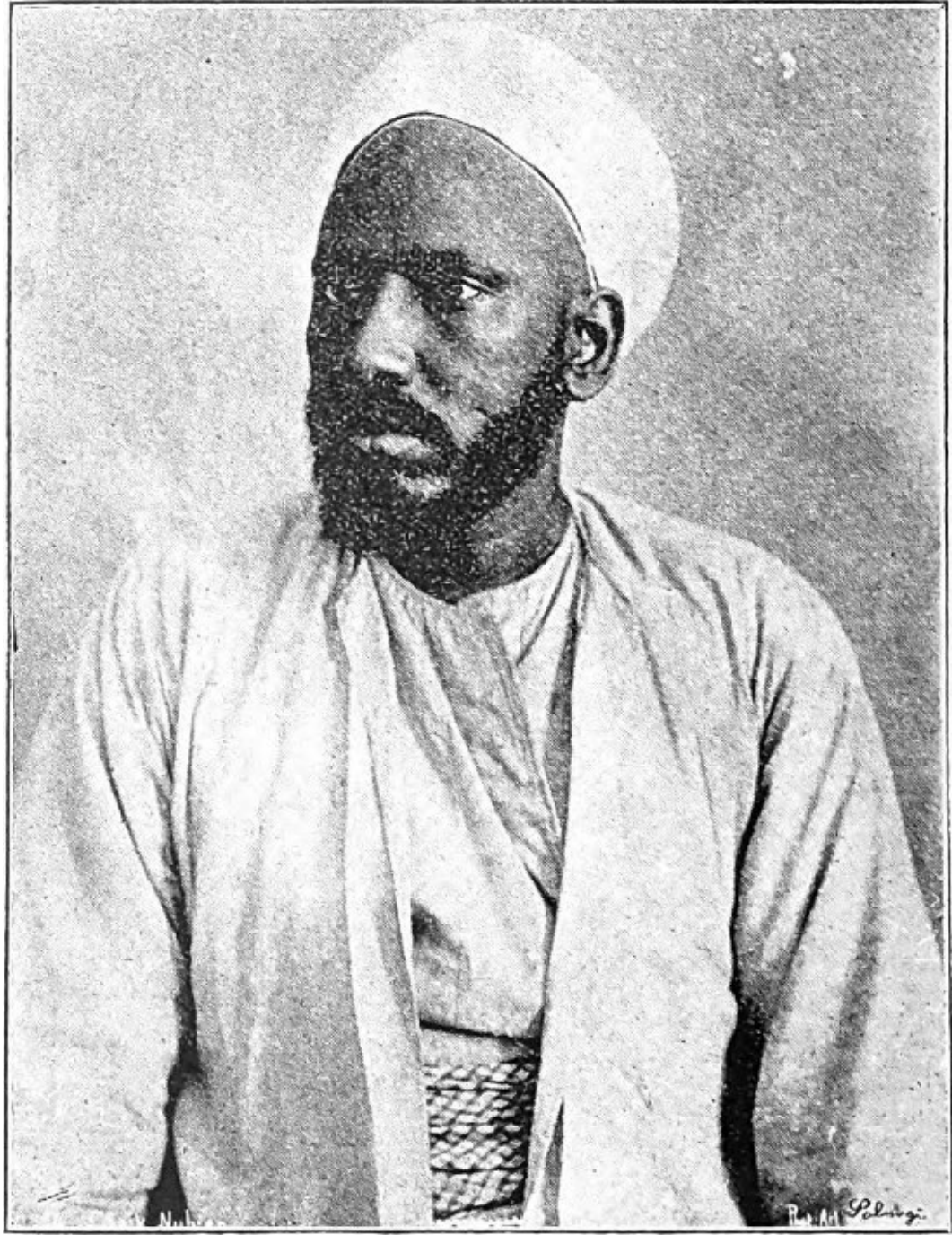
فأرسل جيكر اذ ذاك خبراً الى عوض الكريم بك ابي سن شيخ مشايخ الشكرية فحضر بجيش كبير من عربانه وكتب الى الشريف يقول « اني انصح لك ان تكف عن العداء وتحضر مسلماً فيعفى عنك والا فانج بنفسك واحقن دمك لانك شريف ولا نريد قتلك فاذا لم تفعل هذا ولا ذاك فلا تلم الا نفسك » فأجابه الشريف « دع عنك النصيح فاني اوقدت ناراً واريد ان اتدفأ بها » . فلما طلع فجر السبت في ٦ مايو جهز جيكر جميع من عنده من العساكر وارسلهم لقتال الشريف وسير الشكرية ورائهم فنادى شيخ الشكرية بالعساكر قائلاً : « ان من ولى ظهره خوفاً من الموت امامه لقيه مني ورائه » فساروا كلهم على عزم الموت أو النصر حتى

اتوا حلة الشريف فحمل عليهم بانصاره حملة رجل واحد فتلقتهم العساكر بالرصاص وكان الشريف راكباً جواداً وقد احتاطه نفر من انصاره فأجلاهم الرصاص عنه ثلاث مرات حتى تراكت القتلى حوله كالرثي ثم سقط هو فوقهم وخذل انصاره فتبعهم الفرسان ومزقوهم كل ممزق وحرقوا حلة الشريف بالنار وحملوا جثته على جمل واتوا بها الى ابي حراز فقطع جيكر رأسه وعلقه على عود وارسله الى الخرطوم فعلق فيها اياماً

✽ وصول عبد القادر باشا الى الخرطوم في ١١ مايو سنة ١٨٨٢ ✽

✽ تحصين الخرطوم ✽ وفي ١١ مايو سنة ١٨٨٢ وصل عبد القادر باشا الى الخرطوم فوجد الميرالاي حسن بك حلي معسكراً في ظاهر المدينة ومعه نحو خمسمائة جندي وثلاثة مدافع جبلية وليس حولهم متاريس ولا حصون ولا شيء من معدات الدفاع . ووجد اهل الخرطوم في غاية الخوف والجزع لقلة الجنود وخلو المدينة من كل تحصين مع وجود كثير من انصار المهدي حول المدينة متمخزين للوثبة عليها عند سnoch الفرصة فشرع في تحصينها وتجنيد العساكر فانشأ ثلاثة اورط من السود وغيرهم وباشر تمرينهم على الحركات العسكرية بنفسه واستدعى ست اورط من الجنود المنظمة من السودان الشرقي وخندق على المدينة فمد الخندق من النيل الازرق الى النيل الابيض وجعل عليه الابراج ووضع على الابراج المدافع والحراس فذهب كل خوف من قلوب السكان وتوطدت السكينة وانتشر الامن في الخرطوم وما حولها

✽ واقعة محمد زين ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ ؟ ✽ واتفق انه حين وصول جيكر الى سنار قام في ابي شوكة فقيه من التكارنة يقال له محمد زين ونادى باسم المهدي فالتفت حوله جموع كثيرة من عربان رفاة الهوي واخذ يستعد للزحف على سنار فعقد جيكر للسر سوارى علي أغا كاشف على نحو الف نفر من العساكر المنظمة والباشبورق وارسله الى ابي شوكة فقتل محمد زين وشتت شمله وعاد برأسه الى سنار ✽ واقعة تيقو ٤ يونيو ١٨٨٢ ؟ ✽ وعاد جيكر الى الخرطوم فوجد عبد



الشيخ المضوي عبد الرحمن

القادر باشا مشغلاً بتحسين المدينة فأخبره أن عامر المكاشف لم يزل مقيماً على
العداء في بركة تيقو فأمر صالح بك الملك فأخذ اورطة من العساكر المنظمة وسنجقين
من الباشوزق من سنار وسار إلى تيقو فأوقع في رجال عامر موقعة شديدة واضطره
إلى الانهزام ففر إلى المهدي في قدير وعاد صالح بك بالغنائم والأسرى إلى سنار
وكان بين الأسرى جماعة من أقارب عامر المكاشف فرفع صالح بك أمرهم إلى عبد
القادر باشا فأمر بشنقهم فشنقوا في سوق سنار

واتضح لعبد القادر باشا حينئذ خيانة بعض كتاب سنار ومعاونيها وتواطئهم على
الثورة مع عامر المكاشف فعزل جميع الكتاب والمعاونين وأرسل بدلاً منهم طقماً
جديداً من الخرطوم واستدعى الخونة وبينهم الزبير ود ضوه صاحب تاريخ سنار
المر ذكره ففرقهم في النيل الأبيض

هذا وكان قد وقع خلاف بين حسين بك شكري المدير وبين وكيله محمد
افندي جودت فعزلاً فأرسل عبد القادر باشا موسى بك شوقي مديراً على سنار
وجعل أحمد بك مكوار من كبار تجار سنار وكيلاً له . ثم لم يلبث أن حصل بينهما
منافسة ورفع الأمر إلى عبد القادر باشا فعزل موسى بك وسمى بساطي بك مديراً
على سنار مكانه وأرسل إليه خليل افندي فؤاد يوزباشي أركان حرب فساعدته على
تحسين المدينة فأحاطها بسور منيع جعل فيه المزاغل (الكوى) وحفر حوله خندقاً
بعمق ٣ أمتار وعرض مترين وجعل وراءه زرباً متيناً من شوك ووضع العساكر على
السور واستعد لكل طارئ مفاجئ

(الشيخ المضوي) ثم لم تكد تخمد نار الثورة في جزيرة سنار بطرد عامر
المكاشف من تيقو حتى كانت واقعة الشلالي وبث المهدي دعائه في الشرق والغرب
لإبادة الناس له وحشهم على القيام بنصرة الدين وقتال الحاميات العسكرية كما مر . وكان
في جملة الدعاة الذين أرسلهم إلى جزيرة سنار الشيخ المضوي عبد الرحمن من ذرية
الشيخ إدريس ود الأرباب المر ذكره في تاريخ سنار وهو من تلامذة الأزهري
النافعين وقد قاده التقادير إلى مصر سنة ١٨٩٠ فحدثني عن خبره مع المهدي في

ذلك الحين قال : اني بعد ان اتممت دروسي في الازهر ذهبت الى بلاد كركوج
في اعالي النيل الازرق فأقمت فيها حلقة للتدريس واشتغلت بالزراعة فلما ظهر محمد
احمد بدعواه لم احفل به ولكن لم يلبث ان انتصر على أبي السعود في جزيرة
أباثم على راشد بك في جبل قدير وكثرت اقوال الناس بمعجائبه وكراماته فاهتمت
اذ ذاك بامرهم وهاجرت اليه في جبل قدير لمشاهدته والوقوف على حقيقة حاله
فوجدت عنده جموعاً كثيرة ينيفون على ١٥ الف مقاتل من اخلاط الناس بينهم
عدد كبير من العلماء ورجال الدين الذين جاؤوه من شرق البلاد وغربها بالقصد
الذي جئت لاجله ووجدت العلماء معه فريقين فريقاً اعتقد او تظاهر بالاعتقاد
بانه المهدي المنتظر لا ريب فيه وجميع العامة من رأي هؤلاء وفريقاً قالوا انه
ساحر وانه انما فاز بالحرب بسحره لا بمهديته واما انا فقد رأيت منه اموراً حملتني
على الارتياح بامرهم : فأولاً اني رأيت يوثر اقاربه واخصاءه بالغنيمة على بقية
جيشه ولا يقسم بينهم بالتساوي كما يطلب الشرع . وثانياً اني رأيت بعض
انصاره نزلوا على تجار سائرين في تجارتهم فقتلوهم واخذوا اموالهم ووزعوها بينهم
ولم ينكر عليهم ذلك ولا قاصهم . وثالثاً اني رأيت يقول ان من انكر مهديتي
فقد كفر مع ان اركان الايمان في الاسلام التي اذا انكر الانسان ركناً منها
يعد كافراً هي ستة (وقد مر ذكرها) والايمان بالمهدي ليس منها . ورابعاً اني
لم أر فيه شيئاً من العلامات الاجالية التي أعرفها عن المهدي . ولكنني أردت التخلص
منه فأظهرت له الاعتقاد التام بمهديته واستأذنته في العودة الى اهلي لارضهم على
اتباعه والجهاد في سبيل الله فأجابني الى ذلك وجعلني عاملاً عاماً على جزيرة سنار
وأصبحني أميرين من اهل الجزيرة ليساعداني على الجهاد وهما « ود الصليحي » من
الفقهاء المعتقدين عند عربان رفاة الهوي « وود برجوب » من فقهاء اللخويين
فودعته وسرت في طريق سنار ومعني الاميران المذكوران وبعض الاصحاب . وفي
الطريق سألتني الاميران عن رأيي في المهدي فصرحت لهم برأيي فيه وقلت الاولى
بنا ان تثبت في مثل هذه الامور التي تلبس على الناس فان كان هذا الرجل هو

المهدي المنتظر كما يزعم فلا بد ان يظهر ولو قاومته الانس والجن وعند ذلك تتبعه على بصيرة وان كان كاذباً في زعمه سلمنا من شر الحروب والفتن فالرأي الآن ان تفرق الى اوطاننا حتى نرى ما سيكون من امره . وسرنا حتى وصلنا الجبلين على النيل الايض فوجدنا عربان رفاعة الهوي مجتمعين عنده الوفاً متلهفين لسماع اخبار المهدي وقد اقبلوا علينا يقبلون ايدينا وارجلنا ويتمسحون بنا تبركاً لانا من اصحاب المهدي فلما رأى اصحابي من العرب هذه المظاهر العظيمة قالوا لاشك ان محمد احمد هو المهدي وهذا نور المهدي قد ضاء في قلوب الناس وعقدوا مجلساً في ذلك الليل اجمعوا فيه على ان يقبضوا عليّ ويمنعوني السفر الى اهلي فأتى صاحب لي كان حاضراً المجلس وأخبرني بالذي نوا عليه فلما اصبحت ذهبت اليهم فرأيتهم متغيرين فقلت ما بالكم قد تغيرتم من نحوي ألا تعلمون ان الكلام الذي كلمكم به امس بشأن المهدي عليه السلام انما اقصد فيه اختباركم وسبر غوركم واتيقت صدق عقيدتكم لان الامر الذي نحن بصدد امر عظيم لا يقدم عليه الا كل رجل صلب العقيدة ثابت العزم قوي الجنان فسُرّي عنهم ما كان من قبلي وسمحوا لي بالسفر على وعد ان آخذ عائلتي من كركوج وارجع اليهم فأخذت عائلتي من كركوج وذهبت الى اهلي قرب الخرطوم فدعاني عبد القادر باشا وسألني عن المهدي فأخبرته بالواقع وبقيت الى ان كانت واقعة شيكان وانتضر المهدي على هكس باشا فقامت الارض وقعدت فلم يسعني اذ ذاك الا القيام بنصرة محمد احمد فكنت من جملة الذين حصروا الخرطوم » اه

ورد الصليحابي وواقعة الجبلين ﴿ هذا ما كان من المضوي . اما ود الصليحابي فانه رفع راية المهدي وضم تحتها عربان رفاعة الهوي وتبعه ود برجوب فشق على محمد مالك ابي روف شيخ عربان رفاعة الهوي انخياز قسم كبير من عربانه الى ود الصليحابي وخروجهم عن طاعته فابلق الخبر عبد القادر باشا في الخرطوم فجمع في الكوة جيشاً من عساكر الدويم وسنار فيه ١٠٠٠ من العساكر المنظمة و ٨٠٠ من الباشبورق و ٤٠٠ من عربان رفاعة الهوي ومعهم شيخهم محمد ابوروف وعقد لواءه للسعيد بك

حسين الجميعابي المار ذكره في تاريخ سليمان الزبير فسار بالجيش في البر والبحر حتى اتى الجبلين فانزل العساكر الى البر ونظم الجيش « مربعا » جاعلاً عريان محمد مالك ابي روف ضلعاً من اضلاعه فلقاهم ود الصليحي بمجموعه وانتشب القتال فثقلت نيران المربع على عربان ود الصليحي وكثر القتل فيهم فداروا حتى قابلوا ضلع مالك ابي روف فوجدوا رصاصه خفيفاً فدخلوا المربع من جهته وقيل ان مالكا ابا روف فتح لهم الطريق عمداً لانه رأى كثرة القتل فيهم وهم عربانه فشق عليهم فاختلفوا بالعساكر وقتلوا بهم حتى لم يبق منهم سوى ٥٠٠ رجل من نظامية وباشبوزق فقادهم السعيد بك الى الوابور وعاد بهم الى مركزه في الدويم فتحصن فيه وعاد ابوروف برجاله الى سناره وقد عرفت هذه الواقعة بواقعة الجبلين وكان تاريخها او اخر شعبان سنة ١٢٩٩ هـ واسط يوليو سنة ١٨٨٢

﴿ ود برجوب ﴾ اما عربان رفاة الهوي فانهم نفروا من ود الصليحي لانخذالم في بادئ الامر على يده فانحازوا الى ود برجوب وبقوا في الجبلين الى ان جاءتهم الطامة الكبرى من جيش هكس على ما سيحي

﴿ احمد المكاشف وسقوط شات ﴾ هذا وكان في جملة الدعاة الذين بشهم المهدي بعد واقعة الشلالى لناواة الحكومة في جزيرة سنار الشيخ احمد المكاشف اخو عامر المار ذكره فجمع العربان في الطريق ونزل على شات في ٨ اغسطس سنة ١٨٨٢ وكان فيها ٢٠٠ رجل من الباشبوزق عليهم السر سوارى مدني ود شنبول قتلهم عن آخرهم وغنم اسلحتهم وذخائرهم

﴿ واقعة الدويم الاولى ﴾ ونزل في وجهه على الدويم وكان السعيد بك لم يزل فيها وقد جمع الى الخمماية رجل الذين سلموا من واقعة الجبلين ٥٠٠ من الجعافرة المتطوعة وسلحهم بالاسلحة النارية وتحصن في طايتيه فلقى احمد المكاشف بنيران المدافع والبنادق وردّه على الاعقاب بعد ان قتل من جيشه ما زاد عن الالف وكان ذلك في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٨٢

﴿ عبد الباسط وواقعة الدويم الثانية ﴾ فلما رأى عربان الدويم انخذالم مع

احمد المكاشف هجروه فاجتاز النيل الايض وذهب الى سنار فالتقى عليها الحصار كاسيجي وولى عليهم المهدي رجلاً منهم يسمى عبد الباسط الجمري من مشايخ الطريقة السمانية وامره بمحصر الدويم ولما طال الحصار بعث عبد القادر باشا بجيكر من الخرطوم فاخذ عساكر الدويم وهاجم العربان في ديمهم فقتل منهم خلقاً كثيراً وشتتهم كل مشئت واخذ عبد الباسط اسيراً فاتى به الى عبد القادر باشا في الخرطوم فشقه وكانت هذه الواقعة في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٨٢

﴿ فضل الله ود كريف . وواقعة ام سنيطة ﴾ وفي هذه الاثناء ظهر في غربي الجزيرة قهيه يدعى فضل الله ود كريف فرفع راية المهدي وشهر العصيان وقطع خط التلغراف بين الكوة والمسلمية فارسل عبد القادر باشا امراً الى البكباشي حسن عثمان الكريتلي فخرج من الكوة بخمسمائة رجل من جهادية وباشبورق لقتال ود كريف فالتقاه في ام سنيطة على يوم ونصف يوم من الكوة فما انتشب القتال حتى دخل عرب ود كريف في عساكره واعملوا فيهم السيف والحربة فقتلوا نصفهم وهزموا الباقي الى الكوة وذلك في اواسط ديسمبر سنة ١٨٨٢

﴿ احمد المكاشف وحصار سنار ﴾ ثم ان احمد المكاشف بعد انهزامه من الدويم ودخوله الجزيرة هيج العربان فالتفت حوله جموع كثيرة فنزل بهم في حلة الحجاج مسيرة ست ساعات من سنار واخذ يستعد للزحف على سنار فلما علم به ساطي بك ارسل الصاغ حسن افندي حسني بخمسمائة من العساكر المنظمة فهاجمه في مركزه فتغلب المكاشف عليه وقتله وقتل مئة رجل من عسكره وتقدم بنحو ١٠ آلاف مقاتل لمهاجمة سنار ثم اجتمع عنها لمناعتها فنزل في مشرع الداعي على نحو ٢٠ ميلاً شمالي سنار والتقى عليها الحصار وقطع خط التلغراف وطريق البوسطة بينها وبين الخرطوم

﴿ واقعة معتوق ﴾ فلما رأى عبد القادر باشا اشتداد الخطب في الجزيرة عزم على مباشرة القتال بنفسه فخرج من الخرطوم في ٢ يناير سنة ١٨٨٢ واتى عبود عن طريق المسامية فجمع اليها نحو ١٦٠٠ من العساكر المنظمة و١٠٠٠ من الباشبورق

وتقدم الى ود كريف فالتقاءه عند غابة قرب معتوق فأوقع فيه واقعة شديدة وهزمه
ففرَّ الى حيث القت

﴿ واقعة الداعي في ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٣ ﴾ ثم اخذ يستعد لمحق احمد
المكاشف فجاء بجيشه الى الكوة فوجد فيها البكباشي حسن افندي عثمان السالف
الذكر ومعه ٧٠٠ من العساكر السود و ٤٠٠ من الباشبوزق فضمهم الى جيشه وارسل
الجميع بقيادة سليم بك عوني بطريق الجزيرة الى ود مدني ونزل في الوبور الى
الخرطوم فاتمَّ الشئون التي كانت تنتظره فيها ثم ركب النيل الازرق الى ود مدني
وقاد العساكر قاصداً احمد المكاشف في مشرع الداعي . فلما علم المكاشف بقدومه
وضع النساء والاولاد الذين في ديمه على بُعد مرمى الرصاص تجاه سنار وفي ايديهم
البيارق ليوهم أهل سنار انه قادم لحربهم فيشغلهم بانفسهم عن نصر عبد القادر ثم
اخذ انصاره وخرج الى ظاهر المشرع فلتقاه عبد القادر بنار حامية فصبر على ناره
٣ ساعات متوالية حتى قتل من جيشه الف رجل ونيف فانهزم الى جبلي سقدي ومويه
وقد اصاب عبد القادر رصاصة في جنبه فخطمت ساعته تحطيماً ولكنها لم تضر به
وجرح من عسكره ٢٧ رجلاً ولم يقتل احد . وعرفت هذه الواقعة بواقعة الداعي

وتاريخها يوم السبت في ١٦ ربيع آخر سنة ١٣٠٠ هـ ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٣
ودخل عبد القادر باشا سنار يوم الاثنين فعقد لصالح بك الملك على جميع
الباشبوزق الشايقية والاتراك وكانوا ينيفون على ١٢٠٠ رجل وامره بمطاردة احمد
المكاشف فقصده الى جبلي سقدي ومويه وأوقع فيه في ٢ مارس سنة ١٨٨٣
وهزمه شر هزيمة بعد ان قتل نحو ٦٠٠ من انصاره وفي جملتهم اخوه وصهره
فقطع رأسيهما وأتى بهما الى عبد القادر في سنار . اما احمد المكاشف فانه فرَّ الى ود
برجوب في الجبلين . واما اخوه عامر فانه بعد وصوله الى المهدي في قدير
أمره بالانضمام الى اخيه احمد الذي كان قد ترك قديراً فجاء يبحث عنه فالتقى
به في سقدي ومويه بعد انهزامه من مشرع الداعي فانهزم معه الى الجبلين
﴿ الحاج احمد عبد الغفار وواقعة التبنه ﴾ هذا وكان قد صاحب احمد المكاشف

من عند المهدي الحاج احمد عبد الغفار من عرب كنانة القاطن في جوار كركوج
فتركه في مشرع الداعي محاصراً سنار وأتى الى بلاده واخذ يحشد الجيوش لحصر
كركوج فلما عاد صالح الملك من مطاردة المكاشف اخذ عبد القادر باشا الجيش وزحف
على عبد الغفار فالتقاه في التبنه قرب الرصيرص فقتل من جيشه خلقاً كثيراً وشتت شمله
كل مشتت وكان ذلك في ٢٧ جماد اول سنة ١٣٠٠ هـ ٢٦ مارس سنة ١٨٨٣ م
وقد قتل في هذه الواقعة والوقائع التي تقدمتها عدد كبير من عربان رفاة الهوي فاغتم
لذلك الشيخ احمد عم الشيخ محمد ابي روف وقال لعبد القادر باشا « لقد افنيت الرعية
يطشك يا سعادة الباشا فدع عنك هذه المناوشات واقتل الديبة من رأسها » فأجابه
عبد القادر باشا « اذا لم نظفر برأسها يا شيخ العرب تقطع من ذنبها حتى ندرك
الرأس فنسحقه »

وهكذا نكّل عبد القادر باشا بزعماء الثورة في سنار واحداً واحداً وملاً قلوب
الاهلين رعباً وخوفاً واشتهر عندهم بالبطش والدربة وحسن السياسة وقد حصن
الحاميات في كل الجهات وخمل علماء الخرطوم على نشر الرسائل في تكذيب محمد
احمد وضيق عليه وعلى انصاره المسالك فهو هو الرجل الذي كان يصلح للسودان
حينئذٍ ولكن قيل ان بعض الحساد وشوا به فاتهموه بارادة الاستقلال في البلاد
وقبلت وشايتهم فاستدعي الى مصر وُسْمِي علاء الدين باشا حاكماً على السودان
مكانه كما سيحي

وكان عبد القادر باشا قد ارسل صالح بك الملك الى فامكه لكشف خبرها
فترك باقي العساكر بقيادة الميرالاي سليم بك عوني وعاد الى مصر وعاد سليم بك
الى سنار بعد ان ابقى حامية من العساكر في كركوج لحفظ خط الاتصال بين سنار
وفامكة وبقيت هي وحامية فامكة الى ان عادة الثورة فعادت الى سنار على ما سيحي
هذا ما كان من الثورة في جزيرة سنار فلتقدم الآن الى ما كان منها في
كردوفان فنقول:

الفصل السادس

في

﴿ وقائع الثورة في كردوفان سنة ٢ - ١٨٨٣ م ﴾

﴿ المكي ودابرهم في دار حمر ﴾ كان اول من ثار على الحكومة في كردوفان المكي ودابرهم من مشايخ حمر هاجر الى المهدي في قدير فبايعه ورجع منه اميراً على قومه في ١٠ جمادى الاولى سنة ١٢٩٩ هـ ٣٠ مارس سنة ١٨٨٢ م فوجد البكباشي تنظيم افندي مع نفر من العساكر المنظمة والباشبوزق يجمع الضرائب من دار حمر فحرض قومه على عدم دفعها وطرده تنظيم افندي من الدار

﴿ حامد ود السنجق وسقوط أبي حراز ﴾ فلجأ الى ابي حراز حيث كان محمد آغا رحمة الشايقي محافظاً مع نفر من العساكر فوجد البديرية اهل تلك الجهة قد تجمعوا على شيخهم حامد ود السنجق في منزل المشقة على نحو ساعتين من أبي حراز وحصروا البلدة فخرج عليهم العساكر واهل البلدة في ٩ ابريل سنة ١٨٨٢ فردوهم على اعقابهم وتبعوهم الى أبي حراز فاعتصم العساكر في ديوان الحكومة والاهالي في الجامع فحصروهم في المكانين المذكورين فلما أرخى الليل سدوله فرّ العساكر الى الايضا فدخلوها الاثنين في ١٠ ابريل وبقي اهل البلدة محاصرين في الجامع ثلاثة ايام حتى اشتد بهم العطش والجوع فسلموا

﴿ واقعة البركة في ١٨ مايو سنة ١٨٧٣ ﴾ وسرى روح الثورة الى الحوازمة والغديّات فاجتمعوا على حامد ود السنجق حتى بلغ انصاره نحو العشرين الفا قتل بهم في منزل البركة فجهز سعيد باشا مدير الايضا سرية من العساكر فيها ٤٠٠ من الجهادية و ٦٠٠ من الباشبوزق و ٨٠٠ من المتطوعة وعقد عليها للبكباشي تنظيم افندي وكان على المتطوعة عمرود دفع الله من الابطال المدودين فسارت السرية بهيئة «مربع» المتطوعة ضلع منها والحملة في الوسط فخرج عليهم العرب ودخلوا المربع من جهة المتطوعة واشتغلوا بنهب جمال الحملة فصوبت العساكر اذ ذاك نيران بنادقهم اليهم

والى الحملة معاً ففتكوا بهم وقتلوا منهم الف رجل ونيفاً وهزموهم شر هزيمة واستولوا على
 المنهل المذكور وكان ذلك الخميس في ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٩ هـ ١٨ مايو ١٨٨٢ م
 في خراب اسحف في ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ هـ ثم ان المكي ابراهيم صاحب
 حادثة حمر حشد جيشاً من عربانه وزحف على اسحف وهي نقطة عسكرية على ١٠
 اميال غرب بارة وفيها السر سوارى محمد أغا شبو محافظاً مع ٢٠٠ رجل من الباشبوزق
 والنور عنقرة المار ذكره متقاعدًا والشيخ عثمان حامد عمدة البلدة وجابر أغا الطيب
 ناظر القسم فخرجوا لقتال المكي ابراهيم بهيئة « مربع » جاعلين البلدة في الوسط
 فكان كل منهم مع رجاله في جانب من المربع فاخترق المكي ود ابراهيم صفوفهم
 ودخل المدينة ونهبها واحرقها وقد نجا النور عنقرة ببعض اتباعه الى بارة وكان معه
 الخماس « المنصورة » الشهير المار ذكره في تاريخ الفور فتركه غنيمة للثائرين وآل بعد
 ذلك الى الخليفة عبد الله فاتخذهُ نحاساً له . اما محمد أغا شبو فانه نجا بعساكره
 بعد كفاح شديد ودخل بارة الخميس في ٧ رجب سنة ١٢٩٩ هـ ٢٥ مايو ١٨٨٢ م
 في السمانى وواقعة بارة في ١٧ يونيو سنة ١٨٨٢ هـ وبعد واقعة اسحف حضر
 رجل لحاوي يدعى السمانى من قبل المهدي فاتحد مع المكي ود ابراهيم واخذ يستعد
 للزحف على بارة وكان في حاميتها اذ ذاك ٩٠٠ رجل من نظامية وباشبوزق
 بقيادة الصاغ سرور بهجت فاستقدم سعيد باشا العساكر من البركة وارسل الى بارة
 ١٦٠٠ من العساكر النظامية والباشبوزق مع البكباشي محمود حسن فدخلوها في
 ٦ يونيو سنة ١٨٨٢ هـ . وكان سعيد باشا في بدء الاضطراب في كردوفان قد ارسل
 يطلب المدد من الخرطوم فارسل اليه عبد القادر باشا ٤٠٠ من العساكر المنظمة
 و١٦٠٠ من الباشبوزق بقيادة البكباشي محمد الفولي فوصلوا بارة ثاني يوم وصول
 النجدة من الايض فاجتمع في بارة نحو ٥٠٠٠ رجل من نظامية وباشبوزق وكان في
 الايض الميرالاي علي بك شريف (مدير دارفور قبل سلاطين باشا) متقاعدًا
 فجاء قومنداناً عليهم واخذوا يستعدون للدفاع . وكان على حامية بارة زريبة من
 شوك فشرعوا في حفر خندق من داخلها وقبل ان يتموه حضر السمانى بجيوش

لا اعداد لها فتلقاهم العساكر بالمدافع والسواريج والبنادق ففتكوا بهم فتكاً ذريعاً وهزموهم شر هزيمة فخرجوا من الخندق في اثرهم يقتلونهم حتى اخرجوهم من اكناف بارة وقد قتل منهم في هذه الواقعة نحو ٥٠٠٠ رجل

وتجمع الباقون في منهل شتوره غربي بارة فكتبوا الى المهدي عما جرى لهم فأرسل اليهم عبد الله ود النور من اخص عماله فتولى قيادتهم وعاد معظم المدد الى الايض وبقى البكباشي محمود حسن بعسكره فلما علم بمقر العرب خرج عليهم فطردهم منه فزلوا في منهل ابي سنون فأرسل سعيد باشا تنظيم افندي من الايض مدداً له وزحفاً معاً على ابي سنون فافقوا بعبد الله ود النور ففر الى منهل البركة وكتب الى المهدي عما اصاب انصاره من الفشل في البركة وبارة وشتوره وابي سنون واستحثه على القدوم الى كردوفان بنفسه قبل ان تخمد حمية العرب ويرجعوا عن نصره وكان سعيد باشا قد بعث يطلب المدد من عبد القادر باشا فارسل اليه نصف اورطة جهادية من سنهيت وسبعة سناجق من الباشبوزق بقيادة البكباشي باشا حماد وصحبهم محمد باشا امام الملقب بالخبير حاملاً مدداً من الذخائر الى الفاشر فدخلوا الايض في اواسط يونيو سنة ١٨٨٢

في المنّة ود اسماعيل وسقوط الطيارة في ٦ اغسطس سنة ١٨٨٢ وكان في جملة الذين عاهدوا المهدي على الجهاد في كردوفان المنّة اسماعيل شيخ قبيلة الجوامعة فحشد نحو عشرين الفا من عرب بانه وهاجم حامية الطيارة وكان للحامية خندق عظيم ومتراس وحولها زرب من شوك ولكن لم يكن فيها من العساكر سوى ١٣٥٠ رجلاً من جهادية وباشبوزق وعليهم اليوزباشي محمد الشافعي قومنداناً فصدوا هجوم المنّة مرتين وطلبوا المدد من سعيد باشا فوجه اليهم خليل اغا السنجق ومعه ٦٠٠ من العساكر الجهادية والباشبوزق ومدفع واحد ولكن قبل وصول المدد الى الحامية هاجمها المنّة اسماعيل ثالث مرة مستقلاً فأخذها عنوة واعمل في اهلها السيف والحرية فلم ينج منهم الا اليسير. وكان ذلك في ٢١ رمضان سنة ١٢٩٩ هـ ٦ اغسطس سنة ١٨٨٢م وفي اليوم التالي انقلب المنّة على العساكر الآتين من الايض فقتلهم عن

آخرهم وارسل البشار الى المهدي في قدير وعبد الله ود النور في البركة وقطع خط
التفراف والبوسطة بين الايضا والخرطوم واقام في الطيارة منتظراً الامر
وكان في خورسي نحو ٣٠٠ رجل من الباشبوزق مع احمد اغا الشايقي فلما كانت
واقعة الطيارة ارسل اليهم سعيد باشا فأتوا بارة في ١٦ اوجسطوس سنة ١٨٨٢ ولم
يق في كردوفان الى هذا العهد سوى حاميتي الايضا وبارة وحامية صغيرة في
جبل الدن ومجموعها كلها ٨٧٥٠ رجلاً من نظامية وباشبوزق

وكان سعيد باشا منذ حادثة أبي حراز قد شرع في تحصين الايضا فحفر حولها
خندقاً واقام من ترابه متراًساً واحاطه بزرية من شوك ووضع عليه العساكر وفرق
الاسلحة على اهل البلد وجعلهم على الخندق مع العساكر. هذه كانت حال كردوفان
لما اتاها المهدي غازياً من قدير وهاك تفصيل غزوته :

الفصل السابع

في

﴿ وقائع المهدي في كردوفان سنة ٢ - ١٨٨٣ م ﴾

﴿ غزوة المهدي للايضا في ٢٨ يوليو سنة ١٨٨٢ ﴾ وكان للمهدي في
الايضا انصار اهل ثروة ووجاهة اخصهم الياس باشا ام برير الجعلي النفيعابي وهو
من اكابر التجار وقد تولي مديرية الايضا مدة ثم عزل عنها قيل لاشترائه سرّاً في
حركة سليمان الزبير وكان بينه وبين احمد بك دفع الله من اعيان التجار ضغائن
شخصية شديدة وانحاز سعيد باشا المدير الى احمد بك فاشتد حنق الياس باشا عليهما
ولم يكن يقوى عليهما مع الحكومة فانحاز الى المهدي للانتقام منهما وانفذ رسله سرّاً
الى المهدي بقدير فحثه على مهاجمة الايضا واكد له النصر وذلك قبل واقعتي راشد
والشلاي لكن المهدي شعر من نفسه اذ ذاك بالعجز عن اتخاذ خطة الهجوم فاكتفى
بث الدعاة لتهيج الناس على الحاميات كما مر. ثم كانت واقعة راشد ثم واقعة الشلاي
وكثرت الوفود اليه حتى ضاقت به بلاد قدير وتحتم عليه النزوح الى بلاد اوفر خيراً

واكثر اتساعاً وكبرت نفسه لتوالي النصر عليه فتطلب الهجوم بدل الدفاع وكان الياس
باشا لم يزل يستحثه على مهاجمة الايضا وقد وثق المهدي به حتى انه ارسل اليه
اسماعيل العمرابي من قدير بالذهب والفضة التي غنمها من راشد والشلالي فباعها
وارسل اليه ثمنها ومهد له السبيل داخل الايضا وخارجها وكان عبد الله ود النور قد
كتب اليه يستعجله الى كردوفان كما مر فاجتمعت له هذه الاسباب كلها على غزو الايضا
فلما كان اليوم الثاني عشر من رمضان سنة ١٢٩٩ هـ ٢٨ يوليو سنة ١٨٨٢ م
خرج غازياً الايضا بجميع من كان معه من الجيوش الا العواجز والمرضى واصحاب
الاعذار فانه ابقاهم في جبل قدير عند محمود عبد القادر احد اقاربه الذي استعمله
على دار هجرته وابقى عنده المدافع والاسلحة النارية التي غنمها من المصريين لانه لم
ير داعياً الى اخذها . وكان معه من الجيوش نحو ٢٠ الفاً قليل خرج بهم من قدير
وهم لا يعلمون الجهة التي يريدونها حتى اتوا جبل الجراة فقال لهم « ان سيد الوجود
امرني بالتوجه الى كردوفان فان الترك فيها آذوا المسلمين وضيقوا عليهم » ثم كتب
من هناك الى عامله عبد الله ود النور انه قادم بجيشه الى غزوة الايضا وامره بان
يجمع رجاله ويقابله بالقرب منها . وسار من جبل الجراة فنزل بمجل يدعى اللخنة
واقام به ثلاثة ايام وفيه امر بقتل شخصين لانهما قتلا نفساً بريئة . ثم سار حتى
نزل بحجر أم لوبه وقد كان عند خروجه للسفر صائماً رمضان والناس معه صائون
حتى وصل الى هذا المكان فأفطر وامر الناس فأفطروا . ثم استطرد السير في بلاد
النوبة فنزلت الامطار في الطريق وفرغت ازواد جيشه فجاعوا وتعبوا فسار ببطء
ومشقة حتى أتى البركة فوجد عبد الله ود النور في انتظاره بنحو عشرة آلاف مقاتل
فأقام في البركة اياماً للراحة . ثم زحف بجيشه على الايضا فنزل في منهل كبا على
سنة اميال الى الجنوب الغربي من المدينة وذلك يوم الجمعة في ١٧ شوال سنة ١٢٩٩ هـ
١ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م وكان قد كتب للمنة اسماعيل ليوافيه اليها من الطيارة فمكث
في كبا في انتظاره وارسل فرسانه لاستطلاع الايضا
ثم انتدب رجلين من اصحابه وهما محمد المغربي وود جلي الزبادي وارسلهما

بكتابين الى الايض احدهما الى سعيد باشا ورؤساء الجيش والآخر الى سكان المدينة من علماء واعيان وتجار وغيرهم دعاهم فيها الى التسليم وحقن الدماء متهدداً اياهم بالقتل اذا لم يسلموا فدخل الرسولان المدينة وكل منهما متقلد سيفه وحربته فسلما الكتابين الى محمد سعيد باشا فجمع الضباط والعلماء والاعيان وأمر بأن يتلى عليهم الكتابان ثم سألهم عن رأيهم فيها فقال الضباط لا رأي لنا الا الحرب اما التجار والاعيان والعلماء فانهم لم ينطقوا بمنت شفة ولكن لاحت على وجوههم سمات الميل الى المهدي الا احمد بك دفع الله فانه انتصب في المجلس وقال اما انا فقد اخترت الحرب مع الجند والدفاع الى آخر نسمة من حياتي . ثم التفت سعيد باشا الى الباقين وقال وانتم ما الذي أجمعتم عليه فبقوا صامتين ولما الح عليهم في الجواب قالوا نتشاور في بيوتنا ثم نجيبكم وكان الياس باشا قد فاز باستمالة معظم الاهلين الى حزبه فاجمعوا على الفرار الى المهدي وقد علم احمد بك دفع الله ذلك منهم وحرّض المدير على حبسهم فلم يصغ اليه خوفاً من وقوع الفشل في الحامية فان الياس باشا وسائر التجار والاعيان كان لهم سلطة نافذة على الاهلين وكان عند كل منهم من ١٠٠ رجل الى ١٥٠ رجلاً مسلحين بالاسلحة الكاملة فكان يطاولهم حتى تتسنى له الفرصة فينكل بهم الواحد بعد الآخر فأذن لهم في الانصراف فانصرفوا الى منازلهم . وخرج من المجلس فرأى الرسولين قد اجتمع عليهما نفر من العساكر والاهلين وهما يكلمانهم ببذاءة واستخفاف ويقولان لهم « ايها النصارى الكفار سوف تقتلكم وننكل بكم كما فعلنا بمجردتي راشد والشلالي » فانغاط سعيد باشا والضباط من بذاءتهما وطلبوا من العلماء الاقتاء بقتلها فأبوا قائلين ان الشرع لا يسمح بذلك فاصراً الضباط خصوصاً اسكندر بك قائم مقام العساكر على قتلها فشنقا على الزاوية الجنوبية الشرقية من السور وفرسان المهدي الذين ارسلهم لاستطلاع الايض تنظر اليهم من بعيد . وقد اراد الضباط بقتل الرسولين ان يستخفوا بقوة المهدي ويلقوا الرعب في قلوب الاهلين الذي عولوا على اللحوق به . ولكن قتلها لم يؤثر شيئاً في ما نواه الاهلون فانه ما خيم الظلام حتى اخذوا يتسللون من خط النار ثلة بعد ثلة ويأتون الى المهدي في كابا وفي مقدمتهم الياس باشا وقومه

والحاج خالد العمرابي وجرجي استامبولي الحلبي من اعيان التجار ومحمد باشا امام
المار ذكره حتى لم يبق في المدينة من الاهلين سوى احمد بك دفع الله واتباعه
وعدددهم ٤٠٠ رجل فيهم ابن خالته عبد الله ود ابراهيم وابراهيم ود عدلان والمرسلين
النساويين وهم ثلاثة رهبان وخمس راهبات ولهم كنيسة

وكان في الحامية من العساكر ثلاث اورط نظامية من المصريين وخمسة عشر
سنجقاً من الباشبوزق الشايقية والاتراك والمتطوعة في كل سنجق من ١٠٠ رجل
الى ١٥٠ رجلاً وجملة العساكر نحو ٦٠٠٠ رجل ولم يكن عددهم كافياً لحماية السور العظيم
الذي اقاموه في بدء الحصار فلما علموا بقدوم المهدي لمهاجمة الايضا شرعوا في حفر
خندق مربع داخل السور العظيم على قدرهم فاشتغلوا فيه الليل والنهار حتى اتوه
وجعلوا فيه القشلاق ومحل الذخيرة وديوان المديرية والشونة وجعلوا وراءه زرباً
متيناً من شوك واقاموا عليه خمسة ابراج برجاً في كل زاوية و برجاً في وسط الضلع
الشرقي تجاه مركز المديرية واصطف العساكر الجهادية والباشبوزق على الاضلاع هكذا:

- ١ . البكباشي محمد الفولي ومعه نصف اورطة جهادية و ٣ سناجق على الضلع الشمالية؛
 - ٢ . البكباشي محمد نظيم ومعه اورطة جهادية و ٩ سناجق على الضلع الجنوبية؛
 - ٣ . البكباشي باشاحاد ومعه نصف اورطة جهادية و ٤ سناجق على الضلع الشرقية؛
 - ٤ . البكباشي محمود حسن ومعه اورطة جهادية وسنجقان على الضلع الغربية؛
- ووقف احمد بك دفع الله برجاله على الضلع الشمالية مع محمد الفولي ومكثوا

ينتظرون هجوم المهدي ومعه الملازم يوسف منصور ضابط بوليس الايضا
واقعة الايضا في ٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ هـ اما المهدي فانه لما علم بقتل الرسولين
واصرار العساكر على الحرب صمم على الهجوم وامر اصحابه بالاستعداد ووصل
المنة اسماعيل فامره بالنزول في خور طقت تجاه الزاوية الشمالية الشرقية من الاستحكام.
ولما كان فجر يوم الجمعة في ٢٤ شوال سنة ١٢٩٩ هـ ٨ سبتمبر سنة ١٧٨٢ جمع
جيوشه فصلى بهم الصبح ثم خطب فيهم خطبة حماسية وحثهم على الجهاد وقال
« ان ابواب الجنة مفتوحة للشهداء فاذا استشهد احدكم في هذا الجهاد تأتبه الحور

العين من الجنة بجامات من الفضة والذهب وتسقيه اطيب الشراب وتحمله الى حيث اعد له ما لم تره عين ولا سمعت به اذن ولا خطر في بال انسان» ثم حذرهم من الفرار وامرهم بالهجوم هكذا : الشيخ المنه اسماعيل الذي نزل في خور طقت والقاضي احمد ود جبارة من الزاوية الشمالية الشرقية وفرسان البقارة من الزاوية الشمالية الغربية وهو مع خلفائه ومعظم جيوشه من الزاوية الجنوبية الشرقية قال لي ضابط حضر الواقعة «قدّر عدد جيوش المهدي في هذا اليوم بنحو ٥٠٠ ألف مقاتل فيهم ٢٠٠٠ فارس وكلهم مسلحون بالسيوف والحراب فلما تقدموا نحونا ارتفع غبارهم حتى سدّ الافق وسمع صوت مشيهم كأنه هدير بحر عجاج ثم اطلوا فحسبنا الارض قدماجت فاجتازوا الخندق الخارجي وهم سكوت ولما اقتربوا من الخندق الداخلي صاحوا كلهم بالتهليل والتكبير صيحة واحدة دوت لها الارض وحملوا على الحامية بالترتيب المشار اليه حملة رجل واحد فتلقاهم العساكر بنيران المدافع والسواريج والبنادق وامطروا عليهم من الرصاص ما كاد يحجب الشمس فحصدتهم النيران حصداً ولكنهم لم يزالوا يقتحمونها بجراة وثبات غير مباين بالموت والعساكر توالي رميهم بكرات المدافع ورصاص البنادق حتى سدّ الدخان الفضاء فتمكن نفر منهم من الدخول على العساكر في الخندق من طرف الضلع الشرقية عند الزاوية الجنوبية الشرقية التي هاجمها المهدي وخلفاؤه وكان سعيد باشا اذ ذاك يراقب القتال من سطح ديوان المديرية فلما رآهم دخلوا الخندق اسرع فأخذ جانباً من العساكر من كل ضلع وتعقبهم فقتلهم عن آخرهم ثم ارجع العساكر الى محلاتهم على خط النار . اما العربان المهاجمون للزاوية الجنوبية الشرقية فلما رأوا اخوانهم قد دخلوا الاستحكام ظنوا ان الحامية اصبحت في يدهم فصالحوا صيحة النصر وحملوا على الحامية يرومون اختراقها فتلقتهم نيران العساكر اشد من قبل فردتهم على اعقابهم ودام القتال من صلاة الصبح الى الظهر وقد حمى على العساكر حديد البنادق فتوقّوه بطرايشهم ليتمكنوا من مواصلة اطلاق النار ومع ذلك لم يزل العرب يوالون الهجوم الكرة بعد الكرة حتى صاروا اذا ارادوا التقدم داسوا اخوانهم القتلى فعادوا اذ ذاك عن الحامية بالخزي والخسران وقد

قدرت خسارتهم بعشرة آلاف الى اثني عشر ألفاً وفيهم القاضي احمد ود جباره قاضي الاسلام المتقدم الذكر ومحمد وعبد الله شقيقا المهدي والشيخ ادريس شاعره وعبد الله التيجاني كاتبه وامين ختمه ونحو خمسين رجلاً من عشيرته . وخاب امل محمد باشا امام بالمهدي بعد هذا الانكسار واشتد به الاسف على الحيانة التي ارتكبا بالفرار من الحكومة التي شرفته برتبها ووظائفها فشرب سماً ومات بعد الواقعة بقليل . واما خسارة العساكر فلم تزد عن ٣٠٠ رجل . وفرّ المهدي ناكصاً على عقبيه مع باقي جيشه الى كابا فأقام فيها حائراً ذليلاً منكسر النفس

ولو عمل سعيد باشا بمشورة احمد بك دفع الله وخرج للمهدي على اثر هذا الانكسار ربما كان اخمد انفاسه ومحي ذكره ولكنه خاف ان يخرج من الاستحكام فيحتله المنة اسماعيل الذي رجع الى خورطقت فلم ير الخروج من الاستحكام رأياً . وقد امر عساكره ثاني يوم الواقعة فابعدوا جثث القتلى عن الخندق وشرعوا في تحصينه فزادوه عمقاً واقاموا له سوراً من طوب وفتحوا فيه المزاغل ومتوا الزرية فاصبحوا في « حصن » منيع

اما المهدي فقد قيل ان خليفته التعايشي اشار عليه بالرجوع الى قدير ولكن الياس باشا ثبتته ودله على حصار الابيض والتضييق عليها الى ان يضطرها الى التسليم نظراً لقلة اقواتها وعدم المدد «

﴿ حصار الابيض ﴾ وفي ضحى الاثنين قال المهدي لاصحابه « امرني سيد الوجود بمحاصرة مدينة الابيض الى ان يسلم اهلها او يهلكوا جوعاً » . ثم خرج من كابا فزل قرب الابيض على بعد مرمى قبلة منها بمحل يدعى الجزارة فيه آبار غزيرة تعرف بالعشر فرسم ديماً واحتل وسطه وانزل خلفاءه من حوله وبعدهم الامراء فكبراء الجيش فعامته وقد بنوا بيوتاً من قش واقاموا على حصار الابيض . وكان المهدي قد اخبر اهل المدينة في الكتاب الذي ارسله اليهم ان يخرجوا اليه بابنائهم ونسائهم ويتركوا امتعتهم واموالهم في منازلهم قال « لان الملائكة تحرسها لهم فلا يمسه احد حتى تفتح المدينة فيعودون اليها فيجدونها كما تركوها ، ففعلوا كما

قال لهم وكان العساكر عند خروجهم مشغولين بحفر الخندق كما مر فكانوا يذهبون الى المنازل بالتناوبة ويحملون منها كل ما وجدوه من حبوب وامتعة واموال وقد وجدوا في بيوت بعض التجار مطامير ثمينة من الذهب والفضة والحلى فاقتسموها بينهم . وبعد الواقعة امر سعيد باشا العساكر فانتشروا في احياء المدينة وجمعوا كل ما استطاعوا جمعه من الغلال والمؤن . ثم ان اهل المدينة الذين فروا الى المهدي لما رأوا ان الملائكة لم تحرس منازلهم كما اخبرهم المهدي صاروا يأتونها خلسة بالجمال فيحملون ما استطاعوا حمله ويعودون الى ديم الجزيرة فلما درى العساكر بهم اخذوا يتعقبونهم ويقتلون من ظفروا به منهم فاقتطعوا عن المجيء ولكن عربان المنة اسماعيل لم يزالوا يتسللون ليلاً وينهبون المنازل حتى منعهم المهدي

﴿ تسليم حامية الدان في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م ﴾ وكان المهدي قبل قيامه من البركة ارسل الملك عمر من فقهاء التكرانة بسرية من الانصار الى جبل الدان وكان فيه بلوك من العساكر السود لمنع تجارة الرقيق وكنيسة للمرسلين النمساويين فيها قسيسان احدهما الاب اوهرولدر المشهور واخان وثلاث راهبات فاضطروهم الملك عمر الى التسليم ونهب الكنيسة وخربها وساق الجميع الى المهدي في الجزيرة وكان تسليمهم في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢

﴿ ظهور نجم ذي ذنب ﴾ وفي ٢٨ من هذا الشهر ظهر في سماء السودان نجم ذو ذنب كبير قيل امتد في السماء كشرع السفينة وكان يطلع كل يوم قبيل الفجر ويمتد حتى يخفيه نور الشمس وبقي على ذلك اياماً . وفي خرافات اهل السودان ان ظهور مثل هذا النجم شؤم على البلاد فحسبه انصار المهدي شؤماً على الحكومة وبالحقيقة انه كان شؤماً كبيراً على الفريقين

﴿ تسليم بارة في ٥ يناير سنة ١٨٨٣ ﴾

ولما استقر المهدي في معسكر الجزيرة ارسل المنة اسماعيل والامير رحمة ود منوف الجامعي بعربانها لاختد بارة وكان في بارة اذ ذاك اورطة نظامية ونحو ٢٤٠ رجلاً من الباشبوزق عليهم الصاغ سرور افندي بهجت قومنداناً ومعه النور عنقرة

المر ذكره . وكان سعيد باشا قد ارسل بعد واقعة الايض الى عبد القادر باشا يعلمه بالنصر ويسأله المدد فأرسل اليه عبد القادر باشا الامير الالاي علي بك لطفي المشهور بأبي كوكَّه على اورطتين من العساكر النظامية و ٧٥٠ رجل من الباشبوزق فتلقاهم الامير رحمه في مكان يدعى «كو» ود جفون» مسيرة يوم من بارة وكانوا عطاشاً تُعاني فقتل منهم ما ينيف على الف رجل وغنم بنادقهم وذخائرهم وكان في جملة القتلى الاستاذ السيد احمد الازهري ابن الولي اسماعيل الكردي وفاني المشهور الذي صحبهم على ان يكون شيخ الاسلام وقاضي عموم غرب السودان . وفر من سلم منهم فطاردهم رحمه المذكور حتي قربوا من بارة فتلقاهم المنه اسماعيل واصبحوا بين قوتين فبلغ الحامية أن العرب يحاربون النجدة فخرج النور عنقرة ببعض العساكر ففرق العرب عنها وفتح لها طريقاً فدخلت بارة في ١٠ الحجة سنة ١٢٩٩هـ ٢٣ سبتمبر ١٨٨٢ وكان في الحامية دتقلاوي يقال له احمد ود مالك يود الخروج الى المهدي لانه من جنسه فاتفق مع المحاصرين ثاني يوم وصول النجدة فاضرم النار في بعض البيوت القريبة من الشونة والذخائر حتي اشغل العساكر ففرّ مع نفر من اهله وفي الوقت نفسه هاجم العرب الحامية من الجهات الاربع فاشتغل بعض العساكر في اطفاء النار وثبت البعض الآخر على القتال فردّوا العرب على اعقابهم . وفي اليوم التالي خرج النور عنقره ليلاً بالعساكر وباغت المنه اسماعيل في معسكره فقتل من جيشه وغنم وعاد الى بارة * وكان سلاح انصار المهدي الى هذا العهد السيف والحربة فلما نزل المهدي لحصر الايض رأى ان السيف والحربة لا يفنان بالغرض فاستحضر الاسلحة النارية من قدير فوزعها على اصحابه وارسل جانباً منها الى محاصري بارة فضيقوا على اهل الحامية ومنعواهم من الخروج ودام هذا الحال اياماً حتي فرغ زاد العساكر فاكلوا الحمير والكلاب والجلود وقد فرغت ذخائرهم او كادت فعقد الضباط والسناجق ومعهم النور عنقرة مجلساً للنظر في أمر نجاتهم فرأوا انهم اذا بقوا محصورين هلكوا جوعاً واذا خرجوا فان قصدوا الايض فالايض يحصرها المهدي وقومه وان قصدوا الخرطوم فهي بعيدة منهم والطريق معطشة

فاذا نجوا من المحاصرين لم ينجوا من العطش فاقرّوا على التسليم وخافوا اذا سلموا للمنة
اسماعيل ان يسيء معاملتهم اخذوا بثاره فكتبوا الى المهدي يسألونه ان يرسل اليهم
اميراً للتسليم عن يده فارسل اليهم عبد الرحمن النجومي بجيش كبير فسلموا
له في ٢٥ صفر سنة ١٣٠٠ هـ ٥ يناير سنة ١٨٨٣ م فجاء بهم النجومي وبالمحاصرين
الى ديم الجنزارة فقابلهم المهدي بجيش كثيف واطلق ٢١ مدفعاً اعلاناً للنصر
ثم تقدم اليه النور عنقرة وجميع الضباط والسناجق فبايعوه فطيب خاطرهم
وعين لهم محلاً في المعسكر فاقاموا فيه . وقد فرج عنه فتح بارة بعض الغم الذي
ناله من انكساره في واقعة الايض

﴿ عود الى حصار الايض ﴾ وكان المهدي لما استحضر الاسلحة النارية من
قدير انشأ راية جديدة ضمّ تحتها جميع الجهادية السود الذين كانوا في اسره وجعل
عليها حمدان أبا عنجه اميراً فضيقوا على الايض وقعدوا لها في كل مرصد
اما حمدان ابو عنجه فهو عبد من المنضلة اي العبيد المولدين في بلاد البقارة وقد
خدم في جيش الزبير في بحر الغزال ثم في جيش ابنه سليمان ولم يسلم مع سليمان ولا فرّ
مع راج بل بقي في دار التعايشة فقبض عليه محمد زقل مدير داره في ذلك الحين
وزجّه في السجن ثم خرج من السجن وبقي في بلاد التعايشة الى ان ظهر المهدي
فهاجر اليه وبايعه ودخل في راية التعايشي وعلم المهدي بسالته وتعوده على ادارة
الاسلحة النارية فجعله اميراً على الجهادية كما تقدم . وكان ابو عنجه يأخذ رجاله
ويختبئ بهم في منازل الايض المهجورة ويترصد العساكر فكما لاح واحد منهم
رماه بالرصاص حتى قتل عدة منهم وفيهم البكباشي باشا حماد قومندان الضلع الشرقية
قد اصابته رصاصة وهو جالس عند باب ديوان المديرية مع سعيد باشا فخر قتيلاً .
وفي آخر الشهر الرابع من الحصار نفذ الزاد من الحامية واشتد الجوع على العساكر
حتى صار فرسانهم يخرجون الى اطراف معسكر الدراويش فيخطفون منه القوت او
يذهبون الى حلة ابي صفيّة قرب الاستحكام فيأتون منها بالكوريب للتقوت به
فتنه المحاصرون لذلك فوقفوا لهم بالمرصاد واحرقوا الكوريب . ودام الحصار على

هذا الحال حتى ملّ العساكر واشتد بهم القحط فاكلوا ما عندهم من الخيل والحبر والكلاب والمهرة والفيران ثم شرعوا في اكل الصمغ . وقد غلت الاسعار اذ ذاك غلاءً فاحشاً حتى بلغ ثمن اردب الذرة نحو ٣٠٠٠ ريال والحمار ٥٠٠ ريال والفرخة ٤٠ ريالاً والبيضة ريالاً والفار ريالين ورطل البن ريالين ورأس السكر ٥٠ ريالاً . ولما بلغ الباعة في معسكر المهدي غلاء الاسعار في الحامية الى هذا الحد صاروا يأتون اليهم سرّاً بالزاد فيبيعونه لهم باثمان فاحشة حتى اتصل الخبر الى المهدي فاصدر امره الى الكافة بمنع ذلك بتاتاً وتهدد من يخالف الامر بقطع يده ورجله من خلاف . فضاق الامر بالعساكر وبلغت المجاعة حدّها حتى صار البعض ينبشون اوكار النمل ويخرجون منها الحب للتقوت به والبعض ياكلون جلود الاسرّة والاحذية وكلما ذُبجت ماشية اجتمعوا عليها افواجا يختطفون دمها تسكيناً لحرارة الجوع واجتزاءً به من القوت وفوق هذا الجوع الذي اصابهم انتشر فيهم مرض فقر الدم والديزنتاريا فمات منهم من ١٠ : ٢٠ في اليوم . ولما اشتد بهم الحال الى هذا الحد اخذوا يتسللون من الحامية واحداً واحداً الى معسكر المهدي وكان في جملة الذين خرجوا للمهدي فراراً من الجوع ابراهيم ود عدلان فكان له في المهديّة شأن يذكر

✽ تسليم الايض في ١٩ يناير سنة ١٨٨٣ ✽

وكان سعيد باشا يتفقد العساكر على خط النار ليلاً ونهاراً ويثبتهم على الحصار وهو لم يزل يعلّل نفسه ويعلّلهم بقدوم النجدة من الخرطوم فلما سقطت بارة جاء بعض رجالها قريباً من الاستحكام ونادوا بالعساكر قائلين ان بارة سلمت والنجدة التي كانت آتية لاتقاذكم قد اهلكها العرب في الطريق ومن بقي منها سلم مع حامية بارة فلم يصدقوا ما كانوا يسمعون حتى دخل عليهم في ١٠ يناير سنة ١٨٨٣ ضابط من ضباط بارة واخبرهم بما كان من سقوط الحامية وهلاك المدد الآتي من الخرطوم وحدثهم عن الثورة في سنار والثورة العراية في مصر فسقط هذا الخبر على الحامية كصاعقة هددت قواهم وقطعت رجاءهم

ثم ان المهدي لما رأى كثرة اللاجئين اليه فراراً من الجوع وعلم تمام الحال التي



جرجي اسطبوليه

صارت اليه الحامية صمم على الهجوم واستعد له فبلغ ذلك جرجي استامبولي التاجر
 المار ذكره فشفق على اهل الحامية وعلى الاخص قسس الكنيسة لانهم اصحابه
 فذهب الى المهدي وسأله ان يمهله ريثما يذهب الى الحامية ويخاطب اهلها بشأن
 التسليم فأجاب المهدي سؤله فأتى ليلاً الى قرب الاستحكام ونادى طالباً مقابلة
 الضباط فجاءه علي بك شريف الميرالاي واسكندر بك القائمقام والبكباشي محمود
 فأخبرهم بالذي عزم عليه المهدي والحل عليهم بالتسليم فعقد الضباط مجلساً للنظر في
 ذلك فقال سعيد باشا اني افضل ان اتقي النار في البارود واحرق الحامية كلها على
 ان اسلم لهذا الدجال الحقير وكذلك قال احمد بك دفع الله ولكن سائر الضباط
 والسناجق قالوا ليس من الحكمة ان نهلك انفسنا وانفس العساكر الذين في عهدتنا
 فاذا لم نسلم بالرضى فالمهدي لا بد انه يهاجمنا ويأخذنا بالرغم ولم نعد قادرين على
 صدّه اليوم كما صدّدناه بالامس اذ لم يبق للعساكر قوة على حمل السلاح فضلاً
 عن استعماله بل اذا لم يهاجمنا المهدي هلكننا من الجوع والمرض وقد ذهب منا الآن
 نحو النصف وانقطع رجاؤنا بالمدد من الخرطوم . وعليه فلم يبق لنا رأي غير التسليم
 لاسيما وانا اذا سلمنا بقي لنا امل في النجاة اذ الحكومة لا تترك المهدي وشأنه بل
 لا بد لها من تجريد الجيوش لسحقه ويكفيننا ولائاً لحكومتنا اننا حاربنا في سبيلها على
 قدر جهدنا وحافظنا على شرفها الى آخر رفق منا . ثم كتبوا كتاباً الى المهدي فاعتذروا
 عما مضى وطلبوا العفو والخروج لمبايعته وامضى الكتاب علي بك شريف الميرالاي
 واسكندر بك القائمقام وباقي الضباط والسناجق وعرضوه على سعيد باشا فأمضاه
 على الرغم وكذلك فعل احمد بك دفع الله ثم دفعوا الكتاب الى جرجي استامبولي
 فحمله الى المهدي وكان ذلك مساء الخميس في ١٨ يناير سنة ١٨٨٣ وقد طلبوا ان يكون
 التسليم صباح اليوم الثاني ونهبوا على العساكر في الخط اذا رأوا الدراويش مقبلين
 ان لا يطلقوا عليهم البنادق بل يتقدموا اليهم مسامحين
 فلما وصل كتاب التسليم من الحامية الى المهدي كتب اليهم في الجواب ما يأتي :
 « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

« وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الى كل من اقبل على الله بالحجة وسلم
لامرنا ونهينا من الحكم والضباط والفقراء والمساكين الذين بالققرة (الحصن)
« انكم كنتم في امر الترك ونهيتهم صادقين وباذلين انفسكم واموالكم لغير الله
بلا منافع تعود لكم عند الله وترفعكم في الدار الآخرة فكيف اني داعيكم الى الله وما
يرفعكم عنده ويعود عليكم بالخير الدائم والنعيم السرمدي وبما انكم عاقلون وتعلمون
ان ما كان لغير الله سلمتم فيه فسلموا امركم لي لاني لا أريد لكم الا ما يرضي الله
ورسوله ويديم الخير السرمدي فما دام فعلي مما يعود لكم فمن باب اولي انكم تسلمون
لامري ونهيي بانفسكم واموالكم واولادكم من غير تهمة بل بحجة وصداقة بما اني ولي
امر الله لكم وخليفة رسول الله فيكم والسلام »

فلما جاءهم هذا الكتاب اطمأنوا . ويوم الجمعة في ١٩ يناير سنة ١٨٨٣ م خرج
اهل الحامية جميعاً بابنائهم ونسائهم مسلمين . فخرج المهدي في ضحى ذلك اليوم
من مسجده وعليه الدرع والمغفر ومعه خلفاؤه وسائر اصحابه فتلقاهم بقرب الخندق
الكبير المحيط بمدينة الابيض وجلس على الارض كجلوسه للصلاة . ثم تقدم اليه
محمد باشا سعيد وعلي بك شريف واسكندر بك واحمد بك دفع الله و باقي الضباط
والسناجق فبايعوه الواحد بعد الآخر باليد ثم بايعه العساكر مشافهة . قيل فلما
تقدم محمد سعيد باشا لمبايعته كان يده خائماً من الماس فأخرجه المهدي من يده
ثم دفعه له في كفه واطبق يده عليه مشيراً الى ان لبسه ممنوع واجلسه الى جانبه
وحوله الضباط والسناجق . ثم التفت اليه ولامه على قتله رسوله وشكر الله لانه
اخرجهم من الظلمات الى النور ثم امرهم بالانصراف والاقامة في محل خاص
عينه لهم بلصق ديمه وامر امين بيت المال فرتب لهم من الزاد ما فيه كفايتهم
وقوام امرهم على حسب احوالهم وأخذهم الى المحل الذي أعد لهم فخلعوا عنهم
الثياب العسكرية فوضعوها في بيت المال لتستخدم للرقع والبسوهم الجلب المرقعة .
وكان العساكر قد خاروا من الجوع فهرعوا الى السوق في طلب الطعام فاكلوا
بشره زائد حتى مات الكثير منهم من كثرة الاكل

اما المهدي فانه دخل الايضا ومعه خلفاؤه وامراؤه ونزل في ديوان المديرية
وانزل خلفاءه وامراءه في منازل الضباط والسناجق وبقي ديم الجزارة على حاله
ثم امر امين بيت المال وعماله بجمع الغنائم فجمعوا الاثاث والامتعة ولمالم يجدوا
فيها شيئاً من النقود والحلى نادوا ضباط الحامية وسناجقها واحداً واحداً وسألوهم عن
قودهم وحلالم وبدأوا بسعيد باشا فانكر امواله وكان قد خبأ ٧٠٠٠ جنيهاً في
صندوق وجعله في حائط منزله ولم يكن يعلم به الا جارية له فاعترفت به فقبوا
الحائط واخذوه . ثم استنطقوا باقي الضباط والسناجق والموظفين ليدلوهم على الاماكن
التي اخفوا فيها اموالهم ومن انكر اعملوا به السياط وعذبوه حتى اعترف به او مات
نحت الضرب كما جرى لاحمد شلي وكيل اشغال المديرية فانهم جلدوه بالسياط
الى ان مات ومحمد المليجي متعهد « سلخانة الميري » فانهم ربطوه برجليه ودلوه
في البئر حتى اعترف بماله . وقال الاب روسينيولي احد القسس النمساويين المار ذكرهم
« لما دخل العرب الحامية كنت في الفراش مريضاً بفقر الدم فدخل بعض الدراويش
عليّ فكسروا الصلبان والصور واحرقوها ثم تقدموا اليّ وشرعوا يضربونني بحدّ
السيف ويقولون اين مالك يا كافر قلت كان عندي الف ريال وهي كل ما املك
فاقرضتها لسعيد باشا فوزعها على العساكر ثم التفتوا فراؤا القبر الذي دفن فيه الاب
لوزي فظنوه مالا مدفوناً فنبشوه فراؤا جثة بالية فجمعوا عليها ما وجدوه من ورق
الدخان واحرقوها به واما انا فأخذوني مع رفاقي الى ديم الجزارة وضمونا الى جماعة
كنيسة الدن » . وبذلك جمع امين بيت المال مبالغ وافرة من النقود والحلى
ولكن لم يدخل بيت المال سوى ١٤٠٠٠٠ ريال اخذوها من الضباط والسناجق
وغيرهم ٧٥٠٠٠ ريال من خزينة المديرية . فأفرز المهدي الخمس منها لنفسه وجعل
الباقى في بيت المال لينفق على الانصار

ثم امر فجمعت الاسلحة النارية التي كانت مع العساكر وفي حامية
الايضا فضمها الى ما غنموه من واقعتي راشد والشلاي فاجتمع عنده ١٦٤٠٠
بنديّة و١٣ مدفعاً و٧ سواريج وشي . كثير من الذخائر . واجتمع عنده من عساكر

الحكومة نحو ٥٠٠٠ من مصريين وسود فجعل السود في راية حمدان ابي عنجه
وسلحهم بالاسلحة النارية والمصريين في راية حسن حسين احد المصريين المولدين
في السودان ولم يسمح لهم بسلاح غير السيوف والحراب

وبقي انصار المهدي في ديم الجنزارة اياماً بعد التسليم ثم اشتعلت نار في الديم
فالتهمته كله لانه كان مبنياً بالقش كما مرّ فاذن المهدي اصحابه اذ ذاك في سكنى
الايض فاتسعت اتساعاً عظيماً الى كل الجهات اما اسرى الايض فانه ابقاهم في
المكان الذي عينه لهم في الديم القديم

وبعد هذه الحريقة بعشرة ايام اتى الخليفة عبد الله الى معسكر الاسرى وجلس
في خيمة الحاج خالد العمرابي المار ذكره فدعا اليه سعيد باشا وعلي بك شريف
ونظيم افندي والصاغ محمد جمعة من رجال تنظيم واحمد بك دفع الله ومحمد ياسين
ناظر قسم بارة. وعثمان آغا سليمان ومشلي آغا حسين وكلاهما من سناجق الايض
وجعل كل اثنين منهما في عهدة شيخ من مشايخ العربان المخلصين لهم واوعز اليهم
سراً ان يقتلوهم فجعل سعيد باشا ومحمد جمعة في عهدة الشيخ اسماعيل ود الامين
شيخ الغديّات. وعلي بك شريف ونظيم افندي في عهدة الشيخ نواي شيخ الحوازنة.
واحمد بك دفع الله ومحمد ياسين في عهدة الشيخ مادبو احد مشايخ الرزيقات. وعثمان
سليمان ومشلي حسين في عهدة الشيخ مكي ود ابراهيم شيخ عربان حمر فذهب كل
شيخ بفريسته الى بلده وقتلها فماتوا مأسوفاً عليهم من كل حر. وسيبقى اسمهم محفوظاً
في التاريخ بالتجلة والاكرام ما ذكر حصار وناح حمام

هذا وقد اختلف الرواة في السبب الذي حمل المهدي على قتل هؤلاء الرؤساء
والذي عليه الاكثرون وذكره سلاطين باشا في كتابه «السيف والنار في السودان»
ان هؤلاء الرؤساء كتبوا تقريراً الى عبد القادر باشا ذكروا فيه الاسباب التي حملتهم
على التسليم وختموا التقرير ورفعوه الى رسول ليوصله الى الخرطوم وكان في جملة
الذين ختموا التقرير الملازم يوسف منصور وكيل بوليس الايض والقائم مقام محمد
بك اسكندر فخاف يوسف منصور ان يقع التقرير في يد المهدي فينتقم منهم جميعاً

ففى اليه ووقع على قدميه وأخبره بما جرى ورأى في طريقه محمد بك اسكندر فاقعه ان يفعل مثله ففعل فأرسل المهدي في الحال في أثر الرسول فقبض عليه واخذ التقرير منه وشاع حينئذ ان النبي ظهر للمهدي واخبره بهذا التقرير . واغتم المهدي تلك الفرصة للانتقام من الذين قتلوا اخويه وخذلوه في وقعة الابيض فنفاهم ثم قتلهم وعفان يوسف منصور واسكندر بك وجعل الاول منها قومنداناً على المدافع وقد قابلت اسكندر بك ويوسف منصور في أم درمان سنة ١٨٩٨ م فانكرا هذه الرواية وقالوا ان المهدي كان حاقداً على الضباط لقتل اخويه وخذلانه في وقعة الايض ولم يعلم الضباط المشار اليهم كيف يتقون نقمته بل زادوه نكايه بعدم العناية به والاستخفاف بأمره . وذكر احدهما تفصيلاً لذلك وصدق بعض الرواة قال : كان المهدي في يوم جمعة بعدة الصلاة يذكر الضباط في جامع الايض وكان سعيد باشا جالساً الى يساره معرضاً عنه ويده اليمنى على خده فأمسك المهدي يده وازاحها عن خده وقال بماذا تتأمل يا محمد سعيد انا اذكرك بالله ورسوله واليوم الآخر وانت معرض عني اما ان لك ان ترجع الى الله وتترك الدنيا وهمومها وتنظر في أمر آخرتك فنهض اذ ذاك سعيد باشا وتأفف ونفض ثوبه في وجه المهدي وانصرف من المجلس مغضباً فاتقبض وجه المهدي وهباً انصاره طالبين القبض على سعيد باشا فأمرهم بتركه وقال لهم لا تعجبوا من نزقه وحقاقته فأنتم تعلمون انه كان بمقام عزيز من مقامات الدنيا ونزع هذا المقام من طالب الدنيا شديد على النفس

ثم انصرف المهدي الى منزله وعقد مجلساً مع خلفائه ومجلس شورا بشأن محمد سعيد فأجمعوا على سجنه وتكيله بالحديد فأخذوه الى ديوان المديرية ووضعوا قيدا من الحديد في عنقه ومكبة في رجله وربطوه في طريق المارة وكان سمينا قصيرا فلقبوه بجراب الفول فكانوا كلما مرؤا به نادوه اي جراب الفول هذه ثمرة عنادك وعاقبة انكارك المهدية . وقد اراد المهدي بحبسه وتشهيره على هذه الصورة ان يذل نفسه ويخضع كبرياءه ولكنه لم يزدد بذلك الا انفة وكبرا وكان ينظر الى معذبيه ومهينيه نظر المترفع الجلود ولسان حاله ينادي :

لا تحسبن يا دهرُ اني ضارعٌ لنكبةٍ تعرقني عرق المدي
مارست من لوهوت الافلاك من جوانب الجوّ عليه ما شكى
قالوا فلما رأى المهدي منه هذا الاصرار عقد مجلس شوراهُ فأقرّوا على قتله هو
ومن كان على شاكلته من الضباط والسناجق فسلموهم الى المشايخ المتقدم ذكرهم
فقتلوهم شر قتلة رحمة الله عليهم

هذا وما انتشر خبر سقوط الابيض حتى هرع الناس اليها افواجا لمبايعة المهدي
واشهر الدين اتوا اليه « عثمان دقنه » أتاه من سواكن فسماهُ اميراً على جميع
البيعة في السودان الشرقي فكان من اعظم انصار المهدي واشد اياديها وسيأتي تفصيل
خبره . وكان قد ارسل بعد واقعة الشلالى الشيخ مادبو المار ذكره اميراً على دارفور
فكان له فيها من الشأن ما سنذكره بالتفصيل . وبث المهدي كتبه ومنشوراته في
شرق البلاد وغربها مبشراً الناس بما ناله من النصر ومحرضاً اياهم على شق العصا والاجتماع
على عماله في الجهات أو المهاجرة اليه وحذرهم من ترك الجهاد أو البقاء على الحياد
وكان راجح الزير اذ ذاك لا يزال في بلاد الفراتيت ومعه جيش قوي فكذب
اليه يستحثه على الرجوع الى السودان والانضمام اليه للجهاد في سبيل الله فلم يجبه
ثم كان أهم ما سعى اليه ضم كلمة السنوسي الى كلمته ليستعين به على غرضه
ويتهدد مصر فلما لم يجبه على كتابه الاول عاد فكتب اليه كتاباً آخر بتاريخ ٥ رجب
سنة ١٣٠٠ هـ ١٢ مايو ١٨٨٣ م وارسله اليه مع طاهر اسحق الزغاوي الى جنوب
وفيه بين له كيفية تجلّي المهدي عليه من النبي كما يئنه في منشوره العام الى « احبابه
في الله » وذكرناه بحرفه وقال :

« واعلم يا حبيبي قد كنا ومن معنا من الاعوان ننتظر لك لاقامة الدين قبل حصول
المهدي للعبد الذليل وقد كاتبناك لما سمعنا باستقامتك ودعايتك الى الله على السنة النبوية
وتأهبك لاهياء الدين ونجتمع معك ولم ترد لنا المكاتبة واظن ذلك من عدم وصولها
اليكم حتى اني ذاكرت جميع من اجتمعت معه من اهل الدين والشيخ والامراء
المشهورين فأبوا ذلك لهوان الدين عندهم وتمكن حب الوطن والحياة في قلوبهم وقلة

توحيدهم حتى بايعني الضعفاء على الفرار بالدين واقامته على ما يطلب رب العالمين
وقعت نفوس من بايعناه من الحياة الدنيا لما يرون للدين من الممات . ولا زال المبساكين
الذين لم يبالوا بالله بما فاتهم من المحبوب يزدادون وفيما عند الله يرغبون حتى هجمت
المهدي الكبرى من الله ورسوله على العبد الحقير فأخبرني سيد الوجود (صلعم) بأني
المهدي المنتظر وخلفني عليه الصلاة والسلام على كرسيه مراراً بحضرة الخلفاء الاربعة
والاقطاب والخضر عليه السلام . . . ولا زال التأيد يزداد من الله ورسوله وأنت منا
على بال حتى جاءنا الاخبار فيك من النبي (صلعم) انك من الوزراء لي ثم ما زلنا
نتظرك حتى أعلمنا النبي الخضر عليه السلام بأحوالكم وبما أنتم عليه ثم حصلت حضرة
عظيمة عن النبي (صلعم) فيما خلفه من اصحابه من اصحابي فاذا اجلس احد
اصحابي على كرسي ابي بكر الصديق واحدكم على كرسي عمر وأوقف كرسي عثمان
قال هذا الكرسي لابن السنوسي الى ان يأتاكم بقرب أو طول وأجلس أحد اصحابي
على كرسي علي رضوان الله عليهم ولا زالت روحانيتك تحضر معنا في بعض الحضرات
مع اصحابي الذين هم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . وختم كتابه بقوله :
« فاذا بلغك جوابي هذا اما ان تجاهد في جهاتك الى مصر ونواحيها ان لم
يسلموا واما ان تهجر الينا ولكن الهجرة احب الينا كما علمت من فضل الهجرة من
زيادة الثواب والمقابلة ان تيسرت وعلى كل حال ترد الينا منك الافادة بما سيصير
اليه عزمك من جهاد أو هجرة ومثلك تكفيه الاشارة » اه

فلم يجبه السنوسي على كتابه بل قال للرسول شفاهاً « قل لمحمد احمد اننا كلانا
لا نسوي التراب الذي كان يطأه عثمان بن عفان »

وأمر المهدي بعد فتح الابيض بقتل اثنين من اعظم انصاره وهما المنة اسماعيل
المر ذكره وعجيل ود الجنقاوي من كبار مشايخ الرزيقات لمنافسة حصات بينهما وبين
التعايشي فساء قتلها جميع الناس وكثر الطعن على التعايشي وقومه سرّاً وجهراً وكان
التعايشي وزير المهدي وقائد جيشه وعيبة سره فخوفاً من حصول الفشل في انصاره
اصدر منشوره الشهير بتاريخ ١٧ ربيع اول سنة ١٣٠٠ هـ ٢٦ يناير سنة ١٨٨٣ م

في فضل التعايشي ومكانته في المهديّة وأمر الناس بطاعته كنفسه وحذرهم من الطعن عليه سرّاً أو جهراً . وهذه صورة المنشور :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم »
 « وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله اعلماً منه الى كافة عباد الله المؤمنين بالله وبكتابه أما بعد اعلموا ايها الاحباب أن الخليفة عبد الله خليفة الصديق المقلد بقلائد الصدق والتصديق فهو خليفة الخلفاء وأمير جيش المهديّة المشار اليه في الحضرة النبوية فذلك السيد عبد الله ابن السيد محمد حمد الله عاقبه في الدارين فحيث علمتم ذلك يا احبابي أن الخليفة عبد الله هو مني وأنا منه وقد أشار اليه سيد الوجود (صلعم) فتأدّبوا معه كتأدّبكم معي وسلموا اليه ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي وصدقوه في قوله ولا تتهموه في فعله فجميع ما يفعله بأمر النبي (صلعم) أو باذن منا لا بمجرّد اجتهاد منه ولا هو عن هوى بل هو نائب عنه في تنفيذ امره (صلعم) والقضاء بشارته فان فعله بكم وحكمه فيكم بحسب ذلك واعلموا يقيناً ان قضاءه فيكم هو قضاء رسول الله (صلعم) كما قال الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً فمن كان في صدره حرج لاجل حكمه فذلك لعدم ايمانه وخروجه من الدين بسبب غفلته وذلك بشاهد قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ولا شك في شرك من استنكف عن حكم الله ورسوله سيما بقوله (صلعم) ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الخفي الخ الحديث مع انه خليفة الصديق وأول المصدّقين في المهديّة فانظروا لمكانة الصديق عند الله ورسوله بنص القرآن العظيم وانظروا لمكانة من أورثه الله مكان الصديقين واورثه بالباطن بالخضر عليه السلام فهو مسدّد مؤيد من الله ورسوله ويد من ايادي الله لنصر دينه بآشارة سيد الوجود (صلعم) وقد ورد في فضله كثير . فحيث فهمتم ذلك فالتكلم في حقه يورث الوبال والخذلان وسلب الايمان . واعلموا أن جميع افعاله واحكامه محمولة على الصواب لانه

أوتي الحكمة وفصل الخطاب ولو كان حكمة على قتل نفس منكم أو سلب أموالكم فلا تعرضوا عليه فقد حكمة الله فيكم بذلك ليظهركم ويزكيكم من خباثت الدنيا لتصفى قلوبكم وتقبلوا إلى ربكم ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسي جزماً فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ويخشى عليه من الموت على سوء الخاتمة والعاذ بالله لأنه خليفة الصديق الذي قال الله في حقه اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وقال (صلم) ان أمن الناس علي في الصحبة أبو بكر وقال عليه السلام ما طلعت شمس على احد بعد النبيين أفضل من أبي بكر • وحيث علمتم ذلك فهو بمنزلة الآن لان اصحابي كأصحاب رسول الله وهو خليفتنا في الدين وخلافته بأمر من النبي فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ومصدقاً بمهديتي فليسلم للخليفة عبد الله ظاهراً وباطناً واذا رأيتم منه أمراً مخالفاً في الظاهر فاحملوه على التفويض بعلم الله والتأويل الحسن واعتبروا يا اولي الالباب بقضية موسى والخضر عليهما السلام حكاهما الله في كتابه العزيز حكيم داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام لتسلموا من الشكوك والاهام وانما اندرتكم بهذا رحمة لكم وشفقة عليكم وليبلغ الشاهد منكم الغائب لئلا تسبوه وتنسبوا إليه الظلم والجور فتهلكوا فاحذروا عن اذية اولياء الله فانها اذية الله ورسوله وقد لعن الله ذلك في كتابه فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة كما أن من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب فان الله غيور على اوليائه قد علمتم أنه ورد من تقص الكعبة حجراً حجراً ثم حرقها بالنار أهون عند الله من ان يؤذي ولياً من اوليائه • وان الخليفة هو قادة المسلمين وخليفتنا النائب عنا في جميع امور الدين واياكم والوسوسة في حقه وظن السوء وعدم الامثال اليه في قوله والمشاجرة له ولاحكامه والخلاف والحسد فتوبوا إلى الله وارجعوا قبل ان تذهب حسناتكم وتسلبون ثوب الايمان وانما حملني على هذا البيان النصيحة في الله وخبايتكم من الوقوع في هاوية الانفس والاماني فمن تاب تاب الله عليه ومن عاد فينتقم الله منه ويسلطه عليه وهذا امر الله ورسوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام اه »

الفصل الثامن

في

﴿ حملة هكس باشا على المهدي في كردوفان ﴾

﴿ الحكومة والثورة ﴾ هذا ما كان من المهدي في الايض اما الحكومة في مصر فانها كانت في هذا العهد قد اخمدت الثورة العرابية واحتل الانكليز مصر في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ فصارت باحتلالهم مستندة الى قوتهم مقيدة برأيهم ومشورتهم فلما استقامت الاحوال في مصر وعاد اليها النظام التفتت بكليتها الى السودان وكان عبد القادر باشا اذ ذاك يلح في ارسال المدد قبل فوات الفرصة فاقرت الحكومة على الغاء جيش عرابي وارساله مدداً الى السودان وفي الوقت نفسه اقرت على سحق المهدي في كردوفان فصدر الامر العالي بالغاء الجيش في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٢ وانشأ بدله جيش جديد من فلاحى مصر مؤلفاً من ٦٠٠٠ رجل جعل عليه السرافلن ود من خيار الانكليز سرداراً ومعه جماعة من الضباط الانكليز قواداً للاورط واركان حرب الجيش

﴿ ولاية علاء الدين باشا سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٣ م ﴾

ثم سقطت الايض وكانت الوشاية على عبد القادر باشا فدعته الى مصر كما مرّ وارسلت علاء الدين باشا والياً على السودان فوصل الخرطوم في ٢٠ فبراير سنة ١٨٨٣ ولكنها حصرت سلطته في الادارة الملكية وجعلت على العسكرية سليمان باشا نيازى قومنداناً عاماً وهكس باشا رئيساً لاركان حربه . اما هكس باشا فهو من ضباط الانكليز النابغين وقد انتظم في الجيش الهندي سنة ١٨٤٩ وشهد عدة وقائع جريية في الهند والحبشة وتقاعد برتبة كولونل . وفي سنة ١٨٨٢ قدم الى مصر فسمي رئيس اركان حرب الجيش المصري ولما لقي جيش عرابي وصدر الامر بارساله مدداً الى السودان سمي رئيس اركان حرب الجيش في السودان كما مرّ فبرح مصر في ٧ فبراير وسار بطريق سواكن فوصل الخرطوم في ٧ مارس سنة ١٨٨٣



﴿ هكس باشا ﴾

وتبعه جيش عراقي في هذه الطريق عينها وكان مؤلفاً من اربعة الايات في كل الاي ثلاث اورط ومجموعه نحو عشرة آلاف رجل عليهم اربع ضباط مصريين عظام وهم : الميرالاي سليم بك عوني قومندان ١ جي الاي والميرالاي حسين بك مظهر قومندان ٢ جي الاي والميرالاي ابراهيم بك حيدر قومندان ٣ جي الاي والميرالاي رجب بك صديق قومندان ٤ جي الاي . فاقام هذا الجيش في ام درمان وبني فيها رجب بك صديق طاية اشتهرت في حصار الخرطوم

واقعة المربع في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٢ هـ وكان اول ما اقر عليه هكس باشا بعد وصوله الخرطوم ان يجرّد حملة على ود برجوب الذي كان لم يزل شاهراً العصيان في الجبلين وقد اجتمع اليه الزعماء الذين خذلهم عبد القادر باشا كود الصليحيي واحمد المكاشف واخيه عامر وغيرهم كما مرّ . فلما كان يوم ٣ ابريل خرج من الخرطوم مع سليمان باشا نيازي القومندان العام وجمع في الكوة نحو ٥٦٠٠ مقاتل فيهم الميرالاي حسن بك مظهر والميرالاي ابراهيم بك حيدر ومع كل منهما ثلاث اورط واليوزباشي حسن عزمي قومندان الطوبجية ومعه سبعة مدافع و ٦٠ رجلاً وسنجقان من سناجق الاتراك مع كل منهما ٤٠٠ رجل وسار بهذه القوة قاصداً الجبلين . وخرج ود برجوب لقتاله بنحو ٥٠٠٠ مقاتل فالتقى الجيشان في المربع جنوبي أبا في فجر ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٣ وكانت هكس قد نظم جيشه مربعا فجعل حملة الجمال والمعدات في الوسط ولم يجعل المدافع في الزوايا كجاري العادة بل جعلها بارزة عنها ووصل اضلاع المربع وصلاً تاماً حتى لا يبقى للعرب سبيل الى دخوله ثم نثر حول المربع قطعاً صغيرة من الحديد ذات اربعة رؤوس محددة تقف على ثلاثة منها . ولم يتم تنظيم المربع على هذه الصورة حتى اقبل الدراويش وفرسانهم في ساقاتهم مهاجمين بهيئة قوس فلما صاروا على مرمى الرصاص صدرت الاوامر للعساكر فامطروهم سحابة من الرصاص برّحت بهم تبريحاً وخاف فرسانهم وكبرائوهم ان يثنيهم ثقل الرصاص عن متابعة الهجوم فصاحوا بهم وحملوا في مقدمتهم بقلوب لا تهاب للموت فكنت ترى الفارس مجرداً سيفه ومطلقاً عنان جواده قاصداً اختراق المربع فيصيبه الرصاص فيقع

فيضمد جرحه بيده ويعيد الكرة زاجلاً حتى يصصره الرصاص الى ان ملئت الارض من قتلاهم فولوا الادبار وقد قتل من كبارهم ١٢ رجلاً فيهم احمد المكاشف وجرح عامر المكاشف جرحاً بالغاً وجرح ود برجوب جرحاً اقعه حتى صار يحمل على سريه. اما جيش هكس فقد قتل منه رجالان وجرح عشرون وتقدم هكس بجيشه الى الجبلين فوجد ديم الدراويش خالياً فعاد الى الدويم فترك جيشه فيها وتقدم الى الخرطوم ليعد نفسه للحملة على المهدي في كردوفان . وقد اختار الدويم النقطة الاساسية لهذه الحملة لانها ميناء حسن على النيل الايض وبها شونة قديمة ومنها تنفرع الطرق الى كردوفان

﴿ حملة هكس باشا على كردوفان ﴾ وكان عبد القادر باشا اذ ذاك قد عاد الى مصر قيل فالح على الحكومة ببقاء الجيش محافظاً على النيل الايض من الخرطوم الى فاشودة لمنع امتداد الثورة الى جزيرة سنار وترك المهدي وشأنه في كردوفان الى ان يظهر للناس نفاقه أو تضيق به البلاد فيضمحل من نفسه . وكان هذا رأي الكثير من ساسة الانكليز ولكن الحكومة لم تزل مصممة على سحق المهدي في كردوفان خوفاً على دارفور وبحر الغزال فأمرت هكس باشا بالزحف على المهدي في الحال فكتب تلغرافاً في ١٣ مايو الى حكومة مصر يقول انه لا يتحمل مسؤولية الحملة الا اذا كانت له القيادة العامة عليها ولما لم تلتفت الى طلبه قدم استعفاءه في ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٣ فاهتمت اذ ذاك بالامر ونقلت سليمان باشا نيازي محافظاً على عموم شرقي السودان وجعلت هكس قومنداناً عاماً على الحملة وأمرت علاء الدين باشا بمرافقته كقومندان ثان للحملة وجعلت حسين باشا سرّي وكيلاً عنه في الخرطوم

فشرع هكس باشا في تجهيز الحملة . وكان اول ما لزمه الاهتمام به وسائط النقل فارسل علاء الدين باشا الى شرقي النيل الازرق فاشترى ٤٠٠٠ جمل وكان عنده ١٥٠٠ جمل فاجتمع للحملة ٥٥٠٠ جمل . ثم ارسل علاء الدين باشا الى الدويم وشرع في ارسال الجند تباعاً من الخرطوم وأم درمان . وفي ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٣ سار بيقية الجيش الى الدويم فوصلها في ٢٠ من الشهر المذكور فاجتمع عنده فيها اربع اورط

مصرية وخمس سودانية فيها ٧٠٠٠ من المشاة المنظمة و ٥٠٠٠ من الفرسان المنظمة و ٥٠٠٠ من الفرسان الباشبوزق و ١٠ مدافع جبلية و ٤ كروب و ٦ من نوع النور دنفلت .
ماعداء ٢٠٠٠ من الاتباع و ٥٥٠٠٠ حمل و ٣٠٠٠٠ بغل و ١٠٠٠٠٠ حمار و ٥٠٠٠٠ فرس
واما ضباط الجيش العظام فهم الميرالاي سليم بك عوني قومندان الآلاي الاول
والسيد بك عبد الخالق قومندان الآلاي الثاني وحسين بك فهمي قومندان الآلاي
الثالث ورجب بك صديق قومندان الآلاي الرابع ما عدا السناجق الباشبوزق .
واما حسين بك مظهر قومندان الآلاي الثاني السابق فقد رقي الى رتبة لواء ورافق
الجيش قومنداناً على الآلايات الاربعة واما ابراهيم بك حيدر قومندان الآلاي
الثالث السابق فقد رُقي ايضاً الى رتبة لواء وسمي قومنداناً على خط النار في الخرطوم
وصحب هكس من الضباط الافرنج الكولونل فركوهار رئيس اركان حرب
٨ ضباط اركان حرب وسكرتيه الخاص ميخائيل افندي ناصيف اللبناني شقيق
سليمان بك ناصيف من كبار موظفي الحرية بمصر وجورجي بك الحكيم الرومي ومكاتبو
التمس والدالي نيوز والغرافيك وكلهم من الانكليز . وصحبه من الخبراء صالح غانم
وابراهيم محبوب وأواه ومن الملكية الوطنيين الذين استصحبهم من الخرطوم ليأمن
شرتهم ويوليهم امر كردوفان في حالة النصر : قناوي بك ابو عموري البحاري الشهير
الذي تقدم ذكره في تاريخ الزير و بساطي بك المحسي باشكاتب الخرطوم وحمد بك
اللب الجملي رئيس مجلس الاستئناف ومحمود بك احمداني الكنزي مدير الخرطوم
وعبد الرحمن بك بان النقا الجملي من عمد التجار . وابقى الكولونل ده كوتلوجن من
اركان حربه في النيل بين الخرطوم وفاشودة لمنع مهاجرة الناس من الجزيرة الى المهدي
وفي حال وصوله الى الدويم اجتمع بعلاء الدين باشا ونظرا في طريق الحملة
فللايض من الدويم طريقان شهيرتان : طريق بارة طولها ١٧٦ ميلاً وماؤها
قليل وتصل الايض من الشمال . وطريق شات طولها ٢٦١ ميلاً وماؤها كثير
وتصل الايض من الجنوب . فقال هكس بطريق بارة لانها أقصر وقال علاء الدين
بطريق شات لان ماءها اغزر يكفي الحملة فقرراً الرأي على قول علاء الدين .

وسارت الحملة من الدويم في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٣ فمرت بشات وترك فيها
حامية صغيرة لحفظ خط الاتصال مع النيل ثم تقدمت الى أبار زريقة وقبل الوصول
اليها وقع اختلاف شديد بين هكس وعلاء الدين في شأن خط الاتصال فاراد
هكس ان يجعل في كل منهل حامية عسكرية مؤلفة من ٢٠٠ رجل لحفظ خط
الاتصال مع النيل وقد ترك حامية في شات لهذه الغاية فاعترضه علاء الدين وقال
ان هذه الحاميات لا تستطيع حفظ نفسها فضلاً عن خط الاتصال اذ البلاد كلها
قد سلمت للمهدي فلا نترك حامية في منهل حتى تحيط بها العربان وتأخذها عنوة
فنكون بذلك قد اهلكنا جانباً من رجالنا ولم نستفد شيئاً . فعقد هكس باشا مجلساً من
الضباط الافرنج والمصريين للحكم في الامر فأجمعوا على قول علاء الدين وسار الجيش
من ذلك الحين كأنه جسم واحد متأهب للقاء العدو في كل لحظة . وكان سيره
بهيمته مربع عظيم في مقدمته الديلان فالطلائع فالضباط العظام فاركان الحرب ثم
المربع وهو مؤلف من المشاة في وسطه الطوبجية وفي ساقته الفرسان ثم الجمال
والاحمال ثم الفرسان الباشبورق وهم وراء الكل

وكان المهدي لا يغفل طرفة عين عن مراقبة حركات الجيش فلما اتاه خبر قيام
هكس من الدويم أمر اصحابه فخرجوا من الابيض الى ساحة في شرقي المدينة ثم
خرج بنفسه ونزل تحت شجرة شهيرة من شجر التبليدي وانتدب اربعة من كبار
قواده وهم : محمد عثمان الشهير بأبي قرجة وشيخ فضلو احمد وعبد الحلیم مساعد
وعمرود الياس باشا ومعهم نحو ٣٠٠٠ رجل وامرهم بالتوجه الى حيث تكون الحملة
وتعقب حركاتها وعدم محاربتها في واقعة بل ان يناوشوها القتال ويمنعوا اهل البلاد من
الانضمام اليها ويوافوه بالاخبار تباعاً . فصدعوا بالامر ووافوا الحملة بالقرب من
العقيلة في ١١ اكتوبر فلازموها من ذلك الوقت وصاروا اذا سارت ساروا ورائها
وطمروا الابار بعدها واذا وقفت وقفوا بعيداً عنها وناوشوها القتال وما تطرف احد
منها الا قتلوه حتى ان الجمال لم تستطع المرعى لانحصارها في المربع فجاءت واكلت
قش رحالها وخارت قواها فمات كثير منها وبدأ اللغط في الجند من ذلك الوقت

فأيقنوا بالخذلان وتوقعوا العواقب الوخيمة وصاروا كلما توغلوا في البلاد زاد خوفهم
ولفظهم حتى رأوا انهم سائرون حتماً الى حتفهم وما زالوا كذلك حتى وصلوا الى
منهل الرهد في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٨٣ فنزلوا في جنوبيه ونزل امراء الدراويش
قبلتهم في شماليه وذهب احداهم عبد الحليم الى الايضا فآخبر المهدي بما كان من امرهم
وفرّ من الحملة قبل وصولها الى الرهد بقليل خادماً مكاتب الدالي نيوز وهو
صف ضابط الماني اسمه كلوتس فذهب الى المهدي في الايضا وآخبره ان الحملة في
يأس وخوف شديد فأيقن المهدي انه غالب لا محالة وامر كلوتس باعتناق الاسلام
فقبل فسماه مصطفى وبقي في الاسر الى ان حاول النجاة من القلايات فمات في الطريق
واقام هكس في الرهد ستة ايام ينظر في طريق الحملة الى الايضا ولم يكن
للايضا من الرهد الا طريقان : طريق الملبس وطريق البركة فقر الرأي على اختيار
طريق البركة لانها اغزر ماء فسار بالجيش قاصداً المنهل المذكور وارسل في الطريق
احد الخبراء ومعه عبد الى الايضا للاستعلام عن قوة المهدي ووجهته ووصل
بالجيش الى منهل علوبه الاثنين في ٢٩ اكتوبر فوجد فيه ماءً غزيراً فأقرّ على البقاء
فيه الى ان يعود الخبير بنجر المهدي * فلما كان يوم الخميس ١ نوفمبر عاد العبد وحده
ومعه ١٥٠٠ نسخة من كتاب كتبه المهدي الى هكس وجنوده وهذه صورته :
« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم
« وبعد فمن عبد ربه الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى من يسمع
من أهل الجردة ممن له عقل فانه لا يخفى على ذي عقل ان الامر بيد الله لا يشاركه
في ذلك بنادق ولا مدافع ولا صواريخ ولا عصمة لاحد الا من عصمه الله تعالى
فاذا فهمتم ذلك فاعلموا ان الله واحد فلا تغتروا بأسلحتكم ولا بجنودكم التي تريدون
ان تقاتلوا بها جنود الله فان لا قوة لشيء دون الله وان قتلتم ان مهديتنا مكذوبة
فاعلموا ان الكذب انما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف المخلوق ويستعجز قوة الله
فاذا فهمتم ذلك فلا تغرّكم أقوال علمائكم فان الترك الذين قتلتم شكوا للحق عزّ
وجل وقالوا يا الهنا ومولانا ان المهدي قتلنا من غير انذار فأقول انذرهم يا رب فلم

يسمعوا وحضر على ذلك شاهداً سيد الوجود (صلعم) وقال لهم الامام المهدي
أنذرتكم فلم تسمعوا له وسمعت قول علمائكم فذنبكم عليكم فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون
فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال الذين استكبروا
للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن المهدي اذ جاءكم بل كنتم مجرمين فان كان لكم
نور تؤمنون بالله ورسوله والدار الآخرة وتصدقوا بمهديتنا وتخرجوا الينا مسلمين
ومن سلم وسلم وان ايتم الآ الجحود والاغترار بالمدافع والبارود فأنتم مقتولون كما
أخبر سيد الوجود واسوتكم بمن سبقكم من الجنود والسلام »

فلما أطلع هكس على الكتاب مزقه واحرق نسخه كلها . وسأل العبد عن
الخبير فقال ان المهدي امر بقتله وهو يستعد لمقابلة الجيش بطريق البركة

واقعة شيكان في ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ هـ ولما كان يوم الخميس ١ نوفمبر وهو
يوم وصول العبد الى علوبة استعمل المهدي على الايض احد اقاربه عبد الله ود
الصمد وخرج بجيش ينيف على ٥٠ الفاً قاصداً البركة فسار حتى نزل بمنهل فرتقول
وهو منهل قليل المياه جداً حتى ان المسافرين كانوا اذا نزلوا به لا يكاد يكتفي
العشرين منهم فضلاً عن دوابهم قالوا فلما نزل المهدي به ورأى قلة الماء صفر فخرج
منه ماء غزير أروى تلك الجيوش وفاض حتى سقوا رواحلهم وملاؤا قربهم !!!
ثم بلغ المهدي وهو بالمنهل المذكور ان الجيش قاصد منهل البركة وجاد السير
ليسبقه اليه فأمر في الحال محمود بن عبد القادر من اقاربه وضوء الدين بن عبد الله
رئيس النواب ومن معهما من اهل رايتهما فجدوا السير حتى وصلوا المنهل المذكور
الجمعة في ٢ نوفمبر ثم ارتحل المهدي بباقي اصحابه صبيحة يوم السبت ٣ نوفمبر من
منهل فرتقول وفي ظهر ذلك اليوم نزل بمنهل البركة

وكان هكس لما علم من العبد ان المهدي قاصد البركة ارسل اليها رسلاً من
علوبه لتحقيق الخبر فعادوا واخبروا ان الدراويش قد احتلوها فجمع هكس اذ ذاك
الضباط والخبراء فعدلوا عن طريق البركة واقرؤا على طريق الملبس التي تمر بشيكان
فخرجوا من علوبة فجر السبت في ٣ نوفمبر وساروا عشرة اميال ثم وقفوا وزربوا زرية

متينة وباتوا فيها الى صباح الاحد وبات الدراويش المطاردون لهم بالقرب منهم اما المهدي فانه عند وصوله الى البركة ظهر يوم السبت كما مر اتاه ابراهيم الحاج الشهير بالترجاوي ومعه جماعة وقالوا له يا سيدي يقول الناس ان الترك عدلوا عن طريق البركة وقصدوا مدينة الابيض ليستأصلوا من فيها ويجوزوا النساء والذرية حتى شاع الخبر في الجيش وارجف الناس بذلك فلتوجه الى الابيض قبل الترك . فالتفت المهدي وقال ايها الناس أنصتوا ثم بصق في كفه اليسرى وقال اي شيء هذا قالوا بصاق يا سيدي ثم طرحه على الارض فشربته في الحال فقال للناس هل ترون لهذا البصاق أثرا فقالوا له لا فقال نحن كالارض والترك كالבصاق . ثم قال اذا طار طائر فإين ينزل فقالوا له على الارض فقال لهم ان الترك كالطائر ونحن كالارض أيها الناس اثبتوا واطمأنوا ونزلوا رواحلكم واستريحوا فان الترك لا قدرة لهم مع قدرة الله ثم قال غداً يوم الاحد نتوجه اليهم وفي صبيحة الاثنين بعد ان نأمركم بمحاربتهم اذا تأخر احدكم لاصلاح نعله لم يدركهم احياء . ثم جمع المهدي جميع الفرسان واهل الاسلحة النارية فضمهم الى ابراهيم الترجاوي المذكور وارسلهم نجدة للسرية المطاردة الجيش في عشية ذلك اليوم (السبت) فوصلوها صباح الاحد في ٤ نوفمبر فوجدوا اخوانهم محيطين بالجيش من كل جانب احاطة السوار بالمعصم فزادوا في حصره . وفي هذا اليوم قبيل الصبح ارتحل المهدي بكل جيوشه من البركة قاصداً الجيش ونزل في منهل شيكان عند الضحى ويسمى هذا المنهل ايضاً بمنهل أم مصارين فلما نزل المهدي به قال له بعض اصحابه يا سيدي هذا المحل يدعى بمنهل أم مصارين فقال ان مصارين الترك تصب فيه .

وكان هكس لما أصبح صباح الاحد المذكور قد خرج من الزريبة التي كان باثناً فيها واستطرد السير نحو منهل شيكان وهو لا يدري ان المهدي قد احتله بجيوشه فلما سار ساعة حتى خرج من جيش المهدي جمدان ابو عنجه وعبد الله ود النور وفوزي أحد كتاب المهدي بمن معهم من الانصار المسلحين بالاسلحة النارية وبينهم عدد وافر من الفرسان وحملوا حملة صادقة على ساقه الجيش حيث المهات والذخائر فاختلفوا

بالعساكر فدارت عساكر المقدمة عليهم وهزمتهم ولكنهم تمكنوا من اخذ بعض الخيول والجمال والازواد وقد قتل منهم في تلك الهجمة اربعة بينهم فوزي كاتب المهدي وجرح عبد الله ود النور وقتل من الجيش رجب بك قومندان الالاي الرابع ونفر من العساكر . وزرب الجيش في محل الواقعة زربية من شوك واقام فيها قيل ولما رأى اصحاب المهدي ما حلّ بالجيش من التزلزل والاضطراب رغبوا من المهدي ان يأذن لهم في الحملة عليهم مرة واحدة في ذلك اليوم فقال لهم اخبرني سيد الوجود ان الترك لا يموتون كلهم اليوم وانما هلاكهم يكون غدا الاثنين . وبذلك اصحاب الاسلحة النارية منهم محيطين بالجيش يرمونه بالرصاص بقية ذلك اليوم ولما الاثنين الى الصباح فحملوه خسارة تذكر وكانت في جملة من قتلوه جورجي بك الحكيم . فرأى هكس ان الاقامة في تلك الزربية لا تجدي نفعا ولم يكن يدري أي سبيل يتبع فجمع مجلساً من الضباط العظام والملكية الذين صحبوه فلم يقرؤا على رأي وكثر اللغط بين الجند وتسلط الرعب على قلوبهم واشتد بهم العطش لبعدهم عن الماء فائقنوا بالهلاك . فعول هكس اذ ذاك على المسير تحت رحمة الله نحو منهل شيكان . وقيل ان الخبراء الذين كانوا معه كان بينهم وبين المهدي مواطاة سرية فقادوا الجيش في الطريق التي دلهم عليها المهدي

فلما كان ضحى الاثنين ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ خرج هكس بجيشه من الزربية بثلاثة مربعات على شكل مثلث متساوي الاضلاع في كل زاوية مربع وبين المربع الواحد والاخر ٣٠٠ ياردة وفي وسط كل مربع مهماته وذخائره . وسار هكس وأركان حربه في مقدمة الجيش يتبعه بعض الطوبجية بأربعة مدافع ومن وراء المدافع المربع الاول ثم المربعان الاخران واحد الى اليمين وواحد الى اليسار وكان السواري يحمون المؤخرة والجوانب المكشوفة من المربعات . وما سار الجيش على هذا الترتيب نصف ساعة حتى دخل وادياً مفتوحاً شائكاً وعلى كل من جانبيه غابة كثيفة فجعل المهدي معظم جيشه في تينك الغابتين عن يمين الجيش وشماله وجعل الباقي في وسط الوادي في طريق الجيش وعليهم عبد الرحمن التجومي وكان محمد ابو قرجه

من معه من الانصار لم يزالوا متبعين الجيش من وراء فأصبح الجيش مكتنفاً
 بجيوش الدراويش من الجهات الاربع . وكان المهدي لما رأى الجيش من بعيد
 جمع امرأته لآخر مرة وصلى امامهم ثم رفع سيفه ونادى الله اكبر عليهم ثلاثاً ثم
 قال احموا عليهم ولا تخشوا نيرانهم فان ارواحهم زملة ونيرانهم لا فعل لها وانكم
 تظفرون عليهم باذن الله فما دخل الجيش ذلك الوادي حتى حملوا عليه حملة واحدة
 من كل جهة فاخترقوا صفوفه واوقعوا الفشل في العساكر واخذوا يقتلونهم طعناً بالرمح
 وضرباً بالسيف واستفروا في القتال فلم يمض ساعة حتى قتل الجيش برمته وفيهم
 هكس واركان حربه وعلاء الدين باشا وجميع الضباط المصريين والافرنج وقد تراكمت
 جثث القتلى في محل الواقعة كالتلال ولم ينج من الجيش كله الا ملازمان (وهما محمد
 افندي صلي من المنصورة وقد فرّ بعد ذلك من الخرطوم الى مصر واحمد افندي
 عزمي وقد مات في كردوفان) ونحو ثلاثماية جندي اختبأوا بين الاشجار ودواب الحملة
 والقتلى فوقعوا كلهم في الاسر . وعند نهاية الواقعة قطعوا رأس هكس وحملوه الى
 المهدي . وقد قاتل هكس واركان حربه وجميع رجال الجيش ما استطاعوا الى القتال
 ميلاً وماتوا مشرفين موت الابطال بعد ان قتلوا من الدراويش نحو مئتي رجل منهم
 بواية والطاهر وغيرهما من اقارب المهدي وضوء الدين بن عبد الله رئيس النواب
 وهو من اصحاب المهدي السابقين ومحمد وعبد الرحمن ابنا النصري وعثمان بن عم
 خليفة محمد شريف وعبد الرحيم أحد المادحين للمهدي وغيرهم فنقلوا الى محل المهدي
 فأمر بدفنهم بما عليهم من الثياب . ثم أمر المهدي فجمعت الغنائم ونقلت الى البركة
 فكان منها شيء كثير من الاسلحة والجنخانة والمدافع والميرة . وأقام المهدي بشيكان
 الى يوم الاربعاء ثالث يوم الواقعة ثم خرج منها عائداً الى منهل البركة فأقام فيه بضعة
 عشر يوماً وهناك فرّق الغنائم بين اصحابه بعد اخراج الخمس منها لنفسه .

ثم عاد الى الايضا بالمدافع والذخائر والاموال فدخلها باحتفال شائق وكتب
 الى عماله في الجهات مبشراً اياهم بالنصر الذي اتاه الله عن يده في قتلة هكس
 وهذه صورة ما كتبه الى عثمان دقنه في ١٠ ربيع اول سنة ١٣٠١ ٩ يناير سنة ١٨٨٤

« ومن خصوص الجردة المصرية التي بلغكم أنها حضرت إلينا من طريق الخرطوم وصلتنا وحصل الظفر عليها بأمر الله تعالى وقتلناها عن آخرها شر قتلة بما فيها من الرؤوس الكبار أحدهم علاء الدين الحكمدار والثاني هكس النصراني والثالث حسن وغيرهم من الضباط والآن جميع مدافعهم واسلحتهم بيدنا وهي شيء كثير جداً وكان هلاك المذكورين في يوم الاثنين ٤ محرم سنة ١٣٠١ هـ بجهة علوبة (شيكان) وعددهم كما قيل ستة وثلاثون ألفاً (؟) فانقرضوا في أقل من ساعة واشتعلت النار في أجسامهم بأمر الله السماوي هذا وأفيدونا بأحوالكم والسلام » اهـ

﴿ اخلاء السودان ﴾ وكان هذا الانخزال العظيم الذي اصاب الحكومة في شيكان قد قضى على نفوذها في السودان القضاء المبرم فان عقلاء أهل الجزيرة وغالب أهل الخرطوم والسودان كانوا قبل هذه الواقعة يترددون في اتباع محمد احمد وينتظرون حربه مع هكس فلما علموا بما اصاب هكس وجيشه ورأوا عجز الحكومة عن اذلاله انقطع كل رجاء لهم في الحكومة ووفدوا على المهدي بالايض أفواجاً يابونه وفي جملتهم الملك آدم أم دباله ملك جبال تقلي . وانتشر خبر المهدي في العالم الاسلامي كله فجاءته الوفود من الحجاز والهند وتونس ومراكش لزيارته وتحقيق دعوته أما الحكومة في الخرطوم فانها عند سماعها خبر هلاك هكس اضطربت وارتاعت وأرسلت بالخبر تلغرافياً الى مصر وبعثت وابوراتها في النيل الايض فانتشلت عساكرها من فاشودة والكوة وشات والدويم الى الخرطوم وشرعت في زيادة تحصين الخرطوم واما الحكومة في مصر فقد رأت انها لا تستطيع سحق المهدي واعادة النظام الى السودان بعد الآن الا بجيش جرار من الجنود النظامية المجربة ولم يكن هذا الجيش متوفر لديها لا سيما بعد الذي صارت اليه مصر بسبب الثورة العرابية من الضعف وتضعف الاحوال . وكانت الحكومة الانكليزية قد أرسلت الكولونل سنيورت من ضباطها العظام الى الخرطوم في اواخر سنة ١٨٨٢ فدرس احوال السودان درساً دقيقاً وارسل لها تقريراً بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٨٨٣ نظر فيه ملياً في حالة السودان المالية والادارية وبين وجوه الخلل وطرق الاصلاح وعجز المصريين عن حكم السودان وحدهم .



﴿ السردولف سلاطين باشا ﴾
(مفتش السودان العام)

فأقرت الحكومة اذ ذاك على اخلاء السودان واسترجاع عساكرها من الحاميات كما سيجي
ثم ان المهدي لم يقتصر على بث الرسل والكتب الى الجهات لاذاعة النصر الذي
نال في شيكان بل ارسل السرايا الى الجهات كدارفور وبجر الغزال وبربر ودنقلة
وغيرها لاختضاع الحاميات المصرية فيها واحتلال البلاد باسمه وارسل الى كبراء المشايخ
في جزيرة سنار لحصر الخرطوم واخذ يستعد للزحف بنفسه عليها فلنبدا الآن
بيان ما كان من الثورة في تلك الجهات قبل زحف المهدي على الخرطوم فنقول :

الفصل التاسع

في

﴿ وقائع الثورة في دارفور سنة ٢ : ١٨٨٤ ﴾

كان آخر عهدنا بدارفور اتحاد ثورة الامير هارون على يد سلاطين والنور
عنقره وكان سلاطين اذ ذاك مديراً على داره والنور عنقره مديراً على بكبيّة والمدير
العام على الفاشر مساداليه بك والوالي على السودان غوردن باشا فلما تولّى رؤوف
باشا السودان عزل مساداليه بك فقام على مديرية الفاشر الميرالاي علي بك شريف
المر ذكره في حصار الابيض الى ان سمي سلاطين باشا مديراً عاماً على دارفور
فوصل الفاشر في ٢٠ ابريل سنة ١٨٨١ وتولّى زمام الاعمال فعزل النور بك عنقره
عن بكبيّة لشكاوى وجهت عليه من ضباطها وارسله الى كردوفان فكان من امره
فيها ما قدمناه فبقى البكباشي آدم افندي عامر السوداني قومنداناً على الحامية وسمي
محمد بك زقل من اقارب المهدي مديراً على داره مكان سلاطين . ثم لم تكن الا
هنية من الزمن حتى ظهرت الثورة المهدية وامتدت شعلتها الى دارفور فكان لسلاطين
فيها من الشأن ما فصله في كتابه « السيف والنار في السودان » احسن تفصيل
﴿ ثورة الشيخ مادبو ﴾ وكان اول من أوقد نار الثورة في دارفور الشيخ مادبو
احد مشايخ الرزيقات المر ذكره هاجر الى المهدي في قدير فحضر معه واقعة الشلالى
وعاد منه اميراً على دارفور فرفع راية المهدية فيها فاجتمع عليه خلق كثير وكان في

شكا حامية عسكرية عليها يوسف افندي منصور قومنداناً فانزل الحامية فخرج عليه نفره منها فقتلهم وتقوى بسلاحهم وذلك في ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٢ .

واقعة أم وريقات ﴿ فلما اتصل الخبر بسلاطين اسرع الى دارة فأخذ بعض عساكرها وقصد مادبو حتى وصل منهل الضعين فبلغه انه نازل بالقرب منه فعمل زربية من شوك وتحصن فيها فلم به مادبو وكان بينه وبين سلاطين مودة قبل المهدي فكتب اليه ينصحه بالتسليم ويقول « ان البلاد كلها اصبحت للمهدي والاجدر بك ان تسلم فتسلم والا فلا بد لي من محاربتك وان كنت صديقي » فلم يجبه سلاطين على كتابه بل قال للرسول اذهب الى مادبو واخبره ان ليس بيني وبينه الا السيف ثم تجسس جيش مادبو فوجده قوياً لا طاقة له بجريه لقلعة رجاله فرجع الى دارة لاخذ الالهة لنفسه . ورجع اليها ايضاً يوسف منصور فاراً من شكا فوجده سلاطين لتركه حاميته بلا اذن . وجمع من دارة وباديتها ٢١٥٠ من العساكر النظامية والبازنجر و ٧٠٠ من العربان المتحابة كالبيقو والبرتات والبرقد و ٤٠٠ فارس من الزغاوة والمسيرية والداجو والمعالية ومدفعاً جبلياً وعاد قاصداً مادبو وكان مادبو قد كمن له في ارض شائكة موحلة على طريق شكا تعرف « بأم وريقات » فلما دنا من الكمين فاجأه بالهجوم عليه وكان سلاطين قد جعل عسكره على شكل مربع ولكن كان اكثره من البازنجر وعربان البادية فلم يحفظوا النظام الذي امروا به فدخل عربان مادبو في وسطهم وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً حتى لم يبق منهم سوى ٩٠٠ رجل من نظامية و بازنجر وذلك في أقل من نصف ساعة وكانت الواقعة يوم سبت في اواخر اكتوبر سنة ١٨٨٢ . وقد أصيب سلاطين برصاصة في بنصر يده اليمنى فذهبت بها وجرح برصاصة في فخذه فجمع بقية جيشه وكان بينهم كثير من الجرحى فتحصن بهم في تل قريب من محل الواقعة الى ان تماثل الجرحى فرجع بهم الى دارة كل ذلك ومادبو لا يزال يهاجمه ويطادره على التل وفي الطريق وهو يصدّه ويدفع غاراته حتى دخل دارة عصيان حامية دارة ﴿ وكان قد ترك في دارة حامية مؤلفة من ٤٠٠ من العساكر المنظمة و ٢٥٠ من البازنجر و ٣٠ فارساً و ٧ مدافع فوجدتهم قد تغيرت حالهم

ومالوا الى العصيان وكان قد بلغهم خبر ثورة عرابي في مصر واخراج الخديوي منها لمصادقه النصارى فارادوا ان يفعلوا مثل ذلك بسلاطين خصوصاً بعد انتصار مادبو عليه ثم لم يكن الا القليل حتى جاء خبر سقوط الايىض فسرى روح الثورة في جميع بلاد دارفور وازداد عساكر الحامية عتوا ولم يمنعهم عن المجاهرة بالثورة والفتك بسلاطين الا ما بلغهم بعد قليل من عزم الحكومة على ارسال جيش جرار لمحرق المهدي في كردوفان ولكن كان بينهم جماعة من اهل دارفور فاتفقوا على الفرار الى دود بقه الذي قام في جبل مرة بعد الامير هارون كما مرّ وجاهروا بالعصيان قائلين « اننا لا نرضى ان يحكمنا نصراني » فامر سلاطين بمحاكمتهم بمجلس عسكري فحكم المجلس بقتلهم وصدقه سلاطين فقتلوا

﴿ اسلام سلاطين ﴾ ومع ذلك لم يزد العساكر الا عتوا ونفورا وقد اثرت ثورة عرابي تأثيراً ثابتاً في اذهانهم واثبتوا انهم انما خذلوا في واقعة ام وريقات لان رئيسهم نصراني فرأى سلاطين انه لا يمكن استرجاع سلطته عليهم وهو نصراني فجمعهم ووقف بينهم خطيباً وقال « اعلموا اني مسلم مثلكم واشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله » ففرح العساكر باسلامه وعادوا الى طاعته

﴿ بعثة زقل الى المهدي ﴾ ولكن اهل دارفور في الخارج لم يزلوا على العصيان ويتبن سلاطين انه لا يمكن ردّهم الى الطاعة والولاء الا اذا كسرت شوكة المهدي في كردوفان وكان قد بلغه خبر حملة هكس فاصبحت آماله كلها معلقة بها فأحب مخاطبة هكس ليعلمه بحاله ويستحثه على اتقائه ولكن كان يخشى شرّ محمد خالد زقل مدير دارة لانه من اقارب المهدي وكان بينه وبين المهدي مخاطبات سرّية فاراد سلاطين التخلص منه من جهة والاحتياط للمستقبل من جهة ثانية فخلا به واخبره بانه عالم بعلاقته مع المهدي وقال له اني مرسلك الى الايىض لمنع المهدي من ارسال جيش الى دارفور او تحريض اهلها على الثورة فاذا غلبه هكس واسترد منه البلاد فانا شفيعك عند الحكومة والا فالبلاد من نفسها تسلم للمهدي وخير له ان يأخذها عامرة من ان يأخذها خربة وفي الوقت نفسه اعطيك كتاباً ترسله الى

هكس ليعلم بحالنا ويعجل في انقاذنا » فسرّ زقل بهذا الرأي واراد سلاطين ان يجعله برأي اهل الحامية ليقيدهم به فعقد مجلساً من الضباط والاعيان وعرضه عليهم فصدقوه وكتبوا كتاباً الى المهدي يعدونه بالتسليم وكتاباً الى هكس يستعجلونه لتجديدهم فحمل زقل الكتاين وذهب بهما الى المهدي في الابيض . فلما رأى سطوة المهدي والعز الذي صار اليه في كردوفان نبذ سرّ سلاطين ظهرياً واتحد مع المهدي قلباً وقالبا وارسل سرّاً الى احد اصدقائه في دارة يخبره بما رأى من سطوة المهدي ويقول له قم واحضر بعائلي الى الابيض مستعيناً بمادبو فلما علم سلاطين بذلك حبس عائلة زقل في منزلها واستصفي امواله والقي القبض على بعض اقاربه في دارة وزجهم في السجن ﴿ واقعة كرشو ﴾ ولنرجع الآن الى مادبو فانه بعد دخول سلاطين في دارة نزل في كرشو على يوم ونصف يوم جنوبياً فخرج عليه سلاطين ببعض عساكره وباغته الهجوم فهزمه وعاد الى دارة بكثير من الاسلاب والغنائم

﴿ واقعة البويرة ﴾ وعاد مادبو فجمع جموعه في مكان يقال له البويرة في دار قمر فجرد عليه سلاطين ٤٥٠ من الجهادية و ١٥٠ من البازنجر وقتك به ووقع القتل في جيشه ففرّ حافي القدم عاري الرأس على جواد بلا سرج وغنم سلاطين جميع امتعته وفيها نحاسه فعظم على مادبو فقد نحاسه لان ذلك عار عليه فجمع العربان من جديد وتقدم لمناوأة سلاطين في دارة واسترجاع نحاسه

﴿ عقد الصلح ﴾ ولم يكن سلاطين يقوى عليه لقلّة رجاله ولا كان من الممكن الخروج بجميع العساكر وترك دارة بلا حامية فالتجأ الى الحيلة وجمع مشايخ العرب تحت شجرة خارج دارة وعقد معهم صلحاً وكتب بمعرفتهم كتاباً الى المهدي يسأله ارسال رجل من قبله ليسلمه البلاد قائلاً انه لا يستطيع ان يسلمها الى العرب الذين حاربهم مخافة ان ينتقموا منه

وفي هذه الاثناء جاء سلاطين ورقة صغيرة من علاء الدين باشا يقول فيها « ان سمو الخديوي قد سماك قومنداناً عاماً على العساكر في دارفور وان من عزم الحكومة ارسال قوة كبيرة لسحق المهدي في كردوفان وتسكين الثورة » فارسل صورة منها الى

الفاشر وكبكية فقرئت للناس جهاراً واطلقت المدافع عند قراءتها * وكانت الحكومة قد ارسلت اليه امرًا بتسمية احد امراء دارفور سلطاناً على البلاد وحشد عساكر الحاميات كلها في الفاشر والعودة بها الى الخرطوم ولكن هذه الرسالة لم تصله

✽ تسليم دارة في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٣ م ✽

ثم لم يكن الا القليل حتى كانت واقعة شيكان فاهتزت لها دارفور وارسل المهدي محمد خالد زقل عاملاً عاماً على دارفور بجيش عظيم فجاءها بطريق أم شنقه وكان فيها حامية صغيرة فسلمت له . ثم سار منها قاصداً داره فنزل في حلة شعيرية مسيرة يوم من دارة وكتب الى سلاطين يدعوهم الى التسليم فحضر اليه مسلماً وذلك في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٣ فأكرمته وذهب به الى دارة فسلمت اليه . وكان فيها ٥١٠ من العساكر النظامية والباشبوزق وشيء قليل من الذخيرة . وانتشر جيش زقل في المدينة يجمعون الغنائم فجردوا اهل الحامية وعذبوا من اخفوا اموالهم أو ظنوا انهم اخفوها وحملوهم ما لا يطاق * واخبرني من اثق به وذكره فوزي باشا في كتابه « ان سلاطين باشا لما رأى ما اتاه زقل من تعذيب المصريين طار صوابه وذهب اليه في داره وقال له جهاراً « لو علمت انكم تعاملون ضباطي هذه المعاملة لصليتم حرباً يشب لهولها الطفل وسمحت بموت هؤلاء الرجال في ساحة الحرب وانا على يقين من أن الواحد منهم لا يموت الا بعد ان يقتل عشرة منكم » فأخذ زقل يلاطفه وأوصى بتخفيف العذاب عن البعض واطلق البعض »

✽ تسليم كبكية ✽ وكان زقل قد كتب من شعيرية الى السيد بك جمعة في الفاشر والى آدم عامر في كبكية يدعوهم الى التسليم وطلب من سلاطين ان ينصحها بذلك ففعل فأرسل آدم عامر مفاتيح الخزينة والشونة والجبخانة علامة على التسليم ثم حضر مسلماً بمن معه من العساكر

✽ تسليم الفاشر في ١٤ يناير سنة ١٨٨٤ ✽

واما السيد بك جمعه فانه رفض التسليم ودافع عن حاميته اياماً حتى اضطر الى التسليم عطشاً وقد رأته سنة ١٨٩٨ بعد واقعة أم درمان وسألته عن كيفية دفاعه

وتسليمه الى زقل فقال : « لما ذهب سلاطين من الفاشر لتأديب مادبو عند اول ظهور الثورة بقيت انا على الفاشر فقام رجل في كرىو على ست ساعات منا يقال له « ابوود جوده فات » البرناوي وجمع جموعه واشهر العصيان فخرجت عليه ونكأت به وفرقت جموعه . ولكن لم يكن الا القليل حتى هب للثورة جل اهل الدار من حضر وبادية فاجتمعوا على الملك حسب الله ملك زغاوة والسلطان جدوه سلطان ميمة والشيخ حسب الله من الماهرية وكوع النمر من الزيادة ونزلوا في وادي بيره على ساعتين جنوبي الفاشر يريدون حصرنا فخرجت عليهم بمعظم العساكر وضربتهم ضرباً شديداً وشتت شملهم ثم عادوا فتجمعوا على السلطان جدوه وحصروا الفاشر من كل الجهات واحرقوا المنازل المجاورة للاستحكام فصليتهم ناراً حامية من المدافع والبنادق ورددتهم على اعقابهم خاسرين * ومن ذلك الحين لم يعد احد يجسر على مهاجمتنا حتى حضر محمد خالد زقل وطلب منا التسليم فلم نرض به ولا صدقنا ما قاله لنا من تسليم سلاطين اليه وصممنا على الحرب وكتبنا الى عساكر بككية للانضمام اليها ولكن خرج منا عمر أغا ود ترحو من سناجق الشايقية مسلماً ولم نكن نعلم بما كان من عساكر بككية فخفنا ان عمر ترحو يخبر زقل بما كتبناه اليهم فيقطع الطريق عليهم ويصد هم عن الوصول اليها فكتبنا الى زقل نخادعه باننا مسلمون ثم حضر فقابلنا بالرفض واشتعل بيننا قتال شديد دام ٤٨ ساعة اطلقنا فيها الف قنبلة عدا ما اطلقنا من الرصاص فهزمناه الى وادي بيرة حيث اقام ١٨ يوماً حتى اتاه المدد من دارة وكان عساكر بككية قد انضموا اليه فاعاد الكرة علينا وحصرنا في الاستحكام وكان استحكامنا منيعاً وعندنا من الدرة ما ينيف على ٦ آلاف اردب ولكن اعوزنا الماء وقد كنا في بادي الامر نستقي الماء من آبار في الخور خارج الاستحكام فلما حضر زقل لحصرنا هذه المرة سد الآبار فشرعنا في حفر بئر داخل الاستحكام اوصلناها الى عمق ٦٠ قامة ولم نظفر بالماء لان الاستحكام قائم على تل رملي فعطشنا ودام القتال ثمانية ايام متوالية حتى صار العساكر يموتون عطشاً فعقدت اذ ذاك مجلساً من ضباط الحامية للنظر في رأي تكون فيه نجاتنا فلم نر بداً من التسليم فكتبنا بذلك كتاباً الى

زقل يوم الاحد في ١٤ ربيع الاول سنة ١٣٠١ هـ ١٣ يناير سنة ١٨٨٤ م
وفي اليوم التالي الاثنين فتحنا الابواب وكان في الحامية اذ ذاك ٥٠٠ رجل
من الجهادية و ١٠٠ من الطوبجية على ١٢ مدفعاً فوق ستة ابراج ونحو ٦٠ رجلاً
من الملكية فدخل الدراويش علينا وصادرونا في اموالنا وامتعنا وقد استنطقوا جميع
الضباط والسناجق والاعيان ليدلوهم على اموالهم ومن انكر عذبه حتى اعترف او مات
فضربوا الصاغ حمادة افندي من ضباط الطوبجية حتى فاضت روحه . وقبضوا على
سيد اغا الفولي و ابراهيم اغا برل ولما لم يعترفا باموالهما شرعوا في ضربهما بالسياط
فطلباً مهلة ريثما يذهبان ويحضران المال فذهب كل منهما الى منزله وانتحر «
ووزع زقل العساكر على العربان وارسل سلاطين باشا الى المهدي في كردوفان
فادركه في الرهد فبايعه فسماه عبد القادر سلاطين وامره بلزوم باب التعايشي
والا تثار بامرهم ثم ارسل بعده السيد بك جمعة فادركه في الطريق غازياً الخرطوم ؟
فالتسليم دود بنقة الى زقل » هذا وكان السلطان دود بنقة لا يزال مقيماً
باتباعه في جبل مرة فكتب اليه زقل يدعوه الى التسليم فأبى فجرد عليه سرية
بقيادة آدم عامر مدير بككية سابقاً وذلك في اواخر يونيو سنة ١٨٨٤ فدعاه الى
التسليم فاجابه : « اني قاومت الحكومة المصرية التي هي اشد بأساً من الدراويش
واعظم قوة منذ موت السلطان هارون الى اليوم ولم يكن زقل اذ ذاك الا عبداً في
سلطنة آبائي فدع عنك النصيح وما يحكم بيننا الا السيف » وكان دود بنقة متخصصاً
في طاية منيعة في رأس جبل طره فهاجمه آدم عامر فصدّه عنه بعد ان اذهب
نصف قوته فكتب آدم الى زقل في طلب المدد فاستدعاه الى الفاشر وارسل
مكانه عمر اغا ود ترحو الشايقي المتقدم الذكر بجيش كبير وكان عمر اغا متزوجاً
باحدى بنات السلطان ابراهيم فكتب الى دود بنقة ناصحاً اياه بالتسليم فطلب
مقابلته فاتاه واقنعه بوجوب التسليم فقال له دود بنقة سر امامي بعساكرك وانا
اتبك فسار عمر اغا وتبعه دود بنقة برجاله الى الفاشر فسلم الى زقل فارسله الى
المهدي في الخرطوم وذلك في سبتمبر سنة ١٨٨٤

وبقي زقل في دارفور لا ينازعه فيها منازع الى ان مات المهدي واستدعاه الخليفة
عبد الله الى أم درمان واذله وكان من امره ما سذكروه بالتفصيل

الفصل العاشر

في

﴿ وقائع الثورة في بحر الغزال سنة ٢ : ١٨٨٤ م ﴾

تركنا بحر الغزال سنة ١٨٧٩ م ولبتن بك من البحارة الانكليزية مدير عام
عليها وساتي بك مدير ومحمود المحلاوي مفتش عام لمنع تجارة الرقيق والبلاد كلها مقسومة
الى ثمانية اقسام على كل قسم ناظر ومعه نفر من الباشبوزق وفي مركز المديرية
اورطتان من الجهادية . وقد قادت التقادير محمود المحلاوي المذكور الى مصر بعد حين
فقص علي خبر الثورة في بحر الغزال وكيفية سقوطها في يد الدراويش قال ما ملخصه :
﴿ ثورة الجانقية ﴾ « لما بلغ مشايخ الجانقية والجور خبر المهدي ونصرته على رجال
الحكومة في أبا وقدير هاجروا اليه وبايعوه فامرهم بالعودة الى بلادهم وقال لهم
« اذهبوا واخرجوا الترك من بلادكم فان الله ناصركم ومتى اخرجتموهم فلتكن بلادكم
لكم لا ينازعكم فيها منازع » وكان هذا جل ما يمتناه السود ابي الحرية والاستقلال
لأنهم لم يتخلصوا من « البحارة » قبل عهد الحكومة حتى وقعوا في الجبابة الباشبوزق
في عهدا فعادوا الى بلادهم وجمعوا جموعهم وجاهروا بالعصيان . وكان اول من
جاهر به الجانقية في جوار بحر العرب في اوائل سنة ١٨٨٢ فجرد عليهم لبتن بك
سرية من العساكر المنظمة والباشبوزق بقيادة محمد افندي النصري معاون المديرية
فاوقع فيهم واقعتين خذل في الاولى وانتصر في الثانية

﴿ ثورة الشيخ يانكو ﴾ ثم لما ظهر مادبو بالثورة في بلاد شكا قام الشيخ يانكو
شيخ مركز تل قونه وهو من مشايخ الداجو فنزل على بعض العساكر الذين كانوا
مقيمين بمركزه وقتلهم في ١٧ اوجستوس سنة ١٨٨٢ وفر الى الشيخ مادبو فحضر
معه واقعة ام وريقات المار ذكرها ثم عاد الى تل قونه ومعه جماعة من فرسان

الزيقات وجاهر بالعصيان . قال المحلاوي فقد لي لبتن على ١٧٠٠ رجل من نظامية
وباشبورق وامرني بمجاربته فواقعت فيه واقعة شديدة وهزمته شر هزيمة وذلك
في ٢١ يناير سنة ١٨٨٣ . ثم جمع جموعة ونزل على مركز لني فصدته ناظرها بخسارة
جسيمة في ١٠ فبراير من السنة المذكورة ففر الى دارفور وانضم ثانية على مادبو
(عوز الى الجانقي) وفي هذه الاثناء حضر وابور من الخرطوم الى مشرع
الريك لاستطلاع خبر بجر الغزال فجهز لبتن بك ٤٠٠ عبد امرد ومقداراً وافراً من
سن الفيل وارسلها مع بعض الخفراء الى الوابور في المشرع المذكور ليأخذها الى الخرطوم
فلما درى بهم الجانقي قطعوا عليهم الطريق فقتلوا الخفراء واخذوا ما كان معهم من
الاسلحة والرقيق والسن وذلك في ١٣ فبراير وكان ساتي بك المدير اذ ذاك في جور
غطاس فلما سمع بخبرهم جرّد عليهم قتل منهم وسبي وغنم وعاد الى الجور ثم اجتمع الجور
على الجانقي ونازلوا لبتن وعساكره في عدة وقائع كان النصر في اكثرها للعساكر
(مكيدة الدناقلة) وكان في بجر الغزال عدد كبير من الدناقلة متفرقين في جميع
جهاتها تجاراً ومتسبين وموظفين وبينهم الفقيه عبد الرحمن بن عوف النصري اخو
محمد النصري المار ذكره وهو من خلفاء محمد احمد وقد اقام معه مدة في جزيرة ابا
وجاء الى بجر الغزال بعد تنظيمها للاقامة فيها مع اخيه واقاربه وكان يراقب حركات
محمد احمد منذ ظهوره ويكاتبه سرّاً فلما رأى نصراته المتتابعة عزم على جمع الدناقلة
في جميع المراكز والمهاجرة بهم اليه فضرب لهم موعداً في ١٢ شعبان سنة ١٣٠٠
١٨ يونيو سنة ١٨٨٣ يجتمعون به في قنّدة . وفي هذه الاثناء قام الشيخ الطيب اخو
الشيخ يانكو في جهة لني فارسلني لبتن بك بنفر من العساكر نجدة لناظرها فمررت
بقنّدة ليلة الميعاد المذكور فاخبرني محافظها بمكيدة الدناقلة وكان في قنّدة اربعون
رجلاً منهم ينتظرون قدوم النصري تلك الليلة فجردتهم من اسلحتهم وتأهبت
للقبض على النصري فلما حضر اخبره رفاقه بما نويت عليه ففرّ ليلاً باثني عشر
منهم الى مركز المديرية فاخبر اخاه محمداً وكرم الله الشيخ محمد احد التجار الدناقلة
وغيرهما من الدناقلة في المركز بما كان من كشف مكيدتهم فقرّر رأيهم على الرحيل في الحال

فتركوا عيالهم واموالهم وساروا بطريق تل قونا وشكا قاصدين المهدي فلقوه في الايض فاقاموا معه الى ان جاء جيش هكس فحضروا واقعة شيكان قتل فيها عبد الرحمن ومحمد ابنا النصري كما مرّ وجرح كرم الله

ولما تعافى كرم الله من جرحه عقد له المهدي على سرية من جيشه وارسله لفتح بحر الغزال ولنرجع الى ما كنا فيه :

﴿ واقعة لفّي ﴾ قال المحلاوي فلما اصبح الصباح وعلمت بفرار عبد الرحمن النصري لحقته بالعساكر فلم ادركه فكتبت الى لبنن بما كان منه واستطردت السير الى لفّي لقمع الشيخ الطيب فادرسته في غابة قرب لفّي فاوقعت به وشنت شمله وقد اصابته رصاصة في فكه الاسفل فشوهته وكان ذلك في ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٣

﴿ سفر ساتي بك الى الخرطوم ﴾ وفي رمضان سنة ١٣٠٠ هـ يوليو سنة ١٨٨٣ م حضر وابور من الخرطوم حاملاً الالبسة والملح والرواتب للعساكر وكان لبنن بك في حاجة كبيرة الى الذخائر والكبسول فاستدعى ساتي بك من جور غطاس وارسله الى الخرطوم لاحضار الذخائر والكبسول فاقبلع بالوابور في ٧ سبتمبر سنة ١٨٨٣ فدخل الخرطوم في ٢٤ يناير سنة ١٨٨٤ فوجدها محصورة فلم يعد يمكنه الرجوع الى بحر الغزال فبقى يجاهد في الحصار الى ان قتل في واقعة القطينة كما سيجي

﴿ امين بك وخط الاستواء ﴾ وكان روح الثورة قد امتد الى خط الاستواء ولم يكن امين بك محتاطاً لها فبعث الى لبنن في طلب مدد من الذخائر والكبسول فارسلني اليه بشيء منها واعتذر له فلقيته في اورمبك فسلمته الذخيرة وعدت منه بجواب الى لبنن

﴿ واقعة بحر ييري ﴾ وفي اوائل يناير سنة ١٨٨٤ هاج الجانبى من جديد فتجمعوا على بحر ييري فجرد عليهم لبنن بك جيشاً مؤلفاً من ٨٠٠ من العساكر المنظمة و ١٠٠٠ من الباشبورق و ٨٠٠ من البازنجر جمعه من جهات مختلفة واتى بحر ييري فرأى الجانبى قد جمعوا جيشاً لا يقل عن ٥٠ الفاً فزرب على جيشه زرية متينة من اغصان الشجر ثم احاطها بزرية اخرى . قال المحلاوي : فلم يتم لبنن بناء

الزربية حتى اقبل الجانبى علينا مهاجمين وكان الدراويش قد علموهم ان يكرروا عند الهجوم قولهم « الدائم الله الدائم هو » فكانوا يكررونه كلهم بصوت واحد جهوري حتى حسبنا الارض قد زلزلت زلزالها ولما قربوا من الزربية انتشروا حولها فاحاطوها احاطة الهالة بالقمر وقد سدوا الافق واطلموا الجو لكثرتهم وسواد لونهم وكنا في الزربية وهم من حولنا مهاجمين لنا والرياح تلمع فوق رؤوسهم كاننا في جزيرة صغيرة تلاطمها الامواج في وسط بحر عجاج . فلما قربوا جداً من الزربية هجموا هجمة واحدة مستقلين فتلقتهم العساكر بنيران البنادق الرمتون وابي روحين فحصدتهم حصداً فلم يبالوا بها بل كانوا كلما سقط منهم صف خلفه آخر حتى تمكن بعضهم من الوصول الى الزربية الخارجية وما زالوا مهاجمين والعساكر تشويهم بنيرانها شيئاً حتى تراكمت القتلى حول الزربية اكداً وسدل الليل حجابهُ فرجعوا عنا بنية اعادة الكرة في الصباح التالي وتاريخ هذه الواقعة ١٤ ربيع الاول سنة ١٣٠١ هـ ١٣ يناير سنة ١٨٤٤ م وبعد الواقعة قُتس لبن الجبخانة فوجدها لا تكفي لواقعة اخرى فخرج بعساكره من الزربية تحت جناح الظلام قاصداً مركز المديرية فمر بمركز الدمبو فوجد فيها عشرين قد حضرا من المهدي ومعهم كتب الى بعض الدناقلة في بحر الغزال يخبرهم بانصاره على هكس ويحثهم على الهجرة اليه فايقن لبن اذ ذاك بمجيء الدراويش الى بحر الغزال فاسرع الى مركز المديرية واخذ يستعد للحصار وكان في المركز حصن منيع فزاده مناعة وبث معاونين في الاقسام لجمع الغلال

حتى تسلم بحر الغزال في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هـ ٢٢ ابريل سنة ١٨٨٤ م وقبل رجوعهم اتاه كتاب من حسان أغا عجيب ناظر قسم لفي بتاريخ ٢٨ فبراير سنة ١٨٨٤ يخبره بان كرم الله الشيخ محمد الذي كان يتجر في بحر الغزال وفر مع عبد الرحمن ومحمد ابنا النصري الى المهدي قد حضر الآن اميراً من قبل المهدي على بحر الغزال ومعه ثمانية آلاف مقاتل من العرب والجلابة بينهم خمسة بلوكات من العساكر المنظمة مسلحين بالرمتون وسأله عما يفعل فاجابه لبن ان احضر حالاً بمن معك من العساكر وكتب الى نظار الاقسام الاخرين بالحضور الى المركز ايضاً

وقبل وصول الاوامر اليهم تقدم كرم الله بجيشه الى لفي فسلم له ناظرها واستطرد السير حتى اتى حلة ياتقو مسيرة يوم من مركز المديرية فكتب الى لبتن وضباطه واعيان الحامية والموظفين يدعوهم الى التسليم فاراد لبتن ان يستطلع قوة كرم الله ويغنم وقتا لجمع عساكره الباشبوزق من الاقسام فارسل رسلاً من عنده الى كرم الله يسأله ان يرسل اليه منشور المهدي الذي سماه فيه اميراً على بحر الغزال لينظر في امر التسليم ثم شرع في الاستعداد للدفاع . وكان في مركز المديرية اذ ذاك ١٢٠٠ رجل من العساكر الجهادية السود ومعهم ٣ مدافع و٤ سواريج فاتفقوا مع الاهالي على التسليم واطلعوني على رأيهم فذهبت واخبرت لبتن به فلم يصدقني فقلت اجمعهم في مجلسك فاريك باطن امرهم . وكان لبتن قد جعل ضرب النقارة علامة لجمع الاعيان والموظفين الملكية وضرب البوري علامة لجمع الضباط العسكرية فامر بضرب النقارة والبوري معاً فاجتمع الفريقان عنده في ديوان المديرية فوقف بينهم وقال بلغني ان بعضكم ينوون التسليم الى كرم الله فمن صمم على الدفاع معي عن شرف الراية الحديدية فليقف فبقى الكل جلوساً . قال المحلاوي فوقفت اذ ذاك وقلت مخاطباً لبتن اني لا اعلم ما نواه الحضور في هذا الشأن واما انا فاقول ان كان كرم الله قد جاءنا من عند نفسه فانا اول من يحاربه معك واما ان كان قد جاءنا من عند المهدي فانضمامنا اليه لا يجل بشرفنا بل يزيدنا ديناً على ديننا . فانتهرني لبتن بك وقال اي دين تزيد على دينك ايها الجبان بتسليمك شرفك وشرف حكومتك الى رجل مثل كرم الله وما هو شأن المهدي في السياسة والاحكام . ثم التفت الى الاعيان والموظفين الملكية وقال وانتم ماذا تقولون قالوا : الذي قاله المحلاوي . ثم نظر الى الضباط وقال سمعتم ما قاله الملكية وانتم رجال افندينا وحماة الدمار ماذا تقولون اتسلمون البلاد التي انفق عليها افندينا مليون جنيه وقد عهد بحمايتها اليكم من غير ان تطلقوا عياراً نارياً في الدفاع عنها فقالوا : يا حضرة المدير انما المراد من الحرب النصر لا الحرب فاذا لم يكن النصر مضموناً فعلى م الحرب فانت ترى ان جيش كرم الله اضعاف جيشنا فليس في وسعنا الانتصار عليه وان انتصرنا عليه اليوم جاءه المدد من المهدي في الغد واخذنا عنوة

او حصرنا حتى نموت جوعاً واما نحن فلا جهة لنا ننتظر منها المدد اذ الخرطوم التي كانت تمدنا قد اصبحت في الحصار واهل البلاد كلهم ضدنا وجارتانا دارفور وخط الاستواء في اشد الضيق (اذ لم يكونوا يعلمون ان دارفور قد سقطت بعد) فلا حيلة لنا الا بالتسليم فقال لبتن اني اعلم الحرج الذي نحن فيه ولكن لا عذر لنا في التسليم قبل بذل الجهد في الدفاع اذ النصر لا يكون على الدوام للفئة الكبرى بل قد تنصر الفئة الصغرى بعون الله ومع ذلك فاني افضل الحرب ولو لم اضمن النصر على التسليم لرجل مثل كرم الله فاذا لم تقرّوا معي عليه فاعلموا اني اخذ امرأتي وبنتي (وقد كان متزوجاً بجارية جنقاوية مصرية في مدرسة المرسلين النمساويين في الخرطوم) وادخل الطاية واحارب كرم الله وحدي حتى اذا دخل المركز صوبت المدافع عليه وقلت عليّ وعلى اعدائك يا رب فاجابوه افعّل ما شئت فاننا لا نرى رأياً غير التسليم . فلما لم ير وسيلة تحملهم على الحرب كتب اليهم السوّال الآتي وسألهم ان يجيبوه عليه كتابة ويختموه باختامهم فقال « اتحاربون معي ام تسلمون الى كرم الله » فاجابوه بالتسليم الى كرم الله وختموه باختامهم فاخذوه لبتن وحفظه في جيبه . ثم كتبوا كتاباً الى كرم الله قالوا فيه « سلمنا لله ورسوله ومهديه الذي ارسلك الينا اميراً فاحضر صباح الغد واستلم الحامية فليس بيننا وبينك حرب » وامضاه لبتن والضباط والاعيان وارسلوه الى كرم الله فحضر صباح الثلاثاء في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هـ ٢٢ ابريل سنة ١٨٨٤ م ووقف بجيشه في ظاهر الحامية وكان قد ارسل الى لبتن بدلة من لباس الدراويش وهي حزام خوص وطاقيّة ونعلين فلبسها وخرج بالعساكر والملكية على نحو ميل من الاستحكام ووقف بهم تجاه كرم الله ثم تقدم بمن معه من الضباط والاعيان فسلموا على كرم الله وامرائه وعاد العساكر والاهالي الى منازلهم ونزل جيش كرم الله خارج الاستحكام ودخل هو وروساء جيشه مع لبتن وضباطه واعيان الحامية الى ديوان المديرية ولما استوى بهم المجلس التفت كرم الله الى لبتن وقال ان المهدي امرني ان اعرض الاسلام عليك واسميك عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله وان محمد احمد

بن عبد الله هو مهدي الله وخليفة رسوله . ثم دعا غير يال افندي وصالح افندي شنوده
من كتاب المديرية الاقباط لاعتناق الاسلام ففعلا فسمى الاول محمد سعيد وابقى
الثاني على اسمه . ثم قام لبتن فسلم الى كرم الله مخازن الذخائر والاسلحة والبضائع والسن
وهي شيء كثير * ولما بلغ نظار الاقسام امر التسليم صاروا يفدون الى كرم الله واحداً
واحداً مسلمين فاصبحت البلاد كلها بيده وارتفعت اعلام المهدي في جميع انحاءها
قال المحلاوي ولما علم كرم الله اني انا ولبتن لم نسلم الا مرغمين اساء معاملتنا
فخشينا ان يغدر بنا فاحتلنا عليه وسألناه ان يأذن لنا في الذهاب الى كردوفان لمباية
المهدي فأرسل معنا الخفراء الى الابيض فوجدنا المهدي قد ارتحل منها غازياً الخرطوم
وكان في الابيض السيد محمود عبد القادر من اقاربه فكتب الى المهدي يسأله عما
يفعله بنا فاجابه بان يرسلنا اليه وقبل ورود الجواب اخذنا الى محل واقعة هكس في
شيكان فوجدنا جثث القتلى متراكمة في ذلك الوادي تلالاً عظيمة . ثم ارسلنا الى المهدي
فوجدناه مخيماً في ابي سعد جنوبي ام درمان فبايعناه وكان ذلك في ١٨ اكتوبر
سنة ١٨٨٤ . فجعل لبتن قومنداناً على مدفع وارسله لمساعدة انصاره في
أم درمان فاستمرض وكتب الى غوردن كتاباً يخبره بما جرى له في بحر الغزال
واصحب كتابه الجواب الذي اخذه من الضباط والاعيان بشأن التسليم فوقع الكتاب
بيد المهدي فزج لبتن في السجن وحاول صالح شنوده الفرار فقبض عليه وزجه في
السجن ايضاً . وكتب الى لبتن الكتاب الآتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم
« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى عبد الله المسلماني
وقاه الله سوء وجعله من اهل التداني . كان سابقاً اخبرنا الاخ الصادق وفي العهد
الذي جاء صحبتكم من كردوفان بانه اظهر لك انه لم يكن راضياً بالمهدية واستجلب
بذلك الوقوف على حقيقتك فاعلمته بان التسليم الذي حصل منك ليس على غرضك
انما لعدم الموازر على الحراية لاجل العسكر الذي معك سلمت جميعها واظهرت النفاق
معها وانك على ما انت عليه من الكفر ومراكنة الترك فصفحنا عن ذلك املاً انك

ان لاقتنا يصفى ايمانك ويتم تصديقك وتسليمك لنا بالذاكرة ولما قابلتنا ذاكرتك واعلمك ان امرنا هذا الهى وان الله اذا اراد امراً امضاه ولم تنفع في مقابلته مدافع ولا جيوش انكليز ولا غيرها ولا بواير ولا كافة الحيل اذ انه لا يغلب الله غالب وكل ذلك لتصفى معنا سريرتك ويصير لك الحظ الوافر عند الله وتنال سعادة الابد وتكون من الاصحاب المؤمنين الذين لهم عند الله حسن المكانة العظمى وكل ذلك خير لك ابدى حتى ظهرت خيانتك وتصميمك على النفاق بمكاتبك للغردون واظهارك له انك لم تسلم باختيارك وانك منتظر نجدة الانكليز واظهارك له ان جماعتنا كثيرهم مرضى وجايعين ولا يقدرُوا حراة شهر وكل ذلك ظهر عند ضبط صالح شهوده لحياته ايضاً. فمن الآن وصاعداً ان تبت من سريرتك بينك وبين الله واعتقدت ان هذا السجن لتصفيتك وتجريدك عما يضرك عند الله وصدقت مع الله في تسليمك لنا لا بد ان يظهر لنا على سمك او اخبار من الغيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من الخضر عليه السلام وان لم تتب من سريرتك وفضلت على نفاقك كذلك لا بد ان يظهر لنا فتزيد عذاباً على عذابك وفي الآخرة اشد مذاباً واشد تنكيلاً فان اراد الله بك خيراً يهديك وتظهر هدايتك لاتباعنا والصدقة معنا وان اراد الله شقاوتك وعذابك في الدنيا والآخرة تصمم على ما انت عليه من النفاق ولا تقل ان الهداية التي تنفع بادعاء اللسان فان ذلك لا ينفع كما رؤي عليك حين أتيتنا من عدم الصفا على وجهك فان اهتديت من سريرتك ستري خير الدنيا والآخرة ان شاء الله تعالى والسلام في ٢٠ محرم سنة ١٣٠٢ هـ ٩ نوفمبر سنة ١٨٨٤ م ثم اخرجته من السجن بعد فتح الخرطوم وبقي في ام درمان الى ان مات في ١٧ يوليو سنة ١٨٨٨ م

واما كرم الله فانه بقي في بحر الغزال الى سنة ١٨٨٦ م فانضم الى اخيه كرقساوي في شكا فبقيا في دارفور بامر الخليفة الى سنة ١٨٨٨ م وكان لهما هناك من الشأن ما سذكروه في محله. ولنأت الآن على بيان ما كان من عثمان دقنه والثورة في سواكن فنقول:

الفصل الحادي عشر

في

✽ عثمان دقنة والثورة في سواكن سنة ٣ : ١٨٨٤ م ✽

بقي السودان الشرقي هادئاً مطمئناً لا تقلقه الثورة واهله البجة على اتم الولا مع الحكومة حتى سقطت الايض سنة ١٨٨٣ م وجاءه عثمان دقنة عاملاً عاماً من قبل المهدي كما مرّ فثار الاهلون معه ولا ثورة الذئاب واصبح بلاء عظيماً على الحكومة في السودان الشرقي وجرت بينه وبين جيوشها وقائع جمّة مشهورة ولم يزل على مناوأتها وقتالها كلما سنحت له الفرصة حتى وقع في قبضتها سنة ١٩٠٠م فأبناه في محطة مصر ثم في سجن رشيد ثم في سجن دمياط حيث هو الآن فاذا هو رجل اسمر اللون طويل الوجه برّاق العينين معتدل الانف واسع الفم عريض الحبة اشبهها غزير الشعر ربع القامة مع ميل الى الطول . وقد دلت ملامحه الظاهرة على ما انطوى عليه من المكر والدهاء وصدق العزم وهو يتردّي برداء من الدمور ويتم بعمامة بيضاء ويخلق شعر رأسه كزي حضر سواكن . قيل وهو سريع الحركة قليل الكلام وله صبر غريب على المشي والجوع حتى لقد يمشي النهار بطوله حافي القدم بلا طعام ولا شراب ولكن اذا جلس للاكل اكل خروفاً في وجبة واحدة . وقد سأله عن سنه عند قيامه في المهديّة فقال ٤٣ سنة . وسأله عن اصل منبه فقال « ان اصل اجدادي من اكراد ديار بكر اتوا سواكن مع السلطان سليم الفاتح فاستوطنوا واختلطوا بالهندود بالزواج فكان منهم قبيلتنا المعروفة بالدقناي وقد ولدت في سواكن ونشأت فيها واشتغلت بالتجارة مع السودان والحجاز بالبضائع والرقيق الى ان قام المهدي فنصرته » . قيل وقد كانت تجارته رائجة وحاله حسنة حتى شددت الحكومة على منع الرقيق فبارت تجارته وساءت حاله وقد سجن مرة في جدّة هو واخوه علي لتاجزتهما بالرقيق فحقد على الحكومة وكان من المتعصبين في الدين على طريقة المجاذيب فحسب مداخله الحكومة يبيع الرقيق تعرضاً في دينه

فلما سمع بظهور محمد احمد في أبا اخذ يستنشى أخباره ويستعد للمهاجرة اليه حتى فتحت الايض فهاجر اليه وبايعه واطهر له الغيزة المرة على الاسلام والمسلمين وتصدقه لمهديته والاستعداد لنصرته . وقد سأله مرة في سجن رشيد هل قام بنصرة المهدي عن اعتقاد قلبي قال « نعم ان محمد احمد هو المهدي المنتظر لا ريب فيه واموت على هذا الاعتقاد » قلت ان كان هو المهدي المنتظر فكيف مات قبل ان يتم نبواته بفتح مصر والقسطنطينية ومكة قال « وقد مات النبي (صلعم) من قبله ولم يتم فتوحاته فاتمها خلفاؤه من بعده » قلت ولكن خلفاء محمد احمد لم يتموا فتوحاته ثم ان امة النبي باقية لم تزل وامة المهدي قد زالت قال « هكذا اراد الله » !!! وعلى كل حال فانه اتحد مع المهدي قلباً وقالباً وسر به المهدي سروراً عظيماً لانه لم يكن له يد في السودان الشرقي بعد . وكان عثمان دقنه عالماً بدخائل اهل سواكن وعارفاً لغة البجة وعاداتهم وهو يحسن القراءة والكتابة في العربية فسماه عاملاً عاماً على جميع بلاد البجة التي بين الاتبرة والبحر الاحمر اي بلاد سواكن وطوكر وكسله . وقد اصحبه كتباً الى مشايخ تلك البلاد من همدوده وبشارين وامارار وغيرهم يدعوهم بها لنصرة الدين والقيام مع عامله عثمان دقنه لمحاربة الترك والجهاد في سبيل الله . وهذه صورة ما كتبه الى اهل سواكن بحرفه :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم » وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله الى كافة احبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه ومن تبعه وواقفه على اقامة الدين ونصرته . اما بعد فالذي نعلمكم به ايها الاحباب ان الامر كله لله واليه المرجع والمآب وانه مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزع من يشاء كما اخبر بذلك في منشور الكتاب فاتعظوها وتذكروا يا أولي الالباب وتنبهوا عن الغفلة والغرور بلوامع الدنيا التي هي سراب وتفكروا في انفسكم واعتبروا بفوات دول القرون الماضية وبمن هو اشد منكم قوة واكثر جمعاً للفانية فاصبجوا لا ترى الا مساكنهم الواهية الخالية فاقبلوا نصيحتي وما تبعها الا اذن واعية وانما انذرتكم بجوابي هذا نصيحة لكم ورحمة بكم وشفقة على عباد

الله المؤمنين وسبباً لنجاة المسلمين والمستضعفين * وحيث فهمتم ذلك وعقلتموه فاني موجه اليكم الشيخ عثمان ابا بكر دقنه السواكني لكي تستعينوا به على اقامة الدين وجهاد الكافرين وجعلته اميراً مباركاً لكم لدلائكم وارشادكم فاسمعوا له واطيعوا امره ونهيته وبمجرد وصوله اليكم ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومصدقين اني المهدي المنتظر فتخربوا اليه واثبوه افواجاً افواجاً من كل سهل وجبل لبيعة الرضوان ورضاء الواحد الديان لاجل اقامة الدين والسنن وشمروا في ذلك بغاية الجهد وعلو الهمة واجتمعوا على كلمة واحدة باتفاق الجميع . والكلمة الواحدة هي التصميم والعزم على قتال الترك اهل المديرية التي انتم فيها ثم بعد اتفاقكم باخذ عهودكم ومواثيقكم مع الله ورسوله واميرنا النائب عنا في اقامة الدين فخذوا حذرکم واهبتكم الجميع ثم اخبروا اعداء الدين بذلك وبلغوهم امرنا هذا واطلبوا منهم في الحال احد الامرين اما التسليم واما القتال فان ندموا وسلموا بصدق وايمان فليسلموكم جميع ما عندهم من الاسلحة ولزومها والخزائن بما فيها ومفاتيحها فان كان كذلك فاحمدوا الله واشكروه ومن الدنيا الساحرة فاحذروا وان ابوا وسلکوا مسالك الحيل فالقتال القتال لتناول مقام الصديقين من الرجال فاهجموا عليهم الجميع مرة واحدة فاتم حزب الله الغالبون . واذا اتحد معهم بعض اهل البلد فجميع من هو موافق للشيخ عثمان ابي بكر دقنه فلينضم اليه واخرجوا عنهم خارج البلد واجمعوا العربان التي باطراف البلد واحكموا فيهم بالحصار والمغار واقطعوا عنهم الموارد بالكلية الى ان يهلكهم الله تعالى كما اهلك اصحابهم فانهم قوم كتب الله عليهم البلاء والعذاب فهم في قبضة الله ونواصيهم بيده فلا تخشوهم ابداً فانهم هالكون باذن الله تعالى وعن قريب يورثكم الله ارضهم وديارهم فعليكم بالعدل والاحسان . واعلموا ان من بايع الشيخ عثمان المذكور فقد بايعني ومن اشتشهد معه فکانما استشهد معي ومن صحبه فقد صحبني فاعلموا الجميع بذلك وابشروا بما بشرني به النبي (صلعم) وهو ان اصحابي كاصحابه وان عوامهم لهم رتبة عند الله تعالى كرتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني والله ذو الفضل العظيم وهذا الفضل بشرط الاتباع ظاهراً وباطناً وحيث فهمتم ذلك فلا يفتكم

هذا الفضل العظيم فاحرصوا على الصدق والوفا واقتفاء آثار المصطفى (صلى الله عليه وسلم) واختيار ما عنده تعالى بالجوع والفقر مع الرضاء والتسليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام غرة رجب سنة ١٣٠٠ هـ « ٨ مايو سنة ١٨٨٣ م

فحمل عثمان هذه الكتب وسار مجداً حتى وصل محلاً يدعى قباب في ضواحي سواكن فلقى فيه الطاهر المجذوب وهو كبير المجاذيب في تلك الجهات ومعظم اهلها على طريقته فسلمه كتاباً من المهدي قبله وقبله وبايع عثمان وكان له أكبر نصير.

ثم تقدم الى اركويت حيث كان اهله فوصلها في ١ اوجسطس سنة ١٨٨٣ فلقاه اهله بالقبول وبايعوه وبايعه ايضا بعض مشايخ الهدندوة فرفع راية المهدي واستعد للجهاد

واقعة سنكات في ٥ اوجسطس سنة ١٨٨٣ وكان للحكومة في تلك البلاد عدا حامية سواكن حامية في طوكر على ٤٠ ميلاً جنوبي سواكن وحامية في سنكات على مثل هذه المسافة غربها ولم يكن في سنكات سوى ٢٥ عسكرياً وكان المحافظ على سواكن في ذلك العهد الشهم الباسل محمد بك توفيق المصري فلما سمع بخبر عثمان اسرع الى سنكات ومعه مئة رجل فوصلها في ٢ اوجسطس ليلاً وفي اليوم التالي ارسل كتاباً الى كل من الطاهر المجذوب واحمد دقنه شقيق عثمان يطلب حضورهما ليتمكن من ضبط عثمان فمزق كل منهما كتابه وانضم الى عثمان فجمعوا جموعهم ورحلوا على سنكات فوصلوها ضحى يوم الفطر اي ٥ اوجسطس سنة ١٨٨٣ وكان عثمان قد اتى بكتاب من المهدي الى توفيق بك يدعوهُ الى الانتظام في سلك المهدي فارسله اليه وسأله التسليم في الحال او الاستعداد للقتال ولم يكن توفيق بك مستعداً للحرب لان طاية سنكات كانت متسعة غير حصينة ورجاله قليلون فطلب الى عثمان ان يمهله ثلاثة ايام وقال اني لا استطيع ان اجيبكم من نفسي سلباً او ايجاباً لاني مأمور ولا بد لي من استشارة صاحب الامر والنهي فعلم عثمان انها حيلة للتمكن من الاستعداد فامهله الى الظهر ولم يزد فرد توفيق الرسل وطلب المهلة الى العصر وشرع في الاستعداد ففتح بعض المزاغل في الطاية وسد بابها باكياس من الرمل وجعل بعض العساكر على السور والبعض الآخر على سطوح المنازل وكان عثمان

يرى استعداد العساكر رأى العين فلما كان الظهر امر اصحابه فحملوا على الحامية حملة صادقة فدخلوها واختلطوا بالعساكر فالتجأ بعض العساكر الى منازلهم واخذواهم والذين على السطوح يرمون المهاجمين بالرصاص فقتلوا منهم وجرحوا وكان في جملة القتلى محمد اخو عثمان وجرح عثمان نفسه جراحاً بالغة في يده ورأسه وجنبه فحملة اصحابه على جمل وعادوا منهزمين الى اركويت وكانت خسارتهم في ذلك اليوم ٦٠ رجلاً وخسارة العساكر ٧ قتلى و١٢ جريحاً بينهم توفيق بك فانه أصيب بعدة جراح وعاد الى سواكن

واقعة قباب في ١١ سبتمبر سنة ١٨٨٣ وبعد وصوله بقليل ارسل حملة من العساكر بمدفعين يصحبها محمود علي شيخ الامارار بنفر من رجاله وامرهم ان يحملوا على عثمان في اركويت ويقضوا عليه . فلم عثمان بنجر الحملة وكانت جراحه لم تنزل تؤلمه فعقد لاختيه محمد . موسى على انصاره وارسله لملاقاتها فالتقى بها في خور قباب في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٣ عند الغروب فبنت الحملة زريبة متينة بيا بين جعلت على كل باب مدفعاً وباتت فيها وبات اصحاب عثمان بقربها وفي صباح اليوم التالي احاطوا بها من كل الجهات وهاجموها هجمة واحدة فتلقتهم العساكر بنيرانها فصدتهم عن الزريبة الا ثلاثة منهم فانهم تمكنوا من الدخول اليها فقتلوا في داخلها وفيهم رجل يسمى طاهها كان من ملازمي المهدي وجاء مع عثمان قصد الجهاد . وقد خسر اصحاب عثمان في هذه الواقعة ٢٧ رجلاً وعدة جرحى بينهم محمد موسى وخسر العساكر بضعة رجال بينهم احد ابناء الشيخ محمود علي المذكور وعادت الحملة الى سواكن . وامر عثمان دقنه رجاله فقطعوا خط التلغراف بين سواكن وكسله

احصار سنكات وواقعة أبت في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٨٣ ثم عقد لرجل يدعى علي طلاب بن محمد علي سرية من انصاره وارسله لحصر سنكات فسار من اركويت في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٨٣ . واتفق انه في هذا اليوم نفسه ارسل توفيق بك البكباشي محمود افندي خليل ومعه ١٥٦ من العساكر المصرية مدداً لحامية سنكات فالتقوا باصحاب عثمان في منتصف الطريق في مضيق يدعى أبت وانتشب القتال

بين الفريقين فلم تكن ساعة حتى قتل العساكر عن آخرهم وغنم اصحاب عثمان
اسلحتهم وامتعتهم وتقدموا لحصر سنكات . ثم امدتهم عثمان حتى بلغوا ٧٥٠ رجلاً
فامر عليهم علياً ابن حامد المشهور بامير سنكات لان فتوحها كان على يده .

﴿ حصار طوكر وواقعة التيب الاولى في ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ ﴾ وكان عثمان
قد ارسل في ٢ اكتوبر سنة ١٨٨٣ الخضر بن علي شيخ الحساناب اميراً على قبائل
طوكر الذين جلهم من الارتيقة واصحبه كتاباً اليهم من الطاهر المجذوب يدعوهم الى
القيام معه لنصرة الدين فلبوا الدعوة هم وشيخهم موسى بن الفقيه وذهبوا مع الخضر
لحصر طوكر . وكان في طوكر اذ ذاك ٤ بلوكات من العساكر عليهم صاغ ولهم
خندق حصين فلما جاءهم الخضر بن علي دعاهم الى التسليم والتصديق بالمهدي فأبوا
وارسلوا في طلب المدد من سواكن

وكان في سواكن اذ ذاك محمود باشا طاهر قومندان السودان الشرقي فجهز
٥٥٠ رجلاً وسار لتجديتهم . وكان الخضر بن علي امير طوكر قد قدّر مجيء المدد
من سواكن فارسل عبد الله بن حامد ومعه ١٥٠ رجلاً من انصاره ليتربصوا
مجيئه في آبلر التيب فلما اقترب العساكر منهم حملوا عليهم حملة رجل واحد فاختلفوا
بهم واعملوا فيهم السيف والحرية فقتلوا ١٤٨ رجلاً وهزموا الباقي فاتي بهم محمود
باشا الى سواكن فعزل من وظيفته على الاثر وكان قد صحبه القومندار مونكريف
الانكليزي فقتل في الواقعة وقتل فيها من انصار عبد الله بن حامد ٢٧ رجلاً . وتاريخ
هذه الواقعة ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ وهو اليوم الذي هلك فيه جيش هكس في شيكان
﴿ حصار سواكن وواقعة تماي (التمينب) الاولى في ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٣ ﴾

ثم عوفي عثمان دقنه من جراحه فجمع نحو ٣٠٠٠ رجل ونزل بهم في آبار تماي
(التمينب) على نحو ٢٠ ميلاً من سواكن واخذ يشن الغارة عليها وقطع الطريق
بينها وبين سنكات فخرج له كاظم افندي من سواكن ومعه ٧٠٠ من العساكر
السود والباشبوزق و ٢٠ فارساً فلقاهم عثمان دقنه بانصاره وقتلهم شر قتلة فلم ينج منهم
سوى ٤٥ رجلاً وقد قتل من انصار عثمان ٨٠ رجلاً وذلك في ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٣ .

﴿ حملة باكر باشا الى سواكن وواقعة التيب الثانية في ٤ فبراير سنة ١٨٨٤ ﴾
 وشدد عثمان دقنه الحصار على سواكن وطوكر وسنكات معافرات الحكومة انها اذا
 لم ترسل اليها المدد في الحال وقعت في يد عثمان وهذا المدد لم يكن متيسراً فان
 الجيش المصري القديم قد هلك في شيكان كما علمت والجيش الجديد لم يكن بعد
 مدرّباً على القتال فجهزت الحكومة حملة من عساكر الجندرمة والبوليس وعساكر
 الرديف وهي سلاحها الاخير وعقدت لواءها لباكر باشا وكلفت الزبير باشا فجمع لها
 اورطة من السود ورغبت اليه في مراقبة الحملة فطلب ان يكون مستقلاً في اعماله
 ولما لم تجب الى طلبه اعتذر عن السفر . وصحب باكر جماعة من الضباط الانكليز
 والمصريين اركان حرب وكان الكولونل سرتوريوس رئيس اركان حرب الانكليز
 والميرالاي عبد الرزاق بك رئيس اركان حرب المصريين وقد أعطي السلطة الملكية
 والعسكرية على جميع بلاد السودان الشرقي وعهد اليه في استرجاع الامن والسلام
 الى ربوعه على ان يبدأ اولاً بالوسائل السلمية فلا يرجع الى القوة الا اذا لم ينجع
 السلم وصحبه السيد محمد المرغني لهذه الغاية . فبرح مصر بمعظم قوته واركان حرب
 في ١٩ ديسمبر سنة ١٨٨٣ فوصل سواكن في ٢٣ منه ثم ذهب مع الاميرال هيوت
 الى مصوع فوصاها في ٣١ منه فاخذ منها ومن سنهيت بعض العساكر السود وجعل
 مكانها عساكر مصرية ثم عاد الى سواكن فبدأ بالوسائل السلمية فاعز الى السيد
 محمد المرغني فكتب الى عثمان دقنه ينصحه بترك الحرب ويخبره باتحاد الدول على
 قمع الثورة فاجابه بالجواب الآتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم
 » وبعد فمن عبد ربه عثمان ابي بكر دقنه الى الجناب الاكرم السيد الجليل السيد
 محمد بن الاستاذ السيد محمد المرغني وفقنا الله واياه الى باب العلي . فالذي نعلمكم به
 جناب الاكرم انه قد وصل جوابكم وفهم خطابكم الى آخر ما ابدتكم من النصح
 العام وذلك على حسب ما بدا لكم لان الدين مبناه النصيحة فجزاكم الله خيراً . وذكرتم
 انكم حضرتم بهذا الطرف من طرف الدول لاسكان هذه الفتنة الكائنة بهذه الجهة

وكون انا قنا فيها باسباب ناس مفتنين فعلى حسب فهمكم حكيتم ما حكيتم فاعلموا يقيناً انه لما قنا من الامام المهدي المنتظر عندنا اليقين الذي لا يشك فيه عاقل انه لو اجتمعت الخلائق باسرها شرقها وغربها لم يقدرُوا على مقاومة الايدي التي معها يد الله تعالى فضلاً عما ذكرت لنا من اتحاد الدول ولو كان عندنا ادنى شك في عدم نصرة الدين لما اقدمنا على هذا الامر ولكن المطلوب من شيمكم الحضور لطرفنا لاجل الكلمة والمفاهمة في الامر الذي جئنا به فان كان قصدكم احياء سنة رسول الله (صلعم) فبعد الكشف على حالنا تكونوا اتم بالخيار وان كان قصدكم تبليغنا اتحادية الدول قد فهمنا والسلام ٧ ربيع اول سنة ١٣٠١ هـ ٦ يناير سنة ١٨٨٤

فعلم باكر من هذا الجواب ان الوسائل السلمية لاتجدي نفعا فعول على القوة ونوى اتقاذ حامية سنكات اولاً ولكن قبل قيامه جاءته رسالة من قومندان حامية طوكر مفادها ان الحامية نفدت ذخائرها واضنى عساكرها الاسهال فاذا لم تأتة نجدة بعد يومين او ثلاثة اضطر الى التسليم فعدل عن سنكات وسار في الحال لتجدة طوكر فخرج من سواكن بحراً ووصل ترنكتات في ٢٨ يناير سنة ١٨٨٤

وكان عبد الله امير الساحل المار ذكره واقفأله بالمرصاد فبعث الجنرال باكر يسأله ترك الحرب فأبى فتقدم اليه في ٢٩ يناير سنة ١٨٨٤ ومعه : ٣٠٠ من الفرسان المصريين و ١٥٠ من الفرسان الاتراك و ٦٥٠ من جندمة الاسكندرية و ٥٠٠ من جندمة القاهرة و ٤٥٠ من عساكر مصوع و ٤٢١ من عساكر سنهيت و ٤٢٩ من المشاة الاتراك و ٦٧٨ من عساكر الزبير باشا و ١٢٨ من الطوبجية المصريين و ٤٠ من البوليس الاوربيين المتطوعين ومجموعهم ٣٦٥٦ رجلاً و ٦ مدافع . فسار بهم بالانتظام العسكري مسافة ٣ اميال ثم وقف فبنى طاية جعل فيها ٣٠٠ رجل لحفظ خط الرجعة

وفي فجر ٤ فبراير سنة ١٨٨٣ استطرد السير بياقي القوة تتقدمه الكشافة حتى صار على مقربة من آبار التيب فعاد الكشافة مذعورين وقالوا ان الدراويش فريون منا وهم في عدد كثير . وكان عثمان دقنه قد ارسل مدداً الى قوة التيب حتى

بلغت ١٢٠٠ رجلاً مؤلفة من عدة فئات كل منها تحمل راية فظن الكشافة ان كل راية تمثل جيشاً ثم لما رأى العساكر كثيرة الرايات ظنوا الذي ظنه الكشافة فهلت قلوبهم وتولاهم الرعب حتى انه لما صدر لهم الامر بتشكيل مربع لم يحسنوا تشكيله كما مرتوا عليه فاختلف رجال الضلع الخلفية بدواب الحملة ولم يحسنوا رمي الرصاص فاخترق الدراويش صفوفهم واختلطوا بهم فازدادوا هلعاً وخوفاً حتى طرح البعض سلاحهم في الارض وركعوا وبسطوا ايديهم نحو السماء طالبين الرحمة واختبأ البعض الآخريين دواب الحملة فانتفض الدراويش عليهم كالنسور يقتلونهم يميناً وشمالاً حتى لم يبق من الجيش كله سوى ١٢٠٠ رجل فانهمروا الى ترنكتات فعاد بهم باكر الى سواكن . وكان في جملة قتلى الجيش ١١٢ ضابطاً بينهم عبد الرزاق بك و ١٠ ضباط اوريون واما الدراويش فلم يقتل منهم سوى ٣٠٠ رجل بينهم محمود اخو الخضر وقد غنموا ٦ مدافع و ٣٠٠٠ بندقية ونصف مليون خرطوشة وانضموا الى اخوانهم المحاصرين لطوكر فضيقوا عليها واضطروها الى التسليم كما سيحي . وضيق عثمان دقته على سواكن

سقوط سنكات يوم الجمعة في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٠١ هـ ٨ فبراير سنة ١٨٨٤

اما سنكات فكانت اذ ذاك في اشد الخطر وكان توفيق بك قد جاءها بعد واقعة أمنت فحصن طايتها وخندق عليها واحاطها بزرية متينة من شجر السيل وبني عليها اربعة ابراج على كل برج مدفعاً فلما جاءها علي بن حامد وجدها حصينة فلم يجسر على مهاجمتها بل قعد لها بكل مرصد وحال بينها وبين سواكن ومنع اهلها الخروج منها وكان يبعث باصحابه الحاملين الاسلحة النارية الى قرب الطاية فكما لاح لهم أحد رموه بالرصاص وكان اذا رماهم العساكر بالقنابل صاحوا بهم مستهزئين اطلقوا مدافعهم مرة ثانية فان هذه الطلقة لم تصب . وداموا على ذلك حتى نفذ زاد العساكر واكلوا البغال والحمير والكلاب والقطط وشرعوا في اكل الجلود ومضغ اوراق الشجر تسكيناً لآلام الجوع . فلما صاروا الى هذه الحال جمعهم توفيق بشك المعروف ببطل سنكات وقال لهم « ايها الرجال ان بقينا هنا هلكنا من الجوع وان سلمنا لهؤلاء الاشقياء لم نضمن السلامة وان سلمنا عشنا عيشة يهون معها الموت

فلم يبق لنا الا ان نخرج من الاستحكام ونتخذ طريق سواكن فاذا لحقونا حاربناهم حتى ظفروا أو متنا مشرفين « وما زال يشدد عزائمهم ويرغبهم في هذا الرأي حتى وافقوه عليه . فلما كان يوم الجمعة ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٠١ هـ ٨ فبراير سنة ١٨٨٤ م احرقوا مخازن البارود والجبخانه وسدوا افواه المدافع وخرجوا من سنكات وعددهم ٦٠٠ نفس من رجال ونساء واولاد فما ساروا ميلاً ونصف ميل حتى اتوا مضيقاً وعراً فوجدوا الدراويش كامنين فيه فانتظموا بهيئة مربع وجعلوا النساء والاولاد في الوسط وشرعوا في رمي الدراويش بالرصاص حتى قتلوا منهم ٥٧ رجلاً ولكن الدراويش تغلبوا عليهم لكثرتهم وقتلوهم فلم ينج منهم سوى خمسة رجال بينهم قاضي سنكات وثلاثين امرأة فماتوا موت الابطال الاعزاء وخلدوا ذكراً في التاريخ بمدحهم عليه كل شهم حر . وانضم امير سنكات اذ ذاك الى عثمان في تماي فاشتد الحصار على سواكن

❦ حملة جراهم الاولى الى سواكن سنة ١٨٨٤ م ❦

هذا وكانت الحكومة الانكليزية لما سمعت بانكسار باكر اخذت الامر كله في يدها ففقدت مجلس نوابها بعد الواقعة بيومين واقترت على حماية سواكن فارجمت باكر باشا الى مصر والقت مقاليد الاحكام العسكرية والملكية في سواكن الى الاميرال هيوت . فابلغها في ١٢ فبراير خبر سقوط سنكات وهلاك حاميتها ففقدت مجلساً آخر اقترت فيه على ارسال جيش في الحال لحماية سواكن واتقاز حامية طوكر واوعزت الى قومندان جنودها في مصر فعقد للجندال جراهم على ٤٠٠٠ جندي فيهم ١٠٠ من الطوبجية بستة مدافع واورطة من الفرسان وصحبة بعض الضباط الانكليز الموظفين في الجيش المصري الجديد بصفة اركان حرب فوصل سواكن في اواخر فبراير فترك بعض الجند لحماية سواكن وسار بالباقي بحراً الى ترنكنات فوصلها في ٢٨ منه وبعث يتجسس احوال طوكر

❦ سقوط طوكر في ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٤ م ❦

وكان الدراويش قد اخذوا المدافع والاسلحة التي غنموها في واقعة باكر وشدوا الحصار بها على طوكر وكانت مؤونة الحامية تكفيها مدة طويلة وماؤها

من آبار في وسطها وحصنها منيع ولكن اعوزتها الذخيرة فثبتت على الحصار حتى علمت بانكسار باكر ولم تعد تسمع بنجدة اخرى فسلمت للدراويش في ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٤
واقعة التيب الثالثة في ٢٩ فبراير سنة ١٨٨٤ فعاد الجواسيس الى جراحم في ترنكتات واخبروه بسقوط طوكر في يد الدراويش فابلق الخبر حكومته فامرته بالحملة عليهم في الحال وتشيت شملهم فقام من ترنكتات بعد ظهر ٢٨ فبراير ونزل عند طاية باكر المار ذكرها وكان الدراويش قد علموا بقدومه فجمعوا له في التيب وبعث اليهم عثمان بابن اخيه مدني بن علي مدداً حتى بلغ عددهم ٦٠٠٠ رجلاً .
فارسل اليهم جراحم كتاباً ينصحهم بالتسليم وترك الحرب ودفع الكتاب الى الاميرالاي هارفي بك فالصقه براية بيضاء وسار وحده نحو الاعداء حتى قرب من التيب ففرز الراية في الارض وعاد الى الجيش ثم رجع في صباح اليوم التالي اي ٢٩ فبراير ومعه شرذمة من الفرسان الى المكان الذي غرز فيه الراية فلم ير الراية ولا ردّاً على الكتاب فصمم جراحم اذ ذاك على القتال فنظم جيشه مربعاً وجعل دواب الحملة في الوسط وسار تتقدمه طليعة من الفرسان . وكان الدراويش قد بنوا طاية على مقربة من التيب جعلوا فيها مدافعهم وخرجوا للقاء العساكر فما سار الجيش ميلاً من طاية باكر حتى اطلوا عليه ورموه بالرصاص ثم جعلوا يتقهقرون امامه كلما تقدم نحوهم حتى وصلوا الى طايتهم فدخلوها فامر الجنرال جراحم اذ ذاك فعزفت الموسيقى بعض الخانها الحماسية وتقدم المربع بقدم ثابتة حتى صار على قيد مرمى القنابل فوقف فبادره الدراويش باطلاق المدافع فاطلق المربع اذ ذاك مدافعه فاسكت مدافعهم . ثم ضرب النفير فحمل المربع على الطاية فخرج عليهم قسم من اهايا وقد اشهروا الاسنة وجردوا السيوف وفرسانهم في مقدمتهم فتلقاهم المربع بنيرانه فحصدهم حصداً وكان الواحد منهم اذا أصيب بالرصاص سدّ جرحه بيده واعاد الكرة حتى يلقي حتفه . وما زال المربع يتقدم مقتحماً نار العدو حتى امتلك الطاية عنوة وفر من سلم من الاعداء الى آبار التيب فزربوا زريبة وتحصنوا فيها . وفي الساعة الواحدة بعد الظهر تبعهم الجيش واخرجهم منها عنوة بعد قتال عنيف دام ٣ ساعات متوالية . وقتل من الانكليز

في هذا اليوم ٣٤ رجلا وجرح ١٥٥ واما قتلى الدراويش فقد زادوا عن الالفين وزاد جرحاهم عن ذلك . وبين قتلاهم عبد الله بن حامد المشهور بامير الساحل ومدني بن علي ابن اخي عثمان السالف ذكرهما والطاهر بن عمر ابن عم الطاهر المجذوب وموسى قيلاي الذي قال فيه عثمان انه رجل بمقام الف . ولم يقع منهم في الاسر الا القليل لانهم كانوا يحاربون الى آخر رمق حتى ان جريحهم كان وهو ملقى على الارض يختبط بدماه اذا مر به عسكري يطعنه بجريرة او بسيف . وقد حكى ان الطاهر بن عمر المجذوب المذكور آنفا قال لاصحابه قبل الحملة على الجيش « اذا أصبت قبل ان تتمكن من الوصول الى العدو فجروني برجلي حتى توصلوني اليه لعلني اتشفى من اعداء الله بضربة ولو في آخر رمق مني ثم ادفنوني فاستريح من شؤم الدنيا » واسترجع الجنرال جراهم في هذه الواقعة ٧ مدافع وشيئا كثيرا من الاسلحة والذخائر . وفي اليوم التالي اي ١ مارس تقدم الى طوكر فوصلها الساعة الرابعة بعد الظهر فلم يجد فيها احدا من الدراويش بل وجد ٦٠٠ نفسا من المصريين بينهم ٧٠ رجلا من حاميتها فعاد بهم الى سواكن ثم ارسلهم الى مصر واخذ يستعد للزحف على عثمان دقنه في تمای

(الواقعة تمای (التمينب) الثانية في ١٣ مارس سنة ١٨٨٤) وقد ظن الجنرال جراهم ان النصيح ينجم في عثمان بعد الذي جرى لاصحابه في التيب فكتب اليه ينصحه بالتسليم فلم يجبه فكتب ثانية اليه والى امرائه في ٨ مارس سنة ١٨٨٤ يتهددهم بالزحف عليهم في تمای اذا لم يسلموا فاجابه عثمان بقوله « دع عنك النصيح واستعد للقتال الذي يكون فيه هلاكك ان شاء الله » وختم جوابه هذا بختمه واختام امرائه . فخرج الجنرال جراهم اذ ذاك بالجيش من سواكن في ١١ مارس فبات ليلته في زرية من بناء باكر باشا . وفي صباح اليوم التالي (١٢ مارس) تقدم نحو تمای فالتقاه عثمان خارج الآبار فبات جراهم بالجيش على مقربة منه فارسل عثمان رجاله المسلحين بالبنادق فاقلقوا الجيش الليل كله . وفي صباح الغد (١٣ مارس) الساعة ثمانية ونصف نظم جراهم جيشه في مربعين فسار المربعان متحازيين احدهما متقهقر

عن الآخر قليلاً بهيئة « تدريجيه » . وكان مع عثمان نحو ١٢ ألفاً فجعلهم فرقتين كل فرقة صدد مربع فاخترقوا المربع الاول وغنموا بعض مدافعه ولكن المربع الثاني تغلب على فرقته وتقدم فانجد المربع الاول واسترجع المدافع وصبوا على اصحاب عثمان ناراً لم يطيقوها فانهزموا شر هزيمة فلحقوهم الى تماي فوصلوها الظهر فوجدوا ديم عثمان خالياً فاحرقوه وعادوا في اليوم الثاني الى سواكن . وقد قتل من اصحاب عثمان في هذا اليوم ٢٠٠٠ رجل وقتل من الجيش ٥ ضباط و ١٠٤ عساكر وجرح مثل ذلك من العساكر و ٨ ضباط

وفي ١٧ مارس اعلن الاميرال هيوت ان من يأتيه برأس عثمان دقنه حيا او ميتاً يجيزه بخمسة آلاف ريال ولكن بعد ثلاثة ايام من تاريخ صدور الاعلان اتاه الامر من بلاد الانكليز بالغائه لخالفته لمبادئ حزب الاحرار

وكانت الحكومة المصرية قد اقرت على اخلاء السودان كما مرّ وولجت بهذا المهمة غوردن باشا فحصر في الخرطوم وطلب النجدة من حكومته فلما كانت واقعة تماي قال بعض الساسة الانكليز بوجوب فتح الطريق الى بربر وارسال النجدة الى غوردن عليها وقال البعض الآخر بعدم صلاحية هذه الطريق لطولها ووعورتها وقلة مائها وخوف الغدر من اهلها الذين كانوا لم يزلوا متشيعين للمهدية فاقر رأي الحكومة على تركها ولكنها سلمت بكسر شوكة عثمان دقنه الذي عاد الى ديمه في تماي فحمل عليه جراهم ثانية في ٢٧ مارس ولم يكن مع عثمان اذ ذاك جيش يصادم به فانهزم من امامه وفرّ الى الجبال المجاورة فاحرق جراهم منازلهم وعاد الى سواكن وفي ٣ ابريل سنة ١٨٨٤ عاد الى مصر ولحقه جيشه . وفي ١٠ مايو سمي الماجور تشمرسيد حاكماً على سواكن وجعل تحت يده اورطتان من الجيش الجديد واورطة من البحارة الانكليزية لحماية سواكن وكان على سواكن سور منيع عليه الابراج والمدافع . ولما علم عثمان دقنه بذهاب الجنرال جراهم وجيشه اشاع ان الانكليز انما اخلوا سواكن فراراً من سطوته واخذ يجمع كلمة القبائل من جديد لحصر سواكن ولتركه الآن في هذا الصدد ولنأت على ما كان من امر غوردن وحصار الخرطوم فنقول :



غوردون باشا

الفصل الثاني عشر

في

﴿ غوردن باشا وحصار الخرطوم سنة ١٨٨٤ م ﴾

﴿ ولاية غوردن الثانية على السودان ﴾

تقدم ان الحكومة المصرية لما بلغها خبر هلاك هكس في شيكان قرأ رأيها على اخلاء السودان وانتشال حامياتها ووظيفيها منه . قيل فلما عُرض هذا القرار على النظار برئاسة شريف باشا لتصديقه قدموا استعفاهم من الوزارة فشكل الجنب العالي مجلساً آخر برئاسة نوبار باشا في يناير سنة ١٨٨٤ وعرض القرار عليه فصدقه وندب لهذه المهمة عبد القادر باشا فاعتذر قيل لانه كان متيقناً الفشل بغير الجند . فندب لها غوردن باشا فحضر من بلاد الانكايز في ٢٥ يناير سنة ١٨٨٤ . وفي اليوم التالي تشرف بمقابلة الجنب العالي فأصدر له فرماناً بتوليته حاكماً عاماً مفوضاً على السودان وامراً آخر يتضمن الغرض الذي ندب له وهذا فحواه : « ان الغرض من ارسالكم الى السودان ارجاع الجنود والموظفين الملكيين والتجار الى مصر وذلك مع حفظ النظام في البلاد باعادتها الى سلالة الملوك الذين حكموها قبل الفتح المصري ولنا مزيد الثقة انكم تتخذون افضل الطرق لانعام هذه المهمة طبق رغبتنا والسلام »

فسار غوردن في اليوم التالي (٢٧ يناير) قاصداً الخرطوم وليس معه من الاعوان سوى ستيورت باشا وابراهيم بك فوزي المتقدم ذكرهما . ويظهر من ارسال الحكومة لغوردن بهذه المهمة وقبول غوردن لها بلا عساكر تعضده ان الحكومة وغوردن لم يدركا حقيقة الحالة التي كان عليها السودان في ذلك الحين . فقد رأيت ان الثورة قد اشتعلت في السودان كله فسقط بعض حامياته في يد المهدي واصبح البعض الآخر تحت الحصار أو في خطر الحصار فكيف يتسنى لرجل واحد مهما اشتدت سطوته وحسنت سياسته ان ينتشل تلك الحاميات من مراكزها وفيها نحو ٣٠ ألفاً من العساكر ومثل ذلك أو ازيد من الموظفين والتجار وبين الحامية الواحدة والاخرى

مئات من الاميال في برّ مقفر ونيل بعيد المدى قابل للانخفاض مع ما فيه من
السدود والشلالات . ثم أية سلطة بقيت لسلالة الملوك الاولين بعد السلطة التي
حازها المهدي في البلاد واين الرأس الذين يجمع اولئك الملوك ويقف ندًا للمهدي !
ومما زاد المركز حرجاً الحطة التي جرى عليها غوردن في بدء مهمته : قال حسين
باشا خليفة مدير بربر « ان غوردن ارسل اليّ رسالة برقية من اسيوط يأمرني بها
ان ابّلع عهد البلاد واعيانها انه سمي والياً مفوضاً على السودان وانه عند وصوله
سيعزل جميع الموظفين الاتراك والمصريين ويولي حكماً من اهل البلاد ليعيد
الحكم كما كان قبل الفتح وانه اعفاهم من الاموال الاميرية المتأخرة لغاية سنة ١٨٨٣
ومن دفع الاموال مدة سنتين في المستقبل وانه خفض الضرائب الى نصف ما كانت
عليه والى الاوامر الصادرة بمنع الرقيق واذن لهم في المعاملة بالرقيق بعضهم مع بعض
وامرني بجمعهم في مركز المديرية الى ان يجي . وعند وصوله الى كورسكو ارسل
اليّ كتاباً معنوناً باسم محمد احمد يسميه فيه سلطاناً على كردوفان وكتب اليّ امراً
بارسال الكتاب الى محمد احمد مع رسول خاص مصحوب بهدية وهي جبة جوخ
حمراء وقفطان حرير احمر وطربوش احمر ومركوب احمر فأرسلت الرسول والهدية
وعند وصول غوردن الى بربر عقد مجلساً من العمد والاعيان والى عليهم
خطاباً اعاد فيه ما جاء في رسالته البرقية اليّ وقل ان الجنب العالي ترك السودان
لاهلهم واني قادم الى السودان بقصد ارجاع العساكر الى مصر ليس الا . ثم
اختار ١٢ عمدة وامرهم ان يشكلوا مجلساً كل اثنين وخميس ويحكموا فيه بالشورى
وامرني بأن لا انفذ امراً الا بعد اقرار المجلس عليه . ثم عزل الحكام الاتراك وسمى
عبد الماجد ابا الاكيلك ومحمد خشم الموس من كبار الميرقاب الاول مأموراً على
الوجه البحري الى حلة برقي والثاني على الوجه القبلي الى حجر العسل . واعلن الجمهور ان
كل من اراد الرجوع الى مصر يرسل على نفقة الحكومة فرحل الكثير من التجار
والغرباء . ثم اصدر منشوراً صرّح فيه بتسمية محمد احمد سلطاناً على كردوفان
وفتح الطريق بينه وبين بربر بعد ان كان مقفلاً والصق المنشور على باب

المديرية وباب الضبطية وفي شوارع المدينة فأخذ الناس يهاجرون الى المهدي افواجاً خصوصاً بعد الذي علموه من عزم الحكومة على اخلاء البلاد . وكان في جملة من هاجر اليه محمد الخير الذي افتتح المديرية باسم المهدي فيما بعد « كما سيجيئ ثم سار غوردن الى الخرطوم فوصلها في ١٨ فبراير سنة ١٨٨٤ . قال نصحي باشا : « فاستقبله على الشاطئ جميع الجند وقناصل الدول ورؤساء الاديان والعلماء . ثم دخل ديوان المديرية وكان غاصاً بعمد البلاد ومشايخها وتجارها فاخرج فرمان توليته من جيبه ودفعه الى الشيخ حسين المجدي فتلاه على الجمهور . ثم وقف بينهم خطيباً وقال بما معناه : اني بمقتضى هذا فرمان قد سُميت حاكماً مفوضاً على السودان لانظر في ما حل فيه من المشاكل واسأل الله ان يرشدنا جميعاً الى ما فيه اصلاح الحال واطمئنان البال وقد جئكم وحدي غير مصحوب بالعساكر والاسلحة اعتماداً على معونة الله وولايتكم للحكومة وانتم تعلمون شفتي عليكم ومحبتي لكم من قبل فلا يعيث البشورق بعد الآن في البلاد ولا ترون الا ما فيه راحتكم وانماء ثروتكم ونجاح تجارتكم وزراعتكم . ثم اشار الى ستيورت باشا الذي كان بجانبه وقال هذا الواقف امامكم هو وكيلي ومعتدي فاطلب اليكم اطاعة او امره واعتباره كشخصي . ثم امر فانصرف العساكر الى اماكنهم وذهب الى سراي الحكومة المعدة لسكنائه واقام فيها وفي هذا اليوم أمر فجمعت دفاتر الضرائب على الاطيان في ساحة عمومية ووضعت فوقها السياط وآلات الضرب التي كان يستعملها الحكماداريون السابقون وأضرم فيها النار . ثم زار السجون فاخلي سبيل الجميع ما عدا القتلة ثم تفقد العساكر على خط النار فسرّ من متانة الحصون التي اقامها عبد القادر باشا وكان الجيش مؤلفاً من عساكر مصرية نظامية وعساكر سود نظامية وعساكر باشبورق اترك ومغاربة وشايقية فجعل ابراهيم بك فوزي قومنداناً على العساكر المصرية وفرج بك الزيني قومنداناً على العساكر السود والسعيد بك الجميعابي قومنداناً على العساكر الباشبورق وحسين بك ابراهيم الشلالي وكيلاً له ومنح كلاهما بعد ذلك لقب باشا . قال نصحي باشا « ثم شرع غوردن في اخلاء الحامية ففرز

القسم الأكبر من العساكر المصرية وارسلمهم بقيادتي الى ام درمان على نية ارسالهم الى مصر والاكتفاء بالعساكر السود الى ان يتم اخلاء البلاد وفرز ستيورت باشا بامرہ المرضی وعيال الضباط والعساكر الذين قتلوا في شيكان والعساكر غير الالبيين للخدمة العسكرية والمرفوتين من الموظفين والكتائب وشرع في تسفيرهم شمالاً هم ومن اراد من التجار المصريين وغيرهم وامر ابراهيم باشا حيدر قومندان خط النار سابقاً فذهب الى بربر واقام هناك مأموراً بتسفيرهم هم والتجار المقيمين في بربر فارسلهم عن طريق كورسكو ثم لحقهم وكان غوردن قد بعث برسالة برقية من كورسكو بعزل حسين باشا سرّي من وكالة الحكمدارية فبرح الخرطوم قبل وصول غوردن اليها بايام وناب عنه الكولونل ده كوتلوجن المار ذكره فبرح الخرطوم بعد وصول غوردن بيومين . فكان مجموع من نزل الى مصر قبل ان سدت الطريق نحو ١٠٠٠ نفس ﴿ مخازن الخرطوم وشونها ﴾ « وفي صباح اليوم التالي اي ١٩ فبراير تفقد غوردن المخازن والشون والترسانة والخزينة وقتش دفاترها فوجد في المخازن :

٨٧٢	بندقية رمتون	١٣,٣٢٣	دانة ششخان اجناس للمدفع الجبلي
٢٦٨٠	بندقية طرز قديم	٢,٠٤٥	حلقوم للمدفع الجبلي
٣١٥,٧٤٠	دسته جيخانة رمتون	٩,٢٣٤	خرطوشة للمدفع الجبلي
١٠٣,٠٦٨	طرز قديم	١٣,٧١٠	كله طرز قديم
٣,٧٠٠	للمتريليوز	٥٧٠	حلقوم لمُدفع اوردي طرز قديم
١,٢٦٩	جديد	٢٥٥	قنطار بارود حب رفيع للبنادق
٢,٥١٢	خرطوشة للكروب	٢٧٧	خشن للمدافع
١,٩٠٠	دانة كروب قطر ٨	١٩	ملون للزينة
٢٥٠	حلقوم كروب	٣٧٦,٠٠٠	كبسول طرز قديم للبنادق
١,٢٥٥	طاق ساروخ	٨٥٠,٠٠٠	كبسول طرز جديد للبنادق الرمتون

ووجد في الشون :

٢٣,٥٠٠	اردب دره	٢١	قنطار ريش نعام
١٠٠	اردب قمح	٣,٠٠٠	اردب ملح
٦٠,٠٠٠	اوقه ارز هندي	٩١٢	قنطار خربث
١٢٥٠,٠٠٠	اوقه بقسماط	٦٠٠	قنطار صابون
١٤	قنطار غسل	١٠٠٠	قنطار زيت
٢٠٠	قنطار تمر هندي	١٠٠٠	قنطار شحم

﴿ المجلس الوطني ﴾ « ثم نظر في تنظيم مدينة الخرطوم فانشأ مجلساً وطنياً من

اعيانها لفصل المشاكل بين الاهلين . وارسل في طلب عوض الكريم ابي سن شيخ
الشكرية ليكون مديراً على الخرطوم بدلاً من علي بك جلاب
﴿ منشور غوردن ﴾ ثم وزع منشوراً على اهل الخرطوم وضواحيها فقال « ان
السودان قد فصل عن مصر فصلاً تاماً وقد جئكم حاكماً مفوضاً عليه فجلعت محمد
احمد سلطاناً على كردوفان والغيت الاوامر الصادرة في منع الرقيق واغضيت عن
التأخر من الضرائب لغاية سنة ١٨٨٣ وعن ضرائب سنتين في المستقبل وسأجعل
حكومة وطنية من اهل البلاد ليحكم السودان نفسه بنفسه وقد نذبت الشيخ عوض
الكريم ابا سن ليكون مديراً على الخرطوم » . وهو القول الذي اشاعه في بربر بعينه
ولم تعلم الحكمة التي ارادها غوردن في افشاء الغرض من رسالته لاهل
السودان ثم في تسمية محمد احمد سلطاناً على كردوفان فان محمد احمد قد اصبحت
واقعة شيكان سلطاناً معنوياً على السودان كله وسلطاناً فعلياً على جميع السودان
والغربي فهل يحتفل بعد بلقب « سلطان على كردوفان » من حكومة جرّد سيفه
لقتالها وقهر جنودها المرة بعد المرة . وما الفائدة في اعطائه هذا اللقب رسمياً ثم ما
الفائدة في تبليغ الاهلين قصد الحكومة في اخلاء السودان في مثل تلك الاحوال
سوى اظهار العجز امام المهدي وحمل الاهلين الذين كان لهم بقية امل في الحكومة
على تركها بتاتاً والانضمام الى المهدي قبل فوات الفرصة

﴿ مناشير المهدي ﴾ وقد تقدم لنا ان المهدي بعد واقعة شيكان اخذ يستعد
للزحف على الخرطوم وكتب الى اهل الجزيرة يستحثهم على القيام لنصرة الدين
وحصر الخرطوم الى ان يجي بنفسه . وقد جاهر الشيخ محمد البصير حمو المهدي
بالثورة في جهات النيل الازرق توتاً بعد واقعة شيكان وحصر صالح الملك في فداسي
كما سيجي . وكتب المهدي يتهدد المشايخ الذين لم ينصروه بعد وهاك ما كتبه
الى الشيخ العبيد ولد بدر (في ام ضبان) واعوانه :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم
وبعد فجزيل السلام من عبد ربه الواثق بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى

حبيب العبيد بدر وكافة من كان لله وبذل نفسه في نصرة الدين من عباده المؤمنين
 اما بعد فالذي نعلمكم به ايها الاخوان ان قد تكررت منا اليكم المخاطبات
 والاندارات والمواعظ التي يهون في جنبها ارتكاب كل صعب شديد في طاعة الملك
 المجيد وقد كنا نعدكم للنائبات التي تزل من عدم الصبر عليها اقدام الثقات لتعبير
 بواطنكم واوقاتكم بذكر الله ودلائكم لخلق الله وعكوفكم على قدم الصدق التي تنافس
 فيه اهل الله وحزبه وانتم اهل دراية ومعرفة وقد علمتم ان القلب اذا خلا من
 غير الله يمتلي نوراً ويفيض منه الى خلق الله ولا شك ان الرباني التمسك بالله
 كامثالكم شأنه هكذا وسياه هي عدم الخشية من احد غير الله والى الآن انتم
 معدودون عندنا لاجل ذلك وقد بلغنا عنكم عدم الاهتمام والقيام لقتال الكفرة
 حيث ندبكم محمد الطيب البصير لذلك فتخلفتم عن اجابته وما كان لكم ان ترغبوا
 بانفسكم عن الله ورسوله وتشاركوا المتخلفين عن رسول الله (صلعم) فاي عذر
 لكم بعد امر الله ورسوله وامرنا هذا وان كنتم في اشد البلايا فان الدين بالبلوى
 يزيد تجملاً ولا يعرف الذهب من الزيف الا بحرقه في النار ولا يرغب عن ملة
 ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام الا من سفه نفسه وما اراكم ترضون بذلك
 لكونكم عندنا من الاخيار فاطلبوا ما عند الله فالبدار البدار وتوبوا مما توقفت لاجله
 فانه لا شيء يعتذر به ويستحي المؤمن اذا وقف بين يدي الله تعالى وينكس
 رأسه ذليلاً منكسراً حيث اثر الغير على محبة الله وتأتى من طلب الله لاجل شيء
 ظنه عذر وتوانى عن نصرة الله فيود ان تسوى به الارض من شدة وجهه ونجله
 من الله حيث انكشف له حقيقة حاله عند الله وبعثر ما في القبور وحصل ما في
 الصدور . فاذا بلغك جوابي هذا فشمروا وقوا عزمك في الله وشد حزام العزم والحزم
 واجمع همك في الله وارسل لجميع اتباعك واحبابك واهلك وعشيرتك في الله وجاهر
 في معاداة الكفرة واقطع السكك وبارز بالعداوة ظاهراً وباطناً بالقتل والاسر
 والرباط والحصار ولا تتوقف ابداً لامر ما ان كنت ممثلاً مصداقاً بمهديننا افعل
 ذلك ولا تبال حكم ما فعل محمد الطيب البصير وان خشيت فانضم اليه وهاجر من

محك الذي انت فيه واتحد معه كيد واحدة فلا يكون لك بد عن هذا ابداً فخرض المؤمنين على القتال وسلم نفسك واتباعك من الحساب والسؤال فان من قصد الله ورسوله واقامة الدين يجاهد عدو الله ورسوله ولو مع شلكاوي فلا تضر نفسك فلا يكون رضائي عليك الا بفعل ما امرتك من احد الامرين مع عود الافادة الينا عاجلاً لنعلم ما انت عليه والسلام ولا تجاوبنا بغير ما امرناك ولا تبسط لنا الاعذار وها قد اندرناك ومن بلغه الانذار لا حق له في الاعتذار والسلام

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم » وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الى احبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه خصوصاً دفع الله تلميذ العبيد ولد بدر وكافة عصيته ورجاله واتباعه اجمعين اما بعد فالذي نعلمكم به ايها الاحباب انه جاء الحق وزهق الباطل وقد علمتم ان خروج المهدي وظهوره كقيام القيامة تنصح فيه اهل الدين والايمان ويكشف عن الصادقين من الاحباب وانتم ابنا الطريقة وخدمتها المريدون لحرث الآخرة ومجتهدين فيها وهذه سنة محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد ظلمت وايدها الله بظهورنا ووجب عليكم طاعتنا ونصرتنا في الله لاقامة الدين وترك كل ما لى وشغل من مال وبنين وحيث فهمتم ذلك وفاتكم الهجرة الاولى وكان الله ورسوله والجهاد في سبيله احب اليكم من كل شيء سواه فبمجرد وصول جوابنا اليكم صحبة رافعه محمد النائر تحزبوا في الله احزاباً احزاباً وجهزوا حالكم واستعدوا للقتال والجهاد للكفرة بكل ما امكنكم وانضموا الى العبيد بدر وبمجرد سماعكم بحلولنا بالبحر الابيض تقوموا بكامل رجالكم خفافاً وثقالاً وقابلوا الخراطوم بجهتكم التي يقال لها القبة وحاصروا اعداء الله وضيقوا عليهم فان الله يخزيهم وينصرهم عليهم فاني موعود بالنصر والظفر عليهم باذن الله تعالى ولو كنت وحدي فمن تخلف بعد مجيئنا قدمه هدر وماله واولاده غنيمة للمسلمين يكون معلومكم ذلك وبعده السلام . وايضاً كتبنا لوالدكم العبيد بالحصار والجهاد تجاه القبة للخراطوم وانه يساعدكم على هلاك الكفرة فتعاونوا عليهم فان المؤمنين كالبيان يشد بعضه البعض يكون معلومكم والسلام اه

وكتب مثل ذلك الى الشيخ المضوي عبد الرحمن المار ذكره . والشيخ المضوي والشيخ العبيد هما كبيرا الطريقة القادرية من فرع تاج الدين البهاري وكثير من اهل الجزيرة والشرق على طريقتهما ولم يكونا مصدقين المهدي ولكن عجز الحكومة عن اذلاله اضطرهما الى مسالمة والبقاء على الحياد الى ان ترجح احدى القوتين على الاخرى فيتبعانها . فما زالا يتبعان اخبار الحكومة والمهدي الى ان كانت واقعة شيكان وقدم غوردن وحده بلا جند بقصد اخلاء السودان وقام الشيخ محمد البصير في الجزيرة وحصر فداسي كما اشرنا قبلاً فلم يريا بعد ذلك بداً من الاخذ بقول المهدي والقيام بنصرته فرفعا رايته واخذوا يستعدان لحصر الخرطوم

وكان غوردن بعد ان وزع منشوره المار ذكره قد ارسل وكيله ستورت باشا في باخرة على البحر الابيض لاجل تأمين الاهالي ومعرفة تأثير المنشور وصحبه الشيخ حسين عبد الرحيم شيخ الدويم والشيخ عبد القادر قاضي الكلاكلة وغيرهما من اعيان البلاد فلما وصلوا الدويم وجدوا العربان مجتمعين للثورة تحت راية احمد المكاشف وما قربوا منهم حتى بادروهم باطلاق الرصاص فانقلبوا راجعين الى الخرطوم وفي هذه الاثناء ارسل الشيخ عوض الكريم ابوسن ابنه علي الهدى الى الخرطوم فأخبر غوردن ان الثورة اشتعلت في جميع بلاد النيل الازرق ومحمد البصير لم يزل محاصراً لصالح المك في فداسي وان منشوره لم يكن له اقل تأثير ولذلك فهو لا يستطيع المجيء الى الخرطوم ويرى ان بقاءه في جهات النيل الازرق اصلح للحكومة فلما علم اهل مدينة الخرطوم حال البلاد قلقوا واضطربوا وجاؤا الى غوردن زمراً من تجار ومتسببين وصناع من وطنيين ومصريين وافرنج وقالوا له ان كنت لم تزل مصمماً على ارسال العساكر فنسألك ان تسعى في ارسالنا قبلهم . وفر كثير من الوطنيين من المدينة وثاروا مع الثائرين وفي جملتهم الشيخ عبد القادر قاضي الكلاكلة فطلب غوردن للزير فرأى غوردن الآن ان السودان اذا ترك لاهله فأهله لا رأس لهم يجمع كلمتهم لانهم قبائل شتى لكل قبيلة منهم شيخ أو ملك مستقل عن الآخر فاذا تركهم وشأنهم لم يروا بداً من الانضمام الى المهدي القائم بدعوى

الرئاسة على الكون كله . فأراد ان يجعل له في السودان ندًا تجتمع عليه القبائل
فترجح كلمته على كلمة المهدي فلم يرَ ندًا افضل من الزبير لانه فضلاً عن علو نسبه
على نسب المهدي فهو معروف عند اهل السودان كافة بالكرم والشجاعة وحسن السياسة
واهل الخرطوم وضواحيها هم اهله وله من جملة على كثير منهم منذ كان حاكماً على
بحر الغزال ودارفور . وكان الزبير اذ ذاك في مصر فبعث غوردن يطلب ارساله
الى الخرطوم ليؤليه السودان على الشروط الآتية :

١٠ . ان يمنح الزبير رتبة فريق والنيشان العثماني الاول ويجعل حاكماً عاماً على
السودان الى حد الخندق من اعمال دنقلة براتب ٦٠٠٠ جنيه في السنة
٢ . ان يمنح الحرية المطلقة في ادارة الشؤون الملكية والعسكرية فيولي من يشاء
ويعزل من يشاء وينظم المالية والارسانة والضرائب وجميع انواع الدخل والخرج
٣ . ان يُعطى السلطة لمنح رتب ملكية وعسكرية الى رتبة ميرالاي على ان
يطلب عرائضها من خديوي مصر

٤ . ان تجعل له الحكومة المصرية اعانة سنوية قدرها مليونان ونصف مليون
جنيه وهي قيمة ما كان ينفق على السودان من قبل وذلك لمدة سنتين فقط
٥ . ان يترك له جميع ما للحكومة في السودان من الاسلحة والذخائر والوابورات
٦ . ان تساعد الجنود الانكليزية على رفع الحصار عن الخرطوم وسنار وسواكن
٧ . ان يشمل السودان جميع بلاد سواكن والقضارف وكسله والقلابات وسنار
والخرطوم وبربر ودنقلة الى حد الخندق . اما مصوع وسنيت فتفصلان عن
السودان واما بحر الغزال وخط الاستواء فتخليان ويؤتي بوظيفتهما الى الخرطوم او مصر
٨ . ان ينشأ جمرک في سواكن ويضم دخله الى مالية السودان اما في الخندق
فلا يكون جمرک بل تعفى البضائع الصادرة والواردة من الرسوم

٩ . ان تبقى تجارة الرقيق ممنوعة بموجب الاتفاق الذي ابرم بين الدولة الانكليزية ومصر
١٠ . ان تحكر طرق السودان لحسين باشا خليفة (مدير بربر) ولذريته من بعده
وقد صرح غوردن بأنه لا يمكن استرجاع النظام الى السودان ومنع امتداد

الثورة الى مصر الا بتوليح الامر كله للزير فجاءه الجواب من حكومته في ٢٦ فبراير بعدم استصواب ارسال الزير فبعث بعد يومين يلح عليها في ارساله ويبين الاسباب ولما لم تجبه عاد في ٤ مارس الى الحاحه . قيل وكان الجناب العالي والسر أفلن بارنج (اللورد كرومر) ونوبار باشا رئيس مجلس النظار موافقين على ارسال الزير الى الخرطوم ولكن جمعية ابطال الرقيق في لندن هي التي عارضت في ارساله . وشدت المعارضة فجاءه الجواب من حكومته في ٥ مارس بأنه قد قرّر الرأي نهائياً على عدم ارسال الزير الى الخرطوم

فلما رأى غوردن ان حكومته لا تسمح له بالزير ورأى استعداد الاهلين لحصر الخرطوم اخذ يهتم بتحسينها فأرجع اليها العساكر المصرية من طاية أم درمان ولم يبق فيها سوى اورطة واحدة ومدفع وساروخ لحمايتها . ثم امر فرج باشا الزيني قومندان العساكر السودانية فشكل مجلساً عسكرياً من الضباط العظام تحت رئاسته ونظر في امر الدفاع فقرّر رأي المجلس على وضع جميع العساكر المصرية والسودانية والباشبوزق والمدافع على خط النار بين النيل الايض والنيل الازرق . عدا اوردي من الباشبوزق يوضع في قصر راسخ بك المعروف بسراي الشرق تجاه سراي الخرطوم . وبلوك من العساكر النظامية ومدفع واحد في طاية المقرن عند التقاء النيلين . مع بقاء الاورطة في طاية أم درمان بالغرب فصدق غوردن هذا القرار ونفذ في الحال . واقعة الحلفاية في ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ . وما أتم غوردن استعداده حتى حضر الجواسيس واخبروه بأن الشيخ العبيد زاحف بجيوش تنيف على ٣٠ ألفاً لحصر الخرطوم من جهة الشرق فأرسل ٥٠٠ من الباشبوزق مدداً الى سراي الشرق وفخ المزاغل في جدرانها وخندق حولها وانشأ فيها محطة تلغرافية فوصل بينها وبين سراي الخرطوم . ثم ارسل ٥٠٠ من الباشبوزق الشايقية الى الحلفاية لمنع الدراويش من احتلالها . ولم يكن الا القليل حتى اقبلت جيوش الشيخ العبيد وعليها ابناه ابراهيم والعباس والشيخ المضوي ونزلوا على الشايقية في الحلفاية فهزموهم منها بعد ان فتكوا بهم واحتلوها مكانهم . وكان غوردن باشا واقفاً على سطح السراي يشاهد القتال

بالنظار فلما رأى انهزام الشايقية ارسل ابراهيم بك فوزي في باخرتين مشحونتين بالعساكر فوجد الدراويش قد شادوا المتاريس والطوابي وتحصنوا بها مع انه لم يمض على احتلالهم اياها سوى بضع ساعات فخاربهم مستبسلًا الى ان سدل الليل حجابهُ فرجع عنهم بعد ان زحزحهم من حصونهم وقد اصابته رصاصة في فخذهِ اليمنى فشوهتها فأنعم عليه غوردن برتبة اللواء. وكان تاريخ هذه الواقعة ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ وهي اول وقائع حصار الخرطوم

واقعة الشرق في ١٦ مارس سنة ١٨٨٤ ؍ وصمم غوردن رأيه على طرد الدراويش من الحلفاية فجهز جيشًا مؤلفًا من ٣٠٠٠ من الباشبوزق و ١٠٠٠ من الجهادية ومدفع جبلي وعقد لواءه للسعيد باشا ووكيله حسين باشا ابراهيم الشلالى المار ذكرهما فخرجا من سراي الشرق وسارا نحو الحلفاية فالتقاهم الدراويش في منتصف الطريق فانقسموا ثلاث فرق فرقة عن يمينهم في غابة الملاحة وفرقة عن يسارهم شمالي القبة وفرقة امامهم قيل وكان السعيد باشا ووكيله متواطئين معهم على الفتك بالجيش فلما صاروا على بعد مرمى الرصاص لم يأمر العساكر باطلاق النار فهاج قومندان الجهادية وأمر رجال المدافع ومقدمة القلعة فأطلقوا نيرانهم واخذ الدواويش في الانهزام فأمر حسين باشا اذ ذاك ملازم الطوبجية بالكف عن الضرب ولما لم يفعل ضربه بسيفه ضربة أطاحت رأسه. وأمر سعيد باشا البروجي بضرب «نوبة رجعة» ولما اعترضه الصاغ قال انا القومندان دون غيري واعاد الامر للبروجي فتوقف فضربه بالسيف فقتله ونادى بروجيا آخر فخشى ان يصيبه ما اصاب رفيقه فضرب نوبة رجعة وأخذ العساكر في التقهقر فعجب الضباط من هذا الامر واخذ خشم الموس ومحمد أغا قرضية وغيرهما من الضباط يستوقفون العساكر للقتال ولكن كان السعيد والحسين يردانهم بالسيف وقد جعل كل منهما طربوشه في فيه فظن انها العلامة التي اتفقا عليها مع الدراويش. ولم يبق في ساحة القتال سوى ضابط من الباشبوزق يدعى مولى بك وقد كان متوليًا ادارة مدفع فبقي يقاتل الدراويش حتى تكاثروا عليه فقتلوه واخذوا المدفع وتأثروا العساكر المنهزمين فأدركوا اربعة جمال محملة ذخائر فغنموها.

وكان قتل الجيش في هذا اليوم نحو ٤٠٠ رجل واما الدراويش فلم يقتل منهم سوى ٢٠ رجلاً. وتاريخ هذه الواقعة الاحد في ١٦ مارس سنة ١٨٨٤ وقد عرفت «بواقعة الشرق» لانها كانت في شرق النيل

وكان غوردن باشا يشاهد الواقعة من سطح السراي وقد كاد يتمزق من الغيظ لما رآه من انهزام العساكر فارسل ستيورت باشا الى قصر راسخ ليتحقق سبب انهزامهم فاخبروه بالذي جرى فابلقه غوردن تلغرافياً فامر باحضار السعيد والحسين الى الخرطوم وشكل مجلساً عسكرياً من الضباط والسناجق برئاسة فرج باشا الزيني لمحاكمتهم وفي اثناء ذلك قدّم اهل العساكر الذين قتلوا في الواقعة عرائض شديدة الى غوردن يطلبون بها قتل السعيد والحسين والا قتلوهما بايديهم واطهر التحقيق انها كانا متواطئين مع الدراويش فحكم المجلس عليهما بالاعدام وصدق غوردن الحكم فقتلاه وانعم على خشم الموس بالرتبة الثالثة وجعله قومنداناً على الشايقية مكافأة له على بسالته في واقعة الشرق

وقد رأيت كتاباً من المهدي الى زقل بتاريخ ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هـ ابريل سنة ١٨٨٤ يشير فيه الى الواقعتين السابقتين قال : «... وايضاً نعلمكم انه في يوبي تأريخه حضر لنا جواب من الشيخ العبيد بدر يذكّر فيه بعد ما اتاه جوابنا له بالجهاد انه وجه ابنه ابراهيم العبيد ومعه الانصار لاجل محاصرة الخرطوم فوافوا مراكب ملائكة عسكر متوجهة للخرطوم تحت حلة الخلفاية فتقابلوا معهم وهزموهم وضبطوا منهم مائة وخمسين عسكرياً من ضباط وغيرهم واستلموا بعضاً من اسلحتهم النارية والباقي ولوا الادبار. وكذلك يوم الاحد الموافق ١٨ جمادى اول سنة ١٣٠١ في ساعة الضحى خرجت اليهم جردة تساوي أربعة آلاف من قيقر قصر راسخ بالشرق فتقاتلوا مع المذكورين فهزموهم في اقل من نصف ساعة وقتلوا منهم اربعمائة نفر واستلموا منهم مدفع وجبخانه اربعة جمال والشهداء من الانصار عشرون شهيداً...»

﴿ حصار الخرطوم ﴾ وزاد انصار المهدي جرأة بعد واقعة الشرق فتقدموا لحصار الخرطوم وام درمان معاً فنزل ابراهيم بن الشيخ العبيد والشيخ المضوي في قبة خوجلي

فحصر الخرطوم من الشمال وأجتاز العباس ابن الشيخ العبيد النيل الازرق ونزل في الجريف فحصرها من الجنوب من جهة النيل الازرق . ثم ان عبد القادر قاضي الكلاكلة بعد فراره من الخرطوم نادى باسم المهدي فاجتمع عليه نحو ٣٠٠٠ رجل واكثرهم مسلحون بالاسلحة النارية فدخل بهم في حلة الكلاكلة وحصر الخرطوم من جهة البحر الايض . وكان المهدي قد كتب الى مصطفى الامين ام حقين المقيم بجزيرة اسلانج شمالي الحلفاية فجمع نحو ٢٠٠٠ رجل ونزل في خورشنبات فحصر ام درمان من جهة الشمال . وجمع احمد ابو ضفيرة شيخ الجموعية نحو ٢٠٠٠ من عربان الجموعية والفتيحاب ونزل في ابي سعد فحصر ام درمان من جهة الجنوب ولا استقر بهم المقام ارسل كل منهم كتابا الى غوردن باشا يدعوه الى التسليم وهذا ما كتبه اليه المضوي كما رواه لي :

« اما بعد فقد بلغني انك تزعم ان معظم اهل السودان مجبورون على اتباع محمد احمد المهدي وليس لهم الرغبة فيه باطنا وانك تحب خلاصهم منه فاعلم ان جميع اهل السودان خاصتهم وعامتهم قد اتبعوا محمد احمد قلبا وقالبا ودليل ذلك بذلهم ارواحهم بين يديه في الحروب وأني انصح لك ان تفعل أحد أمرين اما ان تسلم للمهدي فتسلم بمن معك من اهل الخرطوم فيؤتيك الله اجر كمرتين او ان ترحل الى بلادك فتنجو من هذه المهالك فانه لا خير لك في البقاء هنا على هذا الحال لانك ان بقيت فلا بد من هلاكك أنت وجميع رجالك والسلام »

فكسى غوردن رسل الزعماء وارجعهم بجواب هذا مفاده : « اعلموا ان محمد احمد الذي اتبعتموه ليس المهدي المنتظر على ما اثبتته النصوص الشرعية والمعلوم عندي انه سلطان كردوفان كما سبقت فاخبرته في كتاب خاص . واما نصيحتكم الى التسليم فدل على جهلكم وغروركم ولا يسوغ لي ان اسلم لكم العساكر والرعية لتعاملوهم بما تعودتوه من القتل والنهب والسلب واعلموا انكم اذا لم ترجعوا عما انتم فيه ستبلون بجيوش من قبل الحكومة الخديوية والدولة الانكليزية لا طاقة لكم بها والعاقلة من نذير امره والسلام »

﴿ جواب المهدي على كتاب غوردن ﴾ ثم لم يكن الا القليل حتى حضر الرسول
(عبد الله العبادي) الذي ارسل بالهدية والكتاب الى المهدي ومعه رسولان من قبل
المهدي فوقفوا امام السور ورفعوا راية بيضاء فامر غوردن باحضارهم اليه وكان رسولا
المهدي مسلحين فتقدم المأمور اليهما ليحردهما من سلاحهما قبل دخولهما على غوردن فأيا
فسمح لهما غوردن بالدخول عليه بسلاحهما ثم أمر لهما بكرسيين فجلسا وأمر ابراهيم
بك رشدي باشكاتب الحكمدارية باستلام ما معها فاذا بالهدية التي ارسلها غوردن
مردودة ومعه هدية من المهدي وهي بدلة من لباس الدراويش وكتاب هذه صورته:
« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم
» وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى عزيز بريطانيا
والخديوية غوردن باشا: قد وصلنا جوابك وفهمنا ما فيه والحال انك تزعم ارادة
اصلاح المسلمين وفتح الطرق لزيارة قبر النبي (صلم) واتصال المودة فيما بيننا وبينكم
وحل المسيحية من النصارى والمسلمانيين وان تجعلنا سلطانا على كردوفان فاقول
والامر لله اني قد دعوت العباد الى صلاحهم وما يقربهم من ربهم وان يفرغوا من
الدنيا الفانية الى دار البقاء ويعلموا بما يصلحهم في آخرتهم وقد كتبت الى حكمدار
الخرطوم وانا بأبا بدعايته الى الحق وبان مهديتي من الله ورسوله ولست في ذلك
بمتحيل ولا مريد ملكا ولا جاها ولا مالا وانما انا عبد احب المسكنة والمساكين
واكره الفخر وتعزز السلاطين ونبوهم عن الحق المبين لما جلبوا عليه من حب الجاه
والمال والبنين وهذا هو الذي صدمهم عن صلاحهم واخذ نصيبهم من ربهم فاخذوا
الفاني وتركوا الباقي واشتغلوا بما لا يكون من الفانيات ولم يسمعوا قول الله ولا رسوله
ولم يذكروا خبر القرون الذين لم يغن عنهم ذلك شيئا وتندموا على قدر الذي تمتعوا
به فايدني الله تعالى بالهدية الكبرى لدلائلهم الى الله تعالى وليتركوا العز الفاني والنعيم
الفاني الى العز الدائم والنعيم الابدي في دار النعيم المقيم ولا عرتهم غرور من يريد
العاجلة ويظن انه ساع في رضا الله ويكون له نصيب في الآخرة وقد قال المسيح
عليه السلام يا معشر الخواريين ابنوا على موج البحر دارا تلکم الدنيا فلا تتخذوها

قراراً ومن ظن انه يخوض البحر من غير بلل فهو مغرور فكذلك من ظن انه يجمع
 الدنيا ويريد عزها وجاهاها ويكون له في الآخرة شان . فانب الى الله الباقي واخضع
 لجلاله واطلب عز الآخرة ولا تظن ان هذه الدنيا دار حتى تسعى لملكها وعزها
 وكيف من يكون على خلاف سكة النبي (صلم) يفتح باب زيارة قبره ولم يكن
 النبي (صلم) ممن يرغب زيارة الكلاب كما ورد ان الدنيا جيفة وطلابها كلاب
 ولم يكن يرغب من عبد غير الله ونسي الله واعرض عن كلامه وطلب متاع الحياة
 الفانية فان كنت شقيقاً على المسلمين فبالاول اشفق على نفسك وخلصها من سخط
 خالقها وقومها على اتباع الدين الحق باتباع سيدنا محمد رسول الله (صلم) الذي احيا
 ما اندرس من ملل الانبياء والمرسلين واتى مصداقاً لما بين يديه من الكتب فجميع
 الانبياء عليهم السلام لو حضروه لما سلخوا غير ملته وكلهم يتمنون ان يكونوا من
 امته ومن حضر بعثته وما بعد لا يقبل منه ديناً غير سكتة فطهر نفسك اولاً بالدخول
 في ملته ثم اشفق على امته بسلوك سنته فعند هذا فانت الشقيق ومن غير هذا فما
 لك من المحقين رفيق كيف وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
 والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم ان الله لا يهدي
 القوم الظالمين الى ان قال وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة
 ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم
 الغالبون وانا قد امثلنا امر الله فما نتخذ ولياً الا الله ورسوله والمؤمنين وعلى ذلك
 قد وعد الله الغلبة كما سمعته من قول الله . هذا وما دام ان الله يقول لهم الغالبون فلا
 غلبة لغيرهم فان رجعت عما انت عليه من ملة غير الاسلام وانبت الى الله ورسوله
 واخترت الآخرة تتخذك ولياً وتكون من اخواننا وتكون المودة المطلوبة عند الله
 ورسوله وتكون ممن امثل امر الله بعد هذه الآيات فاستحق الوعد والبشارة في قوله
 تعالى ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنة النعيم
 ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن
 نحت ارجلهم الآية فبعد هذا تتصل المحبة والمودة فيما بيننا وبينك وتكون ممن عمل

بالقرآن والتوراة والانجيل وتكون قد اتبعت باتباع نبينا محمد (صلم) عيسى وجميع
الرسل والنبين وحزت الخير الابدي. والا حيث علمت ان حزب الله الذين وليهم
الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون من كلام الله فاعلم ان حزب الله واصل اليك
ومزيل لك عما شاركت به الله خالك فاستدعيت ملك عباده وارضه مع ان
الارض لله يورثها عباده الصالحين واما المسلمانيون والمسيحيون الذين دعوت بظلمهم
اليك فانا اريد لهم الصلاح والنفع عند الله وفي دار الابد كما اریده لك ولكافة عباد
الله فلا ابعدهم من جنتهم الى محنتهم فان الله قد ايدني رحمة للعباد لا تقدهم من
الهلاك الذين هم واقعون فيه لو لا رحمة الله بظهوري فيهم. واعلم اني المهدي المنتظر
خليفة رسول الله (صلم) فلا حاجة لي بالسلطنة ولا بملك كردوفان ولا غيرها ولا
في مال الدنيا ولا زخرفها وانما انا عبد الله دال الى الله والى ما عنده فمن كان سعيداً
اجابني واتبعني ومن كان شقياً اعرض عن دلالي فازاله الله عن موضعه واذله
وعذبه عذاب الابد وقد ايدني الله تعالى بالانبياء والمرسلين والملائكة والقربين
وجميع الاولياء والصالحين لاجلاء دينه وقد بشرني النبي (صلم) ان جميع من يلقيني
بعداوة يخذله الله ويهزمه ولو كان الثقلين الانس والجن فلا تغتر فتهلك كما هلك
اخوانك فافهم وسلم تسلم. واما الهدية التي ارسلتها لنا فعلى حسب نية الخير جزاك الله
الخير وهداك الى الصواب واعلم انه كما كتبنا لك انا لا نرغب متاع الحياة الدنيا
وزينتها وانما هي قصد المترفين الذين لم يكن لهم عند الله نصيب فها هي رسالة اليك
مع ما نرغبه من اللبس لنفسنا ولاصحابنا الذين يريدون الآخرة ويرغبون ما عند
الله من الخير الباقي الابدي ليستحقوا بذلك نعيم الابد وملك الدوام كما درج على
ذلك الانبياء والمرسلون وجميع السعداء من عباد الله الصالحين وتعلم ذلك انت حقيقة
من سيرة عيسى عليه السلام وحواريه وقد قال كييت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدي
فتعلم بذلك ان من خالفه من الاحبار والرهبان وجميع من يدعى اتباعه ليسوا محقين
وانما غرتهم الحياة الفانية والامتنعة الآتلة الى ان تكون جيفة وعذرة ثم عد ما محضا
فتكون حسرة وندماً عند فراقها ولما فوتته من اكتساب خيرات الدوام. ثم ان مثل

هديتك عندنا كثير ولكن اعرضنا عنه طلباً لما عند الله واقول لك في ذلك كما قال
 سليمان عليه السلام لبلقيس وقومها اتمدوني بما لى فما آتاني الله خير مما آتيكم بل اتم
 هديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم
 صاغرون . واعلم انك اذا اتيتنا مسلماً نريك ونريك من النور ما يطمئن به قلبك
 ويحول به طمعك في الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك ان رأينا فيك خيراً وصلاًحاً
 للمسلمين وليناك كما فعلنا ذلك بمحمد خالد المشهور بزقل مدير داره سابقاً فانه لما اتانا
 ورأى الحق وفرح بلقاءنا غاية وندم على ما فات مما ضيعه من عمره في الفاني
 فاطمان قلبه بالله واختار الآخرة ووثق بالله وليناه على دارفور وقد كتب لنا
 قبل ذلك عبد القادر سلاطين بالتسليم فاكرمناه والى الآن نريد كمال تربيته
 وهو الآن في خير كثير وكذلك السيد جمعه الذي كان مدير الفاشر الآن ارسلنا
 الى محمد خالد المذكور يأتي به الينا لكمال التربية والارشاد وبلغنا حسن اسلام
 الدمري سجاده وصدق اتباعه لنا وانا بته للآخرة . وكذلك جميع امراء النقط
 بدارفور قد اذعنوا لله كباقي سلاطين دارفور وسلموا جميعاً امرهم الينا في حب الله
 ورسوله فحسن تسليمهم واتباعهم لنا . وكذلك الملك آدم مك جبال تقلى الآن أتى
 مهاجراً لما رأى الحق وحسن اتباعه وصدقته وقد اكرمناه وهو الآن معنا بخير
 كثير وهلم جراً فكل سعيد لا بد ان يتصل بنا من جميع اقطار الارض ومن أبى
 لا بد ان يخذله الله ويعذبه في الآخرة كما اشار الى ذلك النبي (صلعم) مراراً .
 ولكن معلوماً عندك يا حضرة الباشا ان جميع الذين قتلوا على يدي قد اندرتهم اولاً
 انذاراً بليغاً وها هي واصلة اليك انذار ولد الشلالى بعد مخاطبته لي وانذار هكس
 بأجوبة عديدة للعامة وجواب مخصوص له ولا كابر جيشه وقد ارسلنا الى باشة
 الايض بجواب فقتل رسلنا وبعد ان وقع في يدنا اكرمناه واعطيناه جبة جميلة ليتدرج
 الى الصديق مع الله ولا زلنا نكرمه ونعظمه ليقتردي بنا ويصدق مع الله فيكون من
 الاصحاب الذين هم كالنفس فلم يصدق ولا زال يقع فيما يهلكه ونحن نصفح عنه حتى
 اخذته نيته فمات ومع ذلك لاجل مبايعته لي ومجالسته معي اياماً قد اتانا خير بعد

موتِه انه عفي عنه في الآخرة فصار من السعداء والعبد اذا كان يسعد في الآخرة
فهو المقصود ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها بل انما متاعها يكثر الحسرة والحس
فقط يوم القيامة ونيتي بالعباد سعادتهم في آخرتهم الابدية وازالة الهلاك عنهم من الله
ولذلك لاطفت جميع الاكابر واهل الدولة بالقول والفعل ليعرفوا ما عند الله فيرغبوا
فيه ويتركوا الخسيس الفاني وهكذا جميع من وقع في قبضتنا من الاكابر من الدولة
والحكام ما عملنا معه الا الخير والاكرام فمن صدق منهم معنا فهم الآن في خير
كثير وازدياد شرف السلام ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٠١ هـ ٥ مارس سنة ١٨٨٤ م
« وبعد هذا البيان فان اهتديت وسلمت لي واتبعتني حزت شرف الدنيا والآخرة
وفزت بأجرِك وبأجر جميع من اتبعك والا هلكت فكان عليك اثمك ومثل آثام
جميع من اتبعك وان كان لك حسن نور في العقل تعلم اني خليفة رسول الله (صلم)
فلا تتهمني فيما اسوق به الى الله والدار الآخرة ولم تسمع علي قول الظلماء الحساد
الذين يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره وقد قال
(صلم) من شك في نصرة المهدي فليقرأ قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقوله كلما أوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله ولزيادة الشفقة عليكم لزمتم التحشية بهذا والهادي هو الله وكثرة البيان
لا تهدي هداانا الله والعباد على الصواب آمين »

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم
« وبعد فمن عبد ربه الفقير الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى غوردن باشا
باطلا عك على ما تدوّن بالجواب اليك تعلم باطنه وبه كسوة الزهاد اهل السعادة
الكبرى الذين لا يبالون بما فات من المشتريات طلبا لعالي الدرجات وهي جبة ورداء
وسراويل وعمامة وطاقيّة وحزام وسبجة فان انبت الى الله وطلبت ما عنده لا يصعب
عليك ان تلبس ذلك وتتوجه لدائم حظك وها هو الرسول الذي أتى منك واصل
اليك مع رسل من عندنا كما طلبت والسلام »
« وكتب على الغلاف : « سألتك بحق الله ونبية عيسى عليه السلام ان تقف

على أجوبتنا هذه بالحرف وقد بلغني محمد سعيد المسلماني الذي يسمى جورجي اسلامبوليه ان رجلاً يسمى السيد افندي نعيم الاجزجي انه له معرفة بلغتكم وبالخط العربي وما دام انه يعرف الخطين واللغتين نرغب منكم الوقوف على ما في هذا الظرف جميعه حرقياً على يد المذكور أو أما هو مثله وقد سألتك السؤال المذكور لما ذكرته والسلام اهـ

فلما ترجم الكتاب لغوردن استشاط غضباً ودفع الهدية برجله وأمر ابراهيم بك رشدي فأحرقها ثم اوعز اليه فكتب جواباً هذه مفاده :

«من غوردن باشا والي السودان الى محمد احمد المتهدي : وصلني كتابك الركيك العبارة العاري عن المعنى الدال على سوء نيتك وخبث طويتك وعن قريب ستبلي بجيوش لا طاقة لك بها وتكون انت المسؤول امام الله عما يسفك من الدماء كما انك أنت المسؤول الآن عمن أعميت قلوبهم وغشيت بصائرهم ويتمت أطفالهم وخربت ديارهم وكنت لا ارى حاجة الى مخاطبة رجل مثلك جاحد النعمة عادم الذمة لكنني تعلقت باذيال الامل راجياً من الله عز وجل ان يتجلى على فكرتك الخامدة فتلقي النصيحة بيد القبول وتعلمو متن سلطنة مكنتك منها وكان دون نيلها خرط القتاد وها انا مستعد لقدومك ومعي رجال اقطع بهم انفاسك والعاقلة من تدبر والسلام » وكان غوردن قد جمع العلماء في الخرطوم فكتبوا نصحاً شرعياً بينوا فيه بطلان دعوى محمد احمد وحكموا بتكذيبه فسلم غوردن هذا النص والكتاب الى الرسولين واعادها الى محمد احمد في الايض واخذ يستعد للدفاع

(تجنيد المتطوعة والباشبورق) ورأى غوردن قلة العساكر على خط النار فجنّد بعض ارادي باشبورق جديدة وجمع جيشاً من المتطوعة من اهل المدينة ومرّتهم على حمل السلاح واستعماله ووضعهم على خط النار مع العساكر المنظمة فاجتمع في الخرطوم اذ ذاك من الباشبورق والمتطوعة من قديم وحديث ٣٢ اوردياً في كل اوردي من ٥٠ الى ٣٠٠ رجل وجعل عليهم ثلاثة رؤوس وهم : خشم الموس بك على الباشبورق الشايقية والمولدين والسودانية وميتو بك على الباشبورق الاتراك

وعبد القادر بك حسن على العساكر المتطوعة وكان معهم سبب اورط نظامية ثلاث
مصرية وثلاث سودانية وفيهم الاورطة المصرية في طاية أم درمان والكل بقيادة
فرج باشا الزيني السوداني

﴿ تقوية الاستحكام ﴾ وتفقد غوردن الاستحكام على عادته فحصد طاية بُري
وبنى حائطاً على خط النار بعلو ٢٠ سنتيمتراً وفتح فيه المزاغل ليكون سترًا للعساكر
يقيهم نار العدو ويمكّنهم من اجادة اطلاق النار * هذا وكان من مآثر عبد القادر
باشا انه صنع عددًا كبيرًا من الاهرم الفارغة التي توضع امام الخندق لتكون عثرة في
سبيل العدو عند هجومه فأمر غوردن فرميت على مسافات مختلفة امام الخندق ولكن
لم يكن منها عدد كافٍ فعمل ما يعبر عنه في فن الاستحكام « بالشرح فلك » وهي
أوتاد من الاخشاب الصلبة المحددة الاطراف تفرز في الارض بعضها بجانب
بعض وتربط بأسلاك على هيئة شبك وقد جعل ذلك على بُعد عشرين مترًا من
الخندق * ثم صنع دانات فارغة وملاًها بارودًا وموادًا فصفورية تلتهب بمجرد المس
وجعلها على بُعد ثمانين مترًا من الشبكة وذلك على طول الخط من النيل الازرق
الى النيل الابيض * وقد فعل مثل هذه الاحتياطات في طاية ام درمان

ورأى ان الباشبوزق لا يصلحون لحماية سراي الشرق لانهم كانوا يتركون
السراي ويأتون الخرطوم بلا ترتيب فأتى بهم الى الخرطوم وارسل بدلم بلوكين
من العساكر النظامية * وكان الباشبوزق في الخرطوم يتركون خط النار ويدخلون
المدينة بلا اذن فنهاهم عن ذلك وجعل عليه قصاصاً شديداً ومنح خشم الموس لقب
بك وامره بملاحظة اصحابه وحملهم على حفظ النظام * ثم انشأ نقطاً لتغرافية في كل
مركز من مراكز الاستحكام فوصلها بالسراي

﴿ تحصين الواورات ﴾ وكان في الخرطوم من الواورات : « بوردين والصفية
وتل حوين والتوفيقية والمنصورة والفاسر والاسماعيلية وعباس وشبين والمسلمية
والحسينية ومحمد علي » فأصلحها وحصنها وجعل في اكثرها العساكر والمدافع وجعل اثنين
منها في النيل الازرق واثنين في النيل الابيض لحماية الخندق من طرفيه وجعل

وابوراً عند المقرن لتقوية طأيتيه . ثم امر مدير الترسانة فبنى وابوراً صغيراً كوابور عباس وسماه الزبير فعرف بعد ذلك بالطاهرة وغرق في واقعة الحفيرة سنة ١٨٩٦ كما سيحي

﴿ الغاء المجلس الحسبي واعادة المحافظة ﴾ هذا وكان اهل المدينة بعد واقعة الشرق قد اضطربوا وققدوا الوازع فأطلق بعضهم عياراً نارياً على ستورت باشا فأخطأه فألقى غوردين المجلس الوطني الذي شكله يوم وصوله الى الخرطوم لانه لم يبق بالواجب عليه واعاد الضابطة . قال نصحي : وقد عهد بها الي وجعل الصاغ السيد افندي امين وكلاً لي . فنظمت مع الضابطة ديوان محافظة ووضعت خفراً عسكرياً في كل جهة من جهات المدينة الاربع وفي الشوارع والاسواق والمعادي واصدرت منشوراً لاهل المدينة فحذرتهم من اطلاق الاسلحة النارية داخل المدينة ومن الخروج ليلاً من منازلهم وتهددت من يخالف ذلك بالاعدام فاستولت السكينة على المدينة واستتب الامن فوجه لي غوردين رتبة الميرالاي ولوكيلي رتبة البكباشي ثم ألغى الضابطة وأبقى ديوان المحافظة وجعلني محافظ المدينة « . فلترك الآن غوردين يستعد للدفاع والعصاة يحصرونه من كل جهة ولنظر ما كان من الثورة في بربر ودنقله وسنار فنقول :

الفصل الثالث عشر

في

﴿ وقائع الثورة في بربر سنة ١٨٨٤ ﴾

﴿ محمد الخير ﴾ اما اهل بربر فقد كان وجدهم على الحكومة اشد من وجد غيرهم عليها لانهم لم ينسوا فظائع الدفتردار في بدء الفتح ثم ظلم الحكام وجباة الضرائب ومقتشي الرقيق من بعده لكن قريتهم من مصر وشدة علاقتهم التجارية بهامع وجودهم بين القوات العسكرية بين بربر والخرطوم ذلك كله اضطربهم الى التربص للفرصة حتى جاءهم غوردين وفتح الطريق الى كردوفان واعلن عزم الحكومة على اخلاء السودان فشرعوا في المهجرة الى المهدي . وكان في جملة من هاجر اليه استاذة محمد الخير وهو مدرس مدرسة الغبش وله راتب شهري يجري من الحكومة

قدره ٤٠٠ غرش وشيء من الحبوب . وهو قصير القامة صغير العينين اسود اللون وله لحية يدورها وقد كان المهدي يكتبه ويلح عليه بالحضور اليه وهو يتردد في الامر حتى جاء غوردن وعلم منه عزم الحكومة فأقر على السفر الى المهدي . وكان محمد الخير صديقاً لحسين باشا خليفة مدير بربر قيل فأطلعه على سره واره التحارير التي اتته من المهدي وقال « ان الحكومة قد اقرت على اخلاء السودان فأني خير لنا في البقاء معها وما الذي تقوله للمهدي بعد ذهابها واحتلاله مكانها » . فقال له حسين باشا اذا بادر اذهب الى المهدي وانظر في امره فان وجدته مصيباً عدت الى بربر فكنت حاكماً الشرعي وانا حاكمها السياسي الى ان يفتح المهدي الخرطوم ويأتي بربر فتسلمه اياها بمخازنها وخزائنها » . وقد اراد حسين باشا بهذا الرأي ان « يمسك الحبل من الطرفين » ويكون الحاكم في الحالين . فذهب محمد الخير الى المهدي في كردوفان فتلقيه بالبشر والسرور وسماه عاملاً عاماً على بربر واصحبه كتباً الى رؤوس قبائلها يدعوهم فيها الى طاعته والجهاد ضد الترك فعاد محمد الخير من عند المهدي في ٢٧ ابريل سنة ١٨٨٤ م ونزل في وادي بشارة على النيل

﴿ الشيخ الهدي الشايقي ﴾ وكان في تلك الوادي شيخ من مشايخ الشايقة السواراب يسمى احمد الهدي وهو غير مصدق المهدي فارسل اليه المهدي سيفاً جميلاً والى ريال وامراً بالامارة على دنقلة فقبل الهدية وبايع محمد الخير باسم المهدي ﴿ الحاج علي ود سعد النفيعابي ﴾ ثم سار محمد الخير شمالاً يصحبه احمد الهدي وهو يدعو الناس في طريقه فيجيئونهم حتى دخل التمة بجيش كبير * وكان في جملة من هاجر الى المهدي في كردوفان عبد الله ود سعد من كبار النفيعاب الجعليين في التمة فاعطاه المهدي امارة لاختيه الاكبر الحاج علي ود سعد فقبل الحاج علي الامارة وجمع قومه للجهاد فلما وصل محمد الخير التمة بايعه باسم المهدي وانضم اليه

﴿ احمد حمزة السعدابي ﴾ هذا وكان اول من رفع راية المهدي في بربر احمد حمزة السعدابي من اقارب الملك نمر هاجر الى المهدي سنة ١٨٨٣ وحضر معه واقعة شيكان ورجع من عنده اميراً على قومه فنصره عرب البطاحين واخلاط من العرب

ونزلوا على السبلوكة وكان فيها محمد افندي وهبه محافظاً وقد كان قبل الآن مأموراً
لجمع الضرائب فلما مرَّ غوردن ببربر منعهُ من جمعها وجعله في السبلوكة مع ٢٠٠
رجل ووابور لمراقبة الجعليين وموافاته باخبارهم الى الخرطوم فلما جاء محمد حمزة
ورأى انه لا طاقة له على حربه فرَّ بالوابور الى شندي فتحصن في ديوان حكومتها
فحصره محمد حمزة فيها وبقي في الحصار الى ان قدم محمد الخير الى الممنة فركب النيل
وفرَّ بعساكره الى ببربر وانضم محمد حمزة الى محمد الخير. وكان محمد حمزة قد قطع
خط التفراف بين ببربر والخرطوم فارسل محمد الخير بعض رجاله فقطعوه بين ببربر
ومصر وكان قطعه من اكبر الضربات على غوردن .

﴿ الامين احمد المجذوب ﴾ وتقدم محمد الخير بجموعه الى الدامر فبايعه الامين
احمد المجذوب كبير المجاذيب في الدامر وانضم اليه .

هذا ويظهر ان محمد الخير صدق المهدي واتحد معه قلباً وقالباً فلم يعد يرضى
بالذي قرَّ عليه مع حسين باشا . قيل وكان بعض اهالي ببربر مرتابين من صدق محمد احمد
فقالوا لمحمد الخير « انت اميرنا وعالمنا ونحن نعتمد على علمك فان كان محمد احمد
هذا ليس بالمهدي فانت تحمل ذنبنا يوم القيامة » فقال ويدهُ على لحيته « اذا لم
يكن محمد احمد هو المهدي المنتظر فأمسكوني بلحيتي هذه وطالبوني بذنبكم امام
الحق عز وجل » ولكنه لم يمت حتى رأى انه كان في شطط وندم على ما قال اشد الندم
﴿ دعوة حامية ببربر الى التسليم ﴾ وكتب من الدامر الى حسين باشا وضباط
الحامية يدعوهم الى التسليم ويقول « ان خديوي مصر قد ترك لنا بلادنا فسلمونا
اباها والا فنحن مصممون على قتالكم حتى نخرجكم منها بالرغم » . وكتب ايضا الى
اهل المدينة يدعوهم الى التسليم فخرج اليه عبد الماجد محمد خوجلي ابن اخيه ثم عبد
الماجد ابو الكليك وخشم الموس محمد اللذان ساهما غوردن مأمورين على ببربر كما مرَّ
وكان على المدينة خندق عظيم محيطه نحو ٧٠٠٠ متراً ولم يكن فيه من العساكر
سوى ١٦٠٠ النصف باشبوزق والنصف عساكر نظامية مصرية والكل بقيادة
البكاشي محمد افندي فهمي المصري وقد انتشروا على خط النار فكان بين الجندي

الواحد والآخر اربعة امتار وزيادة . وكان حسين باشا قبل قطع المواصلات التفرافية يسأل غوردن عما يفعله فيعده بوصول المدد اليه قريباً من مصر ويسأل مصر فتصرّح له بعدم تيسر المدد فلم يكن يدري ما يفعل فلما جاءه كتاب محمد الخير عقد مجلساً من الضباط والسنّاق وقرأ لهم الكتاب وسألهم عن رأيهم فيه فقالوا لهم بصوت واحد « الموت ولا التسليم » وكتبوا في ذلك الى محمد الخير فاعاد اليهم الانذار رفقاً بهم فعادوا الى جوابهم الاول

﴿ حصار بربر ﴾ فلما رأى اصرارهم على الحرب سيّر عليهم الجيوش من الدامر تباعاً ثم جاء في آخرها فوصل بربر في ١٢ مايو سنة ١٨٨٤ فنزل مع الحاج علي ود سعد وعبد الماجد الكليك المار ذكرهما في حلة الدكة فحصر بربر من الشمال وأمر سعد ود سالم المشهور بود بنونة من السعداب فنزل في قوز الفونج وحصرها من الجنوب وحصرها البشاريون واخلاط من الجعليين من الشرق وكان مجموع جيوشه نحو ٤٠ ألفاً من مشاة وفرسان وكثير منهم مسلحون بالاسلحة النارية . وعند وصوله جدّد الكتابة الى الحامية يدعوهم الى التسليم حقناً للدماء وكان الرباطاب قد اسروا علي باشا وهي في بلادهم وهو مسافر الى مصر فأرسله محمد الخير الى اهل الحامية مع الكتاب لحثهم على التسليم فأبوا الا الحرب . وفي صبيحة يوم الجمعة ١٦ مايو سنة ١٨٨٤ اطلقوا نيران المدافع والبنادق على الدراويش فأجابهم الدراويش باطلاق النيران من كل جهات الحصار وكان في جهة الدكة بستان فيه قصر شامخ يطل على العساكر في الخندق فاحتل الدراويش القصر وصاروا يوالون اطلاق الرصاص على العساكر فيفتكون بهم . وكان قومندان العساكر قد تنبّه لهذا القصر واراد هدمه فمنعه حسين باشا لانه لو كبل المديرية فكان اشد البلاء الذي اصاب الحامية من هذا القصر

﴿ سقوط بربر الاثنين في ٢٣ رجب سنة ١٣٠١ هـ ١٩ مايو سنة ١٨٨٤ م ﴾

ولما كان فجر الاثنين ١٩ مايو سنة ١٨٨٤ م ٢٣ رجب سنة ١٣٠١ هـ (وفي قر السودان ٢٢ منه) صلى محمد الخير بأصحابه صلاة الصبح وامرهم بالحملة على العساكر في خندقهم وأمر الذين في القصر فوالوا اطلاق النار على الحامية وفتحوا طريقاً

للمهاجرين فدخلوا الخندق من تلك الجهة ومن جهة النيل واعملوا السيف والحرية في
العساكر وكان معظم العساكر لما رأوا العصاة قد دخلوا الخندق تركوا الخط ودخلوا
منازلهم أوركبوا الوابور والمراكب واجتازوا النيل الى البر الغربي ولم يبق على الخط
سوى البلوك الثالث من الاورطة الثالثة من العساكر النظامية وأوردي علي أغا اسلام
وأوردي محمد أغا حسن عوض الله العبادي من العساكر الباشبوزق فقاتلوا حتى قتلوا
عن آخرهم رحمة الله عليهم . واما حسنين باشا فانه دخل منزله مع القواصة وبعض
العساكر واغلق بابه فبعث اليه محمد الخير بالامان فسلم له . وما زال الدراويش
يتعقبون العساكر ويقتلونهم الى قرب الظهر فنادى المناادي فكفوا عن القتل وكان
مجموع الذين قتلوهم في ذلك اليوم نحو ١٠٠٠ رجل واسروا الباقين وصادروهم في اموالهم
الأحسين باشا فانهم لم يمسه بسوء . وكان في خزانة بربر مبلغ ٥٥٨١٢ جنيهاً
قد أرسلت من مصر الى غوردن ثم سددت الطريق فبقيت في بربر مع امانات
اخرى في الخزانة تبلغ قيمتها نحو ٨٠٠٠ جنيهاً فكتب محمد الخير الى المهدي ثاني
يوم الفتح يعلمه بالفتح والخزينة واسر حسنين باشا ويسأله عما يفعل فارسل المهدي
ابراهيم ودغلان فاحضر المال من الخزانة فضمه الى بيت المال وكتب الى محمد
الخير فارسل اليه حسين باشا مع وكيله عمر بك العمراني وكان المهدي اذ ذاك في
الرهة . قال الكحل : فوصل حسين باشا الرهة في ١٠ رمضان سنة ١٣٠١ ٤ يوليو
١٨٨٤م فامر المهدي الخليفة علي ود حلو فاستقبله في ظاهر الديم باحتفال عظيم .
وقبل وصوله الى زريبة المهدي وضع جنزيراً من الحديد في عنقه وحثا التراب على
رأسه وتقدم للمهدي ذليلاً وهو لابس الجبة المرقعة فبايعه فقرّبه المهدي وجعله
من خواص رجاله وبقي في اسره الى ان دبر الحيلة ونجا الى مصر « كما سيحيي »
واما العساكر الذين وقعوا في الاسر فقد أمر عليهم حسن افندي شريف احد
معاوني المديرية ومن اقرباء الحاج علي ود سعد . ولما فتحت الخرطوم ذهبوا الى ام
درمان فبايعوا المهدي وعادوا الى بربر يسعون وراء الرزق في سوق المدينة وكلما
سنت فرصة لواحد منهم فرّ الى مصر حتى لم يبق منهم الى الفتح الاخير الا القليل

الفصل الرابع عشر

في

﴿ وقائع الثورة في دقلة سنة ١٨٨٤ م ﴾

﴿ الشيخ الطيب وواقعة الدبة الاولى في ١٨ مايو سنة ١٨٨٤ ﴾ تقدم ان المهدي ارسل الى الشيخ الهدي امراً بالامارة على دقلة فسار مع محمد الخير لحصار بربر وارسل خاله ود عبود بكتاب الى الشيخ الطيب الشايقي السوارابي في جهة مروي يسميه اميراً على الشايقية ويستنهضه للقيام بنصرة المهدي فنادى في الشايقية باسم المهدي ونزل بهم على دار الحكومة في مروي فنهب الخزينة والشونة وسار في وجهه شمالاً يستنفر اهل البلاد للجهاد. وكان المدير على دقلة في ذلك الحين مصطفى باشا ياور من كرام الشراكسة وقد اشتهر بالتعبد والتقوى مع حسن التدبير والاستقلال في الرأي وقد كتب اليه المهدي من كردوفان يسأله التصديق بمهديته فأجاب بما ارضاه واحسن الى اقاربه في دقلة قصد مخادعته فكتب اليه المهدي بالامارة على دقلة. وكان مصطفى باشا يظن انه بهذه المخادعة يضمن راحة مديريته ويأمن دخول الثورة اليها لانه لم يكن معه سوى اورطة من العساكر المنظمة و٦٠٠ من الباشبورق وبضعة مدافع فلما سمع بنجر الشيخ الطيب اخذ ١٠٠ من العساكر النظامية و٤٠٠ من الباشبورق ومدفعين وسار قاصداً الشيخ الطيب حتى وصل الدبة فلم انه نازل في دبة الفقرا قريباً منه فتحصن في طاية الدبة فعول الشيخ الطيب على حصره وكان قد اجتمع عليه نحو ٦٠٠٠ رجل مسلحين بالسيوف والحراب وبعضهم مسلح بالبنادق فجعلهم قسمين غير متساويين فأتى بالقسم الاكبر الى الكرو شمالي الدبة وأبقى القسم الآخر في دبة الفقراء جنوبها فخرج مصطفى باشا بمعظم قوته وباغت جيش الكرو فقتل منه ٣٠٠ رجل وجرح مثل ذلك وفيهم الشيخ الطيب وانهزم الباقون الى اخوانهم في دبة الفقراء فتبعهم مصطفى باشا اليها بعد ظهر ذلك اليوم بجميع قوته واشعل فيهم النار فقتل منهم ٥٠٠ رجل وشتت الباقين كل مشئت ولم يقتل من عسكره

احد . وكان ذلك يوم الاحد في ١٨ مايو سنة ١٨٨٤ م اي قبل سقوط بربر يوم
 في الشيخ الهدي وواقعة الدبة الثانية في ٢٩ يونيو سنة ١٨٨٤ م فلما سقطت
 بربر لم يلبث الشيخ الهدي ان يرحها بنحو ٣٠٠ من اهل الشايقية و ٥٠ عسكرياً
 سودانياً حاملين البنادق وجاء بلاد الشايقية بطريق الدقايت ونادي بالنفير فاجتمع
 عليه اهل الشايقية والشيخ نعمان ود قمر شيخ المناصير وبعض بادية الحسانية والهواوير
 فزحف بهم عن يسار النيل قاصداً الدبة . وكان مصطفى باشا بعد طرده الشيخ
 الطيب من الدبة عاد الى الاوردي بالعساكر المنظمة وترك فيها العساكر الباشبورق
 بقيادة النور بك من سناجق الارناؤط ووكيل المديرية جودت بك فبنى جودت
 بك طاية صغيرة على قدر العساكر وحصنها بالمدفعين ولما سمع بقدم الهدي بعث
 بالخبر الى مصطفى باشا فأرسل الى مصر في طلب المدد فلم يسمع له فجمع نحو ٢٠٠٠
 رجل من المتطوعة من اهل ارقو والحفير والاوردي والخنديق ودقلة العجوز وضم
 اليهم ٢٠٠ من الجهادية وسار الى الدبة لتجدة جودت بك

وقبل وصوله اقبل الهدي بانصاره في فجر ٢٩ يونيو سنة ١٨٨٤ وهاجموا
 الطاية مستقلين ففتح العساكر عليهم افواه المدافع والبنادق وامطروا من القنابل
 والرصاص ما حصدهم حصداً حتى بلغ عدد قتلاهم ٢٧٠٠ رجل وفيهم نعمان ود قمر
 شيخ المناصير ولم يقتل من العساكر سوى اثنين من الطوبجية وجرح جودت بك
 جرحاً خفيفاً في وجهه وانهزم الهدي بباقي جيشه الى الحتاني . ووصل مصطفى باشا
 الدبة بعد الواقعة بقليل فاخذ العساكر والمتطوعة وسار برّاً وبحراً الى الحتاني ففرّ
 الهدي من وجهه فطارده الى صنم فدخل بلاد المناصير فرجع عنه فترك العساكر
 في الدبة بعثة جودت بك وعاد بالمتطوعة الى الاوردي ففرقهم الى بلادهم
 في محمود ود الحاج وواقعة كورتي في ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ م ثم عاد الهدي الى
 مروي وبعث في طلب المدد من المهدي وكان المهدي اذ ذاك في الرهد في طريقه
 على الخرطوم فارسل محمود ود الحاج من اقاربه مع نفر من اصحابه على ان يكون
 عاملاً عاماً على دقلة وكتب الى الهدي بالانضمام اليه . فسار محمود في صحراء

الكبايش ونزل في ام بليلة على نيل دنقلة في اواخر اوغسطس سنة ١٨٨٤ وكتب الى مصطفى باشا يقول له « قم واحضر لمقابلتنا بابي قس ومنها توجه لمقابلة المهدي لاجل البيعة والتأديب بأداب المهديّة » . ثم اجتمع على المهدي في كورتى اما مصطفى باشا فانه لما علم بقدوم محمود توجه بالوابور الى الدبة فاخذ عساكرها ومدفعاً واحداً وسار برّاً وبحراً طالباً محمود والمهدي فالتقاها الخميس في ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ قرب كورتى واشعل فيهم النار فلم يكن الا القليل حتى قتل محمود والمهدي وتشتت جيشهما كل مشتت فقطع مصطفى باشا رأسيهما ورأس رجل قيل انه امير طرابلس الغرب وآخر قيل انه امير مصر وارسل الرؤوس الاربعة الى سردار الجيش المصري بحلفا وسأله ان يرسل رأس امير الغرب الى جلالة السلطان ورؤوس الباقين الى سمو الحديوي فكتب اليه السردار يمدح بسالته ويهنئه بالنصر ويتلطف له بقوله انه لم تجر عادة هذا العصر في ارسال مثل هذه العلام ثم امر فدفنت الرؤوس الاربعة . ولم يقتل في هذه الواقعة من العساكر سوى اثنين وجرح ضابط واحد . وبعد الواقعة جاء الكثير من العصاة مسلمين وهدأت البلاد وعاد اليها الامن كما كان ولم يعد يقيم للدراويش قائمة فيها الا بعد خروج الانكليز منها اواخر سنة ١٨٨٥ كما سيحيى وقد رأيت كتاباً من المهدي الى زقل امير دارفور بتاريخ ٨ الحجة سنة ١٣٠١ هـ ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤ يشير فيه الى هذه الواقعة قال :

« وقد ورد لنا خبر أكيد من دنقلا ان حبيب الجميع محمود الحاج محمد واحد المهدي استشهدا في سبيل الله . قيل انهما لما حضرا بالقرب من دنقلا نزلا في محل وهم قليلون جداً فما شعروا الا وقد هجم عليهم اعداء الله فصبروا عليهم صبر الكرام حتى نالوا احدى الحسنتين . وكنا ارسلنا محمود الى دنقلا بناء على ما ورد لنا من «ياور» مديرها يؤري بانه طائع لله ومسلم لامر المهديّة وان الشيخ احمد الهدي أتى اليه وحاصره وضايقه ورغب كفى المذكور عنه بواسطة مخصوص من طرفنا فلذلك ارسلنا محمود بدون جيش اختباراً لحال المذكور وقد الزمناه بتسليم البلد الى محمود وحضوره هو على وجه الفور فظهر غدره وعلم انه منافق ما كر والله خير الماكرين »

الفصل الخامس عشر

عوداً الى

﴿ وقائع الثورة في سنار سنة ٣ — ١٨٨٤ م ﴾

﴿ واقعة الشريف انجضو ﴾ تقدم لنا ان عبد القادر باشا قبلما برح سنار في اواسط سنة ١٨٨٣ ارسل صالح بك الملك الى فامكه ليتعهدا وكان عليها مأمور تلاني يدعى مارنو بك ومعه ٤ بلوكات من العساكر النظامية و ١٠٠ من البشوزق بقيادة الصاري سعد أغا شميم الشايقي فلما جاءهم صالح بك وجدهم بغاية الجوع والعري فعاد على الاثر في طلب الزاد والكسوة لهم فاعترضه في الطريق قرب شلال الرصيرص فقيه من انصار المهدي يدعى الشريف انجضو فأوقع فيه واقعة شديدة وقتله وشتت شمل انصاره واستطرد السير شمالاً حتى وصل كركوج فوجد فيها حامية مؤلفة من ٤٠٠ رجل بقيادة علي كاشف ووجد فيها امراً من مدير سنار بالبقاء في سيرو تجاهها لحماية الغرب فصعد بالامر وكتب الى المدير يخبره بحال فامكة ﴿ اخلاء فامكة ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٣ ؟ ﴾ ولما ابطأ المدد على مارنو بك جاء قارب صغير الى الخرطوم وكان عليها اذ ذاك علاء الدين باشا فاخبره بالضيق الذي صارت اليه حامية فامكة فأصدر امره بعزل بساطي بك وارسل حسن بك صادقاً مديراً على سنار مكانه فجاء الى سيرو في وابور ومعه الزاد والعساكر الى فامكه فسلمها الى النور بك محمد وعثمان بك الدالي فاخذها بالمراكب الى الرصيرص ليحملها من هناك على البقر * وقبل قيامهما من الرصيرص وردت الانباء بانكسار جيش هكس وهاجت البلاد فرأى المدير ان يلتم شعته فبعث اليهما امراً باخلاء فامكة فاخليها وارجعا بالحامية الى سنار في ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٣ ؟ فوجدا حامية كركوج وصالح بك الملك قد سبقهما اليها * ونزل صالح بك بأمر المدير في ابي سقره على حدود سنار الشمالية فبقى فيها الى ان كانت حركة محمد ود البصير حيي المهدي في الحلاويين ﴿ حركة محمد ود البصير في الحلاويين ﴾ وقد تقدم ان المهدي اجاز حماء

المذكور باعطاء البيعة بالنيابة عنه فبقي في مكانه يترجس للفرصة الى ان كانت
واقعة شيكان وعاد من عند المهدي عبد الله ود الشيخ حمد النيل شيخ العراقيين في
ابي حراز وعبد الله ود البحر شيخ الكواهلة في وسط الجزيرة ومع كل منهما امر بالامارة
على اهله وامر الى كل من عبد الله بن عوض الكريم باشا ابي سن في رفاعه والطيب
ود حامدون ناظر الجعليين في المسامية بالامارة على اهله فليبا الدعوة وانضم الجميع
الى محمد البصير فصادفوا عسكرياً في سوق الحلاوين فقتلوه قتل فغمس كل من
حضر حربته بدمه وشهروا العصيان وذلك في اواخر ديسمبر سنة ١٨٨٣

واقعة ود مدني في ١٧ يناير سنة ١٨٨٤ ﴿ فلما بلغ الخبر صالح الملك في أبي
سقرة زحف على ود البصير ومعه نحو ١٤٠٠ رجل من الباشبوزق الشايقة وكلهم
مسلحون بالاسلحة النارية فالتقاه اصحاب ود البصير قرب ود مدني في ١٧ يناير سنة ١٨٨٤
فقتل منهم ٥٠٠ رجل وفيهم الطيب ود حامدون وهزم الباقي ثم تقدم الى فداسي فحفر
خندقاً وتحصن فيه وبعث يطلب المدد من سنار فجاءه محمد أغا الصاغ من مواليه
الاتراك على وابور «محمد علي» بمئة صندوق من الذخيرة و ٧٥ رجلاً من الباشبوزق
﴿ واقعة فداسي ﴾ فجمع محمد البصير جيوشه وهاجم صالح الملك في الخندق
فصدته بخسارة ١٠٠٠ رجل ولم يفقد من عسكره سوى ١٤ رجلاً فلما رأى العرب
ان لا طاقة لهم على حربه عولوا على حصره فنزل عبد الله ود الشيخ حمد النيل في جنوبيه
لمنع المدد عنه من سنار ونزل محمد البصير وباقي الامراء في شماليه لمنع المدد من الخرطوم
ثم حضر الشيخ عوض الكريم باشا ابو سن بألف من رجال قبيلته ونزل تجاه فداسي
شرقي النيل فتظاهر بأنه محاصر لصالح الملك واتفق معه سرّاً فأرسل كل منهما رسولا
الى غوردن يعلمانه بالحالة ويطلبان المدد فأرسل عوض الكريم ابنه علي أهد كما مر
وارسل صالح بك حسن افندي وراق من ضباط الباشبوزق وكان غوردن اذ ذاك في مركز
خرج فلم يستطع انجادهما فبعث يشكر لهما ثباتهما ويعدهما بارسال المدد بأول فرصة فعاد
الرسولان منه بعد غياب ٣٠ يوماً وقد رقى صالح بك الى رتبة اللواء ورفع رتبة كل
ضابط من ضباطه رتبة وكانت حاجة صالح باشا الآن الى المدد لا الى الرتب وقد بعث

الى سنار في طلب المدد فأحالوه على الخرطوم وكان الجوع قد مس الحامية فلم يبق له
بعد هذا سوى التسليم فخشي ان سلم الى ود البصير ان ينتقم منه بمن قتل من رجاله
فأرسل الى المهدي في الايىض كتاباً يسأله ان يبعث اليه بأمر من قبله ليسلمه الحامية
سرية محمد عثمان ابي قرجة وتسليم صالح الملك في فداسي في ٢٧ ابريل سنة ١٨٨٤ م؟
وكان المهدي اذ ذاك على اهبة الزحف على الخرطوم فأرسل اليه محمد عثمان اباقرجة
الدقلاوي بجيش مؤلف من ٢٠٠٠ مقاتل من اخلاط حمر ودغيم وكنانة وجعلين
وحسانة ومعهم ٤ بلوكات من العساكر السودانية الذين اسروا في الايىض ومدفعان
وساروخ وأمره باستلام فداسي من صالح الملك والتوجه منها لحصر الخرطوم. فخرج
جيشه من الايىض في اواخر مارس سنة ١٨٨٤ وسار مجدداً حتى نزل بجهة فداسي
قرب الخندق وارسل الى صالح الملك فخرج اليه مسلماً في ٢٧ ابريل سنة ١ٸ٨٤ ؟
فأستولى ابو قرجة على جميع اسلحتهم وذخائرهم ووابورهم « محمد علي » وارسل صالح
الملك الى المهدي فوافاه بالرهء وصحبه الى أم درمان فحاول مكاتبة غوردن فعلم به المهدي
فجبه بالسجن وعذبه وبقى في ام درمان الى ان مات قهراً سنة ١٨٨٩ رحمة الله عليه
واقعة ابي الحسنى في ١١ يوليو سنة ١٨٨٤ ٠ وجاء مع ابي قرجة من كردوفان
شيخ من اليعقوباب من اتباع الطريقة السمانية يدعى عبد القادر ابا الحسنى كان قد
هاجر الى المهدي في كردوفان وحضر معه واقعة شيكان وبقى الى ان جاء ابو قرجة
فصعبه الى فداسي . وفي ثاني يوم التسليم انفصل عنه بعض الانصار فجمع الجموع
وقصد سنار فوجدها محاطة بخندق حصين فلم يجسر على مهاجمتها فقعء لحصرها قرب
حالة البقرة فخرج عليه مديرها حسن بك صادق في ١١ يوليو سنة ١٨٨٤ بمعظم العساكر
فأمر ابو الحسنى اصحاب الاسلحة النارية من جيشه فساروا في منحدر شاطئ النيل
مؤارين به وداروا من وراء العساكر فقطعوا خط رجعتهم الى سنار وتصدى لهم
ابو الحسنى بجرأته من الامام فحصرهم في الوسط فدهش المدير من مكيدة ابي الحسنى
وحار في امره فبرز له عثمان بك الدالي اذ ذاك وقال اعطني ٢٠٠ رجل وتفرغ
انت لمن امامك ولا تهتم بمن وراءك فاني اكفيك شرهم فأعطاه ما طلب فانقلب

على من في الورا واشعل فيهم النار وهو يتقدم نحوهم رويداً حتى هزمهم ونكل بهم وعاد على الاثر الى المدير فأنجده على ابي الحسن فهزمناه وشتنا شمله ومن ذلك الوقت خمد ذكر ابي الحسن ومات بعد قليل فدفن في حلة البقرة وبني ابنه قبة فوق قبره ﴿ واقعة الشيخ غالب في ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٤ ﴾ وظهر الشيخ غالب في حلة داود على الدندر فجاهر بالعداء ورفع راية المهدي فهاجمه المدير في ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٤ وبدد شمله ونزل في حلة الجادين على ١٢ ميلاً من سنار وشرع في جمع الحبوب للحامية

الفصل السادس عشر

عوداً الى

﴿ غوردن وحصار الخرطوم ١٨٨٤ ﴾

﴿ ابو قرجه وحصار الخرطوم ﴾

ولقب المهدي ابا قرجة بأمر البرين والبحرين وجعله اميراً عاماً على محاصري الخرطوم فزحف بجيشه عليها ومعه ود البصير وقد نادى بالنفير العام في الجزيرة كلها وامر ان لا يتخلف احد عن الجهاد فكان جيشه يزداد ضخامة وقوة كلما تقدم شمالاً حتى نزل بالجريف قرب الخرطوم فكتب الى غوردن كتاباً هذا مفاده :

« اني حضرت من قبل المهدي اميراً على البرين والبحرين وقد اخذت فداسي وجئت الى الخرطوم انصح اهلها بالتسليم فاذا سلموا سلموا وأمنوا على اموالهم وارواحهم والا فلا بد لي من محاربتهم واخذ المدينة منهم عنوة والسلام » فاحسن غوردن الى الرسل وردّهم بلا جواب . فتقدم ابو قرجة اذ ذاك الى بُري ودنا جداً من الخندق فبنى طاية ونزل فيها بجيشه وابقى محمد البصير في الجريف فبنى فيها طاية كطاية بري وجعل الطاهر العبيد ود بدر السالف الذكر في الوسط بينهما ثم ارسل وابور « محمد علي » الى الحلال فجمع مقداراً عظيماً من الحبوب وبني لها مخازن بين طابتي بُري والجريف وجعل في الطابيتين مزاغل ترمي على النيل والخرطوم وحصن طاية بُري بالمدافع وشرع يرمي بمقذوفاتها على الخرطوم . وكانت ذخيرة الحامية في

مخزن قريب من الخندق فاصبحت في خطرٍ عظيم فنقلها غوردن الى كنيسة المرسلين
 التساوين الكاثوليك الواقعة في وسط المدينة وقد كانت من امتن ابنية المدينة واتقنها صنعا
 هذا وكان اصحاب الشيخ العبيد لم يزالوا يناوشون العساكر القتال كل يوم بلا
 انقطاع من الفجر الى الضحى ثم يصبرون الى ما بعد الغروب بنصف ساعة فيجدون
 المناوشة الى الساعة الرابعة في الليالي القمرية فانتقى غوردن نفرا من العساكر
 الماهرين في الرماية وجعلهم على سطح السراي واقام لهم حائطا فتح فيه المزاغل
 ليقبض ناز العدو ويمكنهم من اجادة الرمي . واصدر امره الى ابراهيم افندي ليب
 فضع اشخاصا من الخشب بهيئة العساكر وصفها على هيئة طاوور على الشاطئ الشرقي
 للنيل الازرق فظنها الدراويش عساكر واخذوا يرمونها بالرصاص ولما لم تتحرك علموا
 انها خدعة فكانوا يأتون اليها ليغنموا ملابسها فيدخلون ضمن دائرة مرمى الرصاص
 فيصوب الرماة النيران عليهم من سطح السراي فيقتلونهم

واقعة ودجار النبي ﴿ وبلغ غوردن ان في موردة ود جار النبي على النيل الايض
 جمع من الدراويش ومعهم قطعان كثيرة من الغنم والبقر فارسل ساتي بك مدير
 بحر الفزال باحدى الواورات فشنت شملهم وغنم الف رأس من الماشية وعاد الى
 الخرطوم وكانت الحامية في اشد الحاجة الى اللحوم فتعللوا بها

واقعة الشجرة ﴿ فلما رأى ابو قرجة ضعف انصاره في النيل الايض ارسل
 سرية من جيشه بقيادة شيخ فضل احمد الدقلاوي فبنى طاية قرب شجرة محو بك ووضع
 فيها مدفعا فارسل غوردن سرية من العساكر بالواورات والمدافع ومعها من القواد ساتي
 بك وعبد القادر بك حسن وحسن بك العقاد فهدموا الطاية وعطلوا المدفع وطردها
 شيخ فضل وانصاره من تلك الجهة وعادوا الى الخرطوم . فمنح غوردن كلا من
 الساتي بك وعبد القادر بك الرتبة الثانية وحسن بك العقاد الرتبة الثالثة . ثم ارسل
 بعض العساكر فحربوا حلة الكلاكلة لمنع الدراويش من التحصن فيها وعادوا
 باخشائها وقودا للواورات . وعاد الشيخ فضل بعدهم الى محله على النيل الايض
 وكان النيل اذ ذاك في زمن انخفاضه ولا يمكن الانتفاع بالواورات ولا سيما

على النيل الازرق فبقي غوردن في انتظار ارتفاعه على احر من الجمر
هذا ولم تكن متاعب غوردن داخل المدينة اقل منها خارجها فقد كان في المدينة
من السكان نحو ٥٠ الف نسمة ما عدا العساكر واكثرهم من المصريين والمولدين
والغرباء فحملوه مشاق كان في غنى عنها ولكنه تحملهم بصبر غريب واطهر في سياستهم
من الرفق والاحسان ما دل على تناهيه في حب العدل والانسانية

علم الحامية بسقوط بربر ولم يعلم غوردن بسقوط بربر حتى بعث اليها بجاسوس
فوجدها بيد الاعداء وعاد اليه بالخبر فأمره بالتحفظ عليه ولكن ليصح القول ان
للحيطان آذاناً « شاع الخبر بين سكان الخرطوم فقلقوا وخافوا وكثر الشغب في
المدينة فرأى غوردن ان يستنبط حيلة تسكن روعهم فعلق منشوراً في شوارع المدينة
والمراكز العسكرية يقول « انه أتى بالامس جاسوس ومعه يريد من مصريين بأن
الانكليز قد جردوا حملتين لاتقاذ الخرطوم حملة بطريق دققة وحملة بطريق كسلة
وان حملة كسلة انقسمت فرقتين فرقة أتت بطريق الاتبرة بقصد النزول على بربر وفرقة
بطريق ابي حراز بقصد النزول على الخرطوم وقد جرّد السلطان حملة ثالثة بطريق
سواكن وجردت مصر حملة رابعة بقيادة السيد محمد عثمان المرغني عن طريق كسلة ورفاعة
وقد رسم صور العساكر في الحملات الاربع على ورق شفاف وعلقها مع المنشورات
نجمة الحصار و صنع مدالية كالمدالية المصرية علق في اعلاها النجمة والهلال
وكتب في دائرها هكذا : « حصار الخرطوم سنة ١٣٠١ » وسماها « نجمة الحصار »
وقد صنعها من فضة ونحاس وطلّى بعض الانجم الفضية بالذهب فوزعها على الضباط
من رتبة بكباشي فما فوق ووزع الانجم الفضية على الضباط من رتبة صاغ فما دون
والانجم النحاسية على الصف ضباط والعساكر فكان لها احسن تأثير على الحامية كلها
اعانة الفقراء وسمح للتجار والاعيان بحمل الانجم الفضية فجعل على كل نجمة
عشرة جنيهات فجمع مبلغاً وافراً من المال وزعه على الفقراء

ولما كان موسم النخيل جمع التمر من جنائن الخرطوم الاميرية فبلغ ثمنه ٢٦٠٠٠
غرشاً فوزعه على الفقراء والفقهاء وحملة القرآن وسألمهم قراءة كتاب البخاري في



خمسة عشر وشر ميري

١٤١٥

هذا المبلغ مقبول ويحوي دفعة من خزانة الخواص او مصر فمصر
 سنة شهر من تاريخه ١٥٠٠ ابريل سنة ١٢٨٠

محمد

سليم فاضل

المساجد والتوسل الى الله بصالح الدعاء ليعينهم على رفع الحصار وقطع دابر العصاة
 في اوراق البون وكان يدفع مرتبات العساكر والموظفين كل شهر حتى نفدت
 النقود من الخزينة فأخذ يقترض من تجار المدينة واعيانها ويعطيهم «رجعاً» ممضاة باسمه
 واسم محمد باشا حسن رئيس المالية حتى عجز التجار عن زيادة القرض فأصدر اوراق
 «بون» بقيمة ٥٠ الف جنيه مصري الورقة بخمسة غروش صاغ وعشرة وعشرين
 وثلاثين واربعين وخمسين ومئة وخمسمائة والف والفين وكتب على كل ورقة ما يأتي :
 « هذا المبلغ مقبول ونجري دفعه من خزينة الخرطوم أو مصر بعد مضي ستة شهور
 من تاريخه في ٢٥ ابريل سنة ١٨٨٤ » وجعل لكل ورقة غمرة متسلسلة وختمها كلها بختمه
 وختم الحكمدارية ثم امضاها بامضائه وسلمها الى رئيس المالية فقيدها في دفاتر اليومية
 وصار ينفق منها على العساكر والموظفين كأنها نقود فتوقف اهل المدينة عن قبولها لانهم
 لم يكونوا متعودين عليها فرفع الامر الى غوردن فأوعز الى المحافظ فجمع اعيان التجار
 الوطنيين والاوربيين وارباب الصنائع والمتسبين وافهمهم معنى تلك الاوراق وأمر
 الاوربيين بقبولها تشجيعاً للوطنيين فلم يجد ذلك نفعا فعلق منشورا في الشوارع
 والممرات فحواه « ان من يتجرأ على رفض اوراق البون يُقتل بالرصاص » فاضطر
 الاهلون الى قبولها بالرغم ولم يكن بينها اوراق اقل من خمسة غروش فتعسرت المعاملة
 بها فطبع غوردن اوراقا بقيمة عشرة آلاف جنيه منها عشرة آلاف ورقة الواحدة
 منها بفرش والباقي بخمسة غروش وعشرة غروش . ولكن لم يلبث التجار ان بخسوا
 ائمتها وصاروا يشترونها بثمن اقل من الثمن المعين لها فقبض غوردن على بعضهم وارسلهم
 الى سراي الشرق فحبسهم مدة ثم عفا عنهم واعادهم الى الخرطوم بعد ان اقساموا
 بالتوبة . ثم لم يتلاف هذا الشر حتى ظهر ان صابرا واحمد ابني الشيخ عبد الغني
 السلاوي قد قلدا ختم الحكمدارية « وفرمة » غوردن بالنقش على القرع وطبعا اوراق
 « بون » كاوراق غوردن فحكما بمجلس عسكري فاعترف ابوهما انها فعلا ذلك
 نظرا للضيق الذي صارا اليه فحكم المجلس بحبسهما سنة فصدق غوردن الحكم وجعل
 لوالدهما مرتبا يستعين به على معيشته قدره خمسة جنيهات في الشهر

﴿ اخفاء التجار للغلال ﴾ ثم لما طال الحصار اخذ التجار في اخفاء الغلال في مطامير داخل منازلهم فارتفعت اثمانها وكثر عدد المتسولين في المدينة حتى غصت بهم شوارعها فاحصاهم غوردن فكانوا ٣٠٠٠ نفساً فامر بمرتب يومي يجري لهم من المخازن قدره ١٠٠ درهم من البقسماط لكل نفس ولما طال الحصار خفض المرتب الى ٥٠ درهماً ثم امر غوردن المحافظ فنبش المطامير واحصاها في « كشف » فاخذ التجار يخفون منها ايضاً ويقولون انها نفدت فضج الاهالي لقلة الغلال ففتح غوردن شونة الحكومة واخرج منها ٤٠٠٠ اردب غلة فبيعت للموظفين والاهالي بثمان معتدل وبحث المحافظ عن الغلال المخفأة فوجد تاجرًا روميًا بشركة ابراهيم بك البورديني الوطني قد اخفى ٦٠٠٠ اقة درة فاحضره ووجهه قيل وجلده بالسياط حتى ادماه فحمله رفاقه الاروام على سرير واتوا به الى غوردن طالبين بشاره فالتقى غوردن المحافظة تسكيناً لروعهم واعاد نصحي ووكيله الى خط النار وارجع الضابطة بأمورها السابق حسن بك فواد ووكيله ابراهيم افندي ليب وامرهما ان يسلكا فيها مسلك المحافظة بلا فرق ﴿ اباحة الفطر والحرب في رمضان ﴾ وقد تقدم ان غوردن كان ينتظر ارتفاع النيل بفارغ الصبر ليتمكن من استخدام الواورات لرفع الحصار ويتمكن الانكليز من نجده فلما بدأ النيل في الارتفاع بدأ شهر رمضان فجمع العلماء واستفتاهم في اباحة الفطر والحرب فيه فافتوا بذلك بدليل ان النبي (صلعم) فتح مكة في شهر رمضان فنشر غوردن هذه الفتوى في جميع المراكز العسكرية

﴿ واقعة القطينة ٤ يوليو سنة ١٨٨٤ ﴾ ولما كان يوم ١٠ رمضان سنة ١٣٠١ هـ ٤ يوليو سنة ١٨٨٤ بلغه ان رجلاً يدعى حامد ود الفقيه عبد الله الدقلاوي من سكان القطينة قد جمع جموعاً من بلده ونوى الزحف على الخرطوم فجرّد عليه ساتي بك بالوابورات فخاربه مستبسلاً ولكن حامد عبد الله تغلب عليه بكثرة العدد وقتله مع نفر من عسكره وهزم باقي العساكر الى الخرطوم وما انتشر خبرهم حتى ارتفعت اصوات الحزن في المدينة وتأسف غوردن لموت الساتي بك لانه كان من اعز رجاله فاستدعى اخاه وعزاه ووجه اليه الرتبة الثالثة وقلده قومندانة الواورات مكان اخيه

(واقعة الكلاكلة في ٩ يوليو سنة ١٨٨٤) وقطع الدراويش رأس الساتي بك وعلقوه على حربة طويلة واتوا به قرب الخندق وصاروا ينادون العساكر « اخرجوا ليها الملاعين ليحل بكم ما حل بالساتي » فاشتعل غوردن غيظاً من قحتهم وفضاعتهم فجهز جيشاً مؤلفاً من ٦٠٠ من العساكر النظامية و ٢٠٠ من الباشبوزق وطم ساروخ وعقد لواءه للبكباشي السيد افندي امين فجعل العساكر النظامية بهيئة « قلعة » او « مربع » ووضع العساكر الباشبوزق بهيئة « شرنخية » على ٣٠٠ متر من مقدمة المربع وسار حتى اقبل على الدراويش قرب حلة الكلاكلة وكان بينه وبينهم خور يمتد من تلك الحلة الى النيل الابيض فخاف اذا لجأ الدراويش اليه تعسر اخراجهم منه ففتح المربع وصفه بهيئة طابور فسبقهم اليه ووارى عسكره به وفتح على الدراويش نارا حامية فمالوا نحو الجناح الشمالي بقصد تجاوزه وقطع خط الرجعة فامر السيد افندي فانكسر الجناح المذكور واصطف بهيئة طابور على زاوية مستقيمة مع الطابور الاول ووالى الطابوران رحى الرصاص وطوبجية الكروب من الخرطوم تساعدهما وكان الدراويش يوالون الهجوم مستققلين حتى ان احد امرائهم المسمى ود دفع الله دفع جواده وسط النيران وكره مهاجماً والسيف مشهور بيده وهو ينادي « انا ود دفع الله » حتى اخترق الصف فانبرى له الملازم عبد الخالق افندي المصري وابتدره بضربة من سيفه فجندله . ودام القتال من الضحى الى ما بعد الغروب وقد قتل من الدراويش نحو ١٠٠٠ رجل ولم يقتل من العساكر سوى اثنين وجرح ١٢ لان الخور حماهم من النيران فعادوا الى الخرطوم والوية النصر تحققت فوق رؤوسهم فزال الغم عن الحامية وعم الفرح المدينة كلها

(واقعة برسي في ٢٧ يوليو سنة ١٨٨٤) وكان غوردن ينتظر ارتفاع النيل الازرق بفارغ الصبر ليتمكن من الانتفاع بالوابورات فلما كان يوم الاحد ٢٧ يوليو سنة ١٨٨٤؟ وقد ارتفع النيل المذكور الى الحد المطلوب جرّد على ابي قرجة جيشاً من العساكر النظامية بقيادة الميرالاي محمد علي بك وجيشاً من الباشبوزق في البر بقيادة خشم الموس بك فحصر ابا قرجة بين نارين واخرجاه من الطاوية عنوة وتقدما

بالعساكر الى الطاية فهدماها وهدما المنازل التي في جوارها وكان غوردن يشاهد القتال من الخندق فلما رأى انتصار العساكر اتى الى محل الواقعة فهناهم بالنصر ورفى كل ضابط الى رتبة اعلى من رتبته واستطرد العساكر القتال في اليوم الثاني والثالث فهزموا الدراويش الى الجريف وقد قتلوا منهم في الايام الثلاثة ٨٠٠ رجل ولم يقتل من العساكر سوى ٣٠ رجلاً

﴿ واقعة الجريف في ١٢ اوجسطس سنة ١٨٨٤ ؟ ﴾ وصمم غوردن الآن على طرد ابي قرجه من الجريف فلما كان يوم الثلاثاء في ١٢ اوجسطس سنة ١٨٨٤ عاد محمد علي بك بعسكره في النيل الازرق وخشم الموس بك في البر فحصر ابا قرجه بين نارين كما فعلابه في برّي فحارب مستقلاً حتى قتل معظم جيشه وفيهم اخوه نصر وحاج محمد واد الزبير العابدلاني وغيرهما من الابطال المدودين وقتل فرس ابي قرجه فشاع بين انصاره انه قتل هو فانهزموا شر هزيمة واستولى العساكر على الدميم فكانت غنائمهم ٦٠٠ اردب درة و ١٠٠٠٠ بندقية و ١٢ صندوق جبنانة وعددًا من السيوف والمواشي هذا وكان ابو قرجه قد ارسل يطلب الشيخ فضلاً من النيل الابيض لتجديته ولكن غوردن كان قد احتاط لذلك وارسل سرية من العساكر الى الصحراء لتحول بينه وبين ابي قرجه فخرج فضل في اصحاب الخيل وترك باقي اصحابه في صد السرية فقابلته الدراويش المنهزمون في الطريق واخبروه بنصر العساكر وخبر قتل ابي قرجه قيل فاسترجع ودمعت عيناه وهم ان يحمل على العساكر وحده فتعلق اصحابه في عنان فرسه ومنعوه عن ذلك فعاد وبحث عن ابي قرجه فوجده حياً فقتل معه بمجل يدعى ود شكر الله على النيل الابيض على نحو ٢٠ ميلاً من الخرطوم وارسل الرسل الى المهدي يعلمانه بما كان وسر غوردن من محمد علي بك فرقاه الى رتبة اللواء الرفيعة

﴿ واقعة الحلفايا الثانية وطرده الشيخ العبيد في اواسط اوجسطس سنة ١٨٨٤ ؟ ﴾ هذا ولما فرغ غوردن من ابي قرجه التفت الى الشيخ العبيد الذي كان محاصراً الخرطوم في الحلفاية فسير عليه جيشاً في النيل في ثلاث بواخر بقيادة خشم الموس بك وجيشاً في البر بقيادة فرج الله بك فلما رأى العساكر مقبلين برّاً وبجراً ترك

النيل وتوغل في البر الى غابة الملاحة فاجتمع العساكر عليه واشعلوا النار في جيشه من البر والبحر فثبت امامهم الى الظهر ثم ولى الادبار منهزماً الى ام ضبان وقد قتل من جيشه نحو ٢٠٠ رجل وجرح ابنه ابراهيم وحمل على فرس واستولى العساكر على ديمه فقتلوا شيئاً كثيراً من الحبوب والاقمشة والكتب والاسلحة

ثم ان محاصري ام درمان لما رأوا بطش العساكر خافوا على انفسهم وتركوا الحرب فانجلى الحصار عن الخرطوم وام درمان ووزع غوردن كتب الامان الى اطراف البلاد واعاد العساكر والتلغراف الى الحلفاية ففتحت سوقها وصار الناس يأتونها بالحبوب والمواشي والسمن من كل الجهات فتنفس اهل الحامية وزال عنهم الغم

واقعة ابي حراز وكان اول ما بدا لغوردن بعد رفع الحصار عن الخرطوم ان يستطلع حال سنار فبعث لها بجيت بك بطراكي بوابور بوردن و ٢٠٠ عسكري فأوصله محمد علي باشا بنجمس وابورات الى ابي حراز فوجد اهلها لم يزالوا على العداء فأوقع فيهم واقعة شديدة وطردهم من البلدة وغنم منها ١٨٠٠ اردب ذرة و ٨٥ قطارين و ٢٣ اردب سمس فحملها في الوابورات وعاد بها الى الخرطوم

واقعة العيلفون في اواخر اوغسطس ١٨٨٤ فآخذ غوردن ينظر الآن في استرجاع بربر وفتح الطريق الى مصر فاستدعى رؤساء جيشه واستشارهم في الامر فوافقوه على ذلك فجهز جيشاً مؤلفاً من ١٠٠٠ جهادي و ٨٠٠ من الباشبورق وعقد لواءه الى محمد علي باشا وفيما هو يتأهب للمسير اذا تخبر قد حضر من الجنوب وقال ان انصار الشيخ العبيد قد عادوا الى تجمعهم في العيلفون وسدوا طريق النيل الازرق فأرأى محمد علي باشا وجوب تمهيد العيلفون قبل الزحف على بربر وصدق غوردن رأيه فركب الوابورات وسار قاصداً العيلفون في ٢٩ اوغسطس سنة ١٨٨٤ ونازل اهلها يومين فقتل منهم وهزمهم الى ام ضبان على ١٢ ميلاً من العيلفون حيث اقام الشيخ العبيد يباقي انصاره

واقعة ام ضبان في ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فطلب محمد علي باشا الاذن من غوردن في الحملة عليه فلم يأذن له لانه لم ير الخروج عن النيل رأياً فبعث محمد علي باشا

يلحُّ عليه في طلب الاذن ويقول ان سحق الشيخ العبيد لا بد منه لراحة الخرطوم
وفتح طريق سنار وان النصر عليه مضمون فاذن له بعد تردد . وفيما هو يتأهب
للمسير الى ام ضبان اتاه عبد اسود ارسله الشيخ العبيد جاسوساً فقال اني فرت
من الشيخ العبيد لشدة ما لحقني من الضرب والاهانة وجئت ادلكم على طريق يكون
فيها هلاكه فلأم ضبان من هنا طريقان الطريق المعتادة وطريق قصيرة في غابة
كثيفة ملتفة الاشجار فان اتيموه بالطريق المعتادة شعر بقدومكم وفر منكم فاقصدوه
بطريق الغابة و باغتوه الهجوم وانا ادلكم على هذه الطريق فانطلى خداع هذا العبد
على محمد علي باشا فنظم جيشه مربعاً جعل الجهادية فيه ضلعين والباشبورق ضلعين
والحملة في الوسط وسلك طريق الغابة فما توسطها حتى خرج له كمينان عن اليمين
والشمال فاخترقوا القلعة واختلطوا بالعساكر فقتلوا منهم نحو ٨٠٠ رجل وهزموا الباقي
وقد اصيب محمد علي باشا برصاصة فاقترب فروته على عادة اهل السودان المعهودة
واجتمع عليه الدراويش فقتلوه ولم يقتل من اصحاب الشيخ العبيد سوى ٥٢ رجلاً .
وقتل من الضباط سلطان بك عبد الله بعد ان حارب حرب الابطال ونجا فرج الله
بك فجمع شتات المنهزمين وعاد بهم و بالبواخر الى الخرطوم فما انتشر فيها خبر
الانكسار حتى ضجت بالبكا والعيول فبذل غوردن جهده في تسكينهم بالحسن فلم
يفلح فاصدر اوامره المشددة بان من لم يكف عن الصياح والعيول يطرد خارج
الخندق ويحرق منزله فهدأت المدينة

وقد اغتم غوردن لقتل محمد علي باشا لانه كان من افضل قواده فجاء رؤساء
العسكرية وقنصل اليونان وحكيم الاسبتالية يعزونه وقالوا ان كنا قد انكسرنا في هذه
الواقعة فقد انتصرنا قبلها في وقائع وهذه عادة الدهر «يوم لك ويوم عليك» فشكرهم
غوردن سعيهم وقال اني لا زلت اجد بكم الكفاءة لقمع العصاة ولكني اتأسف ان
قائد امن قوادي العظام يتبع عادة همجية ويودي بنفسه الى الهلاك وله من ذلك مفر
اما الشيخ العبيد فانه بث الرسل الى كل الجهات يخبرهم بالنصر الذي ناله في ام ضبان
و يستحثهم على حصر الخرطوم من جديد . فلترك الشيخ العبيد يجمع رجاله على النيل الازرق

وإلا قرجة ينتظر المدد على النيل الأبيض ولنرجع إلى المهدي في كردوفان فنقول :
 « عصيان جبل الدائر » كنا تركنا المهدي بعد واقعة شيكان يعدّ نفسه للزحف
 على الخرطوم فعصاهُ أهل جبل الدائر وقطعوا طريق الأبيض فجرد عليهم الجيوش
 لهم فكان بينهم وبين أهالي ذلك الجبل وقائع معدودة قتل فيها خلق كثير من
 الفريقين . وقد رأيت كتاباً من المهدي بتاريخ ٢ مارس سنة ١٨٨٤ إلى عامله محمد
 خالد زقل في دارفور يخبره بما كان من عصيان جبل الدائر قال : « .. » والملك آدم
 ملك جبال تقلي أتى إلينا مسلماً وجميع ملوك الجبال اتقادوا لأمر الله ورسوله ما عدا
 أهالي جبل الدائر عصوا وخالفوا أمر الله ورسوله بقطعهم لطريق المسلمين ونهبهم
 لأموال الناس ولذلك عينا لهم من يبرق الخليفة شريف عبد الرحمن النجومي وعبد الله
 النور من يبرق الخليفة عبد الله حمدان أبا عنجه ومن معهم من الإخوان فتوجهوا لهم »
 انتقال المهدي إلى الرهد فآزياً الخرطوم ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هـ ٤ أبريل ١٨٨٤ م
 وقد خرج الجيشان المذكوران من الأبيض في ربيع الثاني سنة ١٣٠١ هـ مارس
 سنة ١٨٨٤ م وطالت الحرب بينهما وبين الجبل والمهدي لم يزل في الأبيض حتى
 أتاه رسول صالح الملك من فداسي فسير إليه عثمان أبا قرجه كما مرّ وقام هو على الأثر
 فأصدأ منهل الرهد بعد أن استعمل محمود عبد القادر من أقاربه على الأبيض .
 وهاك ما كتبه إلى زقل في ٥ أبريل سنة ١٨٨٤ بهذا الشأن :

« .. » وقد عينا محمد أبا قرجه ومن معه من الانصار أميراً على جهة البحر
 ووجهه لمحاربة أعداء الله . وأما نحن فقد اتانا الخبر النبوي بالتوجه إلى البحر وجهاد
 الخرطوم فما هو قد صار قيامنا مع كافة الأحاب والاصحاب في أثره مع قيام وتوجه
 عمد وإعيان كردوفان معنا كمثل الياس محمد أم برير وبان النقا وولد العريق والمكي
 اسماعيل وغيرهم . وإيضاً عينا السيد محمود أميراً لكافة أهالي مديرية كردوفان وملحقاتها
 لإزالة الفساد والضلال والامور غير المرضية كتاباً وسنة .. »

قل وفي أثناء سيره إلى الرهد كان يمشي على رجله مراعاة لحال الضعفاء من
 أنصاره الذين ليس لهم دواب حتى أنه حفي وتورمت رجلاه . وقد اختار الرهد

لكثرة مائه وقربه من جبل الدائر الذي كان لم يزل على العصيان وقد عجز عن قمع الجيشان اللذان ارسلهما عليه في مارس فجهز جيشاً آخر من راية الخليفة على ود حلو وعقد لواءه لموسى ود حلو وارسله مدداً الى الجيشين المذكورين ووزع منشوراً بين اصحابه بتاريخ ١٩ مايو سنة ١٨٨٤ يدعوهم الى الجهاد فرافق موسى ود حلو خلق كثير من اخلاط الرايات فلما رأى اهل الدائر كثرة الجيوش أتى رؤساؤه مسلمين فكتب الامراء الى المهدي بذلك وكان المهدي قد قلق لطول حرب الدائر وصار يتمنى عذراً من الغيم لتركها لانها تحرقه عن قصده وتضعفه ولا تفيده بشيء فكتب الى الامراء يدعوهم الى الرهد وهذه صورة الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم »
« وبعد فمن العبد الفقير الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى احبابه في الله واصفيائه المكرمين عبد الرحمن النجومي وحمدان أبي عنجة وموسى حلو عملاء المهديّة جزاهم رب البرية خيراً واحساناً وتولاهم الله . تزيكم السلام ونعرفكم ان جوابكم ورد علينا كلما ذكرتموه صار معروفاً والحال مادام ان المطلوب نصره الدين وقد حصلت وظفركم الله على اعدائكم فجزاكم الله عنا كل الخير وعن الاسلام والمسلمين حيث صبرتم وجاهدتم لوجه الله والاخرة اردتم ولما عند الله قصدتم وفي الله تبتم وعلى المقصود حصلتم بتقاساتكم لشدائد كالجبال فبوصول هذا اليكم حالاً احضروا جميعاً انتم ومن معكم كما كاتبكم خليفة الصديق الخليفة عبد الله ولا يكون لكم تعويق الا مسافة الطريق هذا وبارك الله فيكم وعليكم وانى فضلكم الى لقاء ربكم آمين بتاريخ ١٨ شعبان سنة ١٣٠١ هـ ١٣ يونيو سنة ١٨٨٤ » . فلما وصلهم كتاب المهدي هذا احرقوا اليوم التي كانوا مقيمين فيها ورجعوا جميعاً الى الرهد

✽ عبد الرحمن النجومي وحصار الخرطوم ✽

وعند وصول الجيوش من الدائر ندب المهدي عبد الرحمن النجومي وعقد له على ١٠٠٠ من العساكر النظامية و ٣٠٠٠ من اخلاط العرب وكلهم مسلحون بالبنادق الرمتون واعطاه مدفعين كروب واربعة مدافع جبلية وساروخ وسيره الى الخرطوم اميراً عاماً

على جميع المحاصرين فخرج من الرهد في غرة رمضان سنة ١٣٠١ هـ ٢٥٥٠ يونيو سنة ١٨٨٤
وابطأ في السير فنزل على النيل الايض بمحل يدعى شبشه قرب الدويم في اواخر
اوغسطس فوافاه هناك رسول من أبي قرجه يخبره بما حصل له في الجريف يوم
١٢ اغسطس فجد السير حتى أتى ود شكر الله فأخذ ابو قرجه ومن معه من
الانصار وزحف على الخرطوم فنزل بجيوشه في محل يدعى الغرقان بينه وبين خندق
الخرطوم مرمى القنبلة وكذلك بينه وبين النيل الايض فترك العائلات في الغرقان
بقيادة أبي قرجه وتقدم بالمقاتلة لحصار الخرطوم فأقام لهم طوابي تجاه طوابي الخندق
طاية تجاه طاية الكلاكلة وعلى مرمى الكلاكلة منها وقعد فيها بمعظم جيوشه وأمر عبد
القادر ولد مدرع أمير الحسنيات فنزل بمقابلة باب المسلمية من ابواب الاستحكام
وأمر عبدالله ود النور فنزل تجاه طاية برّي وكان محل نزوله اقرب اماكن الحصار حتى
كان الواقف فيه يرى الداخل والخارج في منازل الخرطوم ولذلك سمي بعضهم هذا المكان
بالدار الآخرة اشارة الى ان من كان يقيم به للحصار كأنه صار من اهل الدار الآخرة
وكان الشيخ العبيد لما علم بقدوم النجومي لحصر الخرطوم قد حشد جيوشه وتقدم
لحصرها من الشرق فأسرع غوردن وأخرج عساكره من الحلفاية وهدم منازل قبة
الشيخ خوجلي وقبة الشيخ حمد ولكنه اتقى على القبتين وعلى محل السادة المرغنية
في حلة الشيخ خوجلي فجعل الشيخ العبيد مدفعاً في محل السادة المرغنية وقعد لحصر
الخرطوم ومعه الشيخ المضوي . وارسل اليه النجومي بأمر المهدي عبد الله ود جبارة
وابوبكر ولد عامر ليساعده على الحصار بتلك الجهة وهكذا حصر الخرطوم من
الشرق والجزيرة وترك جهة ام درمان للمهدي الذي كان لاحقاً به . وبعد ان رتب
النجومي جيوشه على ما قدمناه ارسل الى غوردن كتاباً هذا مفاده :

« اعلم اني ود النجومي امير امراء جيوش المهدي الملقب بسيف الله المسلول
وقاتح كردوفان والداير وقد جئت لك الآن بجيوش لا طاقة لك بها ومدافع لا قدرة
لك على احتمالها فسلم تسلم ولا تسفك دماء العساكر والاهلين بعنادك والسلام »
فرد عليه غوردن بقوله : « قد اطلعت على خطابك وانا لست بمبال بك ولا

بسيدك المهدي ولسوف يحلّ بك ما حلّ بابي قرجة في بري والجريف وبابن عمك
العيد بالخلافة فخلّ عنك شقشقة اللسان وكثرة الهذيان وجرب نفسك والسلام،
هذا وكان النجومي قد كتب الى اهل الخرطوم ايضاً كتاباً يدعوهم به الى
التسليم وقد اوعز الى العلماء الذين صحبوه فكتبوا لهم كتاباً حاولوا فيه بيان صحة دعوى
محمد احمد وتطبيق صفاته على ما جاء في الكتب من صفات المهدي فاجتمع علماء
الخرطوم واصدروا فتوى بتاريخ ٢٣ القعدة سنة ١٣٠١ هـ ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٤م
فندوا فيها كتاب النجومي بنداً ببنداً وامضاه كل من الشيخ الامين محمد رئيس ومميز
علماء السودان وشاكر افندي مفتي استئناف السودان والشيخ حسين المجدي مدرس
العلم بالجامع ومحمد خوجلي قاضي عموم السودان وموسى محمد مفتي مجلس السودان
فدفع غوردن هذه الفتوى والكتاب الى رسول النجومي بعد ان طاف به على
مراكز الدفاع ثم اخرجته من الاستحكام

﴿ مواصلة سنار ﴾ ولننظر الآن الى ما كان من بخيت بك بطراكي الذي
ارسله غوردن في اواخر اوغسطس ليتعهد حال سنار فانه جدّ السير حتى وصل الجادين
فوجد المدير لم يزل فيها ومعه النور بك محمد وعثمان بك الدالي ففرح بهم وفرحوا به
واخذوه الى سنار فمكثوا يوماً ثم عادوا الى الجادين وكان بخيت بك قد اخذ معه
الى الحامية مقداراً من الذخيرة والصابون والملبوسات وعدداً معلوماً من ورق البون
فسلمها الى المدير وكان معه أمر من غوردن الى النور بك محمد يسميه قومنداناً عاماً
على العساكر لانه كان يعرفه من خط الاستواء فسلمه اياه ثم وسق ٨٠٠ اردب درة
في الوابور واقلب راجعاً الى الخرطوم فوصلها في ٧ سبتمبر فعنفه غوردن على عاقبه بلا
سبب وقلة ما أتى به من الدرة وأوقفه عن الاشغال

﴿ بعثة نصحي بك الى سنار في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ ﴾ ثم عقد مجلساً من
الضباط العظام للنظر في اخلاء سنار وجلب عساكرها الى الخرطوم فقرّ رأيهم على
ترك العساكر في سنار والاستمرار على مواصلتها فندب غوردن نصحي بك وجهز له
وابوري بوردين وتل حوين واربعة مراكب شرعية و٢٠٠ عسكري واعطاه الف

طاقم العساكر وامراً بزيادة مرتب المدير الف غرش في الشهر ومعاملة كاميرالاي من كل وجه مع الوعد بالترقي الى رتبة لواء واعطاه اوراقاً بيضاء مختومة بختمه وفوض اليه منح الرتب لمن يستحقها من الضباط والعساكر ومشايخ البلاد . وكان مدير سنار قد ارسل مع بخيت بك : محمود افندي طلعت بكباشي العساكر واحمد افندي مكوار وكيل المديرية لخصام وقع بينهما فصالحهما غوردن ورقى كلا منهما رتبة وارجع احمد بك مكوار مع نصحي بك . فخرج نصحي من الخرطوم في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ وسار حتى وصل الكاملين فتصدى له اهله فخار بهم ست ساعات متوالية وخرج منهم ظافراً ثم تقدم الى رفاعة فخار به اربع ساعات واستطرد السير نحو سنار وقد عانى المشاق في ايجاد الخشب وقوداً للوابورات فلم يصل الجادين الا الجمعة في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فوجد فيها بعض عساكر سنار يجمعون الحبوب فانفذ خبراً الى المدير يعلمه بوصوله فحضر اليه في صباح الغد فناوله امر غوردن القاضي برفع مرتبه وصالحه مع احمد بك مكوار . ثم امر رجاله فشرعوا في شحن المراكب حبواً وتقدم مع المدير الى سنار فاستقبله العساكر على الشاطئ « بالتشريفات » اللازمة ثم دخل ديوان المديرية فامته الاعيان والتجار وضباط الجيش فوقف بينهم خطيباً وقال : « لقد سرت حكام السودان من تعلقكم بالراية الخديوية وولائكم لحكومتم في هذه الايام الشديدة وكلفني ان ابلغكم سلامه وشكره القلبي ووعد بمكافاة كل منكم بما يستحقه وهو يوصيكم بترويج اوراق البون والتعامل بها كالدراهم لانها مضمونة من الحكومة الخديوية والدولة البريطانية وجميع الدول تتعامل بها لاسيما في الاحوال المماثلة لالتنا واذا احتاج المدير الى تقود معدنية للانفاق منها على الجواسيس والرسل فاقضوه ما يلزم وخذوا منه « رجماً » واحفظوها معكم الى ان يرتفع الحصار فترجع لكم مع المكافاة اللازمة » . فاجابوه بالسمع والطاعة فوزع عليهم الرتب حسب التماس المدير . وكان المدير قد ارسل مع بخيت بك بطراكي يلتمس جزاء السر سوارى عثمان بك الدالي لاجل ما ابداه من الدربة والبسالة في واقعة ابي الحسني المار ذكرها فزعه غوردن الى رتبة ميرالاي جهادي فتقبلها شاكرًا . وفي اليوم التالي الاحد تفقد

نصحي الخندق فوجده في غاية المناعة وعاد يوم الاثنين الى الجادين معه اشياء كثيرة من الحبوب والزيت والسمن والسمن من اهل سنار الى اقاربهم في الخرطوم فوجد رجاله قد شحنوا مراكبهم بثلاثة آلاف اردب درة لحامية الخرطوم فشحن الف اردب اخرى امانات وفي فجر الاربعاء قفل راجعاً بالوابورين والمراكب الى الخرطوم وسار لا يعترضه احد حتى وصل الكاملين صباح الجمعة في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فتصدى له اهلها كالاول فرماهم بالقنابل وتخلص منهم وسار حتى وصل الجريف وكان التجوي قد علم ببعثته الى سنار وارسل بعض الطوبجية واصحاب الاسلحة النارية الى الجريف ففتحوا المزاغل في منازلها وعملوا متراساً على شاطئ النيل وكنوا له فما اطل حتى ابتدروه بالقنابل والرصاص فارسل غوردن وابور « المنصورة » بالعساكر فانجده فدخل الخرطوم مساء الجمعة المذكور وقد قتل من عسكره ١٥ رجلاً واصيب قران وابوره بوردين فسر غوردن من نشاطه ودربته فرقاه الى رتبة لواء وقال « اني اريدك لامر هام فاذهب الآن واسترح الى الغد »

﴿ بعثة ستورت باشا الى مصر في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ ﴾ هذا وكان غوردن يوم توجه نصحي الى سنار قد وجه وكيله ستورت باشا بوابور عباس الى مصر لا بلاغ الحكومة حالة الخرطوم واستعجالها في اتقاذه . وقد صحبه على الوابور ٤٠ رجلاً وفيهم المستر بور قنصل انكلترا في الخرطوم والمستر هربن قنصل فرنسا فيها وحسن افندي حسني من موظفي التلغراف الانكليزي و ١٩ من التجار اليونان وه عساكر طوبجية ومدفع صغير . وجرت الوابور وراءه اربعة مراكب صغيرة اخذ فيها جماعة من تجار اليونان والشوام واليهود بشرط تركهم عند اقل خطر . وبعث غوردن مع « عباس » وابوري المنصورة والصافية بقيادة عثمان بك حشمت ليساعده على المرور ببربر ثم يعود ان الى الخرطوم فسار ستورت باشا بمن معه بلامعارض حتى اشرف على شندي فبادره اهلها بالرصاص من الشونة الاميرية فرماهم بقنبلة واحدة وبقي سائراً الى ان وصل الدامر فوجد اهلها قد اقاموا متراساً وكنوا للوابورات فصوب عليهم المدافع ونجا منهم ووالى السير حتى اطل على ببر فلتقاه اهلها بالقنابل والرصاص من

الشرق والغرب فأطلق مدافعه وبنادقه يمينا وشمالا وهو مواصل السير حتى تخلص منهم فأمر عثمان بك حشمت فعاد بالوابورين الى الخرطوم فوصلها في ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ وجد ستورت السير شمالا وهو يجر المراكب الاربعة الى ان وصل العبيدية فترك مركبين منها وراءه لضيق النيل هناك وكان محمد الخير عامل بربر لا يعلم سبب سفره فأقلت من الوابور رجل من الباشبوزق يقال له التوم ود علي بك فأخبر محمد الخير بقصده فأرسل وراءه ابن اخيه عبد الماجد علي وابور الفاشر الذي غنمه في بربر فلما ادرك المركبين اللذين تركهما ستورت رفعا له راية بيضاء دلالة على التسليم فتركها وجد السير وراء وابور عباس حتى وصل شلال الحمار فوقف لضيق الشلال عليه واجتازه « عباس » لصغر حجمه ولكنه ترك المركبين الآخرين وراءه لتخف حركته فوقع المراكب الاربعة في اسر « الفاشر » فقطرها وقفل راجعا الى بربر

وواصل وابور عباس السير حتى دخل شلالات ودقر فاصطدم بصخرة فدخله الماء فرسى على جزيرة صغيرة تجاه قرية هبة على ٩ اميال من السلامة وذلك في ضحى الخميس ١٨ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فأخرج ستورت شحن الوابور الى الجزيرة ورمى بالمدفع الى البحر فلم يهشخه الفقيه ود عثمان فأرسل الى السلامة الى الشيخ سليمان بن الشيخ نعمان ودقر الذي قتل في الدبة يعلمه بغرق الوابور ويستعجله لاغتنام الفرصة والاخذ بالثار فأتى الشيخ سليمان الى ستورت باشا واطهر اشد الاسف لما اصابه وسأله ان ينزل معه الى البر فيدبر له الركائب ويوصله بنفسه الى دقله قيل فارتاب ستورت باخلاصه ولكن الحاجة وفراغ الاجل اضطراره الى قبول دعوته فترك اشيائه في الجزيرة ونزل بمن معه الى هبة فأبقى العساكر والخدم على شاطئ النيل ودخل منزل سليمان ود نعمان ومعه المستر بور والموسيو اربان والتجار اليونان وحسن افندي حسني الذي استعمله مترجما وكان سليمان ود نعمان قد دبر المكيدة لقتلهم فذبح لهم ذبيحة واحضر بعض الجمال ليؤمهم انه يهتم بترحيلهم بعد الضيافة وكان قد بعث بالرسل الى قومه فاجتمعوا حوله من كل جهة ثم اشار فانقضوا عليهم كالنسور وقتلهم عن آخرهم حتى العساكر والخدم ولكنهم ابقوا على حسن افندي حسني

ورئيس الوابور فاختلف في سبب نجاتهما فقال البعض انهما نطقا بالشهادة واستغاثا بالمهاجرين فأبقوا عليهما وقال البعض انهما اشتركا في المكيدة . وقد رأيت حسن افندي حسني بعد واقعة أم درمان فأراني جرحاً في جسمه قال انه اصابه في تلك الواقعة فصرع منه فظنه المهاجمون انه قتل ثم ظهر لهم انه حي فأبقوا عليه واستولى سليمان ود قمر على جميع مهمات ستيورت واوراقه وفي جملتها يومية غوردن منذ اول مارس الى قيام ستيورت من الخرطوم في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فوقعت بيد سليمان ود قمر فبعث بها الى المهدي وبعث بالخبر الى محمد الخير فأرسل ابن اخيه عبد الماجد الى ود قمر فأخذ مهمات الوابور وعاد بها الى بربر . واما غوردن فلم يعلم خبر ستيورت قبل ١٠ اكتوبر ~~بعثة نصحي~~ باشا بالوابورات الى شندي لمقابلة الانكليز في ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ ~~هذا~~ وكانت الحكومة الانكليزية قد اقرت على ارسال حملة لا تقاذ غوردن منذ ٨ اغسطس كما سيحيى وبلغ الخبر غوردن من طريق دقله في اواخر سبتمبر فنشره في المدينة كلها ولما عاد نصحي باشا من سنار جهز له ثلاث وابورات وامره بملاقة الانكليز في التمة واستقصاء اخبارهم وارسلها اليه تباعاً وهذا مفاد الامر الذي اصدره له في هذا الشأن بتاريخ ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٨٤ م اي ثاني يوم وصوله من سنار :

» سعادتلو افندم محمد نصحي باشا

» اني اخترتكم للذهاب الى شندي لمقابلة الجيش الانكليزي القادم لتجدتنا بطريق دقله وجهزت لكم وابورات تل حوين والصفاية والمنصورة لتذهبوا فيها ومعكم من الضباط محمود بك طلعت وعلي افندي رضا فيكون كل منكم في وابور ويرافقكم خشم الموس بك ليؤلف السناجق الذين في شندي ويضمهم اليكم . وفي مرورك الى شندي اختبروا حال الاهلين واعلموا الطيب منهم والردي وابقوا في شندي فلا تعدوها الى بربر ولا تخرجوا من الوابورات الى البر لاي سبب كان وابعثوا بالجواسيس الى دقله لاستطلاع خبر الجيش وارسلوه الي تباعاً . ويرافقكم يوسف افندي صديق من كتاب الحكمذارية بصفة كاتب لكم ومعه ٨٠٠ ريال لاجل الانفاق منها على الجواسيس واذا اتاكم رسالة من مدير دقله او من الجيش فأرسلوها

الى حالاً . ولي الامل الوطيد انكم تقومون بواجب مأمور يتكم هذه خير قيام والسلام ،
ولما كان يوم الثلاثاء في ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ م خرج نصحي من الخرطوم بالوابورات
الثلاثة قاصداً التمة وسنعود اليه بعد . ولنأت الآن الى ذكر ما كان من المهدي فنقول :

✽ المهدي وحصار الخرطوم ✽

✽ غزوة المهدي للخرطوم ✽ تقدم ان المهدي اتى الرهد من الابيض في اوائل
جمادى الآخرة فاقام فيه الى آخر شوال سنة ١٣٠١ هـ ٢٢ اغسطس سنة ١٨٨٤ م
يستعد الزحف على الخرطوم . وفي اثناء ذلك اتاه سلاطين باشا (وقد سمي بعبد
القادر سلاطين) والسيد بك جمعة من دارفور وحسين باشا خليفة من بربر وصالح
باشا الملك من فداسي وقد مر ذكر ذلك كله في محله .

واتاه الحاج عبد الله الكحال التاجر الشامي المشهور في خان الخليلي بمصر وكان
قد ذهب بتجارة الى الفاشر بطريق الاربعين فلم يصلها حتى كان زقل قد استولى
عليها فاخذ منه ثلثي تجارته وترك له الثلث الباقي فباعه واخذ يحتال على النجاة فطلب
من زقل الاذن في زيارة المهدي فاتاه الى الرهد وبايعه فسماه المهدي اميراً على بلاد
الشام واصحبه كتباً الى اهلها للقيام بنصرته والانضمام الى اميرهم الكحال لمحاربة الترك
فحمل الكحال هذه الكتب وجد السير الى مصر بطريق دارفور فودّ اي فبني غازي
فلاسكندرية وهو غير مصدق بالنجاة

واتى المهدي الى الرهد في اواخر يوليو سنة ١٨٨٤ رجل من الغرب يدعى فخر
الدين ادّعى انه خليفة المهدي فسلمه الى الخليفة عبد الله فحبسه ثم قتله . وارسل من
الرهد محمود الحاج محمد الى دنقله كما مرّ ومحمد ود ارباب الى القلابات كما سيجي
ولما كان يوم ٢٩ شوال سنة ١٣٠١ هـ ٢٢ اغسطس سنة ١٨٨٤ م خرج
من الرهد غارياً الى الخرطوم بجميع جيوشه فنزل في منهل البساطة واذن لاصحابه فزاروا
قبر والد الخليفة عبد الله المدفون في ابي ركة

✽ قدوم الاستاذ محمد شريف الى المهدي ✽ ثم استطرد السير حتى اتى شات
فامتراح فيها نحو شهر حتى تكامل جيشه وهناك اتاه استاذهُ الشيخ محمد شريف

السالف الذكر مسلماً طائعاً وكان الاستاذ المذكور قد انتقل من العراذيب الى مقام جده الشيخ الطيب في ام مريحي فبقي فيه مؤملاً كسر شوكة المهدي حتى سقطت بربر وسدت طريق مصر في وجهه وزحف المهدي غازياً الخرطوم فلم يعد يرى بداً من التسليم اليه فاستقبله المهدي احسن استقبال وامر بدبح النياق احتفالاً بقدمه وبقي في صحبته غير مهان الى ان مات المهدي فوق في يد خليفته التعايشي فاهانه واذله ثم وضعه في السجن وبقي فيه الى ان انقذه الجيش المصري الانكليزي بعد واقعة ام درمان سنة ١٨٨٤

﴿ خبر اوليفر باين ﴾ وقبل وصول المهدي الى شات اتاه رجل فرنساوي عن طريق دتقله والايض يدعى اوليفر باين وعرض عليه مساعدته ومساعدة قومه فرفضها المهدي وجعله في صحبة سلاطين فرض بالحمى التيفوسية ومات في الطريق وقد فصل سلاطين باشا خبره في كتابه « النار والسيوف في السودان » فقال : « وشاع خبر قدوم اوليفر باين في جيش المهدي فقال البعض انه امبراطور فرنسا والبعض انه من اقارب ملكة الانكليز فاحضروه الى الخليفة فسأله عن غرضه فاخذ يتكلم بالعربية كلاماً لا يفهم فقال له المهدي تكلم بلسانك مع عبد القادر سلاطين وهو يترجم لنا فاخذ يتكلم بالفرنساوية فقال : انا فرنساوي واسمي اوليفر باين وقد احببت السودان منذ صغري واهل بلادي ايضاً يحبون السودان مثلي ونحن في اوروبا على خلاف مع الانكليز الذين احتلوا مصر وارسلوا غوردين الى الخرطوم وقد اتيت اليكم لا عرض عليكم مساعدتي ومساعدة امتي . فقال له الخليفة وما هي هذه المساعدة فاجاب اما انا فاساعدكم برأيي واما امتي فتساعدكم بالمال والاسلحة فذهب الخليفة ليخبر المهدي بذلك وبقي سلاطين و باين وحسين باشا خليفة فقال حسين باشا لسلاطين أمن السياسة ان تعرض المال والاسلحة على اناس غرضهم قتل البشر ونهب الاموال وسبي النساء والبنات وانتم اذا اشترى واحد منا عبداً اسود قلتم ان ذلك اثم فظيع وعاقبتونا اشد العقاب فلم يجر سلاطين جواباً . ثم احضروا باين الى المهدي وامر سلاطين ان يترجم بينهما فقال باين للمهدي كما قال للتعايشي فاجاب

المهدي لقد علمت ما تقول ولكن لا اعتمد على الناس بل على الله ورسوله وانتم قوم كفار فلا يمكن محالفتكم وفي الكفاءة على قهر جميع اعدائي بانصاري هؤلاء ثم قال لابن هل انت مسلم فقال نعم ثم قال كلمة الشهادة بصوت جهوري فاعطاه المهدي يده فقباهما . ولما وقف باين على حقيقة المهدي ودّ لو ان طيراً من السماء يحمله الى بلاده وينجيه من تلك الهلكة التي اوقع نفسه بها وتوسل الى سلاطين فوسط له مع الخليفة ليسمح له بالعودة الى بلاده فلم يفلح . ثم مرض بالتيفوس فقام سلاطين على الاعتناء به ولما اشتد عليه المرض استدعى سلاطين وقال له « قد دنا اجلي فاشكر لك اعتناءك بي واهتمامك بأمري وآخر معروف اطلبه منك هو انك اذا نجوت من ايدي هؤلاء البرابرة واتيت باريز فاخبر زوجتي واولادي التعاء اني كنت افكر بهم وانا على حافة القبر ثم اخذ يبكي وينتحب وحملوه في اليوم التالي على جمل فوقع عنه وقضي نجه ودفن في بركة شات اه ملخصاً

وارتحل المهدي من شات فتزل النيل عند الدويم ثم ارتحل الى التربة الخضراء فصلى فيها صلاة عيد الاضحى سنة ١٣٠١ هـ اكتوبر سنة ١٨٨٤ م ثم ارتحل الى القبة وهناك اتته الوفود من جهات الجزيرة والسودان الشرقي لمبايعته ووردت عليه الكتب من اعيان الجهات المذكورة بالتسليم وطلب البيعة والتماس العفو عما حصل من تأخيرهم لاجابة داعيه قبل الآن . وارسل غوردن وابورا فكشف خبره وعاد الى الخرطوم . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى ابا سعد بينه وبين طابية ام درمان مسيرة ساعة ومن هناك امد النجومي بجيوش لتشديد الحصار على اهل الخرطوم وجهاز جيوشاً لمحاصرة خندق ام درمان وبقي في ابي سعد الى ان فتحت ام درمان فانتقل اليها . وكان وصوله الى ابي سعد في ٢٣ اكتوبر سنة ١٨٨٤ قيل وكان عدد الجيوش التي حضر بها تنيف على ستين الفا .

تأثير غزوة المهدي في الخرطوم : هذا ولما علم المحاصرون بقدوم المهدي ازدادوا جرأة حتى صاروا يحفرون في الليل حفراً قريبة من خط النار ويختبئون بها فاذا لاح لهم عسكري رموه بالرصاص والعساكر لا تراهم حتى اشتد اذاهم فأمر غوردن المهندسين فأقاموا على خط النار ابراجاً شاهقة اطلت عليهم في تلك الحفر فطردوهم منها

اما اهل الخرطوم فانهم لما سمعوا بقدوم المهدي اضطربوا وهلعت قلوبهم وكثر
شغبهم فعلق غوردن منشوراً في جميع الممرات والشوارع والمراكز العسكرية مؤداه :
« ان الجيش الانكليزي القادم لنجدتنا تبلغ عدته خمسين الفا وقد انقسم الى قسمين قسم
بطريق أبي حمد وقسم بطريق ود قمر وقد وصلت اول فرقة منه بالرويان وعن
قريب تصل بربر وربما وصلت الخرطوم قبل وصول محمد احمد الى أم درمان فتشددوا
واعلموا ان الله ناصركم والسلام » . ومنح مكافأة شهرين لجميع العساكر والموظفين الملكية
وكان غوردن عند اول سماعه بقدوم الجيش الانكليزي قد أمر باعداد
بعض المنازل على شاطئ النيل لسكنى الضباط الانكليز فذهب الآن بنفسه الى
تلك المنازل وتعهدها فوجد انها مفترقة الى اصلاح كثير فأعطى احد المعاوين ٢٠ الف
غرش فرمها وداوم الكنس والرش داخل المنازل وخارجها

﴿ كتاب النجومي الثاني الى غوردن ﴾ هذا وكان النجومي لما وصله الخبر بقيام
المهدي من الرهد قد كتب الى غوردن كتاباً مفاده : « ان الامام المنتظر قد تحركت
ركابه الشريفه من الرهد غازياً الخرطوم بجيوش لا عدد لها فأنصحك ان تقابله مع
من تختار من الاعيان طائعا طالباً الامان وهو لا شك يؤمنك على نفسك ومالك
ومن معك وذلك اولى من سفك الدماء . واما ما ينقله اليك الجواسيس من ان
الانكليز قد ارسلوا جيشاً لا تقاذك فكله كذب وهم انما ينقلونه اليك لتبذل لهم
العطاء كما هي عادتك وانا بعون الله قادر على فتح الخرطوم واخذها منك عنوة ولكن
سيدنا الامام المهدي امرني بنصحك والرفق بك حقناً للدماء والسلام على من اتبع الهدى »
﴿ جواب غوردن للنجومي ﴾ فأجابه غوردن في ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ بكتاب
هذا مفاده : « من غوردن باشا والي السودان الى ولد النجومي بالكلاكلة : اعلم اني لست
بمبال بك ولا بسيدك المهدي ولا بما معكم من الجيوش . واما خبر قدوم الجيش الانكليزي
فليس هو من اختلاق الجواسيس بل قد جاءني به اخبار رسمية من قبل الحكومة
الحيوية والدولة البريطانية العظمى وسترى عن قريب ما يحل بك من الدمار وتقول
يا ليتني مت قبل هذا ولا تعد الى مخاطبتي بعد الآن فهذا آخر العهد بيننا والسلام »

﴿ خبر احمد العوام ﴾ وكان في الخرطوم رجل من خطباء الثورة العرابية يقال له احمد العوام وهو مصري الجنس حسيني الانتساب وقد نفي الى الخرطوم بسبب الثورة العرابية فرأى الثورة المهدية في وجهه فتشيع لها وقد اطلعت على رسالة له بتاريخ ١٧ رمضان سنة ١٣٠١ هـ ١١ يوليو سنة ١٨٨٤ سماها « نصيحة العوام » فاذا هي ثورية محضة وقد اعلن فيها تشيعه للثورة المهدية وكرهه للحكومة الخديوية ومما قاله فيها مشيراً الى موظفي حكومة الخرطوم : « وقد طالما جادلتم بالحق سرّاً ونصحت لهم حتى في دار الحكومة جهراً على مرأى ومسمع من وكيلها النصراني ومن حضر من كبة الديوان في ليلة النصف من شعبان هذه السنة (١٣٠١ هـ) ٩ يونيو ١٨٨٤ م ان يسعوا في الصلح بين الطائفتين المتحاربتين عملاً بأمر الله فلم اجد فيما بينهم مخافاً ولا ساعياً بكلمة حق لاختاد هذه الحرب بين المسلمين وعباد الله المؤمنين مع تطلع الحاكم غوردن باشا وهو نصراني لاطفاء لهيب هذه الحرب الموقدة ولذلك اعتزلتهم وجميع المحصورين الا من جاءني يسعى وهو يخشى فاني ابذل له محض النصيح حتى يفتح الله بيننا وهو خير الفاتحين . . . »

وقد اثرت اقواله تأثيراً سيئاً في نفوس اهل الخرطوم فسجنه غوردن وكبّله بالحديد حتى رأى منه انكسار النفس ووعد انه لا يعود الى ما كان عليه فعفا عنه وجعله معاوناً في الحكمدارية براتب ١٥٠٠ غرش في الشهر ولكن ما لبث ان عاد الى سابق عادته من انتقاد اعمال الحكومة وتهيج اهل البلاد ضدها . ولما جاء الخبر بنزف المهدي على الخرطوم واعلن غوردن خبر قدوم الجيش الانكليزي جاهر في تكذيب غوردن وتصديق المهدي ولم يقتصر على ذلك بل اغرى احدى النساء فومت جمرة من شباك على معمل الفشكيليك بقصد احراق الجبخانه كلها فسقطت الجمرة على بعض الاوراق فأحرقتها فشرع بها الديدبان فأطفأها واعترفت المرأة ان احمد العوام هو الذي اغراها بذلك فأمر غوردن بقتله فقتل في سراي الشرق ﴿ خيانة بعض اعيان الخرطوم ﴾ ولما حلّ المهدي بأبي سعد زاد قلق اهل الخرطوم فاتفق جماعة من اعيانها وكبار موظفيها وجمعوا مبلغاً من النقود لفقراء جيش

المهدي وكتبوا اليه كتاباً يصرحون فيه بتسليمهم بمهديته وانهم ساعون في اضعاف الحكومة بكل جهدهم وينتظرون الفرصة للخروج اليه وقد ارسلوا الكتاب والنقود مع عبد لاهم بك جلاب مدير الخرطوم فصادفته « دورية » أم درمان وأرسلته الى غوردن فاستنطقه فكان في جملة المشتركين في هذه الجناية :

احمد بك جلاب	مدير الخرطوم واخوه تيمسي	الخليقة ولد ارباب	من ارباب المعاشات
الشيخ محمد خوجلي	قاضي عموم السودان	الفكي الامين الضير	شيخ الاسلام
الفضل ابراهيم	باشكاتب مجلس الاستئناف	محمد عبدالرحمن البشير	تاجر
ابوبكر الجركوك	أحد أعضاء مجلس الاستئناف	ادريس بك النور	أحد أعضاء مجلس الاستئناف

فامر غوردون مأمور الضابطة فاحضرهم من منازلهم ليلاً وجبسهم في تلك العساكر ماعدا المدير واخوه والقاضي وشيخ الاسلام وادريس بك النور فانه جبسهم في منازلهم ومنع الناس من الدخول اليهم . وسعى موسى بك شوقي مديراً للخرطوم بدلاً من احمد بك جلاب واعاد المحافظة فجعل ابراهيم باشا فوزي محافظاً وامر بمساعدة الضابطة على معرفة المؤتمرين وقطع دابر المفسدين

﴿ عوداً الى نصحي والوابورات ﴾ وفي ١١ اكتوبر سنة ١٨٨٤ ارسل غوردن وابور التوفيقية بكتب الى نصحي والجيش ليستطلع خبرهم ويعلمهم بقدوم المهدي فابقى نصحي وابور التوفيقية وارسل الى غوردن وابور تل حوين الى الخرطوم فوصلها في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ بكتاب هذا مفاده : « لما خرجنا من الخرطوم لم يقابلنا احد بالعداء الا ادريس شيخ الجريساب فانه اقام متراساً على النيل وتحصن فيه هو ورجاله وبادرونا باطلاق النار فصبونا عليهم المدافع فهزمناهم شر هزيمة وخرجنا الى الحلة فخرنا منازلها وسواقيها واخذنا اخشابها وقوداً للوابورات ثم استطردنا السير الى المتمة فوجد اهلها وفي رأسهم احمد حمزة قد اقاموا استحكاماً منيعاً فبادرونا برمي الرصاص فرمينا بالقنابل ثم انقلبنا الى شندي فوجدنا السناجق الشايقية قد تحصنوا في المنازل التي على النيل واتحدوا مع الدراويش ورمونا بالرصاص فخاربناهم حتى هزمناهم من تلك المنازل واحتلناها مكانهم ثم وسطنا الست فاطمة والست نفيسة كريمي السيد حسر المرغني المقيمتين في شندي لدعوتهم الى الطاعة فظهر انهم متذبذبون وما ينتصرون الا

الغالب . وقد ارسل احمد حمزة اخاه الى بربر يطلب المدد فعاد بلا شيء . وبلغ محمد الخير ان الجنود الانكليزية زاحفة على بربر من دقله وكسله وكورسكو فنادى بالنفير العام في البلاد ليأتوا الى بربر لمحاربة الانكليز فلم يذهب احد من هذه الجهة خوفاً على بلادهم من الواورات لكن حضر اليوم سعد ولد بنونه بمدفع من بربر ورمانا بعدة قنابل فلم يصبنا بضرر . وقد اظهر محمد بك طلعت وعلي افندي رضا كل نشاط ودربة وبسالة وجرح منا في المناوشات التي حصلت بيننا وبين الاعداء ٢٥ رجلاً وهاجم واصلون اليكم لمعالجتهم عندهم فارجو ارجاع الواور الينا بما عندهم من الاوامر واما المكتب التي برسم الجيش فقد بعثناها اليه مع الجواسيس . فأعلن غوردن في المدينة ان الانكليز قد زحفوا على بربر من كسله وسواكن ودقله واستشهد بكتاب نصحي وارجع اليه واورتل حوين ثاني يوم وصوله ومعه واوربوردين واصحبهما كتباً الى الجيش الانكليزي على ان تبقى في شندي الى حضور الجيش وكتاباً الى نصحي هذا مفاده :

« واصل اليكم بوردين وتل حوين بما يلزم من الذخائر والبقسماط فعند وصولهما اقوا خشم الموس بك بشندي بوابور المنصورة وخذوا واورات بوردين وتل حوين والتوفيقية والصفافية وسيروا بها حتى تشرفوا على بربر فتستطلعوا طلع الجيش فاذا وجدته قريباً ساعده على بربر وارسلوا الي تل حوين بعد ١٠ ايام بما عندهم من الاخبار واحذروا من استعمال الذخيرة الا عند الضرورة . واكرر عليكم الامر بعدم الخروج من الواورات الى البر فقد علمت ان الجرحي الذين ارسلتموهم انما جرحوا بالمحاربة في البر وها قد ارسلت اليكم ٢٥ عسكرياً من المصريين بدلاً منهم واجابة لكم انتم انتم على محمود بك طلعت برتبة الميرالاي وعلي علي افندي رضا برتبة القائم مقام ، وصدع نصحي بالامر فذهب الى بربر واستطلع خبر الجيش ولما لم يجد له اثرًا فيها عاد الى شندي وارسل واورتل حوين بالاخبار الى الخرطوم فارجعه غوردن ثانية الى نصحي بكتاب ؟ الى رئيس الحملة الانكليزية بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٨٨٤ فأوصله نصحي ؟ الى رئيس الحملة وسيأتي ذكره .

الفصل السابع عشر

في

﴿ تاريخ الحملة الانكليزية سنة ٤ - ١٨٨٥ ﴾

﴿ مأمورية كتشنر ورندل ﴾ هذا وكانت الحكومة في مصر ساهرة على الثورة في السودان وترقب حركاتها بكل اهتمام وكأن الحكومة الانكليزية في رفضها ارسال الزبير الى الخرطوم قد ضمنت سلامة غوردن والحاميات المصرية في السودان فوق سلامة مصر . وكان غوردن يطلعها على احواله تفصيلاً الى ان سدت طريق مصر وخيف على حامية بربر فندبت الكبتن كتشنر (الجنرال كتشنر المشهور) والفتنت رندل (الجنرال رندل الآن) وكانا كلاهما من ضباطها النجباء الموظفين حينئذ في الجيش المصري وامرتهما بالذهاب الى بربر ومساعدة مديرها حسين باشا خليفة على تهديد البلاد فما وصلا كورسكو حتى علما ان الرباطاب ثاروا في ابي حمد فاموتها بتجنيد جيش من متطوعة العباددة وانجاد بربر ولكن قبل ان يتما جمع الجيش المطلوب سقطت بربر فبقيا بمن جمعا من العباددة في كورسكو

﴿ ارسال الجيوش الى الحدود ﴾ وخافت الحكومة على حدودها النيلية لمجاورتها للسودان وشدة علائق اهلها التجارية والقراية باهله فجعلت الجيش المصري على الحدود منذ شهر ابريل سنة ١٨٨٤ ووزعته بين اصوان وكورسكو وحلفاء وفي ٧ يوليو ارسلت اورطة انكليزية الى اصوان

﴿ بعثة كتشنر الى دنقله ﴾ ثم كانت الثورة في دنقله على ما علمت ولم تكتف الحكومة بما كان يرسله مصطفى باشا ياور من اخبارها فتطوع الكبتن كتشنر للذهاب الى دنقله واستجلاء الحقيقة فترك رندل مع متطوعة العباددة في كورسكو وذهب الى دنقله فوصلها في ١ اغسطس سنة ١٨٨٤ فوجد مصطفى باشا ياور مشغولاً بمحاربة الدراويش فاستأذن الحكومة في مشاركته في العمل فلم تأذن له فارسل لها تقريراً هطولاً عن حالة دنقله وعما سمعه عن غوردن والثورة في الخرطوم وبقي في الدبة

طريق الحملة الى الخرطوم . وكانت الحكومة الانكليزية منذ علمت بمحصر غوردن في الخرطوم اخذت تفكر في امر انتقاذه وفي الطريق التي تتخذها الحملة اذا اقرت على ارسالها الى الخرطوم فكان امامها اربع طرق : طريق مصوع الى كسله فبربر وطولها ٦٠٣ اميال وطريق النيل وطولها من حلفا الى بربر ٦٦٦ ميلاً وطريق سواكن الى بربر وطولها ٢٤٥ ميلاً وطريق كورسكو الى ابي حمد فبربر وطولها ٣٦٠ ميلاً فبحث كبار قوادها طويلاً في هذه الطرق ففضل اللورد ولسلي طريق النيل مع انها اطولها لوفرة مائها وطيب هوائها ورفض طريق مصوع لقلة مائها ووعورة مسلكها فضلاً عن طولها ورفض طريق سواكن لقلة مائها وكثرة حرّها وعداء القبائل المالكة لأبائها . وفضل الجنرال ستفنسن قومندان جيش الاحتلال في مصر طريق سواكن لقصرها . والسر افلن سردار الجيش المصري طريق كورسكو لقصرها وقربها من مصر . وقال السر صموئيل باكر باتخاذ هذه الطرق الثلاث معاً فاختارت الحكومة طريق النيل اي الطريق التي قال بها اللورد ولسلي

قرار الحكومة الانكليزية على ارسال الحملة . فقرّر رأيها في بادىء الامر على ارسال آلاي من الجيش الانكليزي الى دقله بقصد تثبيت اهل الحدود ودقله على الولاء وارهاب قبائل السودان لعلمها ترجع عن حصار الخرطوم فاذا لم ترجع جعلت هذا الآلاي مقدمة الحملة على الخرطوم وكان ذلك في ٧ اوغسطس سنة ١٨٨٤ . فما لبثت ان رأت ان اهل السودان لم يكونوا اذ ذاك ليرهبوا آلاياً من الجيش في دقله ويرجعوا عن حصر الخرطوم فأقرّت نهائياً على ارسال حملة منظمة لانتقاذ غوردن واناظت قيادتها العامة باللورد ولسلي القائل بطريق النيل وهو من اكبر ضباطها شأنًا واسدّهم رأياً واكرمهم خلقاً واعظمهم اقداماً وقد اجملت له الغرض من الحملة بقولها : « ان الغرض الاساسي من الحملة انما هو انتقاذ الجنرال غوردن والكولونل ستورت من الخرطوم فمتى تمّ هذا الغرض فلا تباشروا حركات عدائية ايّاً كانت والحكومة تعتمد عليكم بأنكم لا تتقدمون جنوباً الا بقدر ما يلزم للحصول على هذا الغرض »

﴿ قوة الحملة ﴾ وكان اول ما نظر فيه اللورد ولسلي القوة اللازمة للحملة فطلب جيشاً مؤلفاً من ٩ آلاف من العساكر الانكليزية فوق الجيش المصري على ان يجعل الجيش المصري في خط الاتصال بين شلال حلفا وشلال حنك ويجعل ٤ آلاف رجل من جيشه في هذا الخط بين شلال حنك و بربر وذلك للمساعدة على النقل والمحافظة على المؤن والذخائر في الطريق فيتوفر عنده ٥ آلاف عسكري انكليزي لساحة القتال فلبت الحكومة طلبه ولم تكن العساكر كلها متوفرة لديها في مصر فأتت بالباقي من مالطة وبلاد الانكليز

﴿ العقبات في طريق الحملة ﴾ ولما تمّ للورد ولسلي ما طلب من الجيش اخذ يهتم في نقل هذا الجيش وما يلزمه من المؤن والذخائر وتمهيد العقبات التي وقفت في سبيله في البر والبحر واهمها طول المسافة وكثرة الشلالات وقلة المؤن في الطريق فضلاً عن حرّ الشمس وبرد الليل ووعورة الطريق فصدر امره بمدة سكة حديد حلفا وسرس الى عكاشة ولكنها لم تتم حتى كان الجيش قد اصبح جنوبيها . وكان آخر الحد الجنوبي لسكة الحديد المصرية اسيوط فعهد امر النقل من اسيوط الى حلفا الى المستر كوك الشهير . وسأل بعض معامل بلاده في ١٢ و ٢٢ اوغسطس فصنعوا له ٩٠٠ قارب يسع كل قارب منها ١٢ رجلاً بعدتهم وسلاحهم ومؤنتهم وكلها صالحة لسلك اضيق الشلالات وارسلوها الى حلفا فوصلتها في ١٤ اكتوبر فأبقى ٢٠٠ منها بين حلفا واسوان وارسل الباقي بالعساكر الى دقله . واجاز فوق شلال حلفا وابوري ناصف الخير والجيزة من وابورات الحكومة المصرية فوصل « ناصف الخير » الى دقله في ١٠ اكتوبر سنة ١٨٨٤ وساعد كثيراً في النقل بين الشلال الثالث والرابع واما « الجيزة » فانه غرق في شلال تنجور . واحضر وابورين من بلاد الانكليز قطعاً فبنى احدهما « ووترلي » في الاسكندرية وسيره بالنيل الى حلفا وبني الآخر « لوتس » جنوبي شلال سمنة

هذا بعض ما سهّل به النقل في النيل واما لتسهيل النقل في البر فقد اشترى اربعة آلاف جمل واستأجر ضعفها من الجمال وعددًا كبيراً من البغال والخيول

وكان خط التلغراف ممتدًا الى مروي فاخذ معه جميع معدات التلغراف ليده
الى حيث اراد جنوبي هذا الخط * ونظم البريد احسن تنظيم بحيث انه لم يسمع
ان احداً فقد كتاباً واحداً كل مدة الحملة

وقد كان من نصيبي اني رافقت هذه الحملة موظفاً في قلم المخابرات فوصلت معها
الى آبار الجكدول في صحراء البيوضة وشهدت بعيني الهمة التي بذلها اللورد ولسلي ورجاله
في تذليل الصعاب حباً بخلاص غوردن وحاميته فاذا هي مثال الهمم وعنوان الشمم
وبعد ان اتم اللورد ولسلي استعداداته في مصر خرج منها باركان حربه في
٢٧ سبتمبر فوصل حلفا في ٥ اكتوبر سنة ١٨٨٤ . وكان قد ارسل اورطة من
جيشه الى دقله فوصلتها في ٢٠ سبتمبر ووصل السر هربرت ستورت في ٢٩ من
الشهر المذكور فاستلم قيادة العساكر ووصل السر تشارلس ولسن رئيس قلم المخابرات
في ١١ اكتوبر وكان من المساعدين في هذا القلم الكولونل كولفل والمajor ترنر وكلهم
من كره الانكليز . وبقي اللورد ولسلي في حلفا الى ان رأى بعينه المراكب تسير
بالعساكر فوق الشلال فمرّ اولها في ٢٥ اكتوبر بمساعدة كو كو شيخ الشلال وفي ٢٨
منه قام الى دقله فوصلها في ٣ نوفمبر . وكان قد اتى بنيشان القديسين ميخائيل وجورج
من جلالة الملكة فسلمه اياه وارسله الى مصر . وافرّ على جعل كورتي النقطة الاساسية
للجيش وعاد الى حلفا ليعجل في نقل الجيوش والمؤن فوصلها في ١٦ نوفمبر سنة ١٨٨٤
﴿ مواصلة غوردن ﴾ وكان هم رجال المخابرات مواصلة غوردن واستطلاع
حاله كما ان هم غوردن من الجهة الثانية مواصلة مصر واستطلاع خبر النجدة التي كان
ينتظرها بفارغ الصبر خصوصاً بعد ارساله ستورت باشا وقد بث كل فريق العيون
والجواسيس حتى تم الاتصال بينهما وتحقق غوردن مجي الانكليز لنجدته في ١٧
سبتمبر فأرسل الواورات لملاقاتهم في التمة في ٢٩ من الشهر المذكور وارسل معها كتاباً
ينبئهم بحاله كما مرّ فبعد وصول اللورد ولسلي الى حلفا يوم اي في ١٧ نوفمبر وصله
كتاب من غوردن بتاريخ ٤ نوفمبر وهو الكتاب المشار اليه آنفاً وهذه ترجمته :
﴿ كتاب غوردن الى رئيس الحملة بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٨٨٤ ﴾ « وصلني

امس بريد من كتشنر بالدبة بتاريخ ١٤ اكتوبر سنة ١٨٨٤ ومعه كتاب «الجفرة»
من اللورد ولسلي بتاريخ ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ لا استطيع حله لاني ارسلت المفتاح
مع ستيورت . وما وصلني قبل هذا البريد الا كتاب من كتشنر مؤرخ في ٣١
اوغسطس سنة ١٨٨٤ وصلني في ١٧ سبتمبر اي بعد سفر ستيورت من هنا بأسبوع *
في جهة التمة الآن خمسة وابورات عليها تسعة مدافع بانتظاركم * يمكننا ان نثبت في
الحصار ٤٠ يوماً بالراحة ومن ثم يصعب علينا الثبات * اني اشتعل غيظاً لفرق
الوابور ومتى تأكدتم غرقه اخبروا نظارة الخارجية ان مفتاح الجفرة قد ضاع لاني ارسلته
مع ستيورت اذ كنت في ريب من نجاتنا . وقد ظننت ان سفر النيل سليم فأرسلت
ستيورت وبور وهر بن في وابور ليطلعوكم على حالنا لعلمكم تعجلون باتقاذنا وارسلت مع
ستيورت يومية الحوادث من اول مارس سنة ١٨٨٤ الى ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ *
المهدي هنا الآن على ثمانية اميال منا (في أبي سعد) والعرب يحصروننا من الشرق
والجنوب والجنوب الغربي ولكن ليس منهم احد شمالي ام درمان * سناولا نزال
ثابتة في الحصار وهي عالمة بقدمكم . وفي الوابورات يوميتي من ١٠ سبتمبر الى هذا
اليوم وفيها تفصيل حالنا وخارطة بربر * يقع بيننا وبين العرب قتال من وقت
الى آخر ولكن المهدي يقول انه لا يحارب في هذا الشهر (وهو شهر محرم سنة ١٣٠٢)
وقد احضر معه جميع الاوربيين والراهبات الذين وقعوا في اسره ويقال انهم جميعاً
اعتنقوا الاسلام . سلاطين ايضاً مع المهدي وكذلك لبتن ويقول المهدي ان لبتن
سلم * منذ ١٠ مارس سنة ١٨٨٤ الى اليوم وصلني (عدا كتابي كتشنر المشار
اليها آنفاً) رسالتان واحدة من دنقله بدون تاريخ وواحدة من سواكن بتاريخ
٥ مايو سنة ١٨٨٤ ووصلتني رسالة بمعنى هذه الرسالة من مصوع بتاريخ ١٧ ابريل
سنة ١٨٨٤ واما انا فقد ارسلت في الثمانية اشهر الماضية عدة رُسل في كل الطرق
« نزل العرب في ضواحي الخرطوم في ١٢ مارس سنة ١٨٨٤ فهاجناهم في ١٦
مارس فهزمونا وحملونا خسارة جسيمة من العساكر وغنموا مدفعاً واحداً ومن ذلك
الوقت لا نزال في قتال مستمر وقد جرح ستيورت جرحاً خفيفاً في ذراعهِ في بعض

الناوشات . ولما ارتفع النيل خرجنا عليهم فوقعنا فيهم ثلاث وقائع او اربع ورفعنا الحصار عن المدينة وارسلنا حملتين الى سنار * وفي كل واقعة جرت لنا مع المحاصرين كانوا يهاجمون المربع مستقتلين فيخترقونه ويدخلون وسطه وقد كسرونا في ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ كسرة شنيعة ومن بعدها لم يكن شيء يذكر . ومجموع ما اطلقناه من الرصاص الى الآن ٣ ملايين رصاصة والسراي احسن محل لاطلاق الرصاص * مع العرب هنا مدافع كروب وقد عطلوا وابوراتنا مراراً وغنموا وابورين صغيرين في بربر ووابوراً في النيل الازرق وبنينا نحن وابورين جديدين وصفحنا جميع الوابورات وقوينا الحصون بالالغام والشباك الشرخية * ندفع مرتبات الجنـد شهراً شهراً فغير متأخر لهم الا راتب نصف شهر . وقد استعملنا عملة الورق وانفقنا جميع الثياب التي في المخازن * الاسرى الذين مع المهدي كلهم بنخير وقد تزوج الراهبات زواجا ظاهرياً بالاروام تخلصاً من التزوج بالعرب . سلاطين مع المهدي والمهدي لم يصادره في ماله بل ابقاه له كله وهو يحسن معاملته ولكني سمعت اليوم انه مفيد بالحديد . مع المهدي رجل فرنساوي جاءه بطريق دقله ولا اعلم سبب مجيئه * وقد صنعت مدالية وجعلتها ثلاثة انواع ذهب وفضة وقصدير ووزعتها على اهل الحامية * يقول ككتشنر انه ارسل الي عدة رسائل ولم يصله جوابها مع اني ارسلت في الشهر الماضي عشر رسائل على الاقل . يسافر الوابور بكتابي هذا نهار غد الى التمة ويرسل لكم من هناك مع جاسوس . لا تدعوا العساكر المصرية تأتي الى هنا استلموا قيادة الوابورات منهم واخرجوهم منها فانه لا فائدة بهم .

﴿ جواب اللورد ولسلي على كتاب غوردن ﴾ فكتب له اللورد ولسلي جواباً على كتابه هذا يوم وصوله (١٧ نوفمبر) وهو موجس خوف وقوعه في يد المهدي فقال : « وصلني كتابك بتاريخ ٤ الجاري (نوفمبر) وهو اول كتاب اخذته منك الى الآن . وساكون في دقله بعد ٤ ايام ويكون الجيش كله بين الدبة وامبقول في ٧ يناير سنة ١٨٨٥ ولست اعطيك تفصيل القوات التي يتألف منها الجيش ولكن نأكد انها كافية لسحق محمد احمد وانصاره ومحو ذكره من الوجود وكلما زاد عدد

مقاتلته زاد سرورنا لانه بذلك يزيد عدد قتلاهم . ويود جنودي ان يثبت الهدي في ساحة الحرب لانهم يحبون القتال ويعظم اسفهم اذا قطعوا هذه المسافة الطويلة من بلادهم ولم يجدوا فرصة لقتل محمد احمد والفتك بانصاره . اما انا فقد رأيت سفك دماء كثيرة في زماني وافضل ان تنتهي المسألة سلمياً وذلك بمساحة محمد احمد في ما مضى وجعله سلطاناً مستقلاً على كردوفان يكون الملك فيها له ولاولاده من بعده وبتأسيس حكومة وطنية في الخرطوم يكون الحاكم فيها مستقلاً عن مصر وحكمه وراثي فيملك دقله وبربر والخرطوم وتعود انت الى انكلترا . واما اذا كان محمد احمد أحق وأبى الا الحرب فاني ادع عساكري ينالون مأربهم متة وهم نخبة جيشنا المظفر وصفوته وهم الآن سائرون برًا وبحرًا الى دقله . لم اكتب هذا اليك في الجفرة لانك تقول انك اضعت مفتاحها . ابعث برسلك الينا في كل اسبوع واخبرنا بجميع احوالك ونحن نكافي رسلك الذين يأتوننا بكتب منك بكل سناء وقد جعل من هذا الكتاب نسختين فأرسل نسخة بطريق الدبة بواسطة الكبتن كتشنر ونسخة بطريق مروي بواسطة الكولونل كولفل . ويظهر ان النسخة التي ارسلها كولفل وصلت الى نصحي في شندي فأرسلها بوابور بوردين الى غوردت ؟ وكان اللورد ولسلي لا يعلم عن غوردن والخرطوم الا من الجواسيس فلما جاءه كتاب غوردن وعلم منه حقيقة الحال التي صار اليها جدد الهمة في تعجيل الجنود وكانت اذ ذاك (١٨ نوفمبر) موزعة على نقط خط الاتصال بين اسيوط ودقله فأرسل اليهم التلغرافات يحثهم على الاسراع في السير برًا وبحرًا الى كورتي فاجتازت المراكب بالجنود شلال حنك الى نيل دقله السهل في ٣٠ نوفمبر - وفي هذا اليوم نشر اللورد ولسلي في الجيش كله الامر الآتي : « الى عساكر الحملة النيلية وبحريتها » ان انقاذ الجنرال غوردن وحاميته المحصورين في الخرطوم منذ زمان طويل هو العمل المجيد الذي ندبتنا اليه جلالة الملكة وهو يحرك عاطفة كل عسكري وبحري حباً بالاشتراك فيه . وجسامه المصاعب التي يستلزمها هذا العمل انما هي بعينها تحركنا الى زيادة الهمة . فكلنا نفتخر بالشهامة وانكار التخصس اللذين يظهرهما

غوردن في الدفاع عن حاميته وذلك مما يزيد شهرته العالية ان كانت الزيادة ممكنة
بعد ولكن غوردن لا يستطيع الثبات طويلاً في الحصار وهو الآن يدعونا لانقاذ
حاميته . وشهامته وحب لوطنه مشهوران في كل بلاد ناطقة بلغتنا فليس امر انقاذه
مما بهم الأمة فقط بل مجرد معرفتنا ان رفيقاً باسلاً في حاجة الى المساعدة يستفزنا
الى اعائته بحمية مضاعفة وما تسمح لنا المروءة ان نتركه يلاقي ما لاقاه رفيقه المقدم
سنيورت الذي غدر به الاهلون وقتلوه وهو مجد في القيام بمهمة خطيرة حرجة . وفي
بدنا ان نخلص غوردن من مية كهذه بعون الله * المسير صعداً في النيل وشلالاته
شاق جداً ولا يتحمل مشاقه الا من كانت له اسمى الصفات العسكرية وهي احتقار
الانظار والمصاعب بالحزم والعزم الصفات التي امتاز بها عساكر جلالة الملكة وبحريتها
في المعارك السالفة . اني عالم بجسامة الموانع التي تعوقنا عن الاسراع في السير ولكن
من منا يالي بهذه الموانع اذا علم ان الجنرال غوردن وحاميته في خطر فانقاذ غوردن
وحاميته من الخطر هو الآن بعد الله في ايديكم . وكيف كان الحال فلا بد من
اقدام بعون الله وبهذا كفاية للعساكر والبحرية الانكليز » اه

جيش الصحراء * واقام اللورد ولسلي في دنقلة الى ١٣ ديسمبر حتى اجتمع
الجيش المجارب كله في كورتي فتقدم اليها مع اركان حرب فوصلها في ١٦ ديسمبر
سنة ١٨٨٤ وقسم جيشه قسمين : جيشاً يسير بطريق النيل بقيادة الجنرال ارل
فيؤدب المناصير الذين غدروا بالكولونل سنيورت ويتقدم الى ابي احمد فيوافيه اليها
الفنت رندل بالمؤن من كورسكو بمن معه من المتطوعة العابدة ثم يسير القوتان
لفتح بربر . وجيشاً يسير بطريق الصحراء الى التمة بقيادة الجنرال السرهر برت
سنيورت فيسرع في نجدة غوردن قبل فوات الفرصة . وكان غرض اللورد ولسلي ان
يبحث بجيش الصحراء كله دفعة واحدة ولكن لم يتيسر له العدد اللازم من الجمال
فجعل محطة في وسط الطريق عند آبار الجكدول وارسل اليها الزاد والعساكر تبعاً
اما آبار الجكدول فهي عبارة عن ثلاث برك واسعة بين التلال تجتمع اليها
ياه الامطار اثنتان منها في وسط تلال شاهقة يشق الوصول اليها

فلما كان يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٤ سار الجنرال ستيورت بقسم من جيشه حاملاً الذخائر والمؤن ومعه الكبتن كتشنر الذي الحق بقلم المخابرات فترك الزاد والذخائر في عهدة الكبتن كتشنر ونفر من الجيش في الجكدول وعاد بمعظم القوة والجمال الى كورتى فوصلها في ٤ يناير سنة ١٨٨٥ وشرع في ترحيل الجند وفي ٨ يناير سار بباقي قوته الى الجكدول وفي ١٤ منه سار بالجيش كله من الجكدول قاصداً المنة **﴿ سرية موسى ود حلو ﴾** وفي اثناء ذلك كان محمد الخير يث العيون والطلائع في بلاد دنقله والحدود لاستطلاع خبر الحملة ومراقبة حركاتها ويرسلها تباعاً الى المهدي والمهدي ايضاً يث العيون بطريق جبرة لمراقبة الحملة فلما تحقق قيام جيش الصحراء من كورتى قاصداً المنة اخرج سرية من جيش الخليفة ود حلو قيل فيها نحو ٣ آلاف مقاتل من عرب دغيم وكنانة وهم اخلص انصاره واشدهم باساً وعقد لواءها للامير موسى ود حلو اخي الخليفة علي ود حلو وامرها بمقابلة الانكليز في الصحراء **﴿ سرية الجعليين ﴾** وامر محمد الخير في بربر بارسال سرية من بربر تنضم الى سرية موسى ود حلو فتصدان الانكليز عن الوصول الى النيل . فاخرج محمد الخير سرية من جيشه بقيادة ابن اخيه عبد الماجد محمد خوجلي واوعز الى الحاج علي ود سعد فنادى بالنفير العام في بلاد الجعليين فاجتمع عنده وعند ابي الماجد في المنة نحو ٨٠٠٠ مقاتل فارسل الطلائع الى الانكليز فرجعوا وقالوا انهم خرجوا من آبار الجكدول قاصدين آبار ابي طليح وهي في منتصف الطريق بين الجكدول والمنة وليس في الطريق آبار غيرها فلم يعد ينتظر موسى ود حلو بل اسرع بجيشه الى الآبار المذكورة ليمنع الانكليز من ورود الماء ويقتك بهم فيفوز بالغنيمة وحده

﴿ واقعة ابي طليح في ١٧ يناير سنة ١٨٨٥ ﴾ وفي ١٦ يناير سنة ١٨٨٥ وصل الجنرال ستيورت الى ظاهر آبار ابي طليح فوجد الجعليين قد سبقوه اليها وكان الوقت اذ ذاك العصر فرأى ان يؤخر الهجوم الى صباح اليوم التالي خوفاً من دخول الليل قبل انتهاء المعركة فعسكر في محل حصين قرب الآبار وسهر الليل كله خوفاً من هجوم الجعليين . وفي ذلك الليل حضر موسى ود حلو بجيشه فانضم على الحاج علي

ودسعد وفي فجر ١٧ يناير سنة ١٨٨٥ نهض الجنرال ستيورت فنظم جيشه مربعا وزحف على الدراويش وهو لا يرتاب من انهم يهاجمونه فاتخذ خطة الدفاع وكانت قوة المربع ١١٥ ضابطا و ١٦٨٧ عسكريا انكليزيا و ٨ عساكر مصرية و ٣٤٠ من الخدم و ١٥٣ جوادا و ٢٨٨٨ جملا و ٣ مدافع وصحب المربع السرشارلس ولسن رئيس قلم المحابرات والكبتن كتشنر اركان حرب المحابرات وصحبه من السوريين جورج افندي زيدان من كبار موظفي المحابرات وامين افندي حداد مترجم الجنرال ستيورت ومن المصريين محمد افندي ابراهيم (محمد بك الآن) مترجم السرشارلس ولسن وبقي الجنرال ستيورت زاحفا بالمربع حتى صار على ٥٠٠ يرد من معسكر الدراويش فحملوا عليه حملة واحدة في خمس فرق وفرسانهم في مقدمتهم وكان كشافة المربع اذ ذاك على ٢٠٠ يرد من الدراويش فتقهقروا الى المربع حسب الاصول العسكرية فصبر المربع حتى انضموا اليه فما انكشف له الدراويش حتى صاروا على ٢٠٠ يرد منه ففتح عليهم افواه المدافع والبنادق وفتك بهم فتكاً ذريعا والدراويش مع ذلك يوالون الهجوم حتى اجتمع قتلاهم اكاداسا . قيل اول من هاجم المربع موسى ود حلو وكان قد امر اصحابه بان يكون اهل الاسلحة النارية في جهة واهل الخيل في جهة والراجلون في جهة ليتمكنوا من الحرب على احسن منوال ولكنهم لما رأوا الانكليز قالوا كيف نرى الكفار امام اعيننا ونصبر عن قتالهم فبادروا بالحملة عليهم جميعا دفعة واحدة من غير نظام او ترتيب فحصدتهم الرصاص حصداً ولم يسلم منهم الا طويل العمر وقليل ما هم وكان في جملة القتلى اميرهم موسى ود حلو والامير ود برجوب المار ذكره واحمد ود بلال من روساء دغيم وقد انشد شعراء السودان في رثائهم الاشعار فقالوا:

موسى الشهيد وود برجوب وود بلال * باعوا الجنات من الدلال
وفي اثناء ذلك هاجم الحاج علي ود سعد والجعليون فقتلت عليهم نار المقدمة فداروا الى ميسرة المربع ومؤخره وحملوا عليه حملة صادقة فاخرقوه ودخلوا وسطه وتقهقروا عساكر المؤخرة والميسرة الى داخل المربع واختل نظامهم فاختلفوا بجمال الحملة

واشتبك القتال بالسيوف والحرا ب واتفق ان عساكر المقدمة والميمة كانوا على ارض مرتفعة فوالوا النار على المهاجمين فصدوهم عن المربع واشتد القتال داخل المربع وعلا الصياح والضجيج حتى لم تعد تسمع اوامر القواد فكان كل عسكري يدافع عن نفسه بما بداله فقتلوا الذين دخلوا المربع عن آخرهم وبذلك انجلت الواقعة فكانت خسارة المربع ٧٤ قتيلاً فيهم ٩ ضباط و ٩٤ جريحاً فيهم ٩ ضباط . واما الدراويش فقد زادت قتلهم عن ١١٠٠ وزادت جرحاهم عن ذلك واما الحاج علي ود سعد فقد قتل ان فرسه قتل من تحته واصيب هو بثلاث رصاصات داخل المربع فعدّ بين القتلى وبقي الى ان انجلي المربع عن محل الواقعة فأتى اهله وحملوه ورجعوا به مع باقي المنهزمين الى المتمة . وتقدم الجنرال ستيورت الى الآبار فاحتلها عصر ذلك اليوم

وفي صباح اليوم التالي (١٨ يناير) بنى طاية صغيرة جعل فيها الجرحى ووضع عليهم مئة رجل لخفارتهم وخفارة الآبار وفي العصر تقدم بياقي الجيش نحو المتمة فسار بهم الليل كله لانه اراد ان ينزل النيل بدون قتال وكانت الطريق شائكة والليلة مظلمة والجمال تعبوا فتعبوا ونعسوا فلم يقطعوا في ١٤ ساعة سوى ١٨ ميلاً في النور عنقرة وواقعة المتمة في ١٩ يناير سنة ١٨٨٥ . ولما طلع فجر ١٩ يناير اطلوا على المتمة فظنوا انهم ينزلون النيل بلا معارض . وكان المهدي قد ارسل النور عنقرة بالف مقاتل من اهل الاسلحة النارية مدداً لموسى ود حلو فوصل المتمة يوم رجوع المنهزمين من ابي طليح فبقي فيها متر بصاً قدوم الانكليز فلما رأهم مقبلين خرج لقتالهم في الصحراء وهم على اربعة اميال من النيل فجعل ستيورت الجرحى وجمال الحملة على اكمة واخذ يستعد للزحف على المتمة فأصابته رصاصة طائشة في بطنه فجرحته جرحاً مميتاً وذلك في الساعة العاشرة صباحاً فأحيلت قومندانية الجنود على السر تشارلس ولسن لانه كان اقدم ضابط بعده فنظم الجيش مربعاً وسار قاصداً النيل وكان النور عنقرة لا يزال متر بصاً للمربع فتلقاه بنار حامية واضطر الى الانهزام في اقل من خمس دقائق ونزل النيل عند قبة ابي خروق جنوبي المتمة وكانت خسارة الانكليز في هذا اليوم من القتلى ضابط و ٢٢ عسكرياً ومن الجرحى ٨ ضباط و ٩٠

عسكرياً . واما الدراويش فقد قتل منهم اضعاف هذا العدد . وفي اليوم التالي اي ٢٠ يناير عاد الانكليز الى جرحاهم وجمال الحملة الذين تركوهم على التلة واتوا بهم الى القبة فكان اول واجب على السر تشارلس ولسن الآن ان يسرع لنجدة الخرطوم ولكنه رأى ان يفتح المنة قبل التقدم الى الخرطوم . فلما كان يوم ٢١ يناير اخذ معظم العساكر والمدافع وزحف على المنة وقبل مباشرة القتال كتب الى اهليها يدعوهم الى التسليم أو الاستعداد للحرب ولما لم يجيبوه امر الطوبجية فرموا المدينة بالقنابل فأجابته الدراويش من حصونهم بالقنابل والرصاص وفيما هم كذلك اذا بالوابورات الاربعة وهي بوردين والصفية والتوفيقية وتل حوين التي ارسلها غوردن لمقابلة الانكاز قد اقبلت وكانت عند وصولهم تناوش العصاة شمالي شندي فنزل خشم الموس بك ببعض العساكر الى البر واخبر السر تشارلس ولسن ان الفقيه مصطفى الامين المار ذكره قادم بجيش جرار من قبل المهدي مدداً للدراويش فرجع اذ ذاك عن المنة وبنى طاية عند القبة وطاية اخرى تجاهها على شاطئ النيل ووضع العساكر في الطائيتين والجرحى في طاية النيل وفيهم الجنرال ستيورت

وفي صباح ٢٢ يناير ركب بالوابورات الى شندي فرماها ببعض القنابل فوجد اهليها قد هجروها وعاد الى القبة بعد الغروب وكان قد ارسل بعض الكشافة الى جهة الجنوب فعادوا في المساء ولم يروا احداً فاقروا على التقدم الى الخرطوم فقضى يوم ٢٣ يناير في انتقاء العساكر وترميم الوابورات استعداداً للسفر . وكان اللورد بارسفورد قد سحب جيش الصحراء على ان يكون قومنداناً للوابورات فاتفق انه كان اذ ذاك مريضاً في الاسبيتالية وقد قتل اكثر عساكره البحارة في واقعتي ابي طليح والممنة او جرحوا فالتقى السر تشارلس ولسن ٢٤٠ رجلاً من العساكر السودانية الذين في الوابورات فجعلهم تحت قيادة خشم الموس باشا وضم اليهم ضابطين و٢٠ عسكرياً انكليزياً وانزل الكل في وابوري بوردين وتل حوين وقطر باحدهما مركباً مشحوناً ذرة اعانة لاهل الخرطوم وسار بها في ٢٤ يناير نحو الخرطوم تاركا الكولونل بوسكوين قومنداناً على العساكر في القبة . ولترك الآن السر تشارلس ولسن سائراً في الوابورين

الى الخرطوم لكشف خبرها ولترجع الى غوردن وحصار الخرطوم لنرى ما كان من اخبارهما بعد حلول المهدي بابي سعد فنقول :

الفصل الثامن عشر

عود ثان

﴿ الى غوردن وحصار الخرطوم سنة ٤ — ١٨٨٥ ﴾

تقدم ان المهدي حل بجيوشه في ابي سعد في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ م ٢٨ الحجة سنة ١٣٠١ هـ ففضى بقية الحجة ومحرم سنة ١٣٠٢ هـ في الاستعداد للحرب لانه لم يحب الحرب في محرم فلما كان غاية الشهر المذكور اي ١٩ نوفمبر سنة ١٨٨٤ كتب الى غوردن يدعوه الى التسليم وهذه صورة الكتاب بعد البسلة : « وبعد فمن العبد المفتقر الى الله الواثق بما عند مولاه محمد المهدي ابن عبد الله الى غوردن باشا : اعلم اني حضرت بالقرب من ام درمان بجيوشي المنصورة واصحابي واحبابي في الله المؤيدين بالنصر من عند الله وكن على يقين اني على علم من حضور عساكر الانكليز بجهة دنقلا ولكني لست مباليا بهم ولا بغيرهم بفضل الله وسيكون لهم اسوة بجيوش هكس والشلالي ولا تفرك نصرتك المتوالية فكل من استشهد بها فهو عن امري رافة بهم لينالوا درجة الصالحين تصديقا لقوله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ولولا مراعاة حسم دماء المسلمين لضربت صفحا عن مخاطبتك وبادرتك بالهجومات التي لا اشك في نجاحها فسلم تسلم انت ومن معك وقد نصحتك وانصحك والا فالحرب بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى »

﴿ جواب غوردن للمهدي ﴾ فكتب اليه غوردن في الجواب يقول : « لست ابالي بك ولا بجيوشك وليست العساكر الانكليزية بجهة دنقلا كما تزعم تضليلا لعقول انصارك واغرائهم بطلب المستحيل بل هم بجهة بربر والمثمة وسترى ما يجلب بك

ويحيوشك عند مجيئهم من النكال بل اذا لم يأتوا فني الكفاءة لان اعرفك قدرك ولا
تترك كثرة انصارك فالبغي له مصرع والسلام * وكتب المهدي الى فرج الله بك مانصة:
«وبعد فمن العبد المفتقر الى الله الواثق بما عند مولاه محمد المهدي بن عبد الله
الى احبابه المكرمين المعظمين واهل الدراية وهم كبير العساكر وعظيمهم فرج الله
وصاحبه عبد النبي ومن انضم اليهم من الاكابر والاصاغر اعلموا وتحققوا احبابي اني
لست قائماً هذا المقام الا بدعوة الخلق الى الله وسعادتهم الكبرى ونيل مراتبهم العلية
ومنهم عما يضرهم من خسيس فاني اللذات التي تعقب طول الحسرات وقد بلغني
ان المكرم المعظم فرج الله من ضباط اهل فشودة الذين يحبونني سابقاً وانا بأبا من
معرفتهم زهدي في الدنيا وصدقي في الطلب لما عند الله وارادة الآخرة ودلالي على
الصلاح والفلاح وارشاد العباد الى رضا الفتح ليكتسبوا دائم المطلوب من النجاح
فلا تظنوا اننا نطلب اموالكم وما ملكت ايديكم ان سلمتم لنا وصرتم من اصحابنا الذين
بشرنا سيد الوجود (صلعم) بانهم كأصحابه وادنى اصحابي رتبة ينال مقام الشيخ عبد
القادر الجيلاني عند الله تعالى وفيما ذكرته كفاية لاهل العناية . واظن انه قد بلغتكم
انذاراتي سابقاً فلا فائدة حينئذ في التطويل فان سلمتم فقد عفونا عنكم ورضينا عليكم
وكنتم من الاصحاب المكرمين الذين لهم عند الله حسن المكانة الابدية فاني المهدي
المتظر خليفة نبيكم (صلعم) فابشروا بالكرامة والفخامة ان سلمتم لي واتبعتموني .
وليكن معلوماً عندكم احبابي ان من لم يصدقني ويتبعني يعذب في الدنيا ولعذاب
الآخرة اشد واني موعود بملك جميع الارض ورأيت نصري في حال الضعف والقلة
الى ان بلغت هذا المبلغ واجتمعت عندي اسلحة راشد بك وولد الشلالي وهكس
والايض ودارفور وبحر الغزال وجباخينهم وبشرت بأني لو اردت لقبض الله سلاح
الترك بحيث ان اصحابي يقتلونهم ولا يقتلون ولكن اخترت توفيقاً من الله ان ينال
اصحابي الشهادة ويبلون في الله لينالوا عظيم المكانة عند الله كما في كتاب الله واقتداء
برسول الله (صلعم) واصحابه كما علمتم ولتعتمدوا هذا زيادة كتبت هذا بخطي والسلام
في غايه محرم سنة ١٣٠٢ هـ ١٨ نوڤبر سنة ١٨٨٤ * فلم يجبه فرج الله بك على كتابه هذا

فلما كان يوم الاربعاء غرة صفر سنة ١٣٠٢ ١٩ نوفمبر سنة ١٨٨٤ امر انصاره
 فضربوا نقاير الحرب وابواقه وصاروا ينادون العساكر ويتهددونهم بالموت العاجل
 وشرعوا في اطلاق البنادق والمدافع على الخرطوم من كل جهات الحصار
 ثم حصار ام درمان في الوقت نفسه ارسل سرية من الانصار بقيادة ابي
 عنجة لمهاجمة طاية ام درمان وهي واقعة تجاه طاية المقرن وبين شاطئ النيل
 الابيض نحو ٥٠٠ متر ويوصلها بسراي الخرطوم خط تلغرافي وهي عبارة عن خندق عميق
 من داخله سور منيع مفتوحة فيه المزاغل وعليه الابراج ومن داخل السور بئراً
 للشرب وفيها اورطة من العساكر المصرية عليهم فرج الله بك قومنداناً فما اقترب
 ابو عنجة منها حتى انهال عليه الرصاص انهال المطر فرجع عنها خاسراً وقد ترك وراءه
 ٩٠ بقرة غنيمة للعساكر فاخبروا غوردن بها تلغرافياً فامرهم فارسلوا ٧٠ بقرة الى الخرطوم
 واكلوا الباقي * وفي اليوم التالي هاجم ابو عنجة الطاية مرة اخرى فرد عنها خاسراً
 كالمرّة الاولى وغنم العساكر ٨٠ بقرة فاكلوا ٢٠ وارسلوا ٦٠ الى الخرطوم * وبذلك
 امتنع ابو عنجة عن الهجوم وعوّل على حصر الطاية فنزل عند شاطئ النيل وحال بين
 وبين طاية المقرن واجهد اصحابه فاقاموا في الليل متراسين متوازيين متراساً يقبهم
 مقدوفات الخرطوم وآخر يقيهم مقدوفات ام درمان واقاموا طاية عن يمين المتراسين
 وطاية عن شمالهما وجعلوا في كل طاية مدفعين وشرعوا يرمون الخرطوم وام درمان
 بالقنابل وقطعوا خط التلغراف بين الحاميتين فأصبح اهله يتخابرون بالاشارة الحريا
 وكان في طاية المقرن بلوك من العساكر النظامية ومدفع واحد فقواها غوردن
 بمدفعين آخرين واوردي باشبوزق وامر فخرج وابورا الاسماعيلية والحسيني في النيل
 الابيض لمساعدة الطائيتين على طرد ابي عنجة من حصنه فرماها بالقنابل فاصابت
 قبلة احدى جوانب الاسماعيلية فعطلتها واصابت قبلة اخرى قزان الحسيني ففرقه
 وقتل قومنداناً مصطفى افندي فارسل غوردن الاسماعيلية الى الترسانة وناظر اصلاحها
 بنفسه الى ان تم فارجمها لنشل الحسيني فما وجد لذلك سبيلاً فاخذ نوبته وامتنع
 وعاد الى الخرطوم

وفي هذه الاثناء حضر وابور بوردين بكتاب اللورد ولسلي المار ذكره ؟ الى غوردن فارجه غوردن الى نصحي في الحال فامر المهدي اصحابه فبنوا طاية في الحفاية وطاية في خور شمبات تجاهها وذلك لمنع الواورات من المرور ذهاباً واياباً بين شدي والخرطوم * وبنوا طاية قبالة كل طاية من خط نار الخرطوم وثلاث طواب حول طاية ام درمان طاية الى شمالها وأخرى الى جنوبها وثالثة الى غربيها عدا الطائتين في شرقيها وجدد الهمة في مناوشة الحاميتين القتال الليل والنهار فدافع الساكر عن انفسهم احسن دفاع وحمّلوا الدراويش خسارة تذكر ولم يقتل منهم سوى البكاشي ابراهيم افندي سودان قومندان طاية المقرن وبضعة عساكر فسر غوردن من نشاطهم وتيقظهم وطبع ٩٠ الف غرش من اوراق البون ووزع عليهم مرتب ستة اشهر ونصف شهر مكافأة لهم على حسن دفاعهم ووجه رتبة الاو الى كل من موسى بك شوقي مدير الخرطوم وفرج الله بك قومندان طاية ام درمان وامره فاعطى بالاشارة الحرية اسماء الضباط المستحقين الجزاء وهم البكاشي خليل افندي عمارة والبكاشي مصطفى افندي عصمت والصاغ حسين افندي محمد واليوزباشي محمد افندي والملازم محمد افندي كريم فرقي كلاً منهم الى رتبة اعلى من رتبته

(اشتداد الجوع في الخرطوم) واشتد الجوع في الحاميتين ولا سيما في الخرطوم حتى صار اهلها يموتون جوعاً في الطريق وكان غوردن قد أوى الرقيق والمساكين والعواجز من النساء والرجال وجعل لهم مرتباً من الذرة كما مرّ فلما اشتد الحال عليه الى هذا الحد اخرجهم الى المهدي بكتاب هذا مفاده :

« اعلم ان الجنس للجنس رحمة وهؤلاء المساكين يشتركون معك في الجنسية وقد قضت الحال باخراجهم من الحامية بعد ان عاشوا فيها سنة على نفقة الحكومة فصار عليك الآن ان تتولى امر معيشتهم فافعل بهم ما انت امله »

وكان ذلك في اواخر ديسمبر سنة ١٨٨٤ ولم يكن اذ ذاك في المخازن ما يكفي العساكر مرتبهم الشهري فجمع غوردن مجلساً من الضباط من رتبة بكباشي فما فوق برئاسة فرج باشا الزيني فاقرّوا على تخفيض المرتب من ٢٠٠ درهم بقسمات و ٤٠٠

درهم ذرة في اليوم الى ١٠٠ درهم من البقسماط أو الذرة للعسكري النظامي و ١٥٠ درهم من الذرة للعسكري الباشبوزق وان يُعطى العساكر مرتب ٥ ايام فقط فتمت انتهت يعطون مرتب ٥ ايام اخرى وهكذا الى ان يمن الله بالفرج فصدق غوردن بهذا القرار وامتدح صبر المصريين الذين رضوا بالشدة على انفسهم دون سواهم في اشتداد الجوع في أم درمان في ٢٨ كانون يسمبر ارسل فرج باشا قومندان أم درمان اشارة حربية الى غوردن بأن مرتبات الزاد للعساكر قد نفدت ولم يبقَ منها الا مرتب ٣ ايام فانغم غوردن لهذا الخبر ودعا الضباط العظام في الخرطوم من رتبة قائمقام فما فوق للنظر في حالهم فأقرؤا على الخروج من الخرطوم على المحاصرين وكسب قوت الحاميتين منهم بالقوة

في خروج حامية الخرطوم في ١ يناير سنة ١٨٨٥ في ١ كانون الخامس ١ يناير سنة ١٨٨٥ امر غوردن فخرج بجيت بك بطراكي من باب برّي بخسمائة من العساكر السودانية ثم تبعه محمد بك الملك بألف من الباشبوزق وقصدا عبد الله ود النور في برّي وخرج البكباشي يوسف افندي عفت بخسمائة من العساكر المصرية من باب المسامية لحماية ظهر بجيت بك فما قرب بجيت بك من برّي حتى خرج عليه الدراويش فلم يسعه الا التقهقر اما محمد بك الملك فاستل سيفه ودفع جواده في وسطهم وقتل قتال الابطال حتى قتل وفي اثناء ذلك ثار انصار النيل الابيض في وجه يوسف افندي عفت وكان قد نظم عسكره قلعة فأمرهم فجلسوا على ركبة واحدة وما زال يمطر عليهم من الرصاص حتى هزمهم وأبى الرجوع الى خط النار الا بأمر غوردن فأمره فرجع فامتدح غوردن بسالته ولأم بجيت بك على عدم ثباته

في خروج حامية الخرطوم المرة الثانية في ٣ يناير سنة ١٨٨٤ في ٣ كانون الثاني ١٨٨٤ وصر غوردن الجمعة حتى استراحت العساكر وفي فجر السبت في ٣ يناير سنة ١٨٨٤ ارسل تلفرافا الى فرج باشا الزيني يأمره بالتنبيه على عساكر الخميس ان يخرجوا مرة ثانية في طلب القوات للحامية الا بجيت بك فانه امر ببقائه على خط النار وذهب حسن بك البهنساوي في مكانه قيل فتمارض البهنساوي فولى الامر للشجاع المدرب البكباشي

السيد افندي امين صاحب واقعة الكلاكلة المار ذكره ووعدته بالترقي الى رتبة قائم فخرج السيد افندي بجميع العساكر من باب المسامية ونظم عسكره قلعتين العساكر النظامية قلعة قادها بنفسه والباشبوزق قلعة ولى قيادتها للصاغ منصور عبد العال وسار بالقلعتين حتى صار على الف متر من خندق الخرطوم فوقف فجعل قلعة الباشبوزق قبالة انصار المسامية والكلاكلة وتقدم بقلعته نحو برّي

هذا وكان قد فرّ يوم الجمعة عسكري من الخرطوم الى التجومي واخبره بأن العساكر خارجون اليه في ثلاث قلعات قلعة تهاجمه في الكلاكلة وقلعة تهاجم عبد الله ود النور في برّي وقلعة تهاجم عبد القادر مدرع تجاه باب المسامية فأرسل التجومي وامره الشدة الى عبد الله ود النور وعبد القادر مدرع بالاستعداد للحرب فأمر عبد الله ود النور اصحابه بأن يسقطوا الى الارض ولا يباشروا القتال حتى يقرب العساكر منهم جداً فيخرجون عليهم اذ ذاك ويقتلونهم بالسيف والحرية . ولما قرب السيد افندي امين من طاية برّي ولم يرَ للدراويش حركة علم ان في الامر مكيدة فبعث فارسين بسطلمان طلعمهم فرجعا واخبرا بأن الدراويش قد اخلوا طوابيهم فأرسل فارسين آخرين فلم يريا احداً فسار اذ ذاك بنفسه وامامه اوردى باشبوزق بهيئة « اطلاقية » حتى اقترب جداً من طوابي الدراويش فأمر الاطلاقية باطلاق النار فهب الدراويش اذ ذاك من مراقدهم وبادروهم باطلاق الرصاص فأمر السيد افندي الاطلاقية فرجعوا الى يمين القلعة وشمالها ثم امر عساكر القلعة فاصطفوا بهيئة طاوور واسرعوا الى خرائب ابنة قديمة فامتلكوها وصبوا على الدراويش ناراً دائمة

وكان غوردن يشاهد القتال بالمنظار فلما رأى ان السيد افندي قد توغل نحو برّي امر واور الاسماعيليه فسار في النيل الازرق ومعه الجبخانه نجدة له فما خرج الوابور من الخرطوم حتى انتشر الدراويش الذين في الشرق على طول الشاطئ ورموه بالرصاص والقنابل فالتفت راجعاً فغضب غوردن منه وامره باعادة الكرة فلتقاه اهل الشرق بنار اشد من قبل فرجع ثانية . واما القلعة الثانية فقد تصدّى لها انصار المسامية والكلاكلة واندفعوا عليها كالسيل العرم فاضطرت الى التقهقر بعد ان قتلت جماعة من اكابر

امراء الدراويش وفيهم عبدالقادر مدرع قائد انصار المسلمية وعمر ولد الخليفة وغيرهما . ولما عادوا الى الخندق اغلق فرج باشا باب المسلمية في وجوهم ووبخهم على ترك اخوانهم عرضة لهجوم الاعداء من وراء فلم يؤثر فيهم توبيخه لانهم باشبورق لا يعرفون نظاماً فاخترت بعضهم بالخندق ولحق بعضهم بالدراويش

وبقي السيد افندي يجاهد وحده الى ان نفذت منه الذخيرة فانفذ اشارة حرية الى فرج باشا في طلب الذخيرة وارسل قلعة الامداد الى جهته فاجابه ان قلعة الامداد انهزمت ولا واسطة لارسال الذخيرة وامره بالرجوع الى الاستحكام فعاد القهقري حسب الاصول العسكرية . وفي اثناء ذلك أصيب برصاصة في رجله وقتل حصانه فحمله رجاله وعادوا به الى الخندق فأتى غوردن بنفسه ومعه حكيمباشي الاسبتالية فصاحه وشكر له بسالته ودربته ورقاه الى رتبة قائمقام وامر الحكيمباشي فضمم جراحه وبالغ في الاعتناء به ورفق كل ضابط من ضباطه الى رتبة اعلى من رتبته . وكانت خسارة السيد افندي في هذه الواقعة ١٢ قتيلاً وجريحاً واما الدراويش فقد قتل منهم ٦٠٠ رجل وزيادة وفيهم اميرهم عبدالله ود النور من الفرسان المعدودين فحزن عليه الدراويش حزناً شديداً وكان قتله خذلاً صريحاً للمهدي لانه صرح مراراً بأنه لا يموت في حصار الخرطوم بل يموت في الكوفة

محاولة اخلاء ام درمان . ومن شدة حزن الدراويش على قتلاهم لم يناوشوا العساكر القتال ليل ذلك اليوم فرأى غوردن ان يغتنم الفرصة ويحاول اخلاء ام درمان وجلب عساكرها الى الخرطوم فارسل اشارة حرية الى فرج الله باشا يعلمه بذلك فاجاب اني مستعد للخروج بالحامية والمدافعة الى آخر رمق على شرط ان الوابور المزمع ارساله لحملنا اليكم يقف في نقطة معينة ويثبت في مكانه الى ان نصل اليه . ففي صباح الاحد في ٤ يناير سنة ١٨٨٥ ارسل غوردن الوابور وامره بالذي اشرطه فرج الله باشا فما قرب من النقطة المعينة على الشاطئ حتى ابتدره الدراويش بالقبائل ومنعوه من الوصول الى الشاطئ فكر راجعاً الى الخرطوم فوبخه غوردن فرجع وعاد خائباً كالاول . وكان فرج الله باشا لما رأى الوابور مقبلاً قد خرج بنصف عساكره

قلعة وترك النصف الآخر في الطاية تحمي ظهره فهاجمه الدراويش وانتشب القتال
ثبت حتى رأى ان الوابور قد رجع المرة الثانية فقفل راجعاً الى الطاية بعد ان نكل
بالدراويش وقتل من عسكره اليوزباشي احمد افندي فهمي والملازم عبد النبي افندي
تسليم ام درمان الاثنين في ٥ يناير سنة ١٨٨٥ هـ

وبعد ظهر الاحد ارسل اشارة حربية الى غوردن يقول ان مؤونة الحامية قد
نفدت فاذا لم يف الوابور بالشرط السابق ايضاحه اضطر الى التسليم او القتال الى
الموت قيل فاذن له غوردن في التسليم . وفي يوم الاثنين ٥ يناير سنة ١٨٨٥ رفع
العلم الايض وكتب الى المهدي بالتسليم وارسل الكتاب مع الشيخ موسى امام الاورطة
قالبه المهدي جبة مرقعة واربعه مع اربعة من اصحابه الى الطاية فاتوه بفرج الله
باشا ثم ارسل جماعة من اصحابه فاتوه بالعساكر فسمى فرج الله باشا اميراً على عساكره
وجعل له مرتباً قدره ٢٠ ريالاً في الشهر يجري له من بيت المال وامر اصحابه بعدم
التعرض له ولا لرجاله . وكان غوردن يشاهد حركة التسليم من سراي الخرطوم
فشق عليه ذلك جداً قيل واخذ يضرب الارض برجله ودموعه تجري على خديه
وشيع العساكر بنظره الى ان غابوا عن عينيه

واذاع محمد احمد خبر تسليم ام درمان في الجهات . وهذا ما كتبه الى عامله
عثمان دقته وفي هذين اليومين يبلغكم ان شاء الله فتوح الخرطوم فان ققرة
ام درمان التي كانت لها كالروح صار فتحها على يد جند الله ووقعت في القبضة بما فيها
واضمحل امر الخرطوم ووهى وصار في ضعضة نظراً للفتوح الذي ذكر ولكونه خرج
اربع قلعات كبار منها على قصد المحاربة مع الانصار فاهلكهم الله بقدرته ورد كيد اهلها
في نحرهم والذي أسر منهم كثير ولما رأى ذلك الباقون الذين داخل الققرة صاروا
يخرجون افواجا ليلاً ونهاراً خفية وجهرًا حتى اجتمع معنا اناس كثيرون من
نساء ورجال واطفال بعضهم اهل بلد وبعضهم ممالك (عبيد) وما زال جاري
خروجهم وذلك لما رأوه من التضيق عليهم وشدة بأس الله الذي حل بهم من
حصارنا اياهم . وقد بلغنا ان بعضاً من اعداء الله الانكايز حضروا بدقلا وارسلوا منهم

جانبا الى جهة التمة لكي يدخلوا الخرطوم من قبلها والى الآن ما تم وصولهم بها وقد وجهنا لهم من طرفنا نحو احدى عشر ألفا والبشائر متواترة علينا بهلاك أولئك المخدولين وان بلغوا في الكثرة عدد الشجر والمدر وزبد البحر ولا فهمكم بما ذكر والعمل كما اشير لزم تحريره والسلام في ٢٦ ربيع اول سنة ١٣٠٢ هـ ١٣ يناير سنة ١٨٨٥ وقد كان لتسليم ام درمان اسوأ وقع في نفوس اهل الخرطوم فانهم ادركوا به حقيقة الضعف الذي صاروا اليه وازداد الم الجوع فاخذوا يخرجون الى المهدي مسلمين فنشر المهدي كتابا لقومه للرفق بمن يخرج من الخرطوم وهذا صورته بعد البسملة : « وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي الى احبابه واصفيائه انصار الدين بالهوي والشرق والغرب وخصوصا العملا والرؤوس : وبعد فاذا فہتم هذا احبابي فالتموا عباد الله الذين يخرجون مسلمين ومنقادين بانواع التأليف وتلقوهم بالاکرام والتشريف ولا تنظروا لمن استشهد من الانصار فتحققوا بسبب ذلك على من كان مع الكفار فان قيامنا هذا لله . . . ومن استشهد من الانصار فقد نال عظيم المقدر فيما فعله لوجه الله . . . فاکرموا الذين یأتون مسلمين وخصوصا العلماء ومن كانوا اهل وظائف كبار وبالاخص نحو الامين الضرير فقد قال (صلعم) اکرموا عزيز قوم ذل وغني افتقر . . . والسلام ١٩ ربيع اول سنة ١٣٠٢ هـ ٦ يناير سنة ١٨٨٥ وكتب ايضا الى اهل الخرطوم يدعوهم الى التسليم بما نصه بعد البسملة : « وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة اهالي الخرطوم هداهم الله الى الصواب . . . وقد طالما ذكرتكم بالله ورغبتكم فيما عنده وحذرتكم من وعيده فالى متى الغفلة والتسويق والى متى مبارزة مولاكم بالعداوة اترغبون النجدة والفرج عند الانكليز وتصرفون نظركم عن خالقكم الذي بيده امورك وقوامكم وهو القوي العزيز فما الانكليز وغيرهم اضعافا مضاعفة بشيء في جنب قدرة الله التي يعجز عن وصف كنهها كل لبيب ونجيب وما الغوث الا من عند الله القريب المحيب . وحيث فہتم ما ذكر فاني لا اؤاخذكم بما فات منكم ولا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فأنیبوا الى ربكم وسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة

وأنت لا تشعرون وعليكم أمان الله ورسوله وأمان العبد لله وليس عليكم حرج فيما مضى
 وغايته أن من سلم سلم ومن خالف عطب وندم فيها هياً ثم هياً الى طريق الفلاح
 والنجاح قبل قص الجناح ولا تخشوا من شيء يحصل عليكم فانا مناظرون فيكم آية
 قوله تعالى «واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه
 الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم والسلام»
 وكتب ايضاً الى غوردن كتباً يدعوهُ الى التسليم هذا نصها بعد البسملة :
 ﴿الكتاب الاول﴾ «وبعد فمن العبد المفتقر الى الله المعتمد به محمد المهدي
 بن عبد الله الى غوردن باشا فسلم تسلم يؤتلك الله اجرک مرتين وان أعرضت كان
 عليك اثمك واثم من معك فقد اتاني الخبر من الرسول ان الجردة الآتية لو كان معي
 ستة افارتموت أو خمسة تموت أو واحد تموت أو وحدي كذلك ولو كانت مثل ورق
 الشجر ونبت الوعر وموج البحر وقد اتاني خبرها انها تموت أيسر من موت جردة ولد
 الشلاي وهكس والمديريات الغربية كلها والبحر الابيض وكذلك موعود بجميع البلاد
 فالامر لله وما دام ان الله القادر أيدي بالكرامات وبالنصر فلا يضرنى انكار منكر
 وانما يضر نفسه فقط والامر الذي وعدت به من رسول الله (صلعم) صار. على ان
 الجردة التي تعتمدونها ما لها وجه بوصولها لكم من سد الانصار الطرق فان اسلمت
 وسلمت فقد عفونا عنك واكرمناك وسامحناك فيما جرى منك وان أبيت فلا قدرة
 لك على تقض ما اراده الله والسلام ٩ ربيع اول سنة ١٣٠٢ هـ ٦ يناير سنة ١٨٨٤
 تحشية: وان طلبت زيادة بعد وصول جوابي هذا فتخبرك المرأة الواصلة اليك
 وان رأيت التمكين واليقين ان اردت التسليم اكثر من هذا الجواب سنرسل لك
 عبد القادر ولد أم مريوم لزيادة الطمأنينة في الامان فلا مانع وبذا لزمت التحشية
 ﴿الكتاب الثاني﴾ «وبعد فان اراد الله سعادتك وقبلت نصحننا ودخلت في
 اماننا وضماننا فهو المطلوب وان اردت ان تجتمع على الانكليز الذين اخبرنا رسول
 الله (صلعم) بهلاكهم فنوصلك اليهم فالى متى تكذبينا وقد رأيت ما رأيت وقد
 اخبرنا رسول الله (صلعم) بهلاك من في الخرطوم قريباً الا من آمن وسلم ينجيه الله

ولذلك احببت لك الالهة مع الهالكين لانا قد سمعنا مراراً فيك الخير ولكن على قدر ما كاتبناك للهداية والسعادة ما أجبتنا بكلام يؤدي الى خيرك كما نسمة من الواردين والمتردددين والآن ما ايسنا من خيرك وسعادتك ولما سمعنا من الفضل فيك سنكتب لك آية واحدة من كتاب الله عسى ان ييسر الله هدايتك بها اذ جعلنا الله باب الرحمة والدلالة الى الله ولذلك طالما كاتبناك لترجع الى وطنك وتحوز فضالتك الكبرى ولثلا تياأس من الفضل الكبير اقول لك قال الله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيماً « والسلام ٢٠ ربيع اول سنة ١٣٠٢ هـ ٧ يناير سنة ١٨٨٤ * وقد بلغني في جوابك الذي ارسلته اليانا انك قلت ان الانكايز يريدون ان يقدوك وحدك بعشرين الف جنيه ونحن نعلم ان الناس يتقولون من البكال كلاماً كثيراً ليس فينا وذلك لصدود من اراد الله شقاوته ولا يعلم نفيه الا من اجتمع بنا وانت ان قبلت نصحنها فيها ونعمت والا ان اردت ان تجتمع على الانكايز فبدون خمسة فضة نرسلك اليهم والسلام في تاريخه

فأجابه غوردن برفض التسليم وطلب اليه ارسال عبد القادر ام مريوم فكتب المهدي ﴿ الكتاب الثالث ﴾ « . . . نعلمك ان جوابك رد المحرر منا وصل اليانا وفهمنا مضمونه وقد عذرناك في عدم اذعانك واجابتك لنا بالطاعة كما طلبنا منك وذلك لانك لم تدر الحقيقة التي نحن عليها وبحسب مقامنا ودلالتنا الى الله وشفتنا على عموم خلق الله حتى من هو مثلك لم يطب قلبنا بصرف النظر عنك ولا زلنا ندارجك عسى الله ان يهديك الى سواء السبيل فاجب داعي الله واغتم سلامتك من الشر الويل فقد رأيت ما حلّ ونزل ولا زلت ترى ولا طاقة لك ولا لاعوا قك على حرب جند الله عز وجل وقد ذكرت ان عبد القادر ولد ام مريوم حبيبك وتقبل قوله ونصيحته وطلبت ارساله اليك فعلى م ذا؟ هل انت منيب الى الله وقصدك التسليم لنا على يد المذكور أم أنت على تصميمك في اعراضك ومعاداتك لربك فأفدنا على هذا لنعلم طلبك له على أي الوجهين هو ونرسله لك ان رأينا في ذلك صلاحاً للدين واقول لك ان عزة الاسلام خير لك وابقى لدوام احترامك في الدارين فتحل بها

ان غلت والسلام في ٢١ ربيع الاول سنة ١٣٠٢ هـ ٨ يناير سنة ١٨٨٥ «
ولما رأى غوردن اضطراب اهل الخرطوم علق منشوراً في المراكز العسكرية
والشوارع العمومية قال فيه : « انه وان تكن حامية أم درمان قد سلمت فهي انما
سلت بأمرى وانا اعتني بعائلاتهم هنا واجري لهم مرتباتهم كالاول وعن قريب
نقدم من مخالب الاعداء لانه قد جاءت البشرى بأن الجيش الانكليزي فرق
جموعهم في صحراء البيوضة وقتل منهم الوفا ونزلت مقدمته في التمة وهي مسرعة
لاتخاذنا وبسبب هذه البشرى عفوت عن احمد بك جلاب مدير الخرطوم وعمن
اشركوا معه في مراسلة المهدي واطلقت سراحهم من السجن »

وحان ميعاد مرتب الخمسة ايام الثانية من يناير سنة ١٨٨٥ حسبما قرر المجلس
العسكري السالف الذكر ولم يكن في المخازن ما يكفي خمسة ايام فعقد غوردن مجلساً
برئاسة احمد بك جلاب للبحث عن الذرة في المدينة فلم يجدوا سوى ٣٦ اردباً ثم
امر بجمعت الابقار والاغنام وثمنت باثمان باهظة وأعطى اصحابها « رجعاً » لتدفع لهم
عند رفع الحصار واستشار الاطباء في اكل الصمغ فاقروا على اكله ولما تم جمع الذرة
والماشية والصمغ اجري مرتب الخمسة ايام الثانية من ٦ يناير الى ١٠ منه

ثم بحث في المجلس عما يجريه للعساكر بعد انقضاء هذه المدة فقرّر الرأي على
قطع النخيل في جنائن الخرطوم واخذ قلبه وتجنيفه ففعلوا وكافوا نساء العساكر
فطحنه وخبرنه وصاروا ينفقون منه على العساكر مع ما بقي من الذرة والصمغ
ثم كانت واقعة ابي طليح في ١٧ يناير كما مرّ قيل فبلغ خبرها المهدي في ٢٠
منه فامر فاطلت المدافع مئة طلقة وطلقة وهي علامة النصر وقد اراد بذلك ان
يوم انصاره واهل حامية الخرطوم بأن رجاله انتصروا على الانكليز . ثم وصل
المنزهون من ابي طليح فاخبروا اخوانهم بهول تلك الواقعة والخسائر التي حلت بهم .
وتلاحم خبر انكسار النور عنقرة في التمة ونزول الجيش الانكليزي على النيل
فاضطرب المهدي وقومه واشتد النوح والبكاء في مخيمه . وصار عساكر الحكومة
الذين في اسر المهدي يفرون منه ويدخون الخرطوم سباحة في النيل حتى بلغ عدد

اللاجئين الى الخرطوم ١٢٠٠ رجلاً وقد حدثوا الحامية عن انهزام الدراويش في
أبي طليح والتمتة وعن الاضطراب الحاصل في مخيم المهدي فانتعشوا واملوا قرب الصرج
وتهلل غوردن فرحاً لهذا الخبر واطمأن بالله واعلن رسمياً منح مرتب شهرين مكافأة
لجميع العساكر والموظفين الملكية داخل الاستحكام وخارجه وذلك عند تسير القوت
وقد امل غوردن ان الانكليز بعد هذا النصر الذي نالوه لا يلبثون ان يحضروا
بالوابورات لنجدته فأصبح في انتظارهم كل ساعة وقلق لتأخرهم عن الميعاد الذي قدره
لهم فكنت تراه يقضي اكثر اوقاته على سطح السراي والمنظار يده يوجهه الى
الشمال لعله يراهم أو يرى آثارهم فيرجع خائباً. وكان اهل الحامية قد نفذ منهم القوت
الذي جمعه في المجلس الاخير وشرعوا في اكل الكلاب والحير والخيل والبغال
وصاروا يطلبون ربع الذرة بمئة ريال تقوداً ومئة جنية ورق بون فلا يجدونه. وكنت
ترى النساء حوامل الذهب في ايديهن وهن يطفن في الشوارع طالبات ربع الذرة
بأربع اواق ذهباً فلا يجدونه. واذا حظي صياد بسمكة في الليل باعها في الصباح بخمسين
ريالاً او اكثر. وظهر تأثير الجوع في العساكر فهزلت اجسامهم واصفرت الوانهم
وغارت عيونهم واخذ عساكر الشايقية والسودانية يخرجون الى الدراويش فراراً من
الموت جوعاً فشق الامر جداً على غوردن وزاد ألم انتظاره للانكليز وهو لا يعلم
السبب الذي يؤخرهم عنه وحار في الوسطة التي يصبر بها عساكر الحامية الى ان
تصلهم النجدة وكان قد مضى مدة ولم يدفع لهم مرتبهم تقوداً فجمع قرضاً من التجار
والاعيان والضباط بسندات على نفسه ووزعه على العساكر فأصاب كلاً منهم مرتب
نصف شهر واصدر منشوراً قال فيه : « اني سبقت فأنعمت على جميع العساكر
والموظفين الملكيين بمرتب ٣ اشهر ثم بمرتب ٦ اشهر ونصف شهر ثم بمرتب شهرين
والآن اعود فأثبت انعامي هذا وانا في انتظار الانكليز القادمين لنجدتنا كل يوم بل
كل ساعة فكلما تأخروا يوماً حسبته لكم شهراً وجلالة ملكة الانكليز ضامنة لقولي
هذا » ومع ذلك ظل العساكر يخرجون من الخندق فراراً من الجوع
قرار المهدي على مهاجمة الانكليز هذا وكان المهدي من الجهة الثانية لما

بلغه خبر أبي طليح عقد مجلساً من خلفائه وخاصة اهل مشورته مثل محمد عبد الكريم والسيد عبد القادر ود ساتي علي واحمد شرفي وكلهم من اقاربه ويعقوب اخي الخليفة عبد الله ومحمد نوباوي شيخ بني جرّار واحمد كاتب المهدي . حدثني المضيوي عن محمد عبد الكريم قال : اتفق اولاً رأي الاكثرين في هذا المجلس على الهجرة الى كردوفان خشية من الوقوع في قبضة الانكليز فعارضهم محمد عبد الكريم في ذلك وقال اننا حصرنا اهل الخرطوم حتى صاروا في حيز العدم فاذا تركناهم وبهم بقية حياة وورد عليهم الجيش الانكليزي تقووا وسعوا في اقتفاء اثرنا ومعهم اهل النيل . وايضاً اذا كان غوردن وهو واحد من الانكليز قد اتعبنا كل هذا التعب فكيف يكون حالنا اذا اجتمع على غوردن جيش من ابناء جنسه . فالرأي الاتم هو الهجوم على الخرطوم واخذها عنوة قبل وصول الانكليز اليها فلم يقبلوا رأيه خوفاً من ان يصيبهم في مهاجمة الخرطوم ما اصابهم في مهاجمة الايض * واخبرني الشيخ اسماعيل الازهري عن احمد كاتب المهدي « ان رأي الهجرة الى كردوفان لم يشر به احد ولكن عرض في المجلس رأيان : الاول الزحف على الجيش الانكليزي وصدّه عن الوصول الى الخرطوم مع البقاء على حصرها حتى تضطر الى التسليم جوعاً والثاني مهاجمة الخرطوم واخذها اولاً ثم الانقلاب على الانكليز . وكان اول من ابدى هذا الرأي محمد نوباوي شيخ بني جرّار وقد ضرب لهم مثلاً تأييداً لرأيه قال اذا طارد صياد صيداً حتى ارهقه ثم عرض له صيد آخر فهل من الرأي ان يترك الصيد الاول الذي ارهقه ويلحق بالثاني الذي لا يزال قوياً ونحن الآن حصرنا الخرطوم حتى اضعفناها فكيف نتركها ونلحق بالانكليز الذين ما زالوا في قوتهم فصدق محمد عبد الكريم هذا الرأي ولكن خالفهما الباقيون خوف الفشل وقرّر رأي الاكثرين على مهاجمة الانكليز » . فكتب المهدي الجمعة في ٦ ربيع آخر سنة ١٣٠٢ ٢٣ يناير سنة ١٨٨٤ كتاباً الى ابي فرجه يأمره بالاستعداد لملاقاة الانكليز وصدّهم عن النزول في الحلال كما فعل بجيش هكس الى ان يصلوا الى أم درمان ومما قاله له :

« وقد استحسننا مع الخليفة عبد الله والخليفة علي والخليفة محمد شريف

وبقية الاصحاب من النواب وغيرهم توجهت الى الجردة متولياً على من يسير من هنا وهناك تنظرون فيها ان لزم محاصرتها تحاصرونها كهكس فتحصرونها من التصرف في الحلال حتى تصل اليها او ما تروه فيها فقد يرى الحاضر ما لا يراه الغائب والسلام، فرار السنجق عمر ابراهيم وفيما هم كذلك اذ فر اليهم من الخرطوم يوم السبت في ٢٤ يناير سنة ١٨٨٥ سنجق من الباشبوزق يقال له عمر بك ود الفقيه ابراهيم الملقب بغرة العينين من اهل الخرطوم وقد اخذ معه راتبه ورواتب عساكره اورديه التي تقده اياها غوردن عن نصف شهر كما مر وكان المهدي لا يعلم حقيقة الحالة في الخرطوم اذ جميع الذين فروا اليه قبل هذا الرجل كانوا من ضعفاء الناس وليس لهم اطلاع على ما جريات الاحوال فاخبره عمر المذكور بحال الخرطوم على التمام ودله على مواطن الضعف فيها

نقطة الضعف في خندق الخرطوم وقد تقدم ان خندق الخرطوم يمتد من النيل الازرق الى النيل الابيض الا انه لم يكن يتصل بالنيل الابيض الا في زمن ارتفاعه فاذا انخفض انحسر عن ثغرة يدخل منها الى الخرطوم بسهولة وكانت الثغرة التي انحسر عنها النيل الى ذلك العهد (٢٤ يناير) نحو ١٥٠٠ متر فسد العساكر الخندق فيها رويداً متبعين النيل مسافة الف متر وبقى ٥٠٠ متر بين الخندق والنيل كان الماء فيها ضحلاً ولا يمكن نزحه وحفر الخندق الا بقوة جسيمة والعساكر في هذا العهد لا يقدر على حمل انفسهم فضلاً عن حفر خندق مثل هذا ولم يعطوا جراية منذ ١١ يناير فكانوا يقتاتون ما يجدونه من الحيوان والنبات داخل المدينة وغاية ما استطاعه غوردن لاجل سد هذا الخلل في الخندق انه وضع عقبيت (مركبتين) في النيل وجعل في كل منهما ضابطاً و ٢٥ عسكرياً

ترتيب العساكر على خط النار وكان خط النار كما علمت ثلاثة ابواب: باب الكلاكلة تجاه حلة الكلاكلة قرب النيل الابيض وباب برّي تجاه حلة برّي قرب النيل الازرق وباب المسلمية في الوسط . وكان عليه خمس اوتط من العساكر النظامية اورطتان مصريتان وثلاث اورط سودانية ومعهم ٢٥ اوردياً من الباشبوزق

الثابتة والاتراك والمتطوعة موضوعة على الترتيب الآتي مبتدءاً من جهة النيل الايض :
اورطة مصرية فيها ٣٢٠ رجلاً فقط بقيادة يوسف افندي عفت . يليها
عشرة ارادي باشبورق بملاحظة القائممقام عثمان بك حشمت يمتدون الى باب
الكلاكة . ويليهم الاورطة الثانية المصرية وعليها القائممقام فرج بك صالح بدلاً من
السيد بك امين الذي جرح في برّي * ثم ثلاثة ارادي باشبورق شايقية . يليهم
اورطة سودانية بقيادة البكباشي علي افندي صقر . ثم تسعة ارادي باشبورق بملاحظة
القائممقام سرور بك بهجت . ثم الاورطة الثانية السودانية وعليها البكباشي محمد
افندي عثمان . ثم اورديان باشبورق بملاحظة احمد افندي حماية ثم الاورطة الثالثة
السودانية وتمتد الى النيل الازرق وعليها البكباشي محمد افندي دسوقي

وقد جعل خط النار كله قسمين : قسم اليمين ويمتد من النيل الايض الى باب
الكلاكة وعليه الميرالاي حسن بك البهنساوي قومنداناً وقسم الشمال وعليه بجيت
بك بطراكي قومنداناً . والكل بقيادة القومندان العام الفريق فرج باشا الزيني
قرار المهدي على مهاجمة الخرطوم . فدل السنجق المذكور المهدي على هذا
الترتيب وعدد العساكر وشدة الحال التي صاروا اليها كما دله على نقطة الضعف في
خط النار فجمع مجلس شوراه (السبت) واخبرهم بما اتاه عمر المذكور فأجمعوا
كلهم على مهاجمة الخرطوم . قيل وفي يوم الاحد (٢٥ يناير) أتى هجان من التمة
واخبر المهدي ان الواورات خرجت من القبة في فجر ٢٤ يناير قاصدة الخرطوم فأقرّ
المهدي اذ ذاك على مهاجمة الخرطوم في الحال . وفي المساء (ليلة الاثنين) اجتاز النيل
على المراكب ومعه خلفاؤه ومن اراد الجهاد من اصحابه في ابي سعد ونزل بالقرب
من معسكر النجومي عند شجرة محو بك وامر جميع اصحابه فحضروا بين يديه وكان
النجومي قد ارسل يطلب عبد الله ود جبارة وابا بكر ولد عامر بن معهما من الانصار
المحاصرين بجهة الشرق فحضروا ايضاً واجتمعوا كلهم حول المهدي في شكل نصف
دائرة وهو في الوسط فقال لهم ان سيد الوجود امرني بمهاجمة الخرطوم في فجر غد
الاثنين فهل انتم مستعدون لاقتحام الخندق وعدم المبالاة بما سيكون قالوا كلهم نعم ثم

قال هل انتم طالبون الجهاد في سبيل الله بنية صادقة وقلوب سليمة قالوا نعم فقال وهل تثبتون فيه ولو مات منكم الثلثان قالوا نعم فرفع يديه اذ ذاك الى السماء فرفع الجميع ايديهم وقرأوا الفاتحة ثم استل سيفه وضرب به الهواء ثلاث مرات وهو يقول الله اكبر ثم قال هيا هيا على الخرطوم . ثم ارسل اوامره الى جماعة الشيخ العبيد في مهاجمة سراي الشرق وجزيرة توتي في الوقت الذي يهاجم النجومي فيه الخرطوم وعاد هو وخلفاؤه الى ابي سعد فوصلها في بقية ليلته المذكورة

استعداد غوردن الاخير وكان غوردن يقضي اكثر اوقاته على سطح السراي ويده النظارة يرقب حركات الدراويش المحاصرين من الشرق والغرب والجنوب كما يرقب مجيء الانكليز لنجدته من الشمال . وفي مساء الاحد ينما كان ينظر الى جهة ابي سعد رأى الدراويش يجتازون منها الى الجزيرة ويجمعون عند شجرة محوبك بالقرب من معسكر النجومي . فعلم ان الدراويش قد اقرؤا على مهاجمة الخندق قريباً فاعلن تلغرافياً الى جميع القومندان على خط النار عول عليه الدراويش وامرهم بالتيقظ واخذ الالهبة لانفسهم والاستعداد للدفاع ثم قال ان الجنود الانكليزية لا بد ان تكون هنا قبل ظهر الغد فاذا ثبتتم الى ذلك الحين نجوتم لا محالة . ثم جمع الموظفين الملكيين واعيان المدينة وكل من له قدر على حمل السلاح وارسلهم الى خط النار لمساعدة العساكر على الدفاع

سقوط الخرطوم الاثنين ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٠٢ هـ ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ م
هذا ما كان من غوردن واما النجومي ومن معه من الجيوش قانهم باتوا تلك الليلة بين مهلل ومكبر ومصل . وقبل طلوع الفجر بساعة زحفوا على الخرطوم وقد انقسموا فرقتين يمين وشمال فقاد النجومي فرقة الشمال وهي الفرقة الكبرى وهاجم قسم اليمين من خط النار جهة البحر الابيض وقاد ابو قرجة فرقة اليمين وهاجم قسم الشمال من خط النار جهة البحر الازرق وقد جعلت كل فرقة منهما رجال الاسلحة النارية في مقدمتها فانتشروا امام خط النار بصفة شرخية وابقوا الطواحين في الطواحين . وقيل الفجر فتحو افواه البنادق والمدافع على خط النار فنفض العساكر اذ ذاك ووجهوا

فبرأهم الى طواحي الدراويش وشرخجيتهم ووالوا عليهم رمي الرصاص والقنابل ولم يكن لهم علم بالمهاجمين من الجناحين فدخل عربان النجومي من الثغرة التي دلهم عليها عمر الفقيه واعملوا السيف والحرية في الاورطة الاولى حتى قتلوا معظمها وفيهم قومندانها يوسف بك عفت والتجأ من بقي الى المركبين في النيل الايض وعبروا النيل الى ام درمان * واما ارادي الباشبوزق العشرة التي تلي هذه الاورطة فان اكثر عساكرها تركوا الخط فدخلوا المدينة أو نجوا الى الصحراء وثبت الباقون فحاربوا الى ان قتلوا وفيهم من السناجق علي آغا وانلي ومتو بك وعبد الهادي آغا ومحمد بك كرسي ومحمد بك قرصية ونصر بك . واما عثمان بن حشمت قومندان الارادي المذكورة فانه كان في جملة من دخلوا المدينة فقتل بعد حين في منزله * ثم اقلب الدراويش على الاورطة الثانية المصرية فنظم ضباطها العساكر ثلاث قلمات وحاربوا الى ان قتلوا . واما قومندانها فرج بك صالح فانه جاهد قدر المستطاع ثم نجا الى الصحراء . ودخل بعض اندال الدراويش على السيد بك امين وهو على فراشه في غرفة قرب اورطته فطعنوه بالحرايب وتركوه يخبط بدمائه وطول اجله لم يميت . واما حسن بك البهنساوي قومندان قسم اليمين كله فانه كان واقفاً بطاية باب الكلاكلة فلما رأى ما حل بالعساكر خلع ثيابه العسكرية وتعدى الخندق الى جهة الصحراء فوقع اسيراً * * . وبعد ان اجهز الدراويش على عساكر قسم اليمين اقبلوا على قسم الشمال وكان في اوله ٣ ارادي باشبوزق كما مر فدخل بعضهم المدينة وثبت البعض الآخر فحاربوا الى ان قتلوا وفيهم من السناجق محمد بك السنجق وبشير بن خشم الموس بك ومحمد علي بن نعمان * ثم زحف الدراويش على الاورطة السودانية الاولى فقتلوا قومندانها علي افندي صقر ومعظم ضباطها * ثم انقضوا على الارادي التسعة الباشبوزق بقيادة سرور بك بهجت فمنهم من حارب وقتل ومنهم من فر * واما فرج باشا الزيني قومندان العساكر العام فانه لما رأى انكسار العساكر خلع ثيابه العسكرية وفتح باب المسامية وخرج منه فاراً الى الصحراء ومعه سرور بك بهجت * وزحف الدراويش على الاورطة الثانية السودانية بقيادة البكباشي

محمد افندي عثمان قُتبت امامهم وحاربهم حتى قتل هو ومعظم الضباط والعساكر
وخرج من سلم من باب المسلمية الى الصحراء

ثم لما فتح باب المسلمية دخل منه كثير من الدراويش المهاجرين وزحفوا على
الباقى من عساكر قسم الشمال في جهة بري وهم الاورطة الثالثة السودانية واورديان
من الباشبوزق ومعهم بنجيت بك بطراكي قومندان قسم الشمال العام وانتشبت القتال
بين الفريقين . وفي اثناء ذلك دخل ابو قرجة بجيوشه من باب بري فهاجموا بنجيت
بك من الورا وحصروه في الوسط وبقي يقاتلهم الى ان قتل رحمة الله عليه وقتل
معه اكثر الضباط والاعيان الملكية وفيهم محمد بك ابراهيم وابو بكر الجركوك وحصنت
بك رئيس التلغرافات ومحمد بك القباني قومندان عموم الطوبجية . واما حسن بك
القباني واحمد بك ابو القاسم فانهما نزلا في صندل مع نفر من العساكر وفروا بالبكاشي
احمد حمية مع بعض الضباط الى جهة الصحراء

هذا وكان الدراويش الذين نكلوا بقسم اليمين من خط النار اي جهة النيل
الابيض قد انقلبوا على البلد فادركوا الكثير من الفارين اليها في الطريق وقتلهم
ودخلوا المدينة فوجدوا الكثير من اهليها قد اقفلوا ابواب منازلهم تخلصاً من القتل
فكسروا الابواب ودخلوا المنازل وقتلوا من وجدوه فيها اشنع قتلة واخذوا اموالهم
وسبوا حريمهم وفي جملة هؤلاء موسى باشا شوقي مدير الخراطوم والمفتي شاكروا ابنه وعثمان
بك حشمت المارذكريم . ذلك مع اشتغال كثير من الدراويش بالنهب والسلب وارتكاب
الفظائع والموبقات فعلا الصراخ والعيول في المدينة وكان هول تلك الساعة عظيماً
﴿ قتل غوردن ﴾ قيل وكان اول من اخترق خط النار ودخل الخراطوم محمد
نوباوي شيخ بني جرار المارذكريم فاخذ فصيلة من عربانه وقصد سراي الخراطوم
طالباً غوردن وكان غوردن قد صعد على سطح السراي من قبل الفجر لمشاهدة
القتال ولم يكن معه في السراي سوى خادمه محمد ادريس وثلاثة من القواصة وعلى
باب السراي ضابط وبعض الخفراء فلما اقبل العرب مهاجرين السراي تلقاهم الخفراء
بالرصاص فقتلوا منهم ٦ رجال ولكن العرب تغلبوا عليهم لكثرتهم فقتلهم عن آخرهم

وصعد جماعة في سلم السراي وفي مقدمتهم محمد نوباي فوجدوا غوردن واقفاً عند رأس السلم بياضه العسكرية والسيوف عن جنبه فقال لهم « اين محمد احمد » فاجابوه بالطعن بالحرب وكان اول من طعنه محمد نوباي وقبل ان فاضت روحه مسكوه برجله وجروه على السلم بقسوة بربرية الى اسفل السراي ثم قطعوا رأسه وحملوه الى المهدي في ابي سعد . وقد شاع ان المهدي اوصى قومه الا يقتلوا غوردن بل يأتوه به حياً ليفتدي به عرابي باشا ولكن هذه الاشاعة لم يذكرها ثقة من محاصري الخرطوم وليس في كتب المهدي ما يصدقها او يشير اليها . حدثني ثقة قال : اني ذهبت مع ابي عنجة الى سراي الخرطوم وتأ بعد قتل غوردن فوجدنا جثة غوردن ملقاة في اسفل السلم عارية بلا رأس وهي مفرجة بالدماء مشخنة بالجراح ثم صعدنا في سلم السراي الى الدور العلوي فوجدنا في الغرفة ثلاثة قتلى ودخلنا غرفة الطعام وهي غرفة مكتبه الخاص فرأينا على المائدة صحناً فيه بيض مقلي وبجانبه عابة لحم صغيرة في وسطها شوكة والى جانبها ملعقة صغيرة وصحن آخر فيه قطعة من السكر ثم دخلنا غرفة النوم فوجدنا البكرة مدلاة على السرير والمرات وصناديق الثياب الجلدية على حالها . قال محدثي اني لا اشك في ان محمد نوباي شيخ بني جرار هو قاتل غوردن وقد قطع رأسه واخذه الى النجومي فارسله النجومي الى الخليفة شريف فاتى به الى المهدي فارسله المهدي الى سلاطين باشا وهو في السجن مقيد بالحديد ليتحقق انه رأس غوردن ثم علقه في المشنقة ثلاثة ايام هذه نهاية تلك الرواية المحزنة التي مثلها ذلك البطل العظيم في حصار الخرطوم فثل فيها الشهامة وانكار النفس وحب الانسانية احسن تمثيل وسبق ذكره في التاريخ موضوع التجارة والاعتبار ما بقيت الخرطوم وذكر حصار

سقوط باقي نقط الحصار . اما طابية المقرن فان قومندانها الصاغ ابراهيم الشيخ لما رأى انتشار الدراويش في المدينة كلها وان لا فائدة في المقاومة رفع العلم الابيض علامة للتسليم ولكن الدراويش لم يبالوا بالعلم الابيض بل دخلوا الطابية وقتلوه هو ومن معه . وفي الوقت الذي هجم فيه النجومي على الخرطوم هاجم رجال الشيخ العيد سراي الشرق ونقطة جزيرة توتي عملاً بأمر المهدي وكان قومندان النقطة

عبد الله بك العبد في سراي الشرق فدافع دفاع الابطال ولكن تكاثر العرب عليه
فقتلوه هو ومعظم رجاله واخذوا النقطين منه عنوة

واستمر القتل في اهل الخرطوم من لدن طلوع الفجر الى قرب الضحى حتى امتلأت
الطرق من جثث القتلى قيل وكان جملة من قتل من اهل الخرطوم نحو ٣٥ الف
نسمة واما الدراويش فلم يقتل منهم الا القليل . وقد أوقف القتل في اهل الخرطوم
بامر المهدي قيل لما اخذوا له رأس غوردن واخبروه بما كان لهم من النصر على
الحامية امر اصحابه فكفوا عن القتل وذلك في الساعة الخامسة حساباً عرياً

﴿ الغنائم والاسرى ﴾ ثم صدر الامر الى الامراء بجمع الاسرى والغنائم في
ديم النجومي خارج الخندق فطافوا المدينة ودخلوا المنازل منزلاً منزلاً فساقوا من
وجدوه فيها من الناس اسرى واخذوا اموالهم غنيمة وكان ابراهيم باشا فوزي المحافظ
في جملة هؤلاء . وقد عذبوا كل من ظنوا به انه اخفى امواله حتى اظهرها . ثم اوقفوا
الخفراء من النساء والرجال في ابواب الخندق الثلاثة ففتشوا الاسرى وهم خارجون
وجردوهم من كل ثمين وتركوهم عراة الرؤوس حفاة الاقدام وجمعوا الكل في مكان
واحد في العراء وجعلوهم قسمين احراراً وارقاء اما الارقاء فقد ارسلوهم مع الغنائم الى
بيت المال واما الاحرار فقد جعلوهم ايضاً قسمين النساء والرجال ففرزوا الابكار
والحسان من النساء وارسلوهن الى المهدي فاختر منهم عشرين وارسل الباقيات الى الخلفاء
فانقضى كل منهم من حسنت لاديه ووزعوا الباقيات على الامراء الاكبر فالأكبر واما غير
الحسان من النساء والعجائز فقد تركوهن وشأنهن . واما الرجال فعند فرزهم وجدوا بينهم
فرج باشا الزيني وسرور بك بهجت وحسن بك البهنساوي فادخلوهم المدينة اولاً امرهم
ان يسلموا اموالهم فسلموها بعد تهديدهم بالضرب ثم عقد المهدي مجلساً مع الخليفة عبد
الله واحمد ود سليمان امين بيت المال في شأنهم فأقروا على قتل فرج باشا الزيني وسرور
بك بهجت ورمي جثتيهما على ترابي السعيد باشا وحسن باشا ابراهيم اللذين قتلا لخيانتهما
في واقعة الحلفاية كما مرّ وانفذ القرار فيهما واما حسن بك البهنساوي فقد اطلق
سبيله ولكنه جرد من نسائه وقد اتخذ المهدي ابنته زوجة له . وترك باقي الاسرى

بلا فون حتى مات بعضهم من الجوع فرفعوا امرهم الى المهدي فأمر الحاج خالد
 العمري الذي سمّي اميراً على الخراطوم فحصر اسماءهم في كشف وسأله الى امين
 بيت المال فاجرى لكل منهم نصف غرش في اليوم وبقي على ذلك مدة يسيرة ثم
 تركهم وشأنهم فاشتد الحال عليهم حتى كان الموظف الكبير او الضابط يضطر ان يخدم
 في السوق او ينقل الماء من النيل ليلقى لقمة او حفنة من الذرة يسد بها رمقه فرفعوا
 شكواهم الى المهدي ثانية فوزعهم على الرايات وجعل لكل منهم ربع ريال في الاسبوع
 هذا ما كان من جهة الاسرى واما الغنائم فقد جمع منها شيء كثير من الاسلحة
 والذخائر والنقود والامثلة ما عدا المراكب والوابورات وكان الباقي في الخراطوم من
 الوابورات اذ ذاك : المنصورة والفاشر والاسماعيلية وشبين والمسامية ومحمد علي
 وعلم المهدي ان بعض اصحابه اخفوا من الغنائم فأصدر اليهم منشوراً شديداً
 للجهة يحذرهم من الغلول في الغنائم وردّ جميع ما اخفوه الى بيت المال وكتب الى
 عماله يخبرهم بفتح الخراطوم وهذا ما كتبه الى محمد زقل عامل دارفور بعد البسملة :
 « وبعد فمن العبد المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله
 وعامله وابن عمه محمد خالد تولاه الله بلطفه وحرسه بعين عنايته آمين منا لكم السلام
 ورحمة الله وبركاته ثم اعرف الحبيب انه بمقتضى وعد الله الوفي ولطفه الخفي قد
 صار قروح مدينة الخراطوم بعون الله الحي القيوم وذلك بيوم الاثنين الموافق
 ٩ ربيع آخر سنة تاريخه بعد انفلاق الصبح بواسطة انصار الدين فقد استعدوا واقتحموا
 الخندق توكلاً على رب العالمين فلم يكن قدر ربع ساعة أو اقل الا وحلّ باعداء الله
 ماحلّ من قطع دابرهم عن آخرهم مع شدة استعدادهم وفي اول الصدمة ولوا
 الادبار منهزمين بين يدي جند الله الانصار ظانين السلامة بدخولهم الخيشان
 واغلاق ابوابها فاتبعوهم ضرباً بالسيوف وطعنًا بالرماح حتى كثر الصياح واشتد الانين
 وجندلهم في الحين ثم استحصلوا على الباقيين الذين اغلقوا الابواب خشية من نزول
 العذاب فأخذوا وقتلوا تقتيلاً ولم تبق لهم بقية الا القليل والموالي والذرية واما عدو الله
 الفردون فعلي قدر ما اندرناه ولاطفناه بان يرجع وينيب الى الله فلم يكن ليفعل ذلك

لسبوق شقاوته وزيادة غباوته حتى بلغ اجله منتهاه وحصد بالندامة ما زرعه من خطاياهم واسكنه الله دار غضبه التي ساءت مستقرًا ومقامًا فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فويل لمن كانت النار جزاه وهينًا لمن كانت الجنة مسكنه ومأواه جعلنا الله واياكم من الفائزين برضائه الاكبر وعظيم خيره المستقر وقد فاز بالشهادة عشرة من اصحابنا في هذا الفتوح ولم يصب الباقين شيء من جراح او نكبة وذلك الفضل من الله وما النصر الا من عند الله وقد سجدنا شكرًا لله على نصره الدين فافعلوا انتم كذلك والسلام ١٢ ربيع آخر سنة ١٣٠٢ هـ ٢٩ يناير ١٨٨٥

الفصل التاسع عشر

عود إلى

تاريخ الحملة الانكليزية سنة ١٨٨٥

السر تشارلس ولسن وكشف حال الخرطوم وارجع الآن الى السر تشارلس ولسن الذي تقدم انه سار بوابوري بوردين وتل حوين من القبة في صبح ٢٤ يناير سنة ١٨٨٥ لكشف حال الخرطوم فانه ما زال سائرًا بلا معارض حتى وصل ود حبشي في رأس شلال السباوكة فلتقاء الفقيه مصطفى الامين بالقنابل والرصاص وكان قد ارسله المهدي نجدة الى النور عنقرة ومقاومة الوابورات ؟ فأقام في ود حبشي وبني فيها طاية فرماه السر تشارلس ولسن ببعض القنابل ومرق منه مروق السهم وذلك عصر ٢٥ يناير ٠ وفي صباح ٢٦ يناير وهي ساعة سقوط الخرطوم ارتطم واور بوردين في صخرة فعلق بها فأفرغ شحنه وأخرج منها ثم لم يسر الا قليلاً حتى غرز في رملة فأخرج منها فكانت عاقته في الحادثين ٢٤ ساعة ٠ وفي عصر ٢٧ يناير وصل شمالي التمانيات فرماه الاعلون بالرصاص وسمع رجلاً ينادي « الخرطوم سقطت والفردون مات » فلم يصدق وسار حتى اتى التمانيات فقطع الحطب وقوداً للوابورين وبات فيها يلبث الى فجر ٢٨ يناير فاستطرد السير جنوباً الى الساعة ١١ من الصباح فاطل على الخرطوم وهو اذ ذاك شمالي الحلفاية في النقطة التي طالما وجه غوردن نظره اليها ليرى

بناشير النجدة وهناك سمع ايضا رجلاً ينادي « الخرطوم سقطت والغردون مات »
 وكان خبر الوابورين قد وصل المهدي فاصدر امره الى امرائه في الشرق والغرب
 والخرطوم بالاستعداد لصدّهما فاقام اهل الشرق خط نار في الحلفاية وآخر في جزيرة
 توتي وتحصن ابو عنجة في طاية ام درمان بالغرب والنجومي في طاية المقرن بالخرطوم
 فلما اقترب السرتشارلس ولسن بالوابورين من الحلفاية حتى ابتدره اهلها بالقنابل والرصاص
 فلم يبال بها وتقدم نحو الخرطوم حتى اقترب من المقرن فانهاالت عليه القنابل
 والرصاص من جزيرة توتي وطاية ام درمان وطاية المقرن فتيقن اذ ذاك ان
 الخرطوم قد سقطت فقفل راجعاً نحو المتمرّة وما نجا من الخطر حتى العصر . قيل وقد
 اشغل الوابوران بال المهدي جداً فما سرّ بالنصر على الخرطوم ولا هدأ له بال حتى
 رأها عائدتين عن الخرطوم . حدثني السيد اسماعيل الازهري قال : « ان المهدي
 عند سماعه بنجر الوابورين ارسل الطلائع لمراقبتهم وموافاته بأخبارهما تبعاً الى ابي
 سعد فلما قربا من الخرطوم صاح الخليفة عبد الله بقومه وسار بهم الى ام درمان فضم
 جميع الاسلحة النارية الى أبي عنجه في طاية ام درمان وارسل الى النجومي واهل
 الشرق بالتيقظ وبذل المجهود في مقاومة الوابورين . اما المهدي فانه صلى الظهر
 جماعة في مسجده بأبي سعد ثم رفع يديه نحو السماء وبكى وقال « اللهم يا قويّ
 يا عزيز انصرنا على الترك واعوانهم الشايقية والانكاز » ثلاث مرات ثم خرج فركب
 جواداً واردف خلفه الشيخ ود ارباب من مشائخ الدين بالخرطوم لانه كان عاجزاً
 مرماً وسار حتى أتى شجرة بين ابي سعد وام درمان فنزل تحتها فسميت بشجرة
 الحضرة قيل لان قد هبطت عليه هناك « حضرة » . وعند نزوله ناوله احمد ود
 سليمان امين بيت المال سيفاً فاستله فوجد مكتوباً عليه بماء الذهب هذه الآية « نصره
 من الله وفتح قريب » فاستبشر بذلك فجمع بعض الحضور احرف الآية بالجميل
 فوجدها ١٣٠٢ وهي السنة التي كانوا فيها فزاد استبشاراً وبقي تحت الشجرة الى ان
 رجع الوابوران فرجع الى ابي سعد فرحاً منشراح الصدر »

هذا ما كان من المهدي وانصاره اما السرتشارلس ولسن فكل قارئ يعلم مقدار

الاسف الذي تولاه وهو راجع الى قومه بخبر سقوط الخرطوم الذي ذهب باناب ينة
الحملة ادراج الرياح واقل ما يتمناه القارىء له الرجوع الى قومه بالامان والراحة ولكنه
ما وصل جبل الرويان عند قدم شلال السبلوكة حتى ارتطم وابور تل حوين في صخرة
ففرق قيل ان ربه اتفق مع عبد الحيد بك احد ضباط الشايقية فغرقاه عمداً وقد
فرّا الى المهدي توتاً بعد غرقه وذلك في عصر ٢٩ يناير وفي المساء اتى رسول بكتاب
من المهدي الى الانكليز والشايقية الذين على الوابورين يخبرهم بسقوط الخرطوم وموت
غوردن ويسألهم التسليم فاجابه خشم الموس بك مخادعاً له « اذا ضمنت لنا السلامة نسلم
للفقيه مصطفى الامين في ود حبشي » * ونقل السر تشارلس ولسن امتعة تل حوين
ورجاله الى وابور بوردين وسار حتى اتى جزيرة مرنات على ٣ اميال جنوبي ودحبشي
فارتطم في صخرة تحت الماء ففرق وذلك في ٣١ يناير فانزل السر تشارلس ولسن رجاله
وامتعه الى البر الشرقي وارسل اللفتنت ستورت ورتلي في قارب الوابور الى القبة
يطلب النجدة فلما مرّ بود حبشي رماه الدراويش بالرصاص والقنابل فلم يصيبوه
بضرر وبقي مجدداً السير حتى وصل القبة الساعة ثلاثة من صباح ١ فبراير فاخبر قومه
بسقوط الخرطوم ونكبة السر تشارلس ولسن

وكان اللورد تشارلس بارسفورد قد تعافى من مرضه فاخذ بعض العساكر في وابور
الصفاية واسرع لنجدة السر تشارلس ولسن فلما قرب من ودحبشي بادره الدراويش
بالقنابل وقد اضطر ان يسير على ٧٠ يرداً من الشاطئ لقلة ماء النيل اذ ذاك فاصابت
قنبلة قزان الوابور فعطلته فرسى به في البر الشرقي على ٥٠٠ يرد من طاية العدو
ليصلحه ومع ذلك فان مدافعه وبناقه لم تكف عن العمل فأبلى بالدراويش وقتل
قائدهم احمد ود فنه * وكان السر تشارلس ولسن قد شحن امتعه في ثقل وجره
بإزاء الشاطئ وسار هو ورجاله في البر مخادياً له حتى وصل الى حيث اللورد تشارلس
بارسفورد فشاركه في محاربة الدراويش الى ان أصلح القزان فنزل هو ورجاله وامتعه
في الوابور وقتلوا كلهم راجعين الى القبة فوصلوها مساء ٤ فبراير
هذا وقد وجه فريق من الانكليز اللوم على السر تشارلس ولسن لما قته في

القبّة وألقوا عليه تبعة سقوط الخرطوم فقالوا لو انهُ اسرع لنجدة الخرطوم حال التقائه الوابورات في التمة اي صباح ٢١ يناير لادرك الخرطوم قبل السقوط ومنع سقوطها . فدافع السر تشارلس ولسن عن نفسه بكتاب خاص نشره بين قومه وانتصر له جماعة منهم فقالوا ان احوال التمة وسلامة جيش القبّة قضت عليه بهذه « العاقبة » وايضاً فان المهدي لم يتأخر عن مهاجمة الخرطوم الا مصابرة لها ليضطرها الى التسليم جوعاً ويكفي نفسه الخسائر ما امكن ولكنه كان يرقب حركات الانكليز والوابورات وهو مصمم على مهاجمة الخرطوم حال علمه بتحرك النجدة اليها وقالوا بل لو وصل الوابوران الخرطوم قبل مهاجمة المهدي لها ما امتنع عن مهاجمتها ولا امكن الحامية حينئذٍ صدّه عنها فسقطها بعد الضعف الذي صارت اليه من قبل وصول الجيش الى القبّة كان امراً تخوماً سواء حضر الوابوران لتجديتها في الحال أو تأخراً . ولكل من الفريقين ادلة كثيرة يؤيد فيها رأيه * على ان المسألة الهامة في هذا البحث هي هذه : أكان تأخر السر تشارلس ولسن في القبّة مما تستلزمه القواعد الحربية أم كان في مكانه السفر الى الخرطوم حال التقائه الوابورات ؟ لانا قد رأينا ان المهدي لم يقرّ على مهاجمة الخرطوم بل اجتمع عنها خوف الفشل حتى فرّ اليه ذلك السنجق الشقي ودلّه على مواطن الضعف فيها وهوّن عليه امر افتتاحها فلو امكن السر تشارلس ولسن نجديتها حين التقائه الوابورات اي صباح ٢١ يناير لوصلها قبل فرار السنجق منها (٢٤ يناير) ومنع مهاجمة المهدي لها . ثم لو وصل الوابوران بالزاد الى الخرطوم لانعشا حاميتها اي انعاش وزاد خوف المهدي من مهاجمتها . حتى لو صحّ انه كان يهاجمها بعد وصولها لاحتمل انه كان يُصدّ عنها . وعليه فالتأخر عن نجدة الخرطوم الى ما بعد ٢٤ يناير موجب للاسف الشديد مهما كانت الاسباب

﴿ تغيير صبغة الحملة ﴾ ولنرجع الآن الى ذكر الوقائع فان قومندان القبّة لما علم بسقوط الخرطوم من اللفتنت ستيرت ورتلي في ١ فبراير كما مرّ ارسل الخبر مع ضابط خاص الى اللورد ولسلي في كورتي فوصل في ٤ فبراير ووقع على اللورد ولسلي كصاعقة فأبلغه في الحال تلغرافياً الى حكومته ببلاد الانكليز وتبودلت بينه وبينها

التلغرافات بشأن السياسة التي يجب اتباعها بعد الآن فأجابته في ٦ فبراير . اما الغرض الذي ترمي اليه الآن فهو سلامة غوردن ان كان لم يزل حياً ومنع تقدم المهدي الى البلاد التي لا تشغلها الثورة . فأجابها بأنه سيدخل جهده في خلاص غوردن ان كان باقياً حياً وسألها التصريح له بالسياسة التي تريد اتخاذها بشأن السودان عموماً . فجاءه الجواب مساء ٧ فبراير « بأن غاية الحكومة الآن سحق المهدي واثماد ثورته وانها تعتمد عليه في جميع التدابير العسكرية التي توصله الى هذه الغاية » فأقرّ اذ ذاك على فتح بربر قبل حلول الصيف وبعث في ٨ فبراير يشكر لحكومته التصريح بسياستها ويسألها ارسال الجند الى سواكن لسحق عثمان دقنه ومدّ سكة حديد منها الى بربر حتى متى جاء الخريف التالي ضمّ قوة سواكن الى قوة بربر وسار بالقوتين لسحق المهدي في ام درمان * وفي ٩ فبراير وصل السر تشارلس ولسن نفسه الى كورتى واخبر اللورد ولسلي بتفاصيل سفرته الى الخرطوم فأبلغها هذا الى حكومته .

✶ عود الى جيش الصحراء ✶ هذا وكان اللورد ولسلي لما بلغه جرح الجنرال ستيورت في واقعة المّمة ارسل الجنرال بلّر رئيس اركان حرب ليقود جيش الصحراء وسمى الجنرال وود سردار الجيش المصري رئيس اركان حرب مكانه فخرج الجنرال بلّر من كورتى في ٢٩ يناير قاصداً القبة * وفي صباح اليوم التالي سار اللورد ولسلي اورطة انكايزية مدداً له . وصدر لي الامر من رئاسة قلم المخابرات بالذهاب الى الجكدول مع شيخ من مشايخ الدين بدقله بقصد مكتبة عربان الصحراء وتثيتهم على الولاء فسرنا مع هذه الاورطة . وفي الطريق بلغنا خبر سقوط الخرطوم المشوم فمكثنا في الجكدول الى ان عاد جيش الصحراء الى كورتى فعدنا معه .

واما الجنرال بلّر فقد علم بسقوط الخرطوم في الجكدول فتأخر فيها بضعة ايام بأمر اللورد ولسلي ثم استطرد السير الى القبة فوصلها في ١١ فبراير . وكان اللورد تشارلس بارسفورد وهو اقدم ضابط في جيش الصحراء قد كتب انذاراً الى اعيان الفيل وسكانه اجمعين بتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٨٨٥ هذا نصه :

« نكتب اليكم هذا الانذار كي لا يفوتكم العلم اننا نحن القسم الاول من

الجيش الانكليزية الزاحفة على الخرطوم لمعاقبة العصاة الاشقياء فاذا اتيتم الينامسلمين خاضعين قبلناكم واهلنا بكم ودفعنا لكم اثمان ما نأخذهُ من مواشيكم ومحصولاتكم لكن اذا رأينا منكم ما دلّ على اصراركم على عدم التسليم عاملناكم معاملة الاعداء وسلبنا جميع مواشيكم واحرقنا منازلكم وسواقيكم وكل ما ملكته ايديكم اما أنتم انفسكم فلاقون ما لاقى الذين تجرأوا على قتالنا في ابي طليح والتمّة . ومن اراد المجيء منكم الى الجنرال الانكليزي للمفاوضة معه بشأن من الشؤون فليأت حاملاً راية بيضاء ماشياً وحده على شاطئ النيل فيدخل بلا معارضة ويحمى من كل خطر والسلام . فلم يجبه احد . وفي مساء ذلك اليوم جاء خبر فتح الخرطوم الى اهل التمة فضربوا تقايرهم وزادوا جرأة على عساكر القبة . واما العساكر فقد شقّ عليهم هذا الخبر وكانوا قد تعبوا لكثرة ما قاسوه من المشاق والحروب ولم يكن عندهم يوم وصول الجنرال بلر اليهم سوى مؤونة ١٢ يوماً وكان الزاد يأتيهم من الجكدول على جمال قد تلف أكثرها وانهمك باقيها التعب والجوع . هذا وكان المهدي بعد ان عاد الوابوران عن الخرطوم قد اصدر امره للنجمي فحشد جيشه في كرري وزحف في ٨ فبراير قاصداً الانكليز في القبة وكان في التمة نحو ٢٠٠٠ من الدراويش ومعهم مدفعان ومن الف الى الف وخمسمائة بندقية . فلهذه الاسباب كلها رأى الجنرال بلر وجوب اخلاء القبة والعودة الى ابي طليح فكتب في ذلك الى اللورد ولسلي ثاني يوم وصوله (١٢ فبراير) وشرع فعلاً في تنفيذ رأيه

وكان اللورد ولسلي لما اتاه تلغراف حكومته في ٧ فبراير مصرحاً له بعزمها على سحق المهدي واقرّ على فتح بربر قد ارسل امراً الى الجنرال بلر في ١٠ فبراير ليفتح التمة عنوةً ويتقدم الى بربر فيتحّد مع جيش النيل على فتحها فوصله الامر في ١٣ فبراير اي بعد شروعه في اخلاء القبة فلم يكف عن اخلائها بل اعاد اللورد ولسلي الاسباب التي حملته على الاخلاء . وفي ذلك اليوم ارسل جميع الجرحى والمرضى وفيهم الجنرال ستيورت الى الجكدول . وفي فجر اليوم التالي ١٤ فبراير لحق بهم بنفسه مع باقي القوة (١٧٠٠ مقاتل) بعد ان عطل الوابورين الباقين ورمى بالمشقات

في النيل وقد ترك بعض الخيام منصوبة والانوار موقدة فيها ليوم اهل القبة انه لم يزل محتلاً القبة . ولكن الدراويش دروا بخروج حملة الجرحى فلحقوها في الطريق فقتلوا منها رجلين وجرحوا ستة ودرروا ايضاً بخروج الجنرال بلر فلحقه بعض فرسانهم فأوه من بعيد وعادوا الى القبة وجد بلر السير حتى وصل آبار ابي طليح صباح ١٥ فبراير فمكث في انتظار الامر . اما الجرحى فوصلوها في ١٤ فبراير فاستراحوا قليلاً ووالوا السير الى الجكدول وكان الجنرال ستورت قد قضى مدة في النزاع بسبب جرحه فمات في الطريق بين ابي طليح والجكدول في ١٧ فبراير فحملوا جثته الى الجكدول ودفنوها هناك وذلك في ١٨ منه وكانت حكومته قد رقت الى رتبة ماجور جنرال فوصلته البشري الى القبة ولكنه لم يتنها بها وكان رحمه الله قائداً حازماً شهماً كريم الخلق فاشتد اسف الجميع عليه

واما الجنرال بلر فلم يلبث ان رأى ان ماء الآبار لا تكفي عساكره فارسل قسماً كبيراً منهم الى الجكدول وذلك في ١٦ فبراير . وفي هذه الاثناء وصل النجومي الى القبة وارسل مقدمة جيشه لمطاردة الجنرال بلر فوصلت الآبار مساء اليوم المذكور فنزلت على اكمة تجاه الآبار وشرعت في اطلاق الرصاص على الجنرال بلر ودامت على ذلك الليل كله . وفي صباح اليوم التالي خرج اليهم بعض العساكر فطردوهم عن الاكمة وكانت خسارة العساكر في اليومين من القتلى ٤ ضباط و ٣ عساكر ومن الجرحى ٢٣ عسكرياً . واما جيش النجومي فلم يصل ابا طليح حتى ظهر ٢٣ يناير فرأى الجنرال بلر ان لا قبل له بمصادمته فلما امسى ردم الآبار وخرج بجميع عساكره الى الجكدول وقد ترك نار المعسكر موقدة ليوم النجومي انه لم يزل باثماً فيه ولحقه بعض فرسان النجومي في اليوم التالي فادركوه الظهر فاطلقوا عليه بنادقهم وعادوا الى حيث اتوا فاستمر السير حتى وصل الجكدول ظهر ٢٦ فبراير بعد عناء شديد

هذا وكان اللورد والسلي لما عزم على فتح بربر قد ولج الجنرال وود اخلاقط الصحراء بعد ذهاب الجنرال بلر من القبة فخرج من كورتى في ١٥ فبراير ومعه اللفتنت ونجت (سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام الآن) اركان حربه

فما وصل الجكدول حتى كان الجنرال بلر قد اخلى القبة كما مرّ فبقيا في الجكدول وساعده على اخلاء ابي طايح * وفي ١٨ فبراير وصل اللورد ولسلي كتاب الجنرال بلر بالاسباب التي حملته على اخلاء القبة فصدقه وافرّ على حشد جيش الصحراء في مروي والحاقي بجيش النيل لفتح بربر ولكنه لم يلبث ان رأى ان هذا الرأي ايضا لا يمكن تنفيذه لقلة الجمال وصعوبة الشلالات في الطريق من جهة ولسوء الحالة التي صار اليها جيش الصحراء من جهة أخرى * فعدل عن فتح بربر في هذا الفصل وافرّ على جمع الجيش كله بين الشلال الثالث والرابع اي بين الحفير وابي دوم الى الخريف التالي فيزحف على بربر والخرطوم بقوة مضاعفة وعزم جديد . وفي ٢٠ فبراير اصدر امره الى جيش النيل بالرجوع الى ابي دوم كما سيحيى والى الجنرال بلر والجنرال وود بالرجوع بجيش الصحراء الى كورتي . فخرج الجنرال بلر من الجكدول في ٢٧ فبراير وبقي الجنرال وود والفتنت ونجت اركان حربه فيها حتى اتما اخلاء النقط كلها على احسن اسلوب ولم يرجعا الى كورتي حتى ١٤ مارس ورجع آخر الجيش في ١٦ مارس سنة ١٨٨٥ * وقد عانى جيش الصحراء مشاق كثيرة من العطش والحر والعري . ومما زاد هذه المشاق عناء قلة الركائب اذ لم يكن للجيش واسطة للنقل الا الجمال التي فني اكثرها كما مرّ حتى كنت ترى جيشها منتشرة في الطريق من القبة الى كورتي وما بقي من الجمال تقرحت ظهورها حتى اضطر العساكر كافة ومعظم الضباط الى المشي وقد بليت احذية العساكر وتقرحت ارجلهم من الحفا .

هذا وقد احضر الجنرال بلر معه من القبة نصحي باشا وخشم الموس بك (الذي رقي بعد ذلك الى رتبة باشا) ورجالهما الذين حضروا بوابورات غوردن الاربعة . وكان معهم في الوابورات بريد من غوردن فيه يوميته من ١٠ سبتمبر اي من يوم سفر الكولونل ستورت من الخرطوم الى ١٤ ديسمبر سنة ١٨٨٤ فطبعت في كتاب خاص . وفيها كتاب الى قومندان الجنود الانكليزية وعدة كتب خصوصية بينها كتاب تاريخ ١٤ ديسمبر الى الماجور وطسن من ضباط الجيش المصري يقول فيه انه يتوقع شراً عظيماً في المدينة بعد عشرة ايام . وايضاً ورقة صغيرة مكتوب عليها ما ترجمته :

«الخرطوم بخير ويمكنها الاقامة على الحصار سنين» غوردن في ٢٩ ديسمبر ١٨٨٤،
 وكان قد وصل رسول من غوردن (بطريق التمهة ؟) الى مروي في ٣٠ ديسمبر
 سنة ١٨٨٤ ومعه ورقة صغيرة بقدر طابع البريد مكتوب على وجه منها ما ترجمته :
 «الخرطوم بخير في ١٤ ديسمبر سنة ١٨٨٤» غوردن، وعلى الوجه الآخر ختم غوردن
 بجيش النيل وواقعة كركبان في ١٠ فبراير سنة ١٨٨٥ تقدم ان الجنرال
 أرل تولى قيادة جيش النيل لفتح بربر فشرع في حشد الجيش في الحامداب في رأس
 الشلال الرابع فخرج اول الجيش من كورتى بالمراكب في ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٤
 ووصل آخره في الحامداب في ٢٣ يناير سنة ١٨٨٥ وعنده من المؤونة ١٠٠ جربة
 لكل عسكري . وفي صباح اليوم التالي زحف الجنرال أرل بالجيش برّاً وبحراً فصار
 المشاة بالمراكب في النيل . وصحبه ٣٠٠ من عساكر دنقله بقيادة البكباشي احمد افندي
 سليمان يرافقهم جودت بك وكيل المدير (على ان يكون مديراً لبلاد المناصير بعد
 فتحها) والكولونل كولفل ضابط الخبايا فصاروا عن يمين النيل لحماية يسار المراكب
 وسار هو وباقي جيشه من الفرسان والطوبجية عن يسار النيل لحماية يمين المراكب
 هذا وكان محمد الخير لما علم بجيش النيل أمر موسى أبا حمل كبير الرباطاب وسليمان ود قمر
 كبير المناصير فجمعوا نحو ١٠٠٠ مقاتل من اهلها ونزلا في حلة برتي على الحد بين مديرتي
 دنقله وبربر . ثم بعد رجوع ابن اخيه عبد الماجد اللكيلك من أبي طليح ارسله الى
 برتي بنحو ٢٠٠ مقاتل من اهل بربر ؟ على ان يكون رئيساً عاماً على الجيش كله .
 وكان الجنرال أرل عالماً بنزول الدراويش في برتي فسار بجيشه حتى وصل غمرة على
 ٧ اميال منهم . ولما رأى الدراويش ان لا قبل لهم بمقاومة الجيش في برتي تقهقروا
 الى جبل كركبان وذلك في ٣٠ يناير فتقدم الجنرال أرل واحتلها في ١ فبراير ببعض
 العساكر ومكث في انتظار باقي الجيش . قيل وهنا وقع الخلاف بين امراء الدراويش
 فأراد عبد الماجد ان يتقهقروا امام الجيش رويداً فيضيقوا عليه في الطريق
 ويناوشوه القتال الى ان يصلوا بربر فينضموا الى اخوانهم فيها ويحاربوه هناك فأبى
 موسى ابو حمل وسليمان ود قمر هذا الرأي لان فيه خراب بلادها واصراً على الثبات

في كربكان فتركهما عبد الماجد اذ ذاك وعمل برأيه* وفي ٥ فبراير وصل الجنرال أرل
تلفراف من اللورد ولسلي يخبره بسقوط الخرطوم ويأمره بالبقاء حيث هو منتظراً
الأمر. وفي ٨ فبراير وصله كتاب بتاريخ ٧ منه باستطراد السير واتباع الخطة التي
رسمها له قبلاً حتى متى وصل قرب بربر يوافيه جيش الصحراء اليها فيتخذان معاً على
فجها فأمر اذ ذاك عساكر دقله فعبروا النيل الى برتي فتركهم فيها وسار بالجيش براً
وبحراً تتقدمه الكشافة حتى قرب من جبل كربكان فعاد الكشافة وقالوا ان الدراويش
قد نزلوا في الجبل المذكور وقطعوا طريق الجيش. اما جبل كربكان فجبل حصين
على النيل يعلو ٣٠٠ قدم عن سطح الارض ويمتد مسافة ٦٠٠ يرد الى جهة الصحراء
وبينه وبين النيل مضيق لا يزيد عن ٢٠٠ يرد وفي فم المضيق اربع اكام صخرية
متجاورة في صف واحد تختلف في الارتفاع بين ٥٠ و ٨٠ قدماً اولها على الضفة النيل
وطريق المارة بينها وبين الاكمة الثانية. فلما عاد الكشافة بنحبر الدراويش اقام الجنرال
أرل زريبة متينة على جيشه وذهب بنفسه لاستطلاع مركز الدراويش فوجدهم قد
احتلوا الاكمتين المتوسطتين من الاكام الاربع والطرف الغربي من الجبل واقاموا
امامهم متاريس من الحجارة تقيهم شر الرصاص فتحتم على الجنرال أرل محاربتهم ليفتح
طريقاً للجيش. وكانت قوة جيشه اذ ذاك ١٠٤٢ من العساكر الانكليزية و٥٦ ضابطاً
انكليزياً وبطارية بمدفعين من الطوبجية المصرية وبلوك من المهجانة المصرية ومعهم
الدكتور خليل افندي خير الله من الاطباء السوريين في الجيش المصري

فلما كان صباح ١٠ فبراير استعد للهجوم فترك بلوكاً من العساكر في الزريبة
لحماية المراكب وامتعة الجيش وجعل بلوكين من العساكر الانكليزية والطوبجية
المصرية بين الزريبة والاكام الاربع وعلى مرمى القنبلة من الاكام وأمر المهجانة
المصرية فوقفوا على مرمى الرصاص من الدراويش الذين على جبل كربكان لمنعهم
من الفرار وجعل ٣ بلوكات من العساكر في جزيرة كربكان تجاه الاكام وسار هو
بساقي القوة فدار في الصحراء حول جبل كربكان حتى اتاه من الورا ف أرسل
فرقة من جيشه لمهاجمة الدراويش الذين في اعلاه وتقدم هو بمن بقي لمهاجمة الدراويش

الذين على الاكام وهكذا احاط بال دراويز الذين على الجبل والاكام من الجهات الاربع وحصرهم في الوسط ثم امر العساكر ففتحوا افواه البنادق والمدافع من كل الجهات ففتكوا بال دراويز فتكاً ذريعاً واخذ المهاجمون للاكام يتقدمون رويداً رويداً مقتحمين رصاص الدراويز بقلوب لا تهاب الموت حتى اختلطوا بهم وقتلهم بالسج ورمى بعض الدراويز بأنفسهم في النيل تخلصاً من القتل فتصيد العساكر اكثرهم بالرصاص وتنقّت الاكام منهم فوق الجنرال ازل في ساحة بين الاكمتين المتوسطتين . وأمر عساكره بالانتظام صفوفًا فيها وهو على ١٠ امتار من الكوخ صغير قد التجأ اليه بعض الدراويز وهو لا يدري فنادى به صف ضابط وقال « في هذا الكوخ قف من الدراويز وقد رموا واحداً منا الآن بالرصاص » فأمر باحراق الكوخ وتقدم هو بنفسه نحوه وكان الجنرال بركنبري بجانبه فصاح به « الحذر يا سيدي فان الكوخ ملآن من العدو » وما اتم كلامه حتى خرج من الكوخ رصاصة فأصابت الجنرال ازل في رأسه فقضت عليه في الحال وكان رحمه الله قائداً مدبراً شجاعاً فعم الاسف عليه وتولى الجنرال بركنبري قيادة العساكر مكانه وكان الدراويز الذين على جبل كركبان لا يزالون يقاتلون فأرسل الجنرال بركنبري مدداً لمقاتليهم فافتحموا الدراويز في الجبل ونكلوا فيهم وفرّ من سلم منهم الى جهة السلامة فطاردهم الفرسان الى مسافة بعيدة . وقد دامت الواقعة اربع ساعات ونصف ساعة وقتل فيها من الدراويز نحو ٨٠٠ رجل وفيهم الامير موسى ولد حجل . واما خسارة الانكليز فكانت ٣ ضباط و ٧ عساكر قتلى و ٤ ضباط و ٤٣ عسكرياً جرحى .

ومن اشتهر في هذه الواقعة من الضباط الانكليز العظام بالبسالة والاقدام الكولونل جرين قومندان العساكر الاسكوتلندية والكولونل بتلر . اما الكولونل جرين فقد بلغني انه لما رأى تحصن الدراويز على الالكمة التي جعل في صدها ورأى ان لا حيلة له في قهرهم الا بالمخاطرة والهجوم استل سيفه ونادى بجنده « اتبعوني يا رجالي اتبعوني » ثم اعمل بشاكلة جواده المهاز واقحم النيران ورجاله تتبعه كالاسود حتى وصل اعلى الالكمة وقتل الدراويز عن آخرهم . وقد كوفئ على ذلك

بعد الحملة بترقيته الى رتبة ماجور جنرال وجعل قومندان العساكر الانكليزية في اسوان فمكث هناك سنتين * وقد كان من حظي الخدمة في مركز قومندانيتها كل هذه المدة * وكان معه اركان حرب الماجور ككوتش (الجنرال ككوتش الآن صاحب حصار كمبرلي في حرب الترنسفال الحديثة) الذي اشتهر ايضاً في جيش النيل بالدربة والاقدام كما اشتهر بين اقرانه بالذكاء والنبل وشرف الخصال

وقد غنم الانكليز أمتعة الدراويش واوراقهم فوجدوا بينها كتاباً من محمد الخير الى عبد الماجد الكليك بتاريخ ١٣ ربيع الثاني ١٣٠٢ هـ ٣٠ يناير ١٨٨٥ م وفيه ان قد وصله كتاب من الخليفة عبد الله يوم تاريخه يخبره بسقوط الخرطوم وقتل غوردن وكتب الجنرال بر كنبري خبر الواقعة الى اللورد ولسلي فكتب اليه بتاريخ ١٢ فبراير يأمره بالتقدم الى بربر ويسأله متى يصلها ليخبر قومندان القبة حتى يوافيه اليها فلجاب الجنرال برا كنبري انه لا يستطيع تعيين الوقت بالدقة لان امامه شلالات لا يعرفها وعدواً لا يعلم حركاته وفي ظنه انه لا يصلها قبل ١٣ مارس

وفي ١٣ فبراير استطرد السير برراً وبجراً حتى وصل السلامة في ١٧ منه فأحرق منزل سليمان ود قمر الذي غدر بالكولونل ستيورت واحرق منازل اهله وسواقيهم ونخيلهم * ثم تقدم بالجيش حتى وصل تجاه هبة في صباح ٢٠ فبراير فرأى النيل عندها سهل العبور فعبره لان ابا حمد وبربر المراد احتلالهما عن يمينه وكان معه ٨٧٠ من الجمال والخيول وستة مدافع فعبر بهم وذلك في ١٣ ١/٢ ساعة ثم ذهب الى قرية هبة والجزيرة التي غرق عندها وابور عباس وقش لعله يجد شيئاً من آثار الكولونل ستيورت فما وجد الا بعض اوراق الزيارة باسمه واقصة ملطخة بالدم فأحرق القرية كلها وفيها بيت الفقيه عثمان المتقدم ذكره * وفي ٢٢ فبراير استطرد السير بالجيش برراً وبجراً حتى أتى عصر اليوم التالي حلة الخلّة بين الرباطاب والمناصير على نحو ٣٠ ميلاً من أبي حمد و ١٥ ميلاً من هبة

وفي صباح ٢٤ فبراير أتاه رسول بتلغراف من اللورد ولسلي بتاريخ ٢٠ منه يقول فيه : « اني عدلت عن فتح بربر الى الخريف الآتي فقف عن السير الى أبي

حمد ولكن أحرق ودمر البلاد التي اشترك أهلها في قتل الكولونل ستيورت وعد العساكر بالجيش الى مروي الا اذا كان امامك عدو فاقهره قبل عودتك واذا لم يصلك هذا فارجع الخ
التغراف قبل وصولك الى ابي حمد أو وصلك وكنت قريباً منها بحيث لا يفتني عليك الخ
الا احتلالها فاحتلها وارسل للحملة في كورسكو لتوافيك اليها . فاقاب الجنرال شارل
بركنبري راجعاً بالجيش ظهر ٢٤ منه وفي اليوم التالي مرت بهبة فأتى خراب حيوتها
وسواقها وعاد الى مروي فعبر النيل الى ابي دوم صنم . ثم تقدم بمعظم القوة المسكورتى
فوصلها في ٨ مارس سنة ١٨٨٥ وقد قاست عساكره في الشلالات وسفر / لبر من
العناء ما لا يوصف وفقد ستة مراكب و ٣ رجال

﴿ معسكر الصيف في دقله ﴾ ولما تم رجوع العساكر من ساحة الحرب اقرهم
اللورد ولسلي على يسار النيل بين الشلال الثالث والرابع في الحفير ودقله والحدق
وابي قس والكرد والدبة والحتاني وامبقول وكورتى وابي دوم . وقد حصل هذه
النقط بعضها ببعض وصلاً متيناً بحيث لو هاجم العدو نقطة منها امكن سائر النقاط
الاسراع الى نجدها . وبنى للعساكر منازل من الطوب الني وسقفها بالصش والجريد
على اسلوب صحي يخفف وطأة الحر وجلب لهم عنكريات ينامون عليها العالبا يتسلون
بها . واوصى معامل بلاده فصنعوا له ٣٠٠ قارب و ١١ وابوراً محمول الواحد منها
من ٣٠ : ٥٠ طنناً استعداداً للحملة المنوية

﴿ رجوع الحملة الانكليزية النيلية ﴾ وبعد ان اقر العساكر في اماكنهم رجع الى
القاهرة فوصلها في ١١ ابريل * وقد رجعت معه اليها * ورجع معه زهير اب باشا (وكيل
نظارة الحرية الآن) الذي صحبه من مصر اركان حرب فاجبه وامتدح كفاءته
فمنحته الحكومة الانكليزية نيشان القديسين جورج ومينائيل مع لقب سر
واراد اللورد ولسلي ان يجعل القاهرة مركزاً له لمدة الصيف لانها متوسطة بين دقله
وسواكن ولكن اتاه تغراف من وكيل نظارة الحرية بلندن في ١٣ ابريل بما مؤداه :
« ان علاقاتنا الخارجية (يشير الى علاقاتهم مع روسيا على حدود افغان) ربما
اضطرتنا الى العدول عن استرجاع الخرطوم في الخريف التالي وطلب اليه اتخاذ

افضل الطرق لارجاع العساكر الى مصر . وفي ٢١ ابريل اقرّ مجلس النواب رسمياً على الدول عن استرجاع الخرطوم وكان ذلك ضد رأي اللورد ولسلي فحذر حكومته من نتائج هذا القرار وقال اذا رحلنا عن دقله اليوم احتلها المهدي في الغد وتقدم طالباً مصر فنضطر الى حشد جيش عظيم على الحدود فلم يُسمع له . وفي اواخر ابريل ذهب الى سواكن فكشف حالها وعاد الى مصر . وفي ١١ مايو اصدر امره الى العساكر بالخروج من دقله وكان في النقط الحربية اذ ذاك ٦٨٢٥ من العساكر الانكليزية بينهم ٤٢١ عسكرياً في الاسبيتالية . وكان الجنرال وود قد عاد الى القاهرة مريضاً فتولّى الجنرال دورمر قومندان العساكر في دقله امر ترحيلهم . وكان في دقله ايضاً ٥٠٧ من العساكر النظامية المصرية و ٦٧٣ من الباشبوزق و ٥٠ موظفاً ملكياً و ٩٤٠٠ من الاغراب والوطنيين الذين احبوا المهجرة مع الجيش فوج امر ترحيلهم باللاجور ترنز من ضباط المخابرات الكرام . فما اخلت العساكر الانكليزية النقط الجنوبية الى دقله حتى سقطت وزارة غلادستون رئيس حزب الاحرار وتولّى الوزارة اللورد سلسبري رئيس حزب المحافظين فأتم اللورد ولسلي ان الوزارة الجديدة تعود الى رأي الزحف على المهدي فأرسل تلغرافاً الى دقله بالتوقف عن الرحيل ولكن الوزارة الجديدة بعد اعادة النظر في الامر ايدت قرار الوزارة القديمة وارسلت بذلك تلغرافاً الى اللورد ولسلي في ١ يونيو ودعته الى لندن للنظر معه في حماية الحدود المصرية فأرسل امره الى الجنرال بركنبيري الذي كان قائد الجنود في دقله اذ ذك باستطراد الرحيل فقام آخر الجند من دقله شمالاً في ١٥ يونيو سنة ١٨٨٥ فوصلوا كوشه في ٢١ منه . وسلم الجنرال بركنبيري قيادة العساكر الى الجنرال غرنفل الذي سمي قومنداناً على جيش الحدود بلقب ماجور جنرال محلي وبذلك انحلت الحملة النيلية الانكليزية اما الجيش المصري فقد تقدم انه جعل في خط الاتصال بين الشلال الاول والثالث في اصوان وكورسكو وحلفا وجماي وسرس وسمنه وامبقول وتنجور وعكه وعكاشه ودال ومغركة وكوشة وعبري وابي صاري ودلقو وخيبر وابي فاطمة . فساعد على ترحيل الجيش الانكليزي والذخائر والمؤن وخدم في الشلالات خصوصاً احسن

خدمة حتى ان المراكب لما وصلت شلال دال منعها التيار من المرور فحملتها العساكر في ايدى
المصرية من رأس الشلال الى قدمه مسافة ٣ اميال في البر * ولم يتعد شلال حنك * لان في
منهم الا نفر قليل فرافق بعضهم جيش الصحراء وهم : الملازم اول السيد افندي **ماجد** (ميرالاي الآن)
ومعه ١٨ نفر من الطوبجية فرافقوا جيش الصحراء وحضروا واقعة **بيرة** ولا
ابي طليح * والملازم ثاني مرسي افندي فهمي (بكباشي الآن) والملازم ثاني **ابراهيم**
افندي صادق (بكباشي الآن) ومعهم ٤٠ عسكرياً من المشاة فخدموا مع حملة **ابني**
الجمال * ورافق بعضهم جيش النيل وهم : اليوزباشي حسن افندي رضوان (لاري الآن)
باشا الآن) والملازم ثاني محمد افندي محمود (ميرالاي الآن) والملازم **اول احمد**
افندي حافظ (قائمقام الآن) واليوزباشي محمد افندي حامد ومعهم **بطارية** من
الطوبجية فيها ١٥٠ رجلاً و ٦ مدافع * وبلوك هجانة فيه ١٠٠ رجل و ٤ ضباط
و ١٨ رجلاً من الفرسان * وبقي بعضهم مع اللورد ولسلي في كورتي وهم : **اليوزباشي**
اسماعيل افندي همت (بكباشي الآن) وقسم من الفرسان والملازم ثاني موسى افندي
حموده (صاغ الآن) وبعض المشاة * فعاد الكل مع الانكليز الى الحدود المصرية
ومن رافق هذه الحملة من الموظفين السوريين فامتازوا فيها بحسن الخدمة ولا
يزالون في خدمة الجيش الى الآن : ملحم بك شكور سكرتير الجنرال غر نفل والآن
سكرتير عربي السردار * وسليمان افندي ناصيف سكرتير قومندان عموم السواري
والآن سليمان بك رئيس قلم في رئاسة الجيش المصري * وشاهين اخندي جرجس
مترجم مدير المهمات والآن شاهين بك سكرتير عربي السردار * والدكتور سليم
موصلي والآن الميرالاي موصلي بك من كبار اطباء الجيش * وشاكر افندي الخوري
مترجم صراف الحملة العام والآن شاكر بك مترجم جيش الاحتلال العام * ومنهم
المستر ادوارد فنديك نجل الدكتور فنديك الشهير سكرتير قلم المحابرات * والاستاذ
جبر ضومط * ونجيب افندي ابكار يوس وكثيرون غيرهم ممن تركوا خدمة الجيش
ومن الموظفين المصريين الملكيين الذين امتازوا في هذه الحملة ولا يزالون في خدمة
الجيش المصري الى الآن : نخله افندي تادرس مترجم تشييلات **الجيش الانكليزي**

والآن وكيل قلم في ادارة سكرتير مالي السودان • وابراهيم افندي زيدان مترجم
قومندانية حلفا والآف في رئاسة الجيش بمصر • وعبد الباقي افندي صالح كاتب
بالزلات والآن في ادارة سكرتير مالي الحرية • وغبريال افندي جرجس كاتب
وصراف السردارية والآن في قومندانية حلفا • ويعقوب افندي صبري كاتب
الاورطة التاسعة السودانية والآن في ادارة التعيينات • ومحمد افندي محمد كاتب عموم
السواري والآن في ادارة سكرتير مالي الحربية • وحبيب افندي بطرس مترجم
تشيلات الجيش الانكليزي والآن في ادارة الطوبجية بالقلعة • وبشاره افندي حنا
مترجم في بوسطة الجيش والآن في ادارة المهمات بالقلعة • وروفايل افندي جرجس
كاتب العربان المتحابة بكورسكور والآن كاتب وصراف قومندانية اصوان • وعبد الله
افندي ميخائيل مترجم السواري الانكليزي والآن مترجم في قومندانية شندي •
والسيد افندي حسين كاتب في السردارية والآن كاتب في القرعة العسكرية
ومنهم احمد افندي حلمي مترجم رئاسة الواورات والآن في شركة التلغرافات
الشرقية الانكليزية بالسويس • ومحمد افندي شيخون باشكاتب الاورطة الرابعة •
ومكارم افندي ضيف باشكاتب الاورطة السادسة وكلاهما الان من ارباب المعاشات
وكثيرون غيرهم ممن تركوا خدمة الجيش أو توفاهم الله

وبعد انحلال الحملة النيلية استقال السرافلن وود فسمي الجنرال غرنفل سرداراً
لجيش المصري مكانه وسمي الجنرال بتلر قائداً للعساكر الانكليزية على الحدود فجعل
كوشه آخر الحدود المصرية وبنى فيها طاية وبنى طاية في مغرقة وأخرى في عكاشه
واستمر العمل في سكة حديد عكاشة الى ان تمت في ٧ اوغسطس سنة ١٨٨٥
(اقارب المهدي بدقله) وكان قلم المخابرات بعد ان استقر العساكر في منازل
الصف قد التفت الى اقارب المهدي بدقله فقبض على جماعة منهم وهم محمد عبد
القادر وشريف ساتي علي ومحمد ابراهيم واحمد النجيب وحاج شريف محمد نور
وحاج شريف محمود وعبد القادر عبد الكريم وسألهم ان يكتبوا الى المهدي كتاباً
بسالوة اطلاق الاوربيين وغيرهم من رجال الحكومة الذين في اسره فدية لهم

فكتبوا اليه بذلك . فكتب المهدي الى الجيش كتاباً هذا نصه بعد البسملة :
 « وبعد فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى وكيل اللورد ولزلي
 وكافة عساكره . اعلموا ان الله تعالى قادر قاهر لا يخفاه شيء في الارض ولا في
 السماء واذا اراد شيئاً قال له كن فيكون وهو مالك الملك ذو الجلال والاكرام ولا
 اظهرني لتأييد دين الاسلام أيدي بملائكته وجنوده واوليائه وبقذف الرعب في
 قلوب اعدائي ووعدني بالنصر عليهم وبذلك جميع الارض ولا يثبت لقتالي انس
 ولا جن وقد كنت قبل ذلك رجلاً ضعيفاً فأيدني الله من عنده واظهر أمري وأهلك
 من كذبني من اعداء الله الترك وغيرهم ولا يخفى عليكم ما حصل على جرداتهم التي
 اعدوها بالاسلحة والجباخين ووجهوها لقتالي من القتل والاسر والاحراق بالنار لمن
 قتل بسيفي وقد رأيتم امتلاك لحصونهم في السودان وتحققتم ما صار اليه أمري من
 القوة بالله والمنعة ولا زال يزداد الى ان يتكامل لي ملك جميع الارض باذن الله
 تعالى . وحيث فهمتم ذلك فأنيبوا الى الله يا عباد الله واجيبوا داعيه فاني ادعوكم الى
 الايمان بالله ورسوله والتسليم بامر المهدي اسلموا تسلموا يؤتكم الله اجرکم مرتين
 ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً
 ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فانكم ان اسلمتم وأنبتم الى ربكم تكونوا
 من اخواننا في الله لكم ما لنا وعليكم ما علينا ونحفظ دماءكم واموالكم وعروضكم وتناولوا
 من الله يوم القيامة الذي لا ريب فيه كل خير تؤملونه فان هذه الدنيا لا بد من
 زوالها وانما الدار آخرة فلهوا اليها فانها دار القرار ومسكن الاخيار . وان ضربتم عن
 نصحن هذا صفحاً وبقيتهم على اختيار كفركم فاعلموا انه يحل بكم من النكال والوبال
 ما حل بمن قبلكم كهكس وغوردن ولن تغن عنكم عددكم من الله شيئاً وستعلون
 غداً من الكذاب هذا . وليكن بعلامكم انه قد ورد لنا خطاب من الجماعة الذين
 أسرتهم في شأن القسيسين والافرنج والاقباط يلتمسون فيه ارسالهم اليكم لكي تفرجوا
 عنهم وما ذلك الا من باب حيلكم ومخادعاتكم التي لا تجدي نفعاً . وحيث ان هؤلاء
 الجماعة الذين هنا قد أنابوا الى الله ودخلوا في دين الاسلام فقد صاروا اكرام الى الله

وأعز عندنا من الجماعة الذين معكم وأسرتهم ولا نرضى لهم الرجوع ليد الكفر بعد دين الاسلام كما أنهم لا يرضون ذلك ولا يمكن ارسالهم اليكم ولو قطعتم الذين بطرفكم أرباباً أرباباً وجميع ما أجر يتموه عليهم فهو أقل من جزائهم وأتم وهم اسوة عندنا ولا فرق فيما بينكم ولا بد من وقوعكم الجميع في قبضتنا باذن الله وتذوقوا السوء بما مددتم عن سبيل الله ان لم تنبوا اليه وهذا انذاري اليكم والسلام على من اتبع الهدى «
 قيل وقد جمع انصاره في الجامع فقرأ لهم الكتاب والجواب عليه وسألهم ان كان الجواب مناسباً فصاحوا كلهم باستحسانه فطواه وارسله * وارسل معه كتاباً آخر الى اقاربه يقول لهم فيه « كنا سابقاً كاتبناكم بالهجرة الينا فما هاجرتم ورجعتم في مناولة الجيف ومن اراد ان يأخذ من الجيف فليصبر على عض الكلاب وسيجعل الله كيدهم في نحرهم وسيكونون قريباً في قبضتنا »

وكان الانكليز قد اخذوا اقارب المهدي معهم الى حلفا ؟ فلما وقفوا على ما قال لهم المهدي اطلقوا اقاربه واكرمهم واعطوهم رواحل وازواذاً وكسوة وارجعهم الى بلادهم .
 فاتوا الى المهدي في أم درمان واعتذروا لعدم مجيئهم اليه من قبل بسبب الجيش فقبلهم
 « حكومة دقلة الجديدة » هذا وقبل ان اخلت الحكومة دقلة رأت ان تنظم فيها حكومة وطنية موقته لكي لا تتركها فوضى للاحكام لها فاختارت لها حكاماً من سلالة ملوكها الذين حكموها قبل الفتح المصري فجعلت محمداً ولد كنيش الشايقي من البلل حاكماً على مروي . وسعيد محمد فرح من بقايا الفونج حاكماً على الدبة . والملك طنبللاً حاكماً على ارقو ودقلة . والشيخ محبوباً كبير المرغنية في بلاد سكوت حاكماً على سكوت والمحس * ولكن ما برح الانكليز دقلة حتى احتلها الدراويش غنيمة باردة كما سيجي وبادت الحكومة الجديدة من نفسها . اما محمد ولد كنيش فانه حال خروج الانكليز من بلاده ذهب الى ام درمان فبايع المهدي وعاد مع الجيش الذي اتى لاختلال دقلة وحارب معهم في واقعة جنس كما سيجي . وانضم اليهم ايضاً سعيد محمد فرح حاكم الدبة . واما الملك طنبل فانه ما وصل الدراويش دقلة حتى فرّ بعائلته ولجأ بالجيش فأنزله في الشلال . واما الشيخ محبوب فانه بقي في بلدته كويكة الى ان

اتى الدراويش فقبضوا عليه وارسلوه الى الخليفة في ام درمان فاساء معاملته فمات قهرًا. وقد أسروا ابنه الشيخ ادريس معه فبقي الى ان ارسله الخليفة في حملة النجومي ففر منها واعلم الحكومة بحاله بعد واقعة طوشكى فارسلت اليه جمالا فنجبا بعائلة ابيه واهله الى حلفاءه وبقي فيها خادما للجيش الى ان عادت الحكومة الى السودان فعاد الى بلاده

الفصل العشرون

عودي الى

✽ عثمان دقنه والثورة في سواكن سنة ١٨٨٥ ✽

✽ حملة جراهم الثانية الى سواكن سنة ١٨٨٥ ✽

تقدم ان اللورد ولسلي لما اقر على فتح بربر بعد سقوط الخرطوم سأل حكومته ارسال قوة انكليزية الى سواكن لسيح عثمان دقنه ومد سكة حديدية في طريق سواكن الى بربر فأجابه الحكومة الى طلبه . وفي ١٧ فبراير سنة ١٨٨٥ عقدت اتفاقا مع احدى شركاتها لمدة سكة الحديد المطلوبة وفي ٢٠ منه نذبت الجنرال جراهم قائد الحملة الانكليزية الاولى الى سواكن ليقود حملة ثانية اليها فوصلها في ١٤ مارس سنة ١٨٨٥ وكان في سواكن اذ ذاك من الجنود ١٠٩ خطاط و ٢٥٢٦ عسكريا و ١٨٧ جوادا و ٢٨ بغلا و ٣٣٩ جملا و ٦٣ تابعا فأخذت الحكومة الانكليزية تمشد اليها الجنود من مصر والهند واستراليا وبلاد الانكايز حتى اجتمع فيها تحت قيادة الجنرال جراهم ١٣٠٠٠ مقاتل من فرسان ومشاة وطوبجية ومعهم كلما يلزمهم من الجمال والدواب والمؤن والذخائر

وجاء مع الجيش جماعة من العارفين بركوب البالون ومعهم بالون ولكن الرياح العالية المتغلبة في تلك الجهات منعت استعماله . وكان عثمان دقنه لما بلغه خبر قدوم الجنرال جراهم الى سواكن بعث اليه بكتاب يتهدده فكتب اليه الجنرال جراهم ينصحه بالتسليم ويحذره من التمادي في الطغيان فلم يجبه

(واقعة تل هشيم في ٢٠ مارس سنة ١٨٨٥) وكان عثمان دقنه اذ ذاك معسكراً في
 تماي وسعة نحو ٥٠٠٠ مقاتل وله جيش آخر فيه نحو ٣٠٠٠ مقاتل في تل هشيم على ٧
 اميال من سواكن وجيش صغير في طوكر فأقرب الجنرال جراهم على سحق قوة هشيم قبل
 التقدم على تماي ٠ ففي صباح ١٩ مارس خرج ببعض الفرسان والمشاة فاستكشف
 التل وعاد الى المعسكر ٠ وفي اليوم التالي ٢٠ مارس تقدم الى هشيم بالقوة الآتية
 من الفرسان والمشاة الهندية والانكليزية وهي : ٣٠٦ ضباط و ٧٨٨٦ عسكرياً و ٣١٧
 ناباً و ١١٩٢ حصاناً و ٢١٠ بغال و ٧٣٥ جملاً و ١٠ مدافع فوصل تل هشيم الساعة
 ٩ ١/٢ صباحاً واحاط بال دراويش من كل جانب واشعل فيهم النار فثبتوا له ودامت
 الحرب نحو خمس ساعات ثم انهزم العرب الى عثمان دقنه بعد خسارة جسيمة
 واحتل جراهم التل فجعل فيه نقطة عسكرية ورجع الى سواكن وكانت خسارته في
 ذلك اليوم من القتلى ضابط و ٨ عساكر ومن الجرحى ٣ ضباط و ٣٦ عسكرياً
 (واقعة توفرك في ٢٢ مارس سنة ١٨٨٥) ثم اخذ يتبهاً للزحف على عثمان دقنه
 في تماي فرأى ان يؤسس نقطة اتصالية في الطريق بين سواكن وتماي يجعلها مخزناً
 للزاد والماء اللازم للحملة ٠ فلما كان ٢٢ مارس اخرج سرية من جيشه ببعض المدافع
 بقيادة الكولونل مكنيل وأمره بان يسير في طريق تماي حتى يكون على ثمانية اميال
 من سواكن فيبني ثلاث زرائب واحدة تسع ٢٠٠٠ جمل وواحدة عن يمينها واخرى
 عن يسارها تسع كل منهما أورطة من العساكر وبعد اتمام الزرائب يجعل فيها المدافع
 وفسماً من العساكر ثم يرجع بالقسم الآخر فيبني زريبة في وسط الطريق بين تلك
 الزرائب وسواكن فيجعل فيها أورطة ويرسل الباقي الى سواكن

وكان عثمان دقنه عالماً باستعداد الانكليز لمهاجمته فلما رأى سرية الكولونل مكنيل
 ظن ان الجيش كله زاحف عليه فدق طبل الحرب وخرج لملاقاته بجميع انصاره ٠ فما
 سار الكولونل مكنيل خمسة اميال عن سواكن حتى رأى ان تقدمه الى الميل الثامن
 فيه خطر وان جهد ما تسمح له الاحتياطات العسكرية التقدم الى الميل السادس وكان
 يخطط للتغراف من سواكن ليبقى متصلاً بها فارسل تلغرافاً الى الجنرال جراهم يعلمه

بالحالة ويبين له رأيه فصدقه فسار الى الميل السادس ونزل في خور يعرف باسم « توفرك » و باشر بناء الزرائب ولكن قبل ان يتمها جاءت الطلائع وأخبرته بقرب الدراويش فأمر بترك العمل في الحال والاستعداد للدفاع وما انتظم العساكر في اماكنهم حتى كان الدراويش قد صاروا على مرمى الرصاص ففتحوا عليهم افواه البنادق والمدافع فلم يبالوا بها بل هاجموا مستقنين حتى اختلطوا بالعساكر وأعملوا بهم السيف والحربة فدافع الجنود احسن دفاع حتى قيل ان احد الجنود الهندية تصدى له ثلاثة من الدراويش فضرب كلاً منهم ضربة بالسيف فقتله . وكان هجوم الدراويش الساعة ٣ الا ١٠ دقائق فانهمزوا الساعة ٣ والدقيقة ١٠ وكانت خسارة الدراويش لا تقل عن ١٥٠٠ قتيل واما خسارة الجيش فمن العساكر الانكليزية ٦٤ قتيلاً و ٦٣ جريحاً وفقد ١٤ ومن العساكر الهندية ٥٣ قتيلاً و ٩٢ جريحاً وفقد ١٠ ومن الاتباع ٣٣ قتيلاً و ١٩ جريحاً وفقد ١٢٤ ومن الجبال ٥٠١ قتلوا او فقدوا

في حملة الجنرال جراهم على تماي ٣ ابريل سنة ١٨٨٥ وبعد انهزام الدراويش عاد الكولونل مكنيل الى بناء الزرائب فاتها الساعة ٧ مساءً فشرع الجنرال جراهم في حشد العساكر اليها فاجتمع عنده في ٢ ابريل ٨١٧٥ رجلاً فسار بهم الساعة ١٠ من الصباح قاصداً عثمان دقنه فوصل تل تسلهاي على مقربة من تماي الساعة ٤ ١/٢ بعد الظهر فرأى انه اذا هاجم يدخل الليل قبل انتهاء الواقعة فزرب زريبة بجانب التل وبات فيها ليلته فجاء رجال عثمان ليلاً ورموه بالرصاص فاصابوا بعض رجاله ولكن العساكر فتحت عليهم افواه المدافع فصدتهم الى تماي

وفي الساعة ٨ من صباح اليوم التالي ٣ ابريل ترك الجنرال جراهم بعض العساكر في الزريبة لحفظ امتعة الحملة وسار بمعظم العساكر الى تماي فوجدها خالية فاحتلها الساعة ٩ صباحاً . وكان عثمان دقنه لما رأى كثرة الجيش أخلى معسكر تماي وتحصن في الجبال المجاورة لها وارسل كشافة يناوشون الجيش ويتقهقرون امامه الى الجبال التي تحصن بها ليعدهم عن الماء ويحاربهم وهو في مركز حصين فسار الجنرال جراهم وراءهم مسافة قريبة ولما لم ير عثمان ورأى ان توغله في الصحراء يعرضه الى العطش

رجع الى تماي فاحرق معسكر عثمان وعاد بالجيش الى سواكن في اليوم التالي
مد سكة الحديد و بعد ان اتم جراهم الغرض الاول من الحملة وهو تشتيت
شمل عثمان دقنه التفت الى الغرض الثاني وهو مد سكة الحديد الى بربره وكان العمال
قد بدأوا بمد الخط منذ ١٣ مارس ولكنهم لم يتقدموا فيه كثيراً بل اعدوا المعدات
اللازمة لمدة بعد انتهاء القتال . فلما انتهى القتال اجتهدوا في مد الخط حتى اتموه الى
اونافو في ٣٠ ابريل سنة ١٨٨٥

واراد الجنرال جراهم عقد معاهدة مع القبائل التي على طريق سكة الحديد
لحماية السكة فأشترطت عليه الا تترك الجنود سواكن كما تركتها في السنة التي قبلها
بل تبقى فيها لحمايتهم من عثمان دقنه فأرسل الجنرال جراهم تلغرافاً الى حكومته في
٢١ ابريل سنة ١٨٨٥ بهذا الشأن وكان اللورد ولسلي اذ ذاك قد عدل عن فتح
بربر كما مر فلم يعد أمر مد السكة الحديد وترك العساكر في حر سواكن من
الضروري فأجابته حكومته بعدم عقدها

خرج العساكر الانكليزية من سواكن ثم أقرت الحكومة على اخراج
عساكرها من دنقلة كما مر فأمرت الجنرال جراهم بالخروج من سواكن فعاد منها بحملته
الى مصر في ١٧ مايو ١٨٨٥ وهجر سكة الحديد * وكان اهل بادية سواكن لما رأوا
ما حل بهم من النكال والضيق في محاربة الانكليز تفرقوا الى بلادهم ومراعيهم
ولم يبق مع عثمان دقنه الا نفر قليل . فلما خرج الانكليز من سواكن عاد عثمان
دقنه الى حث الاهلين على الجهاد مبيناً لهم ان الانكليز انما فروا من سطوة المهدي وان
لا قدرة لهم على مناوأتها فالتف حوله جمع كبير من الهدندوة والامارار وعاد الى تماي
(تسلاي) وبقي فيها الى ان سلمت كسلة للدراويش فذهب اليها بأمر الخليفة كما
سيجي . ولتقدم الآن لنرى ما كان من امر كسلة وسائر الحاميات التي الى جنوبي
السودان الشرقي على حدود الحبشة وفي جملتها بلاد مصوع وهرر وذلك منذ بدء
الثورة فنقول :

الفصل الحادي والعشرون

في

تاريخ الثورة في بلاد كسلة

وفي ذكر حاميات كسلة والقضارف والقلابات والجيرة واميديب وسنيت
مع ذكر محافظتي مصوع وهرر

تسليم القضارف الاثنين في ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هـ ٢١ أبريل سنة ١٨٨٤ م

الأمير الحسين عبد الواحد تقدم ان المهدي سمي عثمان دقنه سنة ١٨٨٣
عاملاً عاماً على بلاد البجة بين البحر الاحمر والاتبرة اي على بلاد سواكن والقسم
الاكبر من كسلة فبقيت البلاد الواقعة بين النيل والاتبرة فسمى الحسين عبد
الواحد من ذرية الشيخ الطيب عاملاً عليها واصحبه ثلاثة امراء وهم الطاهر محمد
تاتاي وعبد الله الطريفي الجعلي والسمناني ود احمد. وكان الحسين عارفاً احوال تلك
الجهات لانه كان مقيماً قرب « تبارك الله » على الاتبرة فسار برفاقه حتى اتى القلعة
أرانج من مراكز الشكرية فجمع اهلها وزحف بهم على مركز القضارف وكان فيه محمد
باشا اغا ابوزبد من سوارى المغاربة على ٢٠٠ رجل ومدفعين ومعه محمد بك بن
عوض الكريم باشا ابوسن مأموراً من قبل الخرطوم وجماعة من التجار والمتسبين
من اروام ووطنين فارسل اليهم كتاباً اتى به من عند المهدي وكتاباً من عنده
يدعوهم الى الطاعة ويعدهم بحفظ مالهم وسلامتهم فاجتمعوا وتشاوروا في الامر فاقروا
على التسليم وسلموا الاثنين في ٢١ أبريل سنة ١٨٨٤ م فاخذ الحسين جميع ما في مخازن
الحكومة من الاسلحة والذخائر ثم جمع بضائع التجار وادخلها بيت ماله خلافاً للوعد
واجبر النصارى على الاسلام وقطع خط التلغراف بين القضارف والقلابات

حصار القلابات وانقازها سنة ١٨٨٥ : ٤

ثم تقدم لاخذ القلابات فمرّ بالتومات فوجد فيها محمود بك زايد شيخ
الضباينة فسلمه كتاباً من المهدي باسمه فسلم اضطراراً ودعا عرب الحمران في

تلك الجهة الى الطاعة فسلم له قسم منهم بقيادة الشيخ عمر ود الكردي وعصاه القسم الآخر بقيادة الشيخ العجيل فخارب الدراويش في كسلة كما سيجي * ثم تقدم الى « الصوفي » فوجد فيها الجمعين سلالة الملك نمر الذين تقدم انهم صالحوا الحكومة ابام موسى باشا سنة ١٨٦٦ وعليهم الامير خالد فانضموا اليه * واستطرد السير الى دوكه فسلم له الشيخ عجيب ودالنيسي وكيل الشيخ محمود ود زايد. وكان في دوكه ٢٠ عسكرياً عليهم محمود اغا محمد التركي فسلموا له اضطراراً وانضم اليه ايضاً اولاد الشيخ مريود من مشايخ العراقيين وبذلك دانت له معظم القبائل العربية التي بين الاتبرة والنيل وكان للحكومة في تلك الجهة حاميتان : المثة عاصمة القلابات والجيرة فاهتم بأخذهما. اما المثة فكان فيها اذ ذاك صالح بك ادريس المار ذكره ومعه من خاصة اهله التكارنة ٤٠٠ فارس و ١٠٠٠ راجل عدا اهل الدار الذين بلغ عددهم ٢٠٠٠٠ نسمة. وفي المثة طاية حصينة فيها ٤٠٠ من العساكر الباشبورق النصف فرسان والنصف مشاة بقيادة السر سوارى محمد بك السيد و ٢٠٠ من العساكر السودانية و ٤٥ من الطوبجية و ١٢ مدفعاً بقيادة الصاغ محمد افندي رياض والكل بقيادة البكباشى محمد افندي سري. فكتب الحسين عبد الواحد من دوكه الى صالح بك يدعوهُ الى التسليم فاجابه في غرة رجب سنة ١٣٠١ هـ ٢٧ ابريل سنة ١٨٨٤ م مخادعاً له : « انى انا واهلى التكارنة مسلمون للمهدي ولكن العساكر الذين ييدهم الحامية غير مسلمين فامهلوني ريثما ادبر الحيلة للخلاص منهم » * وكان الاوان اذ ذاك اوان الامطار وبلاد القلابات مغمورة بالمياه ولا يمكن الحسين عبد الواحد مهاجمتهم قبل انقطاع الامطار فاستشار المهدي في شأنهم فقبل المهلة * ثم سار الى الجيرة كما سيجي فوجدها حصينة والامطار تمنعه من حصرها فعاد الى دوكه في صدد القلابات

وقد اطلعت على كتاب منه الى الشايقية الذين في حامية القلابات بتاريخ ٣٠ القعدة سنة ١٣٠١ هـ ٢١ سبتمبر سنة ١٨٨٤ يقول فيه :

« وانكم ممن يظن بالصدقة والاخلاص عندنا دون غيركم بسبب ما بلغنا من اخباركم بانكم مسلمون ومتبعون الامام المهدي وايضاً يا احبابنا

لا تقطعوا عنا مادة الجواب . . . والمأمول المقابلة معنا في اي مكان والسلام ،
 وكتب صالح بك الى غوردن في الخرطوم بتاريخ ٢٢ سبتمبر يعلمه بحاله بما
 مفاده : « انا محاطون بالاعداء من كل الجهات : الشكرية والضباينة والجعلين من
 جهة دوكة والحمدة . . . من جهة الرهد ولكننا لا نزال ثابتين على الحصار ولا نحسب
 لهم حساباً فان الله ناصرنا والامل الجواب على كتابنا مع الرسول ونحن لم نكتب لكم
 قبل الآن لعدم الامان في الطريق وقد قتل الضباينة اثنين من رسلنا في طريق
 التمرقو (جبل بين دوكة والتومات) ومع ذلك فلا زلنا نواصل مركز كسله بالمكاتب ،
 واقعة مريود في ٧ نوفمبر سنة ١٨٨٤ هـ وبقي الحسين محاصراً في دوكة
 حتى انقطعت الاطراف فكتب الى صالح بك يطالبه بالوعد فعاد صالح بك الى المخادعة
 فسأله مهلة ٣ اشهر اخرى وبعث له برسيرة وقنطارين بنأ وحمل عسل وخمسة
 ريال هدية فتيقن الحسين اذ ذاك انه يخادعه فصمم على حربه فقسم جيشه قسمين قسماً
 ذهب به لحصر الجيرة وقسماً ارسله لقتال القلابات فهاجم رجال هذا القسم سرف
 سعيد فنهبوا وتقدموا لحصر المنة فأمر صالح بك اخاه عثمان فخرج عليهم بستائة
 رجل من اهله وصحبه السر سوارى محمد بك السيد بفرسانه فالتقواهم عند تل بين
 سرف سعيد ومريود يوم الجمعة في ١٨ محرم سنة ١٣٠٢ هـ ٧ نوفمبر سنة ١٨٨٤ م
 فارتقوا الى التل وصبوا عليهم ناراً حامية حتى هزموهم الى الحسين وقتلوا منهم نحو
 ٧٠٠ رجل وفيهم اثنان من اولاد الشيخ مريود قيل ان اكبرهما دفع الله كان حاملاً
 الراية فلما قتل حملها اخوه محمد فقتل فحماتها امها فقتلت وقتل من العساكر ٦٢ رجلاً
 والنور فقرا وواقعة قدي في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨٤ هـ هذا وكان من جملة انصار
 المهدي في تلك الجهة رجل من الجبرته (مسلم الحبشة) يدعى النور فقرا هاجر
 الى المهدي في كردوفان فبايعه وعاد منه اميراً فجمع نفراً من الضباينة ونزل بهم على
 قدي من حلالات التكارنة ففرع اهل قدي الى صالح بك فجهز الف فارس و ٢٠٠
 رجل من اهله ومتطوعي الشايقية واستنصر الاحباش فأتاه الراس دهنشوم فنته بنحو
 ٨٠٠٠ مقاتل وزحف الجيشان في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨٤ على ود فقرا في قدي قتل

من جيشه ٧٠٠ رجل وزيادة وفيهم الجبار وعمر واحد ود عايس من مشايخ الضباينة
وجرحاً جرحاً بالغاً ففر بمن بقي من جيشه الى الحسين في حصار الجيرة . وعاد
الاجاش الى بلادهم بالاسلاب والغنائم وقد قتل منهم نحو ٧٠ رجلاً وعاد صالح
الى بك الى المنة ولم يقتل من جيشه احد

(واقعة زرقه في ١٠ ديسمبر سنة ١٨٨٤) وبعد هذه الواقعة بقليل نزل
الحملة بقيادة الرضى ابي ريش و بني حسين البقارة بقيادة محمد ماجوق على زرقه من
ارض القلابات فقتلوا وسبوا وغنموا فخرج عليهم صالح بك بسرية من جيشه فالتقاهم
في خور القنا قرب زرقه في ٢١ صفر سنة ١٣٠١ هـ ١٠ ديسمبر سنة ١٨٨٤ وأوقع فيهم
واقعة شديدة وقتل واسر منهم خلقاً كثيراً وكان في جملة القتلى الرضى شيخ الحملة
وفي جملة الاسرى امرأة الرضى و ١٤٠ نفساً

وبقى الحسين على حصر الجيرة حتى وقع الخلاف بينه وبين امرائه فرفعوا
الامر الى المهدي فخطأ الحسين وبعث في طلبه في ٧ ربيع الاول سنة ١٣٠٢ هـ
٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٤ م * وكان عند المهدي في الرهد رجل من تكارنة القلابات
يسمى محمد ود ارباب فأرسله اميراً على القلابات فأتى اليها وحشد الرجال وحصرها
من الشمال الغربي وبقي الطريق على حصار الجيرة

(انتقاد حامية القلابات في ٢٨ فبراير سنة ١٨٨٥) هذا وكانت الحكومة في
مصر عالمة بحصر الحاميات على حدود الحبشة ولكن لم يمكنها انتقادها فطلبت الى الملك
يوحنا ملك الحبشة ان يساعدها على ذلك فتعطيه المراكز نفسها بما فيها من الاسلحة
والذخائر . وقد ارسلت اليه الاميرال هيوت و ماسون بك منذ شهر يونيو سنة ١٨٨٤
للمفاوضة معه رسمياً في هذا الشأن فأقر الملك يوحنا على انتقاد القلابات اولاً وندب
لهذه المهمة قائده دهنشوم فنته . وندب لها الكولونل تشرمسيد باشا (محافظ سواحل
البحر الاحمر في ذلك العهد كما مر) القائم مقام سعد بك رفعت (ميرالاي الآن)
بالنيابة عن الحكومة المصرية فخرج من مصوع بخمسة وعشرين من الباشبورق في
١٨ اغسطس سنة ١٨٨٤ وأتى الملك يوحنا في عدوة فصدر امر الملك الى دهنشوم

فسار معه بخمسة عشر الف مقاتل الى القلايات فوصلها في ١٢ فبراير سنة ١٨٨٥ فوجد الدراويش قد حصروها من جهة السودان بامارة محمد ود ارباب كما مر فطردهم الى سرف سعيد وجعل الجيش بينهم وبين الممتة ثم شرعا في اخلاء الحامية فيلحق عدد المهاجرين من عساكر الحكومة ورجال صالح بك نحو ٣٠٠٠ نفسا فسلم سعد بك الاسلحة والذخائر الى دهنشوم وخرجوا بهم كلهم من الممتة السبت في ٢٨ فبراير سنة ١٨٨٥ واتيا قنذر فتأخر فيها صالح بك ورجاله وذهب سعد بك مع دهنشوم الى الملك يوحنا فشكر له سعيه فأهدى اليه الملك بغلتين بسرجين من الفضة ودرقة مذهبة وانعم عليه بلقب دجازماتش واصحبه كتابا الى جميع البلاد التي في طريق مصوع لمساعدته على السفر فأخذ سعد بك العساكر من قنذر وسار الى مصوع بخفر من الاحباش فآكرمه اهل البلاد التي مر بها اعظم اكرام وقد واه له كل ما لزمه من الزاد والماء والركائب حتى وصل مصوع في آخر ايار سنة ١٨٨٥ فسمح لاكثر الباشبورق بالبقاء في مصوع واخذ الباقي وهم ٦٧٠ نفسا الى مصر وفيهم السر سوارى محمد بك السيد وتقدم محمد ود ارباب بجيشه من سرف سعيد واحتل القلايات يوم الخميس في ٥ مارس سنة ١٨٨٥ اي بعد خروج الحامية منها بخمسة ايام وسنعود الى ذكره

حصار الجيرة وانقاذها سنة ١٨٨٥ :

الجيرة طاية حصينة على حدود الحبشة وهي مبنية بالحجر الصلب على اكمة مرتفعة على بحر ستيت وكان فيها في بدء الثورة اورطة من العساكر السودانية بقيادة البكباشي فضل الله افندي حبيب فذهب ٥ بلوكات منها نجدة الى سنار كما مر وبقي فيها ٣ بلوكات وبطارية طوبجية و ٣ مدافع ثم ذهب نصف بلوك الى كسله لجلب رواتب العساكر وكساويهم فحُصروا فيها ولم يرجعوا كما سيجي وحُصر الباقي في الطاية منذ مايو سنة ١٨٨٤ وقد اطلعت على كتاب ارسله البكباشي فضل الله قومندان الطاية الى حاكم مصوع بتاريخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٨٤ يصف فيه حصاره بما مفاده : « جاءنا الشقي الحسين عبد الواحد منذ مدة وحصرنا بشمانية آلاف رجل ودعانا الى التسليم فرددناه بالخيبة وقد سبقت فأخبرتكم بذلك وسألتكم المدد وكنت ارجو

ان يصلني في شهر فخاب رجائي والان ارسل الي المهدي كتاباً يدعوني به الى التسليم لاحد امرائه القريبين كعبد الله احمد ابي سن او محمود زايد وارسل الي امرأته ايضا عدة تحارير بهذا المعنى وانا لا ازال اخادعهم واطاولهم حتى يأتيني المدد. وفي ٧ نوفمبر عاد الحسين عبد الواحد ومعه الطاهر ود تاتاي وعبد الله ود الطريفي وتميمي احمد ومحمود ود زايد واعادوا طلب التسليم مني فسألتهم فرصة شهر آمل وصول المدد وأرسلت رسلاً الى معسكرهم لاتجسس احوالهم فعاد الرسل بكتاب منهم يقولون فيه: «اذالم تسلموا بالرضى نأخذكم بالرغم» فلم نجبهم وعقدنا النية على الثبات الى ان تأتينا النجدة وهم الآن يهاجمونا كل يوم وقد انقسموا فريقين فريقاً لقتالنا وفريقاً لحصرنا واصبح مركزنا من اخرج المراكز. نعم ان الطاية حصينة ولكن العساكر قليلون كما تعلمون لذلك ارجو ان تسرعوا بارسال المدد ولو اورطتين تأتسان بطريق الحمران ﴿ اتقاذ الجيرة في ٨ يوليو سنة ١٨٨٥ ﴾ وكانت الحكومة تسعى مع الحبشة في اتقاذ جميع الحاميات التي على حدود الحبشة كما مر فكتب اليه حاكم مصوع في الجواب: «ان الحبشة آتون لاتقاذكم قريباً فاخلوا لهم الطاية وسلموهم الاسلحة والذخائر وهم يأتون بكم الى مصوع» . فارسل فضل الله افندي الملازم ابراهيم افندي حزين بكتاب الى الملك يوحنا في دبر تابور فجاءه جيش جرار بقيادة دجاج تسمى . وكان امراء الدراويش اذ ذاك في خلاف كما مر فلما رأوا الاحباش في عدد عظيم تفرقوا ودخل الاحباش الجيرة في اوائل يوليو سنة ١٨٨٥ واستلموا ما كان فيها من الاسلحة والذخائر وكان فيها من الاسلحة : ٣٠٠ بندقية رامتون و ٦٠٠ بندقية بالكبسول و ٣ مدافع وساروخ * وفي ٢٥ رمضان سنة ١٣٠٢ هـ ٨ يوليو سنة ١٨٨٥ خرجوا بالحامية الى « غبطة » فاقام العساكر هناك سبعة اشهر بسبب الامطار وامتلاء الانهر فلما انقطعت الامطار وانفتحت الطرق أتى مندوب من طرف ملك الاحباش فاخذهم الى مصوع فوصلوها في اوائل فبراير سنة ١٨٨٦ ومنها ارسلوا الى مصر .

✽ تسليم مصوع للتليان في ٦ فبراير سنة ١٨٨٥ ✽

اما محافظة مصوع فانها سلمت للتليان منذ ٦ فبراير ١٨٨٥ وغادت حاميتها الى مصر

✽ اخلاء أميديب في ١٠ ابريل سنة ١٨٨٥ ✽

واما اميديب فقد كان فيها اورطة من العساكر بقيادة الصاغ عبد الله /فسيدي
سالم و ١٠٠٠ رجل من الباشبوزق بقيادة حسن اغا التوم فعادت بطريق سنهيت الى
مصوع فوصلتها في ١٠ ابريل سنة ١٨٨٥

✽ اخلاء سنهيت في ١٩ ابريل سنة ١٨٨٥ ✽

واما سنهيت فقد كان فيها اورطتان من العساكر وفيها خسرو باشا قومندات شرق
السودان فسلم سنهيت للجبشة وخرج منها الى مصوع فوصلها في ١٩ ابريل ١٨٨٥
وقد كان في وسع هذين الحاميتين الرجوع الى مصوع قبل ذلك بزمان لان
الثورة لم تمتد اليهما ولكن ظن ان بقاءهما يساعد على اخلاء كسلة فلما وجد ان
اخلاءها ورفع الحصار عنها يستلزمان تجريدة قوية امرت الحكومة فرجعتا الى مصوع

✽ اخلاء هرر وزيلع وبربرة في ١٣ مايو سنة ١٨٨٥ ✽

ثم ان قرار الحكومة على اخلاء السودان لم يستثن محافظة هرر شرقي الجبشة
لا سيما وان حفظها كان يستلزم نفقات جمة ومشقات جسيمة فندبت لذلك رضوان
باشا من الجيش المصري والماجور هنتر من الجيش الانكليزي في الهند . فخرج
رضوان باشا من السويس في ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٤ ومعه ٥٠٠٠ جنيه لاختلاء
المحافظة فوصل عدن في ٢٣ منه فوجد الماجور هنتر في انتظاره فذهب به في اليوم
التالي الى بربرة وقرأ لاهلها الامر العالي القاضي باخلائها ثم أتى زيلع فوضع الدراهم
في خزينتها وارسل في البريد كتابا الى محافظ هرر يعلنه بحضوره وعاد الى بربرة
فباع ما امكن بيعه من اشياء الحكومة بالمزاد العلني ثم سلمها الى قنصل الانكليز فيها
وسار منها في ١٢ اكتوبر الى هرر ومعه اللقنتنيتن الذي ناب عن الماجور هنتر وشرع
في اخلاء الحامية فباع ما في المخازن الاميرية بالمزاد العمومي ونقد العساكر رواتبهم
المتأخرة عن خمسة اشهر . وفي آخر اكتوبر ارسل ١٠٠٠ رجل ثم في وسط نوفمبر
ارسل ٢٧٠٠ نفس ودفاتر الحكومة . وفي ١٣ نوفمبر حضر الماجور هنتر ومعه ٤٠
الف رية وشرع مع رضوان باشا في تنظيم حكومة وطنية للبلاد فينصيا طاية جعلها فيها

٣٠٠٠ رجل من السوالم حاميةً وسلاحهم بالبندق وعلمهم كيفية استعمالها وعاد الماجور هنري الى زيلع فوصلها في ١٥ فبراير سنة ١٨٨٥ * وبقي رضوان باشا فعقد مجلساً اجتمع فيه ٥٦ من مشايخ هرر واعيانها وسألهم ان يختاروا من يولوه عليهم من سلالة الامراء الذين حكموهم قبل الاحتلال المصري فاختاروا عبد الله محمد عبد الشكور . وفي ٢٥ ابريل قرأ رضوان باشا على الجمهور الامر العالي القاضي باخلاء هرر واعلن تولية عبد الله المذكور حاكماً عليها واطلق ٢١ مدفعاً اشعاراً بذلك . وفي اليوم التالي اي ٢٥ ابريل خرج بياقي الحامية وهم ٦٥٠٠ رجل الى زيلع . وبقي اللفتنت يتين في هرر لحماية بعض التجار الاوربيين الى ١٣ مايو سنة ١٨٨٥ فسلم مباني الحكومة وجنائها التي قدرت قيمتها بنحو ٧٤٠٠ جنيه الى الحاكم الجديد وعاد الى زيلع وبقيت هرر بيد عبد الشكور لا ينازعه فيها منازع الى بدء سنة ١٨٨٧ م فزحف عليه منبلك ملك شوه (ملك الحبشة الآن) واخذها منه عنوة فاستعمل عليها الراس مكون وعاد الى شوه ولا تزال بيده الى اليوم . وهكذا صارت هرر الى الاحباش وزيلع وبربرة الى الانكاييز . ولم يبق في السودان الشرقي الا حامية كسلة التي اضطرت الى التسليم بعد حصار طويل كما سيجيء

— حصار حامية كسلة سنة ١٨٨٥ : —

بدء الثورة في كسلة في اوغسطس سنة ١٨٨٣ * ما حرك اهل كسلة ساكناً للثورة حتى قدم عثمان دقنه الى بلاد سواكن في اوغسطس سنة ١٨٨٣ ووزع عليهم كتب المهدي فقام الكيلااب المهندوة على جباره اغا الشايقي ونفر من الباشبوزق كانوا في بلادهم يشترىون الابل للحملة هكس فحاربوهم مستبسلين وتملصوا منهم وأموا مركز كسلة حتى وصلوا بلاد السمرندواب المهندوة فرحبوا بهم واطهروا اسفهم من فعل الكيلااب وامنوهم حتى ناموا عندهم . وكان الكيلااب لا يزالون يطاردونهم فوصلوا لبلاداً واتحدوا مع السمرندواب فاتقضوا عليهم عند صلاة الصبح فقتلوهم وغنموا سلاحهم وكان في كسلة اذ ذاك راشد باشا كمال قومندان عساكر شرق السودان فخرج

بألف وخمسمائة رجل من نظامية و باشبوزق ونزل على السميرندواب قتلهم عن آخرهم وتقدم لتأديب الكيلا ب فهاج لذلك غضب محمد بك موسى ناظر الهدندوة ورفع الأمر تلغرافياً للجناب العالي بمصر وقال ان فعل راشد باشا يهيج القبائل كافة فصدر امره الى راشد باشا بالرجوع عن الكيلا ب والعودة الى مصر وسمى محمد خسرو باشا قومنداناً على عساكر شرق السودان مكانه فاتخذ مركزه سنهيت

﴿ مصطفى هدل سنة ١٨٨٤ ﴾ وهدأت بلاد كسلة بعد ذلك اربعة اشهر حتى انتشر خبر هلاك هكس وجيشه في شيكان فتحفز الاهلون للثورة وقام رجل يدعى مصطفى هدل قيل انه من الشرعاب الهدندوة وحرفته صنع اسورة العاج للنساء ومسكنه الدقا مركز بني عامر وكانت له علائق تجارية وودية مع عثمان دقنه من قبل الثورة فلما بلغه خبر قيام عثمان في سواكن ذهب اليه وبايعه باسم المهدي فكتب اليه بالامارة على كسلة وامره بجمع الهدندوة ومحاصرة حاميتها حتى تخضع له فحمل كتاب عثمان واتى الى فلك مركز الهدندوة العام فوجد فيه احمد موسى شيخ مشايخ الهدندوة وحواً الحبشي وكيل محمد بك موسى ناظر الهدندوة فقرأ لهما كتاب عثمان دقنه ودعاها للجهاد فلبيا الدعوة وجمعا له جيشاً عظيماً من اهلها فزحف به طالباً كسلة

وكان في كسلة اذ ذاك اورطة من العساكر السودانية المنظمة ونفر من الطوبجية معهم ١٨ مدفعاً وساروخين وبضعة ارادي باشبوزق وعلى الجميع فرج بك عزاز التقلوي وهو من الابطال المعدودين والمدير على كسلة احمد بك عفت الشركسي المشهور بالحزم والعزم وجودة الرأي والكل في « استحكام » منيع بخندق وسورها خمسة ابواب وتسعة ابراج ومعهم بداخل الاستحكام نحو ٢٠٠٠ من التبع و ٢٠٠ من التجار و ٥٠٠ من اهل الزراعة * وكان في الخاتمة جنوبي كسلة السيد محمد عثمان المرغني شيخ الطريقة المرغنية في السودان ومعه نفر من اتباعه وقد كتب اليه المهدي يدعوه للقيام بنصرته فلم يجبه بل حذر انصاره من اتباعه فكان الوحيد من مشايخ الدين في السودان الذي قاوم المهدي الى النهاية وكان اعظم سند لحامية كسلة كما سيحي

﴿ واقعة الجمّام في ١٢ فبراير سنة ١٨٨٤ ﴾ فلما وصل مصطفى هدل الجمّام على

٣ ساعات من كسلة كتب الى المدير يدعوه للتسليم فاجابه المدير « ارتدع عن
غيك وفرق القبائل الى اماكنها ولا تكن سبياً في سفك دماء المسلمين » . فرد مصطفى
هدل كتابةً بقوله « دع عنك هذا القول الهراء وسلم تسلم او استعد للحرب » .
فخرج له اذ ذاك فرج بك عزاز بالف وخسمائة مقاتل من نظامية وباشبورق فالتقاه
مصطفى هدل في ظاهر الجمام ودارت رحى الحرب بين الفريقين فدامت من الصبح
الى ما بعد الظهر وقد فتك الرصاص بانصار مصطفى هدل فتكاً ذريعاً ولكنهم
فازوا اخيراً لكثرة عددهم ودخلوا وسط العساكر فاعملوا فيهم السيف والحرية وقتلوا
منهم ٤٥٠ رجلاً فغنموا اسلحتهم واضطروا الباقين الى الفرار وذلك يوم الثلاثاء في
١٤ ربيع آخر سنة ١٣٠١ هـ ١٢ فبراير سنة ١٨٨٤ م

وكان الهد ندوة يعتقدون ان من يقتل منهم في هذا الجهاد تحمله الحور العين
الى الجنة كما وعدم المهدي في كتبه فرأوا بعد الواقعة رجلاً منهم قد جرح جرحاً
ميتاً وهو في حال النزاع فجمعوا حوله وسألوه هل ترى الحور العين مقبلة لتحملك
الى الجنة فصاح بقلته قائلاً « حورية كاكا حورية كاكا اي لا أرى الحور لا أرى
الحور بل أرى ناراً توقد في فارقوا بانفسكم واتركوا هذه الحرب وعودوا الى اهلكم »
اما المدير فانه لما عاد العساكر منهزمين من الجمام تحقق الامر وشرع في تقوية
الاستحكام والاستعداد للدفاع فهدم حلالات الحلاقة والجعلين والشايقية والتكارنة
خارج الخندق لينكشف ما حوله ثم عمق الخندق وجعل المدافع على الابراج التسعة
واغلق بايين من ابواب السور وهما باب القاش وباب رجب بك وصف العساكر
على خط النار فوجدوها غير كافية لحماية السور فجد ١١ اوردياً من المتطوعين وارسل
في طلب المدد من الحاميات الاخرى فأتاه ٢٠٠ رجل من اميديب و ١٠٠ من
سنيث و ١٠٠ من القلابات وجاء ٢٥ رجل من الجيرة جاؤوا لاختد رواتب العساكر
فيها فحصرها معه كما مر . وارسل السيد محمد عثمان الى القبائل التابعة له فجاءه :
شكرية الاتبرة وعليهم الشيخ عمارة ولد حمد ابوسن والشيخ ابراهيم ولد قلوبس .
وشكرية القاش المعروفون بالنوايمة وعليهم ولد الفحل . وبنو عامر وناظرهم الشيخ علي بك

البخيت • والقادين جماعة الشيخ احمد حجاج • وبعض اهل سبدرات جماعة الشيخ علي نورين • وقسم من الحمران شياخة عجيل الحمراني المشهور • والحلايقة بقيادة عبد القادر بك محمد إيلة • وقد جاؤوه بخيلهم ورجلهم وآلات حربهم فكانوا نحو ١٠٠٠ فارس بالدروع واللبوس و ٧٠٠٠ رجل • واما مصطفى هدى فانه بعد واقعة الجمام زحف بجيوشه الى قلوسيت على نحو عشرة اميال شمالي كسلة والقي الحصار على كسلة الحسن ود حاشي و بلال السمرندواي • وهناك «أناه الحسن ود حاشي» من سكان قوز رجب «و بلال السمرندواي» وكلاهما من فقهاء الهدندوة ومع كل منهما كتاب من المهدي بالامارة على اهله

• عمارة ولد ضاوي وواقعة العشرة في مارس سنة ١٨٨٤ • ثم جاءه عمارة ود ضاوي من فقهاء البوادرية الشكرية ومعه ايضا كتاب من المهدي بالامارة على من يتبعه وكان عمارة المذكور صاحب مكر ودهاء فاستمال اليه الحسن ود حاشي و بلال السمرندواي المذكوران فسلخهما عن مصطفى هدى وزحف بهما من قلوسيت الى توكرف على نحو ساعة من حصن كسلة وهناك كتب كتابا الى المدير في كسلة وكتابا الى السيد محمد عثمان في الخاتمية يدعوهما للتسليم فبعثا ينصحانه بالعدول عما هو فيه فلم يزد الا طغيانا وأرسل جماعة من رجاله فقطعوا الطريق بين كسلة والخاتمية وقتلوا وخرّبوا فتجرد له المدير وجره الى كمين على القاش بالقرب من حميرة العوض وجعله بين نارين فقتل نحو الفين من رجاله وهزمه شر هزيمة الى قلوسيت وكانت الواقعة في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠١ هـ مارس سنة ١٨٨٤ م وقد سميت بواقعة العشرة لانها وقعت عند شجرة كبيرة من العشر

• واقعة الفقيه عيسى • وكان في جيش عمارة المذكور فقيه من التكرانة الفلانة يقال له الفقيه عيسى كان هذا متوطنا في كسلة قبل الثورة بخمسة وعشرين سنة وكان اهله يعتقدون به الصلاح والتقوى وهو يكره السيد محمد عثمان فجاء بجيش من قلوسيت لاختذ الثار فرأى بعض نساء خارجات من الخاتمية من زيارة السيد محمد عثمان المرغني الى الاتبرة فجردهن من جلاهن وسي بعضهن وقطع آذان البعض

الآخر وأنوفهم فرجع المشوهات الى السيد محمد عثمان شاقيات مولولات فلما رأهن في تلك الحالة هاج به الغيظ وصاح بانصاره فضربوا طبول الحرب وزحفوا على القبة عيسى فالتقوه على القاش وأوقعوا به واقعة دموية فقتلوا خلقاً كثيراً من انصاره وهزموه أقبح هزيمة واسترجعوا النساء المسبيات وعادوا بغنائم كثيرة هذا وكان مصطفى هدل قد اشتكى عمارة ولد ضاوي المذكور الى عثمان دقنه فكتب عثمان الى عمارة يأمره بالحضور اليه في الحال فخرج بحجة انه ذاهب الى عثمان فاخفى ولم يعلم احد مقره وقيل انه التجأ الى الحبشة

بشريك السمرندوباي وواقعة تنبكيائي في ١٩ يونيو سنة ١٨٨٤ ؟ وبعد ذهاب عمارة وقع الخلاف بين مصطفى هدل والحسن ود حاشي وبلال السمرندوباي في من يكون رئيس المجاهدين فقام فقيه من السمرندوباي يسمى بشريك واغتنم الفرصة ودعا الناس لاتباعه فتبعوه فزحف بهم الى توكرف بنية فتح الخاتمية . وكان معه محمد ولد حامد ابن أخي موسى بك فخرج بالقسم الاكبر من الجيش وزحف على الخاتمية فنزل بجهة تنبكيائي اي محل زرع التبنك على غرب القاش تجاه الخاتمية فالتقاه رجال السيد وقاتلوه حتى قتلوه مع الف رجل من انصاره وهزموا الباقين الى توكرف وذلك يوم الخميس في ٢٤ شعبان سنة ١٣٠١ هـ ١٩ يونيو سنة ١٨٨٤ م ؟ وكان موسى بك ناظر الهدندوة قد فر من الاستحكام وانضم الى الدراويش في توكرف فلما سمع بقتل ابن اخيه ضرب تقارة الحرب في اليوم المذكور وأتى تنبكيائي بجيش عظيم فخرج محمد عثمان بنفسه ليلاً بجميع جيوشه واستعد لملاقاته . وفي صباح اليوم التالي حضر كتاب من موسى بك الى السيد محمد عثمان يدعوه للتسليم فأجابته « قرأت كتابك وفهمت خطابك فان اقم في محلك الى الظهر ألقمتك بابن اخيك بعون الله » . وأرسل الى المدير في طلب المدد فبعث اليه بألف رجل وكانت فاطمة بنت الشيخ موسى زوجة محمد حامد المقتول في الخاتمية وهي على عقيدة السيد محمد عثمان فلما رأت القوة في جانب السيد خافت على اخيها ان يلحق بزوجها فأرسلت اليه رسولا سرّاً تخبره ان لا طاقة له على هذه الحرب وتلح عليه بالرجوع فرجع

﴿ خروج السيد محمد عثمان من الخاتمية في ٣٠ يونيو سنة ١٨٨٤ ﴾ ورأى السيد محمد عثمان ان الخطب قد تفاقم الى حد لا يمكن ملاقاته الا اذا جاء المدد من مصر فلم يجئ المدد من مصر وخاف اذا بقي ان يقع في الاسر فيهان وينذل فقر رآه على الخروج من الخاتمية فخرج في ٦ رمضان سنة ١٣٠١ هـ ٣٠ يونيو سنة ١٨٨٤ م قاصداً مصر فشيعة العربان الذين كانوا مجتمعين عليه الى الدقا وتفرقوا الى اماكنهم اما السيد فانه بقي في الدقا مدة ثم ذهب الى مصوع فمصر فاقام في مصر بضعة ايام ثم توفي الى رحمة ربه السبت في ١٠ ربيع الآخر ١٣٠٣ هـ ودفن في باب الوزير ومصلحه مشهور

﴿ السيد البكري وسور الخاتمية ﴾ وتولى الخاتمية بعد ذهابه ابن عمه السيد البكري ابن السيد جعفر المرغني ولم يبق معه الا اخلاط من الدناقلة والجعليج والخللافة والبجة فبني سوراً حول الخاتمية جعل بناءه اقساطاً على الاهالي على كل جماعة قسطاً فاشتغلوا فيه ليلاً ونهاراً حتى اتموه على ارتفاع خمسة امتار في اكل من شهر وكان جداره من جهة الشرق الجبل لان الخاتمية بلصقه

﴿ واقعة سدّينة الاولى في ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٤ ﴾ هذا وكان العصاة بعد الانخزال الذي لقوه برئاسة باشريك قد انصرفوا عنه ووقع الخلاف بين مصطفى هدى والحسن ود حاشي بشأن الرئاسة فذهب الحسن ود حاشي الى المهدي شاكياً فزحف مصطفى هدى على الخاتمية مصمماً على فتحها فنزل في سدّينة غرب القاش وكان قد علم بخروج السيد محمد عثمان منها فكتب الى السيد البكري بالتسليم فطلب السيد البكري المدد من كسلة فجاءه الف رجل من جهادية وباشبورق بقياحة الصاغ فرج افندي من ضباط مدد اميديب ومعه من الرؤوس صالح بك البغدادي وعبد القادر بك محمد ايله الحلانقي فطردوا مصطفى هدى من سدّينة بعد ان نكلوا بجيشه تنكلاً وعادوا الى كسلة عند الغروب وذلك اول ارباء في شوال ١٣٠١ هـ ٣٠ يوليو ١٨٨٤ م

﴿ واقعة سدّينة الثانية ﴾ وفي اليوم التالي ضرب مصطفى هدى قارته وجمع شتات جيشه وعاد به الى الحرب فخرج له فرج بك عزاز بالف وخمسة مائة مقاتل من كسلة مع فرسان السيد البكري من الخاتمية فضر به ضرباً شديداً وهزاه الى قلايسته

ومن ذلك الوقت لم يعد مصطفى هدل ولا غيره من امراء الدراويش يجسر على مهاجمة كسلة او الخاتمية بل اقتصروا على غزو القبائل المتحابة وداموا على ذلك اشهرًا
 ﴿ قتل الميتكناب في اوغسطس سنة ١٨٨٤ ﴾ في اول القعدة سنة ١٣٠١ هـ
 ٢٣ اوغسطس سنة ١٨٨٤ م ارسل مصطفى هدل ابن عمه جمعة بسرية من جيشه
 لتأديب الميتكناب الذين على الطريقة المرغنية وكانوا نحو الف رجل فقاتلوه مستبسلين
 وصدوه بخسارة جسمية فارجه مصطفى هدل بسرية اعظم فاطبق عليهم من كل
 جانب وقتلهم عن آخرهم حتى النساء والاولاد وغنم اموالهم وخرب ديارهم

﴿ عوض الكريم كافوت ﴾ وفي هذه الاثناء قدم جعلي من مواليد التاكا يسمى
 عوض الكريم كافوت كان قد ذهب بتجارة الى شكا قبل الثورة فلما كانت الثورة
 انضم الى المهدي في كردوفان فارسله اميرًا على قومه الجعليين في التاكا وكان
 رجلاً شريراً ولاهله مهارة في فن الحرب فجمعهم واخذ يغزو بهم الشكرية الذين
 على الاتربة فقتل من رؤسائهم عوض الكريم دكين واخاه احمد . وكان من عادة
 اهل كسلة الخروج من الاستحكام لجمع الحطب للوقود والعلف للبهائم فوقف لهم
 عوض الكريم بالمرصاد ومنعهم من الخروج

﴿ سبدرات والسمرنداب ﴾ وفي اواخر القعدة سنة ١٣٠١ هـ اواسط سبتمبر
 سنة ١٨٨٤ م غزا علي نورين شيخ سبدرات بلاد السمرنداب فاصاب قطعاً من
 الماشية فباعه في كسلة وعاد الى سبدرات فجمع باشريك السمرندوايي قومه وقصد
 سبدرات فكن له علي نورين خارج البلدة ولما اطل خرج من الكمين ووقع الفشل
 في قومه فقتل منهم نحو الف رجل وهزم الباقين ولكنه جرح جرحاً شديداً في وجهه .
 ولم يعد في امكانه استمرار القتال ولم يكن يشك في عودة السمرندوايي للاخذ بالثار
 فكتب الى المدير يسأله المدد فارسل اليه المدير ٢٥٠ رجلاً من جهادية وباشبوزق
 بقيادة اليوزباشي دياب اغا والصاري ابراهيم اغا البدوي فاقاموا حامية في سبدرات .
 ولم يلبث باشريك ان عاد اليها بجيش عظيم فهزم العساكر المحافظين عليها وقتل
 اهلها واحتلها . واما علي نورين فقد حملة ابنه وفرّ به الى كسلة

وكان السيد محمد عثمان لا يزال في الدقا فلما سمع بنكة سبدرات كتب الى المدير يسأله ارسال جيش الى سبدرات في يوم معين وساعة معينة فيهاجم باشرىك من الغرب وهو يوجه البخيت شيخ بني عامر فيهاجمه من الشرق في الميعاد ~~الخروب~~ فخرج المدير بنفسه بالف وخمسمائة رجل من جهادية وباشبوزق ومعه ~~من~~ الرؤوس القائمقام فرج بك عزاز والسر سوارى بشير اغا كبال والسر سوارى حسر اغاسليمان وكان علي نورين قد تعافى من جرحه فصحبه المدير ونزل بالجيش في ~~خروب~~ ملاسي غرب سبدرات وعمل زريبة من الشجر ومكث ينتظر قدوم الشيخ البخيت ولكن هذا الشيخ لم يصل سبدرات حتى بادرها بالهجوم ولم يعلم المدير بقدومه وكان جيش باشرىك اقوى من جيشه فهزمه شر هزيمة وانقلب على زريبة المدير ~~يد~~ اختراقها ففتح عليه نارا حامية فثبت ساعة خسر فيها الف رجل ولم يقتل من ~~حسا~~ كرا المدير الا رجل واحد . وانهزم باشرىك الى فتهاي على عشرة اميال من سبدرات فبعه علي نورين وبقية المشايخ المتحابة المرافقين للجيش فهزموه الى قلوسيت

غزوة قلوسيت في ٥ يناير سنة ١٨٨٥ هـ واغتر المشايخ بالنصر الذي نالوه على الدراويش فزينوا للمدير ان يهاجمهم في ديمهم العام في قلوسيت فرضي بذلك . وفي يوم الاثنين في ١٧ ربيع الاول سنة ١٣٠٢ هـ ٥ يناير سنة ١٨٨٥ م جهز نحو ٢٠٠٠ رجل من جهادية وباشبوزق وعزم على الخروج للحرب بنفسه فزلت رجله وهو نازل على سلم المديرية فوثقت فسلم قيادة الجيش الى فرج بك عزاز فزحف به على قلوسيت . وكان مصطفى هدل قد بلغه عزم الجيش على مهاجمته فاستعد لملاقاته وكان عوض الكريم كافوت متغيا في غزوة على النوايمة فبعث اليه يستعجله في الرجوع الى الديم فوصل قبل وصول الجيش بقليل والتقى الجمعان عند الضحى في ظاهر ديم قلوسيت وهاجم العصاة بحزم وثبات مستقلين فلم يكن الا القليل حتى دخلوا وسط العساكر ووقعوا فيهم الفشل فانهزموا والعصاة وراءهم قتل بهم طعنا بالرماح وضربا بالسيوف الى جبل مكرام شرقي كسلة . وقد قتل من العساكر وحدهم ٧٥٠ رجلا من نظامية وباشبوزق فيهم ١٧ ضابطا وغنموا مدافعهم واسلحة كثيرة

وقويت نفوسهم لهذا النصر فتقدموا الى توكرُف وحصروا كسلة والخاتمية معا وذلك في ١٣ يناير سنة ١٨٨٥ . ومن ذلك اليوم انحصر العساكر في استحكامهم فلم يودوا يجسرون على الخروج منه قيد شبرٍ

﴿ صدّ بشاريك عن الخاتمية ﴾ وكان السيد البكري قبل واقعة قلوسيت يحمي سور الخاتمية بنحو ٦٠٠ بندقية فلما نزل العصاة بتوكرُف طلب المدد من المدير فارسل اليه صالح بك البغدادي ومعه ٢٠٠ جهادي و ٣٠٠ من الباشبوزق والخطارية فحصّن بهم سور الخاتمية وما اتم استعداداه حتى هاجمه بشاريك السمرندوايي فردّه خاسراً ﴿ عودة الحسن حاشي الى كسلة ﴾ وفي ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ ٦ ابريل سنة ١٨٨٥ م عاد الحسن حاشي الى كسلة ومعه منشور من المهدي بالامارة على من يتبعه فتنعه معظم الجيش فزحف به في ١١ ابريل الى سدّينة وحصر كسلة والخاتمية معاً ومنع ما كان بينهما من الاتصال

﴿ سقوط الخاتمية في ١٨ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ٣ مايو سنة ١٨٨٥ م ﴾ ثم كتب الى السيد البكري يقول « اني جيئت بكتاب من المهدي بتوليتك على مديرية التاكا وعلى جميع هذه الجيوش فتعال للمفاوضة في هذا الشأن » فلم يركن السيد البكري اليه فبعث الى بلال السمرندوايي نظراً لسابق المودة بينهما فاتاه الى باب سور الخاتمية وأكد له صحة قول الحسن حاشي وعاهده اذا خرج الى معسكر العصاة ان يحميه من كل ضرر فاستشار السيد البكري المدير وخرج الى ديم العصاة مساء ١٧ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ومعه ١٥٠ رجلاً من جهادية و باشبوزق فرحب به بلال وبشاريك وبات ليلته عند بلال ولما أصبح يوم ١٨ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ٣ مايو سنة ١٨٨٥ م اجتمع اليه الامراء ما عدا مصطفى هدى فانه بقي منفرداً بجيشه واشتد الجدل بين السيد البكري والامراء في شأن التسليم . وانهم لذلك اذا بعوض الكرم كافوت قد انقض على خفراء السيد البكري فقتلهم عن آخرهم ثم انقلب على السيد البكري يريد قتله فرمى بلال السمرندوايي بنفسه عليه وحماه من القتل وكذلك فعل علي شنتير الجعلي وابراهيم حمد الشبودينايي فاحتمله عمارة أبو سن الى

محل الامان فأتى مصوع فسواكن فمكة فمات فيها سنة ١٣٠٤ هـ . وفي الوقت نفسه زحف مصطفى هدى بجيشه على الخاتمية فاخذها غنيمة باردة ثم جاء الحسن حاشي بجيشه فاحتل الخاتمية وعاد مصطفى هدى الى توكر فحصر كسلة من الشمال والجنوب وضيقا عليها بعد ان هدم ما قبة السيد حسن المرغني وجامعه

﴿ مواصلة الحامية للحكومة ﴾ وكان المدير قبل الآن في اتصال دائم مع خسرو باشا قومندان عموم شرقي السودان في سنهيت فكتب اليه بعد واقعة الجمام يسأله المدد والنقود فبعث بالنقود يخبرها سعد بك رفعت بمئة رجل . ثم عاد المدير الى طلب النقود والمدد فاجابه عندي نقود ولكن ليس عندي خفراء لحمايتها في الطريق وقد سألت مصر تلغرافيا ارسال المدد فمتى حضر ارسله اليكم مع النقود

وكان المحافظ على سواكن في هذا العهد تشرمسيد باشا كما مر فبعد ان فاضه خسرو في شأن كسلة كتب الى المدير كتابا آخر يقول « ان الحكومة ليس عندها مدد فتخيروا الرأي الذي ينجيكم من العصاة واذا امكنكم فاتركوا المثقلات في مكانها وتعالوا خفافا الى مصوع » فجمع المدير الضباط والتجار وتلا عليهم الكتاب فكتبوا في الجواب « ان كثرة عائلتنا تمنعنا من الخروج بلا نجدة قوية ويلزمنا ٥٠٠٠ رجل وخفراء اقوياء لحفظنا في الطريق » فلم يجبههم بشيء . ولكنهم لم يهتموا في بادئ الامر لا بطاء المدد لانهم كانوا فائزين على العصاة فلما كانت واقعة قلوسيت واصيبت الحامية بتلك الضربة الموجهة ارسل المدير عبد القادر كبير الخلائق الى سنهيت يستعجل المدد والنقدية ويقول انه لم يبق للحامية سوى قوت شهرين وقد اشتد الحصر عليها حتى لم يعد يمكنها الخروج في طلب القوت . فابلى خسرو باشا الخبر الى تشرمسيد باشا بسواكن . وبعد ذلك بقليل وصلت حامية اميدىب ومعها السيد محمد عثمان المرغني الى سنهيت واستطردت السير الى مصوع فصحبها عبد القادر بك . وبعد قليل لحقتها حامية سنهيت كما مر . وانتظر المدير المدة التي كان يمكن لعبد القادر بك الرجوع بها فلما لم يرجع ولا ورد منه خبر ارسل اربعة جاو يشية الى سنهيت ليعلموا ما الخبر فوجدوا خسرو قد اخلى سنهيت فلاحقوه الى مصوع . وكانت الحكومة على ما علمت تفاوض ملك الحبشة

بشأن اتقاذ الحاميات التي على الحدود فكتب الكولونل تشرمسيد الى الملك يوحنا في ١١ ابريل سنة ١٨٨٥ يستحثه على التعجيل في ارسال المدد ويقول اذا لم تسرعوا في ارسال النجدة فالحامية لا بد من سقوطها وقد وعدوه بعشرة آلاف بندقية فارسل الملك يوحنا امره الى الراس الولا لاتقاذها لان جهته موالية لكسلة فابطأ في نجدها وكتب خسرو الى المدير بعد المفاوضة مع تشرمسيد بما مفاده: « اعلم ان الخرطوم قد سقطت وانسلخ السودان عن مصر وغير متيسر للحكومة ارسال مدد اليكم من جندها ولكن المفاوضة جارية مع ملك الحبشة للاسراع في نجدتكم فاعقدوا مجلساً من اعيان المدينة وانظروا في امر سلامتكم فاذا حكمتم باخلاء الحامية فخطبوا ملك الحبشة رأساً وعدوه بعشرة آلاف بندقية مكافأة على ما عساه ان يبذل من المساعدة لكم » . فكتب المدير الى ملك الحبشة في طلب المدد . وكتب الى حكومته في ١٣ ابريل سنة ١٨٨٥ يقول : ان الحامية قد صارت في اشد الضيق فقد نفذ منها الزاد واضطرت الى اكل الحبوب ونحن لا نزال ننتظر النجدة اذ لا يمكننا الخروج من الحصن بدونها

﴿ كتاب الحامية الى المهدي بشأن التسليم ﴾ ولما لم ير جواباً من الحكومة ولا من الحبشة على الحاحه في طلب المدد ورأى انه اذا طال هذا الضيق على الحامية اضطرت الى التسليم أو الموت جوعاً اختار التسليم على الموت ولكنه كره التسليم الى مصطفى هدل واعوانه خوفاً من غدرهم فجمع ضباط الحامية وتجارها وكتبوا الى المهدي في الخرطوم كتاباً يخبرونه بأنهم مسلمون ويسألونه ارسال امناء من طرفه ليسانوا لهم وقالوا فيما بينهم اذا جاءنا المدد قبل مجيء الامناء استعنا به على المحاصرين والا سلمنا لهم

﴿ جواب المهدي للحامية ﴾ فبعث المهدي حسين ابراهيم الشهير بالزهرة و ابراهيم احمد عالم و جماعة من اصحابه ومعهم كتاب منه الى اهل كسلة ولفظ الكتاب بعد البسملة : « وبعد فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى احبابه في الله احمد عفت مدير التاكا وفرج عزازي رئيس العساكر وحسن ايب و عبد القادر هديب وحسن سليمان وبشير كمال ونعيم الفكي و ابراهيم بدوي وحسن موسى و خورشيد واحمد المنسي وحسن بدوي وخلف خلف الله واحمد حمدي وكافة عباد

الله المحصورين بخندق كسلا تجاراً وعمدا وغيرهم وفقهم الله تعالى الى الصواب بجاه
النبي الاواب آمين * منا لكم السلام ثم نعرفكم بان خطابكم المحرر لنا صحبة رسولكم
المعين عبد الله بطلب الامان ورغبة تعيين احد من طرفنا للتسليم على يده والتماس
العفو عنكم وخشيتكم من العمال المحاصرين لجهتكم ان سلمتم على يدهم الى آخر ما
بخطابكم قد احطنا به علماً وشكرنا صنيعكم ودعونا لكم بكل خير وحمدنا الله تعالى
على هدايتكم وانا بكم الى ربكم فان ذلك سبب فلاحكم وفوزكم ونجاحكم الذي هو
مقصودنا من دعاية الخلائق الى الله وقد عقلتم فيما صنعتهم وتداركتم انفسكم من
عطب الدارين والمقصود الاهم هو سلامة الآخرة فان هذه الدنيا قرية الزوال
منغصة العيش مكدره الاحوال لا خيرها يدوم ولا شرها يبغي ولا فيها لمخلوق بقاء
حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب لم ينظر الله اليها منذ خلقها وقد ورد
في الخبر انها لا تزن عند الله جناح بعوضة وانها دار من لا دار له ومال من لا مال
له ولما يجمع من لا عقل له كما جاء في الحديث واما الآخرة فنعمت الدار هي دار
دائمة النعيم اعد الله فيها لعباده المؤمنين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر واکرمهم فيها بالنظر الى وجهه الكريم وقد ورد في محكم القرآن مدحها
والتنويه بقدرها قال الله تعالى وان الدار الآخرة لحي الحيوان وقال الآخرة خير
وابقى وقال اذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً الآية . وحيث كان الامر كما ذكر
فينبغي للعاقل ان يطلب ما عند الله ويعرض عن هذا الفاني الخسيس المعوق عن
الوصول الى الدائم النفيس . ولما اظهرني الله رحمة للعباد وطفقت ادعوهم الى الله
والى الرغبة فيما عند الله وانفرتهم عن هذه الدار كثيرة المحن والاشرار وقد هدى الله
بي من اراد هدايه واضل من اراد شقاؤه . وبعد ان فتح الله مدينة الخرطوم حسنت
الظن باهل الخنادق المحصورين بالسودان وقلت في نفسي لعل الله ان يلهمهم رشادهم
ويأخذ بنواصيرهم الى طريق سدادهم . ولما وردت لي مخاطبتكم هذه ازداد حسن
ظني بكم وسددت من جهتكم ورضيت عنكم واهتممت بامركم رغبة في هدايتكم
ورشادكم وعلى حسب التماسكم قد عيّنت لكم كلا من الحبيب الحسين ابن ابراهيم

زهرة والحبيب ابراهيم عالم فان المذكورين من الاحباب الاصفياء الذين لا قصد لهم سوى تأييد الدين وسوق عباد الله بالتي هي احسن واشرت عليهما بمعاملتكم بالرفق والتألف ولين الجانب وها هما واصلان اليكم لتطمينكم وحقق دمائكم واعطائكم امان الله ورسوله واماننا في انفسكم واولادكم التي تؤخذ منكم ما يزيل ضرركم كل واحد منكم على حسب حاله وراحته التي تلزم له وترشيدكم وتذكيركم بالله وبايام الله به وبان من يريد الهجرة منكم ايننا يعطياه الاذن بذلك فان امركم على حسب حكيتم بجوابكم وترغبون الاسلاك في سلك انصار دين الله والانابة اليه والاقلاع عما مضى فما بيننا وبينكم المحبة الخالصة لوجهه تعالى ولكن اول وصول هذا الخطاب اليكم سارعوا الى الخروج لمقابلة الجماعة المندوبين من طرفنا واطلبوا اماننا منهم وساموهم ككافة الاشغال الميرية ولا يصير منكم ادنى تأخير . هذا وليكن في علمكم انهم النائبون عنا في جميع ما يجرونه معكم امضيته فاعتمدوه ولا تخشوا من شيء وابشروا بكل خير ما دتم على الاخلاص معنا اللهمم الله رشادكم وحكم بعنايته وجعلكم من اهل هدايته والسلام في ٣ شعبان سنة ١٣٠٢ هـ ١٨ مايو سنة ١٨٨٥ م * ولترك الامناء الآن سائرين لاستلام كسلة ولنرجع الى المهدي لنرى ما كان منه بعد سقوط الخرطوم فنقول :

الفصل الثاني والعشرون

في

﴿ المهدي بعد سقوط الخرطوم سنة ١٨٨٥ ﴾

﴿ دخول المهدي الخرطوم في ٣٠ يناير سنة ١٨٨٥ ﴾ تقدم ان المهدي ما سرّ بالنصر على الخرطوم حتى عاد الوابوران عنها . وفي يوم الجمعة ٣٠ يناير سنة ١٨٨٥ اي بعد رجوعهما بيومين ركب الوابور المسمى « الزبير » وعبر النيل الى الخرطوم فصلى الجمعة في جامعها وعاد الى ابي سعد في الوابور نفسه فغير اسمه الى « الطاهرة » اشارة الى انه طهر بركوبه فيه * ومن ذلك اليوم اخذ يتردد الى الخرطوم فاعدوا له منزل ابي بكر الجركوك لانه كان متقن البناء ولان ابنة ابي بكر المذكور التي

تسراها بعد فتح الخرطوم كانت ذات حظوة عنده . واعدوا للخليفة عبد الله سراي الحكومة ولكل امير من الامراء منزلاً في المدينة فرتعوا فيها وبقى معسكر المهدي في ابي سعد وابي عنجة وجهاديتة في طايبة ام درمان التي عرفت عندهم بالكاره . سرية النجومي الى القبة في ٨ فبراير سنة ١٨٨٥ هـ وفي ٥ فبراير اتى المهدي بخلفائه وخاصة امرائه من ابي سعد الى كرري لتشجيع جيش النجومي الذي امره بطرد الانكليز من القبة وعاد الى ابي سعد الاحد في ٨ فبراير سنة ١٨٨٥ يوم خرج النجومي بآخر جيشه من كرري كما مر .

انتقال معسكر المهدي الى ام درمان اواخر فبراير سنة ١٨٨٥ هـ ثم لم يكن الا القليل حتى اتاه الخبر من النجومي ان الانكليز رجعوا الى دنقلة فطابت نفسه وسري عنه فشرع في نقل الدليم من ابي سعد الى ام درمان لانها اسهل مراساً وافضل موقعا من ابي سعد فضلاً عن انها قريبة الى الخرطوم فركب هو وخلفاؤه وبعض امرائه واتوا ام درمان فخططوا جامعاً يسع الف نفس على شكل ظهر الثور وسقفوه بالزنك الذي وجدوه في ترسانة الخرطوم وبنوا للمهدي وخلفائه وكبار امرائه منازل من الحجر والطين وسقفوها بالقش والبروش ثم شرعوا في نقل الدليم الى ام درمان حتى اتموه وكان ذلك في اواخر فبراير سنة ١٨٨٥ . قيل وقد اجتمع في ام درمان في ذلك الوقت نحو مليون نسمة

سرية ابي عنجة الى جبال النوبة في اواخر فبراير سنة ١٨٨٥ هـ ولما استقر المهدي في عاصمته الجديدة نظر اولاً في جهات السودان التي لم تزل على العصيان . وكان البعض من اهل جبال تقلي وجبال النوبة قد تخلّفوا عن الجهاد ورجعوا الى اماكنهم باسلحتهم وقطعوا طريق الخرطوم من الغرب فجرد لهم جيشاً جراراً من راية الخليفة عبد الله وعقد لواءه لحمدان ابي عنجة وامره بان لا يباذروهم الى الحرب بل يدعوهم الى الطاعة ويحذرهم العقاب فان ابوا ناجزهم فخرج حمدان ابو عنجة من ام درمان بجيش كبير من جهادية وحرابة فيه نحو ١٥٠ اميراً وسلاح الجهادية رمتون وابوروحين وابولفتة ومدافع وسواريج . وذلك بعد فتوح الخرطوم بشهر

﴿ سرية محمد عبد الكريم الى سنار ١٩ مارس سنة ١٨٨٥ ﴾ وكانت سنار لا تزال ثابتة على الحصار فندب لها ابن عمه محمد عبد الكريم فخرج بجيش كثيف من راية الخليفة شريف يوم الخميس في ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ ١٩ مارس سنة ١٨٨٥ ﴿ بعثة الامناء الى كسلة . مايو سنة ١٨٨٥ ﴾ وكانت كسلة في هذه الاثناء في اشد الحصار وقد كتب اهلها الى المهدي يسألونه ان يبعث اليهم امناء من عنده ليسانوا لهم فاجابهم في شهر مايو سنة ١٨٨٥ الى سوء الهم كما مر

﴿ مطاردة الانكليز الى دنقلة ﴾ هذا وكان المهدي لما اتاه الخبر من النجومي ان الانكليز رجعوا من القبة الى دنقلة أمره باللحوق بهم وذلك في ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ ٢٤ مارس سنة ١٨٨٥ م ثم أمره بالبقاء في التمة وعهد بالامر الى محمد الخير فأخذ في الاستعداد واستنفار الجيش . وبينما هو في ذلك اذ اتاه الخبر باخلاء الانكليز لمديرية دنقلة فأمره المهدي بالزحف عليها واحتلالها

﴿ استعداد المهدي لغزوة مصر ﴾ وكانت نفس المهدي تسول له فتح مصر والشام والقسطنطينية ومكة واخضاع جميع الامم . فلما خرج الانكليز من دنقلة شرع في الاستعداد لغزوة مصر

﴿ حسين باشا خليفة وغزوة مصر ﴾ وكان حسين باشا خليفة قد تمكن من مخادعته حتى اقنعه انه مخلص له في السر والظهر فسماه عاملاً عاماً على قومه العبادلة الذين في حدود مصر وعلى من اراد الانضمام اليهم من اهلها وأمره بمواقعة الترك الى ان يدركه بجيشه . وهذه هي صورة المنشور الذي اصدره اليه بهذا الشأن :
 « وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله وصفيه حسين خليفة تولاه مولاه واجتباؤه واكرمه واصطفاه آمين . ايها الحبيب اعلم وفقني الله تعالى واياك الى الصواب وجعلنا ممن اعتصم بجبل الله الوهاب ان الله سبحانه قد اكرمكم بصحبتنا وجعلكم من انصارنا واعواننا واتمم عليكم نعمة ظاهرة وباطنة بساع وعظنا والتنوير بانوارنا فصرتم بذلك من انصار الله واحبابه وعددتم من الاصحاب الصادقين . ولما كان موضوع امرنا القيام بأمر الدين وجهاد اعداء الله

الكافرين وقد انتهى امرهم بالسودان وعزمنا بارادة الله على التفرغ لغيرها من البلدان
فقد اخترنا الله تعالى ووجهناك امامنا عاملاً عمومياً على كافة قبائل جماعتك العابدة
الذين بالجهات البحرية عشاباب وشنانير وفقرا وعلى كافة من يرغب الانضمام عليك
من القبائل الأخر بطوعه واختياره لتبغهم دعوتنا وتعطيهم بيعتنا وتستغفرهم لاجاء
الدين وحررنا لهم الاوامر بذلك وما تركنا لهم في الدلالة على الله والترغيب فيما
عنده والتنفير عن هذه الدار الفانية شيئاً فخذ الاوامر المذكورة وتوجه على بركة الله
وابذل وسعك في ابلاغ الدعوة واستنصار الناس للجهاد ودلالتهم على طريق السداد
وكما اذنالك في اعطاء البيعة لمريدها فقد اذنالك في جهاد الاعداء تركاً وغيرهم وفي
تولية من ترى فيه اصلاح المسلمين وعزل من ترى فيه افسادهم وفوضنا اليك الامر
في فعل كل ما ترى فيه مصلحة الدين بتلك الجهة فشر فيما ندبناك اليه وقم بواجب
امرنا هذا وتوكل على الله واعتصم به ولكن اكبر همك الاقبال عليه ومحبة لقائه فان
من احب لقاء الله احب لقاءه واكرم نزله ووصيتنا الجامعة لك ان تتق الله وتكون
من الصادقين وان تسير في الناس بسيرنا ومارتنا لك على شرط اتباع الكتاب
والسنة فان غيرت أو بدلت فلا امارة لك فافهم ذلك واسترشد به حدد الله امرك
وجعلك ممن قال في شأنهم الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكات
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وفقنا الله واياك على مرضاته والسلام في ١٢ شعبان
سنة ١٣٠٢ هـ ٢٧ مايو سنة ١٨٨٥ م * تحشية ثم اعلم ايها الحبيب انه قد سبق التحرير
منا بامارة الحسن سعد محمد وشمعون ابراهيم والحسن أبي سيدين على جهات قبائل
العبادة ثم صار ضمهم على محمد الخير وحيث ان امارة محمد الخير محصورة ومحددة
فلتكن امارات هؤلاء الجماعة على العباددة الذين بمديرية بربر ويفضلوا مع محمد الخير
كما كانوا ولا يكن لاحد منهم تعرض على العباددة بخارج مديرية بربر وانما يكونوا
تحت امارتكم بذالزم الالحاق في تاريخه والسلام » اه

وارسل في الوقت نفسه كتاباً الى الشيخ منشتح كزار يسميه اميراً على قومه
الشناتير وفيه : « . . . ان خطابك الذي تذكر فيه تسليمك لامر المهدي ورجعتك

للانسلارك في سلك انصار الله واحبابه وانتظارك لشارتنا قد وصلنا وفهمنا مضمونه . وكتاباً الى الشيخ بشير جبران يسميه اميراً على قومه العشاباب ويخبر كلاً من الشيخين المذكورين بنولية حسين خليفة عاملاً عاماً على العبادة ويسأله الاتقياد اليه ومعاونته على الجهاد فخرج حسين باشا من أم درمان في ١٦ شعبان سنة ١٣٠٢ هـ ٣١ مايو سنة ١٨٨٥ م وأتى القاهرة وهو غير مصدق النجاة فحوم بمجلس عسكري وخرج منه بريثاً فسمي مقتساً في الداخلية وبقي الى ان توفاه الله سنة ١٨٨٦ ؟

﴿ كتاب المهدي الى اهل مصر ﴾ وكتب المهدي منشوراً عاماً « الى سكان مصر حكماً وتجاراً وعمداً وغيرهم » يخبرهم بعزمه على غزو مصر ويدعوهم الى نصرته ﴿ كتاب المهدي الى الخديوي ﴾ وكتب في الوقت نفسه الى سمو الخديوي كتاباً هذه صورته بعد البسملة :

« وبعد فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى والي مصر
« لا يخفى على من نور الله بصيرته وشرح صدره ان الدين الذي يكون المتمسك به ناجياً عند الله هو دين الاسلام الذي جاءنا به نبينا محمد (صلعم) ونزل به القرآن من الملك العلام قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى ومن يتبع غير الاسلام فلن يقبل منه وما سوى ذلك من الاديان فضلال يدعو الشيطان اليه حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ومن منحه الله تعالى عقلاً يميز به بين الخبيث والطيب لا ينبغي له ان يصرفه الا فيما ينتج خلاصه عند الله يوم تزل الاقدام ويشيب الطفل ويشد الزحام والا كان اسوأ حالاً من البهائم حيث اضاع حكمة تركيب العقل فيه ولا سبيل الى السلامة عند الله الا باتباع دينه واحياء سنة نبيه وأمة وامامة ما حدث من البدع والضلال والانابة اليه تعالى في كل الاحوال وقد تأكد ذلك في هذا الزمان الذي عم الفساد فيه سائر البلدان فان دسائس اهل الكفر التي ادخلوها على اهل الاسلام وضلالاتهم التي مكنوها من قلوب الانام قد افضت الى اندراس الدين وعطلت احكام الكتاب والسنة يقين فصارت شعائر الاسلام غريبة بين الانام وتراكت الظلمات وانتشرت البدع وايحت محارم الاسلام واشتد

الكرب على اهل الايمان فصار القابض على دينه كالقابض على الجمر لترك البغي والعدوان فعند ذلك اظهرني الله طبق الوعد الصادق رحمة لعباده لا تقدم من ظلمة الكفر الى نور الايمان وادلهم الى الله على هدى منه وتبيان وطوقني بالخلافة الكبرى على المهدي وخلق علي حلها البهية وبشري سيد الوجود (صلعم) بالنصر على كل من يعاديني ولو كان الثقلين وبان من يقصدني بعداوة يخذله الله في الدارين وقلدي سيف النصر وايدني بقذف الرعب في قلوب اعدائي يسعى امامي اربعين ميلاً واخبرني باني املك جميع الارض وبان من شك في مهديتي فقد كفر بالله ورسوله ونفسه وماله غنيمة للمسلمين وبان الله قد ايدني بالملائكة الكرام وبالجن احياء وامواتاً وهكذا من البشارات العجائب الذي يطول شرحها وكل ذلك بحضرة الملائكة المقربين والخلفاء الاربعة والخضر عليه السلام وما كنت اترقب هذا الامر لنفسي ولا سألت الله اياه بل كنت اسأله ان يجعلني معيناً لمن يقوم به فلما اراد الله كان وحتم الامر علي من سيد الاكوان فقامت باعباء هذه الجملة واعتصمت بالله وتوكلت عليه واخبرت الحكمادارية باني المهدي المنتظر وقد كان بها محمد رؤوف وما تركت لاهلها في ايضاح هذا الامر شيئاً وانا في انتظار الاختبار وتسليم الامر لله الواحد القهار فما كان منهم الا ان ضربوا عنما اخبرتهم به صفحاً وطووا عن قبوله كشعاً وبادروني بالمحاربة من غير روية ولا تثبيت في هذا الامر الديني الذي جئتهم به من خير البرية فأيدني الله عليهم كما وعدني وهكذا صارت جيوشك تأتيني ثلة بعد ثلة واقدم لهم الانذارات ولم تنفعهم والله يؤيدني وينصرني عليهم كما وعدني ويقطع دابرهم الى ان قلت حيلتك وتلاشا امرك فسلمت امرامة محمد (صلعم) لاعداء الله الانكليز واحللت لهم دماءهم واموالهم واعراضهم فجاءت الانكليز بكبرهم وخيلائهم واعتمادهم على غير الله فلما سول الشيطان لهم ادراك غردونهم بالخرطوم وأيست من هداية اهله وعلمت ان تكرر الانذارات لا ينفعهم وحقت عليهم كلمة العذاب وصاروا مثل من قال الله تعالى في شأنهم وسوائهم أنذرهم أم لم تنذرهم الآية عجل الله بفتحه واهلاك من فيه واحرقت النار اجسامهم عياناً كالذين من قبلهم اظهراً للحقيقة

ونجلاً للعقوبة وصدق عليهم قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذتهم بغتة الآية. ثم انذرت الانكليز فلوروا رؤوسهم فوجئت اليهم طائفة من الانصار فتذف الله في قلوبهم الرعب فولوا هاربين بعد ان اهلك الله فيهم من اهلكه وشتت شملهم وهذا كله غير خاف عليك ولا زال حزب الله مقتفياً اثر باقيهم وعن قريب يحل الله من الدمار ما يكون عبرة لمن اعتبر هذا اوان المؤمن المصدق بوعد الله لا يرى لجميع ما في الحياة الدنيا من الفانيات قيمة ولا يأسف على ما فاتهُ من ملكها الذي ماله الى الزوال وعظيم النكال وانما يكون مطمئح نظره الى ما عند الله من النوال في دار الكرامة والافضال فان الدنيا لو بقيت للاول لم تنتقل للآخر ومن هنا نعلم ان هذا الملك لم يصل اليك الا بموت او عزل من كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل ما صار اليك . وحيث كان الامر كذلك فلا ينبغي لك ان كنت ترجو من الله نعيم دار الابد ان تأسف على ما فاتك من الدنيا ولو كان الدنيا بجذافيرها فدقق النظر واجمع عليك فكرك وتدارك نفسك واسع فيما ينجيك عند ربك اذا تمثلت بين يديه وسألك عما جرى منك وسلم الامر اليه تسلم وما كان يحسن منك ان تتخذ الكافرين اولياء من دون الله وتستعين وهم على سفك دماء أمة محمد (صلعم) ألم نسمع قول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم الآية وقوله تعالى لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم الآية وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق الآية وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء الآية وما هذه الطاعة لاعداء الله والله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله الى ان قال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون الآية » فاذا كنت ممن ينظر بعين بصيرته ولا يؤثر متاع الدنيا الخسيس على نعيم آخرته

فاعتبر بذلك وبادر الى النجاة والسلامة المعتبرة وهي سلامة الايمان ونزه نفسك عن
ان تكون في اسر اعداء الله دائماً ولا تهلك من كان معك من أمة محمد (صلعم)
واغسل ما جرى منك بدموع الندم ولا تكثر بجاه الدنيا الفاني ولا بملكها الزائل
فان لله داراً خيراً منها وقد اعد لها لخدامه المتواضعين لجلاله قال تعالى تلك الدار
الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين الآية
واياك والركون الى اقوال علماء السوء الذين اسكرهم حب الجاه والمال حتى اشتروا
الحياة الدنيا بالآخرة فيهلكوك كما اهلكوا من قبلك ففي الحديث القدسي لا تسأل عني
عالمًا اسكره حب الدنيا فيصدك عن طريقي أولئك قطاع الطريق على عبادي ولا
تغتر بقوة حصن بلدك وكثرة اسلحتك وعددك الظاهرية ومظاهرتة دول اهل الكفر
لك فانها لم تغن عنك من الله شيئاً وكم اهلك قبلك من الملوك اهل الحصون المنيعه
من هو اشد منك قوة واكثر جمعاً لما بغوا وعثوا في الارض مفسدين . وليكن في علمك
ان امرنا هذا ديني مبني على هدى من الله ونور من رسول الله (صلعم) ومؤيد
من عند الله بجنود ظاهريه وباطنية وما قصدنا فيه الا احياء الدين واظهار آثار
الانبياء والمرسلين ولا نريد مع ذلك ملكاً ولا جاهاً ولا مالاً فان نور الله بصيرتك
وخالفت النفس الامارة بالسوء وقبلت هدينا هذا وانبت الى الله بنية خالصة فطيك
أمان الله ورسوله وأماننا وما بيننا وبينك الا المحبة الخالصة لوجهه تعالى ونكون الجميع
يداً واحدة على اقامة الدين واخراج اعداء الله من بلاد المسلمين وقطع دابرهم
واستئصالهم من عند آخرهم ان لم ينيبوا الى الله ويسلموا . وقد حررت اليك هذا
الكتاب وانا بالخرطوم شفقة عليك وحرصاً على هدايتك فارجو الله ان يشرح صدرك
لقبوله ويدلك على صلاحك ورشادك في الدارين وها انا قادم على جهتك بجنود
الله عن قريب ان شاء الله تعالى فان امر السودان قد انتهى فان بادرني بالتسليم
لامر المهدي والانابة الى الله رب البرية فقد حزت السعادة الابدية وامنت على
نفسك ومالك وعرضك انت وكافة من يجيب دعوتنا معك وان آيت بعد هذا
الااعراض عن طريق الفلاح والرشاد فانما عليك اثمك واثم من معك ولا بد من

وقوعك في قبضتنا ولو كنت في بروج مشيدة وهذا انذار مني اليك وفيه الكفاية
لمن ادركته العناية والسلام على من اتبع الهدى » اه

عبدالله الكحال وغزوة الشام ١٢٠٠ وكان المهدي قد ارسل الحاج عبدالله الكحال
من الرهد عاملاً على بلاد الشام فجاء مصر بطريق وداي وعاد الى تجارته فيها كما مرّ
المهدي ومراكش ١٢٠٠ ويظهر ان جماعة من اهل مراكش المستوطنين بمصر
كتبوا الى المهدي يصرون له بتصديقهم مهديته ويسألونه تسمية احدهم السيد محمد
الغالي اميراً على مراكش لنشر دعوته في بلادهم فاجابهم بالكتاب الآتي :

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبدالله الى احبابه المكرمين
السيد ابراهيم السنوسي الحسيني ومحمد عبد السلام الحبابي وعبد السلام البناني ومحمد
قاسم الخلووقهم الله وسددهم والهمهم الصواب وارشدهم آمين * ايها الاحباب
اهدي لكم جزيل السلام الممزوج بالرضا عنكم وجيل الاكرام واعرفكم بان خطابكم
المؤرخ ٧ ربيع آخر سنة ١٣٠٢ قد وصلني وما احتوى عليه من حسن تسليمكم
لامر المهدي ورغبة وصولها اليكم ونشرها بجهاتكم الغربية مع تولية السيد محمد الغالي
عبد السلام على فاس وجهاتها الى آخر ما بخطابكم قد احطت به علماً وجزاكم الله
عن دينه وعنا احسن الجزاء وشكر سعيكم وادام هديكم وجعلكم مفتاح كل خير وقد
سرنا حسن رشادكم زادكم الله رشاداً ومحبة وها نحن قد اجبناكم الى ما طلبتم وحررنا
الاوامر بامارة السيد محمد الغالي وها هي واصله اليكم صحبة الحبيين عبد الخالق
السبتي والطيب البناني فان المذكورين قد اوصلا جوابكم الينا واخذنا بيعتنا وسمما من
مواظنا ما ينور البصائر وصارا عندنا من الاحباب ورأينا تحميلهما للاوامر اصوب
واقع فينبغي مراعاتهما ومشاورتهما في امر الدين ثم انه لا يخفى عليكم ان جهات فاس
فيها اكبر من اهل الخير الذي يقتدي بهم في الدين فلذا ولحقتي اتفاق كلمة المسلمين
في الله قد جعلت تفويض الامر اليهم فان اتفقت كلمتهم على السيد محمد الغالي
المذكور فذلك جل قصدنا وقد باركناه لهم وان اتفقت كلمتهم على غيره من
الافاضل فقد اذناهم في ذلك وان السيد محمد عندنا من الملحوظين بعين الرعاية

المكرمين الغاية ولكن حيث كان قصدنا واحداً وهو تأييد الدين فلا يليق يا احبابنا
الا الرضا والفرح والقبول لما نريده فانه عين الخير عند الله تعالى . هذا وارضكم ايها
الاحباب بتقوى الله والاعتصام به والتوكل عليه في كل الامور وعزيمتي عليكم العمل
بما في الاوامر واخذها على النور والتوجه بها لجهة التعيين وابلاغ الدعوة فانكم القائلون
باعباء هذا الامر بتلك الجهة والمتسببون فيه ولكن الاعتماد على الله والاقبال عليه
ومحبة لقائه والاعراض عن هذه الدار الفانية التي لا ترز عند الله جناح بعوضة
ولا بد من تعجيل مخاطبتنا في كل ما يتجدد لكم حال وصولكم بارك الله فيكم والهمكم
رشادكم وجعلكم من اهل اجتباؤه بجاء سيدنا محمد ومن والاه والسلام ٢٥ رجب سنة
١٠٥١٣٠٢ مايو سنة ١٨٨٥ اه

وكتب في التاريخ نفسه كتاباً خاصاً الى السيد محمد الغالي بالعمالة العامة على فاس
وكتاباً الى الطيب البناني احد الرسولين بالامارة ضمن عمالته . ثم كتب الى اهل
فاس يدعوهم الى الانضمام الى عامله . وكتب الى والي فاس ما نصه بعد البسلة :
« وبعد فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله السيد
الحسن بن محمد بن عبد الرحمن والي فاس ونواحيها وفقه الله . ايها الحبيب منا اليك
جزيل السلام ومزيد الاحترام ثم اعلم وفقني الله تعالى واياك الى ما يحبه ويرضاه
وغمسي واياك في بحار محبته ورضاه ان الدين خير للمرء من نفسه وماله وهو الرفيق
الذي ينفعه عند هول المحشر . ولا يخفى ما حصل على الدين في آخر الزمان من
الاهانة وتعطيل الاحكام واهمال العمل بالشرعية المطهرة ولكن المسموع عن اهل
جهنم انكم اهل خير والى الآن متمسكون بشرعية خير الانام وحيث انكم كذلك
فقد جاءكم الهدى والرشاد ودعاكم داعي الله الى طريق السداد اذ قد طوقني الله
بالخلافة المهدية وامرني بدعاية الخلق الى احياء السنة المرضية وقد ابى دعوتي من
اسعده الله ببلاد السودان واعرض عنها من اشقاه فأهلكه واشتعلت فيه النيران
وقد وفق الله جماعتكم الذين بمصر والهمهم رشادهم فخاطبوني بالتسليم التام لامر
المهدية والرغبة الكاملة في نشرها في الاقطار العربية والتمسوا تولية السيد محمد الغالي

عبد السلام عاملاً من طرفنا على فاس وما والاها ونحن لمحبتنا ايصال الخير للمؤمنين
قد حررنا المذكور بالامارة على تلك الجهة ولكن فوضنا الامر لاهلها فان اتفقت
كلهم عليه فيها ونعمت وان اتفقت كلمتهم على غيره من الفضلاء فقد اذناهم في
ذلك . وحيث انك والي تلك الجهة من سابق وراع امرها فقد حسنا بك الظن
وخطبناك بهذا لتبادر الى فلاحك وفوزك ونجاحك وتجب دعوتنا على اقامة الدين
وجهاد اعداء الله الكافرين وان اتفقت كلمة اهل البلد على توليتك عليهم من طرفنا
قد ولىناك عليهم ولكن تكون مع السيد الغالي المذكور يدًا واحدة ونفسًا واحدة
وتحاربوا في الله ولا تتنافروا فان المقصود واحد وهو اقامة دين الله . وان اتفقت كلمة
اهل البلد على غيرك سواء كان الغالي المذكور او غيره من المسلمين فكن انت
كرجل منهم ولا تكثر بزوال الملك فان ذلك رحمة من الله حفك بها . ألم تعلم
ان النبي (صلعم) قد ذمه في غير ما حديث وقال عليه السلام في الامارة اوها
ملاية ووسطها ندامة وآخرها عذاب يوم القيامة الى غير ذلك من الاحاديث التي لا
تخصى . وحيث كان امر الامارة كذلك فلا تحزن لفواتها واعلم انك ان اجبت دعوتنا
فانت مقبول ومكرم عندنا ومنا والينا دنيا وآخرة وابشر بخير الدارين وعزيمتي عليك
ان تعمل بالكتاب والسنة وان تنفذ جميع ما في الاوامر المحررة الى اهل جهتك .
وليكن في علمك اني عن قريب ان شاء الله تعالى حاضر بحزب الله للجهات المصرية
فان امر السودان قد انتهى فان بادرت امري هذا بالتسليم وطلبت سلامتك عند الله
واثرت ما في الآخرة من النعيم فقد حزت السعادة الابدية وأمنت على نفسك ومالك
وعرضك انت وجميع من يجيب الدعوة معك وان أبيت الا الاعراض عن طريق
الرشاد فانما عليك اثمك واثم من معك وامر الله واقع وفيما هو مسطر اليك في الاوامر
الواصلة لك صحبة هذا كفاية لمن حفته العناية الهمة الله رشادك وذلك على الصواب
بجاه النبي الاواب هذا والسلام ٢٨ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ١٣ ابريل سنة ١٨٨٥ م
ولكن لطف الله بعباده ولم تصل هذه الكتب الى اصحابها اذ الطيب البناني
الذي عاد بها لم يبلغ بربر حتى كان المهدي قد مات وعلم الخليفة به فارسل في

طلبه فاخذ منه الكتب وجبسه « حبس عين » في أم درمان فبقي الى ان فتحها الجيش سنة ١٨٩٨ فرأيت فيه ورأيت هذه الكتب بين اوراق الخليفة فسألت الباني عنها فقال انه احتال على المهدي للتخلص منه فلم يقدر الله له الخلاص . وسألت عنها بعض المراكشين المخاطبين فيها فاجابوا « لا علم لنا بذلك مطلقاً »
 ﴿ انتشار الجدري في أم درمان ﴾ وفي ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ
 ١ ابريل سنة ١٨٨٥ م فشا وباء الجدري في أم درمان واستمر شهراً كاملاً ففتك بالاهلين فتكاً ذريعاً حتى قيل ان الاكفان التي أنفق عليها من بيت المال وحده بلغت ١٢٦ الف كفن . واصبح لسان حال السودان ينادي :

قل للوبا انت « وابن دُنْقُلْ » قد جزتما الحد في النكابة
 ترفقا بالورى قليلاً في واحد منكما كفاية

يكنى بـابن دُنْقُلْ عن المهدي اذ في تقاليد الدناقلة ان اصاهم من جد يسمى دُنْقُلْ
 ﴿ الاحتفال بختان اولاد المهدي ﴾ وفي يوم المراج اي في ٢٧ رجب سنة ١٣٠٢ هـ
 ١٢ مايو سنة ١٨٨٥ م احتفل المهدي بختان اولاده فاختمن في ذلك اليوم جميع اولاد الامراء والاعيان طمعاً في ان ينال الاولاد البركة وقد عملوا وليمة عاتمة وذبحوا من الابل والبقر والغنم ما لا يحصى عد وكان ذلك اليوم يوم فرح عظيم عند جميع الشعب
 ﴿ تبرؤ المهدي من أهله ﴾ وكان الاشراف اهل المهدي قد طغوا وبنغوا على الناس واساؤا السيرة فاستاء المهدي منهم فلما كان يوم آخر جمعة في شعبان سنة ١٣٠٢ هـ
 ١٢ يونيو سنة ١٨٨٥ بعد ان فرغ من الخطبة في الجامع وهم الناس بالوقوف للصلاة اشار اليهم بيده وقال اجلسوا ثم نادى بأعلى صوته وقال أيها الناس اني مللت من النصيح والمذاكرة لا قاربي الاشراف الذين تمادوا في الطيش والغواية وظنوا ان المهدي لهم وحدهم ثم مسك ثوبه ونفضه ثلاث مرات وقال انا بريء منهم فكونوا انتم شهوداً علي بين يدي الله تعالى فنكس الاشراف رؤوسهم ولم يجبه احد بكلمة . ثم نزل عن المنبر وصلى صلاة الجمعة وخرج . وكان هذا آخر عهده بالجامع كما سيجي
 ﴿ سك النقود فبراير سنة ١٨٨٥ ﴾ وكثر ما غنمه المهدي من مصوغات الذهب

والفضة من الايَّض والجُرطوم وقلَّت النقود في أيدي الناس فأراد ان يسد هذه الحاجة ويبين للملأ استقلاله عن الدول وتأسيسه مملكة جديدة بعملة جديدة فجمع الصاغة وامرهم بسك النقود فأنشأوا ضرب بخانة في بيت المال وضربوا من الذهب جنيتها قلدوا به الجنيه المصري فهو على مثاله بطغرائه وتاريخه وقطعه وثخنه عملوه من ذهب خالص ولكنهم جعلوا وزنه أقل من وزن الجنيه المصري بمجنتين وضربوا من الفضة ريالاً بقطع الريال المجيدي ووزنه فجعلوه سبعة دراهم فضة ودرهم نحاس وقد كتبوا على وجه الواحد «ضرب في الهجرة سنة ١٣٠٢» وعلى الوجه الثاني «بأمر المهدي» بهيئة طغراء وضربوا منه نصفاً وربعاً . وكان بدء هذا العمل في جمادى الاولى سنة ١٣٠٢ هـ فبراير سنة ١٨٨٥ م

﴿ جمع الزكاة والعشور ﴾ وقد شرع المهدي في جمع الزكاة والعشور تَوَّاً بعد فتح الخرطوم وهاك ما ارسله الى احد نوَّابه في هذا الشأن بعد البسملة :

«وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه وصفيه وعونه في الله محمد عثمان وقاني الله واياه من كل علة ورقني واياه الى نور الرفيق الاعلى . حبيبي فجزاك الله كل الخير واعطاك ما هو له اهل فيما بينت له مادة الزكاة على الاحاديث الواردة . ولما اخذ الزكاة فهي كما ذكرت المناشير حلول المهدي سنة قتلة الشقي الهكسي (٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣) اذ ان احكام الترك زالت سنتها من الجزيرة فلذلك تعدَّ الزكاة منها اذ انها هي وضع حكماً في تلك الامكنة فمنها تؤخذ الزكاة وعلى السنة الناقصة من باب اولى . ولكن اذا سبقت الخدمة قبل تمام السنة الناقصة فلا يخدمونهم فيها حتى تتم السنة الثالثة ومن لا يخدمونهم في الناقصة يتركونهم الى حين تمامها فيخدمونهم هذا والسلام نهاية شعبان سنة ١٣٠٢ هـ « ١٣ يونيو سنة ١٨٨٥

﴿ الغنائم ﴾ وقد حذر المهدي انصاره من الغلول في الغنائم ونشر في ذلك عدة منشورات وجاء في واحد منها : « ان من أخذ ابرة من الغنائم تقع يوم القيامة في قعر بحر من نار ويؤمر بأن يخوض في البحر ليخرجها »

واما توزيع الغنائم فيظهر رأيه فيها من كتابه الى محمود عيسى زايد عامله على

جهات الضباينة بتاريخ ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ ١٩ مارس سنة ١٨٨٥ م
 « واما الغنائم وتقسيمها فان كانوا المجاهدين منقطعين لله فقط ولا غرض لهم
 سوى الله ولا حرفة لهم سوى الجهاد وليسوا اهل بيع وشراء ولا حث فليصر جمعها
 ووضعها في بيت المال والصرف منها شيئاً فشيئاً اذ انهم لا وسيلة لهم سواه. اما اذا
 كانوا من ذوي الحرف ويتجمعون للجهاد لوقت معلوم وعند انتهائه ينفرون لحرفهم
 فليصر اخذ الخمس منها (الغنائم) وباقيها ينقسم لهم على وفق كتاب الله وسنة رسوله،
 وقد كان من مبداء المهدي جمع اموال العشور والزكاة والغنائم كلها في بيت المال
 والانفاق منها على المجاهدين كافة بحسب عددهم وحالهم وهاك منشوره بهذا الشأن :
 « وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة اصحابه
 واعوانه في الله من الخلفاء والعمال والانصار والمأمورين. أحبابي ان امر الدين يحتاج
 الى اتفاق الكلمة واتفاق القلوب واتصال الاحوال والمقال وان يتصل بالواطي العال
 فقد قال الله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ولذلك اتتنا الوضية من
 الحضرة ان اصحاب المهدي يكون الصغير منهم ابناً والكبير اباً والمتوسط اخاً واذا
 حصل الامر على هذا الاتفاق استقام الامر واتصل العسر وتيسر العدل. وعلى ما سبق
 من الوصايا والمنشورات فعزيمة مني على كافة الاصحاب خصوصاً الخلفاء ان يعاونوا
 الخليفة عبد الله في جمع الغنائم والزكوات لبيت المال وهو يفرق بمعرفة العمال فيها
 وهم يكونون معاونين بأنفسهم واتباعهم وقد عزمت على كل احد من الاخوان ان
 من كان يؤمن بالله ورسوله ومهديه الا يؤخر عن بيت المال ذرهاً ولا ديناراً وتكون
 راحة جميع الاخوان والاصحاب كبيراً وصغيراً من بيت المال ولتفرح الاخوان لخدمة
 الدين وراحة المسلمين لا يخدم احد لنفسه ولا لجماعته فكل مؤمن بالله ورسوله
 ومهديه ومعاون لي على هذا الدين يكون على راحة المسلمين ولا يستبد احد بطائفة
 لجماعته ولا بقبيلة لرايته ولا بجهة ومعلومية لامره لان هذا فيه خدمة النفوس
 والاتكال على غير الله القدوس مع ان البيعة على زهد الدنيا والاتكال على الله وبذل
 النفس لاقامة الدين . وحيث كان الواجب القيام بالبيعة فالاخوان جميعاً فليخدموا

« الأعمار والزكوات والغنائم » لبيت المال ولا يأخذ أحد لنفسه ولا لجماعته شيئاً .
ولكن الراحة من بيت المال لجميع الانصار وليبين من كان له عيال واهل من كثير
وقليل ومن ليس له الا قليل فاكل يقنن له من بيت المال ما يكفيه والجميع خدمتهم
لله وان فرغ بيت المال يكون الصبر حتى يعطي الله بيت المال الكفاية له والسلام ،
(كتاب المهدي) وكان المهدي قبل فتح الخرطوم ينظر بنفسه في جميع المسائل
الادارية التي تأتيه من الجهات ويشير الى كتابه بالاجابة عليها بما يقتضيه رأيه
واشهر كتابه : الصديق ولد ابو صفية من اعيان كردوفان الذي صحبه من قدير .
واخوه عبد الكبير . وفوزي السوداني التلغرافي الذي قتل في واقعة هكس كما مر .
وفوزي محمود بادي من مواليد بارة . واخواه احمدي ومختار . والطيب الهاشم
وابوالقاسم اخوه ومدّسر ابراهيم من جعلي بربر . وقد كانت ختمه بيد فوزي
السوداني فلما قتل سلمه الى فوزي محمود فبقي بيده الى ان مات المهدي

(أمناء المهدي) ثم لما فتحت الخرطوم واتسعت الاشغال الادارية على المهدي
عجز عن النظر بنفسه في جميعها لا سيما وانه كان يهتم اذ ذاك في غزو مصر فاختار
سبعة من الامناء وعهد اليهم بالنظر في جميع الامور الادارية وامرهم بالا يقطعوا في
امر الا بعد عرضه على الخليفة عبد الله واخذ رأيه فيه . وهؤلاء الامناء هم : الرئيس
السيد عبد القادر الساتي علي من اقارب المهدي . والاعضاء فوزي محمود كاتبه وامين
ختمه وقد امره بختم جميع الكتب التي يقر عليه مجلس الامناء والخليفة وارسالها الى
جهتها . ومحمد سليمان شقيق احمد ود سليمان امين بيت المال . والشفيع رحمة الشايق
كاتب الالهام المهدي وعلي ود الفقيه الامين خوجلي من علماء السودان . واسماعيل
ود شجر الخيري الدنقلاوي ومعهم احمد ود النور كاتباً . وبقي حكمهم نافذاً الى
ما بعد وفاة المهدي ففرقهم الخليفة عبد الله كما سيجي

واجاز المهدي لعمالته الحكم بالقتل بدون استئذانه وهاك ما كتبه الى عامله على
بربر محمد الخير في ٢٤ رجب سنة ١٣٠٢ ٩ مايو سنة ١٨٨٥ « . . . قد سبق منا
مراراً وتكراراً ان امر تلك الجهة مفوض منا اليكم ولو بقتل احد في الحق . . . »

﴿ منشور الراحة في رمضان ﴾ ولما أقبل شهر رمضان سنة ١٣٠٢ طلب الراحة من
الاشغال والانتقطاع الى النظر في تدبير المستقبل فنشر لانصاره المنشور الآتي:
« وبعد فيقول العبد لله محمد المهدي ان هذا الذي اقبل هو شهر رمضان زمن
الاقبال على الرحمن وميدان الاشتياق الى عظيم الشان فافزعوا ايها الاحباب فيه
للديان ووطنوا قلوبكم على الشدائد والرضا بالبلايا والامتحان حيث اوعد بذلك الرحمن
لتبيين حال اهل الصفوة والرسخان وبشر الصابرين بعظمة الشان وحسن العواقب
وتولية الديان فتوكلوا على الله وفوضوا له في كل ما يفعل لحسن الظن به اذ هو
حقيق بالاحسان وهو العالم بما لا يعلمه الا بوان... فتحققوا ذلك ايها الاحباب وانصبوا
انفسكم لله وارفعوا حوائجكم فكنا عبيد الله والامور بيده فلا تشغلوني بقضايا ولا
بجوائج في هذا الشهر واخلونا للذكر والتذكر والصلوات والدعوات فان قد العبد
نور الصبر والرضا والتفويض واراد ان يرفع حاجته الى العبيد فها هم الخلفاء نيابة
عني والامناء المنيبين والقاضي فمن شغلني بشيء في رمضان بعد هذا فلا يلم الا نفسه
والسلام غاية شعبان سنة ١٣٠٢ هـ « اه ١٣ يونيو سنة ١٨٨٥ م

الفصل الثالث والعشرون

في

﴿ وفاة المهدي وصفاته وتعاليمه ﴾

﴿ وفاة المهدي في ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٥ ﴾ ولما كان يوم الاربعاء في ٤ رمضان
سنة ١٣٠٢ هـ اصابت المهدي حمى خبيثة تعرف في السودان « باب دم » وعند اطباء
بالالتهاب السحائي الشوكي . وفي يوم الجمعة ٦ رمضان امر الخليفة عبد الله فخطب
وصلى بالناس الجمعة . ودامت الحمى على المهدي الى يوم الاثنين ٩ رمضان (وفي قمر السودان
٨ منه) سنة ١٣٠٢ هـ ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٥ م فاسلم الروح عند الضحى وكان عنده
خلفاؤه واقاربه فامر الخليفة عبد الله اقاربه فجهزوه وحفروا قبره في محل فراشه
في منزله ثم صلى عليه اماما وباقي الخلفاء والناس مؤتمنون به ودفن عند الظهر ولم

يسمع لدفنه صوت • وبايع الناس الخليفة عبد الله فقام بالامر بعده كما سيجي
وقد شاع بعد موت المهدي انه مات مسموماً وان بنت ابي بكر الجرkok هي
التي دست له السم في الطعام انتقاماً لابيها وزوجها اللذين قتلا في فتح الخرطوم ولكن
الثقات من اهل السودان ينكرون هذه الاشاعة ويؤكدون ان بنت ابي بكر الجرkok
كانت تحب المهدي وكان المهدي يحبها وان اقارب المهدي شدوا شعر لحيته قبل
دفنه وتيقنوا انه لم يمت مسموماً • وقد رثاه جماعة من ادباء السودان نظماً ونثراً
ومنهم ابراهيم شريف الدولابي الكردي فاني فانه رثاه بقصيدة غراء هذه هي بحروفها:

كيف التأم فؤادي المفطور	ورقوء دمع محاجري المفجور
أم كيف ينفك الضنا عن مهجة	احشاؤها تُصلى على تنور
أسف على المهدي من مهد الصبا	قد كان معصوماً عن المحذور
لا زال في كنف العناية يغتذي	بدقائق التبصير والتنوير
حتى انتهى لمقامه الاعلى الذي	عنه الشهي في حيرة وقصور
واقامه المختار عنه خليفة	خلعت عليه ملابساً من نور
ورقى الى كرسيه متسناً	في مشهد بالاوليا معمر
فدعا الى الدين الحنيف مجاهداً	بالسيف والانداز والتبشير
فتح الفتوح ودمر الكفار في	كل البلاد بجيشه المنصور
ومن اهتدى بهداه أصبح داخلاً	سور الرضى أعظم به من سور
ومن انتهى لسواه أمسى حائراً	ضل الطريق بليلة ديجور
ما شئت فيه من الثناء فقل ولا	تأخذك لومة لائم مدحور
ما أطنبت مداحه إلا وهم	عن وصف بعض حلاه في تقصير
هو مجمع البحرين بحر شريعة	طام وبجر حقيقة مسجور
سر الوجود وترجمان الحضرة الـ	عليها ومظهر غيبها المستور
والله اكرمه بطيب تحية	يجذو بها موسى كلیم الطور
قد كان قوام الدجى متبتلاً	متواصل الاحزان غير فخور

طلق الحيا خاشعاً متواضعاً
 وتفيض بالجوود الكثير يمينه
 ويبيت طاوي الكشح جوعاً وهو قد
 لا يتبغي جاهاً ولا مالاً ولا
 ما همه إلا اجتذاب الخلق من
 لما أبان لنا السبيل ولم يدع
 والدين عز وأهله باغوا المنى
 تاقت الى الذات العلية روحه
 فمضى وأودع كل قلب حسرةً
 تبكي المساجد والمحارب فقده
 يا طيب أرض ضم جسمك تربها
 يا آل بيت المصطفى صبراً وان
 فلكم تسل في مصيبة جدكم
 واذا توارت في الثرى شمس الهدى
 أبقاه مهدي الإله وراءه
 ويسوق للنهج القويم بحاله
 هو ذاك عبد الله نجل محمد
 وخليفة الفاروق نجم ثاقب
 وخليفة الكرار سيف متضى
 بطل إذا اقتحم الكتبية غادر إلا
 فبهم قوام الدين بعد امامه
 صلى الإله على ضريح ضمه
 كهف الفقير وجابر المسكور
 ابداً بلا من ولا تكدير
 اعطى الكنوز بجمعها الموفور
 عز الموك ولا ارتباع الدور
 درك الشقاوة عميهم والعور
 ايضاح منهي ولا مأمور
 وتقبلوا في نعمة وجور
 وسعت لمقصد صدقها المذخور
 وحشا الحشا يبلابل وسعير
 ومواطن الاذكار والتذكير
 تزري بعرف المسك والكافور
 جل المصاب وعز عن تصير
 خير الانام الحي والمقبور
 فهناك بدر هدى عظيم النور
 خلفاً يسير بسيره المشكور
 ومقاله وحسامه المشهور
 وسع الورى بالحلم والتدبير
 بضياته يجلو ظلام الزور
 بالحق يقطع هام كل كفور
 بطل بين مخرج وأسير
 وبهم تمام ظهوره المأثور
 أركى صلاة في المساء وبكور

ورثاه محمد ابن الطاهر المجذوب بقصيدة طويلة اقتطفنا منها هذه الايات :

دهتنا دواء يضرس القلب نأبها
غداة نعى الناعون نور الوجود من
امام الهدى المهدي افضل من دعا
الاقد أصبنا اذ عدنا حبيبنا
ليك له الدين الحنيف وملة
قد ناك يا هدياً يتمنا بفقدته
الى الله انا راجعون هو الذي
هو الفاعل المختار باق وانفس الورى
وكنا نرى انا نفوز بوصله
فلم يبق فيها الآن ما يبتغى له
سقى الله ارضاً ضمته بقاءها
عزاه الى الصديق نأبه الذي
عزاه الى الفاروق من كان دأبه
عزاه الى الكرار ذي الناصر الذي
عزاه الى الال الكرام اولي التقى
والحقنا المهدي في جنة العلى
ألا أبلغوا عنا ضريح ابي الهدى

ويوقد في الاحشاء ناراً مناؤها
به ملة الاسلام جل مصابها
الى الله مفتاح النجاة وبابها
وضاقت بنا الارض الوسيع رحابها
ابان هداها حين تم خرابها
فقد ناك يا شمساً دهانا غياها
اليه نفوس العالمين اياها
كلها جمعاً اليه اقلابها
بذي الدار حتى صاح فينا غرابها
بقاها فقد اضحى سراباً شرابها
به فاقت العرش العظيم قبابها
به الملة الغراء شد انتصابها
لدى نعم الدنيا الغرور اجتنابها
لديه يهاب البائرات ذبابها
على الله هاتيك الرزايا احتسابها
ليذهب عن هذي القلوب اكتئابها
تحايا الى الله الكريم انتسابها

﴿أوصافه﴾ وكان عمر محمد احمد عند وفاته نحو اثنتين واربعين سنة وكان
طويل القامة كبير الرأس عريض الوجه اسمر اللون أدعج العينين ازج الحاجبين
واسع الجبين اقنى الانف رحب الصدر واسع الفم عريض الشفتين عظيم المنكين
ضخم العظام واسع الكفين والقدمين سائل الاطراف مفلج الاسنان مشرط الوجنتين
على كل وجنة ٣ شرائط افقية مستدير اللحية واسمها خفيف الشاربين . وكان يحلق
شعر رأسه ويحسن لحيته . ولباسه الجبة والعمامة على ما تقدم قبل . وكان كثير التبسم
يظهر من تبسمه فلج اسنانه المستجب عند اهل السودان حتى لقبوه « بأبي فلجة »

﴿ اخلاقه ﴾ وقد وصفه اسماعيل عبد القادر الكردوفاني وصفاً طويلاً اضطر فيه الى التملق الكثير ومما قاله : « انه كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا فحاش ولا عياب ولا مدّاح . ترك نفسه من المرء وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث لا يذم احداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يواجه احداً بما يكره . يتفقد اصحابه ويسأل عنهم فمن كان غائباً دعا له ومن كان حاضراً زاره ومن كان مريضاً عاده . وافضل الناس عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة . لا يجلس ولا يقوم الا عن ذكر يعطي كل واحد من جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جلسيه ان احداً اكرم عليه منه . وما جالسه احد الا صابره حتى يكون هو المنصرف عنه . وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء اوسع الناس صدرًا واصدقهم لهجة وألينهم خلقاً واکرمهم عشرة لا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح . متخلقا بالقرآن المجيد عاملاً بما فيه من الاجتهاد في طاعة الله والخضوع له والالتقياد لامره والشدة على اعدائه والتواضع ولين الجانب والرحمة لاوليائه ومواساة عباده وارادة الخير لهم والحرص على كمالهم والاحتمال لآذاهم والقيام بمصالحهم وارشادهم الى ما يجمع لهم خيري الدنيا والآخرة . ذا حلم وعلم وصبر وشكر وعدل وزهد وتواضع وعفو وعفة وتقوى وحياء ومروءة وجود وسماحة وشجاعة وصمت الا عن ذكر الله وتوادة ووقار ورحمة المؤمنين وما وضع احد فمه في اذن له الا استمر مصغياً اليه حتى يفرغ من حديثه . اكثر الناس شفقة على خلق الله وارأفهم بهم . يركب الحمار ويردف خلفه ويجلس على الارض ويأكل مع الخادم ويحمل حوائجه بنفسه من السوق يحب الطيب ويستعمله ويجب من الثياب ما خشن ومن الطعام ما خشن واشتهر من اول نشأته بحب الخلوة والانفراد عن الناس والتمسك بالدين كما بينا قبل

﴿ جلوسه ﴾ وكان يجلس على فروة من الضان ويقعد القرفصاء وحوله اخصاؤه واقرباؤه يذاكرهم . واذا جلس على الطعام جثا على احدى ركبتيه وبارك الطعام قبل الاكل ودعا اليه اخصاءه واقرباءه

﴿الدخول عليه﴾ وكان الداخل عليه يخلع نعليه ويتقدم اليه حبوا حتى يقرب منه فيمس يده ويرجع عنه قليلاً ثم يكلمه وهو منكس الرأس ويخاطبه بقوله ياسيدي . وبعد الفراغ من حديثه ينصرف راجعاً القهقري غير موليّه ظهره ﴿نساؤه﴾ ولكنه كان مولعاً بالنساء وقد مات عن نحو ١٠٠ امرأة منهن اربع شرعيات عرفن بامهات المؤمنين والباقيات سراري وقد حبسن في منزله بأم درمان ولم يسمح لهنّ بالزواج الى ما بعد الفتح الاخير فاطلق سراحهنّ فتزوج بعضهنّ ولا يزال البعض الآخر بلا زواج

اما نساؤه الشرعيات فهنّ : فاطمة بنت احمد شرفي التي تزوجها في الخرطوم قبل المهديّة وقد توفيت في قدير . وعائشة بنت احمد شرفي تزوجها في الابيض بعد وفاة أختها . وفاطمة بنت حاج ابنة عمه تزوجها في كرري قبل المهديّة . وفاطمة بنت حسين المجازي تزوجها بشات قبل المهديّة . وعائشة بنت ادريس الفلاتي تزوجها بقدير اما سراريّة فقد استقصيت اسماء ٦٣ منهنّ واشهرهنّ — من سبايا كردوفان : ام الحسن اخت احمد بك دفع الله . وعائشة بنت حاج احمد ام بريرة وزنوبة بنت خورشيد كاشف . وكنانة سرية الزبير ود ضوّه . ونظيفة ونحل الجود سريتا محمد بك الشاقي . ومدينة سرية يوسف باشا الشالي * ومن سبايا الخرطوم : آمنة بنت ابي بكر الجرkok المار ذكرها . وأمينة بنت ابي السعود بك العقاد . والشول بنت يوسف بك مدير فاشودة . وفاطمة بنت حسن مسمار . وزينب بنت حسن بك البهناوي . وفاطمة بنت النور بك . ونزهة بنت محمد بك سليمان الشاقي . وآمنة بنت احمد شجر الخيري . وزينب بنت يوسف باشا الشالي . وزينب بنت اخته * ومن سبايا الجزيرة : النعمة بنت الشيخ القرشي . والسرة بنت محمد ولد البصير . وزينب زوجة حمد التلب . ومقبولة الدار فورية . ومأمونة الحبشية . وقبيل الله النوباوية ؟ ﴿اولاده﴾ وله من فاطمة بنت احمد شرفي : ثلاثة اولاد ذكور وهم الفاضل وهو بكر اولاده ومحمد والبشرى وبنت تسمى زينب تزوجها الخليفة شريف * ومن فاطمة بنت حاج اربع بنات . ام كلثوم تزوجها الخليفة عبد الله . ونور الشام تزوجها

الخليفة علي ود حلو . ونفيسة . وعائشة توفيت بعد وفاته * ومن قاطبة بنت حسين
الحجازي : ثلاث بنات رحمة توفيت قبله . وام سلامة تزوجها شيخ الدين ابن الخليفة
عبد الله . ومريم . وولد يسمى الصديق * ومن نحل الجود سرية محمد بك الشافعي
ولد يسمى عبد الله * ومن النعمة بنت الشيخ القرشي ولد يسمى علي * ومن مقبولة
الدارفورية ولد يسمى عبد الرحمن * ومن مأمونة الحبشية ولدان توأمان الطاهر والطيب *
ومن قبيل الله النوباوية ولد يسمى نصر الدين * وجملة من ذكرنا ١٠ بنات و ١٠
صبيان سبعة من الصبيان ماتوا أو قتلوا وبقي ثلاثة وهم علي والطاهر في قلعة مصر
وعبد الرحمن في جزيرة الخرطوم وسيأتي ذكرهم بعد

﴿ اخوته واقاربه ﴾ واما اخوته فهم ثلاثة محمد وحامد وعبد الله قتل حامد
في قدير ومحمد وعبد الله في الابيض كما مر * واما اقاربه الاخصاء فهم : السيد احمد
شرفي حموه . وعبد القادر ود ساتي علي . ومحمود امير الابيض . ومحمد عبد الكريم .
والخليفة شريف . عدا محمودا الذي قتل في واقعة كورتي كما مر

﴿ تعالىه ﴾ وكان اساس تعالىه ان يعيد الدين الى ما كان عليه في اول الاسلام
« ويملا الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً » فمن سلم له وبايعه على الجهاد ضمه
الى انصاره ومن لم يتبعه حاربه واذله سواء كان مسلماً او غير مسلم بلا تمييز . وكان
اذا انكر أحد عليه مهديته قتله . واذا خالف له امرأ قاصه اما بالقتل او بقطع اليد
والرجل من خلاف * وقد رفع المذاهب الاربعة (وهي المالكي والشافعي والحنفي
والحنبلي) وتفرّد بمذهب اجتهادي خاص به وحدّ فيه المذاهب بتسوية ما بين
بعضها من الخلاف والغاء البعض الآخر وفرضه على اتباعه مدّعياً انه هو الواسطة
بينهم وبين نبي الاسلام في تبليغ الاحكام الاسلامية وان فعله كفعل النبي ففرض عليهم
ان يتوضأوا كما رأوه يتوضأ ويصلوا كما رأوه يصلي وهكذا في جميع العادات والعبادات
من غير نظر لما تدون بالمذاهب الاربعة المذكورة * وقد احرق كل كتب السنة
والتفسير واحرق معها جميع الكتب الدينية والعلمية حتى لم يبق في السودان من الكتب
الا القرآن ومناشيرهُ ورواتبهُ . واختار لراتبه آيات من القرآن الكريم والحديث الشريف

وفرض على اتباعه حفظه غيباً وتلاوته كل يوم مع تلاوة حزب من القرآن بعد صلاة الصبح وصلاة العصر . وقد بدأ بإنشاء هذا الراتب منذ اشهار دعوته فأخذ يزيد عليه من وقت الى آخر الى ان اتمه قبل وفاته بقليل وقال ان الطريق الموصلة الى الله تعالى محصورة في ستة اشياء وهي : صلاة الجماعة . والجهاد في سبيل الله . وامثال اوامره ونواهيه . والاكثار من كلمة التوحيد . وتلاوة القرآن . وتلاوة الراتب * وقد كتب كراساً علم فيه اتباعه كيفية قيام رمضان * وسهل طرق الوضوء . وعلم الزهد في الدنيا والجهاد للدار الآخرة . ومنع الناس عن زيارة قبب اوليائهم التي كانوا يزورونها قبل المهدي وقد زربها زرباً قوياً . بل منع الحج الى الحرمين بحجة ان الجهاد اشد لزوماً منه . وهدم أكثر الجوامع . ومنع اقامة صلاة الجمعة في الجوامع الاخرى او انشاء جوامع جديدة الا بأمره . وشدد في المحافظة على الصلوات الخمس جماعة * وأبطل الرتب والالقاب الرسمية وغير الرسمية . وسأوى الغني بالفقير * وفرض على جميع اتباعه لباساً واحداً وهو الجبة المرقعة التي كان يلبسها هو . ومنع النساء من لبس الذهب والفضة وشعر العارية وخروجهن مكشوفات الرؤوس وخروج الحديثات السن منهن بين الناس وقاص من خالف ذلك بالجلد ولكنه سمح لهن بالتحلي في منازلهن بالسوميت والمرجان والصدف واللؤلؤ . وأمر اهل البادية بحلق شعر الرأس ولبس العمة بعد ان كانوا يرخون شعورهم ويدهنونها بالشحم وربما كان هذا من احسن آثاره * وحرّم الاحتفال بالاعراس احتفالاً يدعو الى النفقة وخفض مهر الزواج فجعله عشرة ريالات وبدلتين اي ثوباً وقراباً للبر وخمسة ريالات وبدلتين للثيب وعاقب من خالف ذلك بمصادرة امواله لبيت المال . فسهل بذلك وسائل الزواج على الفقراء وقد كانت نفقات العرس الباهظة تحول بينهم وبين الاقتران فأقبلوا على الزواج حتى ان بعضهم عدّ ٧٠ عقداً عقدت في ليلة واحدة . وابطل الرقص والغناء وضرب الدلوكة الذي اشتهر اهل السودان بحبه وجازى من خالف ذلك بجلده وتصدير ماله . وحرّم خصي العبيد . ومنع البكاء وراء الميت . وابطل السحر والتعزيم وكتابة الحُجُب * وحرّم شرب الدخان ومضغه وشرب

الحشيش والخمرة وقضى على من خالف أمره هذا بالجلد ثمانين سوطاً والحبس سبعة أيام مع تصدير أمواله كلها . وجعل عقاب من شتم بلفظ الكلب والخنزير ٢٧ سوطاً والحبس سبعة أيام وعرف هذا القصاص عندهم والذي قبله « بحق الله » * وأعاد قصاص الرّجم الزّاني والزّانية وقطع اليد للسارق

﴿ كتب المناشير ﴾ وكان يثّ تعالىمه ووصاياه في مناشير ينسخها النساخ . وبعد فتح الخرطوم واستيلائه على مطبعة الحجر الاميرية صار يطبعها بمطبعة الحجر ويوزعها على انصاره . وقد أمر قضاة بتخاذها أساساً لاحكامهم وقال لهم احكموا بالمناشير فاذا عرضت لكم مسائل لم ترد فيها فاحكموا بالكتاب والسنة * وجمع خليفته هذه المناشير في جزئين طبعهما بمطبعة الحجر وجعلها أساساً لاحكامه . وقد اسقط عدة منشورات منها كمنشور المهدي للسنوسي ومنشوره الذي صرّح فيه بفتح مكة وقال انه اسقطها حذراً من ضلال الجهال

وكان المهدي قد شرع في تأليف كتاب سماه « المجلس » ضمنه ارشادات للصلوات والاذكار وقراءة الراتب وكان القصد ان يضمه الاحكام الشرعية في المعاملات والديانة ويكون سنة لانصاره ولكن المنية عاجلته فمات قبل ان يتمه ﴿ تعالىم المهدي من منشوراته ﴾ واهم منشور نشره المهدي بين اصحابه فضمه معظم تعالىمه المنشور الآتي وهو بحرفه بعد البسملة :

« وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي ابن السيد عبد الله الى كافة الاحباب في الله . ايها الاحباب ان الامر كله لله واليه المرجع والمآب وان النبي (صلعم) لما اجلسني على كرسي المهديّة قد امرني بجهاد الترك وقال لي ان الترك كافرون بل هم أشد الناس كفراً ونفاقاً لقوله تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وانهم يسعون في اطفاء نور الله تعالى لقوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بأهانة السنة النبوية واستضعاف الاسلام . وقد اظهروا كتباً يريدون بها طفي نور الله تعالى ويسمونها كتب القانون مع شتم الاسلام وقهره . أما ترونها يسحبونكم في الحديد والسلاسل لاجل أخذ أموالكم لا يوقرون كبيركم ولا يرحمون صغيركم ويحملونكم المشاق القوية .

لا تتركهم حتى يسلموكم الاسلحة والاموال فان فعلوا ذلك فلا تسترقوا اولادهم
ونساءهم بل اقروهم على حالهم وهم اخوانكم في الدين واحسنوا اليهم . وان العمل كله
للنية في الجهاد في سبيل الله كمثل خطاف أخذ بمنقاره من ماء البحر قال تعالى ان
الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة عوضاً عنها اذا قتلوا او قاتلوا .
قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون *
وقال لي سيد الوجود (صلعم) من انكر مهديتك فقد كفر . وان ارواح الترك
اشتكت الي وقالوا يا الهنا ويا خالقنا ان الامام المهدي قتلنا من غير انذار فقلت يا الهي
أنذرتهم وخالفوني وصالوا عليّ وسيد الوجود شاهد علينا . وقال سيد الوجود (صلعم)
ذنبكم عليكم وانكم خالفتهم وصلتم فقتلتم . واني عبد مأمور باظهار الكتاب والسنة المقبورين
حتى يستقيم . وقد امرني سيد الوجود (صلعم) ان كل من خالفني عدّ كافراً وان الله قد
غفر ذنب من اتبعني وقواني * وقد أمرني سيد الوجود (صلعم) ان زواج الثيب بخمسة
والبكر بعشرة ريات تخفيفاً لأمته ومن نقص الصداق عن ذلك فهو اقرب اليّ
من ياض العين الى سوادها واياكم والزيادات . فامنعوا نساءكم عن النوح والتسليم
وذبح الاموال سرفاً . واما كيفية الحافرين والحاملين النعش فلا بد من ماله اذا
كان له مال والاّ فمن بيت مال المسلمين . فمن بكت أو سوّدت الباب أو ناحت
أو حدثت على غير زوجها فتؤدب حتى تظهر توبتها بالضرب والسخط بما يناسب لها *
ونهتكم عن التبّاك الخبيث فمن شربه منكم فليؤدب حتى يموت أو يتوب * وان
الجهاد فرض فمن تخلف عنه فهو عاص الله ورسوله ولا تقبل صلاته ولا صومه ولا
صدقة بل أمره كله هدر فمن تركه من غير عذر باين فحكه كذلك . أطعموا
طعامكم المجاهدين . فمن لم يأخذ البيعة من الامراء اصحاب الرايات الذين يخرجون من
عندنا لاجل الجهاد فهو منافق ملعون . فاما العالم التابع لي في مهديتي فهو كالنبي
المرسل والعاميّ التابع لي كرتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني والعالم المخالف لي كفرعون
والعاميّ المخالف لي كهامان * ومن علامة مهديتي ان النار تخرج من ثقب السلاح
أي يخرج دخاناً . وان الله قوّاني بالملائكة الكرام وعزرائيل حامل لواء نصرتي وان

الخضر وسيد الوجود والاولياء من عهد أينما آدم الى هنا معي ومو من الجن كذلك
 معي * وقد أمرني سيد الوجود (صلعم) بأن يخرجوا الاحراز ساعة الملاقاة كون
 الجن تنفر منه . وأمرني بأن أتوكل على الله كيف يهتم العبد بالرزق حيث ضمن الله
 رزقه لقوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وقوله تعالى وما من دابة في الارض
 الا على الله رزقها . كيف يرتقي العبد من الامراض كونه هو الفاعل والتوكل أولى .
 وكيف يصح للعبد ان يسوء في بساط الخيرات لان الفاعل يفعل والمفعول يدفع
 لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه * ومن سرق منكم سرقة قل أو أكثر
 فاقطعوا يده لانه يوم القيامة يقوم بلا يد ويتخبط كما يتخبط العبد في الدنيا بحس
 الشيطان لا بارك الله في ولي تركه أو امير استعان به . وكذلك الزاني يرحم اذا كان
 محصناً ويجلد البكر واما المرأة فاذا دخلت بالاجني الذي يخشى عليها منه فيؤدبان
 بالاجتهاد لان الشاب والشابة اذا تلاقيا يكون الشيطان دليلهما فلا بأس بمقاضاة
 الحاجات بحضرة واسطة من الناس * ومن ترك الصلاة أو تهاون بها قتل حدًا في
 ضرورية * واما من تعدى منكم على اخيه يسط لسانه في عرضه أو ماله فهو ليس
 مني وانا لست منه . وان ادعيتكم انكم اتباعي ولم تفعلوا فعلي فانكم منافقون لقوله
 تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فاذا لم تتحابوا كالاخوين من الأيوين فليس
 انتم اتباعي . ومن ستر على سرقة رآها أو شرب خمر أو زنى فكتمه رافة عليهم فهو
 كالفاعل * ومن تخلف عن الجهاد بصحة جسم لا بارك الله فيه . واذا اخذتم ذنب الابكار
 والاغنام والابل والزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم * اتركوا
 الترفهات وفراوي الريف لان موت النفوس حياتها والبسوا الجلب المرقعات ولبسوا
 نساءكم الثياب الخلقة * وان امري مبهم لا يعرفه الا اصحاب الحضرة الذين
 يرون رسول الله (صلعم) لقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون . اما ترون الترك لهم
 الاسلحة النارية والقوة العديدة قد هلكوا واورثكم ارضهم وديارهم . هذا حصل لهم
 بمعصية الله كذلك اذا عصيتم الله يحصل لكم كمثلم لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم
 حتى يغيروا ما بانفسهم . وافضل الخلق من اتقاه بأموراته ونهى نفسه عن منهياته . وان

الشخص اذا اخذ البيعة وعاد الى فعله الخيىث فهو كالمرتد * ويقول الانسان اذا الليل
 اظلم يجناحه الله القادر المقتدر القاهر على كل جبار عنيد ناصر الحق حيث كان به
 الحول والقوة ان هي الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون اللهم اني اسألك بحق
 السائلين عليك وبحق ممشائي هذا اليك لم أخرج اشراً و بطراً ولا رياء ولا سمعة
 خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك اسألك ان تقنّني من النار وان تغفر لي ذنوبي
 فانه لا يغفر الذنوب الا أنت . ومن قال هذا الدعاء صباحاً ومساءً احدى واربعين مرة
 فهو معي ومع سيد الوجود (صلعم) وان عمله كعمل اهل السموات والارض * ولا
 تجارروا من ترك الجهاد او فعل منكراً من المنكرات المنهية كتاباً وسنة فاستعينوا عليه
 فخذوا نفسه وماله غنيمة للمسلمين المجاهدين ان استحل ذلك والا فيؤدب * ولا
 تمنعوا الاراضي لانها لا تملك بل هي محوزة لبيت مال المسلمين * واما المجاهد فان
 استضافكم فاضيفوه وان استغاث بكم فاغيثوه * واما ارباب الجاه الذين اتخذتموهم
 اولياء ان نهوكم عن متابعتنا فانهم كافرون لا تسمعوا لهم قولاً لانهم ضالون مضلون
 بل هم اشد اهل النار وعملهم كعمل الذين قال فيهم ربنا كمثل الشيطان اذ قال
 للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين . وقال لي
 سيد الوجود (صلعم) ان السعيد من اتبعك والشقي من خالفك واني عبد ضعيف
 ليس لي طاقة على قوام أدنى شيء فضلاً عن ذلك الملك الجائر الذي غير السنة
 النبوية والكتب الازلية واني على بصيرة من الله واعانة من رسوله ومعني سيف النصر
 لا ينفع الشريف شرفه ولا العالم علمه ولا الولي ولايته الا باتباعي والخير كله في
 نسليهم الامر أيها الاحباب اني محمد ابن عبد الله وأبي حسني من جهة أبيه وأمه
 وأبي عباسية من جهة أبيها وأمها حينئذ لا شك اني من نسل المصطفى (صلعم) واني
 ولدت في بحر النيل وهاجرت الى ماسة في اقصى الغرب بلصق جبل يقال له قدير لاني
 موعود به فلا تلبسوا على انفسكم بقول ظهرونا في المشرق المعنى اننا نظهر بالمشرق
 وبلا الله لنا البلدان عدلاً كما ملئت جوراً ويدّر الله لنا الارزاق دراً ويفيض الماء
 غيضاً وتتأنس الذاياب يعني بها السباع الضارية في الانعام ويؤمن كل مؤمن من

سم الحية وهذا كله بعد وصولنا لبيت الله الحرام والبيعة الثانية هي الكبرى وتسمى
 بيعة الفoz والرضوان . اللهم اجعلنا واخواننا المؤمنين على التقوى لقوله تعالى ان
 المتقين في جنات وعيون . وقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
 يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا اَنتم تحزنون . وقال تعالى واتقوني يا اولي الاباب
 وقال تعالى واتقوا الله لعلكم تفلحون وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
 من حيث لا يحتسب والتقوى المذكورة لا توجد غاية الا بالجهاد في سبيل الله والعمل
 بالكتاب والسنة رأس المال والجهاد ثمنه . ويجب على المجاهدين يعني بهم اتبا عنا الذين
 يلهمون بالذكر في جل احوالهم بالتهليل والتسبيح والتكبير . وان اصحابي كاصحاب
 رسول الله (صلعم) وهذا قلته لي بلفظه الشريف ان اصحابك كاصحابي فلما كان
 كذلك ينبغي لنا ان نتقني أثر اصحاب رسول الله (صلعم) الذين قال فيهم ربنا
 تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون وكن
 كذلك واخمل نفسك ودمها تحت اقدامك لعل الله يعلوك * ايها الاجاب قد امرتك
 ان من ترك منكم عقيقة ابنه فليدعها لان الروح تشكي الي وتقول والدي لم يدعني
 فاعطني اسماً ادعى به فيقول الله لها سمي نفسك بنفسك وكذلك من لم يسمه ابوه
 فليسم نفسه ولو بعيد الشيب والهزم فيا حسرة أب لم يسم ابنه . وكذلك تجب
 اعادة الزكاة لمفرطها والصوم والكفارة فتفحصوا من الذنوب . واذا ضعف المجاهدون
 عن الجهاد أعينهم ايها القاعدون اولوا الضرر بثلاث مالكم واتقوا نفوسكم بالكم
 ولا تخزنوها فيها لكم ضرر وسوء حظ * وحكم النساء ان المرأة الناشئة لزوجها اجسوها
 في الاوكار والبيوت المظلمة حتى ترجع أو يتوفاها الله تعالى كالزانية فمن ثبطت
 نفسها عن زوجها فما لها غنيمة لزوجها وان راضاها فماله غنيمة للمسلمين فان فعلوا ذلك
 فلا تعودوهم ان مرضوا ولا تشيعوا جنازهم ولا تعينوهم عند الشدائد * ولا يجهل في
 مهديتي الا شقي محروم الحظ وعادم الخير والاحسان . واعلموا ان الوقت قد أزف
 وربما قام كالشمس تكون في اوكار غروبها * وتجنبوا عن النساء واللذات العديدة التي
 تورث صاحبها الكبر والبطر وجاهدوا في حق الله حق جهاد ايها الاجاب الناظرون

لضوان الله الواحد القهار. وناصرهم المؤمنون وحب لأخيك المؤمن كما تحب لأخيك من أبويك وقدم حب أخيك المؤمن على نفسك وذلك الوقت تكون صاحبنا فان لم تكن كذلك بل انت مغرور وقد حرم الله عليك سيد الوجود * واموال الغنيمة وان قلت كبرة فانه لا يدخل الجنة الا من أخذها بقسمة أو شراء أو استحق شيء من بيت مال المسلمين فان من سرق منها لا تقبل عمله حتى يردّها أو قيمتها * فمن أغان مجاهدًا بقلعة أو درهماً أو اناء شرب أو آلة حرب فكان يوم القيامة تحت ظل العرش ومن ناصح مجاهدًا فكأنما ناصح محمدًا (صلعم) وامن في الجنة * ليتعلم بعضهم من بعض وليتأدب بعضهم ببعض وليكسر طرفه لأخيه المجاهد . وان لا يعلوا عليه وان يساويه في الفراش والا كل الا الضرر البين وان الامراء والعاميين فكلهم على حدّ سوى الا في الامر والنهي فليجوبهم ولا يتفاضلون عليهم في المركب والملبس والا كل فمن فعل ذلك فهو مردود منا . وقال في الغنيمة المتقدمة وما كان لني ان يغلّ ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة فهو العتاب عدم نهب الغنيمة للنبي وغيره . فمن جاهد خوفًا على ماله أو عياله وجاهه فهو مخسور عند الله كالصدقة تخرج الناس . ايها الاحباب كونوا ربايين وفوضوا امركم الى الله فان النصر لكم وان القتل الذي تزونه امتحانًا لكم وليس يريد به تضعيف المسلمين وان الله مع المؤمنين والسلام »

﴿ تعاليم المهدي عن استاذ محمد شريف ﴾ وجاء في رائية الاستاذ محمد شريف عن تعاليم المهدي ما يأتي بحرفه مع اصلاح وزن بعض الايات :

أكاذيب ابداه فمنا عن النبي	ومنها عن المولى ومنها عن الخضر
كأخباره بالخسف والمسح للعدا	وكم في قدير من سلاح ومن تبر
ومن بعضها تحليل كل جميلة	ولو ذات بعل دون عقد ولا مهر
ومنها روى عن زوجة المتخلف	بما لم يكن في المسلمين ولا الكفر
ومنها اصلي في الجوامع كلها	الى المسجد الاقصى ولم يدر ما يجري
ومنها انا المهدي منتظر الوري	ولم يستح من عالم السرّ والجهر
وينهى النساء عن حليهن وان بدت	بها كان منه والحكم بالنتف للشعر

وينهى عن التباك نهياً كأنما
وينهى عن الارباح في الاخذ والعطا
وينهى عن العلم وعن كل واجب
ويمنع عن حج وينهى عن النبي
يبيح حرام الدين كاللأ والزنا
وينسخ حكم الله بالرأي والهوى
ويزعم بالجهل المركب فضله
على الانبيا الا الرسول فذو شطر
مراتب اصحاب المهدي وقد كان انصار المهدي مراتب متفاوتة في المقام والكرامة
بحسب أسبقيتهم في الانضمام اليه : فالمرتبة الاولى «تلامذته» الذين صحبوه قبل ادعائه
المهدية ويقال لهم أبكار المهدي . والمرتبة الثانية «انصار أباء» اي الذين نصره في أباء
والمرتبة الثالثة «انصار قدير» اي الذين هاجروا اليه وهو في قدير . والمرتبة الرابعة «انصار
كأبا» وهم الذين خرجوا له من الابيض الى كأبا . ثم باقي الانصار وهم ايضاً طبقات
بحسب أسبقيتهم في صحبته فأهل بارة اكرم من اهل الابيض وهؤلاء اكرم من
اهل الخرطوم وهكذا * قيل ان اللواء ابراهيم باشا فوزي اجتمع بالملازم يوسف
افندي منصور في بيت الحاج خالد العمرابي بعد سقوط الخرطوم فلما حضر الخادم
بالقهوة قدمها الى يوسف منصور اولاً فأشار هذا اليه ليذهب بها الى ابراهيم باشا
فالتفت الحاج خالد الى يوسف منصور وقال لماذا تردّ القهوة وتقدمها الى ابراهيم
فوزي قال يا سيدي لانه أكبر مني مقاماً فقال الحاج خالد لابل أنت اكرم منه الآن
لأنك اسبق الى صحبة المهدي . وكان الخادم قد قدم القهوة الى ابراهيم باشا فلما
سمع كلام سيده اخذ الفنجان من يد ابراهيم باشا واعطاه ليوسف منصور ثم قدم
لابراهيم باشا فنجاناً فاعتذر عن شربه وانصرف وهو يحرق الارم على المهدية وساعتها
دعوى اهل السودان ودعوى المهدي وقد صدّق اهل السودان خاصتهم وعامتهم
دعوى المهدي ونصروه وهم لا يشكّون ان من مات في سبيله فنصيبه الجنة والخور
العين حتى صاروا يتمنون الموت وينادون عند رؤية القتال « الجنة جت قريبة تحت

المدفع وتحت الزريبة » . وقد سموا التجار « كلاب الدنيا » لتقاعدهم عن الجهاد .
وحكي ان جعلياً جرّ صديقاً له الى المحاكمة لانه قال له عند وداعه « الله يكتب
سلامتك » . ولم يبق في السودان من شك في دعوى المهدي الا نفر قليل من
الادباء العقلاء وهوؤلاء لم يجسروا على الاباحة بسرهم حتى الى نسايتهم خوفاً على
انفسهم من تقميتهم فضلاً عن نقمة المهدي . ومن اباح منهم بسرّه قتل الاثلاثة
من العلماء خطأوا المهدي في وجهه قصد إراحة ضميرهم مع الله فسلموا وهم :

« الشريف محمد الامين بن الشريف يوسف الهندي » من سكان رهد النيل
الازرق . قيل ان المهدي كتب اليه يأمره بالانضمام الى عامله احمد المكاشف أو
الهجرة اليه في الابيض فاختر الهجرة اليه ليختبره وأتاه الى الابيض بعد فتوحها
في شوال سنة ١٣٠٠ فأنزله مع الشريف حمد النيل قرب ديوان المديرية فلما خبره
انكر عليه اشياء كثيرة ولم يكن له القدرة على رده ولم يطاوعه رأيه على المظاهرة
بنصرته فقال للمهدي في بعض زيارته له « اني استخلفك الله ان تتركني وشأني فلا
تزورني ولا تدعوني الى زيارتك » قيل وطلب من الله ان يقبض روحه وينجيّه
من هذه الضلالة فلما زحف المهدي من الابيض لغزو الخرطوم خرج معه فتوفاه الله
في رهد كردوفان في ٢٧ رجب سنة ١٣٠٠ هـ ودفن هناك رحمة الله عليه . وقد رأيت
نجله الشريف يوسف الهندي في مصر فاكد لي هذه الرواية وقال انه سيدني قبة فوق
قبره في وقت قريب

« والشيخ محمد الزاكي من اقارب ود الزاكي المدفون على البحر الابيض » . قيل انه
كتب الى المهدي يصرح له في الامور التي خالف بها الشريعة واحدة واحدة
وقال له : اني اكتب هذا اليك لمجرد النصيح فاملي ان تعمل به وتخفيه عن اصحابك
لانهم لو علموا به لقتلوني جهلاً فان اخفيته وحفظت هذه النصائح فانت جدير
بنلك وان لم تخفه ولحقني شرٌ بسببه فأعدّه « كلمة حق عند ملك جائر » فاخفاه
المهدي عن اصحابه ولكن اباح به ود الزاكي لبعض اخصائه .

« والشيخ محمد نور احمد من عمد بارة » . قيل انه كان يصلي كثيراً بالصلاة

الجزولية فلما امر المهدي بمنع قراءة الكتب كلها اغتاض من منع كتاب الصلاة الجزولية فحماله يده وتقدم الى المهدي وقال له اني لا استطيع ترك هذه الصلاة وانا راض بما يصيبني من قراءتها فكتب اليه المهدي كتاباً يسمح له بقراءتها هذه صورته بعد البسملة: « وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي الى حبيبه محمد النور وقاه الله الشرور انا قد قلنا ان من امكنه ان يصلي على النبي بالصلوات الواردة الماثورة فخير لا جل الاقتداء ومن كان لا ينشط لذلك فليصلي على النبي بما ينشطه من جزوليته او غيرها والسلام، ﴿ العالم الاسلامي ودعوى المهدي ﴾ هذا وقد اهتز لمهدي السودان العالم الاسلامي في جميع الاقطار وهاجر اليه جماعة من مصر والحجاز والهند وبلاد المغرب قصد زيارته والوقوف على حاله ولو اطال الله في امده وزاد في توفيقه لقلب وجه الشرق انقلاباً عظيماً ولكن لطف الله بعباده واوقفه عند هذا الحد فلم تتعد نصرته السودان ﴿ الحكومة ودعوى المهدي ﴾ وكانت الحكومة قد تحوطت له فأصدر جلالة السلطان عبد الحميد السلطان الحالي ايداه الله منشوراً رسمياً كذب فيه دعوى محمد احمد ونشره في جميع البلاد الاسلامية * وكذلك أستفتي علماء الازهر في شأنه فأفتوا بتكذيبه ونشر مجلس النظار منشوراً بذلك قال العوام في نصيحته المشهورة: « ان الحكومة لم تستفت علماء الازهر في امر المهدي الا في شهر محرم سنة ١٣٠١ هـ أي بعد مباشرتها الحرب سنتين واربعة اشهر وعجزها عن القيام باستمرار الحرب فكان رجوعها بعد ذلك الى الاستفتاء رجوع فرعون الى الايمان * ثم لما ذهب عبد القادر باشا والي اعلى السودان أوعز الى علماء الخرطوم فألفوا الرسائل في تكذيب محمد احمد وتسفيه رأيه وقد طبعت في مطبعة الحجر في الخرطوم ووزعت في البلاد واشهر هذه الرسائل: رسالة السيد احمد الازهري ابن الشيخ اسماعيل الولي الكردوفاني شيخ الاسلام في عموم غرب السودان المسماة بالنصيحة العامة لاهل الاسلام عن مخالفة الحكم والخروج عن طاعة الامام * ورسالة الشيخ الامين الضير شيخ الاسلام في عموم شرق السودان المسماة هدي المستهدي الى بيان المهدي والتمهدي * ورائية الاستاذ محمد شريف المار ذكرها * ورسالة المفتي شاكر مفتي مجلس استئناف السودان * وهذه هي:

رسالة المفتي شاكِر الغزّي في بطلان دعوى محمد احمد المتهمدي ❦

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل السلطنة سرّاً من اسرار الالوهية وفرضاً من الفروض الشرعية الدينية . وجعل لزوم طاعتها فرضاً لازماً وامراً جازماً . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بين الحلال والحرام وازال الشكوك والاهام . وعلى آله واصحابه السادة في الاهتداء وشموس الاقتداء فيقول العبد الفقير شاكِر الغزّي مفتي مجلس استئناف السودان بلغه الله اقصى منازل الرضوان لما كان ما ادعاه محمد احمد من المهدي بعيد عن الصدق بالكلية وصدقه في مدعاه جهلة العوام والابواب الطغام جمعت هذه الرسالة في نصائحهم وارشادهم من هذه الضلالة مرتبة على مقدمة وفصلين وخاتمة فأقول والله المستعان

❦ المقدمة * في وجوب طاعة السلطان وولاء الامور ❦

اعلموا ايها الاخوان اصلح الله لي ولكم الشأن ان الدين والسلطان اخوان متلازمان فالدين هو الاساس والسلطان هو حافظه ومشيده ومالا حافظ له ضائع بيز تأييده فلا دين الا بالسلطان . فالسلطان في الحقيقة هو القائم بحماية الدين وحفظ بلاد المسلمين وهو ظل الله في ارضه وبه تقام شعائر سنته وفرضه فهو خليفته على خلقه وامينه على رعاية حقه قد ارتضاه من خليقته وامرهم بطاعته . قال تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم . وقال (صلعم) عليكم بالسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة . وقال عليه السلام تسمع وتطع وان ضرب ظرك واخذ مالك * واعلموا ان من اوضح الادلة السالمة من الاعتراض الحاسمة ابواب الانتقاض ما ورد في القرآن العظيم وسنة النبي الكريم من الامر بالاعتصام بالكتاب والسنة والاتلاف وعدم النزاع والخلاف قوله واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتشوا وتذهب ربحكم . وقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . وقال تعالى لو انفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم والراد بحبل الله المعتصم به هو القرآن وهو اختيار جماعة من ائمة التفسير * وتقل

عنه عليه السلام انه قال ان الله رضي لكم ثلاثاً وكره لكم ثلاثاً رضي لكم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً . وان تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . واسمعوا واطيعوا . لمن ولاه الله تعالى امره . وكره لكم قيل وقال واضاعة المال الحديث * وقال عليه السلام المؤمن كالبنان يشد بعضه بعضاً . وقال عليه السلام من حمل علينا السلاح فليس منا . وقال عليه السلام من رأى من اميره شيئاً فكرهه فليصبر فانه ليس احد يفارق الجماعة شبراً فموت الا مات ميتة جاهلية * واعلموا ان نور التآلف ينسخ ظلم العداوة من القلوب ويكون سترًا من هجوم الحوادث وسدًا في وجه الخطوب . وقديماً ثبت في القبائل والعشائر نار العداوة فأحرقتهم وانبسطت يد المنازعة والمخالفة بينهم فمزقتهم واستلت فيهم سيوف الاحن والبغضاء ففرتهم ولمعت بروق التقابل والتقاتل فتآلفت . ثم هبت عليها رياح التآلف والاتفاق فأطفأت ضرامها وصرفت غرامها وشفقت سقامها ونفت عنها آلامها وملامها فتبدلوا بالاساءة احساناً وبالمخالفة اماناً وبالمنافرة اذعاناً وبالنقيصة رجحاناً فعادوا بعد التباين صنواناً واصبحوا بنعمة الله اخواناً * فاذا علمتم ذلك وعلمتم ما تضمنته هذه الآيات الكريمة والاحاديث العظيمة من وجوب طاعة ولاة الامور وحرمة قتالهم والخروج عن طاعتهم أيقنتم ان من خرج عن الطاعة شبراً فقد عصي الله ومات ميتة جاهلية . واذا علمتم ايضاً ما في الخلاف والمنازعة والعداوة من الخراب والدمار أيقنتم ان الواجب عليكم الرجوع الى الائتلاف والاتفاق فاتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون . فذكروا انفسكم رحمكم الله تعالى فان الذكرى تنفع المؤمنين

❦ الفصل الاول * في بطلان دعوى محمد احمد المهدية ❦

ان بعض العلماء قال بظهور المهدي في آخر الزمان واحتجوا لذلك باحاديث خرجها الاثمة . وبعض العلماء انكرها وتكلموا فيها وربما عارضوها ببعض الاخبار والمتصوفة المتأجرين طريقة اخرى في امره . ورمز بعضهم الى خروجه في ج ف ج اشارة الى انه يخرج سنة ٦٨٣ . ورمز بعضهم الى خروجه في سنة ٧٠٠ وكسور وغير ذلك ولم يخرج . فللعلماء فيه قولان قول بخروجه آخر الزمان وقول بعدم خروجه .

وعلى القول بخروجه فهذا ليس زمانه • ومحمد احمد ليس هو المهدي المنتظر لمخالفته
له في اوصافه وفي مكان مولده ومكان خروجه ووزرائه ورجاله * * * فما ورد من
ذلك ان مولد المهدي المنتظر ومظهره بمكة كما في العرف الوردى والصواعق •
وقيل مولده بالمدينة • وقال العلقي والقول بانه يخرج من المغرب لا اصل له وعلى
نسيم صحته فالذي قال بخروجه من المغرب قال انه يخرج بموضع يقال له ماسة وراء
السوس الاقصى • وانتم لا يخفى عليكم ان مولد محمد احمد بدقلة وخروجه بجزيرة
ابو جيل قدير فقد باين المهدي في المولد والخروج وهذا دليل على بطلان دعواه
وظهور كذبه واقتراه * * * ومنها انه من عترته (صلعم) افرق الثنايا اجلى الجبهة
وجهه كالكوكب الدرري ومحمد احمد ليس كذلك * * * ومنها انه شاب اكحل العينين
ازج الحاجبين اقنى الانف كث اللحية على خده الايمن خال وعلى يده اليمنى خال
وهذه الاوصاف تباين اوصاف محمد احمد وهو ايضا برهان قاطع بعدم صحة دعواه
وبطلانها * * * ومنها انه يشبه رسول الله (صلعم) في الخلق ويقرب منه في الخلق وانتم
تعلمون ان لونه (صلعم) ابيض مشرب بحمرة كما في الشماثل الترمذية ولون محمد احمد
ليس بابيض كما هو مشاهد لكم فمن اعتقد ان لون نبينا (صلعم) كلونه فقد انتقصه
وحكم منتقصه (صلعم) الردة حتى قال في الشفاء لا تقبل توبته وهذا دليل
ايضا على عدم صحة دعواه • وايضا لا يقارب خلقه (صلعم) لقتله المسلمين واستباحة
اموالهم وحملهم على قتل بعضهم بعضا ورسول الله (صلعم) منزّه عن ذلك * * *
ومنها انه ينادي عند ظهوره فوق رأسه ملك هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه ومحمد
احمد ليس كذلك فكيف تتوهمون في عدم صحة دعواه الباطلة وهذه الاحاديث
نكذبه اكدبتم باحاديث رسول الله والعياذ بالله تعالى * * * ومنها ما اخرج الحاكم
في صحيحه عنه عليه الصلاة والسلام قال يحل بامتي في آخر الزمان بلاء شديد من
سلطانهم لم يسمع بلاء اشد منه حتى لا يجد الرجل ملجأ فيبعث الله رجلاً من
عترتي اهل بيتي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يحبه ساكن الارض
وماكن السماء وانتم لا يخفى عليكم ان شدة البلاء من السلطان وعدم الملجأ لم يوجد

فانا وانتم في رغد من العيش آمنين مطمئنين وملجأنا وملجأ العامة موجود وهو ولي
 النعم الخديوي الاعظم وسعادة افندم ناظر ديوانه وحكمدار عموم الاقاليم
 السودانية « عبد القادر باشا » بلغه الله ما يشاء . والمأمورون من تحت ادارته
 تلجأون اليهم في مهماتكم فيأخذون بيد المظلوم وينتقمون من الظالم . فلا يتوهم
 حينئذ ظهور المهدي في هذا الزمان لان هذا الزمان ليس زمان ظهوره لوجود اللجأ
 وفقد البلاء . وان كنتم تتوهمون انه المهدي فاين ملؤه الارض عدلاً وقسطاً كما
 في الحديث بل والله ما ملأها الا قتلاً وفساداً وخراباً كما هو مشاهد واين حب
 ساكن الارض له هل يحب العاقل من يسعى في الارض بالفساد وينهب ويقتل
 العباد وهل يرضى احد بفقد الامن وقتل المسلمين بغير حق وتفريق كلمتهم .
 فاعتبروا يا اولي الابصار وانظروا بعين الاستبصار واعتقدوا ان محمد احمد ليس
 مهدياً وكذبوه في دعواه لما بسطناه من الاحاديث ولما ورد عن رسول الله (صلعم)
 ان رجال المهدي المنتظر الهيون ابدال الشام وعصائب اهل العراق فهل رأيتم
 يا جهلاء المسلمين معه رجالاً الهيون من ابدال الشام وعصائب اهل العراق كلا
 والله ما معه الا جهلة العوام واوباش الطغام كما هو ظاهر لكم وهذا دليل ايضاً كذبه
 في دعواه * * * ومنها انه يخرج لقتال يوسف السفيناني لا لقتال المسلمين ومحمد احمد انما
 يقاتل المسلمين ويقتلهم ظمناً فهل رأيتم في كتاب الله او سنة رسول الله ان المهدي
 يقاتل المسلمين ويقتلهم وينهب اموالهم وهو انما يظهر لحماية الدين ونصرة المسلمين .
 واين السفيناني وجيوشه الذين خرج محمد احمد لقتالهم فهذا برهان آخر على ان دعوى
 محمد احمد زور وبهتان * * * ومنها ان المهدي يبايع وهو كاره لهذه البيعة ومحمد احمد
 يندب الناس الى مبايعته ويقتل من لم يبايعه وهذا دليل على ضلال محمد احمد
 وبطلان دعواه * * * ومنها ان المهدي المنتظر لا يخرج عن الكتاب والسنة ومحمد
 احمد نبذ كتاب الله وراء ظهره والا فالكتاب والسنة لا تبيحان الخروج عن طاعة
 الامام والكذب والغش والتليس على المسلمين وقتلهم ونهبهم بلا حق والشرع لا
 يبيح قتل الكافر المؤمن والمعاهد ولا نهب ماله فاين العمل بالكتاب والسنة . فهذه

عدة ادلة نقلناها في بطلان دعواه . فهل رضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وما متاع
الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل ام قبلتم الخروج عن سنن الكتاب والسنة
واقبلتم على اعقابكم خاسرين اهكذا شأن المسلمين فكيف ترضون باقرار هذه
العاوي بين اظهركم ولم لا تغيرون هذا المنكر من بين اظهركم * فيا ايها المسامون
انشدكم الله تعالى في دينكم لا تغيروه بوساوس محمد احمد الشيطانية وهذياناته النفسية *
فانا رأينا وسمعنا كثيرا من ادعى المهدي قبله كابراهيم السوداني فانه ادعى المهدي
بالخرطوم واتخذ محمد الهراف وزيرا وتلاشى امره وبطالت دعواه بقوة الحكومة *
وكذلك الشيخ احمد بن عبيد المدعي انه المهدي بصعيد مصر قد تلاشت دعوته الباطلة
وفرت جموعه العاطلة وغير ذلك ممن ادعى المهدي بل النبوة بل الالوهية كالمقنع
الكندي وبطلت دعواهم وكذبهم الكتاب والسنة فيها وانقطع امرهم * فاعلموا ان
محمد احمد هذا قد تأسى في دعواه هذه بمن ادعاه قبله وسيحل به ان شاء الله تعالى
ما حل بهم فاتقوا الله عباد الله وازيلوا هذا المنكر بما قدرتم لانه ورد عنه عليه السلام
من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يقدر فبلسانه فان لم يقدر فبقلمه وذلك
اضعف الايمان والله سائلكم عن ذلك

مجمع الفصل الثاني * في النهي عن اتباعه ونصيحة من اتبعه ❦

قد اوضحنا لكم السبيل السوي ونقلنا لكم القول القوي مما ليس فيه شائبة توهم
ان محمد احمد هو المهدي فلا يتبعه الا من استحسنت عليه عوائد التوحش ووقع في
ظلمات الجهل والطمع في ايدي الناس وباع دينه بديناه فجملة اتباعه من حقى
العربان وحقى الدراويش الذين ليس لهم مقصد الا النهب والسلب والقتل اذ انهم
اضل من الانعام سبيلا لا بصيرة لهم ولا معرفة ولا دين . فما مثال هؤلاء الاتباع
الا كمثل امرأة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين ثبتت اسمائهم في
الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان يقطع
لها ملكة فلبست درعا ولبست على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا
وتعدت ايرادها بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيف تبخرهم في الميدان

وتحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزبي والمنطق والحركات والسكنات
ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت الى المعسكر
انفذت الى ديوان العرض وامر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمنح
بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنائها فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي
عجوز ضعيفة زمينة لا تطيق حمل الدرع والمغفر ثقيل لها أجبت للاستهزاء بالملك
والاستخفاف بأهل حضرته والتليس عليهم . خذوها فالقوها قدام الفيل لسحقها
فألقيت الى الفيل وهكذا يكون حال الجهلة الطغام الذين لا يعرفون عاقبة ما هم فيه
المغرورين الملبسين الذين سؤل لهم الشيطان اعمالهم فصدمهم عن السبيل وما كانوا
مهتدين . فايأكم ايها الاخوان الاقتداء بهؤلاء الجهلة والعمل بأعمالهم فيجب
عليهم ان يرجعوا الى طاعة الحكومة ولا يقتدوا بشيخهم ابليس لانه اذا كشف عنهم
الغطاء وأنتهم الجلل والمدافع والبنادق والرصاص لتمنوا الخلاص ولات حين
مناص اذا ما من احد ينكر ان عساكر الحكومة هي مئات من الالوف وان الحكومة
قادرة في كل وقت على تجديد الوف الالوف من العسكر وتجهيزها بالمهمات الكافية
الحربية وعلى تشكيل القوى العديدة وان حصول التلف لجزء من عساكرها لا يؤثر
في الحكومة شيئاً ولا تعتد به لاقتدارها على تجديد اكثر منه في اقرب وقت . فبمجرد
وقوع الفشل لبعض العساكر في بعض الوقائع لتهاون الضباط واهمالهم لا تؤيد
دعوى الشقي محمد احمد اذ لذلك امثال مضت ووقائع تقدمت . ألا ترون ما وقع من
عساكر الحكومة مع العصاة الذين كانوا بجهة شك ودارفور وغيرها في اول الامر
أوقعوا الفشل في عساكرها ثم انتصرت عليهم عساكر الحكومة وعاد عليهم العصيان
بالوبال والخسران وذهبوا فريسة عساكرها جزاء خروجهم عن الطاعة وامثال هذا
كثير يعلمه من شاهد الحوادث أو سمع بها . فكيف يتصور بعقل عاقل ان هذا الشقي
بمجرد اجتماع شرذمة من المفسدين عليه غايتهم السلب والنهب يقاوم حكومة لها
مئات من الوف العساكر والجيش قادرة بمنه تعالى على تسليحهم بأسلحة نارية وآلات
حرية . وهذا ما أعد لهم في الدنيا وقد أعد الله لهم جهنم وساءت مصيراً جزاء

خروجهم عن طاعة الله ورسوله وولاية الامور وقتلهم النفس التي حرم الله قتلها
ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها فאלله الله عباد الله عليكم بتقوى الله
تعالى والعمل بكتاب الله وسنة رسوله وارجعوا الى طاعة الله وطاعة الحكومة ولا
تبعوا الاوهام الشيطانية والوساوس الخرافية وانشدكم الله في دمائكم واموالكم ودينكم
الا تضيعوها بمتابعة محمد احمد الشقي وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

❦ الخاتمة ❦ في وجوب قتل الخوارج ونصر السلطان ❦

اعلموا ايها الاخوان قد اجمع ائمة الدين ان الخروج عن الطاعة من الكبائر ولو
جار السلطان لا يجوز الخروج عليه ويجوز له قتلهم . ويجب عليكم قتال الخوارج معه
ونصرته عليهم نخلعهم ربة الاسلام قال (صلعم) من فارق الجماعة شبراً فقد خلع
ربة الاسلام من عنقه . وقال (صلعم) يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الاسنان سفهاء
الاحلام يقولون من قول خير البرية يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية
لا يجاوز ايمانهم حناجرهم فأينا لقيتموهم فاقتلوهم فان قتلهم اجر لمن قتلهم يوم القيامة .
وعنه عليه الصلاة والسلام قال سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل
ويسئون الفعل يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من
الرمية لا يرجعون حتى يرتد على فوقهم هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم وقتلهم
يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء . من قاتلهم كان أولى بالله منهم . فعليكم
ايها المسلمون ان تنصروا الله تعالى بنصر سلطانكم قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم . فيجب عليكم صيانة لدينكم وحفظاً لاموالكم ودمائكم ان تقاتلوا هؤلاء
الخوارج الدجالين وتقتلوهم حيث وجدتموهم وان تمنعوا كل من اراد الخروج معهم
وتفرقوا جماعتهم وتمنعوا زيادتهم ويحرم عليكم جلب السلاح اليهم وكما يؤدي الى
قوتهم وزيادتهم حتى يرجعوا الى الحق ويعلموا الطاعة ولا يغرنكم قول محمد احمد
الشیطان الغرور ان يخرج عليكم مدافع الترك وبنادقها ورصاصها ماء بارداً لا ناراً وانه
بمسك سر النار لكم فهذا كذب وغرور وبهتان وزور لا صحة له ولا دلائل عليه
بدليل ان الرصاص من الترك اصابه في كتفه ولم يقدر ان يجعله ماء على نفسه

فكيف يجعله عليكم ماء، وهذا وزيره ولد المكاشف واحمد ولد طاهها وغيرهم ممن كانوا
بجزيرة أبا وغيرها وجميع من كان معهم من حزب الشيطان قتلهم الرصاص ولم يجعله
عليهم ماء كما هو شاهد اكل مطلع بالعيان . فيا اتباع محمد احمد قد اوضحنا ما أنتم
عليه ومحمد احمد من الباطل مؤيد بالكتاب والسنة وعلمتم حكم الله فيكم فالله الله
في دمائكم ودماء المسلمين والدين . فبادروا الى الحكومة بطلب العفو والامان
وتقربوا اليها بالسمع والطاعة وتوبوا الى الله تعالى وتوسلوا اليه باتباع اوامر الحكومة
 واجتناب نواهيها فانها تقبل متابكم وتعفو عن عقابكم وتشملكم بالرحمة والاحسان
والعفو والامان . وها قد بذلت لكم النصيحة فاتركوا الافعال القبيحة فكم للحكومة عليكم
من الاحسان الجليل والغفران الجزيل فانها ربتكم فوق مهد عدلها وادرت عليكم
وافر فضلها وخلصتكم من ملوككم الاولين الذين اتخذوكم عبيداً وخولاً وعمرت
بلادكم وامنت اوطانكم وكثرت زراعتكم بعد ان كانت بلادكم بغاية الخراب والبور
واموالكم وذراريكم للنهب والاسار لا تملكون خطيراً ولا حقيراً . والآن لله الحمد
صرتم بفضلها وحسن سياستها في غاية الامن والعمار وكثرة الغنى واليسار ومع ذلك
فهي تنفق على عمار بلادكم وحفظ حياتكم المبالغ الوافرة من خزائنها العامرة ولا
تحميلكم دفع شيء من ذلك . وما تأخذ منكم من المطالب الميرية ينفق مع
زيادة عليه منها في مصالح بلادكم الضرورية . ومع هذا فلا يبالغ مطلوبكم نصف
مطلوب مديرية من المديرية مع ان الله تعالى اوجب عليكم ان تدفعوا للحكومة
زكاة سائمتكم من ابل وبقر وغنم وخراج اراضيكم واذا حاسبتكم الحكومة على ما هو
واجب عليكم دفعه شرعاً اليها واخذت منكم على مقتضاها يكون اضعاف ما يؤخذ منكم
من المطالب الآن . فمع شمولها بهذه الشفقة والرحمة الخديوية كيف يليق بكم ان
تقابلوها بالعصيان وتتبعوا حزب الشيطان واهل الفساد والبهتان وتسعوا في خراب
دياركم وقتل نفوسكم ونهب اموالكم فلولا شفتها ورحمتها بكم لانزلت بكم العذاب
وعاملتكم بأشد العقاب فاقبلوا هذه النصيحة واسأل الله لي ولكم الهداية في المبدأ
والنهاية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم « انتهت » ويلها :

﴿ رسالة السيد احمد الازهري في تكذيب دعوى محمد احمد المتمهدي ﴾

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خص من اصطفاه بالهداية وهدى من وفقه الى سلوك سبيل الرشد بمحض العناية والصلاة والسلام على حبيبه ورسوله الذي انزل عليه كتابه الذي لم يفرط فيه من شيء وعلى جميع آله واصحابه الناهجين منهاجه في تبيين الرشد من الغي »

« اما بعد فأقول وانا الذي من كل حول وقوة بري الفقير اليه تعالى « السيد احمد المعروف بالازهري ابن الشيخ اسماعيل الولي الكردوفاني » افاض الله تعالى علي وعلى المسلمين من فيض مدده الرحاني . انه لما كانت النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم من الدين وقد ورد ذلك في الاحاديث الصحيحة عن سيد المرسلين وخاتم النبيين وورد عنه ايضاً من لم ينصح في ديننا هذا فليس منا أي ليس تابعا لسنننا وورد عنه ايضاً من لم ينصح في ديننا هذا فبيعتة منقوضة وغير ذلك مما لا يمكننا ايراده هنا قد عن لي ان اتدارك نفسي والمسلمين من اتباع الوسوس الشيطانية واقتحام سبيل المهالك بالتسويلات النفسانية وذلك لما تحقق عندي من عموم البلوى التي انتشرت ببلاد السودان حتى ضاعت بسببها الالوف المكررة من دماء المسلمين واموالهم خصوصاً في جهات سنار وجهات كردوفان وانجبرت الحكومة العثمانية على بذل التكاليف لتحصيل العُدَد والعدَد غيرة على الدين والاسلام واهله لاجل الذب وردع المفسدين بسطوة الدولة وقوة المدد . وحيث ان شنت القبائل من العربات وغيرهم اغلبهم عوام وقد قام بأفكار ارباب العقول الضعيفة ما قام بها من الاوهام نظراً لما سمعوه من دعوى المهدي التي قام بها محمد احمد وصدور مكاتبات منه لبعض من يظن انه يعتمد عليها وتكون له كالمستند وقد هيئت تلك الدعوى وما اشتملت عليه من المكاتبات فتنة عظيمة بين المسلمين حتى صار البعض منهم يقتل بعضاً وينهب ماله من غير حق الاسلام وغاب عنهم ما حذر الشارع (صلعم) وصرح بأن ما كان مماثلاً لما ارتكبه لا يشك فيه بأنه

حرام • وكان قبل خروجي من محل طني كردوفان قد بلغني ان مدعي الهدية المذكور قد خاطبني بكتاب وكنت حريصاً على وجدانه والنظر لما اشتمل عليه من الخطاب ولكني لم اجده ولم اجد احداً يكتفه لي لكي ابني عليه مخاطبة تشتمل على ما لا بد منه من النصيحة وأوضح فيها ما يحتاج اليه من النصوص الصريحة رجاء مني بأنها ان وصلت اليه وتليت بين يديه فانه لا يسعه الا الرجوع الى الحق ومقابلة أولي الامر بالسمع والطاعة وتسكين هذه الفتنة التي هاجت بين الخلق وما كنت أظن اشتداد هذه الفتنة يبلغ هذه الغاية حتى مررت بجزيرة الخرطوم قاصداً التوجه الى مصر المحروسة وبعد وصولي الى الخرطوم تراكمت عليّ المخاطبات بوصول تلك البلوى والفتنة الى ما ليس له نهاية • ثم لما حضر صاحب الجلالة والشهامة والرأي السديد والتدبير الكامل والبسالة والفخامة ناظر الديوان وحكمادار عموم الاقاليم السودانية « سعادتلو عبد القادر باشا » بلغه الله تعالى غاية الامنية بمركز الحكومة الذي هو في الخرطوم وبسديد رأيه دبر الامور ورتب الترتيبات ونشر راية الامن واجتهد في نشر ما يكون به اصلاح العموم ومن الجملة فان الواجب علينا القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاجتهاد في بذل النصيحة ودرء الشبه التي قامت بأفكار من ليس لهم قريحة بايراد الادلة المأخوذة عن الاحاديث الصريحة واقوال اهل العلم المعتمد على اقوالهم الصحيحة عسى ان يكون في ذلك نفع للعموم وردع للمفسدين بما يكون لهم من الدين معلوم وقد ألفت هذه النصيحة التي سميتها « النصيحة العامة لاهل الاسلام عن مخالفة الاحكام والخروج عن طاعة الامام » وعند شروعي في ما قصدت بعون من عليه اعتمدت قلت :

« اعلوا ايها الاخوان في الاسلام الراغبون فيما عند الله تعالى من الكرامة والانعام ان الله سبحانه وتعالى بين لعباده طريق الضلالة وطريق الهدى وانه مراقب لهم في جميع احوالهم وافعالهم ولم يتركهم سدًى واختار من عباده انساناً أولاهم اسرار المملكة وأمر بطاعتهم وجعل مخالفتهم مؤدية الى الوبال والتهلكة قال تعالى اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم وقال عليه الصلاة والسلام عليكم بالسمع والطاعة

وان ولي عليكم عبد حبشي . وقد نص العلماء على ان الخروج عن طاعة الامام حرام . وقال عليه الصلاة والسلام من اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني . وقد نص العلماء أيضاً على ان الامام لا يعزل ولا تنبذ ببعده ولا يطرح عهده الا اذا امر احداً ان يكفر أو كفر هو أي الامام واما اذا لم يكفر فانه لا يعزل عن الامامة ولا يُنبذ عهده ولا تطرح بيعته ولو زالت عنه العدالة واتصف بالفسق كما عليه اهل التحقيق . وحيث علمتم ما اورده لكم من النصوص من ان طاعة الامام واجبة عليكم وان خروجكم عن طاعته حرام عليكم وانه لا يصح لكم نبذ عهده وطرح بيعته ولو اتصف بالفسق . ما لم يكفر فكيف يسوغ لكم الاستماع لما نقل عن محمد احمد من دعوى المهدي والغترار بما ينقل عنه من الاقوال في المخاطبات مع ان دعواه المهدي ليس له دليل عقلي ولا تقلي يوافقه على صدقه فيها وها اني اذكر لكم ادلة تناقضه في دعواه المذكورة :

أولها ان محمد احمد المنقول عنه انه مدعي المهدي مولده ببلاد السودان وذلك معروف متواتر عند جميع من يعرفه من اهل عصره فضلاً عن كونهم يعرفون ابيه وأمه وانهما مما يطلق عليهما اسم الدناقلة ولو ان ذلك نسبة الى البلد ولم ينقل عن احد انه توجه الى مكة ولا الى المدينة . والذي ذكره العالم المحدث شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمي نزيل مكة في كتابه الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة نقلاً عن الامام علي كرم الله وجهه انه قال - مولد المهدي بالمدينة ثانيها ان المحققين من العلماء ذكروا من الحديث الذي اخرج ابو نعيم ليبعث الله رجلاً من عترتي افرق الثنايا اجلى الجبهة اي منحسر الشعر عن جبهته . ومما اخرج الروياني وغيرهما المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي اللون لون عربي والجسم جسم اسرائيلي اي طويل . وورد ايضا في حليته انه شاب اكحل العينين ازج الحاجبين اتنى الانف كث اللحية على خده الايمن خالاه . فهذه الصفات المذكورة في صفات المهدي مفقودة في محمد احمد المذكور فانه حضر عندنا بكردوفان في مدينة الابيض مركز المديرية وحضر عندنا بجامعنا زائراً لنا وجلس مجلسنا ونحن نقرأ وقتئذ درس

الحديث في الشئائل الترمذية وهو بالمجلس الى ان فرغنا من الدرس وانه زارنا وطلب منا الدعاء وتوجه الى منزله ولم نر فيه شيئاً من تلك الاوصاف بل انما هو عند جلوسه بمجلسنا لم نر منه الا الرزانة والخضوع والصمت وكان اذ ذاك في الربيع الاول ثم رجع الى جزيرة ابا واقام فيها اشهرًا . ثم بلغنا انه تفوه بتلك الدعوى وقيل انه قال انه له خال في خده الايمن فان ثبت ذلك مع عدم ثبوت بقية الاوصاف لم يقد شيئاً ثالثها * ان الذي ذكره العلماء المحققون ان ظهور المهدي بعد ان يكسف القمر في اول ليلة من رمضان وتكسف الشمس في النصف منه ومثل ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والارض اه ومن المعلوم ان محمد احمد المذكور تفوه فيما قيل بتلك الدعوى بجزيرة ابا في شهر شعبان وان رمضان قدم ولم ينقل عن احد كسوف القمر في اول ليلة منه ولا كسوف الشمس في النصف منه وذلك دليل واضح على ان المهدي التي ادعاها لم يظهر فيها ما يدل على دعواه

رابعها * انه نقل عن الامام المحقق الجامع بين الحقيقة والنسبة الشيخ الشيرازي انه قال في مختصره روي انه يخرج في آخر الزمان رجل يقال له المهدي من اقصى المغرب يمشي النصر بين يديه اربعين ميلاً راياته بيض وصفر فيها رقوم وفيها اسم الله الاعظم مكتوب فيها فلا تهزم له راية . وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له ماسة من جبل المغرب فيبعث هذه الرايات مع قوم قد اخذ الله تعالى لهم ميثاق النصر والظفر أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون اه وقد علمت ان محمد احمد المذكور لم ينقل عن احد انه رآه توجه الى اقصى المغرب ولم يكن بجبل المغرب بالموضع الذي يقال له ماسة بل ان المسموع الآن انه بجبل قدير من جبال الصعيد وان قال قائل بان جبل قدير هو الذي يقال له ماسة يرد عليه انه ليس بجبل قدير بحر له ساحل ولم يحصل منه بعث رايات بالصفات المذكورة وان من يدهم الرايات الزاعمين انهم وزراء له قد اتضح لكل احد خذلهم وقتلهم على يد عساكر الحكومة ولم يأخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر

خامسها * ان شهاب الدين احمد بن حجر قد ذكر مما اخرج ابن عساكر عن

علي كرم الله وجهه اذا قام قائم آل محمد (صلعم) جمع الله اهل المشرق واهل المغرب
فاما الرقاء فمن اهل الكوفة واما الابدال فمن اهل الشام ثم قال وصح انه (صلعم)
قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هارباً الى مكة فيأتيه
ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث اليه
بث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك اتاه
ابدال اهل الشام وعصائب اهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش اخواله
كلب فيبعث اليهم بعثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخبيبة لمن لم يشهد غنيمة
كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبينهم (صلعم) اه . ولا يخفى على العاقل
ان الامام الذي هو خليفة رسول الله (صلعم) موجود الآن فلم يمت ولم يحصل
اختلاف في الخلافة حتى يدعيها احد فدعوى محمد احمد بالخلافة الكبرى والمهدوية
مع وجود الخليفة وطلبه من الناس مبايعة فيه مخالفة لنفس الحديث المتقدم فضلاً عن
كون نذ عهد الخليفة الموجود وطرح بيعته مع انه لم يكفر لا يجوز شرعاً ومما ذكرناه
يعلم رد جميع الادلة التي تنقل عنه بانه يستدل بها على ايجاب طاعته والزام موافقته
لانه لم تثبت امامية مع وجود الامام فجميع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية
المعزوة اليه بانه يستدل بها مسوقة في غير موضوعها

سادسها * ان الذي رواه الامام احمد وغيره المهدي منا اهل البيت يصلحه الله
في ليلة اه والمعروف عند جميع المعاصرين لمحمد احمد المذكور انه قد سلك الطريقة
الخلوتية على يد الشيخ القرشي وعلى يد غيره وحضر مجالس العلم عند جماعة فعلى تقدير
اصلاحه من المشايخ المذكورين فانه لا يوافق ظاهر ما رواه الامام احمد فضلاً عن
كون الامام المهدي المنتظر من السودان ولم يعهد له شيخ ارشده بسلوك طريقة مخصوصة
سابها * ان الحاكم قد روى في صحيحه يحل بأهتي في آخر الزمان بلاء شديد من
سلاطينهم لم يسمع بلاء اشد منه حتى لا يجد الرجل ملجأ فيبعث الله رجلاً من عترتي
اهل بيتي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يحبه ساكن الارض
وساكن السماء وترسل السماء قطرها وتخرج الارض نباتها لا تمسك فيها شيئاً اه

والمشاهد في حكومة الدولة العثمانية لم يحصل من حكامها البلاء الذي ذكرناه حتى يخرج المهدي والمشاهد الآن ان كل من وقع في قبضة محمد احمد مدعي المهدي يسخط عليه لانه يقتل رجاله وينهب ماله فأين الاتفاق من ساكني الارض على محبته فضلاً عن الظلم والجور الذي حصل من بعض الناس لبعض وأين العدل والتسط ثامنها * ان الامام الاكبر سيدي محي الدين بن عربي الصوفي قال في فتوحاته المكية قد استوزر الله للمهدي طائفة خبابهم الله تعالى في مكنون غيبه اطلهم كشفاً وشهوداً على الحقائق وما هو الا امر الله في عبادته فلا يفعل المهدي شيئاً الا بمشورتهم وهم على اقدام رجال من الصحابة الذين صدقوا الله ما دعاهم اليه وهم من الاعاجم ليس فيهم عربي لكنهم لا يتكلمون الا بالعربية لهم حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط هو اخص الوزراء اه . فلم مما ذكره هذا الامام ان الجانبين على انفسهم الذين عرضوا انفسهم للتلف حتى طهر الله تعالى الارض منهم بسيف الحكومة كان ادعائهم الوزارة مجرد تسويلات نفسية وان ثبت ان محمد احمد قد خاطبهم بالوزارة المذكورة او اقرهم عليها فذلك دليل على عدم دعواه المهدي

تاسعها * قال بعض ائمة التحقيق وجاء في بعض الروايات انه ينادي عند ظهوره فوق رأسه ملك هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه فقبل عليه الناس ويشربون حبه وانه يملك الارض شرقها وغربها وان الذين يبايعونه اولاً بين الركن والمقام بعدد اهل بدر ثم تأتية ابدال الشام ونجباء مصر وعصائب اهل الشرق واشباههم ويبعث الله له جيشاً من خراسان برايات سود نصرته له ثم يتوجهون الى الشام وفي رواية الى الكوفة والجمع ممكن وان الله تعالى يؤيده بثلاثة آلاف من الملائكة وان اهل الكهف من اعوانه . فالذي عليه الناس الآن من تمنيتهم ظفر الحكومة بمحمد احمد ونصرتها عليه لازالة المفاسد التي حدثت بأسباب ادعائه هذه الدعوى ينافي نداء الملك واشرباب محبته في قلوب الناس

عاشرها * قد ورد ان الكنوز تفتح في زمن المهدي وانه يضع الجزية ويقتل من لم يسلم واجابوا بأن اتصاف سيدنا عيسى بذلك لا ينافي اتصاف المهدي بأن كلاً

منها امام متبع ومقرر لشريعة رسول الله (صلم) وحيث ان الكنوز تفتح في زمانه فلا نفع لاختذ الجزية حينئذ حتى يشرع اخذها لان الوسيلة اذا لم يترتب عليها مقصدها فلا تشرع . وورد في رواية للترمذي ان الرجل يجي اليه فيقول يا مهدي اعطني فيجني له في ثوبه ما استطاع ان يحمله . واخرج احمد ومسلم يكون في آخر الزمان خليفة يجني المال حثيا ولا يعده عداء . واخرج احمد الماوردي انه (صلم) قال ابشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي يخرج في اختلاف من الناس وزلزال فيملا الارض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ويرضى عنه ساكن الارض والسماء ويقسم المال صحاحا بالسوية ويملا قلوب امة محمد غنى ويسمهم عدله حتى ان يأمر ناديا فينادي من له حاجة الي فما يأتيه احد الا رجل واحد فيأتيه فيسأله فيقول انت السادن حتى يعطيك فيأتيه فيقول انا رسول المهدي اليك تعطيني مالا فيقول احث فيجني ما لا يستطيع ان يحمله فيلقي حتى يكون قدر ما يستطيع ان يحمله فيخرج به فيندم فيقول انا كنت اجشع امة محمد نفسا كلهم دعي الى هذا المال فتركه غيري فيرده عليه فيقول انا لا تقبل شيئا اعطيناه اه . فما ذكرناه في سابع الادلة وما ذكرناه هنا يتضح لكل عاقل ان الامر الآن بالعكس فآين ارسال السماء قطرها واين اخراج الارض نباتها واين غنى القلوب واين اخراج الكنوز واين حثي المال واين فيضانه بل ان الامر الآن لم تشاهد الا شدته من قلة الامطار وغلاء الاسعار وتكالب الناس في الدنيا حتى ان بعضهم صار يقتل بعضا لاجل اخذ ماله وبهذا يتضح لكل عاقل ان هذا الزمن ليس زمن الامام المهدي

حادي عشر * قال شهاب الدين الامام احمد بن حجر قال ابو الحسين الابرقي قد تواترت الاخبار واستفاضت بكثرة رواياتها عن المصطفى (صلم) بخروجه وانه من اهل بيته وانه يملك سبع سنين وانه يملأ الارض عدلا وانه يخرج مع عيسى على نبينا وعليه افضل الصلوات والسلام فيساعده على قتل الدجال بياب له بأرض فلسطين وانه يؤم هذه الامة ويصلي عيسى خلفه اه وما ذكروه من ان المهدي يصلي بعيسى هو الذي دلت عليه الاحاديث كما علمت اه وقال سيدي الامام محي الدين بن

عربي الصوفي الحاتمي الطائي الاندلسي في كتابه بلغة الغواص في مبحث سيدنا عيسى عليه السلام وقام ملكه موقوف على ظهور المهدي وبظهوره يعم النداء ويفتح فم الاحاطة ويسمع الرجل من شرك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذ به عمله اهل بيته من بعده وتدعوهم الاحجار والاشجار لليهود ويفعلون بالقول مايفعله غيرهم بالفعل فيفتحون القسطنطينية بالتسبيح والتقديس اه . فآين ما ذكره هؤلاء المحققون من حال هذا الوقت ودعوي محمد احمد المهدي فكيف يليق بعقل تصديقه فيها .

وأما ما نقل عنه بأنه ادعى انه مأمور من رسول الله (صلعم) وانه مصرح في مكاتباته بذلك فان حاله لا يخلو اما ان يكون رأى رسول الله (صلعم) في المنام وامره بذلك فان صح ذلك فان امر رسول الله (صلعم) له في المنام بذلك لا يصح له العمل به حيث كان يخالف ظاهر الشرع من الخروج عن طاعة الامام وبذعهده وطرح بيعته فضلاً عن تأدية ذلك الى سفك دماء المسلمين وتلف اموالهم بغير حق الاسلام وقد نص الفقهاء بأن الرجل اذا رأى رسول الله (صلعم) في المنام واخبره بطلاق زوجته فانه تجوز له معاشرتها معاشرة الازواج ولا تحرم عليه وذلك لعدم ضبط النائم وان كان الشيطان لا يتمثل برسول الله (صلعم) في النوم . واما ان يكون ذلك يقظة بطريق الكشف فان كان بطريق الكشف فانه لا يصح له ايضاً ان يعمل به حيث انه يخالف لظاهر الشرع وقد نص اكابر العلماء على ان الولي يناط به حكم الظاهر فكيف وانه ان ارتكب امراً مخالفاً لظاهر الشرع يتبع فيه خصوصاً ان أدى الى سفك دماء المسلمين وتلف اموالهم . وحيث كان ذلك فلا يصح لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر ان يوافقه على ذلك فضلاً عن كون الدلائل الظاهرة تناقض دعواه المذكورة وقد نص اكابر الصوفية على ان الكشف اقسام وان بعضه يكون خيالاً فكيف بالعمل به مع ايقاعه في المحذور

واعجب من ذلك ما نقل عنه بان من شك في مهديته كفر فانه ان اراد بالكفر تغطية الحق بالباطل فان ذلك لا يحصل الا اذا اتضحت له دلائل تصدقه في دعواه والمكذب او الشاك لم يجد دليلاً يعارض تلك الدلائل فضلاً عن ان

جميع الأدلة الظاهرة التي اطبق عليها المحققون مناقضة لدعواه المذكورة . وان اراد بالكفر الخروج عن الايمان فذلك لا يقول به احد لان المهدي ليست نبوة ولا رسالة وغايتها خلافة فانكار اصل المهدي والشك فيها لا يوجب كفرًا بمعنى الخروج عن الاسلام لما مال اليه بعض العلماء في بعض طرق الحديث من قوله (صلعم) لا يزداد الامر الا شدة ولا الدنيا الا اذبارًا ولا الناس الا شحًا ولا تقوم الساعة ولا على شرار الناس ولا مهدي الا عيسى بن مريم . وان اوّل هذا الحديث بعض العلماء بان معناه لا مهدي معصوم الا عيسى او لا مهدي على الاطلاق سواء يأتي بعده عيسى فضلًا عن مهدي انسان مخصوص ادعاها في زمن لم يقم دليل على حضورها فيه وحاصل الامر ان الامام الذي هو خليفة رسول الله (صلعم) موجود الآن بيد الحياة ودولته منتظمة مؤيدة بوزرائه وجميع اهل الاسلام يخطبون باسمه في المنابر ويدعون له بالنصر والتوفيق بوجوده وانتظام دولته حاصلة لجميع اهل الدولة الصيانة لدمائهم واموالهم فالخروج عن طاعته مع ان اوصافه التي انعقدت بيعته عليها من اهل الحل والعقد باقية لم تنزل عنه حرام على كل مسلم وان الذي يخرج عن طاعته ويكون باغيًا ومحاربًا لله ورسوله وساعيًا في الارض بالفساد تجوز مقاتلته وردّه عما هو عليه واقامة حد الشريعة فيه . فلا وجه الآن يجوز لكم معاشر المسلمين الخروج عن طاعة امير المؤمنين واتباع الباغين المفسدين فان قابلتم ما قلته لكم بالامثال وتركتم سبيل الضلال فالله سبحانه وتعالى يعفو عما سلف ويوفق الجميع لصالح الاعمال وان ايتم الا ما اتمتم عليه عاكفون فسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينتقلبون هذا والحمد لله اولًا وآخرًا والصلاة والسلام على من جاء بالحق المبين وعلى آله وصحبه اجمعين . كان الفراغ من تأليفها صبيحة يوم الجمعة المباركة لعشر ليالٍ بقيت من شهر شعبان المكرم من شهور سنة ١٢٩٩ الف ومايتين وتسع وتسعين من هجرة اشرف المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين » اه

الى هنا انتهى بنا الكلام عن سيرة محمد احمد المهدي ووقائعه فلنأت الآن على ذكر خليفته التعايشي وما كان في ايامه من الوقائع والحروب فنقول :

الباب الثالث

في

❦ خلافة عبد الله التعايشي ❦

الفصل الاول

في

❦ مبايعة عبد الله التعايشي ❦

مات محمد احمد عن ثلاثة خلفاء يتولون الامر بعده الواحد بعد الآخر واولهم وادهاهم عبد الله التعايشي الذي تولى أمر دفنه . ولولا الدهاء والحزم اللذان فطر عليهما هذا الرجل ومساعدة الاقدار له لانفلت الامر من يده وعمت الفوضى السودان . ولكنه حال وفاة المهدي دعا اليه احمد علي قاضي الاسلام (الذي تولى هذا المنصب بعد قتل احمد جبارة في الابيض) وبعض الامراء والاعيان الذين من حزب كالسيد المكي الكردي وفاني وعبد المحمود نور الدائم فحضروا الدفن مع رفيقيه الخليفين واقارب المهدي . وبعد الدفن عقد معهم مجلساً وخطبهم قائلاً :
« أيها الاخوان ان المهدي الآن قد مات ولكن مات النبي من قبله وقام الخلفاء بعده فاتموا عمله . وقد ترك المهدي خلفاء يتولون الامر بعده وانا خليفته الاول فمن احبه وآمن به فليبايعني الآن على السبيل الذي خطه لنا لنقتني اثره ونتم عمله ، اما الخليفة شريف وقومه الاشراف فانهم حاروا في امرهم ولم يدروا ما يفعلون وقالوا في انفسهم مات المهدي الآن وقد اسس مهديّة وملكاً فلماذا نتبع ترتيب المهديّة فنولي علينا عبد الله التعايشي غريب الوطن والجنس ولا نتبع ترتيب الملك فنولي ابن مؤسس او خليفته ابن عمه . ولكن لم يكن في وسعهم اذ ذاك المجاهرة

هذه الافكار او القيام بحركة عدائية لان قوات المهدي في السودان كانت كما علمت ثلاث رايات : الراية الزرقاء راية الخليفة عبد الله وهي اكبر الرايات واقواها وتحتها جميع اهل الغرب ولم يكن غائباً منها سوى جيش ابي عنجة الذي أرسل لغزو جبال النوبة كما مر * والراية الخضراء راية الخليفة علي ود حلو وهي اصغر الرايات وتحتها قبيلتا دغيم وكنانة وتوابعهما * والراية الصفراء راية الخليفة شريف وهي راية قوية وتحتها جميع سكان النيل والجزيرة والجلابة وغيرهم * فلو كان رجال هذه الراية كلهم في أم درمان لترجح وقوع حرب شديدة بينهم وبين الخليفة عبد الله ولكن كان اعظم قوادها متفرقين في الجهات وهم : عبد الرحمن النجومي في التمة ومحمد عبد الكريم في سنار ومحمود عبد القادر في كردوفان ومحمد خالد زقل في دارفور وكرم الله في بحر الغزال ومع كل منهم جيش كبير

وكانت راية الخليفة عبد الله اذ ذاك اقوى من رايتي الخليفة ود حلو والخليفة شريف معاً فضاقت انفس الاشراف من حرج هذا المركز وظهرت على وجوههم علامات الحيرة والاسف ولكن التعايشي اخذهم بالدهاء والحيلة وبالع في ملاطفة الخليفة علي ود حلو الذي لا يوافقهُ تحوّل المهدي الى ملك لانه ثاني الخلفاء من جهة ولا قرابة له بالمهدي من جهة اخرى فكان اول من بايع الخليفة عبد الله ثم بايعهُ الخليفة شريف مضطراً ثم اولاد المهدي واقاربه ثم الامراء والاعيان الذين في المجلس ولما شاع خبر موت المهدي ومبايعة الخليفين واقارب المهدي والامراء للخليفة عبد الله هرع اهل أم درمان وضواحيها الى منزله افواجاً وبايعوه بقية ذلك اليوم والذي بعده . وهذه صورة المبايعة : « بايعنا الله ورسوله ومهديه وبايعناك على طاعتك والانقياد الى حكمك »

ثم بعث الخليفة بكتبه الى امرائه وجميع قبائل السودان في الجهات الاربع لتجديد البيعة له ودعا اهل الجهات البعيدة الى حضور عيد الاضحى في أم درمان في ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٨٥ فاجتمع عنده في هذا العيد خلق كثير . وحضر اهل الجهات القرية قبل العيد فبايعوه وعادوا الى بلادهم . وكانت مبايعتهم له بالصيغة الكبيرة

وهي : « بايعنا الله ورسوله ومهديه وبايعناك على توحيد الله والآن نشرك بالله احداً ولا نسرق ولا نزني ولا نأتي ببهتان ولا نعصيك في معروف بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضى بما يريد الله رغبة في ما عند الله والدار الآخرة وان لا نفر من الجهاد، وتأثير موت المهدي في السودان » اما موت المهدي فقد اوقع الدهشة في نفوس اهل السودان خاصتهم وعامتهم . وكان العقلاء قد انكروا عليه بعض الافعال والاقوال مثل قتله عجيل ود الجنقاوي الرزيقي بعد ان اتاه مسلماً وقتله المنه اسماعيل الذي نصره في كردوفان وقتل عبد الله ود النور في واقعة برّي بعد قوله انه يموت في الكوفة . ورأوا ان هذه الاقوال والافعال لا تنطبق على ما ظنوه في مهدي الزمان ولكن ادهشهم توالي النصر على يديه واخذوا ينتظرون اتمام باقي نبواته كصلاته في كراسي مصر والشام والاسنانة ومكة وقوله ان مهديتنا تظهر خيراتها ويرعى فيها الذئب مع الغنم وتأمين الناس الآفات فتلب الاولاد الصغار بالعقارب وذلك بعد فتح مكة . فلما مات في أم درمان ولم يصل في الكراسي المذكورة ولا لعبت الاولاد بالعقارب أيقنوا انهم كانوا في ضلال وان الامر الذي قام به محمد احمد انما هو ثورة وبلاء ليس الا * قيل ان الملك ابا حجل ملك الرباط لما عاد من مبايعة الخليفة من أم درمان حضر اهله للسلام عليه وسأله عن البيعة الجديدة فقال « البيعة اس » اي اسكتوا * ولما عاد الشيخ ابو خوسي من مبايعة الخليفة الى قومه في المسامية قال لهم « اشفقوا على انفسكم ايها الناس واستغفروا ربكم عما فرط منكم فانها مصيبة عامة وقد حلت في السودان وليست من المهديّة بشيء »

على ان ضعف العقول لم يؤثر ذلك كله في اعتقادهم وبقوا مصدقين انه المهدي ولا يزال بعضهم يعتقدون بانه المهدي الحقيقي الى هذا اليوم . لكن الحمية التي قاموا بها اولاً خمدت في نفوسهم فلم يقدموا على الجهاد من ذلك الحين الا مكرهين واخذ الامر يتحول تدريجاً من صبغة دينية الى صبغة سياسية . وكانوا كلهم قد اغضبوا الحكومة ورفعوا السلاح في وجهها وكانت الحكومة قد تركتهم وشأنهم فاضطروا عقلاء وجهالاً الى متابعة صاحب القوة الخليفة عبد الله والعمل بأوامره ونواهيه

﴿ منشور وفاة المهدي ﴾ وقد قدر التعايشي التأثير الذي يحصل للناس بموت المهدي واحتاط لذلك فوزع منشوراً في جميع البلاد بان المهدي قد مات وأنه قام في الامر بعده وقال ان موت المهدي انما يزيدنا احتقاراً لهذه الدنيا وحباً للموت في سبيل الله . و امر رفيقيه الخليفين والاشراف اهل بيت المهدي فوزعوا منشوراً صرحوا فيه بمبايعتهم له وحثوا الناس على الاقتداء بهم وقالوا « ان المهدي ليلة وفاته حصلت له « حضرة » ظهر له فيها الشيخ القرشي ومعه جمع من الاولياء فقال له ان النبي (صلم) قد استعجل انتقالك الى الدار الآخرة فاجعل لك وكلاء من خلفائك يقوم بالامر فقال المهدي اوكلت الخليفة عبد الله فاتفقت كلمتنا عليه . ثم شاع ان الخليفة شريف لم يبايعه وان الخليفة ود حلو منحاز اليه فامر اذ ذاك الخليفين فوزعا منشوراً آخر صرحا فيه بانهما بايعاه حقاً وان جميع ما شاع عن وقوع خلاف بينهما وبين الخليفة عبد الله هو محض كذب واختلاق . وهذه هي صورة المنشور الذي اصدرة الخليفة عبد الله بشأن وفاة المهدي وتوليّه الخلافة بعده بحرفه بعد البسملة : « وبعد فمن عبد ربه الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى احبابه في الله . . احبابي بعد اهداء السلام اليكم فان الله جل شأنه وعز سلطانه هو الفاعل المختار الحي الدائم الباقي الذي لا يموت والخلق عبيده وتحت مشيئته وكلهم موعودون بالفناء والانتقال من هذه الدار الى تلك الدار ولا اكرم عليه تعالى من نبيه محمد (صلم) وقد نعاد بقوله تعالى في كتابه المكنون انك ميت وانهم ميتون وزاد الامر تأكيداً بقوله تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وحيث كان كذلك فان الرضا بالقضاء من الواجبات * ثم ليكن معلومكم ان المهدي عليه السلام قد دنا اجله فتدلى ودعا ربه فلبى وقبض اليه كريماً طيباً في يومنا هذا الذي هو يوم الاثنين الموافق ٨ شهر رمضان سنة تاريخه وقت الضحى الاعلى بام درمان ودفن عليه السلام بها بعد صلاة الظهر بداخل بيته وان مصيئته لعظيمة على الجميع احسن الله عزاءنا واياكم فيه والزمن الصبر وضاعف لنا ولكم الاجر والثواب بعده وهو حسبنا ونعم الوكيل ليهتنا واياكم انه عليه السلام فرطنا بعد النبي (صلم) ونحن وانتم

لاحقون بهما وقد سار الى الله تعالى الى سدره المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس
 الاعلى والكأس الاوفى والرفيق الاسنى والحظ الانفس والعيش الهني وان موعدا
 الحوض الذي عرضه كما بين الشام وصنعاء اليمن يضرب فيه ميزاب الكوثر ماء
 اشد بياضاً من اللبن والين من الزبد واحلى من الشهد . من شرب منه لم يظأ
 ابداً حصاؤه اللؤلؤ و بطحاؤه المسك ومن حرمة فقد حرم الخير كله نعوذ بالله
 من ذلك * وان سبب وفاة المهدي عليه السلام حتى اصابته ولازمته نحو ستة ايام .
 وقد تعلمون انه داعيكم الى الله وخليفة نبيكم (صلعم) وقد ابان الدليل واوضح السبيل
 ودل الى الجليل فجزاه الله عنا وعنكم احسن الجزاء وامدنا بمدد دينا واخرة وانه
 عليه السلام قد كان على نور من الله وتأيد من رسول الله . ونائبه العبد لله تعالى بعده
 كذلك بحسب اشارته عليه السلام التي هي عن امر رسول الله . واني اقول لكم
 نصحاً في الله ورسوله كمقالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه حيث دل الى الله بقوله
 « أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله
 حي لا يموت وان الله قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه جزعاً فان الله عز وجل قد
 اختار لنبيه (صلعم) ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة
 نبيه (صلعم) ومن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما انكر . يا أيها الذين آمنوا كونوا
 قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتنكم عن دينكم وعاجلوا
 الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم * هذا والمطلوب منكم
 ايها الاحباب ان تثبتوا مع الله كما عاهدتموه وبايعتموه على اتباع المهدي عليه السلام
 وطاعته وبذل اموالكم وانفسكم في سبيل الله لاعلاء كلمته وشدوا حيلكم وشمروا
 فان اصحاب رسول الله (صلعم) لم يهملوا الدين بعده بل تحزبوا عليه وايدوه
 وجاهدوا في الله حق الجهاد ورغموا انفس اهل الشرك والمرتدين وفتحوا كثيراً من
 البلاد ولكم بهم أسوة حسنة فاقتفوا اثرهم لتالوا نيلهم وتدركوا الحقوق بنبيكم ومهديكم
 معهم ولا تغتروا بايام الدنيا القليلة فقد انقضت مدتها وزال عرضها وآن اوانها فعضوا
 على ايمانكم بالنواجذ وايقنوا بانكم ما دمتم على عهد البيعة فانتم حزب الله وانصاره

والفائزون برضاء ربكم ونبىكم ومهديكم ورضانا عليكم وابشروا بالخير فان دين الله منصور بحول الله وقوته . وواصل لكم مع هذا جواب من الخلفاء والاشراف اهل بيت المهدي عليه السلام وباقي المهاجرين والانصار اطلعوا على ما فيه واعملوا بمقتضاه وفقنا الله واباكم الى سلوك طريق المقر بين الاختيار هذا والسلام سنة ١٣٠٢ ٨ رمضان « اه والصواب ٩ رمضان ٢٢ يوليو سنة ١٨٨٥ »

﴿ ختم المهدي وسيفه ﴾ وعند وفاة المهدي اخذ التعايشي خاتم ختم المهدي وخاتم يده . فاما خاتم الختم فقد ابطال العمل به واستعمل بدلاً منه خاتماً مستديراً نقش عليه « حسبنا الله ونعم الوكيل » . واما خاتم اليد وهو خاتم من فضة له فص من عقيق احمر مستدير فقد جعله في بنصر يده اليمنى . وطلب سيف المهدي فلم يجده لان نساء المهدي اخفينه عنه ثم اعطينه للخليفة شريف زاعمين ان النصر يكون فيه وكان ذلك من أهم اسباب الضغائن بينه وبين الاشراف

﴿ سياسة التعايشي ﴾ وتولى التعايشي الخلافة وهو لا يصدق انه يتولاها وكان يثار عليها حتى من خياله ويحرص عليها حرصه على نفسه وقد ساسها بثلاثة امور وهي : الاول . المحافظة على شعائر المهديّة مع علمه بمروق العقلاء منها اذ لا جامعة لانصاره الا بها ولا حجة له في الملك سواها * * * والثاني . مراقبته المنكرين حقه في الملك والمزاحمين له على السلطة والبطش بهم بالقتل او بالنفي كثروا او قلوا والثالث . حصر المناصب العالية في اهل التعايشة وتفريق كلمة سائر القبائل واذلالهم حتى لا تقوم لهم قائمة

وكان اول ما اتاه بعد توليه الخلافة انه اسند الى اخيه يعقوب المنصب الذي كان له في زمن المهدي فجعله وزيره وقائد جيشه ومدير اشغاله الحربية والمالية . ثم اخذ يدرّب اهل التعايشة على الادارة والملك ويوليهم امور الجيش والبلاد تدريجاً حتى اصبح جميع القواد والعمال واصحاب المناصب العالية منهم

واما المهام التي باشرها اولاً قياماً بواجب الخلافة واقتفاء لاثر المهدي فهي : فتح كسلة وسنار وغزو جبال النوبة ومصر ولكنه دبرها حسبما تقتضيه سياسته كما سيجي

الفصل الثاني

عوداً الى

﴿ حصار حامية كسلة سنة ١٨٨٥ ﴾

﴿ كتاب مدير كسلة الى محافظ سواكن في ٩ يونيو سنة ١٨٨٥ ﴾ تقدم ان حامية كسلة لما اشتد عليها الحصار كتبت الى المهدي فوجه اليها بعض الامناء للتسليم على يدهم * وقبل وصولهم وفد الى المدير كتاب من تشرمسيد باشا محافظ سواكن يقول فيه انه لم يزل باذلاً الجهد في تعجيل الراس الوله لتجديتهم فكتب اليه المدير جواباً مفاده : « ان حاكم مصوع ارسل اليّ نسخ الكتب التي بعثتم بها الى الراس الوله للتعجيل في انقاذنا فشكركم هذه الغيرة ونحن ايضاً كتبنا اليه اربع كتب والى الآن لم يأتنا منه خبر وقد صرنا في اشد الضيق فالحصار لا ينفك عنا ليلاً ولا نهاراً والزاد قد نفذ منا واصبجنا ناكل الصمغ والجلود بل هذان الصنفان ينفدان منا قريباً وقد عدنا كل حيلة وسلمنا امرنا الى الله في ٩ يونيو سنة ١٨٨٥ ،

﴿ صدّ الحسن حاشي عن الحامية في ١٣ يونيو سنة ١٨٨٥ ﴾ هذا وكان الحسن ود حاشي كبير المحاصرين لما باغى قدوم الامناء لاستلام الحامية عزّ عليه ان تسلم لغيره بعد طول حصرها فهاجمها في ١٣ يونيو سنة ١٨٨٥ هجمة صادقة فامطرت الحامية عليه سحائب الرصاص والقنابل ونكلت به تنكيلاً ولكنه صمم على اخذها عنوة في ذلك اليوم فوالى الهجوم عليها المرة بعد المرة حتى قتل من جيشه نحو ٣ آلاف رجل فارتد عنها ولم يعد يجسر على مهاجمتها ولكنه زاد في حصرها والتضييق عليها

وبعد الواقعة بايام معدودة وصل امناء المهدي وهم : الحسين الزهرة وادريس عبد الرحيم وعبد الله حمزة واخوه محمد فنزلوا في معسكر توكرف وكتبوا الى المدير يدعونه للتسليم ومعه كتاب المهدي المتقدم ذكره . فعقد مجلساً من الضباط والتجار والموظفين للنظر في امر التسليم وقبل ان يقرروا على شيء حضر رسول من الراس الوله يقول « تشددوا واثبتوا فاني منجدكم قريباً » فأقروا اذ ذاك على انتظار الوله وعدم

التسليم فهاج المحاصرون واخذوا يناوشونهم القتال الليل والنهار وكانوا هم يصدونهم بشجاعة وثبات وقد اطلقوا يوماً مدافعهم فقتلوا عبد الله حمزة احد الامناء وعشرة آخرين

تسليم حامية كسله الاربعاء في ١٦ شوال سنة ١٢٤٠ هـ ٢٩ يوليو سنة ١٨٨٥ م

وصبر اهل الحامية على الجوع صبر الكرام حتى نفذ منهم القوت او كاد ولم يبق لهم طعام سوى الجلود القديمة والاشياء المسترذلة حتى صار يموت منهم في اليوم ٤٠ نفساً وزيادة فلما رأى المدير اشتداد الحال الى هذا الحد وقد يئس من انتظار المدد لم يبدأ من التسليم فانتدب ثلاثة من رجاله وهم اليوزباشي حسن افندي برونوس والصاري طيفور آغا وحسين افندي خليل معاون التلغراف وارسلهم الى الامناء بكتاب التسليم على انهم لا يؤذون احداً من اهل الحامية ولا يأخذون منهم سوى خمس مالهم. فلتقاهم الحسين الزهرة كبير الامناء عند جميزة العوض «وحاف لهم الكتاب» على ذلك فخرج المدير اليهم راكباً حماراً بنفر من الضباط والموظفين الملكية والتجار وفيهم: اليوزباشي علي افندي خوجه والسنجق بشير آغا كمال وحسين افندي بدوي وكيل المديرية والعوض المرضي باشكاتب المديرية ورسوم القبطي رئيس الحسابات وعلي جاويش من اعيان التجار فلتقاهم الحسين الزهرة عند الجميزة بالترحيب ثم احضر لهم طعاماً من اللبن والعصيدة والسلات فأكلوا ثم بايعوه باسم المهدي فالبسهم الجيب المرقعة وارسلهم الى ديم توكر فثم ساق الجيش ودخل الخندق

﴿ الغنائم والاسرى ﴾ وكان العساكر قد تركوا خط النار وأووا الى منازلهم فأحاط الدراويش بهم وبالمنازل الاميرية واستولوا على الخزينة فما وجدوا فيها شيئاً يذكره ثم استولوا على مخازن الجبخانه والاسلحة فوجدوا فيها: ٦٠٠٠ بندقية ارشليك وكبسول قديم و ٢٠٠٠ بندقية رمتون وشيئاً كثيراً من الجبخانه ما عدا المدافع والبنادق التي كانت على خط النار ثم دخلوا المنازل وجمعوا الاسرى فكانوا نحو ٣٠٠ من العساكر النظامية و ٤٠٠ من الباشبورق و ٥٠٠ من التجار و ٣٦٠٠ من النساء والاولاد والجملة نحو ٤٨٠٠ نفساً وهم عشر سكان الحامية قبل الحصار أو اقل. فجردوهم من ملهم ورقيقهم واخرجوهم خارج السور فقسموهم قسمين قسماً ارسلوه الى ديم

الحسن حاشي في الخاتمة وآخر الى ديم مصطفى هدل في توكرف * ثم اخذوا في جمع اموال اهل البلد واشيائهم وقد دلهم عليها الرقيق الذي ابقوه داخل السور . وفي اليوم الثالث بعد التسليم اتوا بالاسرى من الخاتمة وتوكرف الى ديوان المديرية واخذوا يستنطقونهم واحداً واحداً عما خباؤه من الاموال وقد تولى الاستنطاق ود حمزة احد الامناء مستعيناً بالعوض المرضي باشكاتب المديرية فمن لم يعترف بماله جلدوه بالسياط أو جلدوا امرأته حتى يظهر المال وكان في جملة من ضربهم الضرب المبرح حسين افندي بدوي المصري وكيل المديرية . قيل ومع ذلك قتل من اعترف بماله و بقيت اموال كثيرة مدفونة تحت الارض الى ان كان الفتح الاخير

﴿ قدوم عثمان دقنه الى كسلة في ٢٦ اوجسطس سنة ١٨٨٥ ﴾ وكتب الامناء الى الخليفة عبدالله بام درمان و عثمان دقنه بجهة تماي يعلمونهما بفتح كسلة فحضر عثمان دقنه الى كسلة وكان الخليفة قد ارسل اليه كتاباً بموت المهدي وطلب اليه ان يدعو اهل عمالته الى تجديد البيعة له على يده فعند وصوله الى كسلة صعد على سطح ديوان المديرية فاجتمع اليه الامراء والانصار فقرأ لهم كتاب الخليفة ثم قال ان كنتم تعبدون المهدي فان المهدي قد مات وان كنتم تعبدون الله فالله حي لا يموت والخليفة عبد الله هو خليفة المهدي القائم بالامر بعده فهل انتم طائعون له متبعون لامره قالوا كلهم نعم ثم بايعوه باسم الخليفة

﴿ واقعة كوفيت في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٨٥ ﴾ وبعد وصول عثمان دقنه الى كسلة بايام معدودة اتت اليه امرأة من نساء الهدندوة تنادي باعلى صوتها « واغوثاه اللصوص التقوني بجانب جبل مكرام واخذوا مني حمارتي واشيائي التي عليها » وكان عثمان جالسا مع نفر قليل من اصحابه فقام لساعته وتأبط نعليه واسرع حافي القدم الى جهة الجبل وقال ان من يكره الظلم ويأبى التعدي فليتبني فتيعة اصحابه الذين كانوا جالسين معه فطاردوا اللصوص الى سبدرات فلم يقفوا لهم على اثر . ثم تبعه الجيش كله وفيه من الامراء مصطفى هدل والحسن ود حاشي وبلال السمرندواي وباشريك السمرندواي وعوض الكريم كافوت . ولم يبق في كسلة الا نفر قليل

لجانبها وخفر الاسرى * واتاه الى سبدرات احمد حجاج شيخ الجادين ومجبل شيخ
الحران المار ذكرهما طائعين فأمتهما وزحف بالجيش كله على كوفيت في حدود الحبشة
وكان الراس الوله اذ ذاك في اسمره يستعد لاجدة كسلة فلما بلغه خبر سقوطها
وتهم عثمان دقنه على الحدود كتب اليه يقول : بلغني انك حضرت كوفيت
وقصدك دخول الحبشة فانتظرنى ثلاثة ايام فادخلك الجنة عاجلاً ان شاء الله »
وفي الميعاد المضروب اى في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٨٥ حضر الراس الوله بجيش
جرار الى كوفيت ومعه علي نورين شيخ سبدرات وعبدالقادر بك محمد ايله ومحمد الفيل
شيخ بني عامر المتقدم ذكرهم . قيل وكان جيش الراس الوله نحو ٢٠ الفاً وجيش عثمان
دقنه نحو ١٠ آلاف . وكان دجاج قبره في مقدمة جيش الراس الوله فاطبق عليه
عثمان بجيشه فقتله وقتل معظم رجاله وتقدم الى جيش الوله فاشتبك القتال بين
الفريقين وانجلى عن هزيمة عثمان بخسارة جسيمة فرجع يجر اذيال الخيبة الى كسلة
وكان الشيخ محمد عوض ناظر الحلاقة سابقاً قد ذهب الى القادين قصد
الانضمام الى عثمان دقنه فلما بلغ القادين انهزام عثمان قبضوا عليه وعلى رفيقه الشيخ نافع
الحلانتي واخذوهما الى الراس الوله في اسمره فقتلها

﴿ قتل المدير وبعض الموظفين والتجار ﴾ اما عثمان دقنه فانه حال وصوله الى
كسلة امر بسجن احمد بك عفت المدير وابراهيم افندي شوقي الشركسي باشمعاون
المديرية والسر سوارى حسن أغا سليمان الارناؤطى وثلاثة من التجار وهم : الخواجه
استيلو الرومى والخواجه بدروس الارمنى وعلي جاويز الحجازى . وبعد يومين عفا
عن ابراهيم شوقي وعلي جاويز وقطع رؤوس الباقين . وقد اختلف الرواة في سبب
قتلهم والذي عليه الاكثرون ان عثمان دقنه وجد بين اوراق قتلى الاحباش في كوفيت
كتباً يستحثون فيها الراس الوله لنجدتهم ويلعنون المهدي واعوانه . وقد اسف الجميع
على قتلهم ولا سيما على المدير لانه كان صاحب عفة ونزاهة وعدل مع حسن رأي
وشجاعة وتديير . وقد رفته الحكومة بعد وفاته الى رتبة باشا برّاً بخدمته ورفقاً بعائلته
وكتب الخليفة الى عثمان دقنه فاخذ الخمس من الغنائم وقسم الباقي على الامراء

ثم ارسل الامناء مع الاسرى والغنائم الى أم درمان فارسل نحو ألف من الجهادية وجانباً كبيراً من المدافع والاسلحة والذخائر فأفلت منهم الصاغ فرج افندي وفي المار ذكره أربعة وخمسين رجلاً واتي بهم الى مصر بطريق مصوع

﴿ هدم عثمان دقنه الخاتمية ورجوعه الى سواكن ﴾ ثم اخذ عثمان دقنه الجيش فهدم منازل الخاتمية وخرّب قبة السيد الحسن المرغني وجامع نجله السيد محمد عثمان تخريباً تاماً وعاد الى كسلة فكتب اليه الخليفة عدة كتب للرجوع الى سواكن لاهية وجوده فيها فسمى محمد فاي ابن اخيه اميراً على كسلة وعبد الله ابا بكر اميناً على بيت المال وعاد الى معسكره في تمّاي فوصله في ٢١ فبراير سنة ١٨٨٦ وسنعود اليه

الفصل الثالث

عوده الى

﴿ حصار حامية سنار سنة ٤ : ١٨٨٥ ﴾

﴿ كتاب مدير سنار الى غوردن في ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ ﴾ كان آخر عهدنا بسنار يوم رجوع نصحي باشا منها الى الخرطوم في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ وكانت اذ ذاك آمنة مطمئنة . وفي ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ كتب مديرها حسن بك صادق الى غوردن جواباً على كتاب ارسله اليه مع رجل تكموري هذا مفاده :

« من حسن صادق مدير عموم سنار الى غوردن باشا حاكم عموم السودان »
« في ٦ اكتوبر سنة ١٨٨٤ تشرفنا بورود كتابكم الكريم المؤرخ في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فسرنا ما حواه من البشائر بقدم تسع اورط من ابطال الانكليز ومسلمي الهند من فرسان ومشاة ومدفعية بمدافع جديدة وخيول شديدة وقد قرأنا كتابكم على رجال الحامية ونشرناه في البلاد فسرّ الجميع به سروراً عظيماً وكلهم يدعون لكم وللجيش بالظفر والنصر . ثم ان حامية سنار واهلها من علماء وتجار واعيان يقبلون ידיكم ولنا الرجاء انه بهمة سعادتكم وبجاه نبينا عليه السلام تسكن الثورة في السودان وتزول دعوى المهدي ويخضع الكل لسيف الحكومة بحول الله وقوته

حاشية * المرجو الاسراع بارسال وابور بالاشياء التي طلبناها في كتابنا مرة $\frac{29}{14}$ «
 (المرضي ابوروف وحصار سنار) فظهر من هذا الكتاب ان سنار كانت
 الى ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ هادئة مطمئنة ولكنها لم تبق طويلاً في هذه الطمأنينة
 فان المهدي في طريقه الى حصر الخرطوم كما مرّ أمر المرضي ابوروف اخا مالك ابي
 روف المار ذكره فحشد جيشاً كبيراً من عربان رفاة الهوي ونزل لحصر سنار في
 حلة عابدين على ٤ ساعات جنوبي سنار وذلك في اواسط نوفمبر سنة ١٨٨٤
 (حبس المدير) وقبل ذلك بايام وقع نزاع بين المدير والنور بك قيل سببه
 الامر الذي ارسله غوردن الى النور بك ليكون قومنداناً على العساكر فعقد المدير
 الامر اهانة له لانه اقدم من النور بك واحق منه بالقومندانية وانحاز معظم العساكر
 الى النور بك فحبس المدير في منزله ووضع الخفراء على بابه.

(واقعة العردية) فلما قدم المرضي لحصر سنار خرج عليه النور بك بنحو ٧٠٠ من
 عساكر الحامية وعثمان بك الدالي فالتقاه المرضي في العردية على ٣ ساعات من
 سنار وهزمه وتقدم الى غابة الكبوش فأقام فيها محاصراً سنار الى ان سقطت الخرطوم
 فكتب الى النور بك يعلمه بسقوطها ويدعوه الى التسليم فبعث النور بك بجعل
 يدعى سعيد وداعة الله الى الخرطوم لتحقيق الخبر فرجع واخبره بأن الخرطوم سقطت
 والانكليز عادوا من التمة ومحمد عبد الكريم قادم بجيش كبير لفتح سنار

(اطلاق المدير وقلته) فعقد النور بك مجلساً من الضباط والاعيان للنظر في
 امر نجاتهم فتوسل الاعيان اليه فأفرج عن المدير ودعاه الى المجلس وسأله رأيه فقال
 لا رأي لي الا الحرب فاذا سلمت لي قيادة العساكر تكلفت بطرد الدراويش
 المحاصرين حتى اذا ما جاءنا عبد الكريم قاتلناه فاذا لم نفرز به لجأنا الى الحبشة .
 وعندي مخزن كبير من الحبوب اقدمه للعساكر فصدقوا رأيه وسلموه قيادة العساكر
 فخرج بهم لقتال المرضي في غابة الكبوش فتوغل المرضي في الغابة وانقلب المدير راجعاً
 بالعساكر قلعة الى سنار وفي الطريق نزل مع بعض الضباط تحت جميزة ظليلة للراحة
 وتناول الطعام وامر العساكر ففرطوا عقد القلعة وتفرقوا جماعات فورد بعضهم النيل

فشربوا واتخذوا الطريق الى سنار وجلس البعض الآخر قرب الجميزة للراحة . وكان
كشافة المرضي لا يزالون يرقبونهم فلما رأوا المدير ورفاقه تحت الجميزة تواروا بشاطئ
النيل حتى اتوا بالقرب منهم فباغتوهم الهجوم فهب كل منهم الى جواده فأجفل جواده
المدير وافلت من يد الساييس فاتقض العرب عليه وقتلوه هو ونحو مئة من الضباط
والعساكر . واما النور بك وعثمان بك الدالي فقد ركب كل منهما جواده وضربا النفير
فجمع بعض العساكر ورجعا الى محل الواقعة فهزما الدراويش وعادا بجثث الضباط الى سنار
فدفناها بالجبانة . وعادت القيادة العامة الى النور بك وعاد المرضي الى غابة الكبوش
﴿ محمد عبدالكريم وحصار سنار ﴾ وفي ١٨ ابريل سنة ١٨٨٥ وصل محمد عبد
الكريم حلة البقرة ومعه من الامراء الشيخ عبد الرحمن المضوي السالف الذكر ومحمد
احمد ود الشيخ ادريس من اقارب المهدي ومصطفى ود نجارة و خليل عمر ابوزهانة
ومن الواورات وابور محمد علي فحصر سنار من الشمال . وحال وصوله ارسل الى اهل
سنار كتابا يدعوهم الى التسليم ويعدهم بالعفو والصفح عما مضى ان خرجوا اليه
طائعين فسأل النور الرسل عن الامراء الذين معهم فسموا له خليل عمر ابازهانة وكان
النور بك يعرفه من خط الاستواء فطلب من محمد عبد الكريم ارسال خليل المذكور
للمفاوضة معه بشأن التسليم فحضر بموكب حافل فاستقبله الضباط والاعيان في ديوان
المديرية فاخذ يعدد لهم نصرات المهدي واعاجيبه ولكن قيل انه خلا بالنور بك فاخبره
بما يحصل لهم اذا سلموا فقال اما كبار الضباط فيقتلون او يعذبون واما اهل البلد فيأخذ
ما لهم وتسبي الجميلة من نسائهم . فصمم النور بك اذ ذاك على القتال ولكنه اخذ يخادع
محمد عبد الكريم ويطاوله ريثما يتمكن من تقوية الخندق * وكان الخندق على شكل
مربع مستطيل يحيط بالبلدة من ثلاث جهات والنيل يحيط بها من الجهة الرابعة فقطعة
من الجنوب حتى صيره مربعا فضم اكثر منازل المدينة ومخازن الذخائر والشونة
وثكنة العساكر وديوان المديرية . وقد عمقه وعلّى ابراجه وجعلها سبعة اي في كل
زاوية برجاً وبرجاً في وسط الضلع الشمالية وبرجين في الضلع الغربية وجعل في
كل برج مدفعاً . وجعل للخندق بايين باب في طرف الضلع الشمالية الغربي وباب في

وسط الضلع الغربية . وصف العساكر على خط النار فجعل في كل جانب من جوانب الخندق الثلاثة نحو ٥٠٠ من العساكر النظامية و ٣٠٠ من الباشبوزق وجند الملكية من موظفين وتجار وجعلهم مع العساكر على خط النار . وجعل عثمان بك الدالي قومندان الضلع الشمالية والقائم مقام حسن بك عثمان الكريتلي قومندان الضلع الغربية وحمل نفسه الضلع الجنوبية واستعد للدفاع * * فلما تحقق محمد عبد الكريم ان النور بك يخادعه شرع في التضيق عليه فامر بعض الامراء فنزلوا في البساتين الملاصقة للخندق من جهة الشمال وبنوا فيها طابعتين حصنوهما بالمدافع . وامر مصطفى ودجباره ومن معه فعبروا النيل الى الشرق ونزلوا تجاه سنار وبنوا هناك ايضاً طابعتين حصنوهما بالمدافع وصاروا كلما لاح لهم شخص أو بهيمة رموه بالرصاص حتى صار اهل البلد يأخذون من المياه ما يكفيهم النهار كله ويحبسون في منازلهم الى الليل وكان اهل الحامية من الجهة الاخرى كلما رأوا رجلاً خارج الخندق رموه بالرصاص حتى اهلكوا كثيراً من المحاصرين

في مهاجمة محمد عبد الكريم لسنار في ١٧ يونيو سنة ١٨٨٥ هـ وداموا على ذلك حتى فرغ صبر محمد عبد الكريم فعقد مجلساً من امرائه واهل شوراه فاجمعوا على مهاجمة الخندق واخذ البلد عنوة فامر مصطفى ولد جباره فعبّر بمن معه الى الديم العام في الغرب . وكان قد فرّ اليه في هذه الاثناء كاتب من سنار فظن انه هو الذي جراه على مهاجمتها . ولما كان الثلث الاخير من الليل في ٢ شعبان ١٣٠٢ هـ ١٧ يونيو ١٨٨٥ م زحف محمد عبد الكريم بجيوشه على الخندق وقد امر اصحابه بالسكوت فساروا تحت جنح الظلام سيراً بطيئاً هادئاً حتى وصلوا الخندق فتسلق بعضهم الطاية الشمالية الغربية وقتلوا بعض الطوبجية ودخلوا الشونة ومحل الذخائر فاستيقظ الخفراء ورجال الخط كله وكان عثمان بك الدالي قومندان الخط في الطرف الشرقي منه فأخذ بعض العساكر وانقلب على الدراويش الذين دخلوا الشونة . قيل وكان الصاغ رمضان بهجت قومندان الطاية نائماً في منزله فلما علم بدخول العرب جمع من بقي من عسكره وانضم الى عثمان بك الدالي واشعلوا النار في الشونة من جهة الشمال . وعلم النور بك

بهم فأسرع ببعض العساكر واشعل النار في الشونة من الجنوب فحصرهم بين نارين ووالوا اطلاق الرصاص عليهم حتى افوهم عن آخرهم ورجع كل الى محله على خط النار وكان محمد عبد الكريم قد ارسل خبراً الى المرضي قبل الفجر فهاجم الخندق من الغرب فامطر العساكر عليهم سحب الرصاص والقنابل ووالوا الضرب بغير فاصل وتتبعوا الذين داخل الخندق فقتلوه عن آخرهم وهزموا الباقين شر هزيمة . قيل وكان قتلى الدراويش نحو ٢٠٠٠ رجل وفي جماعتهم احمد الكاشف السالف الذكر ومن ذلك اليوم لم يعودوا يجسرون على مهاجمة الحامية بل اقتصروا على حصرها والتضييق عليها وقد بذل اهل الحامية الجهد في مواصلة الانكاز املأ بانهم يأتون لنجدتهم وتفتنوا في استنباط الحيل لا يصال الرسائل اليهم فكتبوها على ورق رقيق جداً وجعلوها بين نصاب السكين ومقبضه او في جوف العصا او في طي النعال او بين الفص والخاتم ومع ذلك فما ارسلوا رسولا الا قبض الدراويش عليه واستنطقوه وعذبوه حتى اعترف برسائله فانقطعت آمالهم من وصول النجدة اليهم واشتد الحال عليهم وعمهم الجوع وتعذر وجود القوت فأكلوا الكلاب والحمير والجلود وصار الضعفاء منهم يخرجون خارج الخندق لالتقاط بعض النباتات البرية كالضريسة وقش النال وغيرها للتقوت بها فيقع البعض في ايدي المحاصرين ويسلم البعض انفسهم هرباً من الموت جوعاً فصمم النور بك اذ ذاك على الخروج من الخندق ومهاجمة الدراويش في ديمهم وكسب غلالهم للتعلل بها او الموت دون ذلك

﴿ خروج حامية سنار مهاجمة في ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٥ ﴾ ولما كان يوم الاثنين في ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٥ خرج النور بك بالف ومايتين من العساكر النظامية والباشوزق وهم جل عساكره فهدم طايتي الدراويش اللتين في الجنائن وقتل من فيهما ثم زحف قاصداً ديم الدراويش في البقرة فالتقوه في الطريق واشتعل القتال بين الفريقين فأصيب النور بك برصاصة في رجله فحملوه على حمار وأخذوه الى سنار والقيت قيادة العساكر الى عثمان بك الدالي فاشعل في الاعداء ناراً حامية حتى هزمهم وقتل منهم نحو ٢٠٠٠ رجل ودخل ديمهم فغنم كل ما فيه من حبوب وخيم واسلمة

وعاد الى سنار فعمَّ الفرع اهل الحامية كلها وزال ما حلَّ بهم من كرب الجوع والحصر .
وقد وجد العساكر في كوخ عبد الكريم كتباً من أم درمان تنبئ بوفاة المهدي فازدادوا
سروراً واستبشاراً وظنوا ان المهدي قد زالت بوفاته وان الدراويش لا يرجعون الى القتال
﴿ خروج حامية سنار المرة الثانية في ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٥ ﴾ ولكن ما لبث
الدراويش ان تجمعوا وعادوا الى ديمهم في البقرة فأقرَّ اهل الحامية على اعادة الكرة
عليهم وكان النور بك لا يزال طريق الفراش من جرحه فقاد عثمان بك الدالي
العساكر وخرج بهم صباح الخميس في ١٧ شوال سنة ١٣٠٢ هـ ٣٠ يوليو ١٨٨٥ م
وكان الدراويش قد اقاموا متراساً امام الديم ووضعوا عليه اهل الاسلحة النارية فلما
أقبل العساكر بادروهم بالرصاص فمال عثمان بك بالعساكر الى جهة الغرب فهاجمه
اذذاك الحراثة وكانت العساكر بهيئة قلعة ففتحت عليهم نيران البنادق فاصابت عبد
الكريم رصاصة في فخذه فكسرتها فوق وقع فيهم الفشل وانهمزوا شر هزيمة . ودخل العساكر
الديم فأخذوا جميع ما وجدوه فيه من حبوب وغلل واغنام وغيرها ثم احرقوه وعادوا
بالغنائم الى سنار ودامت هذه الواقعة من الساعة واحدة من النهار الى الساعة ١١
حساباً عربياً وقد قتل في هذا اليوم من الدراويش نحو ٢٠٠٠ رجل واما العساكر
فقد قتل منهم ١٢٠ رجلاً من ضباط وعساكر وجرح احمد بك مكوار جرحاً مميتاً
فحمل الى سنار ومات هناك . وأصيب عثمان بك الدالي بثلاث رصاصات واحدة
أصابته يده اليمنى واثنين أصابته فخذه ولكنهُ سلم منها كلها . اما عبد الكريم
فقد حمله انصاره الى البرياب لمعالجته هناك وقد لزم الفراش بسبب انكسار فخذه
ولم يعد له طاقة على ادارة الجيش فأمر محمد احمد ولد شيخ ادريس المار ذكره فجمع
شنت الانصار وعاد الى ديم البقرة وعاد مصطفى ود جبارة الى ديمهم في الشرق
﴿ واقعة كساب الاثنين ١٧ اوغسطس سنة ١٨٨٥ ﴾ ولم يكن الا القليل حتى
فرغ الزاد الذي كسبه العساكر وجاءهم نبأ ان في جهة كساب شرقي النيل على نحو
عشرة اميال من سنار مخزناً كبيراً من الحبوب فاقروا على اخذه وكان النور بك وعثمان
بك الدالي لا يزالان طريق الفراش بسبب جراحهما فجهز القائم مقام حسن بك عثمان

نحو ألف من العساكر النظامية والباشبوزق ومعهم الملك تاج الدين كبير الفوج بسنار
وعُدّي بهم إلى الشرق السبت في ١٥ أغسطس سنة ١٨٨٥ وفي صباح الأحد
تقدم بالعساكر إلى كساب فلم يجد فيها شيئاً فأراد أن يتوغل جنوباً للتفتيش عن الغلال
فلم تدعن العساكر لأمره فبات ليلته في كساب وهو لا يدري ما يفعل . ولما استيقظ
صباح الاثنين في ١٧ أغسطس سنة ١٨٨٥ وجد أن ٤٠٠ رجلاً من عساكره
السود قد هجروه وانضموا إلى مصطفى ود جبارة أمير الدراويش بالشرق فقفل راجعاً
ببقي العساكر قاصداً سنار فمكن له مصطفى ود جبارة في غابة الشيخ فرح بين سنار
وكساب وما اقترب منه حتى خرج عليه بجيشه فقتله وقتل معه الصاغ رمضان أفندي
بهجت والملك تاج الدين كبير الفوج المار ذكرهما وبعض العساكر وأسروا البعض ولم
ينج من العساكر إلا القليل فعبروا النيل سباحة إلى سنار ونزل بعضهم بالمراكب فلفهم
التيار إلى قرب معسكر محمد أحمد ولد الشيخ إدريس في البقرة فارسل وأبور محمد علي
فقبض على المراكب ومن فيها ولم يرجع من ألف رجل الذين خرجوا إلى الشرق
إلا نفر قليل . وأصبحت حامية سنار بعد هذه المصائب تحت رحمة الدراويش
تسليم حامية سنار في ١٩ أغسطس سنة ١٨٨٥ م

وكان محمد أحمد ولد الشيخ إدريس لما أتى القبض على العساكر في المراكب
ألبس أربعة منهم جيباً مرقعة وأرسلهم في صبيحة اليوم الثاني أي ١٨ أغسطس
إلى سنار بكتاب إلى أهل الحامية يدعوهم إلى التسليم ويقول إذا سلمتم سلمت والا
هاجتمكم ودخلت الخندق عنوة . فجمع النور بك إذ ذاك مجلساً من الضباط والتجار
والأعيان فلم يجدوا بداً من التسليم فكتبوا بذلك كتاباً إلى محمد أحمد شيخ
إدريس وأمضاه الميرالاي النور بك قومندان العساكر وعثمان بك الدالي ثانيه
والبكباشيان محمد صالح وعثمان ذهني والشيخ أحمد مكي قاضي سنار والشيخ أحمد
أبو عامر سر تجار سنار وغيرهم من التجار والأعيان . ثم خرجوا فسلموا له وبايعوه
وذلك في يوم الأربعاء في ٨ القعدة سنة ١٣٠٢ هـ ١٩ أغسطس سنة ١٨٨٥ م
وكانت سنار آخر من سلم من حاميات السودان بعد جهاد ثلاث سنين وخمسة أشهر

﴿ الغنائم والاسرى ﴾ ودخل الدراويش الخندق فأخرجوا العساكر الى الدميم وكانوا لا يزيدون عن ٧٠٠ رجل من نظامية وباشبوزق ثم اخرجوا اهل البلد واخذوا في جمع الغنائم فأتوا بمن ظنوه اخفى ماله فعذبوه وجلدوه بالسياط حتى اعترف به كما فعلوا في كل حامية فتحوها . اما النور بك فانه لم يهن لان ابنته كانت في عصمة محمد عبد الكريم وقد تسراها بعد فتح الخرطوم وكان النور بك وعثمان بك الدالي لا يزالان طريحي الفراش بسبب جراحهما فتركوهما داخل الخندق

﴿ بعثة النجومي الى سنار ﴾ هذا وكان الخليفة عبد الله لما رأى محمد عبد الكريم قد ابطأ في فتح سنار استدعى عبد الرحمن النجومي من المتمة وارسله الى سنار ومعه ثلاثة وابورات وهي تل حوين وبوردين والاسماعيلية فسار براً وبحراً بجيش لا يقل عن ١٣٠٠٠ رجل وفيهم من الامراء ود جبارة وابوقرجه ومكين النور وعبد الحليم مساعد فوصل سنار السبت في ٢١ اغسطس أي بعد التسليم بثلاثة ايام . وكان انصار محمد عبد الكريم لا يزالون مشغولين في نهب المدينة وتعذيب اهلها فمنهم النجومي من ذلك وأمن البلاد

﴿ خراب سنار ﴾ وكتب محمد عبد الكريم الى الخليفة يبشره بفتح سنار فكتب اليه جواباً بتاريخ ١٢ القعدة سنة ١٣٠٢ هـ ٢٣ اغسطس سنة ١٨٨٥ م يخبره بوصول كتابه الحاوي بشارت فتح سنار وعليه حاشية : « جزى الله الانصار خيراً وخصوصاً الحبيب المكرم مضوي عبد الرحمن فقد سرتنا ما نوّهتم به في حقه من حسن الثبات وفتكه بالعدا وهكذا شأن من تكمل وتصفى وبعهد الله وفي »

وكان الخليفة عبد الله لا يأمن جانب الاشراف لما تقدم من الاسباب وخشي من اتحاد النجومي وعبد الكريم عليه في سنار فاخذ يوالي تحاريره الى كل منهما بحرق سنار والرجوع الى ام درمان في الحال ويقول « سنار تصيبها النار » فعاد النجومي بجيوشه ووابوراتهِ اولاً فوصل الخرطوم في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٥ واقام فيها . ثم لحقه عبد الكريم بعد ان احرق سنار واتم خرابها وبقيت خراباً فلم يجسر احد على سكناها الى ان كان الفتح الاخير فعمرت كما كانت

هذا وكان قد شاع في ام درمان ان محمد عبد الكريم لما علم بوحدة المهدي
 اراد جمع كلمة جيشه لمحاربة التعايشي وجعل الخلافة لابن عمه الخليفة شريف لانه
 احق منه بالملك فعند وصول محمد عبد الكريم الى ام درمان استدعاه الى مجلسه
 وتهده وطلب اليه ان يحلف له بيمين الطاعة ففعل . واذاع التعايشي خبر فتح كسلة
 وسنار وكتب بذلك الى امرائه في الجهات وهاك ما كتبه الى حبيبه المكرم يونس الديكيم
 « . . . واعلم حبيبي انه بحمد الله قد انتصر الدين النصر المبين وذلك ان كلام
 مديرتي كسلة وسنار قد صار فتوحهما ببركة الله تعالى على اتم حال واسر بال
 وسيرتهما ان اهل كسلة قد اشتد عليهم الضيق بواسطة انصار الدين وقطعت عليها
 المواد بالكلية حتى تضايقوا المضايقة الشديدة واكلوا الحмир ولحوم بني آدم ولا خالق
 بهم الحال واشتد عليهم النكال رجعوا الى الواحد المتعال وسلموا للمهدية حقرا خلا
 منقادين والآن جميع مدافعهم وجبختهم واسلحتهم استلمت بيد الانصار والجهاد
 كذلك والحمد لله على ذلك * وكيفية فتح سنار هي ان اعداء الله لما اشتد كرههم
 خرجوا لجنود الله للحراية فتصادموا فقتلت منهم مقتلة ثم انهزموا ودخلوا حصنهم وقد
 املوا التوجه لجهات الصعيد لقصد اخذ غلال لازالة ما بهم من الضر فدخلوا في
 مراكب وتوجهوا فصادمهم الانصار وشدوا عليهم حتى هلك منهم نحو الالف وثلثمائة
 واسر منهم نحو الثلثمائة واستلمت مراكبهم وما فيها من الجباخين والاسلحة ولما رأوا
 ما حصل لهم من الدمار انحل عزمهم وتشتت رأيهم وبعد هذه المقتلة منهم عزم
 الانصار على دخول خندقهم وافتتاحه ليدمروا من فيه نصرة لدين الله واحياء لمة
 رسوله (صلعم) فقبل انتقامهم خاطبهم الاعداء بالتسليم والالتقياد للمهدية وطلبوا
 الامان خيفة على انفسهم من الهلاك فأتتهم الانصار فخرجوا من حينهم واستلمت
 مديريتهم بجميع ما فيها وصارت غنيمة للمؤمنين ولمعلوميتكم بما ذكر تحرر هذا فاسجدوا
 شكرا لله كما سجدنا وان شاء الله بعد الآن تتكاثر الفتوحات ويتأيد الدين زيادة على
 ما فات فشددوا الخزم وقووا العزم وتشوقوا للقاء الله يا حزب الله فان خيركم قدام فلا
 تطلبوه هنا رحمكم الله . هذا والسلام على جميع من معكم من انصار الدين . . . »

الفصل الرابع

في

﴿ وقائع الحدود وأم درمان سنة ١٨٨٦ : ٥ ﴾

﴿ واقعة جنس في ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٥ ﴾ تقدم ان محمد الخير لما علم بخروج الانكليز من دقلة في ١٥ يونيو سنة ١٨٨٥ ارسل مقدمة جيشه بقيادة ابن اخيه عبد الماجد محمد خوجلي فاحتلها في ٢٦ اغسطس بنحو ٣ آلاف مقاتل . ثم لحقه على الاثر فوصل دقلة في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٨٥ . وبعد وصوله بقليل سير عبد الماجد المذكور بمعظم انصاره لمناواة جيش الحدود في كوشة وأخذ يستعد للحوق به . فوصل عبد الماجد بلدة جنس على نحو ٣ اميال من كوشة في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٨٥ فأقام فيها ديمًا ووضع بعض الانصار في بلدة كوشة والبعض الآخر على اكمة صخرية شالها عرفت بالحجر الاسود تطل على طاية الجيش ووضع على الاكمة مدفعًا وبعض الرماة فشرعوا يرمون الطاية بالقنابل والرصاص حتى صار اهلها يحفرون الحفر ويختبئون بها فأقر الكولونل أفرت قومندان الطاية على طردهم من الاكمة عنوة . وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٨٨٥ خرج عليهم بمعظم العساكر فرماهم بالقنابل اولاً ثم امر الصفوف فوضعوا السنج في رؤوس البنادق واقتحموا رصاص الاعداء وتسلقوا الاكمة فأجلوهم عنها وغنموا المدفع فجعل الكولونل افرت نفرًا من العسكر في مكانهم ورجع بباقي القوة الى الطاية . وقد خسر في هذه الهجمة ضابطًا وعسكريًا وجرح الكبتن هنتر (الجنرال هنتر الآن) وثلاثة عساكر

هذا وقد صحب عبد الماجد من دقلة عبدالله ود سعد فنزل بانصاره في الشاطئ الغربي تجاه ديم الدراويش في جنس وكانوا يأتون قبالة الطاية فيختبئون بالصخور ويتربون العساكر فكلمهم لاح لهم عسكري رموه بالرصاص فاجتاز البكباشي بارو بعض العساكر السودانية والمصرية وزرب زرية تجاه الطاية ومكث بها فمنع اذاهم وكان الجنرال ستفنسن قائد جيش الاحتلال في مصر لما علم بقدوم الدراويش

الى كوشة ساق اليها الجنود الانكليزية والمصرية من مصر والحدود فوصلها في ١٩
ديسمبر سنة ١٨٨٥ ومعه الجنرال غرنفل سردار الجيش المصري بصفة رئيس اركان
حرب . وكان الجنرال بتلر قومندان العساكر الانكليزية في الحدود قد سمى اليها
فاجتمع عنده بين طايتي مغركة وكوشة خمس اورط مشاة واورطة راكبة من الجيش
الانكليزي وقسم من الاورطة التاسعة السودانية وآخر من الاورطة الثالثة والاورطة
الاولى من الجيش المصري واقسام متفرقة من الطوبجية والمهندسين والمهجانة والسوارى
من انكايز ومصريين . ذلك عدا وابور لوتس الحربي بقيادة الكبتن لويد في النيل .
وكان مع عبد الماجد في جنس وكوشة والغرب نحو ٦٠٠٠ مقاتل . فاقر الجنرال ستفنسن
على مهاجمة الدراويش في الشرق والغرب فجعل الماجور بارو وجنوده في صدد عبد الله
ود سعد في الغرب وقسم جيشه الى آلايين : الآلاي الثاني — وهو مؤلف من ثلاثة
انصاف اورط انكليزية والاورطة الاولى المصرية وبعض المهجانة الانكايز والمصريين
وستة بلوكات من الهيلندرس وبلوكين من الاورطة التاسعة السودانية بقيادة الكولونل
هوش — يهاجم بلدة كوشة ثم يتقدم على ديم الدراويش في جنس بطريق النيل . والآلاي
الاول — وهو مؤلف من ثلاث اورط انكليزية واقسام من الطوبجية والمهجانة
والاورطة الثالثة المصرية بقيادة الجنرال بتلر . تتبعه الاسلحة الراكبة من انكايز
ومصريين بقيادة الكولونل بلاك — يسير في نصف دائرة ويهاجم ديم جنس من الجنوب
وفي ٣٠ ديسمبر قبيل الفجر زحف الجنرال ستفنسن بالجيش من النيل الى
التلال الجنوبية المطلة على كوشة وجنس من جهة الصحراء جاعلاً الآلاي الاول ومعه
الاسلحة الراكبة امامه والآلاي الثاني وراءه . ولما كان الفجر أمر مدفعية الآلاي
الاول ففتحوا افواه مدافعهم على كوشة . ثم امر الستة بلوكات من اورطة الهيلندرس
والبلوكين من الاورطة التاسعة السودانية من الآلاي الثاني فجمعوا على بلدة كوشة
هجمة الاسود واحتلوها عنوة وغنموا منها مدفعاً وذلك في الساعة ٦ والدقيقة ٥٠ .
وكان الآلاي الاول اذ ذاك قد اتخذ مركزاً على التلال الجنوبية على نحو ميل ونصف
ميل من ديم الدراويش في جنس والآلاي الثاني وراءه تجاه بلدة كوشة . وكان

الدرأوش في جنس لما سمعوا اطلاق المدافع قاموا مذعورين الى سلاحهم فما طلع
النهار حتى رأوا العساكر قد ملأوا التلال وهم زاحفون عليهم فخرجوا اصدتهم زمرًا
فتتح العساكر افواه البنادق والمدافع فاقتموا النيران وتسلقوا التلال بقلوب لا تنهاب
الموت وذهبت فرقة منهم في خور متوارين بشاطئه حتى اتوا على الهجانة المصرية في
بار الآلاي الاول والتحم القتال بينهم وبين الهجانة بالسيوف والحرا ب فساعد
هؤلاء فرقة من العساكر الانكليزية فردوهم على اعقابهم خاسرين وشتتوهم كل مشتت .
ووالى العساكر رمى النار على الدرأوش حتى اجلوهم عن التلال وتقدم الآلاي الاول
الى الديم فاحتله الساعة ٩ والدقيقة ١٥ . وبعد ربع ساعة انضم اليه الآلاي الثاني
واستولى الجيش على جميع ما كان في الديم من الامتعة والذخائر والاسلحة وفيها ٤ مدافع
اما عبد الله ود سعد في غربي النيل فانه كان قد استعد للهجوم على زربية
الماجور بارو فلما رأى قومه قد شربوا بالانهزام انهزم هو ايضا بلا قتال

ولحق فرسان الجيش بالدرأوش المنهزمين الى عبري فقتلوا من ادركوه في
الطريق وعادوا بالغنائم الى جنس

واما الوابور لوتس فانه ساعد الجيش في اثناء القتال ولما انهزم الدرأوش تتبعهم
الى أبي صاري فغنم منهم تسعة مراكب ملأى بالمؤن والذخائر وعاد الى جنس
هذا وبعد انجلاء الواقعة علم ان جماعة من الدرأوش لا زالوا مختبئين في بيت
من بيوت كوشة فدعوا الى التسليم فلم يسلموا بل رموا العساكر بالرصاص وقتلوا
ضابطاً مصرياً فاتى العساكر بالمدافع فهدموا البيت وقتلوا من فيه

وكانت خسارة الجيش في هذا اليوم ٧ قتلى و ٣٤ جريحاً واما خسارة الدرأوش
فقد قدرت بنحو ٥٠٠ قتيل و ٣٠٠ جريح وبين قتلاهم عبد الماجد الكيلك الميرفابي
المر ذكره وحسن ابو قرجة وبين الجرحى عبد الماجد رئيس السرية وعثمان ازرق
وقد اعجب الهيلندرس ببسالة عساكر الاورطة التاسعة السودانية الذين صحبهم
في الهجوم على كوشة فأهدوهم راية مكتوباً عليها اسم جنس فصارت الاورطة التاسعة
تحملها مع رايتها الخاصة الى اليوم

وممن امتاز في هذه الواقعة والمناوشات التي تقدمتها من الضباط المصريين
وذكروا في الاوامر العسكرية : البكباشي احمد افندي فهمي اركان حرب فاقه ، ادى
مساعدة ذات قيمة « والبكباشي في الطوبجية المصرية حسن افندي رضوان
(رضوان باشا الآن) فانه « اصيب بجرح في طاية كوشه وقد صبر شهراً على
نيران العدو وظهر بسالة ومهارة في ادارة المدافع

وممن امتازوا من الموظفين السوريين : البكباشي الطيب سليم افندي موصلي
(الميرالاي موصلي بك الآن) فانه « ساعد مساعدة عظيمة جداً اذ كان طيب
طاية مفركة . ثم الحق في الآلاي الاول وحضر واقعة جنس فداوم على الاعتناء
بالجرحى وقام بالواجب عليه أحسن قيام « وملحم افندي شكور (ملحم بك
الآن) سكرتير السردار العربي فانه « خدم مدة ثلاثة اشهر قبل الواقعة بصفة معاون
المخابرات في نقط الجيش الامامية . فأظهر من الحمية والمهارة وحسن التدبير في تأدية
واجباته مما أتى بأحسن النتائج . وقد صحب سعادة السردار في الواقعة فكان له
افضل مساعد في الدلالة على نقط شتى لزمّت الجيش معرفتها »

هذا وبعد الواقعة رأت الحكومة ان لا فائدة لها من احتلال بطن الحجر غير
تحمل المشاق والنفقات فأخرجت جنودها منها وجعلت آخر حدها الجنوبي حلفا
فوصل آخر الجند اليها من الجنوب في ١٣ ابريل سنة ١٨٨٦ . وفي ٧ مايو خرج
العساكر الانكليز من حلفا فتركوا حمايتها للجيش المصري ولكن بقي الف رجل منهم
في اسوان لنجدة الجيش المصري اذا مست الحاجة الى سنة ١٨٨٧ فعادوا الى مصر
في التعايشي وخبر الحملة على دققة « هذا وكان محمد الخير لما بلغه خبر استعداد
الانكليز لواقعة جنس بعث الى الخليفة بكتاب وصله في ١٧ سبتمبر سنة ١٨٨٥ قال فيه :
« . . . ان الانكليز لما بلغهم خبر وفاة المهدي سوّلت لهم انفسهم الرجوع الى
دققة وقد قاموا فعلاً من حلفا قاصدين دققة في ثلاث طوائف طائفة بالبحر وطائفة
بالخلا لجهة الغربية وطائفة بالجهة الشرقية وان بعضهم دخلوا عكاشة . . .
فاضطرب الخليفة لهذا الخبر وارسل في الحال طليعة من عنده الى الحدود لتأنيته

بالخير اليقين . وكان النجومي قد حضر من سنار في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٥ كما مر
فأمره بالزحف على دقطة فصدع بالامر وشرع في تسيير الجيوش الى بربر
وكتب الخليفة في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٨٥ م « الى جماعة مضوي عبد الرحمن
وكافة الخلاويين التابعين لمحمد البصير واولاد المرحوم العبيد بدر وغيرهم » يقول :
«... حيث امرنا الرايات بالخروج الى الجهاد في سبيل الله وانتم من جملة الرايات
التي تعينت للجهاد فيقتضي ان تستعدوا لذلك ولا يتخلف منكم احد ... »
وبعث امراً الى أبي عنجة في جبال النوبة في ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٥ « ليستعد
للرجوع الى أم درمان عند اقل اشارة » * وقد كان من رأيه ان يجعل الخليفة
شريعاً في صدد الجيش المهاجم ثم يجمع اطرافه في أم درمان ويستعد للطوارئ
قليل وعند وصول الخبر اليه من محمد الخير استدعى رفيقه الخليفة شريعاً
والخليفة ود حلوا وقال لهما ان الحضرة النبوية قضت بتقسيم الرايات على الجهات
فجعلت كل راية في صدد جهة فالراية الحمراء التي هي راية الخليفة شريف في صدد
مصر والجهات البحرية . والراية الخضراء التي هي راية الخليفة ود حلوا في صدد السودان
الشرقي والحبشة . والراية الزرقاء في صدد السودان الغربي الى آخر حد الاسلام في
السودان وعليه فقد عهدت امر مصر والجهات البحرية بالخليفة شريف وولجته فتح مصر
وقد رأيت كتاباً منه الى عثمان دقنه بتاريخ ٩ صفر سنة ١٣٠٣ هـ ١٧ نوفمبر
سنة ١٨٨٥ م ردّاً على كتابه عن واقعة كوفيت يقول فيه : « ... وليعلم لديك انا
بخير وقد تعين خليفة الكرار برايات الى فتح الجهات البحرية ودعاية من فيها الى رب
البرية وها هم على جناح السفر » ... « ثم اعلم يا حبيبي انه قد صار تعيين الحبيب
عبد الرحمن الجنوبي وقيامه في اول السرية وفي تاريخ اثنين ربيع الاول الآتي
بصير قيام خليفة الكرار بباقي الجيش » * وكتب له في ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٠٣ هـ
١٩ ديسمبر سنة ١٨٨٥ يقول : « ... خرج خليفة الكرار مديماً للسفر خارج المدينة
ونحن اخرجنا خيمتنا معه للمشاورة والمدابرة في امر الجيش وفي شهر ربيع الثاني الآتي
يقوم ببركة الله الى الجهات البحرية بجيوش لا قبل لها من العداء »

ثم كانت واقعة جنس في ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٥ فازداد قلق الخليفة وجدد
الهمة في حشد الرايات الى دققة . وكان محمد انخير قد ارسل الطلائع **لا** ستطلاع
طلع الجيش فعادوا في اواسط ابريل سنة ١٨٨٦ واخبروه بان الانكبا قد اخلاوا
البلاد كلها الى حلفا فكتب في ذلك الى الخليفة فسُرّي عنه واشاع ان الانكبا قد
فزعوا من سطوته فعادوا الى بلادهم

﴿ تجريد الخليفين من الاسلحة والرايات ﴾ وكان التعايشي انما جعل الخليفة
شريف في صدد مصر ليدراً به نار مهاجميه فلما سمع برجوعهم الى حلفا خاف انه اذا
ذهب الخليفة شريف الى دققة ومعه تلك الجيوش الجرارة يفلت من يده ويستقل
عنه ويكون له نداء ايما حل فامرهُ بالبقاء في أم درمان . ولم يكتف بذلك بل
أمرهُ بتسليم العساكر الجهادية الذين في رايته وما معهم من الاسلحة النارية الى أخيه
يعقوب لضمهم الى الراية الزرقاء . وطلب مثل ذلك من الخليفة علي ود حوفاً ذلك
ود حلو ان مراد التعايشي بذلك انما هو تنكيس الاشراف ليس الا ولم يكن عنده
الانفر قليل من السود فسلمهم طائعاً فلم يسع الخليفة شريفاً اذ ذاك الا الطاعة .
فجعل التعايشي جميع الجهادية راية واحدة وولى عليهم فضل المولى صابون اخا حمدان
ابي عنجة وجعلهم في طاية ام درمان التي عرفت بكاراة الجهادية * ثم امر التعايشي
الخليفين فسما طبولهما الحربية ثم رايتهما التي كانا ينصبانها امام منزلهما بحجة ان
الدين واحد والجيش واحد . وكان ذلك في اواسط جمادى الآخرة سنة ١٣٠٣ هـ
اواسط مارس سنة ١٨٨٦ م

﴿ فرار الشيخ المضوي ﴾ ولم يكن ذلك كله بلا جلبة أو لغط بل قيل ان
الشيخ المضوي انكر هذه المطالب وحرّض الاشراف على رفضها والعبور الى شرق
النيل فتكفل بضم أهل الشرق والجزيرة اليهم وتدير ما يلزمهم من المؤن ولما
لم يوافقوه على رأيه خشي ان يبلغ التعايشي تحريضه فيطش به ففرّ الى الحبشة .
وخاف ان يعترضه احد في الطريق فلفّق كتاباً بختم التعايشي قال فيه انه مرسل
من قبله بأمر ديني . ولما علم التعايشي به بث أصحابه في أثره فلم يدركوه فبعث الى ملك

الجبهة في تسليمه فلم يجبه . و بقي المضوي في عاصمة الاحباش الى سنة ١٨٨٩ ثم أتى الى مصر وتوسط له الزبير باشا فتمنح العفو الخديوي وعاد الى الازهر فأقام فيه حتى فُتحت دقله سنة ١٨٩٦ فسمي قاضياً عليها ثم عزل وعاد الى بلاده على النيل الازرق (عزل احمد سليمان وتسمية ابراهيم عدلان مكانه) وقد تظاهر احمد سليمان امين بيت المال بأنه محارب للاشراف وكان التعايشي حاقداً عليه من ايام المهدي فأختال لعزله والايقاع به فطلب اليه تقديم حساب مدقق عن السنين السالفة واذ لم يستطع ذلك رماه بالاختلاس والخيانة وعزله وزجه في السجن فبقي فيه سنة وشهرًا وسمي مكانه اميناً على بيت المال ابراهيم ود عدلان المار ذكره في حصار الايض (بعثه النجومي الى دنقلة ورجوع محمد الخير الى بربر) هذا وكان النجومي قد شرع في ترحيل جيشه من بربر الى دنقلة منذ اوائل ابريل سنة ١٨٨٦ . وكان التعايشي يود تنكيس محمد الخير لانه كان ذا سطوة ونفوذ في البلاد من لدن المهدي فاتخذ انكساره في جنس سبباً لذلك فكتب اليه فسلم البلاد الى حسن ود جبارة أمير مقدمة جيش النجومي ورجع بجيشه الى بربر . وكان معه من جيش النجومي راية حسن أبي قرجه وراية مرغني سوار الذهب فتركهما في دنقلة

(عزل محمد الخير عن بربر وتولية عثمان الدكيم مكانه) ثم لم يكتفِ التعايشي بعزله عن عمالة دنقلة بل عند وصوله الى بربر استدعاه الى أم درمان وعزله عن عمالة بربر وارسل عثمان الدكيم من اقاربه مكانه . وهاك ما كتبه الى عثمان الدكيم في ١٦ الحجة سنة ١٣٠٣ هـ ٥ سبتمبر ١٨٨٦ : بنصه بعد البسملة :

«وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى حبيبه وعونه في دين الله عثمان الدكيم كان الله له أمين . بعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته . حبيبي ان هذا الامر الذي نحن عليه هو الدين الخالص الذي كان عليه نبينا (صلم) وجاء به عن الله . وظهر المهدي عليه السلام لحياته واقامته واظهاره على الدين كله ونحن بحمد الله على اثره . وحيث انك من الاصحاب الكرام الذين أخذ عليهم العهد من المهدي عليه السلام ومنا ومعدود عندنا

من أهل الحزم والعزم والتشمير في الدين وظننا بك جميل فقد جعلناك كاملاً على
عموم بربر ونواحيها تعمل فيها بكتاب الله وسنة رسوله (صلعم) وتجتهد في اشهر
شعائر الدين وتتحزب أنت وجميع أهالي الجهة المذكورة لجهاد اعداء الله الكافرين
لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فاعلم ذلك حبيبي وسر في العباد
بسير الصدق وكن على الحق الذي يرضي الله ورسوله واتق مولاك في الحركات
والسكنات وسائر الضعيف والقوي في الحق وأرفق بالمسلمين وسر بهم الى مولاك
وعظم بالحكمة والموعظة الحسنة وكن أنت ومن معك على الاستقامة أشداء على
الكفار رحماء بينكم وأجر الحق ولو على نفسك وكن على غاية الاجتهاد وعلا الهمة
في الاستعداد لملاقاة مولاك ونصرة الدين حتى تفوز بذلك الفوز العظيم وتنال من
ربك التكريم ولا يبلغنا عنك الا الخير وحسن السير . واعلم ان امارتنا لك هي على
شرط اتباع الكتاب والسنة والعمل بما يرضي الله فكن على ذلك تسلم من الممالك والسلام
﴿ تسمية مساعد قيدوم وكيلاً للنجومي ﴾ ثم ان التعايشي لم يبق النجومي وحده
على ادارة الجيش بل ارسل مساعد قيدوم من اهله رقيباً عليه فسماه وكيلاً على الجيش
على ان يوليّه بلاد دقله فيما بعد . وهاك ما كتبه الى أبي عنجة في ١٦ يوليو سنة ١٨٨٦
بهذا الشأن : « ... فالآن عزمنا على تعيين الحبيب مساعد قيدوم برأيه للحق
بالحبيب عبد الرحمن النجومي ويوم الاثنين بعد غدٍ قصدنا اخراجها للسفر ... »
وكتب الى الامراء الذين مع أبي عنجة في ١٨ القعدة سنة ١٣٠٣ هـ ١٨ اغسطس
سنة ١٨٨٦ يقول : « ... وان سألتكم عن حال اخوانكم الانصار فانهم على حالة
تسر الخاطر وتقر الناظر ولا زالوا متوجهين للجهاد وناشرين خفاً وثقلاً للحق بالحبيب
عبد الرحمن النجومي وقد تكامل بدقله منهم خمسة عشر الف مجاهد منهم من وصل
بذات العرضي ومنهم من لا يزال بدار الشايقة ونحوها من الجهات والباقي منهم يبرر
سته آلاف مجاهد بمعية عبد الرحمن النجومي والحبيب مساعد قيدوم وهم شارعون الآن
في السفر وجميع جهات الارياف ساكنة وليس بها أدنى حركة . واما اعداء الله الانكليز
فقد هربوا من جهة مغرکه وكوشه وغيرها من محلات قياقرهم السابقة ولا زالوا في

هرب الى مصر ومنها الى ديارهم وتركوا الترك وخدم حيارى في ما يصنعونه وقلت
 حلهم لاسيا بعد ما بلغهم نزول الانصار الى جهات الارياض فلذلك وبالنظر لامتلاء
 دقله بجيش الحبيب عبد الرحمن النجومي حررنا الى الحبيب العامل محمد الخير عبد
 الله خوجلي بالحضور والنزول بجهات أبي حمد بن معه من الجيوش لشن الغارة على
 اهالي الجهات البحرية ووربنا يتم بالخير ودين الله لازال منصوراً وعدوه مغلوباً مقهوراً اه
 وخرج النجومي ببقية جيشه من بربر في ١٤ اكتوبر سنة ١٨٨٦ فوصل دنقلة
 في ٩ نوفمبر من السنة المذكورة ه وفي ٣ ديسمبر من هذه السنة كتب الخليفة الى
 انصار دنقلة يحثهم على الجهاد والمحافظة على رباطهم والطاعة لعاملهم النجومي بما نصه :
 وبعلمكم ان الله تعالى قد عظم امر الجهاد واستنفر اليه جميع العباد ونوه
 بفضله كثيراً ووعد عليه اكدًا فقال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
 واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في
 التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به
 وذلك هو الفوز العظيم . وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
 كأنهم بنيان مرصوص . وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم
 من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم
 خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم الآية ه وقال نبيه المعظم ان مثل المجاهد في سبيل
 الله والله اعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد .
 وقال ما معناه من نزل منزلاً يخيف فيه العدو كتب له كاجر ساجد لا يرفع
 رأسه الى يوم القيامة وأجر صائم لا يفطر الى يوم القيامة وأجر قائم لا يقعد الى يوم
 القيامة . وقال من غزاه في سنته دخل الجنة ومن ضمان الله الا يترك من خرج
 في سبيله بدار ضيقة ولا هوان بل يتولاه بلطفه ويرفع ضرره بما يسوق من فضله
 ويستجيب دعاءه برحمته . وقال ما جميع اعمال العباد عند المجاهدين في سبيل الله
 الا كمثل خطاف اخذ بمنقاره من ماء البحر وان الله تعالى يغضب للمجاهدين كما
 يغضب للانبياء والرسل ويستجيب لهم كما يستجيب للانبياء والرسل ولا طلعت شمس

ولا غربت على احدٍ اكرم على الله من مجاهد . وقال من سأل غني ^{او سره} ان
ينظر اليّ فلينظر الى اشعث شاحب مشمر لم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة
رفع له علم فشمر اليه ليوم المضمار وغداً السباق والغاية الجنة او النار « . . . » فشدوا
يا احبابنا في الله حيلكم واعلموا انكم الآن في خير كثير وفضل غزير ومستقرون ما
بين فضيلة الجهاد وقد تقدم لكم بيانها وفضيلة الرباط وقد ورد فيها عن النبي انه قال
من رابط يوماً في سبيل الله جعل الله تعالى بينه وبين النار سبع خنادق كل خندق
كسبع سموات وسبع ارضين . وقال ثلاثة لا ترى النار اعينهم عين حرست في
سبيل الله تعالى وعين بكت من خشية الله تعالى وعين كفت عن محارم الله تعالى .
وقال من حرس ليلة على ساحل البحر كان افضل من عبادته في اهل الف سنة
وان من ادركه الموت وهو في الرباط فقد فاز فوزاً عظيماً قال (صلعم) ليعش
اقوام يوم القيامة يتلألاً نور وجوههم يمرّون بالناس كهيئة الريح يدخلون الجنة بغير
حساب قليل من هم يا رسول الله قال أولئك قوم أدركهم الموت وهم في الرباط . . .
« وما دمت من اهل الكمال وتعلمون ان الحبيب الصفي عبد الرحمن النجومي هو
صاحب امركم ونهيكم ومأمورون منا باتباع اشارته واداء طاعته فما زلت فكونوا قائمين
بسمع امره ونهيه ما امر بالمعروف ونهى عن المنكر فانكم ما دمت على ذلك
فرضانا عليكم ولا زلت ببالنا مذكورين وبصالح دعواتنا مغمورين واني اوصيكم ايها
الاحباب بتقوى الله في السر والنجوى والقيام باداء طاعته في السراء والضراء وملازمة
القيام بشعائر الاسلام ولا سيما التحزب والتجمع بمحل الديم واقامة الصلوات فيه جماعة
وقراءة راتب المهدي عليه السلام والحزب في الاوقات المعلومة وانكم لاشك منصورون
واعداؤكم مخذولون بمقتضى الوعد الصادق الذي لا يخلف . فشمروا في امر دينكم
وتحاربوا فيما بينكم وليرحم كبيركم صغيركم ويوقر صغيركم كبيركم وكونوا على طريق السلف
الصالح الذين اتهم على اثرهم ناهجين ولسكتهم سالكين لتدخلوا في مدح قوله تعالى
الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن
لمنكر بارك الله فيكم وتولاكم وحفظكم ورعاكم وفي هذا كفاية لكم والسلام » اه

الفصل الخامس

في

﴿ كتب التعايشي الى خارج السودان في الدعوة الى المهديّة سنة ٦ : ١٨٨٨ ﴾

﴿ كتبه الى اهل مصر وحكومتها ﴾

﴿ كتابه الى اهل مصر ﴾ هذا وقد كان من هوس التعايشي الذي اخذه عن سيده المهدي ان المهديّة ستم بلاد الدنيا ويخضع لسلطوتها جميع الامم طوعاً أو كرهاً فأخذ في بث مناشيره خارج السودان للدعوة الى المهديّة والحث على الجهاد محذراً الناس من الاحجام عنهما . ولما كان فتح مصر من اول احلامه كما مرّ امر انصاره في دقّة فهاجموا حدود مصر الى حلفا كما سيجيئ . وكتب منشوراً عامّاً الى « احبابه في الله اهالي الريف والجهات البحرية كافة » يدعوهم الى الانخراط في سلك المهديّة ويحذرهم من المخالفة وهو منشور طويل جاء في ختامه :

« واعلموا ان ما حملني على نصحكم ولادعائي الى بسط العنان في عظمتكم الا مزيد الشفقة عليكم والخوف من ان لا تتجع فيكم المواعظ غروراً بالاماني الكاذبة وركوناً الى راحة الدنيا الفانية الذاهبة فتدور عليكم الدوائر كما دارت على من قبلكم في بلاد السودان لما عرضوا عن قبول الحق وجنحوا الى اتباع اقوال علماء السوء الذين اضلهم الله على علم واغترخوا باكاذيب حكامهم وكثرة عدد جنودهم وعددهم العارية عن معونة الله تعالى فختم الله على سمعهم وقلوبهم وجعل على بصرهم غشاوة وحاق بهم مكرهم وهلكوا وحرقت النار اجسامهم وخسروا الدارين والعاياذ بالله ولكم فيهم عبر وعندكم من امرهم خبر والسعيد من اتعظ بغيره ونظر في صلاح عاقبته وكشف ضيره » وليكن في علمكم ان هذا الامر ديني مبني على نور من رسول الله ومؤيد من عند الله بمجنود ظاهريّة وباطنيّة ولا يختلج في صدوركم انقطاع ذلك المدد الالهي بسبب انتقال المهدي عليه السلام فان للمهدي بجده المصطفى (صلم) اسوة حسنة ولما انتقل (صلم) لم يزل المدد مع اصحابه الكرام حتى تأيد دين الله واتسعت

دائرته كما لا يخفى عليكم . وانتقال المهدي عليه السلام للدار الآخرة قبل فتح مكة والقسطنطينية وغيرها من الامصار كما هو مذكور في بعض الروايات لا يصح في انه مهدي آخر الزمان الذي بشر الامة بظهوره سيد الاكوان على فرض صحة تلك الروايات لما ان النبي (صلعم) قد اخبر في حياته بفتح بعض البلاد كاليمن والشام وغيرها و اضاف ذلك الى نفسه الشريفة كما قيل به في حديث حنر الخندق والله اعلم ثم لم يكن فتح ما ذكر على يده الشريفة بل كان على يد خلفائه الكرام بعد انتقاله (صلعم) ولم تقدح ذلك في نبوته اذ لا غرو في نسبة فعل خلفائه اليه لما انهم اياديه وخاصة الوارثون لمقامه المنيف . ولا يخفى ان فعل التابع ينسب الى المتبوع وقد اخبر انبياء الامم السابقة امهم ببعثة نبينا (صلعم) وذكروا انه يفتح الامصار ويقهر الملوك ويخرب المدائن الكبار ومعلوم انه لم يفتح في زمنه غير مكة وخيبر وكانت بقية الفتح على يد الخلفاء بعده . وعلى طريقته المثل التي خلفته المهدي عليه السلام فجميع ما وجد مضاف اليه في الاحاديث من فتح البلاد فلا بد من حصوله على يد خلفائه واصحابه لما انهم ورثته القائمون بالامر بعده واما نسبة جميع ذلك اليه فمن كمال وراثته المصطفوية . وحينئذ فلا بد من ان يعلم امره هذا مشارق الارض ومغاربها بعون الله تعالى فان الله غالب على امره ومعلوم ان قدرته لا تقاوم وبطشه لا يصادم . وها قد بلغتكم واعذرت اليكم فلا عذر لكم بعد هذا الانذار وفقكم الله وشرح صدوركم لقبوله . ثم انه لا بد من ورود الرد منكم بما تصيرون اليه اللهم الله رشادكم واخذ بنواصيكم الى طريق سدادكم هذا والسلام اه
كتبه الى حكومة مصر ومما دل على تناهيه في الغرور وجهله التام باحوال العالم الخارجي انه ارسل الى مصر اربعة رسل بثلاثة كتب بتاريخ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٤ هـ مارس سنة ١٨٨٧ م منها كتاب الى جلالة السلطان عبد الحميد وآخر الى سمو الخديوي توفيق باشا وآخر الى جلالة الملكة فكتوريا ملكة الانكليز وفيها يدعوهم الى اعتناق المهدية قبل ان تطأ جيوش بلادهم وتنقم منهم !!! فوصل الرسل حلقا في ١٢ ابريل سنة ١٨٨٧ فأرسلوا الى الجنب العالي في مصر حيث قرئت الكتب وارسل

كتاب جلالة الملكة اليها ثم أرجع الرسل من حيث اتوا بجواب شفاهي هذا نصه :
 « ان أولئك الملوك الذين تجرأ سيدكم على الكتابة اليهم لارفع جدًا من ان يتنازلوا الى
 مجابته » . اما الخليفة فانه تباهى بهذه الكتب وارسل صورها الى جميع امرائه في
 الجهات للاطلاع عليها وتلاوتها على الانصار . وهذه هي صور كتبه الثلاثة بحروفها :
 ﴿ كتابة الى سمو الخديوي توفيق باشا ﴾ « وبعد فن عبد ربه خليفة المهدي
 عليه السلام خليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى « والي مصر محمد توفيق » وفقه الله
 لرضاته وسلك به طريق نجاته آمين * سلام على من اتبع الهدى * اما بعد فاعلم ارشدك
 الله تعالى الى الصواب ورزقك حسن المآب ان هدي الله هو الهدى ومن حاد عنه
 باتباع النفس والهوى فقد هوى . وخير الهدى هدى نبينا محمد (صلم) الذي نزل به
 الروح الامين على قلبه من عند ربه . الا وهو دين الاسلام الذي عناه الملك العلام
 بقوله جل شأنه ان الدين عند الله الاسلام . وان الله سبحانه وتعالى لما اراد احياء هذا
 الدين بعد اندراسه بين العالمين اظهر لذلك المهدي المنتظر وأيده بالنصر والظفر فاعتمد
 على ربه ودعا العباد الى طريق الهداية والرشاد واجاب داعيه كل سعيد اوّاه وأعرض
 عنه من كتب عليه شقاوة ومنهم اتباع دولتك بالسودان ومن نخا نحوم وسلك مسلكهم
 من اهل الطغيان حتى قضى الله عليهم بالهلاك على يده وجندهم بسيفه ثلة عقب ثلة
 وقرية تلو قرية بعد تكرار الانذارات وتتابع الآيات * وانك مع علمك بذلك
 وادعائك انك من ولات المسلمين السالكين احسن المسالك فما زلت مصرًا على
 اعراضك عن طريق هدايتك ومحجماً عن اجابة داعي من دعاك الى مولاك فان كان
 ذلك منك اثارًا بجانب علو الدنيا والذهاب عما قريب على الخضوع لامر الله المفضي
 الى الفوز بأوفر نصيب فاعلم ان الدنيا بجذافيرها ليست بشيء في جنب ما عند الله
 ولا تزن اقل قليل منه كما ورد . وكيف يليق بمن يؤمن بالله واليوم الآخر حب العلو
 في الدنيا بعد العلم بقول الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا
 في الارض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين . وقوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
 نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا

النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون * وان كان ذلك استكباراً منك عن
قبول الحق فان الله تعالى قد اوعد المستكبرين في الارض بغير الحق بالسلم العذاب
وسوء المآب . قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم ^{آخرين} .
وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازارتي واحداً ^{من}
منهما القيتة في جهنم ولا أبالي . وقال (صلعم) بئس العبد عبد تجبر واعتدى ^{بغير}
ونسى الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد ^{بغير}
عبد غفل وسها ونسى العقاب والبلا بئس العبد عبد عتي وبغى ونسى المبدأ ^{والمبدأ}
والمتهى * وغاية الامر انه لا حجة لك مع الله تعالى ان لم تنسلخ عن الحالة التي أنت ^{فيها}
فيها وتبادر الى اجابة دعوتي بالتلبية فاني ادعوك الى القيام بتأييد دين الاسلام كما ^{دعائك}
دعائك الى ذلك المهدي عليه السلام فان كنت تريد سلامتك مع ربك فأنب اليه ^{بالوقوف}
بالوقوف مع اوامره ونواهيه وتسليم الامر اليه والتصديق بأمر المهدية والدخول تحت ^{طاعتها}
طاعتها المرضية فاني خليفة مهدي الله وصاحب العهد من بعده والقيام بأمر الله ولا فخر ^{وليس}
وليس قصدي من دعوتك الى هذا الامر الذي انا بصدد ان اجلب النفع الدائم ^{لك}
لك فان ما انت عليه من ملاذ الدنيا لا يدوم لك وعما قريب يزول عنك ولا يصحبك ^{لا}
لاخرتك الا عملك بنحاك أو اهلكك فدقق نظرك وتوق ضررك ولا تركز الى دار ^{الفناء}
الفناء والذهاب بل تأهب لدار البقاء والمآب . واعلم ان ما دعوناك اليه هو الدين ^{الحق}
الحق القديم والمنهاج الواضح المستقيم فلا تعرض عنه الى نزعات الباطل فان الحق ^{جدير}
جدير بالاتباع والباطل حري بالتلاشي والضياع ولو كان قصدي من هذا الامر ^{ملك}
ملك الدنيا الزائل وعزها الفاني الذي ما تحته طائل لكان في السودان وملحقاتها كفاية ^{كما}
كما تعلم من اتساعها وتنوع ثمراتها . ولكن ما القصد كما يعلم الله الا احياء السنة المحمدية ^{والطريقة}
والطريقة النبوية بين اظهر عامة البرية . ولو نظرت بعين البصيرة والانصاف ^{وتركت}
وتركت التعامي عن الحق والاعتساف لأذعنت لي بذلك وسلكت باتباعي احسن ^{المسالك}
المسالك وتيقنت انك الآن بمعزل عن الهداية حيث اتخذت الكافرين اولياء من ^{دون}
دون المؤمنين اهل العناية وركنت الى مؤاخاتهم والانخراط في سلوكهم حتى كأنك

تريد بهم اطفاء نور الله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره اعداؤه . . . ومن ثم فقد حملتنا
 الشفقة عليك على تحرير هذا اليك مقدماً قبل حلول جيش المهدي بديارك البحرية
 واقطارك المصرية بدعوتك الى الله وتسليمك الامر لنا لتكون من اعز رجال الدين
 القائمين بنصرة الاسلام وجهاد اعدائه الكافرين . فان كنت من اهل الغيرة على
 دينك وتريد الفوز عند ربك والتخلص من أسر اعدائه الكافرين فبادر الى اجابة
 الدعوة واندرج في سلك اهل الصفوة أنت ومن تبعك من المسلمين لتكون الامة
 المحمدية يداً واحدة على قطع دابر الفئة الكفرية أو ينبيوا لامر رب البرية وحينئذ
 نصفح عن جميع ما سبق صدوره منك وتكون ككرماً لدينا وحيباً إلينا في الله
 ونأمن على نفسك ومالك وكافة متعلقاتك أنت ومن يكون معك من أمة محمد (صلم) *
 واعلم اني عبد ضعيف لا طاقة لي بقوام أدنى شيء وإنما سبيلي التوكل على الله
 وهو ولي وكفيلي ولولا اني على نور منه على هذا الامر الذي أنا بصددِه اقتفاء لاثّر
 مهديه وهو المحرك لي والمؤيد والمسكن والمشيّد لما كان في طاقتي ان اقوم بمدافعة
 اضعف مخلوقاته ولكنني عليه توكلت فكفاني بقدرته وبه اعتصمت فهداني وتولاني
 بنصرته ولا شك ان ناصية كل شيء بيده وان قدرته لا تقاوم وبطشه لا يصادم .
 فتدرك ايها الرجل نفسك ودبر حالك ولا تغتر بما يلوح على نظرك من عددك الظاهرية
 العارية عن معونة رب البرية فان قوة العدد وتحصن البلد لا يدفعان عنك مقدور
 الواحد الصمد * وليكن بعلمك يقيناً ان لا قصد لي غير سوق العباد الى طريق
 الهدى والرشاد فإلم رحمك الله الى ذلك واسلك محجة فوزك وممالك ولا تعرض عما
 دعوتك اليه ركوباً الى علماء السوء الذين اسكرهم حب الدنيا حتى باعوا بها دينهم
 فيصدوك عن طريق هداك وتخسر دنياك وأخراك . فقد ورد عن الله تعالى في
 الحديث القدسي لا تسأل عني عالماً اسكره حب الدنيا فيصدك عن طريق أولئك
 قطاع الطريق على عبادي الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في هذا الصدد .
 فامعن ايها الرجل فكرك لتستبين طريق هداك قبل ان تحل رمسك فتساعدني على
 نجاتك وسلامتك من موبقاتك فاني لاشفق عليك من نفسك التي بين جنبك . وان

أيت بعد هذا الا الاحجام فقد انقطعت حجتك فصار ذنبك وذنوبك من تبعك مطوقاً
بك في رقبتك ولا بد بمشيئة الله من وقوعك في قبضتنا أسوة من تقدمك فانك لا
معودون بالنصر على كل من يادرننا بالعداوة ولو كان في عدد معدودة وبروج
مشيدة وهناك ترى عاقبة امرك ولوائح خسرك * وحيثما ان الهمم نهضت الى توجيه
الجيش نحو جهتك وعن قريب ان شاء الله تعالى تحل بديارك فلا بد من سرعة
ورود الرد منك بما يحيط عليه رأيك صحة المخاصيص المعين لك من طرفنا . فان
سلمت فقد فزت وللخير ادركت والا فذنب جميع من معك من المسلمين يكون
عليك يوم لقاء احكم الحاكمين وفي هذا القدر كفاية لك والسلام على من اتبع الهدى
* كتابة الى جلالة الملكة فكتوريا ملكة الانكاز * « وبعد فمن العبد المتعصب
بمولاه القاهر خليفة المهدي عليه السلام عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى « عزيزة قومه
فكتورية ملكة بريطانيا » . سلام على من اتبع الهدى * اما بعد فاعلمي ان الله عز وجل
هو ملك الملوك القادر المقتدر الذي ليس كمثل شيء . وجميع ما في الكون فهو في حيز قبضته
لا يعجزه في الارض ولا في السماء ولو اراد ان يهلك اعداءه في اقل من خيرة بال
لكان جديراً بحصول مراده ولكنه لكرمه يمهل ولا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم
المجرمين . وقد ارسل الرسل الكرام لايضاح السبل للانام وجعل نبينا محمداً خاتم
رسولاً عاماً الى كافة الخلق بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً فكان
ناسخ الملل وفاسخ الدول وكل من آمن به وصدق ببعثته فاز برضاء الله وادرك من الحظ
الاوفر ما تمناه ومن كفر به وانكر بعثته باء بنجزي من الله وصار الى النار وبئس القرار
ولما كان المهدي المنتظر عليه السلام هو خليفة نبينا محمد الذي اظهره الله لدعوة الناس
كافة الى احياء دين الاسلام وجهاد اعدائه الكفرة اللئام . وانا خليفة القافي اثره في
ذلك فاني ادعوك الى الاسلام فان اسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وان محمداً رسول
الله واتبعت المهدي عليه السلام واذعنت لحكمي فاني سأقبلك وأبشرك بالخير والتجاة
من عذاب السعير وتكونين آمنة ومطمئنة لك . مالنا وعليك ما علينا وتتصل بيننا المحبة
في الله ويغفر الله لك جميع ما فرط منك في زمن الكفر كما وعد بذلك في قوله

تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف. وان أبيت إلا الجحود اعتماداً
على ما عندك من الاستعدادات والجنود فاعلمي انك في غرور كبير وبعد عن
السداد والتدبير اذ ان ما نحن بصدده فهو الدين الحق الذي تكفل الله الملك
القادر بنصرته وتأيدته ورفع مناره وتشيدته فلا طاقة لاحد بمقاومته ولا سبيل الى
مقابلته ضرورة ان قدرة الله غالبه فلا تقاوم وبطشه شديد فلا يصادم * وان كنت
تظنين توهاً ان جيوش المهديّة القائمة بتأييد السنة المحمدية مثل عساكر احمد باشا عرابي
الذين ادخلت الغش عليهم بالدنيا حتى افتنوا بها عن دينهم وتخذلوا عن نصرته
ومكنوك من الاستحصال على البر المصري وصاروا اذلة اسرى لا يستطيعون المداغة
عن انفسهم فهذا توهم فاسد وغرور كاسد فان رجال المهديّة رجال الهيئون طبعهم
الله على حب الموت وجعله اشهى لهم من الماء البارد للظمان فلذا صاروا اشداء على
الكفار كأصحاب رسول الله الابرار لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يثنّيهم عما هم
بصدده صدمة صادم بل لا يرون لجميع ما سوى الله التأثير لصدق يقينهم برهم
القدير ولا يريدون حياة الدنيا الزاهية الساحرة وانما يرون ان نعيمهم الدائم وعيشهم
الناعم معد لهم في الدار الآخرة بخلاف اوائك فانهم لو صدقوا مع ربهم وكانوا على
حسن اسلامهم وطرحوا حب الدنيا وراء ظهورهم وحفظوا الله فيما امرهم به لأنجدهم
الله بنصره ولما توصلت عساكرك الى هزمهم والاستيلاء على بلادهم ولو نظرت بعين
البصيرة والانصاف لعلمت الفرق * ثم مما يقضي عليك بتمني الغرور الفاسد منك
انك بعد ان بلغك ظهور المهدي المنتظر عليه السلام ومحاربة دول الاتراك له وظفره
بهم في عدة وقائع سولت لك نفسك ان منك الكفاية لحربه والاستيلاء عليه
فبادرت الى ارسال احد رجالك المشاهير المدعو هكس باشا ومعه جيش عرمرم مؤلف
من اجناس شتى وعدد منوعة وذلك من بادي رأيك بدون امعان نظر في العواقب
بلامشورة باقي الدول في ذلك توهاً منك انك ستظفرين بالنصر على جند الله الغالب
فندما حضر ذلك الجيش في ألوف مؤلفة وعدد معدة ما ثبت امام حزب الله ولا
نصف ساعة بل قضى الله عليه بالدمار والبوار عن آخره. وكان هلاك ذلك الرجل

المدبر الشجاع بجيشه بأسباب سوء تدبيرك وكثرة غرورك ولم تغن عنه كثرة العدد ولا قوة العدد بل صار الى النار وغضب الجبار * ثم ما اعتبرت بذلك ولا دبرت حالك بل صرت تجهزين عساكرك من بادي رأيك جردة بعد جردة بكل فج لمحاربة الله ورسوله ومهديه تارة بسواكن وتارة بدقلة وتارة بوادي قمر حتى اهلكت بسوء صنيعك من رجالك ما ينوف عن عدة ألوف ومن ذلك هلك كثيراً من رؤساء رجالك المعروفين لديك بالشجاعة وحسن التدبير والثبات وقوة العزم كالجنرال غوردن باشا هلك بالخرطوم والجنرال استيورت هلك بأبي طليح واستيورت الثاني ومن معه من القناصل بوادي قمر وفلان وفلان وما يكثر عددهم من مشاهير رجالك كما هو بعلمك * ومع كثرة دعواك التقدم في مجالات الحروب وتفوهك بقوة البأس والشهامة فما بال عساكرك رجعت من السودان القهقري بالخيبة والهزيمة قلعة منها بالكلية ولا شك ان موجب ذلك الهرب محض الخوف من سطوة حزب الله الغالب كما هو بديهي وانهم صاروا الآن الى اسوء حال واضيق محال قاتلين في أودية الحيرة لا يهتدون الى المخلص سبيلاً وكل هذا من سوء تدبيرك واستبدادك برأيك عن باقي الدول ولو رفعت الشورة اليهم كما هو الواجب عليك لارشدوك الى ما يسكن روعك في الجملة وكانوا اما ان يثيروا عليك بالكف عن مصادمة حزب الله الذي لا طاقة لك بمقاومته وتكوني مقتصرة على محافظة بلدك لا غير واما ان يمدوك بالرجال والاسلحة ويمجربوك على حرب حزب المهدي وحينئذ لا يتوجه عليك العار وحدك عند حصول الهزيمة بل يكون ذلك بالاشتراك * والحاصل انك قد اخطأت الرأي وصرت الى نقص كبير ولا مخلص لك من ذلك الا بالانابة الى الله الملك والدخول في ملة الاسلام واتباع المهدي عليه السلام فانك ان فعلت ذلك وسلمت الامر لنا تظفرين بمقصودك من السعادة التامة والراحة الحقيقية التي هي الفوز عند الله بدار النعيم المقيم الذي فيه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان كنت لا تزالين على غرورك واستبدادك برأيك فأقدمي على حرب حزب الله بنفسك بجميع جيوشك واستعداداتك الحربية لندري كيف عاقبة امرك فتهلكي بحول الله

وقوته أو تعذري من مات أو فرّ من رجالك الذين تطفلوا على محاربة حزب الله
بمقتضى غرورك... واعلمي يقيناً اني مؤيد من عند الله وبه قوتي ونصرتي
لا بنفسي فاني عبد ضعيف لا قوة لي من نفسي وانما عصمتي بالله واعتمادي على الله
وهو كفيل بنصرة من اعتمد عليه واعتصم به ومن ثم فكل من بادرنّا بعداوة يقتل
على يدنا بعون الله وقوته ولو كان الثقلين فاعني ذلك جيداً ولا تغتري بما يلوح على
نظرك من العدد والجنود فان ناصية كل شيء بيد الله ولن يغلب الله احد بل هو
القاهر فوق عباده . وانك ان لم تسلمي لامر الله وتدخل في ملة الاسلام واتباع
المهدي عليه السلام فاحضري بنفسك وجنودك لحرب حزب الله وان لم تحضري
فاستعدي في محلك فان حزب الله سيلاً دارك باذن الله في الوقت الذي يريد
الله ويذيقك السوء بما صددت عن سبيل الله وفي هذا كفاية لك والسلام » اه
﴿ كتابة الى جلالة السلطان عبد الحميد ﴾ « وبعد فمن عبد ربه المعتصم به خليفة
المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق « الى سلطان اسلامبول
عبد الحميد » جعله الله من خواص العبيد وشرح صدره بنور الايمان والتوحيد آمين
ولا يخفى عليك ان الله سبحانه وتعالى هو القاهر فوق عباده المتصرف فيهم بحسب
مراده وقد اراد اظهار دين الاسلام واحياء ما اندرس من سنة خير الانام فظهر
سيدنا الامام المهدي المنتظر خليفة سيد البشر وانجع دعوته في العباد والبلاد وخذل
اهل الفساد والفساد فنهى بنهي الله وامر وبشر وانذر واجاب داعيه كل سعيد
واعرض كل شقي عن الرحمة طريد . وكان فيمن اعرض عن اجابة داعيه الذي
هو داعي الله اهل دولتك ومن تبعهم حرصاً على فاني الملك وزائل الجاه فضربوا
صفحة عما أصدره اليهم من الانذارات وطووا كشحاً عن الهدى وابتدروه بالمحاربات
فنصره الله عليهم ثلة بعد ثلة واهلكهم على يده مما كان عليه من الضعف والقلة .
ولا شك انك قد رويت من آثاره وسمعت من اخباره ما يكون عبرة لمن اعتبر
وهداية لمن اهتدى ومقنعاً لمن اختبر . ومع كونك تدعي انك سلطان الاسلام القائم
بأيدي سنة خير الانام فمالك معرضاً عن اجابة داعي الله الى هذا الآن ومقرّاً بعيتك

على محاربة حزب الله المؤمنين مع اهل الكفر والعدوان فهل أمنت مكر الله أم
كذبت وعد الله حتى صرفت مجهودك في اغانة اهل الاصنام على هدم اركان الاسلام
ما كان الظن بك ان تحيد عن طريق الصواب وترغب عن اتباع السلة والكتاب
لما انك اولى الناس بالاعتناء بهذا الشأن والوقوف منه على ببيان . فالعجب كل
العجب من اعراضك عن اجابة داعي الهدى واتباعك لشهواتك الى الردى وتمكينك
للاعداء من بلاد الاسلام مع علمك سعيهم في اطفاء نور الله بأشد اهتمام . وانت
تزعم انك والي المسلمين الذاب عن حرم الدين فما عذرک غدًا اذا وقعت بين
يدي مولاك فسألك عما قدمته يداك * فهل جرى منك ما جرى ثقة بخلودك في الدنيا
ألم تعلم ان من ذوقته الدنيا حلاوتها بركون منه اليها اذاقته الآخرة مرارتها بتجافيه
عنها . وان النبي (صلعم) قال انما الدنيا دار بلاء ومنزل عناء قد نزعتم منها نفوس
السعداء وانتزعت بالكره من ايدي الاشقياء واسعد الناس فيها ارغبتهم عنها واشقام
بها ارغبتهم فيها . هي الغاشة لمن استصحبها والمغوية لمن اطاعها والفائز من اعرض
عنها والهاالك من هوى فيها . طوبى لعبدا اتقى فيها ربه وناصح نفسه وقدم توبته وأخر
شهوته من قبل ان تلفظه الدنيا الى الآخرة . . . فيحشر اما الى جنة يدوم نعيمها او نار
لا ينفك عذابها * ام اغترارًا بالملك الفاني ألم تعلم انه لم يصل اليك الا بموت او عزل
ممن كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل ما صار اليك اسوة من تقدمك قال النبي
(صلعم) انما انتم خلف ماضين وبقية متقدمين كانوا اكثر منكم بسطة . . . فلا تكن
ايها الرجل ممن خدعته العاجلة وغرته الامنية واستهوته الخدعة فركن الى دار قريية
الزوال وشيكة الانتقال فقد ورد عن النبي (صلعم) انه قال انه لم يبق في دنياكم
هذه في جنب ما مضى الا كنافخة راكب او صر حالب . . . وحيث ايقنت من دنياك
بالزوال وتحققت حلول الارتحال فتدارك ايها الرجل نفسك قبل ان تحل رمسك واعلم
اني داعيك الى الله ومرشدك الى ما يجلب لك رضا فأجب الداعي تسلم وسلم
الامر لله ورسوله ومهديه والي تغنم فاني خليفة مهدي الله القائم بعده بأمر الله ولا
فخر وقد دعوتك الى جنة عرضها السموات والارض فأعني على جلب الخير لك

بالمثال تفز يوم العرض ولا تسوف بالاجابة فتخطى الاصابة بل بادر التسويف
بالعزم والتفريط بالحزم فرحم الله امرأً نظر لنفسه ومهد لرمسه ما دام رسنه مرخى
وجهه على غاربه ملقى قبل ان ينفذ اجله وينقطع عمله . ولا يغرنك ان الله وسع
عليك سلطانك وكثر خدمك واعوانك وسوى لك البلاد ومملكك امر العباد فان
ذلك مع اقامتك على تعدي الحدود ومخالفة الرب المعبود استدراج من الله وامهال
لاهمال فيوشك ان تثببت بعد هذا عن اجابة داعي الله ان يحل بك الندم وتزل
منك القدم فتلحق بمن غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم فزلت بهم الاقدام فهووا في
النار فلا جعلك الله منهم وألحقك بمن رضي عنهم * وما كان يجب منك ان تتخذ
الكافرين اولياء من دون الله وتركن الى موادتهم ومتابعتهم على ما يجلب لك سخط
الله . ألم تسمع قول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم الآية . وقوله تعالى لا تجد قوماً
يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناهم
الآية . وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم
بالمودة الآية . وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً
ولعباً من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء الآية . وما هذه المطاوعة لاعداء
الله ومتابعتهم على اطفاء نور الله والله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً
من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم
آيات . الى ان قال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون
واعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا الآية * فان كنت ممن ينظر بعين بصيرته ولا
يؤثر متاع الدنيا الغاني على نعيم آخرته فتذكر ذلك وانتشل نفسك من احوالك وبادر
الى نجاتك وسلامتك من موبقاتك ونزه رأيك في عظمته عن ان يراك حيث نهاك
أو يفقدك حيث امرك ودعاك ولا تكثر بزخرف الدنيا الباطل وملكها الزائل *
واجب داعينا الذي هو داعي الله ورسوله ومهديه ويكون ذلك بتسليم الامر لنا
والقيام بواجب طاعتنا والمبادرة الى فعل احد امرين اما جهاد الكافرين وخراجهم

من بلاد الاسلام كمصر وغيرها صاغرين مع العمل بكتاب الله وسنة رسوله الامين
وابطال جميع البدع التي احدثتها اعداء الدين واما السعي في الاجتماع بنا لنقوم جميعاً
بنصرة الدين وقطع دابر القوم الكافرين فانك ان بادرت الى اجابة الداعي فزت
بالسعادة الابدية وجلبت رضا رب البرية . فاجمع عليك ايها الرجل فكرك ودبر
امرك واغسل ما جرى منك بدموع الندم وتدارك سلامتك قبل ان تزل منك القدم .
واعلم انا قد فرغنا من فتوحات السودان منذ ازمان وسمت بنا همتنا الى فتح الجهات
البحرية والممالك المصرية فان كنت طائعاً لامر الله وتريد الفوز بقر به ورضاه فبادر
الى الاجابة فيما طلبناه منك وسلم تسلم وتكون كريماً علينا فخياً لدينا ونضرب عما جرى
منك صفحاً وتنال منا محبة كاملة وعفواً فان هذا الامر الذي نحن عليه ديني مبني
على هدى من الله ونور من رسوله الاواه ومؤيد من عند رب البرية بجنود الهية
ولا قصد لنا غير اقامة الدين واحياء ما اندرس من سنة سيد المرسلين ولا نريد مع
ذلك ملكاً ولا جاهاً ولا مالاً واعتمادنا في قوامه على الله فمنه نصرتنا وبه استعانتنا
وعليه اعتمادنا واتكأنا . فعليك بالمبادرة الى ما دعوناك اليه لتنال رضا الله وتحظى
بالاكرام لديه * وان اعرضت بعد هذا البيان . . . فاعلم ان امر الله غالب على امرك
وسلطانه فوق سلطانك ولا بد ان شاء الله من وقوعك في القبضة . فانظر ايها الرجل
بنور بصيرتك فانما ينفعك مع الله صفاء سيرتك فاعلم ان جميع من تحت طاعتك
فدنبه مطوق بك في رقبتك وها قد اندرناك الى وجهة فلاحك وفوزك ونجاحك
شفقة عليك وعلى من ينسب بالطاعة اليك فساعدنا على نجاتك بحسن الامثال واتبع
رضا الجلال واعلم ان دين الله بلا شك منصور وعدوه قطعاً . قهور فلا تغتر بكثرة
عددك وقوة حصن بلدك فان قدرة الله لا تقاوم وبطشه لا يصادم فارحم نفسك
واتق ربك . ومن باب اتباع الاثر النبوي والسير المهدي فقد حررنا هذا الكتاب
انذاراً لك من الوقوع في سخط رب الارباب فامعن فيه نظرك وافدنا بما يوافق
رايك وليس بعد هذا الانذار الا الاعذار والسلام على من اتبع الهدى . اه
!!! عجباً لفعل الجهل والغرور في الناس !!!

﴿ كتبه الى قبائل نجد والحجاز ﴾

﴿ كتبه الى قبائل الحجاز ﴾ وكتب ايضاً الى جميع قبائل الحجاز يدعوهم الى المهدية والجهاد ومنهم قبائل قریش وخزاعة ولحيان والحران والمجانين والصحاف وبشر وزيد والمجاولة وصبح والحوازم والطواهرة وعوف والهلبه والصواعق وميمون والدعاجين والمزاميم والزاهرة وهذيل الشام وبنو مسعود والمطارحة والاحامدة وغيرهم ﴿ تسميته حذيفة بن سعد عاملاً على الحجاز ﴾ وقد جعل حذيفة بن سعد كبير الاحامدة عاملاً عليهم وكتب اليه منشوراً في العمالة بتاريخ ٢١ شوال سنة ١٣٠٣ هـ ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٦ م قال فيه : « ... فانا بالنظر لما بلغنا من جهتك من خلوص النية وصفاء الطوية وقوة العزم وثبات النفس قد حسنا بك الظن واملنا فيك الخير وجعلناك عاملاً من طرفنا على قبائل الحجاز كافة لتدعوهم الى الله وتحرضهم على الجهاد فحقق حسن ظننا بك وقم بواجب امرنا هذا وابشر بنصر الله وولايته ولا تأل جهداً في جهاد الترك واخراجهم من جهاتك وقطع دابرهم فانهم قد غيروا دين الله وبدلوا فيه... وقد حررنا الى قبائل الحجاز كافة بامثال امرك ونهيك ما دمت قائماً بامرنا هذا على اتباع منهج الحق وها هي الاوامر المحررة اليهم واصلة اليك صحبة هذا الامر بمعية رسولنا اليك الحبيب علي ... فان المذكور من اهل الصدق مع الله ومن خاصة الاصحاب الذين بذلوا ارواحهم لله وحسنت لهم الترية وبالنظر لذلك ولمعرفته بالاحوال من جهة الطرفين احببنا ارساله اليك باوامرنا لتقوم بواجب امرها تحشية : ايها الحبيب نعلمك انا كنا قد حررنا « لعثمان نورين الدين » والي الحرمين من طرف الترك بالدعوة الى الله وبجملة عاملاً على تلك الجهات على شرط مبادرته الى القيام بأمر المهدية وذلك بناءً على ما ورد منه الى المهدي عليه السلام بالتسليم ورغبة الدخول تحت سلك المهدية وطاعتها ومن حيث كونه من طرف الترك فغير بعيد ان يركن الى تأثير ملكه فليكن لك علم بحاله فان عمل بمقتضى امرنا له بالانسلاخ عن طاعة الترك فكونوا الجميع متوازين على اقامة الحق وعجلوا لنا بالافادة والا فان كان اعرض عن اجابة الداعي اغتراراً بملكه الذي لا بقاء له فالاذن معك بمحصاره

وشن الغارة عليه وكل من يأتيك مسلماً منياً لأمرك الله راغباً للدخول في سلك المهديّة
فاكرمه وأمنه ولا سيما أهل الحرمين الشريفين وبذا لزمنا الحاشية والسلام، اه
﴿ كتابه إلى قريش ﴾ ومما كتبه إلى قبيلة قريش: «... فكيف يليق بكم وأنتم
بضعة سلف طاهرين وبقية أخيار بذلوا أرواحهم في نصرة الدين أن تتكاسلوا عن
المبادرة لإجابة دعوة المهديّة بل المناسب لحاكمكم حيث أنكم بتلك البقاع الطاهرة
والأماكن التي لا يليق بها إلا نشر أحكام الإسلام واتباع سكة خير الأنام أن
تبادروا لإجابة تلك الدعوة الدينيّة وتبذلوا أرواحكم في طاعة رب البرية ولو أدّى
ذلك إلى التقطع أرباً أرباً فإنه سهل في جنب رضا الله عند من رضيّه ربّاً، ...
» وقد توسمنا في المكرم حذيفة بن سعد الصدوق وحسن الانقياد للمهديّة والاهتمام
بأمر السنة المحمديّة فجعلناه عاملاً من طرفنا واذناه في الجهاد فيلزم أن تنضوا
إليه وتوازروه على إقامة الدين وتمثلوا أمره ونهيه في طاعة رب العالمين لكن عمالتنا
على شرط اتباع الكتاب والسنة والقيام بأمر المهديّة فحزبوه على ذلك ولا يحصل منكم
تراخٍ بعد كتابنا هذا عن شن الغارات على أعداء الله تعلاً بضعف الحال فإن أمر
المهديّة هذا مبناه التوكل على الله وهو تعالى قائم بنصرته وخذلان أعدائه بقدرته.
وحيثما أن الوجه عليكم ولا بد من بلوغ المهديّة إلى جهاتكم فقد حررنا لكم هذا مقدماً
بالإندار فإن عملتم بموجبه وتحزبت مع المكرم حذيفة بن سعد على القيام بأمر المهديّة
وجهاد من خالف ذلك إلى أن يجتمع بكم جيش الإسلام فقد أدبتم الواجب عليكم
والآن فقد وصلكم البلاغ وأمر الدين لا بد من قوامه بقدرة الملك الخلاق وفي هذا
كفاية لكم ولترد لنا منكم الافادة. والله المسؤول أن يوفقكم وإلى طريق الحق يرشدكم، اه
﴿ كتابه إلى أهل المدينة ﴾ ومما قاله لأهل المدينة بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٣٠٣:
«... فمع هذا لا يسوغ لامثالكم حيث أكرمكم الله بجوار خير الأنام وبدر الظلام أن
تكونوا راغبين عن القيام في نصرة سنته ركناً لهذا الحطام الذي لا يزن جناح بعوضة
عند الملك العلام بل اللائق أن يكون مطمح نظركم ومنتهى أمركم الالتفات إلى الخير
الأبدي والنعم السرمدي الذي فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على

قلب بشر... ومن باب حسن الظن بكم ومحبة الخير لكم قد حررنا لكم هذا بالدعوة الى الله فان كانت لكم طاقة بذلك فنيبوا عليكم من تختارون واتبعوا اشارته وجاهدوا الترك بعد انذارهم حتى يهلكهم الله على ايديكم أو تخرجوهم من جهاتكم صاغرين والآن بان حسستم بالضعف من انفسكم ولم تقدرُوا على مقاومتهم فانحازوا الى الحبيب حذيفة بن سعد وانضموا عليه وتوازرُوا جميعاً على جهادهم فانا قد حررنا للحبيب المذكور بالامارة على جهات الحجاز كافة نظراً لما بلغنا في حق المذكور من كمال الصدق مع الله والتسليم لامر المهدي فكونوا معه ظاهراً وباطناً ان رأيتم الانضمام اليه . وعلى أي حالة فلا بد من اجابة داعي الله والانخراط في سلك المهدي والقيام بجهاد الطائفة الكفرية ابتغاء لآحياء سنة خير البرية وافادتنا عن ذلك هذا والوصية لكم بعد تقوى الله العمل بمقتضى كتابنا هذا فان فيه الكفاية لمن أدركته العناية والسلام » اه
﴿ تسميته عبد الله بن فيصل عاملاً على نجد ﴾ هذا وكان قد كتب الى جميع امراء نجد وسمى « عبد الله بن فيصل بن مسعود » عاملاً عليهم وبعث اليه في ذلك منشوراً بتاريخ ١١ جمادى الاولى سنة ١٣٠٣ ١٥٥٥ فبراير سنة ١٨٨٦ م جاء فيه :
«... هذا وليعلم لديك حبيبي ان رسولك الحبيب... قد من الله عليه بالوصول لساحة الامام المهدي عليه السلام وحظي بزيارة ضريحه وتم مقصوده بمقابلتنا وسمع مذاكرتنا وصار من الاحباب الكرام والاصحاب الفخام وقد ذكر لنا من جهتم ما يشرح الخاطر من مزيد هممكم باقامة الدين وجميل تصديقكم بخليفة رسول الله الامام المهدي عليه السلام وبالنظر لذلك وحسن الظن بكم فقد اخترنا ان تكون عاملاً من طرفنا على عموم جماعتك كافة امراء نجد وعموم اهاليها على شرط دلائلهم على الله وادخالهم في سلك المهدي والتحزب بهم على جهاد اعداء الله والعمل بكتاب الله وسنة رسوله... وقد فرغنا من فتوحات السودان وتطلعت انظارنا لتجهيز السرايا لفتح جهات الامصار ونحن الآن ان شاء الله شارعون في ذلك بعون الله ومشيتته وعن قريب يبلغكم فتحها واتساع دائرة الدين فيها فليكن الاجتهاد يا حبيبي فيما اشرنا به عليك وصورة ما تحرر لاهل الامصار البحرية واصلة اليكم طي هذا مع بعض من

منشورات المهدي فليكن الاطلاع على ما ذكر والعمل بمقتضى هذا وما في مناشير المهدي عليه السلام وسرعة الرد منكم بما تصيرون اليه * هذا واني اوصيك بما اوصى به رسول الله معاذ بن جبل حيث قال يا معاذ اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقد في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح واياك ان تسب حليماً او تكذب صادقاً او تطع آثماً او تعصى اماماً عادلاً او تفسد ارضاء اوصيك بتقوى الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية بذلك ادب الله عباده ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب

✽ كتبه الى ملك الحبشة ✽

هذا وكان المهدي قد كتب الى يوحنا ملك الحبشة في سنة ١٨٨٥ يدعوهُ الى اعتناق الاسلام والمهدية ويحذره من المخالفة فلم يجبه. فلما مات المهدي كتب التعايشي اليه والى خلفه الملك منليك الحالي عدة كتب يدعوها الى الطاعة ويتهددها وقد جرت بينه وبينهما وقائع مشهورة يأتي ذكرها في ما بعد مع بعض كتبه اليها

✽ كتبه الى غرب السودان الاقصى ✽

✽ كتابه الى الاستاذ محمد السنوسي ✽ وقد اهتم التعايشي كما اهتم سيده المهدي من قبله باستمالة الاستاذ محمد السنوسي اليه للاستعانة به على فتح مصر فكتب اليه يدعوهُ الى اعتناق المهدية ويؤاخذهُ على تقاعده عن نصرتها ومما قال له: «... وبعلمك ان المهدي عليه السلام عند ما طوق بهذه الحملة الالهية واعلن بأمر المهدية اعتنى بشأنك واهتم بأمرك وكاتبك اولاً وثانياً بأسرار غيبية واشارات نبوية للقيام بأمر الدين واحياء اثر سيد المرسلين وما ذاك الا لحسن ظنه بك وتوسمه الخير فيك وشفقته عليك وما زال حاله معك طيباً ورضاؤه عليك مسبلاً وظنه بك حسناً وترقبه لقاءك في الله حاصلاً الى ان انتقل الى الرفيق الاعلى * ثم نحن كذلك لما رأينا من حال المهدي عليه السلام معك ما زالت منا على ظن حسن وما زلنا نترقب قيامك في

الدين وانتدابك لجهاد الكافرين ولكن من عهد ظهور المهدي ومكاتبته لك الى هذا الآن قد مضت عدة اعوام فضلاً عن الشهور والايام وما أتى من جهتك رسول ولا جواب ولا بلغنا عنك التفات لامر المهدي ولا استصحاب مع انك لست بالبعيد عن جهة المهدي بعداً يتصور معه عدم بلوغ الدعوة... ولا بد من ورود الرد منك عن هذا الجواب فانا لذلك في انتظار والعامل مثلك يكتفي بأقل من هذا والوصية ينال تقوى العظيم والسلام في ٢٩ شعبان سنة ١٣٠٥ هـ « ١١ مايو سنة ١٨٨٨ م أه وقد عهد بإيصال هذا الكتاب الى محمود احمد المغربي وسلمه امرأ الى ابيه بالماله على « اهل الغرب » فذهب تعبهُ باطلاً

كتبه الى سلطان وداي محمد وكان على دار وداي في زمن المهدي السلطان محمد يوسف بن السلطان محمد شريف بن السلطان محمد صالح بن السلطان صليح العباسي فكتب اليه المهدي يدعوه الى طاعته والقيام بأمره . قيل فسأل السلطان يوسف الاستاذ السنوسي عن السياسة التي يتخذها مع المهدي فأجابه السنوسي « اتركه وشأنه ما تركك فاذا دخل دارك فخار به فانك منصور عليه بعون الله » فعمل برأيه ولكنه احب مجاملة المهدي ليأمن شره فكتب اليه انه مصدق مهادته وتبادل الهدايا وكتب المودة هو ومحمد خالد زقل عامله على دارفور فبعث اليه زقل بمدفع جبلي مع طوبجيته وقنابله . ولما تولى التعايشي كتب الى السلطان يوسف مراراً يذكره عهدده ويحثه على القيام بأمر المهدي وهذا بعض ما قاله له في كتابه الاخير في اواخر سنة ١٣٠٥ هـ : «... وانك يا حبيبي على علم من امر المهدي وقد كنت بادرت بالتصديق والاذعان لاوامرها السنية وورد كتابك بذلك للمهدي عليه السلام وحظي لديه بالقبول والاكرام وتحمر لك منه بالحث على اقامة الدين واحياء الاثر النبوي بجهتك بين العالمين . وكذا مكاتبتك وكبراء قومك المحررة منكم لمحمد خالد لما كان بدارفور بعد انتقال المهدي عليه السلام بانكم ما زلتم على عهدكم وتصديقكم بالمهدي وقيامكم باوامرها المرضية وانك سترسل مخصوصاً من طرفك لمقابلتنا وتجديد العهد لك عن يدنا قد وصلت بطرفنا وفهمناها ولكن من وقت ما كاتبك المهدي عليه السلام بل من وقت

وصول مكاتباتك المذكورة بطرفنا قد مضت مدة ولم يأتنا منك رسول ولا جواب ولا سمعنا منك بقيامك في المهديّة ظاهراً عملاً بما تحررك في الكتاب مع انتظار لذلك وترقبنا لحصول ما هنالك فلما طال علينا المطال دعانا داعي المحبة لك والشغف عليك الى مخاطبتك ثانياً فكاتبناك في تاريخ ٢٣ شوال سنة ١٣٠٤ بحثك على القيام بأمر المهديّة والانتداب لآحياء السنة المحمدية وعدم انقطاع اخبارك عنا وفتح طريق الهجرة لكل من يرغب القدوم اليها وقد مضت على ذلك مدة ولم يأتنا الرد منك ولا علمنا السبب الذي دعا لقطع اخبارك عنا بالكلية مع قرب جهتك وموالاتها لحدود المهديّة . . . وبالنظر لكونك من المظنونين لدينا بالخير لسابق تصديقتك فقد حرصنا لك هذا وهو ثالث مكاتباتنا لك فان كنت على حسب ظننا بك وتوسمنا الخير فلك فاول وصوله بطرفك فبادر باجابة الداعي وقم بتأييد امر المهديّة بجهتك واجمل مراد معك على العمل بالكتاب والسنة ومنشورات المهدي عليه السلام وافتح طريق الهجرة لكل من رغبها من المؤمنين واجعل اخبارك متصلة بنا في كل وقت وكل من اتاك فاراً من المهدي فلا تأوّه بجهتك ولا تقبله ايّاً كان وبالاخص ان كان من الفور او العرب بل اضبطه وارسله الى المكرم عثمان آدم عامل المهدي بجهات دارفور ونواحيها بالمحافظة القوية واجعل اخبارك متصلة معه في الله فانك ان فعلت ذلك فقد صرت حقاً من ضمن اعوان المهديّة وكنت منا على بال ومن خواص الاصحاب اهل الكمال والآفانت الجاني على نفسك ولا بد من قدوم حزب الله لجهتك ويكون عليك ائتمك واثم من معك من المستضعفين وهذا ما لزم اعلامك به وفيه الكفاية ولترد لنا منك عنه الافادة فانا في انتظار لذلك والوصية بيننا تقوى الله والسلام اه

كتبه الى حياتو بن سعيد وكان المهدي قد ارسل الى « حياتو بن سعيد بن محمد بللو سلطان سو كوتو » يدعوّه الى اعتناق المهديّة فأجابه بأنه مصدق دعواه وأنه سيجمع قومه ويلحق به فلما تولى التعايشي الخلافة كتب اليه والى جميع اهالي سو كوتو وملي يخبرهم بوفاة المهدي ويدعوهم الى الهجرة اليه لنصرة الدين وجهاد اعداء الله الكافرين ومما كتبه الى حياتو بن سعيد بتاريخ ١٤ صفر سنة ١٣٠٤ ١٢ نوفمبر

سنة ١٨٨٦ م : « . . . وفي موسم هذا العيد الماضي وفدت الينا اعمال المهديّة المشاهير
من الجهات فوفد الينا الحبيب عثمان دقنه بن أبي بكر من جهة بوغاز سواكن والحبيب
محمد الخير من جهة بربر والحبيب محمد ارباب من بوغاز القلابات بنواحي الحبشة
واخذوا معنا مدة في المذاكرات ثم وجهنا كل منهم الى جهته * وان شاء الله تعالى
يلفكم فتح الجهات المصرية بقدرة رب البرية اذ الاعداء على فزع شديد وخوف
الكيد من جهة انصار الله المجيد وجميع الاهالي في عموم الجهات المصرية متشوقون
الاندراج في سلك المهديّة * وقد حضر بطرفنا بعد انتقال المهديّة أمة من الناس من
الجهات النابتة البعض من الهند والبعض من بخارى على مسافة خمسة اشهر من مكة
الشرقة والبعض من بني تميم شرق مكة بمسافة عشرين يوماً والبعض من الحبشة
والبعض من الرحنو والبعض من تونس والبعض منهم حسنت تربيتنه ورجع الى
انذار قومه رسولا منا بما فيهم الحبشة قد حسن اسلامهم ورجعوا منذرين الى اهاليهم
بذودين الله قد تأيد . فعليكم يا حبيبي بالتشمير في امر الدين وبذل المهج في تأييده
ابتغاء مرضاة رب العالمين وفيما تحرّر لكم في الاجوبة التي ارسلت اليكم مع الحبيب
محمد العربي كفاية فليكن العمل بموجبها بارك الله فيكم وتولاكم ورعاكم » اه

ومما كتبه اليه في ٢٨ شعبان سنة ١٣٠٤ هـ ٢٢ مايو سنة ١٨٨٧ م : « . . . كاتبناك
مراراً وألحنا عليك في الهجرة لله ورسوله الى عندنا والى الآن لسنا بصارفين النظر
عك ولا بأس عليك فيما مضى من تأخيرك لاننا تحققنا انك معذور بعدة امور فمنها
اولاً من مكاتباتك الواردة الى المهدي عليه السلام مراراً ومن رسولاك الحبيب
محمد العربي وثانياً من اجوبتك التي وردت الينا اخيراً بعد أوبة المذكور اليكم من
عندنا وفيها تعرفون انه وصلكم على السلامة هو والحبيب محمد الامين احمد فالحمد لله
على ذلك وكل ما في تلك الاجوبة من حسن اجراءاتك قد علمناه واستصوبناه لظننا
بك انك على هدى ولا ترى الا مصلحة الدين ولا تقصد غير وجه رب العالمين
وغاية الامر اننا في انتظار وشوق اليك فان وجدت بعد وصول هذا لك سيلاً فبادر
لهجرة الينا بنفسك . . . » اه وقد كتب اليه مراراً بعد هذا على غير جدوى

كتابهُ الى رابع الزير وفيه خلاصة وقائع المهدي الى ٢٢ اوجسطس سنة ١٨٨٦ هـ
وسعى التعايشي والمهدي من قبله اعظم السعي للحصول على رابع الزير الذي هم
فرَّ بجيشه الى الغرب الاقصى سنة ١٨٧٨م كما تقدم فكتبوا اليه مراراً قصد ارجاعه اليهم
السودان وضمه الى جيش المهدي فلم يفلحوا . ولكن يظهر ان راجعاً اتخذ المهدي شعاره
وراية المهدي راية له وما زال يتوغل في غرب السودان الاقصى حتى فتح مملكة بروندي
فأسس فيها ملكاً عظيماً بقي فيه الى ان تغلب الفرنسيين عليه وقتلوه سنة ١٩٠٠م كما مر
وهذا اول كتب التعايشي لرابع بحرفه وفيه مجمل وقائع المهدي من اول ظهورها
في أبا الى يوم تاريخ الكتاب في ٢٢ القعدة سنة ١٣٠٣ هـ ٢٢ اوجسطس سنة ١٨٨٦م .
« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبيد الله بن محمد خليفة
الصديق الى الحبيب في الله ورسوله المكرم رابع فضل الله كان الله له متولياً وحافظاً
وهادياً ووقفه لما فيه رضاه وادخله في كنف بره وحماه آمين * ايها الحبيب انه بعد
السؤال عن كامل احوالك والدعاء لك بشرح بالك فنعلمك انا بحمد الله وعنايته
على احسن حالة واطيب سيرة جادين في ما نحن بصدده من اقامة الدين وارشاد
عباد الله الى ما يجلب لهم رضاه في كل حين . وقد كنا ونحن بالايض سنة ١٣٠١ هـ
بالنظر لكونك معنا على بال ونحب لك الخير والكمال خاطبك واخبرناك بان اعداء
الله الترك لما تزايد طغيانهم واشتد فسادهم وعصيانهم وانتشرت ضلالتهم بين
المسلمين وعطلوا احكام سنة سيد المرسلين خيب الله سعيهم ونغص عيشهم بظهور
المهدي المنتظر الذي بشر به سيد البشر * وانه عليه السلام ظهر بجزيرة يقال لها أبا من
جزائر البحر الايض ودعا الناس الى الله وخاطب الترك بأمر المهدي ودعاهم الى رب
البرية فاجاب من اسعده الله من المؤمنين واعرض الترك ومن تبعهم عن داعي الله
لشقاوتهم وضلالهم المبين فجيشوا جيشهم وحاربوه بالجهة المذكورة فقتلهم الله شرقة
في اسرع مدة ومع قلة عدده اذ ذاك وضعف امره وكثرة عددهم واستعداداتهم
هلكوا على يده ولم ينج منهم الا النادر الذي فرَّ هارباً يوابيرهم * وانه عليه السلام
بعد قتله اياهم جاءه الاذن في الهجرة الى جهة قدير وماسة فجيشوا كذلك جيشاً من

جهة كردوفان تحت رئاسة مديرها محمد سعيد لمحاربتة ومنعه عن التوجه الى الجهة التي
فقدوها على زعمهم الفاسد فالتقى الله الرعب في قلوبهم فما استطاعوا الوصول اليه من
شدة الفزع مع قربهم منه في بعض الحالات بمرأى العين وهو عليه السلام في غاية
الأناة والثبات وعدم الاكتراث لهم ثقة بالله واعتصاماً بحبله المتين . وكما نزل عليه
السلام في محطة وتأنى بها انتظاراً لهم يرجعون القهقري عن القدوم فرقاً من صدمته
الالهية وهكذا الى ان خرج من جهات مملكتهم فرجعوا ناكسين على اعقابهم *
وهو عليه السلام جاد فيما هو بصددہ فرض له اهل الجرادة فدعاهم الى الله فلم
يقبلوا فاجزهم الحرب فكانوا تحت القبضة واذعنوا لحكمه وانقادوا لطاعته فاخذ فيما
هو فيه حتى حل بجهة قدير * فحضر اليه راشد مدير فشودة بعساكره فاهلكهم الله
على يده وشتت شملهم وآل اليه ما كان لهم من الاسلحة والجباجين وغير ذلك * ثم
لم يلبث الا يسيراً حتى حضر اليه يوسف الشالي في جردة عظيمة مؤلفة من جهادية
وبازقر وبجارة واولاد عرب وعساكر تركية وغير ذلك من الاجناد والاتباع في عدد
وعدد فحين قاربوا انذرهم وحذرهم فلم يسمعوا غروراً بما معهم من العدد والعدد
فقام فيهم بامر الله فاجزهم الحرب فقطع دابرهم في ايسر مدة واغتنم جميع ما اتوا به
من الاسلحة والجباجين وغير ذلك * ثم بعد ان نشر معالم الدين في تلك الجهات
جاءه الاذن في التوجه الى جهة الابيض لانتفاذ من فيها من الظلمات الى النور فخرج
في كتاب انصاره وسار في حفظ الله وأمانه الى ان حل بالقرب من بندر الابيض
فدعا من فيه الى الله فمنهم من اجاب الداعي ونجا بنفسه ودينه ومنهم من أبى وبقي
في الخندق كالأتراك واتباعهم فحاصروهم حصاراً شديداً واشتدت وطأته « عم » عليهم .
فلما ضاق بهم الحال استنجدوا اهل مملكتهم فحضر لتجديدهم عدو الله المدعو ابا كوكه
ومعه جردة من العساكر التركية من جهادية وحران وغيرهم فقابلها حزب الله قبل
وصولها وقطع دابرها ولم يصل اليهم منها احد وجميع ما كان معها من الاسلحة وغيرها
صار تقوية للدين . فلما انقطع رجاؤهم وضعفت قواهم واشرفوا على الممات وصاروا
في حيز الهلاك والشتات وعانوا من صولة حزب الله ما اذهل عقولهم وارعد فرائضهم

انقادوا لحكم الله صاغرين وجميع ما حوته تلك المديرية من الجباخين والاسلحة وغير ذلك آل الى المهدي « عم » واصحابه في الحين * وانه بعد ان تكامل فتوح جهات كردوفان كافة جيشوا لهم جردة كثيرة العدد متنوعة العدد مؤلفة من نصارى وجهادية وارانطة واولاد عرب واولاد بلد واتباع وقائد جردتهم هذه عدو الله هكس ومعه الحكمدار. ومن حين وصولهم في جهات الدويم وشروعهم في القيام تعين حزب الله لمقابلتهم ومناوشتهم وحصرهم عن الرجوع الى تهري فأحاطهم حزب الله بالامكان الى ان اوصلهم بجهة شيكان بنواحي البركة فقابلهم المهدي « عم » بباقي انصاره هنالك وقطع دابرهم في اقل من ساعة فلكية ولم ينبج منهم احد ما عدا نفراً قليلاً أخذوا اسرى وجميع ما اتوا به من الاسلحة والجباخين صار تقوية لدين الله . وانهم في جميع وقائعهم المذكورة تحرق النار اجسامهم عياناً اول خروج الارواح من ابدانهم ومبداها من محل طعنة الكبس وذلك اظهاراً لحقيقتهم وتعجيلاً لعقوبتهم الى آخر ما سطرناه لك آنفاً قبل هذا مستوفياً من الاحوال والاخبار والدعاء الى الله العزيز الغفار وما ندري هل وصلت ام لا

« وهانحن على حسب ارادتنا الخير لك واعتنائنا بشأنك نفصل لك ما جرى بعد ذلك من الاحوال وما حصل للدين من الاتساع والتأييد من ذي الجلال ليكون مدركاً لديك ومحسوباً لك أو عليك فنقول لك ايها الحبيب انه بعد ان نصر الله دينه في موطن كثيرة وعز جنده وقوى شوكة اهل الاسلام وقل شوكة اعدائه اللثام وجاء عباد الله من جهات شتى وفوداً وفوداً داخلين في دين الله افواجاً افواجاً مشاة وركبانا جماعة ووحدانا وهم لا يحصون في كل حالاتهم كثرة طفق « عم » يجهز السرايا للجهات النائية فجهز سرية لجهات دارفور وفتح مدائنها وسرية لجهات الجزيرة وحصار مدينة الخرطوم وسرية لجهات بربر وفتح مدينتها وهكذا نشر سراياه في الجهات البعيدة لدعوة العباد الى طريق الرشاد * ولما ازمع عم على الهجرة الى جهات البحر لقطع دابر من بغى بها من اعداء الله الترك وجهه جملة سرايا لدعاية اهالي جبل الدائر وانضمامهم الى حزب الله والقيام بأمر الدين فلووا رؤوسهم عن

اجابة داعي الله واغتروا بحصانة جبلهم وشدة حمايته ووعورة طرقه وغفلوا عن قدرة
الله التي لا تقاوم وبطشه الذي لا يصادم فعند ذلك ناجزهم حרב الله الحرب
وشنوا عليهم غارات بأسهم وعلت راياتهم على رأس جبلهم فالانوا شديدهم وقتلوا
صناديدهم واتخذوهم ضرباً وطعنًا واستأصلوهم قتلاً واسراً وصيروهم عبرة لمن اعتبر
ومنعاً لمن اختبر وانزلوهم من صياصيدهم صاغرين واقامت الجيوش بجبلهم اشهرًا حتى
اجلوم عن دورهم وصيروا اماكنهم بلاقع * وهكذا الى ان حضر الاذن بهجرة
المهدي «عم» الى نواحي البحر فخرج من الايض ونزل بالرهدة حيث اجتمعت عليه
الجيوش وهم في كثرة لا يحصى عددهم الا الله ووردت الاخبار من بعض الجهات
بفتح كثير من المدائن كبربر وغيرها * ثم زحف المهدي «عم» من الرهد الى جهة البحر
بجيوش لا قبل بها للعدى ولا يدرك عددها الا رب السماء وتراكت حتى ضاق عنها
القضاء وأربت على عدد الحصى بل كانت جيوش متواصلة وانصار متزاحمة يتلو
بعضها بعضاً وقد اعدوا من اليقين بالله والاستغراق في حب الموت في سبيله ما لا
يكاد يوصف . ومعهم فوق ذلك آلات حربية من خيول ولبوس ودروع واسلحة
نارية وغيرها ما لا يحصى وهم جادون مع مهدي الله «عم» من بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله الى ان نزلوا بالقرب من مدينة الخرطوم ووجدوا من كان قباهم
من الانصار واهالي البلد عاقدين عليها الحصار فترتبت الجيوش لحصار تلك المدينة
من جوانبها الثلاثة أي الجانب الغربي والشرقي وجانب الهوي وشنوا الغارة عليها
من كل الجهات بالضرب وشدة الحصر . ومن ذلك فالانصار الذين بالجهة الغربية
شدوا الوطأة على اعداء الله فخالوا بينهم وبين عساكرهم المقيمين بخندق أم درمان
بالغرب وعملوا المرصاد والطوابي اللازمة ما بين الجهتين لضربهما كليهما والبوابير
الحاربة بالبحر واقطعت المواصلات بين القفرتين وجرت في اثناء ذلك محاربات شديدة
حتى انكسرت شوكة الاعداء وداخلهم الرعب الشديد وضائق عليهم السبل وتقطعت
بهم الاسباب فعند ذلك خرج عساكر ققرة أم درمان مسلمين منقادين لامر الله *
ثم التفت جند الله الى المدينة الكبيرة وهم في اثناء حصارها اذ ورد الخبر بحضور

اعداء الله الانكليز زاعمين انهم يلحقون الخرطوم قبل فتحها لينجدوها فتعنت السرية الكافية لمقابلتهم على الطريق وانحزم الامر على اقتحام خندق الخرطوم فاقتحمه حزب الله من جهة الهوي وقطعوا دابر من فيه في اقل من ساعة وفي الحال قطع رأس عدو الله الغردون وحمل الى المهدي « عم » ضحوة يوم الفتوح . وكذلك الانصار الذين بالجهة الشرقية اقتحموا الخندق المحفور بالجهة المذكورة وقتلوا من فيه من اعداء الله وفاز الدين بالنصر وجنده بالظفر * وداخل اعداء الله الانكليز الرعب الشديد والخوف الذي ما عليه من مزيد فحفروا لهم ثلاث ققرات بالقرب من حلة المنة موالية البحر * ودخل بعضهم في وابورين واتوا ليختبروا امر الخرطوم في ثالث يوم الفتوح فوجدوا انصار الدين قد تبوأوها داراً وابتدروهم بالقاء الجلل والسوار يخ عليهم من كل جهات الخرطوم والمقرن وأم درمان وتوتي فجدوا السير هار بين نحو جماعتهم * فبعد ذلك تعينت اليهم الجيوش الكافية لقطع دابرهم فعند ما سمعوا بقدومها خرجوا من ققراتهم ليلاً وفروا هار بين جادين السير نحو جهة دقلة بطريقهم التي اتوا بها بعد ان طرحوا كثيراً من مثقلاتهم بالبحر فاقتفى الانصار اثرهم الى محل يقال له ابو طليح على مسافة يوم في الخلاء من جهة المنة فلم يدركوهم لتمكن الرعب من قلوبهم وسرعتهم في المسير * فعند ما وصلوا بجهات دقلة خائبين تنازلوا عن حرب السودان وجدوا في السير الى بلادهم فزعاً من كفاح انصار الله * ثم تعينت الجيوش الكافية لفتح جهات سنار . وفي اثناء حصارها وقبل فتحها انتقل المهدي عم الى الرفيق الاعلى حسبما هو مبين في الكتاب الواصل اليك طي هذا . وما زال انصار الله بعد انتقاله « عم » جادين في ما هم بصدد من امر دينهم حتى فتح الله على يدهم مدينة سنار المذكورة ومدينة كسلة والجيرة ؛ وبعضاً من مدائن الجهات الشرقية * وبحمد الله وعونه قد اتسعت دائرة الدين وكثرت اجناده وانصاره وجميع جهات السودان الآن صارت تحت طاعة المهدي مباشرة اقامة السنة المحمدية في طمأنينة وامان وخيرات حسان « وقد تواتر وفود عباد علينا الله من الجهات القاصية والاماكن النائية مهاجرين رغبة في دين رب العالمين ومحبة في بذل الروح لله ابتغاء مرضاته في كل حين . »

فمن ذلك انه قبل انتقال المهدي «عم» وبعده حضر اليها جماعة من المهاجرين البعض من مكة المشرفة . والبعض من المدينة المنورة . والبعض من الهند . والبعض من بخارى على مسافة ستة اشهر من مكة المشرفة . والبعض من نجد على مسافة عشرين يوماً منها ايضاً . والبعض من تونس . والبعض من استنبول . والبعض من الرحمن والجربة . والبعض من المكادة بما فيهم اسرى وكلهم قد أخذوا البيعة عنا واندرجوا في سلك الاصحاب وصاروا من انصار الدين . والبعض منهم قد كملت تربيته وتنور قلبه وحررنا المكاتبات الكافية اليه والى اهالي جهته لدعوتهم الى الله ووجهناه اليهم رسولاً من طرفنا وباقيهم معنا على احسن حالة مرضية من الجهة الدينية . وبوغازات السودان كافة مشحونة بالانصار فبوغاز دتلة فيه الحبيب عبد الرحمن النجمي ومعه من الجيوش اهل الهمة والعزم ما فيه الكفاية لقطع دابر اعداء الله واوّلهم الآن بنواحي وادي حلفا والاعداء في غاية الفزع والجزع من جهتهم ويقتصرون على حفظ جهلتهم البحرية وفي كل يوم يتصورون هجوم الانصار عليهم ولا بد من حصول ذلك عن قريب بمشيئة الله . وبوغاز ابي حمد فيه الحبيب محمد الخير بجميع جيوش اهالي بربر والجمعيلين والرباطاب وغيرهم من القبائل التي يكثر عددها والاعداء ايضاً في غاية الفزع من جهتهم والمحافظة على انفسهم . وبوغاز سواكن فيه الحبيب عثمان دقنه ابن ابو بكر بجميع جيوشه والاعداء كذلك في غاية الجزع من جهته وكثيراً ما افنى جموعهم في وقائع كثيرة يطول شرحها . وبوغاز المكادة فيه الحبيب يونس الدكيم بجيوش لا قبل للعدى بها والاعداء ايضاً في غاية الفزع من جهتهم وكثيراً ما يطلبون الصلح خوفاً من سطوة الانصار اذ قد حصلت لهم معهم مناوشات كثيرة ووقائع خطيرة هلك منهم فيها جم غفير وهدم الانصار لهم كنائس قديمة وكسروا ما فيها من الصلبان . وبالجملة فجميع جهات السودان من بوغازات وجبال وغيرها مشحونة بالانصار وعلى ذلك ففحن جادون في تجهيز السرايا وتسفيرها لفتح جهات الامصار وعن قريب يصير فتحها بعون الله القهار . والاخبار الواردة اليها من جهتهم تفيد ان جميع الاهالي راغبون في الاندراج بسلك المهديّة.

اول حلول جيشها بتلك الجهة والاعداء كافة تركوا وغيرهم على وجل شديد من جهة الانصار وخصوصاً الانكاز فقد تنازلوا عن مصر وتركوا حمايتها للترك وقد داخل الترك من جهة المهدي رعب شديد وفزع اكيد ! وقد اطلعنا على وقائعهم المطبوعة فعرفنا منها حالهم وخشيتهم من جهة حزب المهدي * ولما بلغنا من احوال اهل الجهات البحرية وحال اهالي الجهات الحجازية فقد حررنا لكل من اهالي الجهتين الانذارات الكافية والتبشيرات الوافية بالدعوة الى الله والانخراط في سلك طاعة مهدي الله والقيام بجهاد اعداء الله وبعثنا اليهم المحررات وها هي صورها واصلة اليكم طي هذا للاطلاع عليها والاسترشاد بما فيها

« وقد اجتمع للدين من القوة والعدد ما يكثر عدده فعندنا الآن من صف المدافع ما ينيف على مائة مدفع فضلاً عن كثير من الاسلحة المتنوعة من صف الرامتون وغيره والجباخين والبواير وعددها ثمانية فضلاً عن الكبكات والمراكب المعدة لاهبة الانصار * ومع هذا كله فاعتمادنا في نصرة الدين على الله لا على هذه العدد وان كانت مطلوبة بحسب امثال قوله تعالى « واعذوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الآية »

« وها نحن ايها الحبيب اعتناء بك قد بسطنا لك الاخبار على سبيل الاجمال والاختصار ولو اردنا ان نستقصي لك كل ما جرى لضاق عنه النطاق ولم تسع الاوراق • وحاصل الامر ان عناية الله بانصار دينه واصحاب مهديه صيرتكم في غاية لا تدرك ونهاية لا تستدرك ولا غرو فالله غالب على امره ومتم نوره بتأييد حزبه • فافهم ذلك ايها الحبيب بقلبك السليم وبادر الى ما فيه نجاتك وفوزك بالثواب العظيم واعلم انك منا على بال كبير ونحب لك ما نحب لنفسنا من الخير العزيز وما دعانا الى بسط الاحوال اليك الا مزيد شفقتنا عليك ورغبتنا في ان تفوز بنصرة الدين كما فاز اصحابك واقرانك من السابقين فصاروا الآن في حالة يغبطون عليها وحازوا رضا الله باعراضهم عن الدنيا وما لديها ولا شك انك ان بادرت الينا بعد ذلك يكون لك ما لهم وتنال من الخيرات ما لا يكون في حسابك وفي هذا

القدر كفاية لامثالك والله المسؤول ان يوفقك للالتفات الى ما فيه الخير « والمبادرة الى الهجرة الينا » انه جواد كريم

« تحشية : ايها الحبيب ان الاسلحة النارية التي استحوزت عليها المهدي كثيرة جداً ولا يمكن حصرها الآن بالدقة ومن باب الحزر والتقريب فصنف البنادق ما بين رامتون وابي روحين وأبي لفته وخشخان يزيد عن مائة الف بكثير وغالب ذلك رامتون * وصنف المدافع ما بين الكروب والجبلي والمترىوز واوردي وبلبل وكبس ينف على مائة مدفع كما اشرنا * وصنف الصواريخ كذلك كثير * وهذه الاصناف منها ما هو بمدينة المهدي عليه السلام تحت الطلب ومنها ما هو بأيدي الانصار في السرايا وجميع البوغازات مشحونة منها بما فيه الكفاية * واما البوابير الموجودة فهي وابورات بوردين والصفافية والاسماعيلية والفاشر ومحمد علي والمسامية والتوفيقية وهذه تحت خدمة الدين وقد اوضحناها لكم باسمائها القديمة المعروفة عند اعداء الله الترك . ووابور الطاهرة وهذه سماها المهدي عليه السلام لان الاعداء صنعوها ايام الحصار وعند تمامها وقبل دخول عدو الله الغردون بها حصل الفتح ودخل فيها المهدي « عم » ولم يسبق دخول احد من اعداء الله بها فلذا سماها الطاهرة وهي وابور عظيم جداً وكان عدو الله الغردون قصد الهروب فيها بطريق البحر وسماها الزبير ولم يمكنه الله من ذلك واهلكه لسابق شقاوته . وبقية البوابير قد تكسرت في محاربة الانصار فمنها وابور تل حوين كسرهما الانصار بجهة ودرمي . ووابور المنصورة كسروها بجهات شندي . ووابور عباس كسروها بجهات وادي قر حين هرب فيها عدو الله استورت وكيل الغردون بالبوسنة وقتلوه هو ومن معه هناك . ووابور الحسينية غرقها الانصار قبالة ام درمان في اثناء الحصار . واما وابور شبين فهي الآن بالخرطوم تحت التصليح * والانصار جماعة الحبيب محمد الخير الذين اخبرناكم في اصل هذا الجواب بانهم في بوغاز ابي محمد فطائفة منهم بجهات المرات قرية من كورسكو وكذلك بعض من امراء المهدي بجهات عربان الريف شارعون في جمع الجيوش هنالك . وجماعة الحبيب عثمان دقنه الذين ببوغاز سواكن منتشرون بنواحي عتباي الى الملاحه

من الجهة المذكورة • وبحمد الله فالدين كل يوم يزيد اتساعاً ويعلو مناره ارتفاعاً
والاعداء في وجل شديد وخوف ما عليه من مزيد ولمزيد افهامكم بالاحوال لزم
اللاحق في تاريخه والسلام » اه

وكتب اليه مع هذا ايضاً كتاباً آخر ذكر فيه بعثة صديقه حمدان ابي غنجة الى
جبال النوبة وما أوتيهُ من الظفر هناك مما سنأتي عليه في ما بعد وذكر له اسماء سائر
اصحابه واقرائه الذين نصرُوا المهديّة قال :

«...والذين مع الحبيب حمدان المذكور من الاخوان احبابكم واهل معرفتكم فهم
الحبيب النور عنقرة والحبيب السيد جمعة مدير الفاشر سابقاً والحبيب الزاكي ولد طنبل
والحبيب بلل ناقور والحبيب ولد فرح والحبيب ابو بكر ولد الحاج والحبيب عبد
الرسول عمر والحبيب ابو ولد محمود والحبيب ام بدي ولد حمدون والحبيب
عبد الرحيم ولد ابي دقل والحبيب ابراهيم المليح والحبيب عبد الحميد محمد الشايقي
والحبيب البشير الياس ام بربر والحبيب عمر الياس وهم الذين حضروا لنا من
معارفك معه وغيرهم من الجيوش والامراء ومن لم نعرفهم كثيرون جداً لا يستقصى
عددهم في هذا الخطاب » واما الذين معنا منهم بمدينة المهدي « عم » لمساعدتنا
في خدمة الدين فهم الحبيب حمدان ولد حمد والحبيب السعيد صغير ولد احمد وهذا
من الملازمة ابناء البيت والحبيب موسى ولد تاي الله والحبيب الحسن اخوه والحبيب
عبد المولى صابون والحبيب عبد القادر سلاطين مدير عموم دارفور سابقاً والحبيب
عبد الله لبتن المسلماني مدير بحر الغزال سابقاً وهذا معين بالترسانة لاصلاح البواير
نظراً لما له من الدراية التامة بذلك والحبيب صالح الملك الشايقي والحبيب محمد حاند
جفون والحبيب الياس ام بربر وغير ذلك من الاحباب الذين لهم الدراية بمعرفتك
ومع ذلك فيبان الحال الواقع على ما هو عليه من كمال التأييدات الالهية والوقائع
المهديّة لا يمكن ان تسعه هذه الاوراق وعند حضورك ستري مما هو فوق ذلك ما
يسر خاطرك ويقر عينك وتطلع من ذلك على ما لا يكون في حسابك هذا ما لزم
وبعد السلام » اه » وارسل له مع هذين الكتابين عدة منشورات ورواتب

الفصل السادس

في

﴿ وقائع السودان الغربي سنة ٥ : ١٨٩١ ﴾

﴿ حمدان ابو عنجه وجبال النوبة سنة ٥ : ١٨٨٧ ﴾

﴿ غزو جبال تقلي ﴾ تقدم ان المهدي وجهه ابا عنجه في اواخر فبراير سنة ١٨٨٥ بجيش كثيف لغزو جبال النوبة فاتى اولاً جبل الدوري من جبال تقلي ودعا اهله الى الطاعة ولما لم يجيبوه اشعل فيهم ناره « ففرقهم في بطون الاودية والكهوف وغنم ماشيتهم وغلاهم » * ثم تقدم الى جبل كراية كرسي مملكة تقلي ايام الملك آدم ودباله المار ذكره وكان فيه البعض من ذرية الملك المذكور فراوا ضعفهم بجانب قوته فسلموا له فضمهم الى جيشه * وقصد جبل تكم وهو جبل شاهق صعب المرتقى فوجد اهله مستعدين لمحاربتهم فخاربهم اياماً حتى ظفر بهم واسر ملكهم فمات في الاسر * وتوجه منهم الى جبل الكجاجة وهو جبل مرتفع حصين واهله سبع طوائف على كل طائفة ملك فاتفقوا كلهم على قتاله فحمل عليهم وقهرهم واتخذ جبلهم دياراً له * ثم دخل بلاد الكوايب فجمعوا له في جبل دري فحاصروهم اياماً حتى دانوا له فاستولى على جميع ما ملكته ايديهم من غلال ومواش مع ٣٠٠ رأس رقيق و ١٢٠ بندقية * وعاد الى ديمه في جبل الكجاجة وقد قتل من جيشه ٢٥ رجلاً فيهم عمر بن الملك آدم ﴿ غزو الحوازمة ﴾ ثم تفرغ الى عرب الحوازمة المنتشرين في اودية تلك الجبال وسهولها وكانوا هم الذين اغروا اهل الجبال بالتحزب عليه فدعاهم الى الهجرة الى ام درمان فاخذوا يحاولونه ويخادعونهم فتلف لهم حتى ظفر بروؤوسهم فجردهم من ما لم يكن ما غنم منهم « ٢٧٠٠ بقرة و ٥١ حصاناً و ٢٠٠ رأس رقيق »

﴿ غزو جبل قدير ﴾ هذا وكان قد بعث بجماعة من اصحابه الى جهات جبل قدير لجمع الغنائم فقام اهله بقيادة الملك بوش وقتلوه عن آخرهم فخرج عليهم بنفسه وقتلهم اياماً فنكل بهم واكتسح بلادهم وعاد الى الكجاجة * فوجد ان اولاد ملوك

تقلي قد تقضوا العهد وجمعوا جموعهم في جبل شندورة وصاروا يشنون الغارة على ديم الكجاجة فانتقل بالديم الى جبل كراية وسط بلادهم وجرّد عليهم السرايا وما زال يتبعهم في المعقل والجبال حتى ظفروا بهم وقتل منهم نحو ١٠٠ رجل بالسيف فدانت له جميع البلاد من سهول وجبال عرب ومجوس وكانوا قد غنموا كثيراً من الاسلحة النارية من واقعة شيكان فاتوه بها من انفسهم وقدموا له ما عليهم من الزكاة والفطرة وهم صاغرون

❦ كردوفان والامير محمود سنة ٥ : ١٨٨٧ ❦

﴿ حادثة جهادية الايض ﴾ تقدم ان المهدي قبل خروجه من الايض لغزو الخرطوم استعمل عليها ابن عمه محمود عبد القادر فبقي فيها نافذ الامر والنهي حتى مات المهدي واستدعاه التعايشي الى ام درمان لتجديد البيعة عليه فلبى الدعوة وحضر الى ام درمان في اوغسطس سنة ١٨٨٥ . وكان جيشه في الايض مؤلفاً من نحو ٣٠٠٠ من العرب و ٣٠٠ من السود واكثر هؤلاء أسرى من رجال الجيش المصري فكان محمود يرفق بهم نظراً لما يعهده فيهم من حب الحرية وعدم تحمل الضيم فلما غاب اساء العرب اليهم ولم يحسنوا سياستهم فشقوا العصا واجتمع عليهم اخوانهم السود فبلغوا نحو الف رجل فحملوا على العرب وقتلوا منهم جماعة ونهبوا بعض المنازل وساقوا نساءهم واولادهم وخرجوا من البلد علانية وما زالوا سائرين حتى اتوا جبل النما من جبال النوبة فجعلوا احدهم علي يوسف رئيساً عليهم ورفعوا الراية الخديوية وصاروا يحلفون برأس « افندينا » ومن حلف باسم المهدي سهواً جلدوه ٨٠ سوطاً وبالغوا في التحفظ على الذخيرة حتى جعلوا قصاص المفرط بها القتل

﴿ عزل محمود وتولية عثمان آدم مكانه ﴾ ولما بلغ الخبر أم درمان طلب محمود الى الخليفة ان يأذن له في الرجوع الى الايض لمطاردتهم . وكان الخليفة يهتم كثيراً لغرب السودان لانها بلاده وحامية ظهره وقد ودّ اخراج الاشراف منها على الخصوص وجعلها بيد اهله الاخصاء فسمي عثمان آدم الملقب بيجانو من اعز اهله عاملاً على الايض وقال لمحمود « ان مصلحة الدين تقضي بتركك الايض والحق بعبد الرحمن النجومي في دقله » . وكان محمود رجلاً نحيفاً اصفر اللون خفيف

الشاربين واللمحية وكان قبل المهديّة تاجرًا قليل فلما ظهر المهدي ذهب اليه والمصحف في يده وقال له اني رجل أُمّي لا اعرف القراءة ولا الكتابة فاحلف لي على هذا المصحف ان دعواك هذه على حق فحلف له فقام بنصرته وهو يثق انه ينصر الله ورسوله ومهديه وكان عادلاً في احكامه صادقاً في اقواله وافعاله متقشفاً في ما كله وملبسه . فلما جاء أم درمان رأى اموراً كثيرة مغايرة لمبدأ المهديّة فناصر الخليفة بها فلم يسمع له ثم عزله عن منصبه كما مرّ فسأه جدّاً انقلاب الحال وانخفاض سلطة الاشراف الى هذا الحد فقال لاصحابه « الموت بعد هذا خير من الحياة »

(قتل محمود في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٥) ثم استأذن الخليفة في العودة الى الايضا لجلب عائلته فأذن له فأتى الايضا ولم يدخلها بل نزل تحت شجرة ظليّة في ظاهرها وبعث الى الانصار فيها يقول من أحب الموت في سبيل الله فليتبعني فبعه نحو الف رجل فسار بهم حتى أتى جبل النما فدعى الجهادية الى الطاعة ولما لم يجيئهم حمل الراية بنفسه واقتحم رصاصهم غير مبال بالموت فقتلوه وقتلوا جماعة من انصاره وهزموا الباقين الى الايضا وكان ذلك في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٥ ؟ * ووصل عثمان آدم الايضا بعد ذلك بقليل وسنعود اليه * ويذكر اهل السودان انه لم يمض اليوم الذي قتل فيه محمود حتى بدأت النجوم تتساقط في الجو تساقطاً عجيباً ودامت كذلك الى آخر الليل

هذا وكان الخليفة حالما علم بمجاذلة الجهادية بعث الى ابي عنجة يأمره بمراقبتهم حتى كلما ظهر بواحد منهم وضع الشعبة في رقبتهم وارسله مخفوراً الى ام درمان . فلما بلغه خبر محمود كتب اليه بمطاردتهم وتلافي امرهم قبل اتساع الخرق . ثم لم يكن الا القليل حتى عرضت له فرصة على زقل عامل دارفور وهو من اكبر زعماء الاشراف فكتب الى ابي عنجة بترك امر الجهادية وموافاة زقل الى كردوفان في الحال واليك البيان :

دارفور ومحمد خالد زقل سنة ٤ : ١٨٨٦

تقدم ان زقل استولى على دارفور كلها سنة ١٨٨٤ فعاش فيها ملكاً عظيماً الى ان توفي المهدي فعزم التعايشي على عزله عملاً بقاعدته الاساسية المار ذكرها فاستدعاه

الى ام درمان بجيشه و اشار الى رفيقيه الخليفين فكتب اليه بذلك ايضاً . بل امر النجومي وامراءه فكتبوا اليه قبل سفرهم لفتح سنار يقولون : « . . . فاذا وصلكم هذا الكتاب فاجمعوا رجالكم مشاة وركبانا واسرعوا بالحضور كما امر خليفة المهدي لتبايعوه وتسموا مذاكرته وتزوروا ضريح سيد الجميع . ولما ابطل كتب اليه ليجوز عيد الاضحى في ام درمان . ثم لما مضى العيد ولم يحضر عاد فكرر الطلب فادرك زقل ان التعايشي انما يريد تنكيسه واحتال جداً على البقاء ولكنه لم ير بداً من اجابة الداعي فترك الامير يوسف ابن السلطان ابراهيم اميراً على الفاشر وخرج بجيشه منها في ٧ يناير سنة ١٨٨٦ فوصل بارة في اوائل ابريل من السنة المذكورة ومعه من الامراء عمر الياس الجملي وعمر محمد خير ترحو الشايقي ومحمد ولد فرح الدتقلاوي الفونجي و ابراهيم المليح الحمري وحسن ام كدوك البرتاوي وحسب الله الماهري وابوجوده فان البرتاوي وآدم عامر السوداني البكباشي رئيس جهادية كبكية ومحمد سليمان رئيس سائر الجهادية وغيرهم . ومعه من الانصار نحو ١٠٠٠ فارس و ٢٠٠٠٠ راجل و ٣٠٠٠ من الجهادية السود ؟ وكان التعايشي انما يريد تجريده من الاسلحة النارية والخيول قبل وصوله الى ام درمان خوفاً من اتحاده مع الاشراف عليه بعد وصوله . فلما سمع بخروجه من الفاشر كتب الى ابي عنجة بتاريخ ١١ مارس سنة ١٨٨٦ لموافاته الى كردوفان كما مرّ وتجريده من الاسلحة النارية والخيول وارسل كتابه هذا مع كاتبه الخاص مدثر ابراهيم ليتأكد وصوله اليه في وقته فسار ابو عنجة لساعته بطريق البركة والايض قاصداً بارة فوصلها بعد وصول زقل اليها بتسعة ايام

﴿ تجريد زقل وسجنه في ١٨ يونيو سنة ١٨٨٦ ﴾ وكان التعايشي بعد ان ارسل جوابه الاول الى ابي عنجة قد جرّد الاشراف من الاسلحة والرايات كما مرّ ورأى منهم علامة الغدر فالحق بأبي عنجة كتاباً آخر بتاريخ ٩ ابريل سنة ١٨٨٦ بأمره بتجريد زقل من الجيش كله ويبت المال فعند وصوله بارة احاط جيش زقل بجهاديته ثم بعث في طلبه ودفع اليه امر الخليفة فلم يسهه الا الطاعة فاستلم منه الجيش ويوم السبت في ١٨ يونيو سنة ١٨٨٦ عند استلامه الخزينة وجد في حساباته بعض العجز

فرماه بالاختلاس والقي القبض عليه ثم كبّله بالحديد وارسله الى الايضا فأم درمان
فبقي فيها الى سنة ١٨٨٩ فعفا الخليفة عنه وسماه اميراً على دنقلة كما سيحي
(قتل جهادية الايضا في اوائل اوغسطس سنة ١٨٨٦) ولما انفذ التعايشي
غرضه في زقل كتب الى أبي عنجه في ٢٧ يونيو سنة ١٨٨٦ لمداركة امر الجهادية
فل استفحاله فزحف بالجيش الى جبل النما محل واقعة الامير محمود فرأى الجهادية
قد هجروه وتوغلوا في الجنوب فسار في اثرهم حتى وصل جبل الوطا فبلغه انهم نازلون
في جبل السما على ٣ ايام جنوية فعقد لعبد الله ابراهيم على سرية من الجيش
وامره بالحقق بهم فلما علم الجهادية به فرّوا ليلاً الى «ققرة صباحي على جبل تلك»
فلحقهم اليها فقتلوا له وحاربوه حتى قتل رئيسهم علي يوسف ففرّوا منهزمين فاعترضهم
نهر كبير ولحقهم عبد الله ابراهيم فقتل منهم واسر ٤٠ رجلاً وعدداً كبيراً من النساء
والاولاد ثم حزّ رأس رئيسهم ورأسين اثنين من زعمائهم وأرسلها الى أبي عنجه فبعث بها
الى الايضا فأم درمان فعلمت في السوق اياماً وكان ذلك في اوائل اوغسطس ١٨٨٦
هذا وكان عبد الله ابراهيم قبل قتله الجهادية قد سبق أبا عنجه الى جبال النوبة
فغزا جبل كودور والكافير في اوائل يونيو سنة ١٨٨٦ فغنم منها ٤٠٠ رأس رقيق
٢٠٠ بقرة و ٥٥٠ بندقية . ثم غزا جبل الدائر فنكل بجلّتي كله وسدرة وغنم ٤٠٩
رؤوس رقيق و ٦٠١ بقرة وقتل الملك الباجي وتسعة من اعيانه ثم بعد قتل الجهادية
بين اواخر سنة ١٨٨٦ واولئ سنة ١٨٨٧ زحف ابو عنجه بالجيش كله فغزا جبال انبري
وقوي ورشاد والكودور وغنم منها اشياء كثيرة من نحاس وبارود وكبسول ورصاص ولبوس
وشايات وعبايات جوخ وقمصان مقصبة وطواق حرير وثياب علج واثواب دمور ونحوها
(رجوع أبي عنجه الى أم درمان في ٢٣ ابريل سنة ١٨٨٧) ثم لم ينته امر جبال
النوبة وجهادية الايضا حتى دعت الحاجة الى أبي عنجه في السودان الشرقي فاستدعاه
الخليفة الى أم درمان فأتى الايضا وقسم جيشه قسمين فأرسل قسماً منه بقيادة عبد
الله ابراهيم بطريق بارة وقسماً بقيادة الزاكي طمل بطريق الطيارة ثم خرج بمن معهم
الزوامل في طريق بينهما يوم السبت في ١٢ مارس فدخل أم درمان بالجيش كله

السبت في ٢٣ ابريل سنة ١٨٨٧ . وكان جيشه مؤلفاً من : ٨١ راجل و ٨٢٥١
مجاهداً و ٣١٩٥٥ من النساء والاولاد و ٨٤٨٧ بندقية رمتون و ١٠٠ بندقية
لفته وروحين و ١٠١١ جواداً و ١٣١ درعاً و ٧٤ من اللبوس و ٢٨١ صندوق ذخيرة
رمتون و مدافع و ٥ مدافع و ٥ سواريح و ٦٣ تقارة نحاس و ٧١ بورباً و ٣٦ طرنيق
فاستقبله الخليفة احسن استقبال وعين له ديماً جنوبي أم درمان فأقام فيه الى
عيد الاضحى فأرسله الى القلايات لقتال الحبشة كما سيجي

هذا ولم تنته متاعب التعايشي في السودان الغربي بانتهاء امر جبال النوبة بل
خرج عليه هناك في هذه الاثناء اربعة رؤوس فاقلقوا باله وتهددوا راحته مدة فخرجوا
عليهم ووقف لهم معظم اهتمامه حتى ظفر بهم جميعاً وهم : الشيخ صالح شيخ الكباش
في شمالي كردوفان والشيخ مادبو شيخ الرزيقات المار ذكره في جنوبي دارفور والامير
يوسف ابن السلطان ابراهيم الذي ابقاه زقل وكيله عنه في الفاشر وابو حمزة في دارفور

✽ حركة الشيخ مادبو وقتله في اواسط فبراير سنة ١٨٨٧ ✽

اما مادبو فقد كان آخر عهدنا به انكساره على يد سلاطين قبل تسليم دار
بقليل فلما سلمت داره والفاشر عاد الى باديته في شكافكتب اليه الخليفة مراراً
الايبض والرهـد وام درمان للهجرة الى جيش المهدي فلم يجبه ثم لما مات المهدي كتب
اليه للحضور الى ام درمان لتجديد البيعة على يده وزيارة ضريح المهدي ثم طلب
لحضور عيد الاضحى ثم عاد فكرر اليه الطلب بالحضور وحده على جواده وحذر
من المخالفة فلم يحضر وكان في كل مرة ينتحل عذراً او لا يكتب ثم جمع جيشاً من
اهل قبيلته واشهر العصيان فكتب الخليفة الى قبائل الرزيقات والهـبانية وبنـي هـلبـة فهدر
دمه وكتب الى محمد كرقساوي عامله على شكافارسل جيشاً لمطارده في رمضان
سنة ١٣٠٣ هـ . هذا وكان الخليفة قد بعث في طلب كرم الله من بحر الغز فدخل
البلاد وحضر الى شكاف في محرم سنة ١٣٠٤ هـ اوكتوبر سنة ١٨٨٦ م كما مر . وفي
اوائل صفر اخذ جيشه وسار في اثر مادبو فطارده الى قرب الفاشر فلم يدركه فكتب
الى الامير يوسف فقبض عليه في الدور قرب جبل مرة وارسله الى كرم الله فارسله

كرم الله الى كركساوي فبعث به الى ام درمان فاتفق مروره بالايض عند ما كان
 ابو عنجة مشغلاً في ترحيل جيشه الى ام درمان كما مرّ وكان لابي عنجة ثار عليه
 بل المهدي لان مادبو سخره حينئذ في حمل صندوق ذخيرة على رأسه مسافة طويلة
 لا تشكى جلده واهانه. فلم مادبو انه لا يلقى رحمة عنده فقال له اني لا اطلب
 لك رحمة بل عدلاً فاني ما كنت اودّ محاربة المهدي ولكن مظالم كركساوي اضطرتني
 الى محاربتها فقال ابو عنجة ومع ذلك فلا بد من قتلك فتيقن مادبو من قوله هذا
 ان لا فائدة له من الاحتجاج وانه مقتول لا محالة فاسلم نفسه لعزتها وقال مخاطباً ابا
 عنجة لست انت الذي يقتلني ايها العبد الذميم بل الله سبحانه وتعالى يقتلني اذا شاء
 انا ما سألتك الرحمة بل العدل ولكن عبدًا مثلك لا يُتاح له ان يكون شريفاً فان
 كان قتي يبرد غليلك ويبرئ الدّبرة (الندبة) التي في رأسك (من حمل صندوق
 الذخيرة) فلا بأس من قتلي ولكن اعلم انه كيف جاءني الموت يجدي رجلاً صنيدياً
 اب الجاش قوي الجنان فاني انا مادبو والقبائل تعرفني « فانتهره ابو عنجة وامر
 برساله الى السجن وفي اليوم التالي أمر فمقلوه وقطعوا رأسه فارسله الى الخليفة في
 ام درمان فعلقه في الجامع من صلاة الصبح الى صلاة الظهر

✽ حركة الشيخ صالح الكباشي وقته في ١٧ مايو سنة ١٨٨٧ ✽

وكان في جملة الذين دعاهم التعايشي مراراً للهجرة الى ام درمان بعد
 موت المهدي فلم يلبوا الدعوة الشيخ صالح كبير مشايخ الكباشي فصمم الخليفة اذ
 ذاك على الفتك به فكتب الى رؤوس الكباشي فهدر لهم دمه وكتب الى النجومي في
 دقّة فسدّ طرق الشمال في وجهه فجعل سرية من انصاره بقيادة مكين النور في العقب
 وأخرى بقيادة احمد الطيب البصير وعثمان ازرق في جهة عيلاوي وأخرى في عين حامد
 ولد تنكل وكتب الى عثمان آدم عامله على كردوفات فمنع بيع الحبوب لاهله
 الكباشي من كردوفان ليهلكهم جوعاً وارسل سرية من الانصار لمطاردته فطاردوه
 في بادية الكباشي من منهل الى منهل حتى ظفروا به حياً في عين حامد ولد تنكل

وذلك ١٧ مايو سنة ١٨٨٧ قتلوه وقطعوا رأسه وأرسلوه إلى الخليفة فعلقه في الجامع
وجرد عر به الكبايش من ابلهم واموالهم ونكل بهم تنكيلا شنيعا

✽ اسر نوفل النمساوي في ١٦ ابريل سنة ١٨٨٧ ✽



هذا وكان الشيخ صالح منذ صمم على العصيان يواصل جيش الحدود مساعدا
على التعايش. وفي اوائل سنة ١٨٨٧ بعث بأربعين رجلا من اخصائه بمئة وعشرين
جملا إلى حلفا جلب الاسلحة والذخائر فجهز له الجيش ٢٠٠ بندقية رمتون و ٥٠ صندوق
ذخيرة وغيرها من الاسلحة والهدايا. وفي هذه الاثناء جاء إلى اسوان خوجال دفع الله
التاجر الجملي المشهور فوجد فيها تاجرا نمساويا يدعى نوفل واخبره ان في كردوفان
صمما كثيرا بثمن بخس جدا او بلا ثمن وكان نوفل جاهلا حال السودان والعدراو يش
واغتر بالربح فعزم على الذهاب إلى كردوفان فأتى القاهرة ورأى الجنرال ستفنسن
قومندان جيش الاحتلال فأخبره بعزمه فحذره من سوء العاقبة ونصحه بالعدول
عن رأيه ولما لم يقبل النصح أخبره بعرب الشيخ صالح الآتين لاختد الاسلحة
فاستأذنه في الذهاب معهم فأذن له واعطاه كتابا إلى الشيخ صالح فخرج هو وجماعة
الشيخ صالح من حلفا في ١ ابريل سنة ١٨٨٧ فوصلوا سليمة في ٧ من الشهر المذكور
فاستراحوا فيها اياما ثم استطردوا السير إلى صحراء الكبايش وكان خبر جماعة صالح
والقصد الذي جاؤوا لاجله قد وصل النجومي من بعض اياديه فأرسل عليهم محمد
حمزة ومعه ٦٠ رجلا فالتقاهم في الطريق بين البطحاء وسليمة ضحوة يوم السبت في
١٦ ابريل سنة ١٨٨٧ فبادرهم القتال فقتل منهم عشرة رجال واسر ٤٣ نفسا وفيهم
نوفل وغنم ما معهم من الاسلحة والذخيرة وأتى بالجميع إلى النجومي في دقله فأرسل
النجومي نوفل إلى الخليفة في أم درمان وكتب إليه في تفصيل الواقعة بما حقه
« وبعد فمن عبد ربه عبد الرحمن النجومي إلى سيده وسنده ووسيلته إلى ربه
خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله خليفة الصديق نصر الله بوجوده والسلام
ومحق بسيف قهره رقاب الكفرة اللثام آمين . سيدي بعد ان اهدي لحياكم
اوفر السلام ومزيد اتحيات الفخام ابدي . . . اني سبقت فاخبرت جنابكم بالوسطة

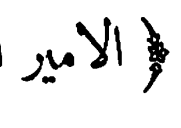
الماضية بان عدو الله المخذول صالح الكباشي ارسل جماعة من قبله الى اعداء الله الكفرة لاحضار السلاح والجبخانة منهم ليستعين بها على حرب الانصار . . . فخرج اصحابه بالاسلحة والجبخانة من حلفا في ٧ رجب كما حققة لنا الحبيب محمد احمد هاشم في كتابه ففرزنا في الحال ٦٠ رجلاً من الانصار وجعلنا عليهم الحبيب محمد حمزة رئيساً وامرناهم بالتوجه الى منهل اللقية في طريق الاربعين على سبعة ايام منا ليربصوا به للمذكورين فلما وصلوا البطحاء . مسيرة يوم من رباط الحبيب مكن النور واربعة ايام من اللقية سقوا رواحلم وملاً ورواياهم اذ لا ماء منها الى اللقية ثم استوردوا السير الجمعة في ٢١ رجب ٠ وفي ضحى السبت ٢٢ منه صادفوا عربان المخذول صالح وعبيده الحاملين الاسلحة والجبخانة على بغتة فبادروهم باطلاق الرصاص وانتشب القتال بين الفريقين مدة ٣ ساعات ثم حمل الانصار عليهم حملة صادقة فقتلوا منهم عشرة واسروا الباقي وهم ٤٣ نفساً فأتوا بهم الينا وفيهم رجل نصراني من دولة النمسا يدعى نوفل خرج معهم من قيقر حلفا مرسلأ من اعداء الله الانكليز الى عدو الله صالح للنظر في ما عرضه عليهم بكتبه والاطلاع على حال جيوش الهدية . وفيهم سرية للنصراني المذكور وعبد عارف بالخط قال انه تابعه . وجميع ما احضره المذكورون وقع في يد الانصار وهو من الاسلحة ٢٠٠ بندقية رمتون و ٤٠ صندوق جبخانة و ١١ طبنجة ذات ستة ارواح و ٤ بنادق بروحين وبضائع غير الهدية المرسلة اليه من اعداء الله الموضحة بالكشف الملقق بكتابهم له المرسل طيه لطرف السيادة العلم بما حواه . . . وقد وعدوه بكتابهم انه متى وصلت هذه الرسالة اليه فاذا ارسل رسله يزيذونه اسلحة وذخائر . . . وقد وجد بشنطة النصراني كتب وخارطة بلسان الانكليز وهي واصلة لقراءتها هناك بواسطة من له المام بلسانهم . . . ومن جملة الاسرى اولاد العرب اولاد هوال . . . ومنهم علي ولد الامين الذي سبقت فعرضت عنه لسيادتكم بانه توجه الى اسوان بناء على طلب الاعداء له وانه طلب لاجل توصيل هذا النصراني الاسير الى عدو الله صالح والرجوع اليهم باخبارهما . وقد عاد الينا الحبيب محمد حمزة وانصاره وهم على احسن حالة ولم يصب منهم احد في الواقعة


بجرح • وعند استنطاق الاسرى اتضح لنا ان جميع عبيد المخذول ~~صالح~~ من اكبر
المفسدين ولا ثمة للدين في بقائهم فحكمنا بعد استشارة الاخوان بقتلهم ~~مصر~~ السيد
المخذول وارهاباً لغيرهم فحفرنا شقاً في ارض السوق فقتلناهم عنده ~~ودفناهم~~ فيه • اما
اولاد هدايل وغيرهم من عرب الكبايش فقد رأى معشر الاخوان ان الصواب عدم ~~قتلهم~~
قتلهم ترغيباً لاهاليهم الذين مع المخذول في الدخول في الدين اذ لو سمع اهاليهم بانهم ~~قتلوا~~
قتلوا زادوا نفوراً عن الدين فكلناهم بالحديد ووضعناهم في السجن الى ان ~~صدر امر~~
السيادة في شأنهم ••• اما النصراني نوفل فها هو مرسل الى سيادتكم لتجروا ما ~~يوافق~~
يوافق بشأنه ••• واما الاسلحة والجبخانه فهي محفوظة عندنا ••• والسلام في ٢
شعبان سنة ١٣٠٤ هـ ٢٦ ابريل سنة ١٨٨٦ م • اه

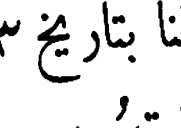
وبقي نوفل في اسر التعايشي تارة في السجن وتارة خارجه مقيداً بمكينة في رجله
الى ان فتحت ام درمان وكان اذ ذاك في السجن فاخرج منه وعاد الى مصر
دارفور والامير يوسف ابن السلطان ابراهيم سنة ٦ : ١٨٨٨

تقدم ان زقل لما خرج من الفاشر سنة ١٨٨٦ ابقى الامير يوسف ابن السلطان
ابراهيم اميراً عليها • فلما رأى هذا انه جالس على كرسي آباءه واجدادهم ارتاحت
نفسه الى منصبه وعقد النية على حفظه والاستقلال به • لذلك لما جاءه كرم الله
مطارداً مادبو القى القبض عليه وسلمه اياه كما مرّ املاً بسرعة خروجه من بلاد • فلما
راه قد استقرّ في دارة صمم على اخراجه منها بالرضى او بالرغم فرفع الامر ~~الى~~
الخليفة فاحسّ بالغرض الذي يرمى اليه يوسف فكتب اليه في ١٠ فبراير سنة
١٨٨٧ يؤيد كرم الله على دارة ويقول : « ••• والحال يا حبيبنا ما دام ~~ان امر~~
المهدية ديني لا منافسة فيه وانت والامير كرم الله اخوان في الدين فلا يليك ~~بكا~~
الا المحابة والاتفاق على ازالة كل ما لا يرضى الله ••• فيلزم بوصول كتابنا هذا
اليك ان تتفق مع الحبيب كرم الله وتطلب منه المسامحة وهو كذلك وقد حرر ~~الى~~
بمثل ما حررنا لك والسلام » • فساء يوسف تأييد الخليفة لكرم الله وبعث
برجاله الى دارة فاكرهوه على تركها • وفي ٢١ فبراير سنة ١٨٧٧ كتب كرم الله

قال لهم على مَ الوثاق وإذنوا لي ان اصلي ركعتين فأذنوا له فصلى  جاء الى عثمان آدم فحشا امامه وألقى يديه الى الارض ثم نكس رأسه وقال افعلوا  ماشتم فضربوا عنقه بالسيف . تباً لهم !

الامير ابو الخيرات  ثم ان الذين سلموا من امراء الفور ولوا ابا الخيرات اخا الامير يوسف سلطانا عليهم وبثوا الدعاة في اكناف البلاد لاستنفار الاهلين الى القتال

حركة ابي حمزة وانطاؤها سنة ٨ : ١٨٨٩ 

وفي هذه الاثناء ظهر في الغرب في دار تامه رجل فقيه يدعى ابا حمزة ادعى انه خليفة عثمان وانه قام لفتح طريق الحج التي سدّها التعاشي وكان اهل الغرب خصوصاً حائقين لسدّ هذه الطريق فاجتمعوا على ابي حمزة من كل فج من برقو وبرنو ومساليت وتامه وترجم واستنقور وزغاوه وبني هلبة والقرعان والبديات ورتقاء وكان ذلك طبق مرام ابي الخيرات فانضم اليه بانصاره فأصبح ابو حمزة في جموع كثيرة فزحف بها على الفاشر . وكتب الى التعاشي في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨٨ يعلمه بظهوره فأجابه التعاشي بتاريخ ٢٤ ديسمبر من السنة المذكورة بما نصه بعد البسملة : « وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى الشخص المدعي خلافة عثمان بالغرب * اما بعد فنعملك ان جوابك المحرّر لنا بتاريخ ١٣ ربيع الاول سنة ١٣٠٦ هـ (١٧ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م) وصل  طرفنا وما سطرته به من انك على اتباع الكتاب والسنة وسكة المهدي « عم » وانك خليفة عثمان وقد بايعتنا على السمع والطاعة في الامر والنهي الى آخره فهم لدينا وقولك اما من خصوص قولك انك على اتباع الكتاب والسنة وسكة المهدي « عم » مع ما انت عليه من المجاهرة بالعداوة لحزب المؤمنين والاعراض عن اجابة داعي رب العالمين فهو زور وافتراء وكذب على الله واجترأ فانك قد خالفت امر الله ورسوله ورفضت العمل بالكتاب والسنة واتباع سكة المهدي « عم » بمحاربتك لانصار دين الاسلام واصحاب مهدي الله الكرام الذين شاهدوه وبايعوه وبذلوا ارواحهم في نصرته وشيدوه واما قولك انك خليفة عثمان فهذا ايضا مع تلبسك بما لا تقت

عليه من محاربة الله ورسوله ومهديه ومحاربتنا واثارة الفتن التي قال فيها رسول الله (صلم) الفتنه نائمة لعن الله من أيقظها محض زور وافتراء على الله وفجور فان من كان متضفًا بخلافة عثمان «رضه» على الحقيقة لا يكون بهذه المثابة بل يكون مقتفياً لاثره وسالكاً لمنهجه . وهل بلغك ان عثمان «رضه» جرد سيفه على مسلم او سعى في الأرض فساداً او حارب احداً من اصحاب رسول الله (صلم) في زمان أبي بكر الصديق او في زمان عمر الفاروق او في زمانه هو واما قولك انك قد بايعتنا على السمع والطاعة في الامر والنهي فان كنت صادقاً فيما ذكرت فقد صرت يبيعتك هذه تحت امرنا ونهينا وفي حيز اشارتنا فيلزمك الوفاء بذلك عقداً وعملاً قولاً وفعللاً بنص قوله تعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها الآية . ولا بد ان تسأل عن تلك البيعة بين يدي الله كما اخبر سبحانه بذلك في قوله تعالى وكان عهد الله مسئولاَ وها نحن قد امرناك امرًا جازماً وعزيمة مؤكدة بالاقلاع عما انت فيه وان تتوب الى الله توبة نصوحا مما ارتكبه من عظم الفساد ومحاربة رب العباد فاعمل بأمرنا هذا ولا تحرك شيئاً او تسكنه من الآن فصاعداً الا باذن منا حيث علمت وجود طاعتنا عليك من كتب الله تعالى ولا تقدر على محاربة احداً يا كان ولا سيما اصحاب المهدي «عم» المعينين بأمرنا الى اصلاح العباد وازالة الفساد ودعوة الخلق على الدخول في طاعة المهديّة تحت رئاسة عاملنا المكرم عثمان آدم في الجهات الغربية ان كنت على طاعتنا كما ذكرت * وان لم يكن لما ذكرته من مبايعتك لنا والتزام طاعتنا صحة ولا عزم من قلبك فاعلم انك رجل قد غرّك الشيطان حتى سلك به سبيل الهوان فتدارك نفسك قبل الفوات وتلاف سلامتك قبل المات ولا يسوّل لك شيطانك انك تقوم بمحاربة المهديّة ويزين لك ذلك حتى يوقعك في ورطة الهلاك ويتبرأ منك وتبوء بسخط رب البرية والعياذ بالله فان امر المهديّة هذا من الله ورسوله وما تصدّي احد لمحاربتة الا خذله الله وقطع دابره وشتت شمله ودمر امره فاعتبر بالمعرضين قبلك كيف اهلكهم الله ودمرهم اجمعين ولا تغتر بما حصل لك من الاستدراج والامهال فان ذلك من عادة الله مع

امثالك في مبدأ امرهم ثم يأخذك اخذ عزيز مقتدر . . . ففرق من معك من جموع
 الفساد واحضر لطرفنا منيباً لا مر رب العباد لنظر في امرك ونرشدك الى طريق
 فلاحك وفوزك والا بان كنت لم تنزل على سعيك في الارض بالفساد والبغي والعناد
 فالله اكبر عليك! الله اكبر عليك! الله اكبر عليك! ولا بد بمشيئة الله وعونه من وقوعك
 في القبضة اينما كنت وحيثما توجهت وفي هذا كفاية لمن كان من اهل العناية والسلام
 على من اتبع الهدى ٢٠ ربيع آخر سنة ١٣٠٦ هـ ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٨٨ م اهـ ،
 هذا وكان عثمان آدم لما علم بظهور ابي حمزة جهمز عليه جيشاً بقيادة الامير محمد
 بشارة فعاد منهزماً فارسل عليه جيشاً آخر فانهزم كالاول فاضطرب الخليفة من ذلك
 ومد عثمان بالرجال . وتقدم ابو حمزة بجيوشه الجراراة قاصداً الفاشر فاصابه الجدري
 فمات في الطريق . قيل وقد سمي ابا حمزة لانه كان يقبل تحت حمزة كبيرة في دار تامة
 الواقعة ساغة في ٢٢ فبراير سنة ١٨٨٩ م وخلفه اخوه ساغة فقاد الجيوش
 وسار حتى نزل بمجل يدعى مجدوب على ٤ ساعات جنوبي الفاشر فبرز عثمان آدم الى
 لقائه في ارض مكشوفة بظاهر الفاشر . وفي يوم الجمعة في ٢٢ فبراير سنة ١٨٨٩ زحف
 عليه ساغة بجيوش لا يحصى عددها وقد صحبها النساء والاولاد فسدت الافق
 لكثرتها . وكان جيش عثمان اربعة ارباع على كل ربع امير وامراء الارباع : محمد
 بشارة والختم موسى وعبد القادر دليل والعطا اصول فوقفوا كلهم صفاً واحداً كل
 ربع على حدته والفرسان عن الجناحين وصبروا حتى صار جيش ساغة على بعد مرمى
 الرصاص ففتحوا افواه البنادق وامطروا عليهم من الرصاص ما حصدهم حصداً
 فامتلات الارض من قتلاهم وما زالوا مهاجمين حتى اختلطوا بجيش عثمان والتحم
 القتال بالسيوف والحرايب فما لبث جيش ساغة في الملحمة حتى انهزم واسلم نساءه
 وابناؤه للأسر وتبعه انصار عثمان فرساناً ومشاة يقتلونهم في كل جهة بقية ذلك النهار
 وقد قتل ساغة وكثير من رؤساء جيشه وتفرق الباقون ايدي سبا . وحز عثمان
 رأس ساغة ورأس وكيل ابن السلطان سلا وارسلها الى الخليفة في ام درمان فعلقا
 في السوق وارسل مع الرأسين كتاباً بتفصيل الواقعة قال فيه : . . . اما الاعداء فلما لم

يحدوا سبيلاً إلى الخلاص تحول بعضهم قردهً وبعضهم ذئاباً وبعضهم ارانب وغزلاً *
 واما الانصار فقد رأى بعضهم ساعة الحرب رايات بيضاء باطراف خضراء في
 الهواء . ورأى بعضهم سوراً عظيماً كهيئة الجبال نازلاً من السماء على الاعداء . وسمع
 بعضهم صوت ام بابه سماعاً محققاً لا شك فيه !

﴿ قتل ابو الخيرات ﴾ واما ابو الخيرات فانه فرّ بمن بقي من اتباعه الى جبل مرة
 فبقى فيه الى ان ثار عليه عبيده اوائل سنة ١٨٩١ فقتلوه وذهبوا الى الفاشر مسلمين
 ﴿ عثمان آدم ووداي ﴾ هذا وكان عثمان آدم بعد قتل الامير يوسف قد
 شرع في تتبع الرؤوس الذين نصره فكتب الى السلطان يوسف سلطان وداي
 بسأله ألا يأوي احداً من العصاة الفور في داره فكتب اليه السلطان يوسف يخادعه
 بكتاب مؤرخ في ١٨ اوجسطوس سنة ١٨٨٨ هذا نصه بعد البسملة :

تقش خاتم السلطان في اعلى الكتاب : ملك السلطان محمد يوسف ابن السلطان
 محمد شريف ابن السلطان محمد صالح ابن السلطان صليح العباسي سنة ١٢٩٣
 « انه من عبد مولاه اللطيف السلطان محمد يوسف بن السلطان محمد شريف
 عامل المهدي بالديار الوداوية — الى امير الامراء ونخبة الوزراء عامل المهدي بعموم
 الجهات الغربية مولانا الامير عثمان آدم حفظه الله * من بعد اهداء السلام واسداء
 التحية والاحترام اللاتقين بعالي المقام قدم الينا رساكم مسعود وحسن ورفيقاهما وكنتم
 لدي حضورهم خارج البلد لاجل الصدقة والزيارة للوالدين لما اوجب الله لهم من
 الحقوق علينا . . . فلما بلغني خبر رسلكم تركت بعض شؤني وقدمت لملاقاتهم يوم
 الاحد في ٣ الحجة فاجتمعت بهم في الاثنين ٤ الحجة فبقراءة كتابكم انشرح الصدر
 بعد ضيقه وانسر الخاطر بعد «صفوقه» والله الحمد على ذلك . وليكن في علمك حبيبي
 انه لو كانت الدنيا تدوم لدامت لمن قبلنا وامر المهدي لا يخفى حتى على غير العاقل حتى
 الاطفال الذين لا حساب عليهم ولا عقاب يتمنون زمن المهدي وحضوره . ونحن لاول وهلة
 ساقتنا السعادة الازلية الى مبايعته واخذ العهد عليه وكيف ينكث العاقل وعده وينقض
 عهده ولكن الوشاة وهم شياطين الانس الذين تخشاهم شياطين الجن لفقوا الا كاذيب

ونشروها في الناس فقلقوا البلاد والعباد . هذا ومنذ مجيء رسولنا اسحق ونحن
متجهزون في رد كتبكم الواردة اليها معه فجاءت الاخبار المرجفة وشوشت علينا
وما خطر ببالنا انه يصدر من حضرتكم ما لا يليق بها كما اتضح لنا بكتابكم المرسل
اليها صحة رسلكم ولذلك حررنا هذا مقدماً لتقفوا على حقيقة حالنا وبعد العيد يوصي
او ثلاثة نبعث لكم رسلكم ومعهم رد الكتب المبعوثة لنا من الاحباب ومن حضرتكم .
ومن الآن فصاعداً ان شاء الله تجري المواصلات التامة بيننا وبينكم حسب اشارة
خليفة المهدي « عم » وهو ذخرننا يوم العرض والزحام . وكذلك انت ايها السيد
لا تسمع كلام الوشاة ولا تصنع لتسويلاتهم فانهم قوم بهت وليكن في علمك ايها
الحبيب ان الاحباب عبدالقادر دليل وحامد مجبور والعطا اصول خاطبوني بشأن العصاة
وادريس القمر اوي فاجبتهم بانك خاطبتني انت من قبل في شأنهم وقد شرطت على
عمالي بان يردوا كل مخالف حتى الفور اوي مع انه تربى عندنا لم تقبله امثالاً لامرهم .
واما ادريس القمر اوي فانه ارسل الي رسولاً وهو بدار زغاوه اطاري فدارنا فرددت
له رسوله وحلفته بالله وبمحمد رسول الله وبالمهدي والخلفاء الا يدخل داري قاني
لا اقبله ومن يومئذ ما بلغني خبره والذي بلغني قبل هذا انه متوجه بطريق الفيرقان
وقد اشترت عليهم ان يكتبوه ويحالفوه ليطمئن فعسى الله ان يهديه ويدخله في
قبضتكم ولاجل المعلومية حررت لكم هذا وسيأتيكم مع رسلكم شرح ما هو لازم تفصيلاً
ونرجوكم المسامحة في التقصير والسلام ٧ الحجة سنة ١٣٠٥ »

وكتب عثمان آدم الى الخليفة يسأله عن السياسة التي يتخذاها مع ملك وداي
(برقو) فاجابه بتاريخ ١٦ شعبان سنة ١٣٠٦ هـ ١٧ ابريل سنة ١٨٨٩ م
« أما البرقاوي فلا تدخلوا داره وخاطبوه بالكلام اللين وأخبروه بأن خليفة
المهدي لم يأمرني بدخول دارك وانه في انتظار رد ما تحرر اليك منه اذ لم يزل ظاناً
بك الخير وحذروه من ان يأوي محارباً للمهدية فعسى الله ان يهديه
فلما أقام أبو حمزة في دارتاه تبعه كثير من اهل برقو وغيرها من اهل الغرب كما مر
فصمم عثمان على فتح بلاد الغرب الى عاصمة وداي فخرج من الفاشر بجيش ينيف على

٣٦ ألفاً أكثرهم مسلحون بالبنادق وسار حتى أتى أم دخن من بلاد المساليت فتفشى في جيشه مرض « اب دم » ففتك به فتكاً ذريعاً فاضطر ان يرجع على عقبه الى الفاشر وما زال المرض يفتك بالجيش حتى هلك نحو ثلثيه وامتلات الطرق من الجثث واصيب عثمان آدم نفسه بالمرض في الطريق فحملوه على عنقريب الى الفاشر فمات بعد وصوله بقليل وذلك في يوم الجمعة ١١ صفر سنة ١٣٠٨ ٢٦٥ سبتمبر سنة ١٨٩٠ م . وكان مربوع القامة نحيف البدن اسمر اللون على وجهه اثر الجدري وكان كثير الدهاء شجاعاً في الحرب ميالاً الى التخشن وقد حزن الخليفة لموته . وكان قد سماه عاملاً عاماً على الغرب كله اي على كردوفان ودارفور وشكا فارس محمد احمد ابن عمه عاملاً على الغرب . مكانه فوصل الفاشر الاثنين في ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٨ ٢٦٥ يناير سنة ١٨٩١ م وكان من امره في دارفور ما سنبينه في محله ان شاء الله . واما كرم الله واخاه كركساوي فقد دعاها الخليفة الى ام درمان فليما الدعوة قبل ذلك بزمان ولنأت الآن الى ما كان من اخبار السودان الشرقي :

الفصل السابع

في

﴿ وقائع السودان الشرقي سنة ١٨٩١ : ٥ ﴾

﴿ وقائع القلابات والحبشة سنة ١٨٨٩ : ٥ ﴾

﴿ عمالة محمد ود ارباب على القلات ﴾ تقدم ان محمد ود ارباب احتل القلابات بعد خروج الحامية المصرية منها بخمسة ايام اي الخميس في ٥ مارس سنة ١٨٨٥ . ونزل النور ود فقراء مع جماعة من انصاره في تبارك الله على الاتبرة وصار يشن الغارة على حدود الحبشة والاحباش لا يحركون ساكناً حتى ظهر رجل من قطاع الطرق يدعى الحاج علي عاث في الحبشة والتجأ الى القلابات فكتب الراس عدار الى محمد ود ارباب يسأله ارسال الحاج علي مخفوراً الى الحبشة ولما لم يجبه زحف بجيش كبير ومعه صالح بك علي ود فقرا في تبارك الله فقتل من جيشه نحو ٥٠٠ رجل وشتت

شملة كل مشئت . ثم انقلب في اليوم التالي على القلابات فقتل محمد ارباب وجيشه
واحرق القلابات وعاد بالغنائم والاسرى الى الحبشة وذلك في اوائل يناير سنة ١٨٨٧
عمالة يونس الدكيم على القلابات فلم يبلغ التعايشي الخبر اضطرب جداً
واهتم للامر « اذ القلابات ثغر حصين في صدد الحبشة وحفظ السودان يقضي بحفظه
مسدوداً » فجهز جيشاً عظيماً وعقد لواءه ليونس الدكيم من اخص اقاربه وارسله
عاملاً على القلابات في ١١ مارس سنة ١٨٨٧ فجاءها بطريق القصارف فوجد فيها
رجلاً يدعى سكرًا من جماعة محمد ارباب كان قد جمع شتات جيش ود ارباب
المذكور واقام بالقلابات الى ان وصل يونس فعزله . وكان قد وفد الى القلابات بعض
تجار الحبشة فالتقى يونس القبض عليهم وارسلهم مخفورين الى ام درمان فادخلهم
الخليفة في دين الاسلام وبايعهم وعفا عنهم ثم ارجعهم الى يونس ليعلمهم مع الانصار
او يرسلهم الى اهلهم ليبشروا بسطوة المهدي * * هذا وكان المهدي قد كتب الى الملك يوحنا
ملك الحبشة يدعوه الى اعتناق الاسلام والمهدية ويحذره من المخالفة ومما قاله له :
« . . . غير خاف عليك ما حصل لاعداء الله الترك من القتل والاسر وتخریب
ملكهم وكذا ما حصل لاعداء الله الانكليز من القتل وتمكن الرعب من قلوبهم حتى
صاروا كلما عزمتم على التوجه لجهة تجمعهم يفرون هاربين لغيرها وهكذا ينسحب
الامر على من خالفني من اهل الكفر بحول الله وقوته لاني مؤيد من عند الله باللائمة
الكرام وبالاولياء وبمؤمني الجن وموعد من عنده ايضاً بالنصر والغلبة على كل
من يعاديني ولو كان الثقلان الجن والانس فافهم ذلك * واعلم اني قد استغفرتك
وشكرت صنيعك وظننتك بالخير فيما صنعت من ارسالك الرسل الى عاملنا على
جهة القلابات محمد ارباب والتماسك لتحرير مخاطبة منا اليك بحقنا ببيان ما نحن
عليه فان فعلك هذا انما يصدر من العقلاء الذين يطلبون الحظ . وبناء عليه قد حررت
لك هذا الكتاب اجابة لطلبك ورغبة في هدايتك ومحبة لا يصال الخير لك ودعوتك
فيه الى الاسلام فاسلم تسلم يؤتلك الله اجرک مرتين وتفوز بخير الدارين وتغنم اجر
صحبتنا وتكون مكرماً عند الله ورسوله وعندنا . وحيث ان الله سبحانه وتعالى قد اكرمك

بمحضورك هذا الزمن النبوي بظهوري فيه خليفة لنبينا محمد (صلم) حقاً فكن كسلفك
 النجاشي رضي الله عنه فإنه لما أكرمه الله بمحضور زمن نبينا محمد (صلم) آمن به
 وصدق وأوى إليه أصحابه ولم يمنعه ملك الدنيا من اتباع الحق لما جاءه فنال من
 النبي (صلم) غاية الأكرام ولما مات رضي الله عنه يبلده صلى عليه النبي (صلم)
 وهو بالمدينة اظهراً لشرفه ورفعة لمكانه ووردت في حقه احاديث كثيرة وقصص
 عجيبة تنبئ عن علو شأنه عند الله تعالى بسبب اتباعه لنبينا محمد (صلم) وعدم
 اكترائه بملك الدنيا الفاني وارجو الله الذي احضرك هذا الزمن المبارك ان يجعلك
 وارثاً لمقام سلفك المذكور باتباعي ويخرجك من ظلمات الكفر الى نور الايمان ويزيل
 عنك ولات الطاغوت ويدرجك في سلك ولاية الكريم انه على ذلك قدير . هذا
 ولكن في علمك اني على سكة نبينا محمد (صلم) وما قصدي من الخلق الا دلالتهم
 الى الله وارشادهم لسلك طريقه النجاة ولا اريد بحمد الله ملك الدنيا ولا جاهها ولا
 ملها الفاني فان انبت الى الله وسلمت واسلمت فابشر بخير الدارين وطب نفساً
 وقر عيناً وستجد منا ما يسرك دنيا وأخرة وان أبيت الا الاعراض واستحباب العمى
 على الهدى والرشاد فانما عليك اثمك واثم من اتبعك ولا بد من وقوعك تحت يدنا
 فانا موعودون بملك جميع الارض التي انت في جزء قليل منها . . . سنة ١٣٠٢ هـ «
 فلما ارسل الخليفة يونس الى القلابات كتب الى الملك يوحنا كتاباً هذا نصه :
 « وبعد فمن العبد القائم بأمر مولاه في نصره الاسلام خليفة المهدي عليه
 السلام الخليفة عبد الله ابن محمد خليفة الصديق الى يوحنا عظيم الحبشة * اما بعد
 فاعلم ان الله عز وجل هو ملك الملوك يؤتي الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل
 من يشاء بيده الخير والشر والنفع والضر لا إله غيره ولا شريك له يفعل في ملكه
 ما يريد وله التصرف النافذ في جميع العبيد خلق الخلق ليعبدوه وارسل اليهم رسلاً
 ليعرفوه فيوحدوه وجعل للمطيع الجنة بفضلهم وللعاصي النار بعدله وختم الرسالة
 بحبيبه ونجييه ورسوله وصفيه ونبيه محمد (صلم) حين ارسله الى جميع الخلق بشيراً
 ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً وشرع على لسانه دين الاسلام ونسخ

به ما سواه من شرائع الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام * ثم أرسل خليفته
 الموعود به في الخير الامام المهدي المنتظر ليحدد دين الاسلام ويقيم شعائره بين
 الانام فدعا الناس الى اقامة الدين واحياء شريعة محمد سيد المرسلين (صلعم) واجاب
 دعوته من فاز وسعد واعرض من شقي وطرده * ولما اني خليفته عليه السلام القائم
 من بعده في تأييد دين الاسلام فلاني ادعوك الى ذلك الدين الحق كما دعا الله اليه
 في قوله تعالى « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
 ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله » . فان شهدت ان لا
 اله الا الله وان محمداً رسول الله نطقاً بلسانك واعتقاداً في جنانك واجبت دعوتي
 والقيت زمام امرك طوع اشارتي فقد دخلت في حرم الاسلام والقيت الرشد والنور
 والاكرام وصرت اخاً لنا ومنا والينا لك ما لنا وعليك ما علينا وتصل بيننا المحبة في
 الله وتصدق المودة لله وتكون في أمن وامان وخيرات حسان . وان أعرضت عن
 قبول الاسلام واجابة الملك العلام فانما عليك اثمك ومحيط بك مكرك وحينئذ فليكن
 بعلمك ان تعدي الحدود عاقبته وخيمة وضرورته جسيمة * ونحن قد كنا معكم
 ملاحظين اشارة قول سيد المرسلين اتركوا الحبشة ما تركوكم ومن ثم فلم نصرح لجيوش
 المسلمين بغزو جهتك حتى حصل منك التعدي البليغ على ضعفاء المسلمين الذين
 بالقرب الى بلدك المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة بالقتل والاسر والنهب والضرر
 وصار يأوي اليك كل من يرتد عن دينه من المسلمين كصالح شنقة وعجيل وادريس
 ابي جن ومضوي ومن معهم من المرتدين . ولما لم يمكن تركها سداً على ذلك الحال
 وتعين الالتفات الى صدك عن هذا المجال عيّننا الجيوش الكفاية من الانصار اهل
 التجدة والحماية الى الاقامة بالثغر الموالي لجهتك صدّاً لم يتوقع منك . فان كنت
 تريد رفع المحاربة عنك وعدم غزو جيوش المسلمين لبلدك فأولاً بادر بارجاع جميع
 الاسرى المسلمين الذين بطرفك من ذكر وانثى حر وعبد صغير وكبير باكرام
 واحترام حتى لا تترك احداً منهم عندك ولو كالغلام . وثانياً الجماعة الذين ارتعدوا
 وانضموا عليك كصالح شنقة وادريس ابي جن وعجيل ومضوي ومن معهم ان

كانت لهم رغبة في الرجوع لدينهم مستسلمين فأخرجهم من بلادك وأرسلهم اليها
مكرمين وان كانوا لم يزالوا مصرين على ردتهم ومختارين الكفر على ايمانهم فخذ اقرارهم
بذلك بمقتضى مكاتبة منهم بأختامهم وارسلها لطرفنا لكي نعلمهم من جماعة قومك
وحزبك واهل ملتك وجندك . وثالثاً كف يدك عن التعدي على بلاد الاسلام
من الآن فصاعداً والزم حدودك ولا تمد لغيرها يداً . فان فعلت ما ذكرناه لك
فأعلم اننا نكف الحرب ولا ندع جيش المسلمين يدخل بلدك وان اخترت الاسلام
والدخول في صحبة المهدي « عم » فستلقى القبول والاكرام في هذه الدار ويوم القيامة
وان أعرضت عن كلا الامرين وغرّك ابليس اللعين فلا بد من مناجزتك الحرب
وروقعك في القبضة بمشيئة الرب لما انا على هدى من الله وهو تعالى ناصرنا وخاذل
اعدائنا ولو كانوا عدد الرمل لا يحول منا ولا قوة بل بحوله وقوته وتأيدته ونصرته
ولا شك ان من ينصره الله فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له . وحينئذ فلا
تقر بكثرة عدوك وقوة عدوك العاريتين عن معونة الله فان الله من البطش الشديد
ما لو تجلى به على الجبال لدكت وعلى الارض لرجت . وهذا ما لزم تحبيره اليك
من الانذار وفيه الكفاية لك ان كنت من اهل الاعتبار وبعد وصوله بطرفك
صحبة الرسل الواصلين به لك فلترد لنا منك الافادة عنه بما يوافق رأيك والسلام
على من اتبع الهدى في جمادى الاولى سنة ١٣٠٤ هـ مارس ١٨٨٧ م اهـ »

﴿ بعث يونس الى الحبشة ﴾ فلم يجبه الملك يوحنا على مطالبه ولا اجاب
كتابه فشرع يونس في ارسال البعوث لغزو الحبشة فارسل بعثاً بقيادة علي جبر
الى جبل غورة على نحو ٣ اميال من القلابات فحرب كنيستين للاحباش وغنم وسبي *
وارسل بعثاً آخر على عجيل الحمراني الذي نزل بارض غبطة على حدود الحبشة فقتل اثنين
من اولاده واخاه وابن عمه ووكيله وبعض رؤوس الشكرية المتحزبين معه واسر
نساءهم وذرائعهم * وارسل بعثاً آخر بقيادة عربي دفع الله الى دبرسينة بقصد القبض
على صالح فأوقع به وبالأحباش الذي نصره وقاتل منهم خلقاً كثيراً وعاد بالاسرى
والغنائم الى القلابات . وكان كلما مرّ بجلة من حلال الحبشة قتل من فيها واحرقها

عمالة حمدان أبي عنجه على القلابات سنة ٧ : ١٨٨٩

فلما رأى الملك يوحنا تمادي الدراويش في البغي أمر الراس عدار فشرع في حشد الجيوش الى غندر بقصد النزول على القلابات وطرده الدراويش منها . وكان يونس لا ينفك يتجسس اخبار الحبشة فلما علم باستعدادهم طير الخبر الى الخليفة . فاهتم الخليفة لذلك ولم يكن عنده قائد يدفع به شر الحبشة افضل من أبي عنجه فأمره بالسفر على جناح السرعة الى ثغر القلابات فخرج من أم درمان بجيشه في منتصف محرم سنة ١٣٠٥ هـ ٣ اكتوبر سنة ١٨٨٧ م وسار برّاً وبحراً الى ان وصل ابي حراز فشرع في ترحيل جيوشه الى القلابات طائفة بعد طائفة لئلا تضيق بها المناهل فارسل قسماً منها بقيادة الزاكي طمل بطريق القلعة اراج وآخر بقيادة النور عنقرة بطريق البحر على ان يجتمعا في راشد ثم يتقدما معاً الى القلابات . وفي اواخر نوفمبر سنة ١٨٨٧ خرج يباقي الجيش وسار بطريق البحر والقضارف حتى دخل القلابات بجميع جيوشه في ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٧

ظهور النبي عيسى في القلابات في ديسمبر سنة ١٨٨٧

وفي هذه الاثناء ظهر في القلابات رجل تكرر يدعى آدم محمد البرقاوي ادعى انه نبي الله عيسى وصدق به عشرة من الامراء وخمسة من العامة في جيش يونس وقد حفظوا الامر سرّاً ليعرضوه على يونس عند سنوح الفرصة حتى اذا لم يسلم به قتلوه . فاطاع ابو عنجه على السر بعد وصوله بيومين فاستدعى اليه صاحب الدعوى واستنطقه عن دعواه في مجلس من القضاة والامراء فاجابه بكل صراحة وجراءة انه النبي عيسى وسأل انصاره عن ذلك فاجابوه انه على حق وانهم مصدقون دعواه وثابتون عليها فزجهم في السجن وبعث هو ويونس الى الخليفة يفصلان له خبرهم ويستشيرانه في شأنهم بما نصه بعد البسملة :

« وبعد فمن العبدین الذلیلین العاجزین حمدان أبي عنجه ويونس الدکیم الى سيدهما وسندهما ووسيلتهما الى ربهما خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق « رضه » آمين » . . . سيدي انه لقد حدث عنا بمرکز القلابات

امر عجيب جلال وهو ان احد المجاهدين المدعو آدم ولد محمد البرقاوي من راية الحاج
عبد الله البرقاوي ادعى زوراً وبهتاناً انه نبي الله عيسى بن مريم عليهما السلام . وقد
قام بهذه الدعوى من امد بعيد غير انه لم يظهرها الا لبعض خواصه الذين يثق بهم
سراً واكد عليهم بعدم افشائها الا لمن ياتمنونه وبذلك أضل كثيرين من اعيان
السرية الذين اقروه على امره وحالفوه على كتاب الله تعالى وما زال مستمراً على
فعله غير مكترث لقبيح عمله وكبير زلله حتى تكاثر ما قد افتراه ووصل اليه خبره
من بعض الاصدقاء وذلك في يوم الاربعاء في ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٠٥ فبعثنا
في طلبه . وقبل حضوره حضر بعض انصاره عبد الله البرقاوي ومحمد عمر المشهور
بأبي القرشي ومهاجر اسماعيل وعيسى احمد والطيب محمد بن البديري ومحمد احمد
أبوام فضالي الحمري فسألناهم عن الامر فأقروا لدى المجلس المؤلف من جماعة من
المسلمين وفيهم نواب الشرع الثلاثة وهم آدم ضو البيت وحامد بلوله وآدم علي
وجميع العمال والنقبا وغيرهم . ثم حضر هو بذاته في المجلس فقلنا له : « ايها الاخ
لقد بلغنا بانك زعمت انك نبي الله عيسى وروح الله فهل ما نسب اليك صحيح ام
هي اشاعة كاذبة لا اصل لها » ؟ فاجاب ايها الاخوان ان ما قد بلغكم حقيقتي هو وانا
نبي الله عيسى فان لم تصدقوا بي الآن فلا تصديق لكم بعد هذا ثم قلنا له وما
دليلك على ثبوت دعواك فأجابنا بان الحق عز وجل أخبرني باني نبي الله عيسى
وكذلك الرسول (صلعم) فقلنا له ان كان ولا بد من ذلك فاعلمنا في أي زمن
وبأي وقت اجتمعت بخليفة المهدي « عم » وفي أي محل صليت خلفه فان عندنا منه
« رضه » اشارات نفهمك بها فان انبأنا بشيء منها فورب المهدي « عم » وهذا
الكتاب الشريف لنصدقن بك فيما ادعيته . فاجابنا بقوله يا هؤلاء انكم تلوّنون
الكلام وانني انا عيسى ومالي بغير هذا لكم من جواب فافعلوا ما انتم فاعلون او خاطبوا
في امري خليفة المهدي « عم » ليعلمكم بحقيقتي فانكم انتم لا تعلمون وواقفه على
ذلك وزيره ابو القرشي وغيرهم ممن تقدم ذكرهم وكذلك الطائف احمد وهنون
النيل الهباني ومحمد حسين بقاري ومحمد علي البرتاوي وداوود التاماوي وعبد

الرحمن ابراهيم البرتاوي وعبد الله جاموس وعثمان احمد المغموس وجميع هؤلاء
 امراء رايات فحينئذ اخذتنا عليهم غيرة الاسلام وامرنا بسجنهم جميعاً *
 ثم احضرناهم ثانياً واعدنا لهم السؤال عليهم يرجعون عما هم فيه فما زادوا الا تصيباً
 واصراراً عليه . فسألنا المتنبي عن أبيه وأمه ومولده ومنشأه فقال اني من البشر مثلكم
 واني نبي الله عيسى بلا ريب ولكن ليس هذا اواني وليس لكم معي الآن من قول
 لاني للآن ما اندرتكم وعما قليل ترون صدق ذلك * ولشدة اعتقاد جماعته فيه
 وتصديقهم اياه كانوا لا يتكلمون في المجلس الا عن اذن منه فلو سألناهم صدوا عن
 الاجابة حتى يأذن لهم فاستأذنه احدهم مهاجر اسماعيل في الكلام فأذن له فقال ان
 دعوى هذا الرجل صحيحة وانه قبل هذا اخبرنا بان هذا ليس اوانه * ثم سألنا
 المدعي عن شأنه في المهديّة فقال نحن وأنتم الآن فيها سواء تحت اشارة خليفة المهدي
 « عم » وتابعون اليه فعليكم بالايان . وعلامة ظهوري ستأتيكم الحبشة على جردتين
 فتفوت الاولى ويأتيكم الدجال في الثانية وهناك ترون العجب من أمري ويتم لكم ظهوري
 فقلنا له ما شأنك مع خليفة المهدي « عم » فقال ان الخليفة عبد الله والخليفة علي عارفان
 بأمري واما الخليفة شريف فلا علم له بي واني الآن تحت اشارة خليفة المهدي « عم »
 الى الوقت المعلوم . ثم ان مهاجر المذكور اجاب ثانياً بقوله للمجلس يا أيها الاخوان
 ان الانبياء والمرسلين والمهدي عليهم الصلاة والسلام المؤيدين من الله باللائكة
 والاولياء والجن والانس فأول تأييدهم لهم هل هو ظاهري أم باطني فأجابه بأنه باطني
 فأجابناهم لكم من علم في الباطن فقلنا له لا فقال هذا تأييده لعبد هذا . وقد طال الكلام
 وكثر المقال على هذا المنوال فأعدناهم الى السجن فقال بعضهم عند القيام الى السجن
 لا اله الا الله محمد رسول الله ان هذا هو عيسى حقاً لا غيره لا نشرك به شيئاً
 وحيث سيدي ان هذا من أهم ما يجب رفعه لباب السيادة وان ارباب هذه الدعوى
 امراء رايات كما سلف ومن الضروري ان تكون عقيدة اتباعهم مثل عقيدتهم . وربما
 اذا داموا على ذلك أو أمهلوا ودام لهم هذا المدعي ان يوقدوا نار الفتنة على عجلة
 ويحصل الفشل في الدين فقد ثقلناهم الآن بالحديد وتجاسرنا برفع هذا التصريح لنا

الإشارة الكريمة بشأنهم * اما صاحب الدعوى فانه مولود في برقوق وامة فاطمة بنت خديجة وعمره ٢٥ سنة وهو أمرد لا لحية له ولونه اخضر الى صفرة أعجمي اللسان فبلغ الاسنان السفلى مفتوح الوجه مربع القامة متوسط الجثة واسع الجبهة عظيم الرأس ونظر السيادة فيه كفاية والسلام ٢٩ ربيع اول ١٣٠٥ هـ ١٥ ديسمبر ١٨٨٧ م اه فاهتم الخليفة للامر وكتب الى ابي عنجة في قتل المدعي في الحال وخيره بين قتل الامراء معه والرفق بهم بالاقتصار على سجنهم . وارسل مع الكتاب اربعة امناء لتحقيق الخبر فحالما وصل كتاب الخليفة نصب ابو عنجة المشنقة وشنق المدعي وانصاره واحداً واحداً امام الجيش كله وذلك في صباح الخميس في ١٥ ربيع آخر سنة ١٣٠٥ هـ ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٧ م . ثم قطع رؤوسهم وارسلها الى ام درمان فعلمت في السوق . وكان الخليفة قد الحق كتابه الاول بكتاب آخر يقول فيه « اما المدعي ووزيره فيقتلان في الحال واما الامراء فان رجعوا عن الدعوى يكتفى بسجنهم والا فليقتلوا . فوصل هذا الكتاب بعد الكتاب الاول بثلاث ساعات وعاد الامناء الاربعة الى الخليفة واخبروه بجلية الامر فلم يأسف على قتلهم ونشر منشوراً وزعه على جميع انصاره في الجهات يحذرهم من اتباع اهل الضلالة ومما قاله فيه : « . . . ان شخصاً في القلابات اعظم الفرية على الله تعالى وادعى ضلالاً وكذباً انه نبي الله عيسى مع انه معلوم الام والاب والقبيلة وسار بذلك اشخاصاً ودعاهم الى تصديقه ومحالفته فصدقوه وحالفوه لضعف يقينهم قال امرهم الى الهلاك وقتلوا جميعاً باشارتنا وطهرت الارض منهم » . . . « ومن الآن فصاعداً فاي من عثر على صاحب دعوى فليرفع امره الينا ويتبين خبره منا ولا يبادر الى تصديقه من عند نفسه فينقض عهده مع الله ورسوله ومهديه ومعنا ويخسر الدارين ويهلك اسوة بالهالكين . . . »

(رجوع يونس الى ام درمان) هذا وكان الخليفة قد ارسل ابا عنجة الى القلابات على ان يكون قائداً عاماً لجميع جيوش المهدي فيها ويكون يونس الدكيم مثلاً في الادارة العسكرية فثقل الامر على يونس لانه من اقرباء الخليفة ولم يكن ابو عنجة في الاصل سوى عبد من المنضلة ففرز جيشه عن جيشه ورفض الطاعة له .

فاستدعاهُ الخليفة الى ام درمان وجعله ملازماً له الى ان ارسله عاملاً على دنقلة و آخر سنة ١٨٨٨ كما سيجي وابقى ابا عنجة عاملاً على القلابات ادارياً وعسكرياً * وكان قد ارسل معه كتاباً الى الملك يوحنا ملك الحبشة يدعوه من جديد الى طاعته ومما قاله له : « وبعد فان المهدي « عم » قد كاتبك وحثك على الدخول في ملة الاسلام فحصل منك الصدود والاعراض عن طريق الرشاد ثم نحن قد كاتبناك قبل هذا بمثل ما كاتبك به المهدي « عم » واعلمناك بانك ان لم تعمل طبق امرنا فلا بد من حلول جيوش الاسلام بديارك ومناجزتك الحرب وقتل رجالك فما حصلت منك الى الله اناة ولا لداعيه اجابة حتى غزا المسلمون بلادك فخرّبوا الديار وقتلوا الرجال واحرقوا الكنائس والمدن الكبار وسبوا النساء ويطموا الاطفال وصادوا غنائم حائزين لرضاء ذي الجلال وصار اثم من هلك من اتباعك عليك ولو احييت داعي الله لاجابوا معك تبعاً اليك . والحاصل ان ما مضى قد فات وما زلنا نريد هدايتك فيما هو آتٍ ودخولك في دين الاسلام وانتظامك في سلك اصحاب المهدي « عم » ومن ثم حررنا هذا ثانياً اليك قبل اعادة الكرة عليك فان رحمت نفسك بالدخول في ملة الاسلام والانتظام في سلك اتباع المهدي « عم » وشهدت ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله نطقاً بلسانك واعتقاداً في جنانك واثمت بجهتك شعائر الاسلام من صلاة وصيام وزكاة وغير ذلك من الاحكام فاعلم انك تكون منا والينا ونكف عنك المحاربة ويغفر الله لك جميع الاثام التي وقعت منك في زمن الكفر والا فان كنت لم تزل على اعراضك عن اجابة داعي الهدى واصرارك على دين الكفر واتباع الهوى فاعلم انك تصير من الهالكين بقدره رب العالمين اذ لا بد من حلول جيوش الاسلام بدارك ومناجزتك الحرب وقطع دابرک ولترد لنا منك الافادة بما تختاره من اعراض أو اجابة وعلى من اتبع الهدى السلام سنة ١٣٠٥ هـ » اهـ

غزوة حمدان الاولى للحبشة ﴿ فلم يجبه الملك يوحنا على كتابه كما دت فامر ابا عنجه « فخرج لغزو الحبشة في ٩ يناير سنة ١٨٨٨ بجيش كثيف جعله اربعة ارباع وجعل على كل ربع اميراً وهم : احمد علي وعبد الله ابرهيم والزافي طمل وسحري

دفع الله وكان في كل ربيع جماعة من اهل الاسلحة النارية والباقون من اهل السيوف والحرب فجعل اهل الاسلحة النارية صفًا واحدًا واهل الرماح صفًا آخر وراءهم كل ربيع على حدته وكان هو وملازموه في الوسط وراء ربيع الزاكي طمل وله اشراف على الجيش كله حتى اذا ظهر له خلل في الارباع ولزمت مداركته امدته بملازميه . واما الفرسان فقد جعلهم في الجناحين وجعل طليعة الجيش امام الكل . وسار على هذا الترتيب حتى اتى بلاد دميا من الحبشة فعات فيها فأخرب حلالها وقتل اهلها وغنم وسبي وعاد الى القلابات » وكتب الى الخليفة تفصيل غزوته بما نصه بعد البسملة : « وبعد فمن العبد الحقير ذو العجز والتقصير حمدان ابي عنجة الى محيي الدين ومدمر الكافرين وسفينة المؤمنين الموصلة لرب العالمين سيدي وسندي الى الله خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله ابن محمد خليفة الصديق « رضه » وارضاه ونفعنا ببركته وافسح في ايامه واهلك اعداء الدين بماضي حسابه آمين * . . . سبق فاخبرنا السيادة انه صار قيامنا على بركة الله تعالى من القلابات الاثنين في ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٠٥ . . . فبعد مضي ثلاثة ايام من قيامنا تناولنا اطراف دار العدو من جهة علفه فمرّ بهض الانصار بشجرة ذات ثمر يؤكل ولكنها في ارتفاع عظيم وكانوا جياعاً فحاروا لا يدرون كيف يقتطفون ثمرها وبينما هم كذلك اذا بها تدانت لهم باذن الله تعالى الى الارض بكليتها فأكلوا جميعاً وشبعوا وحمدوا مولاهم على تلك الكرامة في الدين والانصار المذكورون هم من جماعة الاخ علي فايت وقد قابلونا وقصوا علينا القصة . وفي اليوم التالي اتى جماعة من الاخوان الرزيقات جماعة عيسى عبد الله على شجرة بجذاء كنيسة الكفرة بالجهة المذكورة فتساقها ثلاثة منهم وجعلوا يأكلون فسألهم الباكون ان يناولوه من طلعتها فلم يعطوهم كفايتهم فما شعروا الا والشجرة قد خرت الى الارض فأكلوا وشبعوا . . . هذا ولما تم لنا في المسير تسعة ايام وصلنا دميا محل الكافر عدو الله النفس راس عدار (وهو الذي صار ملكاً على كوجام باسم تقله هيموت) فالتقتنا طلائع الفرسان في اول البلاد فبرزناهم وقتلنا منهم واستطردنا السير بقية يومنا الى الاصفرار فنزلنا قريباً من ديم اعداء الله . . . ولما طلع فجر اليوم

العاشر من خروجنا من القلايات توضحنا على حالتنا المهودة ورتبنا حزب الرحمن من
الاسلحة والخيول بحسب ما يسره الله لنا من علمه وقمنا بعد صلاة الصبح على بركة
الله تعالى قاصدين ملاقة حزب الشيطان وعلينا من الله السكينة والوقار لا نؤمل الا
لقاء الله ونصرة الدين فلما اشرقت الشمس قبل وصولنا لاعداء الله اخرج الله تعالى
نوراً عظيماً ساطعاً تجاه الشمس من جهة بحر هناك يقال له «بحر أبيض» وعند ما شاهدناه
استبشرنا وخررنا من ظهور الركائب سجداً لله تعالى على اسداء النعمة وفعل كذلك
جميع الاخوان الذين معنا... ولما تراءينا مع اعداء الله الكفرة اذاهم من كثرتهم لا اول لهم
يعرف ولا آخر يوصف فابتدرونا ضرباً بمدافعهم الاربعة بمسافة لا يصلها الرمتون لزعهم
اننا نقف مكاننا وتناوشهم مناوشة وما زالوا كذلك ونحن زاحفون عليهم حتى اطلقوا
علينا ١٦ قنبلة ثم شرعوا بضرب السلاح. هذا كله والاخوان زاحفون عليهم يسبق
بعضهم بعضاً اقداماً بلا احجام طمعاً فيما ينالونه من نفحات العزيز العلام. ولم نأذن لهم
بالضرب الى ان حققنا بان افواه السلاح امتلأت من اعداء الله فعند ذلك شرعنا
في ضربهم بغاية الحزم وشدة العزم مع الزحف عليهم فما كانت لهم ساعة الا وقد
زلزل الله اقدامهم والحق الرعب في قلوبهم وانكشفوا عن وجوهنا مسرعين مرتكبين
عار الفرار ذاهلين عن كل ما لهم من ذراري ونساء وخيول وبغال وحمير وخدم
وحشم ونحو ذلك. هذا كله والاخوان الصادقون يسمعون صوت الام باية تضرب
في وقت اشتداد الحرب... وبعد انكشف اعداء اقتفينا اثرهم طعناً وضرباً وأسرّاً
حتى اضطرّ الذين امامنا الى ان رموا بانفسهم في النهر المذكور وكانوا يزيدون عن
الف نفس من ذكر وانثى فمات اكثرهم غرقى. وما رجعنا عن مطاردتهم الا بعد
الساعة العاشرة من النهار ووجدنا الهالكين من اعداء الله ألقوا مؤلفة لا يحصي عددهم
الا الذي اراد هلكهم ولم يفز بقاء الله من الانصار الا نفر قليل كما يرى في الورقة
الاخري طيه * هذا وجميع الغنائم مع المدافع الاربعة وبعض السلاح الذي
تيسر جمعه والخيول والبغال وغير ذلك اخذناه بفضل الله تعالى بلا منازع ولا
معارض لان الكفار تركوا الديم كما هو. وقد اعلمنا نقاد رأس صابون من ثقات مسلمي

الجبرته الذي شهد معهم الواقعة وسلم بالفرار ان عدد الكفار مائتين واربعين الفا بلا تقصان منها خاصة اهل الحربه والدرقة والسيف مائتين الف وخاصة السلاح الرمتون اثنا عشر الفا والاجناس ثمانية آلاف والخيول عشرون الفا والمدافع اربعة . واهل الديار التي تجمعت معهم لحربنا هم قجام واجفر وعلفه وطماقسة ودمبيا وقندر وشقلته وشلمة وام بجارة وارمجوه وغيرهم من عامة الديار . وقد هلك اكثر البطارقة والرؤوس ومن جملتهم الشقي دجاج كاسة قائد جميع الجيش بعد الشقي راس عدار الذي حصلت على يده وقعة القلابات . وهذه ثلاثة رؤوس مع رافعه وهم دجاج كاسه عقيد الحربه وبزابه بن الشقي راس عدار وقداري يقرا عقيد السلاح وكان جملة من يقال له دجاج ستة عشر ومع كل دجاج خمسة عشر الفا اعني كل واحد صاحب جهة وتقارة وما ارسلنا هذه الرؤوس الثلاثة الا لشهرة اربابها . ومن جملة الاسارى لدينا اولاد الشقي راس عدار ذكوراً واناثاً مع حرم واولاد الرؤوس المفسدين بما فيهم بعض حرم وابناء عدو الله المخذول صالح شنقه وغيره

« هذا ولما خلت الدار من الكفار وانتنت رائحة الدميم من جيف اعداء الله وروم بهائمهم انتقلنا على بركة الله تعالى طالبين قندرام مدائنهم يوم السبت في ٧ جمادى الاولى وقبل وصولنا اليها قابلنا اهل الديار المذكورة اعلاه راغبين الامان ورافعين الرايات البيض وفي ايدي البعض الاغصان الخضراء ثم لما قربنا اليها قابلنا جميع كبرائها من مسلمي الجبرته بالطاعة والاذعان طالبين الامان فامنّاهم . وبعض المكاتبات التي قابلتنا منهم بالطريق ها هي واصلة طي هذا . وجميع الكفار الساكنين بها ولّوا مدبرين فدخلنا يوم الاثنين وجلنا فيها يمينا وشمالاً فاعجبنا بما شاهدناه من القصور الشائخات واحرقنا فيها ٤٥ كنيسة ما عدا الكنائس التي احرقناها بالديار المذكورة عند مرورنا بها وهي تزيد على ٢٠٠ كنيسة . فلما لم نجد بالمدينة المذكورة الا المسلمين من الجبرته (وكانوا نحو ٢٠٠٠) ولم نعلم جهة للعدو فلزيادة اشتياقنا لمخاطبات السيادة لا نقطاعها عنامة غزوتنا هذه وايفاء بوعدنا السابق للسيادة عن تعجيل الاوبة قننا منها ومعنا جمع من الجبرته باموالهم واولادهم مهاجرين لله والغنائم المتقدم ذكرها آنفاً . وسيتم

وصولنا الى القلايات غداً ان شاء الله تعالى . ولعلمنا بان الافكار الشريفة متعلقة بنا
قد بادرنّا بتحرير هذا في ١٥ جمادى الاولى سنة ١٣٠٥ هـ ٢٩ يناير سنة ١٨٨٨ م اهـ
« تحشية . استقر ومع الرؤوس الثلاثة راس رابع وهو راس شيخ عموم القالة
المدعو « اسوري قلا » كان بالعام الماضي شاهداً معهم وقعة العامل ابن ارباب اهـ
غزوة حمدان الثانية للحبشة و اقام ابو عنجة في القلايات نحو اربعة اشهر ثم
« تاقت نفسه الى غزوة اخرى للحبشة فخرج في ٧ شوال سنة ١٣٠٥ هـ ١٧ يونيو
سنة ١٨٨٨ بطريق علفة وبعد ثمانية ايام من خروجه وصل محلاً يدعى تنكل
فوضع الدميم فيه وارسل البعوث يميناً وشمالاً فلم يجد احداً على محاربه وبلغه ان في
مدينة أم بشاره رئيساً يدعى دجاج مشبه قد جمع له فقصده ففر من وجهه فرجع
الى تنكل . وفي رجوعه مرّ بدير عظيم في جزيرة من جزائر « بحر ابيض » فأمر
الزّاكي طمل وعبد الله ابراهيم فأحرقاه وقتلا من وجدا فيه من الرهبان والقسس ووجعا
اليه فعاد الى القلايات فدخلها في ٧ الحجة سنة ١٣٠٥ هـ ١٥ اغسطس سنة ١٨٨٨
كتاب الملك يوحنا الى أبي عنجة في طلب الصلح وكان الملك يوحنا في
هذه الاثناء منشغلاً بالتليان الذين احتلوا مصوع وقد خشي على بلاده منهم قرأى
ان يعقد مع الدراويش صلحاً ليتفرغ للتليان فكتب الى ابي عنجة كتاباً بالحبشة
والعربية يدعوهُ الى الصلح بما نصه :

« نقش خاتمه : ملك الملوك يوحنا ملك صهيون الصليب بالحبشة غلب امة اسماعيل
« رسالة من المؤيد من الله يوحنا ملك صهيون ملك ملوك الحبشة - تصل الى
المعظم دجاج ابي عنجة * اول سؤالنّا عن صحتك وسلامتك عسى ان تكون بخير
وعافية . نحن الآن مع جميع الجيوش والامراء والوزراء بخير بمعونة الله والاولياء
الابرار والله العظيمة والحمد دائماً لان رحمته دائمة الى الابد * قبل تاريخه بخمس
عشرة سنة حكم الترك بلادكم الى حدود المنة . وقد ارادوا ان يحكموا بلاد التيغرى
فأتوا بطريق مصوع ودخلوا بلاد هماسين فحاربناهم واعطانا الله القوة فظفروا بهم
وهزمناهم مرتين * وبعد ذلك فيما نحن في مدينة اسمره حاكين الاسلام

بالإيمان المسيحي كتب إلينا المهدي كتاباً يأمرنا بالدخول في دين الاسلام فغضبنا وارسلنا
 « حربة » الى مدينة المنة فأهلكنا من الخلائق عدداً جزيلاً . ثم حضرتم انتم
 الى بلاد دميا وحرار بتم وغلبتم من غلبتموه وبهذا السبب هلكت المساكين * والآن
 فاذا انا حضرت الى بلادكم واهلكنا المساكين ثم جئتم انتم واهلكتم المساكين فما
 الفائدة في ذلك . ونحن ليس لنا ارادة على التعدي من حدودنا الى حدودكم فلا
 يكن لكم ارادة على الخروج من حدودكم الى حدودنا بل نحن وانتم نكون ساكتين
 جلوساً ببلادنا فلا تهلك المساكين في الباطل * والواقع ان الافرنج اعداء لنا ولكم فاذا
 غلبونا وهزمونا لم يتركوكم بل اخربوا دياركم واذا غلبوكم وكسروكم فعلوا بنا
 كذلك . فالرأي الصواب ان تتفق عليهم ونحاربهم ونغلبهم ويتردد التجار من
 اهل بلادنا بالتاجر الى بلادكم وكذلك تجار بلادكم تتردد الى غندر لاجل المعاش
 والمكاسب لاهلكهم ولاهملنا * فاذا صار كذلك فهو غاية المنفعة لنا ولكم لانكم انتم ونحن
 في الاصول السابقة اولاد جد واحد فاذا قاتلنا بعضنا بعضاً فماذا نستفيد فالافضل
 والاصوب لنا ولكم ان نكون ثابتين في المحبة جسداً واحداً وشخصاً واحداً متفقين
 بعضنا مع بعض ومتشاورين بالمشورة الواحدة ضد اولئك الذين يحضرون من بلاد
 الافرنج والترك وغيرهم الذين يريدون ان يحكموا بلادكم وبلادنا مزعجين لكم ولنا
 اولئك اعداؤكم واعداؤنا نحاربهم ونهينهم ونحرم حدود بلادنا وممالكنا منهم .
 هذه هي مشورتنا العظمى لمن يسمع وينظر فيفرح ويبتهج * وايضاً قبل تاريخه بنحو
 خمس سنوات ونحن في ارباجاره طلب الطليان التوجه الى سنهيت وكسله وطلبوا منا
 خبر السكة والمعاونة قائلين لنا الانكليز من هناك ونحن معكم من هنا نحارب
 الدراويز ونهلكهم فمنعتم من ذلك وما مكنتهم من شيء . وقلت لهم أليس الناس
 ناسي وهم بلاد واحدة معنا وحبشة واحدة فمنعتم من ذلك منعاً باتاً ولهذا السبب
 صارت العداوة معهم الى الآن فليكن ذلك معلوماً لديكم في ١٧ كيهك سنة ١٨٨١

مسيحية ، اه ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٨ م

(جواب ابي عنجه للملك يوحنا) فأجابه حمدان ابو عنجه بكتاب فظ هذا نصه :

« وبعد فمن عبد ربه قائد جيوش الاسلام لتدمير الكفرة اللثام حمدان ابي
عنجه الى يوحنا بالحبشة * انه لقد وصلنا جوابك عرياً وعجمياً تاريخه ١٧ كيهك
سنة ١٨٨١ مسيحية وفيه تعرفنا بملك الترك سابقاً بلادنا الى حدود الممة وما قد
حصل لهم فيما بعد. وانهم لما ارادوا الدخول في بلادك منعتهم منها وهزمتهم مرتين.
وان سيدنا الامام المهدي «عم» ارسل اليك جواباً يدعوك فيه الى الاسلام ففضبت
وارسلت الى الممة من حاربها وكان ما كان من امر الله ثم توجهنا نحن الى بلادك وكان
ما قد كان بأرض دميا وعلى ان يقف كلاً منها على حده وينعقد الصلح بيننا وبكف
الحرب ونكون اخواناً واعواناً على من يقصدنا من دول الافرنج والانكليز وان يتردد
بيننا وبينكم التجار بمتاجرهم فذلك الذي رأيتموه صواباً ولعدم الثمرة في الحاربات وهلاك
المساكين الى آخر ما عدته لنفسك من المزايا والتظاهرات الباطلة فهمناه وهما أوضح
لك ما ظهر لمهدينا «عم» من الكرامات وخوارق العادات فتلعلك ان عقلتها تكون
لك اكبر عبرة (ثم عدد له الوقائع التي فاز بها المهدي وخليفته من بعده وقال): واما
غضبك من جواب سيدنا المهدي «عم» فهو من اعظم الشقاء عليك ولقد رأيت
ما حل بمن جاء الى الممة انتقاماً من عند الله تعالى فاذا لم تعتبر به فستكون انت
ان شاء الله عبرة لغيرك. وما كان بالممة سابقاً الا التكاير الذين يحرثون الارض
ويستعملون القطن ولكنها الآن امتلأت ليوثاً ضواري يقاوم الواحد منهم عشرة من
الكفار وجميعهم بايعوا الله ورسوله ومهديه وخليفته من بعده عهداً وثيقاً على الموت
في سبيل الله ابتغاء وجهه الكريم فان لم تعرفهم فستعرفهم غداً فانه ما جاء بهم الى
هذه الجهة حب مال ولا جاه بل جاؤا لقطع دابرهم وجميع الكفار فانتبه من الغفلة واصح
من النوم وفق من السكر ولا تغرنك جموع الشيطان التي لم تغن عنك من الله
شيئاً وفيما سبق عبرة لأولي الالباب * فاما نداؤك لي في صدر الجواب بقولك
دجاج ابو عنجة فاعلم اني لست بدجاج وانما انت الدجاج لكفرك وتماديك على
غضب باريك * واما طلبك الصلح منا وانت باق على كفرك فبعيد بعد المشرقين
ودليل على ضعف عقلك وفراغ ذهنك فيا لك من سفيه ويا لك من جاهل

اتريد منا صلحاً ومواخاة ولم تدخل في الدين الحق وكتاب الله ناه عن ذلك . فان
رمت الصلح فقل مخلصاً من قلبك اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) والا فانا تقاتلكم ونحرب دياركم وتيم باذن الله اطفالكم ونغنم اموالكم
كما وعدنا الله ذلك في كتابه العزيز اذ انه لا قصد لنا في الدنيا وما هي لنا بدار وانما
هي دار الكفار اهل الذل والصغار ودارنا هي الآخرة ذات الدرجات الفاخرة ولم
نكن اقامتنا هذا لخدمة قبر ولا جمع رزق وانما هي لجهادك وجهاد امثالك في رضا
الله فحينئذ انت والطلليان والافرنج ومن والكم الله اكبر عليكم جميعاً فما بيننا وبينكم
الا سيف ما لم تؤمنوا بالله وحده فان آمنت فذلك الذي نريده والا فاتخذ لك
داراً غير التي انت فيها فلا بد ان تنجلي عنها قريباً واعلم انه لا حد لنا تقف عليه الا
يتك خاصة حيث جاهرت بكفرك وخالفت مهدي الله خليفة الرسول وسيف الله
المسلول فان كنت ذا قوة وشجاعة كما تزعم فأقدم علينا ولا تحجم اذ ما أخرك كل هذه
المدة الا شدة الخوف واذا لم يكن ذلك فأثبت في محلك فلا بد لك من الهلاك عن
يد حزب الله الغالب وجنده المفلح فأولى لك الانابة الى الله ومداركة عمرك قبل فواته
فسلامتك في الاسلام وعطبك في ضده فابك ان كنت باكياً على نفسك فقد حان
ذهابك وان يتعظ شقي مثلك الا بنفسه وها قد نصحت لك وانذرتك فأنب الى
الله اوبوء بغضب من الله ورسوله فقد هيئ مقعدك من النار وبئس القرار وفي هذا
كفاية والسلام على من اتبع الهدى جمادى الاولى سنة ١٣٠٦ هـ يناير سنة ١٨٨٨ م
﴿ غزوة الملك يوحنا القلابات ﴾ فلما اطعم الملك يوحنا على كتاب ابي عنجه
طار صوابه وصمم على طرد الدراويش من القلابات ومطاردتهم الى ام درمان فارسل
الى جميع مدائن مملكته باستنفار الجيوش فاجتمع عليه نحو ٢٥٠ الف مقاتل ومعهم
من الرؤوس والاعيان الراس عدار والرأس الوله وهيلاً مريم وصالح شنقة وغيرهم
من مشاهير دولته الا بطل فقاهم وزحف بهم قاصداً القلابات

﴿ تحصين القلابات ﴾ وعلم ابو عنجه باستعداده فشرع في تحصين القلابات
فأحاط الدير بزرية مربعة متينة ومن داخلها متراس بغاية الحصانة واقام من داخل

المتراس سوراً طول الجانب منه ١٧٠ متراً لوقاية العائلات والذخائر والشون وجعل للزربية اربعة ابواب على كل باب مدفع

﴿ وفاة ابي عنجه في ٢٩ يناير سنة ١٨٨٩ ﴾ وقبل ان يتم زريته اصابته حمى فقضت عليه في ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٣٠٦ ٢٩٥١٣٠٦ يناير سنة ١٨٨٩م فبكاه اصحابه والجيش كله لانه كان محبوباً من الجميع وكان طويل القامة غليظ الجثة قوي البنية خفيف اللحية اشبهها اسود اللون حتى تظنه عبداً لكنه كان مهيباً عادلاً حسن الخلق سديد الرأي وتتش خاتمه : « وفق ياذا القدرة عبدك حمدان ابو عنجة » . وكان اشد قواد المهديّة بأساً واكثرهم جرأة واطوع الى الخليفة من بنائه لذلك حزن عليه حزناً شديداً ونعاه الى جميع امرائه في السودان . وقد رثاه محمد المجذوب بن الطاهر بقصيدة منها :

حمدان انك ظالما سميت العدى ذلاً وذكرك في المحافل يرفع
ما وجهت رايات نصرك وجهة الا وبالظفر المؤكد ترجع
فلك الهنا بلقاء ربك شاهراً سيف الجهاد وكل قرم تقع
فسحاب الرضوان تغشى تربة ضمتك ما نجم يغيب ويطلع

﴿ عمالة الزاكي طمل على القلابات سنة ١٨٨٩ ﴾

﴿ واقعة القلابات في ٩ مارس سنة ١٨٨٩ وموت الملك يوحنا ﴾ هذا وكان ابو عنجه قبل وفاته قد سمى الزاكي طمل خلفاً له على جيوش القلابات فازعه الرئاسة احمد علي من اخص رجال التعايشي وكاد الامر يفضي الى وقوع الفشل في الجيش فارسل الخليفة القاضي احمد علي وبعض اخصائه فثبتوا الزاكي طمل في الرئاسة . فاتم الزربية التي شرع فيها ابو عنجه وصف عليها المقاتلة وقد بلغوا نحو ٦٠ الفاً ومعهم ١٢ الف بندقية رمنتون و ٣٥٠٠ بندقية من اجناس شتى والف جواد . ويوم السبت في ٩ مارس سنة ١٨٨٩ وصل الملك يوحنا القلابات بجيوشه الجرارة وانتشبت حرب هائلة ظل النصر فيها في جانب الاحباش حتى جرح الملك يوحنا جرحاً مميتاً فحمله رجال حاشيته وخرجوا به من الموقعة فوق الفشل في الاحباش اذ ذاك وانهمزوا شر انهزام . وتبعهم الزاكي في اليوم التالي فادركهم علي . الا تبدة يوم الثلاثاء في ١٢

مارس فأوقع فيهم واقعة شديدة فقتل وغنم وسبي وعاد الى القلابات وبعث الى الخليفة في تفصيل الواقعتين بكتاب طويل هذا نصه بعد البسملة :

« وبعد فمن العبد الحقير المعترف بالعجز والتقصير الزاكي طمل الى سيده وسنده ووسيلته الى ربه خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق رضي الله عنه ونفعنا به آمين * بعد ان يهدي العبد الى سيده جزيل السلام ويقبل اياديه الكرام يعرض للاعتاب العلية والمسامح الزكية ما حصل بحول الله وقوته من عظيم البشارة بتأييد الدين وقطع دابر اعداء الله الحبشة الكافرين وهو انه بعد ما سبق العرض للسيادة عما بلغنا من حضور اعداء الله الحبشة لمحاربتنا فقد تم وصول الاعداء المذكورين يوم السبت في ٦ رجب ومعهم تقسمهم الهالك الملعون يوحنا قرياً منا فكانوا على حالة عجيبة وقوة شديدة وجموع كثيرة العدد عظيمة العدد لا يحصي مقدارهم الا الله تعالى حتى من شدة كثرتهم ضاقت بهم الارض وما وسعتهم الطرق فصاروا يطلقون الحرائق امامهم لتنظيفها ولقد رأينا نيرانهم من مسافة ثلاثة ايام فلما قربوا من المركز مسافة ساعتين ثار الغبار من جهتهم حتى سد الافق وصار من في ديم الانصار لا ينظر من يكون بجذائه من شدة ثوران الغبار وانتشاره . وعند ما شاهد الانصار ذلك اظهروا من الثبات والصبر والشهامة والاشتياق الى لقاء الله والوفاء بالعهد ما هم به حريون وبقينا مترتبين ومستعدين على الحالة المعهودة ومتظرين قدوم الاعداء الى ميدان الحرب لمناجرتهم وقطع دابرهم فحضرنا اليها في الوف مؤلفة وعدد متنوعة ومعهم من الخيول والاسلحة والبغال ما لا يحصى وقد ساقوا امامهم الوحوش كالجواميس والذئاب والغزلان وخلاف ذلك واحاطوا بنا من كل جانب حتى صرنا في وسطهم كالحاتم الصغير وهم في غاية الغرور والاعتماد على كثرتهم العارية من المعونة الالهية وكان عدد الانصار اهل الاسلحة النارية اذ ذاك سبعة عشر الفا بخلاف الحراية لكون الاعداء المذكورين اتونا على حين غفلة قبل التمكن من جمع جيوش الانصار المتفرقة بالجهات في المصالح * فبعد ما احاطوا بنا من كل جانب ومعهم تقسمهم الملعون يوحنا يحثهم ويحرضهم على القتال ويمنيهم

بحسب ما يلقيه اليه الشيطان وتسوّل له نفسه الخبيثة من القدرة على اطفاء نور الرحمن ابتدرونا بضرب المدافع والاسلحة النارية من كل الجهات وحملوا علينا حملة ارتج لها الكون وصار لهم دوي عظيم واصوات مختلفة من ضرب الاسلحة المتنوعة والانصار في تلك الحالة في غاية الثبات والصبر وقوة العزم وعدم الاكتراث لكثرة الاعداء وجموعهم ولم يسبق لاحد مصادمة نظير هذه فيما نعلم الا في زمن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . فعند ما ابتدرونا بالضرب عاقبناهم بضرب المدافع من كل ناحية وصبرنا لهم حتى «ملاً واافواه الاسلحة» فتوكلنا على الله وضر بناهم ضربة رجل واحد واستمر اطلاق الاسلحة النارية من الجهتين وتواتر حتى ارتجت الارض من اصوات الاسلحة واسود النهار وصار كالليل المظلم من تراكم الدخان والغبار في الجو وكانما السماء قد اطبقت الارض من عظيم ما حصل والانصار وقتلوا جزاهم الله خيراً مع قلتهم بالنسبة الى كثرة جموع الاعداء في غاية الثبات والصبر والاقدام والشهامة والبسالة وشدة الوطأة على اعداء الله ضرباً بالاسلحة وطعنًا بالرمح وقطعاً بالسيوف واستمر الحرب بيننا وبينهم نحو خمسة ساعات بحيث لم يكن في اثنائها فاصل بين الضرب بالاسلحة والالتحام مع الاعداء . وبعد ذلك انزل الله علينا نصره وانجز لنا وعده وزلزل اقدام اعدائه فولوا هاربين وعلى اعقابهم ناكصين بعد ان اهلك الله تقسمهم الملعون يوحنا وجماعة من رؤساء دولته ووزرائه واهلك من جموعه ألوف مؤلفة حتى امتلأت الارض من جيفهم الخبيثة وجيف خيولهم وبغالهم . وبعد انكشافهم عن وجوهنا اخذوا تقسمهم الملعون يوحنا وادخلوه في صندوق واشاعوا انه حي ولكنه مجروح جرحاً خفيفاً وحملوه معهم وفروا هاربين ولعار الفرار مرتكبين . وبالنظر لكون الانصار جزاهم الله خيراً ما انتبهوا في حالة التهام الحرب مع الاعداء لشيء سوى مصادمتهم وقطع دابرهم ولم يشغلهم عن ذلك شهيد ولا جريح حتى كشفوهم وصدوهم على اعقابهم فنحن بعد هرب الاعداء شرعنا في دفن من اكرمهم الله بالشهادة من الانصار وهم عدد يسير وتميز المجاريح وكان ذلك ليلة السبت ويوم الاحد « ثم تجهزنا بما لزم من الاستعداد واقتفينا أثر الاعداء المذكورين في صباح

الاثنين وجددنا السير في طلبهم وادركناهم عشية يومنا هذا على بحر اتبرة نازلين
وابتناهم هناك فطلعونا في تلك الليلة بجانب من خيولهم فحملنا على طلائعهم فانهمزموا .
فلما اصبحنا يوم الثلاثاء الموافق ٩ رجب (والواقع ١٠ رجب ١٢ مارس) ناجزناهم
الحرب فانتشب القتال بيننا وبينهم فثبت لهم الانصار ثبوت الرواسي واشتد الحرب
وعظم الخطب واستمر الحال على ذلك ست ساعات فانكشفوا عن وجوهنا منهزمين
لا يلوي منهم احد على احد لشدة ما رأوه من سطوة انصار الدين وذلك بعد ان
اهلك الله منهم كل من يقال له رأس او دجاج من الباقين بعد الواقعة الاولى فاقتنى
الانصار اثرهم ضرباً وطعنات حتى استأصلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم الا الهارب وقد
غنمنا جميع ما معهم من الاسلحة والمدافع والجباخين والخيول والبغال وبقية الامتعة .
وبعد استئصال المنهزمين صار تفقد الهالكين من رؤساء الكافرين بواسطة من لهم
المعرفة التامة بهم فوجدنا عدو الله الهالك النفس يوحنا مقتولاً في الواقعة الاولى كما
ذكرناه آنفاً مدخلاً في صندوق مشمع بيطن خيمته وعلى صدره صليب من ذهب كان
بعده من دون الله ومعه ايضاً افر ملبسه وبعنقه العتبة التي يتخذونها وعليه انواع من
الادوية لئلا يترق في الحال اخرجناه من الصندوق وحرزنا رأسه ورفعناه على قناة
فاستبشر الانصار بذلك وحمدوا مولاهم على تلك النعمة العظيمة ثم ارسلنا رأس
الهالك يوحنا المذكور ورؤوس وزرائه كرأس الوله وغيره لصوب السيادة اعلماً بتأييد
الدين ودمار الكافرين ومعهاتاج المملكة الذي للملعون المذكور وخيامه ونحاساته وغير
ذلك من امتعته الخاصة به . وبعد ان فرغنا من مكافحة الاعداء وقطع دابرهم تفقدنا
من اكرمهم الله بالشهادة من الانصار في تلك الواقعة فوجدناهم عددًا يسيرًا بالنسبة
الى كثرة الاعداء وقلة الانصار واستمرار الحرب وفرحنا لهم بما نالوه من حسن لقاء الله
ودفناهم ورجعنا الى المركز سالمين غانمين * ثم من جملة ما رأينا من الكرامات في حال
انتشاب الحرب مع الاعداء المذكورين ان كثيرًا من الانصار سمعوا صوت ام بايه
وشاهدوا خليفة المهدي « عم » ذاته امام الاصحاب وبعضهم رأوا رايات بيضاء بأيدي
رجال نازلين من السماء يقتلون في الاعداء فضلاً عن مشاهدة التهاب النار في اجسام

اموات الكفار من محل الطعنة حتى تعم الجسد كافة وغير ذلك من البشائر والكرامات التي لا يمكن استقصاؤها فهذا ما كان لنا مع اعداء الله الهالكين في كلتا الوقتين « اما الانصار ففي كل يوم يلتسمون منا التوجه لغزو الحبشة في بلادهم وما يمكننا ان نجيب التماسهم الا بعد تشريفنا بصدور امر كريم للتبرك به والعمل بما فيه . وبالنظر لما هو واجب علينا من رفع الاحوال مفصلة لولي امرنا فقد حررنا هذا اداء للواجب علينا ولا شك ان جميع ما حصل من هلاك الكافرين ونصرة الدين فهو من غناية الله وتأيدته لخليفة مهديه عليه الرضوان فنسأل الله تعالى سيدي بجاهكم عنده ان يمنحنا رضاكم في الدارين ويعمنا بعفوكم في كل حين ويوقع في قبضتكم كل معاند من الكافرين انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير هذا والسلام في ١٠ رجب سنة ١٣٠٦ هـ « ١٢ مارس سنة ١٨٨٩ م

وكتب اليه كتاباً آخر في التاريخ نفسه يقول : « . . . سيدي ان بعض خيالة الاعداء وجدوا لهم منفذاً من جهة المكرم احمد علي وأخذوا بعض « عوائل » الانصار . . . وقد فاز بالشهادة من انصار الدين جهادية واولاد عرب جماعة ما امكن حصرهم وفيهم عشرون رجلاً من اهل الرايات واكثرهم من راية المكرم احمد علي . . . وعند دخول الاعداء في الديم ساعة المصادمة اثاروا فيه الحرائق بقصد نهب الامتعة . . . وفي كتاب ثالث بتاريخ ١١ رجب سنة ١٣٠٦ هـ ١٢ مارس سنة ١٨٨٩ م يقول : « . . . سيدي ها هو برنس عدو الله الملعون يوحنا من الحرير الاخضر المرصع بالذهب والجواهر ومعه عراقية ملطخة بدمه وخاتم الملعون راس الوله ذهباً بفص احمر . . . وفي كتاب رابع بهذا التاريخ يقول : « ملحق بما سبق ذكره من اشياء الملعون يوحنا : طاقة ذهب خالص تساوي ٤٠٠ اوقية وصليبان من فضة وذهب ومركوب قطيفة وسوار كبير فضة . . . سيدي ان هذه الاشياء احضرها الانصار بعد تحرير الكتب المرسلة مع هذا وها هي واصلة للسيادة مع رافعه عبد الكريم لغرابتها ليراها انصار الدين ويحمدوا الله على ما اولاهم من النصر المبين . . . »

وكتب اليه في ١٤ شعبان سنة ١٣٠٦ هـ ١٥ ابريل سنة ١٨٨٩ م يقول : « . . . »

بحسب ما ورد لنا من سيادتكم بجمع الاسلحة التي غنمناها من اعداء الله الحبشة اكدنا على الاصحاب في احضارها فحصلنا منها الى الآن ١١٨٦ بندقية من رمتون وابي لفته وخشخان وشيئا قليلاً من الجبخانه كما ترون في الكشف طيه ٠٠ وقد حفظنا الجميع في منزل سيدنا المرحوم حمدان ابي عنجه الى ان تصدر الاشارة الشريفة بشأنها ٠٠

فطبع الخليفة كتاب الزاكي الاول في مطبعة الحجر ووزعه على انصاره في جميع البلاد اشهاراً للنصر على الاحباش ٠ ولكن الراس الوله لم يقتل كما جاء في كتاب الزاكي *

وجاء مصر وفد من الحبشة سنة ١٨٩٩ لاختد مطران لمملكة كوجام وكان احد اعضاء الوفد غير يل بقطر قد حضر واقعة القلابات فسأله عن الواقعة وموت الملك يوحنا فقال: « كنا قد انتصرنا في بادي الامر حتى اخترقنا زريبة القلابات وكدنا نستولي عليها فأصاب الملك يوحنا رصاصة طائشة اخترقت ذراعه ودخلت صرته فجرحته جرحاً مميتاً فحملة رجال حاشيته الى الخيام فطلب ابنه الراس منقشا وقال له ان جرحي قتال فشد حيلك واجمع رجالك وارجع الى بلادك فرجع في مقدمة الجيش والملك يوحنا معه محمولاً على سرير حتى وصل دير محبره سلاسه على نحو يومين من التمه فقتل حال الملك ومات الاحد مساءً وكان قبل موته اوصى ان يدفن في الدير المذكور فدفن فيه صباح الاثنين في ١١ مارس سنة ١٨٩٩ ٠ وفي اليوم التالي لحق الدراويش ساقه الجيش عند فرع للاتبرة يعرف بنهر الكلب فاوقعوا فيهم وكان معهم جثة هيللا مريم من وزراء الملك يوحنا فاخذوها وذهبوا بها ظانين انها جثة الملك »

هذا وكان اقوى ملك في الحبشة بعد الملك يوحنا الملك منيلك ملك شوا فلما بلغه خبر وفاة الملك يوحنا اشهر نفسه ملك ملوك الحبشة وعقد صلحاً مع التليان ثم قضه وكانت بينه وبينهم وقائع مشهورة يأتي ذكرها في تاريخ الحبشة

❦ وقائع كسله سنة ٦ : ١٨٨٩ ❦

تقدم ان عثمان دقنه قبل رجوعه الى قماي سمي ابن اخيه محمد فاي اميراً على كسله فضرب الزكاة على الماشية باكثر مما تحمله الاهلون وحبس محمد بن الشيخ موسى ناظر الهدندوة لتقصيره في تأدية الزكاة فضج الهدندوة لذلك ورفعوا الامر

الى عثمان دقنه ولما لم يجبههم تجمعوا برئاسة بلال السمرندوباي ودخلوا السجن واخرجوا
 محمد موسى منه عنوة وكتبوا الى الخليفة يطلبون عزل محمد فاي من كسلة وتسمية
 عامل عليهم غير عثمان دقنه . فاستدعى الخليفة عثمان الى أم درمان وسأله عن ذلك فنفد
 شكوى الهدندوة وتزلف الى الخليفة فثبته في مركزه واصحبه بجيش كبير فيه نحو ١٠
 آلاف من اخلاط البقارة والجمعيلين والداقلة بقيادة محمد عثمان ابي قرجة . وبلغ الهدندوة
 ان الخليفة ايد عثمان دقنه على عماله فتجمعوا في أم قروفه على ١٦ ساعة من كسلة
 مصممين على القتال فحف الفقيه علي بن حامد الجميلاني الى أم درمان واخبر الخليفة
 بالذي عليه الهدندوة فتلافى الامر وكتب الى ابي قرجه ودقنه ان يأخذ احدهما منصب
 الآخر فجعل دقنه امير الجيش واما قرجه عاملاً على القبائل وكتب الى القبائل
 النافرة منشوراً بتاريخ ٢٣ صفر سنة ١٣٠٤ هـ ٢١ نوفمبر سنة ١٨٨٦ قال فيه :
 « . . . فان كان ما جرى منكم من الاعراض عن طريق الهدى والرشاد سببه كما
 بلغني ما اصابكم من الحبيب عثمان ابي بكر دقنه من الضرر وعدم المراعاة ومعاملتكم
 بالشدة وانكم ما زلتم على طاعتكم لامر المهدي . . . فاعلموا انا قد عيناكم من
 طرفنا الحبيب محمد عثمان ابا قرجه لمباشرة اموركم وراحة بالكم ورفع الضرر عنكم والسير
 فيكم بمقتضى السنة المحمدية والطريقة المهدي . وارسلنا معه قاضياً شرعياً وعضداً لها
 برجال من امناء الدين والاصحاب السابقين وما تركنا للحبيب محمد عثمان المذكور من
 التوصية والرفق بكم شيئاً وسيعمل فيكم بمقتضى وصيتنا ويعاملكم بالعدل والفضل ولا
 يأخذ منكم غير الزكاة المفروضة عليكم في كتاب الله وسنة رسوله . . . »
 فرضي الهدندوة بذلك . وحال وصول ابي قرجة الى كسلة بث المقادير في انحاء
 البلاد فعدّ الانفس والمواشي وشرع في جمع الزكاة على ما يفرضه الشرع الاسلامي *
 وكان محمد فاي قد هجر بندر كسلة ونزل في ديم طوكرف فاتخذ ابو قرجة محلجة القطن
 البخارية للتاجر عمر أغا خارج البندر ديماً له * * * وسمى الخليفة علي حامد المذكور آنفاً
 عاملاً على جهات سواكن وبني عامر والحباب فنزل في طوكر وكتب الى اهل سواكن
 في ٧ يناير سنة ١٨٨٧ م يدعوهم الى الطاعة فلم يجبه احد

﴿ وقائع سواكن سنة ٨٦ : ١٨٩١ ﴾

﴿ احتلال عثمان دقنه لهندوب ﴾ هذا وكانت الحكومة في سواكن لما علمت بذهاب عثمان دقنه الى ام درمان اوعزت الى محمود علي شيخ الامارار فهجم بنفر من رجاله على ديمه في تماني في ٦ سبتمبر سنة ١٨٨٦ فقتل جماعة من اهلهم واسر آخرين * وبلغ عثمان الخبر وهو في طريقه الى كسله ولكنه انشغل بالهندوة مدة . وفي اوائل نوفمبر سنة ١٨٨٧ اخذ جانباً من جيش كسله واتى هندوب على ١١ ميلاً الى الشمال الغربي من سواكن وارسل بعثاً الى بلاد الامارار للأخذ بثار اهلهم فالتقاهم في مكان يدعى دارة فقتل وسبي وعاد الى هندوب . ثم ارسل بعثاً آخر بقيادة شائب الدنقلاوي فأوقع فيهم في ١٧ يناير سنة ١٨٨٨ قرب محل الواقعة الاولى فقتل منهم نحو ٥٠٠ رجل وفيهم محمد شيخ اخو شيخ الامارار

﴿ واقعة هندوب في ١٧ يناير سنة ١٨٨٨ ﴾ وكان المحافظ على سواكن في ذلك العهد كتشنر باشا فلما علم بخروج سرية شائب من هندوب رأى ان ينتهز الفرصة ويهاجم عثمان وهو في قلة لعله يظفر به ويريح السودان الشرقي من شره فاستأذن مصر وخرج من سواكن الساعة الاولى بعد نصف الليل في ١٧ يناير سنة ١٨٨٨ ومعه ٥٠٠ رجل من الامارار والعساكر السودانية والباشبوزق والبوليس ونفر من السواري والهجانة فلما صار على ٣ اميال من هندوب وقف ينتظر بزوغ الفجر وهو يظن انه على ميل واحد منها . وفي الساعة ٤ والدقيقة ٤٥ امر المشاة بقيادة محمد بك احمد مأمور بوليس سواكن فحفوا نحو هندوب وسار هو في اثرهم بالفرسان والهجانة متملاً . وكان عثمان دقنه مديماً في زريبة متينة بين سلسلة من الاكام عن اليسار واكمة منفردة عن اليمين ومن ورائه بلدة هندوب ومن امامه غابة من الاشجار فكن المشاة في الغابة الى ان بزغ الفجر فخرجوا منها وهجموا على عثمان وهو يصلي بانصاره خارج الزريبة فانهمزوا مذعورين تاركين اسلحتهم في الزريبة فطاردتهم العساكر الى بلدة هندوب . وكان كتشنر قد اوعز الى العساكر السودانية بمطاردة عثمان ذاته فاتوا محلاً في البلدة ظنوا انه يلجأ اليه فأوه من بعيد

فأرأ على جمل سريع ولكن انصاره تجمعوا بعد الشتات فرساناً ومشاةً وداروا حول
الأكمة المنفردة ورجعوا الى الديم فاخذوا سلاحهم ووقعوا الفشل في العساكر فاسرع
كتشنر اذ ذاك الى نجدتهم وضرب البوري فاجتمعوا عليه فهاجم الزرية بجميع رجاله
فاصابته رصاصة في وجهه فجرحته جرحاً بالغاً اضطره الى ترك القتال فعاد بالعساكر
الى سواكن وقد خسر ١٠ عساكر قتلى و ١٩ عسكرياً و ٣ ضباط جرحى

واقعة شكسبير وعاد عثمان الى ديمه فارسل جماعة من انصاره في ٣ مارس
على سواكن فنزلوا على مسافة ١٩٠٠ يرداً منها واخذوا يرمونها بالرصاص . وكان
كتشنر اذ ذاك قد ذهب الى مصر بسبب جرحه وناب عنه الماجور شكسبير فخرج
عليهم في صباح ٤ مارس ببعض العساكر فردوه خاسراً وعادوا الى ديمهم في
هندوب ولما بلغ كتشنر خبر هذه الحادثة اسرع الى سواكن وكان لم يزل مثلاً من
جرحه فلم يمكث الا القليل حتى عاد منها عليلًا وناب عنه الماجور رندل رفيقه القديم
الى ان رقي الى منصب ادجو تانت جنرال فسمي هولده سمث باشا محافظاً على سواكن
فاخذها من الماجور رندل في ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٨

تولية حامد علي عاملاً على كسله وذهاب ابي قرجه الى هندوب
هذا وكان عثمان دقنه بعد واقعة هندوب قد ارسل الى الخليفة في طلب المدد
فارسل الخليفة حامد علي من اخضاء رجاله عاملاً على كسله وكتب الى ابي قرجه فأتى
هندوب في اوائل ابريل سنة ١٨٨٨ فوجد الاقامة فيها شاقة لقله مائها وعدم وجود
الغلال فيها فأشار على عثمان بنقل الديم الى طوكر فلم يسمع له فاشتد الخلاف بينهما
ورفما الامر الى الخليفة . وكان الخليفة يحرص على رضى عثمان لانه لم يكن عنده في السودان
الشرقي اصلح منه فاستدعى ابا قرجه الى ام درمان وارسل عثمان نائب مدد الى هندوب
واقعة الجميزة في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٨ وفي ١٧ سبتمبر اصدر عثمان
دقنه امره الى عثمان نائب فنزل بانصاره على ٩٠٠ يرد الى الجنوب الغربي من
طاييتي الشاطة والجميزة اللتين تحميان آبار الماء لحامية سواكن وحفر خندقاً طويلاً
فتمنع به وجعل يترصد العساكر ووراد الماء فكلما لاح له شخص رماه بالرصاص . وفي

١٣ اكتوبر امر جماعة من انصاره فأتوا الآبار خلصة في الليل وشرعوا في ردها فاحس العساكر بهم واجلوهم عنها * وكان هولدهسمث باشا يرفع خبر الدراويش الى السردارية في مصر ويسألها المدد فحضر السردار غرنفيل باشا بنفسه الى سواكن واستكشف الخندق وعاد الى مصر فاستأذن الحكومة في الحملة عليهم وطردهم من الخندق فأذنت له فطلب الاورطتين التاسعة والعاشرية من الحدود النيلية فذهبتا الى سواكن بطريق قنا والقصير . وخافت الحكومة الانكليزية ان العساكر التي توفرت للسردار في سواكن لا تضمن له النصر فبعثت اليه بأورطة من عساكرها * فخرج من مصر في ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٨ قاصداً سواكن فوصلها في ٩ منه وقد اجتمع فيها ٧٥٠ من العساكر الانكليزية و ٢٠٠٠ من العساكر السودانية و ٢٠٠٠ من العساكر المصرية . وكانت العساكر الانكليزية بقيادة الكولونل كوك وعساكر السردار لواءين : اللواء الاول وفيه الاورط التاسعة والعاشرية والثانية عشرة السودانية بقيادة اللواء كتشنر باشا واللواء الثاني وفيه الاورطتان الرابعة المصرية والحادية عشرة السودانية بقيادة اللواء هولدهسمث باشا . وكان معه من الضباط المصريين اركان حرب : القائم مقام علي بك حيدر ياوراً . وملحم بك شكور ضابط ملكي المخابرات . والبكباشي ابراهيم افندي فتحي من اركان حرب اللواء كتشنر باشا والبكباشي احمد افندي فهمي من اركان حرب اللواء هولدهسمث باشا * ولما كان فجر ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٨ خرج السردار من سواكن بالجيش كله فوقف بين طابيتي الجميزة والشاظة ومعه الطوبجية السواري المصرية والاورطة الانكليزية وامر اللواءين فزحف الواحد بجانب الآخر مهاجمين الدراويش عن يسارهم فتجمع اكثرهم الى هذه الجهة واطلقوا رصاصهم على العساكر وهم على ٦٠٠ يرد منهم فاقتم العساكر الرصاص بجنان ثابت الى ان صاروا على ٢٠٠ يرد منهم فاشعلوا فيهم ناراً حامية . وفي اثناء ذلك كان الطوبجية السواري والاورطة الانكليزية مع طوبجية الواورات الانكليزية الراسية في ميناء سواكن يهدون السبيل للواتين باطلاق القنابل والرصاص في زاوية منحرفة على الخندق وما زال اللواءان يتقدمان وهما يفتكان بالدراويش حتى دخلا عليهم في الخندق وطردهم منه

بجد السنج فتبعهم السواري اذ ذاك الى مسافة بعيدة فقتلوا واسروا وانتهت الواقعة الساعة ٨ صباحاً . وكان عدد الدراويش في الخندق نحو ١٦٠٠ رجل قتل منهم ٥٠٠ واكثر وفيهم اربعة امراء واسر جماعة وفيهم ضرير موسى دقنه ابن عم عثمان . واما خسارة الجيش فكانت ضابطين و ٦ عساكر قتلى و ٢٤ جريحاً . وكان عند الخندق جميزة كبيرة فعرفت الواقعة بها . وقد تسلق هذه الجميزة ساعة القتال رجل من البقارة واخذ يرمي العساكر بالرصاص وهو يشتمهم بأعلى صوته ويناديهـم بأقبح الالفاظ فصبوب العساكر نارهم عليه فخرّ الى الارض قتيلاً * وبعد الواقعة امر السردار فزيد عدد الطوابي خارج سور سواكن لحماية الآبار ومنع الدراويش من العودة الى مثل حالهم الاول وعاد الى مصر

انتقال عثمان دقنه بالديم الى طوكر * وبعث عثمان دقنه بنخبر واقعة الجميزة الى الخليفة فاهتم للامر وكتب اليه فانتقل بالديم الى طوكر في ١١ فبراير سنة ١٨٨٩ وامر ابا قرجه فحلف الى كسله وأخذ ما بقي من رايات عثمان فيها ووافاه الى طوكر في اواخر مارس . ولكن لم يكن الا القليل حتى وقع الخلاف بينهما بشأن الرئاسة على الجيش ورفع الامر الى الخليفة فكتب في ٣٠ ابريل سنة ١٨٨٩ بأن يكون عثمان دقنه العامل وابو قرجه وكيلاً له وارسل اربعة امناء وهم : محمد خالد زقل والطاهر المجذوب والشفيع رحمه واسماعيل احمد ليكونوا معهم في طوكر يصلحان ما بينهما ويرفعان الاحوال كما هي الى الخليفة . وفي ١٤ يوليو سنة ١٨٨٩ كتب الخليفة الى عثمان فذهب الى ام درمان قيل للنظر في امر مهاجرة مصر من طريق القصير بينا النجومي يهاجمها من جهة النيل فمرّ وهو راجع بالقضارف وكسله فأخذ منها كل من له رغبة في الجهاد وارسلهم امامه ثلة بعد ثلة الى طوكر وما عاد اليها حتى كان النجومي قد خذل في طوشكي كما سترى فبقي في طوكر . وما زال النفور بينه وبين ابي قرجه فاستدعى الخليفة ابا قرجه الى ام درمان في ٣٠ ابريل سنة ١٨٩٠ فسماه اميراً على بربر وبقى عثمان في طوكر وله نقطة صغيرة في هندوب الى ان طردته الحكومة منهما في اوائل سنة ١٨٩١ كما سيحي

الفصل الثامن

في

﴿ وقائع الثورة في خط الاستواء سنة ٧٩ : ١٨٨٩ ﴾

﴿ نزول امين بك الى الخرطوم ﴾ تقدم لنا الكلام على بلاد خط الاستواء الى ان برحها غوردن سنة ١٨٧٩ وصارت في عهدة امين بك . وكان فيها اذ ذاك نحو ١٥٠٠ من العساكر النظامية و ٣٠٠٠ من الباشبورق * وفي مارس سنة ١٨٨٢ نزل امين بك الى الخرطوم لمقابلة حاكمها رؤوف باشا وبقي فيها الى ١٥ يونيو من السنة المذكورة ثم قفل راجعاً الى خط الاستواء . وكان قد علم في الخرطوم بقيام محمد احمد وعند وصوله الى فاشودة سمع بانكسار جيش الشلالي في قدير ولكنه لم يعبأ بما كان ولم يكن بشك ان الحكومة تسحقه عاجلاً او آجلاً فعاد الى خط الاستواء ناعم البال وكان مولعاً بدرس النبات والحيوان فعاد الى درسه وجمع رواميز النبات الى يوم ٢٨ مارس سنة ١٨٨٤ اذ جاءه كتاب من لبتن بك مدير بحر الغزال ينبئ بهلاك جيش هكس في شيكان وتسليم سلاطين في دارة وامتداد الثورة الى بحر الغزال

﴿ كتاب كرم الله الى امين بك يدعو الى التسليم ﴾ ثم فتح كرم الله بحر الغزال على ما علمت وبعث الى امين بك كتاباً يدعو الى التسليم وصله في ٢٧ مايو سنة ١٨٨٤ * وكان امين بك اذ ذاك في موقف حرج لان عساكره على قلتها وعدم تدريبها على القتال كانت موزعة على نحو ٤٠ نقطة في شرق البلاد وغربها ولم يكن عنده من القواد من يعتمد عليه وقد اعوزته الاسلحة والذخائر والميرة لان آخر وابور وصله من الخرطوم في ١٦ مارس فعاد منه في ١٤ ابريل سنة ١٨٨٣ . وفوق ذلك فقد كان الدناقلة منتشرين في كل انحاء البلاد تجاراً ومتسبين بل كان بعضهم كتاباً وموظفين في المديرية وقد مدّوا اعناقهم لسماع اخبار ابن وطنهم المهدي وكتب كرم الله الى كثير منهم يدعوهم الى الهجرة اليه . فاغلق امين بك اذ ذاك كتاب الطبيعة واخذ يقلب في كتب السياسة والادارة لعله يجد فيها باباً ينجيه من ذلك الحرج

﴿ ارسال وفد الى كرم الله ﴾ فعقد مجلساً من ضباطه وموظفيه الملكيين وقرأ لهم كتاب كرم الله وسألهم رأيهم فيه فاجمعوا كلمهم على التسليم وكتبوا بذلك كتاباً واختاروا وفداً يوصله الى كرم الله فعملوا امين بك رئيساً له وعثمان حاج حامد قاضي المديرية وعثمان ارباب الباشكاتب وكلاهما من اقرباء المهدي وابراهيم أغا .أمور اللاتوكا اعضاء فقلق امين بك لاختيارهم اياه رئيساً للوفد فاعتذر بان البلاد تصبح في غياه فوضى واقترح ان يكون القاضي رئيساً للوفد واحب القاضي الرئاسة فبين للناس اوجه الصواب في بقاء امين بك فرضوا به وخرج الوفد من اللادو في ٣ يونيو سنة ١٨٨٤ وكان في جملة شروط التسليم ان تبقى البلاد على ما هي عليه الى ان تأتي الواوران من المهدي في الخرطوم فيذهبون بها ويسلمون اليه وان جيوش كرم الله لا تدخل البلاد باية صورة كانت . وقد اراد امين بك ان يطاول كرم الله الى ان يجمع شتات عسكره فماسار الوفد حتى اصدر اوامره الى النقط البعيدة بالتجمع على النيل وحشد جيشاً في امادي الواقعة على طريق كرم الله الى اللادو وخندق على اللادو واستعد للدفاع ﴿ حصار امادي نوفمبر سنة ١٨٨٤ ﴾ واما كرم الله فانه لما اطلع على شروط التسليم ابى قبولها وصمم على ان يكون التسليم على يده فارسل عبد الله عبد الصمد في مقدمة جيشه الى خط الاستواء فخاربه مرجان اغا قومندان طابية امادي في عدة وقائع وقتله فزحف كرم الله اذ ذاك بمعظم جيوشه على امادي فحصرها حتى نفذ زادها واكل اهلها الجلود فخرج ستة ضباط و ٣٠٠ رجل منهم واخترقوا صفوف المحاصرين ونجوا الى ودلاي بطريق وندي عاصمة مكركة . ثم خرج مرجان اغا القومندان يباقي القوة بقصد الحقوق بهم فاعترضه كرم الله وقتله هو ومن معه وذلك في اواخر مارس سنة ١٨٨٥ وكتب الى امين بك بلاغاً نهائياً ليحضر مسلماً في ٥ ابريل فاذا لم يحضر في الميعاد المذكور زحف عليه واخذ البلاد عنوة وكان قد كتب له من قبل واخبره بسقوط الخرطوم وقتل غوردن فلم يجبه بل جمع عساكره في نقط النيل بين الرجاف وودلاي وجعل الدفلاي مركز المديرية وجعل العساكر اورطتين الاولى في النقط الشمالية بين الدفلاي والرجاف والثانية في النقط الجنوبية بين الدفلاي وودلاي واستعد للقتال *

وفيا هو كذلك شاع ان كرم الله رجع بجيشه الى بحر الغزال . واختلف الرواة في سبب رجوعه فقال البعض ان المهدي دعاه الى أم درمان ليرسله في جيش مصر وقال البعض الآخر ان العبيد في بحر الغزال ثاروا على من خلفهم وراءه في المركز فرجع لتمهيد الثورة وبقي الى ان مات المهدي واستدعاه الخليفة فلبى الدعوة كما مر .

وواصله امين بك لمصر . ومهما يكن السبب في رجوعه فقد كان من سعد امين بك الذي اصبح همه بعد الآن . واصله . مصر . وقد جاءه في هذه الاثناء سائحان اوربان وهما ينكر الالماني والكبتن كازاتي الايطالي فبقي الكبتن كازاتي معه لمساعدته على حمله وسافر ينكر الى مصر في يناير سنة ١٨٨٦ وكان امين بك قد كتب الى الحكومة المصرية في ١ نوفمبر سنة ١٨٨٥ يسألها النجدة وارسل كتبه عن طريق زنجبار * ومن غريب الاتفاق ان الحكومة المصرية كتبت اليه بهذا التاريخ ايضا وفي الطريق عينها فوصلته الكتب في ٢٦ فبراير سنة ١٨٨٦ وكان بينها كتاب بامضاء نوبار باشا رئيس مجلس النظار بتاريخ ٢ نوفمبر سنة ١٨٨٥ يقول له فيه : ان الحكومة قد اخلت السودان وليس في قدرتها ان تساعد بشيء ولكنها فوضته في اتخاذ افضل الطرق لاخلاء البلاد

على ان اخلاء البلاد لم يكن من السهل لانه فضلاً عن بعد طريق زنجبار وكثرة مشاقها ومخاطرها . فان العساكر واكثر الضباط كانوا من السود وقد تزوجوا من نساء البلاد واقتنوا من رقيقها . وفوق ذلك فان انشغال امين بك بدرس النبات والحيوان وعدم اهتمامه بالادارة العسكرية انسى العساكر الطاعة العسكرية حتى لم يكونوا يسمعون له امرًا الا اذا وافق امياهم . فلما قرأ لهم كتاب نوبار هاجوا وماجوا وقالوا اذا كان لا بد لنا من ترك البلاد فلا نعرف لنا طريقًا غير الخرطوم وقد ارادوا القبض عليه ولكن بعض ضباط الاورطة الثانية انحازوا اليه وحالوا دون ذلك

✽ حملة المستر ستني لانقاذ امين باشا سنة ٧ : ١٨٨٩ ✽

وفي يناير سنة ١٨٨٧ وصل السائح الالماني ينكر الى مصر ووصلت قبله كتب امين بك الى الحكومة المصرية فعلم العالم المتمدن بحاله في خط الاستواء فتألفت حملة

في لندن لاتقاده وتبرع الرحالة الشهير المستر ستنلي فترأس الحملة وأتى بها الى مصر في اواخر يناير سنة ١٨٨٧ . فقابل الجناب العالي الخديوي فناوله فرماناً الى امين باشا بتاريخ ٨ جمادى الاولى سنة ١٣٠٤ هـ ١ فبراير سنة ١٨٨٧ م هذا مفاده :

« حررنا اليك قبلاً في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٨٦ نمرة ٣١ مع ما حرره عطوفة نوبار باشا رئيس مجلس نظارنا فشكرنا لك الهمة والبسالة اللتين اظهرتهما انت والضباط والعساكر الذين معك في الدفاع عن بلاد خط الاستواء المصرية . لذلك قد رقيناك الى رتبة لواء باشا وصدقنا جميع الترقيات التي توصي بها للضباط الذين تحت ادارتك ولما كان غرضنا الاعظم اتقاذك انت والضباط والعساكر الذين معك من المركز الحرج الذي صرتم اليه . وقد ألفت الآن حملة بقيادة السائح الخبير الطائر الصيت المستر ستنلي لاتقاذكم من ذلك الحرج والمجيء بكم الى مصر في الطريق التي يختارها فقد اصدرنا امرنا العالي هذا وبعثنا به معه لاعلامكم بما كان . وعند وصوله اكلفكم ابلاغ الضباط والعساكر احسن رغائي واعلموا انكم احرار في المجيء الى مصر أو البقاء حيث اتم مع الضباط والعساكر ولكن اعلموا ان من احب البقاء هناك من الضباط والعساكر فهو انما يفعل ذلك على مسؤوليته فلا ينتظر اية مساعدة من الحكومة . افهم ذلك جيداً وافهمه للضباط والعساكر ليكونوا على بصيرة مما يفعلون * الامضا (توفيق)

وفي ٣ فبراير سنة ١٨٨٧ خرج ستنلي بجملته من مصر فصار بطريق البحر الاحمر الى زنجبار ودار حول رأس الرجا الصالح حتى أتى نهر الكونغو في ١٨ مارس فاجر فيه الى يميوعة فوصلها في ١٦ يونيو فترك بعض الحملة فيها حرساً خلفياً وسار بنحو ٤٠٠ رجل فاخترق الغابة العظيمة المشهورة ونزل عند بحيرة البرت في ١٥ ديسمبر بعد معاناة شدائد جمة ووقائع دموية مع اهل الغابة . ولما لم يجد امين بك في البحيرة ولا رأى مركباً يوصله اليه انقلب راجعاً الى يميوعة ؟ فاتى بقارب كان قد تركه فيها وعاذ الى البحيرة * هذا وكان القناصل في زنجبار قد بعثوا فاخبروا امين باشا ان ستنلي ذاهب لاتقاده بطريق الكونغو فوصله الخبر في مايو سنة ١٨٨٧ وارسل الرسل الى البحيرة للتفتيش عليه فلم يجدوه ولكنهم سمعوا بنجر الحرب التي

كانت بينه وبين عبيد الغابة وكان هؤلاء العبيد من حلفاء كبريئة ملك يونيورو فحنق على امين ظاناً انه بعث في طلب ستني لفتح بلاده . وكان امين قد ارسل اليه الكبتن كراتي لتسهيل مواصلة مصر فطرده كبريئة من داره فذهب به امين في الوابور «الخدوي» الى البحيرة للتفتيش عن ستني فلقية في نساي في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٨ . فسلمه ستني الفرمان العالي المار ذكره للعمل به وترك عنده المستر جفسن احد اعوانه لمساعدته في شؤونه . ثم رجع ثانية الى يمبوعة ل جلب بقية عسكره . فعاد امين باشا ومعه المستر جفسن الى العساكر وقرأ لهم الامر العالي مبتدئاً من نقطة ودلاي فكان جوابهم انهم يتبعونه حيثما ذهب حتى وصل نقطة كيري فاتاه كتاب من حامد أغا محمد قومندان الاورطة الاولى في الرجاف يحذره من التقدم شمالاً ويقول ان العساكر لا يريدون السفر الى مصر فاذا اتاهم قبضوا عليه وحبسوه فرجع على عقبه . هذا وكان في النقط الجنوبية ضباط من رجال الثورة العراقية فنفضوا روح الثورة في عساكر الاورطة الثانية بقولهم ان الفرمان الذي سمعتموه من امين مزور وان ستني ورفاقه ليسوا الا سياحاً وقد اتوا بهذه الحيلة ليأخذوكم من بلادكم ويسلموكم عبيداً للانكليز . فصدق العساكر قولهم وقاموا على امين وجفسن في اللابوره وكادوا يفتكون بهما وعند وصولهما الى الدفلاي في ١٨ اغسطس سنة ١٨٨٨ كان فضل المولى احد ضباط السود العظام قد حضر من نقطة فبو الشرقية فالتقى القبض عليها وحبسها ثم عقد مجلساً من الضباط فعزل امين عن منصبه وسمي حامد أغا مديراً على خط الاستواء مكانه وسليم بك مطر قومنداناً للاورطة الثانية

سرية عمر صالح الى خط الاستواء سنة ١٨٨٨

وانهم كذلك اذ ورد خبر من الشمال في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٨٨ انه قد وصل اللادوسرية من الدراويش في ثلاثة وابورات وتسعة مراكب . وبعد يومين جاء الدفلاي ثلاثة من الدراويش ومعهم كتاب من عمر صالح امير السرية الى امين باشا يخبره بما جرى في السودان ويدعوه الى التسليم وتحرير الخبر ان الخليفة لم يبرح من باله ان بلاد خط الاستواء كانت لا تزال

يد امين وقد زين له اصحابه فتحها لكثرة ما فيها من سن الفيل والعيد الصالحين
 للانتظام في الجيش . وكان قد نوى فتحها بعد فتح سنار ولكن شغلته حوادث ام
 درمان والحدود المصرية وكردوفان ودارفور والقلابات المار ذكرها فلما انتهى منها
 أوكد جهاز سرية مؤلفة من نحو ١٥٠٠ من اخلاط الجعليين وعربان النيل ومسيهم ٧٠٠
 بندقية من رمنتون وغيره وعقد لواءها لعمر صالح وهو جعلي مترب في شكا ومتزوج
 من الرزيقات واصحبه ثلاثة وابورات وتسعة مراكب والكاتب عثمان ارباب المار
 ذكره . وأوعز الى سلاطين باشا وجورج استمبولي وبولس صليب فكتب كل منهم الى
 امين باشا كتابا اجمل فيه نصرات المهدي ونصحته بالتسليم وهذه هي صورة كتاب سلاطين :
 « وبعد فمن عبد ربه عبد القادر سلاطين الى حضرة المكرم محمد امين محمدي
 خط الاستواء وفقه الله الى الصواب * بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 نعلمك ان العارف لا يعرف وانك ذو عقل ودراية وتعلم ان ما شاء الله كان وما لم يشأ
 لم يكن . وقد اراد الله تعالى ظهور المهدي المنتظر « عم » وانتشار امره في
 جميع الاقطار . وبلغك ما حصل له من النصر على جيوش الحكومة في جزيرة أبا
 وجبل قدير . ثم زحف على كردوفان فافتحها واهلك من فيها من العساكر .
 وارسلت عليه الحكومة جردة برئاسة علي بك فقتلها . ثم ارسلت عليه الجيش المصري
 بقيادة هكس باشا الى كردوفان فاهلكه « عم » في ربع ساعة بجميع من معه من ضباط
 مصريين وأورباويين وفيهم علاء الدين * ثم بعد قتل المذكورين حرر الينا مكاتبات
 ونحن اذ ذاك بجهة الغرب بدارة فحررنا اليه ردها بالاذعان والتسليم ثم حضر الجيش
 المعين لجهتنا فلما تراءى لنا وجه الحق خرجنا اليهم من الاستحكام الذي عملناه في
 دارة وسلمنا الامر للمهدي وجميع ما معنا من اشيء الميري سلمناه لهم واعطيت لنا جميع
 املاكنا من خيل ورقيق ومصوغات وغيرها . ثم توجهنا معهم الى مديرية الفاشر وكان
 فيها السيد جمعه فسلمناهم جميع ما فيها من اشيء الحكومة . وكذلك سلمنا مديريات
 كلكل وكبكية وام شنقه . ثم توجهنا لمقابلة المهدي « عم » وخليفته عليه الرضوان
 فقابلناهما واخذنا البيعة وحصل لنا من الاكرام والاحترام ما سرنا وشرح صدرنا »

وتوجهنا مع جيش المهدي الى الخرطوم وحين وصولنا حررنا كتاباً الى الفردون وعرفناه
 بما شاهدناه في جيش المهدي واعلمناه بما حصل لنا من الاكرام وطلبنا منه ان يفعل
 مثل ما فعلنا فآبى ومكر . وحرر اليه المهدي « عم » انذاراً وأمنه على نفسه فأعرض
 عنه فأمر المهدي « عم » وخليفته عليه الرضوان الجيش باقتحام خندق الخرطوم وكان
 فيه من العساكر ما ينيف على الف مقاتل من جهادية وملكية وغيرهم وفي ساعة واحدة
 قتل الفردون وجميع الضباط والعساكر والتجار وما نجا منهم الا طويل الاجل وصارت
 الحكمارية في حوزة المهدي بجميع ما فيها من الاسلحة المتنوعة والجباخين والمدافع
 والصواريخ والخزائن * ثم ارسل جيش لفتح سنار وآخر لفتح كسلة ففتحتا * وفي
 اثناء اقامة المهدي « عم » وخليفته بجهة كردوفان والبحر ارسلت الحكومة ما ينيف
 على خمس وعشرين جردة بطريق سواكن فخذلت جميعها على يد جيش المهدي المقيم
 بتلك النواحي وقتل جميع ضباطها من باشوات وغيرهم كما كر باشا واستورت واستورت
 الثاني وغيرهم وخربت جميع مراكز الحكومة مثل بربر وفشوده وفازوغي ودنقله
 والقلابات * ثم بعد هلاك الجردات المصرية ارسلت الحكومة الانكليزية عدّة
 جردات بطريق دنقله وسواكن ققتلت ايضاً وما رجع منها الى القطر المصري الا
 النذر اليسير * وفي شهر جمادى الاولى من هذه السنة وجّه جيش وافٍ يضاهي ١٢٠
 الفا من طرف سيدنا خليفة المهدي « عم » لغزو الحبشة فدخلها واهلك من جيوشها
 عدداً وافراً وغنم جميع ما معهم من الاسلحة والمدافع والخيول والبغال وكان جيش
 الحبشة تحت رئاسة النفس راس عدار واحضرت نساؤهم واولادهم حتى اولاد راس
 عدار ذاته وقد أحرقت مدينة غندر وهدم ما فيها من الكنائس والقصور . والآن
 حضر ابن النفس تادرس طالباً الامان فاعطيه وهو الآن في البقعة بمعية سيدنا خليفة
 المهدي « عم » وصار الحبشة يأتون افواجا للمهدي مسالمين ومسلمين * ولما صار جميع
 جهات السودان من دار برقو والى وادي حلفا في قبضة المهدي أرسلت الجيوش الكافية
 لفتح الجهات البحرية وقد وصل اوائل الجيش بقرب كورسكو وهجم على النقط التي في
 جوار المركز المذكور وقتل من فيه من العساكر وضبط رؤساء النقط المذكورة واحضروا

الآن الى خليفة المهدي « عم » وهذا الجيش الذي وصل بقرب كورسكو هو المعين بطريق المرات واما الجيش المعين بطريق دتقله فهو الآن في حلقا * وبما ان المهدي لا قصد لها الا هداية العباد قد حرر سيدنا خليفة المهدي « عم » انذارات الى السلطان عبد الحميد وتوفيق والي مصر وفكتوريا ملكة الانكليز فان اذعنوا وسلموا فقد حازوا السلامة وان اعرضوا فلا بد من هلاكهم اسوة من تقدمهم من رؤساء الحكومة * ولما توجهت انظار سيدنا خليفة المهدي « عم » لخلاصكم مما انتم فيه وانضمامكم الى جيش المهدي استأذناه في مخاطبتكم لسابق مودتنا معكم فاذن لنا « رضه » وحررنا اليكم هذا لتعلموا حال الحكومة وانشغالها بنفسها عنكم فعليكم قبول اوامر خليفة المهدي « عم » وايامكم والاعراض عنها فانه ما اعرض عن اوامره احد الا ذاق شديد النكال لان امر المهدي هذا من الله ورسوله فلا يستطيع احد من المخلوقين ان يقاومه كما شاهدنا ذلك بأعيننا ونحمد الله تعالى ونشكره على ما أولانا من الاسلام والتسليم والاندراج في سلك المهدي وخرجنا من الظلمات الى النور * فان اردتم السلامة فافعلوا كما فعلنا ولا تظنوا انكم تقاومون المهدي التي امرها دولة مصر والانكليز فضلاً عن كان مثلكم منقطعاً في بلاد العبيد وما كتبنا هذا اليكم الا حباً بسلامتكم فان سمعتم نصيحنا وسلمتم للمهدي فقد حصل المقصود وسنجتمع ان شاء الله تعالى ونصير يدًا واحدة في خدمة المهدي فتشكرون صنيعنا وتعلمون محبتنا لكم وان اعرضتم فأنتم الجانون على انفسكم . وبلغوا سلامنا الى جميع من معكم من الضباط والعساكر وها نحن منتظرون رد الجواب لنعلم ما انتم عليه ليطمئن قلبنا من جهتكم . ثم نعلمكم ان عبد الله لبث قد توفي الى رحمة مولاه (هذه السنة) بالحمى . وطيه صورة ما تحرر من خليفة المهدي « عم » الى السلطان وتوفيق والانكليز للاطلاع عليها سنة ١٣٠٥ هـ ، اه

فحمل عمر صالح هذه الكتب وخرج بالجيش والوابورات من أم درمان في ١٨ يونيو سنة ١٨٨٨ فوصل اللادو في ١١ اكتوبر فوجدها خالية من العساكر ولكته وجد فيها كثيراً من سن الفيل فارسله الى ام درمان . وسأل عن امين باشا فعلم انه في الدفلاي وان اول جيشه في الرجاف فارسل اليه ثلاثة رسل بكتاب يدعو

الى التسليم كامراً ويخبره بكتاب سلاطين له قتل العصاة الرسل وصمموا على الحرب
 (واقعة الرجاف الاولى) وكان عمر صالح بعد ان ارسل الرسل ترك حامية
 صغيرة في اللادو مع الواورات وتقدم بمعظم جيشه الى الرجاف فخرج اليه حامد آغا
 في قلعين فزمه ودخل الرجاف فاستحوذ على النساء والاولاد وغنم مدفعين و ١٨
 صندوق من الجبخانه وكثيراً من الاسلحة والامتعة والحبوب والرقيق والمواشي
 (واقعة الرجاف الثانية في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٨٨) ثم جمع حامد اغا شتات
 جيشه وعاد به لاسترجاع الرجاف فخرج اليه عمر صالح الاثنين في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٨٨
 قتله وقتل نفرًا من عسكره وضباطه وفيهم علي جبور ونجيت من الضباط السودانيين
 وسالم خلاف وعبد الوهاب طلعت من الضباط المصريين وحسن لطفي الكاتب .
 وكانت خسارة عمر في الواقعة الاولى ١٠٦ قتلى وفي الثانية ٧ قتلى و ٣ جرحى
 (خروج امين وجفسن من السجن) هذا ولما بلغ النقط الجنوبية خبر هاتين
 الواقعتين اضطربوا وارتاعوا واخذوا يستعدون للدفاع فاغتنم انصار امين من الموظفين
 الملكين وغيرهم فتوسطوا له عند العصاة فخرج هو وجفسن من السجن واخذ النساء
 والاولاد والموظفين الملكية وفيهم عثمان بك لطيف وكيل المديرية وسار جنوباً الى ودلاي
 (حصار الدفلاي) وتقدم عمر صالح لفتح الدفلاي وكان قد اجتمع في طايتها
 بقية الاورطة الاولى ومعظم الاورطة الثانية بقيادة سليم بك مطر فأقام على حصر هامة
 ثم رجع مخذولاً الى الرجاف بعد ان قتل نحو ١٤ ضابطاً من ضباطها وهالك ما كتبه
 الى الخليفة في ١٣ ربيع آخر سنة ١٣٠٦ هـ ١٧ ديسمبر سنة ١٨٨٨م بهذا الشأن :
 « وبعد فمن عبد ربه عمر صالح الى القائم بامر الله خليفة المهدي « عم »
 الخليفة عبد الله بن محمد . . . بعد الفراغ من محاربة حامد محمد مأمور ادارة خط
 الاستواء فجميع الكفرة في محطات الشلال وكيري ومقي واللابوره توجهوا الى الدفلاي
 مركز المديرية وتركوا المحطات قاعاً صفصفاً . واعلمنا ان اميناً معهم بالمركز المذكور وهو
 الغرض المطلوب خرجنا بنفسنا ومعنا غالب الجيش تاركين باقية لمحافظة ديم الرجاف
 والواورات والعائلات والمريض من الاخوان وجددنا السير ثمانية ايام حتى وصلنا

الدفلاي فوجدنا أميناً قد توجه الى محطة ودلاي ومعه البض من النصارى واولاد
الريف المائلين اليه واما العساكر والضباط من السودان واولاد الريف فقد اقاموا في
قيقرة الدفلاي فكاتبناهم ثلاث مرات واخبرناهم بما معنا من المكاتبات الشريفة
الصادرة اليهم من السيادة وعرضنا عليهم ان نرسلها اليهم فلم يفيدونا بسوى قولهم
« انتم خطرية » فحاصرناهم ليلاً ونهاراً قريباً منهم جداً حتى كنا منهم بمرأى ومسمع .
وبعد ثلاثة ايام خرجوا قلعة فحمل عليهم الانصار حملة رجل واحد فولوا هاربين
ودخلوا قيقرهم . فلما كان اليوم الرابع من الحصار اي يوم الاربعاء في ٢٤ ربيع الاول
سنة ١٣٠٦ اجتمع الاخوان على مهاجمتهم في القيقرة فحمل عليهم تسع رايات ٠٠٠
وبعض الجهادية ليلاً قبل طلوع الفجر وحصروا القيقرة من الجنوب وحصرها باقى
الرايات من الجهة الغربية وعند ما صلوا الصبح حملوا على القيقرة حملة رجل واحد
فوجد بعض الاخوان الذين هاجموا من الجنوب سبيلاً الى الدخول بعد مخاطرة
جسيمة وتعذر ذلك على باقى الجيش لان القيقرة كانت محصنة بخندق عظيم ولها ابواب
محكمة فاجتمع الاصحاب على الباب الجنوبي يضربونه بالفؤوس والسيوف فما اراد الله
فتحه لشدة متانته ولا اراد الانصار الرجوع فتمكن اعداء الله منهم وصاروا يرمونهم
بالرصاص حتى استشهدوا جميعاً هم وروؤوس الرايات الثمانية وكان الواحد منهم يقول
لصاحبه تقدم على الكفرة فانا شهيد فيجيبه صاحبه وانا ايضاً شهيد ولما لم يجدوا للدخول
سبيلاً وخشية من ان يراهم الله مدبرين من اعداء الله كان يقبض الواحد منهم على
يديه كاقباض المصلي ويطرق استحياء من ان يراه الله مدبراً عنه حتى استشهدوا
جميعاً بهذه الحالة . واما راية آدم جاد الرب التاسعة فقد نجحها الله بصاحبها . واما
الذين دخلوا القيقرة من الاصحاب فانهم مع قلة عددهم اختلطوا بالعساكر داخل القيقرة
وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ودخل بعضهم الوابور فقتلوا قبطاناً وجميع من فيه حتى ضرب
الاعداء بوريهم وتجمعوا على الاصحاب من كل جانب فاستشهد منهم من استشهد
وسلم من اراد الله سلامته . ويوم الجمعة اي بعد الواقعة يومين خرجوا قلعة فما حمل
الانصار عليهم حتى رجعوا الى قيقرهم . وفرغت الجبخانه منا في زمن الحصار والوقعات

الثلاث فلم يبقَ منها إلا جانب يسير ومع ذلك ما زلنا مصممين على محاصرتهم حتى
 اتانا خبر بان الترك الذين بمكركة متحركون على ديم الرجاف وقد ارسلوا لهم طلائع
 من العبيد فاستصوبوا الرجوع لوقاية الديم فوجدناه بحمد الله سليماً والطلائع موضوعة
 في الحديد ونحن الآن مقيمون بديم الرجاف على احسن حال . . . والسلام اه
 هذا وكان عمر صالح قد علم بمجيئ ستنلي لانتقاد امين وحبس العساكر لامين
 وجفسن في الدفلاي ورفضهم الذهاب الى مصر فكتب في ذلك الى الخليفة وكان قد
 ارسل اليه تفاصيل واقعتي الرجاف وبعض الغنائم فلخص الخليفة هذه الكتب وارسلها
 الى محافظ سواكن اشهاراً للنصر فقلقت الافكار في مصر بشأن ستنلي وامين مدة
 وفي ٤ ديسمبر شاع في ودلاي ان الدفلاي سقطت في ايدي الدراويش فخرج
 امين باشا بمن معه من الملكية والاتباع وفيهم كازاتي وجفسن وسار جنوباً الى تنقرو
 فاقام فيها ينتظر ستنلي وفي ١٨ يناير سنة ١٨٨٩ عاد ستنلي بجملته فعسكر في كفالي
 غربي البحيرة وبعث في طلب امين وقومه فشق على امين رجوعه الى مصر بدون
 عسكره فكتب الى سليم بك مطر وهو ارشد ضباطه واعقلهم ملحاً عليه بالمجيئ مع
 سائر الضباط لمقابلة ستنلي وكان الضباط قد سمعوا ان ستنلي عاد في المرة الثالثة بقوة
 عظيمة فخافوا اذا لم يصدعوا بالامر ان يزحف ستنلي عليهم من الجنوب واندراويش
 من الشمال فيصبحوا بين نارين فجاء سليم بك ومعه ١٤ ضابطاً في وابوري الخديوي
 ونازلة الى امين باشا في تنقرو فاعتذروا له عما فرط منهم فسامحهم وذهب بهم الى
 ستنلي فعقد معهم مجلساً اقروا فيه على السفر من كفالي بطريق زنجبار في ١٠ ابريل
 سنة ١٨٨٩ ومن تأخر عن الميعاد تركوه . ورجع الضباط على ان يعودوا بالعساكر
 في الميعاد او قبله ولكنهم لما رأوا ستنلي آتياً بنفر قليل ورأوا الدراويش قد استكنوا
 في الرجاف اعتصب اكثرهم برئاسة فضل المولى وعادوا الى رأي البقاء حيث هم .
 على ان سليم بك مطر كتب الى امين باشا بانهم لا يزالون مصممين على السفر وسأله
 انتظارهم فطلب امين تأجيل السفر ٣ اشهر فرفض ستنلي ذلك بتاتاً وبلغه ان بعض
 المهاجرين في المعسكر قد رغب عن السفر فصنفهم صفاً واحداً وقال من اراد البقاء هنا

فليخرج من الصف فبرز له واحد فامر بسجنه في الحال واقر الباقون على السفر وكان عددهم ٦٠٠ نفس وعدد نفوس الحملة كلها ١٥٠٠ . فلما جاء الميعاد المضروب للسفر خرج ستنلي بامين والحملة من كفالي وسار في طريق زنجبار فاصابته حمى في مازمبوني فتأخر فيها الى ٨ مايو وما خرج منها حتى وصله رسول من سليم بك مطر يخبره بانه آت على اثره ومعه ٨٠٠ رجل ما عدا النساء والاولاد ويسأله انتظاره قليلاً فبعث اليه في الجواب « ان اسرع في السير فتدركني لاني اسير على مهل واما ان انتظرك ولو دقيقة فلا » * وبقي دائباً في السير حتى وصل زنجبار في ٦ ديسمبر سنة ١٨٨٩ وذهب منها الى مصر فبلاد الانكليز فكتب تاريخ رحلته هذه في مجلدين ﴿ وفاة سليم بك مطر ﴾ واما سليم بك فانه وصل بجماعته الى كفالي فخل فيها الى ان اتاه الكبتن لوجارد من رجال الشركة الانكليزية في شرقي افريقيا فاخذه الى اوغنده فوجد من رجاله من اراد التجنيد في خدمته وارسل الباقي الى مصر ثلة بعد ثلة فوصل اولهم في ٩ يونيو سنة ١٨٩٢ وآخرهم في مارس سنة ١٩٠٣ . واما سليم بك فقد وافته المنية في اوغنده وهو على اهبة السفر الى مصر

﴿ وفاة امين باشا ﴾ اما امين باشا فانه لم يذهب مع ستنلي الى مصر بل بقي في زنجبار فدخل في خدمة الالمان وعاد الى خط الاستواء فمر بكفالي في ابريل سنة ١٨٩١ قبل سفر سليم بك منها فأحب ان يجند عسكره في خدمته فأبوا لهم انه ترك الحكومة المصرية فسار في مهمته الى الكونغو فاعترضه بعض العبيد في الطريق وقتلوه ومن كانت منيته بارض فليس يموت في ارض سواها

وبقي في خط الاستواء خصبان عنيدان عمر صالح في الرجاف وفضل المولى في الدفلاي ثم انتقل هذا الى ودلاي ودخل خدمة البلجيك فبقي حتى قتله الدراويش كما سيجي هذا وقد اصبح التعايشي بعد فتح خط الاستواء سيد السودان المصري كله من حلفا الى الرجاف شمالاً وجنوباً ومن سواكن الى وداي شرقاً وغرباً وكان قد اقم جميع مقاوميه في السودان فبلغ الآن اعالي مجده ثم اخذ نجم سعده في الأفول الى ان دالت دولته وانقضى امره . وكان بدء سقوطه انخذه في غزوة مصر كما سيجي

الفصل التاسع

في

﴿ وقائع الحدود ودنقله وفيها غزوة النجومي لمصر سنة ١٨٨٩ : ٦ ﴾

﴿ وقائع الحدود سنة ١٨٨٩ : ٦ ﴾

﴿ تخريب سكة الحديد بين حلفا وعكاشه سنة ١٨٨٦ : ٥ ﴾ تقدم لنا ذكر اخبار الحدود الى ان خرج الانكليز منها سنة ٦ : ١٨٨٧ وتركوها لحماية الجيش المصري بقيادة سرداره الهام غرنفيل باشا . وكان على دنقله اذ ذاك عبد الرحمن النجومي يستعد لغزوة مصر . وقد ارسل مقدمة جيشه بقيادة النور الكنزي الى الحدود فوصل سرس في ٩ نوفمبر سنة ١٨٨٦ . وكان محمد الخير قد خرب سكة الحديد بين عكاشه وسرس سنة ١٨٨٥ فحربها النور الكنزي بين سرس وعبكه في اواسط نوفمبر سنة ١٨٨٦ واحتل عبكة . وكان آخر نقطة للجيش في خور موسى باشا فأخذ النور الكنزي بعض رجاله واقتلع بعض قضبان سكة الحديد بين خور موسى وحلفا . وكان قومندان الحدود اذ ذاك الجنرال مونتورنسي فساق الجنود وقصده الى عبكه ففر امامه الى جنوبي سرس ثم عاد الى سرس وديم فيها

﴿ واقعة سرس في ٢٨ ابريل سنة ١٨٨٧ ﴾ فبلغ خبر عودته تشرمسيد باشا قومندان حلفا في ظهر ٢٧ ابريل سنة ١٨٨٧ فجهز سرية من العساكر الطوبجية والسواري والمشاة والباشبورق الشايقية وسار بهم ليلاً الى سرس قصد مباغتته المهجوم . وما طلع فجر ٢٨ ابريل حتى كانت العساكر قد احدثت بالبلدة من الجهات الثلاث ومن الجهة الغربية النيل . وكان النور الكنزي قد عسكر في سفح تلة هناك وجعل رجاله المسلحين بالاسلحة النارية في برج على التلة بناء الجيش قديماً فأمر تشرمسيد الطوبجية فصبوا القنابل نحو البرج فهدموه ثم امر الباشبورق الشايقية وكانوا نحو ٧٠ رجلاً فتسلقوا التلة وقتلوا من كان في البرج . وفي اثناء ذلك هاجم النور الكنزي فأوقع الفشل في ديمه وقتله هو ورجاله وكانوا يزيدون عن ٢٠٠ رجل فلم

يقلت منهم احد . واما خسارة تشرمسيد باشا فكانت ٢١ قتيلاً و ٣٠ جريحاً
 ﴿ محييء عبد الحلیم مساعد الى الحدود سنة ١٨٨٧ ﴾ ولما بلغ النجومي خبر هذه
 الكسرة ارسل الى الحدود جيشاً قوياً بقيادة عبد الحلیم مساعد فبنى ديماً في فرقة
 وارسل مقدمة جيشه فاحتلت سرس في ١٨ يونيو ثم لحقها بجميع الجيش في ١٨
 ديسمبر سنة ١٨٨٧ فاجتمع عنده هناك ٢٨٠٠ مقاتل فيهم ٢٠٠ فارس و ١٠٠ هجان
 ﴿ غزوة دراويش أبي حمد للكلابشة في ٢٥ فبراير سنة ١٨٨٨ ﴾ هذا وكان
 الخليفة قد جعل حامية في بوغاز أبي حمد لرصد حركات الجيش في كورسكو وعهد بها
 الى الحسن محمد خليفة فبلغه ان في شرقي الكلابشة نقطة للبوليس المصري عليها الملازم
 محمد فني فركب بجماعة من انصاره وهجم على النقطة في ٢٥ فبراير سنة ١٨٨٨ فقتل
 بعض البوليس واختطف الملازم وعاد به الى أبي حمد ثم ارسله الى أم درمان فسرّ
 به التعايشي سروراً عظيماً وخرج به الى ساحة « العرضة » فاستعرض جيوشه امامه ثم
 ارسله الى القلابات ليرى جيوش أبي عنجه واعاده الى أم درمان * وجعل السردار
 سنة ١٨٨٩ نقطة من العبادة المليكاب في آبار المرات برئاسة صالح بك خليفة لتكون
 في صدد بوغاز أبي حمد كما سيحيي فسعى قلم المخابرات مع صالح بك فانقذ الملازم محمد
 فني من قلب أم درمان وأتى به مصر بطريق المرات في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٩٢
 ﴿ غزوة دراويش سرس لارمنة في ٥ ابريل سنة ١٨٨٨ ﴾ ولزج الى
 الدراويش في سرس فان الزاد الذي اتوا به من دقله نقد ولم يكن في بلاد
 سرس الا الحجارة وبعض اشجار النخيل فقطعوا تلك الاشجار واكلوا جوفها وبعثوا
 في طلب الزاد من دقله فأبطأ عليهم . وفي ٢٢ مارس اتاهم مدد مؤلف من ٥٠٠
 مقاتل بلا زاد . وكان امر الخليفة لهم ان يبقوا محافظين على الرباط فلا يباشرون
 حركة عدائية حتى يصلهم النجومي بجيشه فلما جاعوا عصوا الامر واصبحوا كالذئاب
 الخاطفة يشنون الغارة على بلاد الحدود فيقتلون وينهبون ويعودون الى ديمهم في
 سرس . وفي ٥ ابريل سنة ١٨٨٨ غزا جماعة منهم ارمنة على ٥٠ ميلاً شمالي حلفا
 فانتهبوا ماشيتها وقتلوا ٣ من اهلها وعادوا الى سرس

﴿ غزوة التوفيقية في ١٩ يوليو سنة ١٨٨٨ ﴾ وفي ١٩ يوليو سنة ١٨٨٨ هجمت سرية منهم على التوفيقية وهي مدينة استحكام حلفا فانتهبتها وقتلت من اهلها وعادت الى سرس غنمة . وقد دعر اهل التوفيقية ذعراً شديداً عند رؤية الدراويش فرموا بأنفسهم الى النيل وكان عند شاطئه ٢٠ مراكباً فنزلوا فيها وعبروا الى جزيرة تجاه البلدة ففرق ثلاثة مراكب فيها ١٣٧ نفساً . وما وصل خبر الدراويش الى حامية حلفا حتى كانوا قد ابعدوا جنوباً فركب بعض السواري والمهجانة في اثرهم فلم يدركوهم

﴿ مهاجمة طاية خور موسى في ٢٩ اغسطس سنة ١٨٨٩ ﴾ وهذا النصر الذي ناله الدراويش عند انف الاستحكام جراًهم على مهاجمة الاستحكام نفسه في ٢٩ اغسطس سنة ١٨٨٨ خرج ٥٠٠ رجل منهم بقيادة عبد الحفيظ وهجموا على طاية خور موسى قصد اخذها فقتلوا الخفير على الباب فاستيقظ وكيل الخفراء وفتح الباب مذعوراً ليعلم ما الخبر فقتلوه هو ومن معه من الخفراء ودخلوا الطاية نصف الليل . وكان فيها بلوكان من الاورطة السابعة المصرية وبلوك من المهجانة عليهم البكباشي عبد الغني فؤاد قومنداناً فبعث عبد الغني رسالة تليفونية الى ود هوس باشا قومندان العساكر في حلفا فارسل في الحال وابوراً حرياً في النيل ونفراً من العساكر في سكة الحديد بقيادة ماتشل بك . وكان الدراويش قد احتلوا الجهة الجنوبية من الطاية وتجمع لهم العساكر مع القومندان في الجهة الشمالية فاخذ الوابور يرمي قنابله على الجهة التي فيها الدراويش الى ان وصل ماتشل بك فاحاط جهتهم بمعظم العساكر واتى بالباقيين الى باب الطاية ففتح عليهم ناراً دائمة فذعروا وتسلقوا الجدران قصد الفرار فلتقاهم العساكر الذين كانوا متربصين لهم خارج الطاية ودخل ماتشل الطاية فنقاها منهم . وكانت خسارتهم في تلك الليلة ٨٥ قتيلاً وكثير من الجرحى . واما خسارة الجيش فكانت ١٩ قتيلاً و ٢٤ جريحاً

﴿ غزوة صحابة وارجين في ١٥ ابريل سنة ١٨٨٩ ﴾ وبقي الدراويش في سرس مدة بعد هذه الكسرة لا يحركون ساكناً حتى عاد النجومي من ام درمان على نية غزو مصر فجددوا الهمة وكان لهم نقطة امامية في عبكة ونقطة تجاهها في معتوقة

فلما كان يوم ١٥ ابريل خرج جماعة عبكة على صحابة على ٦ اميال شمال حلفا وجماعة
معتوقة على ارجين تجاه صحابة فانتهبوا ماشية البلدتين وعادوا قبل ان تدركهم العساكر
غزوة ديرة في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٩ هـ وفي ٢٩ من الشهر المذكور خرج
جماعة منهم ليلاً قاصدين ديرة على نحو ١١ ميلاً شمالي حلفا وكان الجيش قد اخرج
الوابورات في النيل لحماية البلاد شرقاً وغرباً بين حلفا وكورسكو فلم يهجم البكباشي دنن
قومندان احد الوابورات فاسرع لنجدة البلدة ولكن الدراويش كانوا قد دخلوها
قبل وصوله فاختطفوا ما استطاعوا من الماشية والامتعة وساقوا بعض الاهالي اسرى
وانقلبوا راجعين فاسرع البكباشي دنن الى حلفا واخبر ود هوس باشا بما كان فأصدر
امره في الحال الى هكن بك فخرج بمئة فارس وكن لهم في طريقهم الى سرس على
٣ اميال من حلفا . وفي فجر ٣٠ ابريل اطل الغزاة وكانوا نحو ٥٠ رجلاً وقد ركب
بعضهم الابل وبعضهم الخيل والباقيون مشاة وهم يسوقون امامهم الماشية والاسرى
فأغار عليهم هكن ورجاله حتى صاروا على ٣٠٠ يرد منهم فزلوا عن خيولهم واصلوم
ناراً حامية ثم ركبوا خيولهم واقتحموهم ودخلوا بينهم واعملوا فيهم السيف وقد
صالوا عليهم حتى كانوا يلتقطون حراهم من الارض ويطعنونهم بها . وهجم اميرهم
ود رحمة على باشجاويش من السواري يدعى حسن محمد الفقي (الآن يوزباشي)
فقطعته بجرية في جنبه فاخرج حسن الحربة من جنبه وانشبه في صدر ضاربه فصرعه
وبلغ ود هوس خبره فاوصى به فرقي الى رتبة ضابط . وقد اظهر الفرسان المصريون
في هذه الواقعة خبرة تامة في استعمال الحراب فادخل السردار المزراق في سلاح
السواري من ذلك العهد فجعل نصفهم بالسيوف والنصف الآخر بالمزاريق . ولم يفلت
من الدراويش في هذه الواقعة الا طويل الاجل وقد اسر العساكر منهم ثمانية رجال
وانقذوا اسرى ديرة وعادوا الى حلفا مكملين بالظفر .

غزوة سرّا الغرب في ٩ مايو سنة ١٨٨٩ هـ ومع ذلك لم يكف الدراويش
عن التعدي والغزو ففي ٩ مايو سنة ١٨٨٩ هـ خرج عبد الحفيظ شمت بنحو ٦٠٠ رجل
وهجم سرّا الغرب فقتل واسر وغنم ولكن علم به ود هوس فانجد البلدة وانقذ الاسرى

❦ وقائع دنقلة سنة ٧ : ١٨٨٩ ❦

❦ وقوع النزاع بين النجومي وقيدوم ❦ تقدم ان التعايشي ارسل مساعد قيدوم من اهله ليكون وكيلًا للنجومي في الظاهر ورقياً عليه في الباطن فنارعه السلطة ولم يسمح له ان يقطع امراً الا بمشورته فعظم ذلك على اعز ابيكار المهدي وفاتح الدائر والخرطوم وقائد السرية المصرية فاستأذن الخليفة وخرج من دنقلة الخميس في ٢٢ مارس سنة ١٨٨٨ فاتي ام درمان وبسط شكواه من قيدوم فتصام الخليفة عن سماعها وجلس النجومي عنده مدة قصد تذليله وتعويده على الرضى بالحال التي يرضاها له حكى لي من اثق بصدقه : ان الخليفة التفت الى النجومي في بعض جلساته في الجامع وقال انت يا ولد النجومي « ماك هين لكن هوين » اي اسمك كبير ولكن فلك صغير وكرر ذلك مراراً ثم التفت الى الهادي دفع الله من كبار الحلاويين وقضاة الفتح الاول وقال : « يا الهادي اذا كان الرئيس هوين ولكن مو هين اما يضر الجيش فقال الهادي : في المثل السائر يا مولاي « ان الف ثعلب يقودهم اسد خير من الف اسد يقودهم ثعلب » فضحك الخليفة حتى استلقى على قفاه وقرب الهادي فجعله قاضياً من قضاة فاعتاظ النجومي من ابتذاله امام الجمهور وقال لاصحابه لا خير في العيش بعد هذا فاذا لقيت العدو رميت بنفسي في نحره ومت موت الشهداء ثم اذن له الخليفة فرجع الى دنقلة فوصلها الاثنين في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٨ ورجع الى النزاع مع قيدوم فكتب قيدوم يشكوه الى الخليفة بما نصه : « وبالتفحص في حاله وجدنا ان المذاكرات التي سمعها من جنابكم شفاهاً ما اثرت فيه ولا هو راض بما في الاوامر الرسمية المحررة اليه بل ازداد من جهتا بغضاً ولا زال منظوياً على غير المطلوب وعلى قدر ما سعيننا في الطريقة التي تحجب اليه الجيش فهو لا يزال صاداً عنها ونيته بخلاف نيتنا فان كانت السيادة مؤملة فيه نصره الدين والقيام باحوال الجيش فلا نرى لذلك سبيلاً لعدم عمله بشروط النصره وواجباتها وعدم صفاء نيته . وقد تداولنا معه قريباً في مصالح الدين فقلنا له في عرض الكلام انت رئيس الجيش فاعرض عن هذه الكلمة وقال ان رئاستي ليست

برئاسة بل هي عملية وهو لا يزال متضجراً ويتلفظ برغبته في الرجوع . . . وهذه الحالة لا تحصل بهاراحة ولا يمكننا السكوت عليها فلزم رفعها لجنابكم للمعلومية سنة ١٣٠٦ هـ (تسمية يونس الدكيم عاملاً على دقله) فأرسل الخليفة ثلاثة أمراء وهم ابراهيم الحاج ومكي ابو حراز والهادي دفع الله فنظروا في الخلاف بين النجوي وقيدوم ورفعوا تقريرهم اليه فاستدعى قيدوم الى ام درمان وارسل يونس الدكيم المار ذكره عاملاً على دقله وامر النجوي بطاعته

✽ غزوة النجوي لمصر سنة ١٨٨٩ ✽

وكان التعايشي قد استراح من المشاغل الداخلية واستتب له الأمر على حدود الحبشة ودارفور وخط الاستواء فباشر الآن ما طالما جاهر به من غزو مصر بدهاء عجيب فانه امر النجوي فسلم جميع الجهادية والاسلحة والذخائر الى يونس الدكيم ولم يبق مع النجوي الا الجيوش والامراء الذين لا يأمن جانبهم اولاً يهمة ناشوا أو ماتوا وبقي يونس في دقله بجيش قوي بحجة المحافظة على دقله ونجدة النجوي عند الاقتضاء متوقعاً للنتيجة حتى اذا فاز النجوي لحقه وانتفع بنصره والا بقي بالجيش المصفي في دقله

وكان الخليفة قد كتب الى مشايخ العبادة وبعض اهالي الصعيد للخروج عن طاعة الترك والقيام معه للجهاد تمهيداً لجيوشه الزاحفة لغزو مصر . . . ونما كتبه بتاريخ ٢٥ محرم سنة ١٣٠٦ هـ ١ اكتوبر سنة ١٨٨٨ م الى بشير مصطفى ابي جبران : « . . . وبعلمك ان المهدي قد اتسعت دائرتها وشاع في بلاد الله امرها وقد التفت الآن لفتح الجهات البحرية والشروع في توجيه الجيوش اليها بعون رب البرية ولا بد من وصولها لجهاتكم عن قريب فيلزم ايها المكرم ان تكون في غاية الاهبة والاستعداد والتحزب لجهاد اعداء رب العباد فانا بالنظر لما بلغنا عنك من علو الهمة وتصديق المهدي عليه السلام اخترناك ان تكون عاملاً من طرفنا على اهالك العشاباب وجميع من تبهم وحررنا لك هذا بالعمالة عليهم وامرنا المكرم محمد بحر كرار بموازرتك على ذلك ومساعدتك على تنفيذ اشارتنا والقيام بأمرنا في

تأييد الدين وجهاد الكافرين فيلزم اول وصول كتابنا هذا اليك ان تنبه على اهلك
كافة بالتحرب والاستعداد لجهاد اعداء رب العباد بحيث اول ما يبلغكم قدوم الجيوش
من دقله الى جهات حلفا تنفصلون عن اعداء الله وتأخذون في شن الغارة عليهم
وقطع طرق المواصلات عنهم ومناجزتهم الحرب والانحياز الى جيش المهديية
وكتب الى اهل دقله يستنفرهم الى الجهاد فضرب على كل ساقية رجلاً نشيطاً
يقوم مع النجومي لغزو مصر * وكتب الى محمد الخير في بربر وعلي ود سعد في المنة
ان يجمعا الجيوش بمثل هذه الضريبة ويلحقا بود النجومي

فخرج النجومي من دقله في ٣ رمضان سنة ١٣٠٦ هـ ٣ مايو سنة ١٨٨٩ م بجيش
مؤلف من ٤٠٠٠ مقاتل و ٧٠٠٠ من النساء والاولاد من اخلاط الجعليين والداقله
والبطاحين والفلاته والمولدين والبقارة ومعهم نحو ٣٠٠ بندقية و ١٠ مدافع و ٣٠٠
جواد و ٥٥٠ جمل و ٣٠٠٠ حمار * وكان قد جمع لهم الغلال والتمر في الكرمة فوزعها
عليهم للرجل الواحد ٣ قراريط ذرة و ٣ قراريط شعيراً و ٣ قراريط تمرًا وللأمير
اردب واحد من كل صنف . وسار بالبر الغربي مع علمه بأفضلية البر الشرقي ليتجنب
حصون الجيش . وقد اكتسح بلاد المحس وسكوت وساق اهلها كرهاً امامه لحمل اثقاله
وسار ببطء حتى وصل سرس بمقدمة جيشه في ٢٢ يوليو سنة ١٨٨٩ . وكان قد
كتب الى عبد الحليم مساعد فاستقبله غربي سرس ومعه من الانصار ١٢٠٠ مقاتل
و ١٠٠٠ من النساء والاولاد معهم ٣٠٠ بندقية و ٤ مدافع و ٥٠ حصان و ٥٠ جمل
وزحف النجومي بالجيش كله على معتوقة فوصلها في ٢٨ يونيو فاخذ بعض
الامراء وصعد على حجر ابي صير فكشف منه حلفا وحصونها ثم عاد الى المعسكر وهناك
قسم جيشه الى ثلاثة اركان : الركن الاول الجعليين والبطاحين وعليهم ابن اخيه
احمد بشير . والركن الثاني الداقله والمولدون وعليهم عثمان ازرق . والركن الثالث
البقارة من حمر وهبانية واولاد حميد ومسيرية وعليهم اسماعيل عبد الجايد من اولاد
حميد . وجعل عبد الحليم مساعد وكيلاً له في الجيش

فواقعة ارجين في ٢ يوليو ١٨٨٩ * وفي ظهر الاثنين في ١ يوليو تقدم بالجيش

طالباً ارجين شمالي حلفا بقصد الاستقاء منها فاحتل التلال المطلّة عليها ضحوة ٢ يوليو
وكان ود هوس باشا عالماً بجميع تحركاته ومستعداً لملاقاته وقد امر اهل العدو
الغربية من حلفا الى توماس على نحو ٧٠ ميلاً شمالي حلفا فقطعوا ثمر نخيلهم واخلوا
منازلهم وعبروا الى العدو الشرقية وبقى في حلفا يرقب حركاته فلما علم بخروجه من
معتوقة اسرع الى ارجين فحصنها . اما ارجين فهي بلدة مستطيلة تمتد على النيل نحو
اربعة اميال في وسط غابة من النخيل في طرفها الجنوبي طاية صغيرة على نحو ٣
اميال من حلفا وفي طرفها الشمالي بيت العمدة فحسن ود هوس البيت والطاية وجعل
اورطة من العساكر في مجموع من المنازل وسط البلدة وحصن طاية اشكات تجاه
بيت العمدة وبقى هوس مع بقية عساكر حلفا في اربع وابورات حرية وهي التمة والـ
طلح والتيب وتماي لتجدة النقطة التي يقع فيها القتال فاجتمع عنده من العساكر في
ارجين عدا اركان حربه ١٩٤٢ عسكرياً منهم ١٦٠ من السواري و ٥٠ من الطوبجية
معهم ٨ مدافع كروب و ١٣٠ من الهجانة والاورط السودانية التاسعة والعاشر
والحادية عشرة و ٢٣٢ رجلاً من القسم الطبي . وكانت تلال ارجين التي نزل بها
النجمي على ٥٠٠٠ يرد من النيل اي ضمن دائرة مرمى القنابل فلما اطل النجمي
امر ود هوس طوبجيته فرموه بالقنابل من الشرق والغرب والوابورات وكان جيش
النجمي في اشد العطش فرأى انه لا يتسنى له الوصول الى الماء الا بالقوة فأمر وكيله عبد
الحليم مساعد فأخذ ركن احمد البشير وفيه نحو ٣٠٠ مقاتل ومدفعاً واحداً وشارك في
خور متصل بالنيل تحت القنابل والرصاص حتى ورد الماء بين الطاية الجنوبية
والاورطة التي في وسط البلدة ونصب المدفع في محل مرتفع فأسرع ود هوس وانجد
الطاية والاورطة التي في وسط البلدة وحتم على العساكر طرد الدراويش من النيل
فصبوا عليهم الرصاص والقنابل من كل الجهات ثم هاجمهم في مراكزهم فدافعوا عن
انفسهم دفاع الابطال ودام القتال من الضحى الى قرب الغروب فكان النصر
للعساكر والهزيمة للدراويش وقد قتل من الدراويش نحو ٩٠٠ رجل وأسر ٥٠٠ وجرح
من امرائهم عبد الحليم مساعد وعثمان ازرق واصابت النجمي شظايا قنبلة وهو على

التلال البعيدة فجرحتة في فخذة وغنم الجيش مدفهم واسر نحو ٥٠٠ نفس من النساء والاولاد . واما خسارة الجيش فكانت ١١ قتيلاً و ٥٩ جريحاً . وقد كان بين قتلى الدراويش من الامراء ٢٥ وفيهم شيخ ادريس ود الهاشمي الجملي . قيل انه قال لاصحابه قبل الهجوم « هيا بنا نموت قبل ان نجثت » اي نضعف ونهزل جوعاً وبات النجومي ليلته على تلال ارجين فعقد في تلك الليلة مجلساً من الامراء قال عبد الحلیم الراي ان نرجع الى بلاد المحس الى ان يأتينا الزاد والنجدة من الجنوب لاننا عدنا القوت والماء والطريق امامنا مفازة قاحلة . عطشة والجيش يطاردنا فيمنعنا ورود الماء وجلب القوت . فقال النجومي لا والله لا ارجعن الى الورا الا محمولاً على الاكتاف فاذا عطشنا او جعنا فانما نحن في جهاد فلنتدفع بالصبر والثبات حتى نفوز بالنصر او بالشهادة قال ذلك وهز سيفه فوق رأسه فتحمس الامراء في المجلس وهزوا سيوفهم فوق رؤوسهم وانحازوا الى رأيه . وفي صباح الخميس في ٤ يوليوسنة ١٨٨٩ نهض من التلال واوغل في طريق الصحراء حتى تجاوز مرمى القنابل واستطرد السير شمالاً ولم يكن مع ود هوس ما يكفي من العساكر لمهاجمته في الصحراء فسار بجذائه في الواورات بقصد منعه ورود الماء . ومع ذلك فقد فرض النجومي على اصحابه النزول الى الماء متناولين فكل ليلة ينزل جماعة منهم الى النيل خلسة في الظلام فيحملون منه كفاية الجيش كله يوماً واحداً . وما زال كذلك حتى اتى البلينة جنوبي هيكل أبي سبل فاتخذ تلالاً على نحو ميلين منها و ٣٠٠٠ يرد من النيل وأقام فيها ينتظر علي ود سعد الجملي ومكين النور العركي اللذين كانا يتبعانه . فعسكر ود هوس قبالة في البلينة وأرسل الخليفة الى النجومي رسلاً هجانة مخصوصين ليطلعوا على حاله ويعودوا اليه بالخبر اليقين وأرسل معهم كتاباً يوصيه هو وامراءه بالتيقظ وعدم الغفلة من الأعداء والاخذ بالحزم والعزم والاتحاد الى أن يأتيتهم عاملهم يونس الدكيم . فكتب اليه النجومي عما جرى له منذ خرج من معتوقة وما لاقاه هو وقومه من المشاق والمحن في الطريق . ومما قاله له بعد ذكر واقعة ارجين واسماء الامراء الذين قتلوا فيها : سيدي وملاذي بعد اهداء مزيد السلام نرفع الى مكارمكم عن احوالنا واحوال

المذكور اليانا امرناه بعدم الرد عليها وصرف النظر عنها ولما علم ان الانصار لا يلتفتون الى قوله ولا يردون له جواباً كف عن المخاطبات وخيب الله سعيه . فالآن بما انه حضر الى جهتم وابتدأكم بالمحررات فاعلم ان قصده ادخال الغفلة عليكم . والرسول الذين يأتون منه بالمكاتبات انما هم طلائع يكشفون اخباركم ويعرفونه بما انتم عليه فلا يجد عدو الله فيكم مدخلاً ولا غفلة بمحرراته الفاسدة فانه قد علم بهزيمكم لعساكره مراراً عديدة ودخولكم ارض الريف على رغم انه ولحقه من ذلك الفرع الشديد فأراد ان يوقع في قلوبكم اقاويله الكاذبة ومعتقداته الفاسدة فلا تقبلوا له قولاً ولا يبلغه من جهتم ادنى وهن أو ضعف . ومن الآن فصاعداً اذا ارسل اليكم جواباً ورأيتم استصواب رده فحرروا له على ظهر ظرفه بأن جوابك وصل وها هو عائد اليك ولا رغبة لنا في نظره وسماعه ما لم توف بالله ورسوله وتصدق المهدي «عم» وتسمع اشارة خليفته وانا لسنا بماذونين في مجاوبتك والا فان رأيتم عدم رجوع رسوله فأحرقوا جوابه بالنار ولا تجيبوه بشيء وجزاكم الله تعالى خيراً حيث تفتطمتم لاقواله وحررتكم له ما يغيظه فلا تشتغلوا معه بمكاتبات ولا يطلع احد من الاصحاب على محارته فان الاقوال الفاحشة فيها كثيرة وسماعها لا خير فيه لانه مضر وعليه ظلمة الكفر وما زلتم فعاملوه بما يغيظه من عدم رد محارته فان ذلك أليق بحاله لانه كافر بالله ورسوله وآيس من رحمة الله والسلام في ٢ الحجة ١٣٠٦ هـ « اه ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٩ م هذا وكان السردار لما رأى عناد النجومي واصراره على الحرب أخذ يهتم لصدّه عن التقدم شمالاً والتنكيل به فرجع الى اصوان وشرع في حشد الجيوش الى طوشكي * وفي ٢٢ يوليو فرّ الى معسكر ود هوس باشا كاتب عبد الحليم المدعو حسن حبشي من كتاب الفتح الاول فاخبر ود هوس بعدد جيش النجومي وما عليه من سوء الحال وانه احصاه بنفسه قبل فراره فكان ٢٨٢١ مقاتل معهم ٣٠٩ بنادق و١٣٢ جواداً و٢٠٠٠ رجل و٤٠٠٠ من النساء والاولاد . وفي ٢٥ من الشهر المذكور وصل علي ود سعد ومكين النور اللذان كان النجومي في انتظارهما ومعهما نحو ٥٠٠ مقاتل و٣٠٠٠ بندقية * وبعد وصولهما بثلاثة ايام خرج النجومي بجيشه مستطرداً السير

شمالاً . وعند خروجه ذهب بعض الجنود المصرية الى معسكره لتفقد حاله فوجدوا بعض المرضى قد تركوا وحدهم بحالة تفتت الاكباد من الجوع والعطش والعري والالم فنقلوهم الى اسبتيالية الجيش في البلينة . ووجدوا في الديم ٢٥٠ ضريحاً عدا الجثث التي تركت في العراء بلا دفن . ووجدوا عظام البهائم التي اكلوها قد كسرت واستخرج ما فيها من الدهن مما دل على شدة احتياجهم الى القوات . واقتفوا اثر النجمي شمالاً فما ابدوا حتى وجدوا مدفعين مطورين بالرمال والطريق مغطاة بالدروع التي عجزوا عن حملها هذا وحال خروج النجمي من البلينة خرج ود هوس بعساكره واتى طوشيكي وكان السردار قد حشد اليها من اصوان الجيوش المصرية وفرسان الجيوش الانكليزية وهو في انتظار الجنود الانكليزية المرسله من مصر لتجدة الجيش المصري . فلما علم بتحرك النجمي شمالاً اسرع باركان حربه الى طوشيكي فوصلها في ٣١ يوليو وقد اجتمع له فيها القوات الآتية : الاسلحة الراكبة وفيها ٤٠٩ فرسان من السواري الانكليز الهوسار والسواري المصرية والهجانة المصرية والشايقية بقيادة اللواء كتشنر باشا * والطوبجية المصرية وهم ٢٤١ مقاتلاً ومعهم ٨ مدافع بقيادة القائم مقام رندل بك * والمشاة المصرية وهم لواء ابن اللواء الاول مؤلف من الاورط السودانية التاسعة والعاشر والثالثة عشرة وفيه ١٤٨١ جندياً . واللواء الثاني مؤلف من الاورطتين المصريتين الاولى والثانية والاورطه السودانية الحادية عشرة وفيه ١٤٧١ جندياً وكلاهما بقيادة اللواء ود هوس باشا ذلك ما عدا ٧ ضباط اركان حرب و ٧١ رجلاً من القسم الطبي والقسم البيطري . ومجموع الكل ٣٦٨٠ رجلاً و ٨ مدافع * . وكان رئيس اركان حرب السردار اللواء ستل باشا المشهور بثبات الجأش وسداد الرأي * وكان اهم اركان حرب به في هذه الواقعة كما في واقعة الجزيرة المار ذكرها القائم مقام ونجت بك (السردار الحالي) الذي عهدت اليه وظيفة مساعد اذجوتانت جنرال المخابرات فوق وظيفة اركان حرب فقام في الوظيفتين خير قيام واثني عليه السردار في تقاريره الرسمية اجمل الثناء . وقد كان ما ابداه في ذلك العهد من الكفاءة والبسالة وعلو الهمة بشيراً صادقاً بما بلغ اليه الآن من سمو المنزلة ورفعة المقام



الجنرال غرنفيل

واقعة طوشكي السبت في ٣ اغسطس سنة ١٨٨٩

اما طوشكي فهي بلدة مستطيلة على غربي النيل على نحو ٦٠ ميلاً من حلفا وفيها نخيل كثير وتمتد اراضيها الزراعية نحو ١٢٠٠ يرد الى جهة الصحراء ومن ورائها سهل رملي متسع تخلله الآكام والصخور العظيمة وتكتنفه الجبال من الشمال والجنوب والغرب . اما الجبال التي الى جنوبيه فتبعد اربعة اميال من طوشكي وتمتد من النيل ٣ اميال غرباً . فلما كان مساء الخميس ١ اغسطس سنة ١٨٨٩ وصل النجومي تلك الجبال وعسكر عند سفحها الغربي ليكون في مأمن من قنابل الواورات التي كانت لا تزال تطارده . وكان قد هجره بعض اتباعه في الطريق فبقي معه ٣٢٠٠ مقاتل و ٣٦٠٠ من النساء والاولاد والاتباع وهي القوة التي حارب بها في واقعة طوشكي

وفي فجر الجمعة في ٢ اغسطس خرج السردار ببعض الفرسان من طوشكي وكشف معسكر النجومي من تلة في السهل فرآه يصلي هو وجيشه . وافاد الفارون منه انه مستطرد السير شمالاً في فجر اليوم التالي فكشف السردار طريقة فوجد انه لا بد له من المرور في سهل طوشكي فعاد الى البلدة على نية الخروج الى هذا السهل وصدّه عن التقدم شمالاً الى ان تصل النجدة الانكليزية فيوقع به ولما كان فجر السبت في ٣ اغسطس نهض النجومي بجيشه ودخل سهل طوشكي فخرج له السردار بأركان حربه والاسلحة الراكبة حتى صار على ١٥٠٠ يرد منه الساعة ٦ والدقيقة ٤٥ فتقدم اهل البنادق من جيش النجومي ورموه بالرصاص وتبعهم الباقون مهاجمين فأمر السردار السواري فتواروا خلف تل صغير وأمر المهاجاة فترجلوا ووقفوا صفّاً واحداً وصبوا الرصاص على الدراويش حتى كثر عدد المهاجمين فتقهقر السردار بالعساكر امامهم لجذبهم الى وسط السهل فظنوا انه يفر خوفاً منهم فأسرعوا ورائه مهاجمين فاتخذ مركزاً حصيناً وسط السهل وارسل في طلب مدفعين من البطارية السواري واللواء الاول وما زال رجال الاسلحة الراكبة يطلقون نارهم حتى كانت الساعة ٨ والدقيقة ٣٠ فحمل النجومي عليهم بجيشه حملة واحدة في مقدمته اهل الاسلحة النارية وفي ساقته النساء والاولاد . ولم يكن

السردار قادراً على صدّه بما لديه من العساكر فتقهقر امامه الى جهة طوشكي واتخذ مركزاً حصيناً عند سفح تلة مخروطية الشكل على نحو ميلين من جنوب طوشكي الغربي ولم تمض عشر دقائق حتى كان العدو قد وصل المركز الذي هجره السردار وظلّ مهاجماً . وفي الساعة ٩ وصل المدفعان اللذان طلبهما السردار فاتحد رجالهما مع رجال الاسلحة الراكبة وسدّوا رمي القنابل والرصاص على النجمي فلم يكن الا القليل حتى غيّر وجهة سيره وسار نحو الشمال الغربي ليتخلص من السهل وكان السردار لما يريد حصره فيه لموافقته لتحركات العساكر فأصدر امره الى الاسلحة الراكبة بقيادة كتشنر باشا فحفت الى التلال التي الى الشمال الغربي من السهل وسدّت طريقه شمالاً وفي الساعة ١٠ وصل اللواء الاول بقيادة هنتر بك فاحتل مركز الاسلحة الراكبة وهو سلسلة من الاكام الصخرية تمتد نحو ٢٠٠ يرد شمالاً وجنوباً وتبعد نحو اربعة اميال من النيل فلما رأى النجمي ان طريقه الى الشمال قد سدّت عوّل على الحرب ورأى امامه اربع آكام متجاورة في وسط السهل تجاه مركز اللواء الاول وعلى ٨٠٠ يرد منه فصف انصاره عليها فجعل اهل البنادق في الامام ومن ورائهم الحراة ونصب هو رايته في تلة ورائها وجعل النساء والاولاد والحملة في مكان منخفض ورائه بعيداً عن مرمى الرصاص والقنابل . وفي هذه الاثناء حضر اللواء الثاني مع الستة مدافع الباقية فأمره السردار فوقف وراء اللواء الاول لنجدته عند الحاجة . ولا كانت الساعة ١٠ امر السردار اللواء الاول والطوبجية ففتحوا ناراً حامية على العدو فأجاب العدو نيرانهم مدة نصف ساعة ثم امر اللواء الاول فاقنم رجاله رصاص الدراويش من القلب والجناحين بجرأة الاسود حتى وصلوا تلاهم واتحموا بهم وساعدهم اللواء الثاني والطوبجية والاسلحة الراكبة فأجلوا الدراويش من مراكزهم عنوة بعد ان جندلوا ابطالهم وكانت الساعة اذ ذاك ١١ ونصفاً وفرّ من سلم من الدراويش نحو معسكر النساء والحملة ولحق بهم النجمي على جواده ليجمع شتاتهم فأمر السردار الاسلحة الراكبة والطوبجية بمطاردتهم وعند الظهر تقدم بسائر العساكر فسار اللواء الثاني أولاً ليأخذ «نوبته» في القتال وتبعه اللواء الاول . وفي اثناء ذلك جمع النجمي

شأت جيشه وكرّ على العساكر فلم يلبث ان اصابه الرصاص فسقط مجنّداً الى الارض
ومات فحمله بعض اصحابه على جمل وفروا منهزمين وانهزم بقية جيشه فتقدم العساكر
واستولوا على الديم وما فيه من الخيام والطبول والسروج والسيوف والدروع ولحقوا
بالمهزمين فأسروا عدداً كبيراً من الرجال والنساء والاولاد . ولحقت كتيبة من
السواري الجمل الذي حمل الجثة فقتلوا حراسها واتوا بها الى طوشكي فوجدوا انها
جثة النجمي * وأمر السردار فأوقفت النار الساعة الثانية بعد الظهر وعادت العساكر
بالغنائم والاسرى الى طوشكي فوصل آخرهم الساعة الخامسة بعد الظهر وقد قضوا النهار
كله يقاتلون بلا زاد ولا ماء أو بماء قليل لان اكثرهم خرجوا للحرب قبل ان يفطروا
﴿ القتلى والجرحى ﴾ وقد كانت خسارة الجيش في هذه الواقعة ٢٥ قتيلاً و ١٤٠٠
جريحاً فضموا القتلى جميعاً الى مكان واحد في ساحة القتال وبنوا فوقه قبراً نقشوا على
واجهته باللغة العربية كتابة هذا نصها : « شيّد هذا الاثر تذكّاراً لواقعة طوشكي
التي حصلت في ٦ الحجة سنة ١٣٠٦ هـ وانهزم فيها جيش العصاة السوداني المرسل
تحت امرة عبد الرحمن ولد النجمي فتشتتوا بعد قتل اميرهم وكان الجيش المصري
تحت قيادة سعادة السردار غرانفل باشا وفي هذا القبر دفنت جثث العساكر
المصرية الذين استشهدوا وهم بالميدان * * * واما العدو فقد قدرت خسارته بنحو ١٢٠٠
قتيل فيهم ٦٢ اميراً وأهمهم النجمي وابنه وعبد الحليم مساعد * ونجا من امرائه عثمان
ازرق وعلي ود سعد وحسن النجمي ومرغني سوار الذهب والطاهر والشيخ العبيد ؟
ومن عامتهم ١٤٠٠ نفس نصفهم أو اكثر من النساء والاولاد فعادوا الى دقله * واما
محمد الخير فانه لم يكد يصل من بربر الى دقله حتى مرض بالحمى فمات قهراً قبل
واقعة النجمي بأيام معدودة . قيل وقد استغفر ربه كثيراً قبل وفاته لنصرته المهدية
﴿ الغنائم والاسرى ﴾ وجمعت الغنائم بعد الواقعة فبلغت ١٤٧ راية و ٤٠٠٠
حربة وعدداً كبيراً من السيوف والبنادق والدروع والسروج والطبول * واما
اسرى الواقعة فكانوا ١٢٠٠ فأصبح عدد الاسرى والفارين من جيش النجمي منذ
دخوله الحدود نحو ٤٠٠٠ من رجال ونساء واولاد فوزع نحو الف منهم في مديرية

الحدود وارسل الباقون الى اسيوط فوزعوا على مديريات القطر الانحويثة من
 من الامراء والمقاديم فانهم وضعوا في سجن طره مدة ثم نقلوا الى رشيد حيث بقوا
 الى ما بعد فتح دنقله سنة ١٨٩٦ فأطلق سراحهم . وكان السردار قد اذن ل ٣٤١ من
 نفساً منهم فرجعوا الى بلادهم بطريق سرس في ١٣ ابريل سنة ١٨٩١ * هذا وكان
 بين الاسرى ابن للنجمي عمره سنة فأدخل في المدارس الاميرية بمصر ولا يزال يتلقى
 العلوم فيها الى اليوم * وكان بينهم تاجر يدعى أبا زيد فر من التوفيقية سنة ١٨٨٨
 وهو الذي دلّ الدراويش على مهاجمتها فحوكم بمجلس عسكري وقتل رمياً بالرصاص
 « وانحلت قوة الحملة على النجمي في ٦ اغسطس وعاد السردار الى مصر في
 ١٧ منه * وقد امتاز فيها من الضباط المصريين برتبة بكباشي : علي بك حيدر
 ياور السردار وحسن افندي رضوان من الطوبجية ومصطفى افندي رمزي ارکان
 حرب * وامتاز فيها من الموظفين الملكيين السوريين : ملحم بك شكور سكرتير عربي
 السردار وسليمان بك ناصيف من . وظفي السردارية وطنوس افندي شحاده مترجم
 السواري وامين افندي حداد مترجم في « المهمات » . ومن الملكيين المصريين : عبد
 الله افندي فكري المار ذكره وابراهيم افندي زيدان مترجم الحدود ونخلة افندي
 تادرس مترجم الاورطة الحادية عشرة السودانية . وحضر منهم ميدان القتال ملحم
 بك شكور وطنوس افندي شحاده وابراهيم افندي زيدان
 وبعد واقعة طوشكي مدت الحدود المصرية جنوباً الى سرس فاحتلتها الاورطة
 الثالثة عشرة في ١١ اغسطس سنة ١٨٨٩ ورُم خط سكة الحديد بينها وبين
 حلفا . وكان الدراويش قد جعلوا حدودهم الشمالية حلة فركة فلما رأوا الحكومة قد
 احتلت سرس رجعوا الى سواردة على نحو ١٠٠ ميل من سرس وبقوا فيها الى ان
 طردتهم الحكومة منها سنة ١٨٩٦ كما سيجيئ * ثم لما استقر الدراويش بسواردة هاجر
 جماعة من أهل المحس وسكوت الى الحدود فأعطاهم السردار ارضاً في ديره شمالي
 حلفا فسكنوها الى ان فتحت بلادهم سنة ١٨٩٦ فعادوا اليها
 (احتلال المرات) هذا وكان التعايشي لما صمم على ارسال النجمي لغزو

مصر أمر حسن خليفة فخرج من أبي حمد واحتل آبار المرات في ١٩ يونيو سنة ١٨٨٩؛ فلما توجه السردار لملاقاة النجومي أمر صالح بك خليفة كبير المليكاب فجهز سرية من عربائه وهاجم المرات فطرد الحسن منها واحتلها في مكانه وذلك في ٣٠ أغسطس سنة ١٨٨٩ أي يوم واقعة طوشكي. فاتهم التعايشي حسن خليفة بعدم الدفاع عن المرات فعزله وجعل جريجر من اقاربه في مكانه * * وهكذا انتهى حلم التعايشي الذي رآه سيده المهدي من قبله في فتح مصر والعالم فانه بعد انخذه في هذه الواقعة لم يعد يخطر بباله فتح ولا حملات عدائية كبيرة بل حصر كل اهتمامه في حفظ مملكته من القوات المحيطة بها من الخارج والفتن التي تهددتها من الداخل * واما حكومة مصر فانها منذ واقعة طوشكي اخذت تهتم في استرجاع السودان وكان لها بعد الواقعة احسن فرصة لما اصاب السودان من الجوع والضييق في ذلك العهد ولكن اعوزها المال فما زالت متربصة حتى اتاحت لها الفرص فأعادت السودان حامية حامية كما سيجي

وكان السردار قد اصدر الى اهل الحدود منشورًا بتاريخ ١٠ يوليو سنة ١٨٨٩ حذرهم فيه من مملأة النجومي بقوله : « ان من كاتب الدراويش او ساعدهم بشيء ما فبقائه القتل ومن بقي على الولاء وفقد شيئًا من زرع فالحكومة تعوض عليه » * وفي اكتوبر سنة ١٨٨٩ اصدرت الحكومة الى اهل السودان منشورًا تستحثهم فيه على الرجوع الى الولاء وارسلته مع بعض اسراء طوشكي ليوزعوه عليهم وهذه صورته :
« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيد المرسلين . وبعد فلا يخفى عليكم ما كانت عليه بلادكم السودانية ايام الحكومة الخديوية من رغد العيش وراحة البال وما آلت اليه حالتها من الضنك والاضمحلال بأسباب الفتنة المهدوية التي هي نتيجة اغراض الرؤساء وحب التظاهر من الاغنياء دون مبالاة منهم بما يترتب على ذلك من سفك الدماء والضرر بالافراد وخراب البلاد . على ان ملتنا الغراء الاسلامية تأمر بالائتلاف والاتحاد وتنهى عن التنازع والسعي في الفساد واي فساد اعظم من ايقاد نار الفتنة بين المسلمين . وقد غشكم اولئك الرؤساء تمويهًا باسم الدين وهم ابعد الناس عن معرفة شيء منه حتى اوردوكم المهالك واكتسبوا بدمائكم ودماء اخوانكم

من المسلمين حسن التمتع بنفوذ الكلمة وظنوا انهم صاروا من ارباب الممالك ~~من~~ أمن قواعد الدين منع الناس عن الحج وهو من الاركان الخمسة التي بني عليها الاسلام وها انتم ترون اولئك الرؤساء يمنعون قوافل السودانيين عن اداء تلك العريضة المبرورة * أمن قواعد الدين التحريض على قتال المتمسكين بالكتاب والسنة * من المسلمين وها انتم ترونهم يحرضونكم على قتال امة مسالمة عاشت معكم اعواماً مع حسن التمسك بكتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم وقد ورد عن النبي (صلعم) « اذا سهر المسلم على اخيه في الدين سلاحاً فلا تزال الملائكة تلعه حتى يغمده » * أمن قوافل الدين تحريضكم على ان تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقد قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة . فلا حاجة الى اطالة الكلام على ما هم عليه اولئك الرؤساء من الاعوجاج عن الدين القويم ومخالفة جماعة المسلمين * واعلموا ايها الاخوان ان ما حل بولد النجومي وقومه وقد اشتهر بينكم بالبسالة والاقدام مما يذكركم بعاقبة الامر الذي اتم فيه والعاقل من اعتبر بغيره فالنصيحة ان تعودوا الى قول القائل :

يقضى على المرء في ايام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن
فترجعوا عما انتم عليه مما اضر بلادكم ويتسم اطفالكم ورمث نساءكم كل ذلك
خدمة لاغراض الرؤساء وابتغاء غاياتهم * والحق الذي يعلمه الله ان الجنب الخديوي
العالي نصر الله اعلامه اشفق على الرعية من الالباء على الابناء حريص على راحة
العباد واطمئنان البلاد وقد ابى افتتاح بلادكم بالقسوة والعنف حقناً للدماء وشفقة على
الفقراء وكثيراً ما غير خاطره الشريف ما ألم بكم من الوبال وسوء الحال وتمنى ان
ينعم الله عليكم بالهداية ويمنحكم من مراحه ما يرجع بكم الى ما كنتم عليه من الرغد
وصفاء البال فاغتموا هذه الفرصة الجليلة وقدموا لاعتاب حكومته الخضوع تفوزوا
بالمساعدات الجمّة والنعم الجزيلة ولا تنسوا الشرف الرفيع والمزايا التي خصتكم بها
الحكومة السنية انتم واباءكم من الشايقية والجعليين وغيرهم وما اصبحتم فيه من الذل
والاهانة تحت احكام اناس كانوا يلجأون الى سطوتكم ويهابون سلطتكم ففي ذلك
الكفاية لمن رام الهداية والسلام سنة ١٣٠٧ هـ « اه

وكتب الخليفة من الجهة الثانية الى اهل دقله والمقاتلين الذين نجوا من واقعة طوشيكي
 يصبرهم على ما اصابهم من الخذلان قال : « . . . وبما انه لا يخفى عليكم أيها الاصحاب ان
 أمرنا هذا ديني والقصد منه احياء السنة النبوية واتباع الاثر فالابتلاء الحسن لا بد
 ان يحصل للمؤمنين لكي يتميز بذلك الخيـث من الطيب طبق ماوقع للصحابـة رضوان
 الله عليهم فانهم قد كابدوا في الله كل شدة وحصل عليهم من البلاء الحسن مالا
 بـطاق فصبروا صبر الكرام وأوفوا بعهد الملك العلام وجميع ما وعدهم الله به في قوله
 تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات
 وبشر الصابرين » حصل عليهم في الغزوات والجهادات فما ثابهم عن قصدهم ولا برد
 همهم عن اقامة الدين وجهاد الكافرين بل لم يزد هم ذلك الا قوة وثباتا وشجاعة
 واقداما وایمانا وتسليما . وأنتم يا أصحاب المهدي « عم » لاشك انكم على اثرهم فجميع
 ما يحصل عليكم من نزول الشدائد وحلول المصائب فهو لرفع درجاتكم واختباركم
 فيلزم ان تلبسوا لذلك جلباب الصبر والثبات وتدرعوا بدرع التوكل فان الخير كله
 امامكم في الآخرة وما الدنيا الا مزرعة لها فازرعوا فيها صالح الاعمال وأوفوا بعهدكم
 مع الله ورسوله ومهديه ومعناه ولا تهنوا أو تضيعوا في دينكم والوفاء بعهدكم مع ربكم
 بسبب ما حصل لاعداء الله من الاستدراج والامهال وفوز اخوانكم الصادقين ناس
 الشهيد عبد الرحمن النجومي فان ذلك قدر الهـي وسعادة كتبها الله لهم في ازاله ودين
 الله لا شك منصور وعدوه مهـرور كما وعد الله تعالى بذلك في غير ما آية من كتابه
 والعاقبة لا شك للمؤمنين والدائرة على الكافرين . . . »

ثم كتب الى اهل دقله ما نصه : « . . . وبما انكم من الاعوان والاصحاب
 التابعين المهديـة بصدق وصفاء نية فعليكم منا أمان الله ورسوله ومهديه وأماننا في أنفسكم
 وأموالكم ولا يحصل عليكم من أحد من الانصار أدنى شيء ما دمتـم صادقين في
 معاملتكم ومنقادين لعاملكم المكرم يونس الدكيم وكل من له ساقية فليصلحها ومن له
 نخيل فليلقحـه ومن له انسان بجهات الريف فليسعى في حضوره لوطنه ان امكنه
 ذلك فان من يحضر لوطنه ويقـم فيه تحت طاعة المهديـة فعليه منا الامان ومن

له نخل أو سواقي بجهة دقله ويحضر اليها على مقتضى أماننا هذا وعلى وجه الفور
فهي له ولا يحصل عليه تعدٍ من احدٍ لانا لسنا نريد منكم الا القيام بأمر الدين
واداء ما هو مطلوب منكم من حقوق الله تعالى . وبما ان المكرم يونس الديكيم هو العامل
عليكم بأمرنا فاسمعوا أمره ونهيته وقد أوصيناه بكم خيراً وان شاء الله لا تروا الا
ما يسركم هذا والسلام ٥ جمادى الاولى سنة ١٣٠٧ هـ ، ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٩ م

الفصل العاشر

في

﴿ وقائع ام درمان وسائر السودان سنة ٨٦ : ١٨٩٠ ﴾

﴿ خراب الخرطوم وعمار ام درمان سنة ١٨٨٦ ﴾

جرت عادة الدراويش انهم كلما فتحوا مدينة اخربوها وأقاموا لهم ديمًا بجانبها كما
فعلوا في الايض وبربر ودقله وكسله وغيرها ولم يستثنوا من ذلك الخرطوم فانهم
هجروها تدريجاً وعمروا ام درمان تجاهها على النيل الايض . مع ان الخرطوم افضل
موقعا واخصب تربة واعذب ماء . وقد كانوا يأخذون اخشاب منازلها ويننون بها
مدينة ام درمان فلم تنته سنة ١٨٨٦ م حتى خربت الخرطوم خراباً تاماً ولم يبق فيها
عامراً الا جنائنها وترسانتها

﴿ بناء جامع ام درمان ﴾ وما زالت ام درمان تزداد عمراً واتساعاً حتى ضاق
على اهلها جامع الصفيح الذي بناه المهدي فأقام الخليفة بجانبه جامعاً متسعاً فوضع حجر
أساسه بيده يوم الاحد في ٤ ربيع الاول سنة ١٣٠٥ هـ ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٨٧ وسخر
أهل المدينة فبنوه في مدة ٧٣ يوماً . وهو عبارة عن حوش عظيم مربع يحيط به سور
مرتفع من الطوب المحرق طوله نحو ٤٧٠ ذراعاً وعرضه نحو ٢٩٥ ذراعاً وله ثمانية
ابواب لكل جهة بابان . وقد تركه مكشوفاً بلا سقف لكنه اقام قرب المحراب صفاً
من الروايب للجلوس امرائه وخاصة رجاله وفرض على اهل ام درمان كافة حضور
الصلوات الخمس فيه يومياً

(بناء قبة المهدي) وبعد ان اتم بناء الجامع بداله ان يقيم فوق قبر المهدي قبة ليصرف الناس الى حجبها بدل الكعبة فدعا اليه الامراء من الجهات وأبا عنجة من القلابات للاحتفال بذلك . وفي يوم الاربعاء في ٣ ربيع الاول سنة ١٣٠٦ هـ ٧ نوفمبر سنة ١٨٨٨ شرع في حفر الاساس بيده ثم تبعه الخليفتان فالامراء وتتابع الناس في العمل به فاقتموه بأسبوع ثم وضع لهم حجر الاساس وشرعوا في البناء حتى اكملوه فكانت بنية عظيمة مربعة طول كل جدار من جدرانها الاربعة ١٧ ذراعاً وسمكها ٣ ١/٢ ذراع وعلوها ١٤ ذراعاً وفوقه بناء مثنى يعلو ١٥ ذراعاً وفوقه القبة وتعلو ٢١ ذراعاً . فكان علو البنية من الارض الى القمة ٥٠ ذراعاً . وقد بنيت بالحجارة على علو ذراعين ثم بالطوب الاحمر الى آخرها ولها بابان كبيران باب الى الجنوب وباب الى الشمال وثمانية شبايك في كل جدار من جدرانها الاربعة شباكان وثماني كوى او « مناور » يضيوية الشكل في القسم الثمن في كل تسمية « منور » فجاءت اعظم قبة بنيت في السودان الى هذا العهد وكان المهندس لها رجلاً مصري الجنس يدعى اسماعيل . وفي فتح ام درمان سنة ١٨٩٨ دكها الجيش الى الارض هي والجامع كما سيجيء . وقد وصفها اسماعيل عبد القادر الكردوفاني بقصيدة غراء هذه هي بحروفها :

سمت قبة المهدي مجداً وسوددا	ونيطت بها الجوزاء عقداً منضدا
وصيغ من الاكليل تاج لها	وسال بها نهر المجرة مزبدا
وقد نظمت زهر النجوم قلائداً	لجيد علاها حائز السبق مفردا
ولاحت بانوار الهداية شمسها	فاشرق منها الكون وانقشع الردى
بنية مجد شادها الحلم والتقى	يطوف بها الزوار مثنى وموحدا
فله مغناها ومحكم صنعها	وروضتها الزهراء بالفضل والندى
ولم لا وقد ضمت لافضل وارث	لخير الورى طه المشفع احدا
خلاصة صفو المجد عن آل هاشم	وافضل من في الخير راح او اغتدى
امام له في كل مجد وسودد	ماثر فضل ما اجل وامجدا
محمد المهدي بشرى محمد	شفيع الورى في الحشر من طاب مختدا

يبشراه غنى بلبل السعد مطرباً
 به الله احيانا واظهر دينه
 وقد احرز الدين الحنفي بالظبي
 وجاهد من قد حاد عن شرع احمد
 ولما دعاه الحق جل جلاله
 اجاب النداء فالقلب بعد فراقه
 وقد جبر الله الوجود بأسره
 بهدي الذي قد قام فينا مقامه
 فقام بأمر الدين حق قيامه
 قلوب الوري تغنو جميعاً لهديه
 امام اجل الله في الكون قدره
 ماثره في الدين يعسر حصرها
 وقد اصدر الامر الكريم مخاطباً
 وقال لهم قوموا بكامل جهدكم
 وبادر ابقاء الاله مسارعاً
 ومن بعده الانصار تحت اشارة
 فجاءت بحمد الله اعظم قبة
 فيازائراً تلك البنية لا ثدا
 توسل يبشرى المصطفى متأدباً
 وقف خاضعاً وارح القبول مؤرخاً
 وقد نقش تاريخ القبة على حجر رخام فوق عتبة بابها الجنوبي سنة ١٣٠٦ هـ

قتل محمد نور في جمادى الاولى سنة ١٣٠٥ هـ فبراير سنة ١٨٨٧ م

هذا وعلى اثر بناء الجامع ظهر في ام درمان رجل من القاذية يدعى محمد نور
 جاهر بانكاره المهدي ورفض الصلاة في الجامع فاتصل خبره بالخليفة فحكه بمجلس

من القضاة حضره الامير محمد الخير لانه كان اذ ذاك في ام درمان فحكم المجلس بقتله
قتل شقاً وكتب الخليفة بشأنه الى جميع امرائه في الجهات ومما كتبه الى ابي عنجه
في ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٠٥ ١١٥ فبراير سنة ١٨٨٨ م :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد
خليفة الصديق الى المكرم حمدان ابي عنجه كان الله له آمين » بعد السلام عليك
نعلمك انه ظهر رجل بهذا الطرف يدعى محمد نور فاعرض عن الدين ونفر من جهتنا
غاية النفرة حتى انه لم يصل بالمسجد معنا وقد توجه اليه بعض الاصحاب اثقات
مراراً في محله فوجدوه في غاية الاعراض والانكار. ثم احضر عند القضاة في المحكمة
فقالوا له ان الله سبحانه وتعالى يقول اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم
وان خليفة المهدي « عم » قد ولاه الله علينا وطاعته واجبة فقال لهم المراد من أولي
الامر هو الله. فقالوا له ان الله تعالى قال أولي الامر منكم فكيف مع هذا تقول ما ذكرته
فلم يعترف بخطاه وما زاد الا نفوراً. ومع ذلك فانه منكر قتل من قتل على يد
المهدي « عم » كاهل الخرطوم وغيرهم من الاعداء الذين خرجوا من الدين بكفرهم
بالامام المهدي « عم » ومحاربتهم له وليس مصداقاً بكفرهم. ولما لم يرجع عن اعراضه
حكم الشرع بقتله فصلب وقد اكلت النار لسانه ولحيته ويديه ورجليه وسرحت
فيه وتغير لونه والعاياذ بالله من ذلك وبعد ذلك امرنا فأخرج من الديم خارج قبور
المسلمين وقد حررنا هذا لعلامكم بما كان. . . » اه

حاشي التمايشي وقبائل السودان سنة ٨٦ : ١٨٩٠

تقدم ان التمايشي بعد موت المهدي كتب الى مشايخ السودان كافة من حضر
وبادية بالجنود الى ام درمان لتجديد البيعة على يده والتبرك بزيارة قبر المهدي
فمن اطاع ونصره رضي عنه ومن عصى جرد عليه حتى اقمه ونكل به وباهله كما
فعل بصالح الكباشي واهله الكباشي ومادبو شيخ الرزيقات وكثيرين غيرهم من
القبائل والافراد نخص بالذكر :

عوض الكريم باشا ابا سن شيخ الشكرية المار ذكره فانه تمنع عن اجابة

داعي المهدي الى ان سقطت الخرطوم فحضر الى ام درمان وسلم للمهدي فمعا عنه.
وبعد موت المهدي امره الخليفة فكتب الى رؤساء قبيلته يدعوهم الى الحضور الى
ام درمان بخيلهم وابلهم ولما لم يحضروا قبض الخليفة عليه وزجه في السجن فمات قهراً
سنة ١٣٠٤ هـ وجرّد على الشكرية قتل وسبي وغنم حتى استجاروا بالحشة والانكليز
ومن ذلك قول شاعرهم الحارثي اخي عوض الكريم باشا :

ناس قباح من الغرب يوم جونا جابوا التصفية ومن البيوت مرقونا
اولاد ناس عزاز مثل الكلاب سوّونا يا يا يا النفس يا لانكليز الفونا
﴿ ومحمد البشير علي طه بن جن شيخ الحدة ﴾ فانه أبي الحضور الى ام درمان
فظل يتبعه حتى ظفر به وقتله ونكل باهله تنكيلاً وذلك سنة ١٣٠٤ هـ

﴿ ومحمود ود زايد شيخ الضباينة ﴾ فانه رفض اجابة داعيه فامر عثمان دقه
فجرّد عليه عوض الكريم كافوت بدفع جبلي و٤٠٠ رجل مسلحين بالبنادق فوجه
مستعداً للحرب بقوة كبيرة فخادعه حتى جرّه الى معسكره فقبض عليه وكبله بالحديد
وجرّده من جميع ماله وارسله الى ام درمان والى ذلك اشار الحارثي بقوله :

يا شایل الجواب وديه للحراني وقل له الزمان مثل الكليب سوّاني
اكتب لي جواب يا صاحبي لا تنساني ولد زايد يقول ظاهر الامان غشاني
وبقي ود زايد في سجن الخليفة الى سنة ١٣٠٧ هـ فعفى عنه وعاد الى بلاده فمات ذليلاً

﴿ والمرضي ابا روف شيخ بني حسان ﴾ السالف الذكر فانه حضر الى ام درمان
بعد فتح سنار وبايع الخليفة فامره بالعودة الى بلاده وجمع رجال قبيلته للجهاد فذهب
الى قومه ولم يرجع فبعث الخليفة يستعجله فاخذ الاسلحة من الرسل ونصره قومه
قليل وذبحوا الثيران التي عنده وقالوا للرسل اذهبوا الى التعايشي واخبروه اننا ذبحنا
هذه الثيران لانها تشبه لباس الدراويش وتجمعوا في قوز الاهليلج تجاه فاشوده
واستعدوا للحرب. وكان ذلك على اثر عودة ابي عنجة الى جبال النوبة فأخرج التعايشي
سرية قوية من هذا الجيش وعقد لواءها لعبد الله ود ابراهيم والزايكي طمل وارسلها
عليهم بطريق النيل الايض وارسل اسماعيل ود الامين من مشايخ حمر برجالهما

بطريق النيل الأزرق فنزلوا في أبي شوكة وقطعوا خط الرجعة عليهم . فسار عبد الله إبراهيم بالوابورات حتى أتى الجبلين فأنزل جيوشه إلى البر وتقدم إلى قوز الأهليج فأوقع في المرضي وقومه واقعة مشهورة فقتله هو وجميع كبار جيشه وفيهم الشيخ محمد بن الشيخ مالك ومردس شيخ العلاطين وإبراهيم ود صابون شيخ العقليين والقبه إبراهيم ود خالد وغيرهم . ومن فر من الواقعة وقع في يد جيش النيل الأزرق فاجتمع عند انصار الخليفة عدد لا يحصى من الأسرى والغنائم من الابل والغنم فاتوا بها إلى الخليفة فوزع الأسرى في الجهات وضم الغنائم إلى بيت المال . واخترق عبد الله وإبراهيم الجزيرة وأتى أبا حراز في ٣ صفر سنة ١٣٠٥ هـ ٢١ أكتوبر سنة ١٨٨٧ م حيث كان أبو عنجة ينتظره فسار معه إلى القلابات كما مر .

(قتل البطاحين نوفمبر سنة ١٨٨٨) هذا وفي مجاعة سنة ١٣٠٦ هـ فر بعض البطاحين من جيش النجومي لشدة ما أصابهم من الجوع في دقله واتوا إلى باديتهم شرقي النيل الأزرق بين رفاعه والحلفاية ورجعوا إلى عاداتهم من قطع السابلة ونهب المارة فأرسل إليهم التعايشي الأمير ود جار النبي من جيش الخليفة ود حلو بنفر قليل من الانصار يدعوهم إلى أم درمان فحاربوه وقتلوا بعض رجاله فجرد عليهم التعايشي جيشاً يزيد على ٢٥٠٠ مقاتل من حراة وجهادية وخيالة فأوقع فيهم واقعة شديدة وقتل معظم أكابرهم وساق الباقين إلى أم درمان وفيهم ٦٧ رجلاً فجعلهم الخليفة أربع فرق فرقة قتلت شتقاً وفرقة ضربت أعناقها وأخرى قطعت أيديها اليمنى وأخرى قطعت أيديها وأرجلها من خلاف . وقد أثبت سلاطين باشا هذا المشهد في كتابه «السيف والنار في السودان» فاذا هو مما تقشعر له الأبدان ويقضي بأن البشر قد يبلغون في الشراسة مبلغاً تقصّر عنه الوحوش الضارية

(الخليفة والبقارة) ورأى الخليفة أن سكان النيل لا يقيمون على ولائه إذا ضعف أمره أو خانته دهره فبعث إلى مشايخ البقارة في جنوبي كردوفان ودارفور يستحثهم على الهجرة إلى أم درمان بخيلهم وابلهم وماشيتهم ليعزز بهم ملكه ويأمن بهم غدرات الزمان وقد كرر أجوبته لهم وأكثر من الوعود براحتهم وبدأ بهذا المسعى بمجد

واهتمام منذ سنة ١٣٠٤ هـ على ان البقارة فضلوا جذب صحرائهم وحرية البادية على
خصب النيل وعز الملك ولسان حالهم ينشد قول تلك البدوية التي زوجت للحضر:

ليت تحفق الارياح فيه احب الي من قصر منيف

وابس عباءة وتقر عيني احب الي من لبس الشفوف

واكل كسيرة في كسر بيتي احب الي من اكل الرغيف

خشونة عيشتي في البدو اشهي الى نفسي من العيش الطريف

فما ابغي سوى وطني بديلاً فحسبي ذاك من وطن شريف

لكن الخليفة صمم على انفاذ رأيه فيهم فأمر عماله بتخريب ديارهم وجلبهم الى
أم درمان بالرغم أو بالرضى فهاجر الوف من التعايشة والرزيقات والهبانية والحمر وغيرهم
فسر الخليفة بهم سروراً عظيماً وكتب الى أبي عنجة بتاريخ ٨ محرم ١٣٠٦ هـ مانصه:
« بعد السلام نعلمك انه بحمد الله قد انتهى امر انتعايشة فحضرنا من بلادهم
بأكملهم والآن قاموا من الفاشر وأولهم قد وصل جبل الحلة وهم كثار حتى لقد
يبلغون من عائلة لمجاهد نحو ستين ألفاً وكون ذلك مما يزيد المسرة في الدين
حررنا لك هذا . ثم ان الهبانية حاضرون جميعهم بعد التعايشة بواسطة المكرم عثمان
آدم ومن بعدهم يحضر قبائل متفرقة من اهالي الناقة وخلافهم رزيقات وغيرهم نساء
ورجال والله ينصر الدين ويخذل الكافرين . . . » اه

وما زال البقارة يقدون الى أم درمان الى آخر سنة ١٣٠٧ هـ فاستقبلهم الخليفة
احسن استقبال واسكنهم على الرحب والسعة ومع ذلك حاول الكثير منهم الفرار
فأرسل الخليفة الى عثمان آدم « بالبحث عن الفارين وارجاعهم الى أم درمان
بالشعبة والجنزير مع المحافظة القوية » . وفر الغزالي كبير التعايشة فألحق به بعض
الجند فأدركوه على يمين من أم درمان فقتلوه واتوه برأسه . هذا بعض ما فعله
التعايشي بقبائل السودان وسيأتي ذكر ما فعله بالشلك وبالاشراف واقارب المهدي

الجوع في السودان سنة ١٣٠٧: ٦ هـ سنة ١٨٩٠: ٨٨ م

مضى خريف سنة ١٣٠٦ هـ سنة ١٨٨٨ م فلم يقع مطر كاف في السودان ولا

زاد النيل الزيادة المعتادة . ثم جاءت سنة ١٣٠٧ هـ ٨٩ : ١٨٩٠ م فأتى الجراد
واكل معظم الزرع واحضر التعايشي اهل البقارة من الغرب كما مر فأكلوا ما في
البلاد من الحبوب المذخورة فأصاب الناس في السنتين المذكورتين جوع عظيم لم
يروا مثله في سالف الاعصار فأهلك منهم اضعاف ما اهلكته الحروب والابوثة .
وقد اقل الكثير عليهم الابواب وماتوا جوعاً هم واولادهم لكي لا يضطروا الى التسول
فيغيروا بذل السؤال . وعمت هذه المجاعة جميع بلاد النيل والسودان الشرقي
والغربي ما عدا فاشودة فذهب التجار اليها وأتوا منها بالحبوب الى ام درمان فحففوا
بعض المصاب على اهلها * ولقد رأيت في كتب عمال الجهات الى الخليفة ما يشير
الى هذه المجاعة . من ذلك ما كتبه اليه النجومي من دقله في ٩ صفر سنة ١٣٠٦ هـ
١٥ اكتوبر سنة ١٨٨٨ م : « . . . ومما ينبغي الاخبار عنه من احوال دقله هو الضيق
الحاصل فيها هذه السنة بخلاف عاداتها وذلك لان نتاج الحبوب قليل لعدم فيضان
البحر فيها فكثير من الاماكن التي كانت تنتج الحبوب عندهم كالجزائر الكبار ما عمها
النيل ولا زرعت . والزراعة فيها قليلة واهلها يشكون الضيق والتعب من عدم العيوش . . . »
وكتب اليه عثمان الدكيم من بربر في ١٤ القعدة سنة ١٣٠٦ هـ ١٢ يوليو ١٩٨٨ م
يقول : « . . . ان الاردب الواحد من الذرة بلغ في الثمن ستين ريالاً . . . »
وخرج الزاكي طمل من القلايات الى القضايف طلباً للقوت وكتب الى الخليفة
في ١٨ شعبان سنة ١٣٠٦ هـ : « . . . والحال سيدي ان الجيش بعد ما حررنا في طلوعه
لارض العدو قد تزايد به الضرر من جهة المعاش وعم ذلك الكافة صغيراً وكبيراً
مجاهداً وعائلة حتى صاروا يأكلون الجيف ويلتقطون الحبوب من الارض في الطرق
والمزابل ومحلات الرماد وهم الآن بجالة لو رآها سيدي لرثى لهم . . . وتفرق الغالب منهم
في الجهات في التماس المعاش وبعضهم يلتقطون القشوش والاشجار من الاودية مسافة ٣
ايام أو اربعة . . . لذلك قد اخرنا السرية عن التوجه الى الحبشة ونحن كذلك غير
متيسر توجهنا اليها الآن لان الجيش قد اشتغل بنفسه . . . وفي هذين اليومين
قصدا ارسال سرية الى جهات الجبال الصعيدية كمثلى أبي رملة وما يليه فيها ٨٠٠٠

رجل ٤٠٠٠ سلاح ناري و ٤٠٠٠ حراة وفي رأسها عبد الرسول عمر فبذلك تحصل
مداركة الجيش بما يحضرونه من المواشي وهم ايضاً يتمعون ٠٠٠٠٠
وقد اجتمعت بكثيرين ممن حضروا هذه المجاعة في السودان فقصوا علي
كثيراً مما قاسوه بأنفسهم وما شاهدوه بغيرهم . من ذلك ما حكاه لي عمر بك
ابوسن قال : خرجت من الخرطوم في شهر محرم سنة ١٣٠٧ هـ قاصداً ارتفاعه فما
اقبل الليل حتى تراكمت السحب وخفنا ان يدهمنا المطر في الطريق فخرجنا الى
حلة في الجزيرة تسمى « ولد عثيب » للمبيت فيها فوجدنا ابواب منازلها مقفلة
ولا يسمع فيها صوت انسان فعمدنا الى باب دار فخلعناه فانتشرت منه رائحة منته
فأوقدنا ناراً لنرى ما الخبر فاذا بأهل المنزل رجالاً ونساءً واطفالاً قد رقدوا على
اسرتهم موتى ثم طرقتنا بيتاً آخر فسمعنا صوت انين ضعيف فدخلناه فاذا بسكانه
قد اشرفوا على الهلاك فسألناهم عن الخبر فأومأ اليها صاحب الدار ان اطعمونا فنعلمكم
بحالنا فأحضرنا لهم ما تيسر من الزاد فأكلوا وشربوا واكل بعضهم بنهم زائد فماتوا
في الحال وقال صاحب الدار ان القحط قد بلغ حدّه عند اهل البلدة بسبب انحباس
الامطار فأقفلوا عليهم الابواب فماتوا جوعاً كما ترون « اه
واخبرني من اثق به انه دخل منزلاً في التمة من اهل البيوتات فرأى صاحب
المنزل ميتاً على سريره واولاده موتى بجانبه وقد ربطهم الى قائمة السرير لتلايفلوا
ويضطرهم الجوع الى التسوّل فيعيّر بهم
وحدثني احد الثقات قال كنت في مجاعة سنة ١٣٠٦ هـ في كسلة في اماره حامد
علي البقاري وكيلاً على السوق فدخلت ذات يوم منزلاً فوجدت امرأة تطبخ في
قدر فكشفت القدر فاذا فيها يدا عروس لا يزال عليهما اثر الحناء فسألتهما عن ذلك
فقالت اني دخلت ليلاً على عروس فلان مع فلانة وفلانة فوجدناهما قد اشرفت
على الهلاك جوعاً فذبجناهما واقتسمنا لحمهما للتقوت به . قال محدثي وكثيراً
ما رأيت الموتى قد بقرت جثثهم وأخذت اكبادهم طعاماً للجياع . الى غير ذلك من
الاخبار الرائعة والانباء المحزنة

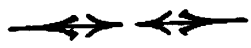
﴿ قتل ابراهيم ود عدلان سنة ١٣٠٧ هـ ﴾

تقدم ان الخليفة عزل احمد سليمان وسمى ابراهيم ود عدلان المار ذكره في حصار الايض اميناً ليت المال فأحسن ادارته ونقله من مكانه الاصيل الى شاطئ النيل لتقليل نفقات النقل ومشتقاته ونظم اساليب الدخل وانخرج وضرب الريالات مازجاً فضتها بالنحاس . وقد علم كيف يكتسب رضى الخليفة فخصه واقاربه بالنصيب الاكبر من بيت المال فبقي مكرماً مسموع الكلمة الى ان كانت سنة ١٣٠٧ هـ وتم ورود البقاره من الغرب فامره الخليفة ان يمضي الى الجزيرة ويقنع اهلها بارسال ما استغلوه من الذرة اعانة للبقارة بلا ثمن فذهب مكرهاً لانه لم يكن يرضى بالجور الى هذا الحد وكان قد اثرى من بيت المال وكثر حساده فوشوا به الى الخليفة انه غير راضٍ بأمره وانه نسب المجاعة التي حصلت سنة ١٣٠٦ هـ اليه والى سلبه الناس لاجل قبيلته وكان اكبر خصومه يعقوب اخا الخليفة فاستدعاه الخليفة الى ام درمان ووبخه توبيخاً صارماً وكان ود عدلان جسوراً ابي النفس فقال له نعم انك بتفضيلك لقومك نفرت منك قلوب الذين كانوا يخلصون لك وانا لا قدر ان اخدمك بعد فاضطرب الخليفة من هذا الكلام وقال في نفسه ان الرجل لم يتكلم بهذه الجرأة الا وله انصار في البلاد ولم يستعف من منصبه الا وهو على ثروة طائلة وقد صمم على الفتك به لكنه اضمر الكمد واظهر الجلد وقال له اذهب الآن وغداً ارد لك الجواب فطلب الخليفتين والقضاة واخاه يعقوب ثم استدعى ود عدلان وعنفه امامهم على جراته ثم امر الملازمين فقبضوا عليه وخفوا به الى السجن وامر باستصفاء امواله ولكن ود عدلان رشى السجن واسرع الى بيته ليلاً واخفى امواله في مكان قيل لا يزال مجهولاً الى اليوم وعاد الى السجن فلما جاء رسل الخليفة لاستصفاء ماله لم يجدوا منه الا النزر اليسير . هذا وكان الملازمون عند القبض عليه وجدوا ورقة في جيبه عليها اسم الخليفة وكتابة مبهمه فقال الخليفة انها طلسم اراد ان يسحرني به فحكم عليه بالقتل فقيده الى المشنقة فصعد الى السلم بقدم ثابتة واسلم الروح . وسمي في مكانه النور الجريفاوي من تجار الخرطوم سابقاً وسيأتي ذكره

الباب الرابع

في

استرجاع السودان



الفصل الاول

في

استرجاع طوكر في ١٩ فبراير سنة ١٨٩١

تقدم ان الحكومة المصرية ما خرجت من السودان الا مُكرهة مضطرة فوقفت عند حدودها في حلفا على النيل وفي سواكن على البحر الاحمر وهي غير آمنة من الرجوع الى السودان بل ما زالت تؤمله وتترقب الفرص . وقد تسنت لها فرصة بعد واقعة طوشكي سنة ١٨٨٩ فاعوزها المال كما قدمنا . ثم اتاحت لها فرصة في سواكن في اوائل سنة ١٨٩١ فاسترجعت طوكر بنفقة لا تذكر واليك البيان :
عزوة عثمان دقنه للحباب قد ذكرنا ان عثمان دقنه هجر هندوب بعد واقعة الجميزة واحتل بلاد طوكر الخصيبة فاشتغل في تهريب الرصاص من ارض الحجاز الى السودان وقد ترك عصابة من الرجال في هندوب وأخرى في تملي فقطعوا السابلة وضيقوا على سواكن وكثر تهريب الرقيق الى الحجاز من داخل السودان وكان المحافظ على سواكن الى هذا العهد هولاء سمث باشا فرأى ان لا يمكن اصلاح الحال الا بطرد عثمان دقنه من طوكر فاخذ يترقب الفرص لذلك ولما دخلت سنة ١٨٩١ خرج عثمان دقنه بمعظم جيشه لغزو الحباب الذين خرجوا عن طاعته ولم يبق في طوكر الا حامية صغيرة فابلق هولاء سمث الخبر تلغرافيا الى السردار في ١٥ يناير سنة ١٨٩١ واستاذنه في مهاجمة طوكر بما لديه من



﴿ الماجور ونجت ﴾
« مدير قلم المخابرات الحربية سابقاً »
(سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام الحالي)

العساكر قبل عودة عثمان اليها وكان السردار اذ ذاك في الحدود النيلية بمعية المغفور له
توفيق باشا الخديوي السابق فرجع الى مصر للنظر مع رجال الحكومة في اغتنام هذه الفرصة
﴿ اخذ هندوب وتمامي ﴾ وتمهيداً للزحف على طوكر اخذ هولدمست الاورطة
الحادية عشرة وبعض الفرسان ونزل على هندوب في ٢٧ يناير وكان فيها نحو ١٠٠
رجل قتل نحو ٤٠ رجلاً وفيهم مقدمهم رقعة وهزم الباقي الى الجبال * وفي ٢ فبراير
ارسل الغربان المتحابة الى تمامي وكان فيها ٥٠ رجلاً عليهم الشريف قبسة فاسروا
الشريف المذكور وبعض اصحابه وعادوا الى سواكن

﴿ الزحف على طوكر ﴾ وفي ٨ فبراير اقرت الحكومة على استرجاع طوكر فابلق
السردار قرارها الى هولدمست تلغرافياً وارسل اليه بعض اركان حربه من مصر
لمساعدته على الفتح وهم اللوا ستل باشا رئيس اركان حربه والقائم مقام ونجت بك
مدير قلم المخبرات (السردار الحالي) والميرالاي رندل بك * وكنت في هذا العهد
في قلم المخبرات تحت ادارة القائم مقام ونجت بك فصحبته انا وملحم بك شكور سكرتير
عربي السردار * فدخلنا سواكن في ١٤ فبراير فوجدنا هولدمست قد سبقنا بالعساكر
الى ترنكتات ومعه من اركان حربه البكباشي ابراهيم افندي فتحي فلحقناه اليها في اليوم التالي
وفي صباح ١٦ فبراير ابقى هولدمست في مرسى ترنكتات بلوكاً من العساكر
وسار نحو ساعة حتى بلغ اليبس فأقام مخزناً للماء حصنه بمدفعين وبعض العساكر واستطرد
السير قاصداً التيب بالقوة الآتية : اورطة من السواري ومدفعين كروب والاورطة
الرابعة المصرية والاورطتين السوادنيتين الحادية عشرة والثانية عشرة وبعض
رجال القسم الطبي ومجموع الكل ٨٥ ضابطاً و ١١٩٦ عسكرياً و ١٥١ جواداً
و ١٩٥ جملاً و ٣٠ بغلاً و ٤٦ حماراً . وقبل وصولنا الى التيب بقليل رأينا عظام
القتلى قد انتشرت اكداساً في سهل فسيح تعلوه الانجم فعلما اننا في ميدان واقعة
باكر . وعند العصر بلغنا التيب فوجدنا الابرار مسدودة وكان الجيش قد احضر معه
بعض الفؤوس والفعلة فحفرها واخذنا منها كفايتنا من الماء وبتنا على نية استطراد
السير نحو طوكر في فجر الغد . ولكن ما طلع الفجر حتى ثارت زوبعة شديدة غشيت

الجو والطرق بسحاب غبار كثيف دام عدة ساعات فانتظرنا الى صباح اليوم التالي هذا وكان عثمان دقنه قد عاد من غزوة الحباب وعلم باحتلال هولسمث لهندوب فترك ابن الطاهر المجذوب وكيلاً عنه في طوكر وقام لساعته بمعظم انصاره قاصداً استرجاع هندوب فما وصل تماني حتى جاءه رسول من ابن الطاهر المجذوب يعلمه بخروج العساكر من ترنكتات قاصدين طوكر فرجع على الاثر ودخل الديم الاثنين في ١٦ فبراير وكان الديم في بقعة خصبية تسمى عفافيت على نحو ٣ اميال الى الجنوب من طوكر القديمة وهو ديم متسع محيطه ٤ اميال وفيه نحو ٦٠٠٠ طقل فحال وصوله ضرب تقارة الحرب وجمع اهل بادية طوكر الى جيشه فاجتمع عنده في ذلك اليوم : ٦١٣٠ مقاتل منهم ٥٠٠ رجل من الارتيقة والجيلاب والنواب والاشراف والدقناي والخاصة وغيرهم من اهل بادية طوكر وكلهم مسلحون بالسيوف والحراب والدرق و ٧٠٠ من الاغراب الجعليين والداقلة والبقارة معهم ٣٠٠ بندقية و ٣٠٠ جهادي مسلحين بالبنادق و ١٣٠ فارساً

وفي ظهر الثلاثاء في ١٧ منه خرج بجميع مقاتلته الى ظاهر الديم فلم يبق فيه سوى النساء والاولاد وجعلهم اربعة ارباع في كل ربع خليط من الوطنيين والاغراب والجهادية وجعل على كل ربع اميراً وكان امراء الارباع : شايب احمد والشريف حمد النيل ومحمد احمد واحمد بدوي ابو صفيه وجعل على الفرسان عثمان نائب وكلهم من مولدي الدناقلة وقد جعله وراء الجيش ليمنع الناس من الفرار وارسل ثلاثة لتنبه بحركات الجيش

هذا وكنا عند وصولنا ترنكتات قد علمنا برجوع عثمان دقنه الى طوكر ولكننا لم نتحقق ذلك حتى مساء ١٦ فبراير اذ فرّ الينا محمد اغا حسين الشاقي من ضباط كردوفان الباشبوزق فأخبرنا برجوع عثمان من غزوة الحباب وشخصه الى هندوب وفي فجر ١٨ فبراير قبض كشافة الجيش على طليعة لعثمان فاكد لنا رجوعه الى عفافيت واستعداده لملاقاة الجيش وانه يوم رجوعه شق ثلاثة من مشايخ البلاد لانهم حاولوا الفرار الى الجيش وقطع يد ورجل ٢٠ رجلاً منهم لاتهم اياهم بالjasوسية

واقعة طوكر في ١٩ فبراير سنة ١٨٩١

وفي فجر ١٩ فبراير ترك هولدميث في التيب المدفعين و ٥٠ رجلاً من الطوبجية ونصف بلوك من الاورطة الثانية عشرة وسار بالجيش الى طوكر تتقدمه السواري وكان في مقدمة السواري القائم مقام ونجت بك فالتقى بطلائع العدو عند خرائب طوكر القديمة فردّهم على اعقابهم وبعث يستحث الجيش على الاسراع لاحتلال تلك الخرائب والامتناع بها قبل وصول العدو فسار الجيش سيراً حثيثاً حتى وصلها الساعة ١٠ صباحاً فاتخذ من جدرانها متاريس واضطف فيها على شكل نصف دائرة جاعلاً حملة الماء والذخيرة وراءه ومكث هولدميث واركان حربه في الوسط . وفي اثناء ذلك كنا نرى العدو من خلال الانجم التي ملأت السهل من حولنا وهو مقبل نحونا ركضاً قصد احتلال الخرائب قبلنا فسبقناه اليها بوضع دقائق ولو سبقنا اليها لاستحال علينا اخراجه منها وترجح رجوعنا عنه بالخفية والحسرة وكان الفضل كل الفضل في هذا السبق للحازم الباسل القائم مقام ونجت بك كما ذكرنا . وما أتم الجيش انتظامه في الخرائب حتى كان العدو قد اصبح على قيد ٥٠ يرداً منها ففتح الجيش افواه البنادق وصب الرصاص عليه كالطر الوابل واجاب العدو نيراننا واشتد القتال باطلاق الرصاص من الجانبين . وقد كنت قبل بدء القتال على قمة تلة بين الخرائب اشاهد العدو وهو مقبل علينا فبقيت على تلك التلة اشاهد القتال فكان رصاص العدو على كثرته قليل الاصابة عالي المرمى حتى انه كان يمر فوق رأسي مع شدة ارتفاع موقفي واما رصاص الجيش فقد كان صائباً فثاكاً فكنت ارى ابطال العدو مهاجمين والرصاص يجندلهم الواحد بعد الآخر حتى كان بعضهم يقتل على قيد متر أو مترين من صفوف الجيش . ولما كثر القتل فيهم رأيت فرسانهم يدورون حول الجناح الايمن قصد مهاجمتنا من الورا فمدّ الجيش جناحه وصلاحهم ناراً حامية فجندل ابطالهم وصدّهم عنه ولكن فاز اميرهم عثمان نائب باختراق الصف واذ قتل فرسه من تحته هجم راجلاً ويده الحربة وهو ينادي « اين الملعون كبيركم » فتصدى له الكبتن ماتشل قومندان الحملة (مستشار الداخلية الآن) ورماه برصاصة من مسدسه فاحتمل الضربة وظل مهاجماً ثم رأيت محمد بك احمد مأور سواكن

قد كثر عليه رايكا جواده وشاهراً سيفه ولكنه قبل ان يدركه وقع ينجبط
بدمائه عند اسفل التلة التي كنت جالسا عليها فضر به بالسيف ضربة فأجهز عليه .
واخترق صف العساكر ايضاً فارس آخر يدعى الأخيضر فقطع ارباً . ثم ان رماحة
ال دراويش حاولوا ان يدوروا حول الجناحين فلم يفلحوا ودامت الواقعة في احتدامها ساعة
ونصف ساعة فكانت اشد الوقائع التي جرت للجيش مع الدراويش وحق لجميع الضباط
والعساكر الذين اشتركوا فيها كل مدح وثناء . وقد انجحت عن انهزام عثمان دقته
وانصاره فرؤوا بديمهم واخذوا نساءهم وما خف من الامتعة وفرؤوا جنوباً وما ابدوا
حتى انقسموا فريقين فريقاً انضم الى الامير شايب فذهب الى حامد علي البقاري
في كسلة وفريقاً بقي مع عثمان دقته فنزل في ادارامه على الاتبرة . وزحف الجيش
على الديم وكان قد تخلف فيه كثير من اهل البلاد وجماعة من رجال الفتح الاول
الذين كانوا في اسر الدراويش من ضباط وعساكر وملكية وتجار فرفعوا راية يضاء
وخرجوا لاستقبال الجيش فتلقاهم بالترحيب واحتل الديم مساء يوم الواقعة وبذلك
عادت بلاد طوكر الى الحكومة المصرية بعد ان رتع فيها الدراويش سبع سنين *
وقد قتل من الجيش في هذه الواقعة ضابط و ٩ عساكر وجرح ٤٨ رجلاً واما
الدراويش فقد بلغ عدد قتلاهم ٧٠٠ رجل فيهم ١٧ اميراً وزاد عدد جرحاهم على ذلك
﴿ الغنائم ﴾ ثم جمعت الغنائم من الديم فكانت اكداً عظيمة من الاسلحة
القديمة والجوخانة والرصاص والنقاير والذرة والاثاث وفيها ٤ مدافع وخيام من ايام
باكر . وقد وجدت بين دفاتر بيت المال واوراقه تاريخ وقائع عثمان دقته كما قدمه
للخليفة فاطلت منه على حقائق شتى . وبيعت الغنائم التي لم يحتاج الجيش اليها
بالمزاد فاشترى القائم مقام ونجت بك نقارة كبيرة عليها كتابة قديمة تقرأ هكذا : « هذه
نقارة الفضة . . . نقارة سلطان الحبشة السلطان ياسو ابن السلطان الكبير * * يوم
الاثنين . . . سنة ١١٠٧ هـ . . . يوم جاء بنفسه فقتله السلطان بادي في شهر صفر » وعليها
كتابة اخرى حديثة بأحرف رفيعة : ملك السيد محمد احمد الشيخ ادريس سنة ١٣٠٤
ولم نر في عفايت شيئاً يستميل النظر سوى مشقتها وجامعها وهو عبارة عن

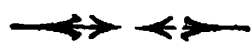


﴿ عباس باشا حلمي الثاني ﴾
﴿ خديوي مصر المعظم ﴾

عدة روايك من قش بعضها بجانب بعض . وبجانبه قبر الطاهر المجذوب الذي مات سنة ١٨٩٠ هـ . وثاني يوم الواقعة جاء مشايخ البلاد المجاورة وقدموا الطاعة للجيش فعني عنهم . وفي ٢٣ فبراير حضر السردار غرنفل الى عفافيت وارسل منشورات الى اهل بادية السودان الشرقي كافة يخبرهم باحتلال الحكومة لطوكر ويدعوهم الى مجلس في سواكن . وفي ٣ مارس اخذ اركان حرب والمحافظة وعاد بطريق تمّاي وسنكات فوصل سواكن في ٧ مارس وفي ٨ مارس عقد مجلساً مع مشايخ البلاد فصرّح لهم بالعمو باسم افندينا . وفي ٩ منه عاد الى مصر هو واركان حرب فعدت معهم

ولاية سمو الخديوي عباس باشا حلمي الثاني في ٨ يناير سنة ١٨٩٢ هـ

وكانت طوكر البلاد الوحيدة التي استرجعها الجيش في عهد المغفور له توفيق باشا الذي انتقل الى رحمة ربه في ٧ يناير سنة ١٨٩٢ هـ . وكان نجله الاكبر عباس باشا حلمي (الخديوي الحالي) اذ ذاك يتلقى العلوم في كلية برلين فوصل مصر في ١٦ يناير وقرئ الفرمان السلطاني بتوليته في قصر عابدين في ١٤ ابريل من السنة المذكورة فكان استرجاع السودان في ايامه السعيدة ادام الله نصره وايداه



الفصل الثاني

في

استرجاع كسلة عن يد التليان في ١٧ يوليو سنة ١٨٩٤ هـ

مع ذكر وقائع فاشوده والسودان الشرقي سنة ١٨٩٦:١ هـ

غزوة الزاكي طمل للشك . تقدم لنا ذكر قتل ملك الشك في واقعة راشد بك في قدير فتولى الشك بعده الملك عمر قيل انه ذهب الى المهدي فأعطاه البيعة وثبته ملكاً على بلاده فبقي لا يعارضه فيها معارض الى ان كانت مجاعة سنة ١٣٠٧:٦ هـ فأرسل اليه الخليفة جيشاً في باخرتين جلب العشور منه فأبى تأدية العشور ولكنه ارسل اليه ٢٠٠٠ اردب ذرة على سبيل الهدية

فلما كانت سنة ١٣٠٨ هـ انفذ الخليفة امره الى الزاكي امير القلابات فخرج بنحو ٢٠

الف مقاتل واخترق الجزيرة الى بلاد الشلك فوجد الملك عمر قد حشد الجيوش واستعد لمحاربتة فأوقع فيه وقائع دموية حتى قتله فأرسل رأسه الى الخليفة وبقي يعيث في بلاد فاشودة فيسترق اهلها وينهب ماشيتهم وغلاهم الى اواسط سنة ١٨٩٢ ﴿ سفر الزاكي طمل الى القضارف ﴾ فاستقبله الخليفة احسن استقبال وارجمه بجيشه الى القضارف في اوائل سنة ١٨٩٣ بطريق ابي حراز ليكون مع جيش كسله في صدد التليان الذين كانوا يمدون حدودهم في الارثريا جنوباً وغرباً فبنى الزاكي في القضارف قصرًا جميلًا وعاش بابهة عظيمة * فسعى به بعض حساده الى الخليفة وفيهم حامد البقاري وعبد الله ابراهيم من امراء جيشه بانه طامح الى الاستقلال . قيل وقد اساء معاملة الامراء الذين رأى منهم الانحراف عنه

﴿ موت الزاكي في سجن ام درمان ﴾ فاستدعاه الخليفة الى ام درمان فحضر الجمعة في ٢٥ اوجسطس سنة ١٨٩٣ ؟ فالتقى القبض عليه وزجه في السجن وكبله بالحديد ومنع عنه الغذاء فمات جوعاً في ١٦ سبتمبر سنة ١٨٩٣ ؟ وكان رجلاً جباراً عبوساً طويل القامة قليل اللحم متماسك البدن اسمر اللون جداً خفيف اللحية طويل الشاربين ونقش خاتمه : « وفق لاحسن العمل عبدك الزاكي طمل » ؟ وقد غنم الخليفة ماله فوجد عنده ٥٠ الف ريال مجيدي وابوطيره وحلى ثمينة من غنائم الحبشة وكثيراً من الخيل والماشية والرقيق . قيل وكان عنده من النساء فوق المئة ومن الاولاد ٢٧ فوزع الخليفة النساء اللواتي لهن اولاد على عبيده واللواتي ليس لهن اولاد على خاصة رجاله

وكتب الى امرائه في الجهات يخبرهم بسجن الزاكي ثم بموته فما كتبه الى محمود احمد امير الفاشر في سجنه : « ... هذا ونعلمك أيها المكرم ان الزاكي طمل قد كثرت فيه التشكيات من الانصار الذين معه وتضرر كثيراً من سيره فيهم بالعنف وضيق اخلاقه وتغير احواله فطلبناه لطرفنا ومعه العمال وبالممارسة لاحواله وجدنا ان به عارضاً شديداً وقيل انه كان معه من سابق الا انه اشتد عليه في هذا الوقت وبأسباب ذلك اجرينا زجره وحبسه بالمشورة فان طاب وشفي من ذلك العارض

فبها والا فتصير معالجته منه الى ان يقدر الله له الشفاء أو يقضي الله امرًا كان
مفعولاً . . . والسلام في ١٤ صفر سنة ١٣١١ هـ « ٢٧ اغسطس سنة ١٨٩٣ م
ثم كتب اليه في ١٠ ربيع الاول ٢١ سبتمبر من السنة المذكورة يقول « انه
هلك في السجن على صفة فظيعة وحالة شنيعة وانه بمجرد خروج روحه اشتعلت
النار في جسمه واسود وجهه والعياذ بالله ! »

واقعة اغوردت في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٩٣ م وسمى الخليفة احمد علي قائدًا
على الجيش مكانه وكان التليان لم يزالوا يمدون حدودهم الى جهة كسله فأمره بصددهم
فساق الجيش وفيه ١٢ الف مقاتل وأوغل في بلاد الارثريا حتى بلغ اغوردت في
منتصف المسافة بين كسله ومصوع فالتقاه الكولونل اريمونيدي بنحو ألفي مقاتل من العساكر
الوطنية و ٤٢ ضابطاً وأوقع فيه واقعة عظيمة فقتله هو ومعظم رجاله وفيهم الامير
عبد الله ود ابراهيم وهزم الباقين الى كسله وكان ذلك في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٩٣
فتح التليان كسله في ١٧ يوليو سنة ١٨٩٤ م

فاشتد قلق الخليفة اذ ذاك على كسله فعزل اميرها حامد علي (اخا احمد علي)
وولى مكانه ابا قرجه ثم مساعد قيدوم وارسل جيشاً بقيادة احمد فضيل من اقاربه الى
القضارف تعزيزاً له وشرع يستعد لاختار فرأى التليان ان اخذ كسله يقوي مركزهم في
السودان والحبشة فاستأذنوا الحكومة المصرية وأمروا قائدهم الكولونل بارتيازي فتقدم
بـ ٢٥١٠ رجال الى كسله وباغت اهلها المهجوم في فجر ١٧ يوليو سنة ١٨٩٤ فاحتلها
عنوة وفرّ مساعد قيدوم ومن سلم من القتل الى القضارف وأم درمان فحصن التليان
كسله واقاموا فيها الى ان سلموها للحكومة المصرية في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٩٧
ولما وصل خبر كسله الى الخليفة طار صوابه فركب جواده وأتى بانصاره الى
ضفة النيل الابيض ثم دفع الجواد في الماء حتى غمره الى صدره فاستل سيفه وهزه
مشيراً الى كسله ثم كبر على التليان ثلاثاً واقسم ان لا يرجع عنهم حتى يسترجع كسله
ويردهم الى مصوع . ولكنه لم يأت شيئاً يستحق الذكر حتى كانت واقعة عدوة
في ١ مارس سنة ١٨٩٦ التي انتصر فيها الاحباش على التليان انتصاراً باهراً

كما سيجيء في تاريخ الحبشة فشرع في تعبئة الجيوش في القصارف لاسترجاع كسله
وكان استعداداهُ هذا السبب الاعظم الذي حمل الحكومة المصرية على مباشرة الفتح
الاخير كما سيجيء . هذا ما كان في السودان الشرقي فلننظر الآن الى ما كان في
السودان الغربي بعد ان تولاهُ محمود احمد ابن عم التعايشي فنقول :

الفصل الثالث

في

﴿ وقائع السودان الغربي في ولاية محمود احمد سنة ١ : ١٨٩٦ ﴾

مرّ بنا ان محمود احمد وصل الفاشر الاثنين في ٢٦ يناير سنة ١٨٩١ وتولى
قيادة جيوش الغرب بدلاً من عثمان آدم . وكان عندهُ من الجيوش عدا حامية
صغيرة في الايض ٥٤٣١ جهادياً و ٥٥٥٠ حراباً و ٨٢٨ فارساً فجعل منها حاميات
في دارة وشكا وكبكية والاضية وبقي هو بمعظم الجيش في الفاشر

﴿ غزوة الميدوب في ٢٠ فبراير سنة ١٨٩١ ﴾ وكانت باكورة اعماله فيها انه ارسل
سرية بقيادة البشاري ريدة على الميدوب فالتقاهم في عدّة المالحة يوم الجمعة في ٢٠ فبراير
سنة ١٨٩١ م وقتل منهم خلقاً كثيراً وعاد بالاسلاب والغنائم الى الفاشر

﴿ غزوة الرزيقات مارس سنة ١٨٩١ ﴾ وارسل فضل النبي اصيل على الرزيقات فغنم
منهم : ٣٩ جواداً و ١١٣ جلاً و ٥٥٩ بقرة و ٦٢ حماراً و ٤٤٦٨ رأس غنم و ٦٤ رقيقاً
﴿ حسن تور ﴾ هذا وكان الفور المطالبون بملك اجدادهم بعد قتل ابي الخيرات
قد تجمعوا على حسن تور وهجموا على سنين حسين عامل كبكية فردم بالخبية
والخسران ثم اعادوا الكرة عليه يوم الجمعة في ٦ مارس سنة ١٨٩١ فردم ثانية

﴿ الامير علي دينار والتعايشي ﴾ فولى الفور الامير علي دينار ابن الامير زكريا
ابن السلطان محمد الفضل سلطاناً عليهم بدلاً من ابي الخيرات فامتنع بهم في جيسل
مرة فكتب اليه محمود يدعوهُ الى التسليم فحاولهُ مدة ثم جاءهُ مسلماً . فكتب محمود
بذلك الى الخليفة في ٢٨ مايو سنة ١٨٩١ فكتب الخليفة الى الامير علي دينار مراراً

يستدعيه الى ام درمان وقد بالغ في التلطف له واكثر من الوعود فابي الدعوة بعد
تردد كثير فقابلته بالاحتفاء والاكرام وابقاه عنده الى ان كانت واقعة كرري
سنة ١٨٩٨م ففر منها بأنصاره الى دارفور فتولاها الى اليوم وسياتي ذكره

تمرد الجهادية في النهود في ٢٠ يوليو سنة ١٨٩١ هـ وفي هذه الاثناء حصل
جوع في الفاشر فانتقل محمود بجيوشه الى النهود وقد أساء معاملة الجهادية فاثمروا
على قتله وقتل جميع التعايشة الذين معه وخرجوا عليه الاثنين في ٢٠ يوليو سنة ١٨٩١
فأخذ بعضهم بالحيلة وبعضهم بالقوة ففاز بالنجاة ونكل برؤوس العصاة واقلق الخليفة
عليه فكتب يستدعيه مع الجيش الى ام درمان لاجل تدريب الجهادية على طاعته
فوصلها في ٧ يونيو سنة ١٨٩٢ فاقام فيها نحو خمسة اشهر وعاد الى الفاشر

خبر مزيل المحن سنة ١٨٩٣ هـ ولم يكذب يصل الفاشر حتى اتاه كتاب من
الخليفة يخبره بان الناس ارجفوا كثيرا في ام درمان بقيام رجل في جبال النوبة
ادعى الاصلاح فدعا الناس لحرب الانصار فالتفت عليه جموع كثيرة وقد سمى نفسه
مزيل المحن وسماه بعضهم ابا نعال لانه يلبس نعالاً . فكتب اليه محمود بتاريخ ٢٩
يناير سنة ١٨٩٣ يقول : « ان هذه الاخبار شائعة في الفاشر ايضاً وان الناس على
خلاف في شأنه فبعضهم يقول انه كجور جبال الكدرو وبعضهم انه رجل غيره ظهر
رفع الظلم وغالب الناس يقولون انه في جبل السّما . قلت وقد وصلت هذه
الاشاعات مجسمة الى مصر حتى ظننا ان نهاية التعايشي قد اقتربت ولكن لم تلبث
الاشاعات ان انطفأت وبقى التعايشي على حاله . وقد رأيت كتاباً من محمود الى
الخليفة بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ١٨٩٣ يقول : « اني جلت في جبال النوبة كلها افتش
على الرجل فوجدت خبره كذباً واختلاقاً »

غزوة الجاتقية وخبر النصاري في بحر الغزال سنة ١٨٩٣ هـ وفي اوائل سنة
١٨٩٣ غزا فضل النبي اصيل عامل شكا بلاد الجاتقية فتجمعوا عليه وقتلوه هو ومعظم
جيشه وخلفه الزبير الفحل على شكا فكتب الى محمود في ٧ مارس سنة ١٨٩٣ يقول :
ان ٣٠ سائحاً من النصاري حضروا الى بلاد الفراتيت ثم عادوا الى النام

﴿ خبر النجل المكرم سنة ١٨٩٥: ٤ ﴾ هذا ومما يذكر في هذا الموضع « خبر النجل المكرم » الذي بلغ دويّه اقاصي السودان ومصر وذلك ان الخليفة عبد الله لما كان في الايض استخطى جارية من النوبة فحملت منه وهما لا يعلمان فلما خرج مع المهدي لغزو الخرطوم سنة ١٨٨٤ لم ترض الذهاب معه فرجعت الى جبالها فولدت ولداً ذكرًا ومرت الايام والسنون حتي بلغ عمر الولد ١٠ سنين فنقل بعض التجار خبره الى الخليفة فاهتم له جداً وارسل رسلاً مخصوصين الى جبال النوبة فأحضروا الولد وامه الى ام درمان بطريق الفاشر سنة ١٨٩٥ فاستقبلها الخليفة باحتفال عظيم باهر وهذا « النجل المكرم » وقع اسيراً في يد السر رجينولد ونجت باشا في واقعة « جديد » سنة ١٨٩٩ وهو الآن في قلعة مصر يتعلم الاشغال اليدوية في ورشتها واسمه عبد الصمد ﴿ غزوة محمود لدار قمر ودار تامة سنة ١٨٩٥ ﴾ وفي اوائل سنة ١٨٩٥ خرج ادريس القمر اوي عن طاعة المهدي فزحف عليه محمود من الفاشر ففر امامه الى دار تامة فطارده اليها فجرّد عليه سليمان بن ابراهيم سلطان تامة جيشاً جراراً بقيادة ابن اخيه وولي عهده يونس فالتقاه محمود وأوقع به في مكان يدعى كيمه ضحوة الثلاثاء في ٢٧ شعبان سنة ١٣١٢ هـ ٢٣ فبراير سنة ١٨٩٥ فقتله وهزم جيشه

﴿ مهدي تامة الاول ﴾ فجهز السلطان سايمان جيشاً آخر اعظم من الاول وعقد لواءه لاختيه فضل وارسله لقتال محمود وقبل الوصول اليه ظهر فقيه من قرية الجزيرة التي خرج منها ابو حمزة المار ذكره وادّعى انه المهدي المنتظر وتكفل لجيش السلطان سليمان بابادة الدراويش فصدقه وكتب الى برقو والمساليات فوفد اليه جموع كثيرة ثم كتب الى محمود يخبره بظهوره ويدعوه الى الطاعة وكان محمود قريباً منه فاستعدله والتقاء ضحى الاثنين في ٢٤ مارس سنة ١٨٩٥ م قرب وادي « بالي » فكان بين الفريقين قتال شديد اقتتلا فيه بالحرايب والسيوف فقتل مهدي تامة وانهمزم جيشه وقد علق كل من انصاره لوحاً في عنقه عليه كتابة مقطعة زعم انها تقيه من الرصاص فأرسل محمود رأس المدعي وبعض هذه اللوحات مع تفصيل الواقعة الى الخليفة وتقدم لقتال السلطان ابراهيم في عاصمته ففر من وجهه الى برقو

﴿ مهدي تامة الثاني ﴾ ولكن لم يكن الا القليل حتى ظهر من قرية الجميزة مهدي آخر يدعى احمد بن عبدالله فالتفت حوله الانصار من تامة وبرقو والمساليات وقد ادعى انه نزل من السماء وان ابا جميزة تلميذه ولكنه قام بالدعوة بلا اذنه فلم يفلح فطارده محمود الى مكان يدعى «ليلة» ففر منها فأرسل خلفه الفرسان فأدركوه جنوبي ليلة فقتلوه وشتتوا جموعه وتقدم محمود الى قرية الجميزة فأخربها وحرق الجميزة ثم ولى ادريس ابراهيم وكيلاً عنه في دار تامة فأقام في عاصمتها نيرة وولى حسب الله ابوبكر اخا ادريس القمرابي وكيلاً عنه في دار قمر فأقام في عاصمتها قناطير وفي ١ اوجسطوس سنة ١٨٩٥ م غزا زغاوة فغنم وسبي وعاد الى الفاشر ﴿ النبي عيسى في دار تامة ﴾ ورأيت منه كتاباً الى الخليفة بتاريخ ٤ اكتوبر سنة ١٨٩٥ م يقول فيه : « انه ظهر في دار تامة رجل ادعى انه نبي الله عيسى » وبقي محمود في الفاشر الى ان زحف الجيش المصري لاسترجاع دنقله فاستدعاه الخليفة الى أم درمان فحضر وعاد في ٦ سبتمبر سنة ١٨٩٦ واخذ في جمع اطرافه ثم ولى ابدى الرضى على الفاشر والختم موسى على الايض وأتى بجيشه الى أم درمان فوصلها في ٨ الحجة سنة ١٣١٤ ١٠٥٥ مايو سنة ١٨٩٧ م فأرسله الخليفة الى اتممة لتأديب الجميلين الذين خرجوا عن طاعته والوقوف في صدد الجيش المصري كما سيبي تفصيلاً

الفصل الرابع

في

﴿ وقائع ام درمان سنة ١ : ١٨٩٦ ﴾

﴿ الخليفة والاشراف سنة ١ : ١٨٩٥ ﴾

اشرنا غير مرة الى الشدة والدهاء الذين عامل بهما التعايشي رفيقه الخليفة شريف لناظرته اياه في الخلافة وما زال التعايشي يضيق عليه حتى ضاق صدره ونفذ صبره . وقد نال اولاد المهدي والاشراف عموماً نصيبهم من هذا التضيق لمجازبتهم للخليفة شريف فاجتمعوا كلهم وألفوا جمعية سرية في ام درمان على قتل التعايشي والقبض

على ازمة الملك وقد كاتبوا اخوانهم الدناقلة في الجزيرة يدعونهم الى ام درمان للتضافر على هذا العمل . وأودعوا سرهم بعض الجعليين وفيهم البدوي ود العريق فوشى بهم الى التعايشي فشرع هذا في اتخاذ التحركات اللازمة لصيانة نفسه والتكفل بالاشراف . وعلم هؤلاء بافتضاح سرهم فأسرعوا الى تنفيذ مشروعهم قبل ان يتمكن التعايشي من عرقلة مساعيهم . فاجتمعوا في قبة المهدي والمنازل المجاورة لها وكانوا قد خبأوا بعض الاسلحة والذخيرة فأخرجوها ولم يبق واحد منهم الا تقلد حساماً أو بندقية حتى اراهم المهدي فانهم كنوا الى ذلك العهد محجورات في منازلهم لا يخرجون ولا يرين احداً فخرجوا في تلك الليلة وتقلدون السيوف طالبات الحرب كل ذلك والخليفة عبد الله في منزله يستعد لرد كيد الاشراف في نحرهم ففرق على ملازميه البنادق والذخيرة وامر بعضهم بملازمة بابه وبعث البعض الآخر الى الاسواق لمنع المدد عن الاشراف . ثم جمع اهله التعايشة فوزع عليهم نحو الف بندقية وجعلهم في الساحة التي بين منزله ومنازل الاشراف واقام اخاه يعقوب بجيشه في الجامع بجانب منزله وقد جرى ذلك كله مساء الاثنين في ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٠٩ هـ ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٩١ م . وفي صباح الثلاثاء احاط بالاشراف احاطة السوار بالمعصم واستعا اتم الاستعداد للبطش بهم . ولكنه لم يكن يودُّ الالتجاء الى القوة ما استطاع الى الداء سبيلاً وقد خشي انه اذا انتشبت الحرب ينتهز عرب الغرب الفرصة فينهبون المدينة ويفرون الى بلادهم فأمر رجاله بأن يلزموا خطة الدفاع مهما بدا من الاشراف حتى يأمرهم بالهجوم . ثم ارسل الخليفة ود حلو وجماعة من اكابر القوم الى الاشراف يدعوه الى الصلح ويعاهداهم على اجابة سوءهم وازالة شكواهم فلم يرض الاشراف بالصلح وبدأوا باطلاق النار على منزل التعايشي فأجابهم انصار التعايشي باطلاق النار وداموا على ذلك نحو ساعة . فعاد الخليفة وعرض عليهم الصلح ثانية فلما رأوا استعداد التعايشي مالوا الى المسالمة وقالوا نريد ان نعرف ما هي شروط الصلح فأجابهم التعايشي ضعوا انتم الشروط وما زالت المفاوضة جارية بقیة ذلك اليوم (الثلاثاء) وطول ليله الى الصباح التالي (الاربعاء في ٢٥ نوفمبر) فانفرجت الازمة وتم الصلح على شروطهما :

٠١ ان يعفو التعايشي عفواً عاماً عن جميع المشتركين في الثورة * ٠٢ ان يجعل
 لمحمد شريف مقاماً يليق به ويخلي له كرسياً في مجلسه * ٠٣ ان يرد اليه راياته ليجمع
 تحتها المتطوعة * ٠٤ ان يخصص له راتباً شهرياً قدره ٢٠٠٠ ريال ولأولاد المهدي
 ونسائه رواتب تكفيهم من بيت المال * ٠٥ ان يسلم الاشراف سلاحهم ويطيعوا
 التعايشي طاعة عمياء * وعاهد الخليفة علي ود حلو الخليفة شريفاً على انفاذ هذه الشروط
 وحلف على المصحف انه يكون ظهيراً له اذا لم تنفذ ثم اتى به الى التعايشي فاستقبله
 احسن استقبال ووقع على عنقه يقبله ويتأسف على ما جرى وامل ان تعود المياه الى
 مجاريها ثم امضى له الشروط وامضاها الخليفة شريف وعاد الى منزله وهو بغاية الطمأنينة
 وراحة البال . ثم اخذ التعايشي يبحث سرّاً عن مثيري هذه الفتنة ولم يمض ٢٠ يوماً على
 الصلح حتى قبض على جماعة من الاشراف اهمهم : احمد ود سليمان امين بيت المال
 الاسبق وفوزي محمود واخوه احمدي كاتب الخليفة وصالح ود سوار الذهب وسعيد محمد
 فرح وكلاهما من كبار الدناقلة واحمد محمد خير من الاشراف واحمد النور كاتب الخليفة
 شريف فسجنهم في ام درمان اياماً مكباين بالحديد . ارسلهم في قارب الى الزاكي
 طمل في فاشوده فقتلهم ضرباً بالنبايت * وكان قد اصدر منشوراً بجسهم هذا نصه :
 « وبعد فيقول عبد ربه خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله بن محمد خليفة
 الصديق انه ببليلة الاثنين الماضي الموافق ١٢ الجاري سنة تاريخه قد سمعت وانا بين
 اليقظة والنوم هاتفاً يتلو علي هذه الآية وهي قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى
 يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » . ثم
 في ضحوة هذا اليوم الذي هو يوم الاربعاء الموافق ١٤ الجاري ايضاً حصلت لي
 حضرة اجتمعت فيها بالنبي عليه الصلاة والسلام والمهدي « عم » فقال لي المهدي
 « عم » بلغ الخليفة علياً والاصحاب الواقفين مع اشارتك السلام وقل لهم المهدي
 يقول لكم جزاكم الله خيراً عن ذلك ثم اخبرني « عم » بأن الاصحاب الذين وقفوا
 مع اشارتي في المسألة التي حصلت قد نظر الله اليهم بعين الرحمة ثم قال لي « عم »
 ان احمد سليمان واحمد النور واحمد محمد خير وسعيد محمد فرح وفوزي واحمد وصالح

سوار الذهب فليكن حبسهم قتل للمهدي « عم » ان اهل الظاهر ينكرون علي ذلك ويقولون عفا عنهم ثم حبسهم فقال لي المهدي « عم » ان الحق معك واهل الباطن معك فاحبسهم واتل على الاصحاب المنشور المحرر منا في حقتك فمن ينكر بعد ذلك فذنبه عليه ثم قال لي المهدي « عم » ان من يخالف اشارتك في هذا الزمان ولو كان يمشي على البحر حتى يقطعه فأمن باطل وهذا ما لزم الاعلام به والعلم لله والسلام في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٣٠٩ ١٦٥ ديسمبر سنة ١٨٩١

﴿ سجن الخليفة شريف ﴾ ولما بلغ الخليفة شريفاً قتل المذكورين غضب وشكا امره الى الله جهاراً من ظلم التعايشي وجوره وامتنع عن صلاة الجمعة والجماعة ففتح للتعايشي باباً طالما ترقب فتحه فأمر الخليفة علي ولد حلو والقضاة ان يقضوا عليه بما فيه تأديب له وعبرة لغيره ويعلموه ان تجاوزه حدوده أوجب قتل اقله به . فاجتمع القضاة والامراء وحكموا بسجنه فسيق مضروباً مهاناً الى السجن حيث وضعوه وحده في كوخ من قش وكبلوه بالحديد وذلك في ٢ مارس سنة ١٨٩٢ ؛ وهذه هي صورة الحكم حرفياً بعد البسملة :

« حمداً لمن جعل الاستقامة طريقاً للسلامة وشكراً لمن وفق ذوي البصائر الى الوقوف على قدم الصدق فصاروا من اهل الكرامة وخصاً اهل عنايته بأنوار هدايته فاستسلموا لقضائه واستراحوا من الوقوع في هاوية الندامة وحضاً على طاعة أولي الامر بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم لا تنظام الحال والسلامة في يوم القيامة وصلاةً وسلاماً على قطب دائرة الاصل النوراني ومنبع الفيض الرحماني واشرف النوع الانساني ومعدن السر الرباني سيدنا محمد الذي قصم بسيف الحق ظهر الخلفاء ومكن حسام الشرع من رقاب اهل الانحراف وعلى آله واصحابه الذين قوي في الله يقينهم فأمنوا بالغيب فانكشفت غياهب الشك عن بصائرهم فازدادوا ايماناً وتمكن دينهم » وبعد فان الخليفة محمد شريف حامد قد بارز خليفة المهدي « عم » بالعداوة والعصيان والخلاف حتى تظاهر بالحرابة له وشهر السلاح عليه ولم يبال بادخال الخلال في الدين وشق عصا المسلمين .

بعد هذا كله اجتمع جماعة المسلمين واحضروه بين ايديهم وحلفوه على كتاب الله تعالى فحلف وعاهد على ان لا يعود الى مثل ما صدر منه ثم جاء خليفة المهدي «عم» نادماً على شنيع فعله فقبله مع ما ارتكبه من عظيم الذنب والخطيئة... وعفا عنه وقابله بالصفح والاكرام * ثم تقض العهد وعاد الى الخلاف واضمار سوء والاصرار على عدم الامثال فضلاً عن كونه تاركاً الجمعة والجماعة فعند ذلك اجتمع اصحاب المهدي «عم» من قضاة الشرع الشريف وامراء وعمد واعيان وسألوه عن ذلك فقابلهم باقبح المقال وتقوه بما يؤدي الى سوء الحال حتى قال ان الغوث معه وفي حزبه وان نصرة المهدي تحت قدمه وان الصحابة اعترضوا على النبي (صلعم) وغير ذلك من سوء المقال وما زالوا يراجعونه بالقول اللين الحسن وتلوا عليه منشور المهدي «عم» في خليفته والمنشور الذي وجهه اليه خاصة وأمره فيه باتباع خليفته وعدم خروجه عن اوامره فعند ذلك اظهر التوبة والندم . فنظراً لما حصل منه من نقض العهد وعدم استمراره على التوبة السابقة اقتضى نظر اصحاب المهدي «عم» طبق الوجه الشرعي وضعه بالسجن تأديباً له . ولولا اظهاره التوبة عما حصل منه لكان جزاؤه اعظم من السجن . وقد ثبت جميع ذلك لدى اصحاب المهدي «عم» الآتي ذكر اسمائهم واختتامهم فيه ادناه وجميعهم شهدوا عليه شهادة حق يؤدونها بين يدي احكم الحاكمين والسلام سنة ١٣٠٩ هـ * وامضى المنشور ٤٦ رجلاً من اكابر دولة التعايشي واهل شوره وهم :

احمد علي قاضي الاسلام	السيد المكي اسماعيل	عبد القادر أم مريوم	اسماعيل عبد القادر
الهادي دفع الله الخلاوي	عثمان احمد البطحاني	محمد البدوي	مكي ابو حراز
احمد حمدان	حسين جزؤ	شرف الدين دفع الله	عبد الله الحسن
احمد الاخضر	الزاكي محمد	محمد عمر البنا	البدوي العريق
محمد حامد جنون	علي الامين	عبد الباقي الماحي	عمر الياس ام برير
طه الجعلي	خالد عطا المنان	طه الازيرقابي	العطا الدود
البارك جباره	محمد البصير	عبد الله احمد	عجب الفيه
بابكر عمر	القرشي احمد	ابراهيم الفكي	محمد علي بلال
عبد الله برجوب	عبدالرحمن ابو سيل	عثمان ابو خويدم	كباشي محمد
جاد الله بيلو	النور السبيعي	النعيم احمد	الشريف النابر
جنون احمد	ابراهيم علي * عبيد موسى	محمد عثمان الضيف	علي المدني * سعيد لبطه

واما منشور المهدي المشار اليه في حق الخليفة عبد الله فهذا هو بنصه بعد البسملة :
 « و بعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله اعلماً منه الى عباد
 الله المؤمنين بالله وبكتاب الله . اما بعد فاعلموا ايها الاحباب ان الخليفة عبد الله
 خليفة الصديق المقلد بقلائد الصدق والتصديق هو خليفة الخلفاء وامير جيش المهدي
 المشار اليه في الحضرة النبوية فذلك السيد عبد الله ابن السيد محمد حمد الله عاقبه
 في الدارين . فحيث علمتم ذلك يا احبابي ان الخليفة عبد الله هو مني وانا منه
 وقد اشار اليه سيد الوجود (صلعم) فتأدبوا معه كتأديبكم معي وسلموا اليه ظاهراً
 وباطناً كتسليمكم لي وصدقوه في قوله ولا تتهموه في فعله فجميع ما يفعله بأمر
 النبي (صلعم) او باذن منا لا بمجرد اجتهاد منه ولا هو عن هوى بل هو نائب عنه
 في تنفيذ امره (صلعم) والقضاء باشارته فان فعله بكم وحكمه فيكم بحسب ذلك .
 واعلموا يقيناً ان قضاءه فيكم هو قضاء رسول الله (صلعم) كما قال الله تعالى وما كان
 لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان تكون لهم الخيرة من امرهم ومن
 يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً » فمن كان في صدره حرج لاجل حكمه
 فذلك لعدم ايمانه وخروجه من الدين بسبب غفلة وذلك بشاهد قوله تعالى : فلا
 وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما
 قضيت ويسلموا تسليماً . ولا شك في شرك من استنكف عن حكم الله ورسوله سيما
 بقوله (صلعم) ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الخفي الحديث . مع انه خليفة
 الصديق واول المصدقين في المهدي فانظروا لمكان الصديق عند الله ورسوله بنص
 القرآن العظيم وانظروا لمكانه من اورثه الله مكان الصديقين ووازره بالباطن بالخضر
 « عم » فهو مسدد مؤيد من الله ورسوله ويد من الله لنصر دينه باشارة سيد الوجود
 (صلعم) وقد ورد في فضله كثير . فحيث فهمتم ذلك فالتكلم في حقه يورث الوبال
 والخذلان وسلب الايمان » واعلموا ان جميع افعاله واحكامه محمولة على الصواب
 لانه اوتي الحكمة وفصل الخطاب ولو كان حكمه على قتل نفس منكم او سلب اموالكم
 فلا تعترضوا عليه فقد حكمه الله فيكم بذلك ليظهركم ويزكيكم من خباث الدنيا لتصفى

قلوبكم وتقبلوا الى ربكم ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسي جزماً فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ويخشى عليه من الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله لانه خليفة الصديق الذي قال الله في حقه اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا. وقال (صلم) ان آمن الناس علي في الصحبة ابو بكر. وقال « عم » ما طلعت شمس على احد بعد النبيين افضل من ابي بكر. وحيث علمتم ذلك فهو بمنزلة الآن لان اصحابنا كأصحاب رسول الله (صلم) وهو خليفتنا في الدين وخلافته بأمر من النبي (صلم) فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ومصدقاً بمهديتي فليس للخليفة عبد الله ظاهراً وباطناً واذا رأيتم منه امراً مخالفاً في الظاهر فاحملوه على التفويض بعلم الله والتأويل الحسن واعتبروا يا أولي الابصار بقضية موسى والخضر عليهما السلام حكاهما الله في كتابه العزيز حكيم داود وسليمان عليهما والسلام لتسلموا من الشكوك والالهام وانما انذرتكم بهذا رحمة لكم وتشفقة عليكم وليبلغ الشاهد منكم الغائب لئلا تسبوه وتنسبوا اليه الظلم والجور فتهلكوا . فاحذروا عن اذية اولياء الله فانها اذية الله ورسوله وقد لعن الله ذلك في كتابه فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة كما ان من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب فان الله غيور على اوليائه فقد علمتم انه ورد « من تقض الكعبة حجراً حجراً ثم حرقها بالنار اهون عند الله من ان يؤذي ولياً من اوليائه وان الخليفة هو قادة المسلمين وخليفتنا النائب عنا في جميع امور الدين واياكم والوسوسة في حقه وظن السوء وعدم الإمثال اليه في قوله والمشاجرة له ولا حكامه . . . فتوبوا الى الله وارجعوا قبل ان تذهب حسناتكم وتسلبوا ثوب الايمان . وانما حملي على هذا البيان النصيحة في الله . . . فمن تاب تاب الله عليه ومن عاد فينتقم الله منه ويساطه عليه وهذا امر الله ورسوله فليحذر الذين يخالفون امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام سنة ١٣٠٠ هـ ١٠١٠ م ﴿ حبس اولاد المهدي ﴾ وبعد حبس الخليفة شريف امسك التعايشي اولاد المهدي البالغين وهم الفاضل ومحمد والبشرى وحبسهم في منزل جدهم لامهم احمد

شرفي ومنعهم الخروج منه ولم يسمح لاحد ان يراهم وبقوا على ذلك مدة
 (حبس الدناقلة) ثم ارسل بعض رجاله الى الجزيرة فامسكوا نحو الف رجل
 من الدناقلة الذين اتهموا بمشاركة الاشراف في الفتنة وأتوا بهم الى ام درمان فزجهم
 في السجن ثم استقصى اموالهم واطلق سراحهم وادعهم مئة عفوهم عنهم
 نفي بعض التعايشة وقتل محمد عبد الكريم وعبد القادر ساتي علي وفي شهر
 يوليو سنة ١٨٩٢ اُتِمَ نحو ٧٠ رجلاً من التعايشة على قتل الخليفة عبد الله اخذاً يثار
 الغزالي فخانهم واحد منهم واعلم الخليفة بمكيدتهم فقبض عليهم ونفاهم الى الرجاف
 ثم لم يبق في ام درمان من كبراء الاشراف الا محمد عبد الكريم المشهور وعبد
 القادر ود ساتي علي طيب المهدي وكانا قد اشتركا في فتنة الاشراف فابقى عليها الخليفة
 ريثما يطلع منها على اسماء بقية المشتركين في الفتنة فلما كانت فتنة التعايشة قبض
 عليها بحجة انهما يغريان الناس بشق عصا طاعته ثم اوثقها بالحديد وارسلها الى
 الزاكي في فاشودة فقتلها ضرباً بالفؤوس وذلك في اغسطس سنة ١٨٩٢
 وفي هذه الاثناء انتدب الجعليين الذين عاهدوا الاشراف على الثورة ثم خانوهم كما مر
 وامرهم بالذهاب الى كسله فتأخروا في رفاعه فاستدعاهم الى ام درمان ونفى رؤوسهم
 الى الرجاف في نوفمبر سنة ١٨٩٢ وهم : البدوي العريق وعمر الياس باشا ومحمد حامد
 جفون ومحمد صالح وحاج مرزوق الشايقي وعبد الباقي الماحي المكابري وعبد المجيد نور
 الدائم وقد سجنهم سنة في الرجاف ثم اطلق سراحهم فمات بعضهم في المنفى ونجا البعض
 وكان قد نفي قبلهم الى الرجاف اسماعيل شجر الخيري لاثامه بانه محارب للاشراف
 نفي أبي قرجه وزقل وفي من الاشراف المعروفين في السودان ابو قرجه
 وزقل . اما ابو قرجه فانه عند قيام الاشراف كان عاملاً على كسله فخشي الخليفة
 ان يتحد مع التليان فاستدعاه الى ام درمان بعد ان تولى كسله ثمانية اشهر وولى مكانه
 مساعد قيدوم كما مر ثم ارسله الى خط الاستواء بنفر من الانصار معللاً اياه بأنه
 سيكون عاملاً عليها واصحبه بقاريًا بكتاب الى امير الرجاف فقبض عليه حال
 وصوله وزجه في السجن * ثم الحق به محمد خالد زقل سنة ١٨٩٣ على ما سيجي

﴿ المصاحفة ﴾ وطال الزمان على الخليفة شريف في السجن فتوسط له اولاد المهدي وامهات المؤمنين مع التعايشي فأرسلهم التعايشي الى اخيه يعقوب فضرب لهم المثل الآتي :
 « حكي ان رجلاً كان ينتاب حية في جذع شجرة فيحمل اليها كل يوم شيئاً من اللبن فتشربه وتلفظ من فيها قطعة من الذهب في الوعاء فيحملها وينصرف ثم يأتي في اليوم التالي باللبن فيعود بقطعة الذهب وبقي على ذلك اياماً حتى عرض له سفر فاناب ابنه عنه في ارسال اللبن الى الحية فلما رأى الابن ان الخير كله في جوف الحية قال في نفسه اقتل الحية وأخذ الذهب من جوفها مرة واحدة واستريح من العناء فأخذ سيفاً في يده وحمل اللبن على عادته وقدمه الى الحية فلما همت بشربه بادرها بضربة من سيفه فقطع ذنبها فتارت الحية عليه وقتلته . فلما عاد الرجل من سفرته تفقد ابنه فلم يره فذهب الى مكان الحية فوجده مقتولاً تحت الشجرة ثم اقبلت الحية فقدم اليها اللبن فقالت له دع عنك هذه الصحبة بعد الآن فان ابنك غدري فقتلته فأنت لن تنسى قتل ابنك وانا لا انسى قطع ذنبي ، اهـ . ففهم المتوسطون من ذلك ان التعايشي لا يعفو عن الخليفة شريف لانه لا يأمن غدره بعد الآن وكان في جملة المتوسطين للخليفة شريف محمد ابن المهدي المتزوج باحدى بنات التعايشي فلما رأى اصراره على سجن الخليفة شريف ثار به الغضب فطلق امرأته هذه فزوجها التعايشي سلفها البشري فازداد محمد غيظاً واستياء . وبقي الجفاء مستحكما بين التعايشي والاشراف حتى بدأ الجيش المصري بالزحف على السودان فرأى التعايشي ان يسلك الضغائن والاحقاد التي بينه وبينهم فأطلق الخليفة شريفاً من السجن وزوج محمد المهدي بابنة اخيه يعقوب وعاد الى مصافاتهم

﴿ زيادة ملازمي الخليفة وتولية ابنه اميراً عليهم وبناء سور حول منزله سنة ١٨٩٤ : ٣ ﴾

اما ملازمو الخليفة فهم حرسه الخاص وكانوا قبل فتنه الاشراف لا يزيدون على ٥٠٠ من الجهادية السود فلما كانت الفتنه اخذ في زيادة عددهم من شبان السود وجميع القبائل من عرب وعجم حتى بلغوا الوفا . فأسكنهم حول منزله وجعل ابنه البكر الذي سماه شيخ الدين اميراً عاماً عليهم ورشحه للملك بعده . وسخر اهل ام درمان

فبنوا حول منزله ومنازل ملازميه سوراً منيعاً سمكه أكثر من متر وعلوه نحو ٥ أمتار وظل يزيد عدد ملازميه حتى ضاق بهم السور فأقام لهم سوراً آخر لاصقاً بالسور الأول وطرده اهل البلد منه وقد شرع في بناء السور في أوائل سنة ١٨٩٣ فأنته سنة ١٨٩٤

قتل ود جار النبي الثناء في ١٠ صفر ١٣٠٩ هـ ١٥ سبتمبر سنة ١٨٩١ م ؟

مر بنا ان التعايشي انفذ ود جار النبي الى البطاحين ليحلبهم الى ام درمان وأنه هو الذي هيج التعايشي عليهم فنكل بهم تنكيله المعلوم . وكان ود جار النبي فارساً مشهوراً في راية الخليفة ود حلو ومعه في الراية نفسها رجل من دهاة البطاحين يدعى عثمان احمد فحنق عليه لعدم الرفق بقومه واخذ يسعى في تنكيسه والخط من كرامته عند الخليفة ود حلو فأفلح مسعاه واقصاه الخليفة ود حلو بعد ان كان مقرباً جداً عنده فاستاء ود جار النبي من ذلك وخرج من راية الخليفة ود حلو الى راية يعقوب اخي التعايشي واطلق لسانه في ذم الخليفة علي ود حلو والاستخفاف به فعظم ذلك علي ود حلو ورفع الامر الى التعايشي وكان التعايشي يود مراعاة رفيقه لمضافته له على الخليفة شريف فأحال الامر على القضاة فحكوا بقتل ود جار النبي وصدق الخليفة الحكم وكانوا قد قيدوا المحكوم عليه وارسلوه الى السجن فلما صدر حكم القتل عليه جاؤا ليأخذوه من السجن فقال لهم حلوا القيد من رجلي لان فارس السودان لا يمشي بين الناس راسفاً بالقيود واصر علي ذلك فرفعوا الامر الى الخليفة فأمر ان يقطعوا كعبي قدميه ويخرجوا القيد منهما بلا فتح ففعلوا كما امر وساقوه الى المشنقة بالضرب والاهانة فأطلق لسانه اذ ذاك على الخليفة والبقارة وأخذ ينادي بأعلى صوته بما معناه : « يا قبائل السودان وابطال هذه الزمان استيقظوا من غفلتكم وارفعوا براقع الجهل عن عيونكم فليس بينكم مهديّة ولا خلافة ولا دين بل هو ملك مدني جائر في يد بقّاري ظالم غشوم يسعى الى اعدام كل بطل في السودان وجعل اهله كالانعام يسوقهم رعاة من البقارة الاجلاف الذين كانوا بالامس يلبسون « الكنفوس » ويركبون الثيران وستبقون في حكم هؤلاء الانذال الى ان تستفزكم نخوة الرجال وتتحدوا قلباً واحداً على قتلهم او طردهم الى اقصى الجبال . انهضوا ما دامت

لكم بقية حيوة وجاهدوا في سبيل الحرية والاستقلال فحيوة الحيوان ارقى من حياة
تقضى بالذل والهوان . وقولوا لذلك المغفل الجبان علي ود حلوانه لن يرى الخلافة في
عينه لان التعايشي يرشح ابنه للملك بعده واخبروه اني لم اقتل مراعاة لمقامه
او اكراما لشأنه بل قتلت لاني بطل كرار وفارس مغوار ولان التعايشي يرهب
فعالي ويخاف على نفسه مني ومن امثالي * ثم لما أدنوه من المشقة عظم عليه القتل
شقا فالتفت الى البقارة وقال أمن المروءة ايها اللئام ان تقتلوا فارس السودان قتل
لص جبان أليس بينكم فارس ينازلي في هذا الميدان فأشفي غليلي بقتله أو اموت
ميتة الفرسان * ثم أصدع على كرسي المشقة فأثوه بالماء ليشرب فرفض الماء باحتقار وقال
انما يشرب في هذا الموقف الجبان . ثم التفت الى الناس وقال : من لم ير شجاعا
يقتل فلينظر اليّ وياليتني أقتل وانا على ظهر جوادي اجاهد البقارة الاندال في
الدفاع عن الحرية والاستقلال . ثم تنفس الصعداء وقال : افارق الحيوة بهذه النغصة
فاعتبروا بمصيري وخذوا ان كنتم رجالا بثاري . ثم رفس الكرسي برجله فتعلق
جسمه في الهواء واسلم الروح . وكان ذلك ضحوة الثلاثاء في ١٠ صفر سنة ١٣٠٩ هـ ؟
❦ نفي اسماعيل عبد القادر الى الرجاف سنة ١٨٩٣ م ❦

تقدم لنا ذكر اسماعيل عبد القادر مراراً بلا تعريف فهو ابن اخت السيد احمد
الولي الكردوفاني المشهور وقد قضى في الازهر مع خاله ٨ سنين فاشتهر بالنجابة والذكاء
ثم عاد الى الابيض فخدم فيها مفتياً للمديرية الى ان كانت المهديّة واتى المهدي الى
كابا مهاجماً الابيض فخرج اليه مسلماً في من خرج من اهلها كما مرّ فصحب المهدي
الى ان توفي فصحب خليفته التعايشي الذي عهد اليه تأليف سيرة المهدي وما
كان في المهديّة من الوقائع والفتوحات لتكون شاهدة بفضل المهديّة ومؤيدة للملك
خليفته في السودان . فشرع عن ساعد الجدّ وكتب الى جميع العمال في الجهات فأرسلوا
اليه التقارير الوافية عما جرى على يدهم من الوقائع والفتوحات وجمع اليه من كان في
ام درمان من القواذ والمحاربين فألف سيرة نفيسة ضمّنها وقائع المهديّة منذ قيام
المهدي الى ما قبل واقعة طوشكي أي منذ رمضان سنة ١٢٩٨ الى ٣ ربيع الاول سنة

١٣٠٦ هـ وقد قضى في تأليفها بضعة عشر شهراً وتحريها الحقيقة ما امكن ولكنه
 طلائها بطلاء كثيف من الاطراء والتلق للمهدي وخليفته واضطر الى ذكر كثير من
 الكرامات والخوارق المنسوبة اليهما مما لم يكن في اعتقاده فسر بها الخليفة سروراً
 عظيماً وأمر النسخ فندسخوا منها عدة نسخ وزعها على الامراء وعلت منزلة اسماعيل
 عبد القادر ونفذت كلمته ففسده القاضي احمد وسلط عليه بعض اخصائه فسعوا به
 عند الخليفة فشهد بعضهم انه سمعه يقول « كيف يطاق ان تسلم امور الرعية كلها الى
 رجل جاهل غشوم مثل عبد الله التعايشي » وشهد آخر عليه انه قال : اني والخليفة
 كاسماعيل باشا المقتش مع اسماعيل باشا الخديوي وقال آخر انه ملأ السيرة مغامر
 تحط من شأن المهدي وتدل على انكاره اياها ففعلت هذه الوشايات في رأس الخليفة
 فعل النار بالهشيم فنفى اسماعيل عبد القادر الى الرجاف وارسله مع زقل في وابور واحد
 سنة ١٨٩٣ وامر ان تحرق سيرته اينما وجدت فأحرقت كلها الا نسخة منها خبأها احد
 كتاب الخليفة حرصاً على حقايقها . وقد بلغني خبرها وانا في قلم المخابرات في مصر
 اتحرى وقائع الثورة من الضباط والعساكر الذي نجوا من الاسر فبحثت عنها مستعيناً
 بالتجار الذين يترددون الى السودان حتى ظفرت بها فاذا هي مع كثرة ما فيها من الاطراء
 والتلق للمهدي وخليفته قد ضمننت الحقيقة احسن تضمين وانطبقت حقايقها على ما تحررت
 جمعه في مصر فزدت به ثقة واستشهدت بالسيرة في مواضع كثيرة من التاريخ . اما المؤلف
 فانه بقي في الرجاف في اشد العناء والضيق حتى مات اوائل سنة ١٨٩٧ . وقيل ان
 مرعياً اختطفه وهو ملقى على سريريه لا يستطيع حراكاً من شدة الجوع رحمة الله عليه
 سجن احمد علي قاضي الاسلام وموته في السجن في يونيو سنة ١٨٩٤ هـ

اول من سمي « قاضي الاسلام » في المهدي احمد ود جبارة فقتل في واقعة الايض
 كما مر وتولى القضاء بعده ود حلاب احد فقهاء النيل الايض فمات في حصار الايض
 فخلفه القاضي احمد علي من فقهاء بني هلبة فلم يكن له في زمن المهدي شأن يذكر
 لان المهدي اقام النواب للفصل في القضايا الشرعية ثم اقام الامناء للنظر في القضايا
 السياسية كما رأيت فلما مات المهدي واستبد التعايشي عزل الامناء ثم النواب وجعل

المحكمة واحدة برئاسة القاضي احمد فقضى له بما اقتضاه رأيه سواء وافق الشرع او خالفه فأصبح من اعظم المقرين عنده . وكان مع وظيفة القضاء امير راية في جيش يعقوب فانضم الى رايته كثير من سراة البلاد واغنيائها ومدّ يده الى الرشوة فجمع مالا طائلاً وعظم شأنه جداً فحسده يعقوب على ذلك وسلط عليه بعض القضاة فعادوه وتتبعوا هفواته فوجدوا انه يأمر الجباة باعفاء المتيمين الى رايته من الضرائب فشكوه الى الخليفة فجرده من رايته وامره بالانقطاع الى القضاء . ثم شكوه لقبوله الرشوة ومداخلته في الضربخانة متحزباً لفريق دون آخر فجرده من جميع امواله ونسائه وزجه في السجن ومنع عنه الغذاء حتى مات وذلك في يونيو سنة ١٨٩٤ * وكان طويل القامة غليظ الجثة اسود اللون حتى تظنه زنجياً خفيف اللحية عبوساً مهابة شجاعاً نهابة وهاباً وكان من الدهاء على جانب عظيم * وفي اعتبار اهل السودان انه قام في هذا القرن اربعة دهاة لم يقم في السودان ادهى منهم . اثنان قبل المهدي وهما الملك بشير عقيد من المسلماب والحسن الملك سعد من السعداب . واثنان في زمن المهدي وهما القاضي احمد المذكور والحاج علي ود سعد امير الجعليين المار ذكره في واقعتي ابي طليح وطوشكي وقد عاد هذا بعد واقعة طوشكي الى ام درمان فمات فيها سنة ١٣٠٧ هـ وقيل ان الخليفة اماته مسموماً وخلفه على الجعليين اخوه عبدالله ود سعد فكان له من الشأن مع التعايشي ما نذكره في محله :

﴿ سجن الحسين الزهرة وموته في السجن سنة ١٨٩٥ ﴾ وبعد القاضي احمد أسند منصب القضاء الى سليمان الحجاز من تجار بربر المتفقيين فمكث فيه مدة قصيرة ثم خلفه الحسين الزهرة المتقدم ذكره في حصار كسله وهو من قرية تدعى أم عظام في ضواحي المسلمية ومن متخرجي الازهر النابغين وقد هاجر الى المهدي بعد واقعة هكس وظن انه ينال في دولته مقاماً عالياً فلم يلبث ان رأى ان هذه الدولة تبغض العلم والعلماء ولا تولي الوظائف الا الجهلة الطغام فلما كانت واقعة الخرطوم نظم للمهدي قصيدة طويلة في ١١٢ بيتاً اشار فيها الى فتح الخرطوم وقتل غوردن ونصح المهدي بوجوب اسناد الوظائف الى العلماء وقد استدل بعضهم من بعض ابياتها انه منكر

للمهدية ومندد في رجالها مع انها تدل على اضطراب قصد المؤلف وليس فيها تصريح
بسوى كدره من اسناد الوظائف الى غير اهلها . وهذه هي بعض مقتطفات منها :

برح الخلفا ما الحق فيه خفاء وتوات الآيات والانباء
بالآية الكبرى التي بظهورها كمل الرضى وانجابت الاسواء
بشرى لنا بظهور مهدي الورى ايه ونعمى بعدها نعماء
علماء امة احمد ناشدتم ردوا جوابي انكم علماء
ارضى وترضون الضلال بعيدا ظهر الهدى وانجاب عنه قذاء
وينجيب ظني فيكم وعشيرتي انتم ويقمع جمعنا الغرباء
مهدي امة احمد بي لم تذر خلا يدوم له لدي اخاء
مالي سواك وليس بعدي من جفا لكن بذاك جرى علي قضاء
لم تعرف الايام قبلك منزلي ولذلك لم يرفع علي لواء
جهل الولاة امارت دين محمد واهيله ماتوا وهم احياء
يا ابن النبي محمد ووليه وامينه ماذا اليك مرء
انا عبد عبد استعيز بدمتي ابدًا اليك ولي هنا اعداء
ما بي استهانوا بل بشرع محمد فعليه من اثر الدماء حياء
واماته الجم الففير مهاجرا وله نباء سمائك الاحياء
فتناولته من اللثام واعطته صنف الكرام فاهله العلماء
واشرط عليهم ما أردت من الهدى يعطوا العهود لانهم امناء
وديار من ناوى الهدى منقوضة وسقوفها بين السقوف هوا
في تاسع من رابع في الثان من بعد المئين والامور مضاء
والله دمر من طغى واباده حتى تولى قتله الضعفاء
ولقد تبدد جسمه برماحهم فكأنه من خلقه اشلاء
صالوا به وذويه بين حصونهم في خندق غرت به الاذواء
والنار ترعى في الجسوم كأنها عشب لعمرى ان ذا لبلاء

انتظرت تلك كرامة مأنوسة لا والذي ضلت به الآراء
فسوى خلائف احمد مهدي الوري كل الانام من الخيور فضاء
الا الذين غدوا على آثارهم اهل الولاية والصفاء الامراء
ذاك الرفيق الزمى واترك غيره ربط الجياد لغير ذلك نواء
واعصم سقاءك بالوكاء من الظماء ما في الفضاء امام قصدك ماء
واحلل اسيرك ههنا ان تستطع ما في القيامة للاسير فداء
خفض عليك فلكخطوب ترسل طوراً وطوراً شدة ورخاء

ويظهر ان المهدي التفت اليه على اثر هذه القصيدة فانفذه الى كسله لاستلام
حاميتها كما مر . وبعد رجوعه كان المهدي قد مات فعاد الى بلاده . ثم جمع الخليفة
جميع العلماء في ام درمان وهو في الجملة فعهد اليه تدريس علم الميراث في المسجد
الى ان ولاه منصب القضاء كما مر فوقف عند حد الشرع وقضى بعدة مسائل على
خلاف ما اراد التعايشي فاغتاز منه وحبسه وكبله بالحديد ومنع عنه الطعام والماء الى
ان مات قهراً سنة ١٨٩٥ . ومما قاله التعايشي في ود الزهرة ان مثل العالم بين اصحاب
المهدي مثل الشجرة وسط الزرع فانها تأوي الطير الذي يفسد الزرع فما يستريح الزارع
حتى يقطعها من اصلها . وتولى القضاء بعد ود الزهرة امبدى البقاري ثم النذير من
علماء الخرطوم فبقى الى فتح ام درمان سنة ١٨٩٨

الحليفة والاسرى المصريون في السودان

مر بنا ان الدراويش اسروا كثيرين من موظفي الحكومة المصرية وضباطها
وعساكرها عند فتح حامياتها في السودان فعرفوا بأولاد الريف لان اكثرهم من
المصريين وعرف النصارى منهم الذين اكرهوا على الاسلام بالمسلمانيين . وقد
قضت سياسة التعايشي وسيد المهدي من قبله بالحجز عليهم جميعاً في السودان للاتفاف
بصنائعهم ومعارفهم الكتابية من جهة وكتم اخبار السودان عن مصر من جهة أخرى .
وقد اطلعت على كتب كثيرة من الخليفة الى عماله يحذرون فيها من اثمانهم على الاشغال
الهلة ويأمرهم بشدة المراقبة عليهم لئلا يفلتوا . فمن ذلك ما كتبه الى احمد محمد خوجلي

في دقله بتاريخ ٨ محرم سنة ١٣٠٣ هـ : « حيينا ينبغي ان تنبهوا على جماعتكم بأن من يوجد من اولاد الريف متوجهاً من هنا ان يحضروه اليكم واتم ترسلونه الينا ولا تتركوا احداً منهم يتوجه الى بحري أو خلافاً الا ان كان معه خطاب منا . وأولاد الريف الذين معكم احرصوا عليهم كل الحرص » . وكتب الى كرم الله شيخ محمد بتاريخ ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٣٠٤ هـ : « اما اولاد الريف فأرسلوهم جميعاً لهذا الطرف ليقيموا في البقعة ولا تتركوا منهم احداً كلية لانهم اينما كانوا لا يؤتمنون » . ورأيت كتاباً من مساعد قيودم الى الخليفة بتاريخ ٢٤ رمضان سنة ١٣٠٦ هـ يقول فيه : « انه بناءً على الاشارة الكريمة بدقة البحث عن ابناء الريف في دقله وارسلهم اليكم فقد بحثنا عنهم في جميع جهات دقله من ارقو الى صنم والقينا القبض على من وجدناه وها هم واصلون مع الحبيب محمد عبد الله الفادني وجماعته للمحافظة عليهم ومع المذكور كشف باسمائهم ووظائفهم السابقة » . وكتب الخليفة الى عثمان آدم بتاريخ ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٧ هـ . « وكذلك جميع اولاد الريف لا تمكنوهم من اموركم المهمة لاننا نحن هنا لم نمكنهم من امورنا بل نشغلهم بالكتابة على قدر اللزوم بدون دخل لهم في شيء آخر . ومن الجملة موسى حسين وجماعته فانهم وان كانوا من الانصار فما دام انهم ابناء ريف فخذ حذرک منهم » . وكتب الى محمود احمد في ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣١٠ هـ . « ينبغي الانتباه الى مثل موسى حسين ومن معه من المواليد وامثالهم الذين كانوا مخالطين الترك سابقاً فاجعلوهم في وسط بلاد الاسلام ولا تجعلوهم في الجهات الموالية لجهة الاعداء ولا تندبهم اليها ، وقد جمع الخليفة اكثرهم في ام درمان واستخدم الصنائع والكتبة والطوبجية في مصالحه العامة وترك الباقيين يحتالون على معاشهم بتعاطي الاشغال الوضيعة جداً حتى كان الضابط الذي قاد الجنود الى ساحة القتال يضطر ان يعيش بالاستقاء أو الاحتطاب من الصحراء أو بفتح دكان للقهوة أو لبيع الخضرة . وقد حاول كثيرون منهم الفرار فمنهم من قبض عليه وعذب أو سجن حتى ذاق الموت الاحمر ومنهم من نجى بطرق اسوان وكورسكو وسواكن وقليل ما هم واكثر هؤلاء من العساكر والكتبة

الصغار • واما الضباط والموظفون الكبار مثل سلاطين باشا وفوزي باشا والافراد الاوريون من قسس وتجار فقد كانت المراقبة عليهم شديدة جداً حتى عُدَّ امر فرارهم مستحيلاً أو شبيهاً به.

✽ مآثر الميرالاي ونجت بك مدير قلم الخبارات سنة ١٨٩٦:١ ✽

✽ انتقاذ اوهر ولدر من الاسر سنة ١٨٩١ ✽ وكان الميرالاي ونجت بك مدير الخبارات في مصر (السردار الحالي) عالماً بجمال الاسرى في ام درمان وباذلاً جهده في انتقاذهم وامدادهم بالمال • فسعى مع مطران المرسلين النمساويين في القاهرة فأرسلوا الى ام درمان خبيراً من عبادة السيالة يدعى احمد حسن فانقذ الاب اوهر ولدر الذي اسر في جبل الدلن وراهبين من راهبات الاييض فخرج بهم من ام درمان في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٩١ على اثر فتنة الاشراف واتخذ طريق المرات وكورسكو فوصل بهم مصر في ٢١ ديسمبر من السنة المذكورة

✽ تأليف كتاب المهدي والسودان المصري سنة ١٨٩١ ✽ وكان ونجت بك قد فرغ من تأليف كتابه المشهور المسمى « المهدي والسودان المصري » الذي فصل فيه وقائع الثورة المهدي ولاسيما وقائع الجيش مع الدراويش الى ما بعد واقعة طوكر احسن تفصيل ✽ تأليف كتاب اسر عشر سنين في معسكر المهدي سنة ١٨٩٢ ✽ فرأى ان الاب اوهر ولدر ذو اطلاع كبير وخبرة تامة في احوال السودان والثورة المهدي مع ذلك، وفطنة وصدق لهجة فطلب اليه ان يخطب اختباره هذا على ورق فكتب اصوله بالالمانية فآلف منها ونجت بك كتاباً بالانكليزية من انفس الكتب سماه « أسر عشر سنين في معسكر المهدي » ونشره سنة ١٨٩٢ فنال رواجاً عظيماً في اوربا كلها ✽ انتقاذ روسينيولي من الاسر سنة ١٨٩٤ ✽ ثم ارسل الى ام درمان عبّادياً آخر يدعى عبد الله محمد عمر من سكان دراو فانقذ الاب روسينيولي الذي اسر في الاييض ١٨٨٣، واتي به الى مصر في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٩٤

✽ انتقاذ سلاطين من الاسر سنة ١٨٩٥ ✽ وكان اخوة سلاطين باشا باذلين الجهد في انتقاذ اخيهم من الاسر وقد استودعوا قنصلية النمسا في مصر الف جنيه

لهذه الغاية فسعى ونجت بك والقنصلية المذكورة سعيًا متواصلًا حتى وقفوا أخيرًا إلى تاجر جعلي يدعى العجيل فعقدوا معه اتفاقًا ودفعوا له ٢٠٠ جنيه مقدمًا وكتبوا له صكًا بـ ٨٠٠ جنيه تدفع له بعد رجوعه بسلاطين سالمًا إلى مصر. وكان سلاطين بعد وصوله إلى أم درمان مع المهدي سنة ١٨٨٤م قد كتب إلى غوردن كتابًا بامل التخلص من أسر المهدي والفرار إليه فوق الكتاب في يد المهدي فسجنه وكبله بالحديد ثمانية أشهر. ولما مات المهدي جعله الخليفة من ملازمي بابه لا يبرح منه من الفجر إلى ما بعد العشاء إلا إذا ركب فيركب معه. وقد شدد المراقبة عليه واعطاه منزلاً ينام فيه قرب منزله وكان يفخر بأن مدير دارفور اسير عند بابه. فذبر العجيل الأمر سرًا مع سلاطين وخرج به من أم درمان في ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٥ وأرسله مع رسل مخصوصين على هجن قوية فعبر النيل بين أبي حمد وبربر واتى بطريق اسوان فوصل مصر في ١٩ مارس من السنة المذكورة. وقد اغتاض الخليفة جدًا من فواره وبحث عن الساعين في ذلك حتى درى بالعجيل فنفاه هو وصديقاه يدعى الصادق عثمان إلى الرجاف وقتلها هناك

﴿ تأليف كتاب النار والسيف في السودان سنة ١٨٩٦ ﴾ وكان سلاطين باشا أعلم الناس بأحوال السودان ومطلعًا على اسرار حكومة التعايشي فأوعز إليه ونجت بك فشرع حال وصوله في كتابة معلوماته بلغته الألمانية فأنشأ منها ونجت بك كتابًا ثمينًا في الإنكليزية سمي « النار والسيف في السودان » فنشر في أوائل سنة ١٨٩٦ ثم ترجم إلى أهم اللغات الأوروبية وكان له أعظم شأن في أوربا كلها. وقد جاء بعد كتاب أوهر ولدر محررًا قويًا للحكومة المصرية على استرجاع السودان. وسمي سلاطين باشا مساعدًا لمدير قلم المخابرات فرافق الجيش في الفتح الأخير إلى أن تم استرجاع السودان فسمي مفتشًا عامًا على السودان كله ولا يزال في هذا المنصب الرفيع إلى اليوم

وبعد نجاة سلاطين باشا بأيام أهدى جلالته امبراطور النمسا إلى ونجت بك وسامًا من أعلى وسامات الدولة النمسية. ثم رفع سلاطين باشا إلى جلالته اسمي واسم ملجم

بك شكور فأنعم على كلِّ منا بوسام عالٍ فرفعت الى جلالته في ٣ نوفمبر سنة ١٨٩٦
قصيدة عربية عنوانها « شكر الجميل » هذه هي بحروفها :

أحملُ أنفاسَ النسيم إذا سرى	وفي طيِّه ما فاق في النشر عنبرا
لعاصمة النمسا « فينا » التي همت	على روضها مزن المعالي فأزهرها
عقودَ ثناء رائعات أصوغها	وانظمها في السلك دُرّاً وجوهرها
واجمل تعبير « امتنان » عبيره	أتى يستعيرُ المسك منه التعطرا
تقبلُ اعتابَ الملك « فرنسوى »	وتبدي بناديه الرفيع التشكُّرا
هو الامبراطور الذي فاق مجده	وفاخر كسرى في المعالي وقيصرا
تسمى على هام الثريا بهمة	علت ايضاً للهند يعزى وأسمرا
تقول لمن رام التشبه وانبرى	يقلده ابن الثريا من آلثرى
هو البحر قد عمت موارد فضله	ولكن معاذ الله ان يتكدَّرا
لقد جاد لي فضلاً باكرم منة	« وسام صليب فوقه التاج أسفرا »
سأجعله عنوان فخر وعزة	يحقُّ به لي ان أعزَّ وافخرا
وتدكار تشریف بمنحة سيد	غدا حمده فرضاً عليّ مقررًا
واني وان اطنبت في وصف فضله	يظلُّ لساني في الثناء مقصرا
ولكنني أرجو الى الله داعياً	مدى الدهر ان يُبقيه للفضل مصدرا
فلا زال في عرش الجلالة زاهياً	بعزٍّ واسعٍ ودام مظفرا

الفصل الخامس

في

﴿ استرجاع دقله في سنة ١٨٩٦ ﴾

﴿ وفيه وقائع دقله والحدود سنة ١٨٩٦ : ١ ﴾

﴿ امراء دقله سنة ٩٨ : ١٨٩٦ ﴾ تركنا دقله بعد خروج النجومي منها

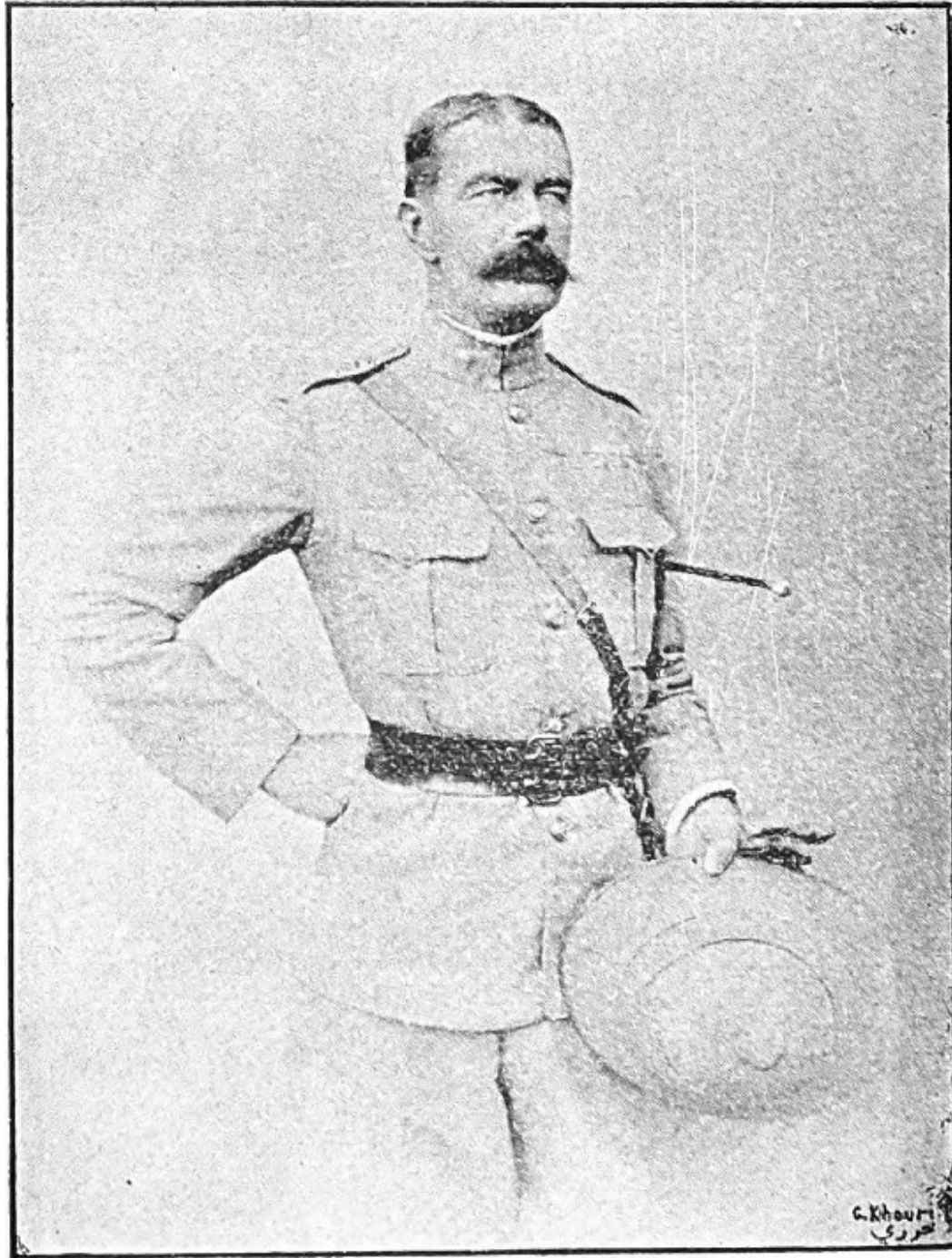
سنة ١٨٨٩ وعليها يونس الدكيم عاملاً ومساعد قيدوم وكيلاً له فوق بينهما خلاف

اشتد حتى لم يعد من الممكن ازالته فاستدعى يونس الى ام درمان وسي زقل عاملاً على دقله في ٢٥ شعبان سنة ١٣٠٧ هـ فاغتاظ مساعد قيوم لعدم انتخابه عاملاً وكان معه من امراء البقارة عربي دفع الله فنصبا العداء لزقل . وفي ١١ شعبان سنة ١٣٠٨ كتب الى الخليفة « انه مواد للكفرة وانه متحيز لاولاد البلد الجعليين والداقله على البقارة والجهادية السود » فبعث الخليفة في طلبه وحاكمه في مجلس من القضاة فاثبت خصماه شكواهما عليه فامر الخليفة بسجنه . ولما ثار الاشراف ثورتهم المار ذكرها كان في جملة شروط الصلح اخراج زقل من السجن فاخرجه ثم نفاه الى خط الاستواء سنة ١٨٩٣ كما قدمنا . واعاد يونس الديكيم ثانية الى دقله فعامل الاهلين بالشدّة والغلظة فرفعوا شكواهم الى الخليفة فلم يسمع لهم ولما كرروا شكوايهم خاف ان يلجأوا الى الحكومة المصرية لقربهم منها فاستدعى يونس الى ام درمان سنة ١٨٩٥ وارسل مكانه محمد بشاره المار ذكره في الكلام على دارفور وكان عمره اذ ذاك لا يزيد على ٣٣ سنة ولكنه كان على حداثة سنه من اعظم رجال التعايشي دهاء واعلام همة واشدهم رأياً وافضلهم سياسة

﴿ تسمية كتشنر سرداراً على الجيش ﴾ وفي اثناء ذلك استغنى السر جرنفل باشا من منصبه فخلفه اللوا كتشنر باشا سرداراً على الجيش المصري وذلك في ١٢ ابريل سنة ١٨٩٢ . وفي ايامه استرجعت الحكومة دقله وسائر السودان وقبل الكلام على ذلك نذكر ما كان من وقائع الحدود بعد حملة النجومي في ايام يونس وزقل فنقول :

﴿ وقائع الحدود سنة ١٨٩٦ : ٨٩ ﴾

﴿ غزوة سرس ﴾ تقدم ان الدراويش بعد حملة النجومي رجعوا الى سواردة فجعلوها اقصى نقطة لهم في الشمال وكان عليها حموده ادريس البقاري اميراً فبقوا نحو ثلاث سنين لا يبدون حراكاً ثم عادوا الى تهجماتهم السابقة على الحدود فاغار جماعة منهم في ٤ ابريل سنة ١٨٩٢ على سرس القديمة واختطفوا ماشيتها وعادوا الى سواردة ﴿ غزوة سرّاً الغرب ﴾ وفي ٢١ مايو سنة ١٨٩٢ اغار عثمان ازرق على سرّاً الغرب شمالي حلفا بنفر من الهجانة فقتل ٣٤ نفساً من اهليها وغنم ٥٠ رأساً من الماشية



اللورد كيتشنر أوف خرطوم

﴿ غزوة قستل ﴾ وفي ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٩٢ غزا جماعة منهم بلدة قستل قرب
ادندان فقطعوا خط التلغراف بين كورسكو وحلفا وغنموا ماشية البلدة وقفلوا راجعين
﴿ غزوة جمحي ﴾ ولما رأى أهل سوارده أن الجيش لم يبدِ حراكاً اشتد طمعهم
وزاد طموحهم فخرجوا كلهم يتقدمهم أميرهم حموده بقصد غزو جمحي وسرس وتخریب
سكة الحديد بين سرس وحلفا فاتصل الخبر بقلم المخابرات قبل وصولهم فاستعدت
حامية سرس لصدهم وذهبت الاورطة العاشرة فاحتلت جمحي وجاء الدراويش
بطريق امبقول فلما قربوا من النيل انقسموا فريقين فريق الهجانة وعليهم عثمان ازرق
وفريق الفرسان والمشاة وعليهم حموده فاغار الاول على جمحي والثاني على سرس فردَّ
الجيش الفريقين خاسرين الى امبقول وذلك مساء ٣١ ديسمبر سنة ١٨٩٢

﴿ واقعة امبقول في ٢ يناير سنة ١٩٠٣ ﴾ وفي اثناء ذلك جهز البكباشي باين
ضابط المخابرات اربعة بلوكات من السواري وبلوكاً من الهجانة و٢٥ رجلاً من
عساكر الشايقية وسار بهم الى سرس فوصلها في فجر ١ يناير سنة ١٨٩٣ فلم ان
الدراويش قد فروا راجعين بطريق المرات وامبقول فتقدم الى المرات ولما لم يجدهم
ابقي السواري في المرات وتقدم بالهجانة الى امبقول في فجر ٢ يناير فوجد بعضهم
قد تأخروا في الآبار يسقون رواحلهم فأمر هجائته فترجلوا واتخذوا ثلاث تلال متقاربة
في صف واحد وابتدروهم بالرصاص فتمنعوا في تلال منيعة شرقي الآبار واجابوا اطلاق
الرصاص بمثله وسمع اخوانهم صوت البنادق فأسرعوا الكرة لتجدتهم فهاجم فرسانهم
مينة الهجانة ودار الباقون عليهم من شمالهم فالتحموا بهم وقتلوا البكباشي باين والصاغ
فؤاد افندي قومندان الهجانة وبعض العساكر وخف الباقون الى هجنتهم فركبوها
وانقلبوا راجعين فرقتين : الهجانة المصرية وعليهم الملازم محمد افندي بركات والهجانة
الشايقية وعليهم الصاغ سليمان افندي عبد الله فتأثرهم الدراويش فنجوا محمد افندي
بركات بفرقة واما سليمان افندي عبد الله فانه لما رأى الدراويش قد قربوا منه أمر
رجالاً فترجلوا وتسلقوا أكمة وشرعوا في اطلاق النار على الدراويش الذين احاطوا بهم
من كل جهة وما زالوا يطلقون الرصاص حتى فرغت جيبخانتهم أو كادت . وكان

معهـم موظف في المخابرات يدعى الشيخ صالح جبريل من مواليد دقـلة النـجـاء فلما رأى حرج المركز صعد الى اعلى التلة وطفق ينادي « ابشروا بالخير ابشروا بالخير جاءت السواري » فلما سمع الدراويش هذا النداء صدقوه واثقلوا راجعين فنزل الهجـانة عن التلة وأتوا سرس في اليوم التالي . وكان الملازم محمد افندي بركات قد سبقهم اليها وأنفذ خبراً الى السواري في المرات فرجعوا الى سرس . وقد عرفت هذه الواقعة بواقعة امبقول وكانت خسارة العساكر فيها ٣٦ قتيلاً و ١٥ جريحاً . واما خسارة الدراويش فكانت ٥٠ قتيلاً و ٦٠ جريحاً . وقطع الدراويش رأس البكاشي باين وارسلوه الى الخليفة في ام درمان مع مسدسه ونظارتـه ومراآته . وقد مرت بامبقول سنة ١٨٩٦ وشاهدت محل الواقعة فاذا فيه اثار ملابس العساكر وبعض رفاتهم في غزوة بريس في ٢٥ يوليو سنة ١٨٩٣ . وبلغ يونس الديـكـم امير دقـلة ان في واحة بريس على ٦٠ ميلاً من الخارجة خيراً كثيراً وهي خالية من العساكر والحصون فجهز عثمان ازرق بنحو ٣٠٠ مقاتل وارسله لغزوها في يونيو سنة ١٨٩٣ فلما اتى واحة سليمه رأى اثار قافلة آتية من سوهاج الى آبار النظرون فأرسل خلفها مئة رجل فأدركوها عند الآبار فاعتقلوا رجالها وغنموا ما كان معهم من الجمال والمال وساقوهم الى دقـلة . وسار عثمان ازرق بباقي القوة الى بريس فدخلها في ٢٥ يوليو سنة ١٨٩٣ ولم يجد من يقاومه فأخذ يجمع ما فيها من الغنائم فكانت ٥٤ بقرة و ١٨٧ رأس غنم و ١٠٠ جـيـاد و ٢٥٦ بندقية و ١٠٠ اردب حنطة و ٤٥ حماراً و ٥ قناطير من آنية النحاس ومن الذهب والفضة ما قيمته ٣٤٠ ريالاً و ١٥٠ جنيهاً وقضى في جمعها ٣ ايام ثم حملها وعاد بها الى دقـلة ومعه ١١ رجلاً من اهلها فأخذ يونس جانباً من الغنائم الى بيت المال ووزع الباقي على الغزاة وارسل اسرى الواحات والآبار الى ام درمان وكان اهل بريس قبل خروج الدراويش من واحـتهم قد انفذوا خبراً الى معاون الخارجة فانفذه الى مدير اسيوط ووصل السردارية بمصر في ٣٠ يونيو فأرسلت الجند الى سوهاج بقصد انجاد الواحة وقبل ذهاب الجند اليها ورد الخبر بأن الدراويش قد خرجوا منها فذهبت اورطة واحدة من العساكر لتسكين روع

الاهالي، وخصصت الحكومة ٥٠٠٠ جنية لتنفق على حماية الواحات فبنى العساكر طاية في بريس وطاية في الخارجة ومُدَّ خط التلغراف من الخارجة الى جرجاء، وجعلت نقطة من الكبايش في بير الشب غربي حلقا على طريق الاربعين

غزوة المرات وقتل صالح بك اخذاً ١٢٠٠ بشار سليمان ودقر في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٣

ذكرنا احتلال صالح بك للمرات يوم واقعة النجومي سنة ١٨٨٩، وفي سنة ١٨٩١ بلغه ان الدراويش في ابي حمد يستعدون للهجوم عليه فرأى « ان يتغدهم قبل ان يتعشوه » فجهز رجاله ونزل بهم على ابي حمد فباغت اهلها الهجوم في الفجر وهم يصلون صلاة الصبح في الجامع فذعروا واسرعوا الى اسلحتهم وبدأ اطلاق النيران من الفريقين ثم برز سليمان نعمان ودقر الغنادر بستيورت باشا راكباً على جواده وهجم على رجال صالح بك فرموه بالرصاص فسقط الى الارض يخطب بدمائه فقتلوا جواده ورجعوا الى المرات، فجار الخليفة بعد هذه الواقعة على المليكاب الذين في السودان ونفى كبيرهم حسن محمد خليفة الى بحر الجبل وصمم على اخذ الثار من صالح بك فامر يونس الدكيم امير دنقله فعقد لعثمان ازرق على ٦٠٠ مقاتل بالاسلحة النارية وارسله لغزو آبار المرات فوصلها في فجر ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٣ وكان مع صالح بك ١٠٠ رجل مسلحين بالبنادق وقد تحصنوا وراء متراس من الحجارة على راس اكمة فانتشب القتال بين الفريقين ودام من لدن الفجر الى ما بعد العشاء وقد وقف صالح بك بين رجاله يحثهم على القتال والثبات الى ان اصيب برصاصة في فخذه حالت دون تمكنه من الوقوف ومع ذلك ظل يشجع رجاله على القتال الى ان توفي بعد ان جرح بخمس ساعات، وتولى اخوه عبد العظيم قيادة العربان مكانه واستمر القتال حتى ارخى الليل سدوله فرجع الدراويش الى دنقله وقد قتل منهم ٢٩ رجلاً واما العبادة فقد قتل منهم عدا صالح بك ١١ رجلاً، وجعل السردار عبد العظيم مكان اخيه وأوصى الحكومة بعائلة صالح بك فأجرت لها مرتبة بتمامه حتى بلغ اولاده سن الرشد، وارسل الكبتن ماتشل فبنى في المرات طاية حصينة في ديسمبر سنة ١٨٩٣

زيارة الجناب العالي للحدود في يناير ١٨٩٤ وفي يناير سنة ١٨٩٤ زار الجناب

العالي الخديوي بلاد الحدود وكان قومندان الحدود اذ ذاك لويد باشا فوزع منشورًا على الاهالي أخبرهم بتشريف سموه بلادهم وأوعز اليهم بغرس شجرة من الجميز في كل بلدة تذكاريًا لزيارته . وبلغ الدراويش خبر هذه الزيارة فظنوا ان الحكومة تستعد للزحف على السودان فتيقظوا

﴿ غزوة الشب سنة ١٨٩٤ ﴾ وفي آخر سنة ١٨٩٤ نزل جماعة منهم على حامية الشب فوجدوا حاميتها الكبايش متيقظين فرجعوا عنها
﴿ غزوة ادندان ﴾ وفي ١٠ ديسمبر سنة ١٨٩٥ غزا ود حمزه الاقريابي بجماعة من المهجانة بلدة ادندان على ٣٠ ميلاً من حلفا فقتل ١٦ رجلاً من اهليها
﴿ غزوة سرس القديمة ٣٠ يناير سنة ١٨٩٦ ﴾ وفي ٣٠ يناير سنة ١٨٩٦ أغار جماعة من سواردة على سرس القديمة فقتلوا ٣ من اهليها

﴿ حملة دنقله سنة ١٨٩٦ ﴾

وهكذا كان الدراويش كلما سنحت لهم فرصة ركبوا الهجن وضربوا في عرض الصحراء وأغاروا على بلدة من بلاد الحدود فقتلوا ونهبوا ثم رجعوا قبل ان تدركم العساكر حتى أقلقوا راحة الجيش وسكان الحدود ولم يمكن توقي شرهم ومنع تعدّهم الا بنشر العساكر على طول البلاد من اصوان الى حلفا شرقاً وغرباً وهذا لم يكن ميسوراً لقلة عدد الجيش . وكان السردار قد طلب من الحكومة في اواخر سنة ١٨٩٢ مبلغ ٦٠ الف جنيه ليزيد بها عدد الاسلحة الراكبة ويقف للدراويش في المصاد فلم تعط له . ولم ينفك يحث الحكومة على وجوب الحملة على دنقله وطرده الدراويش منها رفقا بالحدود والجيش وهي لا تجيبه الى طلبه لعجز ماليتها عن تحمل النفقات حتى كانت واقعة عدوة بين التليان والحبشة في ١ مارس سنة ١٨٩١ وهب الدراويش لاسترجاع كسله من التليان كما مر فاقرت بادئ بدء على ارسال الجنود الى سواكن والتظاهر في الحملة على بربر لارهاب الدراويش وحملهم على العبدول عن كسله ثم رأت ان مجرد التظاهر لا يفي بالمقصود فاقرت أيضاً في ١٢ مارس سنة

١٨٩٦ على الحملة على دقته والتظاهر في الحملة على بربر. وفي ١٨ مارس سنة ١٨٩٦ أصدر السردار امره تلغرافياً الى هنتر باشا قومندان الحدود فارسى معظم العساكر الى عكاشة واسس تقطاً حرية بينها وبين حلفاء لحفظ خط الاتصال وشرع في مدّ خط سكة الحديد اليها بطريق الصحراء. وفي ٢٩ مارس وصل السردار حلفاء باركان حزبه وشرع في اعداد معدات الحملة والتهيؤ لها

✽ غزوة عثمان دقته لطوكر مارس — ابريل سنة ١٨٩٦ ✽

ولكن لم يلبث ان جاءت الانباء من سواكن ان عثمان دقته حضر الى اركويت بنحو ٢٠٠ فارس و ١٠٠٠ راجل بنية استرجاع طوكر فظهر ان الخليفة انما اراد استرجاع طوكر وكسله معاً وقد عهد الى عثمان دقته استرجاع طوكر كما عهد الى احمد فضيل استرجاع كسله فأصدر السردار امره الى لويد باشا محافظ سواكن وكان اذ ذاك في مصر فخف الى سواكن وارسل الى سدني بك قومندان طوكر ليوافيه بما لديه من الجند الى خور وتري على ٢٢ ميلاً من سواكن في يوم عينه له بقصد جمع القوتين وطرد عثمان دقته من البلاد * وكان في سواكن من الجند نحو ٩٠٠ رجل من سوارى وهجانه وبيادة وفي طوكر نحو ٢٥٠ رجلاً من الاورطة العاشرة السودانية واقعة سدني في ١٥ ابريل سنة ١٨٩٦ فخرج سدني بعساكره من طوكر في ١٤ ابريل ولويد باشا من سواكن في ١٥ منه قاصدين نقطة الملتقى فما وصل لويد الى طروة حتى اتاه مخبره بان عثمان دقته قد خرج من اركويت قاصداً خور وتري فأقام في مكانه وانفذ خبراً في الحال الى سدني ليعدل عن خور وتري ويأتي رأساً الى طروة وارسل البكباشي فك ب ٨٠ فارساً تقوية له . فابطأ رسول لويد ولم يعلم سدني بك بشيء حتى صار على نحو ميل من خور وتري في عصر ١٥ ابريل فعاد الكشافة واخبروه بان عثمان دقته قد احتل الخور فأمر العساكر في الحال فترجلوا ونظموا قلعة حول هجنهم وما اتوا انتظامهم حتى هجم عليهم عثمان بجيشه واحاط بهم من كل جانب فصبوا عليه الرصاص كالعارض المطال وهزموه في اقل من ساعة بعد ان قتلوا من جيشه نحو ٢٥٠ رجلاً

﴿ واقعة فنك ﴾ وكان فرسان عثمان دقنه لما رأوا ثقل الرصاص من مربع سدني تحولوا عنه الى جهة طروة فصادفوا « السواري » الآتين من لويدهم لنجدة سدني فهجموا عليهم وقتلوا منهم ووقعوا فيهم الفشل فانهمموا فرقتين فرقة فازت بالنجاة الى طروة واخرى وفيها البكباشي فنك و ٣٨ فارساً صعدت الى اكمة ثم ترجلت وصلت فرسان عثمان بنار بنادقها فردتهم على اعقابهم . ثم انضم اليهم بقية جيشهم المنهزم من واقعة سدني فحصروا الاكمة الليل كله الى الصباح (١٦ ابريل) فلم يظفروا منها بطائل فارتدوا عنها فنزل فنك بفرسانه عن الاكمة الساعة ٩ صباحاً وعاد الى طروة . واما سدني فانه بات ليلته في محل الواقعة وفي صباح اليوم التالي (١٦ ابريل) تقدم الى خور وتري وانفذ خبراً الى لويدهم باشا فوافاه اليه وطلبوا عثمان دقنه فوجداه قد انقلب راجعاً الى ادارة فدخلوا سواكن فبقي لويدهم فيها محافظاً وجاء سدني وفنك والعساكر الى النيل للمشاركة في حملة دقنه

﴿ غزوة احمد فضيل لكسله مارس — ابريل سنة ١٨٩٦ ﴾

﴿ وقعة كسله ٢ ابريل سنة ١٨٩٦ ﴾ هذا ما كان من غزوة عثمان دقنه لطوكرك . اما احمد فضيل فانه زحف على كسله في اواخر مارس سنة ١٨٩٦ بنحو ٦٠٠٠ مقاتل فحصرها . وكان التليان قد ارسلوا اليها من مصوع حملة كبيرة من المؤن والذخائر يحرسها ٣٥٠٠ رجل بقيادة الكولونل ستفاني فالتقاه احمد فضيل في ظاهر المدينة في ٢ ابريل سنة ١٨٩٦ فجمع الكولونل ستفاني قواه ووقع فيه واقعة مشهورة وهزمه الى طوكرك فبجساره ٤٠٠ قتيل واما خسارته فكانت ١٠٠ قتيل وجريح ﴿ واقعة طوكرك في ٣ ابريل سنة ١٨٩٦ ﴾ وفي صباح اليوم التالي (٣ ابريل) خرج عليه بجميع عساكره الى طوكرك ووقع فيه واقعة اشد من الواقعة الاولى فقتل من جيشه ٨٠٠ رجل وهزمه الى القصارف وكانت خسارته في هذه الواقعة ١٤٣ قتيلاً منهم ٤ ضباط و ٢١٧ جريحاً

﴿ عود الى حملة دقنه سنة ١٨٩٦ ﴾

﴿ واقعة ١ مايو سنة ١٨٩٦ ﴾ ولنرجع الآن الى حملة دقنه فان الدراويش

لما علموا بتحريك الجيش الى عكاشة هبوا الى سلاحهم وتقدم حموده بجامية سواردة الى كوشة فاحتلها في ٢ ابريل سنة ١٨٩٦ ثم تقدم الى فرقة فاحتلها في ٢٨ منه . وخرج محمد بشاره امير دنقله بجميع مقاتلته خارج الديم وشرع في ارسال المدد الى حموده حتى اجتمع عنده في فرقة نحو ١٦٥٠ رجلاً فخرج بهم في ١ مايو بطريق الصحراء بنية جرد عساكر عكاشة الى الصحراء والايقاع بهم . وكان قلم المخابرات متنبهاً للدراويز وقد بث العيون والارصاد لمراقبة حركاتهم ومعرفة احوالهم فلما علم بخروجهم من فرقة ابلغ السردار فصدر امره الى القائمقام برن مردخ بك قومندان السواري فخرج بـ ٢٥٠ فارس والتقاهم في منتصف الطريق بين عكاشة وفرقة فقتل منهم ١٢ رجلاً وردهم على اعقابهم مدحورين وقد قتل من عسكره رجل واحد وجرح سبعة . وكانت الاورطة التاسعة السودانية قد خرجت لتجديته فما وصلت حتى كانت الواقعة قد انتهت فعاد الكل الى عكاشة

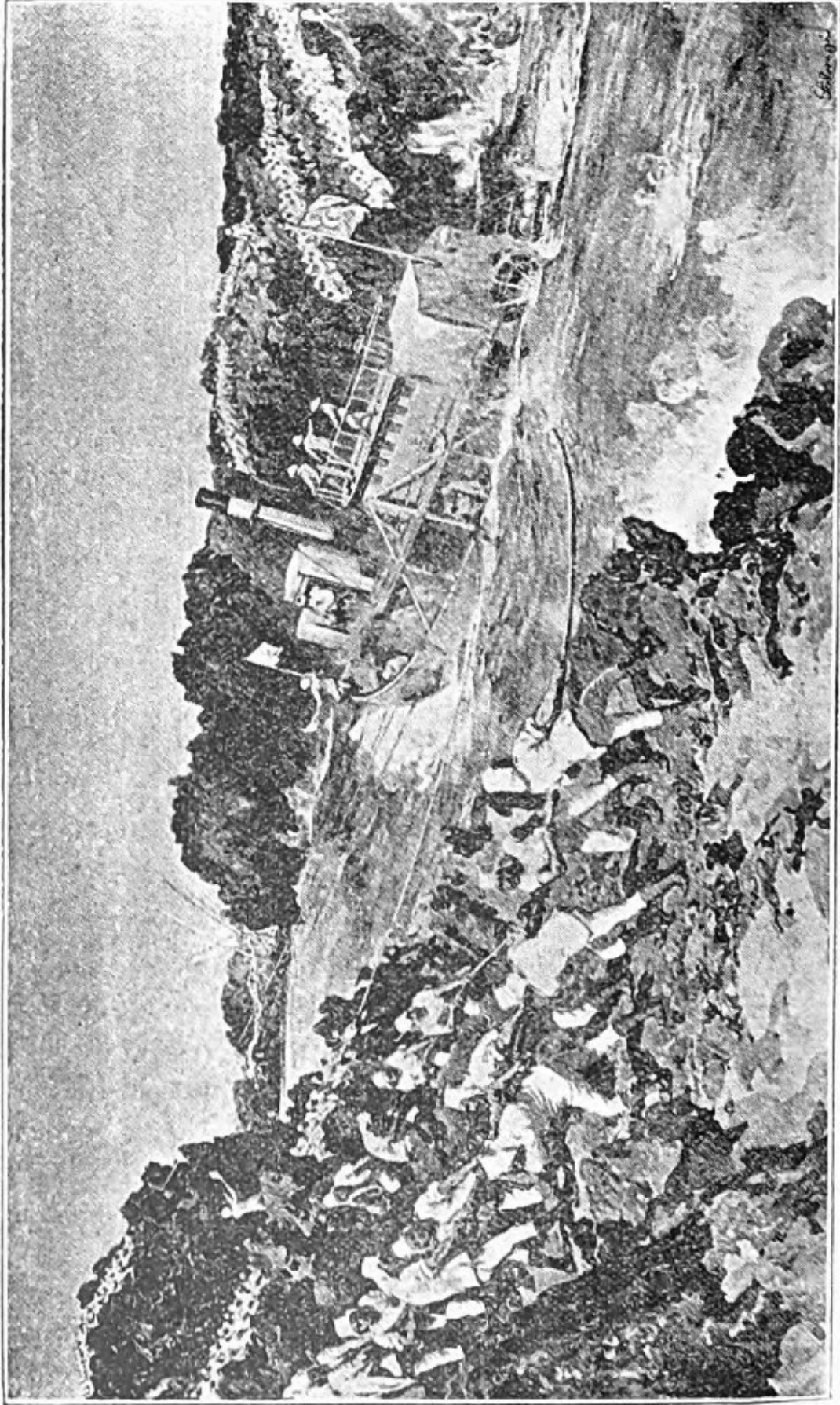
﴿ قوة جيش فرقة ﴾ قيل وقد اظهر حموده الجبن في هذه الواقعة فشكاه الامراء الى محمد بشاره امير دنقله فعزله وسمى عثمان ازرق اميراً على الجيش مكانه وكان الجيش مؤلفاً من ١٦٣٢ رجلاً فجعله اربعة ارباع وجعل على كل ربع اميراً من جنسه وهم : الهبانية وعددهم ٣٣٦ رجلاً وعليهم حموده ادريس . والدناقلة والحمر وعددهم ٤٤١ رجلاً وعليهم كرم الله كرقساوي الدنقلوي . والجعليلين وعددهم ٢٤٥ رجلاً وعليهم محمد الامين ابن عبد الحليم . والجهادية السود واولاد العرب وعددهم ٦١٠ رجال وعليهم يوسف عنقرو ودودو بدر البقاريين * اما الجهادية فسلحهم بالبنادق الزمتون واما الباقون فالسيوف والحراب وبعض البنادق . ومعهم كلهم ٧٢١ بندقية رمتون و٥٠ صندوق جبخانة و٢٠٥ افراس و١١٠ جمال و٥٠٠ حمار

﴿ استعداد العدو في فرقة ﴾ واستعد عثمان ازرق للدفاع في فرقة فعين لكل امير مكاناً يدافع فيه . اما فرقة فهي بلدة حسنة على ضفة النيل هجرها اهلها منذ الحملة النيلية فراراً من الدراويز فأصبحت خراباً وفي شمالها جبل شاهق علوه ٩٠٠ متر ينسب اليها والى جانبه الجنوبي اكام تختلف في الارتفاع من ٣٠ الى ١٥٠ قدماً

وبينها وبين خرائب البلدة ديم الدراويش فجعل عثمان ازرق الهبانية والجهادية على الاكام والجعلين شمالي خرائب فركة والداقلة والجر جنوبها . وقد علم قلم المحاربات قوة العدو تماماً بل رسم له فركة وعين مكان كل امير فيها وقت الدفاع حسب رتبة عثمان ازرق فشرع السردار في الاستعداد للحملة وهاك ما دبره

جيش الحملة على دتقله * لما صدر الامر بالحملة على دتقله كانت قوة الجيش المصري مؤلفة من : آلاي من السواري فيه ١٢٥٣ فارساً . وآلاي من الطوبجية فيه ٩٥٣ رجلاً و ١٨ مدفعاً . وآلاي من الهجانة المصرية والسودانية فيه ٦١٨ رجلاً و ١٣ اورطة زيادة أي ثنائي اورط مصرية وهي التي انشئت بعد الغاء الجيش القديم سنة ١٨٨٣ وخمس اورط سودانية وقد انشئت في اثناء الثورة المهدية وفي الكل ١٠٧١٥ رجلاً . واركاب حرب مصالح الجيش وعددهم ١٦٠١ رجل . فذلك ما عدا ٩٤٢ من العساكر غير المنظمة ونحو ٦٠٠ من رجال حملة النقل ومجموعهم كلهم ١٦٦٨٠ فيهم نحو ٧٠٠ ضابط * وسلاح الجميع بنادق مارتين هنري الا للعساكر غير المنظمة فانها كانت مسلحة ببنادق رمتون

فجعل السردار الاورط المصرية الاولى والخامسة والسادسة في نقط خط الاتصال بين اسوان وعكاشه واعد باقي الجيش للحملة على دتقله وتبرع الجناح العالي بيلوك من الهجانة كان في خدمة سموه فأضيف الى قوة الحملة . وكان السردار قبل صدور الامر بالحملة على دتقله امر بانشاء الاورطة السودانية الرابعة عشرة قائم انشاءها وابقاها في اساس الجيش في مصر . ثم لما صدر الامر بالحملة انشأ اورطتين من العساكر الاحتياطيين : الخامسة عشرة فجعلها في اسوان وكورسكو والسادسة عشرة فأرسلها الى سواكن * وكان في خدمة الجيش نفر من عربان العباددة والكبايش والمعلقات فزاد عددهم اكثر من الف رجل وحصن بهم نقط الصحراء الشرقية والغربية * واستنصر دولته فأرسلت اليه اورطة من الاي نورث ستفوردشير فيها ٨٧٠ رجلاً وبعض المهندسين الملكيين والطوبجية والبحارة فاستخدمهم في حملة دتقله . وارسلت الى سواكن آلاي من الهند بقيادة الجنرال اجرتن فكان لوجوده في سواكن في اثناء



صعود الوابور فوق الشلال الثاني

38

11

24

25

26

27

28

29

30

31

32

33

34

35

36

37

38

39

40

41

42

43

44

45

46

47

48

49

50

الحملة على دققة تأثير أدبي عظيم في الدراويش * * وقد تطوع لها جماعة من كبار ضباط الانكاز فكانوا اركان حرب فيها أهمهم : اللورد ادورد سسل ابن اللورد سلسبري وزير انكلترا الشهير فالحق باركان حرب السردار واللورد اثلني الحق باركان حرب اللوا هنتر باشا والكونت كليخن من افراد العائلة المالكية ومن اركان حرب مخابرات الجيش الانكليزي جعل في قلم المخابرات في حلفا اياماً ثم نقل الى سواكن فتولى اشغال المخابرات فيها . والماجور ستيورت ورتلي من رجال الحملة النيلية . والماجور كتشنر شقيق السردار

﴿ وسائط النقل ﴾ وكانت اهم ما لزم السردار بعد حشد الجيش الاهتمام بوسائط النقل في صحار مقفرة ونيل تعترضه الشلالات . وكان في الجيش عند صدور الامر بالحملة ٣٠٤٨ رأساً من خيل وجمال وبغال وحمير فارسل السردار بعض ضباطه واركان حربه فاشتروا النبل من اسيوط وقنا واصوان فوق جمال الحملة . وانشأ عشرة بلوكات من عساكر القرعة غير المستوفين الشروط من جهة القد والطول فضمهم الى البلوكات الثلاثة المخصصة للحملة في الجيش وجعل لكل بلوك قومنداناً وجعل الكل بادارة شقيقه الماجور كتشنر

وكانت الحكومة قد اقرت قبل الحملة على مد سكة الحديد من كورسكو الى المرات وبوشر العمل فلما كانت الحملة أوقف السردار العمل واتى بمواد السكة الى مرس وشرع في مدها جنوباً الى عكاشة فكوشة وقد انشأ أورطة من عساكر القرعة غير المستوفين الشروط وولجها العمل ثم استخدم اورط الجيش عند الحاجة

هذا من جهة تدبير النقل في البر اما في النيل فقد كان بين اسوان وحلفا ١٢ وابوراً من الواورات التي تخلفت عن الحملة النيلية فاستخدمها السردار في نقل المؤن والذخائر من اسوان الى حلفا واعد سبعه منها للصعود فوق الشلال الثاني عند ارتفاع النيل منها ٤ مدرعة و ٣ غير مدرعة وامر بشراء ثلاث بواخر حربية مدرعة من بلاد الانكليز تبني فوق الشلال الثاني وسماها الظافر والفايح والناصر ونظم بوسطة يومية على المهجن عهد بها الى الشيخ صالح جبريل المار ذكره في

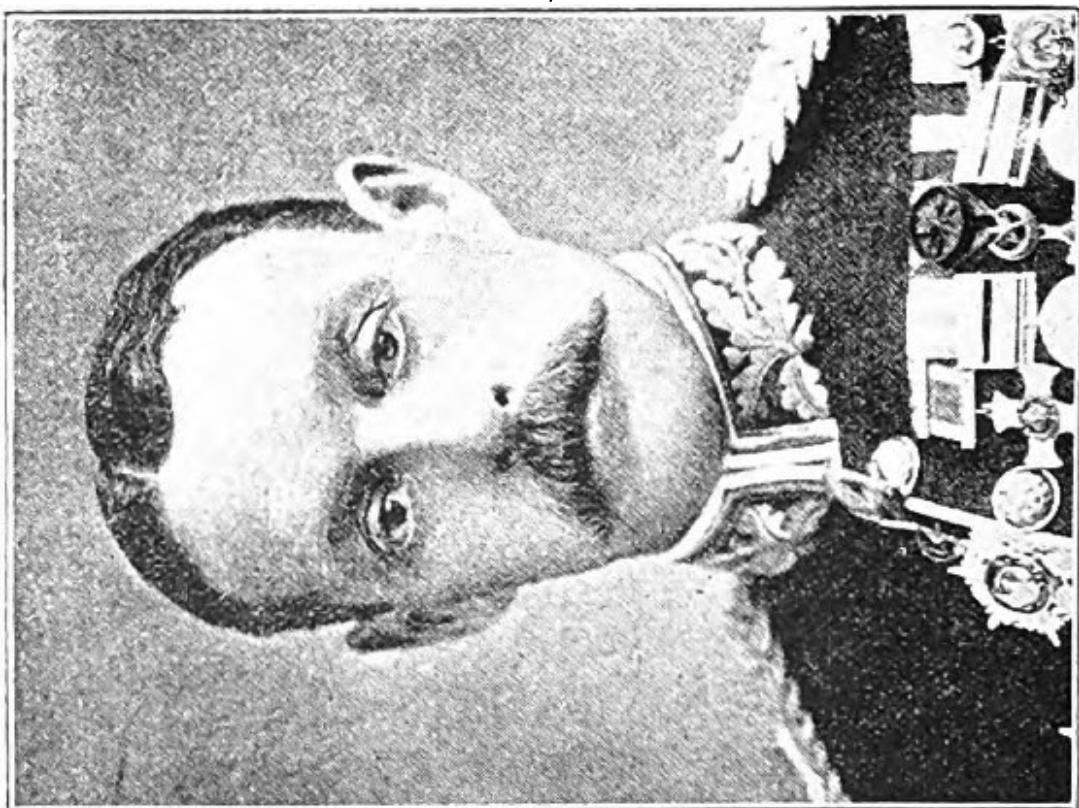
واقعة امبقول فقام بها خير قيام • واما التلغراف فكان يمدّه الى حيث يكون الجيش
 (تأليف ادارة الجيش) وفي ٢ يوليو نقل مركز السرداية الى عكاشه وألفت
 ادارة الجيش من سرس وجنوبها كما يأتي :

السر هربرت كتشتر باشا السردار • وياوراه :	قومندان عموم القوة
اللورد ادورد سسل • والقائمقام وتسنبك •	
والصاغ محمد افندي بدر	
اللوا رندل باشا	رئيس اركان حرب
الميرالاي ونجت بك	مدير قلم الخبايرات
الميرالاي سلاطين باشا	مساعد قلم الخبايرات
القائمقام هنتر بك	حكيمباشي التجريدة
جريفث بك	حكيمباشي يطري
القائمقام دراج بك	مدير المهات
الماجور كتشتر	مدير حملة النقل
البكباشي جيروارد	مدير سكة الحديد
البكباشي مانيفولد	اركان حرب التلغراف

القائمقام برن مردخ بك	قومندان عموم السواري
البكباشي يونج	قومندان طوبجية السواري
بيك بك والبكباشي لوري والصاغ محمد افندي حافظ	قومندان بطاريات الطوبجية
القائمقام تدوي بك	قومندان الهجاة

اللوا هنتر باشا	قومندان فرقة البيادة
الميرالاي لويس بك	قومندان اللواء الاول (وفيه الاورط ال ٣ و ٤ و ٩ و ١٠)
الميرالاي مكدونلد بك	قومندان اللواء الثاني (وفيه الاورط ال ١١ و ١٢ و ١٣)
الميرالاي مكسول بك	قومندان اللواء الثالث (وفيه الاورط ال ٢ و ٧ و ٨)
الميرالاي كوكرين بك	قومندان خط المواصلات (بين اصوان وعكاشه)

هنتر باشا



وندل باشا



واقعة فكره في ٧ يونيو سنة ١٨٩٦

وفي اوائل يونيو مُدَّت سكة الحديد الى ابار امبول وكانت دوريات الدراويش تصل الى تلك الآبار فتعترض حملات النقل وتحاول منع العمل في سكة الحديد فوجد السردار ان استمرار العمل في السكة يقضي بطرد الدراويش من فرقة وقد اقر على مهاجمتهم بطريق الصحراء وطريق النيل معاً * فلما كان يوم ٦ يونيو جمع الجيش كله في عكاشة وجعله قسمين : الاسلحة الراكبة وهم الالاي السواري والبطارية السواري والهجانة ومعها الاورطة الثانية عشرة السودانية راكبة على الهجن ومدفعا مكسيم وجماعة من القسم الطبي بقيادة الميرالاي برن مردخ بك تسير بطريق الصحراء فتأتي فرقة من الشرق والجنوب وفرقة البيادة ومعها بطاريتا ميدان ومدفعا مكسيم واسيتالية ميدان بقيادة اللواء هنتر باشا تسير معه بطريق النيل فتأتي فرقة من الشمال ويكون الجيشان محيطين بفرقة في فجر اليوم التالي فيهاجمانها معاً من الجنوب والشرق والشمال * ولما كانت الساعة الرابعة بعد الظهر خرج السردار بجيشه من عكاشة وسار بطريق النيل وخرج برن مردخ بك بالاسلحة الراكبة بعده بساعتين وسار بطريق الصحراء واتيا فرقة في فجر ٧ يونيو والدراويش اذ ذاك يؤدون صلاة الصبح فما شعروا الا والقنابل تنصب عليهم من كل جهة فهرع كل فريق منهم الى مكانه مذعوراً واستعدوا للدفاع وانتشب قتال حاد دام نحو ساعتين أبلى العساكر فيها بالدراويش بلاءً حسناً * ثم هجمت فرقة البيادة عليهم في اماكنهم فقتلتهم شر قتلة وامتلكت الديم وتمكن بعضهم من الفرار متوارين بحرف النيل وفيهم عثمان ازرق وكرم الله كرقساوي فلاحقهم السواري الى مغرقة فقتلوا منهم وأسروا * ولجأ بعضهم الى جزيرة في النيل تجاه فرقة فرفعوا راية بيضاء وأتوا مسلمين وفيهم بان النقا عبد الحفيظ من موظفي حكومة الفتح الاول * وقد سر السردار من بسالة برن مردخ بك وحسن تديره فرقاه الى رتبة ميرالاي في الحال وامره فتقدم بالاسلحة الراكبة الى سواردة واحتلها في صباح اليوم التالي أي في ٨ يونيو وكان عثمان ازرق قد سبقه اليها فعدى العائلات الى البر الغربي حيث كان حسن النجومي معسكراً

بثلاثمائة مقاتل وبقي في سواردة الى ان رأى غبار الجيش ففر بمن معه من الانصار الى كدّين ثم الى الكرمة . وفرّ حسن النجومي بالعائلات الى دقله
﴿ القتلى ﴾ وقد قتل من الجيش في واقعة فركه ٢٠ رجلاً وجرح ٨٦ . وأما قتلى الدراويش فنحو ٥٠٠ وفيهم الامراء حموده ومحمد الامين ويوسف عنقر . وقد رأيت بين القتلى امرأة من الهبانية قالوا انها جاءت الى الحرب لتقتل مع رجلها أو تحيا معه فأصابت برصاصة في صدرها وكانت علامات الهدوء والاطمئنان بادية على وجهها كأنها نائمة
﴿ الاسرى والغنائم ﴾ وقد جمع الاسرى بعد الواقعة فكانوا ٥٩٣ نفساً من السود والجعليين والدناقلة والبقارة فأدخل السود في خدمة الجيش في الحال واما العرب فمن عرف انه كان مكرهاً على الحرب اطلق سراحه واما البقارة وانصارهم فقد ارسلوا بعيالهم الى سجن حلفاء . وكان بين الاسرى ٧١ جريحاً فقلوا الى الاسيئالية وعولجوا فيها الى ان شفوا فوزعوا على الاسلوب المار ذكره . وكان بين الجرحى الشيخ الطاهر ود العبيد المذكور في حصار الخرطوم فانه كان في ربع الجعليين وقد كرّ على الجيش في وسط المعركة فقتل فرسه فترجل وقعد على قناة ماء ووضع سيفه بجانبه اشارة الى تركه الحرب فرآه احد ضباط الاورطة الرابعة فأفرغ فيه مسدسه فجرحه في فخذه وجنبه وصدره ويده اليمنى ومع هذا كله لم يتحرك من مكانه الا انه اشار الى ضارب يده فأتى اليه بعد توقف فقال له ما الذي دعاك الى ضربى وأنا مطوي اليدين فقال الغدر الذي لقيناه من اخوانك في المواقع السالفة فقال له ان الذي يقعد قعودي لا ينوي الغدر ثم حملوه الى المستشفى . وكان قد سأل عن سلاطين باشا فأتى وأوصى بالاعتناء به

وقد غنم الجيش في فرقة ٢٥ صندوقاً من الجبخانه وشيئاً كثيراً من الاسلحة والنقاير والدروع والخيل والجمال والحير والحبوب والحدود . وكان بينها خوزة نقش عليها هذا البيت من قصيدة البردي المشهورة :

ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد في آجامها تجم
ولعلها من خوذ ملوك سنار لان هذا البيت كان شعارهم الذي يكتب على اختامهم

وقد قتشت عن اوراق الدراويز فوجدت بينها كتباً كثيرة من محمد بشاره الى حموده وعثمان ازرق حشما فيها على التقيظ والثبات ودرهما احسن تدريب ﴿معسكر كوشه﴾ وبعد انتهاء الواقعة عسكر السردار في جنوبي فرقة اياماً ثم انتقل الى كوشه في فم عقبة ابي صاري وجعلها مركز الجيش واهتم باتمام سكة الحديد اليها ونقل الواورات * وارسل من فرقة ﴿منشوراً الى اهل السودان﴾ فوصل نسخ منه الى ود بشاره في دقله والخليفة في ام درمان هذا ملخصه :
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين . اما بعد فغير خاف على الحكومة ان الذي حملكم على شق عصا طاعتها انما هو تصديقكم دعوى محمد احمد المتهدي وقد اتضح لكم الان ان تلك الدعوى لم تكن من المهدي بشي بل هي ثورة دموية افضت الى ملك جائر يتولاه الآن عبد الله التعايشي الذي عزل كل امير من غير اهله وولى اهله فاستبدوا بكم . ولما رأت الحكومة سوء مصيركم ارسلت الآن جنودها الجرارة لانتشالكم من وهدة الضلال التي اوقعكم فيها ذلك المتهدي واتقاذكم من الظلم الذي تقاسونه في عهد خليفته التعايشي . وقد كان من مبتدعات المتهدي وخليفته هذا منع الحج الشريف مع انه فرض وجب على كل من استطاع اليه سبيلاً . ثم ان كلا منهما فسر القرآن على رأيه وهواه واستنبط احكاماً شرعية كما اراد ومنعكم قراءة كتب الحديث والتفسير فضلاً عما ياتي التعايشي الآن من جمع المال وتفريق كلمة الاسلام وهتك الاعراض وظلم الفقراء وهدم بيوت الكبراء وبعد ان كان رجلاً مسكيناً لا يملك شروى تقير استأثر باموال الرعية كلها وسكن القصور المشيدة واتخذ نساء المؤمنين سراري له واستحل وطأهن بلا عقد ولا ملك يمين وهو مع ذلك يدعي بالزهد والمسكنة ويتنعم سرّاً بكل ما تطيب به نفسه وتقر عينه وهو ظالم غشوم ما تكلم احد بالحق الا قتله او سجنه او نفاه . وقد سجن الخليفة شريعاً واهان الخليفة ود حلو واولاد المهدي وقتل ابراهيم عدلان واقارب المهدي مثل عبد القادر ود ساتي علي ومحمد عبد الكريم واخوانهم سجن والزاكى طمل والقاضي احمد والحسين ود الزهرة اماتهم جوعاً وخرب

مساجد المسلمين كمساجد الحسن المرغني واولاد نور الدائم والشيخ العيد والشيخ
 حمد النيل العربي . ونفى امراء الجعليين مثل بدوي ود العريق وغيره وبذلك
 اسخط جميع العالم الاسلامي واصبحت مكة المشرفة وكرسي الخلافة العظمى تنظر
 الى عمله بعين المقت والكراهة * ولما رأى ولي النعم خديونا المعظم ^(ع) عباس حلمي
 الثاني ^(ع) ان جرائم هذا الطاغية تزداد يوماً فيوماً اخذته الشفقة على المسلمين المظلومين
 وصمم على انتقاذهم من الظلم فارسل جيوشه المظفرة لكي تهدم اركان دولة التعايشي
 وتقيم حكومة شرعية مؤسسه على العدل والاستقامة وتبني المساجد وتعين على نشر
 الدين القويم . وقد اصدر سموه عفوه التام عن جميع ذنوبكم وأمر برده اموالكم
 وهو يدعوكم الى استقبال جيوشه بالترحيب فاذا قبلتم الدعوة وعرفتم قيمة الانعام كنتم
 انتم الراجحين الناجين والا فالويل لمن رفض نعمة ربه وكرم خديونا المعظم وباسمه
 لي الرجاء الوطيد ان اراكم قريباً طائعين ومعضدين للحكومة الخديوية والسلام يونيو
 سنة ١٨٩٦ * الامضاء : كتشنر قائد جيش حملة السودان وسردار الجيش المصري
 هذا ولم يعد في الامكان الانتقال من كوشه جنوباً قبل مد سكة الحديد
 والوابورات اليها . اما الوابورات فلم يمكن عبورها فوق الشلالات الا بعد استيفاء
 الفيض حده وذلك في اوائل اغسطس فاهتم السردار بأكمل سكة الحديد الى
 كوشه بأسرع ما يمكن من الزمن لينقل اليها الزاد والذخائر واجزاء الوابورات التي
 اوصى بها في بلاد الانكايز على ان يبنيتها في كوشه حتى اذا ما ارتفع النيل الى الحد
 المطلوب وجاءت الوابورات من حلها تكون الوابورات الجديدة قد تمت فأضاف
 اربع أورط من الجيش الى أورطة سكة الحديد وحثم على الجد في العمل

^(ع) انتشار الكوليره في الجيش ^(ع) وكانت الكوليره قد تفشت في مصر بعد خروجنا
 منها بقليل فوصلت اسوان في اواسط يونيو وما زالت تذهب صعباً في النيل حتى
 تفشت في جميع نقط خط الاتصال من اسوان الى سواردة فاجتهد السردار واركان
 حربه والاطباء في محاربتها حتى زالت في ١٠ أغسطس وبلغت الوفيات في جميع
 نقط الجيش ٩١٩ منهم ١٤ عسكرياً و ٥ ضباط من الانكليز وفيهم البكاشي فك

بطل الائمة المار ذكره في سواكن و ١٥٦ عسكرياً و ٤ ضباط من المصريين و ١٨٣ من «حريمات» العساكر السودانية و ٤٥٦ من اهل البلاد . ومنهم المرحوم يوسف شكور من مهندسي سكة الحديد النجباء وابن اخي لمحم بك شكور ونسيب سليمان بك ناصيف . توفي في فرقة في ٢٩ يوليو رحمة الله على الجميع

﴿ تفشي الحمى التيفودية في الجيش ﴾ ولكن المصائب لا تأتي فرادى فانه قبل زوال الكوليرة تفشت في الجيش الحمى التيفودية وما زالت حتى اخذت نصيبها منه ﴿ الحر والزوابع والامطار ﴾ ومعلوم ان الفصل الذي قامت فيه الحملة هو فصل الحر وقد اشتد علينا حتى بلغت درجة الحرارة ١٢٥ بمقياس فارنهایت في الظل . ثم لم يبدأ شهر اغسطس حتى بدأت الاعاصير والرياح اللوآح فكانت كلما ثارت تقتلع الخيام وتثير الغبار وتغادر الجو مظالمًا . وفي ٢٥ اغسطس ثار اعصار شديد عند الغروب فاقتلع نصف خيام المعسكر ونسف خيمة هندية كبيرة كنت اكتب فيها فسقطت علي ولكنني نجوت منها بمعونة الله وخرجت فوجدت العاصفة قد اثارت الغبار وهي لا تزال تهب بشدة وعنف حتى كنت اذا وقفت ترميني الى الارض واذا جلست تنسف التراب والحصى في وجهي وبقيت على هذه الحالة الشديدة نحو ساعة اذ كرّني جيش كمبيز الذي هلك في صحراء سيوه . ثم هطلت الامطار فسكنت الرياح وانتشع الغبار فذهبت الى خيمتي لاتي المطر فوجدت الريح قد اقتلعتها والمطر مبللاً فراشي وثيابي ولكنني وجدت كثيرين قد اصابوا بما اصبحت فقضينا ليلة شر الليالي

وفي ٤ اغسطس مدّت سكة الحديد الى كوشة وأخذ الجيش ينقل عليها المؤن والذخائر بكل اهتمام . وفي ١٥ منه وصلت اجزاء الوابور الجديد المسمى الظافر الى كوشة فبناه القومندار كولفل من البحارة الملوكة في أيام معدودة وانزله الى الماء قصد تجربته فانفجر قزانه فتأخر في كوشة مدة

وتأخر ارتفاع النيل هذه السنة عن ميغاده فلم يمكن الشروع في مرور الوابورات فوق شلال حلفا قبل ٢ اغسطس وقد تولى هذا العمل الشاق اللوا هنتر باشا والقومندان روبرتسن من البحارة الملوكة وكان عدد الوابورات التي عبرت

الشلالات سبعة : اربعة مدرعة وهي تماي والتمة وأبو طليح والتيب وثلاثة غير مدرعة وهي عكاشة ودال وخير وقد وصلت كوشة في ٢٣ اوغسطس

وفي هذا اليوم عاد الينا رسول كنا ارسلناه في بدء الحملة الى دقله لاستطلاع اخبارها فقبض عليه اميرها وارسله الى الخليفة في ام درمان فرجه في السجن الى ان كانت واقعة فكره فاستدعاه اليه وسأله هل سلاطين باشا في الحملة قال نعم فقال له « ان سلاطين كتب الينا كتاباً وهذا جوابه فسلمه اياه سرّاً » فحملة واتى به الى سلاطين وهو غير مصدق انه نجاة . وكان سلاطين عند وصوله الى مصر قد ارسل الى الخليفة كتاباً يخادعه به ليرفق بخدمة الذين تركهم وراءه وهذه صورته :

« اما بعد فمن عبد ربه عبد القادر سلاطين الى سيدي وسندي خليفة المهدي (عم) السيد عبد الله بن السيد محمد حفظه الله آمين نخبر سيادتكم اننا وصلنا الى مصر بعون الله سالمين وبعد وصولنا حصل لنا لطف من الله وان شاء الله عن قريب يحصل الشفاء وتتوجه الى بلادنا لمقابلة اهلنا واخواننا وأنا لا زلت اذكر فضلكم ومعروفكم أيام كنت في بابكم واذا بلغكم عنا ما يكدر خاطرکم فأرجو ان لا تصدقوه وانتم قد وهبكم الله سبحانه معرفة الباطن ومن ذلك تعلمون ان محبتنا لكم خالصة . نعم اني تركت بابكم بدون اجازة منكم ولكن هيبة سيدي خليفة المهدي منعني عن طلب الاجازة والآن الوم نفسي على ذلك واطلب منكم العفو وان شاء الله بعد رؤية الاهل والوطن نعود الى خدمة بابكم العالي وذلك عند وصول كتاب الامان من سيدي خليفة المهدي . مصر في ٧ ابريل ١٨٩٥ هـ » وهذا جواب الخليفة عليه :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله ابن محمد خليفة الصديق الى عبد القادر سلاطين » بعد السلام نعلمك ان الجواب المحرر لنا منك بخطك بأنك ثابت على دين الاسلام وانك لا تخون العيش والملح قد وصلنا وهو الآن محفوظ بطرفنا وحيث انك على ذلك وقد حضرت الآن مع الكفار الذين انت معهم فاعمل المكيدة التي تمكن من انتهاز الفرصة فيهم وهاهي الجيوش الاسلامية

متوجهة اليهم وهذا ما لزم اعلامك به لتجري العمل بموجبه سرًا والسلام في ٢٠
صفر سنة ١٣١٤ هـ « اه ٣١ يوليو سنة ١٨٩٦

وعند وصول الواورات الى كوشة اي في ٢٣ اغسطس امر السردار حامية
سواردة فتقدمت الى ابي صاري وشرع في ترحيل الجيش اليها بطريق العقبة
فخرج اللواء الاول من كوشة في ٢٧ اغسطس وتبعه اللواء الثاني على الاثر * وفي
مساء هذا اليوم جاءت الانباء بهطول امطار غزيرة شمالي عكاشة أفاضت الخيران
وأخربت ٢٠ ميلاً من سكة الحديد بين المرات وسرس فامر السردار جميع من
توفر لديه من العساكر وقد زادوا على ٥٠٠٠ فاصلحوا الخط بمزيد المهمة وما كادوا
يتمونه حتى هطلت الامطار ثانية وخرّبت محطة عكاشة وثمانية اميال من الخط
بقربها فخفف العساكر اليها فانصبوا على العمل فيها ليلاً ونهاراً حتى أتموها
في ٣ سبتمبر * فاستأنف السردار ترحيل العساكر جنوباً وأرسل اللوائين الثالث والرابع
في عقبه ابي صاري في ٥ سبتمبر واتى بالاورطة الانكليزية من حلفا بسكة الحديد
وارسلها في الواورات في ١٢ منه وسار وراءها في النيل فاجتمع الجيش كله والواورات
في دلقو في صباح ١٣ سبتمبر * وعند العصر سار السردار بالجيش المصري برّاً وسارت
العساكر الانكليزية بالواورات مقابله حتى وصل الى ابي فاطمة جنوبي شلال حنك
مساء ١٨ سبتمبر * وقد عبرت الواورات شلال حنك سالمة الا وابور خيبر فانه ترك
شمالي الشلال ووابور التيب فانه ارتطم بصخرة جنوبي الشلال فقرر عليها وتعذر
اخراجها منها فترك مؤقتاً

هذا وكان ود بشاره لما علم بخروجنا من كوشة خرج بجميع جيشه الى الحفير
تجاه الكرمة فاقام فيها ٣ طوابي على النيل جعل في كل منها مدفعين ووصلها بخندق
حصين بنى من ترابه متراًساً فتح فيه المزاغل وجعل فيه رجاله المسلحين بالبنادق
وكانوا نحو ١٨٠٠ ونزل هو بياقي جيشه بعيداً عن مرمى الرصاص وراءهم * وكان
قد بنى استحكاماً في الكرمة وعزم على مقاومة الجيش فيها وفي الحفير معاً ولكن
امراءه الحوّا عليه فأخلى الكرمة واتى بالعساكر التي كانت فيها الى الحفير وذلك في

مساء ١٨ سبتمبر اي عند وصولنا ابا فاطمة فاجتمع عنده في الحفير من الجيش مايتي:

القبائل	الامراء	القرابة	الجهادية	التهجاة	الفرسان
الملازمون (أو الحرس الخاص) الجهادية السود	محمد بشارة		١٦٠	١٣٠	١١٠
التعايشة	عبد الباقي عبد الوكيل (وثلاثة غيره من التعايشة)		١٥٣٢	٨٦	١٠٥
الحمر	احمد محمد منجي	٦٠٠	٦٠	١٥	١٧٠
الهبانية	حماد رقيعات	٥٦٥		٢	١٥٠
دغيم	مساعدة قيدوم	٤١٠	٣٠	٥	٥٠
الجميلين	سليمان جمعه	٤٥٩		٦	٦٠
الديناقلة	الحسين النجومي	١١٠٨	٢٠	١٥	٣٠
	عثمان ازرق	٣٣٢	٢٥	٤	١٢
	مجموعهم	٣٤٧٤	١٨٢٧	٢٦٣	٦٨٧

واقعة الحفير في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٦

في الواحورات الحربية وفي فجر ١٩ سبتمبر سار الجيش كله برًا وسارت الواحورات مقابله في النيل وفي كل منها نفر من العساكر الى ان وصل الكرامة الساعة ٦ صباحًا فوقف تجاه الحفير. واما الواحورات فقد صدر لها الامر باستطراء السير الى دنقله وضرب الحفير عند مرورها بها. وندبت من قلم الخبايرات لمرافقة الشريف الكبتن كولفل قومندان العماره فصحبته في واپور « طماي » الذي سار في مقدمة الواحورات. ومازلنا سائرين حتى صرنا على بعد مرمى القنابل من الحفير فلاحنا لنا خيمة ود بشاره في وسط معسكره وراء غابة من النخيل فصدر امر القومندان فصوبت القنابل عليها وقد علمنا بعد ذلك ان اول قبلة اصابت ود بشاره وهو يقرأ كتابًا من الخليفة جاءه في تلك الساعة فجرحته وقتلت عبدًا له وكانت الساعة السابعة فاضطر ان يتقهقر الى التلال البعيدة فرارًا من القنابل. وامر السردار طوبجية الجيش فاتخذوا

مكاناً عالياً في الكرمة وشاركوا الواورات في رمي الحفير بالقنابل ولم يلبث العدو أن اطلق علينا مدافعه فتقدمنا نحوه ونحن نرميه بالقنابل حتى ظهرت طوابيهم للعين المجردة فسددنا مرامينا فهدمنا الطاية الاولى وصوبنا القنابل نحو الثانية والثالثة ومازلنا تقدم حتى صرنا على ٥٠٠ يرد من الشاطي ففتح أهل الخندق بنادقهم وصلونا ناراً حامية فأصيب سليم افندي شقره مترجم الواور برصاصتين احدهما في كتفه اليمنى والاخرى في جنبه فخرج جراحاً خفيفة. واصابت رصاصة رسغ الكبتن كولفل فجرحتها جرحاً شديداً دامياً فالح عليه الطبيب في الدخول الى غرفته لضمد الجرح في الحال فأمر الواورات اذ ذاك بالتقهقر عن رمى الرصاص وعاد بالواور الى البر الشرقي ليضمد جرحه ولكنه ابقى الواورات الاخرى تجاه الحفير ترميها بالقنابل. وعند وصوله الى البر ذهب الكبتن ده روجمان قومندان الطوبجية في الواور فأخبر السردار بما كان فتكدر لجرح الكبتن كولفل وأمر باخراجه الى البر لمعالجته وعهد بقومندانية الواورات الى الكبتن ده روجمان وأمره بالعبور بها الى دقله تحت كل خطر فرجع ومعه اللورد اثلهني الذي ابلى الكبتن كولفل اوامر السردار فطار صوابه وكان حكيمباشي الجيش قد جاء لينزله الى البر فأخذ يتوسل اليه بالحاح ان يسمح له بالبقاء في الواور ويخبر السردار ان جرحه لا يمنعه عن اتمام وظيفته فسمح له بالبقاء في الواور بعد تردد كثير وما نزل الحكيمباشي حتى غاب الكبتن كولفل عن صوابه من شدة ألم الجرح فاقلع الواور الساعة $\frac{1}{4}$ ٩ يقوده الكبتن ده روجمان واهاب بالواورين ابي طليح والمتمه ان يتبعاه الى دقله فتبعاه ولما رأنا الاعداء مقبلين قاصدين المرور امطرونا وابلاً هطالاً من الرصاص والقنابل فرددنا نارهم باحراً منها حتى اغرقنا وابورهم الطاهرة. وكان معنا الملازم الباسل حسن افندي توفيق نجل بدر بك الحكيم ومعه ٣٠ رجلاً من الاورطة السابعة فاستل سيفه ووقف في رجاله يحثهم على مواصلة اطلاق الرصاص ويدلهم على مواقف العدو يجنان ثابت وعزم راسخ. ومازلنا نصادم تيار النيل ونواصل العدو برصاص البنادق وقنابل المدافع وطوبجية الجيش تساعدنا من البر الشرقي حتى اجتزنا الحفير آمين وذلك الساعة عشرة وربع وقد اصابت قنابلهم وابوراتنا الثلاثة لكنها

لم تضرب بها ضرراً يذكر وجرح بعض العساكر والبحارة . وكان مرورنا بالحفير تحت
قنابل العدو ورصاصه مخاطرة شديدة لكن السردار رأى انه لا بد من هذه المخاطرة
لانه اراد ان يزحزح الدراويش من الحفير ويعبر اليها بالجيش فيهاجمهم في ديمهم
وقد فاز بتديره هذا كل الفوز فان الدراويش لما رأوا ان الواورات تجاوزت الحفير
قلقوا اشد القلق على ديمهم وعيالهم التي تركوها فيه وكان مدير الخابرات قد ارسل
اليهم رسلاً من اهل البلاد فأشاعوا ان الجيش لاحق بالواورات في البر الشرقي
ليعبر بها الى دنقله ويستولى على الديم وانه لم يبق الا الطوبجية لمشاغلهم فازداد
قلقهم وما ارخى الليل سدوله حتى اخلوا الحفير واسرعوا الى ديمهم في دنقله فوصلوه
في صباح ٢٠ سبتمبر

✽ عبور الجيش الى الحفير ✽ وفي فجر هذا اليوم شرع السردار في العبور الى
الحفير بجميع الجيش وكان مؤلفاً من ١٢٦٩٣ رجلاً و ١٣١٢ جواداً و ٣٧١ بغلاً
و ١٤٤٢ جملاً و ٦٤ حماراً و ٢٢ مدفعاً ولم يكن عنده سوى وابورين وبعض المراكب
التي غنموها في الحفير فعبروا جميعاً في ٣٠ ساعة

✽ عود الى الواورات الحربية ✽ هذا ما كان من الجيش والدراويش اما نحن في
الواورات فاننا بعد ان تجاوزنا الحفير واصلنا السير حتى صرنا تجاه ديم الدراويش
وكانت الشمس قد غابت فبتنا في البر الشرقي قبالة الديم المذكور من بناء التجوي
طوله نحو ٣ اميال وعرضه نصف ميل وهو على ٣ اميال شمالي مركز الاوردي وعلى نحو
ميل من النيل ولكنه قائم على ترعة قديمة تجري من جنوبي مركز الاوردي وتصب
عند مسجد الحجر شمالي الديم . اما مركز دنقله الاوردي فقد هدمه الدراويش
عند دخولهم البلاد وبنوا باخشابه ديمهم الا مركز المديرية فقد جعلوه شونة للغلال والتمر
وفي فجر ٢٠ سبتمبر خرجنا من مييتنا وقصدنا الشونة فوجدناها خالية واذ لم يكن
لنا اذن في النزول الى البر انقلبنا راجعين الى حيث كان السردار فوجدناه لم يزل مهتماً
اتعدية الجيش الى الحفير وكان وصولنا اليه الساعة ٤ بعد الظهر فاخبرناه بما كان فامر
الكبتن كولفل بالبقاء في الحفير للراحة وأمر المستر يتي قومندان أبي طليح بالرجوع

الى الديم في فجر الغد لمراقبة العدو بعد تقهقره اليه وندبني للذهاب معه * * وفي فجر ٢١ سبتمبر سرنا حتى قربنا من ديم الدراويش وكان الاهلون يستقبلوننا في الذهاب والاياب وعن اليمين والشمال بالتأهيل والترحيب والزراغيت فسألناهم عن الدراويش فقالوا ان ود بشاره حال وصوله امس الاحد من الحفير ارسل ٣٠٠ رجل بثلاثة مدافع الى الشونة لمصادمة الوابورات فجعلوا مدفعين في طاية قديمة شمالي الشونة والمدفع الثالث في غرفة جنوبها وكان بين الطاية القديمة والشونة حائط حصين قديم فتحت فيه المزاغل فاحتله بعض الجهادية ثم حفروا بين الشونة والمدفع الثالث خندقاً وبنوا من ترابه متراساً كما فعلوا في الحفير فاحتله باقي الجهادية وتربصوا للوابورات . فتقدمنا الى الشونة لتحقيق الخبر وابتدريناها بقنبلة من اقوى مدافعنا فأجابنا العدو على الفور من الطائيتين وانتشب القتال باطلاق القنابل من الجانبين لكن قنابلهم كلها اخطأت المرمى الا انهم رموا قنبلة من قنابل شربل فتفرقت في الجو فوق وابور ابي طليح ولكنها لم تلحق به ضرراً يذكر . واصابني اذ ذاك شظية من كبسول مدفعنا عند اطلاقه فجرحتني في وجهي جرحاً خفيفاً فظن انها من قنبلة العدو . وبعد ان رمينا الشونة بسبعين قنبلة رجعنا عنها الى الديم فرميناه بالقنابل الى قرب غروب الشمس فحسنا الى جزيرة ارقو وارسلنا منها اخبار يومنا الى مدير المخابرات وبتنا فيها الى الصباح * * وفي فجر اليوم التالي (٢٢ سبتمبر) رجعنا الى الشونة فناجزناها نحو نصف ساعة وعدنا الى الديم نستطلع اخباره فما كدنا نصل اليه حتى جاءنا الوابوران الحريان يقودهما الكبتن كولفل وقد اتى ليتحقق بنفسه خبر الشونة التي بعثنا به امس فنندبني اليه وسار حتى اتى الشونة الظهر فرماها بالقنابل فاجابته واشتد القتال ساعتين ثم اقبلنا راجعين الى الجيش وكان قد خرج من الحفير في ظهر ٢١ سبتمبر واتى الزورة على ٦ اميال من ديم الدراويش صباح ٢٢ منه . وكنا نحن عنده بعد ظهر هذا اليوم فرأيناه يستعد للهجوم على ديم دقله فأخذ الكبتن كولفل يعد عمارته ايضاً للهجوم وكان الظاهر قد اصلح قزانه (مرجله) فوصل الزورة بعد الغروب وانضم الى الوابورات الثلاثة المدرعة

احتلال دنقلة في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٦

ولما كان فجر ٢٣ سبتمبر سار الجيش كله برًا لمهاجمة دنقلة وسارت الوابورات في النيل فصار طمهي في مقدمتها وتبعه الظافر ثم الوابورات الاربعة الاخرى وكنا تقدم الجيش قليلاً حتى كانت الوابور الاخير مقابلاً مقدمته . ولما كانت الساعة السابعة صباحاً اشرفنا على ديم الدواويس فرأيناهم قد اجتمعوا كلهم في شماله وراء خط النار الذي سبق ذكره فأمر الكبتن كولفل فاطلقت الوابورات الحربية مدافعها عليهم فسقطت القنابل في وسطهم ففرقتهم وقتلت منهم وقد رأيناهم مهولين غرباً وجنوباً حتى ابعدوا عن مرمى القنابل . ثم ارسلت الوابورات قنابلها الى الديم فصرنا نرى الناس يخرجون منه افواجاً مسرعين الى جهة الجنوب وكنا نشاهد الجيش كله سائراً نحو الديم ومستعداً للهجوم في نظام بديع جداً

ولما كانت الساعة ٨ والدقيقة ٤٥ رأينا فارساً مقبلاً نحونا من بعيد ومعه بعض الاتباع فوقفنا ننتظره حتى اقترب منا وصاح الامان الامان فقلنا له عليك الامان فترجل ودخل الوابور فسألته عن اسمه فقال الامير حسن النجمي وكانت متقلداً سيفه وحاملاً بيده حربة فرحبت به . وأخذت منه الحربة وأتيت به الى الكبتن كولفل قومندان العمارة وعرفته به فأخذ السيف بين يديه وقدمه له وقال ارجو الامان فقال له القومندان عليك الامان فهاوراءك من الاخبار قال : رجعنا من الحفير مساء ١٩ الجاري على نية الحرب فأرسلنا بعض الجهادية والمدافع الى الشونة لمقاومة الوابورات وأمرنا باقي الجهادية فحفروا خندقاً طويلاً شمالي الديم وتترسوا به وبنوا طوابي ايضاً للمدافع الاربعة وبقينا في الديم الى ان عاد الكشافة امس الصباح فاخبرونا بقدوم الجيش الى الزورة وانه في عدد عظيم فخرجنا كلنا ووقفنا كل امير مع رجاله صفاً واحداً وراء خط النار وفي نصف الليل عقدنا نحن الامراء مجلساً دعونا اليه ود بشارة وقلنا له يا سيدنا اذا باشر احد الناس تجارة ثم تحقق انه خاسر لا محالة افلا يحجم عنها قال بلى فقلنا له اذا كان هذا شأن الانسان والاتجار في المال فما قولك به والاتجار في الارواح فأنت تعلم ان جيشنا كله من فرسان ومشاة نحو ٦٢٠ رجل وجيش المصريين

ينف على ١٥٠٠٠ رجل ثم ان عدد بنادقنا ١٨٠٠ واما هم فكل رجل منهم مسلح
ببنادقة فضلاً عن ان بنادقنا من نوع رمتون وبنادقهم مارتين هنري وعندنا من
المدافع ٧ وأما مدافعهم فتعد بالعشرات ولهم جيش في البر وعمارة في البحر افلا تظن ان
قتالنا اياهم تجارة خاسرة يجب الاقلاع عنها . نعم اننا اذا ثبتنا امامهم نحملهم خسائر
جمة ولكن هل يمكننا الثبات الى النهاية حتى نظفر بهم ونردهم الى مصر اذا فالرأي
عندنا ان نأخذ عيالنا ونقهقر بهم الى الدّبه ومن هناك نطلب النجدة من ام درمان .
قال ود بشاره عندي الموت خير من عار القهقري ورأيي ان تثبت وتقاتلهم هنا حتى
نظفر او نموت مشرفين . قلنا ليس من الحكمة ان يلقي الانسان بنفسه الى التهلكة
وما زلنا به حتى اقنعناه بترك الحرب وانصرفت الجلسة الساعة الاولى بعد نصف
الليل وقيل الفجر جئنا نحن الامراء وود بشاره فأخبرنا العائلات في الدّيم بالاستعداد
للرحيل . وما طلع الفجر حتى جاء فارس من الكشافة وقال ان الجيش مقبل نحونا في البر
والبحر بعدد الرمل والانصار على خط النار ينتظرون الامر فركب وود بشاره جواده وهم
بالمسير لمقاتلة الجيش فأخذنا بعنان الجواد وانزلناه عنه واركبناه حماراً وقلنا له قد
اجمعنا ان لانتقي بانفسنا في المهالك فالى اين تذهب ثم اوعزنا الى الجيش بترك الحرب
والتقهقر جنوباً وصعدنا الى التلة ننتظر قدومهم واذا بالوابورات مقبلة وقنابلها تعبت بهم
فانهزموا جنوباً وود بشاره في مقدمتهم واما انا فانهزت هذه الفرصة التي طالما
تمنيها فحضت بجوادي الترة وجئت اليكم لان انفسنا سئمت حكم البقارة وقد
ارسلكم الله رحمة لنا . ثم سالناه عن الشونة فقال ان وود بشاره لما اوعز الى الجيش
بترك الحرب أمر ايضاً بترك الشونة فاذا ذهبتم اليها لم تجدوا مقاومة . فلخص
الكبتن كولفل هذه الاقوال وارسلها مع رسول خاص الى السردار الذي كان لم
يزل زاحفاً بجيشه على الدّيم واسرعنا الى الشونة فوجدنا جماعة من الناس قد رفعوا راية
بيضاء واتوا لاستقبالنا فنزلنا الى البر فامّناهم وعلمنا انهم وكلاء الشونة وعماها وكبيرهم
عبد الدائم بدر من اهالي اسنا . ثم دخلنا الشونة فاذا هي ملاءى بالذرة والقمح
والشعير والتمر ووجدنا الدراويش قد تركوا المدافع وفروا هارين . وفي الساعة

العاشرة صباحاً رفعنا الراية الخديوية على مركز المديرية وارسلنا الخبر الى السردار
اما السردار فظل زاحفاً بالجيش حتى صار على مربى القنابل من خط نار
ال دراويز فجرى بينهم وبين مقدمة الجيش اطلاق القنابل والرصاص على التبادل
وذلك قبل ان بلغهم امر ود بشاره بالتقهقر فلما جاءهم الامر المذكور تركوا المدافع
الاربعة وفروا هاربين واستولى السردار على الديم

﴿ الاسرى والغنائم ﴾ وكان قد تخلف فيه بعض موظفي الفتح الاول وفيهم
حامد البدوي كاتب ود بشاره وحمد بساطي ابن بساطي بك الشهير فسلما له
وجمعت الاسرى في مساء هذا اليوم فبلغت ٢٠٠٠ نفس وصاروا يزيدون كل يوم
حتى بلغوا ٣٠٠٠ نفس * وجمعت الغنائم فكان منها شي كثير من الاسلحة والجبجبة
والحبوب والامتعة والجمال والخيول والمواشي . وكان في جملة الغنائم طبله غربية الشكل
ليونس الديك صنع من جذع شجرة ضخمة على هيئة ثور ذي قرنين وذنب واربع
ارجل ثم شقت من الوسط وجوفت وجلد الشق على مثال طبيلات الفراتيت المسماة
قدو قدو . ومن الغنائم ايضاً سيف مكتوب عليه باللاتينية ما محصله « لا تسلني
الا مضطراً ولا تغمدني الا مشرفاً » وهو في الارجح من سيوف الصليبيين

وجمعت دفاتر بيت المال واوراقه فملاّت ٣ صناديق كبيرة فاستخرجت منها
فوائد شتى عن محصولات البلاد الزراعية وضرائبها مدة حكم الدراويز لها

﴿ مطاردة السواري للدراويز ﴾ هذا وكان السردار بعد ان دخل الديم قد
ارسل السواري والمهجانة في اثر الدراويز المتهمين فطاردهم الى حلة الشيخ شريف
فقتلوا منهم وسبوا وغنموا . ثم جاء الشونة ومعه الميرالاي ونجت بك مدير الخابرات
فشكر للقومندان كولفل رسائله وحسن تديره واوعز اليه ان يكف عن الحركة رفقا بجرحه
﴿ احتلال الدبة في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٩٦ ﴾ ثم امر القومندان روبرتسن ان
يطارد الدراويز في النيل فيرسل من جاءه مسلماً ويحمي الاهالي من تعدياتهم
ويسرع الى الدبة فيحتلها قبل وصولهم اليها فأخذ وابوري التمة واما طليح وسار
جنوباً الساعة ١١ ١/٢ صباحاً . وكان قد صدر لي الامر فسررت معه . وكان الدراويز

المنهزمون قد تسابقوا في الفرار فانقسموا جماعات يتلو بعضها بعضها في سلسلة متقطعة طويلة لا يدري اولها اين آخرها والسابق السابق منها الجواد وقد ابعدوا عن النيل فراراً من الواهورات ولكن كانوا كلما عطشت جماعة منهم نزات الى النيل فشربت وسقت رواحها ثم عادت الى طريق الصحراء . وقد لقينا بعض الجماعات في طريقنا فأنامهم وأمرناهم بالرجوع الى دقله * وفي صباح ٢٤ سبتمبر وصلنا دقله العجوز فبلغنا ان في جزيرة حمور اميراً من اقارب ود بشاره يدعى عبد الرحمن معه ٦ رجال مسلحين بالبنادق يجمعون الضرائب فأتينا الجزيرة وارسلنا في طلبهم ولما لم يأتوا تهددنا اهل الجزيرة فلم يلبثوا ان اتونا بهم واستطردنا السير الى الدبة فوصلناها ظهر ذلك اليوم ورفعنا العلم المصري عليها * وكان ود بشاره قد ارسل مشايخ المحس وسكوت الى الدبة على نية ارسالهم الى ام درمان خوفاً من انضمامهم الى الجيش فلما رأونا اقبلوا علينا يرحبون بنا فسألناهم عن الدراويش المنهزمين فقالوا انه لم يمر بهم احد بعد ولكن كان في الدبة امير من التعايشة يدعى فضالي فلما رأى الواهورات من بعيد فرّ بمن معه من الانصار فارسلنا وابور أبي طليح بالخبر الى السردار ومكثنا في الدبة

﴿ احتلال مروي ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٩٦ ﴾ وفي فجر ٢٥ سبتمبر حضر الكبتن ده روجمان على وابور الظافر مأموراً من قبل السردار بان يذهب الى مروي ويأخذني معه فانتقلت الى الظافر وسرنا حتى اتينا جزيرة قاتني فاخبرونا ان فيها اميراً من التعايشة يدعى حامداً ومعه قاض يدعى محمد هاشمي لجمع الضرائب فانزلنا بعض العساكر الى الجزيرة واتينا بهما الى الواهور واستطردنا السير فوصلنا صنم (تجاه مروي) في فجر ٢٦ سبتمبر ورفعنا العلم المصري عليها . وكان فيها امير من التعايشة مع بعض الانصار فلما رأونا مقبلين من بعيد فرّوا هاربين

وكان السردار قد ارسل تلغرافاً الى عبد العظيم بك في المرات ليوافي الواهورات الى بلاد الشايقية ويحول دون المنهزمين من دقله فلما لم نره صعدنا في النيل الى كاسنجر عند اول الشلال الرابع فرأينا آثار نبتة في البرقل ونوري من بعيد ولم نر عبد العظيم بك فبعثنا اليه برسول يستعجله الى مروي واتقلبنا راجعين الى دقله

وفي الطريق اخبرونا ان اول المنهزمين من جيش ود بشاره وصلوا كورتى وهم في اسوأ حال من الجوع والعطش والعري وان بعضهم يترقبون ابتعاد الواورات فيغشون ضفاف النيل وينهبون البلاد المجاورة ثم يرجعون من حيث اتوا فاخذنا كلما لاح لنا جماعة منهم نرهبهم بالقنابل لنرهبهم ونكفي اهل القرى شرهم

✽ مجيء السردار الى مروي في ٣٠ سبتمبر ✽ وما زلنا سائرين حتى قربنا من دقلة فاذا بالسردار مقبل على الواورين دال وطماي ومعه الميرالاي ونجت بك وسلاطين باشا وكانت الساعة الاولى بعد نصف الليل من صباح ٢٨ سبتمبر فأمر بالتقالي الى دال ورجوع الظافر الى دقلة ثم استطرد السير الى الدبة فوصلها الساعة ٣ بعد الظهر ورأى ان ساقه الدراويش قد تجاوزتها فأرسل اليهم الامان فلقى الرسل فتى من الهبانية ضالاً في الطريق وقد أنهكه التعب والجوع فأتوا به الى السردار فناوله بيده فنجانا من الشاي . وبقى في الدبة الى الساعة ٢ من صباح ٢٩ سبتمبر ثم استطرد السير الى مروي فدخلها في صباح ٣٠ سبتمبر ورأى ان الدراويش ساروا بطريق بئر الغزالي الي بربر فأرسل الى عبد العظيم رسولا آخر يستحثه على المجيء الى مروي وفي الساعة ١ ٣ بعد الظهر انقلب راجعا الى دقلة فمر بالدبة ولم يمكث الا ريثما اصدر اوامره الى الواور المقيم فيها وما سار الا قليلاً حتى اتاه ضابط برأ يحمل اليه تلغرافاً من حكومته بترقيته الى رتبة ماجور جنرال فأخذه ورجع الى حيث كان الجيش معسكراً في حلة الشيخ الشريف فوصلها الساعة ١١ في ١ اكتوبر ✽ تنظيم مديرية دقلة ✽ وفي ٢ منه خرج باركان خربه لالتقاء مركز جديد للمديرية فاختر النيل الى جزيرة ارقو فلم يجد محلاً افضل هواء واحسن ميناء للوابورات في الصيف والشتاء من مركز الاوردي القديم فنقل الجيش اليه . وفي هذا اليوم اتاه تلغراف من الجناب العالي يهنئه بالفتح وينعم عليه بالنيشان العثماني العالي من الطبقة الاولى فاجاب سموه شاكرًا وقال ان الفضل في هذا الفتح عائد الى همة جيش سموكم وثباته وحسن صفاته العسكرية . ثم وزع معظم الجيش المصري بين دقلة والخنديق والدبة وكورتى وصنم وشرع مع مدير قلم الخابرات في تنظيم حكومة

البلاد ووضع القوانين والاورام للحكام والمأمورين الى صباح ٨ اكتوبر فجعل اللواء
هنتر باشا قومنداناً على الجيش وحاكماً عسكرياً على دقلة ورجع مع اركان حربه الى
مصر وقد رجعت معهم فوصلناها في ١٣ اكتوبر سنة ١٨٩٦

وانحلت تجريدة دقلة في ١٥ منه ورجعت الاورطة الانكازية الى مصر * *
وقد امتاز في هذه التجريدة جماعة كثيرة من الضباط المصريين فمن رتبة قائمقام :
محمد بك بكير من الطوبجية وعبد الجواد بك برهان قومندان الاورطة الخامسة
ومحمد بك بليغ قومندان الاورطة السادسة . وابراهيم بك فتحي قومندان الاورطة
السابعة . ومحمد بك خلوصي قومندان الاورطة الثامنة . وسليم بك موصلي من
القسم الطبي * ومن رتبة بكباشي احمد افندي زكي واسماعيل افندي همت وعبد
السلام افندي زكي من اركان حرب . وحسين افندي شريف من السواري . ومحمد
افندي مختار من الطوبجية . وابراهيم افندي صبري من الاورطة الاولى . ومحمد افندي
رفعت من الاورطة الخامسة . وعثمان افندي عفت من الاورطة السابعة . ومصطفى
افندي فكري من الاورطة الثامنة . وابراهيم افندي زهني من الاورطة الخامسة
عشر . واحمد افندي فضلي من القسم الطبي * وامتاز ايضاً من القسم الطبي ولاسيا
عند ظهور الكوليرة الصاغ حسين افندي طلعت واليوزباشيون اسعد افندي راشد
ومحمد افندي رفعت ومحمد افندي عهدي * * ورافق هذه التجريدة جماعة من
الموظفين الملكيين فامتازوا في خدمتها وقاسوا فيها ما قاسى الجيش اهمهم : سليمان
بك ناصيف من كبار موظفي السردارية وشاهين افندي جرجس . وطنوس افندي
شحاده وسليم افندي شقره وكلهم من موظفي المخابرات ويوسف افندي حسب
الله وعلي افندي وهبه وحسن افندي حسين واسعد افندي حنا من موظفي مصالح
الجيش . ورافقها الى حلفا لمحم بك شكور سكرتير عربي السردار ونجيب افندي
شقره من موظفي المخابرات * * وقد بالغ السردار في اقتصاد نفقات الحملة حتى كان
الموظف حينئذ وهو في ساحة الحرب يتناول علاوة على مرتبه اقل جداً من العلاوة
التي يتناولها الآن والسودان في بحبوبة السلم والامان

الفصل السادس

في

﴿ استرجاع بربر سنة ١٨٩٨ : ٧ ﴾

لما رأت الحكومة انها لم تنفق على فتح دقله الا قليلاً جداً من المال والرجال وان اهل السودان مستعدون لقبولها وليس فيه من يناوئها الا التعايشي واتباعه اقرت على استطراد الفتح واسترجاع سائر السودان . وكان السردار قد ابقى معظم الجيش في دقله كما مر فاستخدمه في اتمام مد سكة الحديد الى الكرمة ليتخلص من شلالات المحس وسكوت فأتى في ٤ مايو سنة ١٨٩٧ . ثم شرع في مدها من حلما الى ابي حمد للتخلص من شلالات المناصير وأخذ ينتظر ارتفاع النيل لاستطراد الفتح ﴿ استعداد الخليفة للدفاع ﴾ اما التعايشي فانه منذ سمع بواقعة فرقة خرج بانصاره من ام درمان الى ظاهر المدينة وشرع في حشد الجيوش من جميع جهات السودان ظاناً ان الجيش المصري يسرع في استطراد السير فلما رآه مبطلاً قدمه رجع الى المدينة وأخذ يتربق ابناء دقله الى ان اتاه الخبر بانهمزم ود بشاره فظن ان السردار يتخذ خطة اللورد ولسلي فيقسم جيشه في كورتي الى قسمين فيرسل احدهما بطريق النيل الى ابي حمد وبربر والآخر بطريق الصحراء الى التمة . وكان قد ارسل في طلب محمود وجيشه من دارفور فحضر في سنة ١٨٩٧ كما مر فأرسله الى التمة ليصد جيش الصحراء . وعقد لآدم يحيى الحمري على ٤٠٠ جهادي و ٥٠٠ فارس وارسله الى بلاد المناصير ليصد جيش النيل . واوصى محمد الزين بالتيقظ في حراسة طريق كورسكو . وكان قد بعث في طلب احمد فضيل من القصارف وعثمان دقنه من ادارة فجعلهما في السبلوقة فبقيا فيها مدة ثم شاع ان التليان زاحفون على ام درمان من كسله فارجع احمد فضيل الى القصارف ليصدهم وامر عثمان دقنه فانضم الى محمود في التمة

﴿ واقعة التمة في ١ يوليو سنة ١٨٩٧ ﴾ هذا وكان الخليفة لما علم بانهمزم ود بشاره

من دققة استدعى اليه عبد الله ود سعد امير الجعليين وفرض عليه عددا معلوما من اهلهم يستنفرهم للجهاد وقدرا مميّنا من المؤنة يقدمها للجيش المنوي ارساله الى المّمة فقل الطلب على عبد الله ود سعد وقد طالما ارهقه الخليفة من قبل فعقد النية على عصيانه ولكنه اظهر الطاعة وعاد الى المّمة فجمع كبار قومه واسر اليهم ما نوى فمن واقفه ضمه الى جيشه ومن لم يواقفه استخلفه على كتم السر فاجتمع اليه نحو ٣٠٠ رجل من اهل الادنين وارسل في طلب المدد من جيش الحكومة في دققة وكان له عدو من اهل يدعى احمد ود حمزه فوشى به الى الخليفة وكان محمود اذ ذاك في كرري وجيشه في طريق المّمة فأمره الخليفة ان يلحق بجيشه في الحال ويسحق عبد الله ود سعد قبل وصول المدد اليه من دققة فوجد محمود السير حتى وصل المّمة بجميع جيشه في فجر ١ يوليو سنة ١٨٩٧ فاحاط بها من كل الجهات وابتدراها القتال بدون ان يدعوها الى التسليم . وكان عبد الله ود سعد قد تحصن في منازل المّمة الجنوبية وفتح فيها المزاغل فرأى انصاره انهم هالكون لا محالة فأشاروا عليه بالفرار الى دققة حتى اذا ما تقدم الجيش لمحاربة الخليفة عادوا معه فقال دعوني من الفرار وعاره فاني كلما ذكرت حادثة الملك نمر وفراره من وجه الدفردار ضاقت علي الارض بما رحبت وتمنيت الموت فلنمت هنا او نحيها هنا وشرع في اطلاق النار فتبعه انصاره على الاثر وصدوا غارة المهاجمين وقتلوا منهم . فلما رأى محمود ما اصاب رجاله امرهم بالهجوم على المنازل فدخلوها عنوة وقتلوا ود سعد وانصاره عن بكرة ابيهم ثم انتشروا في البلدة يقتلون ويسبون ويعيثون حتى قتلوا من اهلها نحو ٢٠٠٠ نسمة وبلغ خمس السبي الذي ارسل الى الخليفة خاصة ٢٣٤ جارية و ٣٢ حرّة . واما خسارة محمود فكانت ٨٨ قتيلا و ٣٣٠ جريحا . وقد ارتكب رجاله في المّمة من المنكرات ما تقشعر لذكره الابدان واظهر نساء المّمة من الحصانة والعفاف ما يخلد لهن الذكر الجميل ما ذكر السودان حتى ان بعضهن القين بأنفسهن في النيل وفضلن الموت على حياة الفضيحة والعار . وبعد نهاية الواقعة امر الخليفة فجمع الجعليون والشايقية من بلادي المّمة والزيداب فبلغ عدد الجعليين ٢٣٠٥٦ نفسا والشايقية ١٢٢٦٦ نفسا وارسلوا

الى ام درمان فبقوا فيها حتى دخلها الجيش سنة ١٨٩٨ فارجمهم الى بلادهم
 ثم مجيء السردار الى مروي في ٨ يوليو سنة ١٨٩٧ وكان السردار اذذاك
 في مصر يتتبعاً للفتح وهو في انتظار ارتفاع النيل فخرج منها في ٨ يوليو سنة ١٨٩٧
 يصحبه اركان حربه واتى رأساً الى مروي فجعلها مركزاً له واخذ يحشد الجيوش اليها
 وكانت الحكومة الانكليزية قد بعثت وفداً سياسياً بعد حملة دنقلة الى منك
 ملك الحبشة برئاسة السر رنل رود من الوكالة البريطانية ومعه الميرالاي ونجت
 بك والكونت كليخن واللورد ادورد سسل الماز ذكرهم وبنشنج بك من اطباء الجيش
 المصري وشاهين افندي جرجس من موظفي المخابرات فعادوا الى مصر قبل ذهاب
 السردار الى مروي فذهب الميرالاي ونجت بك وشاهين افندي معه
 ثم رجوع ابي الخليل من السلامة وكان ابو الخليل قد ضاق به العيش في
 بلاد المناصير فرجع الى بلاد الرباطاب ونزل في كعب المرة وارسل في طلب المؤنة
 من الزاكي امير بربر فبعث اليه بستة مراكب من الحبوب

واقعة ابي حمد في ٧ اغسطس سنة ١٨٩٧

فبقى محمد الزين وحده في صدد الجيش في ابي حمد ومعه من الانصار نحو
 ١٥٠ فارساً و ٢٥٠ جهادياً و ١٥٠ من عربان البقارة والكبايش والفادية و ٣٠٠ من
 الرباطاب والمناصير . وقد كتب الخليفة يحرصه على الثبات في رباطه ومحاربة
 الجيش الا اذا اتاه بالوابورات فليتهقر الى بربر . قيل وجاءه كتاب من امراته في
 ام درمان تستحثه على الثبات وتقول له ان نساء البقعة يقرعن ودبشاره في غنائهن
 لانهمزاه من دنقلة وينظمن في ذمه الاشعار فايك والانهزام لاني لا اطيع العيش
 معك بالذل والاهانة فصمم محمد زين على القتال حتى يموت او ينتصر . ورأى السردار
 انه لا بد من طرده من ابي حمد ليتمكن من استئناف العمل في سكة حديد ابي حمد
 فجهز جيشاً مؤلفاً من بلوك من السواري و بطارية طوبجية واربع اورط يادة وهي
 الثالثة والتاسعة والعاشر والحادية عشرة وعقد لواءه لهنتر باشا وامره بمهاجمة محمد زين
 فسار من مروي في ٢٩ يوليو حتى بلغ تخوم ابي حمد في ٦ اغسطس بعد سفر شاق

وكان السردار قد ارسل تلغرافاً الى عبد العظيم بك في المرات ليوافي
هترباشا الى ابي حمد فوافاه اليها ب ١٤٠ رجلاً . وكان محمد زين قد ارسل طلائع
لمراقبة حركات الجيش منذ قيامه من كاسنجر فعلم من انبائه انه لا يقوى على مهاجمته
فخر خندقاً شرقي البلدة وفتح المزاغل في المنازل الشمالية والشرقية واستعد للدفاع
وفي فجر اليوم التالي (٧ اغسطس) اعد هترباشا كره للهجوم وزحف بهم
فلما صارت العساكر على ١٠٠ ياردة من الخندق امر محمد زين رجاله في الخندق
والمزاغل فامطروهم عارضاً هظالاً من الرصاص فرد العساكر نيرانهم باشد منها وما
زالوا مهاجمين غير مباينين بالموت حتى دخلوا البلدة وقتلوا كل من وجدوه فيها بحراب
البنادق . حكى لي ضابط شهد الواقعة قال ان بقارياً يدعى كزاراً لما رأى العساكر
منتشرين في البلدة نثر على عتبة بابه بعض الريالات ليشغل العساكر بها وتواري
بالخائط وصار كلما جاء عسكري وهم بالتقاط الدراهم يصرعه ويجره الى داخل
المنزل حتى قتل سبعة منهم فدرى به احد ضباط الانكليز فاحاط منزله بيلوك من
العساكر فرماهم بالرصاص فأتى بالمدافع ودك منزله عليه ثم بحث عنه بين الالتقاض
فوجده مقتولاً وامراته واولاده مذبحون بجانبه * وقد رمى البعض بانفسهم في
النيل تخلصاً من نار الجيش فلاقوه فيه وحمل التيار بعض جثثهم الى حلقا . وبلغ
مجموع قتلى الدراويش في هذه الواقعة نحو ٥٠٠ رجل . واما خسائر الجيش فكانت
٢٣ قتيلاً وفيهم القائم مقام سدني بك قومندان الاورطة العاشرة المار ذكره
في الكلام على سواكن والبكباشي فتزكلارنس من ضباط الاورطة المذكورة وجرح ٦٣
رجلاً فيهم ٣ ضباط مصريون * واسر الجيش محمد زين في منزله ومعه ٥٠ رجلاً
وغنم مدفعاً وكثيراً من الاسلحة والذخائر

مرور الوابورات فوق الشلال الرابع * وكان السردار قد بنى وابوري الناصر
والفاتح المشار اليهما قبل فضمامهما الى الظافر وطماي والمتمة ودال والتيب وارسلها كلها
الى فوق الشلال الرابع منذ ١٣ اغسطس فوصلت ابا حمد في ٢٩ منه الا التيب
فانه غرق في شلال كعب العبد

احتلال بربر في ٦ سبتمبر سنة ١٨٩٧

ومن ثم توجهت عناية السردار الى فتح بربر وكان فيها الزاكي عثمان البقاري اميراً وكان ابو الخليل لا يزال مقيماً في شلال كعب المرة فلما علم بسقوط ابي حمد رجع الى بربر فدخلها في ١٦ اغسطس وكتب الزاكي الى محمود يطلب منه النجدة فلما لم تأت خرج من بربر في ٢٤ اغسطس وانضم اليه في شندي وفي ٢٧ اغسطس بلغ هنتر باشا ان الزاكي ترك بربر فارسل احمد بك خليفة (اخا عبد العظيم بك) باربعين رجلاً من عربانه لتحقيق الخبر فوصل بربر في ٣١ منه فوجد الخبر صحيحاً فبعث برسول الى هنتر باشا فحضر باربع وابورات ودخل بربر في ٦ سبتمبر فرفع العلم المصري عليها ثم جاءها السردار في ١٠ اكتوبر ولم يكن يدري بذهاب عثمان دقنة من ادارة فارس الى هنتر باشا بالاورطة الحادية عشرة وبعض الملحقات العسكرية فوصلها في ٢٩ منه فوجدها خالية فعاد الى بربر في ٩ نوفمبر وجاء مشايخ الهدندوة الى السردار في بربر فقدموا له الطاعة ففتح الطريق الى سواكن ووجد المهمة في سكة حديد ابي حمد فاتها في ٣١ اكتوبر سنة ١٨٩٧. وبنى طاية في الداخلة عند ملتقى الاتبرة وجعلها مركزاً للوابورات واخذ يستعد للحملة على محمود في المتمة. وقد رأى ان الجيش المصري وحده لا يكفي لتهربه فاستنصر دولته فانجذته بالاي من العساكر فيه اربع اورط بقيادة الجنرال كاتيجر ~~خروج محمود الى الاتبرة~~ اما محمود فانه بعد قتل الجعليين اخرب المتمة ونزل بجيشه في شمالها على نحو ٣ اميال منها وتحصن هناك متأهباً للدفاع فحفر خندقاً طويلاً على زاوية قائمة مع النيل جعل فيه البنداقه وبنى طوابي على شاطئ النيل شرقاً وغرباً وجعل فيها عشرة مدافع لمقاومة الوابورات وبث العيون والارصاد بطريق الصحراء وطريق النيل لاستطلاع طلع الجيش. وكان من رأي الخليفة قبل واقعة ابي حمد ان يتقدم محمود بجيشه وينزل في بعض المضائق او الشلالات شمالي بربر ويترصد للجيش هناك وفيما هو يستعد لذلك جاءه الخبر بسقوط ابي حمد وفرار الزاكي من بربر واحتلال الجيش لها فكتب الى الخليفة في ذلك فاقر الرأي

اخيراً على العبور الى الشرق والزحف على بربر ٢٠ في ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٨ تم عبور محمود بالجيش الى الشرق فبقي في اخذ الالهة الى ١٠ مارس ثم زحف شمالاً فوصل العالياب في ١٥ منه وهناك حصل خلاف بينه وبين عثمان دقنة فاراد هو الزحف بطريق النيل ومهاجمة طابية الداخلة و اشار عثمان دقنه بالذهاب بطريق الصحراء الى الاتبرة ومنها الى الداخلة لان طريق النيل مكشوفة للوابورات ورفع الامر الى الخليفة فصدق رأي عثمان فخرج محمود من العالياب في ١٨ مارس فوصل الاتبرة في ٢٠ منه ونزل في مكان يدعى التخيلة على ٣٢ ميلاً من الداخلة ومعه من الجيوش عدا جيش عثمان ما يأتي :

الامراء	اولاد عرب	جهادية	رمنتون	بنادق	خيل	دروع
علي السنوسي	١٩٤٥	١٥١٣	٨٢٠	٥٤٤	٣٤١	٣٤
صلاح ابوه	١٤٢٢	١١٢١	٤٨١	٣٦٨	٣٢٦	٤٣
محمد علي	١٨٠٤	٢٢٠٦	٨٩٥	٥٩٣	٤٨٦	٤٧
عيسى زكريا	٤٩٠	٦٢٣	٢١٤	٢١٣	٨٢	١٦
البشاري ريده	١٥٨٦	٥٣٨	٣٤٢	٢٠٦	١٤٣	١٩
محمد فضل الله	٤٦١	٤٦٥	١٥٢	٢٥٨	١٤١	١٦
عبد القادر دليل	١٣١٤	٤٢٥	٢٠٨	٣٦١	١٧٩	١٦
الفضلي آدم	٤٤٣	١٤٧	١٠٢	١٥٨	٨١	٧
العطا اصول	١٢٨	٢٤١	٥٨	١٤٢	٤٧	٢
المجموع	٩٥٩٣	٧٢٧٩	٣٢٧٢	٢٨٤٣	١٨٢٦	٢٠٠
فضل الحسنة	٣٨٣	٦٥٧	٦٧٢	٢٢	٩٦	٢
عبد الله حامد	٤٢٦	٣٣٤	٥٤٥	٦	٥٤	٢
محمد الزاكي عثمان	٦٦٢	٩٩٥	٧٦٧	١٢٩	٣٧١	٧
محمد ود بشاره	٢٧	٦٠	٥٨	٢	١٨	
المجموع	١١٠٩١	٩٣٢٥	٥٣١٤	٣٠٠٢	٢٣٦٥	٢١١

وكان عندهم من البنادق غير الرمتون: ابو صرة وبيادة وابو روحين وارثيليك
وخشخان. وكان مع الجهادية من الجبخانه لكل بندقية رمتون خمس دسات ولكل
بندقية بيادة ست دسات ولكل بندقية ابي روحين خمس دسات

خرج السردار على محمود في الاتبرة في هذا وكان السردار يراقب حركات
محمود ويرسل الواورات في النيل الى المتمة فتناوش طواييه وتعود اليه باخاره
وقد جاءت بخبر تحركه من المتمة فاستعد له حتى اذا تقدم شمالاً حشد جيوشه كلها في
كنور على ٦ اميال شمالي الداخلة. ثم لما علم بتحوله الى الاتبرة زحف الى رأس
الهودي على ١٢ ميلاً من الداخلة فكان فيها في ٢٠ مارس اي يوم وصول محمود
الى النخيلة ومكث ينتظر قدوم محمود ومعه جيش مولف من نحو ١٣٠٠٠ رجلاً
اخذ شندي في ٢٦ مارس سنة ١٨٩٨ في هذا وكان محمود قد ترك في
شندي عائلات الامراء وعائلات الجعليين التي اسرها من المتمة وبلغ السردار ذلك
فارسل هكن بك بالاورطة الثالثة و ١٥٠٠ من الجعليين في ٣ وابورات حرية فأتى
حوش بان النقا قرب شندي حيث كانت العائلات في ٢٦ مارس سنة ١٨٩٨ قتل
الخبراء واتخذ ٦٥٠ نفساً من النساء والاولاد واعادهن الى المتمة وغنم كميات وافرة
من الحبوب والمواشي وهدم طوايى شندي وعاد الى الداخلة

واقعة الاتبرة الجمعة في ٨ ابريل سنة ١٨٩٨

وظن السردار ان محموداً يهاجمه فانتظره في رأس الهودي اياماً وظن محمود
ايضاً ان السردار لم يخرج من النيل الا بقصد مهاجمته فاتخذ خطة الدفاع وتحصن
تحصناً قوياً في النخيلة فحفر خندقاً مستديراً في وسط أجرة وبنى من تراه متراساً
فتح فيه المزاغل واحاطة بزريبة متينة من شوك فرسم مدير المخابرات صورة الزريبة
للسردار كأنه يراها. فزحف السردار بالجيش من رأس الهودي في ٤ ابريل قاصداً
النخيلة فنزل في رأس عدار على ٩ اميال من الهودي و ١١ ميلاً من النخيلة. وفي
صباح ٥ ابريل ارسل هنتر باشا بالسواري والطوبجية وبعض البيادة لاستكشاف
زريبة محمود والاحتيايل على اخراجه منها فصار هنتر حتى اقرب جداً من الزريبة ونصب

المدافع واطلقها عليها فنفر فرسان الدراويش من جانبيها وحاولوا ان يكتنفوا هنتر فتقهقر
برجاله رويداً وهو يطلق المدافع حتى خرج منهم ظافراً وعاد الى معسكره * ولما رأى
السردار ان محموداً لا يخرج من زريته أقر على مهاجمته فسار بالجيش في ٦ ابريل
الى ام ضبيع على نحو اربعة اميال من خور أبي عدار فترك فيها الاسيتالية
والاثقال تحميها نصف الاورطة الخامسة عشرة في زريبة قوية وسار في مساء ٧
ابريل الجيش كاه قاصداً محموداً في زريته فوقف على ميل ونصف ميل منه فاستراح
الى الساعة ١ بعد نصف الليل وكان الجيش من قبل يسير قلاعاً فصفه الان
صفوفاً للهجوم فجعل اللواء الانكليزي عن اليسار ولواء مكسول عن اليمين ولواء
مكدونالد في الوسط ولواء لويس مع الماء والحمة في الورا يحمي ظهور الألوية الثلاثة .
وتقدمت المدافع الجيش فكان منها ٣٤ مدفعاً وساروخ بقيادة الكولونل لونج في الميمنة
و ١٢ مدفعاً من مدافع مكسيم موزعة على الميمنة والميسرة والقلب . وسارت الحيوش
بهذا الترتيب والسردار واركان حربه بين اللوائين المهاجمين حتى صارت
على ٦٠٠ يرد من الزريبة وبرزغت شمس يوم الجمعة الواقع في ٨ ابريل سنة
١٨٩٨ وعلت درجتين فوق الافق فصدر الامر للجيش بالوقوف لاجراء التدبير
الاخير قبل الهجوم . فخطب قومندانات الاورط الخطب الحماسية على جنودهم
قال الكولونل مري قومندان اورطة السيفورث هيلندرس لجنوده « لا بد ان تبلغ اخبار
نصرنا مدينة لندن هذه الليلة » وخطب الجنرال جاتيكر خطبة غراء قال فيها للجنود
« اني على يقين انكم لا ترجعون حتى تخرقوا زريبة العدو وتطردوه الى الاتبرة » * وفي
الساعة السادسة وربع ابتدأ الطوبجية عن اليمين بأطلاق القنابل فخرج فرسان الدراويش
حينئذ من طرف الاجمة الاقصى عن اليسار فتلقتهم نيران مدافع مكسيم وردتهم
على أعقابهم خاسرين . واطلق الدراويش مدافعهم ولكن اكثرها لم يطلق غير
طلقة واحدة واما البنداقية فانهم صبروا على نار المدافع نصف ساعة حتى
اقترب الجيش منهم جداً فصلوه ناراً حامية * وما زالت المدافع ترمي بمقذوفاتها
على الزريبة والجيش يتقدم رويداً نحوها حتى كانت الساعة السابعة وربع فصدر

الامر للعساكر بالهجوم فصدحت الموسيقى العسكرية بالنغمات الحماسية امام الجنود وهجموا كلهم من انكليز ومصريين هجمة الاسود وهم يطلقون البنادق غير مباينين بنيران العدو التي كانت تشويهم حتى وصلوا الزريبة فاخترقوها عنوةً بحراب البنادق وقتلوا كل من وجدوه فيها واجلوا الباقين ووقع محمود اسيراً في يد الاورطة العاشرة بقيادة الباسل الميرالاي ناسون بك (اللوا ناسون باشا الآن وسكرتير ملكي السودان) قبل وجدوه مختبئاً في حفرة وسط الزريبة . وظهرت الجنود الانكليزية في هذه الواقعة البسالة المشهورة عنهم في مواقع القتال . وكان الكبتن فندلي من ضباط الكمرون هيلندرس اول من اخترق الزريبة فأصابته رصاصة اخترقت صدره فخر صريعاً فقال لرجاله « تقدموا يا رجالي وخذوا بثاري » وهو من الضباط البواسل الظرفاء الذين امتازوا في الحملة النيلية وكان قد تزوج قبل الواقعة ببضعة اشهر رحمة الله عليه . ولما خرب المايجور اركهوت صريعاً قال للذين حوله « سيروا ولا تبالوا بي » وكان هذا آخر ما فاه به . ولما وصل الجنرال جاتيكر قائد اللواء الانكليزي الزريبة كان معه الجندي كروس من الكمرون هيلندرس فصوب درويش كبير الهامة حربة الى الجنرال وهم ان يرميه بها فابتدره كروس المذكور بطعنة من حربة بندقيته اوردته حته . وقال السردار لقومندان الكمرون هيلندرس « يحق لك الافتخار بهذه الاورطة » فأجابه الكولونل « نعم اني لمفتخر بها » . هذا ولم تكن بسالة الجنود المصرية والسودانية في الهجوم بأقل من بسالة الجنود الانكليزية فقد سار امامها قائدها العام هنتر باشا وسيفه بيده يلوحه في الهواء ويمرضهم على الهجوم فهجموا هجمة الاسود غير مباينين بنيران العدو وقد خسروا خسارة عظيمة في تلك الهجمة . وكان ختام الواقعة الساعة الثامنة ونصفاً . وبعدها جدّ لواء لويس بك والسواري والمدافع الراكبة في أثر المنهزمين فقتلوا وأسروا . واتقسم المنهزمون قسمين فذهب بعضهم الى القضارف وبعضهم الى ام درمان وفيهم عثمان دقة القتلى وكانت خسارة الجيش في هذه الواقعة : من الجيش الانكليزي ٣ قتلى و ١٠ جرحى من الضباط و ٢٢ قتيلاً و ٨٢ جريحاً من العساكر . ومن الجيش المصري ١١ قتيلاً من الضباط منهم ٥ من الانكليز و ٥٧ قتيلاً و ٣٦٥ جريحاً من العساكر .



✽ الامیر محمود اسیراً ✽

Handwritten text in a vertical column on the left margin, likely a library or archival stamp.

وقد كان رصاص الدراويش كعادته عالي المرمى حتى انه اخترق كثيراً من خوذ
العساكر ولولا ذلك لكان فتكه بالجيش أشد واعظم . وأما الدراويش فقد قتل
منهم نحو ٣٠٠٠ رجل وفيهم من الامراء : علي السنوسي والبشاري ريده والعطا
اصول وعبد القادر دليل وصلاح ابو وعبد الله حامد والشريف النقيب وكيل دقنه
(الغنائم والاسرى) وأسروا منهم عدداً محموداً نحو ٢٠٠٠ نفس وغنمت مدافعهم
العشرة وشيء كثير من الاسلحة والذخائر والرايات والنقاير . وعاد السردار الى بربر
فدخلها في ١٤ ابريل باحتفال شائق . وقد كان هذا الظفر أحسن تمهيد لفتح السودان

الفصل السابع

في

﴿ صفات الخليفة عبد الله واخلاقه وحكومته وجيشه واجمال حاله ﴾

﴿ صفات الخليفة واخلاقه ﴾

﴿ صفاته ﴾ كان التعايشي ربع القامة اسمر اللون اشيب الشعر عربي الملامح
خفيف الشاربين خفيف اللحية مستديرها يهذب لحية وشاربيه على وجهه آثار
الجدري اقنى الأنف حسن الفم قصير الشفتين حتى تكاد اسنانه تظهر من خلالها
فاذا تكلم برزت لامعة بيضاء كأنه يتبسم وبالاجمال فانه كان كثير الشبه بالمهدي
بالقد والملاح الا انه كان أقصر قليلاً من المهدي واقل سمرة واضيق جبهة واصغر
لحية . وكانت ملامحه في اول ايامه تتخللها طلاقة وبهجة فأمست بعد توليه الخلافة
وقد كساها انقباض تنقبض منه النفس ويدل على ما انطوى عليه الرجل من الاستبداد
والمكر والدهاء . وكان في أول امره نحيف الجسم شديد العضل فلما تولى الخلافة
سمن كثيراً الا ان سمته لم يضعف نشاطه ولا همته

﴿ لباسه ﴾ وكان لباسه كلباس المهدي اي الجبة المرقعة فوق سراويل من
الدمور المعروف بالقنجة والعمة المفجة فوق المكاوية مدلاة منها عذبة على كتفه
اليسرى ويلقي على كتفيه رداء بطرف حرير ازرق ويتمنطق بمرقعة حول خصره

وكتفه اليسرى ويتلثم برداء من الشاش الرفيع فوق العمة بحيث لا يظهر من تحتها إلا دائرة وجهه ويلبس في عنقه سجة كبيرة وفي قدميه الخلف الاصفر في الخذاء الاصفر فاذا جلس خلع الخذاء وابقى الخلف وترجع على عنقريب فوقه فروة من جلد الضأن وهي التي يصلي عليها . وكان مولعاً بالتطيب والنظافة فكانت رائحة الطيب تفوح من ثيابه على بعد خطوات . واذا مشى حمل بيساره سيفاً وبيمينه حربة قصيرة هندية ومشي وراءه بعض غلمان الاحباش وغيرهم . وهو يمرج في مشيته عرجاً خفيفاً وسبب عرجه انه وقع عن حصانه بعد فتوح الابيض فكسرت ساقه . وكان يركب جملاً أو جواداً أو حماراً أو احدى العربات التي غنمها من الخرطوم . واذا ركب الجمل تقلد السيف على جنبه الايمن او وضعه امامه على السرج واذا ركب الجواد لبس احياناً الدرع والخوذة والبنس جواده اللبوس

﴿ نساؤه ﴾ وكان يحب النساء كسيده المهدي وقد بالغ مثله في الاكثر منهن فكان اربع منهن شرعيات والباقيات جوارى واكثرهن من اللواتي اسرن في الحرب فهن في اعتباره ما ملكت يمينه وهن من كل امة من امم السودان والحبشة . وكان اذا اراد ان يتزوج بنت زواجاً شرعياً تنحى عن احدى زوجاته الشرعيات وتزوج بها اما نساؤه الشرعيات اللواتي كن في عصمته عند وفاته فهن : زهرة التعايشية التي تزوجها في بلاده قبل التصاقه بالمهدي . ونفيسة بنت بابكر القاسمية . وام كلثوم بنت المهدي . والسرة بنت وقيع الله الجميلية

واما سراريه فاشهرهن : مريم بنت ابراهيم . ومرحومة بنت زايد . والسرة بنت عبد الله . وخادم الله بنت عبد الهادي . وسعيدة بنت بيت الامان . وحفصة بنت عبد السلام وكلهن من المولدات . ومدينة بنت علي . وزمزم بنت حسن وهما حبشيتان . ونصره بنت مدني . ورقيقة وكلاهما نوبيتان . ونخل الجنة بنت المبارك . وامنه بنت كرم الله وهما جعليتان . وفاطمة بنت الكرة تقلاوية . وآمنة بنت السيد حامد الخناقية . والتومة بنت راض الله المحسية . وزينب بنت تقيب المصرية . ومن مطلقاته فاطمة بنت احمد اغايسين دولاية دقلاوية



اولاد المهدي : الطاهر ونصر الدين وعلي وهم الجالس
واولاد الخليفة : عبد الصمد ويحيى وعمر وابراهيم واسماعيل
وهم الواقفون والقاعدون القرفصاء

بجی
نام
غلام
سور
زنا
بروفا
طبا
لایم
بار
ملا
زند
بلیم
نالم
من
بر
ز
حق
و
رح
الان
نور

﴿ اولاده ﴾ وله من امرأته الاولى زهرة التعايشية ثلاثة اولاد وهم شيخ الدين
ويحيى وخديجة اما شيخ الدين فهو بكر اولاده وقد رشحه للملك بعده وجعله
رئيساً للملازميه كما مرّ وزوجه بابنة اخيه يعقوب وله من العمر ١٧ سنة واحتفل بزواجه
احتفالاً عظيماً وبني له منزلاً واسعاً قرب منزله وعني بترتيه واحضر له الفقهاء
فعلوه القراءة والكتابة وقد رأيت في منزله كتابي « امثال العوام » وقيل لي انه كان
يجب مطالعته . ومن نفيسة بنت بابكر ثلاثة اولاد عمر وهو الذي اشار اليه بأنه عند
بلوغه سن الرشد يكون اميراً على اخواله العباسيين وسليمان والفاضل . ومن ام كلثوم
بنت المهدي اربعة اولاد محمد الطاهر ومحمد المهدي ومحمد السيد والطاهرة . ومن
السرة بنت وقيع الله بنت تسمى زهرة * ومن مريم بنت ابراهيم ثلاثة اولاد داود
وحليمة وحوا . ومن مرحومة بنت زايد ولد يسمى ابراهيم . ومن السرة بنت عبد
الله ولد يسمى علي . ومن خادم الله بنت عبد الهادي ولدان حسن ونور الشام .
ومن سعيدة بنت بيت الامان بنت تدعى نفيسة . ومن حفصة بنت عبد السلام ولد
يدعى عبد السلام . ومن مدينة بنت علي ولد يدعى اسماعيل . ومن زمزم بنت حسن
بنت تدعى رابحة . ومن نصرة بنت مدني ولد يدعى حمزه . ومن رقيقة النوباوية
ولد يدعى عبد الصمد وهو « التجل المكرم » الذي تقدم لنا خبره . ومن نخل الجنة
بنت المبارك ولد يدعى عبد الحميد . ومن آمنة بنت كرم الله بنت تدعى مريم .
ومن فاطمة بنت الكرة ولد يدعى عبد الرحيم . ومن آمنة بنت السيد حامد ولد
يدعى عبد الله . ومن التومة بنت راض الله ولدان محمد الامين وام نعيم . ومن زينب
بنت تقيب بنت تدعى صافية . ومن مطلقته فاطمة بنت احمد اغا ولد يدعى عبد
الرحمن القرشي الذي اشار اليه بأنه عند بلوغه سن الرشد يكون اميراً على اخواله الدناقلة
وجملة من ذكرنا ٣٢ ولداً اي ٢١ ذكراً و ١١ انثى مات منهم شيخ الدين
في سجن رشيد سنة ١٩٠٠ من اثر جراح اصيب بها في واقعة جديد وله من العمر
٢٤ سنة والباقون احياء بين مصر وحلفا وام درمان ويختلفون في السن بين ٥ و ١٩ .
وقد مات له عدة اولاد وهم صغار فدفنهم في تربة خاصة داخل حوش منزله .

وكان عنده كثير من الخصيان لادارة حرمه وعليهم رئيس يدعى عبد القيوم
 ﴿ اخوته ﴾ واما اخوته فهم ثلاثة تقدم لنا ذكرهم وهم : يعقوب اخوه من
 ابيه الذي جعله وزيره ووكيل رايته ورئيس مجلس شوراه وقد كان اطوع له من
 بنائه . وصفته مربع القامة فاتح اللون خفيف اللحية بوجهه اثر الجدري يتهل في
 الكلام واسع الصدر صبور بعيد الغور اذا صادفته صدقك واذا خاصمته خادعك
 والان جانبه لك حتى تسنح له الفرصة فيغدر بك * والسنوسني احمد اخوه من امه وقد
 جعله اميراً على الجبارات التعايشة * وهارون محمد اخوه من ابيه وامه جارية
 ﴿ اقرباؤه ﴾ واما اقرباؤه الاخصاء فهم الامراء محمود احمد واخوه ابراهيم
 الخليل . وعبد الباقي عبد الوكيل . واحمد فضيل . ويونس الديكيم واخوه عثمان . والزكي
 عثمان . وحامد علي واخوه احمد علي . ومساعد قيدوم . ومحمد بشاره وقد تقدم لنا
 ذكرهم . ويعقوب ابوزينب من اخصاء مجلس شوراه وصالح حمادو امير الجزيرة . واب
 بسام من امراء الملازمة * وقد كان من امنائه الاخصاء الحاج الزبير الجعلي وهو
 الموج في تبليغ رسائله الى امرائه في ام درمان وفي كشف اسرار الاهلين والجمعيات السرية
 ﴿ معيشته اليومية ﴾ وقد استقصيت من امنائه عن كيفية معيشته البيتية فقالوا : انه
 كان يقوم عند طلوع الفجر ويدخل الجامع فيصلي في الناس صلاة الصبح ثم يمكث في
 مصلاه قليلاً ليسمع شيئاً من الراتب . ويرجع الى منزله فيخلع الحجة والسراويل
 ويلبس الشقة كما هي عادة اهل السودان في منازلهم . ويطلب الطعام فيأتونه
 بشيء من الزبدة البقرية واللبن البقري الحليب . ثم ينام الى الضحى . وعند
 استيقاظه يطلب الطعام فيأتونه بعصيدة من الدخن وعليها ملاح الثقليه او ام دقوة
 وهو ملاح مركب من السمن والشرموط البقري والويكة مع الشطه والملح والبصل
 ثم يأتونه باللحم المنصص وهو عضو من خروف الضان مشوي على النار . ثم يخرج
 الى مجلسه فيطلب الكتاب وينظر معهم في تحريراته ومراسلاته الى الضحى الاعلى .
 فيصرف الكتاب ويدخل الحريم فيستريح الى الظهر . ثم يدخل الجامع وبعد ان
 يصلي الظهر في محرابه يجلس تحت الروايب فيجتمع الامراء والاعيان والقضاة حوله

حلقة واسعة ومن ورائهم الملازمة وكلهم جاثون على ركبهم منكسو الرؤوس وايديهم مقبوضة على صدورهم او مبسوطة على ركبهم فيتفقد الغائب منهم ثم يشرع في اصدار الاحكام التي دبرها ليلاً . قال لي بعض الادباء الذي اوجده سوء الحظ في زمن التعايشي ان تلك الساعة كانت اشد الساعات علينا فانه فيها كان يسكب جام غضبه على من خرجوا عن حد اشارته او خالفوا رأيه او وشي بهم اليه فتراه يوبخ هذا ويأمر بسجن ذاك ونفي ذلك وقتل الاخر . ثم يدخل الى منزله فيطلب الطعام فيحضرون له الكسرة والطبيخ فيدعو اليه بعض التعايشة والقضاة فيأكلون معه وينصرفون الى العصر . فيرجع الى الجامع لصلاة العصر ثم يعود الى منزله . وكان في غالب الايام يوم وليمة عامة بعد العصر لجيشه كله فيقدم لهم طعام الكسرة وعليها اللحم المشوي من الضان او البقر يضعه في قدح كبير يسع اردب غلة وهو قدح ود زايد المشهور الذي غنمه منه سنة ١٨٨٦ كما مر وكان الجيش يأتي الى الطعام افواجا حتى لقد تدوم الوليمة من صلاة العصر الى ما بعد صلاة الغروب . وبعد صلاة العصر يجلس قليلاً لسماع شيء من الراتب ثم يخرج من الجامع فيذهب في الغالب الى مكان معد له في شرق القبة ليرى الملازمة وهم يقرأون الراتب وقد ينتظر الى تمام الراتب فيأمرهم بضرب البوري واجراء التمرينات العسكرية الى قبيل المغرب فيدخل منزله ويجدد وضوءه ثم يدخل الجامع فيصلي المغرب ويجلس في مصلاه للمذاكرة والامر والنهي كالجلسة التي بعد الظهر ويرجع الى منزله فيطلب العشاء فيؤتى بالكسرة والطبيخ كالظهر فيتعشى ويستريح الى وقت العشاء . فيصلي العشاء في الجامع ويدخل منزله للنظر في الامور الهامة مع أهل مشورته وكبار دولته كأبنه عثمان شيخ الدين وأخيه يعقوب وقاضي الاسلام وشيخ السوق وأمين بيت المال وأمين بيت مال الخمس فينظر مع كل منهم في شؤون مصلحته ويدبر امور المملكة على ما يقتضيه رأيه . كل ذلك وملازمو الباب جالسون بباب داره او في الجامع منتظرين اشارته ويمكثون كذلك حتى يغلق باب منزله ويتحققوا انصراف مجلسه فينصرفون . ثم يدعو رئيس خصيانه عبد القيوم وحده او يدعو محمد بشير وكيل التي معه فينظر معهما في نفقات منزله .

ثم يدخل مخدعه ويدعو اليه من شاء من نسائه فينام الى قبيل الفجر اذ يقوم للصلاة وهكذا شأنه في كل يوم الا اذا طرأت حوادث مزعجة فانه يطيل جلسته بعد صلاة العشاء مع اهل مشورته ويمتنع عن النساء.

﴿ آداب الدخول عليه ﴾ وكان اذا اراد احد الدخول عليه في مجلسه استأذنه اولاً ثم تجرد من سلاحه ودخل عليه وهو منكس الرأس قابض يديه على صدره حتى يكون على بضع خطوات منه فيقف ويقول السلام عليك يا خليفة المهدي « عم » فيجيبه وعليك السلام يا فلان ثم يشير اليه بالجلوس فيجلس جاثياً او بعد له يده فيهرول نحوه مطرقاً فيأخذ يده ويقبلها ظاهراً وباطناً وهو جاثٍ على ركبتيه والخليفة يرحب به ثم ينهض ويرجع القهقري الى حيث وقف اولاً فاذا امره بالجلوس جلس في الارض جاثياً على ركبتيه واضعاً يديه عليهما وانتظر حتى يأذن له الخليفة فيحدثه بما جاء لاجله وهو لا يرفع طرفه اليه حتى يتم كلامه فيأمره بالانصراف فينصرف راجعاً القهقري الى ان يتوارى عنه فيعود الى سلاحه . هذه هي آداب الدخول على الخليفة وهي سواء على الجميع من عامة وخاصة جهلاء وعلماء . واما آداب مخاطبته في الكتب فكما رأيت في كتب امرائه اليه

﴿ اخلاقه ﴾ كان التعايشي قبل اتصاله بمحمد احمد في مصاف المدجالين فتخلق باخلاقهم مع الدهاء والمكر والتشيع للدين . فلما التصق بالمهدي تجلت فيه هذه الصفات وامتاز بالقسوة وسفك الدماء كما امتاز بالادارة والتدبير . ثم لما مات المهدي وأستأثر بالملك كان اظهر صفاته الغيرة على ملكه فكان اذا رأى او توم عدم الولاء من احد بطش به وقتله او نفاه او اذله وغنم ماله حتى انه ارباب اهل السودان كافة على ما بهم من الجرأة واحتقار الموت . ولم يكن احد منهم يجسر ان يخالف امره او يتعدى اشارته . وكان يصنع الى النسيمة ويرتاح الى الاطراء فما كان احد يجسر ان يكلمه الا نعتة بالحكمة والقوة والعدل . والويل لمن ينطق بكلمة تحط من قدره . وكان على قسوته سريع الغضب شديد النغمة فاذا سخط على احد صب عليه جام غضبه بقسوة بربرية ولم يرض عنه الا اذا تدلل له وهيئات

ان يرضى * ثم ان ما اوتيه من النصر المتوالي اورثه العجب والخلاء والاعتداد
بالنفس حتى كان يثق بنفسه وثوقاً عظيماً ويظن انه قادر على كل شيء لذلك كان
اكره الناس اليه من اتاه بنصيحة . حتى لي محمد خدام كبير الحمر الذي وقع اسيراً
في واقعة طوشكي قال : لما اراد الخليفة ان يرسل جيشاً لغزو مصر اخذ في جمع
اهل الجزيرة الى ام درمان باموالهم وعيالهم وابعدهم عن مزارعهم فذهبت
الى محله واستأذنته في الدخول عليه فأذن لي فقلت له يا سيدي ان الزراعة
لن اضر الامور للامة وفي اهماها خطر كبير على سلامة الرعية والجيش فانت الآن
قد جمعت اليك اهل الجزيرة وابعدهم عن زراعتهم ونحن نحتاج الى الطعام
ولسنا بملائكة فغداً نطلب القوت فلا نجدُه فموت جوعاً . قال محمد خدام فانقبض
وجه الخليفة وقال يا محمد خدام الم يكن المهدي يطلب الناس للهجرة اليه باموالهم
وعيالهم ليكونوا من اهل الجنة وانا جار على اثره ومقتف خطواته واخاف اني اذا
تركهم ينسون انخالي فيسألني عنهم . ولم يمض الا القليل حتى اصدر لي امراً
بمراقبة التجوي لغزو مصر ليستريح مني » اه

﴿ صلاة ﴾ وكان الخليفة يلزم الصلوات الخمس كل يوم في الجامع ويفرض
على اهل أم درمان ولا سيما الامراء حضور الصلوات معه وكان اذا تخلف
عنها أحد الامراء ولو مرة في اليوم لامة وعنفه . واذا منعه مانع كمرض أو غيره عن
الخروج للصلاة اناب عنه الخليفة علي ودخلوا أو أحد قضائه ولكن لم يكن يجلس في
الحراب أحد غيره . ويجلس وراءه في الصف الاول القضاة وعن يمينهم بعض الملازمة
ثم يعقوب أخوه واخصاؤه وامرأؤه وعن شمال القضاة بعض الملازمة ثم الخليفة
علي ودخلوا ثم جماعة الخليفة شريف هذا في الصف الاول ومن وراءه باقي
الملازمة صفوفاً وعن يمينهم رجال راية يعقوب صفوفاً وعن يسارهم رجال راية الخليفة
ودخلوا صفوفاً ومن وراء الجميع الجعليون والداقله وأهل البلد وفي آخر الجامع النساء
وينهم وبين الرجال فسحة رحبة * وكان يقف وراء الخليفة تماماً في صف القضاة سعد
الدين الكناني وهو المؤذن والمقيم والمبلغ . ويجلس علي مرحوم قاري الفواتح بين

الملازمة وراء القضاة وعند انتهاء الصلاة يقرأ الفاتحة ثم يقول : اللهم انصر خليفة مهديك كما نصرت نبيك وايده بالظفر على اعدائك اعداء الدين يا رب العالمين . ثم يكبرون وينصرفون * وكان الخليفة علي جهله يتولى الخطابة في الجامع اي خطبة الجمعة والخطب المعتادة التي يراد بها الوعظ والقاء الاوامر فاذا اراد هذه الخطب افتتح خطبته بقوله : السلام عليكم يا اصحاب المهدي فيجيئونه عليك السلام يا خليفة المهدي ويشرع في الخطبة ثم يدعو لهم بالبركة والخير فيؤمنون على دعائه . وكان جهير الصوت قويه غزير المادة في الكلام عامي النطق بقاري اللهجة الا انه كان يحسن لهجته بتقليد اهل النيل * وقد كان في بادى امره امياً لا يحسن القراءة ثم تعلم مبادى القراءة والكتابة على اخيه يعقوب بعد توليه الخلافة . ولكنه استخدم امهر كتاب السودان علماً واوفرهم عقلاً واذكاهم فطنة وآخرهم الشيخ مدثر ابراهيم أمين ختمه والشيخ ابو القاسم احمد هاشم المار ذكرهما

﴿ حضراته ﴾ وكان يدعي ان الحق سبحانه وتعالى يتجلى له ومعه النبي والخضر والمهدي فيوحون اليه ما ارادوه من الامور العظيمة وأول حضراته الحضرة التي رواها لانصاره في الجامع بعد فتح سنار وهذه صورتها بعد البسملة : « وبعد فمن ربه خليفة المهدي » عم « الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى احبابه واعوانه على اقامة الدين . احبابي ان في هذه الصفوف التي هي صفوف الصلاة اولياء واتقياء وعلماء عاملين وفيها ايضاً من التائبين والمعرضين . واني منذ ابتقال المهدي » عم « الى آلان وانا افكر في تقديمي على هؤلاء الاخبار من المهاجرين والانصار وفي كيفية ايصال التائبين الى الله وارجاع المعرضين عنه اليه . ففي ضحوة الثلاثاء في ٢٨ القعدة سنة ١٣٠٢ (١٨ سبتمبر سنة ١٨٨٥) بينا انا افكر في ذلك اذ حصلت لي حضرة عظيمة بين اليقظة والمنام . وهي : انه حضر لي واحد من الجن وطلب البيعة فسألته عن اسمه فقال كان اسمي السابق ماشي لاني كنت لا عقل لي واما الآن وقد حضرت الاسلام فاسمي خاشي . ثم سأله عن قبيلته فقال العرضيون ويقال للواحد منا العارض دعينا بذلك لاعراضنا عن الحق . فقلت

لهُ قل آمنا بالله والرسول وامنا بالامام المهدي وبك فقال ثم اعطيته البيعة . وسألهُ عن اسم ابيه فاخبرني فنسبته لصعوبته ومخالفته لاسماء الانس . ثم سألهُ عن أمه فسكت فظننت ان لا أم له . ثم سألهُ عن بلده فقال بلدي من المحيط ثلاثون سنة وطلب الاذن في الذهاب الى اهله ليدعوهم الى حضور الصلاة هنا وملازمة الصف فازنت لهُ وذهب وبعد انصرافه حضر جن بكثرة طالبين البيعة ورافعين اصواتهم بلا اله الا الله محمد رسول الله على صفة اهل البيعة وقائلين في شأن الله على هيئة الاصحاب وكان بعضهم لابسين الفراوي وبعضهم قمصان بلا رقع فسألتهُم عن عددهم فقالوا الذين حضروا هنا ٧٠ ألفاً فسألتهُم عن قبيلتهُم فقالوا الشمسيون فظننت انهم من عباد الشمس فلقنتهم البيعة ثم حضر نساؤهم فبايعني ايضاً . ثم طلبوا الانضمام الى الاصحاب في الرايات فقلت الى اي راية تنضمون قالوا الى الراية الزرقاء مع يعقوب فازنت لهم في ذلك . ثم طلبوا تعيين محل لهم بين الصفوف لملازمة الصلاة فقلت اي محل تختارون فاختاروا محل الاخوات الذين يتأخرون عن الصلاة فازنت لهم في ذلك . ثم طلبوا محلاً يسكنونه في المدينة فخيرتهم فاختاروا الجبال التي بقرب المدينة ثم قدم لي واحد منهم بنته هدية فلم اقبلها . . . ثم اضطجعت على العنقريب وادخلت رأسي بهدومي فحضر لي الخضر وصلى على فروتي ركعتين وبعد ان سلم قال لي ربك يقرئك السلام والملائكة يقرؤنك السلام والنبي (صلم) يقرئك السلام والمهدي « عم يقرئك السلام ويقول لك بارك الله فيك فيما صنعت في الدين . . . ثم قال ان المهدي « عم » اخبرني بان اخبرك لتبشر الاصحاب الذين لازموا الصفوف الثانية من اول نشأتها الى الآن هم مضمونون وكلما امرت بحفر صف ولزم فيه الاخوان يلحق بهذه الصفوف . . . ثم سألت الخضر « عم » عن سبب انقطاعه عني منذ انتقل المهدي فقال اني كنت خافراً شعرة من شعر المهدي آمن احمد سليمان عليها فحفظها ولكنه كان يكشفها احياناً ويبكي عند رؤيتها وقد كشفها مرة في الخرطوم فخشيت ان يخطفها ريج او تقع في محل وسخ تضيع فيه فبعد ان بلغت انت امس استرحت وسررت عني .

وكانت هذه الشعرة امانة لك عند احمد سليمان فالان ان رضي بيلعك ايها فله
ثواب حفظ الامانة وان لم يرض فلا ثواب له . ثم قال الخضر « عم » ان القلب الذي
تدخله هذه الشعرة يأمن النفاق . وقد كانت هذه الشعرة ايها الاخوان عند الحبيب
احمد سليمان فلفها في ورقة حرصاً عليها وفي يوم الاثنين في ٢٧ القعدة وهو اليوم الذي
بنى فيه هذا الحبيب التابوت اراد ان يكشف لنا الشعرة للتبرك بها فقبل ان
يكشفها شممت رائحة عجيبة واول ما بدا لي رأس الشعرة حصل لي انشراح لا يعلم
مقداره الا الله فتناولتها بقصد شمه فاراد الله ادخالها في فمي وابتلعتها . فطلبها الحبيب
احمد سليمان مني ففتحت له في فلم يجدها والحمد لله على ذلك . . . ثم قال لي الخضر
« عم » اخبرني المهدي ان اخبرك ان في ساعة الحرب النبي معك والمهدي معك
والخضر معك والملائكة معك فقلت من هم الملائكة الذي معي قال جبريل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل ومنكر ونكير ورقيب وعقيد والاك ورضوان وارواح جميع المؤمنين
من اينس آدم الى الآن . وكذلك جميع المؤمنين من الجن وقد جعل الله روح
من يعاديك في رؤوس حراب الانصار وسيوفهم . . . ثم قال يقول لك المهدي سنار
اصحابي لا يسكنوها كررها ثلاثاً ويقول ان الذي يسمع الانذار ويموت فيها ليس
من اصحابنا . وكذلك جبل الضباب وكاجة وجبل مرة ودار التعايشة لا يسكنها اصحابي
الا اذا توجهوا لغزو واما سنار فلا يسكنوها ولو كانوا في الغزو . ذلك كله عن لسان
الخضر من غير زيادة ولا نقصان اخبرتك به تحدثاً بنعمة الله وتبشيراً لكم قصد
صلاحكم فتلقوا ذلك بانشراح ارشدكم الله والسلام » اه

ومن تدجيله المضحك ما كتبه الى عامله حمدان ابي عنجه في غرة محرم سنة
١٣٠٤ هـ قال : ايها الحبيب بعد السلام عليك نعلمك ان امر الدين بعون الله
وقوته لا زال في تأييد ومدد من الله المجيد وقد تكاثر ظهور البشائر والخوارق
والكرامات بين الاصحاب في مدينة المهدي « عم » حتى تواتر ظهور الانوار على
اسلحة الانصار ففي يوم الثلاثاء الموافق ٢٩ الحجة سنة ١٣٠٣ حضر لدينا بالحراب
اثنان من الاصحاب من راية الحبيب جلال الدين وهما الحبيب طاهها علي والحبيب

مجي الدين واخبرانا بأنه في يوم الاحد الذي نزل فيه المطر وظهرت الانوار على الاسلحة سمعا حراب احدهما طاهها تنطق بالشهادة أي كل حربة تقول لا اله الا الله محمد رسول الله سمعه الحبيب طاه ونادى ابنه فسمعه ايضاً وكذلك جماعة من الاخوان الصادقين حضروا معهم وسمعوه وفي ليهم المذكور حضروا لدينا في الحراب واخبرونا بهذا الخبر . هذا فضلاً عن بقية الخوارق والعجائب التي اظهرها الله في الخارج بين الاصحاب وكل ذلك من عناية الله بانصار الدين وبروز الادلة الظاهرة على اعلاء الحق واتحاد الباطل جعلنا الله واياكم من اهل عناية والسلام .

ومن هذا القليل ما كتبه اليه عامله على القلابات احمد علي في ١٠ الحجة سنة ١٣٠٦
« سيدي مما لزم الحال عرضه لجنايبكم هو انه لما قابلنا سيادتكم بالعام الماضي سألتمونا عن زوجتنا زينب بنت الريف هل هي حامل فقلنا لا فلما عدنا الى القلابات وجدناها حاملاً قبل توجهنا لمقابلة سيادتكم بشهر ثم وضعت بنتاً في اوائل ذي القعدة الماضي ليلة امس التي هي ليلة الثلاثاء في ٨ الحجة كانت مضطجعة في حجر والدتها ترضع فحذبت والدتها منها الثدي ظناً بانها نامت وولت مدبرة ففي الحال تكلمت البنت المذكورة بلسان فصيح قائلة لا اله الا الله محمد رسول الله فلما سمعت والدتها بذلك فرغت منها وطاش لبها واشهدت عليها من كان حاضراً معها من النسوة فتعجبنا من تكلم هذه الصبية في المهد مع ان عمرها لا يتجاوز الشهرين فلذا لزم ترقيمه لسيادتكم راجين الارشاد في امر هذه الصبية والسلام . اهـ

اذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فلا تلم الصبيان فيه على الرقص

حكومة الخليفة وجيشه واجمال حاله

﴿ عمالاته ﴾ قسم الخليفة السودان الى عمالات كما قسمته الحكومة الى مديريات الا انه النى مديرتي سنار والخرطوم وجعل منهما ٨ عمالات وهي عمالة الجزيرة من القرن الى جبال ادريس وتشمل حلال شرق البحر الازرق وغريبه من العليفون الى سيرو وحلال شرق البحر الابيض . وعمالة جبال ادريس . وعمالة غرب البحر الابيض من ام درمان الى بلدة شبشه تجاه شات . وعمالة شات . وعمالة البادية

الغربية من ام درمان الى شات • وعمالة البادية الشرقية في البطانة • وعمالة شرق النيل الكبير من العيلفون الى حجر العسل • وعمالة غرب النيل الكبير من خور شمبات الى حجر العسل * وسمى مديرية فاشودة عمالة الشلك والدنكا ولكنه لم يحتلها بل كان يرسل اليها العمال من وقت الى آخر فيأتون منها بالحبوب والبيد على سبيل الجزية • وهكذا فعل بيلاد فازوغلي * وهجر بحر الغزال واحتل مديرية خط الاستواء وسماها بعمالة بحر الجبل * وجعل مديرتي دارفور وكردوفان عمالة واحدة سماها عمالة الغرب وذلك بعد تجريد زقل سنة ١٨٨٦ * وجعل ايضاً القلابات والقضارف عمالة واحدة * وكان قد ضم كسله وطوكر الى عمالة واحدة تحت ادارة عثمان دقنه ثم فصلهما فجعل كلاً منهما عمالة * وكان كل من دقله وبربر عمالة * وكانت كل عمالة مستقلة عن الاخرى ترجع باحكامها اليه * وجعل ام درمان عاصمة حكومته بدل الخرطوم وقد تقدم لنا وصفها في باب الجغرافية • وحكم البلاد حكماً عسكرياً فجعل في كل عمالة جيشاً وكان العامل قائداً للجيش ومديراً للجهة التي هو فيها يجمع زكاتها وعشورها ومعه وكيل عامل وامين بيت مال وقاض وكاتب وقد اوجب على عماله الطاعة العمياء له كما اوجبها على من دونهم لهم • من ذلك ما كتبه الى عثمان آدم عامل كردوفان يوصيه بالطاعة لحمدان ابي عنجه ايام كان ابو عنجه في جبال النوبة قال : « ... وما زلت فكن للحبيب حمدان ابي عنجه عضداً وساعداً وساعده في جميع أمور الدين وكن معه كاليد للفم أو كاليت في يد الغاسل يقلبك كيف شاء واخدمه بنفسك ومن معك من الانصار وكل ما يأمركم به تلقوه بالقبول وافعلوه بالسرعة ... » في ٤ رجب سنة ١٣٠٤ هـ ، اه

ثم لما أرسل ابا عنجه عاملاً على القلابات ورئيساً على يونس الدكيم خشي ان يثقل الامر على يونس لان ابا عنجه لم يكن في الاصل الا عبداً في بلاده فكتب الى يونس يأمره بالانقياد الى ابي عنجه وكتب الى ابي عنجه يسأله الرفق بيونس بقوله : « ... لا يخفى عليك ايها الحبيب ان امر الدين يحتاج الى المعاضدة والمرء كثير بأخيه والمؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضاً وكاليد ينفصل

أحداها الاخرى وان الحبيب يونس الدكيم هو نفسك واخوك وهو لك. وانت له قديماً وحديثاً فينبغي ان تزداد المحبة بينكما وتخطبه قبل وصولك اليه بما يشرح صدره وعند مقابلته تلقه بالمودة والبشاشة حتى يرى ذلك الخاص والعام ويحصل الغيظ للمناقين الشامتين الذين يتر بصون بالمؤمنين الدوائر ويريدون التفرقة وتكدير السرائر . وكن كأنك حضرت تأييداً له وعضداً ولو انا امرناه بالامثال لك فان الكفرة اعداء الله اذا كان احدهم في جهة وارسلوا اليه رجلاً اكبر منه لامر حدث في تلك الجهة فيكون هذا الرجل واقفاً في حده كأنه تحت الأول الذي هو صاحب المحل فذلك شأنهم وهم على الباطل فاهل الحق والدين أولى بذلك وأخرى لا سيما أمثالك الذين انار الله بصائرهم بمعرفة مكاييد الاعداء وكيد الحساد والله المسؤول ان يتولاك وبعين عنايته يرعاك والسلام سنة ١٣٠٥ هـ . اهـ

وقد اوصى عماله بكنم الاسرار وعدم اطلاع افراد الجيش على مفصلات احوالهم ولا سيما احوال الجبخانه . وكان يذكرهم على الدوام بامور أهمها : ملازمة الصلوات الخمس وقراءة الراتب والتشمير للجهاد والوقوف عند الاشارة . ومن وصاياه الرفق بالجيش ونهيه عن الفساد والعدل في الرعية وعدم الغلول في الغنائم * وكان من شأنه انه كلما اتاه خبر النصر من جهة قرأه لانصاره في الجامع واذاعه الى جميع الجهات . وكذلك كان كلما نكل باحد لذنوب اتاه نشر خبره في الجهات وبالغ في الاسباب التي حملته على التنكيل به . وكان العمال يهابونه لاجل بطشه حتى لم يكن أحد منهم يجسر ان يباشر عملاً أو يتزوج امرأة او يسمي ولداً رزق به الا باذنه . واذا حصل نزاع بين عامل ووكيله ارسل امناً من عنده فرفعوا اليه تقريراً في اسباب الخلاف ففصله * وكان من عادته ان يعقد مجلساً من عماله واعيان البلاد في كل عيد من الاعياد العمومية اخصها عيد الرجبية (٢٧ رجب) وعيد الضحية (١٠ الحجة) وذلك لاختبار حالهم ومذاكرتهم في مصلحة البلاد

﴿ جيشه ﴾ اما جيشه في ام درمان فجيش ضخم يزيد على ٥٠ الف مقاتل من جميع اجناس السودان من السود وشبه السود والنوبة والبجة والعرب

والمواليد على اختلاف قبائلهم وقد انقسم الى ستة جيوش كبار وهي : (١) جيش الملازمة القديم وهم حرس الخليفة الخاص وقد اسكنهم حول منزله داخل السور واكثرهم من السود المسلحين بالبنادق الرمتون وعليهم قائد نوبي يدعى بنحيت جاموس (٢) جيش الملازمة الجديد وهو الذي انشأه بعد حادثة الاشراف وسلحه بالاسلحة النارية واسكنه السور وجعل عليه ابنه شيخ الدين قائداً عاماً وهو اقوى جيوشه ومؤلف من نخبة شبان السود والعرب ومنقسم الى ١٦ « ربعا » على كل ربع امير من التعايشة * (٣) جيش البكاره وهم العساكر الذين وقعوا في الاسر من جيش الحكومة فاسكنهم طاية ام درمان القديمة التي عرفت بالكاره وجعل عليهم ابراهيم الخليل اميراً * (٤) جيش الراية الزرقاء وهو الجيش الذي كان يقوده قبل وفاة المهدي فسلمه لاختيه يعقوب وكان جيشاً قوياً مؤلفاً من ٤٣ قبيلة من عرب وعجم وهي : التعايشة والهبابية والحمر والرزيقات وبني هلبة والزبادية والمعالية والماهرية والمحاميد والمسيرية والعريقات ودار حامد وبني جرار وحمراء والتام والغديات والهواره وبني عمران والفور والكنجارية والمسبغات والتامة والبرقي والميمة وجماعة الخبير علي ونوبة الحرازة والميدوب والبرزة والداجو والترجم والبرقو والبرنو والبالجرمة والفلاتة وكلهم من اهل الغرب ومعهم نفر من الجعليين والسعداب والدناقلة والشنابلة والركابية واولاد البلد واولاد الريف والاقباط والمسلمانية من اهل الجزيرة والنيل * (٥) جيش الراية الخضراء او جيش الخليفة علي ود حلو وجله من اهل الجزيرة وهو ثلاث رايات : راية دغيم بامارة عبد الله احمد ابي سوار وتحتها الشانخاب والحسنات والعيساب والحجاجة ودار محارب والمسلمية والعقليين والمحمدية والعرواب والبجة وراية اللحويين بامارة عبد الله برجوب وتحتها الشيلاب وبني حسين والعركيين والمعاشرة والبطاحين والاحامدة والعمارنة والكواهلة وراية كنانة بامارة البشير عجب الغيبة * (٦) جيش الراية الصفراء وهو شرذمة قليلة عليها الخليفة شريف ومعه عثمان ازرق الذي فر من دنقلة * وانضم الى هذه الجيوش جيش عثمان دقنه ومعظمه من سكان الصحراء الشرقية الاشراف والهدندوة

والمجاذيب والبشارين ومعهم نفر من الدناقلة وغيرهم . وهلك بيان عدد كل جيش من هذه الجيوش وما معهم من الاسلحة النارية والخليل ثقلاً عن الاوراق التي وجدت في بيت يعقوب بعد فتح ام درمان :

الجيش	الامراء	المجاهدون	الاسلحة النارية	الخليل
جيش الملازمة القديم	بحيت جاموس النوي	١٤٨٦	٩٠٠	١١٢
جيش الملازمة الجديد	عثمان شيخ الدين بن الخليفة	٢٥٢٩٢	١١٢٥٢	٢٦٧٨
جيش الكارة	ابراهيم الخليل اخو محمود	١٦٠٠	٧٣٠	١٣٥
جيش الراية الزرقاء	يعقوب اخو الخليفة	١٤٤٤٨	١٠٥٣	١٥٨٨
جيش الراية الخضراء	الخليفة علي ود حلو	٥٥١١		٧٩٤
جيش الراية الصفراء	الخليفة شريف	٨١		١
جيش الصحراء الشرقية	عثمان دقنه	٣٣٧١	٣٦٥	١٨٧
	المجموع	٥١٧٨٩	١٤٣٠٠	٥٤٩٥

الاسلحة والذخائر اما الاسلحة النارية التي كانت عند الخليفة فغالبا من نوع الرمتون والباقي من بنادق « الخشخان » الكبيرة التي استخدمها البحارة قديماً لصيد الافيال وتعرف عندهم بربع مدفع . وبنادق « يادة » وهي بنادق ثقيلة من عهد ابراهيم باشا تطلق بالكبسول وتعرف ايضا بابلفته . و« ارشليك » وهي البنادق القديمة بزناد وشطفة . وبنادق « ابوروحين » المعروفة . وكان عنده من المدافع في ام درمان ٦٣ مدفعاً منها ٣٥ جبلياً و ٨ كروب و ٦ متريلوز و ٥ شرخة و ٢ اوردى و ٢ حبشي و ٣ قيس و ١ رمتون و ١ فرنساوي . واما السواربخ التي غنمها من الخرطوم فقد تطرقت اليها الرطوبة فاخربوها واخرجوا الرصاص منها

واما « الجبخانه » فقد كان عند الخليفة منها مقادير وافرة الا انه كان محاطاً بالاعداء من كل الجهات وكان في حرب دائمة معهم وقد منعوا عنه الاسلحة والذخائر منعاً صارماً بل منعوا عنه كل ما يساعد على عملها كالرصاص والنحاس والمبارد والكبريت وملح البارود . لذلك كان اعظم ما وجه اليه اهتمامه عمل الجبخانه . وكان اهم ما لزمه الكبريت وملح البارود والرصاص والنحاس والمبارد وعجينة الكبسول (وهي المادة المفرقة فيها) . اما الرصاص فقد استخرجه من جبل الكتشم في دارفور

واغرى التجار فهرّبوه له أيضاً مع الكبريت والمبارد من الحجاز ومصر بطرق
سواكن ومصوع واسوان . واما عجينة الكبسول فقد استعان على عملها بلبتن بك
مدير بحر الغزال الى ان توفي سنة ١٨٨٨ فاستعان بالدكتور حسن افندي زكي من
اطباء الخرطوم . وامر نوفل النمساوي وغيره فصنعوا له ملح البارود . وجمع كل ما امكن
جمعه من آنية النحاس في البلاد فصنع منها الظروف وارسل الى عماله في الجهات
فجمعوا له الظروف الفارغة من محال الوقائع . واقام معملًا للبارود في جزيرة توتي وورشة
لعمل الخرطوش في ام درمان فقلد جبخانة الحكومة احسن تقليد فكان يصنع كل شهر
من البارود ١٠ قناطير ومن الرصاص ١٠٠ صندوق في كل صندوق ١٤٤ خرطوشة .
وشيد داراً واسعة لحفظ الاسلحة والجبخانة والمهمات الحربية والتحف احاطها بسور
منيع وسماها « بيت الامانة » . وقد شدد في المحافظة على الجبخانة فحجراً دالاهلين من الاسلحة
النارية واصدر امراً بمنع الصيد بالبنادق وعدم اطلاق الرصاص الا في ساحة الحرب
﴿ اقسام الجيش حسب اسلحته ﴾ وقد اتقسم جيش الخليفة بحسب الاسلحة
الى ١١ قسمًا وهي :

« الجهادية » وهم المسلحون بالاسلحة النارية ويعرفون ايضاً بالبنداقه وهم من السود
والعرب الا ان اكثرهم من السود . وقد ادرك الخليفة قدر السود في الحرب فأكرمهم
واحسن معاملتهم واوصى عماله في الجهات بمداراتهم . وهاك ما كتبه الى عثمان دقته في
٣ الحجه سنة ١٣٠٣ هـ بشأن جهادية كسله قال :

« . . . نعلمكم حبيبي ان الجهادية لا بد لهم من التريية التامة وبعد المشقة في مذاكرتهم
والتأليف الكلي لهم اولاً حتى يوافقوا على الدين وتنشرح قلوبهم وقد علمنا يقيناً شأنهم
مما شاهدناه فيهم من ابتداء المهديّة الى الآن فمن ذلك اننا في محاربة اعداء الله
بجزيرة أبا أسرنا بعضاً من الجهادية وظهر لنا منهم الالفة والانشرح فتوجهنا بهم
الى قدير فلما غزونا الفنقر هربوا منا وتوجهوا لاعداء الدين بفشودة . ثم حضر
اعداء الله جيش راشد فأسرنا منهم جهادية فهربوا ثانية الى جهة فشودة . ثم
حضرت جرادة ولد الشلالى فأسرنا منهم جهادية بكثرة فاتحدوا مع الانصار وظننا

انه لا يحصل منهم مثل ما حصل من السابقين فعند حضورنا للابيض هربوا وانضموا الى اهل ققرته حتى فتحها الله . ثم بعد فتوح الابيض وجدوا فيها جهادية بكثرة فاهتمنا بأمرهم واکرمناهم وما تركنا لهم من الاكرام شيئاً وبعد ذلك كله هرب بعضهم الى جهة الخرطوم . وعند مجيء جماعة ابي قرجه لحصار الخرطوم هرب بعض من معه وانضموا الى القيقر وكذلك بعض من جهادية ولد النجومي انضموا الى اهل الخرطوم فبقوا حتى وقعوا في الأسر ففرّ بعضهم الى سنار وانضموا الى أهلها حتى فتحت . فمن ذلك اتضح ما ذكرناه . فينبغي ان تعتنوا بالمذكورين غاية الاعتناء وتربوهم التربية الثامة حتى يرسخ الايمان في قلوبهم فانهم اذا تربوا صلحوا للمساعدة في الدين . ومما يساعد على تأليف المذكورين اعطاؤهم زوجاتهم واذا كان لهم أقارب يضمون اليهم حيث ان مصلحتهم عمومية ولو انضم اليهم غير المستقيم من اخوانهم يجره حالهم الى الايمان والاذعان اذ الطبايع تسرق الطبايع والاولاد الذكور الذين يطيقون حمل السلاح جميعهم يلحقون بالجهادية في جميع ما ذكر . والدمور الموجود بمخازن كسله اكسوامنة الجهادية ونساءهم لاجل تأليفهم اه

وقد وسم الجهادية بحرف ج في ايديهم اليسرى بين الابهام والسبابة وجعل لكل منهم مرتباً شهرياً قدره نصف ريال وربع ارب ذرة ولم يفعل ذلك لباقي الجيش « والخيلة » او الفرسات ويقابلهم القراية او المشاة من جهادية وغيرهم واكثر الخيالة من البقارة . وسلاح الفارس السيف يتقلده على جنبه اليسر والبندقية يعلقها في مقدم السرج والتركاش وفيه ٧ طبائق يعلقه في مؤخر السرج ويحمل يده الكبس . ويمتاز في لبسه بعمامة حمراء وشال احمر يتحزم به حول خصره وكتفه اليسرى وهو لا يلبس حذاء في رجليه لضيق الركاب وقد يلبس الدرع تحت الجبة ويلبس فرسه اللبس

« والهجانة » وهم اصحاب الجمال ولكن لم يكن عنده من الهجانة سوى ٧٠ رجلاً استخدمهم في بريده الخصاص الى جهات السودان المختلفة . وسلاح هؤلاء السيوف والدرق والبنادق الرمتون

« والطوبجية » وكلهم من طوبجية الجيش المصري الذين وقعوا في الامر وقد اجتمع عنده منهم في ام درمان ١٥٢ رجلاً

« والحرابة » وهم حاملو الحراب والسيوف وجلهم من عرب البادية . ويقال لحاملي الدرق والسيف الدراقة

« والخشخنجية » وهم المسلحون بالبنادق الخشخان المار ذكرها وعددهم نحو الف رجل وجلهم من السود . وهم يمتازون بلبس صدره حمراء فوق جبينهم على نحو لبس بازنجير الزبير ولها جيبان للكبسول واحدة عن اليمين واخرى عن الشمال . « والبلطجية » او « الفرارة » وهم جند من العرب والسود يحملون بلطات كبيرة مما كان مستعملاً في الجيش القديم وهم يمتازون بلبس قبعة مزينة بريش النعام « والمتشمرين » ويبلغ عددهم نحو ٢٠٠ رجل وكلهم من التكارنة وهم طوال القامة غلاظ الاجسام يحملون حراباً طويلة بيضوية الشكل يبلغ طول الواحدة منها نحو ذراع وطول قناتها نحو ٤ امتار ويمتازون بلبس جبة قصيرة مشمرة الى مافوق الركبة ومن ذلك اسمهم . ويحمل الواحد منهم في وسطه خنجرين وعلى رأسه طاقية ذات قرنين تعرف بام قرينات . وهذا الجند من مبتكرات التعايشي

« وجوق الفروع الحربية » ويحملون آلات موسيقية كالآلات المستعملة في الجيش « وجوق البيدو والصفار » مؤلف من نحو ٥٠ عبداً يحملون ابواقاً من قرون الوعل وطبولاً مصنوعة من جذوع الشجر وقرعاً يابساً محشواً حصى وهي على نحو موسيقى سلطنة الفور القديمة ولها اصوات تخدش الاذان

« وجوق الامباية » وهم اربعة رجال مع كل منهم امباية يصوت بها عند ركوب الخليفة . اما الامباية والبيدو والصفار والفروع الحربية وكذلك المتشمرين والبلطجية والخشخنجية فكلهم تابعون لحرس الخليفة ومنهم جميعاً تتألف قلعة يركب في وسطها اذا خرج لعرضة او لحرب

﴿ موكبه في العرضة او الطر ﴾ وكان التعايشي في اول امره يستعرض جيشه في يوم الجمعة من كل اسبوع ثم عهد بذلك الى اخيه يعقوب واقتصر على استعراض

الجيش في ايام المواسم والاعیاد وذلك في موكب حافل جداً . قالوا انه كان اذا اراد الاستعراض المعروف عندهم بالعرضة او الطرّ امر من الفجر بضرب نحاسه « المنصورة » المشهور الذي وضعه في محل مرتفع في بيت الامانة . فاذا سمع الناس صوت النحاس هروا الى الجامع فصلوا صلاة الصبح وقرأوا الراتب . ثم ذهب اليرقدارية الى بيت الامانة فاتوا بالرايات وانضم كل رجل الى رايته وساروا فرساناً ومشاة وهم يهللون ويكبرون الى محل العرضة في ساحة فسيحة غربي المدينة تقدمهم الراية الزرقاء فالراية الخضراء فالراية الصفراء فيقف الكل صفوفاً مستقيمة من الجنوب الى الشمال متجهين نحو الشرق . اما جهادية الكارة فانهم يأتون رأساً من كارتهم ويقفون في الجنوب والى يسارهم الراية الزرقاء فالراية الخضراء فالراية الصفراء في اقصى الشمال ويقف الامراء على خيلهم كل عند رايته في الصف الاول ويقف يعقوب والخليفة علي ود حلو والخليفة شريف كل على جواده عند رايته العامة بارزين عن الصف الاول . ثم يأمر الخليفة فتضرب الامباية فيخرج جيش الملازمة ببنادقهم يتقدمهم شيخ الدين على جواده ويتبعه الارباع الستة عشر رباعاً رباعاً صفوفاً متوالية في كل صف من ٦ : ١٢ رجلاً وامام كل ربع رايته واميره وفرسانه والبوري والطرنيطة . ثم يأتي وراءهم الخليفة بقلعته فيحيط به ملازموه الاخضاء بالبنادق صفوفاً اربعة من الجهات الاربع امامهم البلطجية ومن ورائهم المشمرون ثم جوق اليدو والصفار والفروع الحربية . وفي ساقا القلعة وعن جانبيها الخشخنجية وفي وسطها الخليفة على جمل او جواد فاذا ركب الجمل قاده محمد بشير كزار العبادي وهو رجل طويل القامة كبير الهامة ومشى عن جانبيه جوادان مسرجان وحمار مسرج ومن امامه جوق الامباية ومن خلفه اصحاب النفير العسكري لتبويق الوقوف او المسير وخلف هؤلاء خدمه الخصوصيون من الاحباش وغيرهم يحملون له ركوة الوضوء وسعن الماء وادوات التزيين وفروة الصلاة والنعال والكبس والطبايق والرمح الذي يتوكأ عليه . ويسير الموكب الى ان يصل اول جيش الملازمة عند منزل الخليفة في محل العرضة فيقف صفوفاً متوالية متجهاً نحو

الشمال على زاوية قائمة مع صف الرايات ؟ فيمر الخليفة بقلعته من امامه الى ان يأتي المنزل فيحيط به ملازموه ثم يخرج من بينهم مع نفر قليل فيمر بالرايات مبتدئاً من جيش الكارة الى ان يأتي على آخر الجيش . وقد يقف في مروره عند امير فيخاطبه قائلاً السلام عليك يا فلان طيبين يا الاخوان الله يودىكم البركة يا انصار الدين الله يودىكم العافية يا الاخوان . هذا والامير ورجاله يؤمنون على دعائه . ثم يرجع الى منزله فيستريح قليلاً ويأمر الامراء فيشيعون الرايات الى بيت الامانة ثم ينصرفون الى اماكنهم ويرجع اصحاب الخيل منهم الى ساحة العرضة لتشيع الخليفة الى منزله . ثم يأمر جيش الملازمة فيرجع الى السور براياته ويعود بقلعته على نحو ما جاء ووراء الفرسان الى ان يصل منزله فيدعوا لهم فيؤمنون وينصرفون **﴿ ماليته ﴾** سار الخليفة على خطة سيده المهدي فجمع الزكاة والعشور والغنائم في بيت المال وانفق منها على الجيش . لكنه لم يبق بيت المال واحداً كما كان في زمن المهدي بل فرّع منه بيت مال الملازمة وخصص له ريع الجزيرة وبيت مال ورشة الحرية والترسانة وخصص له ريع جنائن الخرطوم والسواقي التي حوالها والسن الوارد من خط الاستواء . وفرز مال الخمس عن بيت المال و اضاف اليه مال النفي كايراد المشاريع والمراكب وارضى الغنيمة والغابات والسن والريش وثلاث الصمغ وعشور البضائع وجعل لها بيت مال خاص سماه بيت مال الخمس والنفي وعهد به الى محمد بشير كرار العبادي وانفق منه على بيته واخصائه . وجعل لكل عمالة بيت مال ينفق منه على انصار العمالة وما فضل يرسل الى بيت المال العام في أم درمان مع حساب الدخل والخرج بالدقة كل شهر . ولم ينفق من بيت المال العام الا على عمال مصالحه المتنوعة والكتاب والخليفة ود حلو ونساء المهدي واما المجاهدون اولاد العرب فقد كانوا يعولون انفسهم الا اذا ارسلوا لغزو أو لحرب فانه كان ينفق على ترحيلهم . ثم ان الجباة الذين أرسلهم لجمع الزكاة والعشور لم يكتفوا بما فرضه الشرع بل فاقوا الباشبوزق في الظلم فعلت منهم الشكوى وعمت البلوى . وكثيراً ما شكى الخليفة من فراغ خزينته بيت المال واخذ المال من التجار على سبيل السلفة

بجدة اعالة الجيش ولكن المشهور انه لم يفعل ذلك الا قصد ابتزاز اموال الاغنياء ليضعفهم ويتقوى بهم . وقد قيل انه كان يخزن المال في اجرة من جلد وصناديق الجبخانه ويطمرها داخل منزله فلما فتحنا أم درمان قتشنا عن المال فلم نجد الا التزر اليسير جداً كما سيحيي * اما امناء بيت المال العام فهم :

احمد سليمان سنة ١٣٠٠ : ١٣٠٢ هـ * وابراهيم عدلان سنة ١٣٠٧ : ١٣٠٨ هـ * والنور الجريفاوي سنة ١٣١٠ : ١٣١١ هـ * والعوض المرضي المرة الاولى سنة ١٣١٤ : ١٣١٥ هـ * وابراهيم رمضان الاسواني سنة ١٣١٥ : ١٣١٦ هـ * والعوض المرضي المرة الثانية ثلاثة اشهر والحاج احمد ياسين النيلة سنة ١٣١٥ هـ فبقي الى فتح ام درمان

﴿ الزراعة ﴾ اما الزراعة فقد كان الخليفة يجهل اهميتها حتى كانت مجاعة سنة ١٣٠٦ هـ فتنبه لها وحث العمال على تنشيطها

﴿ الصناعة ﴾ واما الصناعة فقد احيا منها صنع الاسلحة والذخيرة وابقى على الترسانة لاصلاح الواپورات وعلى خط التلغراف بين الترسانة وام درمان وروج صناعة المراكب وعمل الحراب وشاد معملًا للصابون في بيت المال للانتفاع بريعه واهمل ما سوى ذلك

﴿ التجارة ﴾ واما التجارة فانه لم يكن يودّ تنشيطها لكرهه مواصلة البلاد الاجنبية لكنه رأى ان اهم حاصلات بلاده كالصمغ والريش والسن اذا بقيت عنده ولم ترسل الى الخارج ذهبت سدى . وطمع بأخذ العشور من البضائع الواردة الى السودان ففتح ابواب التجارة الى اسوان وسواكن ومصوع والحبشة ووداي ولكنه سد طريق الاربعين وطريق كورسكو . وضرب العشور على البضائع في كوكري و بربر وكسله والقلابات والفاشر وام درمان . واحتكر السن والريش كله لنفسه واما الصمغ فقد اخذ من التجار ثلثه واعطاهم الثلثين

وهاك ما كتبه الى ابي عنجه في ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٦ بشأن احتكار السن :
« حبيبي نقرئك السلام ونعرفك ان سن الفيل كانت سابقاً للكفرة وآلت بعد ذلك للمهدية وصارت حقاً لعموم المسلمين وحقها ان تحفظ من الضياع لذلك نحن قبلاً لم

نأذن في بيعها لاحد او التصرف فيها بدون اجازة منا . والان اردنا حصرها في بيت المال لينظر فيها فالتقوا نظركم عليها واينما وجدتموها اضبطوها وارسلوا جميع ما عندكم منها ولا تبيعوا منه شيئاً وتحركوا ما يحضر منها من جهات شكا وتولوا واضبطوه وارسلوه الينا والسلام اه

وقد منع تصدير العبيد المذكور الى الخارج ويعيهم في داخل البلاد الا الى بيت المال وذلك لمنع المدد عن جيش مصر وتنظيمهم في جيشه

وبلغت قيمة البضائع الصادرة الى السودان بطريق اسوان وسواكن في سني ١٨٩٨ : ٢ نحو ٤٧٧٨٩٦ جنيهاً وقيمة البضائع الواردة منها نحو ٣٩٧٤٥١ جنيهاً ﴿ ضرب النقود ﴾ واستمر الخليفة على ضرب النقود كسيده المهدي ولكنه لم يضرب شيئاً من الذهب بل ضرب الريال واجزاءه من الفضة والنحاس وأول ريال اصدره في ايام ود عدلان كتب على وجه الواحد « ضرب في ام درمان سنة ١٣٠٤ هـ » وعلى الوجه الآخر « مقبول » فكان كالريال المجدي بقطعه ووزنه وقيمه اي سبع دراهم فضة ودرهم نحاس وهو الريال الوحيد الخالي من الغش . ففي ايام النور الجريفاوي اصدر ريالاً سمي « ابو صدر » فجعله ٤ دراهم فضة و٤ دراهم نحاس وهكذا اخذ ينقص من قيمته تدريجاً حتى صيره سنة ١٣١٢ هـ سبعة دراهم كلها نحاس وليس فيه من الفضة الا الطلاء فاطلق عليه التجار اسم « براجوري » قيل ارادوا به « بداجوره » وقد رفعوا اسعار الاشياء بالنسبة الى نقص الريال ليحفظوا قيمتها الحقيقية . وقلد البعض عملة الخليفة فعاقبهم بقطع ايديهم وارجلهم من خلاف . وراج في ايامه الريال المجدي والريال ابو طيره والليرة الانكليزية ﴿ العلم ﴾ واما العلم فقد حاربه الخليفة جهده شأن الجاهل الغشوم وجمع العلماء كلهم في ام درمان واذلهم ولم يسمح لهم بتعليم كتاب الا القرآن ومنعهم تعليم تفسيره فساد الجهل في ايامه وفسدت الآداب العمومية وساءت الاحوال

﴿ القضاء ﴾ اما القضاء فقد كان في ايامه اسماً بلا مسمى فانه ابطال الامناء والنواب الذين اقامهم المهدي وحصر القضاء كله في قاضي الاسلام واعوانه الذين

جعلهم طوع بنانه كما مر * وفي غرة رمضان سنة ١٣٠٣ هـ أصدر منشوراً الى انصاره كافة مفاده : « ان القضايا التي قبل وفاة المهدي سواء كانت جنائية او دماية او مالية او غير ذلك يصير رفعها وعدم سماع شيء منها بالكلية ما عدا المستثنيات الاربعة المعلومة من منشورات المهدي وهي الدين والامانة ومال اليتيم والحرية » * وامر قضاته بالحكم في الدعاوي التي جدت بعد وفاة المهدي بحسب كتاب الله وسنة رسوله ومنشورات المهدي هذا اذا وافقت غرضه فاذا علم ان الشريعة لا تساعد عليه او عز الى قاضي الاسلام فانتحل مسوغاً وقضى له بما اراد فأصبحت ارادته هي الشريعة وقد ابقى على قصاص السارق والزاني ومنع الخمر وشرب الدخان وقراءة الكتب الا القرآن والمنشورات كما امر المهدي

ولم يكن يقبل شكاوى على ورق لانه لم يكن يحسن القراءة كما مر فاذا اراد احد ان يرفع شكواه اليه ناداه وهو داخل الى الجامع « يا خليفة المهدي انا مظلوم » فيقف ويسمع له ويحكم في الامر ولا يجسر احد ان يعارضه

اما سجنه فهو عبارة عن حوش متسع محاط بسور حصين وفي وسطه بعض اكواخ من الحجر والطين كان يحشر الناس فيها بعضهم فوق بعض راسفين بالقيود * اما القيود التي استعملها فملكيت بالرجل والجنزير بالعنق واستخدم للقصاص المشانق والبر بندي (الفلق) باليدين للنساء وبالرجلين للرجال ؟

(سياسته الداخلية) قضى التعايشي السبع السنين الاولى من حكمه في مناوأة المعارضين له في الملك من الاشراف وغيرهم حتى خذلهم واذلهم وايد ملكه تأييداً قوياً ثم لم يكتف بتأييد ملكه بل سعى سعياً حثيثاً لجعل هذا الملك وراثياً في نسله كما مر ولكن لما كانت المهدي التي هي حجته الوحيدة في الملك تنافي هذه الغاية وتقضي بجعل الملك من بعده للخليفة علي ود حلوا ثم للخليفة شريف جعل همه تقوية نفسه وازعاف كل ذي قوة في السودان من الخليفة علي ود حلوا فنازلاً حتى لا يبقى في البلاد من يقوى على معارضته . فسلح ابنه البكر بجيش قوي من السود وغيرهم وجرد الخليفة علي ود حلوا من الاسلحة النارية كما مر وفرق عنه

ما استطاع من جيشه وساس الاهلين بأخس مبادئ السياسة الداخلية فرفع اسفلهم على اعلامهم وفرق بينهم على حد قولهم « فرّق تسد » . وقد اطلعت على كتاب منه الى عامله على دارفور عثمان آدم بتاريخ ٢ رجب سنة ١٣٠٢ للتفريق بين الحمر والرزيقات هذا هو بنصه :

« واعلم ايها المكرم انا قد الزمنا اخاكم احمد فضيل ان يريحكم من جهة عربان الحمر ويشغل بضربهم وتشتيتهم والحصول عليهم باي وجه كان فليكن معلومكم ذلك . وانظروا على اي حالة الكيفية التي توقع العداوة والخلاف بين الرزيقات والحمر وافعلوها لان في عداوتهم مساعدة في الحصول عليهم ومتى وصلت الجيوش اليهم وضربتهم فلهارب منهم لا يدخل دار الرزيقات لوقوع العداوة فاسعوا فيما ينفرهم بعضهم من بعض والله نرجو ان يأخذ بيدكم والسلام » اه

وحكى لي من اثق به قال : كان بين محمد عمر البنا من اهل رفاعه والعباس ابن الشيخ العبيد صداقة قديمة مشهورة ففي ذات يوم تشاحنا في مجلس الخليفة مشاحنة حادة وصدّ كل منهما عن الآخر حتى اشتهر الخصام بينهما كما اشتهر الود . قال الثقة فلما كانت واقعة ام درمان وخرج الخليفة منها منهزماً قابلت محمد البنا فسألته عن سبب المشاحنة بينه وبين العباس معاً هو مشهور بينهما من الصداقة والود قال : « احمد الله الذي اراحنا من هذا الطاغية فقد ساءه الود الذي بيننا فدعاني يوماً الى مجلسه الخاص وقال لي يا ود البنا اي شرفعلت للعباس حتى انه كلما جاءني رماك بوشايات لو اصغيت اليها لنفيتك او قتلتك فحاق بي مكر التعايشي وعجبت كيف ان العباس مع ما له عندي من الود يشي بي الى الخليفة فأخذتني الحدة وقلت والله يا سيدي خليفة المهدي ان العباس لكاذب في ما يقوله عني فاني خادم جنابك بتمام الولاء والاخلاص فقال لي التعايشي بارك الله فيك وجزاك خيراً . فانصرفت الى منزلي وارسلت صديقاً لي الى العباس اعاتبه فلما جن الليل واقفلت باب منزلي سمعت الباب يدق ففتحته فاذا بالعباس متنكر ويده المصحف الشريف فسألني عما كان بيني وبين الخليفة فأخبرته فقال اعلم ايها الاخ ان هذا الماكر ساءه الود الذي

بيننا فنوى تفريق كلمتنا ولقد طلبني اليوم قبل ان يطلبك وكلني عنك بمثل ما سلكك
عني ثم حلف لي العباس بذلك على المصحف فصدقته ومن ذلك الحين تعاهدنا
فابقينا الود في سرنا وتظاهرنّا بالعداء فمكر بنا ومكرنا به والله خير الماكرين .
وكان الخليفة كلما وفرت نعمة شخص او عظمت سطوته ولو انه من اعز انصاره
الذين خدموه السنين الطوال بدمائهم واموالهم خشي على نفسه منه وترقب
الفرص للايقاع به كما فعل بابرهم عدلان والزاكي طمل والقاضي احمد وغيرهم
هذا ولما احس بعدم ميل اهل النيل الى نصرته جردهم من سلاحهم واتى
باهله البقارة من الغرب واسكنهم بينهم وسلطهم عليهم فأذلوهم حتى كانوا لا يرون
ثياباً نظيفة على احد الا حاولوا نزعها عنه ولا يمرّون ببلد الا دخلوا منازلها ونهبوها
حتى قيل ان ظلمهم تناول محمد الخير المشهور فرفع الامر الى عثمان الديكيم امير بربر
فقال له « اتكلمني في الدنيا الفانية يا محمد الخير الم يقل المهدي « عم » الدنيا جيفة
وطلابها كلاب » فانصرف وهو يحرق الارم على المهديّة التي اوصلته الى هذه
الحال . ومن اقوال البقارة المشهورة :

« التعايشة اولاد نبي الله عيسى . والجملي ما اكثر حديثه والشايقية شرابين
المريسة . والداقلة اكالين الفطيسه واولاد الريف عين الكديسه » . وقالوا ود الريف
شن جابه حربة وكوكاب (ربح مسنن) في جمابه »

ولما كثرت الشكاوى الى الخليفة من ظلم اهله اراد ذر الرماد في اعين الاهلين
فاصدر منشور « منع الظلم » المشهور ومما جاء فيه :

« . . . فيلزم ان تكونوا واقفين على قدم الاستقامة بامثال اوامر الله واجتناب مناكه
لا سيما ظلم العباد فان الله تعالى قد نهى عنه في محكم الكتاب وبين شوم عاقبته في
دار المآب . قال تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم . وقال تعالى ومن يظلم منكم
نذقه عذاباً كبيراً . وقال انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض
بغير الحق أولئك لهم عذاب اليم . وقال الا لعنة الله على الظالمين . وقال وتلك
القرى اهلكناها لما ظلموا . وقال ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم

ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئسهم
هواء * وقال رسوله (صلعم) اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة . وقال لا يحمل
لمسلم ان يأخذ عصا اخيه بغير طيب نفس منه . وقال ينادي منادي يوم القيامة ابن
الظلمة واشياع الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلماً فيجمعون في تابوت
من حديد فيرمى بهم في جهنم . . . الى غير ذلك من الآيات القرآنية والاحاديث
النبوية الواردة في ذم الظلم والتحذير منه فكيف بعد ذلك يابق بالموءن وخصوصاً
من كان بمثابكم ممن رحمه الله واكرمه بصحبة المهدي ان تحدثه نفسه بالاقدام على
ظلم احد من المسلمين واخذ حقه بغير وجه جاز عند رب العالمين . فيلزم ان تكونوا
واقفين مع حدود الله وتلزموا طريق الاستقامة والاستعداد ليوم القيامة وتباعدوا عن
كل ما يجبر سخط رب العالمين ويعطل نصرة الدين كالظلم والغل والحسد والكبر والعجب
والرياء والتعدي على حقوق العباد والجور في الاحكام والركون الى حب الدنيا وغير
ذلك من الصفات الذميمة التي نهى الله عنها . . . في ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٠٦ هـ ، اه
فصدق فيه قول الآية : « اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون
الكتاب افلا تعقلون »

﴿ سياسته الخارجية ﴾ هذا كان شأن الخليفة مع رعيته اما شأنه مع الدول المحيطة
به فالعداء والحرب او يصدقوا المهدي ويخضعوا لسلطانه ! وقد سد بلاده في وجه
جميع الاجانب لا سيما الاوربيين بل سد باب المفاوضة معهم في اي بحث كان .
وقد ذكرنا ما كان له من الشأن مع مصر ووداي والتليان في الارثريا ومع الحبشة
في ايام الملك يوحنا

﴿ الصلح مع الحبشة ﴾ ولما ارتقى الملك منليك الى عرش الحبشة كتب اليه يدعوه
الى التسليم ويحذره من تعدي الحدود ولما لم يجبه كتب اليه ثانية سنة ١٣٠٨ هـ بانصه :
« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة
الصديق الى منليك . نعلمك اننا قد كنا قبل هذا كاتبناك للدخول في الملة الاسلامية
والانتظام في سلك اتباع المهدي رحمة بك وشفقة عليك وحباً لهدايتك وخوفاً عليك

من الموت على ملة الكفار الذين مصيرهم الى النار وغضب الجبار وحذرناك عاقبة
 الخلاف والاعراض وقد مضت من عهد ذلك مدة وما اتانا منك رد عن المكاتبه
 التي حررناها اليك وما علمنا السبب في ذلك انما وصلت اليك مكاتبنا ام وصلت
 واخترت عدم مجاوبتنا كما حصل من الهالك النفس يوحنا عظيم الحبش فانا قد
 كاتبناه مراراً ودعونا الى الاسلام جهاراً فاستكبر واستنكف حتى أهلكه الله تعالى على
 يد انصار الدين هو ومن معه من الوزراء والمشركون وقطعت رؤوسهم وحملت الينا
 فكانت عبرة للمعتبرين وعظة للمتغطين . وغاية الامر انا قد ضربنا صفحاً عن جميع
 ماضى منك ومن باب الشفقة عليك حررنا هذا ثانياً اليك بدعوتك الى الدخول في
 ملة الاسلام والانتظام في سلك اتباع المهدي والاذعان لحكمنا والعمل بشارتنا فان
 اجبت داعينا وشهدت ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وحسن اسلامك
 والتزمت العمل بشارتنا وصرت من ضمن اتباع المهدي القائمين بأوامرها المرضية فاعلم
 انا منتقبك ونجعلك اميراً من طرفنا على بلادك وتكون مكرماً لدينا والا فأن اعرضت
 عن ذلك فذنبك عليك لكن يلزمك ان تكون واقفاً على حدودك ولا تتعدى حدود
 الاسلام والا فان تعديت الحدود فلا بد من مناجزتك الحرب ويكون عليك من
 الهلاك والدمار مثل ما كان على الهالك يوحنا لما طغى وبغى وتعدى الحدود وها قد
 اندرناكم بهذا وفيه الكفاية لك والسلام على من اتبع الهدى في سنة ١٣٠٨ هـ «
 فلم يجبه منيلك على هذا ايضاً ولكنه بعد انتصاره على التليان في عدوة كتب
 اليه بتاريخ ١١ يونيو سنة ١٨٩٦ بما نصه :

« غلب الاسد من طائفة يهوذا منيلك الثاني المجمعول بارادة المولى ملك ملوك
 الاثيوبيه — الى جناب الخليفة عبد الله بن محمد . بعد مزيد السلام كيف حالكم
 اما انا فاشكر الله بخير وعافية واخبركم اني بعد حصول المحاربة بيننا وبين التليان
 بناحية مدينة عدوة غلبتهم باحسان الباري وعدت الى مدينتي المحروسة بخير وسلام :
 واما باقي الكلام الذي اريد ان ابلاغكم اياه فالرسول الواصل صحبة هذا وهو الحاج
 احمد يخبركم به شفاهاً ودمتم . كتب بمدينة اديس أبا في سنة ١٨٨٨ حبشية ٢٩ ذي

الحجة سنة ١٣١٣ هـ ١١ يونيو سنة ١٨٩٦ م * وكان جيش الحكومة اذ ذاك قد زحف على دقله فكتب اليه الخليفة بعد البسملة

«وبعد» فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى عظيم الحبش منليك . نعلمك ان جوابك المحرر لنا في ٢٩ الحجة سنة ١٣١٣ صحبة رسولك الحاج احمد وصل بطرفنا وجميع ماتضمنه ذلك الجواب وحمله منك رسولك المذكور من الوصية فهمناه وتقول لك اما ما اردته من انعقاد الصلح بيننا وبينك فليكن بعلمك اننا لا نريد دخول احد من الاروبيين في اية جهة من جهاتنا الاسلامية لا بحرفة البيع والشراء ولا بصفة السياحة وليس بيننا وبينهم الا الحرب فان كنت انت كذلك ومنعت جميع الاروبيين من الدخول في بلدك الا بالحرب بحيث لا يكون بينك وبينهم علاقة أو اتصال وعلى هذا الشرط ينقذ الصلح بيننا وبينك . فها نحن قد ارسلنا لك سفيراً معتمداً من طرفنا اسمه محمد عثمان خالد مع رسولك حسب التماسك فان قبلت الشرط المذكور فكتب لنا بذلك وابعث لنا مع سفيرنا المذكور مخصوصاً معتمداً من طرفك لانقذ الصلح فيما بيننا وبينك على الوجه المرضي وعلى من اتبع الهدى السلام ٦ ربيع آخر سنة ١٣١٤ هـ ١٤ سبتمبر سنة ١٨٩٦ م فحمل محمد عثمان هذا الكتاب واتى الى الملك منليك في اديس ابابا فقال له منليك اما الافرنج فلا مداخله لي معهم الا بالتجارة التي منها النفع لبلادي واعاده الى ام درمان مع رسول منه الى الخليفة لعقد الصلح فقال الخليفة للرسول بلغ منليك ان ود تور الجوري في جبال فازوغلي عاص علي فليؤدبه فارسل منليك جيشاً بقيادة راس مكوئن الى فازوغلي سنة ١٨٩٧ فوقع بود تور الجوري في واقعتين وامتلك بلاده وما زالت هذه البلاد في يد الحبشة الى اليوم

وبالاجمال فقد كان التعايشي من الدهاة المحنكين الساهرين على حفظ ملكهم وتقويته وجعله وراثياً في نسله ولكن جهله بمبادئ ارتقاء الامم وطبع الاستبداد الذي فطر عليه شوها ادارته وفسدا تديره ونفرا اهل البلاد منه وهذا السبيل للسردار احسن تمهيد

الفصل الثامن

في

﴿ استرجاع الخرطوم وسائر السودان ﴾

﴿ استرجاع الخرطوم سنة ١٨٩٨ ﴾

﴿ استعداد السردار للزحف على الخرطوم ﴾ وشرع السردار بعد واقعة الاتبرة في الاستعداد للزحف على الخرطوم وام درمان فزاد عمال سكة الحديد ومدّها من أبي حمد الى الاتبرة ومدّها الى الاتبرة ايضاً خط التلغراف وشرع في مده من بربر الى سواكن وكان قد استلم كسلة من التليان كما مرّ فمدّ خطاً تلغرافياً منها الى سواكن ﴿ قوة جيش السردار ﴾ ورأى ان الجيش الذي حضر واقعة الاتبرة لا يكفي لفتح ام درمان فاستنصر دولته فأنجده بألاي آخر مؤلف من ٤ اورط فأصبح جيشه مؤلفاً من القوّات الآتية : ٤ اورط سوارى انكليز و ٩ اورط سوارى مصريين و ٨ بلوكات هجانة و بطاريتين مدافع انكليزية وخمس بطاريات مدافع مصرية والفرقة البيادة الانكليزية وفيها آلايان بثاني اورط والفرقة البيادة المصرية وفيها اربع آلايات بست عشرة اورطة . وجملة الجيش نحو ٢٥ ألفاً * ضم اليه نحو الف رجل من العربان المتحابه من العبادة والجمعلين والجميعاب والمسلمية والشكرية والشائقية والبطاحين وغيرهم * واحضر من بلاد الانكليز ثلاث مدرعات مثل التي احضرها لجملة دقلة فبناها في العبيدية شمالي بربر وسماها باسماء « السلطان والملك والشيخ » فأصبح عنده لجملة الخرطوم عشر مدرعات وهي : السلطان والملك والشيخ والفتح والناصر والظافر وتماي والتيب وابو طليح والمتمة * ففرق وابور الظافر عند شندي في ٢٨ اوغسطس فبقي ٩ مدرعات * فحشد هذا الجيش كله في الاتبرة ثم في ود حامد شمالي شلال السبلوقه * وفي ١٤ اوغسطس سنة ١٨٩٨ ألقت ادارة الجيش كما يأتي :

الفريق السر هربرت كتشنر باشا * سردار
وياوراناه الكبتن اللورد ادوارد سسل والبكباشي وتسن
اللوارندل باشا

قومندان عموم القوة
رئيس اركان حرب

مدير قلم المخبرات
مدير مساعد قلم المخبرات
»

مساعد ادجوتانت جنرال
(للجيش الانكليزي)

حكيمباشي الجيش الانكليزي
حكيمباشي الجيش المصري
حكيمباشي بيطري الجيش الانكليزي
حكيمباشي بيطري الجيش المصري

ادارة التعيينات
(للجيش الانكليزي)
ادارة التعيينات
(للجيش المصري)
مدير حملة النقل

قومندان السواري الانكليزي
قومندان السواري المصري
قومندان الهجانة
قومندان الطوبجية

قومندان فرقة البيادة الانكليزية
قومندان الآلاي الاول
قومندان الآلاي الثاني

قومندان فرقة البيادة المصرية
قومندان الآلاي الاول
(وفيه الاورط ال ٢ و ٩ و ١٠ و ١١)
قومندان الآلاي الثاني
(وفيه الاورط ال ٨ و ١٢ و ١٣ و ١٤)
قومندان الآلاي الثالث
(وفيه الاورط ال ٣ و ٤ و ٧ و ١٥)
قومندان الآلاي الرابع
(وفيه الاورط ال ١ و ٥ و ١٧ و ١٨)
قومندان العمارة البحرية
قومندان العربان المتحابة

الميرالاي ونجت بك
اللوا سلاطين باشا
والماجور الشريف م . ج . تلبوت
الكبتن السر ه . س . رولنسن
والكبتن ي . ي . برنارد

الجراح الجنرال و . تيلر
الميرالاي جلوي بك
الكبتن ج . ل . بلنكنسوب
القائمقام جريفت بك

الكولونل ل . ا . هوب
والماجور ه . ج . مورغن
الميرالاي روجرس بك
والقائمقام دراج بك والبكباشي بلنت
الكولونل كتشنر

الكولونل ر . ه . مارتن
القائمقام برودود بك
القائمقام تدوي بك
الكولونل س . ج . لونج

الماجور جنرال جاتيكرا
الجنرال ووشب
الجنرال لتلتون

اللوا هنتر باشا
الميرالاي مكدونلد بك
الميرالاي مكسول بك
الميرالاي لويس بك
الميرالاي كولنسن بك
القومندان كولن كبل
الماجور ستيورت ورتلي

وفي ٢٤ اوغسطس زحف السردار بالجيش من ود حامد الى جبل الرويان جنوبي شلال السبلوقة • وامر الماجور ستيورت ورتلي قومندان العربان المتحابة فصار تجاهه في شرق النيل • وفي ٢٨ منه ابقى مستحفظاً من المؤن والذخائر واسبتالية حربية في جبل الرويان وسار بسائر الجيش طالباً ام درمان وكانت الواورات نتقدمه في النيل وجمال الحملة تتبعه في البر والعربان المتحابة تسير في حدائه في الشرق فبات ليلته عند جبل الشيخ الطيب على نية الزحف بالبر والبحر على الخرطوم وام درمان في الغد • وفي تلك الليلة ارسل الى التعايشي يتهدده بكتاب هذا نصه :

« من سردار الجيوش المصرية والانكليزية الى عبد الله التعايشي زعيم السودان »
« اعلم ان شرورك في السودان ولا سيما قتلك الجمم الغفير من نفوس المسلمين الابرياء اوجبت تقديمي بجيوشي الى هذه البلاد لك سلطتك وراحة البلاد من شرك وبيغيك • ولكن بين جيوشك كثير من الاهلين الكارهين لك ولحكومتك ومن العواجز والنساء والاولاد الذين لا يريد ان يلحقهم سوء فاعزل هؤلاء من ديمك الى مكان لا تصله القنابل والرصاص لتلا يقتلوا وتكون انت المسئول عن دمائهم امام الله واثبتت انت واشيائك فقط في ساحة القتال لتلاقوا النعمة التي اعدّها الله لكم • واما ان كنتم تودّون التسليم حقناً للدماء فاعلموا اننا نستقبل رساكم استقبالا حسنا ونعامكم بالعدل والسلام في ١١ ربيع الآخر سنة ١٣١٦ هـ » اه
٣٠ اوغسطس سنة ١٨٩٨ م • فجعلنا من هذا الكتاب صورتين وعلقنا كل صورة في رأس عود وارسلناهما مع عبد فغرز عوداً منهما قرب كرري والآخر في الطريق بين كرري وام درمان • اما الكتاب الذي وُضع قرب كرري فقد بقي الى ان تقدم الجيش ولقيه ضابط انكليزي فترجمه ونشره في جرائد بلاده • واما الكتاب الثاني فيُظن انه وصل للخليفة ولكننا لم نر له جواباً

﴿ استعداد الخليفة للدفاع ﴾ اما الخليفة فانه بعد واقعة الاتبرة تيقن ان الجيش زاحف عليه قريباً فجمع مجلس شواره من التعايشة وغيرهم للنظر في الاستعداد للدفاع . قيل وكان من رأي يعقوب اخي الخليفة وسائر التعايشة الهجرة

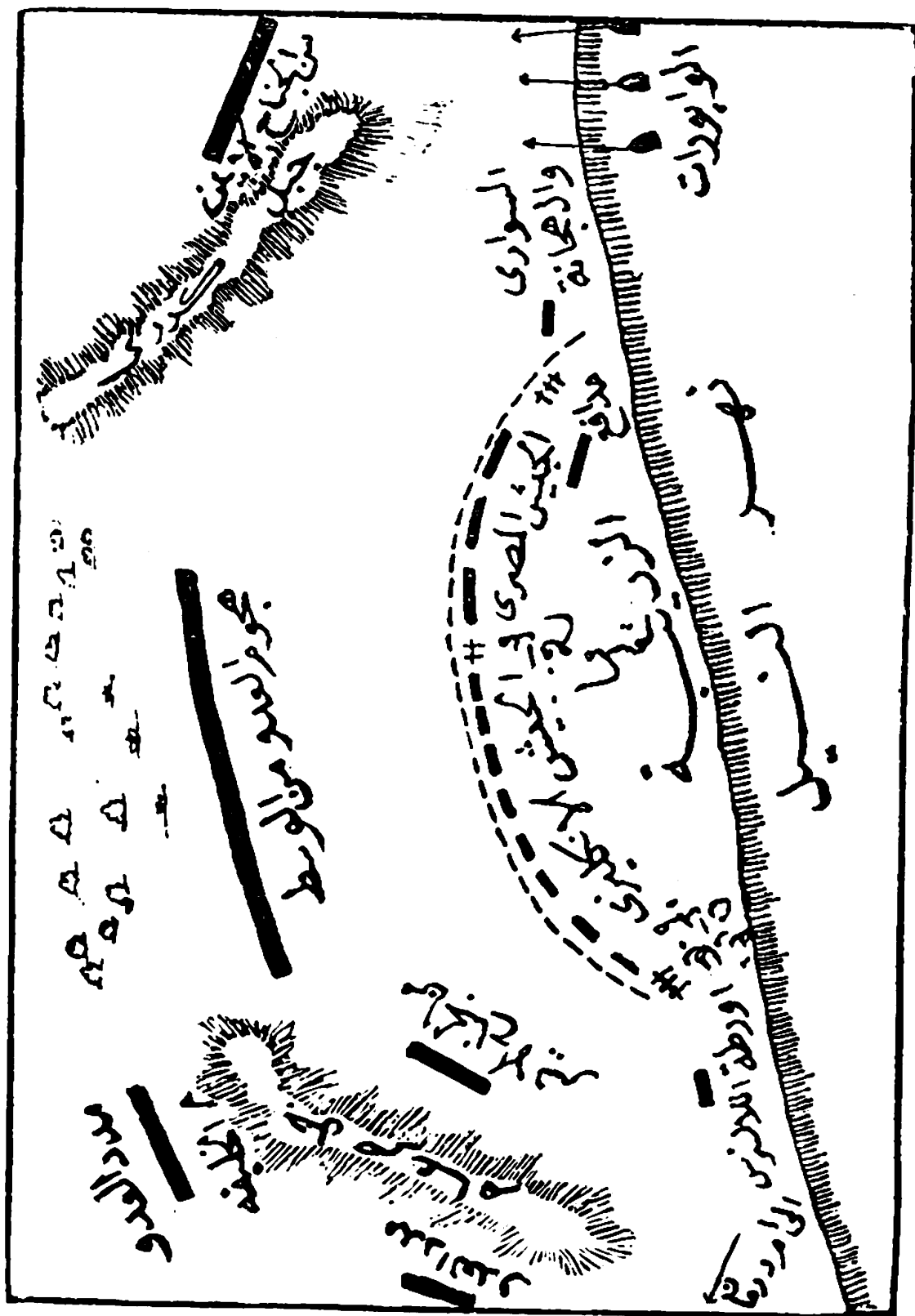
العربان المتحابة وفتح شرق الخرطوم وفي فجر اول سبتمبر زحف السردار بالجيش والوابورات والعربان المتحابة قاصداً ام درمان حتى تجاوز جبل كرري عند الظهر فوقف بالجيش في مكان يدعى العجيبة على نحو ٨ اميال من ام درمان. وكان قد أصدر امره الى الوابورات والعربان المتحابة في الشرق لمقاومة طواحي العدو في الشرق والغرب والخرطوم. وقد تقدم ان في الشرق بين الحلفاية والخرطوم طابعتين شمبات والصبابي فسار الماجور ستيورت حتى أتى بلدة شمبات فوجدها خالية وعلم ان في طابعتها التي على شاطئ النيل على نحو ميل منها أميراً من الجعليين يدعى محمد ود فايت ومعه عشرون رجلاً من اهله وبعض الطوبجية المصريين ومدفع واحد وان في طابية الصبابي على ربع ساعة منها أميراً من التعايشة يدعى غالي جوده ومعه ٢٠ رجلاً من البقارة والجهادية وبعض الطوبجية المصريين وان في بلدة الصبابي نفسها أميراً من التعايشة يدعى عيسى زكريا ومعه نحو ٣٠٠ رجل من اخلاط العربان ومهم كثية من الفرسان التعايشة فأمر الماجور ستيورت الشيخ ابراهيم ود فرح كبير الجعليين بأخذ طابعتي الصبابي وشمبات وأمر ميسره ابن الزبير باشا كبير الجميعاب والطاهر العبيد (الذي وقع اسيراً في فرقة) كبير المسلمية بمهاجمة بلدة الصبابي من الجنوب وهاجمها هو بالعبادة وعليهم عبد العظيم بك من الشمال تاركاً العربان المسلحين بالحرايب والسيوف في شمبات. فزحف الشيخ ابراهيم على طابية شمبات وارسل الامان الى اميرها فسلم له ثم تقدم الى طابية الصبابي فأخذها عنوة وانقلب على بلدة الصبابي لتجدة الماجور ستيورت. وقبل وصوله اليها اغار فرسان الدراويش على الماجور ستيورت فانهزم العبادة امامهم وكان مع الماجور ستيورت ابن للجنرال ود قُتبت للفرسان ودرامهم بمسدسه فجندل فارساً منهم وصاح الماجور ستيورت بالعبادة فقتلوا وصوبوا نيرانهم على الفرسان. ووصل في هذه الاثناء الشيخ ابراهيم لتجدة فرأى فرسان العدو انهم أصبحوا بين قوتين فانقلبوا راجعين الى الصبابي. وكان عيسى زكريا قد تحصن برجاله في بيت من بيوت البلدة فأطبق عليه ميسره الزبير والطاهر العبيد من الجنوب والشيخ ابراهيم من الغرب وعبد العظيم والعبادة من الشمال فقتلوه هو ومعظم رجاله وكانت

خسارة العربان المتحابة في هذا الهجوم ١١ قتيلاً و ١٨ جريحاً واما خسارة الدراويش فقد قدرت بنحو ٢٠٠ رجل . وحضر هذه الواقعة طنوس افندي شحاده من موظفي فخابرات الحدود فأظهر فيها من البسالة والدربة ما أطلق لسان الماجور ستيورت بالثناء عليه . ولما تمّ للماجور المذكور فتح الشرق انضم الى الوابورات وكان الوقت الظهر ﴿ الوابورات وفتح توتي والخرطوم ﴾ واما الوابورات فكانت في أثناء القتال في الشرق تساعد العربان المتحابة برمي القنابل على طاييتي شمبات والصباي . ثم انقلبت على طاييتي توتي حتى اسكتتهما وتقدمت الى الخرطوم فأخذتها عند العصر ﴿ رمي ام درمان بالقنابل ﴾ هذا وكان مع الوابورات بطارية من البطاريات الانكليزية المعروفة بالهويترز فلما أخذت طاييتا شمبات والصباي نزلت البطارية الى البر الشرقي وصوبت قنابلها على ام درمان . وبعد أخذ الخرطوم وتوتي انضم اليها الوابورات فخرّبت في ام درمان واسوارها وكانت طوايبي ام درمان تجيب نيرانها الا انها لم تحسن الضرب فلم تصبها بأقل ضرر . وكان الهويترز قد صوبت بعض القنابل على قبة المهدي ففتحت في قمتها ثغرة كبيرة فذعر الناس من ذلك قيل وصاح الخليفة ويلاه من نار الكفرة فقد هشموا قبة المهدي ولم يخافوا الله * وفي المساء جاء ضابط من ضباط البحرية واخبر السردار بما كان من فتح الشرق وتوتي والخرطوم فاطمأن قلبه وتفرغ للخليفة وام درمان

﴿ واقعة ام درمان الجمعة في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ ﴾

﴿ خروج الخليفة لمقاومة السردار ﴾ وكان الخليفة قد انفذ الامير عبدالباقي من أهله ليراقب حركات الجيش فأقام في وادي بشارة حتى زحف الجيش من الاتبرة فرجع الى شلال السباوقة وصار كلما تقدم الجيش جنوباً يتقهقر أمامه ويرسل بنجره الى الخليفة حتى دخل ام درمان الاربعاء مساء * وكان الخليفة لما علم بخروج الجيش من جبل الرويان الاربعاء صباحاً في ٣١ اغسطس سنة ١٨٩٨ خرج بجميع جيوشه من المدينة الى ساحة العرضة غربيها * وكان عدد جيوشه ٥١٧٨٩ مقاتلاً فيهم ٨٦ اميراً و ٥٤٩٥ فارساً و ١٤٣٠٠ راجلاً مسلحين بالبنادق الرمتون وغيرها والباقون

مسلحون بالسيوف والحراب كما يئناه قبل * ويوم الخميس في ١ سبتمبر عند الضحى زحف الخليفة من ساحة العرضة لمقابلة جيش السردار على الترتيب الآتي: جيش الملازمة الجديد وجيش الكاره وجيش الخليفة علي ود حلو في صف واحد في المقدمة وجيش يعقوب ومعه جيوش الخليفة شريف وعثمان ازرق وعثمان دقنه في الساقة والخليفة في وسط حرسه الخصوصي بينهما . وكان السردار عند وصوله الظهر الى العجيحة قد صعد هو واركان حربه الى اكمة على نحو ٨٠٠ يرد من البلدة في طريق ام درمان تعرف بجبل صرغام فرأى جيوش الخليفة على ثلاثة اميال من الاكمة تموج في عرض ذلك البر كأنها بحر عجاج فظن ان الخليفة يهاجمه في ذلك اليوم فرجع للحال عن الاكمة وأخذ يستعد لملاقاته فصف العساكر حول البلدة على هيئة نصف دائرة طرفاها يمان النيل — الجيش المصري الى اليمين والجيش الانكليزي الى اليسار — وجعل الحملة في الوسط والوابورات تحمي ظهرنا في النيل . فأقام الجيش الانكليزي زريبة من شوك للترس بها واما الجيش المصري فلما لم يجد الشوك في جهته حفر خندقاً وترس به . وكان بيننا وبين الخليفة سهل فسيح جداً في وسطه الى اليسار جبل صرغام الذي كان يحجب جيش الخليفة عنا وبين الجبل والنيل الطريق الى ام درمان والى يميننا جبل كرري الذي يمتد من النيل الى مسافة بعيدة في الصحراء . وفي الساعة الثانية بعد الظهر عاد كشافة الجيش واخبروا ان الخليفة وقف بجيشه عند خور شمبات . ثم جاءت الانباء انه ينوي الهجوم ليلاً . ولما لم يكن الهجوم ليلاً من مصلحة الجيش ارسل قلم المخابرات الجواسيس من اهل العجيحة فنشروا الخبر في معسكر الخليفة ان الجيش يستعد لمهاجمتهم قبل دخول الليل وذلك ليشغلهم بالاستعداد للدفاع عن الهجوم . على ان الخليفة لم يقرّ على مهاجمة الجيش ليلاً لانه كان على يقين ان الجيش مستعدّ للقائه اي وقت جاءه وان عنده الانوار الكشافات فيلقى بها على جيشه فيحاربوه وهو يرى ولا يرى . ثم انه لم يكن واثقاً من ولا جميع رجاله وثباتهم معه الى النهاية فخاف انه اذا امرهم بالهجوم ليلاً ان يتستروا بالظلام ويفرّوا فيفسلوا ففقد مجلساً من اخصاء اهل مشورته واقرّوا على تأجيل الهجوم الى الصباح



واقعة ام درمان

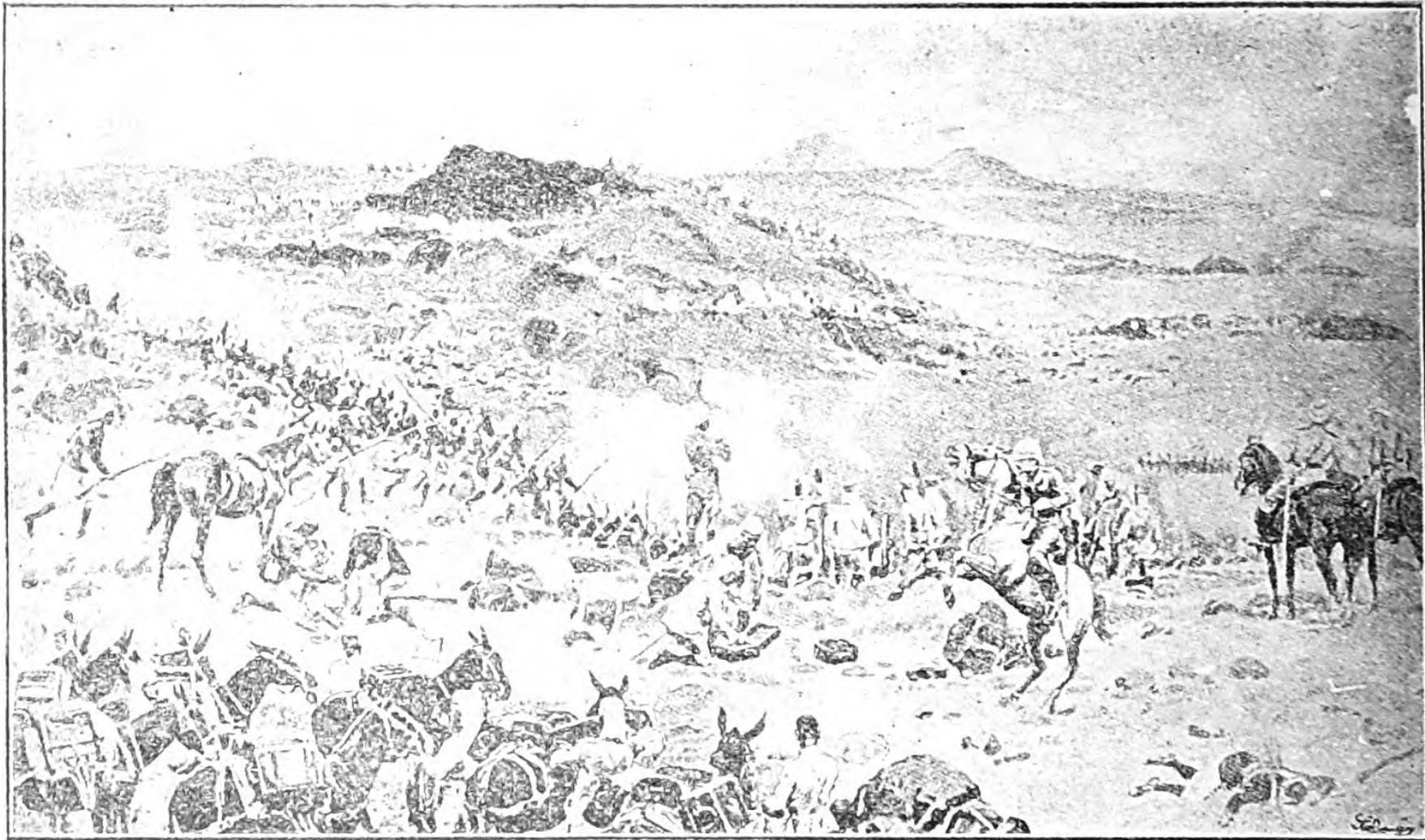
هجوم الدراويش على الزريبة

ولما كان فجر الجمعة في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ صلى الخليفة الصبح وتقدم بجيوشه مهاجماً الزريبة حتى بلغ جبل صرغام فتواري به وجعل الجعليين والشايقية والداقلة شرقي الجبل الى النيل وقال لهم أنتم العباسية نصره الدين فسدوا هذا الثغر. وجعل عثمان دقنه وعبد الباقي عبد الوكيل ومساعد قيدوم في صف آخر وراءهم لتجدهم ومنعهم من الفرار • وجعل جيش الكاره بقيادة ابراهيم الخليل غربي الجبل والى يساره جيش الملازمة بقيادة ابنه عثمان شيخ الدين وكان شيخ الدين نفسه في وسط قلعة من ملازميه تنيف على ٤٠٠٠ مقاتل وراء الصفوف بعيداً عن مرمى القنابل والى يسار جيش الملازمة جيش الخليفة على ود حلو وبقي يعقوب اخو الخليفة بالراية الزرقاء وراء الجميع

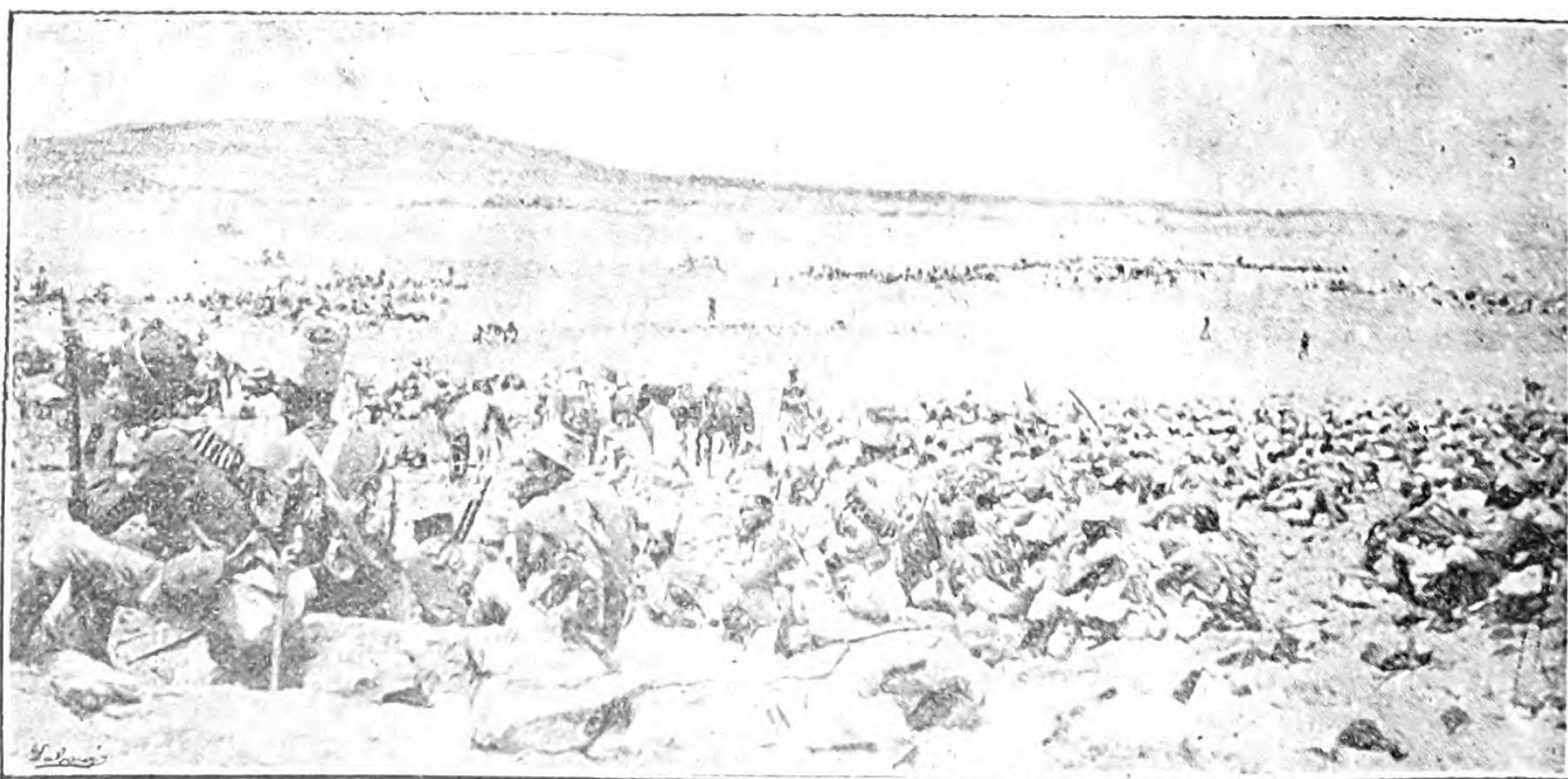
﴿الهجوم الاول﴾ ولما كانت الساعة ٦ والدقيقة ٤٠ سمعنا اصوات التهليل والتكبير الى الزريبة فعلمنا ان جيوش الخليفة تهاجمنا ولم يمض الا بضع دقائق حتى رأيناهم مهاجمين في هيئة هلال متسع على نحو ٢٥٠٠ يرد منا • وكان السردار قد أعد جيشه منذ الساعة ٤ قبل الفجر وبدأت الوابورات ترمي قنابلها على ام درمان منذ الساعة ٥ والدقيقة ٢٠ فما اطل الدراويش حتى تلقاهم طوبجية الزريبة بالقنابل فلم يبالوا بها وما زالوا مهاجمين حتى صاروا على نحو ١٢٠٠ يرد من الزريبة فبدأ الجيش باطلاق البنادق ومدافع مكسيم • وقد هاجم الدراويش أولاً ميسرة الزريبة ثم قلبها ثم ميمتها فاشتعلت النيران من كل انحاءها وأنجدها الوابورات في النيل بمدافعها من اليمين والشمال فكان لاصوات البنادق المدافع في البر والبحر من الجيش والعدو دوي لا يعبر عنه بالقلم • وكنت اذ ذاك على هضبة عالية وسط الزريبة تشرف ساحة القتال من كل الجهات فكنت أرى الدراويش فرساناً ومشاة يسقطون صفاً وراء صف أمام نيران الجيش الحاصدة وهم يتلقونها بقلوب لا تهاب الموت حتى رأوا انه يستحيل عليهم اختراق هذه النيران الى الزريبة فنكصوا عنها بعد أن فقدوا اعظم أبطالهم وأعز رجالهم • أما الجعليون والشايقية والداقلة الذين هاجموا ميسرة الزريبة فما لبثوا بعد ما حمى الوطيس ان انقلبوا راجعين الى ام درمان لانهم سيقوا الى ساحة

الوغى بالرغم * وأما جيش الكارة الذين هاجموا قلب الزرية فانهم كثرُوا مستبسلين حتى صار بعضهم على نحو ٥٠٠ يرد منا فكنوا في منخفض من الارض تجاه الجيش الانكليزي وصوبوا رصاصهم عليه فقتلوا وجرحوا وكان في جملة القتلى ضابط انكليزي وعدة عساكر ومن الجرحى المستر ولويس مكاتب الدالي كرونكل والكولونل رودس (اخو المستر سسل رودس الشهير) مكاتب التيمس فصوب الطوبجية الانكليز قنابل مدافع الميدان عليهم فنكوا بهم واضطروهم الى الفرار وبقي جيش الكارة يجاهد محاولاً اختراق الزرية حتى قتل قائدهم ابراهيم الخليل فحملوه الى الخليفة فأمرهم ان يذهبوا به الى ام درمان ويدفنه هناك ففعلوا * وأما شيخ الدين فانه بقي في وسط حرسه الخاص بعيداً عن رمى القنابل وقسم جيشه قسمين قسماً هاجم قلب الزرية مع جيش الكارة فحذل معه وقسماً انضم الى الراية الخضراء فهاجموا السواري والطوبجية في مينة الزرية على جبل كرري وقتلوا منهم ودحروهم الى النيل وغنموا مدافعاً من مدافعهم ولكن لم يكن الا القليل حتى اسرعت الواپورات الى نجدتهم وأنجدهم أيضاً عساكر المينة فأكثروا من القتل في الاعداء وهزموهم شر هزيمة واسترجع السواري مدافعهم ٠ وما كانت الساعة ٨ والدقيقة ٣٠ حتى انجلى الدراويش عن ساحة القتال **﴿ هجوم السواري الانكليزي ﴾** وكان الخليفة اذ ذاك لم يزل في مركزه وراء جبل صرغام واخوه يعقوب وراءه وعثمان دقنه عن يمينه الى جهة النيل وعثمان شيخ الدين بقلعته في اقصى جبل كرري وبقرية جيش الخليفة علي ود حلو وجميعهم متوارون عن نظر الجيش فظن السردار انهم تركوا القتال وانهزموا الى ام درمان فأرسل السواري الانكليز (اورطة اللانسرس الحادية والعشرين) في الطريق التي بين جبل صرغام والنيل لقطع طريق العدو ثم شكل الجيش مربعات جاعلاً كل لواء مربعاً وسار في أثر السواري « بهيئة تدريجيه »

﴿ هجوم السواري الانكليز ﴾ ولكن ما انتهى السواري الى منحدر الجبل الجنوبي حتى هبَّ عثمان دقنه من كمينه واشعل فيهم النار وذلك في الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ وكانوا اذ ذاك على مقربة منه فلم يكن لهم بدٌّ من اختراق صفوفه



واقعة فركة



واقعة ام درمان
« الهجوم الثاني »

فبدلوا في شواكل خيلهم المهاميز واطلقوا لها الاعنة واندفعوا على الصفوف فتلقتهم بالسيوف والحرايب فجاهدوا جهاد الابطال المدربين حتى اخترقوا الصفوف واتخذوا لهم مكاناً على ٤٠٠ يرد منهم حيث ترجلوا وأصلوهم ناراً لم يطيقوها فانهزموا غرباً الى الراية الزرقاء وعاد السواري الى الجيش وقد فقدوا ٢١ قتيلاً فيهم اللفتنت غرنيل و ٤٩ جريحاً وقتل وجرح من خيلهم ١١٩

﴿ الهجوم الثاني ﴾ وفي أثناء ذلك كان السردار يتقدم نحو ام درمان بالألوية الخمسة فما وصل منحدر جبل صرغام الشرقي حتى جاءه الخبر بان الخليفة لا يزال مقيماً بأنصاره غربي الجبل فأصدر أمره في الحال بتغيير السير واتجاه الجيش الى اليمين وكان الخليفة قد أصدر أمره لآخيه يعقوب صاحب الراية الزرقاء (السوداء) فحمل الجيش حملة صادقة وكان هجومه على لواء مكدونلد فتصدى له هذا القائد الباسل واسعفه قواده المدربين الميرالايات وولتر وناسون وجكسن قومندانات الاورط التاسعة والعاشر والحادية عشرة السودانية فدرّبوا جنودهم أحسن تدريب وصدوا هجمات العدو المرة بعد المرة وما زال رجال يعقوب يكرون على اللواء طالبين اختراق صفوفه أو الموت ونيران اللواء تنكل بهم تنكيلاً حتى تراكت جثث القتلى كالرّبي وقتل يعقوب نفسه وخذل جيشه . وكان الخليفة قد أرسل حرسه الخاص بقيادة بنحيت جاموس لنجدة أخيه يعقوب فأصابه ما أصاب يعقوب

﴿ الهجوم الثالث ﴾ ولكن لم ينته اللواء من هذين الجيشين حتى كان جيش الراية الخضراء قد اقبل عليه من الغرب وهاجم من عن اليمين فاتجه اللواء نحوه وصب عليه نيرانه وصد هجماته المتتابعة وجندل أبطاله وهزمه أقبح هزيمة . وكان السردار قد أرسل لواء ووشب الانكليزي لنجدة مكدونلد فلم يكذبصل اليه حتى كان قد أتم عمله . وأمر لواء مكسول ولواء لثلتون فأخذا جبل صرغام ثم دارا الى الغرب ووجها نيرانهما على الفارين من رجال الراية الزرقاء ثم من رجال الراية الخضراء فأوغل هؤلاء في الفرار غرباً فتبعهم السواري والهجاة وقتلوا منهم وأسروا ﴿ فرار الخليفة من ساحة القتال ﴾ أما الخليفة فإنه ثبت في مكانه حتى انهزم

جيش الراية الخضراء، وعلم ان أخاه يعقوب قد مات فأيقن بالخذلان التام ولم ير باباً للنجاة سوى الفرار ففرّ مع بعض أصحابه وأخصائه وأرسل خبراً الى ابنه عثمان شيخ الدين بترك الحرب وموافاته الى ساحة العرضة غربي ام درمان ففعل

﴿ احتلال الجيش لام درمان ﴾ وفي الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ أمر السردار بايقاف النيران وتقدم الى خور شمبات ومعه لواء مكسول ولواء لتلوت فاحتله الساعة ١٢ والدقيقة ٤٥ واستراح نحو ساعتين حتى تكامل الجيش في الخور ثم تقدم الى ام درمان ومعه اركان حربه وفيهم الميرالاي ونجت بك مدير الخابرات وسلاطين باشا مساعده ولواء مكسول وستة مدافع من الطوبجية الانكليزية تحفوق فوقه راية الجيش والراية الزرقاء التي غنمها من الواقعة ولما وصل ضواحي المدينة خرج أهلها الى جانبي الطريق فاستقبلوه بالترحيب والتأهيل وعلت أصوات النساء بالزراغيت وما زال سائراً حتى وصل الزاوية الشمالية الغربية من السور فسأل عن الخليفة فقالوا انه داخل منزله فأرسل مدفعين وثلاث اورط من لواء مكسول فوقفوا غربي الجامع لقطع طريق الخليفة وتقدم هو بالاورطة الثالثة عشرة السودانية والاربعة مدافع الباقية للقبض عليه فدار حتى دخل من باب السور الشرقي الذي يفتح على النيل وأتى منزل الخليفة وقتش عنه فلم يجده

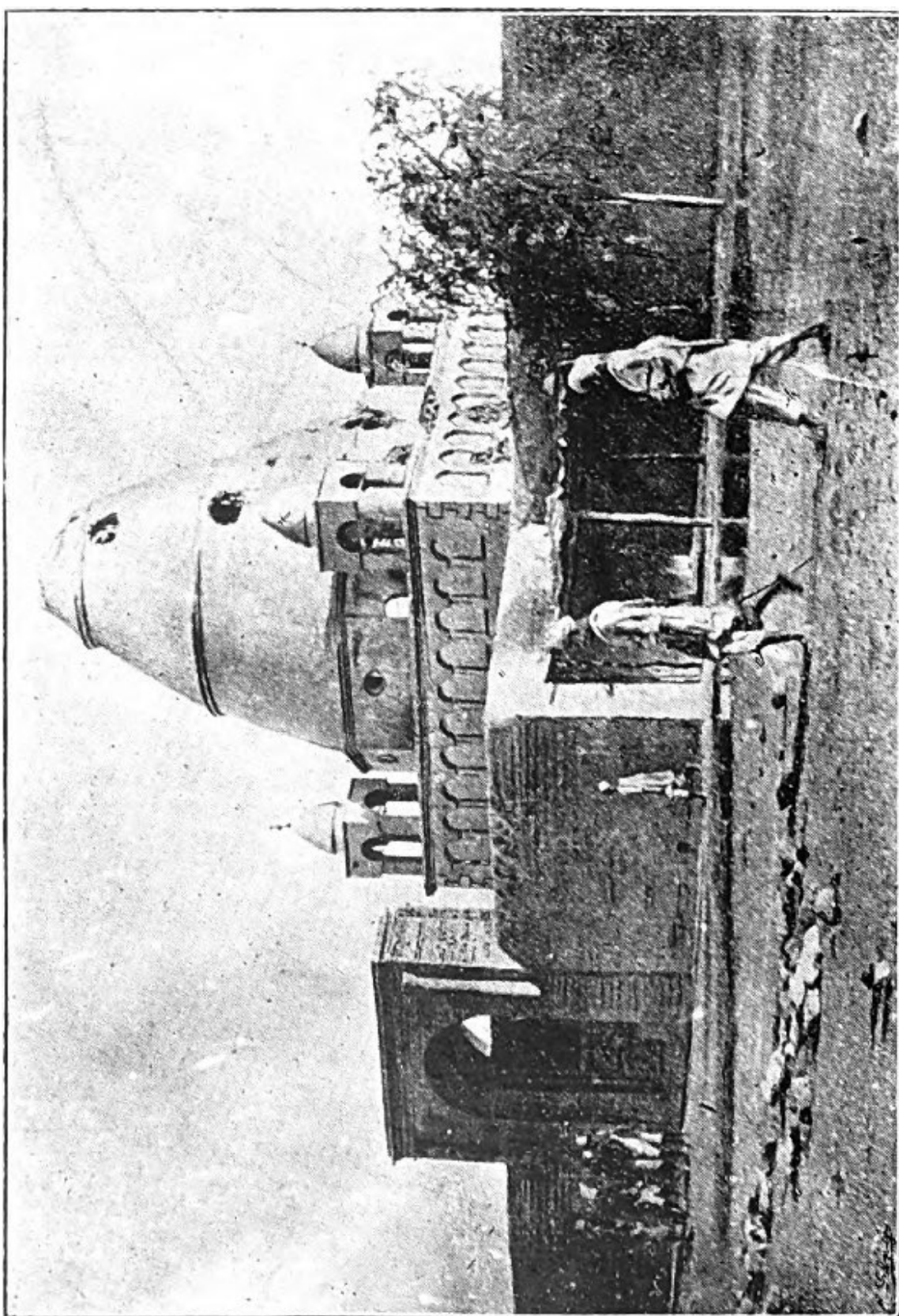
﴿ فرار الخليفة من أم درمان ﴾ وكان الخليفة قد أتى من ساحة العرضة الى منزله ومعه ابنه وأخصاؤه وضرب النحاس والأبواب بقصد جمع الناس لمقاومة الجيش داخل السور فلم يجتمع عليه الا القليل فرأى انه اذا بقي وقع في قبضة الجيش فأخذ نساءه ونساء المهدي وأركن الى الفرار جنوباً ومعه بضعة آلاف من الجهادية والعرب البقارة وفيهم : عثمان شيخ الدين ابنه وهارون محمد اخوه من أبيه والسنوسي أحمد أخوه من أمه والخليفة علي ود حلو والبشير عجب الفيه أمير كنانه والخليفة شريف الذي تخلف عنه في الطريق وأتى مسلماً كما سيجيء والبشرى ابن المهدي صهره والفاضل ابن المهدي صهر الخليفة شريف والصدیق ابن المهدي وعثمان دقنه وعبد القادر ام مريوم الذي تخلف عنه وأتى مسلماً بعد أيام ويونس الديكم وعبد الباقي عبد

الوكيل وحامد علي الذي كان في كسله ويعقوب أبوزينبه من أخص أقر بائه وغيرهم . وبفراره أصبحت أم درمان بل السودان كله بيد السردار والى ذلك أشار نساء أم درمان بقولهن : الليلة هاي قلبوها تركية ود تورشين شرد رقدوا الملازمة وكان فرار الخليفة قبل دخول السردار بساعة على انه بقي داخل السور بعض البقارة فرموا السردار واركان حربه بالرصاص ولكن كان رصاصهم عاليا فلم يمينا بضرر . ثم ان الطوبجية الذين جعلهم السردار عند باب الجامع الغربي ؛ لما سمعوا اطلاق النار من داخل السور ظنوا ان الخليفة لم يزل محاصرا فيه فرموا بالقنابل الى داخل السور فوقعت قنبلة عند باب القبة حيث كان السردار واركان حربه فأصاب الشريف هيو بورت هوارد مكاتب النيويورك هارولد فقتلته فأسف عليه كل من عرفه . فأرسل السردار أمرا الى الطوبجية بايقاف النار وخرج من السور فأتى الى السجن وكان فيه ٨٨ سجينا بينهم ابراهيم باشا فوزي والمستر نوفل يرسفان بالقيود فأطلق سراحهما ووضع الخفراء على السجن وبيت الخليفة وبيت يعقوب وبيت شيخ الدين وبيت الامانة وبيت المال وغيرها من المحلات الشهيرة وبات ليلته بجميع الجيش غربي المدينة ﴿ مطاردة الخليفة ﴾ وكان السردار حالما تحقق فرار الخليفة قد أرسل في أثره السواري والهجانة ومعهم سلاطين باشا في البر وأرسل مدرعتين في النيل فطارده السواري والهجانة مسافة ٣٠ ميلا حتى أعيت ركائبهم ونفذ زادهم وطارده الوابورات تسعين ميلا جنوبا فلم يدركوه فعادوا كلهم الى أم درمان ﴿ رفع الرايتين ﴾ ويوم الاحد في ٤ سبتمبر أي بعد الواقعة بيومين عبر السردار النيل الى الخرطوم فرفع الرايتين الانكليزية والمصرية معا على خرائب السراي وأقام الصلاة عن نفس المرحوم غوردن . ومن هذا اليوم دخل السودان في عصر جديد فعرف باسم السودان الانكليزي المصري * وعرفت الواقعة بواقعة الخرطوم وواقعة ام درمان وواقعة كرري وهي اكبر واقعة رآها السودان منذ قام العالم ولقد أظهر السودانيون فيها من البسالة واحتقار الموت والاستهلاك في سبيل الغرض ما لا مزيد عليه ﴿ جهاد الجيش ﴾ أما الجيش المصري الانكليزي فكل رجل فيه جاهد حق

الجهاد واستحق أطيب الثناء . وان خص بعضهم بالمدح كلواء مكدونلد والسواري الانكليزي . وأما الموظفون الملكية الذين صحبوا هذا الجيش وشاركوه في الاتعاب والاختار فاستحقوا الثناء فأهمهم : شاهين افندي جرجس الذي حضر واقعة الاتبرة وواقعة الجميزة من قبلها وابراهيم افندي ديمتري وجورج افندي مظلوم وكلهم من موظفي المخابرات . وخطار افندي كنعان ومحمود افندي عباسي وحسن افندي حسني من موظفي السردارية

﴿ القتلى والجرحى ﴾ وقد قتل في هذه الواقعة من الدراويش نحو عشرة آلاف رجل وجرح مثل ذلك وأكثر . وكان في جملة القتلى من الراية الزرقاء : الامير يعقوب ومحمد ابن المهدي صهر يعقوب واب بسام تعايشي من اخصا شوري يعقوب وعثمان الدكيم اخو يونس الدكيم ومحمد الزاكي عثمان امير بربر وعثمان ازرق وحسين ود جزو الحمري واحمد حمدان العركي ومحمد بشاره امير دقله سابقا وسليمان كشه تاجر الممنوعات * ومن جيش الكاره : ابراهيم الخليل أمير الجيش ومحمد اسحق التعايشي وحامد صابون الرزبقي * ومن الراية الخضراء : عبد الله ود احمد ود ابو سوار وكيل راية دغيم واحمد ود عبد الجليل ابن عم الخليفة علي ود حلو واحمد عبد الله برجوب امير ربيع اللحويين واحمد ود المكي الدنقلاوي كاتب الراية أما خسارة الجيش فكانت ٤٩٠ قتيلاً وجريحاً من انكليز ومصريين . فالقتلى من الجيش الانكليزي ٣ ضباط و ٢٤ عسكرياً ومن الجيش المصري ضابطان و ٢٧ عسكرياً وأما الجرحى فمن الجيش الانكليزي ٨ ضباط و ١٢٥ عسكرياً ومن الجيش المصري ١٥ ضابطاً و ٢٨٦ عسكرياً

وقد دفن قتلانا بالاكرام اللائق بهم . وسمح السردار لاهل المدينة فذهبوا الى محل الواقعة ودفنوا اقاربهم * وبعد الواقعة بأيام معدودة صعدت على جبل صرغام لمشاهدة محل الواقعة فاذا بالقتلى قد غطت السهل من حوله على مدى النظر والنسور قد حامت فوقها أسراباً فلات الجو وكان المشهد مما تنقبض له النفس اشد الانقباض ويوجب منتهى السخط على الحروب واسبابها



قبة المهدي بعد واقعة ام درمان

﴿ أوراق الخليفة ﴾ وفي ثاني يوم الواقعة عند الفجر أتى رسول بكتاب من الشيخ مدثر ابراهيم الى الميرالاي ونجت بك مدير المخابرات يسأله الامان فذهب المدير الى بيت الشيخ مدثر وأعطاه الأمان وسأله عن كتب الخليفة وأوراقه فدلّه عليها وكان بعضها في منزله وبعضها في منزل الخليفة وكنت قد صحبت المدير فشرعت في فرزها وجمعتها في عشرين عدلاً وأتيت بها الى مكتب المخابرات في مصر فاذا هي جامعة لأهم ما دار من الكتب بين الخليفة والمهدي من قبله وبين امرائهما وغيرهم في الجهات وقد تحققت منها بعض الوقائع التاريخية واستشهدت بها كثيراً في هذا الكتاب . وأعطانا الشيخ مدثر ختم الخليفة وأما ختم المهدي فقد عثر عليه بعض رجال الحملة ليلة الواقعة وباعه الى المستر كوك الشهير في مصر

﴿ بيت الخليفة ﴾ ثم جلنا في بيت الخليفة فوجدناه فارغاً بعد ان كان مفروشاً بأفخر الاثاث والتحف السودانية اذ ان اهل المدينة وغيرهم قد نهبوه ليلة الواقعة ولم يبقوا فيه سوى كرسي كبير من خشب في القاعة المعدة لجلوسه

﴿ قبة المهدي وقبره وجثته ﴾ وخرجنا من بيت الخليفة الى قبة المهدي والجامع فاذا هما كما وصفناهما قبل الا أن قنابل الجيش قد هشمت قمة القبة وجانباً من جوانبها العليا وفتحت فيها عدة ثغور . واما قبر المهدي فقد كان محاطاً بدرابزون من التماس الا ان الرداء الذي كان يغطيه مأخوذ عنه . وفي ١٨ سبتمبر لغمت القبة فسقطت الى الارض ولم يبق قائماً منها الا اركانها الاربعة . ونبش قبر المهدي واخرجت جثته فحمل رأسه الى معرض التحف بلندن وبعثت عظامه

﴿ بيت يعقوب ومال الخليفة ﴾ ثم ذهبنا الى بيت يعقوب قرب بيت الخليفة حيث كان يظن ان مال الخليفة محفوظ فيه فوجدنا عدة مخازن ملاءى بالموئن والذخائر كالدرّة والبن والقرب وسروج الجمال والجبب والسيوف والحراب والحدود ونحوها واتينا المخزن الذي كان يحفظ فيه المال فوجدنا بابه مخلوعاً والصناديق التي فيه فارغة وبينها صندوق صغير قيل كان فيه المجوهرات الكريمة التي غنمها الدراويش من الخرطوم والحبشة ولم نجد من المال سوى كيس من « خيش » فيه ٤٠٠

ريال مجيدي فسألنا الخفراء عن ذلك فقالوا انهم منذ اتوا مساء الواقعة وجدوا الباب مخلوعاً وصدق قولهم بعض الاهالي فقالوا ان بعض رجال يعقوب لما علموا بقتله اسرعوا الى منزله فخلعوا الباب وحملوا ما استطاعوا حمله من المال وفرّوا هارين
﴿ بيت الامانة ﴾ ثم ذهبنا الى بيت الامانة قرب بيت يعقوب فوجدنا مخازن كبيرة من البارود تحت الارض واشياء شتى من التحف والمهمات الحربية بينها مدفع وعدة صناديق جبخانة وخمس عربات كانت للحكمدارية والمرسلين الكاثوليك في الخرطوم ونحو ١٠٠ تقارة من تقاير اهل البلاد جمعها الخليفة بعد استيلائه على الملك لكي يحصر السلطة كلها في يده ولا يكون في البلاد رأس يجمع للحرب غيره .
وكان بينها تقارة كبيرة مكتوب عليها : « ملك السلطان بادي بن نول سنة ١١٦٧ هـ » وهو الملك السادس عشر من ملوك سنار الملقب بابي شلوخ الذي اشتهر في حرب الحبشة وقد مر في تاريخ سنار . وتقارة الخليفة (المنصورة) موضوعة على دكة مرتفعة على شكل نصف دائرة عند مدخل باب البيت يصعد اليها بسلم كانت تضرب عند اجتماع رجاله للعرضة . وفي احدى الغرف الكبيرة معرض للتحف والغنائم الحربية وقد جعلوا ما غنموه من كل دولة على حدة فترى هناك غنائم من المصريين والاحباش والتليان والبلجيك والشلوك وبين هذه الغنائم صندوق صغير عليه ورقة صغيرة مكتوب عليها هكذا : « هذا الصندوق داخله الاصناف الآتية ادناه المحضرة من بحر الجبل برفقة سعيد صغير في شهر ربيع آخر سنة ١٣١٤ هـ - نيشان . ميزان هوا . ختمان . بوسطة ووقائع » ففتحت الصندوق فلم أجد فيه غير « البوسطة والوقائع » وهي جرائد افرنسية وتحارير خصوصية لبعض الضباط البلجيك من اقاربهم في اوربا والى شرق بيت الامانة بيت مال الحرية وفيه معمل الخرطوش والاسلحة الصغيرة واما معمل البارود فقد كان في جزيرة توتي . وكان هناك اسدان كبيران نقلنا الى حديقة الحيوانات بمصر

﴿ بيت المال ﴾ ثم ذهبنا الى بيت المال فوجدنا فيه نحو ٢٠٠ قنطار من العاج أتى بها من خط الاستواء . ومحل الضرب بخانة وفيه ٨ قوالب « تمغة » العملة و٣ صناديل

٣ مرزبات و ١٥ سندالاً من سناديل الصياغ و ١٥ مطرقة حديد و ١٥ ماشة حديد و ١٥
نفاخ جلد و ٥ مبارد مثلة لبرد العملة * و مطبعة الحجر التي غنموها من الخرطوم
واستعملوها لطبع مناشير المهدي ورواتبه ثم لطبع مناشير الخليفة وكتب اخرى واهم
ما طبع فيها غير منشورات المهدي ورواتبه : رسالة حسن سعد العبادي ورسالة العوام
ورسالة الشيخ الحسين ابراهيم ولد الزهراء و منشور منع الظلم للخليفة وكتاب الزوجية
في الميراث وكتاب النصائح المرسلة الى الجهات البحرية و منشور ترك الاسلحة
النارية و دعوة رمضان والجزء الثاني من تاريخ فتوح الشام * اما منشورات المهدي فقد
طبعت في جزئين ووزعت على الجهات

﴿ سجن الخليفة ﴾ و بعد الواقعة بايام ذهبت الى السجن مع قومندان ام درمان
لاتقاز باقي المسجونين فاذا هو عبارة عن حوش متسع محاط بسور من الحجر وفي وسطه
بعض الاكواخ من الطوب والطين وكان الباقي فيه من الـ ٨٨ سجيناً نحو ٤٠ رجلاً
وكان بعضهم مقيداً بالمكنكي و بعضهم بالمكنكي والجنازير و بعضهم بلا قيد فأمر
القومندان باطلاق سراحهم ففكوا قيودهم بالحجارة والعصي وانطلقوا وهم يدعون
للحكومة بالنصر والتأييد . وكان اهم من في السجن عدا ابراهيم باشا فوزي والمستر
نوفل المار ذكرهما : الشيخ محمد شريف نور الدائم استاذ المهدي وقد سجن لعدم
ولائه للخليفة والعوض المرضي و ابراهيم رمضان لاثامهما بمحاولة الفرار و ابراهيم
محمد حمزه لاثامه بالمساعدة على اتقاز سلاطين باشا وحسن سرفام كدوك كبير
البرته لانه علم بفرار سلاطين ولم يخبر به وبولص صليب من كتاب الحكومة
في الخرطوم لانه زوج ابنته لرجل من الاقباط بعد ان أمر بحفظها للخليفة وحمد
محمد الملك من دقله لعدم ولائه للحكومة التعايشي

﴿ أسرى الحكومة ﴾ وكان في ام درمان نحو ١٤٠٠ رجل من الموظفين الملكيين
والضباط والعساكر النظامية والباشبوزق الذين وقعوا في أسر الدراويش واهمهم
عدا ابراهيم باشا فوزي : القائم مقام محمد بك اسكندر والملازم يوسف افندي منصور
والميرالاي النور بك محمد والقائم مقام عثمان بك الدالي والقائم مقام السيد بك جمعه

والدكتور احمد افندي زكي من اطباء الخرطوم * ذلك ما عدا ٨٠٠ عائلة من عيال الضباط والملكين الذين توفوا في أثناء الحصار أو بعد الاسر * وكان فيها ٥٣ رجلاً من التجار الاروام والتليان والشوام والارمن واليهود واكثرهم من الاروام وقد عرفوا بالمسلمانية كما مرّ وسكنوا حياً خاصاً بهم فكان انظف احياء المدينة واجملها وقد غرس البعض في دورهم الليون البرتقال والحامض والحناء وأهمهم: الخواجه يوسف الشبخاني اللبناني المشهور بالمروءة والوفاء ولين العريكة وجورجي اسطمبوليه المار ذكره ونعوم عيجي الحلبي ومعهم الراهبة تريزة من راهبات المرسلين النمساويين في الايض وقد أمرها الخليفة بالزواج فخافت اذا امتنعت عنه ان يزوجها رجلاً من اهله فتزوجت بتاجر رومي مسيحي و بنت جورجي بك الحكيم الذي قتل في واقعة هكس وقد تزوجت برجل رومي آخر فأرسل السردار جميع هؤلاء الاسرى الى مصر * وكان في ام درمان من الاحباش الذين وقعوا في أسر التعايشي ٢٣٣ نفساً فأرسلهم السردار الى الحبشة عن طريق مصر ومصوع

﴿ موظفو السودان » والمهايات » والتعويضات والرّجع ﴾ وانها لت طلبات الاسرى وغيرهم من سكان السودان على المالية المصرية فمن طالب ماهية في أثناء الثورة ومدة الاسر ومن طالب ديناً اسلفه للجيش مدة الحصار وذلك بموجب رّجع محفوظة في يده او مفقودة منه ومن طالب تعويضاً على ما فقده من الاموال بسبب الثورة فانقسمت طلباتهم الى ثلاثة انواع: ماهيات ورّجع وتعويضات أما المهايات فقد سعى السردار مع المالية فوزعت على الموظفين الملكية والعسكرية من باشبورق ونظامية وعلى عيال المتوفين منهم ٢٩ الف جنيه وذلك بنسبة ماهياتهم وسني خدمتهم وكفاءتهم * وأما الرّجع فقد وُزّع على أصحابها ٤٠ الف جنيه. وأما التعويضات فقد نظر في كل طلب على حدة وكوفئ المستحق منها

﴿ حادثة مارشان واحتلال فاشوده في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٨ ﴾

﴿ مارشان في فاشوده ﴾ اتصل بنا قبل وصول الحملة الى ام درمان ان جيشاً من البيض جاء من الجنوب فاحتل فاشوده وان الخليفة أرسل سرية من

انتصاره في وابورين واحد عشر مركباً ومدفعاً بقيادة سعيد صغير الجملي لطرده منها .
فلما دخلنا ام درمان تأكدنا الخبر . وبعد الواقعة بأسبوع أي في ٩ سبتمبر اقبل احد
الوابورين « التوفيقية » وهو يظن انه يجد الخليفة فوجد السردار وقص عليه الخبر
فقال : « وصلنا تجاه فاشوده صباح ٢٥ اوغسطس فوجدنا البيض قد تحصنوا في
طابنتين فرميناهم بالقنابل والرصاص فأجابونا بالرصاص ودام القتال الى قرب الغروب
فقتل منا ٣١ رجلاً وجرح ٦٠ ووجدنا أن لا قدرة لنا على حربهم فاثنتيناهم الى
الرنك وجئت بهذا الوابور لاخذ المدد » فشرع السردار في الاستعداد للزحف
على فاشوده . وفي فجر اليوم التالي ١٠ سبتمبر خرج بخمسة وابورات حاملة بلوكاً
من الكامرون هيلندرس واورطتين سودانيتين وبطارية من الطوبجية المصرية ومعه
اركان حربه الباسل الكولونل ونجت مدير المخابرات العام وسار حتى اقبل على الرنك
في ١٥ سبتمبر فلتقاه الدراويش بقنبلة من مدفعهم ففتح مدافعه عليهم فقتل منهم
واسر وكان في جملة الاسرى سعيد صغير امير السرية وغنم وابور « الصافية »
واحدى عشر مركباً

﴿ السردار في فاشودة ﴾ ثم استطرد السير جنوباً نحو فاشوده حتى صار على
١٢ ميلاً منها فأرسل الى رئيس السرية الاوربية في فاشوده كتاباً بتاريخ ١٨ سبتمبر
يخبره بما كان في ام درمان والرنك وانه واصل قريباً لاحتلال فاشوده * وفي صباح
١٩ سبتمبر استطرد السير الى فاشوده فالتقاه في الطريق زورق عليه الراية الفرنسية
فعلم ان هؤلاء البيض هم فرنساويون ثم وصل الزورق وفيه بعض العساكر السود ومعه
كتاب من الموسيو مرشان الى السردار يهنئه بالنصر على الخليفة ويخبره ان حكومته
اوغزت اليه فاحتل بحر الغزال الى مشرع الريك ثم جاء الى فاشوده فاحتلها في ١٠
يوليو وعقد معاهدة مع ملكها عبد الفضيل على ان يكون تحت حماية فرنسا ثم ذكر
له انتصاره على الدراويش وانه بعث يطلب المدد من فرنسا بطريق الحبشة وطريق
بحر الغزال وكان مع مرشان تسعة ضباط فرنساويون فيهم الكبتن جرمان و ١٢٠
عسكرياً من عبيد النيجر . فلما وصل السردار تجاه فاشوده جاءه مرشان الى الوابور ومعه

الكبتن جرمان فحياهما وهنأهما بالسلامة. ثم التفت الى الماجور مرشان وقال اني مأذون ان اصرح لك بان وجود الفرنسيين في فاشوده وفي وادي النيل يعد تعدياً صريحاً على حقوق مصر وبريطانيا العظمى واني بحسب الاوامر المعطاة لي اقيم الحجة على احتلالك فاشوده ورفعك الراية الفرنسية في املاك الحضرة الفخيمة الخديوية. فأجابهُ الماجور مرشان انما انا عسكري وليس لي الا الطاعة. والامر الذي تلقيته من حكومتي باحتلال بحر الغزال وفاشوده صريح لا يقبل التأويل والآن قد اتممت الامر فلست استطيع ان افعل شيئاً حتى تصدر لي اوامر جديدة. فقال السردار وأنا مأمور من حكومتي ان أرفع الراية المصرية في فاشوده فهل أنت مستعد بالنيابة عن الحكومة الفرنسية ان تقاومني ثم قال والرجاء ان لا تبدي الحكم النهائي قبل النظر ملياً في الامر واذا قررت اخلاء فاشوده والنزول الى مصر عن طريق الخرطوم فاني اعطيك وابوراً من هذه الواهورات تنزل فيه. فرفض مرشان بتاتاً اخلاء فاشوده قبل الوقوف على اوامر حكومته بهذا الشأن وقال للسردار اني لا اصادك في رفع الراية المصرية على فاشوده بشرط ان تبقى الراية الفرنسية في مكانها ثم قال وانا عالم بضعف قوتي بالنسبة الى قوتك ومع ذلك فاذا اخرجتني وقررت انزال الراية الفرنسية بالقوة فاني ادافع عنها الى ان أموت أنا ورفاقي تحتها. ف رضي السردار بترك الراية الفرنسية في مكانها ورفع الراية المصرية على ٥٠٠ يارده منها في الطرف الجنوبي من الطاية القديمة المصرية ثم اطلق ٢٠ مدفة تحية لها ووضع عندها اورطة من العساكر السودانية و ٤ مدافع ووابور حربي بقيادة الماجور جكسن وكان ذلك الساعة الاولى بعد ظهر ذلك اليوم. ثم تقدم الى سبت فبلغها بعد ظهر ٢٠ سبتمبر فأسس فيها طاية على شاطئ النهر الغربي عند التقائه بالنيل الابيض ورفع فوقها العلم المصري ووضع فيها نصف اورطة سودانية وارسل بلوكاً من العساكر فاحتل الناصر وانتقل راجعاً الى ام درمان فوصلها في ٢٤ سبتمبر وعسكر بالجيش في خور شمبات

✽ زيارة الجنرال غرنفل لام درمان ✽ وقدم في هذا اليوم من مصر الجنرال

غرنفيل السردار السابق وقومندان جيش الاحتلال العام فكث اياماً فشاهد محل الواقعة وتفقد الاحوال وعاد الى مصر

﴿ اخلاء مارشان لفاشودة ﴾ وعرض السردار امر مرشان تلغرافياً الى مصر فاعترضت الحكومة المصرية رسمياً بلسان بطرس باشا غالي ناظر خارجيتها على احتلال فرنسا لفاشودة وسألت الحكومة الانكليزية ان تساعد على ذلك . فطلبت الحكومة الانكليزية من الحكومة الفرنسية اخلاء فاشودة وجاھرت بأنه ليس لدولة اوربية حق في أي جهة من جهات النيل . وكان مرشان قد ارسل الكبتن جرمان بتقريره الى فرنسا ثم جاء بنفسه الى مصر لتلقى اوامر دولته فرأت دولته بعد النظر ملياً في الامر ان الحكمة والسداد يقضيان باخلاء فاشودة فأصدرت امرها الى مرشان فرجع الى فاشودة واخلاها في ١١ ديسمبر سنة ١٨٩٨ وعاد الى فرنسا عن طريق سبت والحبشة

﴿ رجوع السردار الى مصر ﴾ وقام السردار واركان حربه من ام درمان في ٣ اكتوبر سنة ١٨٩٨ فسافر بجرّاً الى الاتبرة ثم بسكة الحديد الى حلفا فبحراً الى اصوان فبسكة الحديد الى مصر فوصلنا مصر صباح ٦ اكتوبر بعد سفر ٣ ايام بلياليها وهذه اول مرّة وصل فيها المسافر من ام درمان الى مصر بهذا الوقت القصير منذ قام العالم * ثم بنى جسراً (كوبري) على الاتبرة اقامه على ٨ ركائز وفتح في ٢٦ اغسطس سنة ١٨٩٩ . وشرع في مد سكة الحديد الى الخرطوم فتمت في آخر يوم من سنة ١٨٩٩ فزادت المسافة قصراً وستقصر ايضاً بعد وصل سكة حديد اصوان بسكة حديد حلفا في المستقبل القريب ان شاء الله

﴿ مكافأة السردار ومدير المخابرات ﴾ وقد دلت اعمال السردار في فتح الخرطوم وجميع الفتوحات التي تقدمته على مقدرة فائقة في الاقتصاد المالي والادارة العسكرية كما دلت على براعة تامة في الفنون الحربية فكافأته حكومته بلقب لورد وخيرته باللقب الاضافي فاختر الخرطوم فسمى اللورد كنشراوڤ خرطوم

وكان الكولونل ونجت مدير المخابرات العام يده اليمنى في هذه الفتوحات كلها فرقته حكومته في جيشها ومنحته نيشان القديسين ميخائيل وجورج مع لقب

« سر » ورتي في الجيش المصري الى رتبة لواء مع لقب باشا وسمي ادجوتانت جنرال للجيش المصري وذلك في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٩٨

احتلال القضايف في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨

خرج احمد فضيل قاصداً ام درمان ثم تقدم ان الخليفة بعد احتلال الجيش لدنقله اتي باحمد فضيل من القضايف للاستعانة به على الجيش فلما أخذت الحكومة المصرية كسلة من التليان سنة ١٨٩٧ ظن انها ترسل جيشاً منها على القضايف فأخرج من جيش احمد فضيل رايتي فضل الحسنة وعبدالله حامد فضمهما الى جيش محمود كمار وارجمه الى القضايف ليقف في وجه جيش كسله . ثم كانت واقعة الاتبرة وزحف السردار على ام درمان ولم يتحرك جيش كسله من مكانه فأمر احمد فضيل فأبقى في القضايف حامية مؤلفة من نحو ٣٠٠٠ مقاتل بقيادة سعد الله التعايشي ومعه النور عنقرة المشهور للوقوف في صدد جيش كسله وسار هو بمعظم القوة أي بنحو ٤٠٠٠ مقاتل من السود والعرب المسلمين بالبنادق الرمتون طالباً ام درمان لانجاد الخليفة ولكنه ما وصل رفاة على النيل الازرق حتى كانت واقعة ام درمان واصبحت البلاد كلها بيد السردار

واقعة القضايف وكان السردار قبل سفره الى فاشودة قد علم بخروج احمد فضيل من القضايف فأرسل امراً الى بارسونز باشا بالزحف على القضايف وأوعز الى هنتر باشا بالذهاب بالوابورات في النيل الازرق لمراقبة حركات احمد فضيل ورفع الرايتين المصرية والانكليزية على سنار والرصيرص . فخرج بارسونز باشا من كسله في ٧ سبتمبر ومعه ١٤٠١ من العساكر النظامية و ٢٨ ضابطاً مصرياً و ٨ ضباط انكليز ونحو ٨٥٠ من العربان المتحابة من الشكرية وبني عامر والهدندوه فاعترضه نهر الاتبرة في الطريق فصنع اطواقاً من الخشب وعبر بها النهر عند الفاشر وأما الجمال والخيول فقد عبرت النهر سباحة وسار عن يسار الاتبرة الى ان انتهى الى جزيرة المقطع في ١٨ سبتمبر وكانت « دورية » الدراويش قد جاءت من القضايف لمراقبة حركاته فقتل منها ٣ واسر ٧ وسار قاصداً القضايف حتى أتى تلة مشرفة عليها في صباح ٢٢ سبتمبر

فرأى الدراويش قد خرجوا اليه مصطفىين للقتال فأشعل فيهم ناره ودارت رُحى الحرب بين الفريقين فدامت الى الساعة العاشرة ونصف اذ انهزم الدراويش وتشتت شملهم. وتقدم بارسونز الى القضايف فخرج النور عنقرة بمدفعين و١٥٠ رجلاً وسلم له وكان يده كتاب الامان من ادارة مخابرات الجيش اذا خرج مسلماً عند مجيء الساعة فأراه الكتاب فأمنه ودخل القضايف عند الظهر

﴿ رجوع احمد فضيل الى القضايف ﴾ أما هنتر باشا فانه عند صدور أمر السردار اليه بمراقبة احمد فضيل لم يكن عنده من الواورات الا واور واحد فأرسله بقيادة الشريف الماجور تلبوت فالتقى باحمد فضيل قرب ابي حراز فرماه بالقتال وابعده عن النيل ولم يمكنه من العبور الى الجزيرة فعسكر في الصحراء على ٨ اميال من ابي حراز وهناك علم باحتلال جيش كسله للقضايف فاقبل راجعاً الى القضايف وهاجها في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٩٨ هجمة صادقة من كل الجهات وكان جيش الحكومة قد تحصن في ثلاث طواب من بناء الدراويش فتلقاه بنار حامية وصدهجمات المتابعة العنيفة المرة بعد المرة وردّه خائباً بخسارة ٥٠٠ رجل فقعد لحصار القضايف في جبل عصّار على ٨ اميال جنوبها وارسل « الدوريات » لقطع طريق الجيش الى كسله. وفي اواسط اكتوبر سنة ١٨٩٨ التقت « دورية » من جيشه بنفر من العساكر يخفرون خزينة فيها ١٦٠٠ جنيه مرسلة من كسله فانقضت على الخفراء وقتلت منهم وحملت الخزينة الى عصّار. وكان مع الخفراء أمين افندي حداد مترجم اللواء بارسونز باشا فبذل الجهد في تخلص الخزينة فلم يفلح فنجا بنفسه ﴿ احتلال سنار والرصيرص ﴾ وفي ١١ سبتمبر خرج هنتر باشا في النيل الازرق فأسس نقطة في سنار ونقطة في الرصيرص وقفل راجعاً الى ام درمان في ٢ اكتوبر ﴿ واقعة الرصيرص في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٩٨ ﴾ وكان السردار قد عاد اليها من فاشودة في ٢٤ سبتمبر كما مرّ فلما علم برجوع احمد فضيل الى القضايف ارسل رندل باشا رئيس اركان حربه بجيش من العساكر في النيل الازرق لمطاردته والاتحاد مع جيش القضايف على سحقه. فلما وصل رندل الى ابي حراز ارسل سرية من جيشه

الى القضايف بقيادة القائمقام كولنسن بك فسار بطريق القلعة أرانج ووصل القضايف
في ٢٢ اكتوبر سنة ١٨٩٨

فأخذ بارسونز اذ ذاك في الاستعداد للخروج على احمد فضيل في عصار اما
احمد فضيل فانه تيقن بعد وصول المدد الى القضايف انه لا يقوى على أخذها
فأقر على تركها والحق بالخليفة فخرج من عصار في ظهر ٢٣ اكتوبر قاصداً
الرصيرص للعبور منها الى الجزيرة فهجرة ابو بكر دود بنقة من امراء دارفور بنحو
الف مقاتل وانضم الى بارسونز باشا فبقي معه نحو ٣٠٠٠ مقاتل ما عدا النساء
والاولاد فسار بهم الى شلال الرصيرص وشرع في اجتياز النيل الازرق الى الجزيرة
فأتاه الميرالاي لويس بك قومندان حامية الرصيرص بنحو خمسمائة رجل من
الاورطة العاشرة السودانية ومدفعين مكسيم وكان قد عبر بنحو نصف جيشه الى
الجزيرة فأشعل النار في من بقي في البر الشرقي فرمي البعض بأنفسهم في النيل وثبت
البعض فدافعوا مستقتلين حتى قتلوا ووقع الباقون اسرى. وفي اثناء ذلك كان احمد
فضيل ورجاله الذين اجتازوا النيل معه الى البر الغربي قد اصطفوا على الشاطئ
وفتحوا نيرانهم على العساكر حامية لآخوانهم في الشرق فقتلوا من العساكر وجرحوا
فحول العساكر مدافع المكسيم عليهم فأسكتوهم وهزموهم

﴿ القتلى والاسرى ﴾ وكانت خسارة الجيش ٢٨ قتيلاً و ١١٨ جريحاً وأما
خسارة العدو فكانت ٥٠٠ قتيل ما عدا الذين غرقوا في النيل . وأسر الجيش
نحو ٣٠٠٠ نفس من الرجال والنساء والاولاد وغنم شيئاً كثيراً من المواشي والخراب
والسيوف . وكانت هذه الواقعة التي عرفت بواقعة الرصيرص في ٢٦ ديسمبر سنة
١٨٩٨ * وفي اليوم التالي عاد الجيش الى الرصيرص واما احمد فضيل فانه سار بمن
بقي من رجاله الى النيل الابيض فالتقوا بوابور المتمة آتياً من فاشودة وكانوا قد
تعبوا وجاعوا وسئموا عيشة القتال والفرار من مكان الى مكان فسلم اكثرهم
الى الوابور في ١٧ يناير سنة ١٨٩٩ واجتاز احمد فضيل النيل بمن بقي فانضم الى
الخليفة عبد الله الذي كان لا يزال يتنقل في جبال النوبة كما سيحي.

احتلال القلابات في ٧ ديسمبر سنة ١٨٩٨

و بقي بارسونز في القضايف الى ان جاءه الامر باحتلال القلابات فأرسل اليها الميرالاي كولسن بك فاحتلها ورفع عليها العلم المصري والعلم البريطاني في ٧ ديسمبر سنة ١٨٩٨ * وكان الحبشة قد احتلوها قبله ورفعوا عليها علمهم بحجة ان مصر تركتها لهم سنة ١٨٨٥ فأخبر كولسن حكومته بذلك فدارت المفاوضات السياسية بين مصر والحبشة بهذا الشأن وانتهت برجوع الحبش عن القلابات وبقائها للسودان كما كانت في الاصل ثم فتحت فيها سوق وضربت العوائد على حاصلات السودان والحبشة فكان نصفها لحكومة السودان والنصف الآخر لحكومة النجاشي

احتلال الجزيرة وسنار وفازوغلي سنة ١٨٩٨

وكان في الجزيرة احمد السني عاملاً في ود مدني ومعه نحو ٨٠٠ مقاتل فسلم للماجور تابوت في ١٥ سبتمبر عند مجيئه لمطاردة احمد فضيل كما مر * وكان فيها ايضاً صالح حمادو التعايشي محافظاً بثلاثمائة مقاتل ومعه الشيخ عبد الرحيم ابو دقل شيخ عربان الحمر فسلم الشيخ عبد الرحيم للشيخ الطاهر ود العبيد * وأما صالح حمادو فانه لم يسلم الا بعد ان جال في الجزيرة ورأى عجزه عن الفرار فسلم في ١٥ ديسمبر سنة ١٨٩٨

تسليم الخليفة شريف في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٨ * وتخلف الخليفة شريف واثنان من اولاد المهدي وهما الفاضل والبشرى عن الخليفة عبد الله عند جزيرة ابا فسلموا للبكباشي بليوت الذي ذهب من الدويم لاستقبالهم

جبال الفونج * وكان على الفونج محمد سرور وهو من سلالة الهمج الا انه لم يكن وارث الهمج وانما كان وارثهم ادريس رجب وقد حبسه الخليفة في ام درمان فاعطاه مدير المخابرات الامان وارسله الى الجبال فحكمها باسم الحكومة

وكان هنتر باشا قد احتل سنار والرصيرص في شهر سبتمبر سنة ٩٨ كما مره فتقدمت عساكر الحكومة الى فازوغلي فاحتلتها وأسست نقطة في فامكه في ٢٢ يناير سنة ١٨٩٩ * وأما بني شنقول فانها بقيت بيد الحبشة كما تقدم الكلام

احتلال بحر الغزال سنة ١٩٠٠

الفرنساويون في بحر الغزال تقدم ابن الدراويش اخلوا بحر الغزال في اكتوبر سنة ١٨٨٦ فصارت الى اهلها وان فضل النبي اصيل غزاهم في اوايل سنة ١٨٩٣ فقتلوه . وفي ١٤ يوليو سنة ١٨٩٤ عقد الفرنسيون اتفاقاً مع حكومة الكونغو على ان تكون بلاد بحر الغزال ضمن دائرة نفوذهم وأسسوا قطعاً حربية في ديم الزير وبحر العرب واورمبيك واياك ومشروع الريك وغيرها ثم تقدموا الى فاشودة فاحتلوها حتى تقرر خروجهم منها ومن بحر الغزال سنة ١٨٩٨ كما مر

وكان السردار لما جاء الى سبت امر الماجوريك بالذهاب الى مشروع الريك ورفع علم الحكومة عليها فخرج من سبت في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٨ وسار حتى صار على بضعة اميال من مشروع الريك فمنعه السد عن مواصلة السير فرفع الراية المصرية هناك وعاد ثم فتح السد ولكن لم يتيسر للحكومة احتلال بحر الغزال الا في اواخر سنة ١٩٠٠ فأرسل السردار الحالي اللواء سباركس باشا بسرية من العساكر فوصل مشروع الريك في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٠ واحتل بلاد بحر الغزال فجعل عاصمتها واو

وقائع خط الاستواء سنة ١٨٨٩ : ١٨٩٨

مر بنا ذكر وقائع خط الاستواء الى سنة ١٨٨٩ اذ كان عمر صالح اميراً على الرجاف من قبل الخليفة وفضل المولى مقيماً في ودلاي مع بقية جيش امين باشا . وفي سنة ١٨٩٢ ارسل الخليفة أبا قرجة عاملاً على الرجاف وجعل المختار من اقاربه رقيباً عليه وفي ايامه حضر البلجيك الى بحر الغزال وخط الاستواء وأسسوا قطعاً حربية فكتب المختار الى الخليفة يخبره بقدمهم الى خط الاستواء وانحراف ابي قرجة عن التعايشة . فأرسل الخليفة عربي دفع الله عاملاً على بحر الجبل فوصل الرجاف في ١٠ ربيع ثاني سنة ١٣١١ هـ ٢١ اكتوبر سنة ١٨٩٣ بعد سفر شهرين و ١٢ يوماً وما أبطأ أن قبض على ابي قرجة وزجه في السجن

وكان البلجيك قد ادخلوا فضل المولى وعساكره في خدمتهم على شروط معلومة بتاريخ ١٩ اكتوبر سنة ١٨٩٢ فصمم عربي دفع الله على طردهم جميعاً من

البلاد فسار اولاً الى فضل المولى وكان مقيماً قرب ودلاي فقتله وشتت شمله
وغنم ما كان معه من اسلحة وجبخانه وكتب وغيرها وارسلها الى الخليفة * وكان
قد طلب مدداً من الخليفة فأرسل اليه عمر صالح العامل الاسبق ومحمد حمدنا الله
وبعض الانصار في ثلاثة وابورات فخرجوا من ام درمان في اوائل سنة ١٣١٢ هـ
فاعترضهم السد في الطريق ففتحوه بعد كل جهد ومشقة الى شامي وبعثوا رسلاً
منها الى عربي دفع الله وكان قد استبطأهم وأتى الى بور يتنسم اخبارهم فلقية
الرسل في بور فاخبروه بحبس السرية في شامي وانها في أشد الضنك مما تقاسيه
من العري والجوع والمرض فأتاهم بزاز وحاول فتح السد من شامي فلم يفلح
فأعاد الوابورات الى الخليفة وأتى بمن بقي من جماعة عمر صالح ومحمد حمدنا الله الى
الرجاف * ثم جمع جيشه وهاجم البلجيك في نقطهم الغربية فأوقع فيهم ٣٠ وقعت
كان النصر له فيها جميعاً

﴿واقعة الرجاف في ١٤ فبراير سنة ١٨٩٧﴾ فجهز البلجيك سرية من العساكر
بقيادة الموسيو شلتن ونزلوا على الرجاف يوم الاثنين في ١٥ فبراير سنة ١٨٩٧ فأوقعوا في
عربي دفع الله واقعة عنيفة وطرده من الرجاف واحتلوها مكانه وكانت خسارة
البلجيك ١٠٠ قتيل و ١٦٠ جريحاً واما خسارة الدراويش فكانت ٩٣ قتيلاً وفيهم
عمر صالح ومحمد حمدنا الله ومحمد الطربني وعلي ودفايت والبدوي ود العريق
وكان محمد عثمان ابو قرجه ومحمد خالد زقل واسماعيل شجر الخيري قد لجأوا الى البلجيك
سنة ١٨٩٦ فلم يبق مع عربي سوى ٤٠٠ رجل وكلهم من عامة الانصار وليس معهم
سوى اسلحتهم وقليل من الجبخانه فانهم بهم الى بور وبعث بالخبر الى الخليفة ولكن
كتبه لم تصل بلاد فاشوده حتى كان السردار قد احتل ام درمان وسار في النيل
الايض فالتقى الرسول في الطريق واخذ منه الكتب

﴿عربي دفع الله﴾ اما عربي دفع الله فانه لما علم بقدوم الجيش وفرار الخليفة
من ام درمان فر بجيشه الى شكا فارسل السردار بعضاً من الباشبوزق لمطاردته ففر
منهم الى بلاد فرتيت ثم انضم الى علي دينار في الفاشر

﴿ زقل وابوقرجه واسماعيل شجر الخيري ﴾ اما زقل وابوقرجه واسماعيل شجر
الخيري فانهم اتوا مع قافلة من التجار الى وداي واستجاروا بسلطانها فمات اسماعيل شجر
الخيري هناك ولجأ زقل وابوقرجه الى علي دينار . ثم قيل ان زقل أغرى بعض
الامراء بقتل علي دينار فعلم به هذا فقتله وأما ابوقرجه فلا يزال عنده الى الآن
﴿ حملة الكولونل مارتر من اوغنده ﴾ وكانت الحكومة الانكليزية عند قيام
السردار لفتح ام درمان أمرت الكولونل مارتر والماجور مكدونلد من مقاطعة اوغنده
فخرجوا بسرية من العساكر لمقابلة حملة السردار ومساعدته على طرد الدراويش من
وادي النيل . فلما أتى السردار الى سبت في ٣٠ سبتمبر ارسل اليهما كتاباً بما كان
فكتب مارتر من الدفلاي بتاريخ ٢٩ سبتمبر سنة ٩٨ يقول انه اوصل قطع الواور
الى اللابوره وسيقدم شمالاً الى ان ياتي السردار * أما السردار فانه أمر الماجوريك
بعد ان عاد من سفرة بحر الغزال ففتح السد في بحر الجبل بعد معاناة مشاق جمة
واسس نقطة في منجلا شمالي اللادو جعلت آخر حد السودان المصري الانكليزي *
وأما القسم الجنوبي من خط الاستواء فألحق باوغنده وأعطيت اللادو وما حولها
ملك الباجيك على ان تعود للانكليز بعد وفاته

— الخليفة بعد واقعة ام درمان سنة ٩٨ : ١٨٩٩ —

لا تقطن ذنب الافي وترسلها ان كنت شهماً فاتبع رأسها الذبا

﴿ حملة الكولونل كتشير على الخليفة في ٢٢ يناير سنة ١٨٩٩ ﴾ تقدم ان الخليفة
فر من واقعة ام درمان وسار جنوباً متخذاً طريق الصحراء واستمر على الفرار حتى
وصل « اباركبه » فأقام فيها بأتباعه وكتب الى الختيم موسى الذي ابقاه محمود حامية
في الابيض فانضم اليه بانصاره وبعض العائلات التي ابقاها محمود في بارة . وكتب
الى مشايخ النوبة وكردوفان للانضمام اليه ولكن قل من أجابه . وكتب الى احمد فضيل
كتاباً هذا نصه بعد البسملة :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله بن محمد خليفة
الصديق الى المكرم احمد فضيل كان الله له وتولاه آمين . بعد السلام عليكم ورحمة

الله وبركاته فنعلمك أيها الحبيب انا عنك سائلون ولك بالخير والبركة داعون وما
زلت ملحوظاً منا بعين الرضى ومزيد الاكرام لما انت عليه من القيام بأمر الدين
وبذل الهمة فيه فجزاك الله عن ذلك خيراً وهداك سيراً وشكر مسعاك وحفظك
وتولاك . ثم نعلمك ايها الحبيب اننا بحمد الله تعالى فمين معنا من الانصار بنخير وقد
انخرنا عن الاعداء بعد حصول الحرب بيننا وبينهم الى جهة دار الجوامعة بنواحي
الحل المسمى بالغبشه فنحن الآن به في أمن وأمان ومزيد اطمئنان وليس القصد من
حضورنا في هذه الجهة المذكورة الا التحيز عن الاعداء أخذاً بالحزم والا فليس
القصد ان شاء الله تعالى الا اعادة الكرة على الاعداء المخدولين ومحاربتهم حتى ينتصر
الدين ان شاء الله تعالى ويهلك الكافرون . ثم ليكن بعلمك ايها الحبيب ان ما حصل
للاعداء المخدولين فهو محض استدراج لهم واختبار وتمييز للمؤمنين من الله كما قال
تعالى « ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم
البأساء والضرراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين معه متى نصر الله ولقد كان
الصحابه رضوان الله عليهم تكون الدولة عليهم في الاحيان والنبي (صلم) بين ظهرانيهم
حتى انزل الله تعالى في ذلك « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الا علون ان كنتم مؤمنين
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداؤها بين الناس وليعلم الله
الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ولينحص الله الذين آمنوا ويمحق
الكافرين » فالعاقبة للمتقين بمقتضى وعد الله الذي لا يخلف فتقوا بوعده الله تعالى
وأيقنوا بنصره ولا يهمنكم أمر الاعداء فانهم ان شاء الله تعالى أحقر شأننا من ان تهتموا
بهم واضعف كيداً وبعد هذا ان شاء الله تعالى لا تقوم لهم قائمة بل يكون الدين
في نصر وتأيد وقواعد الاسلام في أعز تمهيد وجميع الاصحاب الذين معكم فايكونوا على
يقين من هذا الامر وثبات فؤاد في هذا الشأن واعراض عن سماع اقوال المرجفين
والاصغاء لما يلقيه الشيطان لاوليائه ليرديهم ويلبس عليهم دينهم فان لنا فيما حصل
اسوة باصحاب رسول الله (صلم) فذكروا جميع الاصحاب الذين معكم بذلك وبلغوهم
منا جزيل السلام فرداً فرداً اولاد عرب وجهادية وخصوصاً رؤوس المئات فاقروهم

منا السلام واعلموا الجميع اننا على رضاء تام من جهتهم وانشراح صدر باذلين لهم
الدعاء بالخير والبركة ولا نبهام احوالكم علينا قد حررنا لكم هذا الكتاب لكي يوصله
لديكم تفيدونا عن احوالكم تفصيلاً وتعرفونا بما انتم عليه وتعجلوا لنا بذلك لرفع
المشغولية ثم ليكن بعلمك ايها الحبيب اننا قد حررنا لك هذا ونحن في غاية الانشراح
من جهتك والرضاء التام عليك كيف لا وانت من اجل الايادي واعظم الأعوان
المعدودين للقيام بنصرة الدين فاحمد الله على ذلك واشكره والله يجزيك خيراً
ويثيبك اجراً ويهديك سيراً اهـ

فاتي احمد فضيل بن بقي معه من الانصار وانضم اليه في دار الجوامعة كما مر
في حملة الكولونل كتشنر على الخليفة سنة ١٨٩٩ هـ اما السردار فانه اقام جنداً
في الكوة وجنداً في الدويم لحماية النيل . وفي ٢٢ يناير سنة ١٨٩٩ ارسل اخاه الكولونل
كتشنر بحملة صغيرة للقبض على الخليفة فوصل ابا ركة في ٢٦ منه فوجد الخليفة قد
فرّ جنوباً ولم يكن هناك الا نفر قليل من اتباعه فأسروهم وعاد بهم الى النيل
في حملة السردار على الخليفة سنة ١٨٩٩ هـ ثم جاءت الانباء ان الخليفة استقر
في جبل قدير وقد اتعب اهل النوبة من عرب وعجم بالغزو والسلب والتعدي فجرّد
عليه السردار جيشاً مؤلفاً من ٨٠٠٠ مقاتل وقصده من طريق كاكافا وصل الجيش
جبل فنقر على نحو ٥٠ ميلاً من كاكافا و ٣٠ ميلاً من جبل قدير حتى فرّ الخليفة
شمالاً فعاد السردار بجيشه الى ام درمان وترك بعض الجند بقيادة الميرالاي لويس
بك يجهلون في النيل في جهة الدويم ليرقبوا حركاته

❦ حملة السررجينلد ونجت باشا على الخليفة سنة ١٨٩٩ هـ ❦

وبعد قليل شاع ان الخليفة قادم لغزو ام درمان فجهز له السردار حملة صغيرة
وولى عليها وكيه السررجينلد ونجت باشا فقادها بما اشتهر به من البسالة والدرية
والاقتدار وفاز بالغرض المطلوب فقتل الخليفة في جديد في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩
واراح البلاد من شره ورفع بذلك تقريراً وافياً الى السردار بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة
١٨٩٩ هذه ترجمته :

واقعة ابي عادل واحد فضيل في ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٩٩

• بناء على امركم لي بالخروج بسرية من الجيش على احمد فضيل والخليفة عبد الله في جهة «جديد» اتشرف بان اعرض لسعادتكم اني خرجت من الفشاشوية (غربي ابا) في ٢١ نوفمبر الجاري الساعة ٤ بعد الظهر ومعى ٣٧٠٠ رجل من السواري والهجانة والبيادة والطوبجية فسرنا ٥ اميال الى الجنوب الغربي حتى كانت الساعة ٦ فاسترحنا الى الساعة ١٠ وكانت الليلة مغمرة فاستطردنا السير على ضوء القمر حتى صرنا على ١٥ ميلاً من أبا وكنا نسير والسواري في مقدمةنا على بعد ميلين منا والهجانة في الساقة والجناحين وقد رأى سوارينا عشرة فرسان من الدراويش فطردوهم ودلت الانباء في الطريق ان احمد فضيل غزا العلوب فغنم منها مقداراً كبيراً من الحبوب واتقلب راجعاً الى الخليفة وكان اذ ذاك في نفيسة على مقربة منا . فلما طلع فجر ٢٢ نوفمبر تركت حملة الجبال في محل حصين وسرت بالعساكر سيراً حرياً قاصداً احمد فضيل في نفيسة ولكن لم نسر الا القليل حتى عاد السواري واخبرونا ان نفيسة خالية من الدراويش فتقدمنا واحتلناها الساعة ٨ صباحاً فوجدنا فيها كمية كبيرة من الدرة ووجدنا رجلاً مريضاً قد تخلف من جيش احمد فضيل فاخبرنا انه خرج من نفيسة الفجر قاصداً ابا عادل على ٥ اميال منا . فارسلت اليوزباشي محمود افندي حسين مع بعض الفرسان لتحقيق الخبر فعاد بعد قليل مصداقاً له فحفت اني اذا تمهات يستطرد احمد فضيل السير جنوباً ويفات من يدنا فجردت عليه حملة بقيادة الكولونل ماهون مؤلفة من السواري والهجانة والعساكر السودانية غير النظامية ومعهم اربعة مدافع مكسيم ومدفعا ميدان وامرتهم أن يسرعوا في المسير اليه ويناوشوه الى ان ادركهم بياقي السرية فاتم الكولونل ماهون الامر بمهارة تامة ولما صار على ٣٠٠ يرد من ابي عادل أتى تلة تشرف على معسكر الدراويش فاشعل فيهم ناره . وكنت بعد خروج الكولونل ماهون قد ارسلت باقي الطوبجية والمكسيم في أثره وسرت وراءهم بالبيادة سيراً حثيثاً فوصلت في الساعة المطلوبة وقد هاجم الدراويش مستقنلين وكانت حزون الارض التي بيننا وبينهم

تحجبهم عنا حتى صاروا على ٦٠ يرداً منا ولكن نيران الطوبجية والمكسيم والهجانة الدائمة حصدتهم حصداً وردتهم على اعقابهم خاسرين . فتقدمت اذ ذاك بالسرية كلها الى معسكرهم في غابة كثيفة حول بركة ماء فخرجوا منه الى سهل يغطيه العشب فتعقبهم البيادة ميلاً ونصف ميل والسواري والهجانة ومدافع مكسيم خمسة اميال فقتلوا واسروا وغنموا . وقد قدرت خسارة الدراويش بنحو ٤٠٠ قتيل واما خسارتنا فكانت قتيلاً من العساكر واربعة جرحى فيهم اليوزباشي مصطفى افندي شاهين

واقعة جديد وقتل الخليفة عبدالله يوم الجمعة في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩

« وبعد الواقعة اصبح ههنا محصوراً في معرفة مكان الخليفة فكانت اقوال المخبرين فيها مضطربة واقربها الى التصديق انه خرج من منهل الحمارة منذ ٣ ايام قاصداً منهل جديد وانه ارسل احمد فضيل ليوافيه بالحبوب الى هناك ويسيروا كلهم شمالاً لغزو ام درمان وعليه خرجنا من ابي عادل نصف الليل فوصلنا منهل جديد الساعة ١٠ من صباح ٢٣ نوفمبر فوجدناه خالياً ولكن لحسن الحظ وجدنا فيه بركة ماء صالحة للشرب ولولا هذه البركة لاضطررنا ان نرجع القهقري . وكنت قد رجحت من اقوال الخبراء في ابي عادل ان مياه هذا المنهل غير صالحة للشرب فارسلت بعض الجمل للاستقاء من النيل ووجدنا في جديد رجلاً فاراً من الخليفة فاخبرنا انه معسكر بجيشه على نحو سبعة اميال الى الجنوب الشرقي من جديد فارسلت اليوزباشي محمود افندي حسين بكتيبة من فرسان العرب المتجابه ليكشف لنا خبره ويعين مكانه فاتم الامر بالاقدام والبسالة كما في المرة الاولى وعاد فاخبر ان الخليفة معسكر في منهل ام دبريكات على بضعة اميال منا . وقد تبين لنا ان احتلالنا لمنهل جديد اوقع الخليفة في مركز حرج جداً لانه لم يعد بسبينا قادراً على المسير شمالاً ولا يستطيع ان يتركنا وراءه ويرجع جنوباً بجموع من النساء والاولاد في قفرٍ وعري لا ماء فيه وزد عليه انه كان في حاجة شديدة الى الحبوب التي اتى بها احمد فضيل واستولينا نحن عليها فلهذه الاسباب ترجح لنا انه يثبت حيث هو وكانت طريقنا في ارض شائكة وعرة مشتبكة الشجر حتى كنا في بعض المحال نفتحها بالفؤوس . ولما كانت الساعة ٣ من الصباح

اخبرنا الكشافة ان الدراويش على ثلاثة اميال منا وكانت الكولونل ماهون قد استكشف معسكرهم بنفسه وعين موقعه ووقف بالسواري والمكسيم الراكبة عند هضبة عالية على نحو ميلين منا . فانتظم العساكر انتظام الحرب وسرنا بجذرٍ وهدوٍ حتى لم يكن يسمع لنا صوت وفيما نحن كذلك سمعنا اصوات النقاير وبوقت الامبايه تبويق الحرب ثم سكنت بغتة . وفي الساعة ٣ والدقيقة ٤٠ وصلنا الى الهضبة التي وقف السواري والمكسيم عندها فابدلنا بكشافة السواري كشافة بيادة ومكثنا ننتظر بزوغ الفجر . فلما كانت الساعة ٥ والدقيقة ١٠ من الصباح وذلك عند اول طلوع الفجر رجع الكشافة البيادة الينا ورأينا صفوف الدراويش مقبلة نحونا من بعيد فاستعد العساكر على خط النار للقتال . وفي الساعة ٥ والدقيقة ١٥ بدأت المدافع والمكسيم باطلاق النار وتبعها البيادة فشرعوا كلهم في اطلاق النار دفعة واحدة وكان نور الفجر لا يزال ضعيفاً فلم نتمكن من مراقبة حركات الدراويش بالدقة ولكن رأينا من نيرانهم التي كانت تزداد من جهة الشمال انهم كانوا يتحركون نحو تلك الجهة بقصد مهاجمتنا من الورا فآخذ عساكر المينة يتحركون رويداً الى الامام وعساكر الميسرة يمدون خط النار الى جهة الشمال حتى بقي الدراويش تجاهنا ولم يمكنهم ان يدوروا من خلفنا كما أرادوا . وكان كلما انتشع الظلام وأضاء نور النهار زادت حركات الدراويش وضوحاً حتى رأيناهم يهاجمونا زمراً وهم يضجئون بالتهليل والتكبير غير مباين بالموت ولكن نيراننا التي كانت تنصب عليهم بلا انقطاع ردت هجوماتهم واخذت نيرانهم وهزمتهم الى معسكرهم فأخذنا نتقدم رويداً ونحن نتصيد من نراه منهنزماً امامنا حتى كانت الساعة ٦ والدقيقة ٢٥ فأمرت بايقاف النار فأتانا كثيرون منهم مستأمنين فآمناهم . وما زلنا سائرين حتى أتينا معسكرهم فاذا هو في وسط غابة كثيفة على نحو ميل ونصف ميل من محل الواقعة وفيه الوف من النساء والاولاد وبعض الرجال فأتوا الينا مسلمين . واقتفى السواري والهجانة اثر الدراويش ولكنهم ما أبعدوا حتى علموا ان جميع الذين سلموا سلموا الا بعض جهادية الختيم موسى فانهم حاربوا اولاً ثم سلموا

﴿ القتلى والاسرى والغنائم ﴾ « وبعد انجلاء الواقعة وجدنا في ساحة القتال

في طريق الاورطة التاسعة السودانية ثلة من القتلى في بقعة واحدة فسالنا الاسرى
 عنهم فقالوا انهم الخليفة عبد الله التعايشي والخليفة علي ود حلو واحمد فضيل والسنوسي
 احمد اخو الخليفة من امه وهارون محمد اخوه من جارية والصدیق ابن المهدي ويعقوب
 ابو زينبه وحامد ود علي شقيق احمد ود علي وعبد الباقي عبد الوكيل وكلهم من التعايشة
 وبشير عجب الفيه أمير كنانة ورأينا وراهم على مسافة قريبة منهم جثث خيولهم
 واخبرنا يونس الدكيم الذي وجد مختبئاً بين القتلى ان الخليفة عبد الله لما عجز عن
 الوصول الى الجيش أراد ان يدور حوله ولما لم يفلح نزل عن جواده وامر امرأه
 فنزلوا عن جيادهم ايضاً ثم افترش فروته وجلس عليها على عادة فرسان العرب في
 السودان فجالس الخليفة علي ود حلو عن يمينه واحمد فضيل عن يساره وجلس باقي
 الامراء حوله حلقة وجعلوا حرسهم الخاص صفاً واحداً امامهم على ٢٠ يرداً منهم
 ومكثوا ينتظرون الموت بجمان ثابت فلما رأيتهم على تلك الحالة أمرت اهلهم الذين
 وقعوا في الاسر فحفروا لهم حفرة في المكان الذي قتلوا فيه ودفنهم فيها امامي
 (قلت وكان وتسبب بك أول من رأى الخليفة مقتولاً في ساحة القتال فتزع عنه
 جيبته وسيفه قبل دفنه وأتى بهما الى مصر ورأيت الجبة فاذا هي ملطخة بالدم ومخرقة
 بالرصاص وقد وجد في جيبها كيس صغير فيه صور التحارير التي ارسلها الى مشايخ
 البلاد بعد فراره من ام درمان يحثهم على الانضمام اليه ورأيت السيف فاذا به
 سيف قديم مكتوب على جانب منه اسم صاحب السيف وهو الشيخ ناصر ابن
 الوزير المرحوم الشيخ محمد السلطان وعلى الوجه الآخر: يا رب بهم وبآلهم عجل
 بالنصر وبالفرج وهب لي يا وهاب علماً وحكمة وللرزق يا رزاق كن لي مسهلاً
 ومهما يكن من ظلم الخليفة واستبداده لا يسع الانسان الا الاعجاب بالشهامة
 وثبات الجأش اللذين لاقى بهما منيته وقد حدثني من شهد واقعة احمد فضيل انه رأى
 رجلين ربطا يديهما معاً عند رصغيهما بوثاق وتعاهدا على ان يهجماماً فينتصرا او يسيرا
 الى اللجنة يدأيد وهذا ما يعرف عندهم بعقد الطرف والى ذلك يشير شاعرهم بقوله:
 يا اخوات البنات تعالوا اوصيكم واودعكم نبياً لا يخون فيكم

اعقدوا الظروف ما تجونا بقتيكم الموت في الخلا وفي الحلة راجيكم
قال السير رجينلد ونجت « ولما شاع خبر موت الخليفة سلم من لم يكن قد سلم بعد
فاجتمع عندنا من الاسرى نحو ٣٠٠٠ رجل و ٦٠٠٠ من النساء والاولاد بينهم ٢٩
اميراً من اكبر امراء المهدي واهمهم عثمان شيخ الدين ابن الخليفة ويونس الدكيم
والختيم موسى وفضل الحسنه واسماعيل اخو الامير محمود (فأرسل هؤلاء مع الامير
محمود ومحمد الزين وغيرهما الى سجن رشيد ثم نقلوا الى سجن دمياط ولا يزالون فيه)
« وكانت خسارتنا في هذه الواقعة (التي عرفت بواقعة جديد) ٣ قتلى و ٢٣
جريحاً فيكون مجموع خسارتنا في الواقعتين ٦ قتلى فيهم ضابطان و ٢٧ جريحاً من العساكر
وأما خسارة الدراويش فقد قدرت بنحو ١٠٠٠ قتيل وجريح و ٩٤٠٠ اسير من الرجال
والنساء والاولاد * « وغنم الجيش ٣٥ جملًا و ٥٠ حمارًا و ١٨٠ بقرة و ٣٠٠ راس
ماعز ونحو ٢٠٠٠ بندقية و ٢٠٠٠ سيف وحرية و ٢٠٠٠ اردب غلة

« وفي الختام أسر بان اشهد بالبسالة والاقدام وثبات الجأش التي اظهرها العساكر
في الواقعتين فان اهمية الاسراع في ضرب احمد فضيل والاستطراد الى ضرب
الخليفة اوجبا متابعة السير آناء الليل واطراف النهار في ارض وعرة بلا راحة او براحة
لا تذكر . وقد قام العساكر بهذا الواجب ولم يبالوا بما لقوه من المشاق والاطار فانهم
من الساعة ٤ بعد ظهر ٢١ نوفمبر الى الساعة ٧ من صباح ٢٤ من الشهر المذكور اي في
مدة ٦٣ ساعة قطعوا مسافة ٥٧ ميلاً وواقعوا العدو في واقعتين وخرجوا ظافرين .
وما اظن قائداً يلقي من ضباطه وعساكره مساعدة حقيقية مخلصه كما لقيت من الضباط
والعساكر الذين اسعدني الحظ بقيادتهم . وانا اصدق الترقيات التي جاءني من
القومندان للضباط والصف ضباط والعساكر الذين امتازوا في الخدمة واتشرف
بان اعرض اسماء الذين امتازوا في هاتين الواقعتين » اه

ثم ذكر اسماء الضباط الانكليز والمصريين الذين امتازوا في الخدمة وكان في
جملة الضباط المصريين : البكباشي احمد افندي حافظ من الطوبجية . والصاغ محمود
افندي صادق من الهجانة . واليوزباشيون محمود افندي بهجت اركان حرب ومصطفى

افندي شاهين من المهجانة واحمد افندي عوني من الاورطة الثانية . وعبد الله افندي روميه من الاورطة التاسعة وعبد الرحمن افندي رضى من الاورطة الثالثة عشرة . ومحمد افندي طلعت واسماعيل افندي كامل وحسن افندي عطيه من الحملة فكوفثوا جميعاً وحضر هذه الواقعة من الملكية شاهين افندي جرجس وابراهيم افندي ديمري وكلاهما من موظفي المخبرات فظهرا فيها من الهمة والتجدة والاقدام ما اظهراه في الوقائع السالفة التي حضراها فسرّ السر رجينلد من سلوكهما وأوصى بترقيهما فأنعم على شاهين افندي بالرتبة الثانية مع لقب بك ثم سمي سكرتير السردار العربي ولا يزال في هذه الوظيفة الى الآن . ومنح ابراهيم افندي النيشان المجيدي الرابع ثم سمي سكرتيراً لمفتش السودان العام ولا يزال

وكان السردار قد وعد بجائزة ١٠ آلاف جنيه لمن يلقي القبض على الخليفة فوزعها على عساكر هذه التجريدة * * وقد دلت اعمال السر رجينلد ونجت في هذه التجريدة على صفات عسكرية عالية كما دلت على همة بالغة الحد وحزم ودرية واقدام فجاءت اجمل ختام لما آثره الحسان في استرجاع السودان وحملت دولته على ترقية الى المركز الذي اعد نفسه اليه فما اشتهر حرب الترنسفال حتى ندب اللورد كنشير اليها وسمي السر رجينلد ونجت باشا سرداراً على الجيش المصري وحاكماً عاماً على السودان وذلك في ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ وقد رقي في الجيش المصري الى رتبة فريق وفي الجيش الانكليزي الى رتبة ماجور جنرال محلي ثم رقي حديثاً الى رتبة ماجور جنرال وهو لم يتجاوز الثالثة والاربعين من العمر

ولقد كانت واقعة جديد الضربة الاخيرة القاضية على الخليفة والمهدية وختام الوقائع التي انتذت السودان من بلاء شديد حاق به مدة ١٧ سنة متوالية فأهلك نحو ٣ امله واراحت مصر من نفقات الحروب الباهظة واعادت اليها بلاداً واسعة الاطراف كثيرة الخيرات جزيلة النفع * * وقد قدرت نفقات استرجاع السودان بنحو ٢٣٥٤٣٥٤ جنيهاً مصرياً منها ١١٨١٣٧٢ جنيهاً على سكة الحديد من حلفا الى الكرمة والى الخرطوم و ٢١٨٢٥٥ على التلغراف و ١٥٤٩٣٤ جنيهاً على الواپورات الحرية و ٩٩٦٢٢٣ جنيهاً

نفقات عسكرية • مع ان نفقة الحملة الانكليزية وحدها كانت ١٥ مليون جنيه واكثر

﴿ قتل الخليفة شريف وابني المهدي في شكابة في ٢٧ اغسطس سنة ١٨٩٩ ﴾

تقدم ان الخليفة شريفًا سلم للحكومة قرب جزيرة ابا في اواسط نوفمبر سنة ١٨٩٨ ومعه الفاضل والبشرى ابنا المهدي فأمّنهم السردار وارسلهم الى حلفاء فبقوا فيها مدة ثم استأذنوا السردار فسكنوا في شكابة على ٤٠ ميلاً من سنار وهناك عاد الخليفة شريف الى قراءة راتب المهدي وشرع في جمع الناس بنية اللحق بالخليفة عبد الله وذاع خبره في الجزيرة حتى وصل فرج افندي شحاده باشكاتب مديرية سنار فأبلغه سمث بك مفتشها فسار في ٢٦ اغسطس مع بلوك من الاورطة الـ ١٥ السودانية بقيادة البكباشي وب واليوزباشي محمد افندي شفيق وجماعة من البوليس واحاطوا بشكابة صباح اليوم التالي فقبضوا على الخليفة شريف والفاضل والبشرى ابني المهدي وكانت شكابة مملوءة بالمقاتلة فحاولوا تخليصهم من الجنود عنوة وجرحوا ٣ منهم فاشعل العساكر فيهم النار فقتلوا منهم ١٧ رجلاً واسروا ٥٥ وحوكم الخليفة شريف والفاضل والبشرى ابنا المهدي في مجلس عسكري وقتي فأعدموا رمياً بالرصاص

﴿ اسر عثمان دقنه في ١٨ يناير سنة ١٩٠٠ ﴾

أما عثمان دقنه فانه لما رأى الجيش في جديد متغلباً على الخليفة اسلم نفسه للفرار شأنه في كل واقعة لم يظفر بها وكان اذا سئل في ذلك يقول « اني ابذل كل ما في طاقتي قبل الحرب لجمع الانصار وحثهم على الجهاد واقتل العدو بجنان ثابت وعزم وطيد حتى اذا ما ظفر بجيشي لجأت الى الفرار لا حباً بالفرار او خوفاً من الموت ولكن هرباً من الوقوع في أسر الكفرة فاني أريد أن اعيش لا قهرهم واجمع رجالي مرة اخرى وأعود الى حربهم حتى اجد فيهم الفرصة » • أما الآن وقد فلّ جيش المهدي ولم يبق في السودان من ينصره فقد عوّل على الفرار الى الحجاز والاحتاء بمكة فعبر النيل الايض عند جزيرة ابا ثم النيل الازرق ثم الاتبرة عند ادارامه وأتى الى جبال ورييه فنزل عند الشيخ محمد علي عمر اور شيخ الجميلا ب واخبره بعزمه على الفرار الى الحجاز وسأله أن يساعده على اكتراء قارب له من احدى مين البحر الاحمر البعيدة

عن المدن فرحب شيخ الجيلاب به ووعدته باجابة سوء له واضمر له سوء فأرسل سرّاً الى الحكومة بسواكن يخبرها بوجوده عنده فاستأذن حاكم سواكن السردار وأرسل البكباشي برجس مفتش المديرية بنفر من الجيش والبكباشي محمد بك احمد قومندان بوايس سواكن الى الشيخ محمد علي اور فدلهم على مخبأ عثمان فوجدوه تحت حجر من حجارة الجبل فقبضوا عليه ووجدوا معه جراباً فيه قليل من الدوم وكان لابساً جبة وعلى رأسه عمامة فوضعه بالحديد ووقفوا راجعين الى سواكن وذلك في ١٨ يناير سنة ١٩٠٠ فوصلوا سواكن في ٢١ من الشهر المذكور بعد الظهر ثم أتى به الى مصر القاهرة فرأيناه فيها بعد ظهر ٢٧ من الشهر المذكور وفي اليوم نفسه أرسل الى سجن رشيد فجعل مع أسرى الدراويش ثم نقل الاسرى الى دمياط فقل معهم وهو لا يزال هناك الى اليوم * وقد حصل له في هذه الاثناء جذب ديني فأغض عينيه ومنع نفسه عن الكلام والاكل فلا يأكل الا اذا أمره قومندان السجن فيشرب فنجاناً من اللبن بلقمة من العيش ولكنه لا يتكلم مطلقاً ويقضي وقته كله نائماً

❦ بدعة علي عبد الكريم الدنقلوي اوائل سنة ١٩٠٠ ❦

وفي اوائل سنة ١٩٠٠ ظهر رجل من اقارب محمد احمد المهدي يسمى علي عبد الكريم (شقيق محمد عبد الكريم المشهور) فابتدع بدعة غريبة في الاسلام ادعى فيها انه من يوم واقعة ام درمان انتهت اعمال « التكليف » ولم يعد احد مطالباً بما يفعل فمن كتبت له السعادة فقد سعد ومن كتب له الشقاء فقد شقي سواء فعل خيراً ام شراً وقد نهى انصاره عن الصلاة والصوم فغنى له بعض شعرائهم بقوله :
جيت لنا بالخير بطلت لنا الصلاة « ام دقير » وعلمهم ان يسلموا هكذا : الحمد لله فيجيبه الثاني في رضاء الله * ولما بلغ امره الحاكم العام عقد مجلساً من علماء الخرطوم وفقهائها للنظر في امره وهم السيد ندا قاضي ام درمان والطيب احمد هاشمي قاضي الخرطوم والاستاذ محمد شريف باشا نور الدائم والسيد محبوب المرغني والسيد المكي والشيخ محمد البدوي والشيخ مدثر ابراهيم والسيد اسماعيل الازهري فأصرّ على اعتقاده امامهم فظهر لهم ان في عقله خللاً ونصحوا بنفيه هو واتباعه من الخرطوم

فصدق الحاكم العام الحكم ونفاهم الى حلفا في ٤ مارس سنة ١٩٠٠ ولا يزالون فيها الى الآن

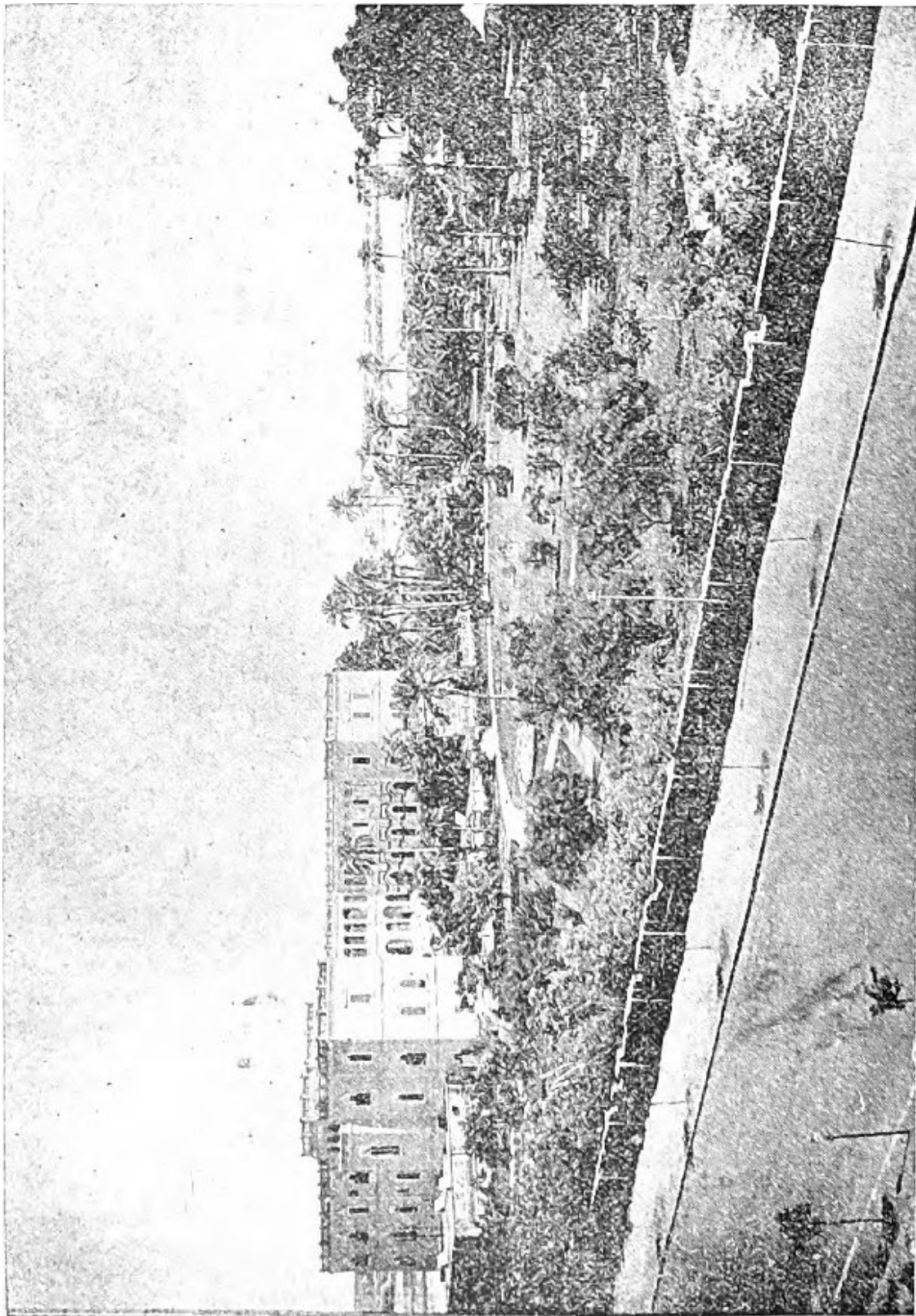
احتلال كردوفان سنة ١٨٩٩: ١٩٠٣

﴿ تعمير البلاد ﴾ وبعد قتل الخليفة عبد الله في جديد تحولت انظار الحاكم العام الى احتلال كردوفان فأرسل اليها الكولونل ماهون بفرقة من المهجاة فاحتلها في ١٧ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ونشر الحاكم العام الحالي منشورا عاما الى اهالي مديرية كردوفان المنتشرين في الجزيرة وغيرها من بلاد السودان يدعوهم الى الرجوع الى بلادهم وقد ساعدهم على الانتقال اليها وامدّهم التقاوي اللازمة لزراعتها فعادوا اليها وشرعوا في تعميرها

﴿ مهدي جبال تقلي وشنقة ﴾ في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٠٣ وفي هذه الاثناء ظهر في جبال تقلي رجل ادعى المهديّة والكرامات والشرف اسمه محمد الامين فصدق به ملك تقلي وجماعة من اخلاط الناس واشتهر امره حتى بلغ الابيض في اول سبتمبر سنة ١٩٠٣ وكان مدير الابيض ماهون باشا في طريقه الى الخرطوم ذاهبا بالاجازة وقد ناب عنه اوكل بك وكان السردار والحاكم العام بالاجازة في بلاد الانكليز ونائبه في الخرطوم اللوا ناسون باشا فعند وصول ماهون باشا في ٦ سبتمبر الى الخرطوم حتم ناسون باشا بوجوب القبض على المدعي في الحال وتلافي الخطر في حينه فاستأذن السردار تلغرافيا فخرج الكولونل ماهون من الخرطوم بكوكبة من الفرسان يرأسها البكباشي الباسل شحاته افندي كامل في ٨ سبتمبر وسار بها سيرا حثيثا بطريق فشوية وشركيله وأبي ركه فباغت المدعي واشياعه سحرا وهم يصلون الصبح في ١٢ سبتمبر في حلة على ٣٥ ميلا من ابي ركة فأسرعوا الى حراهم ولكنهم لما رأوا انهم محاطون من الجهات الاربع سلموا فشد ماهون باشا وثاقهم وساقهم الى الابيض وهناك حوكم المدعي بمجلس عسكري وشنق عصاري الاحد في ٢٧ سبتمبر والرجل مربع القامة اسود اللون غليظ الشفتين ذو عينين نجلاوين ولحية صغيرة وشعر اسود جعد وعمره ٤٥ سنة ولما جيء به الى المشنقة كان مرتديا فوق اللباس العادي برنسا من الجوخ الاخضر النفيس بقبعة على الزي التونسي ولكنه برناوي الاصل في الأرجح وكان رحالة يضرب في الافاق فزار دمشق الشام وازمير ومراكش وغيرها من

البلاد الشرقية وزار الايىض غير مرة فاقى من اعيانها اكراما وحفاوة وذهب الى الحجاز لاداء فريضة الحج وعاد منها قريبا بطريق مصوع وكسلة وبقي الى ان ظهر في جبال تقي
 دارفور والامير علي دينار سنة ١٨٩٨ الى الان

أما علي دينار فقد مرّ انه فرّ من واقعة ام درمان بنفر من اهله وخصائه وفيهم الامير قمر الدين البرتاوي من امراء الارباع والفقير امين الفلاقي وهو من رجال السلطان ابراهيم الذين اشتهروا بالصلاح والتقوى وسداد الرأي وقد كان عند الخليفة امينا للجبخانة فصار بهم الى التربة الخضراء وكان فيها قطع من ابل الخليفة فأخذه وتقدم الى كجمر فاقام فيها ٨ ايام الى ان تكامل الفارون من اهل دارفور من عرب وسود فصار بهم الى الفاشر . وكان محمود قد ترك فيها حامية مؤلفة من ٣٠٠ رجل بقيادة امبدى الرضى التعايشي وحامية في كبكية مؤلفة من ٥٠ بندقية بقيادة سنين التاماوي فطرد علي دينار امبدى الرضى من الفاشر واحتلها مكانه وطرد سنين بعد وقائع جمّة الى دار تامة * وكان قد لجأ الى السردار من جيش محمود سنة ١٨٩٧ رجل من سلالة سلاطين الفور يدعى ابراهيم علي فأذن له السردار قبل الحملة على أم درمان ان يذهب الى دارفور ويجمع كلمة اهلها على طاعة الحكومة ولكنه لم يصل أم شنقه حتى كانت واقعة أم درمان وأتى علي دينار الى الفاشر وطرد امبدى الرضى كما مر فانضم الى ابراهيم علي في ام شنقه . وعدّ علي دينار دخول ابراهيم علي تعديا على حقوقه بحجة انه احق منه بحكم دارفور فجرّد عليه جيشا وغلبه فبعث ابراهيم علي يطلب المدد من السردار فكتب السردار كتابا الى كل منهما يوفق بينهما الى ان يتسنى للجيش الذهاب الى دارفور لاحتلال البلاد . ورأى ابراهيم علي ان لا طاقة له على مناوأة علي دينار فرجع الى ام درمان وكتب علي دينار الى السردار بالطاعة وانه يحكم البلاد على جزية يدفعها لحكومة السودان ولا يزال يرسل الجزية كل سنة الى الآن * وقد اسس حكومته على مثال سلطنة اجداده وصنع ختما للسلطنة كاختام اجداده هذه نقشه : السلطان علي دينار ابن السلطان زكريا ابن السلطان محمد الفضل ابن السلطان عبد الرحمن الرشيد ابن السلطان بكر سنة ١٣٠٠ هـ



سرای الخرطوم سنة ١٩٠٢

الباب الخامس

❖ خاتمة ❖

في

❖ السودان المصري الانكليزي ❖

❖ ولاية اللورد كتشنر اوف خرطوم على السودان سنة ١٨٩٩ : ٨ ❖

عرف السودان الذي فيه كلامنا « بالسودان المصري » الى ان كانت واقعة ام درمان ورفعت الرايتان الانكليزية والمصرية على سراي الخرطوم في ٨ سبتمبر سنة ١٨٩٨ فعرف « بالسودان الانكليزي المصري » وعقد وفاق بين الحكومة الانكليزية والحكومة المصرية بتاريخ ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ نشرناه في باب الجغرافية مؤداه جعل البلاد في يد حاكم عام يختاره الانكليز ويؤيده الجناب العالي الخديوي فيحكم البلاد بقوانين وشرائع يسنها من وقت الى آخر حسب حاجة البلاد وحالتها ويصدقها معتمد الدولة البريطانية ومجلس النظار في مصر . وفيه انه ليس للمحاكم المختلطة سلطة في السودان الا في سواكن فانه بقي لتلك المحاكم سلطة الى ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ اذ عقد وفاق آخر بين الحكومتين ألغيت بموجب تلك السلطة واصبحت سواكن كسائر بلاد السودان في جميع الاحكام

وفي تاريخ الوفاق الاول سمي اللورد كتشنر اوف خرطوم سردار الجيش المصري حاكماً عاماً على السودان فشرع في تجديد بناء سراي غوردن وتأسيس مدرسة غوردن التي جمع لها المال من المحسنين الانكليز كما مر . وبعد قتل الخليفة عبدالله ارسل ماهون باشا فاحتل كردوفان وعلن افتتاح السودان رسمياً للناس كافة

﴿ ولاية الماجور جنرال الفريق السر رجينولد ونجت باشا سرداراً ﴾
﴿ على الجيش المصري وحاكماً عاماً على السودان ﴾

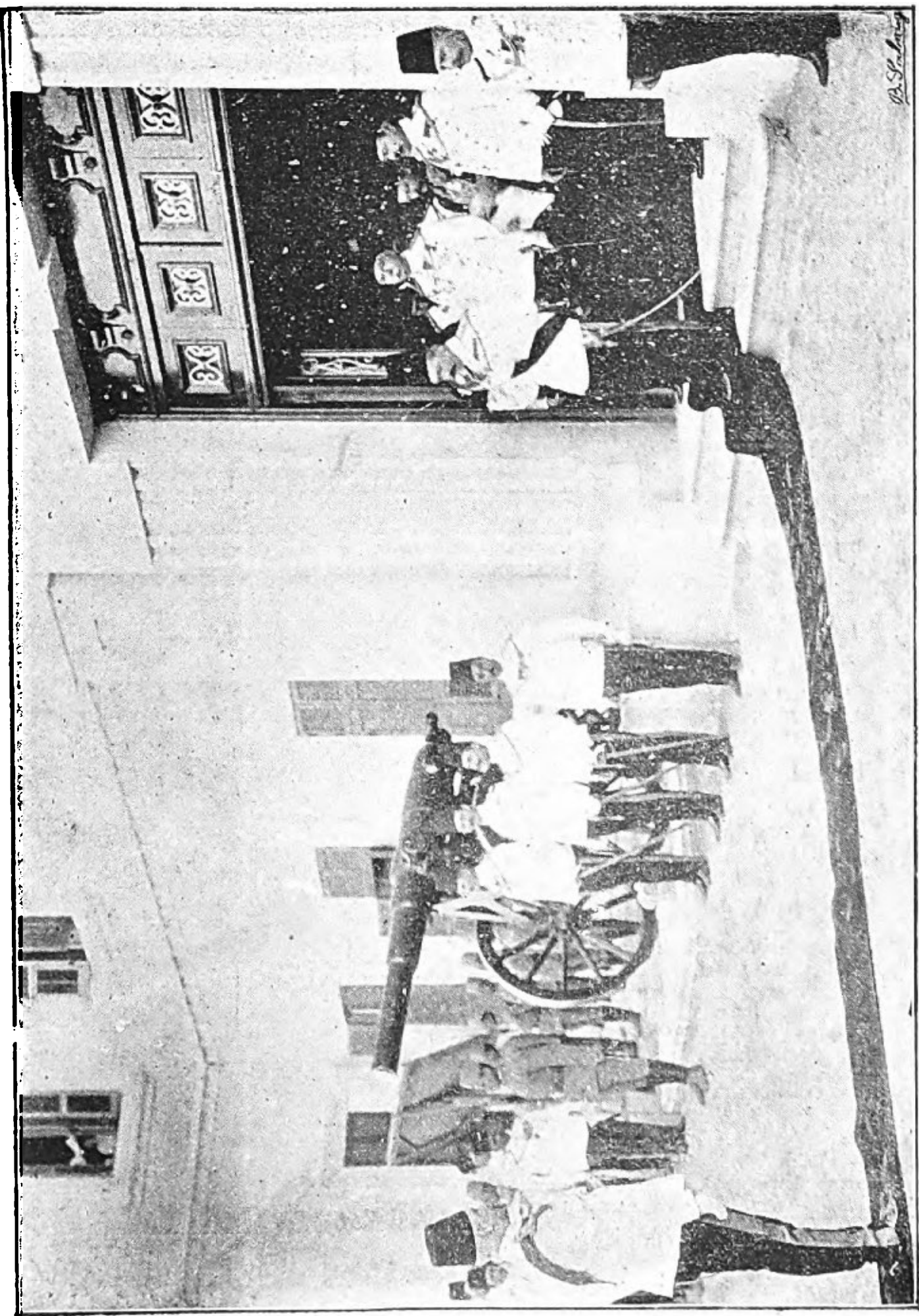
وفي ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ندب اللورد كتشنر لحرب الترنسفال وسمي اللوا السر رجينلد ونجت باشا الادجوتانت جنرال سرداراً على الجيش المصري وحاكماً عاماً على السودان ولا يزال الى الآن فكان اهم ما جرى في ايامه الى هذا العهد: القبض على عثمان دقنه وقمع بدعة علي عبد الكريم وقتل محمد الامين مهدي جبال تقلي واحتلال بحر الغزال كما فصلناه في محله . وهو باذل اقصى الجهد في تنظيم ادارة البلاد واصلاح شؤونها الزراعية والصناعية والتجارية والادبية وسن القوانين الملائمة لاحوالها . وقد عقد الاتفاقات بين السودان والقوات المحيطة به لتبادل المنافع التجارية وانهى لأول مرة تحديد النخوم بين السودان والحبشة في ١٥ مايو سنة ١٩٠٢ واستعان على اعماله الهامة بالاكفاء من موظفي الانكليز والمصريين كأمراً

﴿ تسمية اللورد ادوارد سسل وكيلاً عاماً لحكومة السودان في مصر ﴾

ولما دُعي الكونت كليخن وكييله في مصر ليكون مندوباً عسكرياً للدولة البريطانية في برلين في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٣ ألقى مقاليد هذا المنصب الهام الى فرع سلالة سسل الشريفة النبيل اللورد ادوار سسل المشار اليه آنفاً وقد رقاؤه في الجيش المصري الى رتبة لواء وجمعه وكيلاً عاماً للسودان على جميع المهام العسكرية والملكية في مصر

﴿ جريدة «السودان» في الخرطوم ﴾

وفي اوائل سنة ١٩٠٣ منح الدكتور فارس نمر وشركائه الاجلاء امتيازاً بنشر جريدة في الخرطوم باسم «السودان» فولجوا ادارتها وتحريرها الى الكاتب الاديب المتفّن خليل افندي ثابت من متخرجي المدرسة الكلية السورية النابغين فأصدر مثلاً منها في ٢٤ سبتمبر ١٩٠٣ ثم شرع في اصدارها تباعاً مرتين في الاسبوع فصدر منها الى الآن بضعة اعداد دلت على انها ستكون من أسمى الجرائد العربية شأنها واجملها عبارة واجزلها نفعاً ومن اجل الوسائط التي بُذلت لتقدم السودان وتمدينه ان شاء الله



عبّاس باشا حلي الثاني الخديوي
 والفريق السر رجيند ونجت باشا سردار الجيش المصري وخام السودان العام
 يخطبان امام سراي الخرطوم

✽ زيارة الجنب الخديوي السودان سنة ١٩٠١ ✽

وفي اواخر سنة ١٩٠١ شرف الجنب العالي الخديوي السودان بزيارته فوصل الخرطوم في ٣ ديسمبر سنة ١٩٠١ حيث استقبل استقبالا باهرا . وفي اليوم التالي اي في ٤ ديسمبر الساعة ٣ بعد الظهر قدم سعادة السردار وحاكم السودان العام خطبة الترحيب بسموه وذلك في وسط حفلة حافلة امام سراي الخرطوم حضرها جميع الضباط العظام وكبار الموظفين الملكية ونخبة علماء البلاد واعيانها وهذه هي ترجمة الخطبة :

« مولاي سمو الخديوي المعظم

« نحن سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام وضباط وصف ضباط وعساكر جيش سموكم المعظم مع الموظفين العسكر بين والملكين والعلماء والعمد والمشايخ والاعيان في السودان وعموم سكان السودان نسرّ بأن تقدّم مع شعائر الولاء والاخلاص هذا الخطاب ترحيباً بتشريف سموكم المرة الاولى للسودان :

« لقد نلنا اعظم الشرف بأن سموكم تجشمت السفر الطويل الشاق من مصر لقضاء بضعة ايام في الخرطوم عاصمة السودان التي خربها الاشقياء الذين شقوا عصا الطاعة لحكومة سموكم بعد ان كانت عامرة زاهرة وهي الآن تتدرج في الحضارة والعمران على مبادئ تؤمل ان ترقى بها رويداً حتى تصير عاصمة فاخرة ومركزاً مهماً لتجارة السودان . وقد مضى الآن ثلاث سنين على انتشالها من يد ذلك الطاغية عبد الله التعايشي ببسالة جيش سموكم وجنود المملكة البريطانية العظمى

« أما وجود سموكم بيننا فقد ملأ قلوبنا مسرة وابتهاجاً فبالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع الحاضرين هنا اليوم والغائبين عنا في جهات السودان البعيدة الذين تمنعهم واجباتهم الهامة عن الحضور لتقديم واجب الترحيب والتعظيم لسموكم نتمنى لسموكم حياة مديدة مقرونة بالسعادة والفخار ونسأل الله تعالى ان يبث في انحاء بلاد سموكم طولاً وعرضاً روح الفلاح والسلام (فليعيش افندينا)

فتكرم الجنب العالي وفاه بالخطاب الآتي الذي ضمنه خطة حكومة سموه في السودان قال :

« يا سعادة السردار وحاكم السودان العام ويا حضرات الضباط والعساكر
والموظفين وعلماء ومشايخ واعيان واهالي السودان كافة

« اني اشكر لكم الخطاب الذي حييتموني به وأؤكد لكم بأني أعد من
اعظم مسرّاتي رؤيتي اياكم في هذه البلاد الشاسعة التي قرّبتها منا سكة الحديد العجيبة
التي ملأتني ارتياحاً وابتهاجاً

« الآن وقد رأيت هذه البلاد عرفت الصعوبات والمشقات التي لاقاها من كانت
لهم يد في الحملات التي كانت نتيجتها محو سلطنة عبد الله التعايشي واعادة العدل
والراحة والسكون في جميع انحاء السودان

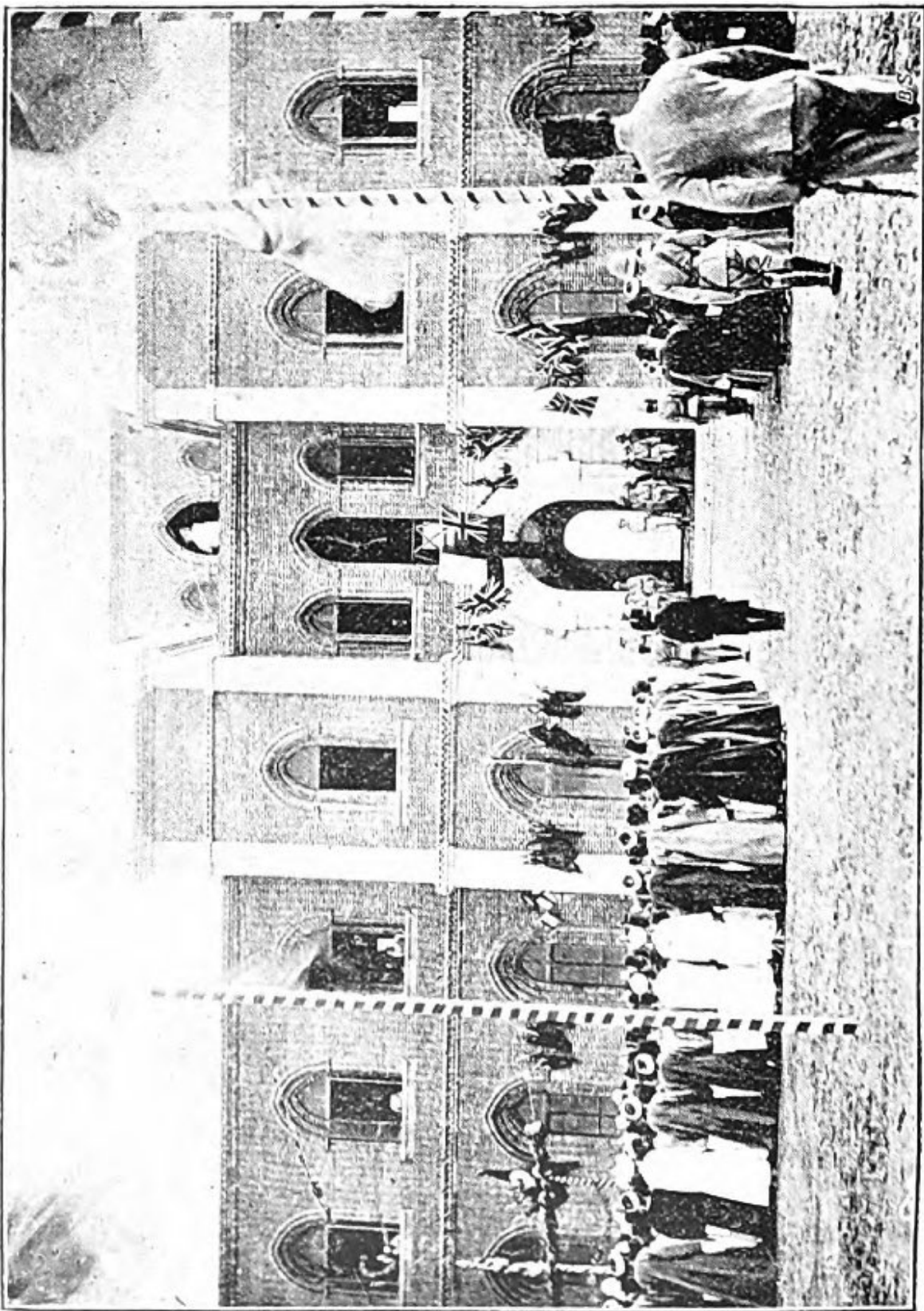
« العلمان الانكليزي والمصري اللذان يخفقان الواحد بجانب الآخر هما اشارة
الى الحكومة المشتركة التي اخذت على عاتقها حماية الاهالي من الوقوع في شرك اهل
الظلم والفساد وابتداء عصر هدوء وسعادة في هذه الديار

« ولقد سرّني ايضاً ما أشاهده من تقدم مدينة الخرطوم في العمران واعتقدوا اني
سأحفظ لكم احسن ذكرى لاحتفائكم بي في هذه الزيارة الاولى * واني ليشملي السرور
كلما سمعت بتحسين احوالكم وتقدمكم في الرفاهية التي ارى شواهد هابت في كل الارحاء
هذا واني أنعم الآن بكل ارتياح ببعض النياشين على بعض كبار علماء الدين
وسأنعم بها فيما بعد على الضباط والموظفين والاهالي الذين يعرض لي عنهم سعادة
السردار والحاكم العام بناءً على التقارير السنوية التي ترد له من المديريات

« ثم اكرر شكري لاحتفائكم بي احتفاءً صادراً عن حسن نية وخلص طوية اهـ
وصعد سموه في النيل الابيض مسافة ثم في النيل الازرق فشاهد خرائب
سوبه وعاد الى الخرطوم فبرحها الى مصر باليمن والاقبال في ٧ ديسمبر سنة ١٩٠١

✽ زيارة اللورد كتشنر الخرطوم وافتتاح كلية غوردن في ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٢ ✽

وخرج اللورد كتشنر اوف خرطوم ظافراً من حرب الترنسفال فسمي قومنداناً
عاماً على الجنود في الهند فعرج في طريقه الى الخرطوم وافتتح كلية غوردن في ٨
نوفمبر سنة ١٩٠٢ وذلك باحتفال باهر حضره نحو ٥٠٠ تلميذ من ابناء البلاد وجمهور



اللورد كتنشز اوف خرطوم يفتح كلية غوردن



✽ اللورد كرومر ✽
✽ معتمد الدولة البريطانية السياسي ✽
وقنصاها الجنرال في مصر

كبير من الموظفين والاعيان وقد رحب به السردار وحاكم السودان العام بخطاب جميل فأجاب عليه احسن جواب وامل للمدرسة في عهد حاكمها النبيل وعناية مديرها الهام المستر كري كل ترقٍ ونجاح

﴿ زيارة اللورد كرومر للسودان سنة ١٨٩٩ : ١٩٠٣ ﴾

هذا ولما كان لجنا ب اللورد كرومر الشأن الاعظم في استرجاع السودان وكان هو النائب عن حكومته فيه كما في مصر واليه المرجع في جميع شؤن السودان الهامة فقد عول على زيارته في كل سنة أو سنتين فزاره لأول مرة سنة ١٨٩٩ ثم زاره سنة ١٩٠٢ وزاره آخر مرة لهذا العهد في فبراير سنة ١٩٠٣ * وفي المرة الثانية صحبه المستر غورست مستشار مالية مصر الشهير فرحب السردار وحاكم السودان العام بهما بخطاب جميل فأجابه اللورد كرومر بخطاب مشهور وهذان هما الخطابان :
﴿ خطاب السردار ٢٤ دسمبر سنة ١٩٠٠ ﴾ نحن سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام وضباط وصف ضباط وعساكر الجيش المصري وموظفي ادارتي الحرية والملكية وعلماء وعمد ومشايخ واعيان واهالي السودان كافة . بملء السرور نغتنم فرصة تشريفكم السعيد لهذه البلاد لكي نظهر لفخامتكم احترامنا الزائد لهذه الزيارة التي جدتم علينا بها وللشرف الذي حصلنا عليه بوجودكم بيننا ممثلين لصاحبة الجلالة ملكة انكلترا وامبراطورة الهند وان العلمين البريطانيين والمصريين الذين يخفقان الواحد بجانب الآخر في جميع انحاء السودان هما العلامة الخارجية الظاهرة الدالة على الاشتراك في حكم سعيد وثيق العرى في شخص جلالة الملكة وسمو الخديوي المعظم المسؤولين عن حماية اهالي السودان من الظلم والفساد . ونؤمل ان التغييرات التي حصلت بعد زيارة فخامتكم لهذه البلاد منذ سنتين تدل دلالة كافية على ان بعض التقدم قد حصل في ترقية هذه البلاد وانه قد جعل لها نوع من النظام الاداري كاف لان يري الاهالي انه منذ قطع دابر المهدي دخلوا في عصر جديد اسعد كثيراً من العصر الذي كانوا فيه . وثق ان ما حصلتم عليه فخامتكم وحضرة المستر غورست من زيادة المعرفة والاختبار في سياحتكم هذه يمكّنكم من ان تعرضوا على الحكومة

ذات الشأن - سواء كانت الحكومة الانكليزية أو المصرية - الوسائط التي تتوصل بها الى ترقية حالة البلاد . وبالنسبة عن جميع الحاضرين هنا اليوم الذين بينهم نواب مختارون من كل انحاء السودان نتمنى لفخامتكم عمراً مديداً مقروناً بالصحة والشرف والسعادة والعزم لتستمروا في خدمة مليكتكم ولتساعدونا على ترقية شأن حكومة السودان التي تشترك فيها مصالح بريطانيا العظمى ومصر على السواء

✽ خطاب اللورد كرومر ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٠ ✽ فنطق اللورد كرومر بالخطبة الآتية شاكرًا فقال : الى حضرات علماء السودان وعمده ومشايجه واعيانهم وسكانه كافة « اني اشكر لكم من صميم فؤادي خطابكم والترحيب الذي لقيته منكم * عند زيارتي لهذه البلاد منذ سنتين اوضحت لحضراتكم انكم ستكونون في المستقبل تحت حكومة كل من جلالة ملكة انكلترا وسمو الخديوي المعظم . واقد صدرت لي الآن اوامر خصوصية من صاحبة الجلالة مليكتي العظيمة التي تحكم في غير هذه البلاد على ملايين من المتدينين بدينكم الشريف لاعرب لكم عن مزيد اهتمام جلالته بكل ما يؤول الى سعادتكم واني الآن بأسم جلالته سأقلد فرداً من اشرف اهالي السودان المسلمين وساماً انكليزياً نظراً الى ما عرضه عنه سعادة الحاكم العام لجلالته (وهو السيد علي المرغني ابن السيد محمد عثمان المرغني الشهير)

« ولقد تقدمت هذه البلاد كثيراً منذ زيارتي الاخيرة لها وترون ان العهد الذي عاهدتكم عليه وقتئذٍ من جهة احترام ديانتم وعوائدكم الدينية قد روعي كل المراعاة ولقد انشئت لكم المحاكم والمدارس وضربت على اطيانكم ضرائب خفيفة جمعت منكم على ما اظن بلا ظلم ولا اكراه وتم وصول سكة الحديد الى الخرطوم ولي امل ان تكونوا قد اصبحتم مقتنعين بان حكامكم - سواء كانوا انكليزاً أو مصريين ولا اميز بينهم لأنهم مشتركون في العمل وعلى وفاق تام - ليسوا فقط ذوي مقدرة تفوق جداً مقدرة الحكام السالفين بل ان قلوبهم قد اشربت روح العدالة والرغبة الزائدة في كل ما من شأنه النفع العام لجميع الاهالي وهذا كله لم يكن له اثر حين كان ظلم الدراويش محيقاً بكم

«واني عالم حق العلم ان العمل لا يزال لازماً في امور كثيرة ولكن لا ينتظر ان يكون الاصلاح سريعاً لداعي احوال السودان الخصوصية الحائلة دون سرعة النجاح وان اهم حاجات البلاد تمهيد طرق المواصلات واخشى ان يكون الامل ضعيفاً جداً في اقناع احدى الشركات ان تتكفل بمد خطوط حديدية الا بشروط ثقيلة يتعذر قبولها بغير اجحاف بمصالح الذين يدفعون الضرائب من مصريين وسودانيين ولا يجب ان يذهب عن البال ان كل مشروع للأصلاح مهما كان مفيداً ومرغوباً في حد ذاته فمن اهم شروط اخراجه الى حيز القوة ان لا يزيد في ثقل الحمل المالي الذي تتحمله مصر عن السودان وان يبقى به حمل السودانين خفيفاً * ثم ان الامر الذي يجب تقديمه على كل امر آخر هو ان تكون الضرائب خفيفة فاذا كانت الحكومة نفسها تعنى بمد السكة الحديدية وجب ان يراعى فيه دخل الحكومة بالنسبة الى نفقاتها ودخل الحكومة لا يزال قليلاً محدوداً واهم شيء يقتضي مباشرته قبل النظر في أي مشروع كان لمد سكة الحديد هو ان نصلح حالة السكة الحاضرة وذلك على ما بلغني من اعظم الثقات في هذا الفن يقتضي مبلغاً باهظاً من المال

«ولنتقل الآن الى موضوع آخر : بلغني ان اهل البلاد شكوا من قلة المراقبة الاوروبية في السودان . ولكن ليس الغرض استخدام عدد كبير من الاوربيين في هذه البلاد انما الامر الرئيسي ان يكون المنتدبون للخدمة اكفاء وقد عُنِي بانتخابهم عناية تامة وفي الوقت نفسه اعلم ان الشكوى من قلة عدد الاوربيين هي على نوع ما في موضعها . نعم ان الضباط الذين في الخدمة الملكية قد قاموا بواجباتهم الشاقة قياماً يستحق جزيل الشكر وذلك في اصعب الاحوال وارجها مع قلة الوسائط التي لديهم واني أسرُّ اذ قد سنحت لي الفرصة لأهنئهم على اعمالهم التي كانت مكلفة بالنجاح ولكن يعوزهم مساعدون ولذلك انتخب بعض الانكليز الملكية وانتدبوا للخدمة تحت أوامر المديرين الحاليين ليكونوا النقطة الاساسية لحكومة السودان الملكية المستقلة . ولقد انتخب ايضاً للخدمة مهندس مائي وأوئل ان مباحثه ستعود بالنفع العظيم ليس فقط على السودان بل على مصر ايضاً وانه يستطيع في حينه ان يقترح

اقتراحات جدية بالاعتبار فيما يختص بتحسين نظام الري في بعض انحاء البلاد ولا سيما على النيل الازرق

ولا حاجة الآن ان اطيل الكلام في المواضيع تفصيلاً ولكن اعيد القول ان سروري كان عظيماً جداً بروؤيتكم اليوم هنا وأؤمل انكم تبدلون كل قواكم في عضد المساعي التي يسعاها سعادة السر رجنيلد ونجت النائب المحلي عن جلالة الملكة وسمو الخديوي المعظم هو وجميع الضباط المقتردين الذين يجرون اوامره في ترقية حال البلاد المادية والادبية

في خطاب اللورد كرومر ٢٧ يناير سنة ١٩٠٣ * وهذا خطاب اللورد كرومر في زيارته الثالثة للسودان القاه في احتفال باهر عدّ لوداع الكبتن بيلى عند استقالته من الجيش المصري . قال جناب اللورد بعد ان صدق ثناء السر رجنيلد ونجت على الكبتن بيلى :

« ولكني اودّ ايها السادة ان يتسع لي مجال الكلام فأقول قبل رجوعي الى مصر لكم وللغائبين عنا بواسطتكم ان المساعي التي يبذلها جميع موظفي السودان من ملكيين وعسكريين في سبيل ادخال النظام والتمدن الى هذه البلاد لها عند حكومة جلالة الملكة وسواد مواطنيكم وعندي انا بالاكثير قيمة عظيمة وشأن رفيع »
« كثيراً ما يقال لنا نحن معشر الانكليز في هذه الايام اننا متأخرون عن غيرنا من الامم في امر التعليم وربما كان لهذه التهمة بعض الصحة ولكن للسألة وجه آخر عسى ان لا يفوت نظر المنتقدين فان نتائج نسقنا الخصوصي في التعليم تظهر بأجلى مظاهرها في بلاد كالسودان . فالشاب الذي يتربى في احدى مدارس العمومية أو كلياتنا الحربية وينشأ على الاستقلال الذاتي والمسؤولية الشخصية هو الرجل القوي الحازم الذي لا يعول في الدنيا على احد لانه يتلقى في حدائته تحت سماء الحرية مبادئ تضمن له مستقبلاً نيراً كما هو خالق بفرد من افراد امة مستعمرة مجيدة فلا يكون آلة متحركة بل يكتسب من حيث لا يدري عوائد وطباعاً تؤهله لان يتدبر ويعمل الفكرة ويأخذ على عاتقه مسؤولية الامور وبكلمة ان يحكم بالعدل والحزم . »

وامثال هؤلاء منتشرون الآن في جميع انحاء هذه البلاد من سواكن الى ما وراء
الايّض ومن وادي حلفا الى اقاصي كوندكرو. ويمكنني ان اشهد مما شاهدته بنفسي
انه حيثما وجدوا نظر اليهم الاهالي على اختلاف طبقاتهم من همجهم الى ارقاهم علماً
كمثلي نظام يحول دون الظلم وسوء الادارة اللذين سادا في الماضي

« وهذه ايها السادة زيارتي الثالثة للسوادن بعد واقعة ام درمان التي حدثت
كما تذكرون منذ اقل من خمس سنوات . ففي زيارتي الاولى لم يكن امل النجاح
قوياً لان البلاد كانت في خراب محيق سواء كان لسبب الامراض او المجاعات او
الحروب الداخلية او الخارجية حتى ان عدد السكان نقص اكثر من العشر كثيراً
ولم يكن لجرثومة التمدن اثر فيها فكان من الضروري اذاً انشاء نظام مالي واداري
مستكمل الشروط * وفي زيارتي الثانية لاحت لي تبشير المساعي الاولى التي بذلتها
الحكومة الجديدة لمقاومة الصعوبات الهائلة التي كانت تلاقيها ولكن كان التقدم بحكم
الضرورة بطيئاً جداً * والان عند زيارتي الثالثة ارى تقدماً عظيماً جداً في جميع
الجهات والبرهان على صدق هذا القول يلوح للابصار ويستوقف المسامع في كل جهة
فان الدلائل على زيادة الايرادات جليّة والنفقات الآن تحت المراقبة الشديدة *
وقد نمت التجارة بعود الامن . فال يونان الذين هم في مقدمة الامم التجارية - والذين
يقال عنهم احياناً اقوال قاسية مع انهم اجمالاً عظيمو النفع - قد انشأوا متاجرهم في
كل بلدة كبيرة * وبمساعي الكولونل فرند والكولونل ستانتن قد اصبحت الخرطوم
مدينة جميلة منظمة بعد ان كانت تلاماً دارسة . وكذلك انتظمت الملاحة في النيل
بهمة المستر بوند والمصلحة الطبية بمساعي الكولونل بنتون . وانتشرت المعارف بعناية
المستر كري . ويسعى المستر بونهام كارتر بالحكمة اللازمة في ادخال نظام بسيط للمواد
المدينة والجناثية حسبما تقتضيه حالات البلاد

« وقد صعدت هذه المرة في النيل الايض حتى كوندوكرو مع السردار وزرت
عدة مراكز عسكرية من غير موعد سابق فوجدت كل شيء فيها بغاية الترتيب والانتظام
كانه قد أعلن لها من قبل اني آتٍ لمشاهدة احوالها * اما اهالي تلك الجهات فانكم

تعلمون ان التكلم بلغة الشلوك او الدنكا او الباري امر شاق ولكني كيف التفت كنت ارى دلائل الرضى والاطمئنان بادية على وجوههم وقد علم هؤلاء المساكين ان الاجانب الذين يزورن بلادهم اليوم ليسوا من النخاسين بل من اشد المقاومين للنخاسة « واسمحوا لي ان اعرب لكم عما شملني من السرور عند زيارتي مركزي المرسلين الاميركان على نهر سبت والمرسلين النمسيين على النيل الايض فالاول للانجيليين والثاني للروم الكاثوليك ولا فرق عندي بين الفثنين فكلتاها قد اجادتا في ادارة امورهما كل الاجادة . على اني اوافق جناب السر رجينلد ونجت وكل اصحاب السلطة المسؤولين في هذه البلاد على ان وقت السماح للمرسلين بالتبشير بين مسلمي السودان لم يزل بعيداً . ولكن المساعي التي تبذل بين القبائل الوثنية في المقاطعات الجنوبية تستحق كل ما يمكن من التشجيع والمساعدة

« ولكني اعلم ايها السادة اننا مع كل هذا التقدم لم نزل في بداءة العمل . فالسودان يحتاج الى زيادة عظيمة في السكان والسكك الحديدية والري والموظفين الانكليز للامور القضائية والاجرائية والمعلمين والابنية بل السودان يحتاج الى كل شيء سوى الرمل والتامسيح والعيسنت فان ما فيه منها فوق الكفاية * وواضح جلياً ان كل هذه الاحتياجات الثمينة لا يمكن سدها في آن واحد . اما بشأن النفقات السنوية فلا يمكن ان ينتظر من الحكومة المصرية او بكلمة اخرى من المصريين الذين يدفعون الضرائب ان يعملوا زيادة عما يعملون الان فانهم يدفعون الى السودان سنوياً اكثر من ثلاثمائة وخمسين الف جنيه . وقد آلوا على انفسهم تقديم هذه الاعانة بلا نقص الى مدة معينة لكي تخصص الزيادة في ايرادات السودان للمشروعات السودانية . وقد دفعوا اكثر من نصف مليون جنيه للكولونل ماكولي لتحسين السكك الحديدية الحالية وسيطلب منهم مبالغ باهظة للانفاق على مهام اخرى كما سيجي * وعليه ارى من المهم ان نعلم ماهي الاصلاحات التي يجب ان نبدأ بها اولاً « واطنكم توافقوني على ان اماننا امر ين يستوجب ان الاصلاح هما في الدرجة

الاولى من الاهمية : الاول تحسين البلاد مادياً وثانيهما تحسينها ادبياً وعلمياً

« اما بشأن الاول فقد ايدت لي زيارتي هذه انه لا يمكن ان تتقدم البلاد تقدماً مادياً سريعاً ما لم تكن المواصلات بين السودان والبحر المالح سهلة وسريعة . فان المسافة الطويلة من هنا الى الاسكندرية عقبة شاقة في سبيل التجارة وهل يرجى نجاح سريع لتجارة السودان وثن الطن من الفحم الحجري في الخرطوم من اربعة جنيهات الى ستة * وربما يحسن ان اقول هنا ولو اني لا اقول بل الامل انه يرجى وجود الفحم الحجري جنوبي الخرطوم فان اكتشافاً كهذا هو اثن من اكتشاف الذهب لانه يغير مسألة ترقية السودان تغييراً حسياً * واعدود الى ما كنت بصدد فاقول انني اعتبر مد خط حديدي الى سواكن ضرورياً جداً لتقدم هذه البلاد وهذا الخط يقتضي نحو مليونين ونصف مليون من الجنيهات . ومن الصعب ايجاد مبالغ عظيم كهذا . ولكنني اعدكم انني عند عودتي الى مصر سأبذل جهدي في تنفيذ هذا المشروع باسرع ما يمكن والعمل جار الآن كما تعلمون في تخطيط الطريق . وقد انفق مبلغ من المال لتحسين ميناء سواكن * على انني اسمع احياناً بان هذا الخط الحديدي على ما به من الفائدة للسودان ضرراً بمصاحبة مصر لانه يحول التجارة عن وادي النيل ولكنني لا أرى هذا الرأي لسببين : الاول لان من المهم جداً لمصر ان يكون السودان قادراً على القيام بنفقاته وذلك لا يتم الا بوجود طريق مناسب قليل النفقة لتصدير تجارته . والثاني لان المسألة الرئيسية ليست تحويل التجارة من مجراها الاصيل بل هي مسألة انشاء تجارة جديدة للبلاد وهذه التجارة لا يرجى لها نجاح يذكر الا بفتح طريق بين النيل والبحر الاحمر

« اما بشأن الامر الثاني وهو امر التعليم فاقول انه من الصعب جداً حكم بلاد ما حق الحكم بدون مساعدة ادارية من اهلها . والهيئة الحاكمة في السودان الان هي اجنبية محضة لان المصريين كما لا يخفى هم اجانب كالانكليز وكلا الفريقين قائم بهما عظيمة . ويحسن بنا ان نذكر هنا ان قد مست الحاجة الى مثل هذه الهيئة في بلاد اوغنده المجاورة للسودان . على ان في توظيف كل من المصريين والانكليز في السودان حالات طبيعية مساعدة وحالات معاكسة : اما المصريون فهم

من وجه مرتبطون مع معظم سكان هذه البلاد بجامعتي اللغة والدين وهاتان الجامعتان هما من اقوى الروابط بين الحاكم والمحكوم ومن وجه آخر فانهم مضطرون الى مقاومة الخرافات المتأصلة في عروق الاهلين منذ اجيال بعيدة * وهنا احذر كل موظف مصري في هذه البلاد ان اقل حياد عن طريق العدالة المثلى هو مضرٌ بسلطة سمو الخديوي المعظم المشارك لجلالة الملك اذ وارد السابع في حكم هذه البلاد وان عليه احترام رغائبهما احتراماً وطنياً خصوصياً . وتلك الرغائب هي رغائب كل حكومة عادلة مستقيمة * واما الانكايز فعليهم تعلم لغة صعبة وهم وان كانوا يحترمون دين السكان الا انهم لا يشاركونهم فيه ولكن يساعدهم ما فطروا عليه من القدرة على الحكم والرغبة الخالصة في اسعاد البلاد التي يحكمونها

« وارى انه من الضروري جدا بذل الجهد في اسعاف الموظفين الانكليز والمصريين بضم موظفين سودانيين اليهم كلما سحت الفرصة . فالسودانيون امة مجيدة وكثيرون ممن يسمعون خطابي قد ساعدتهم الاحوال على تأييد هذه الحقيقة وهي ان في السودانيين صفات هي اس كل الصفات الوطنية فهم اصحاب بأس وشجاعة ولكنهم ايضا لسوء الحظ اميون جداً ولذلك فالعقبات التي تحيط بهم كثيرة شاقة . اقدم لكم على ذلك مثالا : كل يعلم ان النظام المتبع في السجون باعطاء علامات حسن السلوك مفيد جداً وحدث اني طالعت في هذه الاثناء تقريراً للكبتن بورتن مفتش سجون السودان قال فيه انه لم يستطع ادخال هذا النظام في السجون السودانية لان السجنائين عموماً مع اتصافهم بصفات حميدة يجهلون القراءة والكتابة . ولست اشك ان حضرة السر رجينلد ونجت الذي لا يني اللسان بمدح ما يأتيه من ضروب الاصلاح والتحسين في السودان سيدخل كل ما في وسعه لايجاد فئة من السودانيين يمكنها عما قليل ان تملأ الوظائف الصغرى في دوائر الحكومة . واما تعليم العلوم العالية فلم يحسن وقته بعد فاذا حصرنا اهتمامنا في تعليم الكتابة والقراءة وعلم الحساب جنينا نتائج مرضية . واني اصدق رأي المستر كري في عدم استصوابه الاحاح في تعليم العلوم باللغة الانكليزية

والآن اقول لكم شيئاً يشجعكم على الاستمرار في عملكم الحيد بغيرة لا تنقص:
لا تقنطوا اذا لم تحصلوا على كل ما ترومونه دفعة واحدة ففي مدة ٤٥ سنة قضيتها
في السياسة كنت دائماً اسعى لاتمام اغراض شتى مست الحاجة اليها ولكني اؤكد
لكم انني لم اظفر الا بالقليل منها * ومن الاشياء التي ارومها للسودان عدا سكة حديد
سواكن مد خط حديدي الى كسله واذا امكن الى حدود الحبشة ليس بقصد الوصول
الى مدينة الراس البعيدة بل لفتح سوق تجارية لترويج حاصلات البلاد . ثم اريد
ان استثمر الجزيرة وان امد خطاً حديدياً الى الابيض جلب صمغ كردوفان الى الخرطوم .
واريد انشاء خزان او خزانين على النيل الازرق . واما السدّ فاني اريد ان اقطعه
ارباواخرجه من تلك المستنقعات الملاءى بالبعوض والحشرات وان آتي بالآلات تجرف
الوحول الراسبة في قعره * وهنا اشكر هم الكولونل بياك والماجور ماتيوس وغيرهما من
الضباط الذين عانوا المشاق في فتح طريق للملاحة في السدّ لان ليس احد يستطيع
ان يدرك المشاق التي تكبدوها في هذا السبيل الا بزيارة تلك الجهة * واريد عدا
ما ذكر اشياء يطول شرحها ولكني اعلم اني لا استطيع الحصول عليها كلها دفعة واحدة
وعليه فاني اكرر القول الا تقنطوا * واذكر انه منذ مدة ليست بعيدة كان الامل
بارتقاء مصر اظلم جداً من الامل بارتقاء السودان الآن فكل ما تبغونه تنالونه في وقته .
فانتم اهل للنجاح وانا واثق ان امامكم في المستقبل نجاحاً اعظم من نجاحكم في الماضي
« واخيراً اشكر لحضراتكم صبركم على سماع خطابي هذا واثني من صميم فؤادي
على سعادة السر رجينلد ونجت واللاادي ونجت وغيرهما لترحيبهم بي وكرامتهم اياي
مدة زيارتي لهذه البلاد وساعود الى مصر حافظاً لهذه الزيارة اطيب ذكرى اه »
✍ تقرير اللورد كرومر سنة ١٩٠٢ ✍ وجناب اللورد كرومر يعنى بالسودان الآن
عناية خاصة وهو يفسح قسماً مهماً من تقريره السنوي لوصف حال السودان وبيان
الوسائل التي تبذل لترقية شؤونه وتمدينه ويدرج فيه تقرير الحاكم العام وجل ما
يجي في تقارير رؤساء المصالح والمديرين السنوية ومما جاء في تقريره لسنة ١٩٠٢
تقلاً عن تقرير السر رودلف فون سلاطين باشا مفتش السودان العام :

« ان احوال البلاد عموماً على احسن ما يرام فكنت حينما ذهبت أجد قرى وزراع جديدة لم تكن في السنة الماضية وقد ازداد الاهالي عدداً وثروة وزاد عدد مواشيهم وساد الامن في البلاد كافة والجميع راضون عن الحكومة الحاضرة كل الرضى »
﴿ مذكرة الحاكم العام عن سنة ١٩٠٢ ﴾ وختم اللورد كرومر تقريره بمذكرة رفعها الماجور جنرال السر رجينلد ونجت باشا سردار وحاكم السودان العام في ١٨ يناير سنة ١٩٠٣ عن سير التقدم في السودان في اثناء سنة ١٩٠٢ وجل ما فيه :

« ان المفاوضات التي كانت جارية في تعيين حدود السودان تمت على ما يرام سنة ١٩٠٢ واهمها تعيين الحدود بين السودان والحبشة في ١٥ مايو ١٩٠٢ وقد نشرت بنصها واهم ما جاء فيها : اولاً ان الحد الفاصل بين السودان والحبشة خط يرسم من خور ام حجر على نهر ستيت الى القلابات فالنيل الازرق فوق فامكة فنهر بارو فنهر يبور فنهر اكو بو فمليه الى تقاطع خط الدرجة الـ ٦ من العرض الشمالي بخط الدرجة الـ ٣٥ من الطول شرقي كرينوج * ثانياً ان لا يبني بناء على النيل الازرق وبحيرة تسانا ونهر سبت من شأنه ان يمنع جري الماء الى النيل الا باتفاق الفريقين * ثالثاً ان تؤجر ارض بجوار ايتنج على نهر بارو للحكومة السودانية لتدبر امورها وتحتلها جاعلة اياها محطة تجارية * رابعاً ان تعطى الحكومة السودانية حقاً في انشاء سكة حديد تمر في ارض الاحباش وتصل بين السودان واوغنده »

« واما الحد الفاصل بين السودان والاريثريا فقد جرى الاتفاق على استبدال الحد المعين في اتفاق ١٦ ابريل ١٩٠١ بمحد يبتدىء من سبدرات ويمتد بطريق ابي جل حتى يصل الى ملتقى خور ام حجر بنهر ستيت »

« وقد عقد اتفاق على البوستة وآخر على التلغراف بين حكومة اريثرية وحكومة السودان » وارسالت الحكومة المصرية رسالة الى بحيرة تسانا وسافر السروليم جارستن من ممباسا الى البحيرتين وسيعود منهما الى القاهرة بطريق النيل (وقد عاد اليها الآن) « واقصى محطة جنوبية تابعة للحكومة السودانية هي منجالا على بعد ٢٠ ميلاً من كوندوكرو التي هي أبعد نقطة شمالية من المديرية النيلية التابعة لاوغنده »

امامقاطعة اللادو واشهر تقطها كيرو واللادو والرجاف فلايزال البلجيون محتلين لها ولم يتم الاتفاق بعد على تعيين الحدود هناك * على ان سلطة الحكومة السودانية تمد تدريجاً على مديرية بحر الغزال * وابدى الاهالي رغبتهم في الانخياز الى الحكومة المصرية والخضوع لها . اعدا دنكة اجار فانه بينا كانت حملة سائرة بالزاد من شامي الى اورمبك في اوائل السنة بقيادة اللفتنت سكوت باربور هجمت عليه هذه القبيلة وقتلته وقتلت معظم رجاله مكرراً وغدرراً . فحف القائم مقام اللفتنت كولونل هنتر قومندان بحر الغزال الى محل الواقعة وارسلت حملة صغيرة من الخرطوم بقيادة الكبتن ستاك فعاونته على تأديبها وطلب شيوخ القبيلة العفو فغفي عنهم

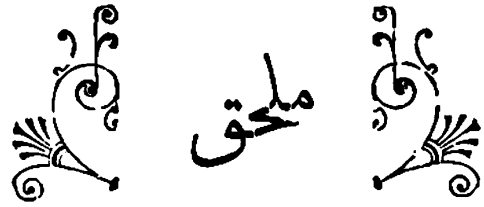
« ثم ان قطع السد في هذا النهر افضى الى فتح مجرى يصلح للملاحة بين مشرع الريك وو او بعد ان قضى اللفتنت فل وضباط آخرون نحو سنة وهم يجاهدون في قطعه » وذهبت رسالة برئاسة المستر براون مدير الاحراش والغابات للنظر في غابات بحر الغزال فاكتشفت مقادير عظيمة من شجر الصمغ الهندي (اللستك) ويؤمل ان يوسع نطاق التجارة به كثيراً * ومن سوء الحظ ان هواء بحر الغزال مضرٌ بالاور بين خصوصاً وقد فقدنا به ضابطاً عظيماً وهو اللفتنت كولونل هنتر بالحى السوداء » ويقال في كردوفان بوجه عام انها تقدمت تقدماً ظاهراً في السنة الماضية وان تجارة الصمغ تحسنت كثيراً والسكان زادوا زيادة محسوسة والفضل في ذلك كله ناجم عما يبذله المدير الكولونل ماهون من الهمة والغيرة والاقدام بمساعدة جماعة صغيرة من الضباط والموظفين الانكليز لا تقل عنه همة واقداماً

« اما علي دينار سلطان دارفور التابع لنا فقد كان سلوكه مرضياً من كل وجه . فانه دفع الجزية السنوية الصغيرة المفروضة عليه باكملها وزالت قلاقل الحدود التي اشترت اليها في تقرير السنة الماضية واتسع نطاق التجارة بين كردوفان ودارفور وجلب عدد وافر من البقر الجيدة الى كردوفان . وقد نجحت مساعي السر رودلف سلاتين نجاحاً خصوصياً في هذه الانحاء فان معرفته التامة لها ونفوذه الشخصي بين القبائل الغربية المختلفة كان لها اليد الطولى في العلائق الحسنة التي بين دارفور والحكومة السودانية

« وأما مديرية دنقلة فلا تزال تتقدم بإدارة الكولونل جكسون ولكن افراد مركزها الجغرافي ووقوعها بعيدة عن حركة التجارة على خط سكة الحديد الممتدة الى الخرطوم افضيا الى البحث في مسألة مهمة وهي كيف تعامل سكة حديد الكرامة في الاستقبال » وقد زادت الحركة التجارية زيادة عظيمة في سواكن بسبب مشروع سكة الحديد التي ستوصلها بالنيل . والمرجح ان الخط يخترق سلسلة الجبال المجاورة سنكات وينتهي الى وادي الاتبره فيلتقي بالخط العمومي قرب جسر (كبري) الاتبره . والمتنظر ان هذه السكة تغير وجه التجارة السودانية تغييراً عظيماً

« وأما مديرية بربر فقد تحسنت تحسناً عظيماً وزاد ايرادها زيادة كبيرة . وهي بلاد زراعية محضة وسيفيدها مد سكة الحديد بينها وبين سواكن فائدة جزيلة » ومن الدلائل المهمة على ان اهالي السودان يزدون رضاً بحالتهم عدد العرائض التي ترفع الي بصفة كوني حاكماً عاماً . فقد كانت ترفع الي في الثلاث السنين الاولى عدة آلاف كل سنة ولكنها هبطت سنة ١٩٠٢ الى ست مئة عريضة فقط ، ثم اشار الى تقدم الخرطوم وغيرها من مدن البلاد وامتدح همة الكولونل فرند مدير الاشغال وختم بالثناء الجميل على الكولونل ناسون والمستر بونهام كارتر والفتنت كولونل برنارد وعلى سائر رؤساء المصالح والمديرين ومعاونيهم من الشبان الانكليز وغيرهم لما ابدوه من الغيرة والهمة والاقدام في خدمة البلاد تحت ادارته . . . اه ، هذه اشهر الخطب والتقارير التي جاء بها اللورد كرومر والسر رجينلد ونجت بشأن السودان وفيها جل ما تم فيه وما يرجي له من الاصلاح في المستقبل القريب ﴿ ختام ﴾ ويسرني ان اجعل ختام كتابي خطب هذين النابقتين وتقاريرهما واتمنى لكل بلاد منيت بالظلم والفساد ان تنشل منها كما نشل السودان وتسعد بعناية رجل عظيم حكيم كاللورد كرومر وهمة حاكم عدل كريم كالسر رجينلد ونجت باشا ﴿ انتهى ﴾

وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب يوم ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٠٣ بعد اختبار نحو ٢٠ سنة في السودان واهله * وقضاء جل ساعات الفراغ الثمينة مدة سبع سنين متوالية في جمع مواده وتمحيص حقائقه * وسنة ونصف سنة في تبييضه وطبعه * والحمد لله اولاً وآخراً *



تاريخ السودان وجغرافيته

(كتب في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٣)

يعلم القارئ اللبيب ان كتاباً مثل هذا استغرق تبييضه وطبعه سنة ونصف سنة وقد وُصف السودان فيه وصفاً تناول كل موضوع من مواضع الجغرافية الوصفية والادارية والتاريخ القديم والحديث في نحو ١٢٠٠ صفحة لا بدّ له من ملحق يضم كل اضافة أو تنقيح اوجبه مرور الزمن ومتابعة الاستقراء في اثناء الطبع . ويصلح ما وقع في الطبع من الخطاء والسهو ولو قلّ * لذلك اردفته بهذا الملحق حرصاً على زيادة اتقانه واستيفاء حوادثه الى يوم صدوره (٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٣)
وقد ضمنت هذا الملحق كل ما يحتاج اليه المسافر الى السودان من المعدات والمعلومات واؤمل ان اجدّده كل سنة حتى تنفذ الطبعة الاولى واوفق الى طبعة ثانية والله الموفق الى الصواب :

١ . التنقيح والاضافة

في

الجزء الأول : الجغرافية

مديريات السودان الانكليزي المصري

(صفحة ٧٢ : ٦٩) ذلك كان التقسيم الاداري للمديريات في اواخر سنة ١٩٠٢ وقد جرى بعض التغيير في المأوريات وُبدّل لقب محافظة حلفا وفاشودة وسواكن بلقب مديرية وغير اسم مديرية فاشودة بمديرية النيل الاعلى واسم المدينة نفسها الى كودوك فأصبح اسماء المديريات ومأورياتها الآن كما يأتي :

المديريات	مامورياتها
مديرية حلفا	حلفا . المحس وسكوت
مديرية دنقله	ارقو . دنقله الاوردي . الخندق . الدبة . كورقي . مروي
مديرية بربر	الرباطاب . بربر . مدينة بربر . الدامر . شندي
مديرية الخرطوم	مدينة الخرطوم
مديرية الجزيرة	الكاملين . المسلية . رفاعه . ود رملي . عبود . الكوة . القطينة . قوز ابو جمعه
مديرية سنار	سنار . سنجة . ود مدني . الرصيرص . الدندر . دار الفونج . ابو نعامه
مديرية النيل الاعلى	كودوك
مديرية بحر الغزال	لامأورية فيها ومن مدنها الشهيرة الآن : واو . مشرع الريك . ديم الزبير . شك شك . تونج . اورميك . شامي
مديرية كسله	كسله . القصارف . القلابات
مديرية سواكن	سواكن . طوكر
مديرية كردوفان	الاييض . بارة . الدويم . خورسي . النهود . السنوط الطيّارة . الدان . تندك (جنوبي كردوفان) . جديد
دارفور	الفاشر

✽ خزان اصوان ✽

(صفحة ٧٥) وقد تمّ الاحتفال بفتح خزان اصوان بحضور الجناب العالي الخديوي
وسمو الدوق اوف كنوت وقرينته في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٠٢

✽ مدينة الخرطوم ✽

(صفحة ٩١) ووضع الحجر الاساسي لجامعها في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٠ وسيتم
بناؤه في اواسط السنة الآتية

✽ الاستاذ محمد المهدي السنوسي ✽

(صفحة ١٢٨) وقد توفي في واحة قرو في ٢٢ صفر سنة ١٣٢٠ هـ ٣٠ مايو سنة ١٩٠٢ م قبل العصر ودفن هناك في اليوم التالي . وقيل نقلت جثته الى واحة الكفرة وسيدفن هناك . وخلفه ابن اخيه السيد احمد الشريف فنقل زاويته الى الكفرة وهو لا يزال فيها

✽ موظفو مصالح الادارة المركزية ✽

(صفحة ١٦٣) تلك المصالح والموظفون في سنة ١٩٠٢ واهم تغيير حصل الى الآن في موظفي مصالح الادارة المركزية انهم جعلوا لقب السكرتير الملكي «السكرتير جنرال» وسمي القائم مقام هول بك مساعداً للسكرتير جنرال بدلاً من الشريف البكباشي جيمس الذي سمي مساعداً للسكرتير مالي الحرية . وسمي البكباشي اون نائب مساعد السكرتير جنرال . والبكباشي الدرتون نائب مساعد سكرتير مالي السودان . والمستر هيتز قاضياً مدنياً . والمستر كروفوت مساعداً للمدير المعارف . والمستر نقل مفتش الزراعة

✽ المديرين ✽

(صفحة ١٦٤) وسمي الميرالاي السر هل مارونت بك بدلاً من الميرالاي مكرل بك . والقائم مقام دكنسون بك على الجزيرة بدلاً من الميرالاي بلوت بك . والميرالاي ولكنسون بك على كسله بدلاً من اللوا هنري باشا واللوا سباركس باشا على سواكن بدلاً من القائم مقام بلايفر بك وسيعود سباركس باشا الى الجيش الانكليزي قريباً ويسمى هوارد بك مديراً على سواكن مكانه وسمي الميرالاي اوكونل بك على كردوفان بدلاً من اللوا ماهون باشا والقائم مقام بلنوا بك على بحر الغزال بدلاً من سباركس باشا

✽ رؤساء الاقلام الملكيين في السودان ✽

(صفحة ١٦٥) وسمي ابراهيم افندي مرقص باشكاتب المخازن في الخرطوم بدلاً من روفائيل افندي خليل المتوفي . ونقل فرج افندي شحاده باشكاتب مديرية سنار . وامين افندي حداد باشكاتب مديرية الخرطوم احدهما الى مكان الاخر . ونقل وليم

افندي زلزل من دقله باشكاتباً لمديرية كردوفان بدلاً من ناصيف افندي جمل الذي
نقل باشكاتباً لمديرية بحر الغزال . وسمي حسيب افندي اسطفان من مكتب السكرتير
جنرال باشكاتباً لمديرية دقله

✽ وكالة حكومة السودان بمصر ✽

﴿ صفحة ١٦٦ ﴾ لقد ذكرنا في خاتمة الكتاب تسمية النبيل اللورد ادوار سسل وكيلًا
عاماً لحكومة السودان بدلاً من الكونت كليخن وذلك منذ ١٦ اكتوبر سنة ١٩٠٣
وفي ١٦ يونيو سنة ١٩٠٣ ندب الشاعر الناثر اسعد افندي داغر من ادارة
تحرير المقطم الاغر ليكون في عداد موظفي هذه الوكالة وعهد اليه برئاسة القسم الفني
فاظهر فيه من الكفاءة والدربة والاستعداد ما قد عهدنا به من قبل

✽ الجيش المصري ✽

﴿ صفحة ١٦٦ ﴾ واما الجيش المصري فقد جعل مركز الادجوتانت جنرال في
الخرطوم ومساعد الادجوتانت جنرال في مصر * ورقي القائم مقام السيد بك ماجد
الى رتبة ميرالاي وسمي قومنداناً للحرس الخديوي والموسيقى الخديوية وسمي القائم مقام
خلف بك خيرى ياور خديوي مكانه

وسمي كلاً من القائم مقام س . ا . تشارلتون بك والبكباشي ا . ج . ف . فون ياوران
للسردار والميرالاي فيس بك كاتم اسرار حرية وسكرتير سعادة السردار وحاكم
السودان العام والقائم مقام ستاك بك مساعد كاتم اسرار حرية * وسمي اللواء هنري
باشا ادجوتانت جنرال بدلاً من اللواء فرغوسن باشا الذي عاد الى الجيش الانكليزي
وسمي الميرالاي ابراهيم بك فتحي . والميرالاي ك . وطن بك . والقائم مقام
بلمر بك . والقائم مقام هربرت بك مساعدي ادجوتانت جنرال بدل من ذكرناهم آنفاً
والبكباشي لمبرير بدل البكباشي بيلي الذي رقي الى رتبة قائم مقام وعاد الى الجيش
الانكليزي والبكباشي كليتون بدل البكباشي جاكسون * وسمي القائم مقام هوكر بك
قومنداناً للهجانة * والقائم مقام جاكسون بك . والبكباشي تونسن . والقائم مقام ستكول
بك والميرالاي رفنسكروفت بك . والقائم مقاميون غوردن بك وكونولي بك وماسي بك

وويشو بك وسذرلند بك ومكلين بك قومندانات الاورط الاولى والثانية والثالثة المصرية والتاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة والخامسة عشرة السودانية والسادسة عشرة المصرية بدل من ذكرنا هناك

وسمي الميرالاي أسر بك السكرتير المالي للجيش المصري بدلاً من القائم مقام الجود بك الذي نقل الى الداخلية * والميرالاي محمد بك توفيق ناظر مدرسة الحرية بدلاً من اللواء اسماعيل باشا سرهنك الذي نقل الى القرعة العسكرية * ورقى عبد الغني باشا فؤاد الى رتبة لواء واحيل على المعاش

﴿ قوانين حكومة السودان ﴾

﴿ صفحة ١٧٠ ﴾ ذكرنا في هذه الصفحة ما قد تم من القوانين الى حين طبعا في اواخر سنة ١٩٠٢ وجد بعد ذلك الحين الى الآن القوانين الآتية :

قانون نزع الملكية سنة ١٩٠٣ * قانون تقرير عوائد الحيوانات سنة ١٩٠٣ (ويعتبر مع قانون تقرير عوائد الحيوانات لسنة ١٩٠١ كقانون واحد) * قانون حجب ملكية الاراضي سنة ١٩٠٣ (ويعتبر مع قانون حجب ملكية الاراضي سنة ١٨٩٩ كقانون واحد) * قانون عوائد الدخولية على الصمغ وغيره سنة ١٩٠٣ * قانون المشروبات الروحية سنة ١٩٠٣ * قانون اكتشاف غش الصمغ الهندي والقوتابرخا سنة ١٩٠٣ * قانون زيت البترول سنة ١٩٠٣ * قانون حمل الاسلحة النارية سنة ١٩٠٣ * قانون الاسلحة سنة ١٨٩٩ * قانون وقاية الحيوانات والطيور البرية سنة ١٩٠٣ وهو يلغى قانون سنة ١٩٠١ * قانون السكة الحديدية سنة ١٩٠٣ * قانون اراضي مدُن مديرتي كسلا وكردوفان سنة ١٩٠٣

﴿ المدارس الاميرية الجديدة ﴾

﴿ صفحة ١٧٢ ﴾ نقلت مدرسة المعلمين التي كانت في أم درمان الى كلية غوردن في الخرطوم في ٢ نوفمبر سنة ١٩٠٣ وفيها الآن ٣٥ تلميذاً

﴿ المدارس الخصوصية في السودان ﴾

﴿ صفحة ١٧٣ ﴾ عدا ما ذكرنا : مدرسة المرسلين الاميركان الانجيليين على نهر سبت

ومدرسة المرسلين النمساويين الكاثوليكين على نهر النيل الايض جنوبي كودوك*
وقد باشر المرسلون الاميركان انشاء مدرستين أخريين احدهما في الخرطوم
والاخرى في حلغا

✽- وابورات السودان ✽-

(صفحة ١٧٣) وابورات البريد والركاب بين شلال اصوان وحلغا هي : أيس*
تيجور* طوشكي* امبقول* سمعة* وبين الخرطوم وكوندوكرو : عباس باشا* دال*
عكمه* خير* وكلها لحكومة السودان الملكية
ولقومبانية استعمار السودان ثلاثة وابورات وهي : « غوردن » لنقل البريد
والركاب بين الخرطوم وقوز ابي جمعه* « والاتبرة » وكرري* لنقل البضائع في
النيلين الايض والازرق

✽- تلغراف السودان ✽-

(صفحة ١٧٦) السطر الذي قبل آخر الصفحة من قوله الى الدويم الخ اصبح الآن :
الى الدويم فالايض* وفي سنة ١٩٠٢ مدّ من الدويم الى الرنك ففاشودة فالتوفيقية
(صفحة ١٧٧) نمرة ٣ بربر* سواكن* طوكر* كسله* القصارف* القلابات* ومدني* نمرة ٦
الخرطوم قوز ابو جمعه* نمرة ٧ الخرطوم* الدويم* الرنك* فاشودة* التوفيقية* ويوجد
الآن مكتب لتبادل الاشارات التلغرافية بين حكومتي الارثريا والسودان في سبدرات
وفي سنة ١٩٠٣ مدت خطوط التليفون في الخرطوم فأم درمان فالحلفايا ولكنه
لم يزل منحصراً في مكاتب الحكومة والهمة مبدولة في توسيع نطاق هذه المصلحة
التي تعهد بادارتها القائم مقام لدل بك

✽- بريد السودان ✽-

(صفحة ١٨٧) سطر ١ : كاملين بدل رفاعة* سطر ٤ : التوفيقية بدل سبت* سطر ٥ :
القصارف* القلابات بدل قوز رجب على الاتبرة* سطر ٦ : النهود بدل بارة

صفحة ١٨٤ تعريف ابورات البر والبحر الاعتيادية

الطريق	المسافة بالاميال	درجة اولى غ . ص	درجة ثانية غ . ص	درجة ثالثة غ . ص
من الشلال الى حلما (بالنيل)	٢٢٦	٤٠٠ ذهاب ٣٠٠ اياب	٢٠٠ ذهاب ١٥٠ اياب	٤٠ ذهاب ٣٠ اياب
من حلما الى الكرمه (بسكة الحديد)	٢٠٣		٢١٣ $\frac{1}{2}$	٧١
من حلما الى الخرطوم (بسكة الحديد)	٥٧٥	٥٧٥	٤٠٢ $\frac{1}{2}$	٢٠١ $\frac{1}{2}$
من الخرطوم الى الرصيرص (بالنيل الازرق)	٣٨٠	١٠٢٦	٣٣٢	١١٤
من الخرطوم الى مشرع الريك (ببجر الغزال)	٧٤٠	٢١٣٨	١٠٣٦	٢٤٧
من الخرطوم الى كوندوكرو (ببجر الجبل)	١٠٨١	٢٩١٨ $\frac{1}{2}$	١٥١٣ $\frac{1}{2}$	٣٦٠ $\frac{1}{2}$

التعريفه في المفتخر هذه هي التعريفه الان بالوابورات العادية . وقد اعدت حكومة السودان وابورات مفتخرة للسياح في البر والبحر تقوم من الشلال الى الخرطوم وبالعكس مرتين في الاسبوع وجعلت التعريفه في وابورات النيل من الشلال الى حلما ٥٠ غرش ومن حلما الى الشلال ٤٠ غرش . ثم من حلما الى الخرطوم بسكة الحديد مع عربة النوم ١٠٠٠ غرش ذهاباً و ١٦٠٠ غرش ذهاباً واياباً وذلك كله بلا اكل . واما تعريفه الاكل ففي وابورات النيل ٦٠ غرشاً في اليوم درجة اولى و ٣٠ درجة ثانية وفي سكة الحديد ٧٥ غرشاً في اليوم درجة اولى

هذا ويقوم من مصر الى الشلال ٣ قطارات مفتخرة في الاسبوع بعربات اكل ونوم الى الاقصر فيرتبط اثنان منها بقطاري الشلال الى الخرطوم . ويدفع المسافر من مصر الى الشلال في الدرجة الاولى ٢٦١ غرشاً عدا اجرة الاكل والنوم الى الاقصر التي تبلغ ١٢٠ غرشاً وفي الدرجة الثانية $\frac{1}{2}$ ١٣٠ غرشاً وفي الدرجة الثالثة ٦٥ غرشاً

اوقات السفر

من مصر الى الخرطوم فالمسافر من مصر الى الخرطوم في المفتخر يخرج من مصر الاحد او الاربعاء الساعة $\frac{1}{4}$ ٦ ب . ظ فان خرج الاحد وصل

الشلال الاثني مساءً ووجد واور النيل مستعداً فيسير به الى حلفا ولا يقف الا في ابي سمبل للتفرج على هيكلها ويصل حلفا في يوم الاربعاء الساعة ٤ ب . ظ ثم يركب القطار المفتخر من حلفا الى الخرطوم فيصلها في يوم الجمعة الظهر * وهكذا اذا قام من مصر الاربعاء مساءً يصل الخرطوم يوم الاثنين الظهر * واور المفتخر يحمل البريد من مصر الى حلفا وجنوبها وذلك في فصل الشتاء واما في الصيف فلا يسير من الشلال الا عند الاقتضاء

واما المسافرين من مصر الى الخرطوم بالاعتیادي فيجد واوراً من مصر كل مساء الساعة ٨ ب . ظ . ويجد من الشلال الى حلفا واورين في الاسبوع يقوم كل منهما يوم قيام المفتخر ولكنه يقف عند عدة قرى في الطريق اخصها كلابشة والعلافي وكورسكو والدر وابریم . ويجد من حلفا قطاراً الى الخرطوم كل يوم ولكنه لا يجد طعاماً في القطار

﴿ من حلفا الى دنقلة ﴾ ويجد من حلفا الى الكرمة قطاراً كل اسبوع ويجد في الكرمة واوراً يحمله في النيل الى دنقلة بيومين ثم الى مروي بثلاثة ايام ﴿ من بربر الى سواكن او كسلة ﴾ واما المسافر من بربر الى سواكن فيقتضي عشرة ايام على الجمال على معدل ٢٥ ميلاً في اليوم واما هجن البريد فتصل بثمانية ايام ﴿ في النيل الايض ﴾ ثم ان المسافر من الخرطوم في النيل الايض يجد واوراً كل اسبوع الى الدويم يصل اليها بيومين والمسافر الى جنوبها يجد في الخرطوم واوراً كل اسبوعين * ويركب الجمال منها الى الايض فيصلها بستة ايام ﴿ في النيل الازرق ﴾ واما النيل الازرق فلا يصلح للسفر الا مدة ارتفاع النيل كما مرّ وفي هذه المدة يجد المسافر واوراً من الخرطوم الى الرصيرص كل اسبوعين

عن المعدات اللازمة للمسافر الى السودان

﴿ الكتب والخرط والجرائد ﴾ اما المعدات اللازمة للمسافر الى السودان فمن اهمها: الكتب التي تبحث عن السودان . وهذا الكتاب قد تكفل بتاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته واجمال حاله وفيه خارطة عمومية في اهم بلادته ومدنه والبلاد المجاورة له

ومن اراد التوسع في تاريخ الثورة المهدية وجد في الانكليزية مؤلفات الماجور ونجت (السردار الحالي) الشهيرة وهي : « المهدية والسودان المصري » « واسر عشر سنين في السودان » للاب اوهر ولدر . « والسيف والنار في السودان » للسردولف سلاطين باشا الشهير * * وفي العربية : كتاب تاريخ الثورة المهدية للكاتب النبيل جبرائيل بك حداد . وكتاب السودان بين يدي غوردن وكتشنر لابراهيم باشا فوزي . وتاريخ مصر الحديث للمؤرخ المتقن جورج افندي زيدان صاحب الهلال . وهي اهم ما كتب في السودان الى الآن

ومما يفيد المسافر الاطلاع عليه الغازات السودانية وهي الجريدة الرسمية لحكومة السودان وجريدة « السودان » التي تصدر في الخرطوم وقد تقدم لنا وصفها ﴿ الملبوسات ﴾ ويلزمه من الملبوسات ما يناسب البلاد الحارة الكثيرة الغبار ونذكر هنا على سبيل التذكرة : بدلات تيل اسمر . بدلات تيل ركوب . بدلات رسمية . بدلات جوخ للشتاء اذ يشتد البرد في الصباح والمساء . قمصان بيض تكوى او لا تكوى وهذه افضل * وجزم سوداء او صفراء وهذه افضل . وجزم ميدان لبلاد كردوفان وبحر الغزال وكسله وسنار وفاشودة حيث يكثر المطر والشوك * وطرايش مبطنة بقش او برانيط واسعة وهذه افضل

﴿ المأكولات ﴾ ويمجد المسافر اللحم والفراخ والبيض والخضر في اكثر البلاد العامة ولكنه اذا خرج لسفر الى الجهات النائية عن المدن فلا بد له من المأكولات المحفوظة في العلب كعلب المربي على انواعه وعلب اللحم والشوربة والخضر والخل والزيت والشاي والسكر والملح والفلفل والجبن ونحوها

﴿ معدات النوم ﴾ ولا بد للمسافر من سرير سفر وسجادة وحرامات صوف وملايات ومخدات وباتوفلي عال لتوقي العقارب وناموسية لتوقي البعوض في بعض المحال ﴿ معدات الغسل والتزيين ﴾ ويلزمه ادوات الغسل والتزيين من امواس وفرش ومراة سفر وطشت وابريق وحمام صاج ومناشف وشمعدان وفانوس وشمع ﴿ معدات الطبخ والمائدة ﴾ ويلزمه للطبخ والمائدة طاولة صاج سفريه وكراسي

سفر وشوك وسكاكين وملاعق وصحون وفناجين وكبايات صفيح ابيض وآنية
صاج للشاي والطبخ ومصفاة . وسكين كبير بشفرتين متينتين ومفتاح للعلب وبريمة .
وشنطة صغيرة يضع فيها اكله وزمزمة يضع فيها ماءه في اثناء السفر وقربة ماء تحمل على الجمال
﴿ معدات الركوب ﴾ ومن احب ركوب الخيل فليأخذ معه سرج حصان

بجميع معدّاته . اما المخوفة لركوب الابل فليشترها من السودان

﴿ الادوية ﴾ ومن اهم لوازم المسافر مجموعة من الادوية المركبة اقراصاً
او حبوباً كحبوب روس التي يتجر بها الدكتور نقولا نمر في القاهرة واهمها : الكينا
لمعالجة الحمى . ومسحوق دوغر لمعالجة وجع المعدة والحمى . وزيت الخروج او عرق الذهب
لمعالجة الديزنتاريا والكولرودن او سليسات البزموت لمعالجة الاسهال — وكلورات
البوتاس لمعالجة التهاب الحلق . ونفستين للتعريق ومداواة وجع الرأس . وسلياني لغسل
الجروح ومقص ومشمع ونسالة واربطة لضمد الجروح . وثرمو متر طبي . وروح النشادر
لمداواة اسع العقرب . وعصير الليمون لمنع الاسكربوط وكونياك في زجاجة بغلاف
من قش . ونفتالين لوقاية الثياب من العث . وحزام صوف لتدفئة المعدة والامعاء

﴿ الخدم ﴾ ولا بد للمسافر من خادم له المام بالطبخ يعتني بأمّنته وطعامه وغسيله

﴿ معدات شتى ﴾ ومما يلزمه شمسية واسعة متينة . ونظارة كبيرة لتقريب الابعاد .

ونظارات ملونة لتوقي الغبار . ومحك لمعرفة جهة السير . وساعة يد سفرية . وسنارة

لصيد الاسماك . وبندقية لصيد الطيور . ودفتر مفكرات . وابر وخيطان وازرار ودبايس

تجمل في محفظة من قماش . ودواة واوراق واقلام ومغلفات توضع في محفظة من جلد

﴿ معلومات شتى ﴾ تروج النقود المصرية في جميع بلاد السودان الا في بحر

الغزال وفاشودة فان اهلها يتعاملون بانواع معلومة من الخرز رخيصة جداً وفي حدود

الحبشة حيث يتعاملون بريالات مارياتاريسا بقيمة الواحد منها نحو ١١ غرشاً . ولا

تلتزم الكلاب والبيسكات في السودان لان الهواء لا يناسبها

ومما يجب الانتباه اليه : عدم الخروج في الشمس بلا برنيطة او طربوش ولو

كانت الشمس محجوبة بالغيوم . وعدم رمي اعقاب السجاير بقرب هيشة او هشيم

وعدم الاستحمام في النيل فان في ذلك خطراً من التيار والتاسيح فضلاً عن ان الاستحمام في النيل يجلب الحيات . ومن رام الصيد خارج المدن فلا بد له من زاد يوم وماء ومحاك وكبريت وليحذر من فراغ قربته الا اذا تأكد وجود الماء حيث يصيد

﴿ الجزء الثاني : تاريخ السودان القديم ﴾

﴿ صفحة سطر ٣٤ ٢٤ ﴾ منها تمثال اسد نقله خورشيد باشا احد ولاة السودان السابقين الى مصر وتمثال اوسيرس احد آلهة المصريين القدماء مصنوع من الغرانيت الاسود نقله احد الالمانيين الى الكمامين وشاهده لبسيوس هناك سنة ١٨٤٤ م

﴿ الجزء الثالث : تاريخ السودان الحديث ﴾

﴿ صفحة سطر ٩٤ ١٢ ﴾ ان الجناب العالي استدعى اولاد السلطان ابراهيم الذين اتى بهم الى مصر فوجدهم دون البلوغ فندب الامير عبد الشكور ابن الامير عبد الرحمن ابن السلطان حسين وانعم عليه بالقب باشا والنيشان المجيدي الاول وجعل له راتباً قدره ١٢٠ جنيهاً في الشهر ووجهه الى الفاشر فـ وصل دتقلة حتى قامت قيامة المهدي فرجع الى اسيوط وسكن فيها الى اليوم

— ولاية عبد القادر باشا حامي —

بعد الفراغ من الكلام على ولاية عبد القادر باشا في الخرطوم توقفت الى الاجتماع بهذا القائد الباسل في حلوان فجرى لي معه حديث طويل بشأن ولايته في السودان آتي منه هنا على ما فاتني ذكره في محله :

﴿ صفحة ١٣٢ ﴾ قلت المشهور انك لم تسلم بحملة الشلاي على المهدي في قدير وان الحكومة أذنت فيها قبل قيامك من مصر على الضد من رأيك ؛ قال لا بل انا سلمت بها ايضاً بناءً على الحاح جيكار باشا في وجوب الاسراع بارسالها واعتماداً على ان الحاضر يرى ما لا يراه الغائب

﴿ صفحة ١٤٣ ﴾ ثم قلت بلغني انك علمت بركة الشريف احمد طاهافي ابي حراز وانت في بربر فدالت الصاغ سرور افندي بهجت على طريقة في الهجوم كفلت له النصر فهل هذا صحيح وما هي تلك الطريقة ؛ قال نعم دعوته الى غرفة

التلغراف وامرته ان يشكل اورطته طابوراً واحداً في صفين ويجعل بلوكاً من
العساكر وراء كل جناح من جناحي الطابور ثم يهاجم العدو بقصد الموت او النصر
فاذا حاول العدو ان ياتيه من الجانبين صده البلوكان اللذان في الجناحين واذا
حاول ان يدور من خلفه صده الصف الخلفي من الطابور فتحدى الامر وفاز بالنصر
(صفحة ١٤٤) ثم قال وعند وصولي الخرطوم وجدت عدداً قليلاً من العساكر
مخيمين في ظاهرها بلا متاريس ولا حصون فشرعت في الحال في حفر خندق
يصل بين النيلين الابيض والارزق وخفت اذا قلت للاهين اني احصن المدينة ان
يستضعفوني وينصروا المهدي فقلت لهم اني احفر ترعة للوصل بين النيلين وتسهيل
الملاحة . ولما تم الخندق شرعت في تجنيد العساكر المتطوعة فجمعت ٩ آلاف رجل
وسلحتهم بخمسة آلاف بندقية رمتون احضرتها معي من مصر وبما وجدت في مخازن
الخرطوم . وقد وجدت في الخزينة ١٢٠ الف جنيه فاستعنت بها على تجنيد العساكر
وتحصين المدينة ومقاومة الثورة سنة كاملة

قلت اصحيح انك ارسلت سماً الى المهدي في قدير فنجامنه ؟ قال نعم ولكن
سبق رسولي اليه رسول من الزبير ود ضوه فحذره منه . واوعزت الى محمد
شريف باشا والياس باشا ام برير فارسلا اليه سماً من الابيض ولكن عاد الياس باشا
فارسل اليه رسولا وحذره منه

(صفحة ١٤٥) قلت المشهور عند اهل السودان انك قتلت الزبير ود ضوه في الخرطوم مع
جماعة من الكتاب لمواطائهم الدراويش في سنار ؟ قال نعم اردت تأديبه فطلب العفو
وحلف لي يمين الطاعة ف عفوت عنه وجعلته معاوناً في الخرطوم فصنع لي المعجون الذي
ارسلته الى المهدي . ولما دعوت الاهلين لتجنيد خدمهم السود تكفل بجمع اورطتين
من سنار وما وصل سنار حتى هاج اهلهما من جوره وعلمت انه هو الذي حذر المهدي
من السم فاستدعيته الى الخرطوم وسجنته قصد محاكمته ففر ؟ من السجن الى حيث !
(صفحة ١٥٥) قلت وما سبب انخياز الياس باشا ام برير الى المهدي او لم يكن في
الامكان انقاذ الابيض من السقوط ؟ قال اما الياس باشا فقد انحاز الى المهدي

نكابة بمحمد سعيد باشا مدير الايض ومحمد بك دفع الله من كبار تجارها لانه وقع
بينه وبينهما عداً شديداً وقد اضطرت الى عزل محمد سعيد باشا تلغرافياً وسميت
محمد شريف بك مديراً على الايض ارضاء لالياس باشا فظهر الرضى وكمن الحقد
اما الايض فاني بذلت جهد المستطاع في انقاذها فلم اوفق الى ذلك : ارسلت اليها
اورطة سرور افندي بهجت التي جاءت لنجدة جيكار في ابي حراز (بناء على طلبي
لها وانا في اسيوط) * ثم ارسلت اليها اورطة باشا افندي حماد التي استدعيتها من
القضارف عند سماعي بانكسار سرور بهجت في ابي حراز * ثم باورطتين من الخطرية
والباشبورق بقيادة علي بك لطفي فوجهوا قرب بارة كما علمت * ولما لم يعد في الامكان
انجادها من الخرطوم طلبت المدد من مصر بالحاح فابطأ المدد وكان ما قدره الله
(صفحة ١٢٩) قلت وهل كان في وسع مصر اذ ذاك ان ترسل الجند وكم جندياً
طلبت ؟ قال طلبت ١٠٠٠٠ جندي ترسل في ستة اشهر في عهد وزارة رياض
باشا فاجابني ان الجيش المصري قد الغي وليس في الامكان انجادك بالعساكر فدبر
الامر بحكمتك وكان اول المعارضين في ارسال النجدة اسماعيل باشا ايوب وهو اذ
ذاك ناظر الداخلية . فلما مضت الستة اشهر ولم تأتني النجدة رفعت استعفائي فجاءني
تلغراف من الجناب العالي كله عتاب ونصيحة وفي الختام يقول فيه « اننا الحننا على
الحرية في ارسال النجدة » . ولما لم تأتني النجدة استعفيت ثانية فاهتمت الحكومة اذ ذاك
بالامر وشرعت في ارسال العساكر تباعاً بطريق سواكن وهم جيش عرابي الملغى
فلما وصلت الاورطة الاولى بقيادة عبد الله الكردي الى الخرطوم كان زعماء الثورة
يحدثون الجموع في الجبلين فجردتها عليهم مع جيكار باشا الذي لم يلبث ان
عاد بها الى الكوة ودعاني الى غرفة التلغراف وقال « لما وصلنا الجبلين ارسلت
بلوكاً سودانياً كنت اخذته من الكوة لاستكشاف العدو فراه متوارياً عنا بغابة كثيفة
فامرت الاورطة بمهاجمته فأبت بحجة انه اقوى منها وقالت لم يؤت بنا الى هنا الا
لاعداءنا لاننا عرايون » فامرته فحبس القومندان وسلم الاورطة للصاغ وعاد الى الخرطوم
ثم جاءت الاورطة الثانية والثالثة فارسلتهما مع صالح بك المك وبعض الباشبورق

لقتال الدراويش على النيل الازرق فما وصلوا المسامية حتى اتاني تلغراف من صالح
 الملك يقول فيه « ان العساكر تصرح بأني متفق معكم على قتلهم لانهم عرايون » .
 وكان في الخرطوم اذ ذاك الكولونل ستيورت وقد جاءها من قبل دولته ليقدم لها تقريراً
 عن حالة البلاد المالية والعسكرية فعهدت اليه بأعمال الحكمادارية وجئت الى المسامية
 فوجدت الضباط من رتبة قائمقام فما دون يعتقدون ان محمد احمد هو المهدي
 الحقيقي ولا يأمنون جانب الحكومة فيدنت لهم فساد اعتقادهم وامنتهم ونشطتهم
 وقلت ها انا سائر امامكم ودخلت بهم الجزيرة . فما وصلت عبود حتى كان هكس
 باشا قد سمي رئيساً لاركان حرب العساكر في السودان وصدر لي الامر بايقاف
 الحركات العسكرية . وكانت الجزيرة اذ ذاك مشتعلة بنار الثورة وود كريف
 قد جمع الجموع قرب معتوق واحمد المكاشف يحاصر سنار فقلت في الجواب « عبناً
 نحاول ايقاف الحركات العسكرية في مثل هذه الاحوال لاننا ان تركنا الدراويش
 فهم لا يتركوننا » ثم زحفت على ود كريف في معتوق فمزقت شمله واتيت الى الكوة
 حيث كانت الاورطة الاولى فضممتها الى عساكري وجعلت سليم بك عوني قائداً عليها
 كلها وارسلته بطريق الجزيرة الى ود مدني ليقى في انتظاري فيها بقصد الزحف
 على احمد المكاشف ورفع الحصار عن سنار . وكنت قد ارسات وابور بوردين الى بحر
 الغزال لجلب المرد منها للعسكر فعاد وانا هناك فجئت به الى الخرطوم لتفقد احوالها
 (١٥٠ صفحة) وهناك بلغني سرّاً ان علاء الدين باشا قد سمي حاكماً عاماً
 للسودان فتجسست الخبر من المعية فلاح لي انه صدق فقات لهم « اني ارسات الجيش
 الى النيل الازرق بقصد رفع الحصار عن سنار وهو الآن في انتظاري في ود مدني
 أقف عند هذا الحد ام اتقدم لرفع الحصار » فأجبت اولاً بالبقاء في الخرطوم ثم بالتقدم
 لرفع الحصار فذهبت الى سنار ووقعت في احمد المكاشف « واقعة الداعي » ورفعت الحصار
 قلت بلغني انك قبل مباشرة القتال في هذه الواقعة نزلت عن جوادك وقيدته
 في وسط المربع وقلت للعساكر هنا الموت او النصر فهل الامر كذلك ؟ قال انما قيدت
 جوادي لانه كان جموحاً يجفل من اطلاق الرصاص فاتخذ العساكر ذلك علامة

نية النصر او الموت فحاربوا حرب الابطال وفازوا بالنصر . وقد حارب الدراويش
ايضاً مستقتلين وهاجمونا قاصدين اختراق المربع فقتل اكثرهم قريباً جداً من الصفوف
وفاز رجل منهم بالدخول الى المربع فقبض عليه واتى به اليّ فلما مثل بين يديّ
قال لي اسلم يا كافر فزجرته وسأته عن احمد المكاشف ومكانه فلم يجب بكلمة
ثم تقدمت الى سنار فاتاني الخبر اليها من الخرطوم بسقوط الابيض وبارة
وعلمت من التجار ان علاء الدين باشا وصل الخرطوم فلم أبال وتقدمت واوقعت
واقعة التبنة * وهناك بلغني ان علاء الدين اعلن رسمياً امر تسميته والياً على السودان
فرجعت الى سنار فوجدت حسين باشا شكري قد حضر لاستلام العساكر فاخبرته
بالذي كنت عازماً عليه وجئت الى الخرطوم ثم الى مصر

﴿ صفحة ٢١٣ ﴾ قلت أصحيح انك ندبت لانتقاد الخرطوم فأيت ؟ قال نعم ندبت
اولاً في وزارة شريف باشا وكنت اذ ذاك بلا وظيفة فأيت لاني اعتبرت
ان الموظفين هم اولى مني باقتحام مثل هذه المخاطر * ثم دعيت ثانية في وزارة نوبار
وكنت اذ ذاك ناظرًا للحرية فقلت اذهب بشرط ترك القول باخلاء السودان .
وقد نويت لو قبلوا بشرطي ان اجمع العساكر بين الخرطوم ودقلة واسلم كل مديرية
من مديريات شرقي السودان وغربيه الى شيخها الاكبر واضع عنده رايةً وقليلًا
من العساكر لاتقاء شر المذابح فلم يرضوا بهذا الشرط

﴿ صفحة ٣١٩ ﴾ قلت أصحيح ايضاً انك دعيت لحماية دقلة بعد خروج العساكر
الانكيزية منها سنة ١٨٨٥ فأيت ؟ قال نعم لاني دعيت لحمايتها بالعساكر التي
كانت فيها قبل الحملة وعشرة آلاف جنيه في السنة فوق ايرادها فينت لهم فساد هذا
الرأي وقلت اذا اريد حفظ دقلة وقمع الثورة فلا بد من ارسال ١٥ الف جندي
الى دقلة في الحال . و ١٥ الف في السنة التالية لفتح بربر و ١٥ الف جندي في
السنة الثالثة فوقهم لفتح الخرطوم . وذلك يقتضي ٣ ملايين جنيه تجعل تحت امر
الفتاح قبل الشروع في العمل : ولكن لم يكن في وسع الحكومة اذ ذاك اجابة هذا
الاقتراح فسلمت البلاد الى اهلها فكان من امرها ما كان « اه

❖ ٠٢ اصلاح خطأ ❖

❖ الجزء الاول : الجغرافية ❖

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
١٤	١٤	١٦٠٤	٦١٠٤	٩٩	١٨	١٦١	٦١
٣٩	٢٢	حول	حولها	١٠١	٥	١٨٤٠	١٨٤١
٧٧	٧	٢؟	٢٣٠	١٣٥	٥	يوضع	يوقع
٧٩	٢٢	١٨؟	١٨٦٤	١٣٥	٦	خلاصاً	خلعاً
٩٢	٢٣	اربعة	سبعة	١٥٥	٢٢	ابنه	ابن اخيه

❖ الجزء الثاني : تاريخ السودان القديم ❖

٥٤	١٨	٦٨٠ هـ	٨٦٠ هـ	٩١	١	ويمض	ولم يمض
٥٨	١	الباب الثاني	الباب الثالث	١٣٨	٣	كما سيحي	كما مر

❖ الجزء الثالث : تاريخ السودان الحديث ❖

٣	٢	خايل	الشيخ خليفة	٢٩٣	١٢	احمدى	فوزى محمود
٦٣	٤	١٨٢٦ م	١٨٦٢ م	٢٩٣	٢١	١٨٨٤	١٨٨٥
٩٧	١٤	اخيه	ابن اخيه	٢٩٨	٩	القباني	العتباني
٩٩	٩	١٨٩٥ هـ	١٢٩٥ هـ	٢٩٨	١٠	القباني	العقاد
١٥٢	١٧	١٨٧٢	١٨٨٢ م	٣١٠	١٦	ابن اخيه	الميرفابي
١٥٥	٣	احمد اغا	محمد اغا ياسين	٣١٦	١٣	المشاة	الفرسان
١٦٨		نظيم افندي لم يقتل		٤٨١	١٧	١٨٨٨	١٨٨٩
١٦٨	١١	بارة	جورسي	٤٨٧	١٥	١٨٩٩	١٨٨٩
١٧٥	٧	سنة ١٨٨٢	سنة ١٨٨٣	٥٦٠	٩	فركب	فارسل
١٨٠	١٤	صفر	حفر في جهة عالية	٥٦٧	٢٢	٩٨	٨٩
٢٦٠	٩	٣٠ ستمبر	٢٩ ستمبر	٥٦٩	١٠	١٩٠٣	١٨٩٣
٢٦٢	٧	١٨٨٤	١٨٩٨ ر	٢٧٢	٢٠	١٨٩١	١٨٩٦

فهرس الكتاب

« مرتبة فيه المواضع على حروف الهجاء »

« ١ »

ص : ج

- ابراهيم ودوير وواقعة بارة ٣ ١٣
 ابريم ٢ ٥٠ و ١ : ٧٧
 الابرية ١ ٢٢١
 ابل السودان ١ ٤٠
 الابنوس ١ ٣٣
 ابو اظلاف ١ ٣٩
 ابو حمزة • حركته في دارفور ٣ ٤٦٠
 ابو حراز ٣ ١٥٢ و ١ : ١٠٧ و ٩٥
 ابو الحسن الاشعري • الامام ١ ١٢٨
 ابو حسن الشاذلي • الشيخ ١ ١٣٢
 ابو حمد • بلدة ١ ٨٨ و ١١
 ابو حنيفة • الامام ١ ١٢٩
 ابو خروق ١ ٩٠
 ابو الخيرات • الامير ٣ ٤٦٣ و ٢ : ١٣٥
 ابودوم قشابي ١ ٨٥
 ابو السعود العقاد ٣ ١٢٨ و ٥٣
 ابو سمبل ١ ٧٨ و ٨
 ابو صاري ١ ٨٢
 ابو غنجه انظر حمدان ابو غنجة

ص : ج

- آبار السودان ١ ١٠٦ و ٨٤ و ٥٨ و ٢٢
 آدم • ثامن سلاطين وداي ٢ ١٢٨
 آدم باشا وثورة الجهادية في كسله ٣ ٤٥
 آدم عامر ٣ ٤٥٢ و ١٨٩ و ١٨٥
 اباه باشا • الدكتور ٣ ٣٢
 ابراهيم افندي ليب ٣ ٢٤٨ و ٢٤٥
 ابراهيم • آخر سلاطين الفور ١ ١١٠
 و ١٤١ و ١٤٧ : ٢ و ٧٢ ٣
 ابراهيم باشا • والي مصر ٣ ٩٥ و ٢٧ و ١٠
 ابراهيم فوزي باشا ٣ ٢١٣ و ١٨٩ و ٥٦
 و ٦٤٥
 ابراهيم بك فتحي ٣ ٥٩٥ و ٥٣٩
 ابراهيم جابر البولادي • الشيخ ٢ ٧٦
 ابراهيم الدسوقي • السيد ١ ١٣٢
 ابراهيم ديمتري ١ ٦٦٨ و ٦٤٦ و ١٦٥
 ابراهيم زيدان ٣ ٥٢٤ و ٣١٧
 ابراهيم شريف الدولاوي ٣ ٣٥٩
 ابراهيم عدلان ٣ ٥٣٧ و ٤١٧
 ابراهيم علي • الامير ٣ ٦٧٢

ص : ج

- ٣ ١٥٨ احمد بك دفع الله
 ١ احمد بكر • ثامن عشر سلاطين النور
 ٢ ١١٥
 ٣ ٤٠١ و ٣٩٨ و ٣٣٢ احمد بك عفت
 ١ ١٢٦ احمد بن ادريس • السيد
 ١ ١٢٩ احمد بن حنبل • الامام
 ١ ٧٤ احمد الجدّ اوي • الشيخ
 ١ ١٣٢ احمد الرفاعي • السيد
 ٣ ٦٥٠ احمد زكي • الدكتور
 ٣ ٥٩٥ احمد زكي • بكباشي وحملته دقّله
 ٣ ٣١٠ احمد سايمان • بكباشي
 ٣ ٤١٧ احمد سليمان • عزله من بيت المال
 ٣ ٦٥٧ احمد السفي
 ٣ ٣ احمد السلاوي • السيد
 ٣ ١٤٣ احمد طاهاه • الشريف وحركته
 ٣ ٣٥ و ١:١٥٥ احمد العقاد • السيد
 احمد علي • قاضي الاسلام في ام درمان
 ٣ ٥٦٠ و ٣٩٣
 ٣ ٦٤٩ و ٢٦٥ احمد العوام
 ٣ ٥٧٤ احمد فضيل وغزوة كسلة
 » والقضارف وواقعة الرصيرص ٦٥٥
 ٦٦٣ » وواقعة ابي عادل
 ٦٦٦ » وواقعة جديد
 ٣ ١٤٨ احمد المكاشف وسقوط شات
 ٣ ١٤٩ » وحصار سنار

ص : ج

- ابو القاسم • الى ٢١ من سلاطين الفور
 ٢ ١١٦
 ابو قرجه • انظر محمد عثمان ابو قرجه
 ١ ٨٥ ابو قسّ
 ١ ١٠٧ الابيض
 » فتحها الاول سنة ١٨٢١ ١٢ ٣
 » حصارها سنة ١٨٨٢ ١٦٠ ٣
 » تسليمها ١٩ يناير ١٨٨٣ ١٦٤ ٣
 » احتلالها سنة ١٨٩٩ ٦٧٦ ٣
 آثار السودان ٧٣ ١
 اثلمني • اللورد وحملته دقّله ٥٧٧ ٣
 الاحاجي والالغاز ١١٦ ١
 الاجانب في السودان ٦٣ ١
 أجرتن • الجنرال ٥٧٦ ٣
 الاحامدة ٦٢ ١
 احمس • الملك ٥ ٢
 احمد • ثامن سلاطين الفور ١١٤ ٢
 احمد ابو سن • شيخ الشكرية ٢٥ ٣
 احمد الازهري • السيد (قتله) ١٦٢ ٣
 » ورسائله في تكذيب المهدي ٣٨٣ ٣
 احمد باشا ابو ودان • رابع ولاية الفتح
 الاول ٢٤ ٣
 احمد باشا المنكلي • خامس ولاية الفتح
 الاول ٢٧ ٣
 احمد البدوي • السيد ١٣٢ ١

ص : ج	ص : ج
٢ ٨٣ و ١ : ٩٥ ارجي . خرائبها	٣ ٢٣٩ احمد الهدي والثورة في دنقله
١ ١٠٥ الارتيقة	١ ٤٧ الاجار
٢ ٢٧ ارجينس . احد ملوك ايثيوبيا	افلن ود . السر . سردار الجيش المصري
ارداب (دياب) ودعيب ثامن مشايخ	٣ ٣٠٨ . والحملة النيلية
٢ ٩٩ و ٧٩ قرّي	٣ ٣١٧ . استعفاؤه
١ ٤٤ الأرضة	٢ ١١٤ ادريس . تاسع سلاطين الفور
٢ ١٠٧ ارقو . مملكتها	٢ ١٠٤ ادريس . ثاني عشر ملوك الجعليين
١ ١٠٦ اركويت	٢ ٨٨ ادريس . خامس وزراء الهمج
١ ٢١٠ الارملي	٢ ٧٤ و ١ : ١٣٨ ادريس . الشيخ
٢ ٢٨ ازخر امن احد ملوك ايثيوبيا	٣ ١٩ و ٩ ادريس عدلان الهمجي
١ ٩٦ اسبر افندي شقير	٣ ٦٥٧ ادريس رجب الهمجي
١ ٦٧ استرجاع السودان	٣ ٣٩٣ ادريس عبدالرحيم وحصار كسله
١ ١٨٢ استعمار السودان	١ ٨١ ادريس محبوب . الشيخ
٣ ١٥٣ اسحف . خرابها	٣ ٩ ادريس المحينة ملك الجموعية
٢ ١١٦ اسحق ابن السلطان تيراب	١ ٧٨ ادندان
٣ ٦٥٠ اسرى الاحباش في ام درمان	٣ ٥٧٧ ادوارد سسل . اللورد وحملة دنقله
٣ ٧٦٦ الاسرى السودانيون في مصر	٥٩٨ . والوفد الى الحبشة
٣ ٥٦٣ الاسرى المصريون في السودان	٦٣٣ . واسترجاع الخرطوم
٦٥٠ و ٦٤٩	٦٧٤ . وكيل حكومة السودان العام
٣ ٦٩٢ اسعد افندي داغر	٣ ٣١٦ ادوار فديك . المستر
٣ ٥٩٥ اسعد افندي راشد وحملة دنقله	ادولس انظر زولا
١ ١٤٤ اسكندر نصره	١ ١٤٢ الاراضي الزراعية في السودان
١ ٨٦ اسماعيل 'ولي الكردوفاني	١ ٢١ اراضي السودان
٢ ٨٢ اسماعيل . تاسع عشر ملوك سنار	اراكيل بك ال ١٣ من ولاية الفتح الاول
٣ ٦٧٠ و ٢٩٣ السيد . الازهري	٣ ٣٢

ص : ج

« ب »

- البابيروس • البردي ١٥ و ١٧ و ٩٨ ١
 باجرمي ٩ ١
 بادي • عاشر ملوك سنار ٧٦ ٢
 بادي • ال ١٢ من ملوك سنار ٧٦ ٢
 بادي الاحمر • ال ١٤ ملوك سنار ٧٩ ٢
 بادي • ال ١٧ من ملوك سنار ٨٠ ٢
 و ٦٤٨ ٣
 بادي • ال ٢٣ من ملوك سنار ٨٦ ٢
 بادي • ال ٢٦ من ملوك سنار ٨٧ و ٩١ ٢
 بادي رجب • ثاني وزراء الهمج ٨٣ ٢
 بادي بن مسمار • رابع عشر مشايخ
 العابدلاب ٨٤ و ٩٩ ٢
 بادية • حربة ٢٠ ١
 بادين • بلدة ١٠٠ ١
 بارتاري الكولونل • وقبح كسله ٥٤٥ ٣
 بارسونز باشا واحتلال القصارف ٦٥٤ ٣
 بارنج • السرافلن • انظر اللورد كرومر
 باره ١٠٧ ١
 « تسليمها في ٥ يناير سنة ١٨٨٣ ١٦١ ٣
 بارو • الماجور وواقعة جنس ٤١١ ٣
 الباري ٤٦ ١
 بشريك السمرندواي في كسله ٣٢٤ ٣
 باكر باشا وحملته على سواكن ٣٠٦ ٣

ص : ج

- اهرام نبتة ٨٩ ١
 اهرام مروي ٩٩ ١
 اهل السنة ١٢٠ ١
 الاهليلج ٣١٠ ١
 الاوايو • قبيلة ٢ ٢
 الاوران اوتانج • الشمبانزي ٣٩ ١
 اورد امن احد ملوك ايشويا ١٩ ٢
 الاوزان ١٥٢ ١
 اوسرتسن الاول • الملك ٣ ٢
 اوسرتسن الثالث • الملك ٤ ٢
 أوكل • ال ٢١ من ملوك سنار ٨٦ ٢
 اوهر ولدر • الاب ١٠٨ ١
 « واسره في جبل الدلن ١٦١ ٣
 « وانقاذه من الاسر وكتابه ٥٦٥ ٣
 اولاد ابوروف ٥٦ ١
 اولاد حميد ٦٢ ١
 اولاد الريف في السودان ٦٣ ١
 « والتعايشي ٥٦٤ ٣
 اولاد ضيف الله ٧٦ ٢
 اوليفر باين الفرنساوي والمهدي ٢٦٢ ٣
 الآلات الموسيقية ١١٦ ١
 ايشويا • ملخص تاريخها ٦٥ ١
 « تاريخها وآثارها وتمدننها ولغاتها
 وحكومتها وعادات أهلها ١ : ٣٧ ٢
 الايمان في الاسلام ١٢٠ ١

ص : ج

١ ٤٩

البديات

١ ٤٥ و ٦١

البديرية

البرابرة انظر نوبة

١ ٧٠ و ١١

بربر

٣ ٦

فتحها الاول سنة ١٨٣١

٣ ٢٣٣

والثورة المهدية

سقوطها ١٩ مايو سنة ١٨٨٤

احتلالها الاخير ٦ سبتمبر سنة ١٨٩٧

٣ ٦٠٠ و ٥٩٦

٣ ٣٣٠ و ١ : ١٠٦

بربر

١ ٩٧ و ٤٧

البرية • قبيلة

١ ٨٧

برني • بلدة

١ ٤٩

البرني • قبيلة

٣ ٦٧٠

برجس بك واسر عثمان دقنه

٣ ٨٩

بردي الكولونل ودارفور

١ ٤٨

البرقد

١ ٨٧

البرقل • جبل

٣ ٣١٢

بركنبري الجنرال وواقعة كركبان

٣ ٦٣٤ و ١ : ١٧٩

برنارد بك • الميرالاي

٣ ٥٧٥

برن مردخ بك وحملة دنقله

١ ٩

برنو

٢ ٣١

بروبس النائب الروماني

٣ ٨٩ و ٥٨

بروت الماجور

٣ ٦٣٤

برودود بك وحملة الخرطوم

١ ١٨

بروس السائح

ص : ج

١ ٨٩

الباوقه • بلدة

١ ١٩

بايز الراهب

٣ ٥٦٩

باين البكباشي • وواقعة امبقول

١ ٤٧

بايه • قبيلة

٢ ٣

بيي الاول • الملك

٣ ٤١٢ و ٣١٧

بتلر • الجنرال

١ ٢٩

البتموده • بلح

١ ٨٩

البحراوية

١ ٤٩ و ٣٠

البحه • اصلهم

١ ٦٥

• ملخص تاريخهم

١ ١٩٩

• اخلاقهم

٢ ٥٨

• وصفهم ووصف بلادهم

٣ ٥٠

البحارة ورقيق السودان

١ ٧١ و ١٠

بحر الغزال

٣ ١٩٢

• والثورة فيها

١٩٥

• تسليمها ٢٢ ابريل ١٨٨٤

٥٤٧

• والنصارى فيها

٦٥٨

• احتلالها الاخير

بحيرات السودان :

١ ١٩ و ١٠

بحيرة البرت ادوارد نيازله

١ ١٠

بحيرة البرت نيازله

١ ١٣ و ١٠

بحيرة تسانة

١ ١٩ و ١٣ و ١٠

بحيرة فكتور يانيزله

١ ١٠٠

بحيرة نو

٣ ٢٨٤

نخيت بك بطراكي في الخرطوم

ص : ج	ص : ج
البرون	١ ٤٧
البرتياب	١ ٦٣
بريد (بوسطة) السودان	١ ١٧٧
بسامتيك . الملك	٢ ٢٣
البشارين	١ ٥٠
البشاري ريد	٣ ٦٠١
البشرى ابن المهدي	٣ ٦٦٩ و ٥٥٥
البشم . شجر	١ ٣٣
بشير بك جبران شيخ المليكاب العباددة	٣ ٥١٠
بشير عجب الفيه	٣ ٦٦٦
بشير ود عقيد الجملي	٣ ٢٢ و ١٥
البطاحين	٣ ٥٢٣ و ١ : ٥٨
البطان . عادة	١ ٢٠٤
البطانة . صحراء	١ ٢١
بطرس بك سر كيس	١ ٧٣
بطليموس الثاني	٢ ٢٧ و ١ : ١٠٤
البعام	١ ٣٩
بعنخي احد ملوك ايتويا	٢ ١٠
البقارة	٣ ٥٣٤ و ١ : ٦١
بقارة محارب	١ ٥٦
البقط	٢ ٤٣
مبلر . الجنرال	٣ ٣٠٦
البكري . السيد . و حصار كسله	٣ ٣٣٦
بكو . بلدة	١ ١٠٠
بلبل . بلدة	١ ١١٠
البلجيك و خط الاستواء	٣ ٦٥٨
البلح	١ ٢٩ و ١٤٧
البلل	١ ٨٧
بلنت بك و حملة الخرطوم	١ ٦٣٤
بنشنج بك والوفد الى الحبشة	٣ ٥٩٨
البنقو	١ ٤٦
بنه . قبيلة	١ ٤٧
بنو جرار	١ ٦١
بنو حسين	١ ٥٦ و ٦٣
بنو عامر	٢ ١٠٢ و ١ : ٥١
بنو فضل	١ ٦٣
بنو هلبة	١ ٦٣
البنيان . قبيلة	١ ١٠٥
البوانيت . قبيلة	٢ ٢
بور	١ ٤٦ و ١٠٠
بور . المستر	٣ ٢٥٨
بور خارت السايح	١ ٧٤
البوزة	١ ٣٦ و ٢٢١
بوش ابن السلطان محمد النضل	٢ ١٣٥
بوش عم السلطان ابراهيم بدارفور	٣ ٨٢
بوش ملك قدير و ابو غنجه	٣ ٤٤٩
بولس صليب	٣ ٦٤٩
بونابرت . كتابه الى عبد الرحمن سلطان	
دارفور	٢ ١٢٣
البون . اوراق و حصار الخرطوم	٣ ٢٤٧

ص : ج

- ٣ ٥٠٥ و ٢١٢ تشر مسيد باشا
 ٣ ٥٥٦ و ١:٥٥ التعايشة
 ٢ ١٠ تفنخت • الملك
 ٣ ٢٨ و ١: ١٠٢ و ٦٤ تكرانة القلابات
 ٣ ٦٢ تكمه • سلطان النمام
 ٣ ٦٣٤ و ١: ١٦٣ و ١٠ تلبوت باشا
 ١ ١٧٦ تلغراف السودان
 ١ ١٠٨ و ٦١ التمام • قبيلة
 ١ ٩٤ التمانيات
 ١ ١٩ التماسح
 ١ ٤٨ التجبر
 ١ ٨٢ تنزه
 ١ ٨٦ تنقاسي
 ١ ٧٩ توفيق باشا • الحديوي السابق
 ٣ ٤٩٦ و ١٠٤
 ١ ٧٨ التوفيقية • حلفا
 ١ ٩٩ التوفيقية • سبت
 ١ ١١٠ تولو • بلدة
 ٢ ١١٤ توم رابع سلاطين الفور
 ١ ٥٨ تومات
 ٢ ١١٦ تيراب ال ٢٢ من سلاطين الفور
 « ث »
 ١ ٦٧ الثورة المهدية • ملخص تاريخها
 ٣ ١٠٩ « اسبابها وتاريخها »
 ٣ ٣٧ نيودورس ملك الحبشة

ص : ج

- ٣ ٣٣٤ بلال السمر ندواي وحصار كسله
 ٣ ٦٧ البلاي وحملته على بحر الغزال
 ٣ ٦٤٨ بيت الامانة في ام درمان
 ٤ ٦٤٨ بيت المال ام في درمان
 ١ ١٣٦ بيت مال المسلمين
 ٣ ٥٨٨ بيتي • المستر وحملة دنقيه
 ١ ٤٩ البيقو
 ٣ ٦٥٨ بيك بك
 « ت »
 ١ ٥٩ تاجوج ومحلق
 التاكا انظر كسله
 ٣ ٥٤٩ و ١: ٤٩ تامه ومهدياها
 ١ ٣٠ التبلدي • شجر
 ١ ١٥٣ تجار السودان في مصر والسودان
 ١ ١٤٧ تجارة السودان
 ٢ ٥ تحوتمس الاول • الملك
 ٢ ٥ تحوتمس الثالث • الملك
 ١ ٢١١ التدخين • عادة
 ٣ ٦٣٤ تدوي بك وحملة الخرطوم
 ١ ٦٣ الترجم
 ١ ٩٨ الترة الخضراء
 ١ ١٠٥ ترنكتات • مرسى
 ٣ ٦٥٠ تريزه الراهبة
 ٣ ٣٠٤ و ٢٧٩ تشارلس بارسفورده اللورد
 ٣ ٣٠٥ و ٣ ٢ تشارلس ولسن • السير

ص : ح

٢	١٠٣ و ١ : ٥٤	الجميلين
١	٩	جغرافية السودان الطبيعية
١	٦٥	جغرافية السودان الادارية
٣	٥٠١	جنسن وامين باشا
٣	٦٨٨ و ٦٤٣	جكسن باشا
٣	٦٣٤	جلوي بك
١	٦١	البلديات
١	٦٠	الجمع
١	١١٠	جمعان • بلدة
٣	٣٤	جمعة ابو ذقن • ثالث مشايخ القلابات
٢	١٠٣ و ١ : ٥٥	الجموعية
٢	٩٤ و ١ : ٥٤	الجميعاب
١	٨١	جنس • بلدة
١	١٣٢	الجنيد البغدادي • الامام
٣	٤٠	١٨٦٥ جهادية كسله وثورته
٣	٤٥٠	» الابيض » ٨٥
٣	٤٥٧	» النهود » ٩١
١	٦١	الجوامعة
٣	٩٠	جوبا • حملة
١	٤٧	الجور • قبيلة
		جورج افندي زيدان مؤلف في الاسلام
١	١٢٥	
٣	٢٧٧	» وواقعة ابي طليح
٣	١٧٧	جورج بك الحكيم وواقعة هكس
٣	٦٥٠	» بنته

ص : ج

» ج «

١	٣٨	جاموس الخلا
٣	١٩٢ و ١ : ٤٦	الجائقي
٣	٥	جاويش • ملك العادل اناب الشايقة
١	٩٤	الجايلي
٣	٣٣١	جباره اغا الشايقي
١	١٠٨ الى ٩٣ و ٥٨	جبال السودان
٣	٤٤٩ و ٣٩٠	
١	٦٤	الجيرة
٣	٣١٦	جبر ضومط • الاستاذ
١	٢١٧	الجبنة
١	٤٨ و ٤٧	الجيلايون
٣	٢٧ و ٣٥٤	الجدري
١	٤٣	الجراد
٣	٣٢٠ و ٢٠٩	جراهم الجزائر وسواكن
٣	٥٧٨	جريفث بك
٣	٣١٢	جرين • الجزائر
١	١٠٤	جزائر البحر الاحمر
١	٩٤ الى ٧٥ و ١٦	جزائر النيل
١	٩٤ و ٧٠ و ٢١	الجزيرة • مديرية
١	٢١	جزيرة مروى
٣	٩٧ و ٥٧	جسي باشا
٣	٤٠	جعفر باشا صادق ١٧ الولاة
٣	٥٩ و ٤٨	١٨ الولاة ١٨

ص : ج	ص : ج
من ١ ٢١٣ الحراب	٣ ٦٤٦ جورج مظلوم
من ١ ٢٧ حرارة السودان	٣ ٦٥٠ و ١٥٨ جورجى اسطمبولية
ج ٣ ٤٠ حرب العقال	١ ١٠٠ جور غطاس • بلدة
ج ١ ٦١ الحسانية	٣ ٥٣٤ و ٤٨ و ١٧ الجوع فى السردان
٢ حسب الله ابن السلطان محمد الفضل ١٣٥	١ ٣١ الجوغان • شجر
٣ حسب الله • عم السلطان ابراهيم ٨١	١ ١٠٠ جوق الحسن • بلدة
٢ حسب ربه • ال ٢٤ من ملوك سنار ٨٦	٣ ٣٢٨ و ١:٥٨ الحيرة وحصارها
١ ٣٤ الحسكيت • نبات	٣ ٣١٥ و ١:١٦٦ الجيش المصرى
١ ٥٥ الحسنات	٣ ١٣٢ و ١٠٣ جيكر باشا
٣ حسن باشا حلمي الجويسر ٩٣ و ٨٩	١ ١٣٢ • الامام عبد القادر
٣ حسن برنوس وسقوط كسله ٣٩٩	
٣ حسن بك سلامة ١٤ الولاية ٣٢	« ح »
٣ حسن بك صادق وحصار سنار ٤٠٢	٣ ٥٣٢ الحار دلو ابوسن شاعر الشكرية
٣ حسن بك الكريتلى وحصار سنار ٤٠٥	٣ ٥٣٦ و ٤٩٠ حامد علي وعمالته علي كسله
٣ حسن بك فواد وحصار الخرطوم ٢٤٨	٣ ١٥٢ حامد ودالسنجق ابي حراز
٣ ٥٤٦ حسن تور بدارفور	٣ ٦٦٦ و ٥٤٤ حامدود علي
٣ ٥٢٥ حسن خليفة وآبار المرات	١ ٦٠ و ٥١ الحباب
٣ ٦٤٩ حسن سرف ام كدوك	٣ ٩٠ و ٣٣ الحبشة والقلابات ومصر
٣ ٦٤٩ حسن سعد العبادي	١ ٣٣ الحليل
٣ ٥٢٥ و ٥٠٦ الحسن محمد خليفة	١ ٨٥ الحتاني
١ ١٠١ حسن المرغني • السيد	١ ٢١٠ الحجاب الهيكلي
حسن النجومى فى طوشكى ودنقله	٢ ٨٧ حجازي • الفقيه
٣ ٥٩٠ و ٥٢٣	١ ٧٩ حجر ابي صير
٣ ٣٩٩ و ٣٣٤ الحسن ودحاشي وكسله	١ ٦٨ الحد بين مصر والسودان
٢ ٧٥ حسن ود حسنونة • الشيخ	٣ ٥٦٧ و ٥٠٥ و ٤١١ الحدود والثورة

ص : ج

- ٣ ٣٣٤ حمدان ابو غنجه وجبال النوبة
 ٣ ٤٥٣ » في ام دمان
 ٣ ٤٨٢ الى ٤٧٠ في القلابات
 ٢ ١٠٣ و ١:٥٦ الحمدة ومشيتهم
 ٢ ٧٩ حمد ود الترابي . الشيخ
 ١ ٦٢ الحمرة
 ١ ٦١ و ٣٠ حمرة
 ١ ٥٨ الحمران
 ٣ ٣٠٢ و ٢٦٨ الحملة الانكليزية النيلية
 ٣ ٥٧٢ حملة دنقله سنة ١٨٩٦
 ٣ ١١ حنا المباشر . المعلم
 ١ ٨٢ خنك
 ١ ٥٣ الحنيكاب
 ٣ ٣٣٢ حوا الحبشي
 ١ ٤٩٩ و ٦١ الحوازمة وابوعنجه
 ٢ ١٣٧ الحواكير في دارفور
 ١ ٦٣ الحوتية
 ٢ ٦ حور محب . الملك
 ١ ٨٦ الحوش الايض
 ٣ ٢٥ و ١:٥١ الحلائقة وفتح كسله
 ١ ٥٦ الحلاويين
 ١ ١٠٥ حلايب
 ١ ١٤٥ و ٣٨ حيوانات السودان

ص : ج

- ٣ ١٢ و ٩ حسن ود رجب
 ٣ ٤ حسن وردي . حاكم ساي
 ٢ ١٣٢ الى ٢٥ من سلاطين الفور
 ٣ ٣٤٥ و ٢٦١ و ٢٣٦ حسين باشا خليفة وسقوط بربر والمهدي
 ٣ ٦٤٩ و ٥٦١ و ٣٩٨ الحسين الزهرة
 ٣ ٣٢٤ الحسين عبد الواحد والقضارف
 ٣ ٤ حسين كاشف . حاكم الدر
 ٣ ٦٤٦ حسين ود جزء الحمري
 ١ ١١١ حضارة السودان
 ١ ٦٣ الحضور
 ١ ٨٣ الحفير
 ١ ٢١٠ الحقو
 ٣ ٥٢٥ الحكومة المصرية ومنشورها لاهل السودان سنة ١٣٠٧ هـ
 ١ ١٣٦ حكومة الاسلام
 ١ ١٥٦ حكومة السودان
 ١ ٦٤ الحلة . قبيلة
 ١ ٧٨ و ٦٩ و ١٢ حلفا ومديريتها
 ١ ٩٣ الحلفاية
 ١ ٨٣ حلة ساتي بشير
 ١ ٨٣ حلة الصحابة
 ١ ٩٨ حلة الحمودية
 ١ ٣٩ الحثوف
 ١ ٦٢ حماد بن جنيد

ص : ج

- ٣ ٣١١ خليل خير الله • الدكتور
٢ ١٠٧ و ١: ٨٣ الخناق ومملكته
٢ ١٠٧ و ١: ٨٤ الخندق ومملكته
١ ٦٣ الخواير
١ ٥١ الخوالدة
١ ٦١ الخواوير
١ ٧٩ خور موسى باشا
٣ ١٥٥ و ١: ١٠٧ خورسي
٣ ١٨ و ٣ ولاية الفتح الاول
١ ٢٢ خيران السودان

« د »

- ١ ٤٩ الداخو
٣ ٥٤٨ دار تامه والامير محمود
١ ٦١ دار حامد • قبيلة
١ ٧٢ و ٦٦ و ٩ دارفور
٢ ١٤٦ و ١١١ « سلطنتها
٣ ٦٨ « والفتح المصري
٣ ١٨٥ « والثورة المهدية
٣ ٥٤٨ دار قمر والامير محمود
١ ١١٠ دارة
٣ ١٨٦ و ٢٢ ديسمبر ٨٣ « تسليمها في
١ ٨٩ و ١١ الدامر • بلدة
٢ ٥٢ داود ملك النوبة
١ ٩٧ دبركي

ص : ج

« خ »

- ٣ ٣٣٣ و ١: ١٠١ الخاتمية والثورة المهدية
٣ ٣٣٩ و ١٨٨٥ « سقوطها ٢ مايو سنة
١ ١٠٥ و ٥١ الحاسنة
٣ ٢٧ و ٣ خالد باشا • سادس ولاية الفتح الاول
٣ ٣٠٩ خالد العمرابي
١ ٥٣ الخبرا • قبيلة
٣ ٦٦٧ و ٥٤٩ الحميم موسى
١ ٩٠ و ٧٠ و ١٣ الخرطوم
٣ ٧ « وولاية الفتح الاول
٣ ٢١٣ الخ « حصارها
٣ ٢٩٦ و ٨٥ « سقوطها ٢٦ يناير
٣ ٥٢٨ « خرابها
٣ ٦٣٣ « استرجاعها
١ ٦٣ خزام • قبيلة
٣ ٣٤٠ خسرو باشا والثورة في كسله
٣ ٢٤ خسوف القمر سنة ١٨٣٨
٢ ١٠١ خشم البحر • مشيخته
٣ ٢٥٠ خشم الموس باشا والخرطوم
٣ ٦٤٦ خطار افندي كنعان
٣ ٥٣ خط الاستواء والفتح الاول
٣ ٦٥٨ و ٤٩٧ و ٤٩٣ « والثورة المهدية
الحليفة انظر عبد الله التعايشي
الحليفة شريف انظر محمد شريف

ص : ج		ص : ج	
١ ٢١١	الدكة	١ ٧٨	دبروسة
٣ ١٦١	الدن تسليها ١٤ سبتمبر ١٨٨٢	١ ٧٦	دبود
١ ٣٠	الدليب	٣ ٥٩٢ و ١: ٨٥	الدبة
٢ ١١٤	دليل • سادس سلاطين الفور	١ ٨٥	دبة الفقراء • بلدة
١ ١٤٣	الدميرة	١ ٣٧	الدخان
١ ٥٢	الذناقلة	١ ٣٦	الدخن
٣ ١٩٣	« والثورة في بحر الغزال	١ ٧٧	الدر • بلدة
٣ ٥٥٦	« حبسهم في ام درمان	٣ ٥٧٨	دراج بك وحماة دنقله
١ ٨٣ و ٦٩	دنقله الاوردي	٣ ٦٣٤	« وحملة الخرطوم
٣ ٤	« فتحها الاول	١ ٢٥	الدرت
٣ ١٩ و ٢٣٨	« والثورة المهدية	١ ٢١٣	الدرق
٣ ٥٦٧ و ٥٠٥		١ ١٧٩	درمندهاي • المستر
٣ ٥٩٠	« واسترجاعها ٢٣ ديسمبر ٩٦	١ ٥٥	دعني
٢ ١٠٦ و ١: ٨٤	دنقله العجوز ومملكته	٢ ١٠٧ و ١: ٨٥	الدفار ومملكته
١ ٤٥	الدنكا	٣ ١٢	الدفتردار وحملة كردوفان
٣ ٥٨٦	ده درجان • الكبتن	٣ ٢٧ و ١١	دفع الله احمد • الارباب
٣ ٢١٦ و ١٧٧	ده كوتلوجن • الكولونل	٢ ٨٨	دفع الله العركي
	دود بنقه حنيد السلطان محمد الفضل	٢ ٩٤	دفع الله ودضيف الله • وفاته
٣ ١٩١ و ٢: ١٣٥		٣ ٥٠١ و ١: ١٠٠	الدفلاي
١ ١١٠	الدور • بلدة	١ ٨٧	الدقايات
١ ١٠٢ و ٥٨	دوكة	١ ٣٧	الدمور
١ ٣٠	الدوم	١ ٧٦	دكا • بلدة
١ ٥٣	الدويحية	١ ٣٠	الدكاي • مشروب
١ ١٠٠	ديم الزبير او ديم سليمان	٢ ٧٤	دكين • خامس ملوك سنار
١ ٤٧	الديور	١ ٨٢	دلغو

ص : ج

١ ٦٠	الرشايدة
١ ٢٠٩	الرشة
١ ١١	رشيد
٣ ٣٣٠	رضوان باشا واخلاء هرر
٢ ٤	الرعاة العمالة
٢ ٧	رعمسيس الثاني • الملك
٢ ٩	رعمسيس الثاني عشر • الملك
١ ٩٤ و ٥٨	رفاعة • بلدة
٣ ٢٨	رفاعة بك
١ ٥٥	رفاعة الشرق او جهينة الشرق
١ ٥٧	رفاعة الغرب او جهينة الغرب
١ ٥٥	الرفاعيون
١ ٢٢٨	رقص الدلوكة
٣ ١٠٣ و ٤٩ و ١٤٨	الرقيق
٣ ٢٦٨	رندل باشا في كورسكو
٣ ٥٧٨	» وحملة دنقله
٣ ٦٥٦ و ٣٦٣	» وحملة الخرطوم
١ ٤٩	رُنُق
١ ٩٩	الرُنُق • بلدة
١ ٩٧	رنقه
٣ ٥٩٨	رنل رود السر والوفد للحبشة
١ ١٠٥	رواية • ملاحة
٣ ٥٩٢	رو برتصن القومندان وحملة دنقله
٣ ٦٣٤	روجرس بك
٣ ٦٤٢	رودس • الكولونل

ص : ج

« ذ »

١ ٣٩	ذباب السروت
١ ٣٦	الذرة
١ ١٣١	الذكر • الصوفية
١ ١١	الذلتا
١ ٢٣ و ١١	الذهب ومناجه

« ر »

٣ ١٠١	راج الزير
٣ ٣٦٤ و ١٣٢	الراتب وراتب المهدي
١ ٥٤	الرازقية
١ ١١٠	راس • الفيل بلدة
٣ ٣٣١	راشد باشا كمال والثورة في كسله
٢ ٨٩	رائفي • ال ٢٧ من ملوك سنار
١ ١٩٨	الربابة
٢ ٧٦	رباط • حادي عشر ملوك سنار
٢ ١٠٥ و ١٠٥٤	الرباطاب ومملكته
٢ ٨٤	رجب • ثالث وزراء الهمج
١ ٩٧	الرصيرص وشلاها
١ ٥٤	الرحاب
٣ ٩	رحمه ود دحالة
٣ ٦٨ و ١٠٦٢	الرشزيقات
٣ ٣٠	رستم باشا • ثامن ولاية الفتح الاول
١ ٢٥	الرشاش

ص : ج	ص : ج
الزبادية ١ ٦٢	روسيانيولي • الاب وانقاده ٣ ٥٦٥
زِيلَع وَاخْلَاؤُهَا ٣ ٣٣٠ و ١:١٠٦	رولنصن • الكبتن وحملة الخرطوم ٣ ٦٣٣
« س »	الروم • شجر ١ ٣٤
سَاقِيَة الْعَبْد ١ ٨١	رووف باشا الى ٢٢ من ولاد السودان
سَاقِي بَك فِي بَحْرِ الْغَزَال ٣ ١٠٢	١٠٥ : ١٢٧ ٣
« فِي الْخَرْطُوم ٣ ٢٤٥ ١٩٤ »	رياح السودان ١ ٢٦
سَاغَة اخو ابى حمزة في دارفور ٣ ٤٦٢	ريش النعام ١ ١٤٧
سَاقِيَة الْعَبْد ١ ٨١	« ز »
سَاقِي كَرُو ١ ٦٣	الزايكي طمل ٣ ٥٤٣ و ٥٣٣ و ٤٨٢
سَبَارِكْس بَاشَا ٣ ٦٩١ و ٦٥٨ و ١:١٦٤	الزبالعة ١ ٥٧
سَبَاقُون الْمَلِك ٢ ١٧	الزبير باشا ١ ١٠٩ و ٩٤ و ٥٤
سَبَت • بَحْر ١ ٩٩ و ١٤ و ٩	« سيرته ٣ ٨٨ الى ٦٠ »
السَّبُوع ١ ٧٧	زخافات السودان ١ ٤٣
سَبِيخُون • الْمَلِك ٢ ١٨	زراعة السودان والالات الزراعية ١ ١٤٢
سَتْفَنَسَن • الْجَزَال ٣ ٤١١ و ٢٦٩	زُرْقَة ١ ١٠٢
سَتَل بَاشَا ٣ ٥٣٩ و ٥٢٠	الزغاوة ١ ٤٩
سَتْنَلِي • الْمَسْتَر ٣ ٤٩٥ و ١:١٩	زقل انظر محمد خالد زقل
سَتِيُورْت • السَر هَرَبَرْت ٣ ٣٠٨ و ٢٧٥	الزكاة ٣ ٦٢٤ و ٣٥٥ و ١:١٣٦
سَتِيُورْت بَاشَا وَالْخَرْطُوم ٣ ٢٥٨ و ٢١٣	زكريا بن محسن ملك النوبة ٢ ٤٨
سَتِيُورْت وَرْتَلِي ٣ ٦٣٤ و ٥٧٧ و ٣٠٥	الزمرد ١ ٢٣
السَدْر ١ ٣٠	زهرا ب باشا والحملة النيلية ٣ ٣١٤
السَد فِي النِيل الْاَبْيَض ١ ٩٩ و ١٧	الزواج في الاسلام ١ ١٣٥
سَدْنِي بَك وَوَاقِعَة اَبِي حَمْد ٣ ٥٩٨	زولا • مينا ١ ١٠٦
سَرَس ١ ٨٠	زلازل السودان سنة ١٨٣٢ ٣ ٢١
السَّرُوت • ذَبَاب ١ ٤٤	

ص : ج

٣ ٥٠٤ سليم بك مطر في خط الاستواء
 ١ ١٦٨ سليم بك موصل
 ٣ ٥٩٥ و ٤١٤ و ٣١٦ في السودان
 ٣ ٥٩٥ و ٥٨٧ سليم اقدي شقره
 ١ ١٠٤ و ٦٦ سليم الفاتح . السلطان
 ٣ ١٥٣ السمانى و واقعة بارة
 ٣ ٦٦٩ سمث بك
 ٣ ٣٣١ السمرندوب اهدندوه وكسله
 ٢ ٩ سمتوميا مدن الملك
 ١ ٨٠ سمنه
 ١ ٤٩ سميبار
 ١ ١٤٨ و ٣٤ السنه
 ١ ٩٦ و ٧٠ و ٦٦ و ٩ سنا و تار بنجها
 ٣ ٣ و حملة اسماعيل باشا
 ٣ ٢٥٦ و ١٤٩ و ١٤١ و الثورة المهدية
 ٣ ٤٨٠ و ٤٠٢ حصارها وتسليمها
 ٣ ٦٥٧ احتلالها الاخير
 ١ ٣٢ السنط
 ١ ١٤٧ سن الفيل . العاج
 ٣ ٢٠٤ و ١ : ١٠٦ سنكات وسقوطها
 ٣ ٨٩ و ١٨٧٤ سنهيت . احتلالها سنة
 ٣ ٣٣٠ و ١٨٨٥ اخلاؤها
 ٣ ٦٦٦ السنوسي احمد اخ الخليفة
 السنوسي انظر محمد المهدي السنوسي
 ١ ١٠٨ السنوط

ص : ج

٢ ٩٤ و ١ : ٥٤ السعداب
 ٣ ٣٢٧ سعد بك رفعت . الميرالاي
 ٣ ٣٠ و سعيد باشا . رابع ولاية مصر
 ١ ١٧٩ و ١٦٥ سعيد بك شقير
 ١ ١٨٤ السفر الى السودان
 ١ ٣٧ السفه
 ١ ٤٥ سكان السودان . قبائلها
 ١ ٢٤٤ : ١٨٥ اخلاقهم وعاداتهم و خرافاتهم
 ٣ ١٠٣ سكة حديد السودان
 ٣ ٥٠٥ سكة حديد حانا . تخريبها
 ٢ ١١٠ سكوت . آثارها
 ١ ٣٢ السلم
 ١ ١٤٤ السلوكه
 ١ ٥٥ سليم . قبيلة
 ١ ٧٤ سليم الاسواني . المورخ
 ٢ ١١٣ سايمان الاول . اول سلاطين الفور
 ٣ ١٧٤ و ٩٢ سايمان باشا نياطي
 ٢ ١١٣ سايمان الثاني . سلاطين الفور
 ٣ ١٧٧ و ١ : ١٦٩ سايمان بك ناصيف
 ٣ ٥٩٥ و ٥٢٠ و ٣١٦ في السودان
 ٣ ٩٦ سايمان الزير وبحر الغزال
 ٣ ٦٤٦ سايمان كشه
 ٣ ٥٧١ سايمان نعمان ودقر
 ١ ٥٣ السليمانية
 ٣ ٣٠ سليم باشا عاشر ولاية الفتح الاول

ص : ج	ص : ج
٣ ٦٣٤ و ٥٨٤	٣ ٦٥٢ سنين التاماوي
١ ٣٢ السيل	١ ٥٣ السواراب
١ ١٢٥ السيد احمد مدعي المهدي	١ ٨١ سواردة
٣ ٦٤٩ السيد بك جمعه	٣ ٤٩ و ٧٠ : ١٠٣ سواكن
٣ ٢٨٥ و ٢٤٩ السيد امين في الخرطوم	٣ ٣٢٠ و ٢٠٥ و ٢٠٠ « والثورة المهدي
٣ ٦٠٢ السيدورث هيلندرس والاتبرة	٣ ٦٨٣ و ٣٢٣ « وسكة الحديد
« ش »	٢ ٥٦ و ٣٤ و ٢٨ و ١ : ٩٤ سوبة وآثارها
١ ٩٨ شات	١ ٤٥ السود
١ ١٢٩ الشافعي . الامام	١ ١٨٥ « اخلاقهم وعاداتهم وخرافاتهم
٣ ٣١٦ شاكر بك الخوري والحملة النيلية	١ ٩ السودان تعريفه وحدوده
٣ ٣٧٥ شاكر الغزي المفتي ورسالته	١ ٢٤٣ « قصيدة مجونية فيه
١ ٥٦ الشامباته	٣ ١٧ « ولاته في الفتح الاول
١ ١٠٠ شامي	٣ ١٠٣ « والحبشة
شاهين بك جرجس وحملات السودان	٣ ١٠٨ « تقسيمه ادارياً
٣ ٦٦٨ و ٦٤٦ و ٥٩٥ و ٣١٦ و ١ : ١٦٥	٣ ١٨٤ « اخلاؤه
١ ٤٧ شالا	٣ ٥٣٨ و ١ : ٦٧ « استرجاعه
٣ ٥٤٠ شايب احمد وواقعة طوكر	٣ ٦٧٣ و ١٦٨ السودان الانكليزي المصري
٢ ١٠٥ و ١ : ٥٣ الشايقية ومملكته	١ ١٠٢ سوق ابوسن . القصارف
١ ٤٨ شبه السود	٣ ١٠٧ السومال وثورتهم سنة ١٨٨٠
١ ١٩٣ « اخلاقهم وعاداتهم وخرافاتهم	١ ٨٨ السلامات
١ ٣٩ الشراك	١ ١٦٥ سلاطين باشا . السر رودلف
١ ١٢٢ و ٣٠ الشربوت	٣ ١٨٥ و ٩٥ « قبل الثورة
٢ ١١٤ شرف . سابع سلاطين الفور	٣ ٤٩٨ و ٢٦١ و ١٨٦ « والثورة المهدي
١ ١١٠ شعيرية	٣ ٥٦٥ « انقاذه وكتابه
	٣ ٥٧٨ « واسترجاع السودان

ص : ج

ص ٤٥٥	٣	صالح . شيخ الكبايش
١٤٢	٣	صالح الملك وحصار سنار
٢٤٢	٣	» وحصار فداسي
٢٦١	٣	» والمهدي في الرهد
١٠٣	٣	صباحي في كردوفان سنة ١٨٧٩
٨٣	٢	صباحي ود عدلان . خشم البحر
١٠٠	١	صبي . بلدة
٥	٣	صير . ملك الحنيكاب الشايقية
٤	٣	صير ملك دلغو
٢١	١	صحاري السودان
٦٦٦	٣	الصدیق ابن المهدي
١٠٢	١	صرف عرديبه
٨٢	١	صلب . بلدة
١٤٧	١	الصمغ
٥٣ و ٣٧ و ١٩	٣	صموئيل باكر . السر
٨٦	١	صنم . بلدة
١٣٨ و ١٣٠	١	الصوفية
١٣٨	١	» طرايقها في السودان
٥٤	١	الصيَّام . قبيلة

» ض «

٥٨	١	الضباينة
١٠١ و ٩٥	٢	ضرار . خشم البحر
٣٩	١	الضعيفاب

ص : ح

٥٨	١	شق الواليه
١١٠	١	شكا
٥٨	١	الشكرية
٢٩٠	٣	شكسیر . الماجور في سواكن
٢١ و ٤٥	٣	الشلك
٤٦	١	الشلي
١٠٣ و ٥٦	٢	الشنابله ومملكتهم
١٠٣	٢	شنبول . الشيخ
٨٩	١	شندي
١٠٤	٢	» قبل الفتح الاول
٦٠٢	٣	» اخذها ٢٦ مارس ١٨٩٨
١١٤	٢	شوش . ال ١٢ من سلاطين الفور
١٥	١	شلالات النيل
٥١٣	٣	شيخ ادريس ود الهاشمي الجعلي
١٣٥	٢	الشيخ الطيب . بدارفور
٤٦	١	الشير
٤٧	١	الشيري
١٢٠	١	الشيعة

» ص «

١١٤	٢	صالح . عاشر سلاطين الفور
٣٤	٣	صالح ادريس رابع مشايخ القلابات
٥٧١ و ٥٢٥ و ٥٠٦	٣	صالح بك خليفة
٥٧٧ و ٥٧٠	٣	صالح جبريل . الشيخ
٦٥٧	٣	صالح حمادو

ص : ج

عباس باشا حندي خديوي مصر الحالي
» جلوسه على الاريكه الخديوية

- ٣ ٥٤٣ ٨ يناير سنة ١٨٩٢
» زيارته للحدود ١٨٩٤ ٣ ٥٧١
» زيارته للسودان ١٩٠١ ٣ ٦٧٥
العباس والشيخ العبيد ٣ ٦٢٨ و ٢٢٢
عباني باشا ناظر الحربية ١ ١٦٧
عبد الله ابو سن ١ ١١٦
عبد الله التعايشي والزير ٣ ٧٠
» والمهدي ٣ ١٢٠
» خلافته ٣ ٣٩٢
» وخراب سنار ٣ ٤٠٩
» وحملة على دنقله ٣ ٤١٤
» وقبائل السودان ٣ ٥١٣
» وحملة دنقله ٣ ٥٤٤
» وحملة بربر ٣ ٥٤٩
» صفاته وجيشه ٣ ٦٠٥
» وواقعة ام درمان ٣ ٦٣٥
» وواقعة جديد ٣ ٦٦٦
» كتبه ومنشوراته ٣ ٦٦٠ : ٣٩٥
عبد الله جماع • العبدلابي ٢ ٩٩ و ٧٢
عبد الله ود حمزة في كسله ٣ ٣٩٨
عبد الله الكحال • الحاج ٣ ٣٥١ و ٢٦١
عبد الله ابراهيم وجبال النوبة ٣ ٤٥٣
» في الجزيرة ٣ ٥٣٣

ص : ج

« ط »

- الطار • غناؤه ١ ٢٢٩ و ١١٨
الطاهر المجذوب ورتاء المهدي ٣ ٣٦١
الطاهر ود العبيد ٣ ٦٥٧ و ٦٣٨ و ٥٨٠
طبل • سادس ملوك سنار ٢ ٧٤
طبل الثاني ال ٢٢ من ملوك سنار ٢ ٨٦
الطرق التجارية في السودان ١ ١٥٠
طنبل • ملك ارقو ٣ ٤
الطنبورة • غناؤها ١ ١٨٩ و ١١٨
طهراق • الملك ٢ ١٨
طوشكي ١ ٧٨
طوكر • سقوطها ٢٤ فبراير ٨٤ ٢٠٥ ٣
» استرجاعها ١٩ فبراير سنة ٩١ ٥٣٨ ٣
الطيارة • سقوطها ٣ ١٥٤
الطيب • الشيخ الشايقي ٣ ٢٣٨
الطيب احمد هاشمي ٣ ٦٧٠
طيور السودان ١ ٤١

« ع »

- العابدلاب ومشيختهم ٢ ٩٩ و ١ : ٥٥
عامر المكاشف في سنار ٣ ١٧٥ و ١٤١
العبادة ١ ٥٠
العباسة ١ ٥٤
عباس باشا • ثالث امراء مصر ٣ ٢٨

ص : ج

- عبد الرحيم ابو دقل ٣ ٦٥٧
 عبد العزيز بك ابن لينان باشا ٣ ٥٧
 عبد العظيم بك خلفية والمرات ٣ ٥٧١
 » وحملة دنقاه ٣ ٥٩٣
 » وواقعة ابي حمد ٣ ٥٩٩
 عبد القادر . ثاني ملوك سنار ٢ ٧٤
 عبد القادر باشا حامي الى ٢٣ من ولاية
 القفتح الاول ومآثره في السودان
 ٣ ١٤٤ و ١٤٩ و ١٦٣ و ٢١٣ و ٢٩٩
 عبد القادر بك محمد ايلة كبير الخلافة
 والثورة في كسله ٣ ٣٣٤
 عبد القادر الثاني . ثامن ملوك سنار ٢ ٧٤
 عبد القادر الزين ٣ ٣١ : ١٨
 عبد القادر ضيف الله ٣ ٢١
 عبد القادر ود ساتي علي ٣ ٥٥٦
 عبد الكريم مؤسس سلطنة ودّاي ٣ ١١٦
 عبد اللطيف باشا . سابع الولاة ٣ ٢٨
 عبد الماجد الكيلك وواقعة كركان ٣ ٣١٠
 » وواقعة جنس ٣ ٤١٣
 عبد الماجد محمد خوجلي
 وواقعة ابي طليح ٣ ٢٧٦ و ٢٧٢
 » وواقعة جنس ٣ ٤١١
 عبد الحمود نور الدايم ٣ ٣٩٢
 عبري بلدة ١ ٨١
 عبود . بلدة ١ ٩٤

ص : ج

- عبد الله ابراهيم وواقعة اغوردت ٣ ٥٤٥
 عبد الله ود احمد ود ابو سوار ٣ ٦٤٦
 عبد الله ود سعد وواقعة جنس ٣ ٤١١
 » وواقعة المتمة ٣ ٥٩٦
 عبد الله ود عجيب . ال ١١ من مشايخ
 العابدلاب ٢ ٩٩ و ٨٩ و ٨١
 عبد الله ود عجيب ال ١٥ من مشايخ
 العابدلاب ٢ ١٠٠ و ٨٧
 عبد الله ود النور والخرطوم ٣ ٢٨٦
 عبد الباسط وواقعة الدويم الثانية ٣ ١٤٩
 عبد الباقي عبد الوكيل ٣ ٦٦٦ ٦٤١
 عبد الجواد بك برهان ٣ ٥٩٥
 عبد الحفيظ وواقعة خور موسى ٣ ٥٠٧
 عبد الحلیم باشا ابن محمد علي باشا ٣ ٣١
 عبد الحلیم مساعد وغزوة مصر ٥٠٥
 ٣ ٥٢٣ و ٥١١
 عبد الدافع . الشيخ وتاريخه ٢ ٧٢
 عبد الرحمن . ثالث سلاطين الفور ٢ ١١٤
 عبد الرحمن ٢٣ سلاطين الفور ٢ ١٢١
 عبد الرحمن النجومي وحرب الداير ٢ ٢٥٣
 » وحصار الخرطوم ٣ ٢٦٤ و ٢٥٤
 » وبعثته الى المتمة ٣ ٣٤٤
 » وبعثته الى سنار ٣ ٤٠٩
 » وعماله علي دنقاه ٣ ٤١٧
 » وواقعة طوشي ٣ ٥١٧

ص : ج	ص : ج
عثمان نايب وواقعة طوكر ٥٤١ ٣	العبودين ٥٠ ١
عجيب . ثاني مشايخ العابدلاب ٧٤ و ٩٩ ٢	العبيد . الشيخ ٥٥ ١
عجيب ود عبد الله شيخ قري ٨٣ و ٨٧ ٢	» وحصار الخرطوم ٢٢٢ و ٢٥٢ ٣
العجيل ود الجنقاوي . قتله ١٧١ ٣	عيد الله بن مروان الحمار ٤٤ ٢
عدلان . سادس وزراء الهمج ٩٠ ٢	عيد الله المهدي ١٢٥ ١
عدلان . تاسع ملوك سنار ٧٤ ٢	العبيدية ٨٩ ١
عدلان الثاني ال ٢٠ من ملوك سنار ٨٣ ٢	عثمان آدم في الابيض ٤٥٠ ٣
العراكيون ٥٦ ١	» في دارفور ٤٥٩ ٣
عرب البشير ٦٣ ١	عثمان ازرق وغزوة بريس ٥٧٠ ٣
العرب في الغزو ٢٤٢ ١	» وواقعة المرات ٥٧١ ٣
عربي دفع الله في دنقله ٥٦٨ ٣	» وواقعة ام درمان ٦٤٦ ٣
» في خط الاستواء ٦٥٨ ٣	عثمان بك . اول ولاية السودان ١٧ ٣
العرد ٣٢ ١	عثمان بك الدالي وحصار سنار
العرديب ٣٠ و ١٤٧ ١	٢٥٦ و ٤٠٥ و ٦٤٩ ٣
عريدة . بلدة ٦٣ ١	عثمان دقنه والمهدي ١٧٠ ٣
العريفية ٦١ ١	» والثورة في سواكن ٢٠٠ و ٣٢٠ ٣
العريقات ٦٢ ١	» والثورة في كسله ٣٣١ و ٤٠٠ ٣
العشاباب ٥٠ ١	» وواقعة طوكر ٤٩٣ و ٥٤١ ٣
العشر ٣٣ ١	» وواقعة الاتبره ٦٠١ ٣
العصار ٢٥ ١	» وواقعة ام درمان ٦٤١ ٣
عطرون . اول مشايخ القلابات ٢١ ٣	» القبض عليه في سواكن ٦٦٩ ٣
عطيه بن جنيد ٦٢ ١	عثمان الديكيم امير بربر ٤١٧ و ٦٤٦ ٣
عنافيت ١٠٦ : ١ و ٥٤٠ ٣	عثمان شيخ الدين ٥٥٧ ٣
عقبة العريان ٨٦ ١	» وواقعة ام درمان ٦٤١ ٣
العقليون ٥٦ ١	» وواقعة جديد ٦٦٧ ٣

ص : ج	ص : ج
١ ٧٧ عمدة • بلدة	١ ١٣٧ العقوبات في الاسلام
٣ ٥ عمر • ملك العمراب الشايقية	١ ٣٠ العكا
٢ ١١٤ عمر • ثاني سلاطين الفور	١ ٨٠ عكاشه • بلدة
٣ ٣٥ و ٢٨ عمر ابن الملك نمر	٢ ٤١ علوه
٣ ٢٩٤ عمر ابراهيم السنجق وسقوط الخرطوم	٣ ٦٣ و ٦٠ علي ابو عموري
٣ ٤٥٢ عمر الياس باشا في باره	٣ ٣١ و ٣١ علي باشا سري ١١ ولاية الفتح الاول
٢ ١١٤ عمر الثاني ال ٢٠ من سلاطين الفور	٢ ٩٠ علي بقادي • الفقيه
٣ ٤٩٧ عمر صالح وعماته خط الاستواء	٣ ٣٣٢ علي بك البخيت شيخ بن عامر
٣ ٤٠ عمر نخري بك في الخرطوم	٢ ١٣٤ و ١١٠ علي بك الخير
٢ ٧٧ عمر المغربي • قصيدته الملك سنار	٢ ١٤٧ و ١٣٦ و ١٠٩ علي دينار • الامير
١ ٥٤ العمراب	٣ ٦٧٢ و ٥٤٦ » والتعايشي
٣ ٤٠٠ عمر ود ضاوي والثورة في كسله	٣ ٦٧٠ علي عبد الكريم وبدعته
١ ٣٥ و ١٧ الغنيج • نبات	٣ ٦٧٨ و ١٠١ و ٨٦ علي المرغني • السيد
١ ٣٨ الغنزة ام قرن	٣ ٣٣٤ علي نورين • شيخ سبدرات
١ ٢١٥ عنكريب	علي ود حلو • الخليفة والمهدي
١ ٣٨ الغنكوليب	٣ ١٤٠ و ١١٨ و ١١٥ » والتعايشي ٣٩٢ و ٤١٦ و ٥٥٨
١ ٤٨ العورة • قبيلة	٣ ٦٦٦ و ٦٤١ و
٢ ٩٠ عوض الكريم ابو سن شيخ الشكرية	٣ ٢٧٦ علي ود سعد وواقعة ابي طليح
٣ ٢٤٢ و ٢٢٠ » وحصار الخرطوم	٣ ٥٢٣ » وواقعة طوشكي
٣ ٥٣١ » والخليفة عبد الله	١ ٥٣ العمراب
٣ ٤٠٠ و ٣٣٧ عوض الكريم كافوت	١ ٨١ عماره • بلدة
٣ ٦٤٩ عوض المرضي	٢ ٧٤ عماره • رابع ملوك سنار
١ ٥٤ العوضية	٣ ٣٢٣ عماره ابوسن والثورة في كسله
	٢ ٧٣ و ٢ عماره دنقس • اول ملوك سنار

ص : ج

« ف »

- ١ ٩٦ فارس بك شقير
 ٢ ١٠١ : ٩٧ فازو غلي ومملكته
 ٣ ١١ ١٨٣٢ « فتحها الاول ١ يناير ١٨٣٢ »
 ١ ٥٨ الفاشر • الاتبرة
 ١ ١٠٩ الفاشر • دارفور
 ٣ ٨٢ « تحصينها »
 ٣ ١٨٩ ٨٤ يناير ١٤ « تسليم حاميتها »
 ١ ٩٩ و ٧١ فاشوده ومحافظتها
 ٣ ٥٢ « فتحها الاول »
 ٣ ٦٥٠ « وحادة مارشان »
 ٣ ٦٦٩ و ٥٥٥ الفاضل ابن المهدي
 ١ ١١٠ فافا
 فامكة ١ : ٩٧ و ٢٤١ و ٦٥٧
 ١ ٦٦ : ١٠١ لفتح المصري
 ٣ ٥٩٩ « فتركلارنس البكباشي في ابي حمد »
 ١ ٥٥ الفتيحاب
 ٣ ٢٤٣ و ١ : ٩٥ فداسي
 ١ ٥٤ الفرانيب
 ١ ٤٧ فريت
 ٣ ٦٦٩ و ١ : ١٦٥ فرج افندي شحادة
 ٣ ٢٨٦ و ٢٨١ فرج الله باشا • ام درمان
 ١ ٧٨ فرص • بلدة
 ١ ٨١ فركة

ص : ج

١ ٥٣

العوينة

علاء الدين باشا الى ٢٤ من ولاية الفتح

٣ الاول ١٠٨ و ١٧٤

٣ ١٧٦

« وواقعة شيكان »

١ ٥٧

العلاطيون

٣ ٦٨

عذاب • بلدة

١ ١٩

العيسنت • فرس البحر

١ ٩٤

اليلفون • بلدة

« غ »

١ ٦١

الغديات

١ ٧٤

غرفيل باشا

٣ ٣١٧

« سردار الجيش المصري »

٣ ٤١٣

« وواقعة جنس »

٣ ٤٩١

« وواقعة الجميزة »

٣ ٥١٦

« وواقعة طوشيكي »

٣ ٥٦٨

« استعفاؤه »

٦ ٦٥٢

« زيارته الى ام درمان »

٣ ٥٤

غوردون باشا وخط الاستواء

٣ ٨٦

« والزير في مصر »

٣ ٩٢

« ولايته الاولى على السودان »

٣ ٢١٣

« ولايته الثانية على السودان »

٣ ٢٢٢ الخ

« وحصار الخرطوم »

٣ ٢٩٨ ١٨٨٥

« قتله ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ »

١ ٣٦

الغوخاية

ص : ج		ص : ج	
١ ٤٧	كارا	٣ ٥٦٧	فرنسوى امبراطور النمسا
٢ ٥٠	كافور الاخشيدي والنوبة	١ ٤٧	فروقى
١ ٩٩	كاكا	١ ٨٢ و ٧٨	فريج • بلدة
١ ٣٣	الكاموت	١ ٨٩	فريخة • بلدة
١ ٩٤	الكاملين	١ ١٤٢	الفصول الزراعية
٣ ١١ و ٢ : ٩٦	كايو مورخ فتح سنار	١ ٢٥	فصول السودان
١ ٦١	الكبايش	٣ ١٤٩	فضل الله كريف
١ ٥٣	الكبانة	٣ ٦٦٧ و ٦٠١	فضل الحسنة
١ ٢٠٨	الكبس	٣ ٦٥٨	فضل المولى البكباشي
٣ ١٨٩ و ١٠ : ١	كبكية وحاميتها	٣ ٦٥٨	فضل النبي اصيل
١ ٣٢	الكثر	١ ٥٠	الفقراء • قبيلة
٣ ٥٧٧	كتشنر • الكولونل وحمله دنقله	١ ١٢٩	الفقه • أئمة
٣ ٦٦٠	» وحملته على الخليفة	١ ٤٧	ففقرو
	كتشنر • اللورد	٣ ٥٧٤	فك البكباشي في سواكن
٣ ٢٦٨	» ماموريتة الى دنقله	٣ ٥٨٢	» وحمله دنقله
٣ ٤٨٩	» وواقعة هندوب	٣ ٢٩٣	فوزي محمود كاتب المهدي
٣ ٥٢٠	» وواقعة طوشيكي	٢ ٧١ و ١ : ٥٧	الفونج وتاريخ ملوكهم
٣ ٥٦٨	» سردار الجيش المصري	١ ١٣٧	الفيء في الاسلام
٣ ٥٧٢	» وحمله دنقله	١ ٣٨	الفيل
٣ ٥٩٦	» وحمله بربر		
٣ ٦٠٢	» وواقعة الاتبره		« ك »
٣ ٦٣٣	» وحمله الخرطوم	٢ ٢٩	دابيل • ملك النوبة
٣ ٦٦٢	» وحملته على الخليفة	٢ ١٧	كاشا • الملك
٣ ٦٧٤	» وحرب الترنسفال	٣ ٦٠٠	كاتيجر • الجنرال
٣ ٦٧٦ و ١ : ١٧١	» وكنية غوردون	١ ٤٩	كاجه البدو

ص : ج

- كنداكة . الملكة ٢ ٢٩
الكنوز ١:٥٢ * الكواهلة ١ ٥٦
كوبان ١:٧٦ * كوبي ١ ١١٠
كورتى ١:٨٦ * كورسكو ١ ٧٧
كوروال ١٥ من سلاطين انفور ١١٤ ١
كوشه ١:٨١ * كوكي ١ ٨٢
كولفل . الكولونل والحمة النيلية ٢٧١ ٣
كولسن بك وواقعة الخرطوم ٦٣٤ ٣
الكوليرا ٢١ : ٢٣ و ٢ : ٥٨٢ ٣
الكونت كايخن ١:١٦١ و ١ : ٥٧٧ و ٥٩٨ ٣
كوندوكرو ١:١٠٠ * الكوة ١ ٩٨
كويكه ١:٨١ * كويه ١ ٨٢
كلايشة ١:٧٦ * كيري ١ ١٠٠

« ل »

- لبتن بك ١٠٢ و ١٩٢ و ١٩٩ ٣
للتون . الجنرال وحمة الخرطوم ٦٣٤ ٣
اللاحويين ١ ٥٦
لغات اهل السودان ١ ١١١
لقبي ١:١٠٠ * اللقمة الجيرية ١ ٢١٩
لونج . الكولونل ٥٧ و ٦٠٣ و ٦٣٤ ٣
لويس الكولونل ٥٧٨ و ٦٣٤ و ٦٥٦ ٣
ليرني بن سدر . ملك النوبة ٢ ٥٠

« م »

- ماتشل بك ٥٠٧ و ٥٣١ و ٥٧١ ٣

ص : ج

- كدّين ١:٨٢ * كربكان ١ ٨٧
الكراد ١ ٨٥ و ٢٨
كردوفان ١:٧٢ و ١٢ : ٢٢ و ١٥٢ و ٦٧٦ ٣
كر كوج ١:٩٧ * الكرمل ١ ٨٨
الكرمة ١:٨٢ * الكروبات ١ ٦٣
كرومر . اللورد والاصلاح في مصر ٧٥ ١
« وكلية غوردن ١ ١٧١
« والزير باشا ٣ ٨٥
« وغوردن باشا ٣ ٢٢٢
« زيارته الى السودان وخطبه ٦٧٧ ٣
كري المستر وكلية غوردن ١:١٧٢ و ٦٧٧ ٣
كريو ١ ١١٠
كسله ١:١٠١ * فتوحها ٢٥ و ٤٠ ٢
والثورة المهدية ٣٢٤ و ٤٧٧ و ٥٤٣ ٣
كسوف الشمس سنة ١٨٣٦ م ٢ ٢٢
الكشاف . وتاريخهم ١:٦٦ و ١٠٨ ٢
ككوتش . الجنرال ٣ ٣١٣
كلكل * الكلكة ١ ١١٠
الكليت . شجر ١ ٣٤
كلية غوردن ١:١٧١ و ٦٧٦ ٣
الكماتير ١:٥٦ * كميز . الملك ٢٤ ٢
الكمرون هيلندرس ٣ ٦٠٤
الكميلاب الهدندوة في كسله ٣ ٣٣١
كنانة ١:٥٥ * الكنتوش ١ ٢١٨
الكنجارية ١ ١٠٢ و ٤٨

ص : ج

- محمد احمد المهدي وحصار الخرطوم ٢٢٦ ٣
 » وفاته واوصافه ٣٥٨ ٣
 » قبته وجثته ٦٤٧ و ٥٢٩ ٣
 » وقائمه ٢٦١ : ١٢٨ ٣
 » مناشيرد وكتبه ٣٥٨ : ١٢١ ٣
 محمد احمد ولد الشيخ ادريس ٤٠٨ ٣
 محمود احمد وعمالته على دارفور ٥٤٦ ٣
 » وواقعة الاتبره ٦٠٠ ٣
 محمد امام الخير ١١٠ ١
 محمد الامين . الشريف والمهدي ٣٧٣ ٣
 محمد الامين ال ١٣ من العابد لاب ٨٣ و ٩٩ ٢
 محمد الامين مهدي تقلي ٦٧١ ٣
 محمد باشا امام وحصار الابيض ١٥٨ ٣
 محمد بشاره وعمالته على دنقله ٥٦٨ ٣
 » وواقعة ام درمان ٦٠١ و ٦٤٤ ٣
 محمد البشير . شيخ الحمد ٥٣٢ ٣
 محمد بك احمد ٤٨٩ و ٥٤١ و ٦٧٠ ٣
 محمد بك اسكندر . الابيض ١٦٥ و ٦٤٩ ٣
 محمد بك بكير وحمله دنقله ٥٩٥ ٣
 محمد بك بايغ وحمله دنقله ٥٩٥ ٣
 محمد بك توفيق بطل سنكات ٢٠٣ ٣
 محمد بك خلوصي وحمله دنقله ٥٩٥ ٣
 محمد بك راسخ ال ١٥ من الولاية ٣٣ ٣
 محمد بك رفعت وحرب الحبشة ٩٢ ٣
 محمد بك السيد والقلابات ١٠٥٣ و ٣٢٥ ٣

ص : ج

- مادبو شيخ الرزيقات ٤٥٤ و ١٨٦ ٣
 المادي . قبيلة ٤٦ ١
 مارشان وحادثه فاشوده ٦٥٠ ٣
 مارنوبك واخلاء فامكة ٢٤١ ٣
 الماريسة ١ : ٣٦ * المازايو . قبيلة ٢ ٢
 مالك . الامام ١٢٩ ١
 مالية السودان ١٧٨ ١
 الماهرية ٦٢ ١
 ماهون باشا ٦٦٣ و ٦٧١ ٣
 ماي بك . القائم مقام ١٧٩ ١
 المتمة ٩٠ و ١٠٢ ١
 متوسوفيس . الملك ٣ ٢
 المجاذيب ١ : ٥٤ * المجانين ٦١ ١
 محبوب المرغني . السيد ٦٧٠ ٣
 الحرقة ٣١ و ١ : ٧٦ ٢
 المحس و آثارها ١١٠ و ١ : ٥٢ ٢
 محلق . العاشق ٥٩ ١
 محمد ابن المهدي . حبسه ٥٥٥ ٣
 محمد ابو الاكيلك . اول الهمج ٨١ و ٨٣ ٢
 محمد احمد المهدي ١٢٥ ١
 » اصله واسباب ظهوره ١٠٧ ٣
 » هجرته الى قدير ١٣٠ ٣
 » حكومته ٣٥٤ و ١٣٩ ٣
 » غزوة الابيض ١٥٥ ٣
 » وحمله هكس ١٧٤ ٣

ص : ج

- محمد عوض شيخ الخلافة • قتله ٤٠١ ٣
 محمد الفضل ال ٢٤ من سلاطين الفور ١٢٣ ٢
 » كتابه الى محمد علي باشا ١٣١ ٢
 محمد كنور ثالث خشم البحر ٩٠ و ١٠١ ٢
 محمد المجذوب الطاهر ٤٨٢ ٣
 محمد المرغني الاستاذ وعثمان دقه ٢٠٦ ٣
 محمد المهدي السنوسي ١٢٦ : ١ و ١٧٠ ٣
 محمد نور احمد والمهدي ٣٧٣ ٣
 محمد نور والتعايشي ٥٣٠ ٣
 محمد نور صبر • الفقيه ٨٧ ٢
 محمد ود ارباب في القلابات ٤٦٥ ٣
 محمد ود البصير والثورة ٢٤١ ٣
 محمد ود علي • خشم البحر ٨٣ ٢
 محمد • رابع سلاطين الفور ١١٤ ٢
 محمود احمد وواقعة ابي حمد ٥٩٨ ٣
 محمود زايد شيخ الضبانية ٣٢٤ و ٥٣٢ ٣
 محمود عبد القادر ١٥٦ و ٤٥٠ ٣
 محمود العركي • الشيخ ٧٦ ٢
 محمود المحلاوي ٣٥ و ١٠٢ ٣
 محمود الحاج في دنقله ٢٣٩ ٣
 محو بك • ثاني ولاية الفتح الاول ١٨ ٣
 مدارس السودان ١٣٨ و ١٧١ ١
 مدثر ابراهيم ٦٤٧ و ٦٧٠ ٣
 مدن السودان وآثارها ٧٣ ١
 المدنيون ٥٦ ١

ص : ج

- محمد بك موسى الهدندوي ٣٣٢ و ٤٨٧ ٣
 محمد بن رجب سابع وزراء الهمج ٩٣ ٢
 محمد بن عبد الله مدعي المهدي ١٢٤ ١
 محمد الخلوتي • الشيخ ١٣٢ ١
 محمد خالد زقل ١٨٥ و ٤٥١ و ٤٩٢ ٣
 و ٥٦٨ و ٦٥٩ ٣
 محمد الخير والمهدي ٢٣٣ و ٤١٧ و ٥٢٣ ٣
 محمد دوره ال ١٩ من سلاطين الفور ١١٥ ٢
 محمد الزاكي عثمان ٦٠١ و ٦٣٧ ٣
 محمد الزاكي • الشيخ والمهدي ٣٧٣ ٣
 محمد سعيد باشا والمهدي ١٣٠ و ١٥٥ ٣
 محمد شريف • الخليفة والخليفة ٣
 عبد الله ٣٩٢ و ٥٥٢ و ٦٥٧ و ٦٦٩ ٣
 محمد شريف باشا • استاذ المهدي ٩٨ : ١
 و ١١٦ و ٢٦١ ٣
 » والتعايشي ٥٤٩ و ٥٥٢ و ٦٤٩ ٣
 محمد صول خامس سلاطين الفور ١١٤ ٢
 محمد عبد الكريم ٣٤٥ و ٤٠٤ و ٥٥٦ ٣
 محمد عثمان ابو قرجه ٢٤٣ و ٤٩٠ و ٦٥٨ ٣
 محمد عثمان خالد ٦٣٢ ٣
 محمد عثمان المرغني والثور في كسله ٣٣٢ ٣
 محمد عدلان ثامن الهمج ٧ و ٢٠٩٣ ٣
 محمد علي باشا وحصار الخرطوم ٢٥١ ٣
 محمد علي باشا مؤسس الاسرة الخديوية ١٣١ ١
 » فاتح السودان ٢ و ٢٥ ٣

ص : ج

- ٣ « وتسليمها لمصر سنة ١٨٦٦ ٤٩ ٣
 ٣ « وتسليمها للتليان ١٨٨٥ ٣٢٩ ٣
 ٣ مصطفى باشا ياور ٢٣٨ و ٢٦٩ ٣
 ٢ مصطفى بك رمزي ٥٢٤ ٢
 ١ مصطفى بك شاكر ٧٤ ١
 ٣ مصطفى هدى والثورة في كسبه ٣٣٢ ٣
 ٣ المضوي عبدالرحمن ١٤٥ و ٢٢٠ و ٢٢٥ ٣
 ١ معادن السودان ٢٣ ١
 ١ المعادن في السودان ١٣٨ ١
 ١ المعاليه ٦٢ : ١ * معتوق ٩٤ ١
 ١ مقام ابي خروق ٩٠ ١
 ١ مقام الشيخ برغوت ١٠٤ ١
 ١ مقام عابدين ٩٦ ١
 ١ مقام النبي عزيز ٧٨ : ١ * مقام هجو ٩٦ ١
 ١ مقاييس النيل ١٢ و ١٥٢ ١
 ١ المكابر اب ٥٤ : ١ * المكادة ٦٤ ١
 ١ المكاييل ١٥٢ : ١ * المكية ١٩١ ١
 ١ مكدونلد بك ووقائع السودان ٥٧٨
 ٣ و ٦٣٤ و ٦٦٠ ٣
 ٣ مكسول بك ووقائع السودان ٥٧٨ و ٦٣٤ ٣
 ٣ المكي ابراهيم شيخ حجر ١٥٢ ٣
 ٣ المكي الكردي وفاني السيد ٣٩٢ و ٦٧٤ ٣
 ١ الملح وملح البارود ٢٤ ١
 ٣ ملحم بك شكور وحملات السودان ٣١٦
 ٣ و ١٤٠ و ٥٢٤ و ٥٣٩ و ٥٩٥ ٣

ص : ج

- ١ مديريات السودان ومحافظاتها ٦٥ ١
 ٣ المرات * احتلالها ٥٢٥ ٣
 ١ الماريت ١ : ٤٨ * مراغة ٨٣ ١
 ١ المرامرة ٦١ ١
 ١ المرحاكة ١ : ٢١٩ * المرخ ٣٤ ١
 ٣ مرشان في فاشوده ٦٥٠ ٣
 ٣ المرضي ابوروف * سنار ٤٠٣ و ٥٣٢ ٣
 ١ المرفعات ١٤٦ و ٩٠ ١
 ٣ مروي * بلدة ٥٩٣ و ١ : ٨٦ ٣
 ٢ مروي * مملكتها وآثارها ٣٤ و ٢٢ ٢
 ١ مريود * القلابات ١٠٢ ١
 ١ مزروعات السودان ٣٦ ١
 ٣ مزيل الحن ٥٤٧ ٣
 ٣ مساداليه بك في دارفور ١٨٥ و ٩٤ ٣
 ٣ مساعد قيدوم ٤١٨ و ٥٠٥ و ٥٦٧ ٣
 ٣ مشاعد * ملك المتمة ٧ ٣
 ١ المشاعيد ١ : ٦١ * المساليت ٤٩ ١
 ٢ المسبغات ١١٧ و ٨٣ و ١ : ٤٨ ٢
 ١ مسجد ود عيسى ٩٤ ١
 ١ المسعودي * ابو الحسن ١٠٤ ١
 ١ المسلميه * قبيلة * بلدة ٩٤ و ٥٥ ١
 ١ المسيرية ٦٢ ١
 ١ مشرع ابي زيد ٩٨ و ٩٦ ١
 ١ مشرع الريك ١٧ ١
 ١ مصوع * محافظة ١٠٦ ١

ص : ج .

٣ ٨٩	مونسجر في مصوع
١ ١٢٥	الملا المفتون في السومال
٣ ٣٣٧	المتكناب . قتلهم
٣ ١٧٧	ميخائيل افندي ناصيف
١ ٤٩	الميدوب
٢ ١٠٥ و ١ : ٥٤	الميرقاب . مملكتهم
٣ ٢١	ميري . ثالث . شايخ القلابات
١ ٤٨	الميمة

« ن »

٣ ٦٠٤	ناسون باشا وواقعة الاتبره
٣ ٦٤٣	« وواقعة ام درمان »
١ ٩٩ و ١٧	الناصر . بلدة
٢ ١١٤	ناصر الك ١٣ من سلاطين الفور
٢ ٨٧	ناصر . رابع وزراء الهمج
٢ ٨٢	ناصر . ثامن عشر ملوك سنار .
٢ ١٠٠ و ٨٩	ناصر الامين الك ١٦ العابد لاب ٨٩ و ١٠٠
٣ ٣٩	ناصر ملك نقلي
٣ ١٣١	ناصر ملك قدير
١ ٨٤	النافعاب ١ : ٥٤ * ناوي . بلدة
٢ ٧٤	نايل . ثالث ملوك سنار
١ ٢٩	نبات السودان
٢ ٥	نبتة . مملكة
٣ ٥٤٩ و ٤٧٠	النبي عيسى في السودان
٣ ٥٤٨	النجل المكرم

ص : ج

١ ٩٧	الملك تاي الدين
١ ٥٠	ملي ١ : ٩ * المليكاب
٩ ١١٠	مليط
٢ ١٠٦	الممالك في دنقله
٣ ٥٩ و ١ : ٣٦	ممتاز باشا الك ١٩ من الولاية ٣٦ : ١ و ٥٩
٢ ١٠٥ و ١ : ٥٣	المناصر . مشيختهم
٣ ٦٦٠ و ١ : ١٠٠	منجالا
٢ ١١٤	منصور الك ١١ من سلاطين الفور
٣ ١٧١ و ١٥٤	المنة ود اسماعيل
١ ١١٠	منواشي
٣ ٦٣٠	منيلك ملك الحبشة
١ ٦٣	مهاجي ١ : ١٠٠ * المهاري
١ ١٢١	مهدي اهل السنة
١ ١٢٣	مهدي الشيعة
٣ ٥٤٩	مهدي دار تامة
١ ١٢١	المهدي في الاسلام
١ ٤٧	موجي ١ : ١٠٠ * المورو
٢ ١١٥	موسى الك ١٧ من سلاطين الفور
٣ ٣٦	موسى ابراهيم . شيخ الهندوة
٣ ٣٣	موسى باشا حدي الك ١٦ من الولاية ٣٣
٢ ٧	موسى النبي والمملكة كنداكة
٣ ٢٧٦	موسى . قد حلو وواقعة ابي طليح
١ ٦٤	الموسياب ١ : ٥١ * المولدون
٣ ٥٠٥	موتشورنسي . الجنرال والحدود
٣ ٣٢	مونجل المهندس الفرنسي اوي

ص : ج

- نوري ٨٧ ١
 نوفل النمساوي • اسره ٤٥٦ ٣
 • اتقاذه من الاسر ٦٤٥ ٣
 نول • سادش عشر ملوك سنار ٨٠ ٢
 النوير ٤٥ : ١ • النيام نيام ٤٧ ١
 النيل الابيض • النيل الازرق ١٠ : ١٧ ١
 النيل الكبير ١١ الى ٢١ : ٢٥ ٣

« ه »

- هارون الامير • دارفور ٩٣ و ١٣٥ ٣
 هارون محمد اخو التعايشي ٦٦٦ ٣
 هاشم • ثلطان كردوفان ١١٧ ٢
 الهبانية ٦١ : ١ • الهدندوة ٥١ ١
 ن • المستر ٢٥٨ ٣
 هرر ١٠٦ ١
 • احتلالها سنة ١٨٧٥ ٩٠ ٣
 • اخلاؤها سنة ١٨٨٥ ٣٣٠ ٣
 هكس باشا وواقعة شيكان ١٧٤ الخ ٣
 الهمج ٥٨ ١
 هنتر باشا ووقائع السودان ٤١١ و ٥٢٢
 ٥٧٨ و ٥٩٩ و ٦٣٤ و ٦٥٥ ٣
 هنتر بك الحكيم وحملة دقله ٥٧٨ ٣
 هندوب وعثمان دقله ٢٢ : ١ و ٤٨٩ ٣
 هواء السودان ٢٥ : ١ • الهواوير ٦١ ١
 هولده سمث باشا ٥٣٨ ٣

ص : ج

- بجم ذو ذنب ظهوره ١٨٨٢ ١٣١ ٣
 نجمة حصار الخرطوم ٢٤٦ ١
 نجيب افندي ابكار يوس ٣١٦ ٣
 نجيب افندي شقره ٥٩٥ ٣
 النحاس ٢٤ : ١ • النحل ٤٤ ١
 نخله افندي تادرس ٥٣٤ و ٥٣٨ و ٦٤٦ ٣
 النخيل ٢٩ ١
 نصحي باشا وحصار الخرطوم ٢٤٨ : ٢٦٦ ٣
 النصرانية في مصر وايشيوبيا ٣٢ و ٥٧ ٢
 نصر الدين • ملك الميرقاب ٦ ٣
 النظرون ٢٤ : ١ • النعام ٤٢ ١
 نعوم عجمي الحلبي ٦٥٠ ٣
 النفيعاب ٥٤ : ١ • النقارة ١٨٩ و ٢٢٨ ١
 نمر • آخر ملوك الجعليين ٨٠٥ ١
 • وغدره باسما عيل بانا ١٠٥ ١
 النهضة ورقيق السودان ٥١ ٣
 نوات ميامون • الملك ٢٠ ٢
 نوار • ال ٢٥ من ملوك سنار ٨٧ ٢
 النواهي ٦١ : ١ • نوبار باشا ٤٩٦ ٣
 النوبة • كردوفان ٤٧ ١
 النوبة • النيل ٥١ و ١٠٦٥ و ٣٠ و ٣٩ و ٥٧ ٢
 النور عنقره ٩٦ و ١٥٣ و ١٨٥ و ٢٧٨ ٣
 النور بك محمد ٢٥٦ و ٤٠٥ و ٦٤٩ ٣
 النور الكنزى وواقعة سرس ٥٠٥ ٣
 النور ود فقراء ٣٢٦ و ٤٦٥ ٣

ص	ص : ج
(وقائع الثورة المهدية : الجزء الثالث)	هيوت • الاميرال في سواكن ٢١٢ ٣
واقعة أبا ١٢ اوغسطس سنة ١٨٨١ ١٢٨	» و «
واقعة راشد بك ٩ ديسمبر سنة ١٨٨١ ١٣١	وابورات السودان ١٧٣ : ١ و ٢٤٤
واقعة الشلاي ٢٩ مايو سنة ١٨٨٢ ١٣٣	٢٥٦ و ٢٦٠ و ٢٦٧ و ٣٤٣
واقعة الداعي ٢٤ نبرابر سنة ١٨٨٣ ١٥٠	٤٤٧ و ٥٨٦ و ٥٩٩ و ٦٣١ ٣
واقعة الابيض ٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ١٥٨	واحة سليمة ٢٣ و ١٠٨١ و احة كركر ٧٦ ١
واقعة شيكان ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ ١٨٠	واو • بحر الغزال ١٠٠ : ١ و ٦٥٨ ٣
واقعة تماي الاولى ٢ ديسمبر سنة ٨٣ ٢٠٥	وادي العلاقي ٧٦ ١
واقعة التيب الاولى ٥ نوفمبر سنة ٨٣ ٢٠٥	وادي الكعب ٨٤ ١
واقعة التيب الثانية ٤ فبراير سنة ٨٤ ٢٠٦	وتسن • الكولونل ٦٦٦ ٣
واقعة التيب الثالثة ٢٩ فبراير سنة ٨٤ ٢١٠	ود برجوب ١٤٧ و ١٤٨ و ١ ٣
واقعة تماي الثانية ١٣ مارس سنة ٨٤ ٢١١	ود جار النبي • بلدة ٩٨ ١
واقعة بورتني ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ ٢٣٩	ود جار النبي • قتله ٥٥٨ و ٥٣٣
واقعة : اد ، طليح ١٧ يناير سنة ١٨٨٥ ٢٧٦	ود مدني ٩٥ ١
واقعة : امة ١٩ يناير سنة ١٨٨٥ ٢٧٨	ود هوس باشا ١٣ : ١ و ٥٠٧ ٣
واقعة كركبان ١٠ فبراير سنة ١٨٨٥ ٣١٠	ودلاي ١٠٠ ١
واقعة الحمام • كسله ١٢ فبراير سنة ٨٤ ٣٣٢	وقائع السودان • اشهرها
واقعة قلو سبت • كسله ٥ يناير سنة ٨٥ ٣٢٨	(قبل الفتح الاول : الجزء الثاني)
واقعة كوفيت ٢٣ • بتمبر سنة ١٨٨٥ ٤٠٠	(في الفتح الاول : الجزء الثالث)
واقعة جنس ٣ ديسمبر سنة ١٨٨٥ ٤١٠	ص
واقعة هندوب ١٧ يناير سنة ١٨٨٨ ٤٨٩	واقعة الشايقية ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٠ ٤
واقعة الجيزة ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٨ ٤٩٠	واقعة بارة ١٦ ابريل سنة ١٨٢١ ١٢
واقعة القلابات ٩ مارس سنة ١٨٨٩ ٤٨٢	واقعة قرع ٨ مارس سنة ١٨٧٤ ٩١
واقعة ارجين ٢ يوليو سنة ١٨٨٩ ٥١١	واقعة منواشي ٢٥ اكتوبر ١٨٧٤ ٧٩
واقعة طوشكي ٣ اوغسطس سنة ٨٩ ٥٢١	

ص : ج

- « والوفد الى الحبشة ٥٩٨ ٣ »
 « وحملة بربره وواقعة الاتبره ٥٩٨ ٣ »
 « وواقعة ام درمان ٦٣٤ ٣ »
 « وحادثة فاشودة ٦٥١ ٣ »
 « تسميته ادجوتات جنرال ٦٥٣ ٣ »
 « حملته على الخليفة ٦٦٢ و٦٦٩ ٣ »
 « ولايته وخطبه ٦٧٥ : ٦٨٨ ٣ »
 « ووشب الجنرال وحمله الخرطوم ٦٣٤ ٢ »
 « ولاية السودان في النتج الاول ١٧ ٣ »
 « في الفتح الاخير ٦٧٣ ٣ »

« لا »

- اللابوره ١٠٠ : ١ * اللاتوكا ٤٦ ١
 اللادو ١٠٠ : ١ * اللاستك ٣٢ و١٤٨ ١

« ي »

- ياسو . ملك الحبشة ٨٠ ٢
 يعقوب محمد اخو الخليفة ٦٤٦ ٣
 يعقوباب ٥٦ ١
 ينكر السايح الالماني ٤٩٥ ٣
 يوحنا ملك الحبشة ٨٩ و٦٥ و٤٧٨ ٣
 يوسف ابن السلطان ابراهيم ٤٥٨ ٣
 يوسف بك شدياق ١٠٤ ١
 يوسف . سلطان ودائي ٤٦٣
 يوسف الشبخاني ٦٥٠
 يوسف منصور الملازم ٦٨ و٦٤٩
 يونس الديكم ٤٦٦ و٥١٠ و٦٦٧

(تم)

ص

(وقائع استرجاع السودان)

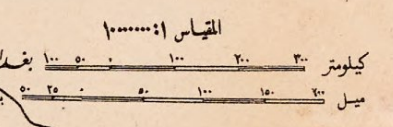
- واقعة طوكر ١٩ فبراير سنة ١٨٩١ ٥٤١
 واقعة امبقول ٣٠ يناير سنة ١٨٩٣ ٥٦٩
 واقعة اغوردت ٢١ ديسمبر سنة ٩٣ ٥٤٥
 واقعة فركة ٧ يونيو سنة ١٨٩٦ ٥٧٩
 واقعة الحفير ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٦ ٥٨٦
 واقعة ابي حمد ٧ اوغسطس سنة ٩٧ ٥٩٨
 واقعة الاتبرة ٨ ابريل سنة ١٨٩٨ ٦٠٢
 واقعة ام درمان ٢ سبتمبر ١٨٩٨ ٦٣٩
 واقعة القضارف ٢٢ سبتمبر ١٨٩٨ ٦٥٤
 واقعة الرصيرص ٢٦ سبتمبر ١٨٩٨ ٦٥٥
 واقعة جديد ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩ ٦٤٤

ص : ج

- ولسلي . اللورد والحملة النبلية ٢٦٩-٣
 وليكوكس . المستر ١٣ و٧٥ ١
 ونجت . الماجور جنرال السر رجيند ونجت باشا
 سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام
 « مقدمة الكتاب له ٤ ١ »
 « منشط زراعة القطن ٣٦ ١ »
 « منظم الخرطوم ٩١ ١ »
 « ولايته على السودان والاصلاح ١٦٠ ١ »
 « والحملة النبلية ٣٠٨ ٣ »
 « وواقعة طوشكي والحملة ٤٩٠ و٥٢٠ ٣ »
 « وواقعة طوكر . مدير المخابرات ٥٣٩ ٣ »
 « مآثره وتأليفه ٧ : ١ و٥٦٥ ٣ »
 « وحملة دنقله ٥٧٨ و٥٩٢ و٥٩٤ ٣ »

خريطة السودان والحجرات

ومصر وسوريا وجنوب آسيا الصغرى والفرار وبلاد العرب
رسمت تاريخ السودان وجزائره تأليف نعمت شقير
مصر القاهرة سنة ١٩٠٣



ولاية الكونغو الحرة

הספרייה הלאומית
S 54 C 1872

شقيق، نه شقيق، نعو
تاريخ اله تاريخ السودان :

Vol. 1-3+ Suppl. in C.3



2252768-30

SHA

SHA

